7me Année No. 313 — Lundi - 3 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مصري

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣١٣ «القاهرة في يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ يوليه سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهرس

من هذيان الحر...

نحن يا صديقي القارئ من تموز على جمر سواء: أنا لا أحسن الكتابة، وأنت لا تحسن القراءة؛ فتعال أهذِ أنا وتسمعْ أنت؛ فإن الهذيان في الحر كالهذيان في الحمى تنفيسٌ عن الروح المكروب، وتخفيف من الهم الثائر. والهذيان كلام كفورة الإناء ليس له نظام ولا فيه عقل؛ ولكنه كلام النائم لا تغلب فيه جملة على جملة، ولا تظفر به صورة دون صورة إلا لأن لها في العقل الباطن أثراً، وبالروح اليقظان صلة. ولعلك واجد في هذيان المحموم والملموم والنشوان والنائم من ومضات الحق ما لا تجده أحياناً في بعض الكلام. ولقد كان في قرى الريف جماعة من الموسوسين المتهامين يعتقد الناس أن وسوستهم من كشف الغيب وإنذار القدر؛ وربما أصابوا في حزرهم توجيهاً إلى منفعة أو تنبيهاً إلى مضرة!

* * *

يقولون: في شهر تموز، يغلي الماء في الكوز، ويجري النمل على البوز[1]! فما حسب المتوهمين أن يتخم في (داربج) طائفة من جسم تجعل البحر حميماً[2] على كل مستحم، والجبل جحيماً

(١) البوز في لغة العامة: الفم

(٢) الحميم: الماء [illegible]

على كل سماط ؟ ما ضر هذا أن يظل الأغنياء المتخمين حتى يبقروا الشعب في مدن الماء ، كما أهمل الفقراء الساكين حتى صحوا المحنة في قرى اليابسة ! ماذا يصنع ذلك الأمير أو ذاك الكبير الذي وقف دخل العام كله على هذا الشهر ، فقسم أمواله بين موائد القمار في كل ساحل ، وفرق آماله على مواخير الحب في كل مصيف ؟ أيجوز أن يحرمه هذا غدوات البحر وأماسي النزل وأمالي الرقص وأسحار الفتون ، لأنه يريد أن يشبع وطنه ، ويرفع شعبه ، وينشر سلطانه ؟ هل هانت الأرستقراطية على الناس إلى هذا الحد ؟

لو كنت ذلك الأمير أو ذاك الكبير لصحت ملء فمي : لعن الله الديمقراطية والدكتاتورية ! فإنهما منذ رفعتا كلمة الشعوب فوق إرادة السادة ، ونقلتا سلطان الملوك إلى العامة والقادة ، هوت الأرستقراطية إلى الدرك الأسفل من بناء المجتمع ، وأصبح أهلها كنفائس الأثاث توضع للزينة ، أو كفلائل الثياب تلبس للحلية . لقد كانت الحروب في عهد العزة الأرستقراطية لا تقوم بين إمارتين أو مملكتين إلا لأن الأمير أو السيد أراد أن يصيد صيداً من الأرض ، أو يغازل غادة من الرادة ، أو يعتق نسيجاً من الشمال . أما اليوم فمن مهازل الدهر أن تنشب الحرب بين دولتين أو قارتين لأن عاملاً فقيراً أراد ليده عملاً لم ينل ، أو تاجراً حقيراً طلب لبضاعته سوقاً لم يجد !! وفساد الأمر كله إنما جاء من وضع الحكم في أيدي المتعلمين من أبناء الصناع والزراع والسوقة !

* * *

كتبت أن الله خلق في الناس المتسلِّق والعَلَق . فالمتسلِّق نبات يتسلق ما يقربه من الشجر فيطاوله ويلتف به ويعرش عليه حتى يحرمه نسيم الريح وضوء الشمس وجلال الرفعة . والعَلَق دود يعلق بما يمسه من الحيوان فينشب فيه خرطومه ، ثم يمص دمه ويستلب حياته .

هؤلاء الأتباع والأوزاع الذين يحفون حول (أبناء الذوات) يهرّجون لهم في الحديث ، ويدبجون لهم الشكر ، ويتطاولون من وراء أكتافهم إلى عقبة الحياة ، هم متسلِّق .

وهؤلاء (البلطجية) الأوشاب الذين يلقون أيديهم القذرة على موائد البغايا الشابات والعجائز المتصابيات كي يفرضوا [illegible] ملء البطون والجيوب من السحت والإثم ، هم عَلَق .

وأولئك المزعومون الجبارون الذين قصروا جهدهم في الحياة على أن يتخاطفوا عصا القيادة ويتنازعوا كرسي الحكم ، ووسيلتهم إلى ذلك أن يقوموا على جانبي الطريق أبواقاً تئن ، أو يقفوا في سوائه أحجاراً عثرة ، هم متسلِّق .

وأولئك المترفون المسرفون الذين استولوا على الأرض من غير ثمن ، وتسلطوا على الفلاح من غير سلطان ، فأكلوا ثمرة الزرع حتى اتخموا ، وشربوا عرق الزارع حتى طفحوا ، هم عَلَق .

وأولئك النقاد المتخرصون الذين يتهجمون على أعيان العلم والأدب بالشر والجهل والسفه ، ليدركوا نباهة الذكر من بلاهة العامة ، هم متسلِّق .

وأولئك المؤلفون الزيفون الذين يستغلون ضعف الطلاب وفقر الأدباء فيكلفونهم أن يكتبوا المقالات وهم يمضونها ، ويضعوا الكتب وهم يستحقونها ، ويربحوا الأموال وهم يقبضونها ، هم عَلَق .

وأولئك الرؤساء البلهاء الذين يعلون على الموظف الصغير بالإعنات والقهر حتى يكفيهم كل رأي في التقارير ، وكل نظر في الأضابير ، ولا يدع لهم إلا نفخة الشدق بالأمر ، ولطعة الإمضاء بالخاتم ، هم متسلِّق . وأولئك الموظفون الخادمون الذين يسرقون جهود زملائهم بالمكر ، ويكسبون رضى رؤسائهم بالملق ، ويلقون التبعات عن كواهلهم بالحيلة ، هم عَلَق .

ولو شئت لحدثتك عن المتسلق والعلق في كل طائفة ، ولكن مالنا نبتغي الهابط إلى الصاعد ، ونعرض الساعي عن القاعد ، ولا نترك هذا وذاك للخلق الخالق ؟

* * *

إن عقرب الساعة يهدف إلى السابعة في خطى غير منظورة ! وإن أنفاس المساء الندية قد أخذت ترف بطراءتها على الغرف المحرورة . وها أنذا أشعر شيئاً فشيئاً بمثاني تتعب ، ورأسي يثوب ، ويدي تسكن ، ونفسي تخشى ، وفكري يتجمع ، وقلمي يجري على الورق بكلام لا أدريه ، والنظام يطلب المقال ليجمع فلا أستطيع أن أصرفه لأعيد النظر فيه !

بيلاطس « باشا »

للأستاذ عباس محمود العقاد

بيلاطس هو الوالي الروماني الذي حكم البلاد اليهودية من قبل الامبراطور طيباريوس عشر سنوات ظهر في أثنائها السيد المسيح وسيق إليه متهماً بما نسميه اليوم « الخيانة العظمى » والافتئات على النظام القائم والدولة الحاكمة . فخشي بيلاطس أن يطلقه وأشفق من الحكم عليه وهو لا يدينه بجريرة ، فأسلمه إلى قومه يدينونه بما عندهم من شريعة ، ويجزونه بما اصطلحوا عليه من عقاب

وكان بيلاطس رجلاً حاذقاً أريباً ولكنه في بعض الأمور ممزوج الأساليب معرض للريبة والشكاية إلى « المراجع العليا » كما نقول اليوم

فمن أساليبه أن اليهود ثاروا عليه بتحريض الكهنة والرؤساء فلم يقمعهم بقوة القانون ، ولم يرسل عليهم الجند ظاهرين ، ولم يحمل أمام الناس وأمام المراجع العليا تبعة القمع والقسوة في علاج هذه الثورة ، بل ألبس الجند ثياب الشعب وسلحهم بالمدى والخناجر وأمرهم أن يندسوا في غمار الشعب الهائج فيعملوا فيه تجريحاً وتقتيلاً حتى يتفرق الجمع وتثوب المدينة إلى السكينة ؛ ولا جناح عليه فيما زعم ، فإنما هي مشاجرة جامحة بين يهود ويهود !

أمثال هذه الأساليب مع شيء من الطمع وشيء من الترف هي التي أحنقت عليه من اليهود ومن رفعهم أمره إلى حاكم الرومان فأسلمهم السيد المسيح وهو يقول في ضميره كما هو رأيه : يهود في يهود !

هذا هو بيلاطس . فمن أين جاءته الباشوية التركية ولم تظهر لها دولة في أيامه ، ولم يكن لها معنى في ذلك العهد معروف ؟

لم تجئه الباشوية التركية ولكنها جاءت إلى رجل يشبهه أقرب الشبه في العصر الحديث ، وهو حاكم الإقليم المعروف ببحر الجلوص من أقاليم السودان في أعالي النيل ، وهو كسائر الحكام هناك انجليزي صميم لعله لا يحمل اللقب من الترك ولا من المصريين ، ولكنه « والي » والوالي هناك لا يكون إلا « باشا » في لسان رعيته ، مجاراة للعرف الذي شاع في تلك الأقاليم الشاسعة منذ حكموا بالولاة العثمانيين

ولم يكن اسمه بيلاطس ولكنه عرف باسم [illegible] وقد شاء المؤلف أن يعرفه لنا بهذه التسمية ، وقد صح مساله [illegible] الوالي الروماني على نحو كالذي اتبعه ذلك السلف القديم ، فهو من ثم بيلاطس حديث !

وبيلاطس باشا هو اسم الرواية التي تقص لنا نبأ مسيحه عيسى بن النجار ، وتشرح لنا من أحوال السودان الأعلى ما يغني عن مطولات في السياحة والتاريخ ، وتتمثل لنا بقلم مؤلفها ميكائيل فوسيت Michael Fausset وثيقة صحيحة من وثائق الاستعمار البريطاني في القارة الأفريقية

أول فائدة تستفاد من قراءة هذه الرواية أن يأتي عليها القارئ الذي له معرفة يسيرة بأهل السودان فلا يلبث أن يقول : نعم ! هذا يحصل !

ثم يرجع إلى تاريخ السيد المسيح فيرى من الموافقة والمخالفة ما يدله على الجائز وغير الجائز من ذلك التاريخ ، ويقول على بصيرة : نعم هذا معقول مقبول ، وهذا لا يقع في الاحتمال

ولا ريب عندنا في أن المؤلف قد جهد بعض الجهد لتقريب الموافقة والمشابهة بين التاريخين

فاسم المهدي السوداني الذي تحدث عنه « عيسى » ، واسم أمه « مريم » ، واسم الخاطئة التي سكبت على رأسه الطيب مريم المجدلية ، وصناعة الرجل الذي دل عليه بالصرافة ، وكراماته أو الكرامات المنسوبة إليه شبيهة بمعجزات السيد المسيح ، والحوار بينه وبين المدير يرجع كالحوار بين المسيح عليه السلام وبيلاطس ، والأسباب التي أثارت الجمهرة ورجال الدين على مهدي السودان الأعلى هي الأسباب التي أثارت الجمهرة والأحبار على رسول الناصرة ، والموعد يوم عيد ، وكل شيء متفق متقارب حتى رجاء الشعب من الحاكم أن يطلق لهم سجيناً كما اعتاد كعادته في العفو عن بعض المسجونين في أيام الأعياد

ولكن العجيب من أمر الرواية أن من يجهل تاريخ المسيحية يقرأها فلا يستغربها ولا يشعر بجهد المؤلف في ذلك التقريب والتوفيق لأنها إنما حصلت فأغلب الظن أن تحصل هكذا بغير اختلاف كبير

وقد سمعنا نحن بأنباء مهديين متعددين ظهروا في تلك الأقاليم، وسمعنا عن واحد منهم أباح بعض المحرمات ورفع بعض التكاليف، واحتج لذلك بما شاء من التعلات والتأويلات.

ويخيل إلينا أنه هو هذا الذي جاء صاحب الرواية بقريب من مكانها، وقريب كذلك من زمانها، وهو حوالي مقتل «لي ستاك» حاكم السودان، فإن كان في الرواية توفيق مقصود فليست فيها مبالغة ولا شذوذ عن المعقول.

* * *

على أن القارئ لا يستفيد هذه الفائدة وحدها من قراءة الرواية لأنه يعرف منها أشياء شتى من أساليب الإنجليز في استعمارهم لأمثال تلك الأرجاء، وسياستهم لأمثال تلك الشعوب، واصطلاحهم بتصريف الأزمات وهم بعيدون عن الرؤساء كلما طرأ من الطوارئ ما يدعو إلى تصرف سريع.

فالحاكم «بريتج» يعرف العربية معرفة جيدة، وهو ومساعدوه يقرأون تاريخ النوبة وتاريخ الإسلام وسيرة النبي عليه السلام ومذاهب العلماء في الظواهر النفسية والنقائض الاجتماعية، ويتتبعون أخبار الاستعمار في الدول الأخرى فيستعيرون منها أو يقيسون عليها ويأخذون بصوابها ويجتنبون أخطاءها.

فإذا شغلوا الناس بالألعاب والمسابقات في المواسم الوطنية أو المواسم الإنجليزية فقلة يصنعون ذلك لا لمجرد اللهو وتزجية الفراغ. أو كما جاء على لسان واحد منهم وهو يتكلم عن الحاكم: «لقد نعلم مما قرأ عن مجرى الأمور في ميلانيزيا وغيرها من جزائر المحيط الهادي، فإن المبشرين هنالك قد غيروا من عقائد أبناء البلاد، فأعرض هؤلاء عن العراك فيما بينهم وزهدوا في الرقص وليالي السرور، وضعفت في نفوسهم محبة الحياة وشهوة البقاء، إنهم لا يعيشون أو لا يرسلون شعلة الحياة إلى ما بعدهم من الأجيال فهم على وشك الانقراض. وهكذا يحدث هنا فيوشك أن ينقرض القوم أو هم على الأكثر متمسكون لا ينمون مع الأيام. لقد منعنا العراة أن يقتتلوا، ومنعنا العرب أن يغيروا على العراة، فحق على هؤلاء وهؤلاء أن يشغلوا أنفسهم وأن يفثأوا ما في طباعهم من شوق إلى الصيد والنضال، وتعوزهم حماسة العيش. فهذا الذي جعل الحاكم بريتج مهموماً بإيقاظ تلك الطبائع وتوجيهها بعد تهذيبها إلى حب الرياضة والمغالبة في هذا المضمار.

وجاء على لسان أحدهم: «من هم المسلمون أهل الإسلام في زماننا هذا؟! إنهم لنحن نحن طلاب الحقائق العليا. إنهم لنحن نحن أصحاب الإيمان بالتوحيد الشامل لأبعد الكواكب وأصغر الذرات، وعلى ديننا هذا يجوز النمل وتأتي الأعاجيب من اليابان إلى طباريزو، ومن رأس الرجاء إلى سبتزبرجن، إلى ما وراء هذه وتلك من أرجاء القطبين. نحن طلاب الحق وليس غير الحق نطلب. ونحن لا نتبع نبياً واحداً ولكننا نستقصي كل شيء، ونفحص كل شيء، وننبذ كل باطل، ونرفض كل ضلال».

* * *

ومع عناية هؤلاء الحاكمين بالخفايا النفسية في أرجاء الفطريين أو ذوي النصيب المحدود من الحضارة تراهم لا يغفلون العناية بإرضاء القوم ومجاراتهم فيما يشتهون مما لا ضرر فيه.

فيبعث الزعيم من الزعماء البدويين إلى الحاكم في طلب طبيب يشفيه من مرض مزمن فلا يرده الحاكم ولا يؤيسه من الشفاء، بل يكلف خير أطبائه أن يحمل معه الجهاز الكهربائي واللوازم الضرورية ويزوده بالنصائح التي تنفعه عند الرجل وقومه... ثم لا ينسى أن يهمس في أذنه وهو منصرف: ولا تنس أن تأخذ معك شيئاً من قناني الماء فإنهم سائلوك عنها لا محالة وفي مقدمتهم المريض!

* * *

وإذا حسن لديهم أن يتوخوا مظاهر الهيبة بين المحكومين فليس ذلك يمنعهم أن يحتالوا على تألفهم ومجاملتهم كأنهم خدم مسخرون في طاعة السادة ذوي الأهواء والنزوات. وهكذا يسامي ذلك في جميع الأقطار، ولاسيما في أقطار يلخص حاكمها مشاكلها كلها فيقول: إنها تنحصر في مشكلة واحدة وهي: «مسافات الأماكن ومسافات الأحوال».

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ٤ —

عجبَ ناسٌ حين رأونا نقول بأن الأستاذ أحمد أمين ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرةً عامية، واستكثروا أن نحكم هذا الحكم على رجل من أساتذة الجامعة المصرية

ونجيب بأننا لم نظلم هذا الصديق، وإنه نفسه [illegible]، هو الذي بنى أبحاثه على قواعد المسلَّمات والمقررات عند عوامّ الباحثين، وذلك يشهد بأن الابتكار والإبداع يبعدان كل البعد عن ذهن هذا الباحث المفضال

يظن الأستاذ أنه يحتقر العامة ليصح له التطاول على ماضي الأدب العربي، واحتقارُ العامة لا يقوم على أســاس من الواقع ولا من المنطق، وإنما هو مجاراةٌ للعوامّ الذين يصعب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم في الصحة والمرض، والقوة والضعف، والنشاط والخمول، ويعسر عليهم أن يفهموا أن الإنسان يرى المعنويات والمحسوسات بأشكال مختلفة في وجوه متباينة تبعاً لاختلاف الذوق والحسّ والمزاج

والواقع أننا عبيد لحواسنا وأعصابنا، وأن جمهوراً مدين في تكوين ذوقه وحسه وعقله إلى ما يأكل وما يشرب وما يلبس وما يرى وما يذوق. وقد راعى ذلك فقهاء الشريعة الإسلامية حين وضعوا آداب القضاء، فقد استحبوا للقاضي أن يمتنع من الحكم إذا شعر ببعض عوارض المرض أو الظمأ أو الجوع

* * *

[illegible] أننا لا نهجم على هذا الرجل بلا تأثّم ولا تحرّج، فالله وحده يعلم أننا نهجم عليه كارهين، لأنه صديق لم نر منه غير الجميل، ولأن له أصدقاء كنا نحب ألا نؤذيهم بالهجوم عليه، فلنا فيهم إخوان أعزاء

ولكن هل يجوز أن يكون أحمد أمين وأصدقاؤه أعزّ علينا من الحق؟

هل يجوز أن نترك هـذا الرجل يصفع ذات اليمين وذات الشمال مراعاةً للأخوّة الغالية التي جمعت بيننا وبينه منذ نحو عشرين عاماً؟

إن أحمد أمين يجور على ماضي الأدب العربي بلا تحفظ ولا احتراس، وأغلب الظن أنه ما كان يخطر له أن يقول له أحد: «قف مكانك، يا أحمد أمين، حتى تدرس الأدب العربي دراسة تمكنك من الحكم له أو عليه»

وساعده على الاطمئنان إلى السلامة من عواقب ما يصنع أنه يصدر أحكامه الجوائر في وقت خمد فيه النقد الأدبي، فهو يظن أنه لن يجد من يرشده إلى أن التصدر لأستاذية الأدب العربي يوجب حتماً أن يكون ذلك المتصدّر أديباً يتذوق المعاني ويدرك الفروق بين أساليب البيان.

فإن كان القراء في ريب من ذلك، فإننا ننقل إليهم أحكامه على مقامات بديع الزمان، ومقامات الحريري، ننقلها بالحرف ليستطيعوا متابعتنا في تبيين ما فيها من خطأ وضعف.

قال الأستاذ أحمد أمين:

«ثم انظر بعدُ إلى الفن المبتكر في العصر العباسي، وهو فن المقامات، فقد ابتدعها بديع الزمان الهمذاني، فلم يجعل محورها حباً ولا غراماً كما تفعل الروائيون اليوم، ولم يجعل محورها شيئاً يتصل بأدب الروح، ولكنها كلها «أدب معدة»، فأبو الفتح الإسكندري بطل المقامات كلها، رجل مكّار محتال، يستطيع بجميع الحيل لابتزاز الأموال، تراه مرة قرّاداً يسلّي الناس ويضحكهم، ومرة واعظاً خطيباً يعظ وينصح؛ ثم تنكشف حيلته فإذا هو مهرّج؛ ومرة مشعوذاً يحتال على الناس بشعوذته ليفتحوا كيسهم ويتصدقوا عليه من مالهم، وهو في كل ذلك مستجد سائل محتال. وجاء الحريري فجعل مكان أبي الفتح الإسكندري أبا زيد السروجي، وهو كصاحبه دناءة نفس، وخساسة حرفة، يشحذ ثمن كفن ميت يدّعيه، ويصاحب [illegible] امرأته إلى المسجد ليبتزّ أموال المصلين، ويجعل غلامه ليوقع الوالي في شركه فيسلبه ماله وهكذا، ويتخذ الفصاحة والبلاغة وسيلة التكدّي والسؤال ... أليس هذا كله أدب معدة؟»

ذلك كلام الباحث المفضال أحمد أمين نقلناه بحروفه لئلا نُتّهم بالتجني عليه حين نحكم بأنه رجل لا يدرك أسرار الحروف.

أبهذا المراء يحكم أحمد أمين على فن المقامات؟

لن نقول شيئاً يمس أحمد أمين ، ويكفى أن نقف عند الملاحظات الآتية :

١ — نلاحظ أولاً أن أحمد أمين لم يفهم أغراض الحريرى وبديع الزمان ، فهو يتوهم أنهما يحاولان إغراء الجماهير بالإقبال على ما فى تلك المقامات من شمائل وخصال ، ومن هنا جاز له أن يضيف أدب المقامات إلى أدب المعدة، ولو كان أحمد أمين درس مقامات الحريرى ومقامات بديع الزمان لأدرك بلا شك أن لهذين الرجلين غاية ما كان يصح أن تخفى على رجل يؤرخ الأدب بالجامعة المصرية .

فما هى تلك الغاية ؟

هى غاية واضحة لمن يقرأ ويفهم ، وهو بحمد الله ممن يقرأون ويفهمون ، ولكنه لم يقرأ المقامات

الغرض من نظم المقامات عند بديع الزمان هو نقد الحياة الاجتماعية والأدبية فى القرن الرابع . وفى سبيل هذا الغرض تعرض بديع الزمان لوصف ما رآه فى زمانه من مثالب وعيوب ، واهتم بتدوين ما عرفه الناس فى تلك الأيام من حيل المتسولين والمشعوذين . وقد وصل إلى أبعد حدود الإجادة حين حدثنا عما كان يعرف أهل ذلك العصر من فنون الأدب ومذاهب المعاش ، ولم يفته أن يقيد حيل اللصوص فى تلك الأيام ، بحيث صارت مقاماته سجلاً صادقاً لبعض أحوال المجتمع فى القرن الرابع بأقطار فارس والعراق

وكذلك كان الغرض عند الحريرى ، فقد أراد أن يصور ما عرف الناس لعهده من ألوان الحياة ، وأن يبين كيف كانوا يجدون وكيف كانوا يمزحون

وهناك غاية ثانية عند الحريرى لم يفطن لها الأستاذ أحمد أمين وهى تقييد ما شاع فى زمانه من ضروب الرموز والكنايات

ولا موجب لإيراد الشواهد ، فسيعرف ذلك أحمد أمين حين يقرأ تلك المقامات

٢ — ونلاحظ ثانياً أن أحمد أمين غفل عن نظرية تعد من البديهيات ، وهى أول ما يدرس طلبة الكليات ، وهى النظرية التى تقول بأن الفن والأدب غاية أصيلة هى الصدق فى وصف ما ترى العيون ، وما تحس القلوب ، وما تدرك العقول ؛ وليس من الحتم أن يكون الأدب والفن جديين فى حيز الأخلاق ، فبعض أشعار ديك الجن وأبى نواس أرفع قيمة من بعض ما كتب ابن سكرة والغزال ، أرفع من الوجهة الأدبية والفنية ، وإن كان أضعف من الوجهة الدينية والخلقية

٣ — ونلاحظ ثالثاً أن أحمد أمين ينظر إلى الأخلاق نظرة سطحية ، فلو أنه كان تعمق فى دراسة الأخلاق لعرف أن الأخلاق تغلب عليها الصفة الاعتبارية ، فما نعيبه اليوم من طرائق التعبير لا يجب أن يكون كذلك فى أذهان من سبقنا من الأدباء فى الأعصر السوالف

٤ — ونلاحظ رابعاً أن أحمد أمين توهم أن فن المقامات وقف عند الحدود التى رسمها الحريرى وبديع الزمان ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربى لعرف أن فن المقامات اتسعت آفاقه فشمل الزهديات والفقهيات ، وتحول مع الزمن إلى أن صار من الأساليب التعليمية ، ولذلك تفصيل سيهتدى إليه حين يقرأ تاريخ المقامات ، وهو سيقرأ ذلك التاريخ لأنه يؤرخ الأدب بكلية الآداب

٥ — ونلاحظ خامساً أن أحمد أمين لم يعرف أن فن المقامات الذى ابتكره الهمذانى وأجاده الحريرى قد انتقل إلى اللغة الفارسية واللغة العبرية واللغة السريانية، فهو من الفنون العربية التى وصل تأثيرها إلى ما جاوره من اللغات، وأدب المعدة لا يؤثر كل هذا التأثير

٦ — ونلاحظ سادساً أن الأستاذ أحمد أمين الذى أساء الأدب مع الحريرى فجعل راويته مثالاً فى « دناءة النفس وخساسة الحرفة » لم يعرف أن مقامات الحريرى خدمت الأدب واللغة خدمة عظيمة جداً ، فقد شُرحت تلك المقامات مرات كثيرة وشغلت الأدباء اللغويين فى الشرق والغرب ، وكتبت بالذهب مئات المرات وتهاداها الأمراء والملوك ، وكان لها تأثير شديد فى النهضة الأدبية الحديثة لأنها من أقدم ما نشرت مطبعة بولاق . وحديث عيسى بن هشام وهو أول كتاب مبتكر فى الأدب الحديث له صلة بأساليب المقامات

٧ — ونلاحظ سابعاً أن أحمد أمين لم يخطر بباله أن فى مقامات بديع الزمان تحفة فنية نستطيع أن نباهى بها أدباء العالم فى الشرق والغرب ، وهى المقامة المضيرية ، فقد بلغت من الروعة مبلغاً لم يصل إليه كاتب قديم ولا حديث ، ولو ترجمت إلى اللغات الأجنبية لعدها الأجانب من الأعاجيب

٨ – ونلاحظ ثامناً أن الجانب التعليمي في مقامات الحريري خفيت دقائقه على فطنة أحمد أمين ، وما أحب أن أزيد :

٩ – ونلاحظ تاسعاً أن أحمد أمين لم يعرف أن للكاتب حرية ذاتية في طريقة التأليف ، فهو كان ينتظر أن يكون في المقامات حب وغرام كما يصنع الروائيون في هذه الأيام ، وهو أيضاً يجهل أساليب الروايات بعض الجهل ، فالحب ليس ركناً أساسياً في تأليف الرواية كما يتوهم الناقد ، وإنما هو وسيلة لعرض الشخصيات وللمؤلف الروائي أن يغفله حين يشاء

١٠ – ونلاحظ عاشراً أن أحمد أمين لم يبتكر الهجوم على المقامات ، وإنما نقله عن الأستاذ سلامة موسى ، وسلامة موسى له عذر مقبول هو بعده عن التغلغل في أسرار الأدب العربي ، فما عذر أحمد أمين وهو يتصدر لتدريس الأدب بالجامعة المصرية ؟

أم أقول لكم إن أحمد أمين يعتمد على ما يقرأ ويسمع بلا نقد ولا تمحيص ؟ إن أحمد أمين يتوجع فيقول :

« أصبحنا إذا قرأنا ما يقوله الإفرنج عن تعريف الأدب بأنه (نقد الحياة) عجبنا من هذا التعريف ، لأنا لا نرى الأدب العباسي ينقد الحياة ، وإنما يصف نوعاً من حياة القصور ، فأما الشعب لم يوصف إلا قليلاً »

ولو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن مقامات الهمذاني والحريري هي من الصميم في « نقد الحياة »

وكيف يكون وصف القصور بعيداً عن « نقد الحياة » يا أحمد أمين ، وأنت تعرف أن القصور في تلك الأزمان كانت محور الحياة ؟

وهل يستطيع الأديب أن يخرج على واجبه في « نقد الحياة » حين يتحدث عن الوزراء والملوك والخلفاء ؟

وهل كانت المدائح والأهاجي إلا دساتير لحياة الناس في تلك الأزمان ... ؟

و « الشعب » الذي يتحدث عنه أحمد أمين هو نفسه الذي كان يتلقى المدائح والأهاجي بالقبول ، وهو الذي كان يروى ما يقوله الشعراء في الرؤساء والملوك ، فهو قد اشترك فعلاً في مسايرة الاتجاهات الأدبية في العصور الخالية

* * *

أحب أن أعرف رأي الأستاذ أحمد أمين في التصحيحات التي قدمناها إليه

ألا يزال يعتقد أن الهمذاني والحريري كانا يضعان دستوراً لحياة الصعلكة والتشرد والاحتيال ؟

أيكون اقتنع بهذا الدرس فعرف أن فن الهمذاني والحريري يقوم على أساس السخرية من بعض أخلاق الناس في تلك الأزمان ؟

أحب أن أعرف كيف يحرم على أمثال الهمذاني والحريري أن يفتنوا المجتمع بالرسائل والقصائد والأقاصيص ، وهو مذهب استحله كتاب الإنجليز والفرنسيس والألمان ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربي لعرف أن أدباء العرب فهموا أن فن المقامات ليس إلا وسيلة للتعبير عن طوائف من الأغراض ، ومن أجل ذلك تصرفوا فيه بنقله من ميدان إلى ميادين ، وحلوه ما شاءوا من المذاهب والآراء

وما فهمه أدباء العرب فهمه أدباء الفرس حين اتخذوا المقامات وسيلة لشرح المذاهب الدينية والفلسفية ، وعرض الصور الفنية والأدبية ، وكذلك فعل بعض اليهود وبعض السريان حين صنعوا المقامات طوائف من العظات والأخلاق

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم يقول الأستاذ أحمد أمين :

« وانتشر بجانب أدب المقامات نوع آخر من أدب المعدة بمعناه الحقيقي هو أدب التطفيل ... وخلف لنا الأدب وصيتين طويلتين يوصي بهما نقيب الطفيليين ولي عهده : إحداهما من إنشاء أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الأديب المعروف ، والثانية من إنشاء المولى تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني »

ذلك ما قال أحمد أمين ، وهو بما قال رهين

فهل يفهم هذا الرجل أن الصابي كان يهزل حين أنشأ تلك الوصية ؟

لو كان أحمد أمين قرأ كتاب النثر الفني لرأى المؤلف يقول :

« ومن أظرف ما كتب على طريق الهزل والفكاهة (عهد التطفيل) وهو عهد أنشأه أبو إسحق الصابي على لسان طفيلي اسمه (عليكا) كان يقع على مائدة معز الدولة بن بويه ، والظريف في هذا العهد أنه يجري على نمط العهود السلطانية فيبدأ بعرض خصائص المعهود إليه ، ثم يبين الصفات التي كتب من أجلها العهد :

إن الأدب هو « نقد الحياة » كما يقول الإفرنج ، فهل يكون من الفضول في « نقد الحياة » أن يصف كاتب مثل الصابي إلى السخرية من طائفة طفيلية كانت تعيش على هامش المجتمع في القرن الرابع ؟

وهل يطالب من الكاتب أن يغفل وصف الطفيليين لئلا يقال إن أدبه أدب معدة ؟

وما قيمة الأدب إن سكت عن وصف عيوب المجتمع ؟

إن العصر العباسي هو من العصور التي اشتبكت فيها النوازع الإنسانية فكثر فيه الجد والهزل ، والعفاف والمجون

فكيف يجوز أن يقف الأدب عند ناحية واحدة هي وصف الجانب الرزين من المجتمع ؟

إن ذلك لا يجوز إلا في ذهن رجل يجهل أن غاية الأدب هي « نقد الحياة »

* * *

أتحبون أن تعرفوا من أين وصل الغلط إلى الأستاذ أحمد أمين ؟

وصل إليه الغلط من الغلطة للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين ، فقد حكم الدكتور طه بأن العصر العباسي عصر شك ومجون ، لأن فيه عصابة مشهورة بالريب والفسق ، وهي جماعة أبي نواس ومطيع بن إياس ، مع أن العصر الذي عرف أمثال هذين الرجلين هو نفسه العصر الذي نبغ فيه كبار الفقهاء والنساك والزهاد ، وهو الذي بلغ فيه الفكر العربي غاية الغايات في فهم أصول الفلسفة وأصول الأخلاق

هل خطر في بال أحمد أمين أن العصر العباسي لا يصح الحكم عليه بإيثار المعدة وإغفال الروح من أجل كلمة أو كلمات في وصف الاحتيال على الطعام والشراب ؟

تذكر يا أستاذ أمين أنك أستاذ مسئول ، وتذكر أنك بالفعل رجل محترم ، ولأقوالك تأثير حسن في تلاميذك ، وهم يثقون بك فيأخذون منك بلا مراجعة ولا تدقيق .

تذكر ، يا أستاذ ، أن الدنيا آفاق أوسع مما تظن ، وأن من واجب الأدب أن يحتفي بالوصف تلك الآفاق .

تذكر أننا قد طالبناك بوصف زمانك ، فهل ماتيبون ؟ يتقربون إليك بتجريح الرجل الذي يواجهك بكلمة الحق ، وأنت تعرف ما أعني ومن أعني .

تذكر ، أن من العيب أن تقول إنك نظرت في الأدب العربي فوجدته « يتحدر مع التاريخ شيئاً فشيئاً ليكون أدب معدة » ! وأنت تعرف بلا ريب أن من ذكرتهم من الأدباء لم يكونوا يصورون إلا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية .

وهل غاب عنك أن العصر الذي جعلته يعيش من أجل المعدة هو نفسه العصر الذي نشأ فيه أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وجار الله الزمخشري ، وهو نفسه العصر الذي نبغ فيه ابن مسكويه والحلاج والجيلي وإخوان الصفاء ؟

أنت رجل فاضل فيما أعتقد وفيما يعتقد عارفوك ، فأنت أستاذ على جانب عظيم من أدب النفس ، وقد أنصفتُك مرات كثيرة في مؤلفاتي ، فمن جنايتك على نفسك أن ترتجل في مواطن لا ينفع فيها الارتجال .

* * *

أما بعد فقد دعاني كثير من الزملاء إلى نقض ما كتبه الأستاذ أحمد أمين من جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي .

وأجيب بأننا سنؤدي هذا الواجب بعد أن نشرب معه فنجاناً من قهوة أبي الفضل على شواطئ الإسكندرية ، الإسكندرية الجميلة التي لم يخلق الله مثلها في البلاد .

وهنالك ، على شاطئ البحر ، وفي رعاية الأكواب من أسراب الملاح ، سأحاول صديقي أحمد أمين

« المصيف شيجون » زكي مبارك

التجني على أحمد أمين

للأستاذ نديم الجسر

قد استوقف نظري في العدد ٣٦١ من الرسالة الغراء عنوان الكلمة التي كتبها الأستاذ العلامة الدكتور زكي مبارك عن الأستاذ العلامة أحمد أمين، فحسبت أن قول الدكتور في العنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربي) يطوي وراءه معنى غير المعنى الصريح؛ لأن الأستاذ أحمد أمين، إن لم يستأهل أن يسمى أديباً بكل ما في الكلمة من معان، فهو، بلا ريب، من أعاظم العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة والأدب العربي بدراسات لا عهد لها في لغة العرب؛ فأسدى بذلك إلى كل أديب ومتأدب عربي لا يحسن الاستقاء من معين الفرنجة خدمة لم يسبقه إليها سابق بمثل الطريقة التي سلكها. فكيف يكون من هذا شأنه في خدمة العلم والفلسفة والأدب جانياً على الأدب جناية يستحق عليها التشهير بين الناس؟

لو قرأت هذا العنوان في جريدة سياسية أو كانت الكلمة لغير الدكتور زكي مبارك ما حملت نفسي عناء مطالعتها، لأني كنت أذهب إلى أنها كلمة عدو أو حسود أو جاهل؛ ولكن المجلة (الرسالة) وما أدراك ما الرسالة، والكاتب هو الدكتور زكي مبارك فماذا أقول؟

إن الدكتور زكي مبارك هو أحق الناس بعرفان فضل أحمد أمين، وإن الدكتور زكي مبارك لأولى الناس بالدفاع عن أحمد أمين لو حاول هدمه شخص آخر. هكذا رأيناه قد فعل عندما غضب لكرامة الأدباء في مصر يوم حاول النيل منهم ناشئة الأدب في لبنان.

قد لا تكون كلمة الدكتور في حقيقة أمرها تطوي الشيء الكثير من الظلم لأحمد أمين، ولكن الظلم والقسوة يبدوان في العنوان؛ وطالما كانت ضخامة العناوين أشد أثراً في تحويل أفكار المتأدبين الناشئين وتضليلها عما وراء العناوين. فهل يرضى الدكتور مبارك أن يستقر في أذهان هؤلاء أن أحمد أمين من الجناة على الأدب العربي؟

لا ريب في أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن موفقاً في المقالات التي كتبها في (الثقافة) مؤخراً. لا أقول هذا مجاراة للدكتور مبارك بل هو شيء لاحظته منذ شهرين، وقلته لبعض عشاق أحمد أمين، وأنا منهم. فكل من قرأ مقالاته التي كتبها بعنوان (جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي) أدرك أن العلامة الكبير لم يأت بشيء في هذا المضمار؛ لأن الأثر الأدبي القديم ليس مما يستطيع الأديب التفلت منه كما يتفلت من الفكرة [illegible] عند سوح الكلام؛ بل هذا الأثر نتيجة لازمة للعناصر التي تتكون منها نفسية الأديب بحكم الوراثة والتقاليد والذوق والثقافة. وتطور القليل منه في أدب اليوم برهان على أننا نجاري طبيعة التطور بالتدرج.

وظني أن أستاذنا الكبير أحمد أمين الذي حدثنا في (ضحى الإسلام) بحديث دونه السحر عن تطور العقلية العربية في مضمار العلم والأدب، لا ينكر أن أثر الأدب الجاهلي قد ضعف في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية، وكاد يتلاشى في شعر شوقي وحافظ. وهكذا سوف يصير الأسلوب الأدبي مع الزمن، وستتولد من تطوراته عناصر جديدة تحل محل القديمة حتى لا يبقى من القديمة إلا ما يتخذ أمثلة لدراسة تاريخ الأدب.

وبعد فأي بأس في بقاء ذلك الأثر الضعيف من الأدب الجاهلي؟

ألسنا نجد لذة وطرباً ونشوة في هذه الصلة الممتازة بين القديم والحديث؟

ثم أليس من جملة أعمال الأدب أن يحفظ شخصية الأمة ويربط حاضرها بماضيها، ويوجه عواطفها نحو قبلة واحدة تجتمع عندها أحزان تلك الأمة وأفراحها ومفاخرها وتقاليدها وأساطيرها؟

وهل يجوز لنا أن نترك كل ذلك الماضي ونتجرد منه كما نتجرد من الثوب الخلق لنكوّن لأنفسنا أدباً جديداً نركب فيه السيارة بدلاً من حداء الحادي، ونتنسم فيه نسمات الخرطوم أو مالطة بدلاً من صبا نجد؟

إن هذا سوف يكون مع الزمن كما حصل حتى اليوم؛ وأما التخلي دفعة واحدة عن أذواق وعواطف داخلية كونتها الأجيال فينا فهو عمل يتم بقوة الجيش إذا شاءت الحكومة، ولكنه عندئذ لا يسمى أدباً تخاطب به الأرواح، بل يسمى (أوامر عسكرية) تنفذ بقوة السلاح...

وبعد فإنك إذا أردت أن تجد في كلمة الدكتور زكي مبارك شيئاً من الإنصاف فاطلبه في قوله في صدر مقاله الأول:

«إن الأستاذ أحمد أمين من كبار الباحثين في العصر الحديث ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويطيل

مدينة قونيــــة

(محاضرة موجزة)

للدكتور عبد الوهاب عزام

فصل من رحلات الدكتور عبد الوهاب عزام التي تطبع الآن في مطبعة الرسالة ننشره بمناسبة ذكرى انتصار الجيش المصري في قونية على الجيش التركي

١

من أسكشهر إلى قونية

أصبحت يوم الأحد في أسكشهر ثم ركبت قطار المساء والساعة ست ميممًا قونية؛ وكانت زيارة قونية منية في النفس حاولتها حينما سافرت إلى استانبول من جبل طال دونها بعد الشقة؛ وبينها وبين استنبول أكثر من عشرين ساعة بالقطار وكنت حينئذ أطلب سواحل الأناضول، فلما انصرفت في هذه السفرة وأنست بالسفر عزمت على الرجوع إلى الشام من الطريق الذي أنبت منه؛ وكانت قونية أحب بلدة إليّ وكانت نفسي على رؤيتها أحرص. وإنه أول من قونية زيارة مولانا جلال الدين

الموت في الموضوع وبلاء من حوله؛ فهذه كله يطوي أما ما تلاه من أوائل صور ظلم

ويبدو أن نرجح أن المقالات التي كتبها الأستاذ أحمد أمين في الثقافة بعنوان (جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي) هي التي حملت الدكتور مبارك على أن يسمى مقالة وبين الأستاذ أحمد أمين في مباحثه هذه (جناية على الأدب العربي) ونحن لا نعرف من هذه التسمية إلا (جناية) على أحمد أمين بل نحسب (تجنيا على أحمد أمين) ولعل الدكتور يعدل عنوان هذه السلسلة بعنوان آخر يستحسنه، فإنه إن لم يعدل ذلك من باب الإنصاف والرفق في النقد فليعدله من باب الكياسة كيلا يجتمع أحمد أمين من حيث لا يشاء وهمه قوية في الأدب العربي، فإن من يستطيع مثال أو مقالات أن يجني على الأدب العربي لا بد أن يكون رجلاً من زعامته إلى ما يبلغ كبير رجاله

(طرابلس الشام) — ع. ع. الحسن

كان معي في القطار شاب من قونية نشأ بها جندي في الترك وحكم بينهم زمنًا سواء في الحرب، وكيف في الأناضول حتى هزموا أطلال الترك في البحر، وقال: إنه يحب قونية ولكن مولانا جلال الدين زادهم بها. قلت في نفسي هذه ظاهرها خرافة وباطنها حق؛ فإن ما جاء جلال الدين في النفوس من قوة وإيمان وجهاد وحرية جدير أن يرد كل عدو عن حماه.

٢

بلغ القطار قونية والساعة ست ونصف من الصباح فسرت إلى فندق اسمه فندق سلجوق فاسترحت بقدر ما حال التعب الشديد بيني وبين مشاهدة المعاهد التي طال اشتياقي إليها. ثم خرجت إلى المكتبة مع كتبخانة بها؛ فألقيت نظرة على فهارس المكتبة ولا سيما العربية منها فلم أجد فيها من نفائس الكتب أو غرائبها ما يستوقف الباحث. وأرسل معنا قيم المكتبة رجلاً من الوكلاء بالآثار فذهب بنا إلى حيث يدعونا الشوق ويدعونا الحب إلى البقعة التي ترسل الشعر والحكمة والتصوف في آفاق الإسلام منذ ست قرون، إلى المزار الذي يستمع به صاحبه قلوب العارفين

فلا يلتقي في الأرض تقرى بقاعها — صدور الرجال العارفين مزارى

إلى الذكرى العظيمة التي لا تزال تدوي في القلوب حبًا وشعرًا، وفي العقول حكمة وإيمانًا، وفي الآذان موسيقى ونغمات؛ إلى الينبوع الذي مزج الحكمة والتصوف والشعر في أحسن شعر؛ إلى الرجل الذي أنشأه بلخ وظفرت به قونية ولكن لم يسع قلبه وطنه مكان؛ إلى المتكلم البكري الذي لا تحده الأنساب والأوطان! إلى صاحب المثنوي والديوان مولانا جلال الدين الرومي الذي تنسب إليه الطائفة المولوية المعروفة في مصر والأقطار الإسلامية، وقد اشتهرت مجالسهم في السماع، مقصورة على نظام خاص يتحركون ويدورون على صوت الناي وإنشاد المثنوي؛ والناي عند المولوية رمز إلى الحنين الدائم إلى العالم الروحي وقد بدأ مولانا جلال الدين كتاب المثنوي بنشيد الناي وأوله

استمع الناي غنى وحكى	شفه البين طويلا فشكا
منذ شق القلب وكل لم يخلـ	ـملأ الناس أنيني شجوه
من قرنه للمرء عن أصله	يبتغي الرجعى لمنى وصله
أين قلب شفه فراق مزقا	كي أبث الوجد فيه حرقا
كل إنسان رأى بعدًا	كل يوم يبتغي صاحبا

على كلّ أنّى سر التصوير … نفس يجري في سر في التصوير
بل سري في أنين قد ظهر … غير أن الأذن كلّت والبصر
إن صوت الناي نار لا هواء … كل من لم يُصْلِها فهو هباء
هي نار العشق في الناي تثور … وهي خمر العشق في الخمر تفور. الخ

وكان للمولوية في تركيا شأن عظيم وكان رئيسهم (جلبي قونيه) يقلد سلاطين العثمانيين السيف حين يتولون الملك

دار المولوية في قونيه

وكذلك كان لهم أثر عظيم في الأدب، وحسبك من شعرائهم الشيخ غالب

قصدت دار المولوية ولكني لا أرى الوفود مزاحمة على بابه، ولا أرى الدار آهلة بزُوّارها، فقد أقفر التكية، وخلا الناس، وعدّت الدار من الآثار، يدخل إليها [illegible]

يحيط بالداخل سور يتوسطه باب عتيق فوقه قبة وعليه ثلاثة أبيات بالتركية تدل على أن السلطان مراد خان بن سليم خان من عهد العثمانيين سنة ٩٩٢ هـ. ومراد هذا هو مراد الثالث ابن سليم الثاني ابن سليمان القانوني (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ) فإذا ولج رأى فناء يفضي إلى الشمال بحجرات كانت مساكن للمولوية وعالميهم ومطابخهم ومأوى ضيوفهم. وإلى اليمين حجر جعلت الآن مكتبة. وأمام الداخل بناء كبير تعلوه في الجهة اليمنى قبة خضراء مخروطية فوق قبر جلال الدين، وفي الجهة اليسرى مئذنة وقبتان كبيرتان. ويُدخل إلى البناء من باب جميل مصنّع تعلوه كتابة فيها هذه الأشعار التي نرى على كثير من أبنية المولوية: «يا حضرت مولانا». ويفضي الباب إلى حجرة فيها آثار المولوية من كتب ونسخ من المثنوي في أشكال مختلفة وأحجام، ثم باب آخر يفضي إلى قبور المولوية والمحفل تحت القبة (سماعخانة). إلى اليمين رواق فيه [illegible] وبعضه مسيج بسياج يمنع الناس أن يصلوا إليه أو يروا ما فيه إلا أطلالاً [illegible] كبيرين أحدهما لجلال الدين والآخر لأبيه بهاء الدين ويبدو ضريح الأب من وراء السياج مستطيلاً رأسياً فيقول الناس قد قام بهاء الدين في قبره إجلالاً لابنه

وفي وسط البناء رواق بعده السلطان [illegible]، وإلى اليسار مصلى ودار للسماع من آثار السلطان سليمان القانوني

وفي البناء من عجائب الخط والنقش والتذهيب والكتب والبُسُط ما يبهر الناظر، وفيه من ملابس مولانا وآثاره وآثار بنيه

رأيت أربع قلانس قيل إن إحداها قلنسوة مولانا، وأخرى لابنه سلطان ولد، والثالثة لشمس الدين التبريزي، والرابعة لحسام الدين جلبي من كبار أصحاب جلال الدين

ورأيت ثلاثة مصاحف كتبت في أواخر القرن التاسع مع ترجمة تركية ومصحف مستدير في سطوره ترجمة فارسية ونسخاً من شروح المثنوي، ونسخة من الفتوحات يقال إنها بخط الشيخ الأكبر

ورأيت سجادة عليها صورة الكعبة قيل إنها كانت لأم جلال الدين مؤمنة خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه، وسجادة أخرى يقال إن السلطان علاء الدين السلجوقي أهداها جلال الدين يوم عرسه، عليها الآية «أقم الصلاة لدلوك الشمس» الخ

وصناديق صنعت في مصر … الخ الخ

أطفت بجوانب المكان، أستمع إلى الناي، وأتذكر أن في عوضنا صوتاً أحن من صوته وأصدق وأحلى، ولكني أستعيذ الله من قول القائل

يك طواف مرقد سلطان مولانا في ما
هست هر روز [illegible] وهفت وحجاً أكبر است

وطرفة يرقصون الآن سبعة آلاف وسبعمائة وسبعون حجراً كبيرة

ثم خرجت وفي النفس حنين إلى البقاء وعزم على العودة.

خرجت أمشي بقول على ... الرجل ... أنظاري

الباب الداخلي لزاوية جلال الدين

وعدت في اليوم التالي فلقيت أمين الدار وكنت واعدته اللقاء لاجتراء بعض الصور، فقلت: أريد تجديد العهد بالزاوية، فدخل معي يطوف في أرجائه ويصف ما يرى ويروي من التاريخ وخرجت ولم أنس حاجة الفؤاد من رؤية ما وراء السياج ومعوذ بالله من الحدب ... ما يبين للصوفي أن يسدل ... دون آماله ويحال بينه وبين مقصوده. فخرجت كارهاً أتثاقل لأمضي مع الرجل إلى داره فيعرض عليّ مصوّرات من آثار قونية قال: أأنت أستاذ؟ قلت: نعم. قال: فانتظر. ثم أسرّ إليّ حينئذ فرجع إلى الزاوية ... ثم أسرّ إليّ وفتح باب السياج حينئذ قال: نمنع العامة من الدخول، ونمكّن الأساتذة الباحثين من رؤية ما يشاءون. فشكرت له وسرت إلى ضريح جلال الدين بين قبور كثيرة لشيوخ الطريقة من أولاده. وتحت رفعة أخي الروح المظلم وأسلهم حكمه وعظمته؛ ثم خرجت وفي النفس ما فيها من جلال الذكرى وثورة الشوق

— ٣ —

ورأينا من آثار قونية مسجد علاء الدين وهو ... من أعظم آثار السلاجقة هناك؛ يقوم على ربوة في المدينة تسمى ربوة علاء الدين (علاء الدين تپه سي)

ورأينا على مقربة من الربوة مدرسة قره طاي وزير السلطان علاء الدين ولا يزال فيها من تحف الصنعة، ولا سيما الكاشاني ما يعجب على رغم الأسى الذي ... وكثير من نقوشها

وعلى باب المدرسة آيات وأحاديث وكتابة عربية منها: رب أوزعني أن أشكر نعمتك. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. ... النصر ... عجيبة ...

وفي المدرسة صحن عليه قبة، وإيوان وحجر قليلة كانت للطلاب، وحجرة فيها ضريح صاحبها

مدرسة قره طاي في قونية

ورأينا مدرسة خربة ... مدرسة ... سنة ٦٤٠هـ ومدرسة صغيرة لحفظ القرآن كتب على بابها:

أنشأ هذه البقعة في أيام دولة السلطان محمد بن علاء الدين خلد الله ملكه صاحب الخيرات والحسنات محمد بن الحاج ... القونوي أصلح الله شأنه وجعلها دار ... سنة أربع وعشرين وسبعمائة

وهذا تاريخ عجيب، فقد انتهت دولة السلاجقة قبل هذا التاريخ. والظاهر أن البناء تهدم سنة أربع وعشرين وستمائة في عهد علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ – ٦٣٤) إلا أن يكون السلطان المذكور هنا من سلاطين بني قرمان الذين خلفوا السلاجقة في قونية

(البقية في العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

لجاجة الجدل

للأستاذ عبد الرحمن شكري

قد ترى إنساناً يسخر من إنسان آخر لأنه في حديثه معه يذكر حقائق مبتذلة يعرفها كل الناس! وهذا الساخر قد يعرف أن أحاديث الناس في غالبها من هذا النوع الذي يسخر منه، وأن كثيراً من هذا النوع يسهل الحديث بين الناس على اختلاف ما يؤهلهم للحديث من علم وفطنة، ولولا [illegible] وغباء. هذا النوع المبتذل من الحديث الذي يسخر منه الساخر يؤلف بين الناس في مجالسهم، ويساعدهم على أن [illegible] يريدون إفادته، ويمنع من انقطاع الحديث رغماً للبحث عن فكرة صائبة غير مبتذلة، كما قد يمنع من الحقد الذي ينشأ بسبب الخلاف على فكرة غريبة غير مبتذلة، أو بسبب [illegible] عنه بفكرة حسنة. والساخر من الحديث المبتذل قد يغفل عما يعتري [illegible] إذا كانت آراؤه صحيحة أو مبتذلة غير ما قد ينم عنه إذ [illegible] بالحجة وثقته بأصالة الرأي. فليس من الحديث المبتذل، وإنما شر الحديث ما كان لجاجة وحباً للظهور والغلبة وأثرة ورغبة في الانتصار وفي إرغام الناس على إجلال [illegible] على بعض الناس حتى بعض أخلصهم وخلانه [illegible] لكي [illegible] بعلمه ويفتخر بالحذق. وبعض الذين [illegible] نقصاً كبيراً من التعلم يشعر بنقص إذا جالس الناس فيعمد إلى [illegible] يشعر به من نقص كما يعوض ذلك النقص، فتراه يحول الحديث من الموضوعات الشائعة المبتذلة إلى الأمور العلمية ويحاول أن يسيطر على الحديث بفصاحته وادعاء العلم والإصرار والتهجم على مخالفه، وقد ينفعل انفعالاً عصبياً شديداً. وليس انفعاله من شدة انتصاره للحق ولا من رغبته أن يسود الباطل العام، وإنما انفعاله من غيظه إذا لم يتمكن من الانتصار في الحديث ومن [illegible] لكي [illegible] نفسه ولكي يوهم جلساءه أنه لا يشعر بنقص علمه، وقد يعطي جلساءه [illegible] على الحجة والانفعال شعوره بنقص علمه ولا يعطي هو [illegible] في معرفة التقريب من غير داع.

وتشبث المرء بالحق في الجدال [illegible] التعصب بالجدل الذي يؤدي إلى الخصومة والعداوة [illegible] أو التقاتل في [illegible] كبح النفس والعجز عن ضبط [illegible]. وهذا العجز ليس من الحكمة في شيء، بل هو من [illegible] الذي قد يندم المجادل عليه ولو كان الحق في جانبه. [illegible] الناس في مجالسهم [illegible] اللجاجة التي تدعو إلى الخصومة. ويستطيع العاقل إذا خشي أن [illegible] من الخصام واللجاجة مشاركة في خطل الرأي أو [illegible] أن يترك ذلك [illegible] وأن ينصرف عنه إلى غيره [illegible] في [illegible].

وبعض الناس قد طبعوا على أن يجعلوا [illegible] حتى ولو أدى المجادلة إلى المهاترة أو المضاربة، وكأنما يشعر شعوراً جامعاً أن مصير الدنيا [illegible] موقوف على [illegible] حقاً، وقد يكون هذا المجادل [illegible] صادق النية مخلصاً في شعوره [illegible] كيف أن العلماء والفلاسفة يأتون كل جيل أو كل عصر بآراء تخالف ما أتى به أسلافهم، والحياة قائمة بالرغم من خطأ الذي [illegible] والسماء [illegible] على الأرض والدنيا على خطأ مخالفيه كثير من الخطأ، فلا أمر إذاً يتشاجر الناس في مجالسهم أو يتخاصمون من أجل المحاجة والجدل.

[illegible] أن في الناس من يحترف الجدل مكراً ودهاء، كي يكون [illegible] بأصالة رأي مجادله أروع وكي يكون [illegible] في [illegible] أحب إلى صاحبه الذي يجادله، وكي يصم ذلك [illegible] أن [illegible] ومحاجة [illegible] في الصفات [illegible] النفسية القادرة التي مكنته من إقناع ذلك المجادل الذي [illegible] كي يهزم وكي يطبع [illegible] جنسه [illegible] تقرباً إليه [illegible] في [illegible]. وهذه وسيلة من وسائل [illegible] في [illegible]، وقد شاهدنا مثل هذا [illegible] والاقتناع الكاذب في حديث الرؤساء والمرؤوسين وفي حديث الوجهاء ومن هم أقل منهم منزلة.

وهناك نوع آخر من [illegible] حيث يعرف أن حبيبه [illegible] يجعل [illegible] أن [illegible] به وأن [illegible] من [illegible] وأن [illegible] وقد يكون رأيه في الأمر الذي [illegible]

به مثل ولّى ذلك الصبي الزائع ولكنه يخالفه كل شكّ يستبيحه وصراحه وحركاته حتى إذا مل بعيته من المكابرة أقرَّ وجحد. ورأى ذلك الصبي المزائج فيثال وما آخر من المكابرة إذا رأى عظم سروره وعود ثورة أعصابه

وقد شاهدنا نوعاً آخر من الجدل إذ نرى أحد المطيبين أن مجلسه معه لا يريد توضيح أمر يجهل وإنما يريد الظفر في الحديث بأية وسيلة، ولا يترك خصمه إذا سكت بل كلما طال سكوته أحس ذلك السفيه أن سكوته إنكار لرأيه فيلج في الجدل كي يرغمه على الخروج من صمته وصاحبه لا يرى فائدة في الخروج من صمته فيكتفي بأن ينطق بغمغم لا تدل على مخالفة أو موافقة كأن يقول: أرم. ... وهذا على أي حال خير من التقاتل أو التضارب من أجل الجدل

ومن أنواع الجدال ما يؤدي إلى قتل وكان سببه ربما قتل على أو على قطعة من البطيخ، ومثل هذا التقاتل يرجع إلى اللجاجة في الجدل أكثر مما يرجع إلى شدة الفقر إلى اللقم أو إلى قطعة البطيخ، ومنه ما يُسأل اللجاجة في الجدل وفي الفرح على رأي سياسي أو في التناحر في البر وعمل الخير. فهذا أيضاً قد يجر إلى التقاتل كما حدث بين عائلتين تجادلا في أيهما أحق بالأذان والدعوة إلى الصلاة فانتهت لجاجة الجدل إلى تشاتم ثم إلى تضارب فتقاتل. ولا شك في أن اللجاجة في الجدل قد تؤدي إلى الخصومات والتقاتل بين الأسر أو بين البلاد المتجاورة

واللجاجة في الجدل عند بعض الناس مرض يظهر حيث النفوس فترى بعض الناس يحقد على من يجادله ويسعى في أذاه إذا صار جاهراً ونيته في سماه، وقليل ترى أن بعض المجادلين يكاد يُجنّ إذا لم ينتصر في الجدل، وقد يكون هذا المجادل طيب القلب سمحاً إذا وافقه الجلساء على رأيه ومحوره، وقد يخدع من وافقه في حديث المجالس على رأيه فيقول: فلان رجل ذكي لا يجادل بالباطل ويدرك الصواب إدراكاً سريعاً. وقد يكون هذا المتدرج خبيثاً غير ما وافقه عليه وساخراً برأي اللاجّ في سريرته وعازماً على مجانبته

والطوائف والأمم مثل آحاد الناس فإننا نرى في تاريخ الإنسانية من تقاتل الطوائف من الناس على ألفاظ لا طائل تحتها وعلى أخيلة وأوهام شيدوا عليها قصوراً فيعجب من كانوا ... أو ... عاصرهم

وستأتي عصور يتساءل أهلها عن تقاتلنا على الألفاظ والأوهام ويتعجبون من حماقة هذه الأجيال كما نتعجب نحن الأجيال من حماقة أهل العصور القديمة. ولم يخلُ عصر من حماقة من حيث التقاتل على الألفاظ والأوهام والآراء التي تتبدل في كل عصر حتى كأن العقل البشري من فرط انقياد النفوس لا أثر له في الحياة وحتى كأن الحياة لا تستقيم إلا بأن يجد الناس لذة في خلق أسباب الألم والعذاب لأنفسهم بخصومات الجدل وعدواته كما يجد بعض المتدينين لذة في أكل النار وطعن أنفسهم بالخناجر في بعض الحفلات الدينية. والجدل في مناظرة الكتب والصحف والخطب كالجدل في مناظرة الكلام فيه ما يكون من الخبث الذي ذكرناه، ومن أشد المناظرة خبثاً ورعونة ما يلجأ إلى محاولة الفوز بذكر المصطلحات المجهولة بالجمهور، وهي مصطلحات لا يستفيد صاحبها إلا في الأمور النظرية التي لا تمس بأمور الحس، أو محاولة من يشبه المؤرخ الذي لا يتقصى مصادر تاريخه كما يجتهد المجرب عمله وعلى حاجة الشعب في قوته وعلى الثقة بالأصدقاء على الرغبة في الإنصاف وفي تقليد حكمه وسياسته من أن يتعصب لمذهب باحث

وقد يكبر الوهم المشتغلين بالسياسة بمثل ما ... ومناظراتهم في الصحف، ويحسب كل فريق أن حزب فريقه ... من الخلاف في أية مناظرة فيها يكون حسب ... كل فريق من الوسائل في خصومه ... ما كان منه إجرامياً أو خطراً إلى الأمور بين الأزواج الذي يرى زوال جمهور الشعب وعقائده أمور ... وخلافه ... كان الناس يعدونه منه خليفاً حقيراً

وربما كانت السياسة شغل الناس الشاغل في العصور الحديثة بلين الأخلاق التي تبيح الجدل في شؤونها، وما قد يطغى صوتها على صوت العقل. ... وهذه أمور الحياة التي يراد إصلاحها بعد جدل فيأتي ... الأمور من ... إصلاحها ويأتي بعضها على يد طالبيها. ولا يقتصر هذا الفساد على المشتغلين بالأمور السياسية؛ فإن كل إنسان وكل قوم يصيح ... بما هو من خصومه وإن لم يكونوا خصوماً في أمور الحياة ما تبيحه السياسة من المكتسب،

والمنافسة في العداوة والإجرام. فإن الرجل من عامة الناس أو أشباه العامة ومن بعض الخاصة والعظماء المشتغلين بالسياسة من يستبيح كل وسيلة مهما كانت محرمة، ويبيح لنفسه في أمور المعاش واللهو والتلذذ بالمكيدة ما تبيحه السياسة في الأمور العامة، ويصير سر المعرفة بالكذب في أمور السياسة حجة يتأثر بها الناس في أمور المعاش أو اللهو أو الغرور، ويصير التحزب وعصبية الجماعة للحق وللباطل في أمور السياسة عدوى يقتبسها الناس ويتأثرون بها في أحقر الأمور وأصغرها أو في أبعد الأمور عن تلك التحزبات والعداوات وأقلها حاجة إليها وأكثرها فساداً بها، ويكون مصابها أعظم والمبالاة بها أشد في البيئات التي تعودت في كل شيء التخاذل في الحق والتحزب والتفاني في أتفه الأمور أو أحقرها وأجدرها بالتحزب بالباطل.

عبد الرحمن شكري

دراسات إسلامية

كبار الزنادقة في الإسلام

للأستاذ عبد الرحمن بدوي

رجحنا في العدد الماضي من الرسالة أن تكون الزندقة التي عاناها المهدي والهادي في حملة الاضطهاد العنيفة التي قاما بها بين سنة ١٦٣ وسنة ١٧٠ هي المانوية، وأن يكون هؤلاء الذين اتهموا بالزندقة ممن كانوا يعرفون بأن للعالم أصلين قديمين هما النور والظلمة، ويحرمون ذبح الحيوان واللحم إلى آخر هذه المبادئ التي أتى بها ماني مؤسس مذهب المانوية.

ولكن هذا لم يمنعنا أن نقول كذلك إن معنى الزندقة قد اتسع واتسع حتى أصبح يشمل أشياء أخرى لم يكن للمانوية بها صلة ولا سبب. ولم يكن هذا الاتساع وليد السنوات التالية والقرنين الثالث والرابع فحسب، بل حدث من قبل: في هذه الفترة عينها التي تحدثنا عنها من السنوات الأخيرة من خلافة المهدي وسنوات خلافة الهادي كلها.

ولا سبيل إلى معرفة نوع من هذا الاتساع، وكيف تشعب وتنوع، فكانت فيه فروق ودقائق، إلا بدراسة كبار الزنادقة والتحدث عنهم.

والزنادقة طوائف وأنواع، والدوافع التي حدت بهم إلى الزندقة كثيرة متعددة. أما طوائفهم فنستطيع أن نقسمها إلى ثلاث: الأولى طائفة هؤلاء الذين يسميهم صاحب «الفهرست» رؤساء المنانية في الإسلام؛ والثانية طائفة المتكلمين؛ والثالثة طائفة الأدباء من كتاب وشعراء. والدوافع متعددة ترجع كلها إلى ثلاثة أيضاً: فمن هؤلاء الزنادقة من كانوا يؤمنون بالزندقة (ونقصد بها هنا المانوية) إيماناً صحيحاً صادراً عن رغبة دينية صادقة، فكانوا مخلصين في اعتقادها مذهباً، حريصين عليها كأشد ما يكون الحرص. ومنهم من وجد في الزندقة (بمعنى المانوية أيضاً) تراثاً قومياً خلفه الآباء فيجب الحرص عليه وتمجيده، لا لصلاحيته في ذاته، ولا لأنه يستحق الإيمان به كما هو، وإنما لأن في هذا الحرص وذلك التمجيد نوعاً من الإرضاء للنعرة القومية، والإشباع للنزعة الشعوبية. وهذه أيضاً موضع للمفاخرة ومجال لكي يعارضوا به تراث العرب ودين العرب بما خلفه لهم الآباء من تراث ودين. ومن أجل هذا كان جميع هؤلاء من الموالي الفرس. ومن هؤلاء وهؤلاء وجدت طائفة من الزنادقة كانت تتخذ من الزندقة وسيلة من وسائل العبث الفكري الذي يلجأ إليها الشكاك دائماً، ويرمون من ورائه أن يعبثوا بعقائد الناس، فإذا يعتقدوا جانب التعالي منها، ويساعدوا الضعيف منها على القوى السائدة، ويظهروا فيهم إلى الأمور، وكل هذا لا شيء إلا ليصلوا السلوى حيث لا سلوى، ويعثروا على العزاء وليس ثم عزاء. فهي حالة نفسية عنيفة تتملكهم فتدفعهم إلى ما هو أشبه بالعبث الفكري وأقرب الشك منه إلى شيء آخر.

وتتكون الطوائف والدوافع يتقابل بعضها بعضاً على التقابل: فالطائفة الأولى، ونعني بها طائفة رؤساء المانوية (أو المنانية والمعنى واحد)، يغلب على دوافع أصحابها الإيمان بها إيماناً صادقاً، وهذا هو الأليق بأن يكون عليه الرؤساء. والطائفة الثانية يغلب على أصحابها الدافع الأخير، دافع العبث الفكري والتفكير المتشكك، ولا عجب فهم متكلمون أي إنهم رجال فكر وأصحاب مذاهب ومقالات يعتمدون على الأفكار والنظر، دون التسليم أو الإيمان. والطائفة الثالثة، وإن كان للدافع الثاني أثر كبير في اعتناقها الزندقة، إلا أن أعظم دافع أثر فيها كان نزعة الشعوبية. وليس

عنه بعيوب فالشعراء والكتاب لا يسمونهم الإيمان ، ولا مثل لهم الإسعاف في الشك الفكري ، وإنما يسمونهم الأحداث المتعلقة التي تصيب مواطنيهم وتثير ثائرة خيالهم ، والذي أدعو إلى الخطاب الناعمة وإثارة الخيال من هذه الشعوبية ؛ أولاً لأنها تتصل بالسياسة وأحداثها ، والنزاع القائم بين طائفة وطائفة أخرى . وثانياً لأن الشعوبية تذكرهم بعهد كانوا مترفين فيه ويحترمون سلطته . والشعراء يميلون دائماً إلى الحنين للماضي سواء بالافتخار به أو البكاء عليه لأن للماضي زمن قد مضى ولم يعد له وجود إلا في الذكرى التي تحييه ، فيستطيع الخيال أن يشكله من الشعر الذي يحييه ، وأن يتصرف فيه كما أراد وحيثما شاء ، وهو مطمئن آمن ، بعكس الحاضر المحقق في حينه فلا يستطيع أن يزور فيه أو يكذب عليه في أثناء وجوده !

والآن فلنتحدث عن أشهر رجال هذه الطوائف

أما الطائفة الأولى فأشهر رجالها أبو علي سعيد ، وأبو علي رجاء ، وأبو يحيى ويزدانبخت . وقد استطاع الأستاذ فيشا صاحب المقال الذي أشرنا إليه والذي سنعتمد عليه كثيراً في مقالنا هذا ، أن يجمع كل المعلومات عنهم في المصادر الأخرى في يسر . ثم حاول أن يتعرف إلى آخر ثلاث

فأبو علي سعيد ذكره الشهرستاني[1] الذي يقول عنه إنه كان في أيام خلافة المعتضد وكان يكتب في سنة ٢٧١ هـ

وأما يزدانبخت فذكره أحمد بن يحيى المرتضى ، كمؤلف لكتاب أجاب عنه المرتضى نظيره كتابه الأنبياء . ويحاول فيشا أن يجد أبا علي رجاء في شخص ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان[2] حيث أشار إلى أنه جرت مناظرة في حضرة المأمون بين محمد بن الجهم والعتبي والقاسم بن سيار من جهة وبين أبي علي الزنديق من جهة أخرى فيصح هؤلاء في مناظرة الزنديق ، ثم المأمون نفسه يناظره فألقى عليه سؤالاً أفحمه ولكن الزنديق لم يرجع عن عقيدته وبقي على دينه . ولكن يثبت فيشا صحة هذا الافتراض ، ويعني به أن أبا علي المذكور في رواية الجاحظ هو أبو علي رجاء . فإن قيل إن هذا الزنديق لا يمكن أن يكون أبا علي سعيداً ، الذي ذكرناه آنفاً لأن أبا علي سعيداً كان يكتب وكان حياً في سنة ٢٧١ ، بينما الجاحظ الذي مات سنة ٢٥٥ يتحدث عن أبي علي صاحبنا ، بالإضافة إلى أن المأمون قد مات قبل ذلك بكثير . وعلى ذلك فليس هناك من مانع ، اللهم إلا إذا وجد دليل يخالفه ، أن نفترض أن الزنديق الذي ذكره الجاحظ هو أبو علي رجاء الذي ذكره ابن النديم

أما الزنادقة من المتكلمين فأشهرهم ابن طالوت ونعمان اللذان كانا أستاذي ابن الراوندي الزنديق المشهور ، كما كان من أساتذته أيضاً أبو شاكر الذي يذكر عنه الخياط أنه كان تلميذاً لهشام بن الحكم المتكلم الشيعي المعروف . ويرى فيشا أن الرابطة بين أساتذة ابن الراوندي الثلاثة هؤلاء يظهر أنهم كانوا من الغلاة في التشيع وهذا كان كافياً لكي توضع أسماؤهم بين أسماء الزنادقة ويضاف إلى هؤلاء جميعاً صالح بن عبد القدوس . وقد أشار من قبل إلى البحث الذي كتبه جولد تسيهر وعسى أن تتاح لنا فرصة قريبة للتحدث عن هذا البحث

وهم جميعاً بما نعرفه من الناحية أو من معلومات عن مباحثهم الدينية قليلة جداً . ولكن هناك شخصية أخرى بين الزنادقة من المتكلمين نعرف عنها بعض الأشياء وتلك هي شخصية عبد الكريم بن أبي العوجاء . ولا نتعرض هنا للكلام عنه كمحدث اشتهر بين اختراع الأحاديث ووضع المكذوب منها ولا عن صلته بالحسن البصري وجعفر الصادق ، وإنما يعنينا هنا أن نقول عنه شيئاً يتصل بزندقته فنقول إنه كان كما يقول البغدادي[1] مانوياً يؤمن بالتناسخ ويميل إلى مذهب الرافضة ويقول بالقدر ويتخذ من شرح سيرة ماني وسيلة للدعوة وتشكيك الناس في عقائدهم ويتحدث في التعديل والتجوير ، كما ذكر البيروني في كتاب « الهند[2] »

ولكن أظهر شخصية في هؤلاء المتكلمين الزنادقة بعد شخصية ابن الراوندي (التي نؤجل الحديث عنها إلى أن نفرد لها مقالاً خاصاً إن كان هناك ثم مجال) ، هي شخصية أبي عيسى الوراق وقد كان هو أيضاً أستاذاً لابن الراوندي

كان أبو عيسى الوراق معتزلياً في البدء ولكن المعتزلة طردته

(١) الملل والنحل ، طبع كيورتن ص ١٩٢

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١٤٤ وما بعدها

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٤٩ وما بعدها

(٢) ما للهند من مقولة ص ١٢٧

لآرائه لذكرها خصومه ولسنا نعرف مبلغ صحتها في وجه التحقيق. فيذكرون عنه أنه كان شيعياً رافضياً، ويقول عنه الخياط إنه كان مانوياً يقول بأزلية المبدأين (النور والظلمة) ويعتقد في حدوث الأجسام، والخياط معتزلي وهو خصم لأبي عيسى. ومن هنا لا نستطيع أن نؤكد جازماً أنه كان مانوياً. ولذلك نرى الأستاذ ماسينيون[1] يميل إلى وصفه بالناقد المستقل المفكر.

وهنا ننتهي من الكلام عن الطائفة الثانية وننتقل إلى الطائفة الثالثة وهي طائفة الأدباء والشعراء.

وأول هؤلاء وأشهرهم من غير شك بشار بن برد، ولكننا لا نستطيع هنا أن نفصل القول في زندقة بشار، ويكفينا الآن أن نقول إن النزعة الشعوبية عند بشار كانت أكبر دافع له على الزندقة كما كان العبث والمجون الذي طبع عليه بشار، وروح التشاؤم والسخرية من الناس أثر في هذه الزندقة غير منكور. وهنا نلاحظ بإزاء بشار ما لاحظناه من قبل عند الكلام عن ابن أبي العوجاء وأبي عيسى الوراق من أن الاتهام بالزندقة كان يسير جنباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة كما لاحظ الأستاذ فيدا فيما مضى، ومن هنا كان الشك في معنى هذه الزندقة التي نسبت إلى بشار؛ ولذلك يميل الأستاذ فيدا إلى أن يرى في بشار [illegible] من المتشككة فحسب.

ولكن زندقة خصم بشار، وهو حماد عجرد، أظهر بكثير من زندقة بشار. وعلى الرغم من أنه لا يمكن القطع بشيء فيما يتصل بصلاته بالمانوية إلا أنه يمكن اعتباره على كل حال زنديقاً مانوياً واضحاً، خصوصاً إذا لاحظنا أن شعره ومساجلاته كان يتغنى بها في دوائر أتباع ماني وتستعمل في الصلوات.

أما حظ النزعة الشعوبية في تكوين الزندقة فلم يكن كبيراً في شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب بقدر ما كان عند أبان بن عبد الحميد اللاحقي. فقد كان يعرف الفارسية ويترجم عنها، وكان على اطلاع واسع على أدب الفرس القديم، فكان ذلك داعياً له إلى التعلق بتراث الفرس والتشيع له في جميع مظاهره، ولكن هذا ليس دليلاً قاطعاً على أنه كان مانوياً حقاً، وإنه ينتمي إلى المانوية كما نص أحمد[2] على الزعم [illegible] أبو نواس [illegible] عنه في إحدى القصائد التي جاء بها أنه [illegible] إلا بما يراه فلا يعتقد إذن بالجن ولا بالملائكة. ونجد أن هذه التهمة قد وجهت إلى بشار من قبل. واتهمه أيضاً بأنه أشرك وسخر من المسيح وموسى. وهنا يبدو الخلط والاضطراب في كلام أبي نواس لأنه إذا كان مانوياً فلن يسخر من المسيح، والصلة بين المانوية والمسيحية كبيرة واضحة لا تسمح بهذه السخرية. ونرجح على أن السبب الأكبر في اتهام أبان بالزندقة كان نزعته الشعوبية الواضحة فاتخذ أنصار العربية من اتهامه بالزندقة سلاحاً يحاربونه به في خصومة الجبارة بين الشعوبية والعربية.

وهؤلاء الشعراء الثلاثة قد اشتهروا جميعاً في [illegible] الاستخفاف والعبث معهم. ولذلك قيل إن أبا نواس كان صديقاً حميماً في تحميسهم في عصابة المجان، ولو أنه كان فرداً من أفراد هذه العصابة فهم أقرب إلى الشك والمجون إذن من الإيمان. [illegible] وهم أولى باسم المتشككة المستخفين من اسم الزنادقة المخلصين.

ما أكثر من هؤلاء جداً وأقدم في العبث والمجون أبو العتاهية. وقد لخص الأستاذ فيدا آراء أبي العتاهية أحسن التلخيص فقال: إن أول ما نلاحظه في معتقدات أبي العتاهية أنه كان يؤمن بالثنائية بكل صراحة. فالعالم الطاهر مكون من جوهرين متعارضين، والوجود تتنازعه طبقتان إحداهما خيرة والأخرى شريرة. وهو يرجع الوجود كله في النهاية إلى الجوهرين المتعارضين اللذين منهما صنع العالم وتكوّن. غير أن أبا العتاهية صاغ نظريته الثنائية في صيغة واحدية، إذ جعل الله الواحد خالق هذه الأشياء وقال: إنه خلق الجوهرين وأن العالم ما كان له أن يوجد بدون الله وحده. فطرح بذلك أسطورة الخليط الأزلي بين الجوهرين أو المبدأين وهما النور والظلمة.

* * *

وبعد فقد طال بنا بعد أن استعرضنا كبار الزنادقة وشرحنا كيف كانوا عرضة للاضطهاد في أيام الخلفاء العباسيين الأول، لكي نتبين ما وصلنا إليه من نتائج.

فنلاحظ أولاً أن الزنادقة الذين وجه إليهم الخلفاء [illegible] من اضطهاد كانوا مانوية لم يخرجوا من الإسلام أو عنه ولأنهم

(1) Massignon, EI, article Zindik

(2) [illegible]

في الفترة ما بين سنة ١٦٣ و ١٧٠. أما بعد ذلك فلم يستطع أن يقف اللاوية لواحد من أبطال الثورة إلا الجيد الكريم إلى أبي مسلم. أما الآخرون فلم يستطع أن يصل في أمرهم عملاً أخيراً.

ثم نلاحظ كذلك أن الزنادقة كانوا في أول كل حياتهم فكانوا في بغداد وفي حلب وفي مكة، ثم في البصرة والكوفة على وجه خصوص.

وإن أشهر ما كان يوجه إليهم من تهم هو ترك الفرائض (كالصوم والصلاة والحج) ... الشعر منهم والكتاب منهم يستطيعون أن يكتبوا خيراً من القرآن؛ ... موضعه بأن ... فيه ...

وأنه كانت هناك رابطة بين الزندقة والشعوبية، ... كيف كان ... على الزندقة وداعياً إلى الاتهام بها.

ونلاحظ أخيراً أن الكثير من كبار الزنادقة قد قضوا شبابهم وأوائل حياتهم في أواخر أيام الدولة الأموية. فيجب أن نستنتج كما يقول الأستاذ فيدا أنه للكشف عن أصل التأثيرات ... التي لعبت دوراً خطيراً منذ ظهور الدولة الجديدة (أي الدولة العباسية) فلا بد من البحث في الأوساط ... العربية في داخل خراسان. ويجب ألا ... أن سير الخراسانيين العربيين كما بحث عنه في البصرة والكوفة؛ في منطقة خراسان ... حضارات مختلفة في طابعها؛ فكان منها في أواخر الدولة الأموية حركة صراع فكري بين هذه الحضارات، وكان لهذا الصراع الفكري أكبر الأثر في تكوين العقلية الجديدة التي سادت العصر العباسي الأول ... الأولى منه على أقل تقدير. ونحن نستطيع أن نفهم ... الحديث وتطورها ... ذلك العصر إلا إذا درسنا هذه الأوساط التي اصطدمت فيها الحضارات المختلفة وتسربت فيها شرور ... العقلية التي جعلت من العصر العباسي الأول عصراً من أخصب العصور الفكرية في تاريخ الإسلام كله.

عبد الرحمن بدوي

الحب العذري في الإسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

- ٢ -

قال ابن الكلبي: لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفدت إليه الشعراء، كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول، حتى قدم عدي بن أرطاة على عمر ابن عبد العزيز، وكانت له منه مكانة، فقال جرير:

يا أيها الرجل المرخي عمامته ... هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ... أني لدى الباب كالمصفود في قرن
وحش المكانة من أهلي ومن ولدي ... نائي المحلة عن داري وعن وطني

قال: نعم أبا حزرة ونعمى عين. فلما دخل على عمر قال: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك، وأقوالهم باقية، وسهامهم مسمومة، فقال: يا عدي، ما لي وللشعراء! قال: يا أمير المؤمنين، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم. قال: ومن مدحه؟ قال: عباس بن مرداس، فكساه حلة قطع بها لسانه. قال: وتروي قوله؟ قال: نعم

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان أمراً مدمساً ... وأطفأت بالبرهان ناراً تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمداً ... وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال: صدقت، فمن بالباب منهم؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة. قال: لا قرب الله قرابته، ولا حيا وجهه، أليس هو القائل:

ألا ليت أني يوم حانت منيتي ... شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ... وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي ... هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا، ويعمل عملاً صالحاً، والله لا دخل علي أبداً، فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: جميل ابن معمر العذري، قال: هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمت ... يوافق في الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب ... إذا قيل قد سوي عليها صفيحها
أظل نهاري لا أراها ويلتقي ... مع الليل روحي في المنام وروحها

أعزب به، فوالله لا دخل علي أبداً. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: كثير عزة، قال: هو الذي يقول:

رهبان مدين والذين عهدتهم ... يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ... خروا لعزة ركعاً وسجودا

أعزب به. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: الأحوص الأنصاري، قال: أبعده الله وأسحقه، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه:

الله بيني وبين سيدها ... يفر مني بها وأتبع

أعزب به. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: همام بن غالب الفرزدق، قال: أليس هو القائل يفخر بالزنا:

هما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت ... مغلقة دوني عليها دساكره
فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره

أعزب به، فوالله لا دخل علي أبداً. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: الأخطل التغلبي، قال: أليس هو القائل:

فلست بصائم رمضان عمري ... ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عنساً بكوراً ... إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو ... قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً ... وأسجد عند منبلج الصباح

أعزب به، فوالله لا وطئ لي بساطاً أبداً وهو كافر. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قال: جرير بن الخطفى، قال: أليس هو القائل:

ولا مراقبة العيون [illegible] ... [illegible] وسوالف الآرام
هل يهيجك أن [illegible] ... أو ما [illegible]

ذُمّ المنازلَ بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان ولا بد فهذا ، فأذن له ، فخرج إليه ... فدخل

إلا جريراً ، فدخل وهو يقول

إن الذي بعث النبيّ محمداً ... جعل الخلافة في إمام عادل

وسع الخلائقَ عدلُه ووفاؤه ... حتى ارعوى وأقام ميلَ المائل

والله أنزل في القرآن فريضة ... لابن السبيل وللفقير العائل

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مولعةٌ بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال : اتق الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقاً ،

فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلاً من الجن أو مساً من البشر

خليفة الله ماذا تأمرون بنا ... لسنا إليكم ولا في دار منتظر

ما زلتُ بعدك في همٍّ يؤرقني

قد طال في الحي إصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضرَ المجهودُ بادينا ... ولا يعود لنا باد على حضر

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

أتى الخلافة إذ كانت له قدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدر

هذي الأرامل قد قضّيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فقال : يا جرير ، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه المائة الباقية . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها لأحب مال كسبته إلي . ثم خرج ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض . ثم أنشأ يقول

رأيت رُقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ولا شك أن توجيه عمر رضي الله عنه ناصحة وضع ابن أبي ربيعة لأنه كان لا يتورع في شعره عن التشبيب بالنساء من يعرف ومن لا يعرفها ، ويتعرض للمحصنات الشريفات ويرقب خروجهن للطواف والسعي ، ويصفهن ومن عرفت حتى صرن يخشين الخروج إلى الحج . وقد نفاه عمر بسبب هذا إلى دَهْلَك ،

وهي جزيرة ببحر القلزم ثم سلمة مصر [illegible] ... [illegible]

حتى وإن كانت محمولة على المبالغة لا تليق بمن يحافظ على أمر دينه لأن فيها شيئاً من الاستهتار بعذاب الله ، وما كان لعمر رضي الله عنه أن يقبل هذا منه وإن قبله رفقة الشعراء الحديث ، كما قبل من عمه عبد الملك بن مروان وقد اجتمع عنده ابن أبي ربيعة وكثيّر عزة وجميل بثينة فقال لهم أنشدوني أرق ما قلتم في النسيب ، فأنشده جميل :

حلفت يميناً يا بثينة صادقاً ... فإن كنت فيها كاذباً فعميت

إذا كان جلدٌ غير جلدك مسّني ... وباشرني دون الشعار شريت

ولو أن داعٍ بالموت برّئ هامتي ... فصادفها في الساكنين حييت

وأنشد كثيّر

بأبي وأمي أنت من مظلومة ... ظلمتْ العدوُّ لها فصبَّر حالك

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى

في الحسن عند موفَّق لقضى لها

ويسعى إليّ بصرم عزة نسوة ... جعل المليك خدودهن نعالها

وأنشد ابن أبي ربيعة

ألا ليت قبري يوم تُقضى منيتي ... بتلك التي من بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله ... وليت حنوطي من مشاشك والدم

ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي ... هنا أو هنا في جنة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين ، وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف

وكذلك الأمر مع عمر رضي الله عنه ، فالأحوص والفرزدق والأخطل من المغضوب عليهم ، أما جميل وكثير فالأمر في شأنهما غير خاص ، لأنهما كانا من أصحاب ذلك الحب العذري السامي ، ولم يكونا مثل ابن أبي ربيعة والأحوص والفرزدق والأخطل ، وإن كان في بيت كثير ما يمكن أن يؤخذ عليه من الناحية الدينية ، ولكنه مع هذا مسيحيه لا يلتفت إليه ، لأنه أسند السجود لعزة إلى أولئك الرهبان ، وهم يدينون بسجود الأشخاص والتماثيل ، على أنهم سجدوا المرة إذ رأوها ... [illegible] ، وهي لا تسأل في ديننا من شأن عمر ، وهذا إلى أن الأمر محمول على المبالغة ، والمبالغة ضرب من التصوير

وهذا يدل كله على ... إلا أن عمر رضي الله عنه كان

لا يرى التسامح في شأن ذلك الحب العذري ، وإن كان أحب صبراً من الحب للشهوة ، فهو في ذلك يأخذ قليلاً وكثيراً بحب واقع قد شغلاه ، فأفسدا عليه ، ولهذا تذكره أشعارهم ، وصرحا فيه للناس باسم محبوبتهما ، ومثل هذا لا يعده أدب الإسلام وإن كان يعد لأصحابه ما يأخذون به أنفسهم من العفاف

أما عمر فكان يتعاطى الغزل في الشعر قضاء حق الصناعة الشعرية ، ولم يكن مشتغلاً بالحب كما اشتغل به ابن أبي ربيعة وغيره من فساق الشعراء ، ولا كما اشتغل به جميل وغيره من العشاق العذريين ، ولا شيء أصلاً في تعاطي ذلك الغزل على ذلك النحو الصناعي ، كما يفعل الآن في الروايات الغرامية ، بشرط ألا يكون في ذلك شيء من الفحش الذي لا يبيحه دين ولا خلق . وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر وفيه كثير من ذلك الغزل ، ومن ذلك قصيدة كعب بن زهير في قصيدته (بانت سعاد) وقد بلغ من أمره أن يقول فيها :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم من كعب ذلك الغزل على ما فيه من ذكر الأعجاز ، والتشبيه بالخمر المعلول ، لأن كعباً قال ذلك قضاء حق الصناعة ، ولم يقصد فيه عبثاً وإثماً ، ولم يتحدث عن اشتغاله بالنساء أو بالخمر على مثل ما تحدث به الشعراء الفساق

وكذلك لا حرج في رواية ذلك الشعر مطلقاً أصله ما بلغ ؛ لأنه قد يكون في حفظه وروايته فوائد لغوية أو تاريخية ، ومهما بلغ أمره فإنه لا يبلغ ما أجازه الإسلام من حكاية الكفر على طريق النقل ؛ إذ حكم بأن ناقل الكفر ليس بكافر ، وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يروي شعر عمر بن أبي ربيعة على ما فيه من ذلك الحب العذري ، والفسق الخالص ، ولا سيما بإنكار التحرج المتشدد في الدين عليه ، لأن دين الله يسر لا عسر ، والاعتدال محمود بين الجمود والتفريط

وإني أرى في الحب العذري رأي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فهو عندي من الأمور التي لا يحسن الاشتغال بها ، ولكن لا بأس به إذا كان يراد لغاية حسنة كالزواج ، فإذا لم يظفر صاحبه بزواج من يحبها فليقنع من ذلك الحب ، وليتسل بما يجعله في غنى عنه أولاً ؛ لأنه لم يخلق لمثل ذلك العبث الضار في نفسه ، والضار بالمجتمع في أخلاقه وصيانة أعراضه ، وإنما خلق للعمل النافع ، وإيثار مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ؛ فإذا لم يمكنه أن يتغلب على نفسه فليحفظها عليكم فيه ذلك الحب ، وليحفظها من آثامه ، وليصبر على ذلك البلاء صبراً جميلاً ولو أدى به ذلك إلى إهلاك النفس ، لينال في أخراه من الأجر ما يعوض عليه ذلك الحرمان في الدنيا ، ولا يكون جزاء الحرمان فيهما معاً

أما الذي قد يجري بذلك الحب من شكوى الصبابة والتصريح باسم المحبوبة ونحوه من غير ذلك مما يعده العشاق العذريون ولا يصل منهم إلى مجاوزة حد العفاف ، فقد تسامح فيه بعض العلماء كالصوفي ولم يروا فيه بأساً . ومن ذلك ما يحكى أن ابن سحنون دخل على مالك فقال : يا إمام ، جعلني في حل من أبيات قلتها فيك ، فقال وقد ظن أنه هجاه : أنت في حل من ذلك ، فأنشده هذه الأبيات بين يديه :

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا ... وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم أني مصيب وإنما ... أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى ... أثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال : لا إن شاء الله

وإني أشك في صحة هذه القصة ، ونسبها كاتب بيع مالك من غير ابن سحنون ، أو كانت مع غير مالك منه ، لأن ابن سحنون لم يدرك مالكاً ، وأبوه سحنون هو الذي أدركه ، ولكنه لم يجتمع به ، وكان قد نشأ بالقيروان وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى مصر وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم ، ثم رحل إلى المدينة ولقي علماءها بعد وفاة مالك رضي الله عنه .

وعندي أن بعض تلك الأمور كالخلوة مما لا يصح التساهل فيه أيضاً ، لأنها تعد من وسائل الزنا ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ولكنه لا يصل في الحرمة إلى حد الزنا ، لأنه من الكبائر ، أما هي فمن الصغائر ، ثم قد تقع عفة أولئك العشاق في تكفير تلك الصغائر عنهم ، لأنه قد ورد أن اجتناب

الكبائر مما يكفر الصغائر، كما قال تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً).

ولعل هذا هو مستند من أخذ برفع الحرج عن تلك الأمور، ويكون مراده أن إثمها يكفر عنهم، لا أنه لا إثم فيها. وفرق كبير بين الأمرين، لأنه في رفع الإثم عنها يرونها جملها، أما تكفيرها بذلك فيبقيها على حرمتها. وليس فيه رفع لحظر الفعل، لأنه لا يصح لأحد أن يجعل ما حرم عليه اعتماداً على الوعد بتكفيره، وهذا إلى أن الإصرار على الصغائر قد يجعلها من الكبائر، فلا ينفع فيها ذلك التكفير، ولا يجدي فيها إلا التوبة منها.

وهذا هو رأيي في ذلك الحب العذري، وبذا كان به بعض النسوة على أولئك العشاق، فهو مما لا يمكن أن يتساهل فيه معهم. وإني أرى أن هناك قوماً قد يقع ما يكون في ذلك الحب من الإثم عليهم أكثر مما يقع على ذلك العشاق أنفسهم، وهم الآباء أو الإخوة الذين يجدون في زواج أولئك العشاق فضيحة أو عاراً، فيحولون بين زواجهم، ويصرون على إذكاء نار الحب بذلك المنع، وعلى وجوه الفضيحة والعار من حيث يريدون الفرار منهما. وعندي أن زواج أولئك العشاق هو السبيل إلى القضاء على ذلك العشق، وصيانة المجتمع من الاشتغال بأخباره وأحاديثه، وما فيها من هتك الأعراض، والاستهتار بتلك الصغائر. وإني أرى أن ما كانوا يفعلونه من ذلك ليس إلا من بقايا عوائدهم في الجاهلية قبل ظهور الإسلام، ولا بأس بتلك القسوة التي دعتهم إليه أخيراً بل يندب إلى تلك الزوج، ويحمد كل من يسعى في إسعاف أولئك العشاق، وهذا هو ما يرضاه الله ويرضاه رسوله، وليس منهم من يمكن أن يعتمد عليه في تلك العادة الآثمة. ومما يؤيد رأيي في ذلك ما نعرفه من هذه الرواية:

روى المسعودي أنه كان بالمدينة فتى من بني أمية من ولد عثمان، وكان ظريفاً يختلف إلى قينة لبعض قريش، وكانت الجارية تحبه ولا يعلم، ويحبها ولا تعلم، ولم يكن عند القوم بعد ذلك ريبة ولا فاحشة، فأراد يوماً أن يبلو ذلك، فقال لبعض من عنده امض بنا إليها، فأسمعنا، وجمعنا وجوه أهل المدينة من قريش والأنصار وغيرها، وما كان منهم فتى يحبها ويعشقها، ولا يجد واحد منهم وجداً إلا سرى، فما أحد الناس من واحد منهم قال لها الفتى: أتحسنين أن تقولي:

أحبكم حباً بكل جوارحي [illegible]
أعيروني جوداً للعباس منه [illegible]
[illegible] [illegible]
للهدى ونا البردة [illegible] [illegible]
لو بدا ما بنا منكم ملأ الأرض من أقطار شام والحجاز

فصحب الفتى من جودها وحسن جوابها وجوده بخلقها، فازداد كلفاً بها وقال:

أنت عذر الفتى إذا هتك الستر وإن كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فاشتراها بعشرة آلاف، وبعث بها إليه بما يصلحها، فأقامت عنده حولاً ثم ماتت، فرثاها، ومضى في حالة تلك، متحابساً، وكان من مرثيته لها قوله:

قد تمنيت حب خلك المحـ ـب فلا حيلتيها ولا احتيالي

ثم أخرجت إذ نطقت بالـ[illegible] [illegible] والموت أحمد حال

فقال أهل الطائف: هذا ميت شهيد الهوى، فأعرضوا على قبره سبعين جمعة، وقال أبو حازم الأعرج للناس: أما عجب أن يقع هذا؟

وأنا أقول: جزى الله عمر بن عبد العزيز عن ذلك الصنيع خير الجزاء

عبد المتعال الصعيدي

مطبوعات حديثة

اللباب في معرفة الأنساب لابن الأثير، مختصر من أنساب السمعاني واستدرك عليه، وقال في المقدمة: إنما عرضت على [illegible] في كتابه [illegible] لا تعيداً لفهم العرب وإنما إرادة للإظهار حتى [illegible] الناس ولأنه [illegible] من أن يقال [illegible] يعرفه!

[illegible] الإسلام [illegible] ومراتب الإجماع لابن حزم ونقده لابن تيمية

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس

فتاوى السبكي

[illegible] المتنبي [illegible] للصاحب [illegible]

ديوان السري الرفاء

تطلب من مكتبة القدسي بباب الخلق، حارة الجداوي بدرب سعادة

على منهج الأغاني

بقلم أبي الفرج الإسكندراني

صوت

بأبي من حرم النوم على عيني وناما

بأبي من أحرم القلب اشتياقاً وهياما

قضى الله علينا فرحنا وأقاما

أذكري من ليس ينساك وإن لاقى الحماما

حسب من لم يسر بحسب الناس ملامه

• • •

حدث الأستاذ أحمد رامي قال: إن هذا الشعر للدكتور ناجي، وفيه لحن للأستاذ محمد عبد الوهاب يضرب بكل أصابع اليدين على البيان.

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال: إن الشعر ليس للدكتور ناجي، وإن للأستاذ رامي شعره الذي في صنعته إليه، فالنفس الشعري متقارب منه وبين العباس بن الأحنف، فكلا الشاعرين من شعراء العاطفة، يحس في أبياته حرارة أنفاسه، ووهج عواطفه. ولو أني كنت قد وضعت كتاباً عن شعراء القرن الثاني، لكان ذلك أشهى على القراء وأليق بي من كتاب «النثر الفني في القرن الرابع». ولكن الفرصة لم تفت على كل حال، وإنا من هذا حياة الأدب والكتابة من عمر بن أبي ربيعة، فجدير بأن يجعل للعباس بن الأحنف موضعاً في حياته الطويلة المباركة، إن شاء الله.

قال أبو الفرج: وهذا وعد ننتظر من الدكتور زكي مبارك وفاءه. ولقد عجبنا من إشارة «الشريف الرضي» على العباس فنصيبه كتاباً عنه أثناء إقامته في بغداد! فالشريف وإن جل قدره شاعراً، وعظمت مكانته رجلاً، فإن العباس أشبه بأن يكتب عنه الدكتور زكي مبارك صاحب «ليلى المريضة في العراق» أو لعل اسمها ليلى المريضة في الزمالك، كما زعم بعض الناس.

الدكتور إبراهيم ناجي وأصحابه.

حدثنا الأستاذ صالح جودت قال: إن الدكتور ناجي غضب من صبية رأى إليه هذه الأبيات وقال: إني صب محترقاً، فصحة البيت الثاني

بأبي من أحرم القلب سهاداً واكتئابا

وصحة البيت الثالث

قضى الله علينا … وأقاما

قال الدكتور ناجي: … ما بالقافية … «شحط»! والذي بهذا البيت يقول «بأبي» … أستسيغها منسوبة إلى أبناء عصرها، ولكني لا أقبلها من أبناء عصري. ولقد كان العباس رقيقاً حيناً لما قال: … ولم يقل «ارتفع»؛ وقد كانت الكلمة الثانية بمعنى في عصره … أذن المتكلمين. ولكن عصرنا هذا فيه ما هو أرق وأنسب وأصدق في التعبير من عواطف الهمة؛ ولكني رأي … يحسب لي من شعر القدماء … بالصول عن … وسأحرمه هو وأمثاله عقل هذا السلاح حتى يستقيموا … أنشد

لأروين طر من غير قومهم ... حتى أجيد عنهم حب عاد

قال أبو الفرج الإسكندراني: والغريب أن الدكتور ناجي يذكر أحد عادي، وينعم بأن يسلك مسالكهم، ولا يرى أنه … كلمة «شحط» من التعقيد. ولقد هم أبو الفرج بأن يبدي هذه الملاحظة، ولكنه خشي أن يؤخذ … أيضاً معرض كتاب الأغاني ويتحلل لنفسه … أبي الفرج؟

قال الدكتور زكي مبارك: وقد أدرك فطنته … الإسكندراني وإن لم يعد … لا عليك من ذلك، فالتجديد لا يكون إلا من المتمرسين في الشعر القديم. وهنا … يستطاع … للمذهب البروتستانتي إلا لأنه كان قسيساً كاثوليكياً، وإني ما أنشأت مذهب البروتستانتية في الأدب العربي إلا لأني أزهري.

حدثنا الدكتور زكي أبو شادي … بل لم يحدثنا بشيء لأنه صاحب مجلة تعرض من أنفاس الشعر.

وحدثنا صالح جودت قال: إن هذا الذي يذكره الدكتور إبراهيم ناجي في بيته

لأروين طر من غير قومهم ... حتى أجيد عنهم حب عاد

ليس أحد العادين الذي يشير إليهم الدكتور زكي مبارك، ولكنه للأستاذ محمد علي حمد محرر مجلة (الشعلة)، فهو أقرب إلى حياة ناجي من هؤلاء الذين مضت ذكرياتهم عليها من قبل القرون. وما كل ناجي ولا لأحد منا غنى الجاحد أن يحدث هذا الاختلاف. ونحن إنما نستمد الوحي الشعري من الحياة لا من الكتابة عن الحياة، ولا من الكتابة عن الكتابة عن الحياة.

نحن نذكر حاسة الشم لأننا نراه ونحس به من طريق الحواس، وهي صلة التناول بالحياة؛ ولكننا لا نكتسب من الفيلسوفين لأننا لا نتصل بهم إلا من طريق الكتب. والكتب تؤديها عن ويعرفونه منها ... إلا أن نكون نطبع كتباً أجنبية، بمدرسة ناجي لشكسبير من معنى؛ وليس كذلك ما كان قد يحسبه ولم يكن عمداً يدرس من يقولون إنهم أتباع كان الحسية والشاعر في الأدب

قال الدكتور زكي مبارك: هذا بعض الفوارق بيني وبين ناجي ومدرسته الحديثة. فأنا منطقي ولا أرى كلام ناجي يتمشى مع منطقي. أنا أدرس الحياة في حاضرها من طريق الحس، وأدرس ماضيها من طريق الدرس والخيال، وأدرس مستقبلها من طريق الفرضية للتخاطب. وقد أخذت من التنويم وما يتصل به من المراسلات أن صادق وحسن تعرف ما يجول بنفس صديق من الأفكار والخواطر. وليس ذلك بمجرد ذكاء، وإن كنت ذكياً وذكياً بالعقل والذات، ولكن من طريق العلم والدرس. ولن تمر غير أشهر قلائل، فأجيز لتلميذ الدكتوراه للمرة الرابعة، ولكنها ستكون في هذه المرة في «الإنارة البيانية»، وسيكون في استطاعتي أن أعرف ما في الكتب دون أن أقرأها. فأكتب عن الشافعي صفحة أخرى دون أن أعيد قراءة كتاب الأم، وأنقد شعر السيد الحميري، وإن كان شعره قد ضاع

عود إلى حياة الدكتور ناجي

هو زعيم المدرسة الحديثة، وهذه المدرسة طليعة وفيها معرضون ولكن ليس لها دراسة ولا موضوع قابل للدرس. ولكن في التصنيفات المعروفة تتعرض لقصائد الشعراء المعاصرين ... فكانت موضوعاً طريفاً لها. وهذا بعض ما سنتناوله في هذا الكتاب. وسنتبع طريقة أبي الفرج الأصفهاني في تمحيص الرواية والإسناد، ولن نخرج عن ذلك إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة، وكذلك كان يفعل الأصفهاني

ولقد نسب إلى الشاعر من غير شعره لأنه كان الواجب أن يقول هذا، فأين هذا من هذا الواجب؟ فالذنب ذنبه هو ولا علينا أن نؤكد صدق الرواية. وسنضرب المثل ... وذلك

كتلخيص الفكرة العامة لآراء المدرسة الحديثة في صميم النظرية: ما دمنا مجددين في اللغة العربية فالاقتباس من الغرب تجديد لأنه في لغتنا سيكون جديداً. ولكن عما كان الغرب عربية لأنها ستكون لنا في هذه اللغة

إنهم لا يقولون ذلك ولكني أحسب هذا هو التفسير الصحيح لقولهم. أما وقد ظهر تفسيره فأنا مستطيع أن أناقشهم لأنهم يدونون آراءهم في آثارهم. أما الذي يقولونه فهو أنهم لا يريدون التقليد جديداً يستوردونه من الغرب ... نفس جديدة، وهم كذلك يحسبون أنهم سيكونون الاقتباس من الأدب الغربي كما ينكرون ما كان العرب الأقدمون

ولكن الأمر لا يقف عند هذا بل حياة هذا الجيل مقتبسة من الحياة الغربية إلى حد كبير؛ فالاقتباس من الغرب في الحياة يقتضي في الأدب اقتباساً أصيلاً لا يتنافى مع التجديد، وبذلك لا يختلف ما نقله عنهم في صيغته مع ما يقولونه، ولكن الذي ينكرونه من الإعجاب من الرأي الذي يصيحون به بعيد عما كان الغرب والاقتباس من الغرب وعليهم التدليل وعلى التوضيح

استظهار في القرض من شعراء الكتاب

وقبل أن نستأنف التحدث عن حياة الدكتور ناجي وشعره نقول إن أبا الفرج الأصفهاني كان يذكر شاعراً والموسيقي الذي غنى له. هذا في بعض العصور، وفي عصر آخر يذكر شاعراً ومن وقف الشاعر نفسه على مدحه أو هجوه، وفي عصر ثالث يذكر شاعراً وروايته، وفي عصر رابع يذكر شاعراً والأمير الذي يتولى رعايته أو يتولى خصومته

هذا بأن الشاعر في بعض هذه العصور كان يخشى على شعره من النسيان فيتخذ راويه. وفي عصر آخر كان لا يستطيع الحياة إلا في كنف أمير، وفي عصر ثالث لا يستطيع الحياة إلا مغنياً ... وهو في كل العصور على السواء محتاج إلى من يصنع له أغاني لشعره، لأن الشعر عنده قبل كل شيء

من أجل ذلك رأيت أن الشعراء المعاصرين ليسوا في حاجة إلى راوية لشعرهم من الرواية المطابع، وليسوا في حاجة إلى من يحميهم فالشعوب الآن ما كان الأمراء في سالف الزمان، ولكن الذي يحتاج إليه الشاعر المعاصر هو الناقد القريب

ولقد وجدت بحمد الله هذا الناقد فسأذكر تاريخ شعرائنا وشعراء الأقطار العربية شرحاً جديداً لهم ونقدهم، وسأشرح كذلك تاريخ الموسيقار الذي غنى له

عود إلى حياة الدكتور ناجي

هو طبيب متأثر بالثقافتين الإنكليزية والفرنسية معاً، مزاج الأعصاب مرهف الحس بكل ما يجيء ... كل حاسة وتشتتها ...

بعث حرفته بأن يكافح الموت في كل مريض وهو واسع الرجاء واسع الأمل فرسالته في الأدب لا يمكن أن تكون كرسالة أدباء الهند في العصر الحاضر رسالة إنعاش وتشجيع وعلى رغم الأمل والرجاء المستفادين من حرفة الطب فلا يستطيع أن يخلص من أثر المشاهدة للمرض ومكافحته للمرض. ولذا كان [illegible] كما يعرف الاجتماعيون شعر الدكتور ناجي في ساعة يخلو فيها إلى نفسه [illegible] شعره هنا يحكي أنين مرضاه ونوجعهم

نوع الشعور الذي يشعر به هذا الطبيب الشاعر هو التحرج من ألم التعبير عنه

لذلك يتبعه صدق التعبير وهو من أدق الشعراء المعاصرين إبراز الفكرة [illegible] في صورها فليس في شرح شعره مجال للتأويل وليس فيه شيء من الغموض ولكن هذا الحياة التي نظر إليها وصدقه هذا تصدم العين ولا يحس [illegible] ثورة مكبوتة [illegible] أنه لم يدر كل ما يريد أن يقول فهو مع أمانته في الإنشاد [illegible] ما قال لا يزال يحجب الكثير من التعبير . والشاعر [illegible] حرصه على صدق الأداء أن يقول اللفظ حائماً حول معناه أو قريباً منه أو شبيهاً به فيخرج من نفسه وسيلة التعبير عنها ويظل [illegible] عبرها حرفة الطب التي تمس الموت كله والفكر كله ، ولكنها لا تشمل كل المشاعر

هذا ما يقوله [illegible] هو الدكتور [illegible] أما ملحقه فهو الشاعر [illegible] صالح جودت

وإذ سمعت [illegible] أنها [illegible]
أمسى يبعث صوتها [illegible] كل [illegible]

الشعر للدكتور ناجي وفيه [illegible]
[illegible] وكلاهما من نفسه الأستاذ صالح جودت

[illegible] الطبيب [illegible]

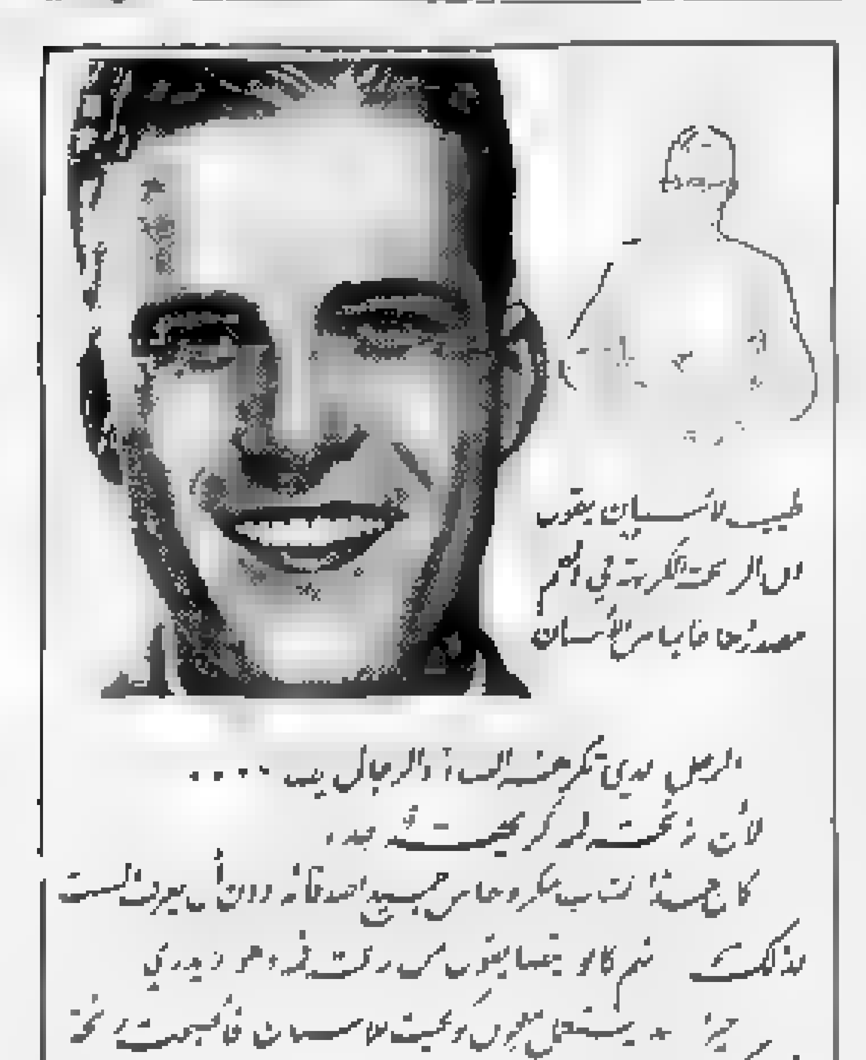

صوت

ليل الغريبة في الرأس	بيداء شاحبة اليأس
مصفرة [illegible]	[illegible] بالظلال والتناسي
مكتومة ليست تنشد	من الطوال والأعراس
فإذا رأت [illegible]	أبصرت رحمة رأسي

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يعترف بمكانه بين قواد حركتنا القومية؟

للأستاذ محمود الخفيف

في مثل هذا الجو الذي كثرت فيه دسائس الماكرين والطامعين، ولدت وزارة البارودي تعالج ما كانت تشكو منه البلاد، ومن ورائها نواب الأمة يشدون أزرها، وإنهم ليعلمون ما كان يحيط وطنهم من الكيد والإعنات.

وأحس البارودي من أول الأمر تلبد الجو بينه وبين الخديو. لذلك قد خشي أن يصبح الأمر بينه وبين الوزارة قائماً على أساس فيه ما فيه من مبادئ السيطرة ونوازع الاستبداد، وسكن الوزراء استيحاشاً من معاونة الخديو ومؤازرته البلاد.

وكان أول ما واجهته الوزارة من المصاعب جليلة الشأن هي مسألة الميزانية؛ أو بعبارة أخرى لائحة المجلس التي سببت استقالة وزارة شريف؛ أو على الأصح أجبرت على الاستقالة. ويحسن بنا أن نأتي بالحديث عن سر جعل هذه المسألة تثير إلى أي حد كانت انتبهت المراقبين على البلاد وأيدي الدول ومطامع حركة الوطن، ورحبوا بما يحقق لهم مبلغ ما في مشاعرهم من حمل المتعلقين.

جاء في خطاب شريف باشا الذي تقدم به إلى المجلس بعد انعقاده؛ وقد خطت الحركة الوطنية خطوة واسعة بعد يوم عابدين قوله: «فإنه لم يعسر عليكم في شيء ما؛ ولم يخرج أحد منكم عن حد نظركم وسلطتكم. إنما لا يخفى عليكم الحالة المالية التي كانت عليها مصر، وأوجبت تدخل الحكومات الأجنبية بها، ووفقاً على ذلك تكلفت بمراقبة مصالح، وقيدتها بالتزامات ليست خافية عليكم، بعضها عقود خصوصية، والبعض قوانين التصفية. فهل يتيسر للحكومة أن تجعل هذه الأمور موضوعاً لنظرها أو نظر النواب؟ كلا! لأنه يجب علينا قبل كل شيء القيام بتعهداتنا وعدم مخالفتها بشيء ما، حتى تصلح حالتنا، ونزداد ثقة العموم بنا، ونكتسب أمنية الحكومات الأجنبية. ومتى رأت هذه الحكومات الكفاءة لتعهداتنا بحسن إخلاص دون مساعدتها فتمنحنا شيئاً فشيئاً ما نرغب فيه»

هذه الكلمة من شريف تلخص فيما يتعلق بلائحة المجلس، أو ما سميه بمشروع الدستور؛ وعلى الأخص فيما يتعلق بالميزانية. ثم جاءت اللائحة تنص على أن «لمجلس النواب أن ينظر في الميزانية ويبحث فيها، وتتعهد بإقراره عليها وعلى رئيس المجلس أن يبلغ ذلك إلى نظارة المالية في غاية اليوم العشرين من شهر ديسمبر بالأكثر»

«ولا يجوز للمجلس أن ينظر في حصة الويركو المقرر للآستانة أو الدين العمومي، أو فيما التزمت به الحكومة في أمر الدين بناء على لائحة التصفية أو المعاهدات التي حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية»

هاتان هما المادتان: الثالثة والثلاثون، والرابعة والثلاثون، من لائحة المجلس. ويتضح من منطوقهما حرمان المجلس من النظر في نحو نصف الميزانية، لأن هذه الأبواب المستثناة من الميزانية كانت تقرب من نصفها.

ولقد كان المجلس يطمع في أن ينظر في الميزانية دون أن يستثنى منها شيئاً ما دام هو القيم على حقوق البلاد. ولكن كان يجب عليه أن يتواضع فيقبل لائحة شريف على ما بها من نقص، فعل ذلك ولكنه لم يجد من حكمته وإنصافه شيئاً. فقد كبر على الموظفين أن ينظر المجلس في أي جزء من الميزانية، ورمقوه بالنظرة المزدوجة التي كان من عاقبتها ما رأيناه من تحرف المصلحين

ووزارة المعارضين ، واختلافها جميعاً ، وتمسكهما بالنظر في الميزانية مهما يكن من العواقب . الأمر الذي أطاح بوزارة شريف ، وأحل محلها وزارة البارودي .

وجاءت وزارة البارودي ، فلم يكن أمامها إلا طريق واحدة في السير وفق رغبة النواب ، والرأي الوطني العام في البلاد فطلبت تلك الطريق مسجلة إلى وزارة الأمة ، متمشية مع حبهم . فكان مما قرروه في مسألة الميزانية ما يأتي : « لا يجوز للمجلس أن ينظر في دفعيات الجزية للآستانة أو الدين العمومي أو في ما التزمت به الحكومة في أمر الدين بناء على لائحة التصفية أو المعاهدات التي حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية »

« وترسل الميزانية إلى مجلس النواب فيحررها ويبحث فيه (بواسطة اللجنة المالية) ، ويعين لها لجنة من أعضائه متساوية بالعدد والرأي لأعضاء مجلس النظار ووكلائه ، لينظروا جميعاً في الميزانية ويقرروها بالاتفاق أو بالأكثرية »

ووافق المجلس على اللائحة المعدلة التي تقدمت بها إليه وزارة البارودي ، وكان هذا الرأي الأخير ، أعني تكوين لجنة من أعضاء المجلس مساوية في العدد لأعضاء مجلس النظار هو عرض كل من الحلول على وزارة شريف . فأبت الوطنيون عليه ! فلم تقف وزارة البارودي في الأمر حسب مشيئة النواب ، كرغبة ثائرة الوطنيين الذين جاءوا روح النهضة والحرية في الشرق !

ولقد بينت الوزارة الأمر للأمة مما يتناول وقوع خلاف بين المجلس والوزارة ، فنص في دستور المجلس أو مادة من اللائحة على ما يأتي : « إذا حصل خلاف بين مجلس النواب ومجلس النظار ، وأصر كل على رأيه بعد تكرار المفاوضة وبيان الأسباب ، ولم تستعف النظارة فللحضرة الخديوية أن تأمر بفض مجلس النواب وتجديد الانتخاب على شرط ألا تتجاوز المدة ثلاثة أشهر من تاريخ يوم الانفضاض إلى يوم الاجتماع . ويجوز لأرباب الانتخاب أن ينتخبوا نفس النواب السابقين أو بعضهم » .

« وإذا صدق المجلس الثاني على رأي المجلس الأول الذي وقع الخلاف عليه ينفذ الرأي المذكور قطعياً »

هذا هو الحل الذي طالبت به وزارة البارودي مشكلة الميزانية والتي من أجلها حملت عليها لغة الدولتين ، ونعى عليها مقاصدها مع أنه لا يمكن أن يكون هناك ساحل في مثل هذا الأمر ، وفي مثل تلك الظروف من هذا الذي جرت عليه الوزارة

هؤلاء نواب شعب يجتمعون لأول مرة للنظر في شئونه ، فكيف يصح لهم ذلك إن لم يكونوا قوامين على ماليته ، وهي أساس كل شيء ودعامة كل إصلاح ؟ وكيف يكون الحكم قائماً على أساس الشورى إذا حيل بين نواب الأمة وبين النظر في الأموال التي تجبى من أبنائها ؟

وإذا كانت لمصر ظروف خاصة نشأت من ديونها التي لا يمكن لأحد أن يد فيها ، فأي شيء كان يمنع نوابها من أن يتركوا ما يمس الدين دون تدخل فيه ؟

ولكن الدولتين كانتا تعاديان المجلس خشية منهما على مصالحهما ومكانتهما . كانتا تعاديانه ، وتعارضان الوطنية المصرية والقومية المصرية ، لأنهما إن نمتا وازدادت قوة ، ضاعت الفرصة ، وخرجت مصر سالمة مما كان يدبر لها . انظر إلى الاحتجاج الذي كتبه المراقبان الأجنبيان في ١٢ يناير سنة ١٨٨٢ عندما طالبت النواب في وزارة شريف ، قالا [1] : « يظهر أن مجلس شورى النواب متهيأ لأن يطالب بحق تقرير الميزانية ، ولهذا نرى من واجبنا أن نشير إلى إعطاء النواب هذا الحق ولو اقتصر على الإيرادات والمصالح التي لم تخصص إيراداتها للدين بمقتضى المعاهدات الدولية ... لأنه سيكون من نتائجه الضرورية أن تنتقل إدارة البلاد من يد مجلس النظار إلى يد مجلس النواب »

ولا تسل عن مبلغ غضب هؤلاء الطامعين المكايدين لمصر من وزارة البارودي حينما حلت المشكلة على النحو الواضح الذي يحدده ... فقد انطلقت ألسن الساسة منهم مع ألسن الصحفيين من ممثلي الصحف بكل فاحشة وجارحة في الوزراء والنواب جميعاً على نحو خليق بأن تخجل منه الإنسانية . هذا نظام موضوع بأسره تحت سيطرة جيش ثائر ... ؛ وهذه وزارة ساقت مصر إلى الخراب ، وهؤلاء نواب لا يعرفون من معاني الوطنية إلا التعصب الأعمى فضلاً عن جهلهم وضيق عقولهم

كتب ماليت يصف النواب [2] : « إن ما يتظاهرون به من طموح إلى العدل والحرية قد انتهى بأن حلت سلطة الجيش الغاشمة محل كل سلطة مشروعة »

وقال كوكسن يصف قانون الانتخاب التي وضعته الوزارة الماضية : « إن الغرض منه في هذا البلد أن تكون كل الأحزاب

(١) مقدمة التاريخ المصري ... وعهد الثورة عربها الأستاذ عبد العزيز عزت عن كتاب دي فريسنه « المسألة المصرية »

(٢) المسألة المصرية تعريب الأستاذين : العبادي وبدران

الاستعمارية لمن رشحتهم السلطة الحاكمة ، والسلطة الحاكمة الآن هي سلطة الجيش »

وأوعز ماليت إلى وكلائه في الأقاليم أن يكتبوا تقارير عن مبلغ ما وصلت إليه الحال من سوء في البلاد ، وأرسل تلك التقارير إلى حكومته ، ومع من المرارة على طلب ، بل بلغ من سخافة أحد هؤلاء القناصل أن تغلب الجشع الاستعماري على لبه أن كتب يندد بإلغاء الكرباج . قال وما أعجب ما قال(1) « إن الحاكم الشرقي إذا حرم كرباجه ، وحظر عليه أن يستعمل من يشاء عجز عن سياسته قوم اعتادوا منذ القدم أن يخضعوا لحكومة فردية قوية . إلى الطريق التي سارت فيه الحركة منذ عام ، جعل الفلاح يعتقد أنه يستطيع الوصول عاجلاً إلى ما يصبو إليه من حرية ، في حين أن ما اكتسبته هذه الحركة من قوة جديدة بإسلام أزمة الأمور إلى طائفة من الضباط المتطرفين جعل أزمة السلطة في وجه المحكوم أثقل مما كان عليه من الكرباج »

هذا هو ما قاله ذلك الإنجليزي الذي تفخر دولته بأنها سبقت الدول إلى الحرية ، والتي ما تخلف منذ عهد كرومر في مصر تفاخر بأن معتمدها هذا هو الذي أبطل الكرباج في هذه البلاد !

وإنا لنسأل الذين يقرأون هذه الضروب ، والذين يتشيعون أساليب الإنجليز ومن سار في الكيد لمصر ، نسأل هؤلاء الساسة الذين يطلعون هذا ، ومع ذلك يعيبون على عرابي وزملائه تطرفهم أكانوا يعملون غير ما عمل عرابي وأصحابه إذا كانوا يحبون أوطانهم حقاً ، وكانوا يعيشون في مصر في تلك الأيام ؟

أما الذين كانوا يجهلون طرح هذه المساوئ التي كانت تشيع مختلفة في مصر ، وعدوا حملتهم بها على عرابي ما حملوا عنها اسمهم لا أسمع عنه ، فحسبت أن يريهم حقيقة الأمر ونكل المسألة بعد هذا إلى حكمهم ومعاذيرهم

وما نحامي عن عرابي إلا لأننا نعتقد أنه ظلم ، ولأن الذين ظلموه هم أعداء البلاد الذين استغلوها ودمروها وأخضعوها للذل والهوان ، وما يجدر بمصري وبلاده تعتز بأبطالها أن يشايع الذين حاولوا أن يمسوا بالباطل تاريخ رجل كانت البطولة في مقدمة صفاته

على أنه ما كان بباطل أن يطمس عرابي إلا أن يطمس ظلام الليل نور النهار ؛ وهيهات أن ينتصر نور النهار ولا تذوب في أمواجه المتلاطمة المشرقة ظلمة الليل ، وإن تراكمت من فوق بعضها فوق بعض

(1) المرجع السابق

ولقد حمل الكاتبون لمصر الجيش مقصودين وأمور كثيرة من مفتريات . أنظر إلى قول ماليت في تقرير له : « إن اختلال الأمن في البلاد نتيجة كثرة الأعمال أولياء الأمور المشكين ، ويجري ذلك إلى سلوك رجال الحرب العسكري الذين لا يسألون ولا يلائم المشكين بالاحترام الضروري لإدارة البلاد ، وقد أخذت الرشوة تعود إلى سابق عهدها بين الموظفين ، ومما يساعد على انتشارها كثرة التغيير والتبديل في كبار الموظفين » . ثم يقول في وصف ما زعمه من الضيق الذي وقع فيه الفلاحون في سبيل الحصول على المال : « ويعزو الملاك قلة رؤوس الأموال وما هم فيه من الضيق إلى سياسة الحكومة الحاضرة التي لا تبعث على الثقة بها ، ويشعرون بأنهم إذا عجزوا عن دفع الضرائب فالتبعة واقعة على الوزارة »

وليس عجيباً أن يسلك كلفن وماليت وأشباههما هذا المسلك في الطعن على الوزارة ، وقد أدركنا ما كانت تنويه حكومتهما من العمل على تمهيد السبيل للتدخل المسلح بعد هذا التدخل السياسي

ولقد كانت تلك المذكرة المشؤومة خطوة واسعة نحو هذا الغرض المرسوم ، فحسبها أنها لا بد أن تعجل المراحل بالبلاد إلى كارثة الاحتلال . كتب قنصل فرنسا إلى حكومته يوم ٩ يناير يقول : « إن الرغبة البادية في جعل مجلس النواب من جانب في أن يصير برلماناً ، والحملة القوية التي رأى الوطنيون من جانب آخر أن يثيروها ، والتي كانت مذكرة (٧ يناير) تعبيراً عنها ، هي السبب الحقيقي للموقف الذي اصطدم كل منهما بالآخر فأوجدا الموقف الحالي » . وكتب في يوم ٦ يناير يقول « يمكن أن يقال إن الانقلاب الذي أحدثه مجلس النواب المصري جوهره يقع على مذكرة (٧ يناير) . فلقد أعلنا في هذه المذكرة أننا نحتفظ بالنظام الحالي ضد الجميع . وأعجب العجب من ذلك أن غير هذا النظام تغييراً جوهرياً . وبذلك وضعنا أنفسنا في موضع صارت الضرورة قاضية علينا فيه بأن نتدخل أو نعدل سياستنا »

وبعد فالذي ذكره ذلك القنصل يصور الحال تصويراً صادقاً ، وما كان موقف الوطنيين يخفى على أحد من الوطنيين ، وعلى ذلك يقتضي الإنصاف على الذين يحكمون على أعمال رجال ذلك العهد ، وأن يضعوا أنفسهم عن أن يضعوا في أذهانهم قبل كل شيء أطماع هؤلاء الساسة ، وأن يصوروا تلك الأعمال على هذا الأساس

« يتبع »

الخفيف

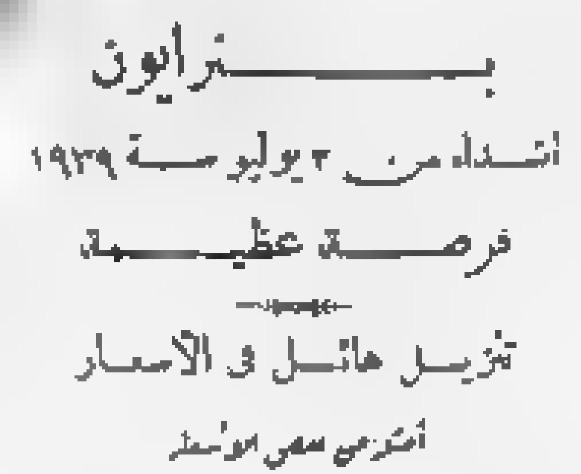

أكثر من ٩٠٠٠ صفقة للتصفية بأسعار زهيدة

محلات بنزايون الكبرى

وبفروعها العشر

الرقص قديما وحديثا

للأستاذ محمد السيد المويلحي

ينظر الشرقي في هذا الزمن إلى فن الرقص نظرة احتقار واستنكار لأنه لا يعلم عنه أو لا يحب أن يعلم عنه إلا أنه علة اللهو والسرور، وإرضاء الغرائز الحيوانية، ثم هو يعتقد اعتقاداً يبلغ حد الإيمان — وهو صادق — أن جميع محترفات الرقص من الصنف الفقير التي لا تكترث بمستقبل الشرف والفضيلة لا كثيراً ولا قليلاً. أولئك اللاتي لا يرقصن لأنهن يحببن فن الرقص ويفهمن أنواعه المختلفة، بل لأنهن يرقصن لملء البطون وسد ... وإرضاء الرجل ليس إلا ... !

هو لا يعلم أو لا يحب أن يعلم أن الرقص من أنواع الفنون وأبدعها بل لم يكن أروعها وأبدعها جميعاً، فقد ظهر مع الإنسان الأول على الأرض، من غير تعليم أو تدريب، ومن غير قواعد مرسومة أو أصول موضوعة، ومن غير أن يعرف أن هذا الذي يقوم به ويؤديه سيصبح مع تعاقب الزمن وكر الدهور فناً كغيره من الفنون له قواعده وأصوله، وميزاته وحدوده.

الطفل الصغير الذي لا يفرق بين الجمر والتمر، تراه إذا سمع ... هز ... وأخذ يهز جسمه، ويحرك رأسه، ويلعب بيديه في حركات ... منتظمة تعطي الناظر صورة بديعة (للرقص) النموذج الفطري الذي يجري مع الدم ويتحرك مع كل حركة للطفل حركات مضبوطة (موزونة) كأنما تعلمها وتلقنها عن مدرس ماهر.

والعجيب في الأمر أن تلك الحركات الطبيعية التي تصدر من الطفل ... ولو رسمنا مثلاً (ن و ٢) رسماً لكل حركة لرأينا أنها تجري على هذا النمط، وعلى هذا التقدير دون أن تزيد أو تنقص أو تخل بهذا الحساب الدقيق!

هذا الطفل إذا غضب، أو خاف، أو تألم عبر عن غضبه وخوفه وألمه بحركات تختلف تمام الاختلاف عن أختها، ولأعطانا صوراً مختلفة صادقة لهذا الفن الطبيعي الذي يجري مع دمه كما قلت والذي يسجل خلجاته تسجيلاً دقيقاً لأنه يقوم في هذه الأمور مقام الكلام ومقام التعبير.

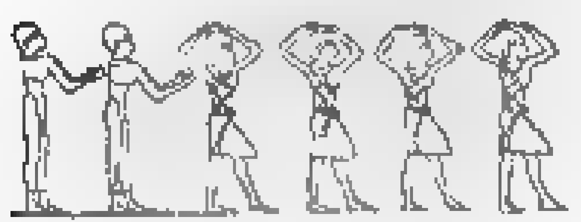

ش (١) الرقص الجميل
راقصات وعازفات من نقوش الدولة القديمة

والصبي الصغير الذي لا يفهم من الدنيا إلا أنها أكل وشرب ولعب ولهو ويقظة ونوم تراه إذا سمع لحناً أو صوتاً (رقص) معه وتابع موسيقاه وتنقل معه من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام بإتقان يثير الدهشة ويبعث على العجب والحيرة عند من لا يعلمون أن الصبي لم يعمل شيئاً أكثر من أنه أسلم حواسه وأسمع حواسه حتى نسي نفسه ونسي كل شيء يحيط به إلا هذا اللحن الذي حرك هذا الشيء، الحي الذي يجري في دمه وهو الرقص !!

* * *

والمرأة والرجل، والفتاة والشاب؟! ما بال الجميع عند ما يسمعون (الموسيقى) التي تلائمهم وتوافق ميولهم يهزون رؤوسهم ويضربون الأرض بأرجلهم ويحركون أصابعهم وأيديهم في حركات منتظمة مستمرة؟! إنه الرقص الذي يجري مع الدم والذي تؤديه الأعصاب ... في حركات غير إرادية !!

(والزار) الذي يقولون عنه إنه رياضة ... حتى تتحرك الأجسام أو ... أصحابها يبرأون من أمراضهم (وكساحهم)

أو أمسكنا من عصاها الدجاج الأبيض (أو معفر أحمر وذيل أصفر) والظروف التي لاشية فيه ، والخاتم الحجري الذي رصع في صورة الحي ، والسم الذي يجري للمريض ويلوث له ملابسه وجسمه .. أو أسقطنا من صبابة حده والتيس والأشنة والعطير والبلح والأباريق غير الفضل والرقص المنظم تغني له المرأة وتصفق وتنشط في حركات إيقاعية منسجمة ؟؟

(ش ٢)

رقص من نقوش الأسرة السادسة تتقدم فيه الرءوس المتقنة

فلا بد أن الرقص في مصر نشأ مع الإنسان من قديم زمان حتى الله وقد كان قدماء المصريين يستخدمونه في أعيادهم وحروبهم وحفلاتهم ومآتمهم وعباداتهم لآلهتهم لأنه كان عندهم في مرتبة التقديس ... ويعتقدون أن الآلهة لا تقبل الصلاة ولا القرابين إلا إذا صحبها الرقص لذلك كانوا يصحبونها به ويشجعون عليه . وقد بلغ أنواعه في العصور القديمة والحديثة أكثر من عشرة أنواع كل منها يقوم على أساس متين من الفن الصحيح الذي نقلته أوربا عن أوائلنا وأهم الأنواع

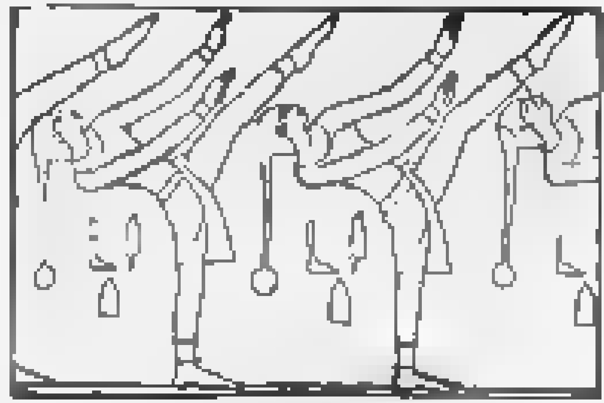

(ش ٤) الرقص الحر

والصاجات من نقوش الأسرة الخامسة

١ — الرقص الجنسي ، وكانت تقوم به النساء شبه عاريات إلا ما يستر عوراتهن وكن يحلين صدورهن وخصورهن بالحلى والأربطة ، ويرتدين بعد ذلك ثوباً شفافاً طويلاً وإن كان لا يستر شيئاً إلا أنه كان يبعث فتنة وسحراً ، وكان رقصهن رقصاً هادئاً بديعاً راقياً يمتاز بالخفة والرشاقة ، وكان في شكل ... جماعياً وحيناً الواحدة خلف الأخرى كما يتضح من الشكل رقم (١) وكان يصحبه عزف بمصاحبة الإيقاع الموسيقي

٢ — الرقص السريع ، وكان يقوم به الرجال في حركات سريعة منتظمة رافعين أيديهم أو طارقين بأقدامهم ... من خشب تقرع في أثناء الرقص وكانت للإيقاع تتمشى مع حركاتهم (ش ٢)

٣ — الرقص الفني (الكلاسيك) ، ويمتاز بشياطة ولونه الفني البديع وحركاته المنظمة . ويعد الرقص الفني من مبتكرات قدماء المصريين من آلاف السنين هو الذي نقلته أوربا الحديثة عنهم واستعملته في أوبراتها وسمته Ballet (ش ٣)

(ش ٣) رقص الصور الفنية

من عرض الدولة الوسطى ، مقابر بني حسن

٤ — الرقص الحر ، وهو أبدع أنواع الرقص القديم لأنه كان ترجماناً صادقاً للمناظر الطبيعية والخوالج النفسية فكان يمثل الأعاصير والأمطار ويحاكي تلاطم الأمواج ... كما ترى في الشكل رقم (٤) الجزء الأيمن ، وكان يمثل ... العصافير وتغريد البلابل وسباحة السمك للأغصان كما ترى في الشق الثاني من الشكل (٤) .

٥ — وهناك أنواع مختلفة عرفها قدماء المصريين منها رقص الصياد وكان يقوم به الرجال وهم يمسكون بالأذرع الممتدة الواحد خلف الآخر في اتساق ونظام ، والرقص بالآلات الإيقاعية كانت تقوم به النساء حول حلقة ، وكن لا يرتدين إلا ملابس شفافة تنم عن جسومهن يرقصن ويمرحن في آن واحد ، والرقص حاملات الصاجات والرءوس للصفقة وكان الراقص غير العازف كما ترى في شكل (٦) ضاربات الصاجات (الأولى من اليمين) ثم راقصة تصفق وضاربات بالرءوس للصفقة . والرقص الحربي وتتمثل فيه القوة والعظمة ، ويظهر فيه الجبروت

هذه هي أهم أنواع الرقص المصري القديم أما أهم أنواع الرقص الأوربي والأمريكي فهي:

الفالس، سلوفالس (بوستون) التانجو، الرومبا، السكاريوكا، الفوكس تروت، سلوفوكس، اللامبيثوك، الشارلستون، الشيمي، شوتيش، بج آبل، جافا، وان استب، تو ستبس (باسودوبل)، فايف ستبس، جيج، لانسييه، كادرييه، بلرو، مازوركا، كلاسيك دانس، دانس سور بوانت، كونتننتال!

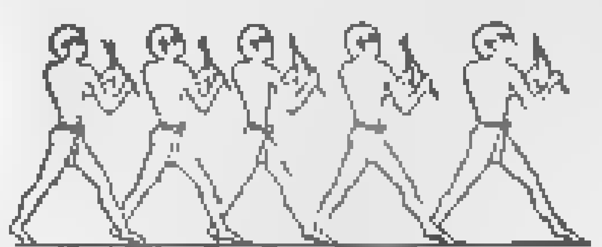

(ش ٥) رقص الحصاد الشعبي للفلاحين
من نقوش الأسرة الخامسة مقبرة رقم ٦٠

ومنه القديم والجديد ومنها المنقول عنا كرقصنا ومنها المنقول عن زنوج أمريكا كرقصة (الرومبا) وهي قريبة جداً من رقصة (شخلع) التي رقصها العبيد والتي يسميها العامة من المصريين (شخلع وعه) ..!

وأهم ما يلاحظ في هذه الرقصات كثرة اللف، والدوران، والحركة. والطابع الذي تمتاز به هو طابع النشاط والرياضة المتعبة أحياناً كرقصة الدانس سور بوانت وتقف فيها الراقصة طول الوقت على أصابع القدمين ...!

* * *

على أن هذه الرقصات واضحة مجونة تشمئز منها الأخلاق، ونعني منها الخليعة كرقصات البج آبل واللانسييه والكادرييه وتكون فيه البطن فوق البطن، والصدر فوق الصدر والفم قرب الفم وتلعب فيها الحيوانية دوراً كبيراً ولا يقوم بها إلا الشبان والشواب الذين يحسون بحيويتهم الكاملة، وبالجرأة المشهورة ويقدم الأكثرون عليها بحال أو بنادر ويحرم هذه الرقصات بعض الشعوب الأوربية كالإنجليز.

أما الرقص الشرقي والمصري الحديث ونعني بالحديث الذي نراه في هذا العصر فلا يخرج عن الرقص الإيحائي الذي أدخلته وزارة المعارف في برامج مدارس البنات ورياض الأطفال وهو رقص بديع أشبه بالألعاب الرياضية منه بالرقص، والرقص الإيقاعي ويقوم به عدة أشخاص ويخضعه من طبيعة الصعيد (ولا الكثرة) وهو أشبه الأشياء برقص الحصاد الذي كان يؤديه فلاحو المصري القديم ويمتاز بحرف (الوحدة الكاملة).

وأما رقص الراقصات للعريف والشرقيات فلا شيء فيه من الفن أبداً، ولا غاية من ورائه، ولا غرض من أدائه إلا إثارة الرجال والاستحواذ على (جيوبهم وقلوبهم)!

فالجمهور لا يحب الراقصة ولا يشجعها ويبالغ في تحيتها والإعجاب بها إلا بقدر ما أوتيت من جمال، وبقدر ما تمتع به قامتها السمهرية من اعتدال، وبقدر ما تبرع من حركات، وبقدر ما تفتح من لمحات.

فالرقص هنا لا يعتمد على فن أو ذوق أو رياضة، وإنما يعتمد على هز الصدور، ورج البطون، واستفزاز أحط الغرائز، وتنبيه (الحيوانية) تنبيهاً متهتكاً صاخباً يدفع الموظف الفقير إلى سرقة مال الحكومة ليتمتع ولو على حساب مستقبله وبيته وأولاده، ويحمل الفلاح الذي حصل محصوله أن يبدده ويصرفه ولو خرب بيته وطلقت زوجه، وشرد بنوه وبناته!

(ش ٦)
من نقوش طيبة في الأسرة الثامنة عشرة مقبرة ... رقص تشترك فيه إحدى الفتيات الصغيرات وهي الراقصة الأولى من اليمين

ويرى إلى جانبه الطرب والطبل شبابنا الذي لا يرى فيها مثل آلة من غير كد أو جهد.

ويحضر حضرة المحبوبة لكل طالب يسمح له والده بالتردد على هذه الأماكن التي لا يسعه إلا التفكير ... لا في الدرس والتحصيل ولكن في حلاوة العينين وسحر الشفتين وكوى القلب والحب!

هذا هو رقصنا (الآن) وهو الذي تحميه الحكومة، وتحافظ عليه وتتغاضى عن صيحات العقل التي تطالب بإلغائه.

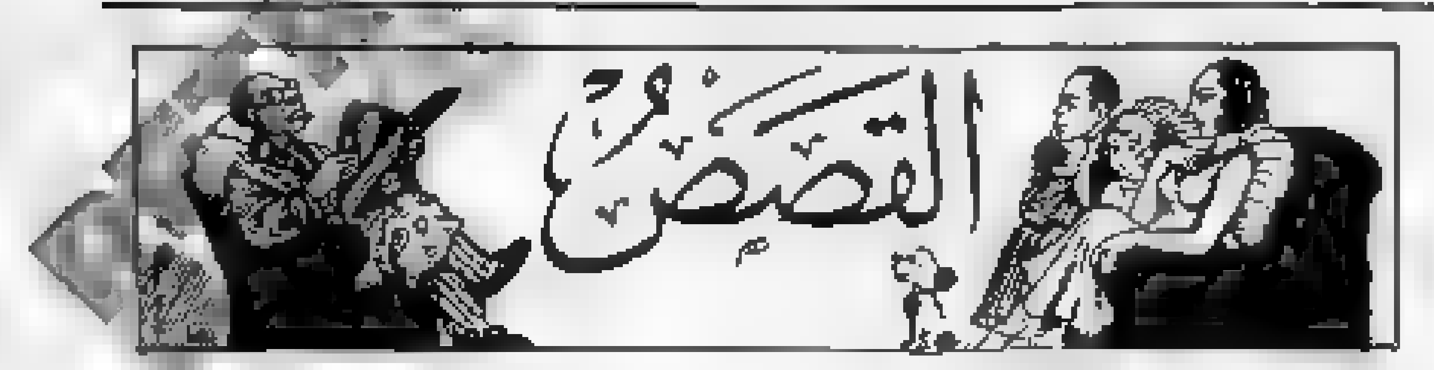

وحي نفــــرتيتي

[illegible]

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

---

١ — مع الربيع

في أبريل من إحدى السنين ولد أدولف ، فانتسب إلى الحياة مع الربيع

أول نسمة أحس رئتيه كانت نسمة ... روح من الزهر والطيب ، وأول صورة وقعت على عينيه كانت صورة ... سالمها يد المبدع البديع ، وأول صوت طرق أذنيه كان تغريد

من نسمة رقيقة حنون ، وأول ما رشف من عصير الحياة كان شيئاً من روح الزهر الطيب الذي تمرح به الدب في الربيع

وما شفاه الذي يهبط الأرض في الربيع ... أو ... ؟

تتلى إلى الحب ... أو ما ... ؛ ... راقصة ، ... وجه ، قد أسكرته نشوة التسبيح ، وهو يطل إليها وكله روح وكله شعور ، لم يشس ... العقل ، ولم يُنغّص ... فلا عجب إذا صدّق الدنيا وأحبها ، ولا عجب إذا ... ، ولا عجب إذا ... صبيحاً بسيم

وإن هو إلا حين ، ثم يعقب الربيع صيف ، ومع الصيف ... من ... ثم يطل الصيف ... ، ومع الخريف أشباح من ... ثم يعقب الخريف شتاء ومع الشتاء ... من موت ... يفجر الصدور

ولكن وليد الربيع يحتضن صورة الربيع ، ... الحياة بين ... ، ومهما أتفق له مع الحادثات ... التي لا ... على ... هو لا ... يرجو منها الخير ويأمل في ... صورة الربيع

وإنها لحلوة ... ، وعلى ... لقياها وفي ... ، وعلى ... شعوره وعلى ... قلب أحبها ، ومن حسبه لها ... في ... ، والخير في ... وما فيها من شر ... وإن هي إلا ...

ولكن الناس يختلفون ! يسفون أنفسهم وأرواحهم ... من شقة ... يحترقون

... جميعاً كما جنى وليد الربيع

٢ — ...

في ... أحب أدولف أن يستكمل من لوازم البيت حاجته ، وأن يسارع على ... الزمان ... ، فلم يقتنِ إلا ...

وهذا هو رقصنا الذي يستنزف أموالنا ويخرب بيوتنا ويدفع شبابنا إلى الخنث والترف ثم ... !

الحكومة تطارد الباعة الذين يكسبون (الملاليم) بعرق جبينهم ليصرفوها على أولادهم وزوجاتهم ، ولا تطارد الراقصات اللاتي لا عمل لهن إلا الطرب لكل من يحتك بهن

الحكومة تحجب بعض المناظر ... من روايات بعض المسرحيين ... ولا تحجب هذه الدعارة وهذه ... التي يختلف إليها ... تلاميذنا وعمالنا ... ، والساذجين من عمدنا وفلاحينا !

* * *

هذا هو الرقص عندنا وما له من رقص لم يشهده أو يلهمه إلا الشيطان !!

محمد السيد المويلحي

(ملحوظة) الصور المصرية القديمة من كتاب موسيقى قدماء المصريين للدكتور الحفني

٣ ، ٦٣

طرق أقرب الأبواب منه ولم يكن إلا باب الجمال والفن

فرحب به الجمال ، وأكرم الفن وفادته

حقاً إنه لم يكن في المصورين بارعاً مبرزاً ... ذلك أنه يرى من الفن صنعته وموت صنعته ، وما كان الفن إلا صارفة

٣ — تجارب

وزار الأرض ... وأخرجت الأرض أثقالها ، وضمت الأقدار أغوارها ، فخف صاحبنا لها مشدوهاً يلاطم أمواجها ، يريد بالفن أشكالها ويلقف بالصبر أحوالها ، فلامس ولمس وعد كل منها مصاحب ما قد أهدى لها

٤ — شرود

سهره الزمن حتى لتكاد نفسه تسيل حسا ، وتراكمت تحت قدميه التجارب فرحته وحفته حتى لتكاد تعرى السماء هامته حتى في حر مصر منه القرب والبعد ... ثم بعد ومضى في بعض كما يمضي الناس ... ولم يعد جليس الجهد مستنداً بين حنقين ، ورآها أراها ساحة واهية برة باسمة كالربيع ، راقصة مرنة مسبحة باسم الناس وسام الأرض وسائر السماء

ما كان يبقى من هذه الدنيا غير ما يمسك به الزمن في ملأ حوله حتى متى يملأ سمعه بالنغم ، ويملأ بصره بالصور ... مالفن ، إلا أخص حبيبه ، وهم على الصحف يسرح مع الريح يعد عنه ، ويستعيده الراحة إنما حصره

ولكنه لم يسترح أمراً ، ولم يخليه هدف ... فراح يخبط في الشرق وفي الغرب ولعباً آمناً ، ولكن رماه وأمته شاهبة حدة إذ كان يحس حقاً يطوى في نفسه ومضاً مبهماً مبعثراً في جو تحت شجر الله من مشغله وجهه وإشارة كلاماً ولفظاً ، ولم يكن يحس شيئاً أصعاً من هذا الشرود المستعصي الشهاب ، فاستقر له يدافعه ويداعبه متنفساً إصباحه ودموعه

٥ — وهوى القلب

كان الجمال يستهويه مستصبيه في عالم السمع وعالم البصر وعالم الحس وعالم الذوق ... فكان يردد على رياض الجمال ما يتنقل

روضة ، وكان يقطف في مسرح الحس ... ترفاً من أسراره مالا ... غيره ، فكانت له عند كل ... لذة

والتقى هنا المستمتع في جولة من جولاته بتمثال رأى فيه فتاة حسناء صنعة من لطف وروح غرتيتي لم علق إلا أن يسكن أمام التمثال وقد احتبل حسه وتذبذب بين نزعة الرهص للعناق والصمود لتديو وسجع لترتقي

ورآها ... قد ... موجهة فرجت بين يديها ومنة ... في ... وهمسا تسأله

وماذا تريد أن تصنع ؟

فقال ... لا أدري

فعادت وسألته ... ألست تحس شيئاً ؟

فأجاب ... إني أحس

فأمرته ... أن ... نداء ... سك

وسكت ... وعدنا ... وكأنها تعرض عنه أو تتعطف من كتافه ... وسناوى ... د

٦ — في الزهرة

راح يقول لنفسه

إنه أنها حدثتني وأني حدثتها ، فقد حدثتني وحدثتها ، وإن أنن عد المروض الذي تمثال ، فإنه تمثال لم يحدث أحداً ولم يحدثه أحد ... فلا بد أنها صرفي ، ولا بد أنها أعطارتني من بين زهرة ، ولعلها سحب من وجهها للشمس لتلتقى عيون غيرى ، هي ، قطعت إلي آفاقاً وآماداً فكيف أصل حب و ... هي تتنقل بين أصناف الوجود باحثة عني ... لا بد أنها المكتوبة لي وإلا فإني لم تسعين فيها اصوته ... ومالي قد آمنت فرأيت أنه لن يحيى بعدها امرأة ؟

إنني ... في ... حبيبة !

والتقى ... بيدها ... في ... وجه الحبيبة

على أن ... أنها طلبت مني أن أبني حسي ، فأي شيء صنعت ... وأنا ... أحس ؟ وأي حس هو الذي تميس به حتى يحس ما عداه من الأحاسيس ؟

أما أنا ... فإني محروم . إني أرى نقائص كثيرة ويخيل إلي أني أملك إصلاحها ولكني غير متمكن من شيء أمنحه

ولست وحدي المحروم ، فإني أحس أن حولي كثيرين محرومين ، منهم المحروم من قوته . بل إني محاط بجمع . . . بشعب من المحرومين . إني أعيش في وطن محروم . . . بل في جيل محروم مظلوم . واحتمال الظلم والحرمان . . . وبعد لا أرضى عن منعوص

في هو الظالم ؟ أين هو ؟

. وخرج أودلف من حديثه مع نفسه يلقي عليه عبثاً ألقاه على كتفيه أهل جنسه من الحرمان ويحاول أن يتوسعوا

وما أكبره من عبء !

٧ — مصاصرة ثانية

وظن أنها هبة أخرى فوجدها تنتظر منه إشارة عرف بها أنه قد حدق في وجهه حية ميزها من عنه ومن . . فأطرق لحظة وقال

— أليس صبراً وحيد حرمانيا ؟

— ما من شيء في الحياة عسير . وكل ما أردت ميسور . كان لي صبر ؛ وكان يجب الملل . ومع هذا قد استطاع أن يوحد الله . . . وأنا . . . وقد كنت وثنيه استطعت أن أعبد الله

— وبه الله ومالي ؟ أترى أني جدير صنع المعجزات ؟ لقد مضى زمان المعجزات يا صديق

إنك كسلان !

كلا

— أثبت !

وسمعنا القتال

٨ — مؤمن وناقمون

وبدأ أدولف الكفاح . جمع حوله الشباب . . . وجاهد ما جاهد حتى استولى على ألمانيا . . .

ومضى هذا الشعب وهو مردد في المحبوبة فلا يجد إلا وصمة وبسمة من علامات الرضى

حتى اشتاقت حكومة مصر إلى مثال الملك فطلبت من حكومة ألمانيا أن ميسه إلى وطنه . . . وصد ورهب بالفلك ساخطاً سائله

مالك ؟

إنهم يريدونك في مصر

وما مصر ؟

— وطنك

— وطني أنا ؟ أنا وطني أينما كنت وإذا ما كون . . . أحتل وطناً ولا أشغل مكاناً

— ولكنك كنت ملكاً مصر

— ومصر الآن في حاجة من ملكي

— أي إنسان أنت ؟

— كان الإنسان بعض أوثاني

— فلن كان أنت ؟

إنه كان واحد !

!! ومن يجيبوك في مصر . . . هل يحبونك ؟

واستحل أودلف وتخاذل . . . وقال

لا يمكن . . . فحين هذا أنه القتال فإني أرى فيك عماً . . . واحتقروا هذا حكومة مصر وقال إنه محب الملكة الغالية

٩ — الناس مسحورون

وطرت الناس مسحرية وأنحو كله . . . وما أكثر المآسي التي يضحك منها الناس ويسحرون ، وما أكثر السحر التي يمرون بها غافلين متجهلين

عن يبيع من في وأفرع في من

دره من منح لله صحبه مؤمن بعيد الصمت ، وتناله حائش . . . مصر بالجدل والحس فأصبح رجلاً بين الحسنين والمتعلمين . إنه

أطلع ... وقال : إنه يحب ولم يرو ضخروا منه ... فذا له لو قال : إنه يحارب

منه في أسرها

١٠ — فوت صح أموره

إحتفل الأهالي « الرين » وعاد أدوف ليلتها إلى غرفته متعباً مضنى وكان يحس إليه ، وكان صادقاً في حقيقته . فنادها ففتح بيتا هو معها ، وإذا هو تسأله

— أحسبك ارتحت الآن قليلاً ؟

— الحمد لله

— وأحسبك تريد سراً ؟

— لا فقد سمعت منك نفس الحزن

إنه هيا بي

— إلى أين ؟

إلى وليمة صغيرة — ألا تحب أن تشرب نوب صح أموره ؟

— قد أنساها بين يديه

— ساد ؟

— لأنه صاحب عن بيتك

— وهل سمعت حسه ؟ ... قال ... هو يريد أن يراك . وقادته إلى العرش وقدمته إلى الملك

— هذا هو أدوف

— مرحباً ... هل تشرب خمراً من خمرنا ؟

— قد تروني ولكنكم قد تحسنون إلى لو أعفيتموني منه من تراتيم صلاتكم

— ولماذا لم حييك للملكة برقصة أو أغنية ؟

— قد تكون متعبة

إنه لا يحبها ما رحيله أليس كذلك أيها الملكة ؟

ورقصت ساعة ورجع الملك والملكة وهبط أدوف وعاد إلى غرفته محزوناً .

لقد كان يخشى أن يبقى معه للتأملة إنه لم يرجع منها ساكناً إلا عبره عاطفة حبها إليه على صاحب حسن

— ولكن — لا أو هل يمكن أن يكون قد خاب لها أن يعيش به ولماذا لا تكون هذه الصبة كلها من أولها إلى آخرها مؤامرة دبرتها مع صاحبها ، أو أغريها بها عاطفة ما بينهما أو دروها معاً

بدأ الشك والقلق يخزان صدره

١١ — يحيط

إنهار السكين !

كان قد أحس حبه الجحود قد رسا به في عرضها جديد من صباح الوجود كله ربيع !

رسا به ، وهم أن يرسل إليه حتى به بصيح قلبه في هذه الأديب من جديد وفي بعده من جانع رانين

إنه يحب رانين ، ويحب ألمانيا إنه وطني حبيب ولكن حبه لوطنه لا يرد على حبه لفتاته .. هل الخيال هو المقصود بعد ؟

وإلى هي « ... قد قال إن وطنها القديم لم يعد اليوم إلا حباً من عرشها البعيد . وهو لا بد أن يكافئه ولا بد أن يقصم إلى مسكنه هذا الفرا البعيد الذي رأى حسه عند بدا به

ما الطريق إليه ؟ ... إلى أين ؟ إلى الفرا البعيد ؟ أي عرشاً وأين هو ؟!

ويل أو طول لي طلب البعيد !

١٢ — عتاب

وبعد الاضطراب الموجع القاسي أحيا بعض أصحاب أدوف في حبه وفي حق كفاحه فقتلهم بيده ..

وليس القتل بفعلة التي يرتكب الإنسان ثم يسهل عليه النوم انتابه الأرق ليلتها وطرب به نفسه كان صرعه بضميره ، وكان هو يحبهم حقاً إنهم أساءوا ، ولكن من في الناس للمعصوم ؟ ثم من ذا الذي منحه السلطان على الأحداث والنفوس ؟

أولا يمكن أن يكون هؤلاء الصحابة أبرياء . من يدري ؟!

وكيف يقتل الضمير البري ؟!

العين بالعين والسن بالسن وإن كان في الغفران فضل فضله الباذل الراهب .

من بصرها لنفسه ؟ كلا كلا هو إذن مغوص

... لا محل المعوص ...

ها هي ذي ! ... السدي إليه ... هو أيضاً ...

تناول للسدي ... إلى رأسه ، وأطلقه فقد ...

أن يموت مكفراً عن خطيئته

ولكنه كان قد ... الرصاص في رؤوس ... وكانت

الطلقة كاذبة ... إنها ... على ...

... في ...

... كان ... إلى ...

... كيف ... الماضي ...

اليوم ... ويذكر ... اليوم ...

الأعناق

— ما ... ؟ كأني ... من التي في ...

... كل ... ولن أصل إلى ... حتى

إلا ... التي ...

... بيني وبينك

— إذن ... لم يبلغ ما ... أن يكون

... إلا ... من المفتونين

... وهو يعود

— كأنما ... أن أقول ...

ليكون

١٣ — ...

... في ...

إليه ... ولكنه ... إليه ...

... أمه ، ... إليه السدي ...

... السدي ... وأمرع ...

في ... ، ... صاحبه ... الخبيثة ،

... إلى

... عليها ...

فأمسى ... إليه صاحبته

ومع هذا ... من ...

١٤ — ... الخاتمة

إذن ... لا ... والإيمان ...

... على ...

... كلها ...

ولكن ... وعم ...

وهو الآن لا يزال ... الناس ...

على ... من ...

في ... ، ... على ...

أخرى في ... أو ...

... لا ... الأذها

السره

(... سنة ١٩٣٨) ...

فلسفة ليبنتز

إرجاع الحرارة والحركة إلى أصل واحد

للدكتور محمد محمود غالي

بقاء الطاقة عند هلمهولتز — حركة الجزيئات — عمل روبير ماير — المبدأ الثاني في الترموديناميكا — هذا المبدأ يجري بمسائل الحياة في مستقبل الزمن — كيف فسر بولتزمان المبدأ الثاني — أول دعامة في فكرة الأصل وما تلاه

تحدثنا كثيراً عن فلسفة جديدة يحاولون بها توحيد الظواهر الطبيعية في الكون والرجوع بها إلى قليل منها، وذكرنا أن كل محاولة في هذا السبيل تعد تقدماً للإنسان يفوق التقدم من الاختراعات التي تبهرنا أحياناً ولا يمكن أن تعتبر في التفكير خطوة حقيقية في سبيل التقدم، وذكرنا صلة هذا باكتشاف ليبنتز (Leibniz) من توحيد ظاهرتي الحرارة والحركة والرجوع بهما إلى ظاهرة طبيعية واحدة، وقد ذكرنا ذلك في معرض الكلام عن النظرية الحركية للغازات والوسائل التي استعرضناها لتثبت للقارئ فكرة الحركة، وشرحنا تجارب كوتون وموتون واكتشافهما للألترا ميكروسكوب الذي نرى به رأي العين أثر ما تحدثه جزيئات السائل في الحبيبات الصلبة الكلويدية التي تتصادم مع هذه الجزيئات، فنرى حركة الحبيبات معلقة داخل نقطة من الماء كما نرى الذرات في الليل تسبح في أشعة قوية، وذكرنا أن العلماء[1] توصلوا إلى تفسير هذه الحركة غير المنتظمة والدائمة للحبيبات الصلبة الموجودة داخل السائل، وتفسير الحركة التي شاهدها قديماً العالم النباتي براون (Brown) الذي شاهد هذه الحركة منذ سنة ١٨٢٧ والتي يروى أن الطبيب الإيطالي سبالانزاني (Spallanzani) شاهدها من قبله

ونعود الآن إلى فكرة ليبنتز، فالقارئ الذي تابعنا حتى كتابة هذه السطور ... يقدر الدليل على صحتها في إرجاع الحرارة إلى الحركة، هذه الفكرة التي سبقت اكتشاف براون وسبالانزاني بأكثر من قرن، وسبقت أعمال كوتون وموتون وبيران بقرنين

لقد قدمت العلوم الطبيعية في إثبات وحدة الظاهرتين والرجوع بهما إلى أصل واحد من الأدلة ما لا يجعل اليوم جدلاً، وقد كان أول هذه الأدلة من طريق أحد المبادئ الأساسية للعلم وهو المبدأ القائل ببقاء الطاقة وعدم فنائها، هذا المبدأ يعزز بشدة النظرية الحركية للحرارة بحيث أصبحت نظرية بقاء الطاقة دليلاً على فكرة ليبنتز فضلاً عن أنها النظرية الميكانيكية

ولقد كان ثاني هذه الأدلة تفسير بولتزمان Boltzmann لما يسمونه المبدأ الثاني للترموديناميكا وهو ما سنتكلم عنه فيما بعد وهو أيضاً يعين على تحقيق النظرية الحركية

إن القانون القائل ببقاء الطاقة الذي يعممه العلماء الآن في كثير من الظواهر الطبيعية قد وجد أساسه في إحدى الأسس في الظواهر الميكانيكية حيث كان روبير ماير Robert Mayer أول من ... العمل في الكشف عن تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية تحولاً حقيقياً ووجود علاقة عددية بينهما بحيث يقابل كل كمية من الشغل الميكانيكي كمية من الحرارة تتناسب معه

يذكر كل منا ... كيف تقدمت التجربة المعروفة لتعيين المعادل الميكانيكي للحرارة Mechanical Equivalent of Heat بواسطة تجربة جول Joule وقد ذكرنا أن طاقة ميكانيكية معينة يمكن بواسطتها تحريك ... ورفع حرارة مسعر[1] وتحول إليه كمية معينة من الحرارة تتناسب مع الطاقة الميكانيكية بحيث يكون بين الطاقتين نسبة ثابتة هي معامل جول للتحول الذي ذكرنا

(1) بعد بحوث طويلة قام بها جملة أعلام في تفسير الحركة البراونية جاء رمزي Ramsay في سنة ١٨٧٦ ... في القول بأن سبب الحركة تصادمات عديدة تقع على الجسيم الصلب من جزيئات السائل

(1) وعاء مصنوع من النحاس يوضع به كمية من الماء

هذا التحول من طاقة إلى طاقة كان انتصاراً كبيراً، إذ أصبحت الحرارة مظهراً من مظاهر الشغل الميكانيكي. على أن هذا التحول يجد تفسيره في النظرية السينتيكية إذ اعتبرنا أن الحرارة هي هذه الطاقة الحركية من الشغل الموجودة في الحركة غير المنتظمة للجزيئات الداخلية للسائل، أي هي هذه الطاقة الموجودة في ملايين الصدمات الصغيرة؛ بحيث أن الشغل الميكانيكي هو نتيجة حركة موحدة الاتجاه للجسم مترا واحداً، أي نتيجة حركة جزيئاته متجهة اتجاهاً واحداً.

وعلى هذا فتحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة حرارية هو انتقال من حركة منتظمة إلى أخرى غير منتظمة والعكس صحيح؛ بحيث أن بقاء الطاقة وضع هنالك دليل جديد على صحة النظرية السينتيكية التي يصح أن نطلق عليها النظرية الميكانيكية للحرارة.

أما عن الدليل الثاني لفكرة ليبرهن أن الحرارة والحركة أمر واحد فقد أتى عن طريق فكرة ستحدث في العلوم الطبيعية كان لها خطرها وأثرها وكانت دوراً جديداً للسينتيكية، هذه الفكرة خاصة بما يسمونه المبدأ الثاني في الترموديناميكا وهو المبدأ الذي يعين اتجاه Sens الحوادث الطبيعية.

كم من حوادث نتجاهلها لأننا اعتدناها فلا نسائل أنفسنا عن أسبابها. عندما تسقط تفاحة من شجرة فإنها تقع على الأرض بدل أن ترتفع إلى أعلى، ولقد كان الحادث منذ نيوتن وهو على بساطته لافتاً النظر وسبباً لأن نرث منه اليوم مسائل من أعظم ما عرفه الإنسان من تفكير منظم، أخطر مسائل اهتزت أركانها يوم تنبأت عبقرية أينشتاين وغيره بما زالت لها مكانتها من الصحة في بعض الكثير من خواص الكون. وهكذا هذا السؤال عن سبب بعض الظواهر الطبيعية تكشف أنفسنا معتادة لها من الخطر والأهمية ما لا يخطر ببال، فماذا يحدث مثلاً عندما نضع يدنا على جسم ساخن؟ إن ثمة نتيجة حتمية هي ارتفاع في درجة حرارة اليد وانخفاض في درجة حرارة الجسم الساخن حتى تتعادل الحرارتان. فلماذا يحدث هذا؟ إننا نعلم جميعاً أنه عند ما نضع جسماً ساخناً جداً على منضدة فإنه ترتفع حرارة الجزء من المنضدة الملامس لهذا الجسم ويقابل ذلك انخفاض معين في حرارة الجسم الساخن، ونعلم جميعاً أنه لم يحدث مثلاً أن فقدت المنضدة شيئاً من حرارتها الأصلية لتزيد هذا الجسم الساخن حرارة على حرارته.

هذا الموضوع على بداهته الذي يتلخص في انتقال الحرارة من جسم ساخن إلى جسم بارد، يعود بنا إلى فكرة أساسية في العلوم الطبيعية، وهي فكرة تقسيم الظواهر إلى ظواهر عكسية Phénomènes Reversibles، أي يمكن تحويلها من حالة إلى حالة كما يمكن العودة من الحالة الثانية إلى الحالة الأولى؛ وظواهر غير عكسية Phénomènes Irréversibles أي إن قبلت التحول من حالة إلى حالة فهي لا تقبل الرجوع إلى الحالة الأولى.

ولزيادة الإيضاح نقول: تحوي قطعة الثلج مهما بلغت من البرودة كمية من الحرارة، ومن الجائز أن نزيد في برودة هذا الجسم بوسائل طبيعية مختلفة، بحيث يفقد شيئاً من حرارته، وعليه فليس ما يمنع أن نتصور أن ينقل هذا الجسم البارد جزءاً من حرارته إلى جسم حار، بحيث يرفع الجسم البارد حرارة الجسم الحار في حين أن يزداد هو في برودته، ولا يتنافى هذا الانتقال مع مبدأ بقاء الطاقة السالف الذكر، ولكن مما يلفت النظر أنه لا بد من عملية ثانية وطاقة أخرى خارجية تصرف ليكون هذا الانتقال ممكناً، فهو ليس أمراً طبيعياً يحدث من تلقاء نفسه.

وهكذا لم يحدث مثلاً أن فكر إنسان في أن يضع قطعة من الثلج ليرفع بها حرارة فنجان ساخن من الشاي، أو يضع عوداً ساخناً في وعاء به ماء بارد ليزيد في برودة الماء ويرفع حرارة العود. إن الذهن العادي لا يستسيغ ذلك، وهو يعتبره بالبداهة من عملية تعد ضرباً من المحال، وهو محق بدون حاجة للرجوع إلى المعادلات الرياضية المعقدة أن قطعة الثلج تعمل على تبريد الفنجان الساخن، كما أن العود الملتهب يعمل على تسخين الماء ويفقد ما فيه. بحيث لم يحدث أبداً أن لاحظ الحدادون الذين يلجأون إلى تسخين الأطواق الحديدية بل ووضعها حول أجزاء العجلة الخشبية أنه عند وضع هذه المجموعة في الماء ليتقلص الطوق الحديدي ويشد العجلة، أن برد الماء وارتفعت حرارة الطوق، وإنما الشاهد أن برد الطوق وسخن الماء رغم فيه الغليان.

وهكذا نعلم بالمشاهدة البسيطة قبل أن نعلم بالعلوم والمعادلات المدروسة أن ثمة نزولاً حتمياً واقعاً من الحرارة العليا إلى الحرارة المنخفضة وأن هذا السير وحيد الاتجاه موجود في جميع المستويات الحرارية، ولا يتسنى ما عدا ذلك إلا إذا لجأنا إلى وسيلة خارجية وإلى استعمال طاقة أخرى. ولقد وضع الطبيعيون ذلك في شكل فكرة يسمونها

«الانتروبي» Entropie وهي بالتعريب[1] مجموع تكامل كميات الحرارة الصغيرة الحادثة أثناء الانتقال مقسومة على درجة الحرارة المطلقة، وقرروا أن «الانتروبي» تزيد دائماً في كل العمليات الحرارية. وأود ألا يشغل القارئ نفسه بموضوع «الانتروبي» فهو في الواقع طريقة رياضية للتعبير عن القانون الثاني للترمودينامكا. هذا القانون الحراري البسيط الذي يلاحظه القارئ في كل مشاهداته اليومية والذي يحتم انتقال الحرارة من جسم عالي الدرجة إلى جسم منخفض، قرر كبار علماء الطبيعة الحرارة بعبارتنا الطبيعية، ويقرر أن الطاقات الحرارية تتم جميعاً في الكون على طريقة التوزيع المتساوي لكل الكميات الحرارية مستعملة. ولئن كانت الشمس التي هي في الواقع المصدر الفائض في حياتنا تفقد بالأشعة من وزنها ما يبلغ أربعة آلاف مليون طن في الثانية الواحدة[2] حتى في طريق الفناء كما يعتقد الكثيرون من العلماء، أو أنها تزيد حرارتها كما ذكر ذلك حديثاً في النشرات الأمريكية الأستاذ [illegible] أي أنها في دور النمو، فإن حوادثها في كلتا الحالتين تسير وفق المبدأ الثاني للترمودينامكا — هذا المبدأ الذي يعين الاتجاه الحراري من درجات مرتفعة إلى الدرجات المنخفضة، ثابت لا يتغير.

ثم يبدو من هذا المبدأ الثاني أمران: الأمر الأول خاص بمسألة الوجود والتطور ولا نعرض إليه أكثر من أن نقول إن الموضوع يدعو المتأمل فيه إلى شيء من الأسف، إذ يعلمنا هذا المبدأ الثاني عن طريق السير الحراري فيه بأن الكون الذي يسير وفق هذا المبدأ نحو نهاية محتومة، نهاية يسميها العلماء الموت الحراري Mort Thermique، وتفسير ذلك أنه عندما تتوزع الطاقة الكلية للكون توزيعاً متساوياً تصبح حرارة المادة المكونة لأجزاء الكون المختلفة متساوية. والذين تابعوا مقالاتنا الأولى في [illegible] الكون واحد لا تتعدد وقد خلت من حادث، يصبح في هذا الحين سكون مخصص عجيب لا يسمح لأي نوع من الحوادث [illegible] الأقل على الصورة التي نفهمها من الحياة والحركة.

والأمر الثاني خاص بعلاقة هذا المبدأ الثاني بالنظرية السينيتكية، والواقع أنه لم يكن ميسوراً أن يتوصل الطبيعيون إلى هذا المبدأ الثاني الذي يشترك في مشاهدة نتائجه اليومية الشخص العادي بقدر العالم الطبيعي، ولكن كان على الطبيعيين أن يجدوا لهذا المبدأ تفسيراً يتفق مع بقية المعارف الطبيعية، وقد كان لبولتزمان Boltzmann الفضل في أن يجد هذا التفسير الخاص بانتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة وعدم إمكان العكس بالنسبة [illegible] إلى النظرية السينيتكية، وبذلك وجد [illegible] أخرى [illegible] مبنياً على [illegible] ونحن نورد في هذه الأسطر [illegible] من تفكير بولتزمان وأثره على النواحي [illegible] الأخرى.

عندما نشير إلى أن لهذا الجسم حرارة معينة فإننا نعني أن لحركاته سرعة معينة، وهذه السرعة للحركات ليست متساوية فمنها ما هو سريع ومنها ما هو بطيء، إلا أن ثمة متوسطاً من سرعة جميع الحركات [illegible] تمثل حركته المتوسطة، وهذا المتوسط العام [illegible] على حرارة الجسم، وهذه السرعة المتوسطة [illegible] تدل على حرارة الجسم.

وعندما يتلامس جسمان حرارتهما مختلفة فإن حركاتهما تتصادم وتختلط — على أن كل أنواع الحوادث [illegible] في كل تصادم فردي، حتى أنه من الجائز أن يصطدم جزيء بطيء مع آخر سريع وينقل إليه سرعته الخاصة به كما يحدث بين كرتين من كرات البلياردو، ولكن تعدد هذه الحوادث أكثر شيوعاً من حوادث من نوع آخر تتساوى فيه السرعة [illegible] الإمكان بحيث أن التعادل الحراري يحدث من تعادل سرعات الحركات المختلفة، وهكذا يكون [illegible] التلامس نقصاً في حرارة الجسم الحار وارتفاعاً في حرارة الجسم البارد.

على أن أعظم ما في هذا التفسير وهذا القانون الثاني للترمودينامكا أنه يحول هذا الاقتراح السابق إلى قانون إحصائي، ويتساءل القارئ كيف يصبح قانون أساسه إحصاء مبني على المصادفة قانوناً طبيعياً ثابتاً؟ ولكن لم يجد هذا السؤال على

---

(1) تجد فكرة الانتروبي في كل الكتب الطبيعية مثلاً كتاب الطبيعة العامة [illegible] الجزء الثاني (١٩٢٢) ص ٦٩ الطابع [illegible] Physique Générale par [illegible] (1922) Edit. Hermann، كذلك كتاب [illegible] النظرية السينيتكية للغازات [illegible]

(2) [illegible] من الأبحاث [illegible] المجمع العلمي الفرنسي [illegible] سنة ١٩٣٠ [illegible] ومع ذلك [illegible] لكل [illegible]

بعد أن التصبح مطلق للمصادفة في معظم فروع العلوم الطبيعية لا سيما بعد «الكوانتا» وما أوحته من تبدلات جوهرية في معارفنا ، وكما يقول ريشنباخ[1] في محاضراته التي أذاعها في برلين ، عندما تدخل في حجرة ، فإننا لا نسائل أنفسنا خائفاً من الخطورة التي قد تحدث من اجتماع جميع جزيئات الأكسجين الموجود في الحجرة في ناحية منها واجتماع جزيئات الأزوت في الناحية الأخرى ، بل إننا على ثقة دائماً ومهما طال الزمن أن الهواء داخل الحجرة خليط من الأكسجين والأزوت وأن اختلاطهما نتيجة لمصادمات عرضية بين جميع جزيئات الأكسجين وجميع جزيئات الأزوت ، ولا شك أنه حادث نادر جداً لا تعرض العقل أن نضع في ناحية من الحجرة كل جزيئات الأكسجين وفي الناحية الأخرى جزيئات الأزوت ، بحيث نصبح جزءاً هاماً من الحجرة خانقاً والآخر مساعداً على الاشتعال

ومهما يكن من الأمر فإنه عندما يكون حادث ما من الندرة بهذه الأحوال فإننا لا نأخذها في محل الاعتبار في سير حياتنا اليومية — وهكذا نسافر للاصطياف في جبال لبنان الشاهقة الخضراء أو حول بحيرة ليمان في سويسرا المعروفة بمناظرها الخلابة ، مع ما يدل عليه الإحصاء من أنه في مجموع آلاف الحوادث السائرة في العالم يتعرض عدد منها للغرق أو الحريق ، وهكذا نرى في استعداد المكونين الذين صادفنا غرقاً ، لو وجدت غرفة متدرجة بحرية منظمة تدرس العلوم الصحيحة ، وذلك لأننا نثق منه شخصاً مهماً يعتمد عليه ، رغم أن الحوادث تحدث في هذا الشهر ثلاث حوادث نأسف لها الإنسانية ، وهي غرق ثلاث غواصات لأمريكا وإنجلترا وفرنسا ، يجب أنه يعد ضرباً من التعسف أن نمنعه من ...... البحرية وأن نحرم منه في بعض الوقت ...... حاجاته للتوجه إلى مدرسته ، لأنه في عهد مضى ...... حقيقة بطريقة أسرع من احتمال غرقه في مواصلاته في كل بضعة آلاف من التوصيلات

وهكذا نغادر جميعاً منازلنا في الصباح بشيء من التفاؤل علماً بأننا سنلتقي بأطفالنا في المساء ، ولو أن بين شباب الأرض الذين يخرجون كل صباح من مدينة القاهرة يوجد دائماً في كل يوم واحد أو اثنان يصيب بحادث يحرمه من هذا الاجتماع

إلى تفهمنا للطبيعة ...... رأساً على عقب ...... النظرية الميكانيكية القديمة التي أدخلها بولتزمان ، فلأول مرة ...... العلوم الطبيعية قانون إحصائي مبني على مجموع الحوادث الفردية وأصبح محصوراً بعض القوانين القديمة التي كانت لا تستند على قدر من التفكير

من ...... هنا مجال جديد في جميع المسائل ، ومن هنا ...... فكرة بولتزمان في النواحي الأخرى للعلوم الطبيعية ...... ولا يفوتني أنني عندما فكرت يوماً أن أحصل على حالة الماء التشبع العلمي من دراسة مواد كهربائية[1] ...... العامل العلمي ...... نوع من التفكير الإحصائي لبولتزمان ، على رغم أن كل الوسائل كانت تؤدي بنا إلى الابتعاد عن الطرق التيرموديناميكية[2] وهكذا رغم الوسائل المثمرة استعملت الطرق الصوتية بنجاح مع أنه كما بالتين من علماء ...... مع العالم بيرو أخيراً أساساً ...... العلمي من بعد وجدوا الاتجاه لاستعمال الأسلاك الكهربائية[3] على أن هذا النجاح مرتبط بوجود متوسط عام للأيون ...... من طبيعي قليل ، متوسط يدل على كنه هذا العلم ونوعه

وهكذا باتت العلوم كلها مسرحاً لنتائج الإحصاءات الفردية وحساب الاحتمالات ، والذين يستطيعون اليوم أن ...... «الكوانتا» وما أخرجه من نتائج ويفهمونها كما يجب «ذلك» يشتركون في التقدم الإنساني ...... من هذه الناحية الجديدة الخاصة بالاحتمال والمصادفة والتي يظل اسم بولتزمان علماً عليها

وعند هذا البحث الخاص بالطريقة ...... فكر القارئ أن النظرية الميكانيكية قد ساعدت جداً على فكرة الجزء ، وأوضحنا كنهه وطبيعته ...... الآن ...... ، بحيث أن ...... الميكانيكية جعلتنا نخرج من ...... أحد قوانين الطبيعة وهو قانون بقاء الطاقة وعدم فنائها ، ويذكر القارئ أن الميكانيكية ساعدت أمثال بولتزمان على تفسير بعض مظاهر الكون مما جعلهم يتوصلون إلى نوع جديد من التفكير الطبيعي ...... لمعظم معارفنا (البقية في ذيل الصفحة التالية)

---

(1) ريشنباخ Reichenbach الأتوم والكون في ترجمة فلاسيون بباريس

(1) هذا البحث نشرته مختصر المجمع العلمي الفرنسي في ...... سنة 1934

(2) ...... كتابي «الأجسام المعلقة في مياه الأنهار» الطابع ...... جزء 1934

(3) هذا البحث نشرته مع بيرو ...... بعنوان ...... في مختصر المجمع العلمي الفرنسي في مايو سنة 1938

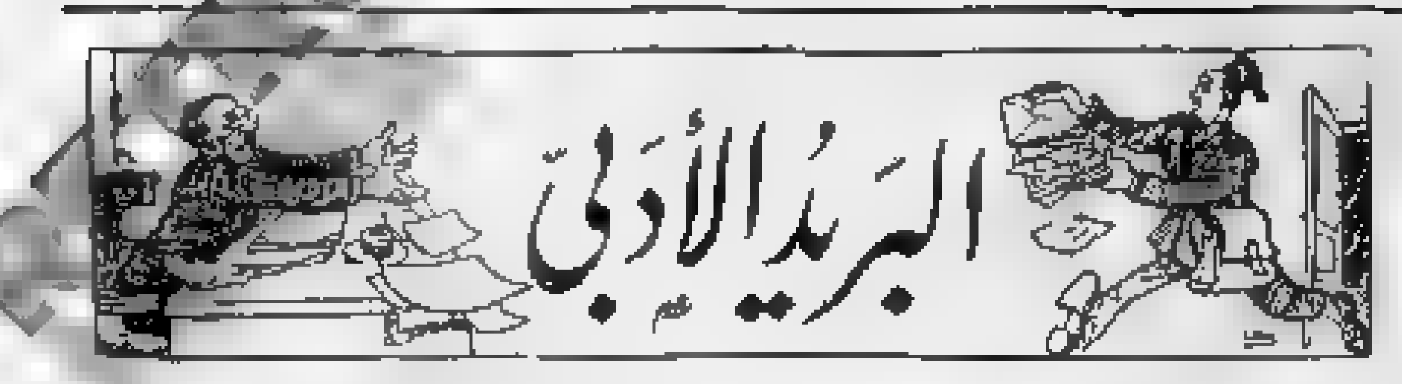

وفاة المغفور له الشيخ محمد شاكر

في صباح الخميس الماضي نعى الإسلام خطيبه والعلم إمامه من الشيخ محمد شاكر، فنعيه على المسلمين والعلماء وأهل الأدب، فقد كان — رحمه الله — رجلاً من رجال الجيل، وعلماً من أعلام الدين، وداعية بعيد الصوت صريح القول قوي البرهان.

ولد المرحوم الشيخ محمد شاكر في مدينة جرجا في منتصف شوال سنة ١٢٨٢ (مارس ١٨٦٦)، وحفظ بها القرآن، وتلقى مبادئ العلم، ثم رحل إلى الأزهر فتلقى العلم عن كبار الشيوخ في ذلك العهد، وعين أميناً للفتوى مع الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ العباسي المهدي في مارس سنة ١٨٩٠، وفي مارس سنة ١٨٩٤ تولى منصب نائب محكمة مديرية القليوبية، ومكث به حتى اختير قاضياً لقضاة السودان في سنة ١٩٠٠، وهو أول من ولي هذا المنصب، وأول من وضع نظم القضاء الشرعي في السودان على أوثق الأسس وأمتنها، وله في هذه المدة تاريخ مجيد لا يذكر مثله إلا من رجال الصدر الأول في الدولة الإسلامية.

ثم عين في سنة ١٩٠٤ شيخاً لعلماء الإسكندرية فوضع الأساس لتنظيم معاهد العلم الإسلامية كي تؤدي غرضها وتخرج للمسلمين رجالاً هداة يهدون للإسلام في بقاع الأرض.

وفي أكتوبر سنة ١٩٠٩ صدرت الإرادة السنية بتعيينه وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر، فنهض به بنور الإصلاح، وجاهد فيه حتى قوي واستوى على سوقه.

ولا عجب ما لم يستمر في منصبه ذلك، فاختير عضواً في الجمعية التشريعية في سنة ١٩١٣، واعتزل منصبه في مشيخة الجامع الأزهر.

ومن يومئذ خرج المرحوم الشيخ شاكر من قيد الوظيفة إلى ميدان الجهاد الحر في سبيل الله وفي سبيل مجد الإسلام، فكانت له في الصحف مقالات رائعة ما زال صداها يتردد في أقطار العروبة.

ولما نهضت الأمة المصرية نهضتها الكريمة في سنة ١٩١٩، كان من دعاتها الأولين ومن أشد المؤيدين لها، فكتب في الشئون السياسية عشرات من المقالات في الصحف المصرية، دلت على بعد نظره وصدق فراسته، على أنه إلى ذلك لم يكن له صلة مع حزب من الأحزاب السياسية في مصر، مؤثراً أن يكون قياده في يده لا يصدر إلا عن رأيه.

وهكذا فإنه لم يدع مسألة شرعية أو اجتماعية يستطلع الرأي حولها إلا قال فيها كلمته، صادعاً بأمر الله، معرضاً عن المنكرين، وكان من أبرز صفاته صلابته في الدين، وشجاعته

وهكذا استمرت فكرة ليبنز[1]، هذا الفيلسوف الألماني الذي طالع في سن مبكرة جداً أعمال كبلر Kepler وجاليليه Galilée واستوعب ديكارت، والذي حذق الرياضة في سن الشباب.

وسيستمر الجيل بعد الذي كشفها، من تقسيم المادة إلى ذرات، ويرى كيف عبثت الكيمياء، وانحصرت في هذا الباب وستنحصر بالفعل، بعد حين في الذرة Atome ليرى هذا العالم العجيب، والنظام عينه لا يحدث في داخله، وربما يجمع طرفاً من أعظم ما عرفه من الكون.

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

(١) ليبنز ولد في ليبزج سنة ١٦٤٦ وتوفي في هانوفر سنة ١٧١٦

في الرأي والمشورة ، رحمه الله — على النهج عاهداً لا يملك كله إلى الله ، لا يرى لأحد عليه سلطاناً ، ولا يعرف عليه حقاً ، حتى أصابه الفالج فألزمه فراشه منذ ثماني سنوات ، يعاني آلام المرض صابراً محتسباً راضياً عن ربه ، حتى جاءه الموت فمضى إلى جوار الله راضياً مرضياً

ولقد ترك أولاداً نجباء ؛ فمنهم الإمام العالم المعلوم بين المجاهدين لمجد الإسلام والعرب ، وأولاده الأساتذة : الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ علي شاكر ، وإلى صديقنا الأديب الأستاذ محمود محمد شاكر ، ومحمد محمد شاكر ، وإلى سائر أسرته والمتصلين بهم ، تتقدم أسرة « الرسالة » بالتعزية ، راجية ألا يخلي الله مكانه للمجد العربي المجاهد بأبنائه ، وأن لا يحرم الله بنوبته ...

وفاة الأستاذ فليكس فارس

نعى أسرة الرسالة إلى قرائها عضواً من كرام أعضائها كان له في كل ميدان من ميادين الأدب صولة ، وفي كل باب من أبواب الإصلاح مدخل ؛ ذلك هو العالم اللغوي والسياسي الخطيب والكاتب الشاعر الأستاذ فليكس فارس ، توفاه الله في منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء الماضي في مستشفى المواساة بالإسكندرية عن سبعة وستين عاماً وهو أنشط ما يكون عملاً لأسرته وقومه

ولد المغفور له بالريحانية من قرى لبنان الشمالي من أب عربي ونشأ في رعايته ؛ ثم درس العلوم وثقف الأدب في المكتبتين العربية والفرنسية ؛ ثم زاول الصحافة وجاهد في سبيل استقلال بلده وحريته بلسانه وقلمه ، ومكث حيناً من الدهر يرفع الشكوى للسلطان ويمجد الرجاء للشعب ، ثم خلف الرجاء الهم في وجهه النظر ، وما لبث الرجل الكريم أن وفد إلى مصر منذ ثماني سنوات وقامة النائي عن أهله ، فأكرمت مصر مثواه ووجد فيها كثير من المحبين في بلدية الإسكندرية ترجمان قدير ، فحسبوه فيما بعد من السهر ... من الأستاذ هو وأمه الحنون وزوجه العطوف وبناته الحبيبات ... ومثل الخاص والعام ، ووضع صلاته بأدباء الإسكندرية والقاهرة ، فكان من عوامل الإدراك في نهضة الأدب والفكر ... اتصل بعد ذلك بأسرة الرسالة والرواية فاختصهما بنتاج قلمه وثمرات فكره ، حتى أسلم الروح في الشهر الأخير وما برح يقبل على عمله ؛ وهو ... كما يجد الفرد من الحق والخير ، من القلب والأمل من الحياة ، والله وحده يعلم مبلغ ما خلف من الأسى المستور في نفوس أهله وأصدقائه وقرائه

كان الأستاذ فليكس فارس من أنبل الناس خلقاً وأصدقهم شعوراً وأبعدهم همة ، وكان مفطوراً على الأخلاق العربية النبيلة والروح الشرقية السامية ؛ يدعو لها ويدافع عنها ويحض عليها . وكانت الأديان السماوية الثلاثة قائمة في نفسه مقام الوحدة المتسقة لا يرى بينها فرقاً ولا حداً ولا معارضة ؛ فهي في رأيه ثلاث طرق تؤدي إلى غاية واحدة . لذلك كانت كتابته في الإصلاح الديني والاجتماعي ... كل ... ولسان كل ... وكان ... [illegible] ... فليكس فارس ... وأدبه ... رحمه الله رحمة واسعة ، وألهم أهله وصحبه الصبر على فقده

كتب المؤلفات الإسلامية

بعث إليّ أستاذي وصديق المستشرق ... بثبت ما يصدر في العام الرابع سنة ١٩٣٨ من الحلقة التي تخرجها في باريس كل أربعة شهور في السنة . وهذا الثبت نفيس جداً ، لأنه موقوف على إثبات المؤلفات المختلفة التي ظهرت في السنوات الأخيرة وموضوعاتها شئون إسلامية ومسائل عربية . وهذه المجلة تهم ما يعرض له علماء ... وهكذا يجد المطلع والباحث عن غرض ... الخاص بالشرقيات سواء في الغرب أو في الشرق ... وأين هذا في مصر ونحن ندعي زعامة ؟

وقد بنيت المؤلفات على هذا الترتيب ... تاريخ العلوم في البلاد الإسلامية — الفلسفة والكلام — فقه اللغة والتربية (وفي فقه اللغة ما يتعلق بالعربية والبربرية والفارسية والتركية) — الاجتماع وأحوال الأمم (ومنها ما يتصل بتحول البلدان الإسلامية ، والمرأة ، والزواج ، والسكن ، والبداوة ، والنظام ، والحرب ، والاقتصاد السياسي ، ثم العادات والعقائد الشعبية) ، ثم ...

الشعرية ، والأدب العربي والفارسي والتركي والهندي ، العربي — القانون والتشريع والتدبير — الفقه والتصوف والفرق الاستعمار الأوربي وسياسة العصر — الفهارس والسير

وقد تميزت طائفة من المؤلفات بملاحظات موجزة مفيدة من حيث إنها ترشد القارئ إلى أوجه المشابهة والطرافة وتنبهه إلى مواطن الفضل أو الضعف . وحبذا لو قاموا بالتعليقات لو لم يسبقهم [illegible] صاحب كتاب « الكشي »

ومن المؤلفات العربية الحديثة : « فقه اللغة العربية وخواصها وسرها » للأب أنستاس ماري الكرملي ، و « إحياء النحو » لإبراهيم مصطفى ، و « زاد المعاد » لميخائيل نعيمة (لا نعيمة كما ورد خطأ) و « مع المتنبي » لطه حسين (وقال المستشرق الأخير في هذا الكتاب إنه مقتبس مما ألف في المتنبي حديثاً في أوربة)

بشر فارس

الرمزية وأبو تمام

عقب الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى مشكوراً على ما ذكرته عن أبي تمام والرمزية ، وأرجو أن يثق الأستاذ أني لم أقصد الانتقاص من الرمزية فإني أعتقد أنها صادرة عن ضرورات النفس البشرية في بعض حالاتها ومظاهرها ويستوي في الاتجاه إليها العالم والجاهل ، ويستوي الفيلسوف والشاعر والرجل من عامة الناس . ولعل من أدق التجارب السيكولوجية أن يعرض الباحث مظاهر الرمزية في أحكامهم اليومية وأقوالهم وآرائهم التي يرجعونها إلى الحس والتفكير ، وقد لا يكون من مظاهر العقل الظاهر ، بل بعض المبادئ والآراء الأخلاقية إنما هي رموز تؤثر في إحساس كثير من الناس وتدفعهم إلى أعمال الخير والشر من غير إدراك ما للعقل الظاهر . والرمزية في الأدب الحديث في أوربا في بعض نواحيها محاولة دراسة ما في أعماق النفس مما لا يصل إليه التفكير المنظم . ويمكن هذه الدراسة بين طريقين مختلفين معروفين ، فهي قد تكون إبداعاً في غير التفكير على غير هدى . وليست كل الرمزية محاولة الفنان السيطرة على نفسه وإلهامه من جهة ، بل لها أسباب كثيرة ، وقد يكون أشبه بإشارات الصناعة التي تشير إلى حقائق ثقافية معروفة ، أو أشبه بمصطلحات الفلاسفة أو رموز الكيميائيين ، وقد يكون صياغة في النفس [illegible] عن مزج بالجسم . وهي قديمة جداً نجدها في أقوال كهان المعابد ، كلماتها وتجدها في الأحلام المشهورة . وقد استخدم الرمزية أدباء كثيرون ، فمنهم من يستخدمها ومنهم من يستخدمها

وإنما التمحيص يستخدمها ، وكل منهم يستخدم أكثر من أبي تمام ولكنهم لا يحسبون في حساب أدبائها [illegible] من عند أبي تمام من أسباب ، ولكنا إذا عملنا ذلك وجدنا حظاً كثيراً من أدبائه وسلكنا في حسبهم من لم يحسب في الأدباء [illegible] من أسبابه . ونستطيع عد كتاب الزوزني الإنجيلي من كتبها وهو أقدم من زمن أبي تمام . ومعاذ الله أن أخالف أبا تمام فيما قال . وقد كان كثير من شعراء عصره يكثرون من استخدام رموز التشبيهات والكنايات والاستعارات كما فعل أبو تمام ولكنهم لم يعدوا من شعرائها . وقد وجدت أن أحسن أمثلة الرمزية هو أمثال أكثر الشعراء الذين لم يعدوا من مذهبها . وقد كان أحسن استخدامها لأنهم لم يقطعوا الصلة بين معانيهم وبين العقل الظاهر كل القطع ، بل استخدام العقل الظاهر ألزم وأوجب عند بعث خفايا النفس ، كما أن استخدام الآلة لغته وصفه ألزم وأوجب في غير الظلمات . فإذا كان هذا أيضاً هو رأي الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فلا مانع عندي من عد أبي تمام من شعراء الرمزية

عبد الرحمن شكري

بشر فارس ومصطلحاته

صديقي بشر أديب جليل وعلامة متبحر في الموضوعات التي يديرها مستقيماً في بحثه ويستقصي بها على وجوهها بالبحث والتمحيص

على أن الدكتور بشر فارس بعد ذلك لا يتحرج في الكتابة الأدبية الإنشائية ولا يصلح كاتباً ناقداً ولا ينجح في أن يكون صاحب مطالعات ونظرات مثل « البواكير والتوابع » التي تطرب النفس من حين إلى حين . ولا أدل على ذلك مما نجده من البهم في الكتابة من الرقعة التي يكتبها

نزل هذا بمناسبة ما كتبه في العدد الأخير من « الرسالة » تعقيباً على ردي على بعض مراجعتي عن « توفيق الحكيم » ، وأنت تجد سطراً كله عن هذه قد انصرف من الرد على الإشكالات التي أثرتها حول [illegible] نقده وللآخر [illegible] الحجة التي أحدثها في كتبه إلى بحث مشكل يدور حول افتراض التيسير لبعض المصطلحات الفنية التي يرى هو أنه استحدث في اللغة العربية على أساس الأخذ على حد الكلام الحديث الذي خرج به [illegible] العصا [illegible] أجملها ما يلي :

أولاً — يعتقد صديقي بشر وحده دون كل المشتغلين بصناعة القلم في الشرق والغرب أن المصطلحات الفنية التي يضعها كاتب مثله لهذه الكتابة وحده .

ثانياً — هذا الاعتقاد الخاطئ الذي جرى به صاحبنا يتناقض مع الفكرة الصحيحة التي ترى أن صحة المصطلحات الجديدة ليس في وضعه وإنما هو في جريها على أقلام الكتاب. والدكتور بشر فارس رائع في هذا التناقض حين يقول: «إني فرحت فرحاً شديداً لما أصبحت أستعمل في مقالاتي بعض تراكيب جرت على قلمي ... وما فرحي إلا لأني أرى تراكيب اجتهدت في سياقتها تنطلق على الأقلام، وكنت أخشى أن تموت يوم ولدت».

ثالثاً — إذا كان الدكتور بشر فارس يرى حياة المصطلحات في جريها على الأقلام، فهل هو يرى من الحتم أن يشير الكاتب حين كتب إلى مراجع الاصطلاحات التي استحدثها والتي أخذها من غيره والتي دارت على الأقلام وجالت على قلمه؟ وإذا كان لا يرى ذلك فكيف يقبل أن كثيراً من الاصطلاحات تجري على قلمه وهي ليست له وهو لا يشير إلى أصحابها حين يكتب، مثل ما كتبه في مقدمة لمكانه (بعدد الرسالة ٣١ ص ١١٧٦) من أن التعبير «جملة صلات اجتماعية» الذي جرى به قلمنا في بحث لنا عن «خليل مطران» أصلاً في كتابه «مباحث عربية»، وهو ... ما كتبه في العدد الماضي من الرسالة؟

رابعاً — نسب إلينا الدكتور بشر فارس أننا اقتبسنا تعبير «جملة صلات اجتماعية» منه وأننا لم نحسن استعماله في مجرى حديثنا. وقد رددنا على الوجه الأول حيث إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه. وردنا عليه في الوجه الثاني من عرضه هنا وجه اتساق التعبير وموضعه من الكلام.

خامساً — خرج الناقد في رده بسؤال عجيب هو: إذ كان ... في كلامنا في المصدر الذي أشرنا إليه، وهو بحث للسيد الروسي «المؤسسات الإسلامية»، ما نظير تعبير «جملة صلات اجتماعية» في الفرنسية؟ وهذا سؤال لا معنى له حصراً وإلا فإن الفرنسية التي تنظر إليها العبارة العربية ليست من صلب ... ذكره في كتاب العالم الاجتماعي «دوركايم»، ومصوغة في مجموعه ... على هذا الأسلوب في السوربون، ص ١١، ١٣، ٢٦، ٣٠، ٨٠.

ومن الأعاجيب التي أتى بها الدكتور بشر فارس أنه ذهب يتحدث عن معرفتنا الفرنسية وهو لم يتمكن من الإلمام بهذا التعبير كأن الأمة الفرنسية تملي عليه، وكأن محاضرات «دوركايم» لم يطالعها سواه ... الباريسيون، ولم يحضرها السوربونيون.

سادساً — قال الدكتور بشر فارس إن عبارة «توفيق الحكيم يحكم سير الرواية ويحكم الحوار ويحكم هيئة البيئة ...» التي وردت في موضعين من بحثنا عن توفيق الحكيم (ص ٣٥٧ من العدد ص ٣٦٨ س ١٩ — ٢١ من الطبعة الحديثة وص ٦٥ من العدد وص ٧٦ س ١٩ — ٢١ من الطبعة العامة) مقتبسة منه، ولكن هل اقتبسناها منه ولم نشر إلى مصدر الاقتباس؟ هذا هو الموضوع في الواقع. وتأكيد الرد على الدكتور بشر فارس في هذه النقطة نفسها: فهو يقول في تعقيبه على اعتراضنا على «توفيق الحكيم» في الرسالة عدد ٣١ ص ١١٧٥ س ٢٥) بعد أن ذكر هذه الجملة: «وقد استشهد الدكتور أدهم من كتبه بهذه الجملة من ص ٣٥٧» ثم معنى الاستشهاد؟ معناه أن العبارة أسندت إلى الدكتور بشر فارس، وإذاً فلا معنى لتثبت الدكتور بشر ... والنهاية الاعتراض الذي يجعل الاستشهاد بالمصدر وإلى المظنة مكتوب ...

سابعاً — ارتأى الدكتور بشر فارس أن عبارتنا التي تتعلق في الكلام عن الرمزية عند توفيق الحكيم (ص ٣٦٦ من طبعة مجلة الحديث وص ٩٩ من الطبعة الخاصة) ذات أصل من مسرحيته «مفرق الطريق» ومن مقالاته عن الرمزية في الرسالة. وقد يكون هذا صحيحاً لا يخفى عليه بيد أن تكون عبارته عن الرمزية قد علقت بذهننا حتى جرت في بحثنا ونحن نعرض الفكرة الرمزية عند الأستاذ توفيق الحكيم، وذلك بحكم قاعدة التداعي. ومما يدل على صحة هذا التعبير ما يرى من التحوير والاستبدال في بعض المصطلحات التي تضمنتها العبارة المذكورة مما يدل على التمثيل Assimilation من حيث إدارة العبارة في ذهننا وتصحيح بعض المصطلحات ...

وكنا نود أن نختم هذه الكلمة لا ينبغي — وأنا أرد الأشياء إلى مراجعها — إلا أن أذكر الدكتور بشر فارس بأني حين أكتب العربية فإنما أكتب بلغة غير لغتي الأصلية، ومن هنا ... ما يجري على قلمي من التعابير اللامعة لكتاب اليوم أستعير كما ... الذي في ذهني من مأثورهم، ولعل في ذلك بعض ما يشفع لي في بعض ما رأى ويرى. والسلام

إسماعيل أحمد أدهم

الإجـــابة

لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

[تأليف الإمام الزركشي وحققه الأستاذ سعيد الأفغاني]

للأستـــاذ خليل

الأستاذ سعيد الأفغاني — الدمشقي الشامي — معلم مؤمن، وعامل مهذب، وأديب محقق. ومن رافقه وقرأ أقواله ظهرت له هذه السجايا والمزايا ظهوراً. ومن حظنا هذا السيد أن يطرفنا من تأليفه أو نشره من كتب السلف الصالح. تصنيفه (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام) أسفاره طريفة ذات منفعة. وكتاب (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الإمام بدر الدين الزركشي) الذي أظهره اليوم — من أدلة هذا الإطراف. وفي هذا الكتاب شيء من غرابته وطرافته.

ومن نشر الباحث مؤلفاً قديماً محققاً إياه تعمير الأستاذ الأفغاني كتاب الإجابة — تأليف وزيده.

وعمل العرب اليوم في هذا الوقت — كما يرى أكثر العقلاء — إنما هو نشر مصنفات الأقدمين ونقل مقالات الغربيين بنص عربي، وحسبهم في ذلك أن البحث أحسن وأن يبين عنه العرب الوطني، والمؤلفون اليوم لا يبتكرون إبداعاً ولا اختراعاً، على أن حاجة العرب العظيمة إلى ذينك النشر والنقل لا تصد عن التأليف فلينشر الناشرون، وليقبل الناظرون مكثرين، وليؤلف بعد البحث الطويل، والتفكير الكثير، والمراجعة العديدة — المؤلفون مقلين، مقلين.

* * *

الحديث والمحدثون في الإسلام علم عجيب، وليس في الأمم أمة عنيت بما عنيت به كل صاحب محقق عنايتها بأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم). ومما يدل على هذه العناية الكبرى أن أقواله (صلوات الله وسلامه عليه) لم تقيد بالكتاب في زمنه، ولا أيام صحابته (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولم يكن إلا الألسنة تنقل أو تروي «وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفاً»[1].

وعند أهل السنة أحاديث ثابتة من الإمامية، ومع هؤلاء ما لا تعرفه جماعة السنية، وعند الصوفية والإسماعيلية وسائر الباطنية غرائب تنكرها تلك الفرقتان. وقد بذل الأئمة (رحمهم الله) المجهود بل فوق المجهود في أمر الحديث ورجاله، وألفوا في مؤلفاتهم وصنفوا، وأخرجوا كل نوع منه ومن رواته «التصحيف والجرح، فقد كانوا في دقتهم وتحريهم واحتياطهم وإتقانهم معجزة الشرق الإسلامي»[2].

وليقرأ من أدلة الإلمام باهتمام القوم (مقدمة ابن الصلاح) في علوم الحديث، ففيها إشارات بينات؛ وهي في هذا الفن مثل مقدمة ابن خلدون في بابها كما قال فيه الشام كله العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار.

ومن أدلة الإحصاء أو الاستقصاء في شأن الحديث، ومن بدائع التنويع والتخصيص فيه كتاب (الإجابة) الذي صنفه الإمام الزركشي، وحققه وأنشأ مقدمته وعلق عليه وفهرسه الأستاذ سعيد الأفغاني.

* * *

يبدأ الكتاب بمقدمة الأستاذ الأفغاني، وقد نشر شيئاً منها في العدد (٣٠٤) من «الرسالة» الغراء، ذكر فيها مطنباً موضحاً مكانة أم المؤمنين (رضي الله عنها) وسيرة المؤلف وأسماء مصنفاته الثلاثة والثلاثين.

ويجيء بعد ذلك مقدمة المؤلف وقد أشار إليه عقيب (الإجابة) في مقالة له في الجزء (١٩) من «الثقافة» الغراء.

ويتبع الباب الأول في سيرة «السيدة» (رضي الله عنها) وخصائصها وفيه فصلان. الفصل الأول في ذكر شيء من حالها؛ وقد جاء فيه:

«رُوي لنا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألفا حديث،

---

(١) ابن خلدون في المقدمة في الفصل السادس في علوم الحديث

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته في كتاب الإجابة

وستًا حديث ، وعشرة أحاديث » ، (٢٢٦)

ومن هذا الفصل « - عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، ثم قالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغتها آذنتها فأملت علي: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم »

قلت ، وفي (كتاب المصاحف) للسجستاني نحو من هذا ، وعزا الزمخشري هذه الحكاية إلى حفصة (رضى الله عنها) وقال في كتابه أيضاً « وروى عن عائشة وابن عباس (رضى الله عنهم) والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو ، وقرأت عائشة (رضى الله عنها) والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص » وعزا رواية في الطبري إلى أم سلمة (رضى الله عنها) وذكرت رواية فيه حميدة ابنة [1] أبي يونس لا أبا يونس . وقد أورد الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان) روايات كثيرة ، كلها تبين الصلاة الوسطى فقط منها ما كان الروايتان

« خلاد عن أبي أيوب عن عائشة أنها قالت : الصلاة الوسطى صلاة العصر . عن سليمان التيمي عن أبي أيوب عن عائشة مثله »

[illegible] رضى الله عنه [illegible] وفي [illegible] من « الرسالة » [illegible] أن [illegible] ، وجاء في مقتضياتها : « إن كل كتاب كل أمة أو ملة فيه تبديل وتحريف وفيه زيادة ونقصان ، وفيه الخطأ والغلط ، وكان كاتبه غير صاحبه [illegible] (ذلك الكتاب لا ريب فيه) ، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) »

الفصل الثاني في خصائصه (رضوان الله عليه) وهي ثلاث وستون ، وقد بين المؤلف كل خاصية من هذه الخصائص أو الخاصيات . قال في السادسة عشرة : « تخييره صلى الله عليه وسلم أن يعرض في بيتها . قال أبو الزناعيل (رحمه الله) : انظر كيف اختار مرضه بيت البنت ، واختار موضعه من الصلاة الأب ، فما هذه المنزلة من هذا الفضل والمزية ؟ »

وقال في السابعة والعشرين : « جاء في حديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء [2]) وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي (رحمه الله) يقول : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي »

قلت : بطلان ذلك القول خاص مثل الخصر [illegible] الإمام العلامة الكبير (علي القاري) في رسالته في [illegible] « وعني نصه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً وذكر أموراً كثيرة » منها أن يكون الحديث باطلاً في نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلامه كحديث (إذا غضب الرب [illegible] الوحي بالفارسية ، وإذا رضي أنزله بالعربية) وحديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) وحديث [illegible] لم يكن له ما يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى) فإن اللعنة تقوم مقام الصدقة [illegible] »

ويلي هذا الفصل الباب الثاني والباب الثالث في استدراكات (رضي الله عنها) على أعلام الصحابة (رضي الله عنهم) وعدد الرجال فيهما ستون استدراكاً ، وفي الأول أربعة وعشرون استدراكاً وفي الثاني أحد عشر استدراكاً وقد ذيلهما بفصل فيه استدراكات ، نقلها من (مسند أحمد) - رحمه الله - وهي تدل على عظم تنقيبه واحتفاله في البحث

* * *

جاء في الباب الثاني من الاستدراكات على عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) : « أخرج البخاري ومسلم من طريق عمرو بن عبد الرحمن أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة » [illegible] الإمام المؤلف الفصل ذكر زياد بن أبي سفيان (رضي الله عنه) كما ترى ، وإن في هذا العصر شيئاً من النسبة على وصفه أساطير في أمثال كتاب (العقد [illegible]

إن زياد بن أبي سفيان (رضى الله عنهما) من أبطال العرب ومن رجال الإسلام الكبير ! فليعلم ذلك من يجهل

ومن استدراكاتها على ابن عباس (رضي الله عنهما) [illegible] عن ابن عباس [illegible] وظنوا أنهم قد كذبوا [illegible] فأخرج البخاري في الصحيح عن أبي مليكة قال ابن عباس : (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا) خفيفة ذهب بها هناك وتلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟) فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرأها (كُذِّبوا) مثقلة »

قلت : القراءة بكسر الذال والتخفيف هي المشهورة ، وهو معنى عن الذي حكاه ابن عباس . وقرئ بكسر الذال مشددة بفتحها مخففة ومشددة وفي (جامع البيان) للطبري (الجزء ١٣ ، الصفحة ٤٧) روايات

---

[1] [illegible] الأصل في خطها وهي عندي لا تصح
[2] قلت : في النهاية : تصغير الحمراء يريد البيضاء [illegible] وفي اللسان : العرب تقول [illegible] حمراء ، أي بيضاء

صوبت هو الذي هو مراد هذه الآية وتفاسيرها

وقال (الكشاف) في قراءة ابن عباس وتفسيره: «وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أُخلفوا ما وعدهم الله من النصر، وقال: كانوا بشراً، وتلا قوله: (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح»

ومن استدراكها على أبي هريرة (رضي الله عنهما):

«عن أبي هريرة قال: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً) فقالت عائشة رضي الله عنها: لم يحفظ الحديث، إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به»

قلت: إني من مخطئي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) بعده، [illegible] من يجهل السبب في وحي آية الشعراء.

قال الإمام الطبري في (جامع البيان): «قال عبد الرحمن ابن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرأيت قول الله (جل ثناؤه): والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون. فقال أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخره. فقال: فرّجت عني يا أبا أسامة فرّج الله عنك!»

وقال الكشاف في تفسير الآية: «هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي، ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم»

وروى الزمخشري عن الخليل: «كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له»

وجاء في (الإجابة) في باب الاستدراك: «قال أهل التفسير في قوله تعالى: (والذي قال لوالديه) إن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد، قال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية[1]، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: أيها الناس، هذا الذي قال الله فيه (والذي قال لوالديه أف لكما) فغضبت عائشة وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله»

قلت: روي فضيض وفظاظة وأنكرها الخطابي، وفي أكثر كتب الحديث وغريبه وكتب اللغة التي روت هذا الخبر أو شيئاً منه — (فضض) بالفاء.

وهذا الحديث في (البخاري) وقد أشار إليه الزركشي ولم يورده، وهذه رواية أبي عبد الله (رحمه الله):

«عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني) فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»

ومن استدراكها (رضي الله عنها) على أزواجه (صلى الله عليه وسلم) رضي عنهن: «أخرج البخاري ومسلم عن عروة عن عائشة أنها قالت: إن أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) حين توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت عائشة لهن: أليس قد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا نورث، ما تركنا صدقة»

ويضم هذين الكتابين والذيل في الاستدراك كتاب الأفغاني فهارس: فهرس الكتب، فهرس الأعلام، فهرس الجماعات، فهرس الأماكن، فهرس الكتب، فهرس الموضوعات

* * *

إن هذا الذي حليته إنما هو إشارة إلى كتاب (الإجابة) لا تبيين ولا توضيح، ومن شاء من الفضلاء أن يعرفه ويستفيد منه اشتراه وقرأه، ووجد الفوائد، وأثنى على (السيد) المحقق بارك الله فيه، وأكثر في شباب العرب والمسلمين من أمثاله

(القارئ)

(١) قلت: روى الحاكم: (أجئتم بها هرقلية قوقية تريدون أن تجعلوها لكم، كلما مات ملك قام ملك) يعني بالهرقلية والقوقية ... قول الناس ... يرد البيعة لأولاد الملوك سنة الروم والعجم

7me Année No. 314

Lundi 10-7-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البديولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣١٤ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ يوليه سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهرس

من ذكريات العهد التركي في بغداد

حدثني المرحوم الزهاوي ...

كانت تركية القديمة – عهد عبد الحميد – كانت في دول الأرض معنى من معاني الإرهاب حروف لفظه السيف والسم والسجن والنفي والسوط، جمع في يديه القوية أطراف الشرق والغرب، ثم أدارت حول تاجه الرهيب هالة من جلاله الرسول عنت لجلالها الوجوه، وخشعت لسلطانها الأفئدة؛ ولكنها لم تستطع أن تمسك عليها نفوذ الروح [illegible] الدعي وعبقرية البيان، كما عنق العرب، فظل [illegible] أمام سموم الثائرة عابسة الوجه [illegible] [illegible] [illegible] مشهورة السيف؛ فحرمت ذلك الوقت نصيبها من طمأنينة السلم ودعة العلم وسعة العمران، وكان ولاتها على الأمصار العاصية يحكمون الناس بهذه العقلية [illegible]، فيطمرون الأئمة وينشرون الرهبة ويغصبون الأموال والأنفس بالضرائب والرشى والمصادرة والقتل. فإذا طال الولاء، [illegible] الوالي [illegible] (الآستانة) وأراد الباشا أن يفكر في الدين أو في العلم أو في الإصلاح دل على ضم عليه وقصة عجيبة!

كنا ذات يوم نتحدث في هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس في ندوة السيد صبحي الدفتري [illegible] بغداد يومئذ، وهي ندوة تقوم في داره المسماة

حتى يوم الجمعة من كل أسبوع فيسعى إليها الوزراء والزعماء والأدباء والندماء فيكون لكل حديث منهم حلقة وحديث . ولكن الزهاوي يومئذ يكون أقرب إليه الأدب ويخفف عنه الضوء ؛ لأن جميلاً كان آية الله في فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة الحديث . وكان له في إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان النفس من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع

* * *

كان الحديث أول ما جئنا دائراً بيني وبين السيد ناجي الأصيل على أثر الحرب وأوزارها ومصائب مواهب الترك لم تدع لهم كفاءة في السياسة والثقافة ، وتحدثنا عن الأمثال على ذلك مما جرى في العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوي يحاسني ؛ ولكنه كان مشغول الأذن بكلمة مقاطعة في الجهاد والرصافي أقبل إليه في خفوت وحيف . فلما فتر حماسه وأطار عنها القائل بسمة وهمهمة وسيكارة ، أقبل علينا ليسمع طرفاً من الحديث فيقص له ناجية فقال : هو هو . إذا حدثتك مولاي عن جنى الولاة من الترك لا ينتهي الحديث ولا ينقضي العجب

ثم أرسل تلك المحاضرة وضحك ضحكته الساحرة فتنبه الجليس إلى أن الزهاوي سيحدث ، فسكت المتكلم وأصغى السامع وتهيأت النفوس للسرور الشديد والضحك الطويل ؛ وأخذ الشاعر يقول :

أرسلت إلينا الدولة العلية بعد حادث الربيع والدم من شكوى الجهل والفساد ، والياً يسير بالعراق في طريق الحضارة والعلم ؛ فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لي يومئذ يد في إدارة الصحيفة كما ريدت الدولة ؛ فقال لي الوالي ذات يوم : إنا نريد أن ننشئ مدرسة للبنات فاختر من دار تصلح أن تكون لها مكاناً . وكان تعليم البنت في ذلك العهد أملاً من آمال المصلحين تتطارح حوله الأحلام والمصير في غير طائل . فقلنا إن الرجل رحب الباع في الإصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الأسطح تجرح البنات من هنا ؛ والأسماع تسترق الأصوات من هناك ؛ حتى لم يدع في بغداد داراً إلا عابها عنده العيب من طريق التوهم أو التخييل ! وظهر من تصرف الرجل أن به بلاهة وعتهاً ، فخطر لي أن أتخامى عليه لأكشف حاله للناس فلا يستقيم حكمه . فقلت له : أنعم ! لم يبق في البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع

الرضى ، فقال الغبي بلهفة : هيه ! فحدثته إلى إسطبل [illegible](١) وحسناً موضعه ؛ ثم سكت هنيهة ثم نشر على شرفه السطح وعينه تتنقل على سطوح [illegible] وهي متطامنة تحت آذانه البالية ، حتى تشوق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم نعم ! هذا هو المكان الصالح .

ثم نزل وفي نيته أن يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليسع المدرسة ! فقلت له : مولاي ! لا بد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتفهمهم عملك فإنهم يجهلون سمو الرأي في ذلك التعليم . ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع . وسأدلك على أقرب الطرق لتحسين هذا الاعتقاد

إذا اجتمع الناس يوماً كتبت لهم الديوان جلست أنت في الصدر ، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف ، ثم تشعل (شمعات) وتأمر كلا منهم أن يعمل مثلك ! ثم تنحني فتذكر الله بصوت مرتفع على ضربات كفيك ونفس وأسلك من الشهيق إلى الجهر ، ومن الخلف إلى الأمام تارة ، وأنا وهم عاطفون من حولك تابعوك في كل كلمة وفي كل حركة . ثم حاول أن تحاكي الحال وتستغرق الذكر ، فكلما أزبد الفم وارتعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك أدعى للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتغدو بهم ساخرين إلى ما تريد

وصدق الوالي كل ما قلته له تصديقاً لا تعمله فيه شبهة . وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ما جاد . فجلس الوالي وعلى اليمين وأنا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وأمسك فأشعلت (الفلاليق) الطويلة ، وأخذ يذكر ويصرخ ونحن نرسم له ، والشيوخ يذكرون معه ثم طرفة يحسن شهوراً واستقر لهما ومظاهرة أنا بحدية الوجد وسكرة التجلي ضربت عليه بطربوش ، ثم أخذت بعمامته البيضاء ورأسه الأصلع ، ففعل في مثل ما صنعت به ، وأخذنا نتدحرج على السجادة فرماً كريم ، والشيوخ يصيحون بالذكر ، والناس يصيحون بالضحك ، وأنا والوالي قد ملكتنا حيا الولاية فضحكنا في صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفس . فجلسنا نسمع حيث نلهث من الأعياء ، وكلانا ينظر إلى صاحبه نظر الذاهل المتعرف إلى البيت المهجور . وذلك يا مولاي هو الوالي الذي اختير لتعليم العقائل وتصحيح الربيع

احمد حسن الزيات

(١) منارة جميلة طريفة من آثار العباسيين بجانب الشاطئ سقطت من حولها وتركوها قائمة وحدها إلى اليوم

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

٥

رأينا أن نقف وقفة قصيرة تحدثت فيها القراء قبل أن نأخذ في محاسبة الأستاذ أحمد أمين على الأغلاط التي وقع في مقالاته السالفة وهو يحاول تزهيد الناس في دروس اللغة العربية من القدماء الشعراء والخطباء.

فماذا نريد أن نقول اليوم؟

نريد أن نشرح الظاهرة العجيبة التي يجب شرحها حين وقف الجمهور صبوب المعارضة التي تنكر على الأستاذ أحمد أمين ، فقد انقسم ذلك الجمهور فريقين: فريق صامت ، وفريق غضبان

والفريق الأول يستأهل اللوم قبل أن يستحق الثناء

لأن هذا الفريق يمثل جمهور المشتغلين بتدريس اللغة العربية ، وهؤلاء قد ركنوا في الأعوام الأخيرة إلى التغاضي عن نقد ما يكتب أو يقال في السخرية من ماضي اللغة العربية . وقد يكون لهذا التغاضي أسباب: فهم في كدح موصول يشغل ما يشغل المدرس من ثقال الأعباء ، وهم قد رأوا المجادلات السياسية صرفت الناس عن المجادلات الأدبية ، وهم قد عرفوا أن كلية الآداب صار إليها الأمر كله في توجيه التلاميذ والطلبة إلى موارد الدراسات الأدبية ، فلا حرج عليهم إن انسحبوا من الميدان

تلك جملة الأسباب التي صرفت أساتذة اللغة العربية عن المشاركة في النقد الأدبي

فهل يعرفون أن سكوتهم هو الذي أطمع بعض الناس في أن يبغي ويستطيل؟

لو كانت كلية الآداب تعرف أن في مصر رقابة أدبية لما وقعت في المضحكات حين قررت أن تدرس لطلبة السنة الأولى أسلوب أحمد أمين وأن تمتحنهم في أسلوب أحمد أمين

ومن الحق جاء الامتحان!

أحمد أمين له أسلوب!

آمنت بالله

ومن هم المدرسون الذين يدرسون لطلبة كلية الآداب ذلك الأسلوب «الأحمدي»؟

هم شبان تخرجوا في كلية الآداب وهم يعيشون في مستوى التهيب أخرج الوظائف ، لأنهم يعرفون أن أحمد أمين من عمداء الكلية ولأنهم يعرفون أنه رجل سريع الغضب والانتقام وهم يعرفون — والأسفاه! — أن كلمة من أحمد أمين قد تقضي بعض المشتغلين على وظائفهم!

ولم يقف الأمر عند كلية الآداب بجامعة القاهرة — جامعة فؤاد الأول — بل تعداه إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية — جامعة فاروق الأول — فهنالك الأستاذ أحمد الشايب وهو الأديب الفاضل الذي ألف كتاباً نفيساً سماه «الأسلوب» وفيه نقرر أن أسلوب أحمد أمين له مزايا وخصائص

فهل لأحمد أمين أسلوب حتى تكون لأسلوبه مزايا وخصائص؟

* * *

أشهد مرة ثانية أن الجامعة المصرية أصيبت بمحنة!

الدكتور طه حسين الذي وقف منبر الزعفران في ربيع سنة ١٩٣٧ يلقي كلمة الجامعة في مهرجان شوقي ، ثم رأى أن تكون حصته في الاحتفال لا في شوقي بحجة أن الجامعة لا تؤرخ الأحياء ، هو نفسه الذي ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكلية الآداب!

فكيف يكون الحال لو اعتدل الزمان وغيبت كلمة شوقي في التدريس بكلية الآداب؟

أيستطيع إنسان أن يعرض على مدرس أن يعترف بأن أحمد أمين له أسلوب؟

وماذا يقول الشبان الذين يفدون من أقطار الشرق وقد عرفوا من قبل أن أحمد أمين قد يكون من الباحثين ولكنه لن يكون من الكتاب ولا الأدباء؟

وكيف يكون موقف أهل الأقطار العربية إن عرفوا أننا ندرس أسلوب أحمد أمين كما ندرس أساليب المنفلوطي والمويلحي وهيكل وطه حسين والزيات؟

أتريدون الحق؟

إن أحمد أمين لم يكن له أسلوب يدرس في كلية الآداب إلا لأنه أستاذ في كلية الآداب ، وإلا فكيف غاب عنهم أسلوبه من أساتذه

الأزهر وأساتذة دار العلوم وهم لم يلتفتوا إليه حين التفتوا إلى أساليب الكتّاب في العصر الحديث ؟

إن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يجني الثورة على ما يكره ، والأنس بما يحب ، فعندئذ يعرف نفسه معنى الاختلاجات الذاتية ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص

فهل اشتهر أحمد أمين بالقلق الفكري بعض سنين ، وهل رأيتم له مقالاً أو قصة تدل على أنه توجع مرة واحدة للمآسي الإنسانية ؟

لقد عاش أحمد أمين مدة الحرب ، فهل سمعتم أو سمعوا من أنه عانى الأزمات ؟

لو كان أحمد أمين أديباً لحدثكم عن تلك الحروب التي يجهلها المصريون

ولكن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً غافلاً لواجب الوظيفة لا يرى ما تعداها من الشؤون ، ثم قيل له : كن أديباً فكان !

* * *

وهنا أوجه القول إلى من أعماهم هوى على الأستاذ أحمد أمين

فمن هم أولئك الغاضبون ؟

منهم محامٍ أصدر أكثر من كتاب في الحياة الأدبية والاجتماعية وقد كتب إلى صديقين يدعوني إلى الترفق في الهجوم على هذا « الأديب »

وهذا المحامي الفاضل يعجب من أن أصحح رأي الأستاذ أحمد أمين في القرآن ، وهو يظن أن اللذات الحسية التي سينعم بها المؤمنون في الجنة إغراء من [illegible] روحية

وأقول إن القرآن وعد المؤمنين بأنهم سيكون لهم في الجنة نعيم مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، وسيقال لهم : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية »

وظاهر النصوص هو الأصل ، فهل يرى هذا المحامي الفاضل أن نؤول كلام الله ليصح كلام أحمد أمين ؟ !

ومنهم كاتب مشهور أخذ يوسوس [illegible] بأن زكي مبارك مولع بهدم الرجال ، وأنه لو هدم عملاً لمعاصريه لخاصمته [illegible] بلا رحمة !

وأنا أترك الرد على هذه التهمة لمن يعرفونني معرفة شخصية من أمثال العقاد والمازني وهيكل والزيات ، بل [illegible] التهمة عصره الأستاذ أحمد أمين

كيف يصح [illegible] على هذه التهمة وأنا الكاتب الوحيد الذي [illegible] فتحدثت عنهم في مقالاته ومؤلفاته بما يحبون وسجل آراءهم في الأدب بنزاهة وإخلاص ؟

ما هو السر الذي نطوي نفسي عليه حتى يستبيح الزملاء رميي بحب التناوش والتشاغب ؟

لقد تأدبت منذ أعوام طوال بأدب أبي منصور الثعالبي رحمه الله فتحدثت في رسائلي ومؤلفاتي عمن عاصرت من الرجال كما تحدث الثعالبي عن معاصريه من الكتّاب والشعراء

فكيف يكون [illegible] من هذا السلف النبيل ؟

إن أدباء العراق والشام ولبنان يشكرون عليكم ما [illegible] من حب الشعب والصبيان ، ومن جرائدهم ومجلاتهم وأنديتهم تحدث عن أدباء مصر [illegible]

بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأصرح بأني عاديت كثيراً من الناس في سبيل الدفاع عن أصدقائي من أهل الأدب والبيان وهو موقف لا تقف الشواهد على صحة ما أقول

فكيف يصح أن يتهمني أدباء مصر بالتحامل عليهم وأنا الذي أعلنت السعادة في الأدب المصري في كل بلد حللت فيه ؟

أيعني أن أدباء مصر يحبون أن يعيشوا مدللين في زمن لا ينفع فيه الدلال !

الحق أنهم [illegible] الماضية من معارك النقد الأدبي ، فهم يفرحون كلما هجمنا عليهم لنعود إلى مهادنتهم من جديد

ولو أنهم فكروا قليلاً لعرفوا أني أوقدت الزكاة من النشاط المصري [illegible] في كل أرض أن الأدباء المصريين يشكرون للنقد الأدبي ولم يوجد يعرفون معه مغالبة الجد والعناء

* * *

وأوجه القول مرة ثانية إلى من أغضبهم هجومي على الأستاذ أحمد أمين فأقول

إن هذا الرجل أراد أن يؤرخ العصر العباسي من الوجهة الأدبية فجعله عصر مادة لا عصر روح ، وشاء له هواه أن يغض البصرة بحكم من أحكامه الفلسفية فزعم أنها فرحت بمقدم العباسيين .

هل خطر في بال هذا الباحث الفاضل أن البصرة عرفت أكرم نوع من نكران الذات حين كانت مهداً لإخوان الصفاء؟

هل خطر بباله أن البصرة حين آوت هؤلاء الباحثين العظماء صرفت التاريخ عن أن يشهد لها بقوة الروحانية؟

ومن الذي يصدق أن رسائل إخوان الصفاء وهي أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية وُضعت أصولها في البلد الذي زعم أحمد أمين أنه أنشأ أدب التطفيل؟

هل يعرف أحمد أمين من هو مؤلف «رسالة الطير والحيوان» وهي رسالة لم يُكتب مثلها في مشرق أو في مغرب؟

إن هذه الرسالة وضعت في البصرة، أو ألفها [illegible] من أهل البصرة، وإن كانت تصنيع هذه الرسالة عيباً للبصرة فهذه من فقه البهتان على لسان أحمد أمين؟

ثم ماذا؟

ثم استطاعت البصرة أن تنشئ مذهباً في النحو شغل الأمم الإسلامية نحو اثني عشر قرناً

ولو أن أحمد أمين كان يعرف أن المصريين لم يصلوا إلى ذلك إلا بقوة الروح، فكيف شاء له هواه أن يجسم أخطاء صداقته؟

ولو أن صديقي كان كما أحب من القوة والعافية لأكلت عن الأستاذ أحمد أمين وأوحت إليه من أحكامه الجائرة في الأدب والتاريخ

ولكن الله حكم بأن أكون من أصحاب الأرواح ممن يرون في مجاهدته خير شيطنة الروح، وفي الأرواح شياطين

وتحامل أحمد أمين على البصرة وعلى العصر العباسي هو الذي أغرى عليه، فإن كان في الناس من يتوهم أن بيني وبينه صحبة وأني أسيء صحبتي بتجريحه، فهو من الأغبياء وسيلقى جزاءه يوم الحساب

ولن ينقص عني من أهل هذا الزمان

فما كنت أظن أن أهل مصر يستكثرون على رجل أن يقول كل الحق لوجه الله!

ما كنت أظن أن من واجبي أن أكف قلمي عن رجل يتطاول على ماضي الأدب العربي وهو بشهادة نفسه غير أديب

أليس من الإزعاج أن يكون من تقاليد الصحافة الأدبية في مصر أن تحمد رجال الغرب وتشتم رجال الشرق؟

أليس من الرعج أن تكون عيوب [illegible] الاجتماعية محصورة على أسلافنا وهم الذين أشاعوا الثقافة الأدبية والعقلية في عصور الظلمات وهم الذين جعلوا أكبر [illegible] والفرس والروم؟

ليس من اللازم أن يعاقب من يثأر على ذلك الماضي المجيد، وإنما هي صيحة وإنك تشق صدرك بتكلف العبرة على ماضي اللغة العربية؟

إن الرجل الذي بعث الفضل في هذه القضية هو الأستاذ أحمد أمين، فليذكر من هدمه؟ ومتى حسب عليه؟ ومتى وقع بيني وبينه ما يورث الشحناء؟

إن أحمد أمين لم يوحشه إليّ أيه [illegible] وربما لاحظ أن [illegible] لم يزد نصيباً من معاصريه، فقد كان ولا يزال مثال الطيبة والعطف

ولكن أحمد أمين الذي كف شره عن الأفراد وجهه شره إلى التاريخ، فهو خصم ماضي الأمة العربية بلا تحرز ولا رفق ولو تركناه شهرين لاستباح الأدب على هوى حصر الأمة العربية فصوكه بين العالمين

فإن كان هنالك شيء فليكتب لوجه الله فهو ما أكتب هنالك يا صديقي أحمد أمين

* * *

أما بعد فقد نشبت معركة حامية حول ما سماه أحمد أمين «جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي» فإن اتسع صدر «الرسالة» فتلك معركة سيحسم الأدب العربي خصمه بأنه وإن ضاق صدر «الرسالة» عن هذه المعركة فسأنقل الميدان إلى مجلة أو مجلتين أو مجلات في مصر والشام والعراق، وحسبنا الله وهو نعم الوكيل

«مصر الجديدة» زكي مبارك

العصريون الراحلون

فليكس فارس

١٨٨٦ – ١٩٣٩

للأستاذ كامل محمود حبيب

ملكت الأمواج صناها على الأثر	وحضيناها [illegible] منه الشرر
تمايلت في اجتلاء صبوراً	عمر الناس كيف يحيي الصبور
ورأيت من حماه الجد منتزراً	على القبر كيف تحيى الصدور

فليكس فارس

عزيزٌ على النفس أن تتحدث عنك ميتاً، وقد كنت بالأمس ملء النفس، ملء الفؤاد، ملء السمع والبصر، ملء هذه الحياة الفارغة.

انطوى هذا المفكر الوثاب، وانطفأ هذا القبس اللامع، وانخفض هذا الصوت الرنان، وثوى العبقري الثائر في رمسه، وفي قلوب صحابه لوعة عميقة وفي أعينهم عبرات تترى.

هذا القلم الهادي كان عدواً تضطرب له النفس!

هذه النفس العالية كانت طيبة ولكنه لم تشبها نزوة من نزوات الكبرياء.

هذا القلب كان كبيراً ... كبيراً لم تمسسه نزعات الحياة!

فرحمة الله أيها القلم الهادي، وأيتها النفس العالية، وأيها القلب الكبير!

فليكس فارس! هذا هو الرجل!

أخذ العلم من كتاب الحياة فما تسرب روح المدرسة، وفي المدرسة [illegible] وظل [illegible] إنما من النبوغ الفطري، وهيأت المواهب [illegible] وعلا روحه، وتفتح [illegible] في زهرة [illegible] وهو ما يزال عند [illegible] رئيس الشباب وهو في الفتوة [illegible] المدرسة [illegible] أستاذاً للبيان العربي في مدرسة [illegible] ثم [illegible] في جرائد سوريا ولبنان.

وأعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ فتدفق البيان على لسانه وبرز خطيباً [illegible] دون بلاغته [illegible] فكان [illegible] ثم ألقى [illegible] العثماني ليخوض غمار السياسة عضواً [illegible] في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، واختاره [illegible] سالونيك — بعد حين — ليكون عضواً عاملاً فيها يؤسس الجمعيات الدستورية في أرجاء البلاد.

وخرج من السياسة في ثوبها وأصدر جريدة «لسان الاتحاد» تتحدث عن [illegible] نفسه، وآمال قلبه في السياسة والأدب جميعاً. ثم عُيّن أستاذ الخطابة والأدب العربي في المدرسة السلطانية بحلب.

واستعرت نار الحرب العظمى فما برح مكانه حتى دخل الجيش العربي البلاد فصيره للحكومة الهاشمية سكرتيراً للحكومة بحلب، ثم مديراً عاماً لإدارة [illegible] وفي هذه [illegible] بين [illegible] — خطيباً يدعو إلى الوحدة العربية وإلى رفض الانتداب الأوربي.

وفي سنة ١٩٢٠ أبحر إلى أمريكا يطلب إلى المهاجرين من بني وطنه العودة إلى بلادهم، وقد عزّ عليه أن يرى جماعة من أبناء قومه [illegible] ومنهم العالم والصانع والتاجر، فقضى سنة يضرب في أنحاء أمريكا يخطب بالعربية حيناً وبالفرنسية أخرى [illegible] وهناك تعرّف إلى أعضاء الرابطة القلمية جميعاً ووصل بينه وبينهم رباط من الحب، وتوثقت بينه وبين جبران خليل جبران العبقري اللبناني صلات من الهوى والصداقة.

وعاد إلى لبنان وفي حسابه أن يستطيع أن يقنع الجنرال غورو المندوب السامي الفرنسي بوجوب التفاهم مع العناصر الوطنية، وتشجيع المهاجرين على العودة إلى وطنهم. ومال الجنرال غورو إلى رأي الأستاذ غير أن الحكومة الفرنسية رأت أن ترسل الجنرال [illegible] ليشغل منصب الجنرال غورو [illegible] فانفجرت الثورة وطار شررها هنا وهناك، ولكن اليأس لم يجد طريقه إلى القلب الكبير.. قلب الأستاذ فليكس، فراح يكتب إلى صديقه المسيو [illegible] حليف فرنسا في واشنطن، ويدل على [illegible] الكفاءة [illegible]

في فرنسا، يكشف لهم جانباً من جمال الصحافة الفرنسية في بلاده؟ غير أن صرخاته ذهبت مهب الرياح، فكبر عليه أن يعمل مع حكومة تسير على مبدأ لا يقره، فنبذها جانباً، ولبس ثوب العاطلة

وفي أواخر سنة ١٩٣٠ حين رأى أن لا أمل له في بلده الأسكندرية ترك بلاده ووجهته ليستقر في الوطن الثاني الجميل — في مصر، ويجد هنا أصدقاء نجباء يعوضونه ما فقده في وطنه الأول

تلك لمحة خاطفة عن حياة الأستاذ الفقيد منها فضله ونبله

* * *

لم يكن للأستاذ ميكس أن يكبح جماح نفسه، بعد إخفاق الإصلاح في وطنه الأول، وهو منذ هبط وطنه الثاني شعلة من نشاط تتقد، فاندفع يتعرف على جماعة من أدباء هذا العصر ثم عرا للأستاذ الزيات — أطال الله عمره — وجمع أعداد (الرسالة) لا يفوته منها شاردة ولا واردة، وعكف على دراسة أدب الرافعي — رحمه الله — حين استهوته مقالاته في (الرسالة)، وترجم له مقالة ... إلى الفرنسية وعلق عليها، ونشر هاتين والتعليق في غير واحدة من الجرائد الفرنسية، وأعجب بفطاحل الأدب العربي الحديث ولم يره

وفي صيف سنة ١٩٣٦ تعرف إلى الأستاذ الرافعي — رحمه الله — وطلب إليه أن يزوره في داره في ... رمل الأسكندرية فلبى الدعوة وأنا معه ... فألفيت رجلاً هادئ الطبع، عف الحس، كريم الخلق، جميل الصحبة. وكان وجهه — وهو في داره — يتهلل بشراً وسروراً ... وهكذا انعقدت أول وشيجة بينه وبين أسرة (الرسالة) الغراء، ومضت أيام فإذا صوت جديد فيه يرن على صفحات (الرسالة)

ثم انطلق يلتمس الطريق إلى الأستاذ الزيات ويحضره في إلحاح. وفي صيف سنة ١٩٣٧ دخل الأستاذ الزيات دار صاحبه ميكس — لأول مرة — وأنا إلى جانبه ... إنني أرى صاحب الدار يهتز من فرط الفرح كأنه يلاقي حبيباً طال اغترابه؟ وإنه يبدو لي أنه يهم أن يضم الأستاذ الزيات إليه لولا هيبته وتقدم الأيام، وفي قلب كل منا سحابة المحبة والإخلاص والوفاء

رحمنا الأستاذ ميكس، فقدنا فيه الأديب الفذ والشاعر الرقيق، وفقدنا فيه الأخ الوفي والصديق الصدوق

في ذمة الله، وفي رحمة الله ... يا صديق!

كامل محمود حبيب

في موكب الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ علي الجندي

عرفت الكوفة في وقت واحد ثلاثة من الشعراء هم: الحمادون[1]، وهم حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد الزبرقان أو ابن الزبرقان. وكان هؤلاء الثلاثة يتعاشرون معاشرة ثلاثة أجساد تسري فيها روح واحدة. ولم يكن غريباً أن يجتمعوا على هذا الود الوثيق، فقد ألفت بينهم رابطة الأدب، ووحدة الزندقة، وآصرة أخرى تساوي رضاع الثدي وهي رضاع الكأس! وقديماً قيل: لا غرو

أذكر أبا جعفر حقاً أمت به ... أني وإياه مشغوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس درتها ... والكأس درتها حظي من النسب

والذي يعنينا من هذا الثالوث العجيب المتحد في الاسم والنزعة والهوى والنحلة، حماد بن ميسرة الديلمي مولى بكر بن وائل. كان هذا الرجل آية دهره في العلم بأنساب العرب وأيامها، وحفظ لغتها وأخبارها وأشعارها، فخلع عليه معاصروه — على تقدم الحاسدين — لقب الراوية، وهو لقب ضخم رفيع لم يمنحه جزافاً بل انتزعه انتزاعاً عن استحقاق وجدارة

يحدثون أن الوليد بن يزيد سأله: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: لأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو تسمع به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث. فقال الوليد: إن هذا لعلم — وأبيك — كثير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثير، ولكني أنشد على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة طويلة، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام

وكل الوليد امتحانه بغيره فقال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد، فأنشد حتى ألم بالوليد الضجر، فوكل به من يسمع

(١) معجم الأدباء ج [illegible]

منه واستحلفه أن يصدقه عنه ويستوثق عليه ، فأنشده أبياتاً وسيتخفيها جانبيه، ودفع الأمر إلى الوليد، فأجازه عامله المحروم

ولكن مما يحز في النفس أن حماداً لم يكن متصفاً بتلك الشرائط التي عدّ من لوازم الرواة من أمانة وصدق وإخلاص

فقد شاء ألا يقنع بما أتاه الله عليه من مواهب عالية ، وبما حصله بجهده من ثروة أدبية ضخمة تتقطع دونها أعناق الفحول ! فضلاً عن حفظه الشعر وتمرسه بمنازع الشعراء وقدرته على النظم ، ودقة مسلكه في التقليد ، وتعرّفه بالفروق في الوضع والتلفيق والتدليس ! فكان يعرض الشعر وينحله من يشاء من شعراء العرب ، ويجوز ذلك على أكثر الناس لعدم التمييز بين الأصيل والدخيل !

ومن السهل على من رُزق علم حماد وقوة طبعه وحدة قريحته وبراعة ركانته ، أن يصل مثل منه لا فرق بين متقدم ومتأخر

يقول الثعالبي [1] إن الصاحب يوماً قال لجلسائه — وقد جرى ذكر أبي فراس الحمداني — لا يقدر أحد أن يزور عليه شعراً فقال البديع الهمذاني: ومن يقدر على ذلك وهو القائل:

رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو على أني ... يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب: صدقت؛ فقال البديع: أيد الله مولانا قد فعلت! — أي زورت عليه

والغريب في أمر حماد أنه كان لا يستحي أن يتبجح بهذا العمل الشنيع! فكان يقول [2]: ما من شاعر إلا أدخلت في شعره أبياتاً فجازت عنه إلا الأعشى أعشى بكر فإني لم أزد في شعره قط غير بيت واحد فقيل له: ما هو؟ قال:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وأعجب من هذا أن جرأته كانت تطوّع له الكذب على الخلفاء المعروفين بدقة الفطنة وسعة المعرفة؛ فقد روى صاحب الأغاني بسنده عن جماعة ذكر أنهم كانوا في دار الخليفة المهدي إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل فمكث مليّاً ثم خرج ومعه حماد الراوية وحسين الخادم ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط؛ ثم نادى حسين الخادم: يا معشر من حضر من أهل العلم؛ إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل الضبي بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته. فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل

وقد كان السبب أن المهدي قال للمفضل — لما دعا به وحده — إني رأيت زهير بن أبي سُلمى افتتح قصيدته بأن قال

دع ذا وعدّ القول في هرم ... خير البُداة وسيد الحضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال المفضل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً؛ إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله، أو يروّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال: دع ذا. أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال: دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم. فأمسك عنه المهدي ثم دعا حماداً فسأله عن مثل ذلك فقال: ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قال؟ فأنشده:

... أقوين مذ حجج ومذ دهر
... سوائل [1] الأرو والقطر

دع ذا ...

فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل عليه فقال: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه فحلف له بما توثق منه، فقال له: اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير؟ فأقر له حينئذ أنه قائلها، فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه

فهذا المفضل الذي عُرف به حماد هو نفسه الذي يقول فيه: كان حماد أعلم الناس إذا نصح — يعني إذا لم يزد وينقص — وكذلك قال فيه المفضل الضبي: قد سُلّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح بعده أبداً؛ فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب؛ ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال

(1) السوائل ... والقور ...

(1) اليتيمة ج ... ص ...
(2) العقد الفريد ج ٣

يقول الشعر يُشبّهه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويُحمَل منه ذلك في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟!

وقد هجا حماداً أحد من يعرف(1) هجاءً طريفاً يمكننا أن نتبين منه شكله وهيئته ورأي الناس فيه، قال:

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حمادُ

بسطت مشافرَه الشمولُ فأنفه ... مثلُ القدوم يسنّها الحدادُ

وابيضّ من شرب المدامة وجهُه ... فبياضُه يوم الحساب سوادُ

لا يعجبنك بزّه ولسانُه ... إن المجوس يُرى لها أسبادُ

وقد نشأ حماد في العهد الأموي سنة خمس وتسعين هجرية، وكان أثيراً لدى خلفاء بني مروان، يستزيرونه فيفد عليهم يحدثهم عن أيام العرب وأخبارها وينشدهم أشعارها، فيظهرون إعجابهم به ويمنحونه الأعطيات السنية.

وقد حظيَ على قلب يزيد بن عبد الملك منهم فاصطنعه لنفسه وخصه بوده، فتقبّل منه ذنوباً عريضة وعاش في ظل رعايته.

ولكن هذه النعمة السابغة كادت تحول نقمة مستطيلة لولا ما قُدّر له من طول السلامة! فقد كان بين يزيد وأخيه هشام جفوة شديدة مردها إلى أنهما من أبناء العلّات(2)، فأم يزيد عاتكة بنت يزيد بن معاوية الأموية، وأم هشام عائشة بنت إسماعيل المخزومية، وأهم من ذلك أن يزيد كان يريد أن يبايع لابنه الوليد القاصر، فصرفه أخوه مسلمة بلباقة وكياسة إلى مبايعة أخيه هشام الرشيد، ولكن يزيد ندم بعد أن تم الأمر، فاستحكمت العداوة بين الشقيقين وولي عهده حتى اضطر هشام أن يبتعد خارج دمشق، وتبع ذلك أن حقد على حاشية أخيه وبطانته، ومنهم حماد ربيب البلاط ونجيه الملازم!

فما آلت الخلافة إلى هشام خافه حماد خوفاً شديداً، فانزوى في كسر بيته سنة لم يكن في خلالها — إذا ضاق صدره — يسأل في سر من الناس إلى النفس من إخوانه حانقاً يعرف؟ وربما تفشت هذه العزلة ولم يتوجه إليه طلب، على أنه قد بلغ مأمنه، فخرج من مخبئه وصلى الجمعة في الرصافة، ولم يمض بذلك حتى جلس عند باب الفيل [illegible] بنا من الأمير قد وقفا عليه وقالا: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر (والي العراق)، فانخلع قلب حماد من الرعب، وأخذ يعض أنامل الندم على خروجه، وتوسل إليهما أن يتغافلا عنه ريثما يمضي إلى أهله فيوصي بهم ويودعهم، ثم يصير معهما إلى حيث يريدان، فأبيا عليه في خشونة الزبانية: ما إلى ذلك من سبيل! وأخذا بعضديه، فاستبسل(2) للموت واستقاد لهما حتى بلغا به الأمير وهو جالس في الإيوان الأحمر، فسلم عليه حماد بصوت مخنوق، فكان رد السلام أن ألقى إليه كتاباً فيه ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر. أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُروَّع ولا مُتعتَع(3) وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق.

فهبت نسائم الطمأنينة على قلب حماد، وبعثت الدنانير العسجد [illegible] لألاء من بريق السرور انعكس على وجهه.

وفي الحق أن حماداً كان [illegible] في خوفه من هشام، فقد كان هذا الخليفة غزير العقل راجح الحلم ضعيف النفس حاسماً لأدواء الرعية، حتى كان الأشياخ يقولون: أديل من الشرف ودعيت المروءة بموت هشام! ومن كانت هذه صفاته يكبر عليه أن يتكلف بأديب مستهتر كل جريرته أنه كان متصلاً بسلفه.

وقد حُمل حماد على جمل مهري من ساعته، وسار بعدُ في السير اثنتي عشرة ليلة حتى وافى دمشق ووقف بباب هشام مستأذناً في الدخول إليه، فأذن له

[البقية في العدد القادم]

على الجندى

(1) أمالي المرتضى ج 1 ص [illegible]

(2) العلات: الضرائر

(1) [illegible] (معجم الأدباء ج [illegible] ص [illegible])

(2) استبسل للموت: استسلم له (3) مكره

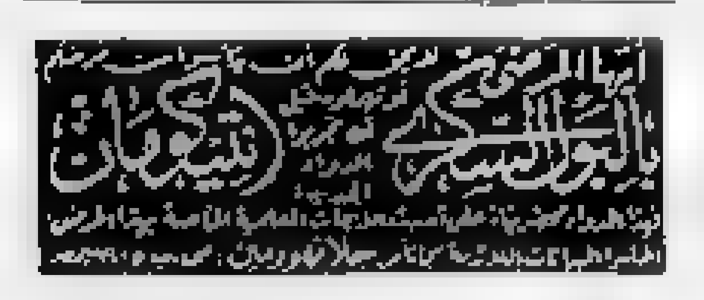

وسائل الاغتياب

للأستاذ عبد الرحمن شكري

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب عيباً إلا إذا كان قد أثر من عيوبه في نفسه أو في حق عزيز عنده أو مرغوب منه لديه. أما إن أتى الاغتياب من غيره وقصد به انتقاص غير عزيز عنده ولا مرغوب فيه؟ أو إذا كان هو الذي يغتاب فإنه لا يعد الاغتياب في هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإنذاراً للنقص وعاره للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر. وهكذا تتغير حقائق الأمور حسب أهوائه، وذلك يسيطر على تفكيره ويخدع كثار الناس. فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة؛ أما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها. وهو إذا اغتابه أحد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل وعاره للنقص كما يعد الاغتياب الذي يجيء من نفسه في حق الناس. وكثيراً ما يلجأ المغتاب إلى أساليب عجيبة كي يجمل اغتيابه بقوله: إني لا أريد أن أنتقص فلاناً أو أن أذمه فإنه رجل فاضل، ثم يذكر ما لا يترك له فضلاً ولا فضيلة. وقد يمدح عمل الرجل في صنعته كي يقبل الناس ذمه له في أخلاقه؛ وذلك لأن الفضل في العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذي يستطيع أن يزن فضل القول أو العمل في الصنعة أو المهنة. أما فضل الأخلاق فأكثره غير مكتوب في طرس ولا مرسوم في بناء ولا منصوب في تمثال حتى يرى الرائي فيه رواءه وحقيقته، بل أكثره دفين في نفوس الخلطاء أو من ليسوا بخلطاء، ولا عشير له إذا كان المرء محروماً، فكر عند من لا يعرفه في حياته الخاصة. والخلطاء قد لا يؤدون الأمانة رأيهم ولا الرؤية غير منقسمة، وغير الخلطاء إنما يحكمون بالظن.

وكثيراً ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه أو لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذي يريد إثارة شره، أو قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل أن يستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذي يغتابه المغتاب، وقلما يجرؤ أحد الناس إذا سمع ذماً لغائب أو سمع تهماً في وصف الذم وتزكية المذموم خشية أن يعد الناس سامع المذموم مشاركاً له في ذمه الذي ذم به، وترى أكثر الناس الذين يحبون الاغتياب يظنون أنهم إنما يسرعون إلى إظهار تصديقهم له خشية أن يعدوا مشاركين الغائب المذموم إذا كذبوا واستنكروا. وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من أهل الخير وإن كانوا من أبعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب يقتضيه، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لأنفسهم، وكل إنسان يخاف على شيء قليل أو كثير من جاه أو نفوذ أو حسن سمعة إذا لم يساعد المغتاب على مغتابه الغائب — وأقل المساعدة السكوت والإصغاء والابتسام والإجلال — أن يعد مشاركاً للغائب فيما اغتيب به. وإذا كان هذا شأن أهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس وأكثر الناس يحسون في أنفسهم تهمة وسوءاً — إما خفية تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإن كانت عظيمة — إذا قصروا في الإنسان وأقل أسباب هذه التهمة وأظهرها أن التهم لم يقع منهم بل من غيرهم فيبادرون لتخلصهم من التهم وموضع التهم غيرهم كما يسرعون من أجل أن ذم غيرهم بالحق أو بالباطل يبعد عنهم أو قلوه ويدفع ظنة تهمة أنفسهم يشعرون أنهم صاروا أطهر من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل، فالذم كالجرح كل يريد أن يلقيه على غيره. فإذا أحس السامع في نفسه أنه أحق بذلك الذم الذي اغتاب به المغتاب غائباً أسرع في مجاوزة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن للمغتاب وكيلا يفطن من عيبه أنه أحق بالذم من الغائب. ومن أجل ذلك يكون الاغتياب أشنع ما يكون بين أهل النفس المصابين بالتهم الذين يخفون من أسرار أنفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفاً من ظهوره فيندفعون في الغيبة من الخوف كما قد يجعل الأرنب من خوف إلى الثعبان، أو كما قد يجعل المرء من خوف إلى الأسد وهم قد يندفعون في غيبتهم ويهونون على أنفسهم النقص بذلك. وقد يصرح المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفي بالتلميح في تهديده. هو لا يحتاج عن أهل الرذيلة إلا من كان من أهل الرذيلة، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب، وربما صار من خوفه أشد شرهاً في الاغتياب من ذلك المغتاب الذي هدده إذا لم يقل مثل قوله

وقد تجتمع في نفس السامع أسباب الاكتئاب كلها، بل إن الخوف من مشاركة الكاتب للمهجو في الذم قد يجعل السامع عدواً لنفسه إذا وجد لذة في الشر والانتقاص، وفي سماع الأذى بغيره مخافة النقد! فيجد أن يكون ميله إلى الاكتئاب والعداوة عليه خوفاً يصبح القول ويصبح العداوة لذة في سماع الأذى وساخطاً بانتقاص غيره، ومن أقل أسباب حب النفس إياه وظهوره شكلاً يسوق النفس إلى أكثر أسباب حب الاكتئاب والعداوة عليه إياه، وإلى أحبها أملاً في النفس. وهذا من عجائب النفس الإنسانية التي في أمور أمرها قد تخرج من أقل الخبث والشر! فإذا جعله مكروهة كارهة قد لا تحرج في أن تجد لذة في أشد الشر والخبث والخوف من مشاركة المذموم في الذم منه عليه قد تجعله شكلاً مضحكاً. فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون في مودة وصفاء ثم يمرون على قريب منهم اثنين يتضاحكان وقد يكون تضاحكهما لأمر لا صلة له بهم، ولعل ذكرهم لم يجر على لسان المتضاحكين، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التي تتحدث في مودة وصفاء أن ضحك المتضاحكين منهم أو من أحدهم فيشعر كل منهم كي يوهم أصحابه وجلساءه أنه واثق في سريرة نفسه أنه غير مقصود بضحك المتضاحكين. وقد يكون القسم خوفاً في شكل تظاهر الخوف والارتياب فيتخذ ابتسامه شكلاً مضحكاً حقاً. أما من استطاع أن يخفي باطن سريرة نفسه من الارتياب والخوف بأنه مطمئن جسده أن ضاحك المتضاحكين على غرة منهم ليس سخراً ولا بأحدهم وقد ينظر منهم إلى الجالس كي يوهم جلساءه أن المتضاحكين إنما يسخرون من هذا الجالس الذي ينظر إليه فهو يحول السخر الموهوم بخفاته عن نفسه كي يبعد عنه من أن يظن موضع مقتضيات المتضاحكين. وهذه ظاهرة مشاهدة في الناس وقد قال أحد الأدباء المذكورين:

إذا رأيت إنساناً في جماعة على مقربة منك وأرغمت في شيء يشتاك فلا عليك إلا أن تختار صديقاً أو جليساً يجيد الضحك ثم تحدثه حديثاً مضحكاً بغير ضحك ولا علاقة له بحديثك بالإنسان الذي ترغب في أنه يشتاك فإذا أكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه أثناء الحديث والضحك تراه ذلك الإنسان أيضاً في أثناء ذكره سوء ... يحس ... حتى أن يكون هو المقصود بالضحك ... إليك فيبتسم ... كي يوهم كل منهم ... أنه واثق في سريرة نفسه أنه ليس مقصوداً بالسخر والضحك، وإن يكن انتقاصهم من ذلك الإنسان على صوت ضحككما كانتقاص قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير ... وهذه الحيلة ليست من مكارم الأخلاق وربما أغرى إليها الفن الخطر وربما لا يستطاع إلا بشيء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على أي حال من أخلاق الناس ومشاهد لها.

والكاتب الذي لا يستطيع الناس أن يجدوا سبباً لحمده على من يعاديه أكثر الكتاب تعرضاً في الاكتئاب، ومن أجل ذلك يحاول الكاتب الماكر أن يخفي سبب حمده وكرهه، وقد يكون السبب نفسه سبباً من الأسباب وقد يكون تشابه غير تام سبب حمده الذي يخاف منه كل ملوم، وأعلى هذا السبب ألا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه

عبد الرحمن شكري

الفتح الرباني

لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني

يبذل فضيلة المحدث الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا جهداً موفقاً مشكوراً في إخراج كتابه هذا مع شرحه (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني)، وقد أخرج حديثاً القسم الثالث من جزء الحادي عشر من ذلك السفر النفيس، والكتاب غني عن التعريف فهو دائرة معارف في الأحاديث الشريفة والسنة المطهرة. فحث القراء وعلى السنة على الاقتناء به وهو كالعادة ١٢ قرشاً للجزء من الورق الأبيض و ١٠ قروش للورق الثاني، ويطلب من فضيلة المؤلف بمطبعته الرسالة رقم ٥ بالغورية بمصر

كتاب في «الدين الإسلامي»

للأستاذ علي الطنطاوي

كان الأعرابي الجلف الجافي، يجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ساعة من زمان يستمع فيها إليه، فلا يقوم إلا وقد فهم الإسلام وعرفه، وصار من المبشرين به والداعين إليه. وكان يصحب النبي أياماً فلا تنقضي حتى يغدو عالماً، يبعثه النبي إلى قومه معلماً ومرشداً، فيعرّفهم الحدود، ويبيّن لهم الحلال من الحرام.

كان هذا يوم لم يكن تدوين، ولم تصنف المصنفات، ولم تجمع الأحاديث ... وها نحن أولاء عندنا أكثر من مائة ألف كتاب ورسالة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة والخلاف، وكل ما يخطر على البال من المسائل المتصلة بالإسلام، ولكنك لا تجد فيها كتاباً واحداً يلخص الإسلام كله تلخيصاً وافياً، ويعرضه عرضاً واضحاً، يقرؤه الشاب فيفهمه، فيفهم فيه الدين كله كفهم الوافدين على النبي إياه، حين يفدون عليه أعراباً.

ولقد أحسست بهذا النقص منذ اشتد عودي بالطلب، وعرضت له في رسائل (في سبيل الإصلاح) التي نشرتها في دمشق (أثر عودتي من مصر سنة ١٩٢٩). بيد أني لم أعرف خطره إلا أمس، حين درّست الدين في مدارس العراق، وشرحت للطلاب مبادئه، وكشفت لهم عن عظمته، فكانوا يتشوقون إلى زيادة الاطلاع، ويرغبون في متابعة الدرس، فيسألونني عن الكتاب الذي يجدون فيه خلاصة الدين، كما يجدون خلاصة الطبيعة أو الكيمياء في كتاب واحد، فأفكر فيه فلا أجده، ولا أجد إلا علوماً كثيرة من كلام وفقه وحديث وتفسير فيها آلاف من الكتب، خلّفها المؤلفون أيام كانت عقول البشر وأقلامه، ولكنها أصبحت اليوم بالية الأسلوب، قديمة الطراز، كلية من التعب، ما تفي القصد ولا تعين، وتشكي أنكر الشكل وتعبث الأذواق، والسالك الناس يعرون الحيلة من حال إلى حال ... وكنت أخشى أن ينصرف الطلاب عن دراسة الإسلام، ويفتر في نفوسهم الرغبة فيه، إذا أنا دللتهم عليها وأرشدتهم إلى قراءتها. وحيث نشرت

أأقول للطالب الذي لم تدع له دروسه الكثيرة والآتية من وقت، آثرت أن يسلخها بدروسه الدين من أيامه ... أأقول له، إنك لا تفهم الإسلام حتى تقرأ (السعد) و(التهذيب) وأشباههما وتدخل في كل حيث بين أبواب الفلسفة الفارغة والجدل العقيم، وتحور مع المذاهب الباطلة والرد عليها، والآراء الفاسدة ودفعها، وتحفظ كفر أقوام اندرسوا وانقطع دابرهم، كل ذلك لتفهم التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سهلاً لا فلسفة فيه ولا جدال ... وتقرأ (الطحطاوي) و(الشرنبلالي) أو (البيجوري) أو غيرها من كتب الفروع، وتملأ الرأس منك فروضاً مستحيلة، وصوراً بعيدة، لتحلل الأحكام، وتجيء مع قوانين الشريعة، كل ذلك لتعرف كيف تصلي وتصوم، وقد كان البدوي يتعلم الصلاة والصيام في ساعة واحدة ويؤديهما من بعدها على وجه الكمال. وتقرأ (شروح المنار) أو (جمع الجوامع) (وتكسر رأسك في كلام هو (والله العظيم) أشبه بالطلاسم والأحاجي منه بالنحو وأسلوبه المبين، لتفهم أصول الفقه، والأصول في هذا الذي كأنه ثبوت ... ، واضحة وضوح الشمس، مستقيمة كخيوط النور لا عوج فيها ولا التواء، ولا غموض ولا إبهام ... وتقرأ (النخبة) أو (مقدمة ابن الصلاح) لتفهم مصطلح الحديث، وتقرأ بعد ذلك شيئاً كثيراً .. ثم لا تنجو بعد من أن يتهمك المغرورون بأنك وهابي، والمتعصبون بأنك قبوري[1]، ولن تسلم ممن يتربع فيكفّرك من أجل بحث في كرامات الأولياء، أو كلام في السفور، أو رأي في ابن عربي.

فأي الطالب الشرقي بدروسه اللغوية لقصده من هذا الفهم الذي يعرف فيه لو حاجته؟ أو لا يعذر الشبان إذا لم يقدروا على درس الدين في كتبه، ولم يجدوا من يفهمهم منهم أو يفهمون عنه من علمائه، فآثروا السلامة، وابتعدوا عن العلوم والدراسات ما له كتب مفهومة، وخلاصات واضحة!

أحسست بهذا النقص البين، ففكرت في وصفه وقلبت ... وسألت من توسمت فيه من العلماء سداً أو ... فوجدت من (علمائنا) والجمهور منهم لا يحسن شيئاً إلا إقراء الكتب

(١) كذا يقولون ويعنون الإقرار عند القبر — ... أنها المصادر التي لا ... التخصص في علوم الشرع ولكن الكلام عن ...

التي كان رواها عن مشايخه من قبل، وشرحها كما شرحت له، فلما خرجت به من الحواشي والشروح، عاد عيياً لا يكاد يصنع شيئاً. ووجدت أكثرهم بعيداً عن الأدب ليس من أهل البيان، ومنهم من لا يزال يظن (جهلاً) أن الإسلام كره الشعر وحرمه ويحتج بحديث: "لأن يمتلئ جوف أحدكم..." ولقد يجب أن الذي يرويه كمن يروي من الحديث روايته ويل للمصلين[1]. ومن أخذ من الأدب، ولم يتمرس بأساليب البلغاء، لم يأت منه خير لأن علمه يقتصر عليه، فلا يقدر على بثه بقلم ولا بلسان. ووجدت أكثر (مشايخ) يعيش في دنيا أهل القرن التاسع، ويفكر بعقولهم. ومنهم من شغله منصب يحرص عليه، أو عمل يبالغ في جمعه والوصول؟ ومنهم من أخلد إلى الراحة واعتنق الجاه والغنى من شر الطرق وأيسرها، فمرن على العامة وأظهر الورع فيهم وتواجد، فإن قلت له: صحح الخبر، أو سألته عن مسألة أخذتك بـ (لا إله إلا الله) أو الحوقلة والاستغفار، وحدّق بعينيه، ووجدت منه حشداً مرائياً، ثم يصرخ في وجهك صرخة من أخف من (المعمورية) أو (الوهابية) ورأيت من هؤلاء من العجائب ما لو قصصته خشيت أن أكتب به تراجمه ... فأبيت منهم أن أكتب، ودعاني هذا اليأس إلى معاودة الكتابة في هذا الموضوع، على قصر يدي فيه، وقلة بضاعتي، وأصدرت (في نفسي) أكثر مباحثه، ثم رأيت أن أفتح هذا الباب في الرسالة (بإذن الأستاذ الزيات) لكل من أراد أن يكتب فيه ويرتضي الأستاذ ما كتب، ورجوت أن يقبل على الكتابة العلماء والباحثون، ينشر كل منهم فصلاً من الكتاب ينشر اليوم في الرسالة، ثم إذا استقصى الفصول ونقحه أصحاب النظر فيها أفردت صفحات كتاب بين يدي الناس. ولعل الذي يمنع تحقيق هذه الرسالة أن أكثر من يكتب من الشباب وعلماء الأسلوب الشرعي الذين لا اطلاع لهم على كتب الدين، ولا إلمام لهم بها ... غير مشتغلين بالكتابة. وعلاج ذلك أن يشترك في البحث عالم مطلع، وأديب كاتب، فيمشي الشاب الذي يحسن الكتابة إلى عالم يدله على المراجع، ويبين له الأحكام، وحتى هو الفصل بعد ذلك، فيحتج له ... أن البحث قد كتب ... وعسى أنه

يطلع على جواهر من الفن جديدة، ومؤلفاته أنفس الكتب القديمة وعرف أسلوبها.

ونأتي الآن إلى الموضوعات التي يجب أن يشتمل عليها الكتاب، ما هي وما حدودها؟ ولست أحب أن أحددها، بل أعين المراد إجمالاً. والمراد أن يلخص الدين الإسلامي في كتاب يضم بين دفتيه الإسلام الذي جاء به النبي محمد خالصاً من الحشو والزوائد والبدع والخلافات، يقرؤه الشاب المسلم الذي لا يعرف الدين، فلا يحتاج بعده إلى شيء، ويقرؤه الناس فيفهم منه وينفعه، ويقرؤه الغربي منه حقاً فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة.

وإذا كان النبي الكامل هو الذي أخذ الإسلام علماً وعملاً واعتقاداً، وإذا كان حديث جبريل المعروف قد قسم الدين إلى إيمان وإسلام وإحسان، وشرح الأول بأنه التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وشرح الثاني بأنه النطق بالشهادة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وفسر الإحسان بأنه عبادتك الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإن من المستطاع تحديد موضوعات كتاب «الدين الإسلامي» بأنها:

الإيمان وما يتصل به — الإيمان بالله (التوحيد) — الإيمان بالملائكة والجن والشياطين — الإيمان بالكتب — القرآن وما يتصل به من نزول، وجمع وإعجاز — الرسالة والرسل — سيرة النبي محمد ورسالته — اليوم الآخر — القضاء والقدر — الصلاة: حكمها وشروطها وكيفيتها وبيان النص عليه من أحكام — الصوم — الزكاة — الحج — الأخلاق الشخصية في الإسلام — الأخلاق الاجتماعية في الإسلام — الإسلام من الناحية التشريعية — الإسلام من الناحية السياسية — فكرة عامة عن العلوم الإسلامية (المذاهب الأربعة والكلام فيها) الخ.

هذه هي مباحث الكتاب، وأهم ما فيها أن يكتب بأسلوب لا هو بالأسلوب العلمي الجامد، ولا هو بالأسلوب القصصي المبالغ، وأن يكون قريباً من أن يكون ... ، وأن يمتنع من كل خلاف أحدثه المتأخرون، ويعود إلى النهج الصافي الذي استقى منه الصدر الأول خير القرون.

هذا وفي الموضوع مجال للإيضاح والنقد والتعديل، وصفحات الرسالة لا تخلو من ذلك.

«دمشق» علي الطنطاوي

(1) انظر كتاب (الإجابة) الذي ... أبي سعيد ... وعلق عليه (مكتبة ...) بدمشق

مدينة قونيـــة

(بحضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

من عجائب الآثار وبدائع الصنعة مدرسة إينجه منارة (مدرسة المنارة النحيفة) وأنا أدع القارئ من وصفها وأكتفي بما تنطق به الصورة التي ننشرها هنا

ولا ينبغي أن ننسى جامع صاحب عطا (صاحب آتا) بناه أحد وزراء السلاجقة الكبار فخر الدين علي بن الحسين بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٤؛ وقبره في إيوان داخل المسجد ومعه خمسة قبور. وتدل الكتابة على مدخل الإيوان أنه بني في مفتتح المحرم سنة ٦٨٢

وفي أطراف المدينة على مقربة من المزارع جامع صغير فيه قبر العالم الكبير صدر الدين القونوي المتوفى سنة ٦٧١؛ وكان من الأساتيذ في علوم الدين والتصوف، وكان وسطاً بين الشيخ الأكبر محيي الدين ومولانا جلال الدين. تزوج محيي الدين أمه ورباه وعده أحد جلال الدين مما يقال، وله مؤلفات في التفسير والحديث والتصوف

ذهبت إليه وحيداً أصيل الغروب فدرت أسأل حتى اهتديت إليه فألفيته مغلقاً فسرت قليلاً ووجدت رجلين جالسين بجانب الباب أحدهما ضرير فقلت اقترب المغرب، ألا يفتح المسجد؟ ففتحا الباب فدخلنا إلى مسجد صغير خال من جمال الصنعة والزينة فتقدم أحد الرجلين فألقى جبته ووضع العمامة فعرفت أنه الإمام وبقي الآخر وعلى رأسه (كلاهما) فأذن وأقام الصلاة فصلينا المغرب وحدنا. وسألت عن ضريح صدر الدين فأشير إلى باب يفضي إلى حديقة صغيرة فنظرت فإذا قبر بجانب الحائط موقوف مفروش من الكرم وبجانبه أشجار

ولم تمر ثلاث دون أن أرى مثوى الصوفي العجيب الغريب الذي اتصل به جلال الدين فحوله من الدرس إلى الوجد ومن الاشتغال بالدرس إلى سلوك طريقه، الرجل الذي أثار صحبه التفرق والأذى حتى قتل في إحدى الثورات عليه، فما زال جلال الدين يستحضر ذكره ويلهج به في شعره حتى سمى ديوانه الكبير باسمه — ديوان شمس تبريز (شمس الدين محمد بن علي التبريزي) الذي يقول فيه جلال وما أكثر ما قال فيه

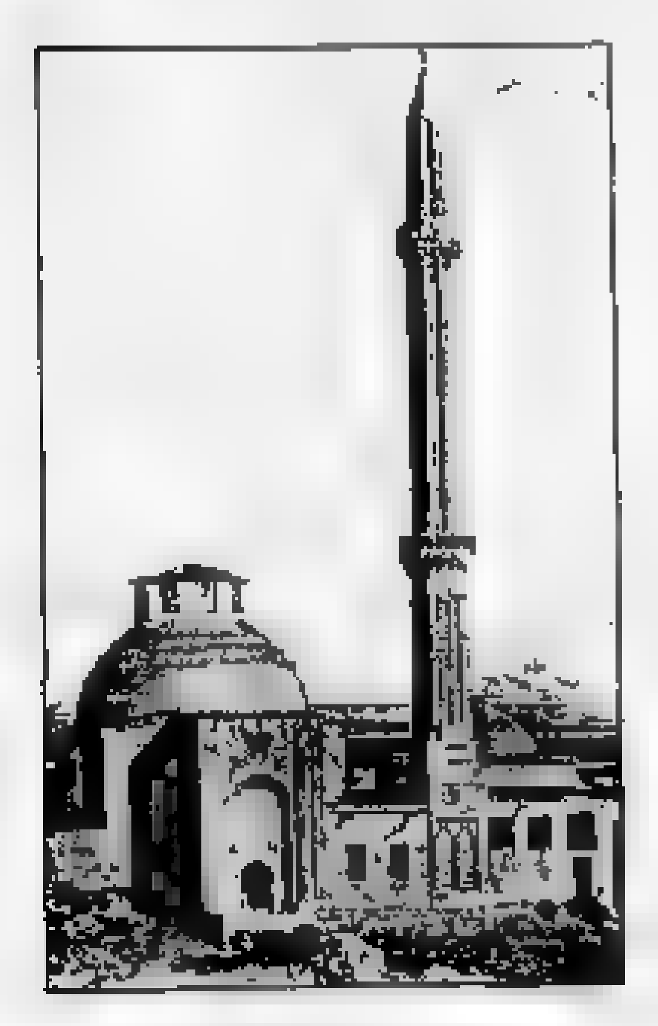

مدرسة إينجه منارة (المنارة النحيفة)

* من ... شمس دين وشمس دين

نى سرايد عندليب از باغ وكبك از كوهسار

ناجيه الورق والبلبل تشدو ... ليس يغني أحد غير (شمس الدين)

خرجت على دهشة فسبيل إلى المزار مغلق لا يفتح لأحد؛ فأخذت بمشاهدة البناء على بعد ثم رحت في الشارع أضرب إليه

يلاً خلوت في طرق متعرجة ضيقة ... آسفاً وأحيى السمر المبكر عن السير صبحاً، ولم تفتر في الرجوع إلى قرية كانت ... الذين أول ما أصل

— ٤ —

وقونية مدينة كبيرة في ولاية واسعة تسمى باسمها، وهي على حافة صحراء كبيرة تمر بها نهر صغير ينتهي إلى بحيرة ... وهي على ٤٠٠ كيلو متر من استانبول إلى الجنوب ... سهل خصب جداً ... [illegible] ... لا من إيرانها وصناعة النسيج بها رائجة

وهي كثيرة المساجد بها نحو ١٥٠ مسجداً و ... جامعاً وأهلها معروفون بالدين والتقوى

وبها كثير من آثار السلجوقيين الذين كانت عاصمة دولتهم في آسيا الصغرى

وهي مدينة قديمة عرفت أيام اليونان والرومان ومن الأساطير التي تروى أن ثعباناً ضخماً كان يبلع الناس والمواشي حتى قتله برسيوس (... الشرقي) فوضع أهلها على أحد أبوابها تمثالاً لهذا البطل الذي ... من ثم سميت المدينة إيكونيوم ... من كلمة ... الصنم أو تمثال

إذا وقف الإنسان على ربوة علاء الدين رأى أمامه ميداناً كبيراً فيه ... حديثة للجمهورية التركية، وأمامه ... ومنتهى النظر إليه مولانا جلال الدين يبدو من وراء الأبنية وبها شوارع ... واسعة منها الجادة التي تمتد من الربوة إلى المحطة وفيها تمثال ... ويرجى لها مستقبل عظيم ولا ريب أنها كانت أيام السلاجقة أعظم عمراناً وأكثر سكاناً

وقد رأيت أن ... بعد زوال دولة السلاجقة ... أمراء بني قرمان عليها قتال

... مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين ... ويحمل منه أيضاً إلى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ... إن هذه المدينة من بناء الإسكندر، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض

باب مدرسة إينجه منارة

لأنها أقرب من بلاده التي بجهة الإقليم

ونزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا، وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة

من تاريخنا السياسي

عائشة والسياسة (*)

للأستاذ سعيد الأفغاني

لم يتح للسيدة عائشة أن يكون لها أدنى أثر في السياسة على عهد الخليفتين العظيمين أبي بكر وعمر؛ بل كان شأنها شأن بقية أمهات المؤمنين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: يُستفتين في المسائل من أمور الدين، وخاصة فيما لا يعانيه إلا النساء، فهن بعد وفاة الرسول مثابة رواد الفقه وحفظة الشريعة، وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة، إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تمهد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس، فكأن الوحي لم ينقطع، وكأنهم من أنواره في شمس لا يعتريها أفول ولا تحصيها

(*) الأعلام ... ١٢ (طبع دار الكتب)

قلة. وليس كل هذه السنة يلحق الرجل من مجالس، ولولا ما كانت من مصالح علم كثير. فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة، كثيراً ما يسألونهن في دقائق المسائل وعلاجها، وعلى هذا اقتصر عمل عائشة في هذا العهد. وكانت فيه كأنها فرد من الأفراد وفي علمها ما جعلها متقدمة على عامة أزواج النبي (ص) بمن في ذلك من صحبة، ومن يرجع أمورهن إليها. وكان الناس حين يرجعون إلى أزواج النبي لا يسلكون إلا ... فكانت تحتل مكان الزعيم

* * *

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، سارت السيدة في الشطر الأول من خلافته (سيرتها على زمن صاحبيه)؛ حتى حدثت وانتشر القيل. فكأنه لم يكد يلين عثمان عرى الناس عليه، ولم تكد الفتنة تستتر على بعض تصرفاته، حتى انقلب الأمر، ورأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة، ورأت عثمان يتجرم كل التجرم. ولم تزل السيدة توغل في معارضتها السياسية حتى أدى إلى ما لم تكن تحب، ومن خروج الأمر من يدها في النهاية إلى يد الغوغاء، فكانت أشد الناس ندماً على ما قدمت ...

كان مما أخذ الناس على عثمان عزله من ولاته القائد المظفر صاحب رسول الله سعد بن أبي وقاص، وتوليته الوليد بن عقبة أخاه من الرضاعة. فلما حضر وفد أهل الكوفة متظلمين إلى عثمان من ظلم الخليفة انتهرهم وأوعدهم. فلجؤوا إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة مستجيرين. وأصبح عثمان، فسمع الناس التكبير في مسجد رسول الله (ص)، فسمع من حجرة عائشة صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: «أما يجد مُرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة؟!». فسمعت عائشة فغضبت، وأخرجت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: «تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل». فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد، فمن قائل: «أحسنت»، ومن قائل: «ما للنساء ولهذا» حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال. ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له: «اتق الله ولا تعطل الحد، واعزل أخاك عنهم» فعزله عنهم. وهكذا استطاعت السيدة بما لها من

وكان سبيل هذا القاضي في إكرامنا وضيافتنا أعظم من سبيل من قبله وأجمل، وبعث ولده عوضاً عنه لحضور الختم معنا

«وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر. وبأرض الروم طائفة ينتسبون إليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الأحمدية بالعراق والحيدرية بخراسان. وعلى تربته زاوية عظيمة بها الطعام للوارد والصادر»

ولا أنسى مسيري في قونية ليلة الوداع واعتسافي متخطياً دروب المدينة وجلوسي تحت أشجار هناك إلى نافورة تلقي وسوستها في صحن المكان مناجاة أو حديث النفس

وبينا يجول الفكر في مشاهد قونية وتاريخها، ويطير بين الوطن والأهل في مصر، انبعث المذياع منبئاً رسالة مصر كأنها جواب النجوى. ولست أدري أعرف صاحب المذياع أني مصري فآنسني، أو كان اتفاقاً أجاب حديث الضمير. وكثيراً ما سمعت في استانبول وقونية صوت مصر، لا سيما حين تلاوة القرآن.

عبد الوهاب عزام

السكينة وفقد كادت أن تهيئ لخصومها مجالاً واسعاً . فبدت هذا العامل في زمن الخليفة ، وخير ما نطلقه عليها أنها كانت «زعيمة المعارضة» — في اصطلاح هذا العصر — مدة الخليفتين عثمان وعلي

ثم جاءت شكوى المصريين من عاملهم ابن أبي سرح على نحو شكوى أهل الكوفة من عاملهم . وكانت السيدة في ذلك معاداً حيناً كما قام غيرها من مشيخة الصحابة مثل علي وغيره إلا أن ابن أبي سرح لم يعمل بكتاب عثمان[1] ، وقتل أحد الذين كانوا شكوه ؛ فرجع المصريون إلى المدينة ، وشكوا إلى أصحاب النبي وأزواجه ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : «قد تقدم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل ، فأبيت أن تعزله ؛ فهذا قد قتل رجلاً منهم فأنصفهم من عاملك»

ولما رجع المصريون بكتاب عثمان المزور ، وضج الناس ، كانت عائشة منهم كثيراً ، وكانت هي حسبما تقول (حياة محمد) «إنا نقمنا عليه ضربة السوط ، وموضع السحابة ، وإمرة سعيد والوليد . فعدتم إليه ... من سوط عثمان»

وسرى على عائشة هذه من عمال عثمان وبرضاها إياه على تغييرهم ما آذيه كثيراً حتى خرج مرة عن وقاره واعتداله ، وما عرف به من الاحتمال والحلم . قال صاحب (البدء والتاريخ) :

«كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة وخذله المهاجرون والأنصار ، وتكلمت عائشة في أمره وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونعليه وثيابه وقالت : «ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم !» فقال عثمان في آل أبي قحافة أسرة عائشة ما قال ، وغضب حتى ما كان يدري ما يقول»[2] .

هذا ما كان من آثارها ، وندع لفطنتك أن تقدر ما يبلغ مثل ذلك من نفوس الناس ، وهم حينئذ ترابوا المحنة للإسلام ، وأقرب الناس عهداً بالرسول وصاحبيه ... كيف كان تأثيرهم في الوحدة على عثمان حين فرط حتى بلغ السيل الزبى ، وحتى ... أصبح — ثم لا تكون تلك المرأة إلا أم المؤمنين عائشة ... حبيبة رسول الله وخير المسلمين بعد الرسول ... وشعره ... ، ... في حجرها وتقول للداخلين عليها : «هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته» وكان عثمان مرة يخطب حدثت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : «يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته» فقال عثمان : «رب اصرف عني كيدهن ، إن كيدهن عظيم !»[1]

إن الأثر الذي أثره في قلوب الناس لعمل بليغ ... إلى حد ... أن هذا التغيير في النفوس يكفي ؛ ثم هو لا يرد إلى الأيام الأولى ... وهذا يفسر لنا بجلاء سبب تقاعس أهل المدينة عن نصرة عثمان حتى حوصر الأمس وانتطاه أهل الأمصار

وزعم بعض الرواة أنها أول من سمته (نعثلاً) و (نعثل) اسم يهودي أو نصراني طويل اللحية ، لقب به عثمان تشبيهاً به ، وأنها كانت تقول : «اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً» وكان الناس يعيبون عثمان حين ... عائشة بمكة ، وعثمان ... ، ولم ... لشهيده له ولم تغير شيئاً

ولقد تضافرت روايات من طرق مختلفة على سعي عائشة على عثمان . ولما آلت الخلافة إلى علي وتحدثت في مطالب بدمه قال لها عمير : «أنت بالأمس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه» . وقال لها ابن أم كلاب : «والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر»

وإذا علمت أن أشد الناس على عثمان — وهو طلحة — ... أن يكون إليه الخلافة بعده ، وأن طلحة ابن عم أبي بكر (رضي الله عنه) وأمعنت في الحوادث التي حدثتها العهد ، ووجدت بعضها الخواطر ... ويرويه الطبري الآتية (وهي مسوغة ...) من المسألة ... إليه

«خرج ابن عباس إلى موسم الحج بكتاب عثمان ، فمر بعائشة في (الصلصل) فقالت : يا ابن عباس أنشدك الله فقد ...

(1) حادثة مشهورة ، وقد تركنا من تفاصيلها كل ما ليس له علاقة صميمة بموضوعنا . فليرجع القارئ إلى كتب التاريخ في كل ما يرى أن يستوعب في هذا المقام .
(2) ج ٥ ص ...

(1) اليعقوبي ج ٢ ص ...

لساناً بإزالة (تشيطاً) أن تعدل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ؛ فقد بان لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ ، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن المفاتيح ، فإن يَلِ يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر) فقال ابن عباس : (يا أمه ، لو حدث بالرجل (يعني عثمان) حدث ، ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا (يعني علياً) . فقالت عائشة وقد يئست منه : (إيها عنك ، لست أريد مكابرتك ومجادلتك) » اهـ

وعلى هذا يكون طلحة لم يكتف وعرضه من كر عثمان ، بل تطلع إلى ... في رأسها في تصنيف الخلفاء أيضاً

وروى ابن أبي الحديد أن عائشة لما بلغها قتل عثمان قالت : « بعداً لنعثل وسحقاً ! أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » وكانت تطمع أن يكون الأمر إلى طلحة وتقول : « إيه ذا الإصبع (تعني طلحة لأن إصبعه شلاء) إيه أبا شبل ، إيه يا ابن عم ! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع ، حثوا الإبل ، قد أدرك ، أما إنهم وجدوا طلحة كفؤاً ...) ولما علمت ببيعة علي قالت : « تعسوا ، تعسوا ، لا يردون الأمر في تيم (تعني قوم طلحة) أبداً ... » ثم أسرعت ترد ركابها إلى مكة وتقول : « قتل ابن عفان مظلوماً » فقال لها قيس بن أبي حازم : « يا أم المؤمنين ، لم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبلُ أشد الناس عليه وأقبحهم رأياً فيه ! » فقالت : « لقد كان ذلك ، ولكني نظرت في أمره ورأيتهم استتابوه ، حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً في شهر حرام فقتلوه(١) » اهـ

وفي رواية أنها ... [illegible] ... الله

وهذا موضوع لعل فيه بعض الناس من الأحبار ... [illegible] على ما نرى اليوم من عمر الأحزاب السياسية ... [illegible] كان يصنعه توسع الروابط التي تصير صاحبه ... [illegible] وما نسب إلى السيدة — في رواية ابن أبي الحديد — ... [illegible] لا يصدر عن الأطفال ، بل من كان في مثل عقل السيدة ودينها وعواطفها

[illegible]

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٣٦

د. هـ. لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٢ — زهرة حياته

كان الأبوان على طرفي نقيض. ولقد كان لذلك كل الأثر على حياة لورنس الأولى وبخاصة على الجزء الثاني منها، فضلاً عن أن هذا الاختلاف هو الذي طبع أولى كتبه بطابع خاص.

فبينما كان الأب لا يكاد يحسن القراءة والكتابة إذا الأم وقد نالت حظاً وافراً من التعليم. وبينما كان الأب يعمل كعامل بسيط في أحد المناجم إذا بالأم تنحدر من سلالة أسرة عريقة في المجد والنبل. ولكن كان الأب وسيم الشكل يبدو عليه كل أمارات الرجولة. يفخر دائماً بأن الموسى لم تمس لحيته في يوم من الأيام. وكان هذا مما جذب الأم وأوقعها في حب الأب رغم ما بين طبيعتيهما من فوارق. وكان كل همه يرى في مصارعته ما لا يريد الآخر، فكانت للأب وسيلة يحصل بها على زوجة شابة نظيفة. أما الأم فكانت ترى فيها سبباً في رحمها في حياة لم تحصرها أو تألفها طول حياتها. وكانت تطمح إلى مستقبل أولادها أبعد ما يكون عن الاخشيشان، فاقترح الأب أن يصحب الأولاد إلى العمل في المناجم بينما تعمل البنات في البيوت، وهذا ما عارضته الأم بكل قواها، لأنها كانت تربأ أن يبعث الأولاد مثل أبيهم أو أن تحيا البنات حياة أمهن البائسة.

ظل هذا النضال قائماً بين الأب والأم حتى أتت الأطفال فأولتهم الأم كل عطفها وصاروا سلوتها الوحيدة فعاشت لهم ومن أجلهم. أما الأب فقد شعر أن عاطفة زوجته كانت منصبة على الأطفال دونه، فصار لا يرتاح إلى البقاء طويلاً في المنزل، وأصبح يفضل عليه المقاهي والحانات حيث يجتمع بمن هم على شاكلته ومن يفهمهم ويفهمونه حتى أن الدرب الذي صارت له فيه الحانة منزلاً ثانياً. كانت زوجته تعد له طعامه وتنتظر الساعات الطوال حتى يحضر قبيل طلوع الفجر وهو ثمل لا يكاد يعي كل ما يقول، حتى إذا ناقشته أو أنبته بكلمة أو عبارة أخذ وجهاً صارماً وخشناً في القسوة حتى إنه لم يتورع مرة أن يقذف بأحد الأدراج فشج رأسها.

كان «أرنست» أول أطفالها وقد صوره لورنس صورة ناطقة في روايته «الأبناء والمحبون» تحت اسم «وليام». كان متفوقاً على كل إخوانه في المدرسة وكان لا يضيع دقيقة من وقته، فكان يدرس الاختزال في بعض الدروس الليلية في أوقات فراغه. وبهذه الطريقة حصل على وظيفة رئيسية في إحدى شركات الملاحة بلندن، وكان المستقبل يبدو أمامه زاهراً، حتى فاجأته المنية وهو لا يزال في العقد الثاني من عمره فكان موته ضربة قاسية على قلب الأم، حتى كانت سناً مبكراً ومقدار شغفها إلى ذلك اليوم الذي عوجلت فيه حتى قابل أرنست.

بعد أرنست أتت إميلي ثم آدا وأخيراً دافيد هربرت لورنس في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٥. وكان في طفولته لا يميل إلى الألعاب التي كان يميل إليها من هم في سنه لأنها كانت من ابتكار غيره، وكان يفضل عليها الألعاب التي يبتكرها هو، لأنه ما كان يكره شيئاً قدر كراهيته للتقليد. ولما بلغ السادسة عشرة تعرف إلى عائلة حيث قابل حبيبته الأولى التي وصفها في كتابه «الأبناء والمحبون» تحت اسم «ميريام». جذبته الفتاة بسبب عينيها الواسعتين، وشعرها الأسود المموج، وميلها إلى القراءة، وعطفها على حلاف بقاب حبها، فضلاً عن أنها كانت تعيره أذناً صاغية عندما يتكلم معها عن آرائه الغريبة. لذلك كانت زيارته بيت حبيبته تزداد يوماً بعد يوم فأرست نفس الأم وأتعب أعصابها حتى إنها تبادلت ذات يوم أن قالت له في تهكم وغيظ، إلى الأولى به أن يجمع ملابسه ليقيم مع حبيبته دواماً.

وعلى رغم أن لورنس لم يعرف حبيبته عميقاً في صراحة إلا أنه كثيراً ما كان يجد نظريته التي تقول إن كل رجل عظيم خلفه امرأة، وأنه كان يرى فيها المرأة التي سوف تحقق عظمته. ولكن كان لورنس حساس القلب إلى أقصى حد فحساسيته لم ينه ما عانته الأم المسكينة من زوجها القاسي فتعلق قلبه بأمه وأخلص في حبها، وعلى العكس من ذلك كان شعوره نحو أبيه. وقد بادلته أمه حباً بحب حتى عوضت ما فاتها من حب زوجها. ولقد كان هذا الحب

حول لورنس الأولى ودقته، والذي ذاق من أجله الأمرين، ولكنه في الوقت نفسه كان سبباً في توجيه مبكر إلى درس موضوع لم يسبقه إليه أحد. كان لورنس يشعر في قلبه بحنين يتنازع أحدهما الآخر ويعمل على استئصاله، وكان كل منهما من القوة بحيث جعلت لورنس حبيسهما ردحاً من الزمن. فهو يحب أمه، وفي الوقت نفسه يحب ميريام. ولما كان حبه لأمه هو أول حب طرق قلبه فقد كانت حاجته شديدة إلى امرأة تحبه حباً مرياً حنوناً يخلصه من الأغلال التي كان يرسف فيها، ولكن للأسف كان حب ميريام من ذلك النوع الروحي مما كان سبباً في تلك الآلام في النهاية

وكانت ميريام قد أرسلت بعضاً من قصائده إلى أحد الناشرين فنشرها له، وشجعه هذا على أن يرسل إليه أول رواياته «الطاووس الأبيض» وقد ظهرت الرواية في يناير سنة ١٩١١ أي بعد وفاة أمه بشهر واحد

وبموت أمه وفشل حبه ينتهي الجزء الأول من حياة لورنس

وفي أحد أيام ابريل من عام ١٩١٢ قصد لورنس إلى منزل الأستاذ أوسكت ويكلي كي يتوسط له لدى إحدى الجامعات الألمانية في الحصول على إحدى وظائف التدريس بها. وفي هذه المقابلة الأولى وقع لورنس في حب زوجة الأستاذ الألمانية، وشعرت أنها قد بادلته حباً بحب فكتب إليها يبثها غرامه ويطلب منها أن تطلع زوجها على ما بينهما فلم تتردد أن تفعل ذلك برغم شدة حبها لزوجها ورغم أنها قد أنجبت منه ثلاثة أطفال

سافرت فريدا بعد ذلك مع لورنس إلى متز حيث قابل لورنس والدها البارون فون رشتهوفن حاكم الألزاس واللورين بعد الحرب السبعينية، وكانت مقابلة جافة بين الأب الأرستقراطي وبين لورنس الذي ينحدر من طبقة العمال. بعد ذلك سافر لورنس وحبيبته إلى أرض الريف، ثم قاما في فيروبيرج وهناك تحت سفح جبال الألب وعلى ضفاف نهر الإيزار بدآ حياتهما معاً. ومن هناك ذهب إلى بحيرة جاردا حيث أتم روايته «الأبناء والمحبون» ثم أرسلها إلى أحد الناشرين فردها إليه بحجة أنها أقذر كتاب وقعت عين الناشر عليه. ومن غريب الأمر أن الرواية حينما لاقت تقريظ الكتاب بعد نشرها وأجمعوا على أنها من أروع ما كتب في الأدب الإنجليزي. وفي هذا المكان كتب

«الشمس في إيطاليا» وكذلك مجموعة من أشهر قصائده.

وعادا إلى لندن دون أن يمكثا بها طويلاً ثم ذهبا إلى ... حيث كتب لورنس قصته «الضابط البروسي» التي نشرها بعد الحرب العظمى مع أنه كتبها عام ١٩١٣

وفي الشتاء التالي ذهبا إلى إيطاليا حيث كتب روايته «قوس قزح» وأرسلها إلى جورث أحد الناشرين — فلم تصادف هوى في نفسه. فكان يأس لورنس لا يوصف، لأنه كان يعتقد أنه إنما يحاول أن يعلم الناس كيف يعيشون فكان ينتظر منهم الحمد والثناء فلم يجد سوى الجحود والنكران

وفي ربيع عام ١٩١٤ ذهبا إلى لندن حيث عقدا زواجهما وتوثقت صلاته بالشاعر الشاب روبرت بروك الذي راح ضحية الحرب. وكان لورنس من أعدى أعداء الحرب لا ينفك عن مهاجمة مبعثيها وإظهار سخطه عليها. وفي ذلك الوقت ظهرت روايته «قوس قزح» فقال الناس عن كاتبها إنه معتوه يشكو من عقدة جنسية، وأمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وإحراق كل النسخ التي ظهرت منه، وحتى أصدقاؤه الذين كان ينتظر منهم أن يؤازروه في محنته ويقفوا إلى جواره انصرفوا عنه ونبذوه فبقي وحيداً ومجروحاً. عند ذلك أقسم لورنس أنه لن يكتب رواية أخرى بعد ذلك، وقد بر بقسمه خمس سنوات، وكان يعتقد أنه رجل سابق لعصره، يراه الناس غريباً عنهم فيخطئون في ظلمه كما يظلم صغار المعلم، ولو أنهم أنصتوا لكلامه واقتربوا منه رأوا فيه رجلاً أعظم منهم وأكبر حجماً

وذهب بعد ذلك إلى مقاطعة كورنوول يقضي بها سني الحرب، ولكن كانت زوجته الألمانية سبباً في جلب كثير من المتاعب في طريقهما فظن مواطنوه أنه يتجسس للألمان فكانوا يفتشون منزله كل يوم ويعيثون أثاثه ويبعثرون أوراقه حتى ضاق كثير من حسن نيته. وحدث مرة أن كان ماشياً مع زوجته وهو يحمل حقيبة على ظهره، فلم يكد يراه حرس السواحل حتى انقضوا عليه بحجة أنه يحمل آلة تصوير في الحقيبة، وتسابقوا إلى فتحها ولكنهم لم يجدوا بها سوى رغيف من الخبز. وكان لورنس يصبر على كل هذه المكاره في صمت حتى زاره ضابط في منزله ذات يوم وقرأ عليه أمراً حكومياً يقضي بأن يغادر مقاطعة كورنوول

في مدى ثلاثة أيام على الأكثر. استشاط لورنس غضباً عند سماع هذا الاتهام الصريح في أعز شيء لديه، وهو الذي كان يعتز بنفسه حتى برم من شكل مواطنيه ويتطلع إلى طريق الحياة الصحيح [illegible] ثم سهم في وطنيته وانجليزيته، كان هذا أقسى ما لاقاه من العنت.

وصل لورنس إلى لندن بين شتى الغارات الإنكليزية الحربية عليها فكان جميع أهل لندن يتحولون إلى الأدب والفن فراراً من هذه الكوارث، ما عدا لورنس الذي كان يرفض أن يترك مراقبة أي شيء.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهب وزوجته إلى فلورنسه وذهب إلى جزيرة كابري حيث كتب مجموعة قصائده بعنوان «الطيور والحيوان والزهور» وكتب كذلك روايته «الفتاة المفقودة» وأخيراً كتب الكتاب الذي لم يغير فيه حرفاً واحداً وهو «البحر وسردينيه».

ثم ذهب بعد ذلك إلى أستراليا واستغل القطار من سدني على أن ينزل في أية مدينة يروقه منظرها من هذا القطار [illegible] في ثيرول حيث كتب روايته الشهيرة «الكنغر» التي ضمنها كل آرائه في أستراليا وما لاقاه في كورنوول من اضطهاد أثناء الحرب العظمى.

وهناك وصلته دعوة من مابل رودج للذهاب إلى تيوس في المكسيك كي يجرب الهنود الحمر الذين كثيراً ما كان يظهر إعجابه بهم. فلم يتردد في قبول الدعوة، وكان هناك [illegible] ثم انتقل من تيوس إلى مدينة المكسيك على أثر خلاف قام بينه وبين مابل رودج، وعلى بحيرة شبالا كتب روايته «الثعبان ذو الريش» وفي الخريف التالي كتب «الصباح في مكسيكو».

ثم تسلط عليه وطأة المرض فجأة، ولما فحصه الطبيب قرر أنه مصاب بالسل وفي الدرجة الثالثة. ولكن لم يمنعه هذا أن يكتب وهو مريض مسرحيته المسماة «داود» وقصته الطويلة «المرأة التي رحلت».

وفي الصيف التالي عاد إلى أوربا واستأجر فيلا بالقرب من جنوا، وكان وهو في فلورنسا قد كتب روايته أخيراً «عشيق لادي تشاترلي» ولكنه تركها مهملة في أحد أدراج مكتبه عشرة أشهر [illegible] من جديد؛ لأنه كان [illegible] ثم رأى أخيراً أن يخرجها إلى عالم الوجود [illegible] الناشرين فردها إليه [illegible] لورنس إلى آخر [illegible] وأخيراً [illegible] بداً من أن يأخذها إلى مطبعة إيطالية لا يعرف عمالها من الإنجليزية حرفاً واحداً، فوافق هذا على طبعها دون أن يدري عما يطبع كلمة واحدة. وظهر الكتاب عام ١٩٢٨ ولكنه صودر لتوه. وفي العام التالي صودرت أيضاً مجموعة قصائده [illegible] الطابق [illegible] البوليس لمعرض صوره في لندن، [illegible] وطأة المرض عليه ونقل إلى مصحة في نيس vence حيث التف حوله كل أصدقائه يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه، ومن بين هؤلاء الأصدقاء [illegible] ثم نقلوه بعد ذلك إلى فيلا على مقربة من المصحة، ولكن كان قد سبق السيف العذل، فما كاد يصل إلى هذه الفيلا حتى ساءت حاله وأسلم روحه إلى بارئه في اليوم الثاني من شهر مارس سنة ١٩٣٠.

«يتبع»

عبد المجيد [illegible]
مدرس [illegible]
خريج جامعة [illegible]

من تاريخ في سير أبطال

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يجعل له مكانه بين قواد حركات القومية؟

للأستاذ محمود الخفيف

ولقد كان من هؤلاء الساسة من دعاة المدنية الكاذبين على أهل الشرق من كانوا يبيحون أمرء كل كرامة في سبيل الوصول إلى أغراضهم، واثبتت تقدم الأوضاع التي سار الناس عليها؛ وشهد التاريخ على مسرح السياسة من المضحكات ما يبكي، ومن المبكيات ما يضحك! فقد عز على هؤلاء الساسة الذين راعوا جدران مدنيتهم ويتظاهرون بما صنعوا في سبيل حرية الإنسان أن يروا أهل مصر يخرجون جميعاً إلى الحرية، ويصعدون على الرغم من وطنهم غلاظاً غير متورعين، يتطلعون إلى حقهم ويلتمسون ما بينهم من دواعي الخلاف، ويظهرون الأثرة بل ويحرصون على أنفسهم الطيبات حتى يتم لهم ما أرادوا

ومن هؤلاء الكاذبين لمصر الطامعين فيها أن أنكر أغلب على هذا الشعب وقد كانوا يعتبرونهم أمواتاً أو كالأموات، ويعلم أن يروا فريقاً من هؤلاء الفلاحين يسطعون [illegible] ويعملون إلى جانب أغنيائهم بحيث يكون الأمة [illegible] مصر كل سلطان، وأدركوا أن هذا البعث الذي أطل على مصر من وراء الظلام هو الصبح الذي تبدد به أحلامهم وتخيب آمالهم، فأرادوا يوماً كاملاً عن عناية مصر [illegible] بكل قسوة؛ وفي مقدمة هؤلاء جميعاً ذلك الرجل الذي خطا نحو الحرية الخطوة الأولى وصرخ في وجه الظلم الصرخة الأولى.

ولم ير هؤلاء في وزارة البارودي حسنة واحدة، وكيف كانوا يرون لها حسنة ووجودها في الحكم كان في ذاته مقدم أقبح السيئات وأكبر الأوزار؟ وإنهم ينظرون إلى كتب عليهم ويصوبون إليها من السهام والأخطاء ما تنوء لها [illegible] من [illegible]

ولكن هذه الوزارة — وذلك مقتضى أكبر حسناتها — كانت لا تعبأ بما رحب للناس من جهة إلى غايتها على الشوك وقد عقد أصحابها النية على اتقاء ما يلاقونه من طمع الطامعين وكيد الكائدين، وعلى جهدهم بقربهم من الإصلاح في شتى مرافقها حتى تقوى على كل [illegible] من خصومها

وما كان في الوزارة من موضع لسوى عمل [illegible] وأعضائها بالقناصل الأوربية، إلا وزير الخارجية مصطفى فهمي باشا؛ ولقد ضم إلى الوزارة ليكون سبباً في الصلة بالأوربيين، وكان من رجال العهد القديم على حد تعبير مؤرخي الثورة العرابية، فلم يكن ينظر إلى الوطنيين نظرة الاحترام والتقدير، وإنما كان يرى فيهم فريقاً من الفلاحين تطلعوا إلى ما ليسوا أهلاً له، شأنه في ذلك شأن الجراكسة وأشباههم من صنائع مصر وكبرائها في ذلك العهد.

وعلى ذلك فقد كان وجوده [illegible] في وزارة الخارجية [illegible] بجانب [illegible] إلى أعضاء الوزارة، وذلك أمر لم تفطن إليه إلا بعد فوات الوقت

وما عدا ذلك كانت وزارة البارودي وزارة وطنية حقاً سعت منذ قيامها على تحقيق آمال البلاد والنهوض بها على الرغم مما كان يحيط بها من دسائس وما كان يعترضها من عقبات [illegible]

افتتح مجلس النواب في ٢٦ مارس فقضى [illegible] في العمل نحو ثلاثة أشهر وهي مدة وجيزة كان يشغل الأعضاء فيها ترتيب أعمالهم، ولكن المجلس على الرغم من ذلك قد قسم أعضاءه إلى لجان مختلفة أخذت تعمل في الوزارات وتبحث الشؤون العامة التي تهم البلاد، وحدث المجلس في دراسة مسائل المعاهدات والمفاوضات السابقة والخاصة المبرمة بين الحكومة المصرية والحكومات الأجنبية ونحوها

وأصبحت الوزارات تضع مشروعات الإصلاح المختلفة وترفعها إلى المجلس في دور انعقاده القادم ؛ فكانت تنظر في تنظيم التعليم وتفكر في إنشاء مصرف زراعي ينتشل الفلاحين من وهدتهم ، وتعمل على إصلاح المحاكم المختلطة و[illegible] قانون الانتخاب ووزارات تدرسه لتمد نظاماً جديداً يحمل المحكومين الرقابة الفعلية على الحاكمين

ولكن حدث أنه كانت كلما تقدمت الوزارة في خطى إصلاحها تزداد لهجة الصحف الأوروبية في النيل منها والطعن فيها، واشتدت وطأة الساسة في نقد أعمالها ودس دسائسهم من حولها ، وعلى رأس هؤلاء كلفن وماليت اللذان أدركا الآن ، أو على الأصح وُشيا إلى أن مهمتهما في مصر أصبحت استعجال الحوادث تمهيداً للتدخل العسكري

« وقد عني عرابي بنوع خاص في إصلاح نظارة الحربية التي كانت في منتهى الفوضى والخراب وذلك لسد [illegible] كلما تأخر عنه [illegible] في إصلاح حصون السواحل و[illegible] احتياطي للمدفعية [illegible] على تلك الحصون[1] »

والحقيقة التي لا يجهلها إلا المغرضون [illegible] أن البلاد كانت تشيع فيها روح الوطنية الصادقة التي تبرهن على صحتها الأعمال لا الأقوال. ولو أنه قدر للوزارة البارودية أن تسير على هذا النهج لكان أثرها بعيداً في تاريخ مصر بل في تاريخ القرن التاسع عشر كله ، فقد كانت المسألة المصرية حينئذ من كبريات المسائل في ذلك القرن

وليس أدل على وجود الروح الوطنية في مصر يومئذ من هاتين العبارتين اللتين نوردهما في هذا المجال ، وأولاهما ما كتبه [illegible] في كتابه « المسألة المصرية » حيث يقول في [illegible] الثورة واضطراماتها « إن كتاب ذلك العصر ليجهلون أو [illegible] من طلب الذين كانوا يطلبون توسيع اختصاص المجلس ، حتى ليخيل إلى الذي يقرأ [illegible] كأنه [illegible] وأن وادي النيل لم يكن يحتوي إلا على فلاحين تحني العصا ظهورهم . فكل ما نرد به على هؤلاء الكتاب والخصماء هو أن آباءنا كانوا أول من هب لنصرة الوطنية المصرية في عهدهم ، وذلك أن والدنا في سنة ١٨٤٠ لم يترددوا في أن يتكلموا في مجالسهم عن الراية الوطنية المصرية الناشئة ، فقد كان هناك إذاً وطنية مصرية [illegible]

في سنة ١٨٤٠ [illegible] وليس في هذا مبالغاً [illegible] ولكن لا ريب في أنه كانت توجد في نفوس المصريين [illegible] سنة تحت مطامع كان من الممكن أن [illegible] وتلك حقيقة لا تحتمل جدلاً ، غير أن الذين كانوا [illegible] مصر لم يكونوا يرون في المصريين غير قوم [illegible] يرجعون في معاملتهم إلا مصلحة واحدة هي مصلحة الدائنين الأوروبيين التي يجب أن تقدم على ما عداها ، وبذلك لم يلتفتوا إلى [illegible] اعتبر مصر رهناً ، وتدخلهم في شؤونها تدخلاً أدى بحكم سيره إلى أن مصر في أيدي الأجانب ، [illegible] على طول الأيام [illegible] شعور الشعب المصري الذي هو شعب [illegible] الطاعة والخضوع من أعماق »

وأما ثانية العبارتين فهي ما كتبه [illegible] قنصل فرنسا العام في مصر في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨١ قال « ليس من السهل علينا أن نقدر [illegible] هذه المطامح الشرعية ولا كيف يمكن إرضاؤها ، ولكن هذه المطامح حقيقية إلى أقصى حد ، [illegible] إلى أعظم حد أيضاً ، فلا يمكن إنكارها ولا يمكن على الخصوص التفكير في خنقها[1] »

من هاتين العبارتين يتبين لك أنه كان في مصر يومئذ حركة وطنية ، [illegible] ذلك أيضاً [illegible] وحال تلك [illegible] [illegible] عربياً [illegible] بالفرنسية والألمانية [illegible]

[illegible]

ما كان عرابي [illegible] ولا [illegible] ولكن كان رجلاً [illegible] من وطنيته [illegible] كما [illegible] على قدر ما جمع له من الكفاية والقدرة والخطأ والصواب من خواص البشر [illegible] أما الصدق والإخلاص وما إليهما من صفات الزعامة والبطولة فلا [illegible] فيها ولا تهاون ، بل لا يصح أن تكون هذه أموراً يجوز فيها التفاوت [illegible]

(١) [illegible] منقولاً من مقدمة كتاب التاريخ المصري [illegible] عبد القادر حمزة

(١) المسألة المصرية [illegible]

بطل وبطل! وكيف يجوز في عقل أن يكون هناك نصف صدق ونصف إخلاص؟ إن هذه أمور حلالها وبجالها بل وجوهرها في أن تكون غير قابلة لزيادة أو نقص؛ وعلى ذلك لا يرى عنا بحثون عن شيء ألبيانوا دليلا واحدا على كذبها أو مروقه. أما الخطأ والصواب فليحاولوا فيهما ما شاءوا وبيننا وبينهم حوادث هذه الثورة الوطنية على قدر ما وصل إلينا منها وبها نستطيع أن نرى ما في سياستهم من خطأ أو صواب

ونحب قبل أن ننتهي إلى الثورة أن نقف عند زيارة بلنت قبل سفره إلى انجلترة عرابيا في وزارة الحربية زيارة وداع، ويحسن بنا أن نثبت هنا بعض ما كتبه بلنت عن عرابي في هذه الزيارة، قال: «فاتحنا في كل الموضوعات التي كانت محل التكلم في الدوائر الوطنية بما فيها من مشروعات للإصلاح وآمال ومخاوف في الداخل والخارج، وكانت بضعة الأسابيع التي قضاها عرابي في مركزه الجديد قد أنضجته ووطدته فناقشني في كل الموضوعات رصانة واعتدال عظيمين سواء في التفكير أو في اللهجة! وقد أكد لي أنه هو وزملاءه الوزراء يرغبون كثيرا في أن يصلوا إلى تفاهم ودي مع الحكومة البريطانية في كل المسائل التي يختلفون فيها مع الوكالة البريطانية في القاهرة، وطلب إلي أن أبلغ رسالة بهذا المعنى رسمية إلى جلادستون! وقد شكا شكوى مرة من كلفن وماليت اللذين ظهر مسلكهما العدائي من الحملة التي جريا عليها فيما يختص بنشر الصحف البريطانية وقال لي: «إن السلام لا يمكن أن يوطد في القاهرة ما بقي هذان، وما بقيت علاقتنا مقصورة عليهما، فإننا نعرف أنهما يعملان لإيقاعنا سرا! إننا لم نكن نبغي أمرا ولم نشغب بعزل أيهما جميعا، ولكننا لا نريد أن نختلف مع إنجلترة كرمة لهما ... دع المستر جلادستون يرسل لنا من كان حلالا لهما لتتفاهم معه وبعد ستقبله أذرع مفتوحة[1]»

هذا هو جانب من حديث عرابي مع بلنت

نفسه تحت أمين القلب الجمهور البريطاني وعدم تشعبه عن حقائق الأمور بيتروانا عن فيه كله وحده في موضوعها ألا وليس هذه عن إنجلترا، ويتوعد كما كان حريا أن يسود بكل كل ما وصفه أخيرا إلى بشكوى من كلفن وماليت ومحاولتهما حتى يقضي بعض أن يتفاهم مع إنجلترة، وهذا أثر ذلك يقوي فيه مجهود السياسة الإنجليزية على كاهل هذين الاثنين عن الأمر ضد رغبة ماسة كبيرة في شخصيهما بهو أيهم بخلاف حكومتهما؛ ثم هو يعتبر السبب في ذلك التفاهم ولا يدع في مسلكهما حلالا لأعدائه؛ كل ذلك دون أن يفرط في حقوق بلاده أو يعرض بها شيئا قليلا وهو الذي جعل خصومه ... في أول ما ... جموع ... الخصب

[1] التاريخ السري ترجمة البلاغ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٦٠ — أرى الدعوات قد صارت فروضا

في (محاضرات الراغب): ذكر بعض الكتاب أنه كان يباشر سوقاً فاتفق أن دعاه يوماً، قال: فلما تكلف السعي من صاحب الدعوة مررت على رقعة عنده عنها: « فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة » وقد ذكر على هذا أسامي كل من يعاشره. فلما انتهيت إلى اسمي رأيته قد حسب له علي دعوات — فرجعت وقلت له: لا أتناول طعامك حتى أرد ما علي، وقلت في ذلك:

أرى الدعوات قد صارت فروضاً ... ودَيناً في الرقبة مستعيضا
فما أكره أن أجيب على دعاتي ... ولا أحصو [illegible]

٤٦١ — ولباس الرأس

قال ابن سعيد في (المُغرب) [illegible] الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس ... وقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره. وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من ترى بعمه في شرق منه أو غرب. وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته يحضر (؟) حوله ملوك الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده.

٤٦٢ — أعاطب بالتأمير والي سيج

كان البحتري مقيماً في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله العزبة الثامنة، بعث غلاماً إلى المنبج (؟) وكان يحتاج للزاد إلى المال بحسب مصالح أملاكه وضياعه

بالأمير حاجته، ولا يطاوعه [illegible]

معنى جعفرٌ والفتحُ بين [illegible]

دون [illegible]

أأطلب أنصاراً على الدهر [illegible]

وسهمانِ أوس [illegible]

[illegible] تحسنا، ولحمة بعدهم

أعاطب بالتأمير والي منبج [3]

٤٦٣ — شكوى في قصيدة

لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة، عبد الله بن همام السلولي شعراً، وكتبه في رقاع، وطرحها في مسجد الكوفة:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... فقد خرب السواد فلا سوادا [4]
أرى العمال قد جاروا علينا ... بعاجل نفعهم ظلموا العبادا
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... وتدفع عن رعيتك الفسادا [5]
وتعزل تابعاً أبداً هواه ... يخرب من بلادته البلادا
إذا ما قلت أقصر عن هواه ... تمادى في ضلالته وزادا

فبلغ الشعر معاوية فعزله.

٤٦٤ — قول في الرعاية والتذمم [6]

(شرح النهج لابن أبي الحديد): قال عمر لرجل هم بطلاق امرأته: لم تطلقها؟ قال: لا أحبها.

قال: أوَكلّ البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم (؟)!!

(١) [illegible]

(٢) أوس [illegible]

(٣) الأمير [illegible]

(٤) [illegible] سواد الكوفة وهو ما حولها من القرى والرساتيق وسواد العراق ... والعرب تسمي الأخضر أسود لأنه يرى كذلك على بعد، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه (المصباح)

(٥) [illegible]

(٦) من [illegible] التذمم [illegible] (المصباح)

(١) [illegible] وقال الراغب ثلاثة [illegible]

٤٦٥ — وهذه فعل أبو جعفر

(محاسن البيهقي): ابن مسروح عن أبيه: كنت أسير في موكب يحيى بن خالد فعرض له رجل من العامة، ومعه كتاب فقال: أصلح الله الأمير! يختم لي هذا الكتاب. فبادر إليه الفتكرية[1] يجرونه من حوالي موكبه، فقال: دعوه يصل لأختمه (يعني خاتمه) واستدناه فختمه له، وعجب مسايروه من التماسه للدروب، وعلمه بأمثال الرسال[2]

٤٦٦ — التوءمون العراقيون

في (الحوادث الجامعة في المائة السابعة) لابن الفوطي في سنة (٦٤٥) ولدت امرأة فقيرة أربعة في بطن، فشاع ذلك وأنهي خبرها إلى الخليفة، فأمر بإحضار الأولاد، فأحضروا في جونة، فتعجب من ذلك، وأمر لهم بخمس مائة دينار وثياب، وكانت المرأة وزوجها في غاية من الفقر لا يملكان حصيراً!

* * *

قلت: حبى خليفة ذلك العصر التوءمين العراقيين عطاء وقد أخبرتنا الصحف في هذه الأيام أن كنيسة أمريكية [illegible] توءمين حتى تكفلتهم الدولة كفالة بينة، ووظفت للناشئين في كل شهر وظيفة، وقد أصبح مدبريهم بين عشية وضحاها في صحف العالمين مستبعدة، ولأثر [illegible] البريطانيين ذلك الإعجاب في هذه الحرب شاهداً لهم، وعجب من التوءمين [illegible] آخر الخلفاء في بغداد من التوءمين

٤٦٧ — أخرا [illegible]

في (مسالك [illegible]) في سنة (٣٥٢) بعث صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة رجلين ملتصقين خلقة من جانب واحد ومن الحقو (الخاصرة) إلى دون الإبط وقاما كذلك، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان، ولم يمكن فصلهما[3]، وكان ربما يقع بينهما تشاجر فيختصمان، ويحلف أحدهما لا كلم الآخر الأيام ثم يصطلحان، فمات أحدهما قبل الآخر فلحق الآخر [illegible] الرائحة فمات

٤٦٨ — وربّما عادك أن ليس حر

ابن معلة

وصالٌ غرٌّ، وحسنٌ غرٌّ ... ودهرٌ يحكمُ كالأسر
وحالٌ عجوبٌ، وهمٌّ يذوبُ ... ودهرٌ عادك أن ليس حرٌّ!!

٤٦٩ — صحبة الأكابر تورث السلامة

حكي عن الشيخ العارف أبي العباس المرسي أن امرأة قالت له: كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه، وكان عندنا فول مسوس فششناه[1] فخرج السوس حيا. فقال لها: صحبة الأكابر[2] تورث السلامة.

٤٧٠ — من نقل أرسطو

قال ياقوت: من عجيب ما مر بي من الكتب حكاية أوردها [illegible] قال: كان لي أخ تاجر يعرف بابن طالب، وكان معروفاً بالكذب فذاكر وقد حكي في مجلسه والناس حضور عندهم أنه كان في عسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان يمطروا[3] معه، وقد جاء من البرد أمر عظيم، وأن الناس كانوا مرورين في العسكر، فلا يسمع لهم صوت ولا حديث ولا حركة! حتى ضرب الطبل في أوقات الصلوات. فلما أصبح الناس وطلعت الشمس وذاب ذلك الكلام؛ سمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات[4]، وحديث الناس، وصهيل الخيول، ونهيق الحمير، ورغاء الإبل.

(١) الفتكري: الأجير والمتعلم وهو معرب جاكر (القاموس)

(٢) في [illegible] قال [illegible] من [illegible] لأعوانه [illegible] أكبر [illegible] صاحب ديوان الكلام أبي علي يحيى بن خالد بن برمك

(٣) قلت: [illegible] في هذا العصر [illegible] والعبارة الأوروبية [illegible]

(١) الشش مثل الجش، والمشوشة [illegible] جشا غليظاً [illegible] والشاش [illegible] (التاج)

(٢) يعني الشيخ الأكابر [illegible] الكرام [illegible] الزهد أو الأحياء [illegible] الطيبين الصادقين الأمناء

(٣) يكتبها بعضهم بالألف لأن [illegible]

(٤) البوق [illegible] وذكر الشهاب في الشفاء أنه معرب بوري، وأنشد الأصمعي [illegible] (التاج)، قال أبو الفتح [illegible] لا [illegible] الكلام العربي [illegible]

وحي الشاعر

نفسيات

للأستاذ حسن القاياتي

خطرت كأنك في مخدع ناسك | لا راعني ألمي ولا أنا شاكي
كيف الصدود وفي ابتسامك واحة | [illegible] الناظر الشاكي؟
آمنت كما خطرت ورود حديقة | [illegible] إليك [illegible]
اللاعج البسام ترقص فوقه | في خد مشرق النور في الأسلاك
ذهبي من يوحي إلى الأملاك | لا [illegible] صورة الأملاك؟
حر كوجنات الغصن مضيع | لا الغصن [illegible] ولا الأريج الذاكي
[illegible] | إلا كما صنع الصبابة (حاكي)
[illegible] على [illegible] | [illegible]
ملك الجمال على رشاقة جوده | كم رشقة يتعلق الأسلاك
أنى هدى الحسن [illegible] | والحسن عند اللاعج الفتاك

• • •

أعلق بكأسه الدلال [illegible] | هات [illegible]
ريحي كما أسر الدلال بيانه | أصمى فؤادي بالأسى [illegible]
أهواك بين [illegible] وكاسي | من فرط ما أهواك لا أهواك
شتاق عيني أن رآك غريبة | يا قرة الأبصار حين تراك
ردي لي الليل [illegible] كأنه | [illegible] سواده عيناك

• • •

أسعى إلى [illegible] الرياض كأنني | أنظر إلى [illegible] ذكراك
وأدير شجو الطيور عشية | فكأنما أصغي إلى نجواك
[illegible] | كالشاديات نظرن من شباك
في الروضة [illegible] منك شمائل | [illegible]
وردة تجول مع النسيم كأنها | أنت باسمة [illegible]
[illegible] حياة [illegible] صورة | [illegible]

« البكري — دير القايات » [illegible] القاياتي

لي ...!

[illegible]

للأستاذ العوضي الوكيل

لي سحر وجهك دون الناس [illegible]
ولي جمالك [illegible]
ولي [illegible] طاهراً [illegible]
ولي [illegible] في [illegible]
ولي قوامك، لا الأغصان تشبهه
حسناً ولا [illegible]
ولي حياؤك [illegible]
[illegible]
يا [illegible] الروض [illegible]
إلا جمالك [illegible]

• • •

لم أنس ليلة [illegible] ورعد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والزهر [illegible] بالنور [illegible]
[illegible] النجوم [illegible]
قد كاد [illegible] ما أشاهده
[illegible] في وجهك [illegible] بل [illegible]
[illegible] لا شبيه لها [illegible] في كل [illegible]
[illegible]
[illegible]

([illegible]) [illegible] الوكيل

تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمل

دراسات في الفن

متابعة العلم ليست فناً

على ذكر الفن الروسي الحديث

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

كنا نعرف الفن الروسي فيما مضى على نوعين: إما أن يكون تصعيداً للمثال يتدلى به الفنان إلى جمهور الأذهان، وإما أن يكون على العكس من ذلك تطوعاً بالصعود دون التهريب يتعالى به الفنان على جمهور الأذهان. ولم يكن هذا بمانع من الفن الروسي مسح الفن ولا خواصه، فقد احتفظ بكيانه كاملاً، فهو سابق وهو حر، وهو صادق وهو شاعر.

واليوم يراد بنا أن نعرف نوعاً ثالثاً من الفن الروسي هو — كما يقول أهله — تابع يمشي وراء العلم، علم النفس، يشرح نظرياته ومواقفه وما يثبت عنده من طبائع النفس وأحوال حياتها. فهل يجوز لنا أن نقبل هذا النوع الثالث على أنه فن صحيح؟

إن إنا فعلنا ذلك نبرّأنا كثيراً جداً من الأعمال الفنية على الثالثة بالارتفاع إلى مستوى الفن، وقد يجرنا هذا إلى نوع من الشعوذة الروحية التي تسوي ما بين الحق والتزييف؛ فتصبح الغيبة من حالات شعرية لأنها علم يشرح النحو، كما تصبح الخطب في هذه الأيام شعراً، وكما خرج الشعر في هذه الأيام من ربقة بحور الخليل.

ولكن فنعم من رأينا هذه وجهة نظر فرضنا أن نتعرف في الفن بعض النواحي التي لو فقدها لفقد طبيعته، فأصبح شيئاً آخر قد يكون شيئاً مفيداً، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال فناً صحيحاً.

فما هي هذه النواحي التي يتحتم على الفن أن يستوعبها كي يكون فناً صحيحاً؟

أولها من غير شك هذا الحس الصادق الذي تحسه الحياة نفسها، وهذا الحس هو الذي يملأ حس الفنان حتى يفعمه، ثم يفيض منه فناً يتلقاه الناس فيشعرون أنه نبع من نفس صاحبه رغم أنفه، لأنه لم يكن يملك من يكتمه بعد أن ازدحم في نفسه وكثف. والفنان الحق لا يبحث عن الأحاسيس ولا يتكلفها، وإنما هو منطلق في الحياة كما ينطلق بقية الناس، أو كما ينطلق معه الفنانون؛ لا يتعمد أن يصنع فناً، ولا يتهيأ لذلك، ولا يتميز عن الناس إلا بطريقة التعبير عن نفسه.

ومع هذا الحس الصادق تمشي بصيرة الفنان إلى معاني السكون على جناحين من هذه نفس نفسه. فالفنان حق لا يمكنه أن ينتظر حتى يقول له العلم إنه تبحث فيه حقيقة من الحقائق على وجه من الوجوه، وإنه يأذن له على أساس هذا الثبوت أن يتحدث عن هذه الحقيقة فيتحدث. هو لا يمكنه أن ينتظر حتى يحدث هذا، وإنما هو يصل من تلقاء نفسه إلى هذه الحقائق نفسها والعلم لا يزال يحبو في الطريق إليها متثاقلاً متشككاً؛ وقد يصيب الفنان هذه المعاني وقد يخطئ، ولكنه على أي حال يصل إلى شيء ما، بعيد عنها أو قريب منها — على أنه هو نفسه لا يعنيه من هذا كله إلا أن ينطلق، وأن ينطلق فقط.

ومع هذا الحس، ومع هذه البصيرة، فإنه لا بد للفنان أن يدفعه إلى إنتاجه الفني دافع صادق من المواقف التي يعيشها في حياته

رضى أو سخطاً أو غير ذلك ، وإلا كان الفن فرداً يرود الموت ، لأنه خلا من العاطفة وهي روحه ونبضة الحياة فيه

ومع هذا وذاك فلا بد أن يكون الفن حراً لا يرضى لنفسه أن يخضع في الأغلال والقيود ، ولا يقبل أن يتحكم فيه شيء ، وإن وضع له كل ما يصنعه العقل البشري من علم وصناعة

فهل « أوبيات » لا يمكن أن يكون الفن فناً يحيونها فهل تكون هذه « الأوبيات » في هذا النوع الثالث من الفن الرخيص الذي يطالعنا به هذا العصر الحديث ؟

أما الفن الصادق فهارب من أهل هذا الفن ، وليس هو وحده الذي هرب منهم وفر ، بل إنا نسأل من نفوسهم معه كل حس فلم يعودوا يحسون إحساساً صادقاً ولا إحساساً كاذباً وليس هذا لأن الله خلقهم هكذا « ميرشين » بل لأنهم هم أنفسهم أرادوا أن يكونوا هكذا . فلم يقبلوا أن يكون في الناس من يريد عليهم علماً ، ولا من يريد عليهم اطلاعاً ، ولا من يريد عليهم إلماماً بما يكتب وما في الكتب ، ولا من يريد عليهم إحاطة بما يحدث في هذه الدنيا من اختراعات واكتشافات ونظريات ومعلومات ، فأهملوا القراءة ، وأهملوا الفكر ، وأهملوا الاطلاع ، وهذا كله يشغل العقل ويجهده ، ويأخذه بالرأي على سلوك منهج الناس في التفكير . والذي لا شك فيه هو أن هذا العصر الحديث قد اختط لنفسه نهجاً خاصاً في التفكير ربما تكون الإنسانية قد استحقته في يوم ما ، ولكنها على أي حال لم تقطع فيه شوطاً مهماً كهذا الذي قطعته فيه هذه الأيام ، ذلك هو طريق المادة ، فالإنسانية اليوم تخطو خطواً كبيراً جباراً في هذا الطريق ، والقوي القادر هو من تقدم إلى المطامع بقلب الحر الذي يغريه الشيطان أمام هذا التطاحن البشري ، والضعيف الهزيل هو من تأخر إلى آخر الموكب يلتقط الفتور والنوى

والفنان الذي يستطيع هذا اللون من التفكير يقوي واحدة من ناحيتي الإنسانيتين على حساب الأخرى إذ ينصر عقله على إحساسه ، وهو لا يقوي هذه الناحية في طريقها الفطري الذي ترسمه الطبيعة والذي سنطالب به دفاعاً عن جمال الإنسانية بنعمة العقل الذي لا يؤذي النفس ولا يؤذي الغير ، ولكنه يقويها من ناحية

في طريق خاطئ كله رذيلة وكله شر ، ومهما يكن الفنان المغلوب بالمرء اللاهث من الجري وراء أن في استطاعته الانصراف عن زيوت العقل والعلم والحضارة الحديثة ، فإنه إما خادع في هذه الدعوى وإما مخدوع ، لأن طابع العقل والعلم والحضارة في هذا العصر هو طابع المادة . فالعقل لا يعرف من الحقائق إلا ما كان شيئاً مادياً ، وأول ما ينكره إنما هو الحس والروح . والعلم يجهد الناس بعقله ليحطوا فيه المتعة الروحية أو ليصرفهم عن سبيلها إلى ما هو أكبر وأعم وأنفس من هذه الحياة .. وأما الحضارة فما هي إلا صواريخ ، وطيارات ، ودبابات ، وطائرات ، وسفن ! ولكن هذا القرن العشرين يشبه أن يكون ما قال عنه « فرويد » : « إن الإنسانية تتحرك في حالة من ثورة الغريزة الجنسية » ، اطمأن إلى هذا الاحتقان ثم في النفوس وتأصل وترعرع وتسلقت منه أغصان سامة خضراء التفت حول كل شيء حتى أعناق الفنون تريد أن تدعها للغرائز البهيمية في نفوس الناس على أساس من العلم ، ويجيء يوم تنضم فيه مستشفيات المجانين وتمدها على الذين يؤمنون بالحس والروح ، ويجيء بعده يوم تبرأ فيه الإنسانية من الحس والروح ويكون أمرها إلى الغريزة الجنسية أولاً وأخيراً

ويا له من يوم ... ! يوم يقول فيه الناس : عاش على هذه الأرض في سابق عصور كثيرة أدعى فلاسفة وقد كان نشيئاً مجانين من أساتذتنا السابقين

فهل يرضى الفن عن هذا وهو المسكين من روح الله في صدور الفنانين ؟

لا ! إنهم سيثورون على هذا العقل وعلى هذا العلم وعلى هذه الحضارة . وسترى الإنسانية عن قريب يوماً يكون العلماء فيه كتاباً ومصورين ، وموسيقيين ، ومثالين ، وشعراء ، ومغنين وسيصرخ هؤلاء في وجوه الذين يدفعون الإنسانية إلى الهاوية ليهيئوا لها الحديد ونار القتال ، وليبينوا لهم الخير ونداء الإنسانية الرحمن من أجل القتال وحده . وسيكونون أعوان من علمهم كتلك التي صاح بها شارل شابلن في وجه « العصر الحديث » صيحته الأخيرة ..

وسل العالم لماذا يحس قصة « كل شيء هادئ في الميدان الغربي »

وغيرها من قصص الحب والطبيعة التي كشفت الستر عن مآسي الحرب وما بثتها من جنون القتل ، وما ألحقها من عروش الظلم ، وما صاغها من احتمال المصيبة وجشع للأمة . كانت هذه القصة كما كان غيرها من القصص الداعية إلى الروح والسلام فناً ، وكانت حقه ، وكانت حرة . وقد تعلّمها عيباً في نفس منشئها خالصه واحده هي الاعتزاز من القتل والحرب والخسارة الحديثة لأن الفنان مطلق لا يمكنه أن يقف من الحرب والظلم والخسارة الحديثة إلا موقف الثائر المنكر ، لا موقف المحب التابع أو المستبد الخاضع ، ما دام يرى هذا اللون الأحمر الذي تصطبغ به الحضارة الحديثة على أساسين من القتل والظلم والقسوة من الجسد والروح

أما القول بأن هذه القصص لا يدعو إلى الحرب فلا تصح كراهيته ، وإنه من حق الفنان أن يحاسبه وأن يجري الحق من صفحة غير قرن يلجأ إليه المكروب المصدوم المهزوم ، ولا يقبل أن يقول به فنان مطلق لا يشعر بحاجته إلى الحرب كي يرى ويسمع لأن عينيه ترى وأذنه تسمع .. وإلا فعليه أن يطمس عينيه ، وأن يسد أذنيه وأن يمتنع عن قراءة الكتب التي تروجه القريحة الجنسية ، وأن يجري وراءها

سيقولون إن أحسن الفنانين هو الذي ينتج فناً إنسانياً عاماً تتذوقه الشعوب جميعاً . وسيقولون إن القواعد التي يقررها علم النفس هي قواعد عامة تنطبق على الشعوب جميعاً انطباقاً تاماً سليماً ، وعندهم — لذلك — أن يرى الفنانين بالإقبال عليها والتمسك بها . ويرد على هذا أن هذه الطريقة التي يصطنعونها طريقة علمية تجارية ليس فيها من خير إلا أنها مربحة جداً للفنان الذي يسلكها إذ يستغني عنه بكتاب يشتريه من ... فيقرأه فيتخذ منه مادة للفن ... عن سواه أو أشهر أو أيام يقتطعها من عمره في هذه الحياة ... ويشرب من ... ثم يجلس بعد ذلك يفكر ما يجدر به على من أخرجوا البؤساء ، وآلام فرتر ، وجريمة وعقاب ، وفاوست ، وسائر هذه الآثار الخالدة التي انبعثت ... في نفوس أصحابها لا كلاماً من النتاج المصنوع من الآلات والأصابع والأقلام

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ولن يستطيع في كثير من الأحوال أن يهدي الصناعة والتجارة

فيا ليت أتباع العلم هؤلاء ... وإحساسهم على العالم فيحيطون به ثم يطالعوننا بما ينطبع في نفوسهم وهم يرون العالم على ما هو عليه ، وهم يعرضون ما هو عليه ؟

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وما كان الفن على مر الزمان تابعاً

وإني أريد الآن أن أصور واحداً من هؤلاء الذين يتبعون العلم في فنهم وهو يريد أن يضع قصة مثلاً ، كيف يصنع ؟ إنه يقرأ في كتاب من كتب علم النفس أن الذاكرة تغيب عن الإنسان أحياناً فيحتلها العقل الباطن ، ويعيش الإنسان مدة طويلة أو قصيرة وهو بغير ذاكرة فتصدر منه أقوال وأعمال لا تستقيم مع حياته الظاهرة وقد يحدث بعد ذلك حادث يعيده إلى ذاكرته أو يعيد إليه ذاكرته ، أو قد لا يحدث له هذا الحادث أبداً ، فهو إذن محتاج إلى الحادث الصدمي يرد إليه ذاكرته

يقرأ الكاتب الحسن هذا فيقول في نفسه : والله إن هذا الموضوع يصلح قصة ؛ فلأركب إذن من رجل وزوجته تغيب عنه ذاكرته ... وأخيراً يسعدان بشمله ؛ ثم ... فيمضي لقصته ... وما هي الحوادث التي سأوقع فيها هذا الرجل ... ، على أن تكون حوادث مسلية لذيذة ، وعلى أن تكون في الوقت نفسه ... حتى يجب القارئ ... حتى من أبناء الرعي الذي يستطيل ... على عامة الناس ... فلتكن هذه الحوادث كذا وكيت وكيت .. وعلى هذا النمط الكيمياوي الصناعي يصنع صاحب الفن العلمي فنه فيؤلف قصته أو يركبها فيقرؤها القارئ ويعجب بها ويصفه ، وهو لا يشعر مطلقاً بأن الفنان الذي ... هذه القصة ... في كثير أو قليل من العالم الذي كتب التقرير العلمي صاحب الفصل الأول في تأليفها

فهل من طبع الفن أن يشبه طبع العلم ؟ لا ... ليس الفن هكذا ولا إنشاء القصة هكذا

هو هو الناس فأخرج البؤساء ... هو جوته ...

وعرض منه صوراً لا يقرب أحد إذ رآها جميعاً، أو أن كتاباً له إليه، ولكنه هو أحسها لأن روحه طافت بها. وروحه كانت تنادي، وتحول في البؤساء على اختلاف ألوان بؤسهم فتذوق للبؤس طعوماً مختلفة ليس أقساها بؤس «جان فلجان» الذي سرق رغيف الخبز، وإنما قد يكون أقساها بؤس «جيير» رجل البوليس الذي كان يستطيع في غطرسته «جان فلجان» وتتبعه وإجرامه، لا لأنه يمقته ولكن لأنه كان يخشى أن ينتصر في رأسه، فيكون في نظر القانون مجرماً وهو ما لم يكن يجب أن يؤدي إليه بعد أن أحس الصحيح منه وقد كان بسيطاً رباه المجتمع ليكون جانياً من جنده.

ما أعجب هذه النفس التي عرضها هوجو في بؤسائه. نفس أسميها النقد – على حد تعبير العلماء – فأصبحت تحتضر دون الروح لأنها كانت تخشى ألا يرعاها أحد، كما لم يرعها أب ولا أم. وهذه نفس قد عطفها ... وقد عطفها ... أو غيرهما من عطاء النفس ولكن تخليف وتحليل هيجو ليسجد أمام هذا الجلال الذي أسبله عليها هوجو الفنان الذي لم يقرأ علم النفس ولا تاريخ علم النفس، والذي كان يعيش بروحه بين بشر، والذي لو لم يكن أديباً بحسه لما أنشأ هذا الإنشاء الرائع، والذي لو كان موسيقياً لا ... كيا

العرب ... أحسب الفنون عكس أن ... إلى مصر، لأنها لا تكون فنوناً إلا إذا كانت من وحي العواطف، والعواطف لا تستعصي على أي من ... من العواطف التي تتحرك في نفوس الذين يجرون وراء العلم ... والتي ... الترجمة إلى جيب الفنون؟ لا شيء، إلا عواطف مصطنعة مرتبكة. أما العاطفة الصادقة في نفوسهم فهي لا تتحرك إلا نحو غرض من أغراض الطبع والنشر والإذاعة.

لا ... هنا ...

وأخيراً ... ما الذي يجمل من الفنان أن يكون عليه؟

لا شيء أكثر من أن يعيش ... أنه سيخرج ... فليترك نفسه ... وسط ... ما أمسكه ... وليبحث من الجمال ما أمسكه ... ولكن عليه أن يقرأ في صفحات الوجود قبل أن يقرأ في صفحات الكتب. عليه أن يحس بالناس وبالحيوان وبالنبات وبالجماد. فليبسط كل نفسه لكل ما يحيط به من مظاهر الوجود. فليفتح عينيه، وليرهف حسه، وليبسط لكل ما تؤاتيه به من سماء أو غيمه، وبكل ما يرى في الناس من خير أو شر، وبكل ما يطالعه في الطبيعة من أحسن الصور وأبدعها وحده هو سبيل الفن. وليس من الضروري بعد ذلك أن يكون الفن كتابة أو ألحاناً أو صوراً... وإنما الفن هو حياة الحس... وكم في جماهير الناس من فنانين، وكم في الفنانين من ... على الأمر – جاهلين!

عزت أحمد ...

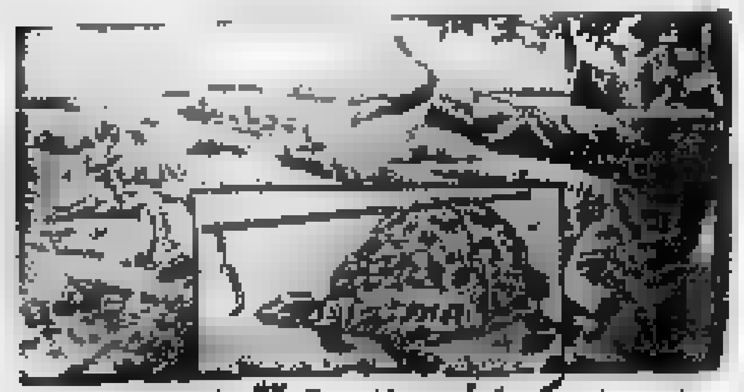

من الجزىء إلى الذرة

للدكتور محمد محمود غالي

مستقبل الكون والمبدأ الثاني للترموديناميكا — ... المبدأ في موضوع الطاقة من ... آخر — محاولات جربتها عملية طبيعية وأخذها عمليا كيميائية — ملاحظة «بروست» — الفكرة الذرية عند «دالتون»

إني ما يستشعره القارئ أحياناً من الصعوبة بينما يتابع هذه الأحاديث في وصف الكون وما يكتنفه من مظاهر لأمر هين، ... معرفته في النهاية شيئاً جديداً هو عجيب من أسرار ... فإنه تكون بلا شك مدعاة لارتياحه

أذكر أنني في مارس الماضي عندما كنا نواجه القارئ بأحدث ما عرفه عن الكون وعن عظمته واتساع ما فيه من عوالم بعضها من بعض حيث اضطررنا[1] عند الكلام عن «ريمان» و«مينكوفسكي» وعند الكلام عن الخير الفلكي وعن رأي «أينشتين» وعن رأي «دي سيتر» إلى العودة إلى مناقشة مسائل لا شك في أن القارئ وجد في إدراكها شيئاً من الغموض — هذا الغموض الذي اضطررنا إليه اضطراراً كلما كان لزاماً علينا أن نذهب إليه كما كان لزاماً علينا أن نعفي القارئ بعض الشيء فيما سبق ذلك في مقالاتنا عن الكون المتمدد[2]، ولم يكن في طوقي أن أتخير موضوعاً دقيقاً كهذا وأخطو بالقارئ فيه خطوات أخرى دون أن يتخلل حديثي فيه فترة من الراحة

كذلك كان مقالنا الأخير[1] عن الجزيء الذي عمدنا فيه إلى تفسير بعض القضايا التي يلاقي معها القارئ بعض الصعوبة، ولم يكن هناك بُدٌّ، وقد أخذت على عاتقي أن أقص عليه أهم ما وصل إليه الإنسان من تفكير منتظم، من أن أذكر فلسفة ليبنز (Leibniz) وألا أغفل رأيه القائل بأن الحرارة هي حركة، وألا أغفل أيضاً كيف فسّر بولتزمان (Boltzmann) انتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة، وكيف أن عدم إمكان العملية العكسية

لقد طالعت المقال السابق بعد نشره أكثر من مرة، وأعتقد أن الكثيرين من القراء قد فهموا هذا التفسير لبولتزمان وأدركوا هذا النزول الحتمي في الحرارة كنتيجة حتمية لما يحدث من تعديل في حركة جزيئات الجسمين المتلامسين، تماماً لو تصورنا فريقين ممتزجين من لاعبي كرة القدم، فريقاً سريع الحركة وآخر بطيئها، مختلطاً في فناء واحد فإن النتيجة الحتمية لتصادم الفريقين هي أن يكتسب الفريق البطيء شيئاً من السرعة ويفقد الفريق السريع جانباً منها، ولا يمنع هذا وقوع بعض الحوادث الفردية التي نشاهدها أثناء اللعب من أن ينقل لاعب بطيء سرعته إلى لاعب سريع الحركة، إنما النتيجة الحتمية لمجموعة هو التقارب من تماثل سرعتهما ما دام التصادم مستمراً بينهما

هذا التفسير لبولتزمان يفهمه القارئ ... ولكن ... لا يستوعبه بالسرعة التي نرغبها هو النتيجة الرائعة لمصير الكون من أثر هذا القانون الحتمي القائل بالتعادل الحراري، أي التعادل في حركة جزيئات المادة، وهي النتيجة التي تلمسناها في أن

---

(١) مقالنا بالرسالة — رسالة من النجوم القديمة تنبئ أن الكون يتمدد — العدد ٢٩٧ ص ٤٣٦ — ٦ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا — الكون يكبر (النجوم منتشرة على سطح كرة ... ولكنه ينتشر) — العدد ٢٩٨ ص ٤٩٣ — ١٣ مارس سنة ١٩٣٩

(٢) مقالنا بالرسالة — زوال الكون وعدد ما به من الكترونات — العدد ٢٩٩ ص ٦٤٠ — ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ... هذا الكون ... ٣٠٢ ص ٧٢٨ — أبريل سنة ١٩٣٩

(١) مقالنا بالرسالة عن فلسفة ليبنز (Leibniz) — العدد ٣٠٣ ص ١٣٢٤ — ٣ أبريل سنة ١٩٣٩

السكون في مجموعه — السكون الذي فيه سمع وري — سائر حتماً إلى ما يسمونه بالموت الحراري ، أو الاقتراب من السكون ، أو سمه على بعض العلماء عدم إمكان وجود أي شكل من أشكال الحياة والحركة . هذه النتيجة توصل إليها العلماء لدى السكون من مادة بالنسبة لمجموع الخير . هذه القاعدة التي تتلخص في التساوي الحراري مع مرور الزمن نتيجة الانخفاض في الدرجات المرتفعة ، والارتفاع في الدرجات المنخفضة ، يجعل من السكون في مستقبل العمر وعاء لا تصلح الحياة فيه .

وإذا ذكرت القارئ هذه النتيجة التي يحتمها المبدأ الثاني الترموديناميكي لم يبعث الأسف في نفوسنا ليعرف شيئاً من تفكير العلماء هذا التفكير الذي يحاولون إليه نتيجة المشاهدات والحوادث

كل ما أريد أن أتحقق إليه هو الاستقرار هذه النتائج التي على القارئ ، فضرحته عن بعض عقائد الوراثة والخاصة بوجوده الحياة . هذه الفكرة التي لا تعارض عندي والمبدأ الثاني الترموديناميكي ، لأنني كما قلت لم أتناول تعريف الحياة بالحركة بل أعتقد أن فيه حتماً جوهرياً ، وغير مفهوم لنا ، يحدد بين الصفحة التي نأكلها ، أو الشجرة التي نجلس بها هذا القائل —

إنما أردت من مناقشة علاقة المبدأ الثاني الترموديناميكا بمستقبل السكون أن أوجه نظر القارئ إلى ناحية من نواحي تفكير العلماء كيف يقبل أن يكون لمبدأ مستنبط حقيقة تامة خطيرة على تفكيرنا ووجهتنا في السكون . وله أن يتأمل الآن قليلاً : كيف من حقيقة يلمسها كل يوم تتلخص في أن الجسم الحار يسلم دائماً على سبيل الجسم البارد ، وأن العكس غير صحيح ، يجد العلماء من هذا الموضوع من نسخته منشأ الحكم على مستقبل السكون!

الآن طلعه من الثلج يعمل على تبريد فنجان من الشاي الساخن بوضعها فيه . السكون في مجموعه إلى نوع من الموت بلا ريب ؟! هذا ما يعرفه العلم ، فهو يقرر أن من اختلاط وتصادم مجموعتين من الأجزاء ، مجموعة فأبها السرعة وأخرى حوضها البطء ، هذا مجموعة جديدة لا هي بالسريعة ولا هي البطيئة بل تسرع أجزاؤها سرعة متوسطة واحدة بين سرعة المجموعتين

أود أن يستشعر القارئ أنه إذا كانت المشاهدات تدل على هذا التعادل في الحركة أي هذا التساوي في الحرارة ، وإذا كانت الرحمة والمنطق عبارة عند النوع من التعادل نتيجة لحساب دقيق بأن

جسيمات السكون في مجموعه مصيرها المحتوم أن السكون مصيره الموت الحراري . أما أن نقرر أن الحياة مصيرها الفناء فهذا أمر آخر لا نستطيع في سهولة أن نثبته أو أن نسلم العلماء به .

أنني إنما أردت أن أدل القارئ على طرائق التفكير العلمي كيف تتسلسل المسائل ، وكيف ترتبط بعضها ببعض ، وكيف يقيس العلماء منها على البسيط ، وكيف يجسمون الظواهر في بعض العلم إلى ظواهر حسية وأخرى احتمالية ، وكيف فرق القارئ بين الظواهر العكسية والأخرى غير العكسية ، وكيف من أبسط التجارب والمشاهدات ، تحصيلاً للتحدث في أروع المسائل المتعلقة بمصير الطبيعة ومستقبل السكون !

والآن ننتقل من الكلام عن الحرارة إلى الكلام عن الذرة

عرفنا عند الكلام عن الحرارة[1] أن فكرة تقسيم المادة إلى جزيئات لم تكن حاصل المشاهدات المباشرة بقدر ما كانت حاصل البحث العلمي والوسائل التجريبية المعقدة . لن تكن المادة متصلة غير متصلة ، أو بعبارة علمية لن تكن مكونة من جزيئات منفصلة ومستقلة عند أمر أمكن معرفته أو مشاهدته ، وإذا كان لدراسة التطورات الحرارية أكبر الأثر في معرفته

كذلك لا يمكن بالعين المجردة أن نقيم الدليل على تقسيم الجزيء إلى ذرات . وكما أن نظرية الجزيئات والاستدلال عليها جاء عن طريق العمليات الحرارية كذلك صحت النظرية الذرية أي تقسيم الجزيء إلى ذرات مستقلة بحثها في العمليات الكيميائية

من هذه العلوم الكيميائية نشأت النظرية الذرية وترعرعت ، ولقد كان ذلك في بادئ الأمر راجعاً إلى قانون معروف هو قانون النسب الثابتة على الأساس الذي يقيم عليه النظرية الذرية ، وهو يتلخص في الفرق بين المخلوط والمركب الكيميائي .

عندما نشرب الماء ممزوجاً بقليل من ماء الورد فإنه ليس ثمة حدود تقف عندها درجة المزج للحصول على المزيج . إننا نستطيع أن نحصل على مزيج من الماء وماء الورد حسب مشيئتنا فنستطيع أن نجعل النسبة من ماء الورد ١ إلى ١٠ من الماء أو ١ إلى ١٠٠ وهكذا . كذلك عندما نصنع نوعاً آخر من الزجاج فإنه يتغير كمية المواد التي نضعها في مواد الزجاج ، وهو في حالته السائلة وقبل أن يتجمد ، فنحصل على أنواع تختلف درجة الحرارة بنسبة

(١) تكلمنا عن الحرارة في « الرسالة » في أربع مقالات يجدها القارئ في الأعداد ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

ما وسعته من مادة مُوَتِّة، ولنا حرية مطلقة في الحصول على عشاب بين وألوف الأنواع من الألواح الزجاجية كلها جزء ويمكن تتفاوت في درجة الاحمرار. هذه العمليات اختلاط طبيعي بين جزيئات المادة.

ولكن عندما تتحد كمية من الهيدروجين بكمية أخرى من الأكسجين اتحاداً كيميائياً تحت تأثير شرارة كهربائية ليتكون الماء فإن جرامين اثنين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسجين، بحيث لو تعمدنا أن تكون كمية الهيدروجين الموجودة مع كمية الأكسجين السابقة خمسة جرامات فإن جرامين اثنين يتحدان منها فقط مع الـ ١٦ جراماً من الأكسجين الموجودة معها وتبقى الثلاثة الجرامات الأخرى من الهيدروجين حرة لا تتحد. هذه النسبة الثابتة في المركب الكيميائي تختلف كما يرى القارئ عن موضوع مزج الخليط الطبيعي الذي يمكن أن نحصل عليه بأي نسبة في نوع المعادن Alliages المختلفة «خلائط» مثلاً نحصل عليه من النحاس والقصدير بالنسبة التي نريدها، ولكن الماء نحصل عليه من الهيدروجين والأكسجين بالنسبة التي عينتها الطبيعة والتي لا تتغير

هذه الأجسام البسيطة كالأكسجين والهيدروجين التي تدخل كيميائياً في المركبات المختلفة والتي يمكن بوسائل كيميائية الحصول عليها منفردة مرة أخرى، عرفها العلماء بالعناصر حيث كان من المشاهد منذ لافوازييه Lavoisier أن كمية معينة من عنصر معين يمكن إدماجها في عشرات التركيبات الكيميائية كما يمكن الحصول عليها مرة ثانية بحيث لا يزيد وزنها أو يقل مهما كان نوع التركيب الكيميائي التي دخلت فيه. فإذا كانت الكمية من الأكسجين التي أدخلت في المركب في مبدأ الأمر ١٦ جراماً فإنه من المعروف أننا نحصل دائماً بالطرق الكيميائية المختلفة على ١٦ جراماً من الأكسجين وأن هذه الكمية غير قابلة بأي حال للزيادة أو النقصان

كذلك يتكون الغاز الكربوني Gaz Carbonique من احتراق الفحم في الأكسجين بنسبة ٣ جرامات من الأول إلى ٨ جرامات من الثاني، وظلت هذه النسبة هي الأساس في تركيب الغاز الكربوني بحيث لم يتسنَّ للكيميائيين بوسائل مختلفة وأساليب متباينة (مثل وضع هذه المجموعة من الكربون والأكسجين تحت ضغط شديد أو غير ذلك) أن يجعلوا ثلاثة جرامات من الكربون مع ١٠ جرامات من الأكسجين مثلاً ولكن يبقى عنصرا الكربون والأكسجين يتحدان دائماً بنسبة ٣ إلى ٨. بل يمكن الحصول على مركب غير الغاز الكربوني فيه يتحد ثلاثة جرامات من الكربون بأربعة جرامات من الأكسجين، ولكن الكيميائيين اعتبروا هذا نتيجة حالة مع معينة تختلف عن حالة الخلط المعروفة في الاختلاط الخرائط

كان لا بد تحت هذه العوامل والمشاهدات من أن يستنتج العلماء هذه الوقائع المهمة وعموميتها وخصوصيتها، وهكذا توصلوا إلى قانون النسب الثابتة الذي يحدد النسب التي تتحد بها العناصر الكيميائية المختلفة، هذا القانون المعروف عند العالم «دالتون Dalton» والذي كان الفضل الأكبر فيه للعالم «بروست Proust» ويتلخص في أن النسبة التي يتحد بها عنصران لا يمكن أن تتغير بحالة مستمرة

وهكذا كان من المنطق ألا نفرض أن عنصر الأكسجين المتحد مع الهيدروجين ليكون الماء استقل دائماً بنفسه وحافظ على استقلاله في أثناء هذه العملية الكيميائية ومنا نستطيع أن نعيده سيرته الأولى (١)، وهكذا أمكن أن نستنتج أن هذا الذي نسميه عنصر الأكسجين كان مستقلاً في كل المركبات الأكسجينية التي يمكن أن يحصل عليها منها مثل الماء والأكسجين والأوزون وثاني أكسيد الكربون والسكر الخ بحيث إذا كان السكر مركباً من جزيئات متشابهة تمام التشابه بعضها مع البعض أن في كل جزيء من هذه الجزيئات قد دخل الأكسجين كشخصية مستقلة كما دخل الكربون والهيدروجين المتحدان في المركبات الأخرى السكر شخصيات أخرى مستقلة. من هنا ومن أمثال ذلك حاول العلماء أن يعرفوا الصورة التي يجب أن تكون عليها هذه المواد الأولية أو العناصر البدائية التي تبقى أجزاء منها تحت عوامل لا محل لذكرها وتتقارب لتكون جزيئاً من السكر، هذا المركب الجديد والمركب من هذه العناصر المتقدم ذكرها

هذه الملاحظة من جانب «بروست» الفرنسي في وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها أدت بالعالم الإنجليزي «دالتون» إلى أن يفرض فرضاً جريئاً يمكن أن يجيب على هذه الحالة المتقدمة [البقية في الصفحة التالية]

(١) من المعروف أنه بمرور تيار كهربائي في الماء يتحلل مرة أخرى إلى عنصريه: الأكسجين والهيدروجين

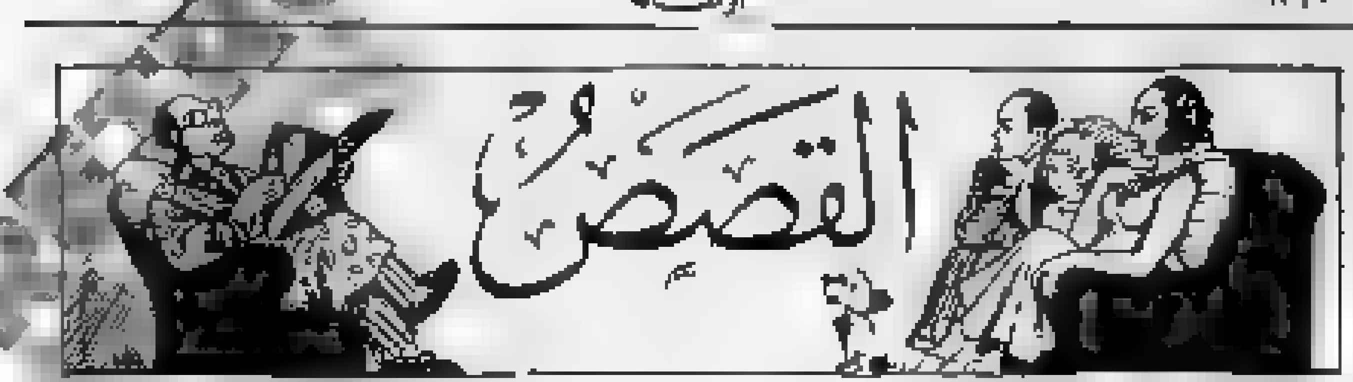

لصوص الفن

للأستاذ نديم الجسر

ذكرني وصف أستاذنا الزيات لصورة من (صور الماضي) في مصر صورة من هذا الضرب المضحك المبكي، حدثت لنا من عهد غير بعيد. فأحببت أن أصفها على أنها من روعة، ولأنها تكاد تكون حقيقة لا أثر للخيال فيها، ولأنها تصدق على الماضي والحاضر ... للأسف

* * *

كنا في صيف عام ١٩٣٣ في قرية ... ذلك الصيف الذي مثله الدكتور فارس نمر، وأعجب به ... سيد البنك المصري وسيد الأعمال المالية في بلاد العرب، حتى كاد يتكبر في إصلاحه وتمصيره. وقد ... على حاري ماذكنا في شرفة الدار التي يطأطئ تحتها وادي نهر القنان، ومن ورائه يبسط البحر ... ويرى ... (خليج عرانة)[1] الفسيح ... من قوارب الصيادين تعمل في ... ساحل نهر الأعوج ... وكانت تلك القوارب تختفي في ظلمة الليل فلا يبدو منها إلا ... مصابيح ... في شرح طويل، حتى كنا ... إلى أن ... أنها أسماك ...

(١) خليج عرانة ... هو الخليج الذي كانت مبنية على ... مدينة ... الفينيقية

كل العناصر مكونة من ذرات، وبحث في مختلف المركبات الكيميائية التي يمكن أن تجتمع ذرات الأجسام وتكوّن كل مجموعة منها جزيئات من جزيئات المركب الجديد، بحيث يجوز للذرة من مادة معينة أن تلتصق أو تجتمع بذرة واحدة من مادة أخرى كما يمكن أن تجتمع باثنتين أو أكثر، فالماء مثلاً تتحد فيه ذرتان من الهيدروجين بذرة واحدة من الأكسجين (أي اجتماع جرامين من الهيدروجين مع ١٦ جراماً من الأكسجين راجع إلى وزنهما) ذلك أن القوة الكامنة بين هذه الذرات وبعضها هي بحيث ... في هذه الحالة اجتماع واحد باثنين، وإذا اجتمعت ذرة واحدة من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسجين تكوّن الماء الأكسجيني الذي نستعمله في ... بدل الماء العادي الذي نشربه

هذه الخطوة الواسعة من جانب العالم الكبير دالتون التي مهد لها «بروست» خلقت أساساً للعلوم الكيميائية، وفي آلاف المواد التي نستعملها والتي هي في الواقع مركبات من عناصر مختلفة متحدة بنسب ثابتة أو ممتزجة بنسب متفاوتة أمكن تقسيم العالم المادي إلى ٩١ عنصراً تبدأ بالهيدروجين والهيليوم وتنتهي بالبروتكتينيوم والأورانيوم. هذه العناصر تقوم لنا كمرجع دائم ... في هذه المركبات المكونة لكل ما نراه ونعثر عليه من مواد في الكون، كما جعلنا الشمس والنجوم الثابتة ... في الأمس ... على معرفة الوقت نهاراً أو ليلاً

وسنرى فيما سيأتي ما استفاده العلماء من هذا الفرض النظري وكيف ... كنه الذرة وما يجري بها ونستخلص من أعمال العلماء ... ما يحدثونه اليوم فيها من تهشيم، ما سيكون له أكبر الأثر في تقدم معارف الإنسان

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم الهندسة

طرابلس ، على حين أن الأسكلة تختفي وراء الجبل ، فإن عادوا إليها في النهار سألوا عن الأسكلة؟ قلنا لهم، سرعان ما يعودون.

وكنا نتحدث ، كما يتحدث المسافرون في هذه القرى الهادئة الوديعة تمرح للسائح الأخرى في لذائذ مأمونة تشوبها كآبة الصحو الذي يلازم السكون الوحيد التام المخيّم على كل شيء، وساقنا الحديث إلى ذكر أحوال القضاة ومظالمهم، وحديث (قضاة الجنة) ، وكثرة (قضاة النار) ، وكان معنا في هذه الجلسة سيد القرية ، وهو رجل كثير الصمت طويل الروية ، سليم النطق بالفطرة الموهوبة لا بالقوة المكسوبة ، رقيق الحاشية ، متين العربية، شديد الحذر من إطالة اللسان ، والخوض في أحوال الناس لا يشكو من طيب عشرته إلا أنه يتركنا الساعات الطوال نتحدث ، وهو معتصم بالصمت يسمع [illegible] سكون الوقار ، وحسبه الحظ أن يلقي بكلمة أو كلمتين بهما رجع القول وفصل الخطاب

وطال حديثنا عن هؤلاء الشرار وأمورهم فقال صاحبنا بعد صمت طويل : هؤلاء يسمونهم عندنا في الجبل (لصوص الزيت) فقلنا : وما لصوص الزيت؟ فأغرب في الضحك وتفشت على وجهه بسمة اغتررنا بها حتى رضي أن يحدثنا فقال :

« يحكى أن مكارياً من أهل القرى كان يتخذ من وسائل العيش بغلاً يكاري به الناس ويعيش من كرائه مع زوجه وأطفاله، فمرض البغل يوماً مرضاً أقعده وأقعد صاحبه عن العمل ، فقام مع بغله في جانب الإصطبل يجاوره ويدعو له بالشفاء. ولما اشتد به [illegible] نذر الرجل على نفسه أن يهدي رجلاً مشهوراً متقدماً بالصلاح والتقى والولاية مائة قرش إن شفى الله بغله. ولكن الله لم يشفِ بغله [illegible] الصغار والكبار [illegible] الله أن يكون. وفي اليوم الثاني أخذ الرجل ما يستغني عنه من متاع البيت فباعه واشترى بثمنه بغلاً آخر . فما كارى عليه أياماً حتى سرت العلة من البغل [illegible] عدوى المرض فقام يعانيه الليل والنهار يعلل ويمهل وينذر النذور لأكبر الأولياء وأعظم الأبرار ، ولكن البغل مات ولم تنفع فيه نذور الصالحين. فبكاه أصحابه المساكين بكاء الثكالى ثم جمعوا بقية ما في البيت من متاع فباعوه واشتروا بثمنه بغلاً ثالثاً [illegible] عليه أيام حتى سرت إليه العدوى، فطار لب الرجل وضاع صبره ورأى أن نذوره للأولياء الأبرار الأطهار لم تشفع ولم تنفع [illegible] كل مجروح [illegible] السكارى من ذهول [illegible] والمستضاق، فعنّ له هذه المرة أن يجعل نذره لأشد الناس شراً وأعظم الشرور [illegible] ألماً

وشاءت حكمة الله أن يكون عدوى المرض خفيفة وأن يقوى عليه البغل الجديد فيبرأ، وعاد الرجل إلى عمله، فما زال يقتصد في طلب الكسب حتى اجتمع لديه النذر كاملاً وخرج به للمدينة يلتمس من يسترشده فهدوه إلى أشهر بيت للفسق والفجور، واشترى ناحية [illegible] من الناس حتى اختار أشدهم [illegible] وأشنعهم [illegible] فاقترب منه وحيّاه [illegible] ثم قال له والخوف يملأ [illegible]

« لا تعجب يا هذا وارحم ضعفي وذلي فإني أردت وفاء نذري لأحد من هو أعظم منك شراً فحق علي أن أوفيك »

فاستمع الرجل مقالته حتى أغرب في الضحك ثم أطال الصمت حتى أوحش القروي من طول صمته وكأنه شراً. ثم استعبر حتى [illegible] الصاحبة لتحيته، ولما سكنت [illegible] قال: لقد صدقت يا صاح والله بنيتك ، وكيف تعطي نذرك من لا يستحقه فما أنا بأعظم الناس شراً، وإنما أنا رجل ابتلاني الدهر [illegible] لا أستطيع إلى فكاك نفسي من أسرها سبيلاً. ولو رأيتني كيف أصير [illegible] ذليلاً لرثيت لي ولرجوت أن يغفر الرحمن ذنوبي [illegible] اللصوص وقطاع الطريق هم أحق بنذرك مني »

فخرج القروي من الحانة وقد سره أنه وجد ضالته واسترشد رأي (سوقي) يعرف حقائق الأمور ، وما زال يسأل عن قطاع الطريق أين مكمنهم ومن أشدهم فتكاً وعنفاً، حتى استرشد [illegible] بغله وسار في حلك الليل حتى أشرف على المكمن الذي يقطع الشرير منه الطريق مع عصبته، فما شعر اللصوص بالرجل حتى [illegible] فقال لهم [illegible] إليكم [illegible] أين رئيسكم ؟ فدلوه عليه [illegible] بحديث نذره فأطرق اللص [illegible] الطريق ، ثم استعبر حتى ابتلّت لحيته ثم قال : (إنك يا هذا [illegible]

فى نحن إلا فقراء، همتنا الفاقة وضاقت بنا سبل العيش فاتخذنا العلف حرفة نكسب منها قوت عيالنا، ولو وجدنا إلى القرى سبيلاً غير هذه لسلكناه. ولو كشف الله لك عن قلوبنا رأيت ألماً وهماً، ورجوت لنا من الرحمن عفواً وكرماً. فإذا أردت يا صاحب الوفاء حذرك فدعنا عن (حرامية القش)، واللصوص النصب والنسب والخوف والخطر واذهب إلى (حرامية الذهب)؛ فإنهم أحق بحذرك)

فقال القروى: ومن هم حرامية الذهب، لأذهب إليهم؟

فقال له شيخ العصابة:

أولئك هم القضاة الذين ولاهم الله أمور عباده وحكّمهم فى الدماء والأعراض والأموال ليقضوا فيها بالعدل ويحملوا الناس على الحق، وأسبغ عليهم نعمه الكبيرة ورزقه الكثير وعيشاً [illegible] فما رعوا الله فى عباده ذمة، ولا فى حقوقه وحدوده حرمة، فلا ظالم إلا نصروه، ولا مظلوم إلا خذلوه، ولا عرض إلا انتهكوه، ولا مال ولا رزق إلا أكلوه.

أولئك هم حرامية الذهب، وأولئك هم شر البرية...

فرجع القروى المسكين بعد الخيبة وقصد إلى قاضى المدينة فرأى شيخاً يشع الجلال من جوانب عمامته، ويشع النور من قسمات طلعته، ويتقطر النسك من أطراف لحيته، فقال [illegible] كيف يكون هذا شر البرية وكيف تجرأ شيخ عديم التجربة!

وما زال واقفاً حتى انتهى القاضى من الكتب، (على) معروف البلد، فرآه فى جانب القاعة فدعاه إليه وسأله عن حاجته فقص عليه قصة حذره وحيلته بعد سرقته، فقال له القاضى

(على اللص سنقبض ... ولكن يا بنى نحن لا نستحل أخذ أموال الناس بلا سبب شرعى والوجه الشرعى الذى يحل لنا به أخذ هذا القدر منك هو أن تقيمه إلى مبايعة)

فانتفض الرجل وقال: أستحلفك بالله يا مولاى إلا أخذت إن أخذت منك لقاء الخبر شيئاً ألا يقبل الله عذرى، فقال القاضى: (نحن لا نأخذ منك شيئاً مذكوراً بل هى صورة نحلل بها أخذ المال منك .. هناك فى جانب الباب كومة من الزبل هل تشتريها منى بالألف التى عندك؟) فقال الرجل

سمعاً وطاعة، وتم التعاقد بالوجه الشرعى، وقبض القاضى الألف وذهب الرجل إلى قريته فرحاً مغتبطاً

وبعد يومين أفاق المسكين على صوت طارق، وإلى قرع الباب ويستفتح، فإذا جندى ينادى بالشتم ويقول: أين الرجل الخليع الماكر حبيب الشر، أتشترى الزبلة من مولانا القاضى وتتركها فى مكانها فتصبح مجمعاً للذباب ومنشأً للروائح؟ لقد حكم عليك مولانا القاضى بنقل الزبلة وبغرامة مقدارها ألف قرش جزاء تركك إياها بعد شرائها وبأن تصادر منك لقاء الغرامة)

قال الجندى قوله هذا ودخل الدار فاقتاد العجل من صاحبه وسحبه إلى المدينة، فوجم الفلاح المسكين وجوم من حوله فى حقه وما زال يتبعه بعينين دامعتين حتى توارى عن بصره، ثم رجع وهو يتمتم قائلاً:

— حقاً إن حرامية الذهب هم شر البرية، وقد أصاب [illegible] أعظمهم شراً

(طرابلس) [illegible]

من هنا ومن هناك

هل يظفر الأمير عبد الله بعرش فلسطين؟

[عن مجلة ([illegible]) البلجيكية]

لا يستطيع الناظر المتأمل مهما أوتي من قوة الفراسة والمقدرة على تحليل النفوس واستنباط ما وراء الوجوه من المعاني والأفكار، إذا نظر إلى وجه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، أن يحكم لأول وهلة أن صاحب هذا الوجه، على الرغم مما يبدو عليه من الهدوء والاتزان، يحمل حلماً ثقيلاً منذ عشرين عاماً

فإذا جلست إليه ورأيته يمسح لحيته على طريقة السيد المسيح ويتكلم بصوته العذب الرخيم، لا تصدق أن هذا الرجل بعيد عن الاستمتاع بالراحة

وإذا كانت الوجوه الصغيرة تظهر آثارها على السعادة العظيمة، فلا عجب أن تترك المطامع الخائبة، والأحلام الضائعة، أثرها الدفين في نفس الأمير

لقد كان الأمير عبد الله يحلم في شبابه - وهو ابن شريف مكة في ذلك الوقت - بحياة ذات مجد حربي عظيم؛ ولكنه خسر أول معركة قادها بجنود أبيه. وإذا كنت ممن يعرفون قوانين الصحراء غير المكتوبة، أمكنك أن تعرف مقدار تأثير هذه الهزيمة

إن العرب قد يغفرون للسارق، وقد يتسامحون مع الرجل الذي يقتل أباه، ولكنهم لا يغفرون جريمة الهارب المهزوم بحال من الأحوال

ومما يستحق الذكر أن الأمير عبد الله في ثورة الصحراء، والحملة التي يعرفها لورنس، لم يكن سوى ظل بسيط في مجرى الحوادث على الرغم مما هو معروف عنه من الشجاعة والذكاء

وإذا كان قد حكم على الأمير بأن يحيا حياة هادئة وإخوانه يخوضون غمار الحروب، فقد وضع آماله في شيء واحد وهو عقيدته الثابتة بأنه يوماً ما سيأتي يوم الانتصار سيدي ولا عجالة للجلوس على عرش من العروش التي قسموا بطالب النظمي بعد زوال الإمبراطورية التركية

وما كانت الحرب تضع أوزارها حتى تولى والده الحسين عرش مكة والحجاز، وتولى أخوه الأكبر علي عهده. وولى فيصل أخوه الأصغر ملك سوريا ثم ملك العراق؛ وبقي عبد الله وحده ينتظر حتى أصبح له إمارة شرق الأردن بعد جهد شديد

وتبلغ مساحة شرق الأردن مقدار مساحة إيرلندا، ويبلغ سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس يعيش ثلثاهم معيشة الصحراء

وإذا كان قد انقضى عشرون عاماً منذ اتخذ الأمير ذلك الطريق الصغير نحو عمان بدلاً من دخول دمشق وبغداد دخول الفاتحين، فإنه لم ينس أمنية واحدة من أمانيه التي كان يحلم بها ولورنس يخترق الصحراء؛ وهو منذ عشرين عاماً يرى العرش لملك فلسطين

وقد أدرك بذكائه وتجربته العميقة أن العرب واليهود لا يمكن أن يتفقا، وأن هذين الشعبين لا يمكن أن يعيشا معيشة أمان وسلام، وأن بريطانيا لا تستطيع أن تجد حلاً لمشكلة فلسطين يتفق ومصلحة الإمبراطورية

وعلى الرغم من الانتظار الذي طالت مدته لم يفقد الأمير صبراً على أمنيته الكبرى. وكثيراً ما حرصه أصدقاؤه وأقرباؤه على أن يعبر الأردن مغزواً، ولكنه كان على الدوام يأبى أن يسبق الحوادث.

وعقيدته أن الحالة في فلسطين كلما ازدادت حرجاً كان ذلك في مصلحته وأدعى إلى تحقيق أمانيه

وإذا كان الأمير قد استطاع أن يكبح جماح نفسه عشرين عاماً، فمن معتقده أنه لا يوجد واحد من المشتغلين بالسياسة

في الشرق الأدنى يظن أن شيئاً في حالة تقسيم فلسطين سيكون أولى منه بالجلوس على عرشها

ويقال إن هذه الولاية في تلك الحال سوف تكون متوسطة شرق الأردن ، وبواسطتهما تجد بريطانيا منفذاً قوياً في الشرق الأدنى

هل تحتفظ السويد بحيادها — عن ماري سوار

إن أصوات المدافع التي دوت في استكهلم وتقلبات الجنود وحروبها في ساحة الميدان التقليدي في ... ، مما يدل على أن الثقة بالنفس قد تزعزعت في تلك البلاد

فهل تتمسك السويد بتلك التقاليد ... ، وقد احتفظت بحيادها منذ الحرب السابقة ؟ هل من المتوقع أن تكون عرضة للهجوم في الحرب القادمة ؟

إن الذين لا يجهلون السياسة السويدية ، قد يذكرون حياد السويد نحو ألمانيا القيصرية في حرب ١٤ — ١٨ ، ويظنون أن الآريين من السويد يحتفظون بشعورهم نحو المدنية والثقافة الألمانية ، والحقيقة أن تغيراً عظيماً قد حل في نفوس الرأي العام

أما العامل الأول في هذا التغير فهو أدولف هتلر ، فقد كانت حملة النازي من البدء مثيرة لشعور الحرية والتضامن الاجتماعي في نفوس السويديين

وإذا كان الملك جوستاف على الرغم من بلوغه سن الثمانين يعد من رجال أوربا الديموقراطيين ، فإن السويد الآن يحكمها الاشتراكيون . وقد تقدمت تلك البلاد تقدماً محسوساً ووصلت الصناعة فيها إلى درجة لم تصل إليها الولايات المتحدة

لقد وصل صدى جديد هتلر إلى تلك البلاد ، وقد أشار القائد الألماني هاوسهوفر في إحدى محاضراته باستكهلم إلى أن عدد السكان في السويد قليل بالنسبة إلى مساحتها ، وأنه يستطيع أن تمنح ألمانيا أراضيها الفسيحة لسكنى ملايين من الناس

وقد كان في السويد بعض الفرق النازية ، وكان من أكبر من يعتمد عليهم النوجيون ، وقد أرادت ألمانيا أن تجعل تلك الفرق فرقة واحدة تحت إمرة رجل واحد يدعى (لندهولم) ،

ولكن خاب مسعاها ، إذ تحدت تلك الفرق وأبى الكثير منها فرقة واحدة على الإطلاق

إن إخفاق النازية في السويد لم يكن في الحقيقة ناشئاً عن كراهية الألمان ، فإن الارتباطات الجنسية والتجارية كان لألمانيا منزلة في تلك البلاد ، وإن كان لفرنسا تأثيرها الثقافي الملحوظ

ولكن الشعور السائد قد انقلب على ألمانيا الآن ، ولقد كان ... أثره الكبير في اسكنديناوه ، فقد بدأ الألمان يستأجرون كواكب ... في السويد لنشر دعايتهم تحت أسماء هؤلاء الكواكب ، ولكن ذهب مجهودهم هباء . فالأفلام الألمانية لا تقابل باستحسان بينما تشجع الأفلام الفرنسية على الدوام

على أن هذا جميعه لا يدل على أن السويد قد فقدت رغبتها في الحياد ، ولكن من السهل أن يقال إن السويد لا يمكن أن تساق إلى حرب ضد ألمانيا

ويقول رجال السياسة بها إن الاستعداد الحربي الذي تقوم به الدول الآن ينجيهم من الهدنة . وأكبر من هذا طلب الذهب والحديد ؛ فالسويد تستخرج كميات عظيمة من هذين المعدنين ، وإن حديدها النادر ألين من غيره لآلات الحرب . فألمانيا ولا شك تحتاج إلى حديد السويد لعمل السلاح ، وانجلترا وفرنسا ربما من تراخي عليهما أن تمنعا توريده إليها

فإذا هوجمت السويد فسوف تحارب ، وكل فرد بها على أهبة لعمل ما يجب عليه . وإذا كان جيشها ليس بالجيش المنظم فإن الجيش كله ... ، وقد خصص أكثر من نصف ميزانيتها للتسليح

موسى «عليه السلام»

للغربيين أقوال غريبة في موسى وعيسى (عليهما السلام) وفي كونهما. وقد اطلع قرّاء «الرسالة» الغراء على ما رواه الأستاذ المفضال من مقالة (فرويد)، ومقالة (سلومون ريناك) في كتابه Orpheus أرفيوس الذي ألفه منذ أكثر من ثلاثين سنة يبحث عن موسى (عليه السلام) أروي منه هذه الأسطر مضافة إلى ما سطره الأستاذ من كتاب «فرويد» وكلا الرجلين من يهود. قال:

« L'existence de Moïse (mosé peut être l'égyptien mesu «enfant») n'est pas démontrée par les livres bibliques qui lui sont attribués à tort; nous n'avons pas davantage le droit de la nier; elle est et reste simplement douteuse. Aucune religion n'est l'œuvre d'un homme; mais on ne peut guère concevoir l'essor d'une religion sans l'ascendant d'une volonté puissante d'un génie comme Moïse, saint Paule, Mahomet »(1)

وترجمتها: «إن وجود موسى (وقد يكون موسى مأخوذاً من الكلمة المصرية ميزو بمعنى طفل) لا تؤيده أسفار التوراة التي عزيت إليه خطأً، وليس من حقنا أن نذهب إلى إنكاره. إنه موجود، ولكن وجوده سيظل موضع الشك فقط. ليس دين من صنع الإنسان، ولكن لا نستطيع أن نتصور انتشار دين من غير سمو إرادة قوية لرجل من رجال العبقرية أمثال: موسى وبولس ومحمد»

مثل [illegible] علماء غربيون في كثير من أمثال هذا القول [illegible] أنهم يحاولون أن يطوروا (أن يجوروا) في شكهم حضرة سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه) والإسلامية الصحيحة موجودة واحد أحد، لا كما قالت جارة ريناك في سائر الأديان.

* * *

[illegible]

فشلت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تمنعها في الأقل.

أما هذه الفضيحة فهي أنه «لم ينجح أحد» من طلبة قسم النحت في هذه المدرسة هذا العام.

وفي قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا أربعة طلاب فقط موزعون على سني الدراسة المختلفة. ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة هذا الجيل للنحت في مصر. ويلاحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وضعت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً. فلم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب عاملين ثابرين تستطيع أن تنجحهم!!

ويقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع بعضها إلى تنافر بين أستاذ النحت في المدرسة «وهو سويسري» وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها، والناظر وهذا الصديق المدرس مصريان. ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحتم وزارة المعارف عدم تجديد عقد الأستاذ الأجنبي هذا العام، وأن ترفع المدرس المصري إلى درجة الأستاذية.

وإذا كان مما يسعد كل مصري أن يرى قسم النحت في مدرسة الفنون الجميلة العليا برأسه أستاذ مصري فإنه من المحزن له أن يضحّى في سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب هم كما قلنا عدة الجيل في هذا الفن.

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس المصري مجهولان في مقدرتهما الفنية. فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى [illegible] في زمن ما ورسم بعض الصور [illegible] وأنه [illegible] رحل بهم [illegible] عن كاهم [illegible] ومظاهر «[illegible]» التي [illegible] عليهم والتي استطاع بها أن [illegible]

(1) الصفحة (٢٨٠) من الطبعة سنة ١٩٢٣

أهل الحكم في الوزارة السابقة بأنه يصلح لأن يكون مديراً لأكبر معهد فني في مصر

أما صاحبه الفوتوغرافي فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله عمله لأن يكون مدرساً للصناع في مدرسة الفنون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين في مدرسة الفنون الجميلة العليا وشتان ما بين الصناعة والفن

وأنا أكتب هذا وقلبي يتمزق لأني أعرف به أحباباً على معرفة ولكني أعمل هذا في التضحية باسم الوطنية الشعرية ولا ريب أن الاعتراف بالحق مع الحب إلى اشتغال أسباب القوة خير من المغالطة والإرضاء وإنكار الحق

والآن، ماذا صنعت وزارة المعارف في مدرسة الفنون الجميلة إنه حدث فيها أكبر مما ذكرناه

ع . ا . ب

الفن المنحط

تألفت في مصر جماعة من الفنانين سمت نفسها « جماعة الفن المنحط » وهي اليوم في طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، إذ لم يروها في معارضها بشارع المدابغ كاتب ولا صحفي ولا زائر عادي يستمع إلى دعوة أفرادها

« والفن المنحط » الذي تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلاً ما دام يجد من يصوب عنه إنه فن ، إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن حقاً ومنحطاً في الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس لا التفكير وحتى توفر فيه الصدق فإنه سام رفيع ، ولا يحطه شيء ولا ينقص من شأنه شيء إلا أن يكون متكلفاً ، فهو عندئذ ليس فناً وإنما هو تهريج وتضليل . وإذا وجد شاعر إلى الفسق في شعره وحبّبه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيه متعة النفس ، ولأنه يعبر عن هذه الذي يحسه تعبيراً صادقاً فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه يخرجهم من نفسه إلى نفوسهم فإما أن يرضيهم وإما أن يؤذيها ويسخطها وكذلك الرسام المعجب بالأعمال التي يصورها عاصياً وهي في أوضاع يستقبحها العرف وتزورّ عنها التقاليد والآداب العامة فهو عندئذ فنان صحيح وقادر وفنان ما دام يتعوى هذا الذي تستقبحه التقاليد والآداب ويعبر عنه صادقاً في عاطفته وحسه

فإذا تصنع شاعرنا المعاني الروحية المجردة التي لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتصنعه هذا أن يجاري أصحابه وأن يقال عنه إنه ملهم روحاني متصوف فلا شك سيسقط لأنه سيحتاج في إخراجه إلى التكلف والتزييف والتمويه . وكذلك رساماً إذا انحرف عن مزاجه الخاص إلى تكلف ما لا يحتاج إليه نفسه من الجمال الروحي لترضى عنه الأعراض فإنه يكون عندئذ كاذباً ومنافقاً ويكون رسمه منحطاً حقاً

فإذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين في شعورهم وتعبيرهم فهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط فهم منحط حقاً لا لشيء إلا لهذا التكلف .

ع . ا . ب

اختصاص المجمع اللغوي في رأي المكتب الفني

كانت وزارة المعارف قد وكلت إلى مكتبها الفني دراسة اختصاص مجمع فؤاد الأول للغة العربية والنواحي التي يتناولها هذا الاختصاص ، فعرض المكتب هذا الموضوع من مختلف وجوهه ، وبدأ بذكر ما انتهى إليه بشأنه إلى مقالات الوزير بحثت في بدايته عن المجامع العلمية الغربية فقسمها ثلاثة أقسام هي المجامع العلمية ، والمجامع اللغوية والأدبية ، ومجامع الفنون ؛ وأشار إلى ما تؤديه كل طائفة من هذه المجامع في مختلف الممالك في العصور الحديثة ، فتكلم عن مجامع في إيطاليا ، وبلجيكا ، والدنمارك ، وإنجلترا وأمريكا ، وإسبانيا والبرتغال ، وروسيا ، وعن طبيعة الأعمال التي تنهض بها . ثم انتقل إلى المجمع المصري فأتى بنبذة عن نشأته وأغراضه التي حددها مرسوم إنشائه ، وعرض بعد ذلك آراء كبار الكتاب الذين طرقوا هذا الموضوع في الصحف السيارة وفي داخل البرلمان

وقد رأى المكتب الفني أن مثار الخلاف في الرأي هو اختصاص المجمع اللغوي المصري ، مع أن اختصاص أي مجمع قد يتسع فيشمل الكثير من النواحي العلمية والفنية واللغوية ، وقد يضيق هذا الاختصاص فينحصر في علم أو فن أو في ناحية من أحدهما ؛ وذكر أن اختصاص المجامع اللغوية ينحصر في وضع المعاجم اللغوية والتاريخية ، وفي وضع الاصطلاحات العلمية والفنية ، وأنه يجب ألا يقتصر عمل المجمع على تسجيل الألفاظ التي تستقر في التداول ، كما أنه لا ينبغي أن يعهد إلى الهيئات العلمية والفنية والأفراد في وضع الاصطلاحات ، وإنما يجب أن يتعاون المجمع مع الهيئات والمشتغلين في الوصول إلى تحقيق هذا الغرض ، بأن يطلب

إلى كل منهم ... كل في دائرة اختصاصه – أن تقوم بإتاحة الفتوى ، ثم يجتمع الأعضاء في مؤتمرات سنوية أو نصف سنوية لتمحيص هذا الإنتاج ودراسته رغبة في الوصول إلى اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب السليمة التي تتمثل في دقة ووضوح المعاني المطلوبة مع مواءمتها لروح اللغة وأصولها.

وكذلك يجب أن يكون اختصاص المجمع في دراسة اللهجات القديمة والحديثة ، إذ هي أساس اللغة وحواشيها ، فلا غنى عن دراستها.

وأشار الكاتب في مذكرته إلى ضرورة الاقتصار في الوقت والجهود على هذه الدراسة . أما الدراسة الواسعة المتعمقة لمعجم قديم فإنها من شأن هيئات أخرى تتولاها.

ورأى في مجال دراسة اللهجات الحديثة ... إلى أن تقوم حتى تتصل بالحياة مباشرة ، ويعرض على الكلام والتفاهم ، ومما لا شك فيه أن هذه اللهجات أقوى من حيث استعمالها وانتشارها ونفوذها إلى الأذهان ، فلا يجوز إذن إهمالها أو التجاوز عنها ، لأن دراستها توضح ما طرأ على اللغة الصحيحة من التحويرات والانحرافات في كثير من الألفاظ والتراكيب.

ثم ذكر أن إحياء الأدب العربي أو التشجيع عليه يمكن أن تتولاه هيئات أخرى غير المجمع اللغوي مثل الجامعة ووزارة المعارف ودار الكتب والجمعيات العلمية ولجنة الترجمة والنشر.

وأشار إلى أهم التعديلات التي يجب أن يؤخذ بها ، ومن أن يزاد عدد أعضاء المجمع العاملين إلى ثلاثين عضواً من العلماء المبرزين على ألا يزيد الأجانب منهم على عشرة ؛ وأن يتألف المجمع من هيئتين إحداهما مؤتمر المجمع ويتكون من كافة الأعضاء ، والأخرى مجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المقيمين في مصر.

مكافأة من بلدية الإسكندرية لأسرة المرحوم فليكس فارس

عرض صاحب السعادة مدير بلدية الإسكندرية العام على القومسيون الإداري في جلسته الأخيرة مسألة مكافأة المرحوم الأستاذ فليكس فارس كبير مترجمي البلدية ، فذكر أن ماهيته نظراً إلى أن مدة خدمته كانت قليلة ، ولكنه خدم البلدية بإخلاص ونشاط ، كما كانت له خدمات صادقة للأدب والعلم ، وقد ترك أسرة مؤلفة

من أرملة وثلاثة أطفال صغار ... ثم اقترح المدير ... جنيهاً ... مكافأة التي كان يستحقها ... القومسيون على ذلك وقرر منحها المعاش بشرط ... في كل شهر ... من صاحب السعادة المدير يستحق أجزل الشكر وأحر الثناء.

البرق لوحدة الإسلام

أتى البرق ... في الصباح ... في الأسبوع الماضي ... على الحكومة ، ... المسألة الفلسطينية أو مخاوف ... من الاضطرابات التي يثيرها ... ، أو ... على ... الاضطرابات التي شهدتها ... أو ... أو ... سنة الماضية وأنه ... على أن العالم الإسلامي دخل في مرحلة ... بقوته ... وتكل ما يتضمنه العالم الإسلامي ... من قوة ، مضافاً إلى ... الحديثة.

... البرق ... لأن ... إن تطوراً جديداً ... في العالم الإسلامي وهو تطور يجب أن ... حساباً ...

حول ... على الأدب العربي

حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

تحية وسلاماً . وبعد ، فإنني على فرط إعجابي بالدكتور زكي مبارك وتقديري لآثاره الأدبية لم أرض منه هذه الضرب من النقد الذي يتناول الشخصيات دون الآثار ، ويخرج من الأدب من طريق الجناية على الأدباء ... ولو أن نقاد الأدب العربي انتهجوا الطريق التي انتهجها الدكتور إسماعيل أحمد أدهم في رده على الدكتور بشر فارس (عدد الرسالة ٣١٦) ، أو النهج الذي سلكه الأستاذ عبد المنعم خلاف في مقاله « الثورة ... الأدب المصري » رداً على مقال نشرته مجلة « الأمالي » (العدد ... من مجلة الرسالة) لكان النقد – كما يرجو الأدباء – أداة صالحة لتوجيه الأدب الصحيح وتخليصه من أدران التعصب وشوائب الخطأ.

وفي الحق إن هذه الطريق التي سلكها الدكتور زكي للثورة ... بل هي ضرب من الجناية على الأدب ... كان أجدر به أن يتحاشاه.

إن من أهم مميزات النقد الفني يمس الإصلاح الأدبي هدفه

وصوابه: النقد الهين والنقاش الهادئ، والحجة الملزمة مع احترام صاحب الرأي المنقود وعدم التعرض لشخصه. فإن كان صاحب الرأي صادق النية نزيه القصد فيما كتب فليس عليه من ضير أن يُنقد. أما إن كان سيئ النية من النقد والنقد كفيل بإظهار كل خبيئة، فحسبه ما يجر على نفسه من تفنيد الرأي وتسفيه الحلم وما يتبع ذلك من هبوط سعره في سوق الأدب وأوساط المجتمع «وعلى نفسها جنت براقش»

(الخرطوم) محمود أحمد عبد الله

هل في الصحراء عروس الجن؟

قرأت في الرسالة عدد ٢٦٢ المقال الممتع الذي كتبه الأستاذ محمد [illegible] فكان أحب شيء التفتت إليه نظري وحملني على التفكير هو ما أورده من تلك الظواهر التي تميل إلى القول بوجود عروس الجن [illegible] حتى انتهى في بحثه إلى ذكر ما أثر عنه، أنه كان [illegible] يسمع أصواتاً لقوم يشربون السكر [illegible] من جبال كانت علا [illegible]

حين يسحر الليل، ويهجع الناس، ويخشع كل شيء، كانت تقوم «وموطنها» في حقل الماء يجمعها بنات آوى كرهيم الناعقات، فكان يخيل إلى سامعها بالأمس في كل بيت من بيوت القرية صيحة نائحة. وشد ما كنت أتشاءم من تلك الأصوات التي تتتابع لدى ظهور تلك الأصوات الكئيبة الباكية! فقد كان يذهب بي خيالي إلى أن هذه الأصوات طبيعية بالنسبة إلى ذلك الحيوان، ولكن أذني تعودت إلى تلك الصورة الكئيبة [illegible] عجيبة [illegible] لا قدر الله

وهكذا لم تكن بنات آوى تصطحب موائدها في كل ليلة، ولم يكن حالها يحسن في صورة ابتهاج ما يخوضه [illegible] من شر وسوء

وكانت الثورة، وما أدراك ما الثورة! فطاحت رؤوس، وتزعزعت عروش، وبنا البلدة لا يمضي عليها ساعات معدودة في كل يوم دون أن تضج بصيحات [illegible] اليها. وكان القوم يبادرون [illegible] في سفح جبل [illegible] مثنى وثلاث

ونظرت وإذا الله يستبدل مناحب الأصوات، والوحشة والأحزان فكانت بنات آوى. فالأصوات هي هي بعينها، والوحشة ملأ البلدة في وضح النهار فضلاً عن الليل. ودعب [illegible] أمسى [illegible] وساهمت آلام الكرة بقريتنا [illegible] لتطلع الشمس أن تتيف في كل يوم على مأساة من مآسي [illegible]

وها هو انتهى أمر الثورة، وها أنا أصبح بسماع [illegible] كل يوم [illegible] هل أسمع تلك الوحوشة الباكية، أوهل تلك [illegible] تشبه بنات آوى فما أسمع صوتاً ولا ذكراً؟

([illegible]) [illegible] عبد الفتاح [illegible]

قواعد العربية الفصحى

هذه ترجمة عنوان الكتاب الذي أخرجه في الشهر الماضي الأستاذان (جودفروا دومومبين) من أساتذة اللغة العربية في السوربون سابقاً، و(بلاشير) أستاذ اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس. والكتاب يتناول في نحو خمسمائة صفحة، الصرف والنحو والتصريف والتحليل. ومزيته أنه مؤلف على أسلوب حديث جداً لكتب قواعد العربية المنشورة باللغات الأوربية ولا سيما الفرنسية، وبالأسلوب الحديث حتى ما وصل إليه علم اللغة في هذا العهد من طريق مقارنة أصول لغة الشعب السامية الأوربية، ومن طريق النظر في مذاهب اللغات السامية

والكتاب مطبوع في باريس واسم الناشر G. P. Maisonneuve وعنوان الكتاب Grammaire de l'Arabe Classique

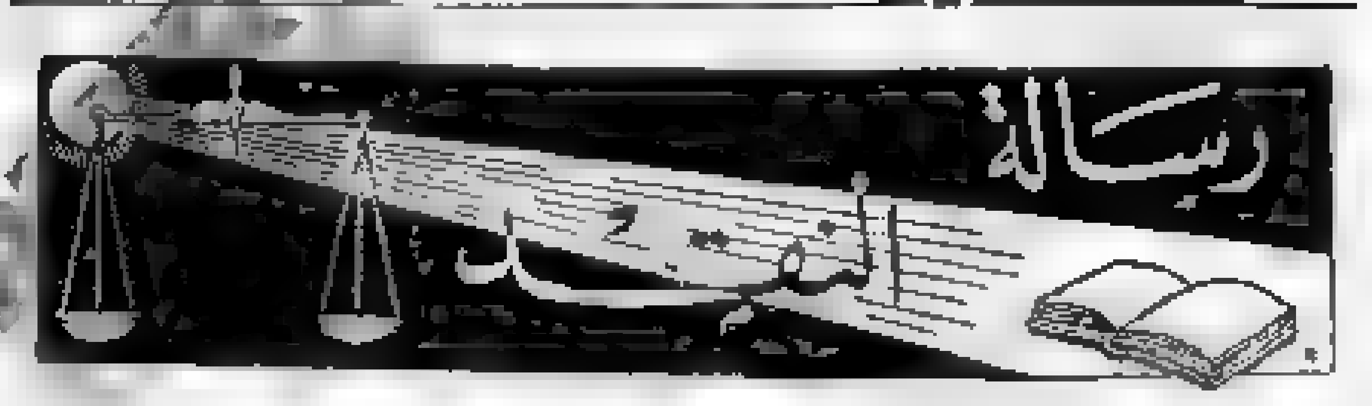

حول مناظرة وكتاب

نقد ومراجعة

للدكتور بشر فارس

شيء واحد لفت نظري فيما كتبه — في العدد الماضي من الرسالة — الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم (خريج جامعة موسكو لسنة ١٩٣٣ كذا) في مجلة الحديث (حلب ١٩٣٨).

وأما الذي يكشف ذلك الشيء من الكلام المرخص عنده فلاحظات لي فيه. وقد أحببت القارئ من عندي أن يقف على عبارة غيره في ذلك الضرب من الكلام. ولا عجب، فلولا حرصي على النقد الصحيح ما كتبت هذا الفصل.

قال الأستاذ أدهم: «إن الجملة الفرنسية une somme de rapports sociaux التي تنظر إليها العبارة العربية بشيء من الحقة (يعني) قد ابتكرها وذكرها في كتاب العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته في علم الاجتماع في السوربون (ص ١١، ١٣، ٢٤، ٢٦ مثلاً)».

بهذه العبارة يريد الدكتور أدهم أن يقيم البرهان على أن تلك الجملة الفرنسية التي «تبعث من خلق» قد وصلت إلى عنده قبل قراءة كتابي «مباحث عربية». وإني لأرى الأستاذ أدهم يتقول عليّ، فإني لم أقل قط إني «نحتّ» تلك الجملة الفرنسية، إذ أني في «مباحث عربية» (راجع ص ١٦) أضع الاصطلاحات العربية — من طريق المطالعة أو الاجتهاد — ثم أثبت إزاءها ما يقابلها في اللغات الإفرنجية، وذلك رغبة في إغناء لغتنا

(وهل أنا أتيت لتلك الترجمة؟) وعندي أنه كان على الأستاذ أدهم من عبارته المذكورة أن يثبت لنا الجملة التي استعملها في «مجلة المعهد الروسي للدراسات الإسلامية» وذلك على وجهها — ولكنه لم يفعل، بل لم يشر إلى مجلة كما رجوت منه. وكان بودي أن أرى كيف استعمل المصطلح العربي الخاص بعلم الاجتماع دون غيره، الموضوع في كتابي وضعاً علمياً.

ومن الغريب أن يضطرب الأستاذ أدهم في إقامة برهانه على ما لا برهان له. فقد استشهد على وجه التخصيص بـ «مجموعة محاضرات دوركايم في علم الاجتماع في السوربون» ثم عين فقال: «ص ١١، ١٣، ٢٤، ٢٦» ثم عطف فقال «مثلاً».

والذي في حقيقته أن دوركايم استعمل هذه الجملة غير مرة، وكذلك تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، وعلى الأستاذ أدهم التثبت من أن دوركايم قد استعمل هذه الجملة في «مجموعة محاضراته في علم الاجتماع في السوربون»، وذلك لأنه من الكلمة «مثلاً» التي صدرت عن قلم الأستاذ أدهم، وهي ما فيها من عوج الإبهام.

إني لم أسمع قط بـ «مجموعة محاضرات دوركايم في علم الاجتماع في السوربون»، مع أني قرأت كتب دوركايم — وهي [illegible] وكبارها، وما خصّص علم الاجتماع [illegible] — ولم [illegible] من محاضراته في السوربون [illegible]، وذلك [illegible]. وقد سألت اليوم زميلي في التحصيل في السوربون، الصديق الدكتور علي عبد الواحد وافي — مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول — هل يعرف تلك «المجموعة»؟ فأجاب وقال: «لا وجود لها». أضف إلى هذا أن بين يدي الآن كتاباً فيه ثبت المؤلفات في علم الاجتماع (ولاسيما التي تهم الطالب)، وأي شيء يهم الطالب مثل المحاضرات، بل محاضرات دوركايم وهو إمام مدرسة علم الاجتماع الحديث في

فرنسية ؟) وهذا الكتاب عنوانه Le guide de l'Etudiant en Sociologie ، وليس فيه ذكر لتلك « المجموعة » . واعلم أن هذا الكتاب مطبوع في باريس بعد سنين بعد وفاة دوركايم فضلاً عن أن أحد صاحبيه من تلامذة دوركايم نفسه ، واسمه Bouglé ، فهو أعلم منا بما أخرج أستاذه لطلاب علم الاجتماع

هذا لأننا حرجت تلك « المجموعة » في موسكو حيث تلقى الأستاذ أدهم شتى العلوم . فرجائي منه إذن أن يسجل « المجموعة » بحيث يثبت العنوان الفرنسي وتاريخ الطبع ومكانه . فإني جد حريص على أن أخبر أساتذتي وزملائي من علماء الاجتماع بوجود تلك « المجموعة » ! وما أظنهم إلا مستطلعين لها ، وما إخالها إلا موضع الشك

* * *

ومثل تلك « المجموعة » وكلها موجودة على خلاف ما أوله وما يعرفه صديق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وعلى خلاف ما جاء في الكتاب المتقدم ذكره . فكون القصة أن الأستاذ أدهم لم يحسن نقل عنوان الكتاب من الفرنسية إلى العربية ، وذلك لسببين

أما الأول فلأن العربية ليست « لغته الأصلية » ، كما قال في العدد السابق من الرسالة حين أخذ يعتذر إليّ من أخطائه في العربية[1]

وأما السبب الثاني فلأن هذه اللغة الفرنسية لا يتيسر له مثل ذلك النقل . وقد ذكرت هذا وكتبته مكرراً ، لسبب بسيط ، هو أن الأستاذ أدهم قال « إن اللغة الفرنسية ليست وقفاً على

---

(1) ومن عجيبات الأمور أنه هجم على ما كتبه الدكتور زكي مبارك في الأستاذ أحمد أمين (الرسالة العدد ٣١٠ ص ١٤٤ العمود الأول) ووصفه على عجزه في ناحية خاصة الأمر ، وأحق عليه أنه أعطى الرأي إذا الميعى بموضع ألفاظ اللغة العلمية بعد أن الكتابة « الرسالة » ليست موضع شيء . وعلى ذلك فإني أشكر الأستاذ أدهم على هذا ، ومثل هجومه على الأستاذ أحمد أمين على ما كتبه الدكتور زكي مبارك في الأستاذ أحمد أمين في مجلة ... « طريق الطريق » ووصفه على ... الأستاذ ... ذلك أسلوب من النقد غريب ! وقل ... عند الأستاذ أدهم ، فهو صاحب ... ؟ ... أن الأستاذ ... سنة ١٩٠٢ سنة ١٨٩٨ كما يقول الأستاذ ... إلا أن الأستاذ أدهم يصح ... الأستاذ ... لا يتفق مع ... ! (راجع هذه القصة الظاهرة في مجلة ... سنة ١٩٢٦ ص ٣٣٢)

سعيد الله أن تكون الفرنسية وقفاً على الناطقين بها . أصح وفي نقد الأستاذ أدهم لكتاب « مباحث عربية » ما يزيد ما ذكرته من عددين ؟ ففي رأي الأستاذ أدهم (راجع الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) أن استعمال لفظ « السلوك » لأداء مشتقات للمصدر الفرنسي (وهو moralité) تارة ، ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر للمصدر نفسه (وهو morale بمعنى Ethique) تارة أخرى مما « يوقع في اللبس والاختلاط » . والواقع الذي أثبته على كره أن الأستاذ أدهم لم يدرك الفرق القائم بين اللفظين الفرنسيين : moralité و morale (راجع « مباحث عربية » ص ٣٦ ، ٥٦ خاصة) ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية الأخلاقية ، والثاني يعني علم الأخلاق . وحسب الأستاذ أدهم أن يستشير معجماً فرنسياً للدارس يبين له اللفظين

وقد أقول ، فإذا شق على الأستاذ أدهم أن يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية فكيف له أن يعمل مصدراً أو فعلاً ثم استشهد به وأثبت صحيح صفحات « على جهة التمثيل » ؟

الحق أني أود أن أجيب مجيبك ، ولكن ما مواك في عهد الاختلاف :

قال الأستاذ أدهم في نقده لكتاب « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) « يعتبر الباحث (يعني) كلمة البصيرة مقابلاً (كذا) intuition ص ٢٢٥٧ ، والغريب أني لم أجد كلمة intuition إزاء كلمة البصيرة الواردة في ص ٣٧ من كتابي ولا في صفحة غيرها . فمن أين جاء الأستاذ أدهم بكلمة intuition ؟ وكيف حمل « أخبر » ما يحمل على أنها « مقتبس » ؟

ثم لم لا يعمل الأستاذ أدهم المراجع ويجتمع المصادر ، وهو الذي استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم (الكتاب المقدس) ثم بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، يوم نقد « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١٢ ص ١٢٧٤ ثم ص ١٢٧٥) . وإليك بيان ذلك :

أولاً — قال الأستاذ أدهم : « ومما يحسن في الإشارة إليه أن كلمة الروحة وردت في اللغة العبرية ، وهي من أخوات العربية ، لازمة معنا المعنى السيادة (دانيال ١٤ ١٩ وصادره ...

في ملتقى المتنين ج ١ ص ٨٨ — ٩١) »

والذي في كتاب « ملتقى المتنين العبرية والعربية » للأستاذ حبيب فرج « سفر ... فتم مكسر حال محمود بعض العبد وولي الأمر — دانيال ٤ : ... ١٩ والأصل العبري ١٦ » (وبعد ، على أسلوب جمهور العلماء ، الإصحاح ١٤ والآية ١٩ في الأصل العربي والآية ١٦ في الأصل العبري)

ومن المستحيل أن يكتب الأستاذ فرج « الإصحاح ١٤ (الرابع عشر) » لأن « سفر دانيال » اثنا عشر إصحاحاً فقط ؛ ومن هنا يبين لي أن الإصحاح ١٤ من غلطات الطبع . وقد سألت في ذلك زميلي الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول — فأخبرني بعد المراجعة قال « في العبري ... هو الإصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢٢ »

وهكذا ترى كيف جاء الأستاذ أدهم ونقل عن كتاب الأستاذ فرج من غير تمحيص ولا روية . والظريف أنه استشهد بسفر دانيال أول ما استشهد ، إذ قال « كتب ... دانيال ١٤ — ١٩ وراجع فرج في ملتقى المتنين ج ١ ص ٨٨ — ٩١ » كأنه اطلع على سفر دانيال غير « ملتقى المتنين » لفرج

ثانياً — قال الأستاذ أدهم عند الكلام على أنساب العرب « ولكنا على الرغم من ذلك ، نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها امتزاج عدة بطون واحدة من قبائل مختلفة . ابن حزم مثلاً في الفهرست لابن النديم ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ ، والراجح العربية ... في القبائل تنوخ وغسان والمنتفق مكونة من شتيت البطون التي تناوبت في الصحراء من القبائل العربية التي تفرقت عنها وكانت مواطنها في الخرب ... الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكتابنا (يعني كتابه) عن الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤ »

في هذا النص نرى الجزء الثالث (؟) من « الفهرست » لابن النديم يثبت مرتين على سبيل المرجع وليس للأستاذ أدهم أن يتحمد سلطان الطبع ، إذ في كتابه الذي ذكره « عن الأنساب العربية » : (مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء في هذه حرفاً بحرف

هذا والمعلوم أن « الفهرست » لابن النديم طبع مرتين : مرة في ليبتسغ Leipzig سنة ١٨٧٢ ، والثانية في مصر سنة ١٣٤٨ للهجرة . وفي كلتا الطبعتين جرى « الفهرست » على جزء واحد والذي حدث في هذا الموطن أن الأستاذ أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع الطبعتين ، فأتى مع « سفر دانيال » . ولو راجعهما لرأى الكلام على الأنساب يقع في « المقالة الثالثة » (« الفن الأول في أخبار الأخباريين والنسابين ... ») من كتاب الفهرست لا في الجزء الثالث منه . ومن هنا يبين أنه ظن المقالة جزءاً فغلط في نقل المرجع

وأما الصفحة التي عينها (ص ١٨٧) فلا أدري لم يذكرها ، على أن ورقة الفن الأول من « الجزء الثالث » كذا (طبعة مصر ، وهكذا للأستاذ أدهم أن يقول إن حديثه في طبعة ليبتسج !) ولم أعثر على حديث الأستاذ أدهم

وأما قوله في صحيفة ، « ابن حزم مثلاً في الفهرست — » فمن غاية الاشتباه ؛ لأنه إذا قال ابن حزم من غير تعيين أراد صاحب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، وعليه فلنا أن نسأل الأستاذ أدهم أي كتاب لابن حزم يعني ؟ ولابن حزم المولود سنة ٣٨٣ (أي بعد تصنيف الفهرست بسنة) وثلاثون مؤلفاً ؟ وراجع : بروكلمن « تكملة تاريخ الآداب العربية » ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧ ثم إني أعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً ، عنوانه : « جمهرة النسب » ، وقد نشر حاشية منه Khuda Bukhsh في كتابه Contributions to the History of Islamic Civilisation فهل يعني الأستاذ أدهم في صحيفة ذلك المخطوط ؟ ويعني هاتين من الكتاب ومن الصفحة ، كما يصنع العالم المتثبت والباحث المتفقه ؟

وغاية القول هنا أين ... من الفهرست ، وأين النص المستشهد به في ص ١٨٧ ، بل في الفن الأول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا ، وما كتابه ؟

* * *

إني والله يسرني أن أثبت كل ذلك ، وليعذرني من يحرص أن الأستاذ أدهم حدثته نفسه بأن يكتب : « وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين في العربية استشهاداً

المعاصر » (الرسالة العدد ٣٦٠ ص ١٢٣٥) فيطمئن الأستاذ إلى أني لا أنكر عليه ذلك ، وليطمئن أيضاً إلى أن « الكاتبين في العربية » لن ينازعوه الغلبة في استعماله المعاصر على طريقته إنما المروءة وقدمه .

وإذا انصرفت إلى استعمال المعاصر ذا عبر الأستاذ أدهم لو راجع معجمات الفلسفة وكتبها حين تكلم على كلمة intuition في بحثه ليحسب عربية كما تقدم ، فقد قال : « وجدنا (أي الاتصال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج) ما يفيده معنى لفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم تامة العربية »

هل يصيب المصطلح الفلسفي على وجهه التام والخاص جميعاً في « معاجم اللغة » ؟ إلى هنا أرشد الأستاذ أدهم إلى « المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة » للأستاذ Lalande (باريس ١٩٣٢) ففيه نرى كيف يذهب الاصطلاح الفرنسي إلى حد ما يظن ، ثم أن يقرأ أيضاً ليُحكم معرفة المصطلح هذا العهد مثلاً - كتابين للفيلسوف برجسون Bergson : Essai sur les données immédiates de la conscience و L'Evolution créatrice (الباب الثاني) ثم كتاباً للعالم بوانكاريه عنوانه Science et méthode (الفصل الأول من الباب الثالث)

وإذا أراد الأستاذ أدهم أن يعرف ما تحت مصطلح intuition من هذا التفصيل بحسبها كتبه Descartes و Leibnitz و Kant خاصة في « نقد العقل الصرف » ثم شوبنهور

هذا من جهة المصطلحات الفلسفية ، وأما من جهة الواصفات العربية فما ضر الأستاذ أدهم لو راجع معجمات اللغة ونظر في دواوينها قبل أن يكتب في نقد « مباحث عربية » (الرسالة ، العدد ٣١٦ ص ١٣٢٩) . « ثم عندك قول الكاتب (يعني : في لفظة الشرف معادل متحول ، تارة ، ومباينه أخرى » ثم يزيد : « في هذا التعبير لفظة المحاور تفيد إرجعت معنى synonyme والقصور واسع في التعبير العربي (كذا !) فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي (كذا !) ولكي تستقيم معاني العبارة لا بد من إبدال لفظة المتجاوز

من الجد بمكان لأنه أدل على المعنى وأخف استعمالاً في الجملة » على أني لا أحب في أسأل الأستاذ أدهم كيف يأخذني بخطأ وهو لا يزال يأخذ عنا ، كما أعرف ذلك في جانبه مثالا للتطور في العدد الماضي إلى كل ما أبغيه أن أرشده إلى كتب اللغة العربية ليتبين أن معنى لفظة synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « المترادف » (ومن هذه اللفظة مشتق في جميع المذكورة قبل) وأعلم أن كلمة synonyme في الإفرنجية من الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد أو متقارب ، وإلى الأستاذ أدهم « مثلاً » مجاز غريب للثاني في « المزهر » للسيوطي (النوع الـ ... والعشرون)[1]

* * *

ألم يأن في مصر أن يسمى شيئاً معيناً له تحديده وله حرمته فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدى والجدل المتحكم والتفاخر بالنسب والطرافة ؟

وتروى الروية عند الإقبال على الاشتغال بالعلم أو على نقد من يتوفر عليه والنقد أمر لا عبرة به إذا خلا من حسنة العلم وحاجته والنقد للعلم مصباح على أن يكون الزيت لا دخل فيه !

* * *

ثم أني أودع القارئ ، وأنا راحل إلى أوروبة بعد أربعة أيام ، وأني ما كرهته صبره ، فقد أطلت الكتابة في سبيل « وضع الشيء موضعه » ورجائي منه أن يحقق ما جاء في هذه الكلمة فكتاب « الأمير » و « سفر دانيال » - مثلاً - يحولان لشكل أحد وأنى لمشتغل إلى أن القارئ سيعرف - من طريق المراجعة والتمحيص - كيف ينظر في ما يبدو هنا أو هناك أن يكتب ويكتب والسلام ، وإلى اللقاء بعد أربعة أشهر

بشر فارس

دكتور في الآداب من السوربون

---

(١) عنه مباحثة بعض أقوال الأستاذ أدهم في « مباحث عربية » وجد القارئ في مختلف أعداد الرسالة (باب الرسالة والمناظرة) مباحثة كل ما قاله الأستاذ أدهم . وذلك إلى جانب النظر في آراء طائفة من الكتاب الذين حرصوا أن يقدموا الكتاب على بصيرة

7me Année No. 315

Lundi - 17 - 7 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة السابعة «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ يوليه سنة ١٩٣٩» العـــدد ٣١٥

الفهرس

جو يطرد الماضي ومسرة الحاضر

من الأحاديث العابرة . . .

اجلس قليلاً يا صديقي نتحدث. لقد أصبحت كالطيف العابر لا نسمعك إلا [illegible] ولا نراك إلا [illegible] ولا نجالسك إلا لماماً

— عصر السرعة يا صديقي! لقد شغلتني [illegible] وأسرع في [illegible]! من تخلف عن قافلة الحياة افترسه الجوع وعضّه الندم

— أوه، أجل يا صديقي! عصر السرعة، أو عصر الآلة، أو عصر الإنسان ذي المحرك! أسماء مختلفة لمعنى واحد، هو [illegible] هذه الحضارة الغربية!

أتسمي [illegible] الحياة وسرعة العمل ومساورة الرزق عصراً؟ وأين تكون السعادة إذن؟ أفي الجمود أم في القعود أم في التخلف؟

— ويحك يا صديقي! هل تستطيع أن تقول لي: لماذا يسرع الناس؟ أيقطعون العمر في أعوام؟ أيلبسون الثياب في أيام؟ أيلبسون [illegible] في ساعات؟ وما قيمة كل ذلك في [illegible] السعادة؟

لقد كنا نشتغل بعض اليوم، فأصبحنا نشتغل كل الليل؛ وكنا نعمل باليد، فأصبحنا نعمل بالآلة؛ وكنا ننتقل بالجمل، فأصبحنا ننتقل بالسيارة؛ وكنا نأكل مطمئنين في البيت، فأصبحنا نأكل مضطربين في الشارع؛ وكنا نقيم العرس أربعين يوماً والمأتم سنة، فأصبحنا نقتصر من الفرح على ساعة العقد ومن الحزن على تشييع

الحارة؛ وكيف تخلق السكائن الفنيّ في دهر طويل من الصبر يكون شبه الفنون والقهر والعاطفة دون الأخذ والمستحدث المصور في بيئة يمرع الناس من تقديره في لحظة ... وحدها من روح السحر وسكينة الروح بمقدار ما فقدنا من راحة البدن وصحة الأجر؟

– وما يدريني؟ لو أنني أدركت المعدن لجاز لي أن أحسن الموازنة وأصيب الحكم!

أنا الذي أدركت المعدن، وأستطيع أن أقول لك إني شعرت بالفرق بين بطء المشي وسرعته، كما يشعر القاضي الآمن بالفرق بين السيف والمسرح، وأدركه كما يدرك الشاعر الفرق بين المسير الروض على القدم واجتيازه في السيارة. لا ريب أن الشارب إذا رشف الماء وعرفه كان ذلك أسيغ لنفسه وأروى لكبده من الشرب الذي يعجل الري ويكثر الجرع ... كذلك الشره على نفسه يجد في كل خطوة حالاً من الحال، وفي كل وقفة نصيباً من اللذة؛ على حين لا يجد راكب السيارة إلا الطرف في كل خطوة، ولا النظر في كل كرة.

نظر هذا الذي تراه واقفاً أمامه أمام المتجر بحي من أحياء (أوروبي ...) ... طلبنا من هذا المتجر ... بعض متاع البيت وحاجة الجسم ... وبه نفسه ولم نجد على الدنيا كلفة ... الصفقة عسيرة ... ما كان عند الشروق المتحولون من هذه الأشياء ومن الاقتناء وعقبة القدرة.

... (السبيه) التي لم تستغرق غير ساعة من النهار كانت في حياتنا القروية الهادئة تقتضي من الزمن أسبوعاً ينقضي بين سوانح الفكر وآمالها ... الأحلام ... ولا تكاد الأسرة تفيق من نشوته ولا تنتهي من حديثه

* * *

دمتى أخذ يقاكرنا إلى حدود الماضي البعيد فلو كرت كيف كان رجال القرية يقطعون ... من السوق ... بين القرية والمنصورة ساعة ونصف بالحارة السريعة، فأصبح بينهما اليوم ربع ساعة بالسيارة البطيئة! وكان القوم ... أكثرهم ... من الشاي والكحول والمنصورة ... قبل السوق ... في أربل للاصطياف. فإذا جاء يوم السوق التي تواطأ رجال (الحارة) على الاستبداد فيه كان كل شيء على عادته الأهلية فالمراوع

السحب، على حبر والأحراج ... على ... والنعش اللامعة في الأيدي البسيطة، والدماير ... في الأكياس المستقيمة والقطا ... في المخلاف الرعيبة، وكبير (الحارة) ... عليه العصبة وهو على ... في جرس ... يحمس للتقدم ويستحث المتأخر؛ حتى إذا ... السير واكتمل العدد سار ... في سكة السوق سطراً منسوداً يتماسى على نظام القافلة والسرج ... ويسمع ... من بعيد ... أولئك بين الكلام والضحك والنهيق ... بالزجر والصرخات ... حوافر الترب ...

فإذا صعدوا (...) أودعوا حمرهم في (الوكالة) ... (الحراج) ... اليوم، ثم وصعد الأحراج على الكف ... صافتين إلى ... كيوب ... إلى ... المنصورة.

وهنا يرى من القوم النشاط والزيط والحراك ... صوت الطائر الموهن؛ لأن النيل غير الترعة، والسفينة غير التورج، والمدينة التي يسكب الأصبع غير القرية التي يجمعها كلها ... واحد ... هؤلاء يخرجون من ضيق القارب إلى رحبة الشارع فيمشون في سواء الطريق أو على أفريزه سلاسل سلاسل يسكون ... ويشكون ... ويتصايحون عند ... ويصعون ... وربما ... الشارع وملحق ... حتى يحرجهم السيل على (الخواجة) المقصود، فيرول ... على الكرسي المعهود، فيجلس الكهول على الكراسي، والشباب على الأرض ... وعمال الأبواب ... على عيونهم الشاخصة وأنفسهم القاحصة، فيجلسون على النوع أو على اللون أو على السعر ... الأمر ... ويطول المساومة، حتى تخور القوى ... ويتعب ... فيبيعون أمراً كما ... بعض ... كل ... بعرض

ثم يمضون للعدد، فيحبون ... مطرزين ... علماً على ... ويأكلون ... والعب والبيع ... ثم يعودون إلى البدال والعطار ... على الصعب والسمر حتى ... الليل فيخرجون من سوق (الخواجات) بحشر الأحراج والقراز لا يهتدون في النور، ولا يأنسون بالناس، ولا يحنون للدليل؛ فيقطع الصيف ويبني الناقل، ويكون عند الصبر احتفاد وتشدان وتحية

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

ضريبة الجمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطئ عامر ولكنه ليس بالزحام ، والبحر مائج ولكن برفق ، وهو مائج له صفير ، والرمال السوداء كالقطيفة المغبرة تتكسر على صفحاتها منبسطات أو متعرجات ! فتلبسه غرته والقصيدة معرضة جميع الحركة والحياة ! ... وهذا من عجيب التعليم في سحر البحار والرمال

وإذا اتسع الأمر لعين الناظرين حتى كأنهما تنظران إلى مكان واحد ، وتحاربت الأصداء على الأذنين حتى كأنهما قد كفتا عن السماع بعد طول التكرار ، هنالك تنطلق الخواطر شتاتاً كما تنطلق خواطر الأحلام بعد تعطيل السمع والنظر ، فهي لا تنتهي إلى ما وراء الأعماق ، ولكنها تتضرب فلا تتجاوز الأفق

محسوسات ، كما على الحس ميل خطا محدودات

وهكذا جلست أرقب الشاطئ ، وكأني أحرس ... الشاطئ ، وايم الله أني بحسب في عداد الأحلام

ها هنا وها هنالك تماثيل من صنع الله في المعرض ... التعليم : بعضها ولا ريب تحفة من تحف الخلق والتكوين ، وبعضها ولا ريب لازم للمقارنة بين شعور الإعجاب وشعور الرثاء ، أو للمقارنة بين إبداء المحاسن وإخفاء العيوب

تحفة غريبة وأي تحفة هذا الجمال الذي لا يقوم بمال

تحفة يستمتع بها أصحابها وغير أصحابها ، وربما كان حظ لابسيها دون حظ الناظرين إليها ، لأنهم يعرضونها ويحملونها والناظرون هم الآخذون

بل هم مرغمون على عرضها وإخفاء العيوب عنها كل حجب تحجبه

وإلا فما بال هؤلاء العارضين قد تهيأوا لخروج الماء والماء لا يحول الناظرين عنه !

سيقولون : للشمس لا للبحر ! ... لا نصدقهم ! — فالشمس أيضاً من وراء سحاب ، فما تضير من ذلك الحجاب

إنما يتأذون لحاظ من أشعة النظر لا من أشعة الشمس ولا من أمواج الماء ، ويا له من حظ سخي على الجمال

* * *

وكنت حديث عهد بالضرائب وعلاج الموازنة بين الورود والمصروفات

ويشاء الحلم أن يتقرب في هذه الفترة فيسنح لي خاطر كأسرع ما يكون وأقرب ما يكون

ما للدولة لا تشارك الجميل في تحفة حظه كما تشارك الغني في تحفة ماله والصانع في تحفة دكانه أو عملائه !

كل تحفة مقبولة منها حصة . فما بال الجمال لا يحسب من النعم عند مصلحة الضرائب الأميرية ؟ أو ما بال يحسب من النعم ولا يدخل في الحساب ؟

هو الله لو فرضت ضريبة الجمال لحسب الدولة الملايين واستراحت من المحسنين ، لأن أصحاب الضريبة يؤدونها عن يد وهم شاكرون ،

فإن حضر بنا صحبهم من المدينة والنهر واقتعدوا ظهور الفلك وشمر نسيم الحقول انبسطت الشفاه وطلقت الحناجر فأفاضوا في أحاديث السوق ، وأفاضوا في أعاجيب الشعر ، وادعى كل منهم أنه كان أبصر بالبضاعة وأخبر بالسعر وأقدر على المساومة

وكان شباب القرية قد انتشروا مع الظلام في طريق العودة يلقون القمر ويكلمونهم بحديث الليل وكان نساء الغائبين وأطفالهم مرتقبين على سطوح الدور ، ويستمعون على السطوح لحن النغمة فإذا دخل الليل قابلوها بالزغاريد والأناشيد ، ونصب (عشاء) منظم الناس في أكل البلح ومص القصب وتناول الحلوى ثم يصبح الصباح فتفتح الحقائب وتوزع الكسى وتعرض ... وتغرق هذه الأسر في فيض من الفرح والمرح مدى أسبوع

* * *

الواقع يا صديقي أن المرفعة هنا هي الخسارة . وذلك أنها وفرت على الناس الصحة وأخرت عنهم الموت حتى عوا وكثروا ، فهم يتزاحمون على موارد الرزق ، ويقتحمون إلى مظان القوت ، فأصبح من لا يحمل جناحيه في رجليه لا يسبق ، ومن لا يحمل بالعمل وجهه لا ينال !

أحمد حسن الزيات

ويشكون إلى كل نصيبهم منها ويحصون له أن يرجع [illegible] مثقلين مرهقين

ونظر إلى فزع الراحمة والظلام وما يتوالى عليه من الشكايات والرجاءات

علاقة بطالبها النهوة بألف جنيه ضريبة جائز ولا طالبي [illegible] ما أكثر من بضع مئات ؟ من هو هذا الأحمق الذي ترهبه حكومته فاملاً هنا في حلته التقدير ؟ ومن هي هذه « الصيحة النائية » التي تدعي لهذا الحبيب وتصبر على هذا الظلم البين ؟

ونظر إلى ما قبل الشكاية وقبل الرجوع إلى هذه الراحمة نظر في الزوج المسكين وهو داخل على الزوجة البائسة [illegible] متشاجرة هو لأنه لا تجمع بين جنبيها الوطف « الأعمى » الذي طلب بتلك النصب من الضريبة ، ولا تأمن النفس من « التحدي في أثناء تأدية الرسمية » والإصرار على تطبيق ذلك النصب المزعوم

— ما بالك يا عزيزتي مهمومة البال ؟

— قال أنا ؟ بل فيم مالك أنت بين الأزواج ؟ قل مالك أنت بين الرجال ؟ قل مالك أنت بين خلق الله ؟

— أنا ؟ وما خطبي رحمك الله يا أمة الله ؟

— من أنت ... أنت دون غيرك ! [illegible] إلى [illegible] عينيك في وجهي [illegible] جيداً وقل لي : هل أنا دون علاقة في الحسن والرشاقة والفتنة والأناقة ؟ هل أنا دميمة مهينة أم أنا حبيبتك — وحسرتاه — هي التي حيتني بين النساء ؟

وبعد بكاء واستغراق في البكاء

وبعد جفاء وإمعان في الجفاء

وبعد مائة سؤال ومائة جواب ظهر [illegible] بين هي « مثل من فئة الضريبة » وإلزام الزوج المسكين على المطالبة بضعفها في صفحة عين ، وهو هو الذي « يرمها » ويكوى [illegible] وإلا فليس هو برجل بين الرجال ، ولست هي زوجة رجل مهيمن الحال !

ويخيل إلى صاحبة أنه عنفهما عن هذا الطلب [illegible] الموعود وبعض الهبات ، فيسوء إلى المراوغة والإعراض :

— يا عزيزتي ! يا [illegible] يا أجمل من خلق الله [illegible] أنهيك عن هذه [illegible] ، فلا ترى إلى [illegible] نفس [illegible] في بدن المال في الضريبة [illegible] على حال ، وهذه [illegible] بين الأتراب والأمثال ، و[illegible] [illegible] ملابسه ، وتنبيه [illegible] يانعة المحامد [illegible] ؟

ثم تشتد الحرب المباركة فلا تدري أي الحسنيين تختار ، ولا بد في [illegible] ولا سبيل إلى فرار

هنا [illegible] والحلة وما [illegible] بين بنات حواء

وهنا الجمال بشهادة الحكومة واعتراف القانون وتسجيل الأوراق الرسمية ، وهي [illegible] ، ولا تدفع بالبرهان مشكلة

ولا طاقة المباركة عليها

فيحملها الزوج المسكين ، فيجمع بين [illegible]

* * *

خطرت لي هذه الخواطر ، وتخيلت الناقمين على مراتة الدولة بين إعراض كالذي خطرت منها المباركة صاحبة الظالمة من مطالب الضريبة

فماذا يصنعون ؟

هل يحصون بإقبال الناس على البذل والإعطاء فيصيبون من كل بذل ، ويستجيبون لكل طلب ، ويشهدون لكل واقعة في سماته ؟

أو يؤثرون أمانة الشرف وصدق النظر و[illegible] على صحافة الورد ومعونة الأتراب ؟

مشكلة

مشكلة ينبت المشكلة العويصة فيما أحسب ، ولعلها المشكلة التي تحل وتجمع بين الأمرين في أحسن ... لأن الأمانة في تقويم المال ، [illegible] للاستغلال ، وباب جديد لفرص الضرائب في ساطعين الساقلين ، وعلى مسابقات الجمال في غير حاجة إلى محكمين ، وعلى أثاثين حتى قد نظهر [illegible] ، فلن [illegible] [illegible] على جرتها الترجح من هذه الأثاثين .

عباس محمود العقاد

حول الوحدة العربية

إلى الدكتور طه حسين

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

أيها الأستاذ

قد مضى نحو ستة أشهر على نشر الانتقادات التي وجهتها إليكم — في مجلة «الرسالة» — بمناسبة حديثكم المنشور في مجلة «المكشوف» البيروتية، حول «الوحدة العربية وموقف مصر منها»، وعلى نشر «الفصل الطويل» الذي أرسلتموه إلى «الرسالة» رداً على تلك الانتقادات[1].

لم أكتب إليكم شيئاً حول هذه القضية خلال هذه المدة لأسباب ستظهر لكم من الأسطر التالية، ومع هذا أشعر الآن بدافع قوي يدفعني إلى مخاطبتكم في هذه المسألة، بالرغم من مرور هذه الأشهر الطويلة، لمواصلة البحث فيها والمناقشة عليها.

* * *

كنت غادرت بغداد إلى المغرب الأقصى قبل وصول عدد الرسالة الذي نشر فيه ردكم، فلم أطلع عليه إلا في بيروت قبل سفري منها بالطيارة. قرأت الرد هناك فوقعت في حيرة عميقة، لأني انتهيت من قراءته دون أن أجد فيه كلمة واحدة يصح أن تعتبر رداً على ملاحظاتي الانتقادية، أو جواباً عن أسئلتي الاستفهامية... لأن الآراء المسرودة في الفصل كانت تحوم حول قضية «وحدة الثقافة» و«واجب مصر في أمر هذه الوحدة»، في حين أن هذه القضية لم تكن من القضايا التي اختلفت معكم فيها، بل كانت من القضايا التي شكرتكم عليها في ختام مقالتي الانتقادية بالعبارات التالية:

«هذا، وأرى ألا أختم انتقاداتي، دون أن أوجه إليكم كلمة شكر، وإني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية، لأني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد... فأنتم تدعون إلى وحدة الثقافة، وأنا أدعو لكم بكل ما يلزم من ضروب الوحدة...»

فكان من الطبيعي أن أقع في دهشة عميقة من قراءة الفصل الذي نشرتموه في الرسالة تحت عنوان «الوحدة العربية».

وأخذت أفكر... وأنا أقطع الفضاء فوق أمواج البحر الأبيض المتوسط... في سبيل حل هذه المعضلة التي استحوذت على ذهني في هذا الباب: «كيف سوغ الدكتور طه حسين لنفسه أن يسمي هذا الفصل رداً؟»

خطر في بادئ الأمر... أن الأستاذ قد شعر بالغلط الذي وقع فيه فلم يعد مبالياً بالرد على الانتقادات التي وجهت إليه، ولم يرد مع هذا أن يعترف بذلك، فأراد أن يتخلص من الرد بنشر فصل لا علاقة له بموضوع الانتقاد والاعتراض.

غير أني لم أرتح لهذا التفسير والتعليل، لأني استبعدت منكم أن تسلكوا مثل هذا المسلك في مناقشة قضية هامة مثل قضية الوحدة العربية، ولهذا اضطررت إلى أن أفكر في حل آخر أقرب إلى العقل من التعليل الأول. يقول الدكتور طه حسين: إن الرد هو فصل من كتاب تحت الطبع؛ أفليس من الممكن أن يكون قد حدث سهو في نقل الفصل من الكتاب؟ ألا يكون في الكتاب فصل يتضمن الرد؟ غير أن الدكتور قد سها في دفع الفصل؛ فالمطبعة أرسلت إلى (الرسالة) فصلاً آخر غير الفصل المقصود.

عندما فكرت في هذا الاحتمال، ركنت إليه كل الركون وقلت في نفسي: قد ينشر الدكتور في العدد التالي من الرسالة تصحيحاً لما حدث، غير أن رحلتي المرسومة سوف لا تترك لي مجالاً للاطلاع على ذلك قبل عودتي إلى بغداد... فلا بد لي من الانتظار إلى ذلك الحين للوقوف على التصحيح، أو لقراءة الكتاب.

ولهذا السبب، عندما عدت إلى بغداد بعد إتمام رحلتي في المغرب الأقصى والجزائر وتونس وصقلية... أسرعت إلى تصفح أعداد الرسالة التي صدرت في غيابي؛ ولما لم أجد فيها شيئاً يمس الموضوع الذي نحن بصدده، طلبت نسخة من كتاب «مستقبل الثقافة في مصر»؛ وأخذت أقرأ بانتباه شديد باحثاً فيه عن «الرد»... غير أني وقعت في دهشة أشد من دهشتي الأولى عندما انتهيت من قراءة فصول الكتاب بأجمعها دون أن أصادف فيها أيضاً ما يصح أن يعتبر جواباً على أحد أسئلتي الانتقادية... فقلت في نفسي: لم يبق مجال لتعليل الأمر بغير الملاحظة التي كتبت ووضعت على دفتري عقب مطالعة الرد المنشور في مجلة الرسالة.

(1) الرسالة عدد ٢٨٥ و ٢٨٦ — ١٩ و ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨

مع هذا منعنا أن أكتب شيئاً حول هذا الموضوع؛ للملاحظتين التاليتين: أولاً، كان قد مضى على نشر ردكم مدة تناهز ثلاثة أشهر بسبب ظروف رحلتي. ثانياً، إن «تباعد الرد عن موضوع البحث والمناقشة» كان من الأمور الجلية التي لا تحتاج إلى التوضيح والتنبيه؛ كما ظهر لي ذلك من أقوال الشبان الذين حادثتهم خلال رحلتي في باريس، وتونس، وسورية.

فقلت في نفسي: لا داعي إلى كتابة شيء في هذا الموضوع بعد انقضاء هذه المدة، ما دام رد الدكتور طه حسين لم يكن من النوع الذي يستطيع أن يخدع أحداً من القراء الأذكياء.

ولذلك لم أعد إلى هذا البحث منذ ذلك الحين.

* * *

غير أني اطلعت أخيراً على مقالتكم المنشورة في العدد الممتاز من مجلة الهلال، عن «العقل العربي الحديث». ورأيت أنكم عرضتم في تلك المقالة مسألة «الوحدة العربية» عرضاً طريفاً بعد أن سردتم بعض الآراء حول «تطور العقل البشري» بوجه عام، و«تطور العقل الأدبي الحديث» بوجه خاص، وتكلمتم عن وجوب «تجديد العقل العربي»، وذكرتم ما تعتقدونه في وسائل هذا التجديد. وفي الأخير، انتقلتم إلى مسألة «الوحدة العربية» بطريقة «غير مباشرة» إذ قلتم ما يلي:

«وربما كان من الأمثلة الظاهرة الطريفة التي تبين الفرق بين العقل العربي القديم، والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي نعيش فيه، مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها اللغط ويشتد فيها الخصومة، فلا أظن أن الناس مختلفون في أن هذه الوحدة نافعة للشعوب العربية والشعوب الإسلامية أشد النفع، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعاً، ولكنهم مع ذلك مختلفون ومختصمون لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسب ما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث. فأما أصحاب القديم فيفهمون هذه الوحدة كما فهمها القدماء في ظل سلطان عام شامل يبسط عليها جناحيه ويحوطها بجنده وبأسه، وليسمّ هذا السلطان خلافة، وليسمّ ملكاً كما كان يسمى قديماً، وليحاول أن يسمى إمبراطورية ليكون له حظ من الطرافة، فقد عرف القدماء الإمبراطوريات وعرفها المحدثون من الأوربيين. وكذلك يخدع العقل القديم نفسه فيظن أنه أصبح حديثاً. وأما أصحاب العقل الحديث فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما يفهم عليه في البلاد المتحضرة الأوربية، فيفهمون على أنها لا تنفع ولا تفيد إلا إذا احترمت القوميات والشخصيات الوطنية، والحرمات التي لا تعتدى، والسيادة الكاملة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية، وقامت على العقل الذي لا يجور بعضه على بعض، ولا يجمع شيئاً بعضه إلى بعض، وعلى أنها تمكن الأمم من أن تتعاون على أساس ما يكون بين الأنداد من التعاون.

وإذاً فصاحب العقل الحديث في هذه المسألة مخالف لصاحب العقل القديم أشد الخلاف؛ لأن عقله لم يتطور بعد، ولم يستطع أن يكون من أهل العصر الذي يعيش فيه. وإنما هو محتفظ بكل مشخصات القرون الوسطى، ومتعصب لمشخصات القرون الوسطى على أن تسيغ ما جد في القرن العشرين».

يظهر لي من كلامكم هذا أنكم بعد أن تحرجتم من مناقشة مسألة الوحدة العربية مناقشة مباشرة — حين دعيتم إليها — أردتم أن تعودوا إليها من طريق التعريض والتلويح، كما وددتم أن تشهروا رأيكم من طريق اتهام معارضيكم بالتمسك بـ «مشخصات القرون الوسطى»، وبإلباس رأيكم حلة فضية من «مقتضيات العقل العربي الحديث».

فاسمحوا لي بعد أن أتبعكم في هذه الطرق الملتوية، وأن أبدي ملاحظاتي بعنوان «العقل العربي الحديث» الذي تشيرون إليه.

لا أدري لماذا كل هذا الانصراف عن مناقشة المسائل مناقشة مباشرة، والالتجاء إلى طرق «التعريض والتشويش» في أمور بعيدة — في عرفكم — عن مقتضيات العقل الحديث، غير أني أعتقد أنكم تتفقون معي — على كل حال — بأن العقل العربي الحديث يجب أن يكون على غرار العقل الأوربي الحديث، ولا تنكرون — بالطبع — أن «العقل الأوربي الحديث» يتطلب السير على مناهج الأبحاث العلمية، وعلى أساس استنطاق الوقائع واستقراء واستقراء، متجرداً من تأثير الميول العاطفية والآراء الخلابة.

فلننظر إلى الملاحظات التي نقلتها آنفاً من مقالكم لنرى مبلغ ملاءمتها لمقتضيات «العقل العربي الحديث» الذي تدعون إليه:

أولاً، إنكم تبحثون في كلامكم هذا عن الوحدة العربية والوحدة الإسلامية كأنهما مسألة واحدة، في حين أن مفهوميهما يختلف عن

الأخرى اختلافاً كلياً . فإن فكرة « الوحدة العربية » ترمى إلى توحيد الشعوب التي تتكلم بلغة واحدة ، في حين أن فكرة « الوحدة الإسلامية » ترمى إلى توحيد الأمم التي تتكلم بلغات مختلفة . فالأمر من حيث مداهما واحد . فالبون بينهما شاسع جداً ، فإن الدعوة إلى « الوحدة العربية » لا تستلزم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة ؛ كما أن عدم الإيمان بإمكان تحقيق « الوحدة الإسلامية » لا يستلزم إنكار إمكان تحقيق « الوحدة العربية » فلذلك أرى أن لا تردد في خلط هاتين المسألتين ، والنظر إليهما بنظرة واحدة ، يخالف أبسط حقائق علم الاجتماع ، وأبرز وقائع تاريخ السياسة ، ولا يتمشى مع الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه .

ومن الغريب أنكم لا تكتفون بالخلط بين هاتين المسألتين بل تحشرون بينهما مسألة الخلافة أيضاً بصورة غريبة ، وتنظرون إلى هذه المسائل كلها نظرة واحدة . لقد تعودنا أن نرى آثار مثل هذا الخلط ، في كتابات بعض الساسة من الأوروبيين المستعمرين ، لأنهم ينظرون — عادة — إلى هذه المسائل كلها من وجهة نظر أطماعهم الاستعمارية ، ويسعون إلى وصم جميع الحركات القومية والوطنية بوصمة « التعصب الديني » ليثيروا الرأي العام الأوروبي ضدها . غير أننا ما كنا ننتظر منكم أن تقتفوا أثر هؤلاء الساسة من حيث لا تشعرون ، وأن تخلطوا بين هذه المسائل بهذا الشكل الغريب .

فأرى من واجبي أن أصرح لكم في هذا المقام ، بأنني مع عدد كبير من المفكرين القوميين الذين أعرفهم وأتصل بهم على الدوام أنظر إلى قضية « الوحدة العربية » كقضية مستقلة عن قضية « الوحدة الإسلامية » و « الخلافة الإسلامية » كل الاستقلال . وأؤكد لكم أنني ... بعد ما أومن بفكرة العروبة ، وبعد ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبعد ما أعتقد بوجوب السعي ... لتحقيقها ... أعتقد باستحالة « الوحدة الإسلامية » ؛ وأقول إن « إثارة فكرة الخلافة » مضرة بـ « قضية الوحدة العربية » و « فكرة التضامن الإسلامي » في وقت واحد .

* * *

هذا ومن جهة أخرى لاحظت أنكم تنظرون ... في مقالكم هذا بأن « الوحدة » المقصودة بـ « الشعوب العربية والإسلامية » أشد التنوع ؛ وتقولون بأن الناس لا يختلفون في مبدأ الوحدة ، إنما يختلفون في « تصورها حسب ما يخيل إليهم من العقل القديم والعقل الحديث » ؛ كما تعدون ... ترى هذا التصور وصفاً جازماً بالنوع الذي يقول به « صاحب العقل القديم » وهو الذي « يتصور الوحدة تحت ظل سلطان شامل » ؛ والنوع الذي يقول به « صاحب العقل الحديث » ؛ وهو الذي « يتصور الوحدة على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة » .

أنا لا أريد أن أبحث عن مبلغ مطابقة وصفكم هذا للحقائق الراهنة ؛ غير أني أرى من الضروري أن أقول لكم في هذا المقام إنني قد طالعت — قبل مدة — على رأي في « الوحدة العربية » يختلف عن هذين الرأيين في وقت واحد ، فإن صاحب ذلك الرأي ، كان لا يقبل « الوحدة » ، « ولو كانت على أساس المساواة » ، « ولا يرضى بالوحدة ، ولو كانت على شكل اتحاد يشابه الاتحاد الأمريكي أو السويسري » ... فهل تسمحون لي أن أسألكم : أتعتبرون موقع هذا الرأي في العقل القديم أم العقل الحديث ؟

لا شك في أنكم لن تنتظروا مني أن أذكر لكم اسم صاحب هذا الرأي ؛ غير أني أظنكم سوف تعذرونني إذا ذكرت ذلك تنويراً للقراء .

إن صاحب هذا الرأي — الذي يخالف مقال صاحب العقل القديم ومقال صاحب العقل الحديث في وقت واحد ... هو صاحب « الحديث » المنشور في مجلة « المكشوف » ؛ ذلك الحديث الذي كان سبباً ومنشأ لجميع هذه المناقشات .

قد قرأت في ذلك الحديث ، العبارة التالية ، بحروفها :

« مصر لن تدخل في وحدة عربية ، حتى ولا اتحاد عربي ؛ سواء أكانت مساوية فيه للأمم العربية الأخرى أو مسيطرة عليها . » (المكشوف — العدد ١٧٥ — الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة ...)

كما قرأت في مكان آخر من ذلك الحديث العبارة التالية ، نصها :

« الوحدة العربية ، كما يفهمها دعوتها يجب أن تتخذ شكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكي أو السويسري . »

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ٦ -

أرى من الواجب في مطلع هذا المقال أن أوضح مسألتين خفيتا على بعض القراء فجرت أقلامهم بالعتب والملام .

المسألة الأولى ، هي الحكم بأن أحمد أمين ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرة علمية ! فقد ظن فريق من الناس أن نقول بأنه من العلماء في حدود الاصطلاح المألوف ، على حين أنه بعيد عن الجو الذي يعيش فيه العلماء

وذلك عين ما نريد ، فأحمد أمين تلقى العلم في مدرسة القضاء الشرعي وظفر بإحدى الشهادات العالية ، وعمل بالقضاء في المحاكم الشرعية بضع سنين ثم اشتغل بالتدريس في الجامعة المصرية فهو ليس عالماً بالمعنى المعروف ، وإنما نريد أن نقول إن أحمد أمين من كثرة ما قرأ في الكتب وما سمع من العلماء لا يزال يفكر كما يفكر العلماء

ولتوضيح ذلك نقول إن في أهل العلم من يكون أقل اطلاعاً من زملائه ، ولكنه قد يكون أقوى منهم في صدق الفهم وسلامة التمييز وقوة الإدراك فيكون محصوله القليل أصدق وأنفع ، ويكون له في أحكام النفس مجال

وفي مقابل ذلك نرى بعض العلماء المزودين بكثير من المعارف ينظرون إلى الوجود نظرات عمية لا تمتاز بشيء عن نظرات المعاصرين من عامة الجمهور

وأحمد أمين قليل الاطلاع في ميدان الأدب العربي بلا جدال ، وهو مع قلة اطلاعه يحكم على الأدب أحكاماً عامة ، بعيدة كل البعد عن أحكام العارفين ، وقد أسلفنا الشواهد التي تؤيد رأينا فيه ، وسنسوق شواهد جديدة

المسألة الثانية ، هي التعرض لأحمد أمين بالمداعبة فقد يستنكر بعض القراء أن نتعرض له بكيت وكيت ، ويعدونها مسألة شخصية

ونقول إننا تعرضنا لذلك لغرضين : الأول هو النص على أن أحمد أمين مشغول عن الفكر والنظر بشواغل تصرفه عن التعمق في البحث والتفكير والإبداع ، والغرض الثاني هو تذكيره بأنه لا يجوز لمثله أن يعيب على أدباء العرب أن يشغلوا بمعاشهم وهو يشغل وقته بتدبير المعاش

وهو شغل لفتت إليه الرجل الذي يدعو إلى هجر الأدب الجاهلي جملة واحدة بحجة أنه يشل التفكير هو نفسه الرجل الذي يشترك في تأليف الكتاب « المجمل » والكتاب « المفصل » والكتاب « المنتخب » بأجر معلوم تدفعه حضرة وزارة المعارف

فإن كان أحمد أمين صادقاً في حكمه على الأدب الجاهلي فكيف جاز عنده أن يشترك في تلك المؤلفات وفيها مكان ظاهر للأدب الجاهلي وهي خليقة بأن تشل عقول التلاميذ ؟ !

وكيف غاب عن الأستاذ أحمد أمين أنه لا يستطيع أن يحتقر الجامعة المصرية لأنها تأخذ منها في كل شهر ستين ديناراً ، فكيف

(... العدد ١٧٥ الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة)

ونرى من كل ذلك أيها الأستاذ أن مسألة الوحدة العربية ليست من القضايا التي يمكن أن تناقش وتعالج بالصناعة الكلامية والأساليب الارتجالية ... كما نرى أن خطتكم التي ستسلكونها في معالجة هذه القضية ستجركم دائماً إلى مواقف تخالفون فيها حقائق الوحدة مخالفة صريحة ، كما جرتكم في بعض الأحيان إلى مواقف تناقضون فيها أحاديثكم الثانية أيضاً .

إنكم تدعون المفكرين إلى بذل الجهود في سبيل « تجديد العقل العربي » ... وكم كنت أود لو أنكم تساهمون بهذه الجهود في المناقشات التي تخوضون فيها ، ولا سيما إذا كان موضوع المناقشة من الموضوعات الهامة مثل « فكرة العروبة » و « الوحدة العربية » .

« برمانا » أبو خلدون

إلينا أحد الظالمين يقول إنه يأخذ من الخاصة في كل شهر حسنة وعاين لا ستين

فهل يجوز للرجل أن يأخذ هذا المبلغ طوائبه مقابله في تدريس الأدب العربي وهو يعتقد أنه أديب لا يحسن الضبط وأنه كان في ماضيه الطويل أديب تسول واستجداء ؟

وبعد توضيح هاتين المسألتين أرجع إلى هذا الرجل وحمقه وأماسيه .

لقد دل على ضعف جسيمة للأديب حين ساق هذين البيتين في مقاله الثالث في جناية الأدب الجاهلي :

فما روضة حزناء طيبة الثرى	يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهناً	إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقد ضبط هذين البيتين على نحو ما يرى القارئ، فجعل الندى في البيت الأول فاعلاً وجعل الجثجاث والعرار منصوبين، وجعل « أوقدت » في البيت الثاني مبنياً للمعلوم ونصب النار على المفعولية

فهل فهم من ذلك أن الندى يمج الزهر والنبات ؟

لو كان أحمد أمين يتأمل ما يقرأ لعرف أن الندى في البيت الأول من هذين البيتين لا يمكن أن يكون فاعلاً، ولعرف أن « أوقدت » في البيت الثاني فعل مبني للمجهول ليجعل الشاعر محبوبته مشوفة عليه بعض الوصائف

فهل يستطيع أحمد أمين أن ينكر أنه أخطأ في ضبط هذين البيتين ؟

وهل يمكن من يعجب بكفايته الأدبية أن ينكروا أن مثل هذا الفهم الخاطئ لا يليق بمن يدرس الأدب ؟

* * *

نترك هذا وننتقل إلى أحكامه على الشعر العربي في العصر الإسلامي، وهو يراه لم يتغير من حيث الموضوع فظل كما كان محصوراً في المديح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والرثاء.

والظاهر أن أحمد أمين لم يدرس الشعر الأموي دراسة تمكنه من فهم الفروق بينه وبين الشعر الجاهلي، فليس بصحيح أن الموضوعات لم تتغير، وليس بصحيح أن الشعراء الأمويين كانوا يتداولون الأغراض الشعرية على نحو ما كان يتداولها الجاهليون

وهذا مع أن الشعر الجاهلي والإسلامي يتشابهان في الموضوعات فهنالك فروق ظاهرة بين العصرين في معالجة الموضوعات

فالغزل في العصر الأموي من جديد لا يعرفه العصر الجاهلي، وهل يتصور أديب أن أشعار عمر بن أبي ربيعة كانت لها نظائر عند الجاهليين ؟

هل يتصور أديب أن تائية كثير في عزة وصواحبها كانت لها نظائر في الشعر الجاهلي ؟

وهل يصح لأديب أن يقول بأن عصبيات الفرزدق وجرير والأخطل كانت لها أشباه قبل العصر الإسلامي ؟

إن الأمويين تغزلوا كما تغزل الجاهليون، ولكنهم جددوا بأشكال من جديد هو القصص الغزلي، فهل فطن لذلك أحمد أمين ؟

وهل يمكن أن ينكر ما وصل إليه الأمويون من الرقة والظرف في النسيب ؟

أليس منهم الذي يقول :

يهب لي عنه كل جمعة بيتا	من الورد أو من الياسمينا
حرةً والخليفة أرجى	أن يكونوا خلف من يلينا

أليس منهم الذي يقول :

يا أم عمرو ما زالت وما برحت	نفس الصبا حتى مست السمق
النفس تاقت إليكم كي تلاقيكم	كما يتوق إلى منجاته الغرق
تعطيك منه قليلاً وهي خائفة	كما يمس بظهر الحية الفرق

أليس منهم الذي يقول :

وإني لأرضى من بثينة بالذي	لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا، وبألا أستطيع، وبالمنى	وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله

أليس منهم الذي يقول :

ولو سلك الناس في جانب	من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيتها إنني	أرى حبها العجب العاجبا

أليس منهم الذي يقول :

وإني لأستحييك حتى كأنما	عليّ بظهر الغيب منك رقيب
ولو أنني أستغفر الله كلما	ذكرتك لم تكتب عليّ ذنوب

إن تحصيل ما امتاز به شعراء العصر الأموى فى التشبيب يحتاج إلى كتاب خاص سيؤلفه أحمد أمين يوم يعرف أن الأدب لا يكال بالمكيال ولا ينظر إليه بالعد والإحصاء.

إن من أعجب العجب أن يقال إن الشعراء الأمويين لم يبتكروا شيئاً فى التشبيب ، وهم الذين أمدوا لغة العرب بثروة وجدانية ستغنيها ما عاشت لغة القرآن.

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى قد ابتكر الاستشهاد فى الحب ؟

ألا يكفى أن يكون ذلك العصر هو الذى خلق شخصية مجنون بنى عامر ، وهى شخصية شرقت بها الدنيا وغربت ، فكانت لها أصداء عند الشعراء من أهل الشرق وأهل الغرب ؟

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى هو الذى سمح أن تلج من المدارس الصوفية الصياحة والنائحة والحالمة ؟

ألا يكفى أن يكون شعراء العصر الأموى هم الذين أذاعوا بين الناس حقائق الهيام بأسرار الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم حمل الأستاذ أحمد أمين أن العصر الأموى هو العصر الذى تفرد بإجادة الأراجيز ، ولكن هل تكلم أحمد أمين فى الأراجيز الأموية ؟

الحق أن العصر الأموى يحتاج إلى أدباء عظام يسجلون فضله على اللغة العربية ، ففى ذلك العصر ظهر الشعر السياسى ، وهو فن من الأدب خلق من التعصب للقبيلة كل الاختلاف ، وله مزايا وخصائص تحتفظ أدبياً له بمنزلة خاصة لا جاهلية .

فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأدب ؟

إنه من العار أن يقول أستاذ من كلية الآداب بأن الأدب فى العصر الأموى ليس إلا صورة من الأدب فى العصر الجاهلى .

وهل يستطيع إنسان أن يعرف مثل الكميت بن زيد الأسدى كان له نظير بين شعراء الجاهلية ؟

إن العصر الأموى ينتظر أديباً يفهم أنه كان صلة الوصل بين العصر الجاهلى والعصر العباسى ، ويدرك أنه تحرر كل التحرر من النزعة الجاهلية .

فمتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن عميد كلية الآداب اليوم هو الأستاذ محمد شفيق غربال ، وهو مؤرخ جليل يعلم أن دراسة تاريخ القرون الوسطى أمر واجب ، لأن ذلك التاريخ كان الصلة بين القديم والحديث ، فهل يستطيع أن يشير عليه بأن ينشئ فى كلية الآداب كرسياً للعصر الأموى الذى جهله أحمد أمين ؟

ليت ، ثم ليت !

* * *

إن المسافة بين العصر الجاهلى والعصر العباسى طويلة جداً ، لأنها تقع فى نحو خمسين ومائة سنة ، وهى المدة التى انتظمت عصر النبوة وعصر الخلفاء وعصر الأمويين ، وفى تلك المدة كانت الشخصية العربية هى الشخصية التى تهدد ممالك الأرض ، والتى تسن شرائع مأثورة وقوانين الجد ، والتى تلوّن العالم بألوان مختلفات ، والتى مكنت العرب من أن يكون لهم صوت مسموع فى أقطار الشرق والمغرب .

فهل يُعقل أن يكون أدب العرب فى ذلك العهد صورة ثانية من أدبهم فى أيام الجاهلية ؟

ومن الذى يصدق أن الشعراء الذين كانوا يهاجرون على نحو ما كان يصنع الجاهليون ؟

وهل خطر ببال أحمد أمين أن العصبية السياسية فى العصر الإسلامى كانت لها ألوان لم يعرفها شعراء القبائل فى الجاهلية ؟

هل فكّر فى تحديد الخصائص الشعرية للمدح والهجاء فى العصر الأموى ؟

وهل تنبه إلى ما ابتكره الشعراء الأمويون حين أوغلوا فى العصبية الجاهلية ؟

يعزّ علىّ والله أن يقع فى هذه الأغلاط أستاذ فاضل من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، وهى اليوم معهد عظيم يحج إليه طلبة العلم من أقطار الشرق .

يعزّ علىّ أن يكون فى رجال الجامعة المصرية من يزعم أن العصر الإسلامى صورة من العصر الجاهلى فى التفكير والتعبير ، مع أن ذلك مستحيل .

وهل يتصور عاقل أن خطب علىّ بن أبى طالب صورة من خطب أكثم بن صيفى مثلاً ؟

هل يقول منكر بأن رسائل عبد الحميد صورة مكررة لما كان يكتب الفاطميون ؟

وهل يمكن القول بأن معاوية كان يكتب بأسلوب عمر بن الخطاب ؟

إن التطور شريعة طبيعية يا صديقي ، فكيف تتوهم أن يكون العرب خرجوا وحدهم عن تلك الشريعة ؟

إن العرب في أدبهم وشعورهم وعقليتهم قد انتقلوا من حال إلى أحوال ، وإن غاب ذلك عن حضرتك الوجيهة

وأين أنت من القصص المترنم الذي عرفه المسجد في العصر الأموي ؟

بل أين أنت من الشعر الغزلي الذي ابتكره الأمويون في وصف مجالس الأنس والشراب ؟

وهل عرف بحضرته الفاضل أن العصر الأموي قد أصبح القلم حين اعتدى عليه خلفاء بني العباس بالمحو والتبديد ؟

ومن صدق معرفتك أن العصر الأموي بدوي ، مع أنه سياسية حرمت تاريخه الأدبي من نعمة الوجود ؟

* * *

ثم ماذا ؟

ثم يتحدث الأستاذ أحمد أمين فيقرر أن الخصوم للأوزان الماضية والقوافي الحاضرة جنى علينا جنايات كبرى لأنه حرمنا من الملاحم الطويلة التي كانت عند الأمم الأخرى وحرمنا من القصص الطويلة الممتعة ؟

وهذا الحكم يشهد بأن أحمد أمين يجهل طبيعة الأمة العربية كل الجهل ، ويجهل طبائع الأمم الأخرى كل الجهل

إن أحمد أمين لا يعرف أن العرب ليس في طبيعتهم أن يأنسوا بالمنظومات المطولة في القصص والتاريخ ، وهو يتوهم أن العرب كان يجب عليهم أن يسلكوا في الشعر مسالك اليونان ، وذلك جهل فظيع

إن عبقرية العرب ليست في القصص ، وإنما عبقرية العرب في الغناء والتعبير عن الأغاني الروحية . وفي بلاد العرب نشأت الديانة اليهودية والديانة المسيحية والديانة الإسلامية ، وفي بلاد العرب نشأ أحدث المذاهب في الوجدان ، وهو مذهب التصوف وما فيه من الأرواح والقلوب

فإن امتازت بعض الشعوب والأمم بالمنظومات الطويلة في القصص والتاريخ فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن ، وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب

* * *

وإلى الأستاذ الناشر أوجه الكلمة الآتية

أنت تتعجب أيها السيد من أن يمنع أحمد أمين « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » وأتعجب بأن أحمد أمين يمنع من النشر حتى ترك مجلتك كتب ... إن أحمد أمين استاذ ووكيل لكلية الآداب بحضرة السيد ، وكلية الآداب من أكبر معاهدنا العالية ، وما يصدر من أساتذتها الأفاضل من بحوث يكون التدريس أهم وسائله

وما الذي تخشاه من منع أحمد أمين ما لا تستحق ؟

إن كنت تخوفنا عليه بمطلبه فرصة جديدة من فرص الشهرة فلا بأس ، فهو صديق عزيز ، والتنويه بشأنه من أوجب الفروض اليوم ! يا حضرة السيد ، إن يعرف أحمد أمين أن في مصر رقابة أدبية تزجر المتطاولين على ماضي الأدب العربي وتصرفهم عن التعالي بلا بينة

ونحن لا نحارب أحمد أمين بالذات ، وإنما نحارب الآراء التي نعدها خطراً على حاضر اللغة العربية ، وسنعرض في المباحث الآتية ما يشفي صدور قوم مؤمنين

« الحديث شجون » زكي مبارك

في اللغة

إخوان الفـــوارس

لأستاذ جليل

إخوان الفوارس (أي نظائر الشاذ) هم أكثر من السبعة التي ذكرهم الصحاح والتاج ، وجاء بهم في جزء سابق من (الرسالة الغراء) والسبعة هم : الفوارس ، والهوالك ، والنواكس والخوالف [1] ، والنوارط [2] ، والغوائب ، والشواهد [3]

هنالك ستة غيرهم أظهرهم موهوب بن أحمد الجواليقي في (شرح أدب الكاتب) وأبو هلال العسكري (مرات) وهنالك اثنان ذكرهما التبريزي في (شرح ديوان الحماسة) وهذه جريدة الجماعة

١ — الحوارس جمع الحارس

٢ — الحواجب جمع الحاجب ، من الحجابة

٣ — القواطن جمع القاطن ، من ذلك ما جاء في المثل مع الخواطئ سهم صائب

قال التاج : يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً ، وقال أبو عبيد : يضرب للمخطئ يصيب أحياناً

٤ — الرواقد جمع الراقد

قال صخر بن عمرة الهذلي

وطارق ليل كنت حمَّ مبيته إذا قل في الحي الجميع الرواقد

قال الأنباري في شرح المفضليات : الرواقد جمع الراقد كقولك فارس وفوارس ، وهي أحرف (يعني كلمات) يسيرة ، والرقد النوم ، وهم مبيته : قصد مبيته

٥ — الحواج ، جمع الحاج

٦ — الدواج جمع الداج

ومن أيمانهم — كما جاء في اللسان — أما وحواج بيت الله ودواجه لأفعلن كذا وكذا

والداج — كما يقول الأساس — هم الذين يمشون مع الحاج من أجير أو جمال أو نحوهم من دج دجيجاً بمعنى دب دبيباً ، ومنه الدجاج ، وفي التاج : الداج التبع والأعوان ، ومنه حديث ابن عمر [1] وفي التهذيب ، رأى ابن عمر قوماً في الحج لهم هيئة أنكرها فقال : (هؤلاء الداج وليسوا بالحاج) قال النهاية : أي هؤلاء لا حج لهم إلا أنهم يسيرون ويدجون

٧ — الخوارج جمع الخارج

٨ — النواسل جمع الناسل [2]

قال التبريزي في شرح بيت الحماسي

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن أشبالها

البواسل جمع باسل ، مردود إلى الكثرة ، ومواصل في صفة الرجال قليل ، يقال : فارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وناكس ونواكس ، وخارج وخوارج

• • •

ومن لم يذكروهم (هوازل) دعيل و(لواحي) علي بن الظهير من شعراء الأغاني ، يقول الأول في قصيدة رواها أبو علي في (أماليه)

قال العواذل أودى المال ، قلت لهم

ما بين أجري وظهري لي ومكسبه

أصبحت مالك إلا المال يصدقني

إذا بخلت به والعرض مصطلم

ويقول الثاني ، وجمع العواذل واللواحي

إذا ما كنت شاربها فسرا ودع قول العواذل واللواحي [3]

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

---

(١) في اللسان : وقوله (عزوجل) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قيل النساء ، وقيل : (الخالف) الفاسد من الناس ، وجمع على فواعل كفوارس ، وفي التاج : وقيل : الخوالف الصبيان المتخلفون

(٢) في التاج : قد يجمع الفارط على نوارط وهو نادر كفوارس وهوالك ، والنوارط الأولون :

كما فرطت قبلي إذا ما دعاني قصيح بليهم لا يزبع

قال شيخنا : يزاد على نظائره الثلاثة ذلك ، فنظائره أكثر من ثلاثة عند التتبع

(٣) في خزانة الأدب للبغدادي : قال حبيب بن الحارث جزء بن سعد

أما من خاف من أنيكم وقل في حوائكم الفسل

قال له جزء : لم ترك شواهدنا ، فجمع شاهداً على فواعل وجعله شاهداً في شواهده

(١) جمع ... — لا دونها — لا كاتب وعاضد

(٢) الفضل في تذكير الخوارج والنواسل في بيت الحماسة للشيخين على الخارج وأشباهه حسن عطوان

والفضل في إبلاغ هذه الجريدة التي ستقدم من هذا الجمع الخالد ما لم يذكره ... في كتاب — تاريخ النواسل ، من الصرفيين ، الأمير شكيب أرسلان ، ونشره في «الرسالة»

(٣) جاءت رواية الأغاني سرا ، وقد يكون الأصل جهراً ..

دمعة على الصديق الراحل

فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

[دمعة على جثمان الصديق الراحل فليكس فارس الذي ... في ... الإسكندرية ... يوم الأحد ٢ يوليه ١٩٣٩ ...]

هنالك من الناس من عرفتهم فتشعر كأنك لم تعرفه من قبل؛ ذلك لأنهم لا يعرفون عن طريق الصلات الرسمية، وإنما هم يعرفون عن طريق الجو الذي يخلقونه حولهم. وما كان الصديق الراحل فليكس فارس إلا واحداً من هؤلاء. عرفته صيف عام ١٩٣٦ فسرعان ما تآلفنا وتآخينا. ولم يمض القليل من الزمن حتى أصبحنا لا ينقضي الأسبوع دون أن نتقابل فنتجاذب الحديث في شأن من شئون الحياة التي نحياها. وكثيراً ما كان يدور هذا الحديث على عوالم الفكر والشعور. وظلت صلتي بالراحل الكريم موصولة حتى آخر لحظاته. فقد كنا حوله في الأيام الأخيرة وهو يجود بأنفاسه الأخيرة. فما كان بأسه لنا معشر أصحابه وخلانه صدمة أليمة. ولكن قاسياً علينا أن نراه أمس حيّاً يملأ جونا بروحه حياة وأنساً، وإذا به اليوم قد فقد فيه عنصر الحياة الذي كان يطوف على شفتيه ابتسامة وعلى شغاف قلبه حنواً وعطفاً.

إن صوت نعيّنا في فليكس فارس تكبيرة، يجلل الدموع عند في أعيننا ... ساعة أرسلت سوافحها على ... ظلت صدورنا موجعة من ... فإذا لم ... عن معشر خلانه ... ساعة الصعب دموعاً ... معيتنا عن الصمت أقوى من أن يظهرها بكاء أو دموع.

إيه أيها الراحل الكريم! إن تلك الدموع التي جرت من عينيك وبحثت في مآقيك ثم سالت على صفحة وجهك يوم زرتك للمرة الأخيرة! وإن كلماتك التي خرجت من أعماقك ... بتسبيحك ... يطلقات كبدك، كل هذه دخلت في عالم ذكرياتي ولن تمحى من نفسي، فقد دلت كلماتك وعبراتك على أن في الحياة عنصراً أقوى من كل القيود والحدود التي يضعها البشر أبناء الحياة الواحدة لتفرقة ما بينهم؛ هذا العنصر يتجلى ساعة يأخذ الإنسان في الانحدار من عالم الحياة، وساعة يحس انحسار عنصر الحياة من جسده! في ذلك الحين يحس بشعور أقوى من كل إحساس بعوامل التفرقة بين أبناء الحياة الواحدة، وهي من إحساس الدين والوطن والجنس. وهذا الشعور يدفعه إلى أن يجد نفسه في رحاب الحياة ويسحب عليها مشفقاً ... ذلك التآخي ... والتجدد في أبناء الحياة من جيل إلى جيل، يجري في كل إنسان أباً لأولاده.

إيه يا فليكس حبيب! إن آخر الكلمات التي زودتها منك جرت حول الأدب والحياة، وهي كلمات لن تحجب معانيها وصورها من رأسي لأنها تعبر عن إيمانك العميق بالحياة، ومن هنا كانت عواطفك التي تجوز أن تكون الحقيقة حتى في كلام خصمك وحصمك في الاعتقاد والرأي، ومن هنا أيضاً ... أمين ... آرائي التي كانت تقف على نقيض آرائك.

إيه يا أديب! ... لقد ... برحيلك شيئاً من نفسي ... منذ حين ... وقد أصدقاؤك برحيلك إنساناً ودوداً براً ... وما أقل الإنسان في هذا الزمن! ... أنظر أيها الراحل الكريم من وراء أكفانك تجدنا جميع أصدقائك قد بعثت أذهاننا ساعة سمعنا نعيك. ها هو صديقك الخليل ... «صديق» أنظرها يبكيك ... وها هو «أدهم» الحبيب إلى نفسك الذي كنت تدعوه باسم «الحكيم» ... حكمته! فقد تبلبل منه الذهن واختلط في صدره الشعور. لقد صدم الكل برحيلك فذرفوا الدموع سخية من أجلك.

إيه يا أصدقي! ... لقد كنت ... شعورك وروحانيتك ... تشرق روحك وترجع بنفوسنا وتسرب لنا مثل

وفي التاج: الهواجس: الخصال، والهواجل من جموع ...

وفي اللسان: الهواجس: الهواجل

وقال الجوهري في (صحاحه) - من الرجز:

لقد علمتُ والأجلُّ الباقي ... أن لا يردُّ القدرَ الرواقي

كأنه جمع امرأة راقية أو رجلاً راقية بالهاء للمبالغة، أو رجلاً راقياً بعير هذه حتى ينضوي هذا الجمع إلى ذلك المثنى

هذه خرجة ما وجدناه، وقد يكون هناك ما دخل علينا؛ وفي العربية الفصيحة[1] في كلامها وتلاقيها. قال الإمام محمد ابن إدريس الشافعي في رسالته في أصول الفقه: «لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي[2]».

«يتبع»

(١) العرب القائمة ... كأي ... في ... ولفظة العرب ... كما يرى ... صحيحة (٢) ... وتصحيح الأستاذ

[illegible]

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ علي الجندي

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

كان هشام بن عبد الملك من الخلفاء الذين يؤثرون أن يحتجبوا بالطيبات من الرزق، ويظهروا نعمة الله عليهم، ويوفروا الأبهة والإجلال لمقام الخلافة. فلم يكن في آل مروان من كان أسرى منه ثوبا، ولا أعطر رائحة، ولا أكثر زينة، حتى إنه حين حج حملت ثيابه على ستمائة جمل!

فماذا رأى حماد حين دخل إليه؟

رأى دارا قوراء(1) مفروشة بالرخام، وبيتا مفروشا كذلك بالرخام، بين كل رخامتين قضيب من ذهب.

وفي صدره(2) هشام جالس على طنفسة(3) حمراء، وعلى هشام ثياب من خز الأحمر، وقد تضمخ بالمسك الأحمر والعنبر الأشهب، وبين يديه آنية من ذهب فيها مسك مفتوت يقلبه بين يديه فيخرج رائحته في المكان فتملأ الأنوف.

فاستطار عقل حماد، وخفقت الهيبة جناحه، فخفيت صوته، ... ولكنه استجمع بكل قواه، وسلم على هشام بالخلافة، فرد عليه السلام واستدناه منه، فدنا حتى قبل رجله، ثم نظر فإذا جاريتان كأنهما الحسنا ... في

(1) واسعة (2) وسطه (3) بساط

وحواشي ... في أذني كل واحدة منهما حلقتان تتوقد فيهما لؤلؤتان ... الوجنات ... سقيط الطل على أكمام الورد.

فأجال حماد فيهما النظر وهو مشدوه اللب مروع الفؤاد! ولكن الخليفة لم يلبث أن هتف به: كيف أنت يا حماد؟ وكيف حالك؟

فاسترجع طائر قلبه، وأجاب متلعثما: بخير يا أمير المؤمنين.

— أتدري لم بعثت إليك؟

— لا يعلم الغيب إلا الله.

— بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله.

— ما هو يا أمير المؤمنين؟

— قول القائل:

ودعوا بالصبوح(1) يوما فجاءت ... قينة في يمينها إبريق

— هذا يقوله عدي بن زيد العبادي من قصيدة له.

— أنشدنيها.

فأنشده:

بكر العاذلون في وضح الصبح ... يقولون لي: ألا تستفيق

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله ... والقلب عندكم موثوق

لست أدري إذ أكثروا العذل فيها ... أعدو يلومني أم صديق

زانها حسنها وفرع(2) عميم ... وأثيث(3) صلت الجبين أنيق

وثنايا مفلجات عذاب ... لا قصار ترى ولا هن روق(4)

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الديك ... صفى سلافها الراووق(5)

مزة قبل مزجها فإذا ما ... مزجت لذ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كالدر ... صغار يثيرها التصفيق(6)

ثم كان المزاج ماء سحاب ... لا صرى(7) آجن ولا مطروق

فاستخف الطرب هشاما! فصاح بإحدى الجاريتين: اسقيه! فسقته شربة ذهبت بثلث عقله!

(1) الصبوح شرب الغداة، والغبوق شرب العشي، والقيل شرب نصف النهار، والجاشرية حين يطلع الفجر (أدب الكاتب)

(2) شعر كثير (3) الأثيث: الكثيف، وصلت الجبين: أملس براق مستويه (4) طوال (5) المصفاة (6) المزج (7) المتغير

الإنسان كما يحب أن يكون في هذه الحياة. ولو لم يكن لك غير هذا الأثر في نفوسنا معشر أصحابك لكفى أثرا لا يزول ذكراه.

أما عن الأثر الأدبي الذي تركته فسنكتب عنه بإسهاب ... لترجع ذكراه ما بقيت العربية. وأما عن الحياة التي حييتها نموذجا لأصحابك فإنها باقية ما بقي أصحابك. فارقد في ظلال الأبدية تحت أشجار الأرز الخالدة التي كنت تتمنى أن ترقد تحتها أيها الصديق الكريم، ولتنزل على روحك السكينة بأن أصدقاءك الذين تركتهم يبكون فقدانك سوف يؤدون دينهم نحوك وسيقومون بقسط في الميدان الذي كنت تعمل فيه لتحرير هذا الشرق النائم.

إسماعيل أحمد أدهم

ثم قال هشام: أعد يا حماد! فأعد الأبيات، فأزدهاه السرور حتى نزل عن فراشه! وصاح بالجارية الأخرى: اسقيه!

فسقته شربة ذهبت بثلث عقله! فقال في نفسه: إن سقتني الثالثة افتضحت على الصفحة!

ثم التفت إليه هشام قائلاً: سل حاجتك يا حماد! فأجاب: كائنة ما كانت؟ قال: نعم.

وهنا عسى أن تقول: إنه كان من عادة الخلفاء والملوك إذا استطاع النديم الظريف أو المغني البارع أن يحرك فيهم سواكن الطرب، ويهز كأس الأريحية، أن يمنحوه ويعدوه منه بالأمر مهما أن يسأل ما شاء... وهي على كل حال هبات طارئة يسوقها الحظ بما أراد الله أن ... من حيث لا يحتسبون.

ولهذه الهبات آداب معروفة بعد تجاوزها سمجاً وحماقة ومن أدب بعض أصحاب الشروط والأعمال، فلا يصح لمن واتته هذه المنحة الغالية أن يتمنى ما ... ما يحتاج به أو عنده ... أو يطمع في مروءته، فإن ذلك حرياً قد يكون من وراء أودى للخصوص والمتصل النعم ولو بعد حين!

ومن أمثلة ذلك ما حدث ... من أن الهادي كان قد جلس يوماً مع سلم وإبراهيم الموصلي وحماد بن الطيب، فقال: من أطربني منكم اليوم فله حكمه! فغناه ابن جامع غناء لم يحركه! وكان الموصلي قد فهم غرضه فغناه في هذا الشعر

سليمى أجمعت بينا ... فأين تقولها[1] أينا

فطرب الهادي حتى قام من مجلسه! ورفع صوته: أعد بحياتي، فأعاد. فقال الهادي: أنت صاحبي فاحتكم! فقال الموصلي: حائط (بستان) عبد الملك بن مروان، وعينه الخرارة بالمدينة. فدعى الهادي حتى انقلبت عيناه! وقال: يا ابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأني حكمتك فأقطعتك! والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك وفكرك، لضربت الذي فيه عيناك ... وعرف مما قال فيها الموصلي، لقد رأيت ملك الموت قائماً بيني وبينه ينتظر أمره!

ولما سكنت عنه العصبية القيم على حراسة الأموال، فقال خذ بيد هذا الجاهل وادخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء! فلما بلغ بيت المال قال له القيم: كم تأخذ؟ قال: مائة بدرة[2] قال: حتى أؤامره، قال: تسعين. قال: حتى أؤامره، قال: ... فعرف إبراهيم غرضه. فقال: آخذ خمسين، ولك الأخرى ... ساكت[1]. قال الموصلي: فانصرفت بخمسمائة ألف درهم، وانصرفت ملك الموت عن الفداء.

ومن ذلك أيضاً أن دحمان[2] غنى ... الرشيد يوماً ... عن أولئك وأنت أمامه ... حكى ... ورؤاك ... وكرمك الموت يوماً فلتشرب ... حتى ... إذا ما طوال الدهر ... أم ملك ... عشاق اللذات القضيب ... فطرب الرشيد طرباً شديداً واستعاده مراراً، ثم قال له: تمن علي. فقال: المغيرة والمرى، وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في السنة. ولم يكن الرشيد شر أخبره المهدي[3] وحكى خلقه وسعة صدره، فأمر له بهما على كره منه.

فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن هاتين الضيعتين من جلائل ما بحضرة أبي جعفر ... فقال: لا سبيل إلى استرجاع ما أعطيت، فاحتالوا في شرائهما منه بخمسة آلاف دينار! فأمر الرشيد له بها فقالوا: يا أمير المؤمنين، أخرج منه ألف دينار من بيت المال على مثيمان ... خمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى سقوها ...

ونعود إلى حماد فنقول: لقد منح له هشام باب التمني على مصراعيه فهل يقع في الشبه ويقول؟

لقد كان الرجل دقيقاً، والرعونة في هذه المعرض كانت مصرعه اقتل في الطرب حتى كان الرجل يتمثل الردهة بوسع هذه النعمة المستحقة.

ثم هو بعد ذلك يعرف جيداً أنه بات جليسه مثل هشام الأموي المتصور البخيل في جمع المال وحبس الشيء عليه والضن به إلا في حقه ... لا يحمل أن ... ربي بالمحل الشديد إلى معداً وإن كذباً، وأنه كان سعى الأب ... إنما ... يسعده بإحسان عسالة، في مثل ذلك ماذا عن ... ترى أيستطيع الطرب أن يعصم حماداً من الانزلاق إلى المراهقة الرديئة؟

تعطشت مراجعتنا في الرجل! ألكن أنه كان متهداً وكان متوجاً

---

[1] الطبري ج ٣ ص ٥٩٠ ... ج ٣٦

[2] يعني تقولها مني واستعلا

[3] البدرة في الأصل جلد السخلة يوضع فيه المال بالطف من المال ...

... والمستعد من كتاب الخطاط كبيرها ... ألف دينار وعشرة آلاف ... أو سبعة آلاف دينار ... ورواية الجاحظ تدل على أن مقدارها وهي التي تبين مقدارها آلاف درهم (تحقيق الرحوم ركي ...)

(١) ذلك عند الحكماء على سياقه اليوم على الموازين ومتجاوز صفات الأوقات

(٢) ... ج ٥ ص ٣٠ (٤) ... (٣) ... ٣ — ٢ ... ١٤

ثم رفع رأسه إلى الخليفة وعلى فمه ابتسامة حيية حائرة فقال:
معذرة البلاد ... يا أمير المؤمنين

وكلٌّ منا ما أحب بهذه القناعة التي لا تتصور في مثل هذه المواقف ... وحسبه أنه أحب أكثر بهذا اللون الرخيص الذي شاء أن يمنحه نصيباً من هذا الجمال الفريد

فضحك رجل: هو حيناً بك يا حاد ... يا ... وما طلب!

ولم يتوج ذلك صفحه عنه ووصله هنا! ... الجارية الأولى أن تسعده: فشت إليه الجارية بكأس وهاق، وحياه الساجيان خمل نعمة ... لا ... الخمر والسحر! ... ما كان ... من ... ويحر البدن ... عن ... الكأس والأعين النُّجل

وظل ... وهو ما يعي[1] سكراً ... إلى ... أعدت له ... فما نضى الصبح أفاق من غشيته الطويلة! فإذا ... عند رأسه ... وتروحه، ... وجهه النسيم الرطب مشوباً بأنفاس التاليه والملاك!

وإذا عدة من الخدم يحمل كل واحد منهم ... وهم وقوف ينتظرون ... من ...

فسم أكثرهم في أدب وحشام فقال أمير المؤمنين ... أطال الله بقاءه ... يقرأ عليك السلام، ويقول لك ... هذه البدر فأصلح بها شأنك

فبالغ ... في الدعاء! واستعد ... في الثناء! ثم ... راجعاً إلى ... بثلاث ... الأماني والخيال والمال، وقد أدركته ... منه ... وحسين ... ، ... ان ... الشاعر يقول

(١) لا يعي

وكل نُعمى من الرحمن حادثة ... أسبقت ...
وحُبك القدس ... أمر ثقة ... في ...
... يعد الزمان وحى للعلم (٢) ...
في ...

ضرب من الفروسية في اليابان

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يجد الباحث في فروسية اليابان وتقاليدها أفانين تفيض بالبطولة والنبل والإباء، تبهر المرء حتى يحسب أنها من عمل الخيال الرائع والتصوير البارع والوصف الجميل. فإذا تأملت علمت بأن اليابانيين قوم قدسوا الشرف في مغالاة، وعشقوا القتل باسمه، ولم يصبروا على ضيم يرد سهم أو هوى يمس إليهم. وحسبك أن تعلم أن الفروسية عندهم معناها الشرف والذود عنه والموت في سبيل حمايته طاهراً، وجعل كل ما يغض المرء ويعيبه، فضربة تصيبه في عرض حمى عندهم من قتله أو شتيمة في ذلك. فإذا طعن الياباني في شرفه، فطريقه أمران لا ثالث لهما: قتل من أهانه، أو قتل نفسه.

ولعل أروع مثال لذلك أمر القائد العظيم «نوجي» الذي كان له — كما يقولون — روح النمر وقلب الأسد، والذي أوقع النصر في موقعة «بور — آرثر» على الروسيين فقضى حرمتهم وأرغم بأسهم وحطم شملهم، فأذهل الغرب ورجاله، وملك على فتيان اليابان قلوبهم، والذي يسمونه «صاحب الربع ساعة» لقوله: «طريق النصر ربع ساعة».

وقصة هذا القائد طريفة غريبة فيها بطولة وشمم، وفيها إباء وشجاعة، فلقد استيقظت اليابان ذات يوم على دوي المدافع وتصعيد الزفرات، وقد وجم الناس وانتشر الأسى وأرخى الحداد ثوبه، إذ الإمبراطور الميكادو «موتزو — هيتو» الذي دفع باليابان الحديثة إلى مدارج المجد وجعلها أمة ذات بأس وقوة، يحسب لها الغرب ويخشى بأسها، ومات الناس في حزنهم ذاهلون، ثم حدثوا حديثاً آخر كان على الشباب وقعه أشد هولاً. فقد أعلنت الصحف أن الجنرال «نوجي» منقذ اليابان من الروسيا قد قتل نفسه. فظل الناس يسائل بعضهم بعضاً عن سر انتحاره، وهو في ذروة مجده ونائل عرشه، وحسبوا أول الأمر أن ذلك كان حزناً على الميكادو.

على أن بعضهم ممن كانوا يعرفون أسراره ويعلمون أخباره حتى علموا بأن «نوجي» كان في ماضي أيامه تلميذاً في مدرسة حربية، فكلفه أستاذه ذات يوم بما يهينه ويشينه ... وما هي إلا ساعات حتى عزم على قتل نفسه ليتقي العار وسوء العاقبة، لأن نظم الفروسية تمنع الإقدام على هذه الأمور. وكان له صديق من العائلة المالكة، أخلص له وأخلص لنفسه، فلما رأى نيته فأخبره بما عزم عليه وطلب منه أن يشهد الانتحار.

وللانتحار في اليابان طرائق وتقاليد، فالرجل الذي يريد قتل نفسه يطعن صدره إلى جانب القلب بخنجر حاد، فإذا بدا الدم تقدم منه صديق مخلص له من ذوي النبل والشرف، فيضرب عنقه أمام المذبح بين روائح البخور الشذي.

وطلب «نوجي» من الأمير أن يضرب عنقه إذا طعن صدره؛ وكان الأمير ذا شأن، وحاول ثنيه عن الانتحار. وكان مما حدثه به يومئذ: «عش لليابان يا صديقي... إن حسبي الآن أن تقتل نفسك ووطنا بأشد الحاجة إلى الشباب. لقد أهنت وحسبك أن تموت، ولكن أقبل الإهانة، أنا الأمير ابن الأسرة المالكة أقسم عليك بعد ذلك. أي يا صديق عش لليابان!»

وصدع نوجي بالأمر، ومرت أعوام، فأصبح الأمير إمبراطوراً، وأصبح «نوجي» عظيماً تذكره اليابان الفتاة، وينشر المدائح البطولة ويذيع صيته ويردد على الأفواه اسمه، وقد حطم جيوش الروسيا [illegible]

وظلت الإهانة عالقة بالأمير طوال حياته — ولا بأس عليه منها وهو ابن الأسرة التي تنتمي إلى السماء، [illegible] فلما قضى الميكادو نحبه عادت الإهانة إلى «نوجي» [illegible] — فأمر أن تشعل الشموع، وأن يحرق البخور، وجثا تحت تمثال الإله، وأغمد الخنجر في قلبه في مهل، [illegible] وتقدم صديق له فضرب عنقه، [illegible] فقد أنقذ الشرف وابتعد عن العار.

وطلب «نوجي» بعد أن [illegible] من العمر، [illegible] لأن ذلك أدعى لطيب الذكر، وخلود الاسم.

صلاح الدين المنجد

من تاريخنا السياسي

عائشة والسياسة

للأستاذ سعيد الأفغاني

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

ولا يظنن في وهم أحد أن السيدة عائشة كانت تود أن يقتل عثمان، فالصحيح أنها لم تكن تتوقع كل هذا. ولعلها كانت تقنع باعتزاله، على رغم تصريح الكثيرين بأنها سعت في قتله. ومن هؤلاء المغيرة بن شعبة، فإنه دخل على عائشة بعد حين فقالت له: «يا أبا عبد الله، لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصال هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدي». قال لها المغيرة: «وددت والله أن بعضها كان قتلك». قالت: «يرحمك الله، ولم تقول هذا؟» قال: «لعلها تكون كفارة لك في سعيك على عثمان». قالت: «أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أني أردت قتله، ولكن علم الله أني أردت أن يقاتل فقوتلت، وأردت أن يرمى فرميت، وأردت أن يعصى فعصيت؛ ولو علم مني أني أردت قتله لقتلت».

وهي الصادقة فيما قالت، ولعل الله أن رمى عثمان ورمى بعض من سعت وكثرت. ولئن قال سعد بن أبي وقاص وقد سئل من قتل عثمان؟: «قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه علي»، فما كان يريد سعد بمقالته هذه إلا بيان الأثر غير المباشر لكل منهم، فإن من تتبع مجرى الحوادث يسهل عليه عد الجميع من هذه الفئة.

وليس أدل على تزعم السيدة من مثل هذه الخصومة من دعوتها في قتلة عثمان، الدعوات البليغة الصادرة عن نفس مثأرة متألمة (وتعلم أن في القتلة أخاها محمداً) قالت: «قتل الله مذمماً (تعني أخاها) بسعيه على عثمان، وأهرق دم ابن بديل على ضلالته، وساق إلى أعين بني تميم هواناً في بيته، ورمى الأشتر بسهم من سهامه». فما منهم من أحد إلا أدركته — على رواية الطبري وابن عبد ربه — دعوة عائشة.

وذكر صاحب العقد أنها قالت بعد مقتل عثمان: «مصصتموه موص الإناء (الوعاء — الغسل النقي) حتى إذا تركتموه كالثوب الرحيض (الغسيل) نقياً من الدنس، عدوتم عليه فقتلتموه». قال لها مسروق: «هذا عملك؛ كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه». فقالت: «والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست في مجلسي هذا»[1]. فكانوا يرون أنه كتب على لسانها كما كتب على لسان عثمان مع الأسود إلى مصر؛ فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً كبيراً من أسباب الفتنة.

وغريب ما نؤيده عنها عدا أقوالها السابقة الشديدة في عثمان، تركته (حين منع مروان الفلسطينيين، وحين طمع فيه من طمع من عمه) — كما وصفت هي نفسه[2] — في أشد حصار ومن الظمأ، وخرجت إلى مكة. وقد كان راسلها عثمان في أمرها وطلب مقامها، ومعها مروان بن الحكم فقال: «يا أم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل». فقالت: «أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعني؟ لا والله ولا أعير، ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء؟».

كان طلب مروان في محله، وكان مقامها — لو هي أقامت — ربما دفع ورد عن عثمان. ولكنها ستذهب رحمها الله لو علمتها، وما كنت إن ستقتحم أحداثاً جساماً؟ كبر الحرص على عثمان حالي.

لقد وضح من كل ما تقدم أن أم المؤمنين لم تكن محايدة في الحوادث التي انتهت باستشهاد عثمان: هذه الفاجعة المشؤومة، بل كان جهداً عليها. ولكنها وقفت عند هذا الحد فلم تؤيد الفتن على علي ومعها عليه ولايته. إن طلحة والزبير لما آلت الخلافة إلى علي — وكانا يرجوانها كل الرجاء — وعقدا النية على المطالبة بدم عثمان، فتنطلقوا انضموا إلى مكة، ورأيا أن أمرهما لا يتم إلا بالسيدة عائشة، فكانت فتنة عمياء أشأم على المسلمين من سابقتها.

طالبت عائشة بدم عثمان واندفعت في هذه السبيل — على رغم تحذير العقلاء، ونصح أمهات المؤمنين — اندفاع الآتي الجارف، حتى جمعت الجموع وأحاط بها كل طامع، وكل ذي ثأر، وانضم إليها كل كاره لعلي وخلافته، مع آخرين خرجوا معها عن عقيدة يريدون منكراً أو مطالبين بإقامة الحدود. ثم خرجت بهذه الجماهير من الحجاز حتى وصلت بها العراق. فلم يكن بد من خوض القتال، وضروها الشر مختلفين في جانبها وجانب علي؛ فكان ما كان مما لا نعرض له في هذه الكلمة لأن أمره مشهور معروف. وسميت هذه الحرب حرب الجمل لأن عائشة كانت فيها في هودج على جمل؛ وانقضت هذه النكبة المؤلمة عن عشرة آلاف قتيل على أقل تقدير

(١) ج ٣ ، ٨٤ (٢) زهر الآداب ١ : ٣٥

رحم الله عائشة ، بعد هذه المرأة الوحيدة في التاريخ التي ترشح مركز حبيبة وحاولت نصب خليفة ، وأعلنت حرباً وقادت جيوشاً ثم تراءت بمحضر القتال ! فخرج الأمر من يدها إلى يد تولى غالباً خاتماً في ذلك شأن علي رضي الله عنه ، فشكل ما وتعقد له من قتل كل مسلم ، كما ذكر في حادثة الجمل وما استتبعت من ويلات.

فلنطو أمر هذه الحرب ، ولنذكر أن عائشة نفسها صارت كما ذكرنا تبكي حتى تبل ثيابها ندماً وتوبة. ولننظر كيف كان معاوية الداهية يعامل جارتها ويخشى بأسها.

حتى الناس ينظرون إلى السيدة عائشة وسائر أمهات المؤمنين نظرهم إلى الوثن الذي يحميهم كما رأت منهم لدنة ، هنا إلى نظرة التقديس والإجلال التي كانت تزداد كلما بعد الزمن وبعد عهد الناس بزمن الرسول. فكانوا — وهذه حال مصحفي العصر والاستقامة — يشكون إليهن ما يلقون من عنت الأمراء وعسف الحكام ، ويتوسلن لهم عالمين من الحمد والطاعة على جميع المسلمين. فلنقرأ في قولهم مسألة ومن كتابنا وجي به رجلاً من العراق ، فقد رأوا زياداً من عشيرة الرجل وأكرمه ، وكان أهم ما دعاه إلى التنبيه أنها نسبته هي إلى آل أبي سفيان ، فظل زياد يحرص الحرص كله على كل ما يرضيها به فرحاً. وقد حسب لها معاوية أكبر الحساب فظل يداريها ويلاطفها ويكتب إليها يسألها مرة عن حديث ، ومرة طالباً موعظة وما به من حاجة إلى سؤال ولا طلب ، ولكن هانئ عظم ما يخشاه. أحرق معاوية بن حديج جثة أخيها محمد في مصر ؟ فبلغها فجزعت أشد الجزع ، وصارت تقنت على معاوية وعمرو بن العاص دبر كل صلاة[1].

ولما أراد معاوية البيعة ليزيد كان صوت أخيها عبد الرحمن أقوى صوت ارتفع بالمعارضة حين دعا والي معاوية على المدينة مروان بن الحكم للبيعة « أجئتم بها هرقلية كسروية كلما مات كسرى قام كسرى »[2]. ولما هم مروان بأخيها بالكلام لقي من السيدة ما لم يكن في حسبانه حتى تنازل لها وخاف بأسها ثم سكت معاوية طويلاً حتى غلب صوت الحق في إنكار هذه البدعة التي جعلها معاوية في أصول الحكم. ولم تنج السيدة من معاطب السنوات الثلاث ، ولولا ذلك يوم الجمل منها ومن قوة نفسها

(1) تاريخ الطبري ج ٦ ص

(2) أنظر رسالة (الأمة العربية) ص ١٤٦ طبع دمشق والطبري

تراءى لنا هنا في عهد معاوية صولات وصولات ، ومن أشهرها حادثة حجر بن عدي.

كان حجر من سادات أهل الكوفة وذوي السطوة ، ممن كانوا مع علي وعملوا على عهده مدة كفاحه. وقد تحدوا بعد انقلابه صباراً عديدة ، وعيب للأمراء الذين ولوهم معاوية سبابه ووعظه دوماً ، فأمر بحمل حجر وأصحابه ، ثم أمر بقتلهم جميعهم ، بعد أن كثر الوسطاء في أمره خطراً لمكانته. ولكن ذلك لم يشفع له في نفس معاوية من العقبة. وكانت عائشة أرسلت رسولاً إلى معاوية في ذلك ، ولما وصل الرسول كان حجر قد قتل ، فقال الرسول — وهو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — لمعاوية : « أين عزب عنك حلم أبي سفيان ؟ » قال معاوية : « حين غاب عني مثلك من حلماء قومي ، وحملني ابن سمية (يعني زياداً عامله) فاحتملت ». وبلغ عائشة الخبر فغضبت أشد الغضب ، ودعت عليه من يستحث لمعاوية ، ولكن سكنه الحق وشهدت حرقتها. صارت تخاف أن يجر الأمر إلى حلة تراق فيها الدماء وهو ما لا تستطيع أن تتصوره ، وقد أشارت إلى ذلك حين قالت : « لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر. أما والله إن كان — ما علمت — لمسلماً حاجاً معتمراً »[1].

ولما حج معاوية استأذن على عائشة فأذنت له ، فلما قعد قالت له : « يا معاوية ، كيف أمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟! » قال : « داعية الأمويين ؟! بيت الأمن دخلت ! » قالت : « يا معاوية ، أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه ؟ » قال : « إنما قتلهم من شهد عليهم »[2].

وهكذا نال الخليفة المعظم ما يستحق من التأنيب في حجر ، الصوت على لسان زوجة أم المؤمنين.

هذه هي المرأة في صدر الإسلام ولكنها ، تتمتع بحريتها وتأخذ إرادات من كل شيء أعجبته. أما عبرة هذه الحوادث فهي أن من أوثم نص في الخلافات السياسية. ولكن الله الذي جعل النساء لتربية الرجال ونظير الحروب أراد أن يعطي للمسلمين عظة حسنة كلهم كل الدماء

(1) الطبري والأغاني (2) الطبري والأغاني

تلك سبأ ! (*)

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

هناك عبر الشرق من صنعاء عاصمة اليمن ، على بعد بضعة أيام فوق متون المطايا ؛ تمتد منطقة واسعة الأطراف ، مترامية الأكناف ، تفيض بأسرار التاريخ ، وفيها عظمة ماض سعيد ، تمتد فيها تلال الآثار ممتدة خصبة وتلالاً واسعاً فسيحاً لاختباراته وأبحاثه

في تلك البقعة الساحرة المسحورة التي قست عليها أعاصير الرياح الغرائب فعفرت معالمها ، وأخفت مشخصاتها ، وسحبت عليها أثواباً رهيبة شفافة من الطمي الأغبر ، تبدو في وجه التاريخ وتحت أعاصير العصور خرائب سبأ ، مدينة الملكة العظيمة بلقيس عروسة سليمان ابن داود

هذه بقاع منسية في جزء مهم من بلاد العرب ، تبيت أموراً خطيرة في علم التاريخ القديم ؛ هذه الآثار السبئية التي تضمها هذه الأراضي الصامتة التي جاءت من قبيل الصدف بأن ما تحويه في أحشائها يفوق الوصف ، ويثير التاريخ !

ومعلوماتنا عن هذه البلاد السبئية ضئيلة ؛ بالرغم من كثرة الرواد الذين جاءوا هذه البلاد قبل عصر أبيهم بين جوانبها كانت سرية خاطفة ... فلم يعرف عنها إلا أشياء مقتضبة مشوهة لا تقوم على مستند علمي تركن إليه الباحث ، وتطمئن له نفس المنقب ؛ وهذا عائد إلى طبيعة الأرض وجفوة سكانها وتنافرهم ضد الأجنبي ... وما عرفنا أحداً منذ تقي في تحقيق هذه البقاع سوى

(*) فصل من كتاب « أسرار وخفايا بلاد العرب المجهولة » الذي كتبنا منه في عددي ٤٠٢ و ٤٠٣ من الرسالة وقد لخصنا هذا الفصل بتصرف

ثلاثة من الأوربيين أثناء هذه الظروف لوصولهم إلى منطقة سبأ فحصوا كتابات كثيرة جداً مدونة في الصخر ، وأسماء هؤلاء الأشخاص هم أرنود Arnaud (١٨٤٣) وهاليفي Halevy (١٨٦٠) ثم جلازر Glaser (١٨٨٨) وبعد هؤلاء الباحثين لم يتقدم أحد من الأوربيين مطلقاً ... أرض سبأ في هذه الساعة ... الرهيبة الخالية

هناك في الناحية الغربية من مدينة بلقيس ؛ في الشمال من أحد الأودية العظيمة سداً عظيماً ، متين البنيان ، وطيد الأركان ، مستحكم الأساس ، تجتمع فيه أمواه السيول المنحدرة من أعالي جبال شاهقة الأرض ، وتسقي المزارع ؛ حتى ضربت هذه البلاد مثلاً سائراً في خصوبة الأرض ، وكرم التربة

أما أبرز المظاهر الاجتماعية التي كان يتداولها سكان هذه البلاد مع الأمم التي تتاخمهم فهي تلك الأعطار والعطور الفواحة ، والتوابل الكريمة التي تتضوع ، وأوديتها الخصيبة وسمائها الساحرة المعطرة

وبلادهم وفيها النحاس والأطلال ؛ قصور شامخة ، وبيوت محكمة ، وحيطان وسقف مموّهة بالأحجار الكريمة ، مرصعة بالعاج ؛ وآنيتهم من الذهب والفضة الخالصين !

وسكان السبئيين كانوا يعبدون الشمس [1] والقمر والزهرة [2] والعجل [3] ؛ ولهم معابد فخمة واسعة منتشرة في كل الأنحاء ؛ ثم سيطروا بأمر الله فقسم الله بأسهم السد ، مشي المدينة من الماء الطارئ ما غشيها فحل عليها سافلها ، وأهلك سكانها وباد سرهم وورثها هلكات مثلاً

ويعدّ انهيار السد حدثاً عظيماً في تاريخ الشعب العربي ! ذكره (القرآن الكريم) في جملة ما ذكر من القصص ؛ ومع كل هذه المعالم التاريخية الثابتة أصلاً فإنها لم تؤثر في تفكير

(١) في القرآن حكاية عن لسان الهدهد « إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخ »

(٢) هذا الحيوان لا شك أن له أثراً عظيماً في تاريخ تلك البلاد فقد ورسمه في بعض النقوش ؛ وصوره لا تزال محفورة في جبال حضرموت الشرقية اليوم ويوجد بكثرة في جبال حضرموت وهو الحيوان المسمى الوعل

(٣) ويجب أن نعرف هنا أن العجل هو « أبيس » معبود المصريين القدماء ... وذكره في أحد النقوش الحجرية التي عثر عليها الأستاذ وهليرت الألماني « العرب »

مهزلة ! يسعوا ! أي لو كان أمر من أمور الرجال يقوم بإصلاح تقدم بهذه السيف الصحيحة التي أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والصلاح ما ... رجال كثيرون ، ... أهل عقلاً في تكوين المجتمع فإذا ... الشيطان ... أن يخرجوا المرأة عما خلق لها وخلقت له ، فإن الأخصائيين أصدقت هذه النظرية في أول كرعتها فاحامي ... إلى أن تحترق في سبيلها وما جنيت ؟ ومن أنا ... مما ... للسيدة ...

(دمشق) سهيل أبو ظلام

الحبشيين وتنير مجرى اعتقادهم في ان يعبدوا إلى الرحمن وإلى الشمس آثار ذلك للماضي الشامخ المجيد في خرائب هذه المدينة ذات الجلال والإبداع ، ولم يتمكنوا مطلقاً في استنطاق هذه الألواح الصخرية المنقوش عليها حروف « المسند » ليعرفوا حقيقة الماضي البعيد

أما هذه الآثار التي مكنتهم الظروف فاخترقوا هذه الآفاق واستهدفوا بضروب من المتاعب والأخطار ، فلم يستطيعوا أن يقدموا لنا عن هذه البلاد إلا معلومات ضئيلة لا تشفي غلة الباحث المتعطش

ثم ، إن إدوار جلازر نجح في مهمته ، وتنكر في شخصية مسلم ، واستطاع أن يخرج بصحبة أحد أشراف مأرب ليكون له قائداً ودليلاً إلى حيث السد

في صحبة أحد الأعيان طرقنا في وادي بيحان يقع بين ذوي بلاد رهم وحولان[1] ، ثم انحدروا إلى وادي شبوان فأخذ طريقهما إلى خرائب السد ومن هنا كانا مسيرهما في ثلاث ساعات إلى مركز الحضارة السبئية ، مدينة بلقيس !

وراحت أخبارهما بين القبائل المتعصبة تتحدث بعزم على دفعه ورجم وتشديد ولكن جلازر دون عزيمته الأصيلة فاحتاط لنفسه كثيراً فكان يقوم ليلاً ويختفي نهاراً ... ولما انتهى من أعماله وهم بالرجوع هاجمته جماعة من البدو مسلحين ولكنه نجا بأعجوبة !

وبالرغم من هذه المتاعب الكثيرة التي صادفت هذا الباحث وبالرغم من اختفائه للآثار النفيسة القيمة لأعماله فقد نجح هذا العالم الألماني في جمع مجموعات يناهز ٨٥٠ نقشاً حميرياً وبلغ لديه الأكبر أن هذه المنطقة ، من أرض سبأ ، غنية بآثارها القديمة في سرعة

أما الإمام يحيى فقد وعد بالعقاب الصارم كل من تحدثه نفسه بتتبع هذه الأبحاث ؛ فأنه أصدر أوامره ... ولكن أحد[2] هؤلاء المجربين حاول الوصول إلى مأرب من حضرموت ، فكشف أمره وقبض عليه ، ودفع إلى ما وراء الحدود

ووصف الباحث ... في رحلته ... الأرض ... على شطآن أنهر ، وتماثيل ... في جدرانها ... بهم وشحن بها صناديق

وكل من لاقيته في هذه البلاد ... من المتاعب الحسية التي يلاقيها الرحالة في أرض ... أسباباً كثيرة ... صوراً أخرى

(ش ١) رأس ...

أخبرني أحد السادة قال : « هناك في أرض سبأ مستوطنات غنية من تلك لا يطلعون على ... يمنعون كل الحصن من حولهم ... ولكن ... صورة تخالف ... ولكن ... الذي ... من النبلاء والأشراف يستبدون بالصحيح ... ويعيدونه في حرث الأرض ، والدفاع عن الحوزة ؛ فهذا نوع من الحكمة ، وسداد الرأي ، أن الإمام يتسبب في منعه الأجانب من دخول هذه الأقاليم الرهيبة التي لا تعرف من سلطة الإمام إلا القليل ... »

ونترك القول بين يدي الإمام ، وبما أنه معروف من جلالته الطبع السمح ... ؛ فقد وجهنا إليه هذا السؤال .

---

(١) من مقاطع اليمن
(٢) نسبة إلى أوستريا من قلب أوربا
(٣) هو السائح الإنجليزي ... ، وقد أحضر ... من حضرموت ... الأثرية

هل تحب أن تصحبني في رحلة إلى بلاد سبأ ؟

ولقد كانت دهشتي عجيبة عندما رأيت ابن عبد الهادي يسوى في [illegible] بصيح في [illegible]

سبأ ؟ ترى أين صدعت ومسكناتك هنا خير وأولى ! [illegible] في [illegible] [illegible] أشجار [illegible] من القرى [illegible] والأودية [illegible] من خلال ما تخف [illegible] الطريق من محاسن الطبيعة الجنية !

— ولكني يا مولاي ، أريد سبأ ، فهل تتركني أذهب إليها ؟

لا ! إن سبأ بعيدة المنال ، صعبة الوصول ، فأنا لم أرها منذ سنين ، وزيادة على ذلك [illegible] هناك طريق واسع ؛ فهل من المعقول أن أتركك تذهب حيث لا طريق معبد ؟ أنا أريد أن أراها ولكن لا سبيل إلى الوصول إليها .. هناك حتى يومنا هذا لا يزال جزء عظيم من بقايا السد قائماً في شكل يثير الإعجاب ! تصور جيداً أنه شيد كله من الصخر الأصم ؛ وهذه الصخور تتألف من ثلاثة ألوان : صفراء وحمراء وسوداء ... وعلى مقربة من السد تقوم [illegible] حفرت جداول [illegible] منها المياه إلى الحقول والبساتين التي جمع منها السبئيون كل غنائم ونعيمهم !

والمدينة يا مولاي ؟

— حطمها السد وحرثت المياه من كل جانب [illegible] [illegible] كثيرة شامخة ، ولا تزال أطلالها شاخصة في عظمة [illegible] [illegible] عن [illegible] عظيمة تطفو على وجه الأرض [illegible] [illegible] آثار سحرها ! عرش بلقيس ! وذلك المعبد العظيم [illegible] [illegible] ملكة سبأ [illegible] واليوم عرفت [illegible] [illegible] إلى مأرب فعبرتها السيارات بسهولة

* * *

إن الآثار [illegible] التي [illegible] عنها بلاد العرب الجنوبية [illegible] اليوم موزعة بين متاحف أوربا ؛ وليس لها أثر كبير في بلاد اليمن [illegible] الأشياء [illegible] في متحف صنعاء مجموعة في نظام [illegible] [illegible] ويبعث [illegible] !

في متحف [illegible] Terme بروما يمكنك أن تتمتع بمشاهدة آثار سبأ و[illegible] [illegible] اليمن القديمة

هناك نقوش كثيرة وقطع من الفن [illegible] [illegible] وتماثيل صغيرة منحوتة من الصخر جلبها الدكتور [illegible] أثناء رحلته إلى بلاد اليمن أخيراً واستطاع أن يأخذها إلى [illegible] [illegible] الإمام

[illegible] المتحف الذي أنشأه الإمام يحيى في العاصمة اليمنية فهو [illegible] [illegible] [illegible]) من عصر [illegible] [illegible] البنات [illegible] [illegible] في هذه [illegible] آثار اليمن القديمة !

[illegible] تمثال [illegible] عربي جنوبي

لما كانت هذه [illegible] محرومة من [illegible] والتأسيس فقد [illegible] أرضاً هذه النقوش والقطع [illegible] ! [illegible] [illegible] على جوانب الجدران ، وأخيراً الأعظم من الآثار [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

(١) هو الدكتور [illegible] [illegible] الذي ساح في اليمن [illegible] [illegible] [illegible] وله كتاب « اليمن » في الجغرافيا والتاريخ [illegible] [illegible] وقد أخذنا منه الصورتين المنشورتين في هذا العدد

والزائر الذي يأتي لمشاهدة هذه الآثار لا يسمح له بدخول هذه الغرفة بل يقوم الحارس بعرض مصابيحه من الداخل فيطرحها على أرض الشباك حيث يتمكن الزائر من المشاهدة والملاحظة وهو في الخارج؛ وفي أغلب الأحيان تتخلص من يدي الحارس بعض التماثيل فتهوى إلى الأرض فتحطمه؛ وفي جلاله وعظم جلاله ... كلها رجعية إلى إحدى الزوايا

إن الله وحده الذي يعرف كم تحوي هذه البقاع الخفية من الآثار والتماثيل ذات الجلال والسحر، وما ذلك الفن السامي الذي ازدهر في هذه الربوع المتمثل في هذه الخرائب الأثرية وفي هذه التماثيل المنحوتة ... والرجال المتربعة في الوضع ... والزحام ... إلا صورة حية ناطقة لذلك الفن الرفيع العربي في هذه البلاد منذ أقدم العصور؛ يدلنا على هذا كله وجود تماثيل في متحف صنعاء ... الإتقان والإبداع

أولها (ش ١) يمثل رأساً(١) من ...

ابنه ... ملاك على وضع من جميل شبه ... التماثيل الإغريقية القديمة، ... في عمان(١)

والثاني (ش ٢) تمثال عظيم ... الفصلة(٢) الخ ... يمثل رجلاً عارياً مقسم الأعضاء جميل الصورة وكما يبدو للأسف أن الرجال الأغبياء أثناء الحفر تناولوه بالتهشيم فقد شيء كثير من روعته، ولكن الآن ... صورته الأولى، وأجريت ... وصلت حواشيه، واستقام على قدميه بقوة أسلاك معدنية

والحق أن مثل هذه الآثار كثيرة الوجود ... الأشخاص وفي ... الأرض ولكنها تتطلب جهوداً عظيمة يتكلف كثيراً في ... يقوم على هذا الوضع من الحياة والثروة

(القاهرة) [illegible]

(١) ...

(٢) ...

كتاب الأغانى

بقلم أبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

وأطلس عسال وما كان صاحباً ... دعوت بنارى موهناً فأتانى
فلما دنا قلت ادن دونك إننى ... وإياك فى زادى لمشتركان

البيتان من قصيدة الفرزدق ، والفرزدق ليس من الشعراء المعاصرين بالطبع ؛ ولكن الصديقين اللذين غنيا فيهما عصريان أما أحدهما فالأستاذ أحمد أمين على سنة مصرية عادية ، وأما الآخر فالدكتور زكى مبارك على سنة باريسية لاتزه.

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أولم أقل لكم إن أفضل تقسيم للأدب أن يكون على أساس من اختلاف الثقافات ؟ فالأستاذ أحمد أمين مثال للثقافة المصرية الممتزجة بالروح الإنكليزية والدكتور زكى مبارك مثال للثقافة المصرية الممتزجة بالروح الفرنسية ومن ثم كان الفرق بينهما ! فهذا عادى رصين والآخر ذو صاحب

قال الأستاذ الشايب : وسأحدثكم عن مثل يبين اختلاف الثقافتين : قيل إنه قد طلب إلى ثلاثة من الأدباء أحدهم إنكليزى والثانى فرنسى والثالث ألمانى أن يكتبوا شيئاً عن الجمل ، أما الفرنسى فذهب إلى حديقة الحيوانات وكتب فى ورقة ما معناه :

« ما هذا ! ما أعجب وما أغرب ! عنق لين وصبر متين ، ووسادة تحت الصدر ، وسنام فوق الظهر ، يا لله ! »

وعمد آخر من الكتب المشهورة أو المستورة ثم طوى أدراجه ودفع بما كتبه ارتجالاً إلى من ألقى عليه السؤال

وأما الإنكليزى فارتحل إلى بلاد العرب ، وأقام فيها بضعة شهور فى ملاحظة جمل ، وما ورائها من يوم مولدها إلى يوم موتها وأحصى عدد ما تأكل كل يوم ، ومقدار ما يؤخذ من لبنها ، ومن وبرها ، وعدد ما تنتج خلال هذه الأعوام ثم وضع كتاباً فى تاريخ الجمل

قال الأستاذ الشايب : ولا عيب الآن أن نقول شيئاً مما عمل الألمانى ، ولكننى أكتفى بهذا القدر من المثل لأن الأستاذ أحمد أمين مثقف ثقافة إنكليزية فهو يؤرخ الأدب العربى على طريقة الجمل ومثلها أوضح دليل على مثقف ثقافة إنكليزية هو الدكتور زكى مبارك يتناول الأدب العربى على طريقة ؟ يا لله ما عجب وما أغرب !

قال أبو الفرج الإسكندرانى : هذا ما يقوله الأستاذ الشايب ولولا أن الشايب مثقف بالثقافة الإنكليزية دون الفرنسية لأوجد ذلك بعد ذلك ما يقعد عنى فى خصومة بين هذين الأديبين الكبيرين ولكن لا سبيل فى ذلك إلى صلح مع أحد الخصمين

حدث الأستاذ أحمد أمين قال : لقد عنيت كثيراً بهذه الأبيات الرائعة من شعر الفرزدق وإن كنت أعلم موضع الضعف فيها على بعض الشعر الإسلامى الذى عنى بمثله أدب الجاهلية

قال امرؤ القيس الجاهلى :

وواد كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوى كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شأننا ... قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ... ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

فكان فى وصفه هذا اللقاء بالذئب معبراً عن إحساس صادق وماذا قال امرؤ القيس ؟

لقد قارب بين مرودته فى القفار وبؤسه وهو مطرود حائر محروم ، وبين الذئب فى مثل هذه الحالات صورى سواء

وكثر الصحيح على اللغة بسلام من أسلم من أهل اللغات الأخرى فكان الشعر العلمى أثر غير أثره الطبيعى ذلك أنه عاد هذه اللغة التى أصبحت عموداً للدين الجديد فوقف شعراء الإسلام أمام أسلافهم من شعراء الجاهليين موقف الناقد من المعبود لافتراض حاجتهم إليه بما حملهم إلى المحافظة على اللغة واقتران عواطفهم على اللغة بحاجتهم إلى المحافظة على الدين فمن أجل ذلك وضع الفرزدق قصيدة وصف فيها لقاء الذئب ووضع الشريف الرضى والبحترى قصيدتين فى مثل الغرض ولكن وصف الثلاثة الإسلاميين للقاء الذئب كان وصفاً غير طبيعى لأن همهم الأول كان أن يصلوا كما عمل شاعر جاهلى بعينه

قال الفرزدق إنه قابل الذئب ولكن بماذا أحس ؟ بماذا شعر ؟ يقول إنه أحس بأنه يريد أن يعطيه واحداً مثل كذلك يشعر الناس عند لقاء الذئاب

فلما دنا قلت ادن دونك إننى ... وإياك فى زادى لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

على أن عامل التفكير كان حول الطعام، كان في شأن العشاء والشاعر لم يجمعه هذه الوجهة إلا لأنه سماح أكثر شعره في مدح الملوك نيل الجوائز، أفلا يحق لي أن أصف هذا الأدب بأنه أدب معدة وبأن الشعر الجاهلي قد جنى عليه؟

قال الأستاذ أحمد أمين بك: والبحتري ساوم آخر يحاول الميت مكافأة على المدح وقد وصف الذئب ولكن لم يلقه متأثراً بامرئ القيس فماذا قال وفي أية ناحية كان اتجاهه؟ إنه اتجه أيضاً وجهة أخرى طبيعية في الإعراب عن إحساس من قاتل الذئب نفسه!!

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إلى أن قال:

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته

فهل عرفت الآن مقاصدهم بالذئب؟ لقد أكله الشاعر البحتري بعد أن شواه على الحصى!

أو ليس هذا أدب معدة؟ أو ليس هذا مما جنى عليه الشعر الجاهلي؟ على أني أرى التحدث عن وصف الشريف الرضي لقاء الذئب إملالاً للقارئ

لكن في بيت الفرزدق مع ذلك روعة وجلالاً وقد صنع فيه لحناً هادئاً يطرب بالشوكة والسكين المصنعين على طبق من أطباق الذهب جميل الصنعة

حدثنا الأستاذ عبد العزيز البشري قال وقد سمع هذا الحديث: أما إنه لغرض عصب ينتج الشبهة لكن هل ألا يكون الطعام من لحم الذئب الذي شواه البحتري

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال في صحف وصفه: لقد والله ظلموا البحتري وظلموا شعراء الإسلام، أو لم يقرأوا بيته في القصيدة؟ قال البحتري:

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته ... فلم يبق إلا اللحم والعظم والجلد

فماذا أكل البحتري وقد استثنى اللحم والعظم والجلد؟ إنه لم يأكل إلا الرأس والأكارع، وهل في أكل الرأس والأكارع ما يستحق اتهام البحتري بأنه من أدباء المعدة؟ هذا والله هو الإجحاف والجحود لتراث الأسلاف ... الفرزدق هنا كما لامرئ القيس في وصف الذئب

إنه إنما قال ما قال في وصف ذلك الذئب معبراً عن شعور أصيل في نفسه هو شعور الكرم والنخوة فهو يطعم حتى الذئاب وهو معنى من معاني الإنسانية، فالأمر لا يعدو هذا.

حدثنا الدكتور بشر فارس قال: هذه الأبيات من الشعر الرمزي ولا شأن للذئب فيها سوى أحرف اسمه

وحدثنا الأستاذ عبد العزيز البشري قال: وأي كرم ونخوة في إطعام ذئب سواء أكان ذئباً حقاً أم كان مكنياً به عن الإنسان؟ إنه ليس في مصر كلها رجل واحد لا يطعم الذئب دون أن يعد في ذلك عالماً بالمصير، ففي كل مكان فيه ذئب يخرج مصري منهم أو مصرية جهول

أيهما الذئب إنني ... وإياك في زادي لمشتركان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني

ألا إنه لا كرم ولا نخوة في أمر شائع بين الجميع، وإنما الكرم والنخوة في عمل ما لا يعمله عامة العامة من الناس

أخبار الفرزدق وشعره

حدثنا الأستاذ علي الجارم بك قال: كان الفرزدق معتقاً أول اللغة العربية في حكومة بني مروان وكان من أصحاب الرأي الخاصين فيه بحرفة يبشرها له ما أفادته اللغة العربية من ثروة في شعره وليس وصفه للذئب مما كان لأمثال امرئ القيس ولا الذئب الذي وصفه من ذئاب الصحراء وأشباهه

صورة

وأنا الفرزدق غير أني ... لا أستطيع إلى الصفا
يا حسرة الوادي ... ...أغراض بالفناء
لا ... كالفرزدق إنه ... قد كان مفقود الحياء

السر للأستاذ علي بك الجارم وقد اشترك في صحبته كل مدرسي اللغة العربية بوزارة المعارف

(يتبع) عبد اللطيف النشار

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

ما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يضعه في مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

وسجل بلنت حديث طلب مع عرابي ، ولما كان هذا الحديث يكشف لنا عن نواح كثيرة من هذه الشخصية التي عنى بدراستها رأي أن نذكر في هذا موضعه على تمامه كما جاء في مذكرات مستر بلنت قال : « وقد نفذ كثير من تلك الإصلاحات بعد أن عزل الموظفون الذين يطابقون في عهد الاحتلال ، وادعى لورد كرومر أنه مبتكر كثيراً منها . فمن ذلك إلغاء السخرة التي كان يفرضها الباشوات الترك على الفلاحين ، واحتكار بيع الماء في مدة الفيضان ، وحماية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين أخذوا منهم الأطيان بسبب عجزهم عن السداد في المحاكم المختلطة . ومن هذه الإصلاحات أيضاً إنشاء بنك زراعي تشرف عليه الحكومة ، وهذا هو البنك الذي يباهي به كثيراً المرحوم اللورد كرومر

كذلك تحدث في الإصلاحات القضائية وفي تعديل دوائر القضاء بحيث تعدل ؛ وكذلك تكلمنا في نظم التعليم والبحث ، وفي طريقة الانتخاب للبرلمان الجديد ومسألة الرقيق ، وقد أطال عرابي الكلام في هذه المسألة الأخيرة . وكان الموظفون الأجانب في مصلحة الرقيق قد حشوا جيوبهم بمتحصل الاتجار في الرقيق من أكبر همهم ، ومن ثم كانوا يزعمون أن حياة الإسلام مرتبطة بحياة الاسترقاق . وقد أظهر لي عرابي مقته لهذا الزعم وما فيه من الافتراء ، وبين لي أنه ليس في مصر من يود أن يكون له عبيد غير أصحاب البيت الخديو والباشوات الأتراك الذين سيعودون ليستعبدوا الفلاحين ، وأن الإصلاحات الحديثة سوف توطد المساواة بين الناس مهما اختلفوا في الجنس واللون والدين ، وليس مع هذه الإصلاح محل للاسترقاق . أما ما يقتضي بضرورة الاستعداد لحرب محتملة — ذلك الاستعداد الذي يجب أن يشغل ذهن وزير الحربية فقد تكلم عنه بصراحة وقوة فقال إن الحكومة الوطنية لا تنزع سلاحها ولا تحصنه حتى توطد الحكم الدستوري وتعترف أوربا به . وكان لا يتجاوز عن بسط وزارة الحربية التي أنفق عليه مع كلفن ولا يضطر إلى زيادة عدد رجال الجيش على عشرة عشر ألفاً . أما إذا استمر التهديد بالتدخل فلا مناص له من اتباع الطريقة الروسية أي التجنيد العام لقصيرة ليمكن من إنشاء احتياطي كبير ، وقد سألت عن رأيي في احتمال وقوع الحرب فقلت له صراحة إني بما عرفته من اتجاه كلفن في إحداث التدخل وما أراه من المناهج التي تبدو في الصحف أخشى أن الخطر محدق ، وإني ذاهب إلى انجلترا لا لشيء إلا لأسمع صوتاً لهذه الحملة التي تكتب في الصحف ، وستكون مهمتي هناك نشر الدعوة للسلام وحسن النية . وفي الوقت نفسه لم أستطع أن أنصح له إلا بالثبات والحزم في موقفه وبأن أحسن وسيلة لضمان السلم إنما هي الاستعداد للدفاع . وقلت إن شر أعداء مصر ليس الحكومات الأوربية بل الماليون الأوربيون وإن هؤلاء لا بد أن يفكروا طويلاً قبل أن يعرضوا مصالحهم لخطر الخسارة في إثارة حرب طويلة ذات نفقات طائلة ، وقبل أن يسيء أحد إلى أمة مسالمة مستعدة للدفاع عن حقوقها . وأذكر أني اقتبست من شعر لورد بيرون قوله : « لا تأمن الفرنج على الحرية » فوافق عرابي

على ذلك ، وكانت هذه هي آخر كلماتنا ، وقد وعدته أن يعود ويستمع إلى الوطنيين إذا جاء الشتاء ووضع السوء »

وهذا الكلام من جانب ذلك الفلاح الذى عصفت منه مصر في تلك السنين السود في غنى عن كل تعليق . وما عسى ماذا نرى في أولئك الذين أرادوا ألا يجعلوا لذلك الرجل مكاناً بين أبطال قومهم ، بل أولئك الذين يشككون في البريين الكاتبين لوطنهم ويرتكبون بذلك من ضروب الإجرام ما لا يزال عالقاً بأذهانهم حتى يروا الحق فيما دعوا إليه وهم راضون ؟

ماذا نرى في هذا الحديث أولئك الذين نفر أحدهم من اسم عرابي ، وأولئك الذين يضحكون من جهله ويسخرون من تطاوله ؟ على أننا لا نبالي بما يقولون وما يرون فإنا نستشف من هذا الحديث وطنية رجل ونفس فيه عزيمة رجل على خير ما تكون الوطنية وأحسن ما تكون العزيمة . ولئن كان لرجل من ذوى المجد والثراء أن يعجز بمسمع فؤاده إلى بنى قومه ، فأجدر منه بالفخر كل الفخر رجل خرج من أهل الفاقة وبرز من عامة الناس فعمل ما لم يعمله غيره من أكابر الناس . وإن هذا الرجل الذى يشرب الخمر في صحة ونصر إلى كلاعه ليقدم لنا من الدليل الناصع والبرهان القاطع على أن تربة هذا الوادى الذى أنبتت الأسس الفراعين لا تزال تنبت أولى العزم والبأس من الرجال ، وأن بين هؤلاء الذين يحيون الفؤوس في غيطانهم ويضربون بمناجلهم عمارتهم في الهجير والزمهرير وطلاؤهم كالتبر المنثور أروع منه ما يطلعه من ترب تلألأ وسطع وسحر ببريقه المتوهج القلوب والأبصار

* * *

مضت الوزارة في سبيلها غير عابئة بصراخ أعدائها لا تتخاذل من دون غايتها ولا تستجدى الشعب ، وذلك على الرغم من أنها كانت لا تجاوز خطوة إلا قام في سبيلها عقبات

ولقد قبع الخديو في زوايا القصر ، وجعل المصريون الفراعين بينه وبين وزرائه حجاباً من الأباطيل التى أحكموا نسجها والواقع أن الخديو لم يكن على شيء مما كان يجب أن يتصف به من يضطلع بأعباء الحكم في مثل هاتيك الظروف ، فقد كان مضطرب القلب حائر اللب مما يجرى حوله ، فهو لا يسيغ الحركة الوطنية ولا يستطيع أن يصانع عنها طائفة ، وهو مستريب في جنب الحكومة العثمانية عونه وعونه حيث يشتد فزعه كلما يسمع من دسائس الأمير عبد الحليم ، بل ودسائس أبيه إسماعيل في مصر والآستانة على يد أعوانه ، ثم هو فضلاً عن هذا كله يعيش تحت سيطرة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز منهم فلا يقطع أمراً حتى يوافقون عليه بل لا يخطو خطوة حتى يرى رأيهم فيها

ومن كان هذا شأنه في موقف كهذا الموقف العصيب الذى كانت تمر به مصر من أحداثها يوشك كل مثل الريشة في مهب السوافى يعصف به في حيرة أكثر من أن يشعر ... وإن ذلك التطلع جيداً

وكانت الوزارة كما سلف القول وليدة كلمتها الأخرى ، ومبادئها نسيج الفكر الحرة وخدمتها ، ونفعه في حقيقة السياسة الخارجية التى لا تنعم على وجهها الحق دون الاعتداء إليها ، وإن كان كرومر يرى هذا في كتابه شيئاً خاطئاً قائلاً إنه كان خاصة وثيقة حال ذلك العهد جميعاً ولو أن هذا كان موقف انجلترا ما منعه شيء عن الاعتراف به

ويحكى لنا كرومر هنا لا خير الحقائق ، وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد ما كتبه ويلفرد أحد أصدقاء مصر من ساسة الوطنيين قال : « إن الرأى العام في انجلترا قد وقع تحت تأثير بعض رجال حزب الشورى الذين اعتقدوا أن خير ما يعمل هو استغلال الحوادث مهد الطائفة أملاً في إيجاد فرصة لتحول وادى النيل دون فرنسا »

هذه تلك العبرة التى حاول كرومر أن يقنعنا بها ذكرها من لم يستطع أن يأتى بدليل أو شبه دليل على صحة رأيه فلن يكون الحق إلى جانبه ... في أمر من الأمور

وكان غمبتا من أشد أعداء مصر بل من أشد أعداء الإسلام قاطبة ، وكان هذا الرجل يهودياً على صلة برجال المال من الماليين ، وكان يحيط به في باريس ... يوجهان إليه ما يريدان ، وكان جنبه من يحاولون إلى التطلع إلى القوة في كل ما يتعلق بالشرق والشرقيين

وكان هذا الوزير يحاول أن يدفع انجلترا للأخذ بسياسته ولكن جرانفيل رائع يرونه مظهراً به أن جبرها في أن يجعلها في الوقت نفسه كان يخشى عاقبة التدخل المسلح في شؤون مصر سواء أكان ذلك من جانب إحدى الدولتين أم من جانبيهما

منا لأن ذلك العمل كان من شأنه أن يجر في أعقابه كثيراً من المشاكل

ولقد ربما بلغ تشدده في وجوب إرسال المذكرة المشتركة المشؤومة ثم إصراره بعد ذلك على عدم تخفيف وقعها بأي وجه من الوجوه. ولقد كانت كل من الدولتين تحرص على ألا تنفرد فتنكشف، لذلك كانت تجاري إحداهما الأخرى وإنها لتستكرهه أشد الاستكراه وتمجه — وكان الغرض أن تأخذ نصيب [illegible] حتى تعين الفرصة فتقتنصها

على أن غمبتا لم يلبث في الحكم طويلاً فسقطت وزارته في أول فبراير عام ١٨٨٢ أي قبل تأليف وزارة البارودي بخمسة أيام وحل محله في الوزارة دي فريسنيه. وكان هذا من أول الأمر يرى في المسألة المصرية ما لا يتفق وسياسة غمبتا

ولكن الأمور كانت قد تعرضت في مصر بما جعل هذا [illegible]، وفقدت العناصر الوطنية في البلاد كما أشرنا كل ثقة في الدولتين جميعاً حتى أصبح من أصعب الأمور التفاهم في السياسة العامة

وكان الإنجليز في مصر يعملون جهد طاقتهم لخلق [illegible] حتى إذا حانت ساعة العمل لم يكن بينهم وبين فريستهم حائل؛ ولقد ظلوا متربصين بمصر بعد أن نجحت وزارة البارودي في حل مسألة الميزانية منتظرين أن تواتيهم فرصة يعملون على [illegible]

وأخيراً وقع في مصر حادث ما ظل في تاريخ الاستعمار الأوربي كله إلا أن [illegible] حادث كالمستقبل — في قبح ما يعده [illegible] ذلك الحادث على بعد ما بينه وبين السياسة العامة للبلاد، وذلك هو حادث المؤامرة الجركسية المشؤومة

علم عرابي وزملاؤه أن فريقاً من الضباط الجراكسة في الجيش يأتمرون به وبأنصاره ليقتلوهم، فكان أن ألقت الحكومة القبض عليهم كما يقضي بذلك الواجب وساقتهم إلى المحاكمة فحكم عليهم بما حكم. وليس في هذا الحادث في ذاته ما يتصل بالسياسة العامة للبلاد بسبب من الأسباب، وما كان أية وزارة تستطيع أن تسلك فيه مسلكاً غير الذي سلكته وزارة البارودي، ولكن الكائدين للعرابيين ما لبثوا أن ملأوا الدنيا صياحاً وتنديداً وتهديداً ووعيداً، ونسوا كل شيء إلا عطفهم على أشياعهم من وراء هذا الحادث، فكان من أقوالهم وأعمالهم ما هو حقيق بأن يسم تاريخ أي شعب من الشعوب بميسم العار والخزي! بل ما هو خليق بأن

يساق بين أقوى الأدلة وأنصعها في [illegible] المدنية الموهومة قد أصبحت بين الإنسان وأخيه [illegible] بحيث ما يحسب بينهم [illegible] ما كان يربو للإنسان من [illegible] ظل أمل الفلاسفة منذ أن أخذوا يحاولون التخلص من هذا [illegible] ويرقون بأجسامهم وأرواحهم إلى السموات

والحق لقد [illegible] دعاة المدنية الأوربية على مبلغ ما يمكن أن يصل إليه عسف الإنسان بأخيه الإنسان في عصرنا هذا [illegible] هذا [illegible] الأحلام والآمال من البشر أن الإنسان لا يزال هو الإنسان، وأنه إذا كان ارتقى في شيء ففي وسائل التكييد والبطش. أما غرائزه الأولى: غرائز الهمجية والأنانية وحب العنف، لا زالت بحيث لم يطرأ عليها أي تعديل، أو تحوير على الرغم مما يضج به المتألهون والمثاليون من دعاة الإنسانية. وإنا لنتحدى في بيان مدى ما وصل إليه هؤلاء الدعاة من انحطاط خيراً من أن نعرض المسألة في وضعها الطبيعي البسيط وما كان من أمرهم إزاءها مكتفين بذلك من كل تعقيب عليه، في كل كلام [illegible] ما يتحرك في النفس ويختلج في أطواء النفس أو [illegible] أمام مثل ذلك السؤال الصريح

(يتبع) الخفيف

استطلاع صحفي

جولة في مصلحة الكيمياء

معمل للأمة وللحكومة

لمندوب الرسالة

انتقلت مصلحة الكيمياء من مبناها القديم العتيق في فناء وزارة الأشغال إلى مبانيها الجديدة بشارع الملكة نازلي وقد فتحت أبوابها لتستقبل ما يطلبه منها الجمهور من اختبارات كيماوية تكشف عن صلاحية المواد والتحقق من حقيقة تكوينه ، وبهذه الطريقة يستطيع الصانع أن يختبر مواده هناك كما يستطيع أن يحصل لمنتجاته على شهادات حكومية بصلاحيتها ومن يمكنه ذلك قال الدكتور إن المصلحة تشجع على ذلك ولا تأخذ منه إلا أجراً زهيداً . ولذلك رأت بعد استئذان حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك أن تقدم لقراء الرسالة صورة عما يحدث في ذلك المعهد وإن شئت صورة مختصرة لأن عمل المصلحة متشعب والمعامل عديدة

مجهود الصانع

قال الدكتور محمد سعيد سليم رئيس قسم تحليل مواد البناء في مصلحة الكيمياء

« تقوم تجاربنا هنا على مواد رخيصة القيمة ولكنها خطيرة المسئولية . فقد يكون ثمن مواد الأسمنت أو الجبس أو الطوب زهيداً ، ولكن الخطأ في تقدير قوة مقاومته يؤدي إلى ضياع كثير من الأنفس والأموال . فتصور عمارة تشيد بالأسمنت المسلح لم يراع في خلط مواده النسب القانونية أو زيدت في الخلطة كمية الماء حتى ذاب الأسمنت وسال وبقي الرمل وحده أساس البناء . فإذا تمت العمارة أقبل الناس من كل جهات القاهرة يسكنون فيها السكن الموافق ، فإذا نقلوا أثاثهم ونظموا فرشهم ثقل وزنهم على قوة مقاومة تماسك الرمل وقليل الأسمنت فسقطت السقوف وقتلت البنين والبنات ورملت الأزواج والزوجات »

ثم وضع الدكتور قالباً مصنوعاً من الأسمنت المسلح بين فكي آلة ليختبر قوة الشد الذي تحتمله القطعة المكونة منه ؟ ثم جيء بصنبور تساقطت منه كرات من الرصاص في وعاء يقع صفحه على ذراع يجذب أحد طرفي قالب الأسمنت إلى أعلى حتى يخرج الطرف الآخر ثابت . وبعد برهة انكسر قالب الأسمنت وفي الحال نسمع صوت ثقل الرصاص على يد حديدية وقفت فسقطت كرات الرصاص في الوعاء . فإذا وزن الوعاء ومحتوياته دل على عدد الأرطال للمكعب من هذا المخلوط فتحصل شداً قدره ٦٣٠ رطلاً »

وأثبت في جدول أمامه رقم القالب وقوة مقاومته فلاحظت أن القالب السادس قاوم مثل ذلك تماماً . بينما تشبع في احتمالات قد تضرب من نفس النوع وعلى نفس الآلة ثم تأخذ متوسط النتائج ، فلا يخفى عليك ما يعد الصانع من تأثير على متانة البناء بل يمكنك أن تلاحظ خلاف الصناعة من هذه العينات التي قام بها عامل واحد وهي مخلوطة من مادة واحدة . فأنت ترى أنها تختلف بين ٥٣٠ رطلاً و ٦٢٠ رطلاً ويرجع هذا الاختلاف إلى عناية بعض العمال ثم قلة عناية البعض في ضربها بحسب بطئه أو سرعته . ويشكي في البلاد التي تقوم بعمل العينات آلات حركاتها منتظمة تظهر النتائج للعينات الثابتة ثابتة

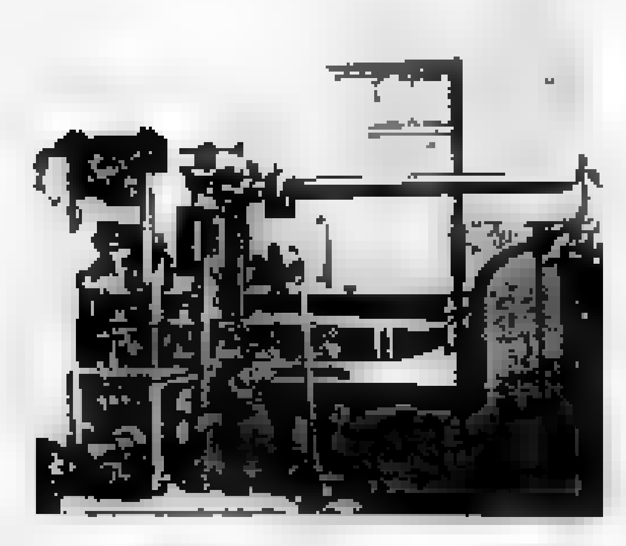

الدكتور محمد سعيد سليم وهو يجري بحثي قطع الرخام بين فكي آلة قياس الضغط

معمل الأمة والحكومة

ومصلحة الكيمياء في مقرها الجديد بشارع الملكة نازلي معمل أبحاث يختبر كل المواد من حيث مدى صلاحيتها للعمل ،

كما يقرر المواصفات التي يجب توفرها في تلك المواد حتى تكون متينة التركيب فتتحمل الاستعمال مدة طويلة . وكذلك يجب أن تكون رخيصة حرصاً على أموال الحكومة . ومن معمل القاهرة (وللمصلحة معامل أخرى في الإسكندرية) تخرج جميع مواد المناقصات ويوضع الحد الأدنى لقبول عينات المواد . فإذا أرادت إحدى المصالح أن تعلن عن مناقصة وضعت الشروط المطلوبة ثم تركت لمصلحة الكيمياء مهمة فحصها وقبول العطاءات التي يتوافر فيها الرخص والمتانة معاً . وبهذا للمصلحة يد في الرقابة على معمل الدولة وقريباً يصبح معمل الأمة أيضاً ، إذ أن التوسع الحديث في معاملها أتاح لموظفيها أن يجدوا ميدان عملهم يسمح للجمهور أن يطلب إلى المصلحة اختبار المواد التي يريدها بأجر زهيد

الأستاذ ... يختبر قطعة قماش ليعرف كمية الصوف الموجودة بها ... نسبة ٥٠٪ ... الصوف ومن المواد الأخرى

والعمل الأساسي لهذا المعمل هو اختبار المواد والتحقق في أي شكل من أشكالها وتعيين مدى صلاحيتها وتركيبها الكيميائي وهي بهذا تراقب بطريق غير مباشر شئون الحكومة مع مقاوليها في بناء عماراتها أو مورديها عند ما يبيعون للحكومة أو لإحدى مصالحها بعض المنتجات الصناعية أو الزراعية أو الكيميائية من أي صنف كان ؛ فعندما تطرح مناقصة لتوريد ... وبأعلى الوحدات التي تكلفها الحكومة ... تتولى المصلحة اختبار هذه المواد وتحديد نوعها ثم ... أحد العطاءات

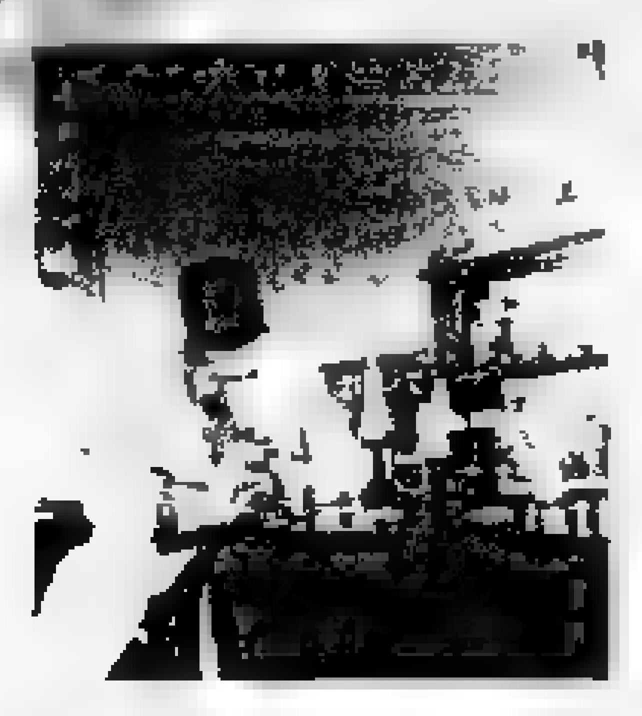

الأستاذ أمين ... يختبر ... بمساعدة ... داخل المعمل

فإذا بدأت الصفقة الثانية وورد المتعهد منتجاته من المصلحة أن تختبر تلك المواد الموردة لترى إذا كانت مطابقة للعينات الأولى أم دخل عليها تعديل أو غش . فإن الغش في المسائل الصناعية كثير وخطير ويعرض أموال الدولة وأرواح أفرادها للضياع

عدة معامل

ومصلحة الكيمياء ليست مجموعة من المكاتب يجلس فيها عدد من الموظفين بل هي عدة معامل يقوم فيها الإخصائيون بمختلف التجارب العلمية اللازمة لاختبار المواد التي نستعملها في حياتنا العادية . وتتكون المصلحة من ثمانية معامل أولها لاختبار مواد البناء من أحجار وملاط ؛ والثاني خاص بالمنسوجات على اختلاف أنواعها وفيه فرع لفحص متانة الورق ؛ وقسم ثالث لفحص الأصباغ وأنواعها ؛ واختص قسم رابع بفحص الزيوت النباتية والمواد التي تدخل فيه كصناعة الصابون والشمع والجليسرين . ويمتاز معمل المعادن

بما يحتويه من أفران ترتفع حرارتها إلى درجة عالية يمكن تصهر أي معدن. وهذه الأفران مصنوعة من مواد تمنع سريان الحرارة إلى خارج أجزاء المعمل حتى من استطاعتك أن تمشي إلى جوار الفرن دون أن تشعر بأن حرارته ٥٠ أو ٦٠ درجة مئوية. واختبار المعادن مسألة دقيقة تميز الجيد منها والرخيص ووسائل الغش فيها كثيرة.

وللمعمل فرعان: أحدهما خاص باختبار المواد السائلة كالخمور والعطور، والثاني خاص بالمواد الصلبة كالفحم. وهذا القسم [illegible] إلى معمل القاهرة حيث معمل الدخان الذي كان في الإسكندرية ويقوم بعمل الأبحاث اللازمة لفحص الدخان، سواء أكان [illegible]

[illegible]

بين [illegible]

ويمكن تلخيص عمليات الفحص التي تتبع في هذا المعمل بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي التحليل الكيميائي والميكروسكوبي والاختبار الطبيعي. ويكاد النوع الأول يسود جميع عمليات المعمل فهو أوسع عملية واحدة إذا استخدمت فيها أساليب الاختبار ورسمت للمواد الكيميائية. فإن الفحص الكيميائي يبين تركيب المواد فيستكشف ما فيها من مواد غريبة عنه. [illegible] قطعة قماش وقال إنها صوف فقد يمكن أن يعرف صحة [illegible] بأن يضع قطعة من هذا القماش في صودا درجة [illegible] ثم يغليها على النار فيذوب كل الصوف. فإذا كان القماش يحتوي أي مواد غريبة كالقطن مثلاً فإنها تبقى، وبعملية حسابية بسيطة يمكن أن تعرف كمية القطن الموجودة في القماش.

[illegible]

ويستعمل التحليل الميكروسكوبي عادة في فحص المنسوجات والأنسجة النباتية. فالفحص تحت المجهر يمكننا أن نعرف عدد خيوط في البوصة المربعة ويحدد الفاحص طول البوصة على القماش ثم يضعه تحت المجهر الذي أعد لتسهيل هذه العملية الدقيقة ويقوم حسابيًا بتصحيح عدد خيوط القماش [illegible] في البوصة سواء أكان ذلك في اللحمة أم في السدى.

وبالمجهر أيضًا يمكنك أن تعرف نوع النسيج إذا كان قطنيًا أو صوفيًا أو [illegible] بشكل فتلة [illegible]؛ فتلة القطن [illegible] فتلة النيل ملتوية إلى غير ذلك من الصفات التي درسها الإخصائيون وشاهدوها في اختباراتهم [illegible]

ويقاس مدى النفوذ في سائل بأنه ينكسر بزاوية خاصة تسمى معامل الانكسار ولذلك تختبر الزيوت بمراقبة معامل انكسار الضوء فيها فإذا حصل غش خاص قيست زواياه بطريقة خاصة تبين معامل انكساره وبالتالي توضح جودة الزيت أو رداءته

شد وشد ومتانته

وللتحضير الطبيعي عدة طرق يختبر بواسطتها قوة مقاومة المادة الطبيعية: ويكاد هذا النوع يسيطر على كل الاختبارات في معامل مصلحة الكيمياء. فمواد البناء مثلاً تتعرض في الطبيعة للشد والضغط والتماسك، ولذلك يجب أن تختبر من هذه النواحي الثلاث وهو. التماسك من العوامل المهمة في تقدير صلاحية مواد البناء. فالأسمنت مثلاً القياسي المقبول به في المصلحة يجب أن يبدأ تماسكه بعد نصف ساعة من بللـه وأن يتم بعد عشر ساعات ويحول الفنيون بين كمية الماء التي تخلط بالأسمنت لا يجوز أن تزيد على ٥٠٪ من حجم الخلوط وإلا ضعفت قوة مقاومة الأسمنت وسائر مواده فتترك الخلوط رملاً ورطباً فقط

وتتأثر الملابس بأشعة الشمس، ولذلك تختبر المصلحة تأثير هذه الأشعة على القماش فتعرض جزءاً منه مدة ٥ إلى ٧ أيام بما يماثل حالة الجو ثم نلاحظ ما يبدو عليها من تغيير. وتؤثر الرطوبة على المنسوجات فتقوى القماش وتزيد ثقله ولذلك تحفظ بعض المنسوجات في غرفة لها درجة حرارة ثابتة فلا اختبار عينات من القماش يجب أن تبقى العينة مدة في تلك الغرفة لتأخذ درجة رطوبتها ووزن القماش من الاختبارات المهمة فقد يكون عدد الغزل كبيراً ولكنها رديئة نسيجه ويعتبر القماش السمراء جيدة إذا كان وزن الياردة المربعة منها ١١٠ جرامات ومقاومة الشد في طولها أو عرضها ٣٥٠ رطلاً

ويعتبر زيت النفط (البترول) من أحسن أنواع الوقود ويكفي جرام واحد منه لإنتاج ١٠ آلاف كالوري والوحدة الحرارية هي رفع درجة حرارة جرام واحد درجة واحدة سنتيجراد. ويمكن غش النفط بإضافة الماء أو النفط الرديء إليه. ويمتاز البترول من الفحم الحجري بأن الأخير يترك رماداً. ولذلك يصح قسم الوقود أكثر كمية يمكن أن تتركها الرماد في الفحم وهي ٢٠٪ وهو يتأثر أيضاً بالرطوبة ولذلك يجب ألا تزيد نسبة رطوبته على ٢٠٪ وتختبر مواد الوقود بمعرفة القيم الحرارية الناتجة عن المادة.

ثلاث أنابيب

ويلاحظ الزائر لهذه المصلحة ثلاث أنابيب ملونة تمر في جميع الغرف تقريباً. فأما الأنبوبة البيضاء فهي خاصة بتوصيل الهواء المضغوط إلى أجزاء خاصة تحضر بها الغازات. فإذا أريد تنقية المكان من هذا الغاز لتحضير هذه الأنبوبة طردت الغازات الضارة وتستطيع هذه الأنبوبة أيضاً أن تقدم لمن يشاء هواء نقياً

الأنبوبة الحمراء خاصة بغاز الاستصباح الذي يشتعل في التجارب المختلفة وقد صبغ من اللون الأحمر ليكون إنذاراً ظاهراً على أنها أنبوبة خطرة. والأنبوبة الثالثة خضراء وهي خاصة بالماء. ويسيطر على هذه الأنابيب عدة محابس كما أن استعمال أنبوبتي الهواء أو الغاز يساعد على نقلها من مصانع أخرى إلى حوارها

وللمصلحة مكتبة كبيرة نظمت على أحدث طراز يضم أجل أسهل الوسائل لتبسيط إجراءات البحث عن المراجع المطلوبة ويسرها. وقد استعمل لذلك نظام الكتب على أحدث طريقة أمريكية، فرتبت فهارس الكتب في لوحات طويلة من الحديد مما يسهل على الباحث العثور على كتابه بسرعة. والجلات هي أكثر المهمات الموجودة في المكتبة لأن العلم سريع التجدد والتغير ولذلك كان الاطلاع على المجلات العلمية الحديثة خيراً من الكتب للباحث العلمي

فوزي عبد الشكور

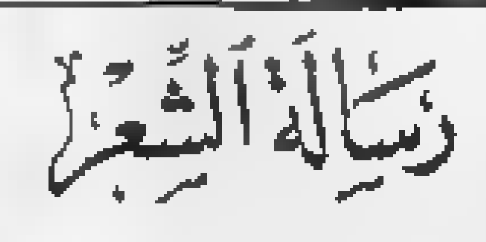

الشاطئ الخالي

للأستاذ خليل شيبوب

الشاطئ اليوم خالٍ لا خليل به — إلا بقايا من الأشباح تمتحق

أين الأُلى سرحوا فيه بأنفسهم — سرعان ما انصرفوا عنه وما افترقوا

كانوا حمائم طير جد حائمة — حيناً وتسكنهم في الغصن ما اتفقوا

لم يصحبوه هوائم مثلما صحبت — مس الحيّ ورشاش الماء متسق

أحببته لهمُ حتى إذا ارتحلوا — عنه بدا لي إليه الآن أطلق

مستوحش الرمل فيه اليوم وانتثرت — فيه الصخور عليها الموج يندفق

وطالما كان من أنس ومن دعة — إليه مد رمال عنه الطفل والزرق

العين آمنة في ظله ترنو — من التسارع تبدو ثم تنطلق

والصخر يصفق إلى الأمواج تنشده

لحن الطبيعة فيه الحب منبثق

مثله مستعر سلاسل المتصحبة — صارماً تلقى عليه ومسترق

والأمس عنه أستار وأغطية — حمراء ماج عليها ثوبه اليقق

تصر من فلق الكبرى بسمه

شمس الأصيل بها الأكوان تأتلق

كأنما الزمن لف رب ناعسها — ساكباً منه الأرواح من خشع

* * *

حلم سعى إليه واغترف به — من كل ساحة معنى وتعرف

ورد هواك رسم ليس يبصره

سواي والسكون حولي صامت أرق

كأني عابد جاثٍ على صنم

أسعى بين الصارع الحب والطرق

أنى تحدثني عن ماضيك هنا

هدي البحار وهدي الشمس والأفق

ومن جبينك موجوعاً تضيء به — منارة الحسن موجوداً بها الفلق

أراك في صبوات القلب ساعة — يعج حولك بحر الحب والشبق

في واضح من هوى النور منسكب — حتى تسجيه ... عنه

عطرة يمتد المساء عنه

عن الرجاء الذي في النفس مصطفق

... ساعة ... — وفي يدي ... ها هي

عن ساعة ونحن بالسعد رحمة — أم عهد ... نور هالة الغسق

صرت أشكو هذا السعد فلقني — حتى ... عن الصخر الغلق

إلى الآفاق ... — ... والصخر ...

لم يبق من ... سوى رمق

ينضح منها وفي ... الرمق

عليك لم أكن حباً ... — ... منها ...

* * *

يا أيها الشاطئ الخالي ... — ولا أطاف به التكدير والرهق

أراك مني أول من عرفت به — تجري عليه عالماً تنطلق

كم اجتبته الورى مال ومظلم — وكم عنت أن الناس ما خلقوا

إلى مطلع ... وصحت بها — إلى مساء حياتي ... سبق

أرى الظلام بما فيه ... — وفي الظلام يطول الهم والأرق

وشاطئ النفس مهجور ... اطمست

معالم الأنس فيه وامحى الأفق

والحب بحر ... في رحمة بادا — وراء ذاك السماء التيه والغرق

يا أيها الشاطئ الخالي هنا وقفت — بي الحياة على آثار من سبقوا

ما لو عيرك لي من أسمع ... — وليس غيري مطلٍ فيك يختنق

عصفت بالود مرتاحاً تجري معه — فإنني بك ... موج ... رمق

(الإسكندرية) — خليل شيبوب

النسمات …

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

حدّثيني يا نسمةَ الأصيلْ ما الذي نقلتِ من الزهر العطورْ ؟
قد تكسّر الماء [illegible] وانثنت الزوارق العذارى للغروبْ
جرى الموج على الشاطئ من فرط الهوى
وسادى الزورقُ الشبّانُ حباً والتوى

* * *

وتمرين [illegible] الأزهار [illegible] فتضحك [illegible]
ولثمت كم ثغر [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في سكون ووداعةْ
مثل طفل [illegible] بين أحلام الرضاعةْ
[illegible] كالعدو في الروض الأزهر
[illegible]
[illegible]
[illegible]

* * *

حدّثيني حدّثيني يا نسمةَ الأصيلْ
ما الذي [illegible] من الزهر [illegible]
هل [illegible] الزهر [illegible] كل [illegible]
[illegible]
[illegible] أعرابيك ؟ ماذا
[illegible] من كلّ هذا ؟

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

حدّثيني [illegible]
ما الذي بالشط هاجتك النسائم
منك ؟ ها [illegible] وسنانة [illegible]
حدّثيني [illegible] حدّثيني إني وحيد
لم أصل [illegible] ومن منّا ينال ؟!
كلّ ما في الحب أحلام خيال

حسن كامل الصيرفي

على الشاطئ

للأستاذ مصطفى علي عبد الرحمن

يا حبيبي أنا في الشعر غريب [illegible] الأنام [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وأنا في دوحة الحب أغني أسرق الألحان من سحر العيون
بين [illegible] وتمني آه قد طال إلى الماضي حنيني

* * *

يا حبيبي ها هنا فوق الرمال [illegible] الناظرين
[illegible] الجمال [illegible]
بيد أني لم أجد فيه لقيتي
في معاني الحسن من معنى حبيبي
طالما أنت غريب الدار عني
فأنا الظامئ في نهر جديد
أتمنى لك [illegible] في [illegible]
وأمنّي النفس بالماضي يعود أترى تهفو لنا أيامه ؟

« الإسكندرية » مصطفى علي عبد الرحمن

دراسات في الفن

هي مرة واحدة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لي صديق تحطم له تمثال عزيز عليه، فأردت أن أواسيه فقلت له: ألا تستطيع أن تصنع غيره؟ فقال لي: قد أوفق إلى ما هو خير منه، ولكني لن أوفق إليه هو.

وحدثت بذلك صديقاً لي آخر شاعراً فقال لي: إني مثل صاحبك لو فقدت قصيدة عجزت عن إعادة إرسالها. فاستطلعت الرأي عند شاعر لنا فنان فنصحني بالخروج منها لأنها مسألة مبرمة. فأعجبت ثم نسيتها ولم أذكرها في عدد إلا حين وكلت على الله لأحد قراء الرسالة حديث هذا الأسبوع. فقد ردتني إليها من جديد وهي تسألني: أي وجب عرضها المسيئة التي وقع منه التمثال فانكسر؟

فاعترف أنني عن الخروج عنه بصديقي الشاعر مهدي علام حسني وعلى شفتيه السخرية بسمة أعرفها وأستطيع من قصصها روحي التي تستجيب إلى ضحكاته رائحاً وحدثاً. قال لي: كتبت بالأمس شوالي فاستحققني وحسنه ذات بهجة ما طلق لساني شعر طربت له بالأمس كل الطرب ولكني لم أسجله، ولما أصبحت وأردت أن أستعيده لم أسترجع منه إلا أشباحاً فكيف السبيل إليه؟ أو أنت لا تزال حائراً مع صديقك النحات لا تعرف مقام تمثاله!

وصديقاي الشاعر والنحات عزيزان علي فمرة كل منهما لا أقل من الترحيب أستقبل به مسألتهما هذه حتى تجري الفنانين جميعاً، ولا ريب أن استعراضها وتحقيقها سيظهران لنا بعض ما يجب أن تقف عليه من أسرار الفن وما يتصل بخلقه في نفوس الفنانين.

ولنبدأ إذن بتحديد هذه المسألة حتى لا نتيه عنها كما نتيه حيناً في ملاحقة هذا الفن وتتبع الفكرة أو ورها بعضها على بعض والتي قد يضل من يخوض خلالها، ولكنه على أي حال الضلال المأمون العقبى.

مسألتنا هي: هل يمكن إنتاج القطعة الفنية نفسها مرتين؟

ويمكن تقريب هذه المسألة من أذهان القاعدين منها، والذين يستشرفونها طرحها في نفسه، ولكن من ناحية بيته لا يعسر فهمها على ذهن من الأذهان فنقول: هل تستطيع المرأة أن تلد طفلها نفسه مرتين؟؟ وسيخرج المسرع حتى يرد على مسألتنا هذا القلب، وسيستطيع وحده منهم إذا أعانه الله أن يجد له الذي اقتنع لتسعر منه الدهشة صراخه من صدره، وسيفتح له بعد ذلك ليسيل منه سؤال من دلالة يستحرجون فيعرف ما الولادة والفن؟ وما أطيب عندنا من رد خلفه إلى ذلك بأن الإنتاج الفني ليس شيئاً غير النسل الروحي كما أن الولادة نسل حيواني. وكما أن الولادة لا تكون إلا باتحاد عنصري الجنس المتضادين وهما الذكر والأنثى، فإن الإنتاج الفني لا يكون إلا باتحاد عنصري الحس الفني وهما نفس الفنان والحياة حسب. وكما أن الولادة لا تحدث إلا بعد وجود الجنين في بطن أمه، فإن الإنتاج الفني لا يحدث إلا بعد وجود الجنين الفني في نفس الفنان، وكما أن الولادة إذا حدثت قبل أن يكتمل تخلق الجنين في بطن أمه لم يكن إلا إجهاضاً، ولم يكن المولود إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً، فإن الإنتاج الفني إذا حدث قبل أن يكتمل تخلق الجنين الفني في نفس الفنان لم يكن إلا إجهاضاً، ولم يكن الفن إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً. وكما أن الطفل

بعد ولادته قد يعيش وينمو برغبة أمه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت نسله بعد قليل أو كثير ، فإن الفن قد يحيا وينمو برغبة صاحبه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت نسيجه بعد قليل أو كثير . وكما أن الوالد إذا عاد ورجع يحب هو أيضاً مواليد ومواليد ، بينما يحب حفدة في أبنائه وأحفاده ، فإن الفن إذا عاد وترعرع يحب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد في أبنائه وأحفاده . وكما أن هناك أمراضاً تناسلية تصيب الأجنة وتظهر في المواليد ، فإن هناك أمراضاً روحية تصيب الفنون وتنفث فيها السموم ؛ وكما أن هناك أمهات يجتنبن الحمل بعلي لأزواجهن أبناء غيرهم ، فإن هناك نفوساً خبيثة تحمل بدل ثمر الروح ومواهبه ، فتنسب للفن ما ليس من الفن وما يصرح الفن بإنكاره صراحاً له آذان سميعة . وكما أن في الأمهات متواضعات ، فهي أمة تنجب ولداً من كل أب ، ويشكل كل ولد من أولادها شبهه ، فإن من الفنانين من يتقلبون بين الأحاسيس والفكر فيتشكل إنتاجهم ويتلون . وكما أن في الأمهات قنوعة وقناعة بالتجربة الواحدة ، فالأفراد نسلها ملامح ثمرة متشابهة ، فإن من الفنانين من يحصر إنتاجهم إلى ناحية واحدة يقصرون عليها أرواحهم ، فيجيء إنتاجهم طابع هذه الناحية وملامحه الثمرة المتشابهة . وكما أنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن أنجبت عذراء وليداً ملهماً ، فكان نبياً ولم يمت كما يموت الناس وإنما رفع ؛ فإنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن أنزل من ... فكان ... وخلد . وعلى أن هذه الظواهر جميعاً قد كانت ومازالت في ... الإنتاج الفني ، فإنها لا بد أن تتشابه وتتحد فيها من حيث أنها لا يمكن أن تحدث في كل مرة إلا مرة واحدة

وسكت نجمي بعد أن قال هذا كله ، وانتظر في سكتنا أن نرى شيئاً من علائم الفهم يبدو على وجه صاحب المعترض فلقاه يسمع إليه في صمت كما كان صامتاً إليه أثناء كلامنا فلا نستطيع أن نقول عنه إلا بأنه يفهم من الصمت ما يفهمه من الكلام

ولما كنا مؤمنين بأنه يمتنع عليه فهم الصمت امتناعاً لوجوه كما يقول النحاة ... من غير ... بعض من كلامنا شيئاً أضرع إلى الله ... مستعجل إذن كله ... علينا الرجاء من جديد وتساءلت : ما رأيك يا مولاي فيما كنا نقول ؟ هل عرفنا « ... مرحتنا » بسألنا : منذا كنتم تقولون ؟

سمعتنا عليك وعلى أسمعنا الله ... أجمع ... ؟

— نعم

— ومن حضرتك ؟

— الكتابة

— ... هل لنا الآن ما الذي يحدث لك قبل أن تكتب ؟ ألا تشعر بأعراض الحمل والوضع ؟

— ما ... جرى لعقولكم ؟ إنكم تعجبون

— ... لا نستطيع أن نشكره ، وإن كنت لا تستطيع أن ... ، فهو على أي حال أمر يمكننا الآن تقدير ما ... هذه الأعراض التي تحالفك منها والتي ... إنا كنت تشعر بها قبل أن تحدث ... إنتاجك الفني ، أو أنك تجده هكذا ، فهو إما أن يكون وحياً ، أو لا يكون فناً على الإطلاق

— أنا لا أشعر بأعراض ، ولا يمكن أن تكون للكتابة أعراض إلا إذا كانت مرضاً

— كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يرتجف ويتصبب عرقه ويغيب . فكانت هذه هي أعراض الوحي . الارتجاف وتصبب العرق علامتان جسمانيتان ، والغيبة أو ... الانشغال علامة روحية ، وقد كان في هذه الأعراض من العنف وهذه الشدة ما يناسب الإعجاز الذي هو القرآن ، ويشكل من بعد ذلك ما يناسب قدره من الأعراض ، فكم مرة ... حضرتك قبل أن تكتب وكم تصبب عرقاً ، وكم تغيب عن هذه الدنيا ؟

— لم يحدث شيئاً من هذا لا يحدث لي

— إذن فأنت لست فناناً ، فالفنانون يحدث لهم هذا كلهم الكاتب ، والشاعر ، والموسيقي ، والرسام ، والنحات ، والممثل حين يرسم ... ، ويمثل ملامحه . فالكاتب ، إن رضيناه مثلاً ... وهو ... مشهود الفضل كثيرون من الفنانين يرى في الحياة ما يؤذيه ... فإنما يحدث انفعالاً نفسياً حاداً ، فإذا توالى عليه حدوث هذه الانفعالات النفسية ... ما يسميه علماء النفس بالوجدان ، وهم يعرفونه بأنه استعداد ... اللذة أو بالألم لما يحدث في النفس من الشعور ، فإذا تجمعت عنده ... حول ... نفسي واحد ... وجداني واحد يكون واحد قد ...

في النفس حجة تحط بها النفس ، ولا شك أن هذه العاطفة تنمو في النفس وتموج حتى لا يعود حبسها ميسوراً فتنفجر إما فناً منسقاً ، وإما هوساً روحياً لا نظام فيه وإن كان فيه كل ما في الفن أو ما يزيد على الفن بلاغة في التعبير ... فصول الألم وبطون التي كتبها كتاب الأرض جميعاً تحني الرأس أمام أي دمعة صادقة خشوعاً وإجلالاً ... فهل كنت يوماً ، أستاذ ما كان بعض دموعك ؟.

وماذا يصنع الموسيقي ؟

— ما يصنعه الأديب ، وكل ما بينه وبين الأديب من فرق أن الأديب يعبر عن نفسه بالكلام ، والموسيقي يعبر عن نفسه بالنغم ، ولذلك سمعت أنه كان الشاعر من شعراء الماضي راويه

— نعم ... وأحسب الشعراء كانوا يختارون رواتهم عن صوت حافظيهم

— كلا ... وإنما كان الأمر على العكس من ذلك ، فقد كان الرواة هم الذين يختارون شعراءهم ، فالرواة لهم من الاستعداد الفني حظ كبير ، وهم هواة موهوبون ... لعل الواحد منهم كان يعين شاعره على الحياة ... ولقد كان الواحد منهم يشتري صاحبه ويؤدبها وما معها ويبرمه ويقاسمه كل شيء إلا أن يضمن منه يسمعه الصفاء التي يصحب به الرأس ... وهو من شدة فتنته وحبه لصاحبه يحفظ عنه ما يعرف لا يدفعه إلى ذلك إلا حرصه على هذا الكنز وخشية أن يضيع أو يبدد ... وقد كان يمر الوقت الطويل أو القصير فينسى الشاعر شعره ويعجز عن إعادته ... أما الراوية فقد كرره وعيده كلما أراد إعادته ، فهو من الشاعر كالحارس ، ومن الشعر كالمربي بصوته وبدله ... ولعلك سمعت أن من المغنين من كان له أيضاً رواية ، فكان المغني يطلق ما يختلج في نفسه من الأحاسيس غناء لا يعبأ بأنغامه ، ولا يرتب ألحانه ، وإنما هو ينفث الزاجر في نفسه من العواطف ، وكان الراوية تلتقطه منه هنا وهناك ويرصفه في نفسه ويشبه شيئاً ، فإذا فرغ الفن بعد ذلك إلى المغني وجده عند روايته ولم يجده عند نفسه ، ذلك أن الفن آية لا تسمو إلا مع الوجد ، التي صدرت لم يكن بد لترجيعها من موجد ... وإلا كانت في حرارة الذكرى ولم تكن في استمرار الحارة

(*) يعني جانب التنكر على المغنين . — هشام ماسيهم

— ... أتذكر هذا ولا أستطيعه ولكني أحفظ الفن للرسل سكانه النساء على مكان الفن العذب ، وأرى لا أستطيع أن أحصي من غير هذا الفن الحزين فقد يكون مبعثه ... والفنون ما في قصة الحلم من التعقيد والسعة ... ومهما يكن الأمر فإن هذا خرج من يحشاه ، ومن الخير لنا أن نعود إلى ما كنا فيه ... فهل هناك شيء تريد أن تستوضحه ؟

إنك قلت إن الفن يحاول أن يخرج من أن يكون في حس الفنان تعليمه لم يكن إلا ... فماذا تقصد بها ؟

— لا ريب أنك قرأت لكتاب عصريين إليك فصولاً أنكرها عليهم ... هذه الفصول كتبوها وهم كارهون لأنهم لم يكونوا استكملوها في نفوسهم ولكنهم لأسباب يجهلونها أخرجوها فكان هذا منهم إجهاضاً ، وكذلك الأمر مع الشعراء والموسيقيين والمغنين والرسامين وغيرهم من أصحاب الفنون

— هذا حسن . وكيف تكون الفنون بعد ذلك ؟

هذه الفنون ... هي لا أحسبها ... ، وهي تعيش ما بين النفوس والأرواح تتزاوج وتتعانق ، منذ طالب من روح زاوجها وكان من نسلهما بعد ذلك فن وفنون حديثان في كل منهما ملامح من الفن القديم وملامح من النفس الأولى ألم تسمع بالمدارس الفنية والمذاهب الفنية يا أخي ؟ ... هذه هي ولكنا نقول عنها أسر وعائل وشعوب

— بالسلام ... وما هي هذه الأمراض الروحية التي تتعرض بالفنون وتصيب منها السموم ؟

— الروح أمراض كثيرة كما أن للبدن أمراضاً كثيرة وأقسى أمراض الروح وأشدها فتكاً والعياذ بالله المرض الأصم .

— وهل تصاب الأرواح بالكوليرا أيضاً كالأجسام ؟

— وما من فرق غير أن كوليرا الروح معنوية لا يعرفها الأطباء

— وكيف عرفت أنت وكيف عرفت أنه ؟

لست أدري ، ولكن ساعات حسبي يوماً في ... حكمه الله في الصحراء تجري بها الموت والتعب وما بينهما من الخبث والشر . ألم تر صحراء التعب ؟ أولم تر صحراء الموت ؟ أولم تر مسكيناً معها

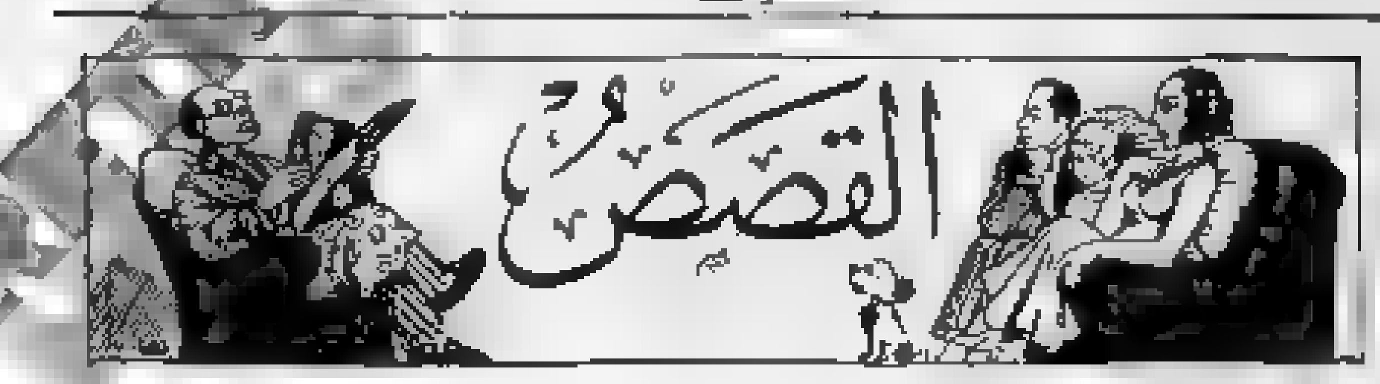

من الأدب الدنمركي

ورقـــة من السماء

للقصصي الدانمركي أندرسن

بقلم السيد عارف قيامة

في أوج السماء الرفيع، في الهواء النقي الخفي، طار ملاك وهو يحمل زهرة من رياض الفردوس. ولما قبّلها أسقط ورقة منها على الثرى وسط الفلاة، فما لبثت أن أنبتت جذوراً، ونمت وترعرعت بين الحشائش الأخرى. ولكن أنواع النبات لم تشأ أن تعترف بأنها واحدة منها، فكانت تقول: «ما أغرب هذه الغرسة!»

وكان الحسك والقراص أول من رفض تعرف الغرسة،

وبع في حينه السخر كأن الحسك يقول باحتقار: «من أي أرض هذا...؟ هذه بذرة شتلة من البقول إن لم أصبح منها عوداً أمس اللائق ذلك؟ وهل يدور في خلدها أنا سنضعها حتى تخرب نفسها سواء...؟»

وجاء الشتاء، وغمر الثلج هذه البسيطة، وغطى الغرس السماوي على الثلج سماء دافئاً، ورواء لامعاً، كأن شعاعاً راقصاً من الشمس وقع تحت حواشيه، فأظهرها بعض من لألائه.

ورأى الربيع الضحوك، وحل الغرس زهرة ما رأت العين أنصع منها بهجة، ولا أبرع لوناً.

وسمع عنها أستاذ علم النبات الملتمس في البلاد، فخف إليها وشهادته قرينة تشهد بسعة العلم وسلامة الرأي وسعة المعرفة، وتأمل الغرس بإمعان، وحلله وذاق من أوراقه، ثم بكى بشبه ما أبصره هنا من أعاشيب! وما كان في مقدوره أن يرده إلى صنفه أو نوعه، ثم بدا له أخيراً أن قال: «هو غرس عجيب، هو نبات غريب، ذلك لا يطرد على قاعدة، ولا يجري على قياس» وردد الحسك والقراص «ذلك لا يطرد على قاعدة، ولا يجري على قياس». ورأت الأشجار الضخمة الباسقة وسمعت ما كان، غير أنها لم تنبس بخير ولا شر، وذلك دين الحكمة حين تربو الغباوة على الأذهان.

* * ودلفت إلى الفلاة فتاة صغيرة، ... طاهرة الذيل، نقية الفؤاد، عامرة القلب بالإيمان، لا تملك من دنياها غير إنجيل عتيق يخيل إليها أن الله يحدثها من خلاله... على هذه شرور الناس، ودسهم الساخر، ولكنها عرفت أيضاً أن عليها — حين تلقى جورهم وظلمهم، وتقاسي سخطهم وسخريتهم — أن تذكر يسوع الطاهر، وأن تكون لنفسها أسوة حسنة، وأن تردد معه قوله: «اللهم اغفر لهم، فإنهم لا يعلمون ما يصنعون»

ووقفت الفتاة أمام الغرس العجيب، وقد كانت زهرته ستنفتح

عداها سامياً بصفر وهو يغش الناس ويكذب عليهم؟ أتريد أن أعلمك يوماً أن تجمع بين كل صخرة وصخرة من هذه... واسطة!

— ... أنا ... أريد أن تحول إليه بعض الشابين لتناسبهم ... فتتناسب فنونهم الرائعة

— ... أتريد حتى الأسورة بصح لك!

— شكراً ... أستطيع بعد ذلك أن أجري في الموازنة بين الفن وهو الخالق الروحي كما قلت، وبين الناس وهم المحترفون الصنعة، على هذا القياس الذي وضعته لي

— وحسبك بعد ذلك ستقول معي إن الفن لا يمكن إنتاجه إلا مرة واحدة

وعدت إلى صديقيّ النحات والشاعر وقلت لهما: يا صاحبيّ اطلبا العوض من الله فأنتما عاجزان عن استرجاع ما ضيعتما، فلا أنت عبد خيالك ولا أنت سيد مصيدتك

محمد أحمد السحيمي

الهواء بأريج عذب قوي يرفرف في الأرواح، وتحس في الشمس كطاقة من النيران المتأججة

وعندما دفع النسيم أوراق زهرة في أعشابها ... طويه، وأمام صخوره

وظلت الفتاة في نشوة من اللذة، وغمرة من الشعور البهيج أمام هذه الأعجوبة ... ومالت برأسها نحو الفرس ... احتضنته في ... وعشق أنغامه العذبة العطرة

وتموت يداها بطيئاً ... وأخذها ... الملكة الإلهية ... وعصب يديها، وقطف الزهرة، وفؤادها ... بالسرور. ولكنها فكرت ... في ذلك بعض الشيء، وأن ... زهرة ... ، وحالها ... فلم تأخذ ... وريعه حمراء ... وضعها بين إصبعيها، حيث ... ، بدت الأصابع

وتعلقت الأصابع، ووضع الإنجيل والزهرة تحت رأس الفتاة في تابوتها

واستراحت الفتاة فيه بسكون، وفي ... عنقها البديع الوديع ... خلاصها من العالم الأرضي، ودموعٌ من ...

وفي أثناء ذلك ... الفرس ... ، والمسامير ... تحني أمامه بحنة واحترام

... والفرائس ... جيداً ... الأجنبي ... وهل يجرون ... يسمعون ... ويرجعون ... أوجههم؟ ... لا ... ... الذي ...

حتى ... الفتاة ... ، ... أمام الفرس الساقط من أوج ال...

... وهو ... الموسيقى ... ، ... وكذلك الفرس الوسيم ... وقال في نفسه: «... لا ... الطعم»

وكان ... البلاد تمشي ... كما ... ، ... ، وسيد ... فانطلق ... ، ... آلات الباقرة ... ، ثم آثار ... وما أجدى ذلك ولا ... عليه بطائل

... ! ... أحكم من ... ، فأحب أن تجد وسيلة لشفاء الملك وتنفيس كربه ؟ ولكن

لن ... ، ... في ... من ... يرقص أوصاله ... ، ... الفرس الذي ... الاطلاع ...

وقال الراعي في نفسه: لقد ... ولم ... عند ... ولم يبق منه ... ، وإلى متى يعود ... »

... الراعي ... ، ... من أن ... عما ... ، واختفى الفرس ... ولم يبق ... غير ورقة ... رأس الفتاة الراقدة في قبرها، ولكن أحداً لا يعلم بذلك

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة ليتحقق من زوال الفرس، وقال: «... الفرس، ... المكان منذ الآن»

وأحاط المكان بسياج من الذهب، ووضع حراساً عليه

وكتب أستاذ ... الغابة من ... الفرس الإلهي بحثاً مطولاً بين فيه كل ما ... ، ... الذهب كل صفحة من صفحات ... ولكن ... ، ... ولم يجد ... ، والحراس ... كل ... الأيام ... في الغابة

فارس ...

من هنا ومن هناك

الثائر العربي فوزي القاوقجي

[عن مجلة « ڤو VU » الفرنسية]

نشرت مجلة (ڤو VU) الباريسية عدة فصول ممتعة عن ملوك العرب والرجال الذين يوجهون الحركة العربية في هذه الأيام. وقد قدمت لهذه الفصول بكلمة قالت فيها: إن هذه الحركة ذات الأثر الفعال في مركز الإمبراطورية البريطانية يقودها ستة أشخاص كل منهم يعد نفسه أولى بالملك والزعامة في بلاد العرب. وقد نقلنا في أعداد سابقة ما كتبته عن الملك ابن السعود بعنوان (نابليون العرب) وما كتبته عن الأمير عبد الله بعنوان (هل يظفر الأمير عبد الله بعرش فلسطين؟!) واليوم ننقل منها كلمة عن الثائر العربي فوزي القاوقجي حتى تكون لدى القارئ فكرة واضحة عن هؤلاء الرجال الذين يتطلع إليهم العالم كلما ذكرت المشكلة العربية.

ليس في فلسطين من يجهل اسم فوزي القاوقجي. فهذا الرجل الذي تروى عنه القصص والأخبار العجيبة يعرفه كل عربي وكل يهودي، بل وكل بريطاني يمشي على أرض فلسطين، بأنه ذلك البطل الوطني والثائر العربي الذي يخشى بأسه في تلك البلاد.

وتدل الأخبار المستقاة من قسم المخابرات البريطانية على أن فوزي القاوقجي يقود جيشاً يتراوح عدده من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل. وهذا الجيش يجوب مواصلات الصحاري والجبال في فلسطين، ويقطع الطريق على من تحدثه نفسه بمقاومته.

ويعد أتباع هذا القائد من أشجع الرجال وأصبرهم على تحمل المشقات، وهم يستبسلون في مقاومة خصومهم الجنود. ويدوم القاوقجي يشعل في نفوسهم نيران الحقد، ويتجنب كل مواجهة مع القوى البريطانية من شأنها أن تؤدي إلى هزيمة.

وقد سيطرت على جماعته عقيدة بأن القوة التي يوجهها في فلسطين سيكون لها أثر في يوم من الأيام في رفع شأن الأمة العربية، أن يجيد فن الحرب، ولذلك لا تطاوعه نفسه في استباق الحوادث والمخاطرة بالظروف التي هي في انتظاره يوماً من الأيام.

ويعد القاوقجي مسئولاً عن إثارة حرب العصابات في فلسطين، ويتساءل هؤلاء البدو الذين يعودون في ظلام الليل إلى القرى، ويختفون كالأشباح عند ظهور الفجر تاركين وراءهم المنازل مشتعلة النيران والأراضي الخربة، والجثث المضرجة بالدماء. وتعد هذه الظاهرة الرهيبة شاهداً صامتاً على أن القاوقجي ورجاله قد عرفوا سر هذه الخطة في السياسة.

والقاوقجي رجل متوسط القامة عريض الأكتاف ملتف الساعدين جميل الصورة في كوفيته البيضاء والعقال الذي يضعه على رأسه هو زينته، ولكن الملابس الإفرنجية قد تغير من مظهره وتعطيه صورة أخرى.

ولقد قضى القاوقجي أيام شبابه في سوريا، وأرسل منها إلى القسطنطينية ليتدرب على الأعمال العسكرية بها. ولقد كان نشاطه وأعماله الحربية في أيام الحرب العالمية من الأعاجيب. ويقال إنه كان يعد ضابطاً في الجيش التركي. ويقال كذلك إنه انضم إلى الحلفاء وحارب مع الكولونيل لورنس. وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير صحيح، فمما لا شك فيه أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان زعيم ثورة في تلك البلاد. وقد قبض عليه الفرنسيون ووضعوه في سجن جبل الدروز وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام، ولكنه فر هارباً قبل التنفيذ بساعات معدودات.

والقاوقجي يؤلف قوة منظمة تحتل الجهة الشمالية من فلسطين. وهو يعتقد كما يعتقد كل عربي في الشرق والغرب أنه وحده من دون ملوك العرب وأمرائهم وشيوخهم حق البطل، ونصبه على أن يكون الحاكم الأعظم للعرب في المملكة لفلسطين

هتلر ونابليون

[عن [illegible]]

في هتلر بعض مظاهر وصفات تدعو إلى المقارنة بينه وبين نابليون. ولكن هل تصح المقارنة بين هتلر ونابليون؟

لقد كانت مواهب ذلك القائد الكورسيكي وانتصاراته الحربية جديرة بأن ترفعه إلى حيث تسود الأمة الفرنسية. ولم يظهر هتلر شيئاً من مواهبه الحربية إذا كانت له مواهب في هذا الشأن، وهو ولا شك سيكون القائد المسئول في ألمانيا إذا نشبت نيران الحرب.

إن هذا الرجل الذي يتظاهر أمام العالم بمسحة القوة، لم يظهر كفاية حربية من أي نوع في أيام الحرب العظمى التي يختص بها الرجال. وكل ما هنالك أنه رقي فيها إلى رتبة جاويش.

إن مواهب هتلر ولا شك تظهر في كثير من الشئون الاجتماعية والمدنية. ويزعم الألمان أنه خطيب لا يشق له غبار، وأن لديه مقدرة عظيمة على استهواء الجماهير، وإن كان غيرهم لا يعيرون تلك الخطب التي يعدو بها صرخات العصبية الرخيصة وهو يتكلم عن مساوئ السلم أو يتعرض للاشتراكية أو اليهود.

لم يكن نابليون فرنسياً خالصاً، وهو ولا شك من عنصر أقوى سلالة من العنصر الإيطالي، إلا أنه ظل لاتينياً طول حياته. لقد كان سريعاً نحو غايته طموحاً مغروراً على الحروب، متطلعاً إلى أبعد حد، ميالاً إلى الانقلاب عصبياً في بعض الظروف، ولكنه على الرغم من ذلك كان مسلحاً بجموع هائلة من الصبر وضبط النفس عند الملمات. فهل يوجد فرق أكثر من هذا بينه وبين ذلك الرجل المفتون بطبيعته، الذي يتولى زمام الأمور في ألمانيا؟ وشتان بين حياة العزلة والانفراد على القمم و[illegible] المعجب بمسألة السلم والسلاح وحياة الفروسية — وبين تلك الحياة التي أخرجت نابليون العظيم، وقادت الجيوش المنتصرة في شتى الميادين، ولم يثنها كل ذلك عن [illegible] والمرح في أخطر الظروف.

إننا لا نجد وسيلة للمقارنة بين تلك الشخصيتين المتناقضتين إلا في شيء واحد، وهو استعمال القسوة التي تتغلب [illegible] على كل مسألة يسعى إلى مساواة العام. لقد نجح هتلر في تشكيل [illegible] وأخضعها لسلطان رأيه، وذلك يذكرنا بما صنعه نابليون في أسبانيا ولكن أسبانيا قد عاشت بعد نابليون.

على أن نابليون أزعج العالم بمحاولته التوسع في الامتلاك ولكنه وقف عند حد. وهذه نتيجة تنتظر كل من تحدثه نفسه بمثل ذلك العمل. لقد كانت جميع الأمم تنظر إلى نابليون بعين الاحترام وهو إمبراطور لفرنسا، إلا أنه حينما أراد أن يضع يده على الأراضي الأوربية اتحدت أوربا بجميع قواها سيلاً عنيفاً واستطاعت أن تقهر أكبر جندي في العالم وأعظم جندي عرفه التاريخ. ومر الأيام تحدثنا بأن كل من تحدثه نفسه بأن يلعب دور نابليون لا بد أن يلاقي في النهاية حظ نابليون.

هل عرفت [illegible] الشمس [illegible] العالم منذ ألفي سنة

[عن مجلة [illegible] التي تصدر في برلين]

كان الإغريق والرومان يقدسونها ويضعونها في أوساطها منذ [illegible] قبل الميلاد، وقد تقدموا في فن القذائف والقنابل، فأصبحت تصل إلى مئات الأمتار، واخترع أرخميدس آلة لرمي النبال تستطيع أن تدور مستمرة حتى [illegible].

واستطاع البيزنطيون أن يخترعوا طريقة لقذف النار، ولم يكن البارود قد اخترع بعد، ولكنهم استطاعوا أن يسخروا القوى والآلات الموجودة في ذلك العهد لهذا الغرض، وقد صنع قدماء الإغريق والرومان كل ما صنعوه في آلات حربية، إلا أن الساعة التي هي من مميزات هذا العصر لم تكن معروفة في تلك العهود. ولم يكن [illegible] الوقت من ذهب، ولم يكن عندهم عمال ومصانع كما هو معهود الآن.

وإذا كان القدماء لم يعرفوا الساعة كما نعرفها الآن فإنه كان لهم الإدراك الكافي لتقدير الوقت، ومع ذلك فقد استعمل قدماء المصريين ساعة الرمل والماء، وكان الأطباء يستعملونها عند

جس الرسغ ليعدوا دقات القلب وسرعة النبض . واستطاعوا كذلك أن يخترعوا ساعة تدق ساعات النهار جميعه مبتدئة من الساعة السادسة في الصباح إلى السادسة بعد الظهر

وقد ألف كتاب في الجراحة لأطباء عاشوا في مصر منذ ألفين وثمانمائة سنة قبل الميلاد . وعرف المصريون في طب العيون عمليات القدح (إزالة الماء) ، وعرفوا استئصال السرطان وإزالة الحصوة وذلك منذ سنة ألفين قبل الميلاد

وفي سنة ألفين قبل الميلاد وضع حورابي قانوناً لتقدير أجر الأطباء وتحديد مسئولياتهم وكانوا يعرفون كثيراً من المشكلات المألوفة الآن مثل من ذبح الصدر والنزيف والسيلان والبلهارسيا والجرب والحصبة والسوداء والإسهال والروماتزم وكثير أخرى عند الأمعاء . أما أسماء العقاقير والأدوية فقد أخذنا أكثرها من اللاتينيين كما هو معروف

وإلى اليوم يعتبر هيبوقراط رمزاً لعلم الطب . وإذا كان القدماء لا يعرفون الميكروسكوب فقد كانوا يهتدون إلى كل شيء بحسهم ودقة حسهم

أما الأطعمة فقد كان يقتصر الكثير من الأصناف المعروفة الآن كالبرتقال والليمون والموز والشاي والقهوة والسكر ، وكانوا يستعملون عسل النحل بدل السكر ويستعملون الزيت عوضاً عن الزبد . لكن قدماء المصريين كانوا يعرفون صناعة الجعة (البيرة) ويشربونها ومن العادات المألوفة عند القدماء الاهتمام بحديث المائدة ، حتى إن أغنياء روما كانوا يدعون العلماء والكتاب إلى موائدهم لتوجيه الحديث إلى ناحية مفيدة

هل نحن عرب ؟

[محاضرة ألقاها السيد جواد طريح في أحد الأندية العربية بمدينة نيويورك]

الأمة مجموع من الناس يشعرون بشعور واحد ، وتجمعهم تاريخ مشترك ، ومطمح مشترك غايته إيجاد دولة واحدة والاحتفاظ بها ليعيشوا في ظلها ويحققوا أفضل ما ينطوون عليه ...

وهكذا فإن كل من يشعر بإخلاص أنه عربي ، وفي صدره ولاء صادق للمثل العربية العليا ، فهو عربي بقطع النظر عن الدم والعنصر

ثم إنه ليس في العالم أمة لم تختلط أصولها فالإنكليز مؤلفة من النورمنديين ، والأنجلو ، والسكسونيين ، والنورمنديين . ومثلها فرنسا وبعدها أمريكا ...

وعلى مثل هؤلاء لا نرى فرقاً بين السوري والعراقي والمصري واللبناني والفلسطيني والنجدي

لا جدال في أن شعوباً كثيرة مرت بسورية والعراق ومصر وتركت في هذه الأقطار آثارها المتعددة . ولكن جميع هذه البقايا البشرية صهرت في بوتقة العروبة ، وذابت في الأمة العربية الحديثة

فالأمة العربية — ككل أمة سواها على وجه الغبراء — أساسها الامتزاج ، ونحن هنا المزيج عربي ، لأن لسانه عربي ، وثقافته عربية ، وعنصره الغالب السائد عربي

وجميع أجزاء الأمة العربية مترابطة المصالح والفوائد اقتصادياً وسياسياً ، وعاطفياً ، ودفاعياً ...

فاقتصادياً ، ليس كاتحاد هذه الدول ما يوفر لها التبادل الحر ، وإزالة الفواصل الجمركية ، ووضع الإنتاج الصناعي للتخلي عنه والحماية السياسية الكافية التي هي شرط جوهري للفلاح والرخاء

وسياسياً ، فالاتحاد وحده هو الذي يمنع الاحتكاك بينها ، ويصونها عن الإكثار من المصالح والتعقلات التي لا لزوم لها ..

ودفاعياً ، نحن في غنى عن القول بأن الاتحاد العربي ، على غرار الاتحاد الأمريكي ، هو وحده يحمي ويضمن بقاء الأجزاء التي تؤلفه ، والوحدات التي تكونه . ونظرة واحدة إلى حوادث السنين — بل الشهور — الأخيرة تدلنا دلالة كافية على أنه لا أمان للأمم الصغيرة . فمسألة وجودنا أمة مؤلفة من سبعين مليوناً يجب أن نستقر في أذهاننا ...

بين كثيرين منا لم يتح لهم الإلمام بتاريخ العرب فيجهل ألا أنه لولا ثقافة العرب العالية وتراثهم العلمي لتأخر وجود الحضارة المعاصرة متحجرة

إنه لشرف أن ننتمي إلى العنصر العربي

ويبدأ عمل الحركة العربية في القلوب والأرواح ، فمتى تم اتحاد القلوب والأرواح ، أصبح الاتحاد السياسي والعمراني نتيجة طبيعية

فالعروبة حركة قومية تحب الأمن والرخاء والفلاح لجميع العرب ، وإسعادهم للإنسانية جمعاء .

مصر والأمم العربية

أخي الأستاذ الزيات

أقدم إليك أصدق التحيات، ثم أذكرك بما شاهدته عليك من أن تكون عوناً في جمع الأخوة العربية إلى أن تعود

وأنا من جانبي أذكر مع الأسف أن الحكومة المصرية لم تستجب بسرعة إلى المطالب التي اقترحتها في كتاب «ليلى المريضة في العراق»

فلم يبق إلا أن نتوجه إلى الأمة إلى أن تستجيب للحكومة لما اقترحناه، والأمم في كل أرض أسبق من الحكومات إلى الخير والجميل

والذي يهمني هو أن أذكرك بما صنع إخواننا العرب هذه المدة في تمجيد مصر: فمجلة الحديث التي تصدر في حلب أصدرت عدداً خاصاً عن وادي النيل، ومجلة العرفان التي تصدر في صيدا أصدرت عدداً خاصاً عن وطن شوقي وحافظ وصبري والبارودي، ومجلة المكشوف التي تصدر في بيروت أصدرت عدداً خاصاً عن الوطن الذي نهض في عهده الملك فؤاد، وجريدة المقطم التي تصدر في ... ستعمد لإصدار عدد خاص عن جورجي زيدان وهو لبناني احتضنه وادي النيل

فما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن سورية ولبنان والعراق؟

وما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً أخرى عن الحواضر المشهورة في البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز؟

تأكد، أيها الأخ، أنك لن تجد أي صعوبة في تنفيذ ما أقترحه عليك، وتأكد أن هذه الخدمة الأدبية ستحفظها لك مصر، لأن مصر يهمها أن تتعرف إلى سائر الأقطار العربية تعرف الشقيق إلى الشقيق

وفي انتظار جوابك بالتحبيذ أرجو أن تتقبل تحية أخيك المخلص

زكي مبارك

(الرسالة) اقتراح الصديق صحيح مفيد، وسنعمل على تنفيذه بعون الله بعد شهور الصيف

الروحيات والحسيات في الإسلام

أستاذنا المحرر الزيات

تحية وبعد فقد كتب أستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد (٣٦٤) من «الرسالة» الغراء مشيراً إلى ما كتبنا إليه ذاكراً ما ذكرناه من أنا نرى أن اللذات التي سينعم بها المؤمنون في الجنة لذات روحية، وأن اللذات التي ذكرها القرآن الكريم ليست كلها لذات حسية، وأن القرآن الكريم حينما ذكر النعيم المادي وما ذكره تكرر فيه تقديم الصدق من حسيات تتصل كلها بالروحانيات والمعنويات. ورأينا كاملاً أن أستاذنا أحمد أمين صادق كل الصدق في نظره إلى أن القرآن كتاب روحانيات وكتاب حسيات، وأنه عندما ذكر الأشياء اللذيذة لا يريد بها اللذات المادية، وإنه إن أراد بها أو ببعضها أشياء حسية إنما هي شبيهة أتباع روحانية، واتصال بمعنويات. هذا هو الرأي الذي يستقيم مع أسرار النصوص ويستقيم مع الفكر الإسلامي السليم. وإلا إذا أراد أستاذنا الدكتور زكي مبارك منا أن نهجم عليه لأخذه برأي المسلك السليم الذي ذكره مثلاً ابن عابدين في الجزء الثالث من حاشية «رد المحتار» على «الدر المختار» ص ٣١٥ مما ذكره «من مطلب لا تكون اللواطة في الجنة من أنه قيل إنها حسية غير ... وقيل ... أنه ... طائفة ... الأعلى كالذكور والأسفل كالإناث وأن الصحيح الأول ... وفي البحر حرمتها أشد من الزنا لحرمتها عقلاً وشرعاً وطبعاً ...» فلم أسمع الرأي الذي يقول به أستاذنا الدكتور لكنه ... إن المراد بالولدان أن يعم ذكرهم

هذا النعيم الحسي، وحاشا لله أن يكون كذلك. والأقرب إلى العقل أن يكون ذكر الرفاه المتنع بالفكرة الروحية التي يبعثها الجمال الحسي، وأنه إن جاز أن نأخذ في ذكر الحور العين باللذة الحسية، فإنه لا يجوز أن نعمم هذا في ذكر الولدان. على أن ما ذكره القرآن الكريم من حور عين ومن ولدان ولحم طير ورحيق وأباريق وفاكهة، لا يجوز بحال أن نفهم أن ذكرها يريد أن القرآن يعنى بالحسيات، أو أنه كتاب حسيات، لأنه كما قلت إنما عنايته موجهة للمعنويات وذكرها يراد به الهدف المعنوية. وإن أريد من بعضها أو من ذكر بعضها اللذات الحسية فمن أنها غاية اللذات للنفوس ويراد من ذكرها تقوية معاني الروحانيات عند المؤمنين لأنها جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى.

والغريب أن هذه الصورة في عدد «الرسالة» الأخير تأتي في أثر أحد المستشرقين الأمريكان يحاضر في هذه الفكرة التي يريد دكتورنا أن يأخذ بها المسلمون. وقد قال دكتور زكي مبارك عزيز علينا ولكن أعز منه كتاب الله والفكرة الإسلامية السليمة التي يجب أن ندافع عنها، وهي أن الإسلام دين روحانيات ومعنويات وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذي يتصل بأن يرقى بالإنسان إلى الروحانيات، وأنه عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جوانبها الحسي، بل يريد بها جوانبها للمعنى الروحي، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية، فإنه لا يريدها صورة متواصلة، كما هي في دنيانا، بل يريدها صورة تتصل أكثر ما تتصل بالروحانيات والمعنويات.

والسلام عليكم ورحمة الله

محمود علي قراعة

جماعة الفن والحرية

قرأنا في عدد «الرسالة» رقم (٣١٤) الصادر في ١٠ يوليو سنة ١٩٣٩ كلمة جاءت في صفحة البريد الأدبي تحت عنوان «الفن المنحط» وقد ورد في هذه الكلمة أنه بهذا الاسم قد تكونت جماعة من الفنانين هي اليوم في طريقها إلى التمزق والتحلل لأنها لم تجد من الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع، وأن الفن المنحط الذي تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يكون فناً، أنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقبل عليه، إلا أنه لا يمكن أن يكون الشيء فناً ومنحطاً في الوقت نفسه إلا إن كان كذباً، فالفن هو نتاج النفس؟ ومتى توفر فيه الصدق، فإنه سام رفيع ولا يحسده شيء، ولا ينقص من شأنه شيء، إلا أن يكون متكلفاً فهو عندئذ ليس فناً، وإنما هو تهريج وتجارة.

وقد جاء في هذه الكلمة أيضاً أنه إذا كانت جماعة «الفن المنحط» قد تألفت من أفراد صادقين في شعورهم وتعبيرهم فهم رفيع من غير شك فيه فلماذا وقالوا إنه منحط؟ أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط فهم منحط حقاً لا لشيء إلا لهذا التكلف.

وكل واحدة في هذه الكلمة صحيح من غير شك لا في نظر كاتبها فقط بل في نظرنا أيضاً، لأننا لا نعتقد أبداً أن جماعة من الجماعات يمكن أن تقوم على «الفن المنحط» فتدعو الناس إلى الانحطاط في الفن.

لقد تكونت جماعتنا باسم «الفن والحرية» وأغراضها تنحصر في الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفي نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وإقامة المعارض الفنية العامة، ثم هي تعمل في نفس الوقت على إيقاف الشباب المصري على الحركة الأدبية والاجتماعية في العالم.

هذه هي أغراض جماعة «الفن والحرية» فإذا كان فيها ما يدل على أنها تدعو إلى الانحطاط في الفن فحتى تتقرر الكاتب ما ذهب إليه في أمرها. أما أن يتصدى لنقد جماعة من الجماعات كاتب لا يعرف حقيقة اسمها ولا يعرف حقيقة أغراضها معتمداً في هذا على الإشاعات والأقاويل فهذا ما نربأ بكاتب في (الرسالة) من خطأ الوقوع فيه.

أنور كامل

عن اللجنة الدائمة لجماعة
«الفن والحرية»

انحطاط الطاقة ونهاية الكون ؟

إلى عالمنا المصري الدكتور محمد محمود غالي

أقرأ بإعجاب المقالات العلمية العظيمة التي يجود بها من وقت لآخر العالم الطبيعي المحقق الدكتور محمد محمود غالي على صفحات الرسالة فأشعر بحنين نحو السوربون لأنه يخيل إليّ وأنا أطالعها أني أستمع إلى أولئك العلماء الأعلام أساتذة تلك الجامعة الكبيرة التي تقضيت فيها خير العمر أيام الصبا

وقد استرعى نظري على الأخص بصفة خاصة مقالات الدكتور الأخيرة عن موضوع انحطاط الطاقة وتدهورها المستمر من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية إلى صورتها السفلى وهي الحرارة وكيف أن الكون سائر نحو ما يسمونه «الموت الحراري» على حد تعبير الدكتور العالم، أي السكون التام الذي ستتعادل فيه في جميع أنحائه جميع أجزائه وحركاته ودرجة حرارته على النحو الذي شرحه الدكتور بما أوتي من علم وبلاغة، فلا كواكب تدور ولا شموس تسطع، ولا سيارات تضاء، ولا حركة من أي نوع ولا كهرباء ولا جاذبية ولا ضوء ولا حرارة مرتفعة الدرجة الخ وبطبيعة الحال لا حياة على الأرض ولا على غيرها بل إن الحياة تكون قد انقرضت من الكون قبل ذلك بملايين وملايين السنين لزوال أسبابها وعدم توفر شروطها وعواملها، وما هي إلا حلقة من تطورات الطاقة تنتج من تحول الطاقة الكيميائية الناتجة من احتراق المواد الغذائية داخل الأنسجة إلى طاقة ميكانيكية كحركة الجسم وحركة أعضائه الداخلية وتفاعلاته الكيميائية البيولوجية وفي النهاية إلى حرارة شأن جميع صور الطاقة الأخرى في الطبيعة

فأوردني حين قرأت هذه الصورة القاتمة لنهاية الكون اعتراض تقدم قام في ذهني حين سمعت هذا الرأي لأول مرة عند درس الطاقة البيولوجية، وقد أشار مثلاً إلى هذه النهاية المرعبة أستاذي العالم الفسيولوجي الكبير الأستاذ «دانتك» في دروسه بالسوربون وفي كتابه القيم «الحياة والموت»

وإني أطرح هنا هذا الاعتراض على الدكتور غالي لأستفيد من علمه الواسع راجياً منه أن يبحث بحثاً مفصلاً في هذا الموضوع من كافة النواحي بعد تروٍّ قليل

أقول إنه لو كانت نهاية الكون هي ما تحدثه الأسباب المذكورة لحدثت من زمن؛ ذلك لأنه لو فرضنا أنه يلزم مثلاً مليار أو أكثر من السنين لتحول جميع صور الطاقة العليا في الكون إلى حرارة غير مرتفعة الدرجة لتم ذلك من زمن بعيد لأن المادة (أو مجموعة المادة والطاقة) قديمة، ولأنه مضى على الكون أضعاف أضعاف هذه المدة. وهل يمكن أن يتصور العقل أن للكون بداية؟ أليس هذا مخالفاً لأبسط الحقائق العلمية والنواميس الطبيعية الأساسية، وعلى الأخص ناموس بقاء المادة وبقاء الطاقة وعدم تلاشيهما؟ فكل من المادة والطاقة ثابت لا يخلق منه ولا ينعدم منه ذرة واحدة، وإن كانت صورهما في تحول مستمر من الواحدة إلى الأخرى. وإذا كان العلم الحديث أوشك أن يوحد بين المادة والطاقة فيمكن أن يقال إن مجموعهما ثابت لا يخلق منه شيء، ولا ينعدم منه شيء

والحقيقة أنه لو كانت تلك الأسباب في انحطاط صور الطاقة العليا وتحولها شيئاً فشيئاً إلى حرارة منخفضة الدرجة من شأنها أن تقضي على الكون بالسكون التام المطلق لحدث ذلك من قديم الزمان

فإذا صح هذا الاعتراض ألا تكون النتيجة المنطقية أن هناك إذاً عوامل أخرى مجهولة الآن لم تدخل في حساب العلماء والرياضيين قد يكشف عنها العلم في المستقبل فتغير وجه المسألة ويطمئن حينئذ رجال العلم على مصير الكون؟

نجيب المنشاوي المحامي

عدد المكشوف الخاص عن مظاهر الثقافة في مصر

أصدرت زميلتنا المكشوف البيروتية عدداً خاصاً عن مظاهر الثقافة في مصر في ١٦٠ صفحة مزدانة بالصور المختلفة، حافل بالفصول القيمة والبحوث المستفيضة في شتى مناحي الأدب المصري، حرره أكثر من ٤٠ كاتباً وشاعراً مصرياً، وبه حديثان أحدهما لمعالي هيكل باشا، والآخر لسعادة العشماوي بك

وقد وفق أكثر الكتاب كل التوفيق فيما حرروه من الموضوعات، ولكن أظهرهم غلبت عليه رغبته الخاصة فلم يلتفت إلى الحكمة من إصدار هذا العدد فخرج بما كتب عن أسلوب الروح الأدبي الذي تقتضيه هذه الحال

والعدد يباع بمصر في المكتبات التالية: المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي، النهضة المصرية — ١٥ شارع المدابغ، الهلال بشارع الفجالة، وزل — ٣ شارع سليمان باشا.

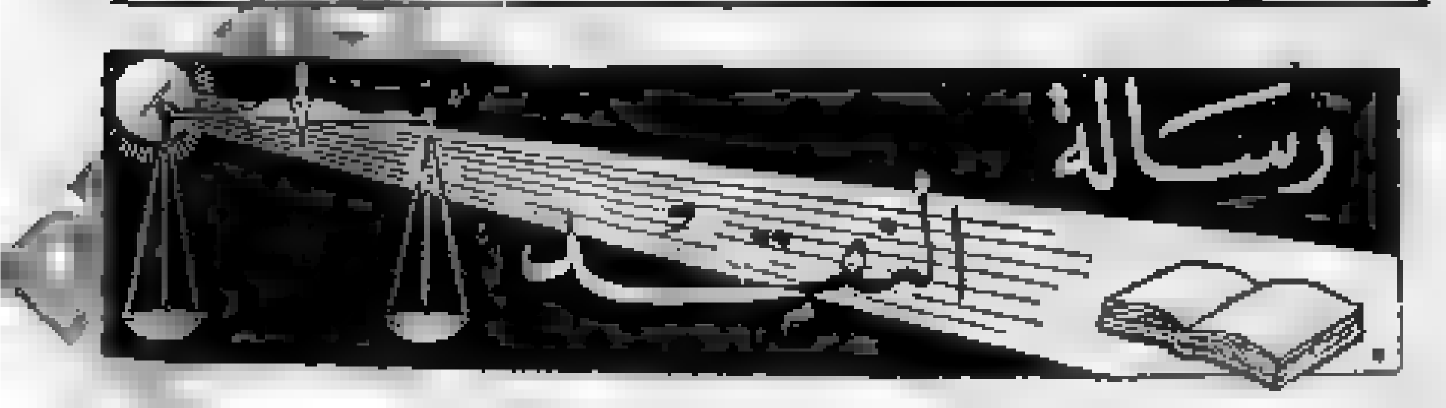

على هامش كتاب

حياة الرافعي

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود أبو رية

أقبلت على قراءة كتاب (حياة الرافعي) لا كما يقبل غيري من أهل الأدب ومحبي الرافعي، وذلك لما كان بيني وبين الرافعي رحمه الله من صداقة امتدت أكثر من ربع قرن عرفت من أحواله وأنبائه شيئاً كثيراً، فاجتمعت نفسي على هذا السفر النفيس الذي تحدث عن هذه الحياة المباركة حتى وجهت إليه ذكرى من ناحية، وإلى كتب الرافعي الخاصة التي لدي من ناحية أخرى، لأرى إن كان صديقنا سعيد العريان قد صدق فيما روى ونصح فيما شرح، أو هو قد سلك تلك السبيل التي سلكها كثير من المؤرخين من الحشو بكثرة ما حشد، والتلفيق في الرواية من ههنا وههنا بلا تمحيص في ذلك ولا تحقيق، كأن التاريخ لا حرمة له عندهم، والناس لا رقابة لهم في قولهم.

حملت نفسي على قراءة كتاب (حياة الرافعي). أما البحث في قيمته وأثره في عالم الأدب، وفضل صاحبه في السبق إلى ابتداع هذه الطريقة من الترجمة، وما إلى ذلك من المزايا التي امتاز بها هذا الكتاب، فقد تركت ذلك كله لغيري ممن يعرضون لنقده أو تقريظه حتى لا يقال إن صديقاً يقرظ صديقه.

قرأت الكتاب من ألفه إلى يائه قراءة تدبر ودرس فخلص لي منه أن أخي الأستاذ سعيد قد فاز بخصلتين: حسن الوفاء للرافعي — والوفاء في زمننا قد أصبح غريباً بل صار جريمة ونكراً — وحسن إحسان العمل من حيث التحقيق والدراسة واستيعاب كل ما يتصل بحياة الرافعي حتى خرجت هذه الشخصية الجليلة في هذا السفر صورة حية؛ ذلك بأنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يذر شاردة ولا واردة إلا قيدها. بيد أن هناك أمرين ما أظن إلا أن اطراد البحث قد أعجله عن استكمال درسهما.

ولأني أعرف الحق في هذين الأمرين فقد رأيت إحقاقاً للحق وإنصافاً لمن يتصل بهما أن أستعين بما أعرف على صفحات الرسالة الغراء، فيكون من قرائها الذين هم صفوة أهل الأدب في العالم العربي، ومنهم ولا ريب قراء كتاب (حياة الرافعي)، كيلا يجوزهم شيء من أمر هذه الحياة الخصبة.

تحدث الأستاذ سعيد في هامش الصفحة ١٣ من هذا الكتاب قال: (كان للرافعي صلة روحية بالسيد البدوي رمع من طنطل ومناقشة وله فيه مدائح وتوسلات شعرية كثيرة —)

وهذا القول لو أخذ على إطلاقه لفهم منه أن الرافعي رحمه الله كان من الذين يستمسكون بالتوسل بأصحاب القبور، فيتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله يفزعون في كل ما يهمهم إليهم، ويستغيثون بهم في قضاء حوائجهم. وإذا صح ذلك كان مغمزاً في أعظم جانب من حياة الرافعي، وهو الجانب الديني؛ لأن التوسل بأصحاب القبور عند المحققين وأهل البصر بالدين إنما هو شرك بالله يبرأ منه كل مسلم صحيح الإيمان. والرافعي رحمه الله كان إماماً في الدين كما كان إماماً في الأدب؛ وكان من دعوته في الحياة أن يعتصم

المسلمون بمعرفة دينهم الرقيق، وأن يرجعوا من وثنيتهم إلى الدين الخالص والحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

على أن هذا الأمر الذي أشار إليه أخونا سعيد لا يعرف غيري وجه الحق فيه، ذلك أني كنت في إحدى زياراتي للرافعي بطنطا في سنة ١٩١٨ وما كنت أطلع إليه حتى قال لي (أبشر يا أبا رية، فقد اقتربت ساعة شفائي من علتي إن شاء الله (وهي العلة التي كانت بأذنه). ولما سألته عن موضع هذه البشرى قال: «إنني رأيت السيد البدوي في المنام ليلة الأمس قد جاءني [illegible] بالسماء [illegible] من نور، وسألت فيه هذه القصيدة» ودفعها إليّ [illegible] له إلى هذه القصيدة [illegible] فكان [illegible]، [illegible] لك أن تطوي حتى ترى تأويلها. ولأنه رحمه الله كان يعتقد في عالم الروح اعتقاداً عربياً وكان يأخذ بالحديث الشريف في أن دعوة المؤمن على ظهر الغيب [illegible]، وكان [illegible] منه [illegible] من إخلاصي له حتى كان لا يكتب لي خطاباً إلا [illegible] في آخره لا [illegible] من الدعوات الطيبة، فقد كتب لي في ورقة صغيرة هذه العبارة[1] (أريد أن تذهب الآن إلى جامع السيد وتتوضأ وتصلي بعض ركعات ثم تقرأ ما تيسر من القرآن على نية أن يمن الله بشفائي ثم تدعو لي [illegible] دعاء المؤمن لا يحجبه شيء في سرعة الإجابة مع خلوص النية. وأمس رأيت السيد البدوي في الرؤيا [illegible] بالشفاء، ولقد طلبت منك هذا الطلب)

وعلى أن ما طلبه مني ليس فيه شيء من التوسل بالسيد البدوي وإنما هو صلاة لله وقراءة لما تيسر من كتاب الله ودعاء خالص يصعد إلى الله ليعجل بشفائه.

وهذا كله عمل خالص لله وحده، فقد خالط صدري شيء من الشك في عقيدته، ورأيت من أجل ذلك أن أطلب لمعرفة حقيقة ما يعتقد في التوسل بالشرع، فسألته في خطاب بعد ذلك عما يقوله رجال الصوفية من أنه لابد لكل مسلم أن يتخذ (واسطة) من مشايخهم يصل به إلى الله، وهل هو [illegible] هذه (الواسطة) فأجابني في كتاب تاريخه (١٥ يونية سنة ١٩١٨)

(... وأنا أحتج دائماً إلى الأستاذ [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت واسطة بينهم، ولا أدري [illegible] استعداد للتخلي عن هذه الفكرة البعيدة أم لا)

وبعد أن تمت شهور على هذه الرؤيا [illegible] حدثته في ألا يسر ما [illegible] من سحر في السيد البدوي وأن [illegible] فقال إني [illegible] إن شاء الله [illegible] في أخذه من سحري.

هذا هو نبأ توسلات الرافعي بالسيد البدوي التي تحدث عنه الأستاذ العريان.

ومن يقرأ ما كتبه الرافعي في الأدب ووصفه للإسلام المصريين بأنه إسلام وعوني[1] بما شابه من دواخل الوثنية، وما اختلط به من البدع الشركية، يتبين له صدق ما قلنا وصحة ما روينا وأنه كان طوال حياته حرباً على الدجل والخرافات، والشعبذة والتوسلات، تلك التي لا يرضاها دين الإسلام؛ وأنه قد كان كما يقول الأستاذ سعيد (أن يموت في الجهاد وفي يده الراية ينافح بها الشرك والضلال، ويدعو إلى الله ويواصل حملة التطهير[2])

* * *

والأمر الثاني في قول أخينا سعيد: من أن السيد رشيد رضا رحمه الله، لما قرأ مقدمة النسخة الأولى من مجلة البيان المنسوبة إلى الأستاذ الإمام محمد عبده قال (... لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ وسمعت منه هذا الحديث؛ ولكن لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملني على روايته)

وهنا نقول لو ثبت على ما رواه صديقنا سعيد من أن مقدمة البيان من وضع الرافعي لكان ذلك حقاً في حق إمام كبير من أئمة الدين [illegible] ويلقى الشك في الأخذ عنه؛ ولكن الذي جرى على وجه التحقيق أنه لما ظهرت مجلة البيان التي أصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقي قابلها صاحب مجلة الإسلام السيد رشيد رحمه الله بالترحيب والتقريظ، وكتب عنها كلمة طيبة

(١) تراجع الصفحة [illegible] من الجزء الثاني من كتاب وحي القلم [illegible] الأمريكي الأول

(٢) راجع الصفحة ٢٨٢ من كتاب (حياة الرافعي)

«يتبع»

(١) أطلعت أخانا سعيد على أصل هذه الورقة في أوائل شهر مايو الماضي بالقاهرة وكتب منه بخطه على الفور وهي من خط الرافعي رحمه الله

قصص العرب

للأساتذة

محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم

للأستاذ أحمد الناجي

للعرب من العرب قصص يرجع أقدمها إلى الزمن الأول، كانت صدى لحياتهم وصورة لأوضاعهم، ومجالا لمفاخرهم وأسمارهم ولكنها تحتاج إلى إحياء وتجديد

أما إحياؤها فباختيارها من أسفارها ووضع الأصلح منها، وجمعها في كتاب واحد، وتصحيح عباراتها، وتحقيق حوادثها، ثم عرض كل ذلك على العرب، ليتأدب به الناشئون ويتعرفوا منه على أحداثهم، ومقدار مكارمهم. وأما تجديدها فهو خطوة تالية وذلك بأن تلائم الأدب الحديث، وتتسق من الناحية التي وصلت إلينا لتناسب أبناء جيلنا ولا تنبو عن أذواقنا

والكتاب الذي نعرض له الآن خطا الخطوة الأولى، فجمع قصص العرب كما حكوه وحدثوا به، ووضعه في أبواب فجمع تحت كل باب ما ورد فيه من القصص

فقصص تدل على عقلية القوم واحتفالاتهم في الأدب، وقصص يستبين منها مظاهر حياتهم ومذاهب معيشتهم، وقصص تحدثنا عن حروبهم ومغازيهم، ونرى تطور خلائقهم من جاهلية وكرم وشجاعة وهكذا ينتقل من باب إلى باب، والذي يربط بين القصص أصحابها. وكنا نود أن نربط بعصورها، فتتبع تطور الأدب ونرى ما يميز كل عصر وآدابه ماثلة في قصصه

وكنا نود أيضا أن تبرأ من الأخبار البعيدة عن القصص مما ذلك قد سكنت به كتب الأدب، وما هو بقليلة

على أن للأساتذة جهداً مشكوراً إذ أتاحوا الفرصة لمن يجرؤ بقصصه العربية وشرحها، وعرضوا له مادة زاخرة تصلح حيا لكل قصص عربي حديث

وقد لاقوا عناء شديداً في تصحيح النصوص وتقويم الأشعار والتنقيب عن أصح الروايات، يشهد بذلك من اطلع على ذلك السفر الجليل الذي ظهر أثره في إخراجه — هذا يعني حسن طباعته — وهذا حسن يقدره من يكابد القراءة في الكتب القديمة وطبعاتها السقيمة

فلهم ما يستحقون من الشكران

أحمد الناجي

في مجلة (المنار) ولما تحدث عن حديث الأستاذ الإمام مع الأستاذ البرقوقي لم يقل إنه كان حاضراً على الشيخ، ولا إنه سمع هذا الحديث، وإنما قال عن الأستاذ البرقوقي إنه (نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه نصاً[1])

وهذا لا يعني أن الحديث من غير كلام الإمام أو أن الإمام قد تحدث به أمام السيد رشيد

هذا، ثم رأيت أن أنشر في الرسالة — وقد وجدت فيما بين يدي من كتب الرافعي ورسائل في الأدب والدين رأيته يستأهل النشر لانتفاع الناس بما فيها ولعل الله يقيض لي — إذا وجدت من صدر الرسالة سعة — أن أنشر ما فيه الخير من هذه الرسائل

ورحم الله الرافعي رحمة واسعة

محمود أبو رية

[1] يراجع الجزء الثاني عشر من المجلد الرابع عشر من مجلة المنار (صفحة ٩٠٥) الصادر في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ — ٢١ ديسمبر سنة ١٩١١

7me Année No. 316

Lundi - 24 - 7 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

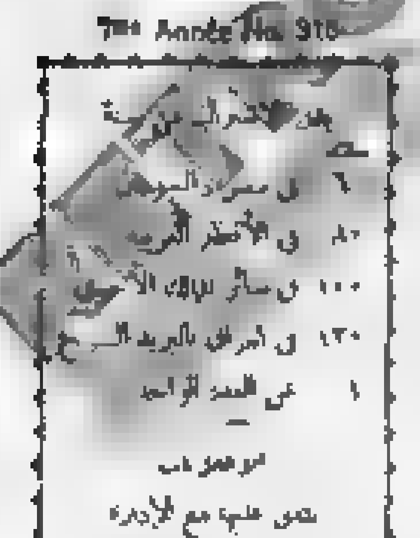

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

حلم ليـــلة صيف

غربت الشمس في الرمال اللوبية الرمضة وبين رواسيه وأغوار الأرض وهيج كزفير جهنم. وكان القاهريون قد احتشدوا فوق الجسور وعلى الشواطئ وفي الحدائق يتنسمون نفس الماء ويمصون الثلج، وأرج الزهر، فكأنما لم يبق في البيوت والقهوات والطرقات أحد. وكنت أنا في زحمة الناس أسير هوناً على جسر إسماعيل والذكريات العذاب تنثال على صدري انثيال الشعاع المنساب بالأمواج الزاخرة على الشاطئ، فأذكر فيما أذكر كيف كان ذوو الثراء والنعمة يخرجون قبل أن يمرضوا أو ربما إلى حقوله آصال الربيع والصيف في ريشهم الفاخرة ووجوههم الباهرة ومركباتهم الفخمة ترقص بها الجياد المطهمة العتاق، فيكون الفقراء من حولهم منظوفين في زحمة [illegible] طلاً من الشعوب سامة. ثم أبصر فيما أبصر كيف أصبح الجسر والجزيرة بعد انتصار الترغيب للترهيب [illegible] وموت كارلو وفيس — تحمل أسرى الفاقة والقاعة والكروب؛ لا ترى حولهم إلا بؤساً ولا تسمع بينهم إلا شكوى. ثم تمشي في هذا السير البطيء حتى بلغ (كازينو الكورنيش) فلست وحدي في مكان مظلم، وصمت وحدي وبين النيل المزدان بالفوانيس والشاطئ المزدهر بالمصابيح، وأخذت أذكر كيف تعرض وتظهر بين جوف الأمس ووجه الحاضر، فلا أرى فيما خلفه الزمن

والإنسان إلا ما هي دامية آلمها الطمع والأثرة، ومثلها الضعف والقوة. وكان عقل القاصر يطلق أحياناً على ما يعرض الخاطئة من هذه الصور، فيعجب كيف يجري الحيوان دون السماء وعلى الأرض عن التوفيق بين القوة والضعف ما داما متلازمين في الحياة! أليس منذ الصراع الأزلي بين المرأة والرجل والعبد والسيد والفقير والغني والمظلوم والظالم والمستعمر والمستعمر إنما هو القوة في جهة، والضعف في جهة أخرى؟ لا يحق لنا أن نسأل لأي حكمة كانت القوة هنا وكان الضعف هناك، ولكن من حقنا أن نعرف لماذا أخفق المصلحون أن يحملوا القوى على أن يرد الضعيف عن بعض القدرة فيستقيم الأمر بالاعتدال ويتحقق السلام العدل؟

* * *

كانت ساعة طرس تعلن بدقاتها المدوية انتصاف الليل حين تهالكت على الفراش وأنا من الإعياء لا أكاد أفكر في حال مدحه من عهده. فلم تكد عيناي تغفيان حتى رأيت فيما يرى النائم أن دور الفقراء وأكواخ المساكين في حلوان أمست كالقناديل الموقدة تلمع جدرانها بالذهب، وتستر سقوفها بالحلي، وتغطي هوادجها بالتبن، وتركب أهلوها خارجين في ضحة الليل إلى الشوارع والميادين، فعليهم السراويل والقمص، متظاهرين ومطاردوهم بالعصي مطاردة أعراد، فهاموا في الشوارع من الحضر حيام التعب حتى وجدوا قصراً من قصور الأمراء، مرهقاً في الأضواء والضوضاء، فلم يتمالكوا أن تدفقوا فيه من أبوابه، على الرغم من دفاع حرسه وحجابه. ثم انساب هذا الجمع الضريع في حديقة القصر الأفيح حتى أحدقوا ببؤرة الضوء، ثم أخذوا يتخيلون من الذهول والرعب على شذا العطور وسطوع النور ونغم الموسيقى، واستطاعوا أن ينظروا فلما رأوا! رأوا حفلة راقصة تمس السماء على بركة الحديقة الواسعة، وأوانس الصفوة وربات النعم منعطفات على الأرائك، أو متهامسات على الأعشاب، أو منحصرون في مرقص، أو متحادثون حول ملعب؛ وخرجن الكهرباء تسطع على الظهور العارية والصدور الناهدة وقد انحسرت أطواق الفساتين من أمام ومن خلف، إلى ما تحت الصدور فلم يمسك الثوب عن النزول إلا شريطان على الكتفين رُصعا باللآلئ وعُقدا بالذهب. وكان الجو البديع منضماً برنّا العطر وعبق الخمر وأنغام الحواس وتمزق القيان وصرير الحرير وخفيف الأقدام، فلا يدخل الأذن إلا همس، ولا يقع على العين إلا فتنة وتهتك. وكان الفتيات المسحورة يحملن الورود والأزهار، ويعرج الخمور والراقصات متشابكين، يتراشقون من النشوة، ويتحادثون من الشهوة؟ وفي زوايا الحديقة المزدحمة ملاقص الفوم أرواحاً على أسماع لا تعي، والسواعد ممتدة على الخصور، والشفاه مطبقة فوق الخدود، والأثداء مزدحمة بين الصدور والنحور، والأنظار جوالة بين البطون والظهور! وفوق هؤلاء تنبعث الموسيقى الهامسة ترسل حول رءوسهم الطائر الوهاج من مرايا عبقر، في غلائل منسوجة من نسج الجن، وأوشحة مصبوغة من صنع السحرة. وكلما حملت الحوريات الرواقص تقلّب عليهن الوشي، وتختلف عليهن ألوان الوشي مع شعاع من القمر يبهر العيون ويعمي الأفئدة

* * *

كان الموكب في سور القصر وسكون يحدق، وحين انتهى حتى أحاط بهم جند كثير من الحول في وجوههم خزري، وهيئتهم الخشنة! فاضطرب أمراء هؤلاء من الحمقى، ووقفت رءوس أولئك من الخوف، والتقى الشقاء والسعادة وجهاً لوجه!

ولكن الله بدا أن يصطرع الغنى والفقر في هذه اللحظة الرهيبة فرأيت أفواجاً من الجن والعفاريت لها أجنحة كالفراش وخراطيم كالبعوض قد خرجت من ثياب الفقراء، وأحدقت على الأجسام الناعمة والوجوه الناضرة تلسع النحل المهاج! فتراكض الناس والمدعوون هاربين في الحديقة وهذا الفقير الأشعث في ظهور النساء، وأتبعه الرجال يخزّهم بالسم حتى أخرجهم إلى الشارع وهناك كان الجند يرتقبون خروج (المتظاهرين) فلم يكادوا يرون هؤلاء حتى أخذوا فيهم العصى وساقوهم سوق الأنعام إلى القسم فصبوا اليوم الباقي في الأصفاد. وخلا القصر والرقص والقصر لطرائد البؤس والحرمان فما أكلوا حيثاً وشربوا هنيئاً ولبسوا من الحرير على الأسرة للصحبة!

ثم كأن الحر قد صحوت من النوم، فبل أن يبلى الحلم في ضوء الصباح فضيحة النوم!

أحمد حسن الزيات

حول كتاب:

مستقبل الثقافة في مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

«مستقبل الثقافة في مصر»

هذا العنوان الذي عنون به الأستاذ الدكتور طه حسين الكتاب الذي نشره قبل بضعة أشهر في مجلدين ... ذكرني بعنوان «المطارحات» التي نشرها «المعهد الأممي للتعاون الفكري» التابع لعصبة الأمم بعد الاجتماع الذي عقده في مدريد سنة ١٩٣٣: مستقبل الثقافة.

وعندما أسجل هذه المشابهة في مستهل مقالي هذا، أرى من الواجب علي أن أصرح — في الوقت نفسه — بأن التشابه بين الكتابين لا يتعدى حدود العنوان. فإذا كان من الطبيعي أن المؤلف الفاضل اقتبس عنوان كتابه من المطارحات المذكورة، فمن الواضح أيضاً أنه لم يستلهم شيئاً من موضوعاتها أو من مناحي التفكير المتجلية فيها.

وأما كيفية تأليف الكتاب، فالمؤلف يشرحها شرحاً بليغاً وصريحاً، في المقدمة القصيرة التي صدّره بها:

إن «توفق مصر لجزء عظيم من أملها في تحقيق استقلالها الخارجي وسيادتها الداخلية» حمل «المفكرين المصريين» على أن يشعروا بأن «مصر تبدأ عهداً جديداً من حياتها»

«إن كسبت فيه بعض الحقوق، فإن عليها أن تنهض فيه بواجبات خطيرة وتبعات ثقال». إن هذا الشعور «مس الشباب، ودفع فريقاً منهم إلى أن يسألوا المفكرين وقادة الرأي عما يرون في واجب مصر بعد إمضاء المعاهدة مع الإنجليز ..». وعندئذ قد جعل كل واحد من «المفكرين المسؤولين» «يتحدث إليهم في ذلك حديثاً سريعاً مرتجلاً، بمقدار ما كان يسمح له وقته وجهده وتفكيره السريع في حياة سريعة، تمر بهم أو يمرون بها مر البرق».

قد تحدث الدكتور طه حسين نفسه إلى هؤلاء الشبان حين تحدثوا؛ غير أنه لم يقتنع بكفاية ما تحدث إليهم به، ولم ير أنه «قد دلهم على ما كان يجب أن يدلهم عليه، ولا قدم لهم ما كان يجب أن يقدمه إليهم»، واستقر في نفسه أن «واجب المصريين في ذات الثقافة والتعليم بعد الاستقلال أعظم خطراً وأثقل عبئاً، مما تحدث به إليهم في ساعة من نهار أو في ساعة من ليل، أو في قاعة من قاعات الجامعة الأمريكية». وأنه يحتاج إلى جهد أشق وتفكير أعمق وبحث أكثر تفصيلاً، ووعد نفسه بأن يبذل هذا الجهد، وأن يفرغ لهذا البحث، وأن ينهض بهذا العبء ... ولكنه لم يف لهؤلاء الشباب بوعده فوراً، لأنه «أشفق أن تحول ظروف الحياة بينه وبين إنجاز هذا الوعد، وليس أشق عليه من وعد يبذله للشباب ثم لا يستطيع له إنجازاً ...».

إن كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» كتب «لإنجاز ذلك الوعد الذي قطعه الأستاذ إلى الشباب الجامعيين ولم يخلفهم عليه ...».

إن هذه المقدمة تدل دلالة واضحة على أن الدكتور طه حسين قد شعر بخطورة هذه المباحث حق الشعور، وقدّر عواقب التسرع والارتجال فيها حق التقدير ... كما تعلن إعلاناً صريحاً أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن بذل «الجهد الأشق» الذي قال بضرورته، وقام «بالتفكير الأعمق» الذي نوه به، و«فرغ للبحث ونهض بالعبء» الذي أشار إليه.

غير أن من يمعن النظر في الكتاب — بعد مطالعة هذه المقدمة — يشعر بشيء كثير من خيبة الأمل؛ لأنه لا يجد فيه من الآراء والملاحظات ما يتناسب مع وعود العنوان وتصريحات المقدمة. فالكتاب يتألف في حقيقة الأمر من مجموعة خطب ومقالات قليلة التناسق كثيرة التداخل، يبدو في جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال، وتتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات.

فكثيراً ما يقع النظر في صفحات الكتاب على فكرة صائبة — معروضة بأسلوب جذاب — غير أنه يلاحظ في الوقت نفسه كثيراً من المآخذ في المقدمات التي سبقت تلك الفكرة، وفي الملاحظات التي تلتها، فيبقى حائراً متردداً بين مواقف الاستحسان والاستنكار.

إن نظرة إجمالية إلى أهم المسائل المطروحة في الكتاب تكفي للبرهنة على كل ذلك في وضوح وجلاء.

٦

إن المسألة التي يعتبرها الدكتور طه حسين أهم أبحاث كتابه تتلخص في السؤال التالي:

هل يوجد فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي؟

والمؤلف ناقش هذه المسألة في أكثر من ثلاثين صفحة من الكتاب مناقشة مباشرة ثم يعود إليها عدة مرات — وبوسائل شتى — في نحو ثلاثين صفحة أخرى.. وأما الحكم الذي يصل إليه من أبحاثه ومناقشاته هذه فيتلخص في العبارات التالية:

« فكل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يمتاز من هذا العقل الشرقي الذي يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب » (الصفحة ٢٨)

« فمهما نبحث ومهما نستقص فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل المصري والعقل الأوربي فرقاً جوهرياً » (الصفحة ٢٩)

إنني أشارك الدكتور طه حسين في هذا الحكم الصريح مشاركة تامة.. فقد درست وناقشت هذه المسألة غير مرة مراراً وبوسائل مختلفة، وانتهيت في جميع تلك الدراسات والمناقشات إلى نتيجة مماثلة لهذه النتيجة، لا بالنسبة إلى المصريين فحسب، بل بالنسبة إلى أمم الشرق الأدنى بوجه عام، والأمة العربية بوجه خاص.

ولهذا السبب، يسرني كل السرور أن أتفق مع المؤلف في هذا الحكم اتفاقاً تاماً؛ ومع هذا، يؤلمني جداً، ألا أستطيع موافقته على سلسلة الآراء والأحكام التي سردها حول هذه المسألة، وأن أراني مضطراً إلى مخالفته في معظم الملاحظات التي بنى عليها حكمه هذا، وفي بعض النتائج التي استخرجها منه.

أولاً، يكرر الدكتور طه حسين الحكم الذي ذكرته آنفاً عدة مرات — جرياً على عادته العامة — ويعبر عنه في كل مرة بشكل جديد، وكلمات جديدة — حسب أسلوبه الخاص —؛ غير أنه لا يتقيد — خلال هذا التكرار — بمعاني الكلمات وحدودها « التحديد العلمي » الذي يتطلبه مثل هذه الأبحاث... فيرتقي إلى مستوى التعميم والمبالغة ارتقاءً غريباً، فيبتعد عن « الحقيقة » التي كان يوصل إليها ابتعاداً كبيراً.

مثلاً، يسترسل مرة في الحديث حتى يصل [illegible] إلى كلمة العقل، فيقول:

« كلا، ليس بين الشعوب التي نشأت حول بحر الروم وتأثرت به فرق عقلي أو ثقافي ما » (الصفحة ٢٥)

أفلا يحق لي أن أسأل الأستاذ في هذا المقام: من يدعي — غير حضرته — أنه لا يوجد « فرق ثقافي ما » بين المصري، والفرنسي، والسوري، والإيطالي؟ إن القول بعدم وجود « فرق جوهري » بين « العقل المصري » و« العقل الأوربي » شيء، والقول بأنه لا يوجد بين المصري والأوربي « فرق ثقافي ما » شيء آخر... فإنما أسلم بالقضية الأولى إيماناً عميقاً، ولا يمكنني أن أسلم بالقضية الثانية أبداً... وأعتقد اعتقاداً جازماً أن إنكار وجود « الفرق الثقافي » بين الشعوب التي نشأت حول بحر الروم، لا يختلف عن إنكار وجود الشمس في رابعة النهار...

كما أرجح أن المؤلف نفسه لم يكتب ذلك عن « تأمل وإمعان »، بل كتب ما كتبه في هذه السطور مدفوعاً بعوامل الاستعجال والارتجال — بالرغم من صراحة القضية —. ومعروف بتغيير الألفاظ والكلمات. وربما كان من أبرز الأدلة على ذلك ما قاله في أواخر الكتاب حيث يختم أبحاث الكتاب بسؤال هام: « أتوجد ثقافة مصرية؟ » ويجيب على هذا السؤال بالعبارة التالية:

« هي موجودة، متميزة بخصائصها وأوصافها التي تنفرد بها من غيرها من الثقافات » (الصفحة — ٥٢٥)

ولا أراني في حاجة إلى البرهنة على أن مضمون هذه العبارة، يناقض القول الذي أشرنا إليه آنفاً، مناقضة صريحة.

ومما يجدر بالملاحظة أن مغالاة المؤلف في تشبيه المصريين بالأوربيين — وإنكار وجود الفروق بينهما — لا تنحصر في هذه القضية وحدها، بل تتعداها إلى أمور أغرب منها: إذ أننا نراه يدعي — في محل آخر من الكتاب — عدم وجود فرق بينهما من حيث الطبع والمزاج أيضاً... فهو يصرح بأنه « لا يختلف عن المصريين أن يعدوا في الأوربيين » ويبرهن على ذلك بقوله:

«... ليس بين المصريين والأوربيين فرق في جوهر ولا في الطبع ولا في المزاج ...» (الصفحة ٦٣)

ليس بين المصريين والأوربيين فرق لا في الطبع ولا في المزاج! لا أدري كيف يستطيع أحد أن يدعي ذلك بصورة مطلقة! فإن الفروق في الطبع والمزاج من الأمور التي تشاهد على الدوام بين الأمم الأوربية نفسها، وهي تبدو للعيان بين الإنكليزي والفرنسي والألماني والإيطالي ... حتى بين الشمالي والجنوبي من الفرنسيين، والشرقي والغربي من الألمان، والسهلي والجبلي من الطليان، وبين الريفي والمدني والصانع والتاجر، والمثقف والعامي من جميع هؤلاء ... فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه؟!

إنني أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه حسين لم يكتب هذه العبارة أيضاً عن تأمل واقتناع، بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير فورة الكلام.

إنني لا أكون من المغالين إذا قلت: إن «نزعة التسرع في الحكم والإسراف في الكلام» من الأمراض المستولية على معظم مباحث كتاب «مستقبل الثقافة في مصر»، وهذه النزعة هي التي ورطت المؤلف في مآزق غريبة، وأوقعته في مواقف لا تخلو من التناقض في بعض الأحيان.

وللبرهنة على ذلك أود أن أستعرض — علاوة على ما ذكرته آنفاً — ما جاء عن الأزهر في الأقسام المختلفة من الكتاب.

يذكر الأستاذ الدكتور طه حسين الأزهر — في كتابه هذا — أولاً عندما يبحث عن اتصال مصر بالحضارة الأوربية، فيتوسع كثيراً في وصف هذا الاتصال، لأنه يعتبره دليلاً على عدم وجود فرق جوهري بين العقلية المصرية والعقلية الأوربية، إذ يقول: «إنه لا عهد في هذه الأمثال من الشدة والجهد ما كنا نجده لو أن العقل المصري مخالف في جوهره وطبيعته للعقل الأوربي» (الصفحة ٣٥)

وعندما يتطرق المؤلف إلى مسألة الأزهر — خلال هذا البحث — يبرهن لنا كيف أسرف في التحمس إذ يقول عنها ما يلي:

«كل شيء يدل، بل كل شيء يصيح بأن الأزهر مسرف في الإسراع نحو الحديث، يريد أن يتخفف من القديم ما وجد إلى ذلك سبيلاً» (الصفحة ٣٤)

غير أننا نراه في محل آخر من الكتاب [illegible] من «الإسراف» الذي سنصفه في هذا المقام، إذ يقول:

«أصبح الأزهر مسرعاً إلى هذه الحضارة، يدفعه إليها [illegible] إلى شيء يشبه الإسراف إن لم يكن هو الإسراف» (الصفحة ٦٦)

كما أننا نراه في محل آخر يتناسى كل ذلك فيقول:

«إن الأزهر محكم في منهجه وتقاليده واتجاهاته العقلية، شديد المحافظة على القديم والتفكير القديم أكثر مما على الجديد والتفكير الحديث ...» (الصفحة ٩١)

ثم نراه يضيف إلى ذلك ما يلي:

«شيء آخر لا بد من التفكير فيه والعناية به: وهو أن هذا التفكير الأزهري القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهري المعاصر مسايرة الحياة الوطنية والقومية بمعناها الأوربي الحديث ...» (الصفحة ٩٢)

وفي الأخير عندما ينتقل إلى بحث الخلافات القائمة بين الأزهر وبين الجامعة لا يتحرج المؤلف من إبداء رأي يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة إذ يقول:

«يقتضي أن يعدل الأزهر عدولاً تاماً عما دأب عليه من الانصراف إلى نفسه والعكوف عليها والانقطاع عن الحياة العامة. وقد يظن أن الأزهر قد أخذ يترك هذه السيرة ويتصل بالحياة العامة ويأخذ بحظوظ حسنة من الثقافة الحديثة على اختلافها. وهذا صحيح في ظاهره، ولكنه في حقيقة الأمر غير صحيح؛ فالأزهر ما زال منصرفاً إلى نفسه مستمسكاً بهذا الانعزال حريصاً عليه ...» (الصفحة ٤٢٥)

أنا لا أود أن أبدي رأياً في الأزهر في هذا المقام، غير أني أريد أن ألفت الأنظار إلى الاختلافات الموجودة بين هذه الآراء التي صدرت من قلم واحد في موضوع واحد في كتاب واحد!

غير أن هناك شيئاً أغرب من كل ذلك أيضاً، فإن المؤلف لا يكتفي بالبرهنة على عدم وجود فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي، بل يحاول أن يبرهن على أن مصر لبثت جزءاً من الغرب، ويسير بين سلسلة آراء وملاحظات — يكتنفها الغموض والتضارب من كل جهات — ويقدم الأوربيين الذين

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

٧

يشهد الأستاذ أحمد أمين على نفسه فيقول :

« أين الشعر العراقي الذي نجد فيه الشعراء يتغنون بمناظر العراق الطبيعية ، ويصورون فيه أحداثهم الاجتماعية ؟ وأين الشعر الشامي أو المصري أو الأندلسي الذي يشيد بذكر مناظر الطبيعة وأحوال الاجتماع للشام ومصر والأندلس ؟ إنك تقرأ الشعر العربي فلا تعرف إن كان هذا الشعر لمصري أو عراقي أو شامي إلا من ترجمة حياة الشاعر . أما القالب كله فشيء واحد ، والموضوع كله وصف أو مدح أو رثاء أو هجاء أو نحو ذلك مما قاله الجاهليون »

ذلك كلام أحمد أمين ، نقلته بالحرف حتى لا أتهم بالتزيد عليه فهل يتم [illegible] من هذا الكلام ؟

يعتقد أحمد أمين أن شعراء العراق لم يصفوا مناظر بلادهم الطبيعية ولم يصفوا أحداثهم الاجتماعية

[illegible] جولونه [illegible] مصر جزءاً من الشرق ، وأن المصريين غربيون من الشرقيين ! ثم يقول

« إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق » (ص ٦٨)

[illegible] ولا شك [illegible] يتناسى قوله هذا ، ويدخل المصريين في عداد الشرقيين ، في عشرات المواضع من الكتاب . . لا أرى حاجة في هذا المقام — لتعدادها ، فأكتفي بذكر ما يقوله للقارئ في هذا النص في أواخر الكتاب ، حيث يشرح اقتراحه في صدد فتح مدارس مصرية في الأقطار العربية ، فإنه يقول إذ ذاك

« ما أظن أن السياسة الوطنية لهذه الأقطار تكره أن تنشأ فيها مدارس مصرية ، تعمل على أبنائها ثقافة عربية شرقية ، ويعلمهم فيها معلمون شرقيون مثلهم » — (ص ٥٢٢)

« يتبع » — زكي مبارك

ولو أنه كان اطلع على الشعر العراقي في عهد الدولة العباسية التي عنيته ، لعرف أن شعراء العراق لم يرحلوا في تخليد [illegible] أمجادهم وبساتينهم ، ولم يتركوا نهراً ولا كثيباً من كثبان [illegible] إلا أفردوها بحديث خاص ، وأخبار الغزل والتشبيب تشهد بذلك

لو كان أحمد أمين اطلع على الشعر العراقي لعرف أن العراقيين تغنوا بمناظر بلادهم أشد التغني ، ومن يعرف قراءة العربية يجهل أسماء [illegible] الكرخ من القريات ؟

ألا يمكن أن يكون فهم الشاعر الذي قال :

يا ليت ماء الفرات يخبرنا ... أين استقلت بأهلها السفن

وقد تغنى العراقيون بطبيعة العراق فوصفوا الحمام السواجع وتفننوا في وصف الليل ، وتحاوروا في وصف الأزهار والرياحين ، وأسهبوا في وصف الملاحة والصباحة والجمال ، وكادوا ينفردون بالتفوق في وصف مجالس الأنس والشراب

وكلف شعراء العراق بوصف ندمائهم وجواريهم ، ولهم وصائف كثيرة في الغيران وجيوب الرهبان ، وهل أسهم في أديم العراق دير غفل من وصف الشعراء ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن العراقيين أحبوا الطبيعة أصدق حب ، فهم الذين أذاعوا في الناس معاني الحب الموجود ، وهم أصدق من [illegible] وصف الغدائر والظباء ، وكانوا ولا يزالون أقدر الناس على تذوق معاني الحياة من بؤس ونعيم

هل نسي أحمد أمين أن طبيعة العراق هي التي أنطقت من يقول :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

إن العراق الشاعر لا ينتظر حكم أحمد أمين ، فقد رقم أغانيه الشعرية فوق جبين الزمان . وهنا أستشهد بقول الشاعر الخازم في خطاب دجلة

[illegible] على [illegible] بين أنداء الورود

وهي كلمة صدق في شاعرية العراق

لقد وصف العراقيون كل شيء من مظاهر الطبيعة في العراق حتى الحيات والثعابين والعقارب والزنابير والبراغيث !

وأحمد أمين هو المسئول عن إيراد الشواهد لأنه من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية

ويعرف هذا الرجل أن العراقيين لم يصفوا عواطفهم الاجتماعية

وأقول إن شعراء العراق يتميزون بالجرأة في وصف أحداث المجتمع، وفي العراق عدد كبير من الشعراء مسجونين أو مقتولين بسبب الجهر بكلمة الحق في وصف الأحداث الاجتماعية، وما قامت في العراق دولة أو سقطت دولة بدون أن تظهر قصيدة أو قصائد من أولئك الشعراء الذين كانت أشعارهم موازين في الحياة السياسية

* * *

وهذا أول كرسالة سيحتاج إليها أحمد أمين حين يؤرخ الحياة الأدبية في العراق لعهد بني العباس

يجب أن يكون معلوماً عند كل أديب أن الدواوين التي تحفظ أشعار أهل العراق لا تمثل الحياة الشعرية لأهل العراق تمثيلاً صحيحاً، فالذي بين أيدينا من أشعار أهل العراق هو الجزء الذي سمحت له السلطات السياسية أن يعيش، وأكاد أجزم بعد أن درست حياة العراق أن الثروة الشعرية هناك ضاعت منها أشياء كثيرة جداً بسبب الخوف من المسيطرين على الحياة السياسية والاجتماعية

وقد اهتديت إلى ذلك حين درست العصر الذي عاش فيه الشريف الرضي، فقد لاحظت أن العراق في ذلك العصر عرف لونين من الحياة: حياة السر وحياة العلانية، ويكفي أن الشريف ضاع من حياته الشعرية نحو عشر سنين بسبب الخوف من عواقب الجهر بكلمة الحق

وقد صح عندي أن الشريف الرضي هو شاعر الثورة على الاستبداد

ولكن شواهد هذا الجانب من حياته الشعرية قد ضاعت

ومن يجيب أشعار بشار في الثورة على رجال السياسة وأقطاب المجتمع؟

هل بقيت أشعار ابن الرومي في الحقد على معاصريه من الحكام والوزراء؟

لقد عرفنا سبب ما جرى لابن الرومي، وذهب شعره اللاذع إلى غير معاد؟

وكيف غاب عن أحمد أمين أن بعض العراقيين أسرفوا في الجهر في آرائهم بإنشاء الرموز والكنايات؟

إن كان أحمد أمين ينكر أن شعراء العراق وصفوا الأحداث الاجتماعية فليشرح لنا كيف أمكن أن يموت كثير من شعراء العراق بالقتل والاغتيال

وهل يقتل الشاعر أو يغتال إلا بسبب الجرأة في الجهر بكلمة الحق؟

وهل في آداب الأمم كلها أروع من قول الشاعر الذي قال:

أمنوا المؤمن من شركم ... إن كان [illegible]

وهو شاعر قد تأدب بأدب أهل العراق

إن ديوان الشريف يصور أكثر ما وقع في العراق من الأحداث السياسية والاجتماعية في الشطر الأخير من القرن الرابع، ففيه نرى ما وقع لأقطاب الكتاب من النكبات والخطوب، وفيه نرى كيف انتهت حياة الخليفة الطائع، وفيه نرى صور القتال الذي دار بين السنة والشيعة، وفيه نرى عدوان بني تميم على بعض أصدقاء الشاعر من [illegible]

وما يقال عن ديوان الشريف الرضي يقال عن ديوان المتنبي فهو سجل لأكثر الحوادث التي وقعت في الشطر الأول من القرن الرابع، وهو مصور لأكثر ما عرفه من الأقطار العربية والإسلامية، وهو تاريخ لأكثر من اتصل بهم من الوزراء والرؤساء والملوك

وهل يمكن أن يقال إن أشعار المتنبي وهو في حلب تشبه أشعاره وهو في مصر؟

إن القول بذلك لا يقع إلا من رجل مثل أحمد أمين يستدل بوحدة القوافي والأوزان على وحدة المعاني والأغراض

وما رأي هذا الباحث الفاضل في أشعار مسلم بن الوليد؟ هل خطر بباله أن عند هذا الشاعر قصائد تؤرخ بعض الوقائع الحربية؟

وهل توجع شاعر لمصرع المتوكل إلا بعض رثاء البحتري؟

ومن عرف الناس حرب المعتصم يوم عمورية إلا بفضل بائية أبي تمام؟

* * *

و[illegible] الشاعرين الذين خدموا الخلفاء في العراق ننتقل إلى شعراء الشام، فهم عند أحمد أمين لم يصفوا بلادهم ولم يصوروا ما وقع فيها من أحداث اجتماعية

هل يعرف أن شعراء الشام كانوا من أحرص الناس على وصف الطبيعة وأقدرهم على وصف أحداث المجتمع ؟

هل سمع أحمد أمين باسم شاعر يقال له الصنوبري جعل كل الإجادة في وصف المناظر الطبيعية ؟

هل يجهل أحمد أمين أن أبا فراس الحمداني سجل الصراع بين العرب والروم أروع تسجيل ؟

هل ينكر أحمد أمين أن المعري وصف أحداث زمانه وصفاً غير مملول ؟

هل يعرف أحمد أمين أن شعراء الشام تغنّوا بمحاسن بلادهم وأسرفوا حتى جعلوا الشام جنة الأرض ؟

هل يعرف أحمد أمين أن شعر الغوطة شرّق وغرّب بفضل ما تغنّى به أولئك الشعراء ؟

هل يذكر أن الميل بالوصف كاد يصير طبيعة شامية تشهد به ما صنع البحتري حين وصف إيوان كسرى بالعراق ؟

وهل يذكر أن قصيدة أبي تمام في وصف الربيع لا تقل روعة عن أعظم ما قال الأوربيون في الربيع ؟

وهل يذكر أن مساورة الكلب والأسود لم توصف بأجمل مما صنع البحتري والمتنبي ؟

وما رأي أحمد أمين في الصحراء ؟

أليست الصحراء من الطبيعة يا حضرة الأستاذ ؟

هي من الطبيعة بلا ريب، فهل يستطيع القول بأن شعراء الشام والعراق لم يصفوا الصحراء ؟

وما رأي أحمد أمين في حيوان الصحراء ؟

أليس من الطبيعة ؟ هو من الطبيعة بلا ريب، وقد خصّه شعراء الشام والعراق بالوصف والتصوير

إن أحمد أمين لا يرى الطبيعة إلا في الشجرة والزهرة، ولو قال غير رجل غيره لقلت إنه ينظر إلى الوجود نظرة عامية

فهل يتصور الأستاذ أحمد أمين [illegible] هذا التعريف ؟

إن الطبيعة لها مظاهر كثيرة جداً، فهي تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وهي تشمل كل ما تراه العيون، أو تحسه القلوب، أو تدركه العقول

فكيف جعلها مقصورة على الشجرة والزهرة ؟!

ومع ذلك هل قصر شعراء الشام والعراق في وصف الأشجار والأزهار ؟

وكيف [illegible] أوهموا بين الناس أن النظر إلى الطبيعة [illegible] العيوب ؟

هل يذكر أحمد أمين كم ألوفاً من الرتب ذكر الأشجار والأزهار والرياحين في أشعار أهل الشام والعراق ؟

هل يستطيع أن يدلنا على شاعر واحد لم يوجه قلبه وشعوره إلى المظاهر الطبيعية ؟

وهل يصير الرجل شاعراً إلا بعد أن يطبع إحساسه بمظاهر الوجود ؟

* * *

أترك هذه الجوانب وأنتقل إلى حكمه على الشعر المصري، فالشعراء المصريون في نظره لم يكونوا إلا مقلدين لشعراء الشام والعراق.

ولأحمد أمين في هذا الحكم الجائر عذر مقبول، لأنه لم يدرس الشعر المصري دراسة تمكنه من الحكم له أو عليه، ولو كان من المطلعين لعرف أن الشعراء المصريين وصفوا بلادهم وتحدثوا عنها بأرق المواصف، وتغنوا بمحاسن بلادهم أجمل غناء

وهل رأيت شاعراً أحس الطبيعة كما أحس ابن النبيه إذ يقول:

إذا شربت ذوائبه عليه ... حسبت الله ربّ عليه ظلّ

وهل في العربية شاعر صوّر أوهام قلبه ووساوسها من مختلف الأحاسيس كما صنع البهاء زهير ؟ وهل عرفتم شاعراً شرب من كوثر الوجود كما شرب ابن الفارض ؟

اسمع، يا صديقي أحمد أمين، فقد تواترت الأخبار بأنك ستدرس الأدب المصري في كلية الآداب، وليس من الكثير عليك أن تسمع النصيحة من رجل مثلي، فأنت تعرف منزلتك في قلبي، وتعرف جيداً أني أخشى أن تكون من الواهمين !

إن الشعر المصري طراز خاص، وله مزايا تفرد بها بين الأشعار المروية في اللغة العربية، ولو ألقيت قصيدة مصرية بين ألوف من القصائد لعرف المتوسمون أن أزهارها تفتحت فوق شواطئ النيل . .

وهل يستطيع — أحمد أمين — أن يحول بيني وبين ديوان ابن سناء الملك فكيف ينسبه إلى البحتري أو ابن الرومي أو مسلم بن الوليد ؟

إن أحمد أمين يصرح بأن الشعر المصري لا يدل على مواطن أصحابه إلا بعد النظر في تراجم الشعراء.

فهل يصح هذا القول في أشعار ابن نباتة والبهاء زهير ؟

وهل يصح ذلك في أشعار عمر بن الفارض ؟

وهل يصح ذلك في أشعار ابن النحاس وأشعار البوصيري ؟

وهل يصح ذلك في أشعار عمارة اليمني ، وقد عاش في مصر حيناً من الزمان ؟

إن مصر قد عرفت من زارها من الشعراء على وصف ما فيها من طبائع وأخلاق ، ولهذا كانت السبب في شهرة من زارها من الشعراء ، فكيف يصح القول بأنها لم تتفرد بين الأمم العربية بخصائص شعرية ؟

وهل يمكن القول بأن أشعار صفي الدين الحلي وهو في مصر تشبه أشعاره وهو في العراق ، أو أن أشعار ابن سناء الملك لا تدل دلالة صريحة على الوطن الذي عاش فيه إلا عند الاطلاع على ترجمته ؟

إن البوصيري — وهو شاعر اصطنع مذاهب القدماء في الأخيلة والتعابير — تدل على مصريته لأول نظرة ، فما بالك بالشعراء المصريين الذين استوحوا عواطفهم ولم يحاكوا شعراء بني أمية أو شعراء بني العباس ؟

بقيت مسألة معضلة هذا المقال ، وهي أن نوضح بعض ما تستحق من الشرح قبل أن نتكلم عن أحكامه على الأدب الأندلسي ، وهي أحكام سيحاسب عليها أشد الحساب

ما رأيُ حضرة الأستاذ في الأشعار العراقية والشامية والمصرية التي صورتْ ثورة أصحابها على الدنيا والناس ؟

أيظن أن شعراء العصر الأموي والعباسي في تلك الأقطار تحدثوا عن زمانهم ودنياهم ، كما تحدث الجاهليون ؟

لقد نشأ في الشعر فن يسمَّى « شكوى الزمان » فهل يراه من وصف المجتمع ؟ أم يراه من النوازع النفسية ؟

إن كان من وصف المجتمع فهو ثروة عظيمة تنقض رأي أحمد أمين ، وإن كان من النوازع النفسية فهو أيضاً من وصف المجتمع لأنه شرح لأسباب الثورة على الدهر والناس

لو كان أحمد أمين كلف نفسه عناء الاطلاع على ديوان أو ديوانين قبل أن يصدر تلك الأحكام البواطل ، لعرف أن من المستحيل أن تكون تلك الثروة الشعرية من لغو القول . فقد حفظ التاريخ الأدبي أكثر من مئة شاعر من الفحول في مصر

والشام والعراق ، وهؤلاء الثلاثة — ولا أسمي الكتاب — كانت لهم مذاهب في وصف الطبيعة ، والتحدث عن المجتمع [illegible] أو المجتمع الموجود

وكانت لهم مذاهب في الشعر عرفت بأنه صوروا فيها [illegible] في حياة المجتمع ، وهل كانت رسائل الخوارزمي وبديع الزمان [illegible] إلا صوراً للأحداث الاجتماعية والسياسية ؟

وهل يحتاج الباحث إلى النص على أن الشعراء والكتاب كانت واجبهم فرصة لدرس مشكلات السياسة والمجتمع ؟

من الذي يقول بأن شعراء مصر والشام والعراق لم يشتركوا في توجيه الأمم إلى الأغراض السياسية والاجتماعية ؟ وهل كان الشعراء في تلك العهود إلا ألسنة السياسة والمجتمع ؟

قد يقال : وأين شعر الأدباء الذي عبروا عن السياسة والمجتمع ؟

وأجيب بأنه ليس من المهم أن يكون الأدباء كلهم في السياسيات والاجتماعيات ، إن صح أن وصف الدقائق الذوقية والوجدانية لا يمس المجتمع

ومن الذي يوجب أن يكون تصوير المجتمع مقصوراً على العلاقات بين الشعوب والأحياء ، وبين الحاكمين والمحكومين ؟

إن الأصل في الشعر يرجع إلى عنصر واحد هو الصدق ، وإذا صح أن الشاعر صادق الحس والعاطفة فمن حقه أن يتكلم كيف شاء وأن يصف من الأغراض ما يريد

لقد انتقص عمر بن أبي ربيعة أن يقف أشعاره على أهوائه الذاتية فهل يمكن القول بأن أشعار ابن أبي ربيعة لا تمثل جوانب من المجتمع الذي عاش فيه ؟

وكيف وهي صورة لثورة العواطف في موسم الحج وتسجيل لبعض أحوال الناس في ذلك الحين ؟

والمعنى لأبي نواس أن يقصر أكثر شعره على الخمر والمجون ، فهل كان ذلك إلا تمثيلاً لبعض أحوال المجتمع العراقي في ذلك العهد ؟

والحق لأبي العتاهية أن يكون أكثر أشعاره في الزهديات ، فهل كان ذلك إلا تمثيلاً لبعض النزعات الروحية في ذلك الزمان ؟

وما رأي الأستاذ أحمد أمين في أشعار الزهاد والنساك ، وأشعار الملحدين والخلعاء ؟ وما رأيه في أشعار الزنادقة والمرتابين ؟

أليس ذلك كله صوراً لأحوال المجتمع ؟

وما رأيه في الأشعار التي جاءت في وصف الإخوان والأبناء والأزواج ؟

أتراها أجنبية عن المجتمع ؟

معنى أني أجاهد في غير ميدان ، وأحارب في غير معترك ، لأني أشرح البديهيات ، وأقيم الأدلة على أن نطرد أسهل من الشكل وأن الواحد نصف الاثنين !

ولكن هل كنت أملك أن أصنع غير الذي صنعت ؟

إن جمهرة القراء لم تكن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين يخطئ ثم يصرّ على الخطأ ؛ ولم تكن تنتظر أن أنبه عليه وأنا الذي دافعت عنه في مجلة الرسالة يوم تجنى عليه بعض أدباء لبنان

وقد تفضل بعض أدباء العراق فدعاني إلى أن أنبه الأستاذ أحمد أمين إلى أغلاطه في الأيام الأخيرة بالدعوة إلى سرد التهمة السيئة

فهل يطلبون أني متوكل بتقويم الأستاذ أحمد أمين ؟

إن المهم هو سد كثرة جوانب ما يصنع في التجني على الأدب العربي وتحويله من عصبية من وثقوا فيه يوم رأوه مشغولاً بالدراسات الإسلامية ، وكان يستحق الثقة قبل أن يصنع بنفسه وبكاتبه ما صنع

وتفضل فريق من الباحثين فدعوني إلى شواهد من أغلاط أحمد أمين في مؤلفاته ودعوني إلى عرضها في هذه البحوث النقدية

فليعرفوا — مشكورين — أني لا أستطيع ذلك ، لأني لا أحب أن يسوء رأي الناس في مؤلفات أحمد أمين ، برغم ما فيها من أغلاط ، فقد عانى مثل الذي عانيت من إجهاد العيون تحت أضواء المصابيح

ليس المهم أن نهدم الأستاذ أحمد أمين — فذلك ما لا يصبو إليه — ولكن المهم أن نكف شره عن الأدب العربي وأن نزجر من يطمع إلى مثل غرضه من عوام الباحثين

فليعلم أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن في مصر رجالاً أدباء يسد الطامعين ويحمي الحائرين ، وهو يعرف في سريرة نفسه أني لا أتجنى عليه إلا وأنا آسف محزون ، لأنه كان مثالاً للصديق الأمين

وبعد مقال أو مقالين أو مقالات سأتركه يتنسم هواء البحر وهو آمن بشواطئ الإسكندرية بين وثبة الفكر وهدير الأمواج

« للحديث شجون » — زكي مبارك

بين جنايتين
الأدب الجاهلي والجناية عليه
للأستاذ عبد الجواد رمضان

كنت من أزهد الناس في الكتابة وأظهرهم رغبة عن المناقشات الصحفية الأدبية والعلمية ، على قلة حاجة في مطالبها ، ورغبة منحة في تتبعها ، وشوق شديد إلى ما يتحلب من حية طرية ومرعة عاطرة ، وصرخة مكشوفة ومداورة خادعة ، وصحبة سمحة أو خاطفة ...

ولعل مشهداً من المشاهد لم يثر في نفسي شهوة التدخل بين طرفيه ما أثاره موضوع للموسم بين الدكتورين : زكي مبارك وأحمد أمين ، أو الأستاذين الجليلين : أحمد أمين وزكي مبارك « على التغليب يا دكتور » ... وأعوذ بالله من شهوة الكلام عندما تصادف حطة أو صمت برهماً أو آمالاً معطلاً تحسن السكوت عنه ويخشى على حده الصمام ! ولولا ما في أمثال هذه المحاورة من استعراض الآراء وتسخيره شتى للمذاهب والبحوث وجلوه الفروق الدقيقة بين المعصورين مما يعود بالخير على العلم والأدب ، ويتيح انطلاق النظر أمام الباحثين لكان في إثارتها جناية أي جناية ، وإجرام أبلغ إجرام

فالمتحاوران في موضوع الموسم عظيمان من عظمائها مصر ، جليلان من جلائل مصر ؛ ولئن اختلف حسب الخلاف والمنطقة فيهما ، إنهما يلتقيان في أنهما قطبان يخرج من جهودهما في البحث والنظر نفس كبير وجهد وعلم

عرفت الأستاذ الكريم أحمد أمين رجلاً رزين الحس ، رصين المنطق ، حصيف الرأي ، بعيد الأناة ، صادق العزم والقصد ، مطالع الناس من آثاره بحث العلماء وجلال المتواضعين ، ونظرات المجربين وثبات المستقيمين ، لا يرهبه الصياح وإن صخب وجهر ، ولا يثيره الضجيج وإن احتدم وزمجر ، بل يمضي قدماً إلى الهدف الذي قصد ، والغاية التي نشد ... ذلك أحمد أمين من لم يعرفه

وأما الدكتور زكي مبارك فذلك الأديب الثائر الشاعر الناثر المتمرس البارع ، الأزهري العربي الذي حصل له في هذا الجيل أن يجمع بين أدب الزكانة ، والإخلاص للخصومة ، ويؤاس

بين الإيمان والتمرد ، وموفق بين الأناة والمرحلة و ..

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ورجع معرفتي بالدكتور إلى عهد الصبا ، وهو تلميذ للمغفور له الأستاذ السيد مصطفى القاياتي ، يختصه بفضل عنايته ، ويمنحه من أسباب الكرامة ، والثناء والإعجاب ، ما يبعد في غور القلب بينهما ، ويبالغ في صلة كل منهما بالآخر ، صلة يجرع منه الأمراض ويرجى على كل إنسان ؛ ولقد حالت ظروف الحياة دون اتصالي بالدكتور ، إلا أني لا أشهد في ثورته كأنما تلك الروح المريحة الثائرة ، روح أستاذه الكريم حية تثب ، لا يكبتها ملام ، ولا يبهرها وعيد ، ولا تكبحها غاية ، حيث تجري على أي غاية رمى الأستاذ أحمد أمين ؟!

لا جرم أن الأستاذ أحمد أمين كان في جنة من نبل حسبه كرم أخلاقه ، ومن آثاره القيمة التي لا تدفع عن مورد الخلود لو أنه جرى على سننه وأخذ إلى عيبه التي لا جنتم واستحكم ذلك الأمن الذي سكنها — قديماً — ما كتبه الدكتور زكي مبارك بعد آية الدكتور طه حسين بك ، يجمعه برسن حكمه في أوهى في حيثية الأتوره إلى الدكتور زكي بلقى عادة كما يلقى الصريع المصارع ، لا كما يلقى العالم العالم — أو كما قال

بيد أني أرى الأستاذ أحمد أمين في عهده الأخير ، أغفل من حلاله ، ما فتح به الدكتور ثغرة يتعذر سدها إلى إدراك ثأره القديم ؟ والدكتور — ولا ينكر إلى الحق ... أن سيرها عرمة ستحث ، فشق بها صفه ، بلا أنى ولا استكراه

* * *

ما رأيت عربياً للأستاذ أحمد أمين عصفه ... بين التبل والعسل ، حتى قرأت له عهم أول رده على صفحة الشيخ الببلاوي في جريدة الأهرام ؛ ذلك الرد الذي كان عنوانه « أدب الخطاب » ! والمعروف يقرأ من عنوانه ؛ والشيخ الببلاوي — وإن حرداه من جميع ... لن يستطيع أن يجرده من جلال السن ، ومن الشعر في الإسلام ؛ فليس به شيء في أدب ولا عرف أن يعلم أدب الخطاب

أخشى حسرى أن تصرعني بعد سبى بين منتدى الأدباء !

من حق الأستاذ ومن دون الأستاذ أن يرد على مخالفه ؛ ولكن من حق المخالف ألا يستم ؛ ولم تكن خشونة الكلام وسيلة من وسائل الإقناع المنطقي ، إلا في المواطن التي تنكرها

الجمعة ، ولا يشرب بها الطلع ؛ والأستاذ في ... وصفه الأخيرة صحته ؛ ولا يحجره رهانه

كان عندي أول رأيه للعالم ... فأما الأخرى ؛ فهي إيساؤه لجنة الشعائر التي أزالته من مكانه بين المللين وقذف به إلى صف المصحفيين ، فأصبح وهدفه أن يروج عمله وينشر بين القراء ، ويكثر في وجه كل عمل صبغه أو لجمها ؛ ولا يروج المجلة إلا بجديد ؛ فيجد مولانا الأستاذ في أدب المعدة ، وأدب الروح ؛ وبين الدين الصناعي والدين الطبيعي ؛ وفي حملته الأدب الجاهلي على الأدب العربي ، الخ الخ الخ

لقد بدأ الأستاذ يكتب ما كتب ؛ وأخذ الكتاب يتبعه طريقهم ، بين خذل وناصر ؛ وكان أجرأ الكاتبين « بلا ريب » الدكتور زكي مبارك ، ولا فخر وكان ضرورياً أن يدافع الأستاذ عن آرائه ، وأن يحور من سياحه ، ويهرب من القلم لحوار والرأي السؤال ؛ ولكن الأستاذ سكت ؛ ولا أدري أسكوت متوقف أم مؤيد ، فإن كان سكوتاً متوقفاً ، فأنا أشوق الناس إلى رده ؛ ويثبت على به ؛ وإن كان سكوتاً مؤبداً ، فهل تراه تراجع إلى الأمر الذي أحدثته آراؤه في رواج مجلته ، ورأى أن ما بين الدكتور زكي على سنن ما كان بيننا سيداً في الكتاب

إذا عز النصير فلا عجب ... خير من إماتته السكوت نائب ... كأنه عرجت منه ... وفي حليته كدأ يموت !!

وإذ كان رده هو هذا ، فإني أهل له الجواب ، فأقول ذلك لو حييت على حدثك ، واحتفظت بمقامك القديم ، فأنا الآن عند تساوت الكفتان ، والفتح من ...

على أن حيث الدكتور زكي مبارك لن يموت قريباً ؛ فإنها بمعرض الخير

* * *

أما بعد ، فلقد علم الله أني أحب الأستاذ أحمد أمين وأحترمه ، أكثر مما أحب الدكتور زكي وأحترمه ؛ وكنت قميناً أن أتعصب للأستاذ وأتعصب له ، على تعصبي له ، وإجلالي إياه ؛ ولكن — ولا أكتب الله — أشعر بفضل الدكتور عنه بشيء من الارتياح ذلك هذه الطعنات الموالي ، التي حشا بها مقالة الأدب الطبيعي والصناعي ، ليصب بها قوماً غافلين ، لم يعرضوا له إلا بكل خير ، ولم تغفل عين الله عن أنظارهم

[البقية في العدد القادم]

في طرسوس

على قبر الخليفة العظيم

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه مدينة أدنه (أطنة) جئتها البارحة وسيمر بها اليوم قطار طوروس السريع ذاهباً إلى الشام، وهو يمر بها ثلاث مرات في الأسبوع. فإن فاتني قطار اليوم فلا مفر من الانتظار في أدنه إلى السبت. إن هواء أدنه حار، وليس فيها ما يشغل الزائر ثلاثة أيام مهما طلب! إن لي في طرسوس قرباً ولا بد لي أن أزور طرسوس. إنها قريبة منك وبينها مسيرة ساعة بالقطار. ولو كانت بعيدة لا أرجح في القصود هنا. إن لم يتيسر لي العودة منها قبل موعد القطار فليذهب قطار الأربعاء وليذهب قطار السبت ثم من يزور طرسوس ممتلئ إيماناً في القلب...

[illegible] ... من دموع ... بالعين

فتاجلو أدنه ... أن أرى طرسوس؟ أعظم ... من عقوق وحرمان النفس مما عنت مني هوالاً

ما شأن طرسوس؟ ما الذي يشوقني إليها؟ إنها مدينة صغيرة كئيبة المنظر ... ؟ فأي ذكر ... طرسوس ... وأي تاريخ كبير في تراب هذه المدينة الصغيرة!

سوف لن أذكر إليها ... فأدرك قطار طوروس، ولكن فاتني قطار ست ونصف من الصباح وكان علي أن أختار إحدى النعمتين: إما قطار طوروس وإما طرسوس.

أصعدت القطار إلى طرسوس والساعة ثمان ونصف.

هذه طرسوس أحد الثغور القديمة بين المسلمين والروم. طرسوس التي قصدها الرشيد ومات فيها ابنه المأمون غازياً. كان مات الرشيد في طوس ومات ابنه في طرسوس. فهذه أسماء تهدي السهمان من بغداد إلى طوس وطرسوس. من كان يظن أن الرشيد والمأمون كانا معروفين من أبناء النعيم وسكان القصور فليعلم أن الرشيد كان عامه لا يخرج بين الحج والغزو.

في جلب ... أو ... في الحرمين أو أقصى الثغور، وأن المأمون لم يقعد عن عادة ... إلى ثغور الروم، وأنه لقي منيته غازياً في هذه المدينة النائية طرسوس.

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ ... مون في ظل ملكه المحروس

خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثلما خلفوا أباه بطوس

يقول ياقوت:

«وبينها وبين أدنة ستة فراسخ، وبين أدنة وطرسوس ... والفندق الجديد. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان.

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال، وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ الخ»

كانت طرسوس ثغراً تتكسر عنده موجات الروم، وفي إقليمها غزا أمير العرب وشاعرهم سيف الدولة وأبو الطيب المتنبي.

واستولى عليه الروم سنة ٣٥٤ حين ضعف سيف الدولة فخربوا مساجدها وجلا كثير من أهلها. يقول ياقوت: «وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرب المساجد وأخذ من خزانة السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من أيام بني أمية إلى هذه الغاية ...»

ثم دخلت في حوزة المسلمين حينما امتد سلطانهم على بلاد الروم من بعد.

وبعد الحروب الصليبية استولى عليها المصريون، ثم استولى

ثم شد ... كل من أحس شهرة ... في هذا البلد، فلا عجب الباحث منهم عما دون قلب الأوضاع! وهو التاريخ، ... خلق الله! وهو أعمر من أن ...

* * *

ولا يسعني أن ألقي القلم قبل أن أوجه تهنئتي إلى الأستاذ أحمد أمين بما يكون قد أصابه من علاج ... ولست أدري أمن قبيل أدب المعدة هو أم من قبيل أدب الروح؟ لأن النوعين لا يزالان في حاجة إلى مزيد تحقيق.

فأما أنت يا دكتور زكي، فإني أنصحك بأن تضرب عن مساجلتك هذه المرة، ... ورحم الله حكيم الشعراء:

[illegible]

عبد الجواد ...
المدرس في كلية اللغة العربية

طلبها بنو حمدان الذين حكموا أمدها وما حولها في القرن الثامن الهجري إلى أن أزيل منهم العثمانيون

ذكرت كثيراً من وقائع العصر في طرسوس وذكرت الرشيد والمأمون وسيف الدولة والمتنبي وقصيدته السينية التي مدح بها محمد بن زريق في طرسوس

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ... ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

ورأيت الشاعر حين ذكرت أن الممدوح أعطاه عشرة دراهم فقيل له: إن شعره حسن. فقال: ما أدري أحسن هو أم قبيح ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم

وكنت في طرسوس غريباً ومعي رجل من الإسكندرية، وكان المصري يعرف العربية، ولا نكلم أحداً في هذه النواحي العربية إلا أجابك

قلت: أين مسجد رأس الملك؟ فذهب إلى مسجد عظيم أنشأه محمد بك المصري، ولم أجد الملك هناك ولكني رأيت [illegible] العظيمة [illegible] ما رأيت فيها وما سمعت

وسألت رجلاً هناك: أتعرف قبر الخليفة المأمون؟ المأمون ابن الرشيد مات هنا ودفن، فهل عندكم علم عن قبره؟ قال: لا، ولكن هنا شيخاً خبيراً بالآثار، فسل عنه هنا. فذهب بي إلى فلان، وهو يصف المعوذين للوسع! انتهى السائق إلى جامع كبير له سور عال ضخم كأنه أحد القلاع، وعلى مقربة منه مئذنة كبيرة، وبجانبه سكة منفقة. دخلنا الجامع إلى صحن واسع يحيط به أروقة عقدت على جدار الباب، ومن اليمين والشمال، وفي وسطه حوض مظلل؛ ويتصل الصحن والمسجد جدار دخلناه من باب، ومنه إلى مسجد مستطيل فيه ثلاثة عمود تقوم على صفين من القبة.

وفي الجدار الشرقي من المسجد كوة تطل على الحجرة المغلقة نظرت منها فإذا محل مستور، وإذا ثلاثة قبور، أشار خادم المسجد — وهو شيخ الأصل — إلى أقربها إلى الكوة وقال: هذا قبر المأمون. قلت: أرأيت عليه كتابة؟ قال: أجل! وقد سألت أناساً في طرسوس وأدنة فأجمعت كلهم على وصف القبر وموضعه. وأما المؤرخون فقد أجمعوا على أن المأمون دفن في طرسوس. وأخبرني بعض علماء العرب والترك أنهم رأوا القبر وقرأوا عليه اسم الخليفة المأمون.

هذا الخليفة العظيم... هذا الرجل العالم المحب للعلم والعلماء!

هذا الخليفة المعز الذي قال: لو علم الناس حبي العفو لتقربوا إلي

بالذنوب ... هذا عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

رحم الله أبا العلاء؟!

أمر بالمنصب القصير صوتكم ... [illegible] على الصخرة الأعراف

والرأي في قول ابنة العنب اكتفى

مات من الأعداء والأوصياء

هذا أمير من أمراء المؤمنين [illegible] الإسلام، وحق على الأمم الإسلامية كلها على اختلاف أجناسها أن تشيد بذكره، وتعظمه في قبره!

لقد عرفت قبور الخلفاء العباسيين في بغداد وسامرا؟ فلا يعرف أحد منهم قبراً اليوم إلا هنا قبر هارون الذي طمس عليه غصب الشيعة في طوس؟ وهذا قبر المأمون الذي طمس عليه النسيان في طرسوس أو كاد

حسب أن حضر إلى قبر المأمون ساعة فأستعيد ما يرجع إلى حسن عظمة الماضي ومصائب الحاضر، وعبر الزمان، وعظة الأيام، وما يبعثه في النفس ذكر المأمون وعواطف من مجده وإحسانه وخطره وعبره!

ثم جلت في طرسوس فرأيت مساجد عتيقة، ولكني أضرب كل شيء [illegible] إلا بقدر ما وقفت على قبر الخليفة الكبير المأمون بن الرشيد رحمه الله

عبد الوهاب عزام

اتق شر حرارة الصيف

كلما حل فصل الصيف تعرض جميع المصابين باضطرابات الدورة الدموية إلى أعراض وأمراض مختلفة. ومن هؤلاء المصابون بتصلب الشرايين وضغط الدم [illegible] وضعف القلب [illegible]

وعلى هؤلاء وجه النصيحة ومن واجبهم أن يحافظوا ولا يعرضوا أجسامهم [illegible] الخطر [illegible] مرض التخمة [illegible] تصلب الشرايين [illegible] الأسنان [illegible] الأسنان [illegible] والأمعاء [illegible] العرق [illegible]

[illegible] من الأخطار التي سببها [illegible] حرارة الصيف [illegible] النوم [illegible] كل العناصر [illegible] في النوم

ذكريات سني التعليم

للأستاذ عبد الرحمن شكري

خدمت وزارة المعارف كمدرس سنة ١٩٠٩ وطلبت الإحالة على المعاش سنة ١٩٣٨ وكانت مدة اشتغالي بالتعليم كمدرس وناظر ومفتش تسعاً وعشرين سنة وهي مدة ليست بالقليلة. وكان منصب الناظر أشق مناصب التعليم فإن وليها لا يسلم من ساعة مظاهره. وقد كنت ناظراً لخمس مدارس ثانوية ومنها ثلاث مدارس ابتدائية، وكانت مدة نظارتي للمدارس الثانوية سبع سنوات وللمدارس الابتدائية ثلاثاً أي كانت نظارتي للمدارس اثنتي عشرة سنة، وهي أيضاً ليست بالقليل. وقد بقيت في نظارة مدارس الثانوية في عهود وزارات وأحزاب مختلفة، وفي عهد كانت المدارس الثانوية فيه مضطربة عند الاضطراب بسبب الأحوال السياسية. وتعرف أني بقيت في نظارة المدارس تلك المدة الطويلة لم يكن عن لباقة في معاشرة آباء الطلبة ومخالطتهم وكسب ودهم، فإن ميلي الطبيعي إلى الوحدة منعني من ذلك حتى أساء بعض الناس فهم هذا الميل إلى الوحدة وعدوه تكبراً وهو رغبة في البيئة وطلب الراحة بالانقطاع عن الحديث وعن تكاليف المجالس وأمن ما تكلفه من تعب. ولم يكن بقائي في النظارة بسبب مكر ودهاء وحيلة تحبب الناظر إلى تلاميذه لأن المكر إذا تكلفه الإنسان يتعبه ويكلفه جهداً ربما كان لا طاقة له به، وإنما كان بقائي أولاً لأني آثرت مصاحبة الأمور بنفسي بدل الرجوع إلى الوزارة في أمور كثيرة وحللت حل مشكلات لها، ولا تكره الوزارة أمراً مثل كرهها أن يرجع إليها في أمر كان لا يستطيع الناظر إلا يكثر أمره حتى يصير لا مناص من الرجوع إليها فيه، وثانياً لأني اعتمدت في خطط التعليم ما اعتمده نابليون في خطط حروبه إذ كان يعني أكبر قوة لمواجهة موطن الضعف في العدو وهزيمته، وكذلك كنت أعد الأساتذة من معاملة وعهد المعاملة التلاميذ الضعاف ولمعاملة أماكن الصعوبة في المناهج وأماكن الخطأ والضعف في التلاميذ الضعاف، وهذه خطة تحتاج إلى تفصيل ولكنها الخطة الوحيدة التي يستطاع بها جعل نسبة النجاح في الامتحانات حسنة مرضية، ولو استطاعت الوزارة أن تعمل بهذه الخطة نسبة النجاح حسنة، فربما كان بعض رؤسائك عند ظهور النتائج.

ومنصب ناظر مدرسة من المدارس الثانوية العمومية منصب كانت تحوطه العداوات، فإذا أراد أن يجري أسباب النظام لم يتشدد مرض مجرم، وإنما تسهل وترك الأمور تجري في مجاريها غير صيب كسول، وإذا كان بين بين اتهم بالارتعاش والإحجام، وكل نعتا بالضعف والكسل وأنهم علاوة على ذلك بالتعصب، وقد خرجنا والحمد لله من هذا المنصب ومن غيره من المناصب وليس في ملف خدمتنا مؤاخذة ولا سؤال ولا تحقيق في مؤاخذة، ولم يكن هناك حق ولا عاقبه شيء في أمر مؤاخذة مالية أو أدبية أو علمية أو خلقية إلا مؤاخذة على رغم سوء ظن في حصره على بابه. ما فعلته رحمه الله أيام كنت مدرساً وهو ناظر، وهذا أمر ربما استكثره بعض الأساتذة المدرسين في هذا الجيل.

وقد كانت خطتي في معاملة الأساتذة المدرسين على العموم خطة مبادرة في موضع الغرور كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت » وربما أفادني ميل الطبع إلى الوحدة من ناحية وإن أضر بي من ناحية أخرى، فإن أضر بي من ناحية جعل بما يجري في النفوس ومن ناحية إساءة بعضهم فهم ذلك الميل إلى الوحدة وعدهم تكبراً، فقد أفادني من ناحية أخرى إذ لم يخلق أسباب الانقسام والتحزب والمشاحنة بين الموظفين عناصر بعضهم على بعض. وكانت خطتي نحو الطلبة إشعار الطالب الكريم الأخلاق وأسرته بما كانت نحن لا يجلبه الإعزاز والاحترام، وإفهام المقصر أو الخارج على النظام أن العقاب ضرورة لا إهانة فيه وأن الشهامة تقتضي أن يرضى مستحق العقاب بالعقاب. وقد حاول بعضهم أن يذيع في مدرسة أني أتشدد تشدداً سيئاً في معاملة الموظفين فلم يفلح بالرغم من الإلحاح في هذا المسعى لأن هذه المساعي كان مجالها ضعيفة، ولا يقبل الموظفون في هذا الجيل إساءة في المعاملة لا إلى أحد الذين حموا هذا المسعى ولا إلى أقل منه. وكان رجال الوزارة يعلمون أنه ليس في استطاعتي أن أفعل ذلك حتى لو حدثتني نفسي بإساءة معاملة أحد. ولكنه سعى بدل التعدي على المتاعب التي يتعرض لها حتى أقل النظار حظاً للمتاعب وأبعدهم عن مظانها. وقد حاول

أنفت أحضر ذلك الدرس إتهام الطلبة أني أسخر منهم سخراً مهيناً للطلبة، وهم يعرفون أني قد كنت أوضع إلى المعروف للدرسية المفروضة ولا أكن أوضعها إلا بمقدار ما يستقيم معه التدريس، وقد كنت أنسحب من العبث والشر في نفوس أصحاب ذلك الدرس، ولكن مما هوّن الأمر عليّ أن بعض الطلبة الذين كنت أسخط إلى معاملتهم بشدة كانوا بعد نجاحهم وتخرجهم يرسلون إليّ الخطابات يعبرون فيها عن نجاحهم إلى معاملتهم به أو كانوا يعيدون ذلك إليّ إذا لقيتهم بعد تخرجهم. وقد علّمت آلافاً من التلاميذ بمدارس الإسكندرية ودمنهور والمنصورة والزقازيق والقاهرة وحلوان والفيوم الأميرية. وكثير منهم قد صادفوا نجاحاً كبيراً في حياتهم بعد أيام التلمذة، وهم يعرفون أن معاملتي بالصراحة والقسوة أحد الطباع عن حب، ويعرفون أني كنت أعامل أكثرهم معاملة الأخ الكبير للأخ الصغير. وقد كنت أتبع خطة التثبيت معاملة الضعف في جميع سني الدراسة لا في السنة الأخيرة وحدها، ومن جراء ذلك كانت نتائج [illegible] في امتحان العالي حسنة مرضية في حين إلا [illegible] بضعف [illegible] في فرقة أو فصل [illegible] في الأمر [illegible] في جميع المدارس والوزارة إنما تأخذ بمتوسط نسبة النجاح المدرسية كلها [illegible] أسباب ضعف الفرقة الواحدة أو الفصل الواحد. ولا أذكر أن الوزارة آخذتني مرة ولا مرة واحدة بسبب تلك النتائج. ومما يؤسف له أن بعض كبار آباء التلاميذ كانوا إذا رسب ابن أحدهم [illegible] حقداً شديداً، ولا أعرف إذا كانت هذه العادة لا تزال في الآباء. ولو أنهم سألوا الوزارة عن مستوى النتائج لأراحوا أنفسهم وأراحوا النظار من عواقب حقدهم الذي لا يحصى [illegible] العالية ومراتبهم الكبيرة. والمدرسة دنيا مصغرة فيها العالم والجاهل والذكي والغبي والوديع والشرس والشجاع والكريم والجموح، والذي يغلب على طبعه الخير، والآخر الذي يغلب على طبعه الخبث والشر وحب الأذى. ولا يستطيع أستاذ مدرس ولا ناظر أن يمحو جبلة هؤلاء وأن يجعلهم كلهم على طبيعة واحدة من العلم والذكاء والكرم ونحو التشابه، ولا أن ينال إعجابهم وإنصافهم جميعاً. ومهنة المدرس والناظر من أشق المهن، ولا يهون متاعب التعليم غير إنصاف الوزارة من ناحية وإنصاف الآباء من ناحية أخرى وحسن مؤازرتهم؛ وهذا الإنصاف لا يعني عنه لاعتاج الشيخ سير الرسائل والأخطاء [illegible] الشوق لأننا طلب أو [illegible] قد [illegible] حياتنا العملية [illegible] وآمالنا إلى غير عودة، ولكنا نقرأه [illegible] أيام [illegible] في سذاجة الشباب أو [illegible] الشباب [illegible] عطفاً من بعض الآباء أو من الوزارة. ولكن [illegible] على النفس ألا تجيبه [illegible] على تحمل مشقة التعلم، واستخراج [illegible] والشعر [illegible] تتلخص أموره، ويقصد عنه الأحقاد والعداوة على كل أمر نافعة. ولا أذكر أني تأثرت مرة من حسن عطف ومودة قدر ما تأثرت عندما نُقلت من نظارة مدرسة المنصورة، وجاء تلاميذ لتوديعي، ووقف جل الطلبة في الفناء يجهشون وأنا في القطار، وقد [illegible] من بعض الطلبة الوداعين ولم أكن أستحق اللين معهم، ولا التراخي، حتى أنال عطفهم ولم يكتفوا بذلك بل أظهروا وفاءً عندما ساروا إلى المدرسة [illegible] بالمنصورة، وجاء إليهم تلاميذي من مدرسة الزقازيق [illegible] بزيارتهم، وقد [illegible] هذا أنهم على أني لم أكن [illegible] ليناً في معاملتهم، وأني كنت لم أنقطع عن مشاركتهم في سرورهم ومباسطتهم والسهر على راحتهم ولإعجابهم، وتفقد مصالحهم، والسهر على صحتهم. ولم يكن شدتي تسوء [illegible].

عبد الرحمن شكري

النبوة – الوحي – المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

– ٣ –

مقدمة من طول الفكر، بين مقال الأول — في هذا الموضوع — ومقال هذا: فإن أعمال الإنسان في الطبيعة وطموح العقل من بعده إلى الطبيعة أمور لا يستطيع معها فكر ولا يصبر عنه خلق

كلما فكرت في صمت الطبيعة المطبق تجاه الإنسان، وثبات السماء والأرض أمام حواسه، وعدم تكشف الأشياء له، وعدم وجود ثغرة ينفذ منها إلى أفق آخر غير هذه المناظر الماثلة الثابتة أعجب أشد العجب من وضع الإنسان هذا الوضع المغلق عليه فيه كل شيء، وأقامه الفكر بين العجز والعجب كما يقول المتنبي:

ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

ولكن افرض في بعض الأحيان أن الإنسان استطاع أن يرى أسباب السماء بعقل، وأنه طار كالريح، وانتقل كالبرق، وصار الكون كله مكشوفاً بين عينيه، فهل يفيده ذلك شيئاً في حل شيء؟ كلا يا أخي! لأن الذي يتغير هو مقعد أعاجيب صغير إلى مقعد أعاجيب كبير، لا يزيده ذلك إلا دهشة وحيرة في معرفة الأسباب!

وهبوا الإنسان حلل كل شيء في الطبيعة وركبه... فهل يذهب قدره ذلك من حيرته ودهشته في إدراك العلاقة بين فكره وبين الأشياء، وفي إدراكه نفسه وقدرتها؟ كلا يا أخي... فهو صوت لا يدرك من نفسه إلا أنه آلة خالقة تعمل الأعاجيب فمهما أدركت ومهما عملت ستظل حائراً في معرفة كيف تدرك وكيف تعمل ما تعمل... ويبقى وجود كل شيء بعد ذلك لغزاً مغلقاً كما هو!..

ومن هذا المدخل أدخل إلى بحث «المعجزة الحسية»، التي هي أعظم عقبة يصطدم بها أكثر الباحثين المتشككين في طريقهم إلى الإيمان بالنبوة، لأنهم يرون في إيجادها خرقاً للناموس العام الذي ينتظم الطبيعة، وخروجاً على سنن اطرادها، ويرون أن الإيمان بالنبوة لا يكون إلا بالإيمان أيضاً بهذه الخوارق من الأعمال المخالفة لسنن الطبيعة، فيقفون مترددين محجمين عن الإيمان بالنبوة والوحي، إذ يجدون في منطقة الإيمان بها عقبة المعجزات الحسية فيذهبون إلى تأويل النبوة والوحي بتخريجات لا تتفق مع الإيمان الصحيح ولا مع نصوص القرآن الصريحة، ولا مع تحقق النبي نفسه من معنى النبوة التي أدركها هو في روحه وفكره، وحدثنا عنها، ووصفها لنا. فهم يحاولون أن يجعلوا الوحي حالة من حالات النفس الإنسانية، وحالة إلهام من فكرة الصلاح والحض على تجريب بعض معاني الإصلاح من البشر بعد إدراكهم للاتجاه القائم في الطبيعة، فيخيل إليهم حين يدركون ذلك أن وراءه رب الحياة معهم ومنطقه في أفواههم وضمائرهم؟ فيدعون للنبوة، وليس هناك وراء هذا اتصال بينهم وبين الله ولا حديث ولا شيء. وأما الخوارق التي كانوا يجرونها فهي أعمال ناشئة من حظهم ووجدوا كيم ما من الطبيعة لم يدركه غيرهم، فاستخدموا ذلك في إقناع الناس.

هذه هي خلاصة مقالة منكري النبوة في العصر الحديث، وقد أشرت في مقالي الماضي في بيان النبوة كقانون من قوانين النشأة النفسية والروحية، وأنها أشبه بالعلاقة بين الأبوة والبنوة في الترغيب والإرشاد، وأنه ليس من المعقول أن تمضي الحياة الإنسانية من أول رجل إلى آخر رجل من غير سماع كلمة غير إنسانية مما وراء الطبيعة، وإلا لزم أن تهدر قيمة الإنسان أمام نفسه لأنه لم يسمع حديثاً من الحياة يحدد له قيمته ومكانه.

أما المعجزات الحسية فلو لم يحدثنا عنها القرآن حديثه القاطع بوجودها لكان لنا معها موقف آخر. ولكن القرآن المعجز الدائم يحدثنا عن ناقة خرجت من صخرة، وعصا انقلبت حية، وطير خرج من طين، وعن كثير من الآيات حديثاً صريحاً لا يقبل تأويلاً ولا تخريجاً غير ما يحتمله لفظه. ولم يشر القرآن بأي إشارة إلى أن الأنبياء الذين جرت على أيديهم هذه الخوارق كانوا على علم بأسرار ما يعملون، بل بالعكس حدثنا أن موسى خاف وفر وولى مدبراً حين رأى عصاه تنقلب إلى ثعبان مما يدل على أنه ما كان يدري بسر ما يجري أمامه.

إذاً فقد سبقت مواهبهم إلى تلك الخوارق نفسه من إدراك التي

سراً من الطبيعة لم يدرك غيره

ويجب أن نتذكر دائماً أن كل شيء في الطبيعة سحر وعجب، وأن إضافة شيء إلى الطبيعة من أعمال الإيجاد والخلق في ظروف استثنائية تقتضي الضرورة بإحداث حجة حسية دامغة فيها، هذه الإضافة لا تزيد عجباً ولا تستحق دهشة أكثر من غيرها من الموجود فيها

ويجب أيضاً أن نمنع خيالنا من تصور الله تعالى خاضعاً لطرق صناعتنا.. فهو لا يحتاج إلى معامل ومصانع ومعامل وآلات ووسائل حتى يخرج شيئاً وإنما المسألة بالنسبة إليه بسيطة هينة وقد وهم إبراهيم عليه السلام حين قال: «رب أرني كيف تحيي الموتى» إذ أنه ظن أن هناك كيفية وأسلوباً مخصوصاً لإيجاد الله للأشياء، فقال له الله: «أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي. قال: فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك (أي ادعهن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً» فلم ير إبراهيم من كيفية الخلق أكثر من هذا! وهو هو نفسه الأسلوب الذي نراه كل يوم وكل ساعة في وجود الأشياء من نبات وحيوان، وفي تجديد المادة والقوة والطاقة

فأمور الأشياء من أولها إلى آخرها معجزات وآيات وعبرات، ولو خلقناها بأيدينا لم يصحبها ما نحن فيه من حيرة ودهشة كما ضمنت في أول هذا المقال

أقول هذا وأطيل فيه لأبين لقدامى مستفهمي المعجزات الحسية المنسوبة إلى الرسل السابقين على محمد ويصدهم عن الإيمان بالنبوة عامة هذه جمهور الناس أن … أمرها … كما يتصورون وأنها لا تستلزم هذه الحيرة والدهشة لأن الله يعمل مثلها في كل دقيقة ملايين الملايين

ثم إن الله تعالى لم يضع قوانين الخلق ليتقيد بها كالأغلال والأصفاد فلا مانع أن يخصصها في جزئياتها التي يدركها الناس من قرب في ظروف استثنائية حتى لا يتوهم — كما توهم بعض ملاحدة اليونان — أن الله لا يقدر على مخالفة سنن الطبيعة

* * *

ما مضمناه من الحديث يدور حول علاقة المعجزة بالطبيعة وسننها المطردة وحول علاقتها بالله موجد الطبيعة. ويبقى حديث حول علاقتها بالناس وعقولهم وآثارها في نفوسهم

هل هناك ضرورة بشرية إلى إحداث المعجزات

الجواب على هذا يقتضي أن نستحضر صور المجتمع الإنساني في عصوره الأولى البدائية الجاهلة المحرومة الإدراك والاستقرار المتوسطات الدائمة في مجالات الحروب وصلتها بين السحر والخرافة. كل أمة في عزلة عن الأخرى لا ترى إلا قطعة محدودة من الأرض وأمداً ضيقاً من السماء … ترى ظواهر الطبيعة ولا تستطيع لها سبيلاً، تأكله المخاوف، وتعصف به الأوهام، ويستبد بها الكهنة والرؤساء، وتمر كفصل ساعة مرهقة في سماء الحياة ليس لها علوم وآداب إلا ما هو في نطاق ضرورة للعيش والارتفاق

ثم يجيء أحد هذه الجماعات رجل يحاول أن يحطم كل وثن معبود ويمحو كل شر ويقضي على كل عيب ويخلع أمته من ماضي وتاريخ وسيرة آبائه ويقول — وهذا القول والصعقة — أنا رسول من الله رب السماء والأرض … الله من بينكم وأتى على رؤوسها من أسمع وكلمني … كلمني! وهذا الرجل في الغالبية المطلقة من الأحيان يكون فقيراً لا مال ولا جاه له مما يسوق العامة ويدعو إلى احترام الخاصة

فهل كان هناك أن يؤمن … هذا الرجل من مثل هذا المجتمع المنحط الخاضع لتلك الظروف، الذي لم يدرك الحق بنفسه

أظن أنه لا جدال في أن من يستجيب سريعاً لهذا الرجل هم النفر الأقل ممن يلبي كأنه الحق لأول … به، وهؤلاء حتى في زماننا زمن العلم والحرية والديمقراطية لا يكادون يبلغون عدداً يصلح معه تشريع الأرض … ويتحقق به حركة الفكر والتقدم. فلابد لصلاح الأرض من صلاح جماهير العمال والزراع وهؤلاء هم الجميع الذي يملأ بقاع الأرض ولا يستطيع المصلحون أن يحصروا عظيم العدد إلا إذا تسلطوا عليه وامسكوا … وهؤلاء هم موضع عناية الله ورعايته لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا الإدراك كله ويجذبهم إلى أنهم مشغولون بالسعي إلى الرزق والضرورات المادية ويحتاج إلى أن الله تعالى لا … في وضع النبوة الأولى مخاطبهم ووجدانهم أكثر من غيرهم من الخواص لأنهم هم جمهور الإنسانية لا تستقيم أمورها إلا بصلاحهم وإصلاحهم أما الفلاسفة والحكماء فيكونون كما … ولو راعى الله مخاطبهم

في جسم الإنسان كنسبة خمرة في جسم حي

فلا بد في معيوب من تنجيم أو كلبي لا بد من وسيلة أخرى غير وسيلة للنفس والعقل لإخضاع جماهير الناس في تلك الأزمان التي كانت أغلب علومها تدور حول البحث في تلك أشياء الطبيعية كقلب الرصاص إلى ذهب وغيره علوم التحصيل كالسحر والطب وكيمياء خطرها بالمناجم والتعاويذ وتسخير الجن والاستهواء وراء القوى الخفية والتحايل على روحي الأصنام وإنطاقها وحلم معاني الحياة وحركاتها متخذا إسنادا من الكهنة في بسط سلطانهم وحمايا من العامة وراء قيود الأحلام وجذوب الأماني والأوهام

لا تزال بقية كبيرة من السحر والشعوذة راسخة في أذهان الجماهير في عصرنا هذا، فهناك كثير من الدجالين والمشعوذين احتلوا بالأذى من عيادات كثير من الأطباء الذين يشعرون على العلم والاختبار؛ ويجوز كثير من المشايخ تقصد للاستشارة والاستخارة أكثر مما تقصد عيادات العلماء الخبيرين الذين يعطون الرأي والمشورة التي لا تخطئ فكيف يجاب إلى هذه الأرضاع العقلية ومتى أمكن التطبيع الإنسان من غير أن يخضعهم للإعلانية من طريق علمي وكلمة صحة الدنية – في رأيهم حسب ما يقترحون؟ وإذا علمنا أن الغاية من السحر هي مطيعة في أعظم غايات الحياة ومن حل كثير من الناس على الإيمان بالله وإنقاذهم مما يهدد كرامتهم ويصل بهم إلى أقل من درجة البهائم من السحر والسموم والمادية ويمنع الحرية الفكرية والشخصية. إذا علمنا ذلك تبين أن السحر أمس عدم المشكلة الكبرى في سبيل إنقاذ الإنسان وإننا لم نهزم ذوي الحياة بأصحاب السحر بعد أكبر

حق في حياة وهو الإيمان وأكبر ... وهو أكبر ... التي يهم ... من حيث ... ذلك حتى تتحدث ... حتى تقوم ...

(البقية في العدد القادم)

عبد المنعم ...

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

- ١ -

العلامة الأستاذ خليل مردم بك (عضو المجمع العلمي العربي) كاتب وشاعر وباحث، وروائعه في نثره ونظمه وبحثه بينه مسلكه وأفراده المسلكه للمنثور والمنظوم في مجلتي (الرابطة الأدبية والثقافة) وفي (مجلة المجمع العلمي العربي) وغيرها، ومصنفاته شعراء الشام في القرن الثالث، والجاحظ، وابن المقفع، وابن العميد والصاحب بن عباد، والفرزدق، وغيرها، هي الدليل على فضل (الخليل) وهو نحرير من الأدبين. أديب المحبين، وأديب الفرس ومستول على الملكتين في الفنين المنظوم والمنثور الأدبي، ولا تعطى الإجادة فيهما معاً إلا للأقل، كما قال ابن خلدون

وقد كان هذا الشرق المردمي الشاعر قدم الإسكندرية سنة (١٣٤٤) مصيفاً، وشاهد فيها معاهدها، وبحرها[1] فقال فيها قصيدة (صلاة الشاعر) وقصيدة (البحر) وقد أطلعنا على منشئها وقد ذهب للصلاة.

قلبٌ الذكر وصفتُ القدس ثم ولّى وجهه شطر البحر
بات في حسيره مستغفراً وله دمع على النحر يجري[2]

لا يجري

وفي (البحرة) في البحر يقول

السماء منه استمدت ... صور أن يصير بالخود لنا
أتري أمواجه أنفاسه ... وُلدت بين شهيق وأنين
لم تحكي إلا كشعب ثائر ... سيدا حرباً على (المستعمرين)
جحفل يركب متن جحفلاً ... يتحدى كخنود ومن حنين

وبيت شعري، بيت شعري ملكا يغدو اليوم لو رأى الإسكندرية وقد طمرت عرائس اللأماء[3]، وعم البلاء، وكاد أبو العيون يصيح نفسه كما يرى ويسمع، أو يقف مثل المجنون

ويه، يا أبي الخليل، يقول عيا، وبقي صاحب الصحيفة الرصعة (الرقص) للأغنياء لنقص الشيخ الأزهري[4]

اليوم إني في السيف في السيف في مصطفى البحر ... حافظ — أرب السالبين، ميسرة[5] وإمام الصالحين والصالحات

وأظهر العلم عبدالله الحامدي شيخ المدينة (ح...)[6]

والشيخ محمد أبو العيون[7] على العاشقين والعاشقات، إنا القوى القاهر، ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم الأستاذ الرجل، هذا الأديب الحر والعصامي الفهم في الإسكندرية رحلة، ودمى فيها هو الذي عُدّ من العمر ثم عاد إلى داره، دار الإسلام دمشق

في دمشق الشام حيث مُرح

... مسهل ... دمعه دماعه

مدينة نفسي يتعالى حسنها ... في ساحة المدينة ولا آفاق
ودمع مسيل السماء مهجة ... ورفرفها كالأخضر إشراقها[8]
نسيم ركا روحها حتى مرى ... فلك أنفاً العصور من وكنفه
لا تسأم القلوب والأرواح من ... وزيب يوماً ولا تتشابه

وفي كان (أبو عدس) لم يبرح يقول

يا ساكني مصر، فيكم ساكن الشام

بكلد الشوق من ... عام إلى عام!

فالقوم ما برحوا يرحلون في كل وقت بين مهجار دمشق، إنها في دمشق نجوم معلى وأديب، أسرة متشحة بباهرة، ورأسها الكاظمون من الشرق الأدنى والمغرب الأقصى

هذه مقدمة أمام القول في كتاب الأستاذ المردمي الذي أتحف الناس به في هذه الأيام، وهو في الشاعر الإسلامي المعظم (الفرزدق) همام بن غالب

* * *

ما في كتاب (الفرزدق) قال الجاحظ: كان الفرزدق

---

(١) البحرة: القرينة، يقولون: هذه قريتنا أي أرضنا وبلدنا (اللسان)

(٢) أسرع لأمر الله وبشره بالتقديس والمستقل: الأصمعي

(٣) العائد: البحر، وهي عروسة البحر؛ هربت من ملكه...

(١) من ابن الحريري ... فقال هذه دابتي حسناء وحسنت ما أتعال في حرباً في الثقافة المنشورة الى بلدنا: الإسكندرية وقد ذكر فيه الفرزدق والنوار: فتنجى محمد الفرزدق حين أبان النوار

(٢) هو صديقنا وشيخ بلادنا الأستاذ محمد الفتوار في باشا الكريم المؤمن الحي بن الكرام العرب

(٣) ... ذهب بنا أبو ... الكتاب ... كما قيل على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فلا يجمعهما ... يتكل على الشامي والشيخ أبو العيون هو شيخ علماء الإسكندرية ومرب السائحين والسائحات

(٤) الشعر للسيد بن عبد الأسدي ... قال في ورده ... المطر الواسع الكبير، وكعشاق السالمة

(٥) كالزهر كالنجوم في أرجائها الخيرة المتلألئة

راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم. وقال ابن قتيبة: كان الفرزدق مقيداً يحفظ [4] »

وقد بيّن الأستاذ تناهي أبي فراس في القول في (كتابه) ومن عتوه في شذوذه ما أورده في سيرته: « ذكر لنا الرواة أن غالباً أبا الفرزدق دخل على عليّ بالبصرة، ومعه ابنه الفرزدق بعد يوم الجمل، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر، فاسمع منه، فقال عليّ: علّمه القرآن فهو خير له. فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه في وقت، وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن »

وعده منه صاحبة سبها (عرّام) وقد استوحى منها الأديب الشاعر الوشاح أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض [2] ما في (نفح الطيب): « سأل الأبيض عن بعد صحبه عما يحصر [illegible] من عمل منه فأقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد، ولا يبرحه حتى يحفظ (الغريب المصنف [3])، فأمضى أن دخلت عليه أمه في ثاني حال [illegible] فقال:

ربطت محوري أن وآليت لأبيا ... حتى أحفظه وحسن ذاك روع

قالت: جننت؟ فقلت: بل هي عنه ... في عنصر النبلاء واليبروح!

سنّ الفرزدق سنة فتبعتها ... إن السنا سن الكرام يتبع

وإن أدباء هذا العصر خليق بكل منهم أن يحبوا السنة الفرزدقية فيقيدوا أنفسهم طوعاً أو يقيدوا قسراً حتى يحفظوا ما يجب حفظه

وكان الفرزدق على جفائه ذا دعابة ونكتة وجواب حاضر — كما يقول الأستاذ — روى له في الكتاب هذه النكتة: « مرّ الفرزدق يوماً بمجلس بني حرام فقال له عنبسة مولى عثمان بن عفان: يا أبا فراس، متى تذهب إلى الآخرة؟

قال: وما حاجتك إلى ذلك يا أخي؟

قال: أكتب معك إلى أبي.

قال: أنا أذهب إلى حيث أبوك في النار [illegible] فاكتب إليه مع زبانية والاسطقوس »

« أما هوى الفرزدق السياسي فشعره يدل على أنه شيعي الهوى ويشكل الرافع أنه مع القول الغالب من قريش » ثم يقول الأستاذ بعد أن يوضح ذلك: « ومن أدنى الآراء إلى الصواب أن نقول إن الفرزدق يغضب للعصبية العربية ويتعصب على الشعوبية »

ونقول: للأستاذ المرادي قولاً أشار إليه بعض من كتب في سيرة الفرزدق، مستهداً [illegible] كان من أهل العصر [illegible] على (الرضي علي بن الطاهر) في أماليه. وقد أول الرجل كما أحب وهوى

وتحدث الأستاذ عن أبيات الحزين الكناني التي اختلطت بأبيات قصيدة الفرزدق يمدح بها (الإمام علياً الأصغر [1]) ابن الأئمة عند شيعة الإمامية في حجته على أنه مصنوع [2] وجعل الفرزدق [3] الناظم لا نظمه. وهل شرد الكميت طويلاً إلا مثل هذا؟

وأبيات الحزين هي في عبد الله بن عبد الملك — كما قال الأستاذ وروى من الأغاني — وقد أخطأ صاحب (العقد) في قوله إنها قيلت في بعض خلفاء بني أمية. ويؤيد قول الأستاذ وأبي الفرج مبين ما جاء في (معجم الشعراء) للإمام المرزباني: « كان الحزين شاعراً محسناً متمكناً، وهو القائل في عبد الله ابن عبد الملك وقد وفد إليه إلى مصر وهو واليها يمدحه في أبيات » أورد منها المرزباني أربعة وأتم عامة منه منسوبة إلى الحزين الليثي، وهو الكناني نفسه، واسمه عمرو بن عبد وهيب. وقد أخطأ جامع الحماسة في كتابته أبيات في غير من قيلت فيه كما أخطأ التبريزي في شرحه في قوله: « ويقال إنها للفرزدق » وهذا ما اختاره منها أبو تمام

---

(١) يس على [illegible] يتقدم [illegible] (الأساس) للذي يجرب كل شيء بمخلبه (القاموس)

(٢) في النفح: كان شاعراً وشاحاً هجا الزبير أمير قرطبة فأمر بإحضاره [illegible] إني لم أر أحمل بالعيب منك [illegible] فما صح الزبير [illegible] ثيابه

(٣) الغريب المصنف كتاب في اللغة وهو لأبي عبيد القاسم بن سلام — كما ذكر ابن خلكان والسيوطي في المزهر — وقد نسبه صاحب كشف الظنون إلى أبي عمرو إسحق بن مرار الشيباني

(١) في (ترجمة [illegible]): علي بن حسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ويقال له علي الأصغر، وليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه، وهو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

(٢) وقد تطرق الصواب لم شاع؟ في (الأغاني): حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في إزار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق: (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... الأبيات)

(٣) في كتاب (الفرزدق) للأستاذ المرادي: وكان (الفرزدق) على تشيعه يقبل الجوائز ويمدح الظالمين من أجل حطام الدنيا

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم[1]

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]

أي القبائل ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوله — نعم

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم[3]

يقول كاتب الأستاذ في الفرزدق: «كان الفرزدق ماجناً خليعاً يشرب الخمر إذا وجد إليها سبيلاً؛ نزل على الأخطل ذات يوم فقال له: أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال الفرزدق:

حسّني عيشك قليلاً ... وهب لي من شرابك

ويقول الأستاذ: «ولكنه مع ذلك كان حسن الإيمان بعد جم الصلوات، يصحبه من قومه أن يتدارسوا القرآن ويكثروا من تلاوته، ... ويحسن ... الأخرة

ويجهر إيمان الفتى ... دينه الماضي ويعتصم ... قال: ذكر في الكامل: التقى الحسن البصري والفرزدق في جنازة، فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس. فقال الحسن: كلا لست بخيرهم ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وخمس ... لا تدركني ... يعني الصلوات الخمس. وقال: كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول: إيه فدى لكم أبي وأمي، كذا والله كان آباؤكم. وقال الفرزدق يقول في آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله ألا يكذب ولا يشتم مسلماً:

ألم ترني عاهدت ربي وإنني ... لبين رتاج قائماً ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ... ولا خارجاً من فيّ زور كلام[1]

(الإسكندرية) ... أ ...

---

(1) الحل: خارج المواقيت من البلاد والحرم ما يقع ... المواقيت المعروفة وإنما أريد أهل الحل والحرم (التبريزي)

(2) انتصب عرفان على أنه مفعول له أي يكاد يمسكه ركن الحطيم لأجل عرفانه راحته (التبريزي)

(3) أي لا يقدر أحد من هيبته أن يبتدئه (ابن قتيبة)

(1) في أدب الكاتب ... الشاعر ... ولا خارجاً ... موضع المصدر ... على ... سيبويه، والتقدير عاهدت ... لا ... ولا ... زور كلام ... ويجوز أن يكون حالاً ولا خارجاً ... والفعل ... ولا خارج أي ... وذكره سيبويه ... ولا ... على هذا التقدير

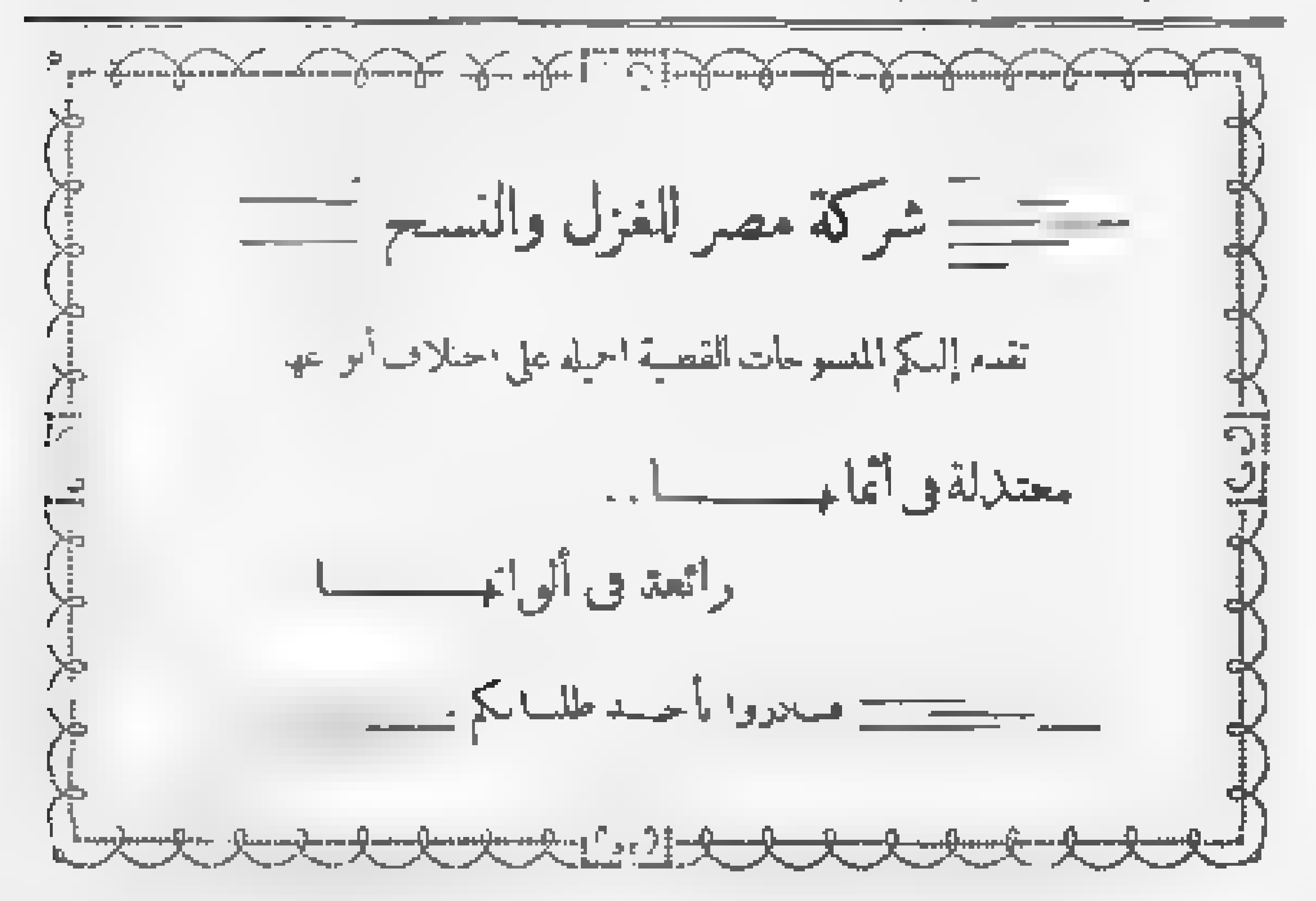

مشكلة البحر الأبيض المتوسط

مصالح بريطانيا وفرنسا فيه(*)

تلخيص مقال للسير ارشيبالد سنكلير

زعيم حزب الأحرار بمجلس العموم

نجتاز الآن مرحلة جديدة من مراحل النزاع الأبدي بين القانون والقوة، فهناك من الدول الدكتاتورية التي لا تعترف بغير حق القوة، وتسخر من إيماننا بنظام دولي قائم على احترام استقلال الشعوب، وترفض كل معاهدة عامة حبية لتسوية المسائل الدولية، مفضلة عليها فرض إرادتها بالتهديد، وهناك من الشعوب الديمقراطية دول كانجلترا وفرنسا وإعلان حقوق الإنسان التي تقوم على الاعتقاد بأن للدول - كالأفراد - حقوقاً متساوية في الحرية، بغض النظر عن درجة قوتها، وبأن السلام قائم على احترام القانون، وبأن الوسيلة الوحيدة للعمل على احترامه هي مقاومة العدوان.

وتوجد منذ سنوات علاقات متوترة أقرب إلى الحرب منها إلى السلام بين هاتين المجموعتين من الدول، فنحن في حالة حرب من الوجهة العملية في شئون الرأي والمال والاقتصاد والصناعة والدعاية، وقد زادت أخيراً حدة هذه الحالة سوءاً، فاستعملت الدول الدكتاتورية دعاية حكوماتها وجنودها، ثم تحولت من التهديد إلى العنف عندما حسبت الظفر على منافسيها، فاستطاعت بذلك أن تستولي في أوربا الوسطى وأسبانيا على مراكز ذات أهمية عظمى لها من الوجهة الحربية والاقتصادية.

ومن الضروري، لتجنب اليوم الذي نخير فيه بين الخضوع للمعتدي وبين النكبة العالمية، أن تكون جبهة عامة من الشعوب التي تفضل القانون على العدوان، ويجب أن تكونها قوة تستطيع تحويل خطر الذي يبقى بعد دكتاتور ألمانيا وحدها، بل وإيطاليا كذلك، عن التفكير الذي يجذب العالم نحو الحرب

مساهمة بريطانيا في الدفاع عن السلام

يعلم الناس مساهمة بريطانيا في تدعيم السلام، وهذه المساهمة

ذات [illegible] العسكرية والسياسية، ويمكن أن [illegible] الدول في [illegible]

[illegible] في الناحية العسكرية [illegible] لقد أدخلت نظام التجنيد وقت السلم، [illegible] موجزة في هذا الموضوع الذي كان محلاً للنقاش [illegible] ست أعوام [illegible] جداً من طبيب خاطر، ولكن [illegible] في ألمانيا أو [illegible] إلى [illegible] من الرجال في انجلترا كما يجب أن تعرفوا، قد جاءوا [illegible] فيجودون بأنفسهم [illegible]، ولقد بلغ عدد من تطوعوا في البحرية أو الطيران أو [illegible] ستة آلاف إلى ثمانية آلاف في اليوم، والتفسير البين لهذا أن التجنيد في وقت السلم ضد تقاليد [illegible] حربي [illegible] منذ مئات السنين، [illegible] التعبئة [illegible] في جميع النواحي، فانظروا مثلاً إلى مستشفياتنا التي [illegible] جود الأفراد، وأما [illegible] الحربي، فلأننا من سكان الجزائر قد اعتدنا أن نعتبر أن حماة أرض الوطن هم بحارتنا لا جنودنا، واعتدنا أن تعتبروا [illegible] سيعملون في [illegible] الطيران أن جنودنا سيحاربون في بلاد أجنبية وفي مناطق بعيدة في بعض الأحيان، وأن رجل الشارع لا يرى دائماً كيف ولماذا تكون هذه المناطق الأجنبية مرتبطة [illegible] بسلامة ومصالح الجزر البريطانية [illegible] في الأذهان عدة الاعتبارات السابقة [illegible] على أن اعتناق مبدأ التجنيد هو انقلاب حقيقي عند الإنجليز، وأن سبباً واحداً استطاع أن [illegible] التقليدي للتجنيد: هو الرغبة في الإسراع [illegible] بتقريب [illegible] أكبر جبهة في أوربا [illegible] إرادتنا في تقديم أكبر ما يمكن في الساعة التي نستطيع.

ولست مبالغاً في [illegible] بأقل انقلاباً من [illegible] العسكرية. إن إعطائنا الضمانات لدول مختلفة في شرق أوروبا [illegible] انجلترا [illegible] هذه الضمانات التي تخص بولونيا ورومانيا واليونان وتركيا، وهذه توصلني إلى الكلام في مشكلة البحر الأبيض؟

(*) عن مجلة السياسة الخارجية الفرنسية

شرق البحر الأبيض

من الجلي أن الضمانات التي أعطيناها دول البلقان تحتم علينا الاحتفاظ بالسيادة البحرية التي للتحالف الفرنسي الإنجليزي في البحر الأبيض؛ ومن العبث أن يظن أن تحرك أسطول هذا التحالف الساحق على أي عدو في كل ما يختص بالشرق؛ ولكن هناك، وهذا صحيح، تهديد الطيارات والغواصات، وهو ما يجدر بنا أن نحسب حسابه، ولكني أظن أنه قد بولغ كثيراً في تقدير هذا الخطر. ولعلكم تذكرون ما حدث في شتاء العام الماضي عند ظهور غواصات قرصانية من جنسيات مجهولة في البحر الأبيض فإنها لم تلبث بعد إعطاء السلطات الفرنسية والإنجليزية أوامرها إلى وحداتها بمهاجمة وإغراق كل غواصة تقدم على تعرض طرق المواصلات البحرية حتى اختفت مثل السحر؛ مما يدل على أنه توجد أميرالية في أوربا تشاركنا يقيننا في قوة وسائلنا الدفاعية الفعالة ضد هذه الغواصات.

ومن المعلوم أن هذه الثقة بطاقة وقوة الأسطول الفرنسي الإنجليزي في البحر تقوم على أمرين أساسيين: الأول هو التعاون الصادق التام بين الفريقين، والثاني هو الاستحواذ على قواعد عظيمة القوة. ومن هنا كانت هذه الأهمية ذات الدرجة الأولى للسياسة المتبعة في علاقاتنا بمصر وتركيا واليونان في الشرق، وبفرنسا وإيطاليا في الوسط، ثم علاقاتنا المشتركة في الغرب، والتعهدات التي التزمناها أخيراً في الهدنة نحو مصر مع المعاهدات التي تربطنا بمصر ومع ضرورة تأمين حرية المواصلات الإمبراطورية في قنال السويس.

هذه الالتزامات والمصالح التي لا تحتاج إلى التنويه بأهميتها تفسر الاهتمام الذي يبديه الرأي العام الإنجليزي في مراقبة تزايد القوات الإيطالية في ليبيا، كما تفسر قرار الحكومة تكوين احتياطي عظيم في الشرق الأدنى والأوسط، والقواعد الفرنسية في طولون ورأس كيو وبنزرت وأوران والجزائر لا تقل شأناً في أهميتها المشتركة عن القواعد الإنجليزية في شرق البحر الأبيض، كما أنه لا يخفى أن تفوق الأسطول الفرنسي الذي لا يمكن إنكاره في الحرب الغواصية هو من أكبر الضمانات الأكيدة التي يمكن أن يرجوها الإنجليز في تدعيم السلام في البحر الأبيض.

غرب البحر الأبيض

ولننتقل الآن إلى غرب البحر الأبيض، فبريطانيا العظمى تعلق أكبر أهمية على تحالفها التقليدي مع البرتغال. وهذا التحالف الذي يقوم على المصالح المشتركة والذي حوفظ عليه بالإخلاص ويتحقق منذ ثلاثة قرون من غير أن يمس شيئاً من كبريائها واستقلالها الشرعي.

وعلينا أن نكتسب صداقة الأسبان وحيادها في حالة الحرب إن أمكن. ولقد كنت منذ حين أحد الساسة القائلين بعدم التدخل في شئون أسبانيا الداخلية كما هو حالنا مع أية دولة أخرى، ويبدو لي من الغريب — هذا العيب نفسه — أن ظنت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية أنه من الممكن ترك الحكومتين الألمانية والإيطالية تؤثران في مستقبل الحرب الأهلية الأسبانية، ويكاد هذا الضعف الخلقي يكلفنا غالياً.

من العبث أن نضيع الوقت في الأسف على أخطاء الماضي، وفي عدم الاعتراف بأن الخطر الذي نشكو منه سببه أخطاؤنا اليوم؛ ولكن مما يجب ألا ينسينا أن الباب قد تفتح منه أكبر أخطار حربية هامة، وأن تواجد الأسطولين الألماني والإيطالي يمشي موالياً [illegible]

ولا أرى من حاجة إلى القول بأنه لا يوجد في إنكلترا شخص واحد لا يريد التفاهم في صداقة وسلام مع إيطاليا، وإننا مستعدون للاعتراف لإيطاليا بمصالحها بالاشتراك مع فرنسا وغيرها في نظام البحر الأبيض وحرية المرور لتجارتها فيه؛ ولكننا لا نستطيع مع ذلك ألا نلاحظ أن جميع مساعينا في تسكين إيطاليا لم تنته إلا إلى تحريض هذه الحكومة على ارتكاب أعمال شديدة الخطورة على السلام.

وكما أبان إيدن في خطبة استقالته في البرلمان، قد نقض اتفاق [illegible] في أول يناير سنة ١٩٣٧ بإرسال أول نجدة هامة من الجنود الإيطالية إلى أسبانيا؛ وأن [illegible] اتفاق ١٦ أبريل

سنة ١٩٣٩ بعد الزيادة إبقاء القدر اللازم من القوات الإيطالية إلى حين مع فرانكو ، وأن التصديق على هذا الاتفاق قد تبعه سحب هذه الجنود العاملة في الجيش الإيطالي في ليبيا

وتدل جميع هذه الوقائع على أن سياسة التسكين لم يكن لها من أثر إلا إبهاج شهوة موسوليني وإمعانه في كرنا في البحر الأبيض المتوسط

كان وجود القوات الإيطالية في أسبانيا قد سبب تهديداً لأمن وسلام البحر الأبيض أكثر خطراً من هذه القوات في أسبانيا ، عددها مائة ألف من الأنفار مزودة بالدبابات والطيارات ولا يعد من سالوبيك إلا عاله وحسين كير مرأ ، وخطر هذا التهديد هو الذي ألجأنا إلى إضافة ضمان اليونان إلى ضمان رومانيا واتفاقيتنا مع تركيا

وهناك دولة كبيرة يهمها مباشرة استقرار الأمن في شرق أوروبا وجنوبها الشرقي ، وهي على استعداد تضع تحت تصرفنا موارد لا نعرف في الواقع معلومات دقيقة عنها ، ولكنها مع ذلك على قدر لا يمكن إنكاره ، وموقعها يسمح بالتدخل عند الحاجة ، سواء في الأرض أو في البحر ، أسرع من فرنسا أو بريطانيا وهذه الدولة هي روسيا

وإني أرى من حيث تقرير تشمئز عندما قال إن النظام الفاشي في ألمانيا أو إيطاليا يجب ألا يؤثر في سياستنا الخارجية وكذلك يجب علينا مع القاعدة الحكيمة مع روسيا ، فإذا أحب إيطاليا أو ألمانيا أو روسيا نظاماً معيناً ، فليس لنا أن نحاول أن نفرض عليها نظاماً غيره ، وإنما الأمر الوحيد الذي يعنينا هو سياسة هذه الدول الخارجية ، وإذا كنت قد نهضت لمقاومة حركات ألمانيا أو إيطاليا فإن هذه أو تلك تحاول فرض طغيانها على غيرها من البلاد ، وهذه هي مساعدة روسيا تحت تصرفنا ، ومن لا بد منه إذا أردنا أن نضع حداً للاعتداء بدون أن نضطر إلى الحرب

وقد تساءل في باريس والوجوه أخيراً عما إذا كان من اللازم أن نطلب إلى الفرنسيين أو الإنجليز أن يموتوا في سبيل دانزج ؟ يقول الجواب القاطع « كلا » ولكن إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن نطلب إلى البولونيين بعد أن يموتوا في سبيل باريس أو لندن؟ أو يطلب إلى الرومانيين أن يموتوا في سبيل حبل طارق ، أو يموت الإنجليز في سبيل تونس ؟ فإنهم على سائر المدن والمواقع التي تقف عند حد هذا الأمر الذي لا أهمية له في ذاته ، أو عند معرفة من تكون هذه المدينة أو هذه الولاية لتقدير حقائق هذه الأمور الصحيحة ، فإن الأمر أكثر اتساعاً وعمقاً من هذه الحدود

ولقد سرني أن أقرأت منذ أيام مراسلة خطبة ريكاس في شعب أمتنا في موضوع اقتراحات كان الإمبراطوريون قد عرضوها عليه ، وأحد هذه الاقتراحات خاص بقانون يتيح حظر على مواطنيه جاوزا دخول مواني أمتنا ، ولا بد أن أحداً سأل عما إذا كان يستحق مثل هذا الأمر التافه الموت في سبيله ، فكان جوابه :

« أكرر مكرر أيها الأثينيون أن أرجو هذا اليوم بأنكم قد تشعلون الحرب في سبيل أمر تافه ، فإن تفاهة الأمر التي نحن بصدده لا تقل عن امتحان يقينكم ، فلو تخليتم عن هذه التفاهة ، فسيسألونكم فوراً أن تتخلوا عن غيرها ، لأنكم قد خفتم وسوف أكمل المطلوب منكم ؟ أم لا بد من شخص إلى سبيه من حقه بالقوة أو بالتهديد بالقوة لا بالاتفاق الودي ، فإن الأمر في الواقع يكون هل ستصبح أحراراً أم عبيداً »

وأقول لكم نحن : « لنسعى على منوال يعمم منه مواطنونا والسياسيون الإيطالي والألماني أننا بين مفضل الحرب مطلقاً من أجل أمر تافه ولكن يجب أن نكون مستعدين إلى أقصى درجة لقبول امتحان يقيننا ، ولمقاومة التهديد بالقوة وإنقاذ هذه القيم الأخلاقية التي تكون روح مدنيتنا والتي تعرف باسم التسامح والحرية والعدل »

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يعترف له بمكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

تختلف الآراء في هذه المؤامرة الجركسية من حيث مدبروها ومن هذه الآراء ما يذكره مستر بلنت في كتابه حيث يعزوها إلى الخديو إسماعيل ، الذي وكل بها رجلاً عرف بعداوته الفاضحة للحركة الوطنية وخصومتها ذلك هو راتب باشا . وكان إسماعيل يطمع أن يصل بهذه المؤامرة إلى العودة إلى عرشه بالقضاء على القلاقل والفتن الراهنة التي عجز توفيق عن القضاء عليها كل العجز ! وكان يرى في نفسه أنه لو وافقت انجلترة على ذلك فلن تمتنع تركيا أو تعترض عليه

ويؤكد مستر بلنت هذا الرأي قائلاً إنه عرفه من جملة مصادر منها إبراهيم بك المويلحي سكرتير إسماعيل ! ولقد أيد الشيخ محمد عبده هذا الرأي بما جاء في خطابه إلى بلنت عن هذه المؤامرة قال : « هذا ، ويجب أن تعلم أن المؤامرة الجركسية ضد عرابي نعرف كلنا أنها ليست بتدبير أحد غير الخديو إسماعيل الذي ظل خارج مصر مدة طويلة وهو يسعى الآن لكي يسترد حكومته وهو يعتقد أن هذا العمل يرجعه إلى مصر »

ولقد بدأت المؤامرة بتذمر الضباط الجراكسة في مصر مما اتخذه وزير الحربية الجديد أحمد عرابي باشا من إجراءات الترقية ، وادعوا أنها إجراءات ظالمة تنطوي على التحكم بهم والانتقام منهم ، لا عن جريرة ارتكبوها ، ولكن لأنهم ليسوا مصريين

والذي يقف على أساليب السياسة الإنجليزية الماكرة في هدم كل حركة ترى مصلحتها في تحطيمها لا يستبعد أن يكون للإنجليز الذين كانوا يعيشون في مصر يومئذ أثر كبير في الإيحاء إلى هؤلاء الجراكسة بهذه الآراء لكي تشيع بينهم الفتنة ثم تحولهم إلى المصريين ولا سيما الذين ظهروا منهم

وما حملنا على الاعتقاد في صحة هذا الذي نقول فضلاً عما نشير إليه من سوابق السياسة الإنجليزية ما رمي به الوزارة الوطنية الإنجليز على ألسنة صحفهم ومندوبيهم في مصر من التهم ونحلوها مما ذكروه من الإفك حول الحقيقة وسخروا له كل شيء

والواقع أنه لم يكن من عمل عرابي إلا ما يقتضيه تطبيق القوانين العسكرية الجديدة التي وافقت الحكومة السالفة عليها ؛ فإن تلك القوانين تنص على وجوب إحالة الرجل الذي يبلغ سناً معينة على الاستيداع . ولقد راعت الوزارة من جهتها ذلك ولكن الجراكسة الناقمين لم يحملوا هذا العمل إلا على التحكم والانتقام

وإذا نحن جاوزنا هؤلاء الكائدين لمصر وحركتها فيما زعموه من أن الوزارة متهمة فلا نصدق ما تقول دفاعاً عن عملها ؛ فإن ما كتبه الشيخ محمد عبده إلى صديقه مستر بلنت في خطابه السالف ذكره لأقوى دليل على براءة عرابي والوزارة الوطنية مما اتهمت به ، وذلك لأن الإمام رحمه الله كان رجل صدق وحكمة فلا يقول إلا ما يعتقده عن خبر وتمحيص . قال : « أما عن ترقية الوطنيين التي تلغط حولها الصحف الأوربية فتحملها على باب أوسع الحقائق فأقول : أولاً إن هذه الترقيات لم تعمل بناء على أمر

عرابي بك وحده ، ولم يكن يحتاج إلى الرشوة الصادقة لا تكتسب عطفهم نحو عرابي . كلا فالواقع أن هذه الحركة كانت بسبب على القانون الحربي الجديد الذي يأمر بإحالة الضباط الذين يبلغون سناً معينة أو يمرضون ويصابون بعاهة على المعاش ؛ وقد نفذ هذا القانون في عهد شريف باشا ، وأحيل على المعاش ثمانية وخمسون وخمسمائة ضابط ثم أرسل ستة وخمسون إلى حدود الحبشة ووزع آخرون في أماكن أخرى ، بيد أنه أخرج من الجيش نحو مائة ضابط وعشرون في الوظائف المدنية . فعدد جميع هؤلاء أربعة وخمسون وسبعمائة ضابط ، فكان بدهياً من الطبيعي أن تحصل رغبات لهذه الوظائف الخالية ولا يزال في الجيش خمسون وظيفة قد حفظت لمرشحي المدرسة الحربية !

هذا ما ذكره الشيخ محمد عبده ، وفيه بيان على في هذه المسألة . على أننا لو فرضنا أن عرابياً قد آثر المصريين بالترقيات وتخطى بذلك الجراكسة في الجيش ، فهل يكون عابه أن يرى حتى في هذا العمل عطفاً ، حسب هؤلاء الجراكسة ما نالوه من حظوة طوال العهود السابقة وخاصة في عهد رفقي ؛ وذلك على ما كانوا يضمرونه من حقد وكراهة لمصر والمصريين ، وحسب المصريين وهم أبناء البلاد الذين تجبى منهم الضرائب ما ذاقوا من هوان ومذلة على يد هؤلاء السادة الذين استعبدوهم ، واتخذوا منهم عبيداً وإماء .

وماذا كان ينتظر من عرابي غير أن يطبق القانون وهذا أقل ما يصنعه رجل هو زعيم ثورة كان هذا القانون ثمرة من ثمارها ؟ ماذا كان ينتظر من ذلك الذي ظل طول عمره يرى الجراكسة في الجيش ، لم يكن من الشعب منهم وهو لم يزل بعد جاويشاً لا حول له ولا قوة ، وطالما عانى من مناوشتهم ومعاكستهم في كل مجال وحقدها في سلك الجيش حتى انتهت إليه رئاسته ؟

أجل ، ماذا كان ينتظر من ذلك الرجل ، وما كان حقده على هؤلاء في يوم ما صادراً عن أنانية أو عن صلف ، وإنما كان مبعثه ما يحس في أعماق نفسه من حماسة وطنية ، وغيرة قومية هما في مقدمة ما يتصف به ذوو الكرامة والمروءة من الرجال

ومهما يكن من الأمر فما كان عمل عرابي في أي صورة له مما يقابل بالتمرد ؟ ولا كان تقديم المتآمرين إلى المحاكمة مما يستأهل ذلك الصخب الذي راحت تضج به جوقات الاستعمار ؟ وهل نسي هؤلاء أن عرابياً وصحبه قد ألقي عليهم القبض من قبل لمجرد أنهم تقدموا يعرضوا شكواهم إلى أولي الأمر وكادوا يعصفون من إجحاف بحقوقهم ؟ وكيف لا يستحي دعاة الاستعمار الذين اتهموا ذلك الرجل بالأمس ويتهمونه بالفوضى لأنه شكا أمره إلى ولي أمره حتى إذا ألقي عليه القبض عد ذلك من الحكومة عين الصواب ثم يعودون اليوم فينددون به ويصرخ عليه بعضهم سخطاً لأنه يقدم إلى المحاكمة فريقاً تآمروا على قتله ؟!

عوقب المتآمرون من الضباط على قتل عرابي وأصحابه من كبار رجال الحركة الوطنية ، وقد حمل المسلمون من عصابة واثب على دمهم في هذه السبيل الوعرة وريثوا لهم الفتنة وهونوا الخطب في قلوبهم ، ولكن ضابطاً جركسياً يدعى راشد أنور أفندي من المتآمرين صدمهم إذ كان قد خانهم لأمر ما فعمد إلى عرابي وأفضى إليه بما يعلم ...

وفي اليوم الثاني عشر من إبريل عام ١٨٨٢ قبض على خمسة عشر ضابطاً وسيقوا إلى المجلس العسكري ، وبعد ذلك بعشرة أيام بلغ عدد المقبوض عليهم ثمانية وأربعين ، وكان من بينهم عثمان رفقي باشا نفسه ؛ وقضى المجلس بإدانة أربعين رجلاً منهم وقضى هذا الحكم بتجريدهم جميعاً من ألقابهم ونفيهم إلى أعالي النيل الأبيض في ربوع السودان

وانت الفرصة كاس ومالت وسبل ، أن من الإنجليز فرصة يهيئونها ؛ فذلك ما كان أسرعهم إلى استغلال الحادث بدأوا أولاً يذكرون التعصب الأعمى ثم اتخذوا إلى الفوضى الحكومية واعتبروا رغبة الوطنيين مظهراً من مظاهر الرشوة التي أريد بها التأثير في رجال الجيش كي يكونوا على استعداد عند أول صيحة ؛ ثم رأوا في محاكمة الجراكسة مظهراً من مظاهر الظلم والاستبداد التام قائلين في سخف عجيب إن المؤامرة وهمية لم توجد إلا في رأس عرابي ، وإن الغرض منها لم يكن سوى التخلص من الجراكسة بأية وسيلة ، وإن المحكمة العسكرية التي صنعت في الأمر كانت جلساتها سرية فكانت تعمل بما يشير عرابي ؛ لذلك جاء حكمها لمحض القسوة بحيث لا يقل عن الإعدام . ولم يكفهم ذلك فبلغ من جرأتهم وإمعانهم في القحة أن ادعوا أن عرابياً كان يسعى إلى السجن فيضرب هؤلاء الجراكسة أيام المحاكمة ويشفي غليل نفسه بالنظر إليهم وتعذيبهم

ولقد جعل المستعمرون هذه المؤامرة من أكبر سيئات ذلك العهد ومن كبائر سيئات عرابي؛ وهذا المؤرخون من الإنجليز جعلوا الحقيقة في موقفهم من هذه المسألة، ومن هؤلاء كرومر، وهو رجل كان يحكم منصبه ورجال ذلك العهد جميعاً يعلم حقيقة الأمر، ومع ذلك طاوعه ضميره في أن يقول في كتابه: «لم يظهر دليل جدي بالتصديق ولا على دليل على أن تهمة المؤامرة كانت تهمة حقيقية، وكان حكم المحكمة العسكرية وحده يحمل طابع النظامية السياسية كما يحمل طابع الحكم التعسفي، وكان عرابي كثير الظن شأنه في ذلك شأن كل جاهل من الرجال، ولم تبن المؤامرة على شيء إلا في خياله هو فحسب»

وأخذ فريق من المصريين هذا الكلام كما أرسل على عواهنه وشايعوا الإنجليز والمستعمرين فيما ذهبوا إليه في عرابي كما شايعوهم في غير هذه من الآراء، الأمر الذي يؤسف أشد الأسف؛ فليس بعجيب أن يقول خصوم الوطن وخصوم عرابي، ولكننا نعجب كل العجب أن تجوز الأباطيل على المصريين في رجل جدير بأن يتصدر كل المصريين كان يخشى بأسهم، ومن هنا ساغ تجريح عرابي وإنكاره وجرحه، فأساءوا إلى حيث حسبوا التجميل صبغة مشايعتهم بيستهم في شخص رجل من رجالاتهم

ويحضرنا أن نسمع عن عيسى العازوري ما كتبه الشيخ محمد عبده مسيئاً على المؤامرة يقارن بين كلامه وكلام كرومر. قال في كتابه إلى بلنت: «وكانت هذه ترة تعرف عنه ومن شيئاً من هذه المؤامرة. لقد عرضت بك إلى مصر كان محمود سامي رئيس الوزراء الآن — وزيراً للحربية — طلب من شريف باشا أن ينفيه إلى خارج القطر ولكن شريف على الرغم من تهديد محمود سامي رفض أن يأمر بنفيه، وسبب ذلك أن ولداً تزوج ابنة شريف باشا، والبعض يظن أن الاثنين متواطئان على رجوع إسماعيل». ثم قال: «وقد أحدثت هذه المؤامرة قليلاً من الضجيج بين العامة والجميع يعرفون أن حياة عرابي مثل حياة أي إنسان آخر، وليس بين الناس أحد مهما كان عظيماً يستطيع أن يجتذب إليه قلوب الجميع دون أن يكون بينهم من يحقد عليه، ولكننا جميعاً نضحك إذ يقال لنا إن اعتداء على حياة الوطني لأن أحد الجراكسة قد حاول قتل الملك»

وليت هؤلاء المكذبين للمؤرخين قد اقتصر أمرهم على الكذب

والأوهام، ولم يظهر بعد ذلك تلك المؤامرة المزعومة حتى تكشف القطيعة بين الخديو والوزارة، ووجب السكوت ... ولكن أعداءهم إلا مصلحة يعلموا بها ما كانوا يتوقعونه من الشر. يقول في ذلك مستر بلنت: «وفي أثناء ذلك وقعت المسألة الجركسية في طور خطير، وذلك بسبب المؤامرة الجركسية التي وصلت أخبارها إلى لندن في الأسبوع الثالث من شهر إبريل، ولم أعر العناية الكبيرة بهذه المسألة عند أول ظهور أخبارها معتقداً أنها إحدى الغرائب التي تنشر عن مصر، ولكن الأحوال أثبتت أنها خطيرة تستدعي الالتفات، ولم تكن خطورتها موقوفة على خطورتها من حيث هي بل من حيث إنها كانت فرصة لحكومتي لتزيد ما وقع من الخلاف بين الخديو ووزرائه، وكان ماليت قد نجح تمام النجاح في مساعيه في هذه الأزمة وصار يتصنع نصيحته ويعين على هواه»

عرض قرار المحكمة العسكرية على الخديو فأسقط في يده، أيوافق على هذا الحكم فيظهر أمام الإنجليز أنه يظاهر وزراءه ويجهر الذين يظاهرونه هو، أم يرفض التصديق عليه فيرضي الإنجليز ويقضي على كل أمل في إرضاء عواطف الوطنيين؟

وكان ماليت قد أشار عليه بنقض هذا الحكم الذي ينطوي على القسوة والظلم! وللقارئ أن يقدر مبلغ ما في هذا التدخل من تطفل ووقاحة! ما شأن الإنجليز وحكم كهذا مهما كان ظالماً كما يزعمون؟ وإنهم ليعلمون أن حكم المحاكم العسكرية كان سرياً حتى في عهد الرقابة، وأن الخديو لا يملك رفض أحكامها، وكل ما له في هذا الصدد هو تخفيف تلك الأحكام بعض الشيء بعد التصديق عليه

هو توفيق ولكنه في حيرة ورأى الأمر جد خطير؛ ورأى من الخطر أن يتحدى وزراءه في غير حق وفي موقف كهذا يحيط به بهم الدسائس من كل جانب ويرسمون طريقهم للمطالب التي يتطلبونها ... الخديو أوفى الأمر موقفاً مبهماً، ويرى على ما شاع الشائعة عنه من جهة وعن الوزارة من الجهة الأخرى، وكانت يوم ازدادت ريبة الوطنيين وتعاظم غيظهم وغضبهم، ووجد الخديو في الجو الصالح لتحقيق مشتهاه ساحاً كبيراً، ولازم ماليت الخديو وعرابيه ويوسوس له

« يتبع »

الخفيف

١ ـ عينـــاك

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

عيناك حولتا حياتي جدولاً ... تهفو إليـه حمائمُ الوديان
تتأمل الأزهارُ عند صفائه ... متصوب السحر والألوان
وعرفتُ في الشاطئ تلم صفحتي ... ويميل بين الضحى والريحان
تحنو على الناضرات غصونها ... فتقبّلُ الأغصانَ وهي دوانِ
عيناكِ حولتا حياتي جدولاً ... يجري مع الأيام دون توانِ
تشدو وتسمو والحمائمُ تسمعُ ... تتناقلُ الشدوَ في ألحانِ
صوتُ الوجودِ عطيتها الواسعةَ ... بالبشرِ ويسعُ نغمه الصافي

٢ ـ شفتـــاك

شفتاك حولتا حياتي نغمةً ... تسري مع النسمِ للآذانِ
الليلُ يسمعُها ملءَ قلبِها ... والسحر بين شواردِ الألحانِ
فأرى حياتي من أحلامِ الصبا ... متلألئة في دقم الزمانِ الفاني
وصدى[1] تحررتُ وهامت وحصة ... منظومة ، ورفائها تترى بي
شفتاك ميثاقُ الخلودِ تومض ... ثغرُ الخلودِ وحدتي أوزاني
إن صعبت من الصحوي رقة ... ألمستُها في ساعةِ الإيمانِ
طافت على سلامي وتحيري ... في عالمِ آمالهُ أحزاني

حسن كامل الصيرفي

نبرات صوتك في المسرة

للأستاذ العوضي الوكيل

نبرات صوتك في المسرة تنصب ... كلي عينيك وضاحك أشجاني
تنساب في الأسماع وامية أعطى ... فتسيح في حسي وفي أحناني
طرب الحنين لعودة كروحها ... في كل ما حركتني ونا ونحنى
ولقد عجبت لما أنا ذيه اهوى ... وأنه تحرك وصفو حسن
من السحر أنك أيها الزاهر كله ... ما دونه تشدو في العيدان!
وقربت شعرك الأملاك مواطري ... وعلى سناك حبست حر بياني
وسهرت قد شغل إسماعك الذكرى ... ومنحت حسنك ناظري وأوزاني

أرجيك الإيمان سطراً معطى ... يتيه قصيدي للإعجاب
ودعوت في نفسي حديثك كله ... وروحه توحيد والإعجاب
وحلقت في حانة حلالة بعده ... تسمو على الأرض في كواكب
هذا ردا والشمس يضيع ساعري ... المصطفى عليه تخيلاتي
ما كان من حسن عليك فإنه ... في ذوب عبرى من بين الأحباب

(الزقازيق) العوضي الوكيل

صلاة في محراب النيل [*]

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

أنت يا نيل يا سليل الفراديـ ... ـس نبيل موفق في مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى ... بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الأملاك في جنة الخلـ ... ـد ورفت على وضيء عبابك
وأمدت عليك أجنحة خضـ ... ـراً وأضفت ثيابها في رحابك
فتحدرت في الزمان وأفرغـ ... ـت على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفي كفـ ... ـيك تاريخه وتحت ثيابك
عرفتك القرون تشهر عن سـ ... ـن صيد الخلق دون المتالك
موثبين في الصفاف صعاباً ... ثم وكسين في عمر شبابك
نحب أنت صاعداً في صواب ... لك مصرى أو هابطاً في انصبابك
حتل عوه ، ومسرح أمثا ... ر ، ومرص تحية كل مالك
كم جنين يعيد لحنيك ماضو ... ذ ، وكم ساجد على أعتابك
صوروا عصرة أحياء عذرا ... ء سحيق من لؤلؤي ترابك
شمعاً ذاهلين لا روعة الفتـ ... ـح ولا رهو إمرة خلف بابك
ومشين في صفحة الماء صفـ ... ـص بدى سحر من إعجابك
وحروف ربطه في أسماك ذا النو ... ر ، وشعى موفورة في جنابك
فكأن القلوب قد استعمت ... سلك سكرى رقاصة من شرابك
أيها النيل في القلوب سلام الـ ... ـله وقف على مسير شبابك
أنت في مسلك السماء وفي الأ ... رض فإن تجري صعوداً في انسيابك
إن صبنا إليك في صحة الرا ... ئي راضين ودعة عن صفائك
أو وصلنا في صبوتيك عذب ... ي على أمة بما في كتابك
أو عبدنا فيك الجلال فلـ ... ـنفس حق الخلود من محرابك
أو عشقنا فيك الزمان فلا بـ ... ـل بلا محمود في صفو ثيابك

التيجاني يوسف بشير

[*] من ديوانه « إشراقة » الذي يطبع الآن

(١) حياتي

رسالة الفن

دراسات في الفن

نحو دنيا الروح

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يقول علماء التربية وعلماء النفس فيما يقولون من [illegible] إنه يمكن التخفيف من حدة الغريزة الجنسية عند المراهقين بتوجيههم إلى الفنون الجميلة، وهم لهذا يوصون المربين بأن يعلموا المراهقين الموسيقى والتمثيل والرسم والأدب. وقد استجاب لهم المربون فأدخلوا في المدارس الثانوية وبخاصة جميع الفنون الجميلة إلى جانب فرق الألعاب الرياضية التي يحسن أن أنبه [illegible] من يمارسها من المراهقين يبذل فيها من طاقته البدنية ما يحتاج جسمه بعده إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية.

فهل انتبه دعاة الفنون الجميلة من علماء التربية وعلماء النفس قليلاً على أن من يمارسها من المراهقين يبذل فيها شيئاً من طاقته ما يحتاج جسمه إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية فتطمئن بهذا الدليل دعوتهم؟ وهل نؤمن بأن الذي يدعون إليه قائم على أساس من الحق ويرتكز على صلة مؤكدة بين الفنون الجميلة والغريزة الجنسية، أو أنهم [illegible] كما [illegible] الناس مصرة من ترهات الفقه فخطر لهم أن يشغلوا المراهقين بالفنون يشغلونهم بها عما تطلب إليه أجسامهم الحارة القلقة، فهي إحدى مؤامرات من الخداع والتضليل التي يحبها علماء التربية وعلماء النفس، وحاولوا على من وقع في أيديهم من المراهقين أو حرثوا في الفنين على جنسهم؟

ولكني لا أقول هذا أرجو علماء التربية وعلماء النفس أن يعيدوا في مؤامراتهم هذه إلى أبعد حد، وأن يأمروا بها المراهقين وغير المراهقين من كل من سمت إليهم الحياة لبرهة، فليس أشرف من هذه المؤامرة شيء، وسيجيء قريباً أو بعيداً ذلك اليوم الذي يوفق فيه أساليب العلم إلى كشف ما بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة من صلة حقيقية مؤكدة. ولست أريد مهاجمة الأدعياء بأن العلم غائب عن هذه الصلة، ولكني أريد أن أقول إنه لا يزال يحوم حولها وما يجرؤ على غزوها لأنه ميدان جديد عليه، ولأنه لما يستكمل الموازين والمقاييس والأسلحة والأملاح والأحماض التي يستطيع أن يكون بها الغريزة الجنسية بين الغريزة الجنسية والغريزة الفنية إلى الغريزة [illegible] [illegible] هذه الشعرة التي تسلك [illegible] هناك وهذه تجمع بين الاثنين.

وإلى أن يصل العلم إلى استنباط هذه الأدوات التي لا يفهم شيئاً إلا بها يستطيع المتحررون من أغلاله وقيوده أن يسيروا في الفضاء بحثاً عن هذه الصلة، وأن يتركوه في معمله يتخبط بين الشك واليقين لعله يهتدي يوماً إلى تركيب «حقنة» من الشعر أو «رشامة» من النغم! فليبق العلم في معمله، وليدع العلماء المراهقين إلى الفنون الجميلة، وليعقدوا دعوتهم هذه بأن الفنون الجميلة بحث في النفس الخيال، وتهذيب لعواطفه، أو فيقولوا على العكس من هذا إن الخيال والعاطفة هما اللذان يمتلكان في النفس الفنون الجميلة، أو فليقولوا ما شاءوا من أمثال هذا القول الذي لم يصدقه الإيمان ولم يتمسك به الثقة.

فلندع العلماء إذن يترددون ما طاب لهم التردد، ويتوجسون ما حلا لهم التوجس، ولننطلق نحن مع أولئك المتحررين من الأغلال والقيود، ولنرى كيف يدركون الصلة بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة.

وقد عودنا هؤلاء المتحررون النظارون أن يجرؤوا على معونتنا على أن يهدونا إلى ما يحسون من الحق، كأنما يأبون إلا أن يباشروا العمل وأن يدعوه على أن يعودوه إلى النور ويطمئنوه [illegible] ولكنهم

على أى حال أحب إلى نفسى وأرحم من الأنابيب والأملاح فلتحمل صاحبتهم إليك وتسالم

— كيف تجعلون الصلة بين الغريزة الجنسية والشئون الخلقية؟ ولكنهم يسألونها؛ وكيف تجعلون الصلة بين السمن والنبوة؟

— وهل هذا سؤال يلقى عليكم؟ إننا لا نجد شيئاً.

— إن هناك أشياء. فلو أنكم عدتم إلى سير الأنبياء لوجدتموهم يكثرون من الصوم، ويقللون من الطعام. ولو أنكم عدتم إلى سيرة النبي الأكرم محمد لرأيتموه يصوم كلما اعتزم أمراً جللاً، وكلما هم بغزوة أو حرب. وإذا اعتبرتم «غاندى» الهندوكى الذى اتخذ المذهب الروحى وبث من أولياء الله كما يعتبره نحو أتباعكم لابد معتبرون بحرصه على الصوم كلما احتاج إلى التصفية والتحرر فى ثناء أفكاره ومقاومة خصومه. أفلا ترون فى هذا كله صلة بين السمن والنبوة؟ أو بين الشحم والسمو الروحى على الأقل؟

— الآن رأينا، ومن كان يبدو على هذا النحو صلة عكسية

— نعم. إنها صلة عكسية. فكلما غذى الإنسان جسده شغله هذا عن غذاء روحه، وكلما جوع جسده سهلت عليه تغذية روحه

— لعلكم إذاً تحسبونه شهيداً ذلك الذى يقضى جوعاً

— لا شهادة فى إتلاف، وإنما الشهادة فى التصوم. فإذا استلزم التصوم الموت فإنه إذاً تخريب لما بين اللذتين: الجسد والروح. فعودوا إلى ما كنا فيه، وحدثونا عما يصحب تفجر الغريزة الجنسية عند المراهقين من شدة ميلهم إلى الإكثار من الطعام والإكثار من وجباته

— إنها أجسام يزيد نزوعها إلى النمو فهى تحتاج إلى ما يعين على بنائها وما يصحب نموها

— لا. فإن أجسام المراهقين لتنمو وتفرع ولو لم يستزيدوا من غذائها، فهذا التوصيل من الحياة يخفف من [illegible] جسمه وغيره ما [illegible] وواجبات الحمل

— إذن ماذا تقولون؟

— الحياة ماضية فى سبيلها، وسبيلها هو الأحياء أنفسهم، فهى تسكنهم، وقد تنقلت فيهم من ماضيهم حتى انتهت إلى حاضرهم، وهى منتقلة منهم من حاضرهم إلى مستقبلهم. وهى [illegible] هنا يسأل أولئك الأحياء عن ما يحصل لها بالمرور فيهم وما تأخذ منهم عن ما تعطيهم. ويقول نحن مؤمنون بالعدل. إن ما تأخذ الحياة من مثقال ذرة لا تأخذه إلا بعد أن يكون أعطته مثقال ذرة

— هذا حسن. ولكن ما قصة الأخذ والعطاء عند المراهقين؟

— عند المراهقة تبدأ الحياة فى الاستحواذ على عناية الفرد بما أعطته. ومن بعد طالما تستر عطاءه. وهو إذ يشعر بشئ فى هذا العرض الجديد يقبل على الحياة إقبالاً جديداً فيه حب وفيه جشع. فهو يستطعم الحياة عذبها ومرها، ويهم كالطفل المتكالب بالنعمة يتكالب على موطئ ورده. وفى سن المراهقة تصارح النفس الحياة بمحبتها وتكشف لها القناع عن وجهها وكل منهما تستجمع خصائصها ومقوماتها. ثم تحس أن أعطته الحياة إياها من طريق الوراثة، ومن طريق البيئة، ومن طريق التربية ومن سائر تلك الطرق التى تنفذ منها الحياة إلى الأحياء. عندئذ ترى الحياة مبتهجاً مبسوط الأنف يمد لها كفيه ويقول هات! وصاحباً آخر مسحور العينين عند طرف شفتيه ويقول هات! وصاحبين آخرين ما بين هذا وذلك يرجون مما يطلبه هذا وما يطلبه ذاك. والحياة أسمح هؤلاء جميعاً تعطى وتأخذ مثل ما تعطى بمثقال ذرة بمثقال ذرة. وهى كما تسكن فى هؤلاء الأحياء تسكن فى غيرهم من الأحياء المتحيزة، والأحياء المتبرعة، وهى تمر [illegible] بها فى مظاهرها المختلفة عالم التعرض فتشكل حس منها ما تحب وما تشاء. فمن أخذ منها مادة لم يستطع أن يعطيها إلا مادة، ومن أخذ منها معنى أعطاها المعنى، ومن أخذ منها معاً أعطاها منهما معاً. والراهب قد يكون مما أخذه من الحياة وهو ليس مادة فقط لأن الناس ليسوا معنى فقط فهم مادة وشئ آخر نقول عنه نحن إنه روح ويقول عنه ناس آخرون إنه نفس، وبعض وهم يقول إنه شئ متجرد من المادة التى تتزيا بها الكهرباء فى أزياء مختلفة. فلابد إذن أن يأخذ المراهق ذلك كله من مادة الحياة ومعناها ليعطيها مادة ومعنى، وأنهما أكثر الأخذ أكثر العطاء. ومن الناس من يقنعون فى هذه الفترة بالضرورى اللازم لإقامة إحدى ناحيتيهم ويمعنون فى طلب مكملات الناحية الأخرى؛ ومنهم من يتوسطون فيطلبون من هذه مقدار ما يطلبون من تلك؛ وهذه الأرض تستطيع أن تمد الناس بحاجتهم من المادة وزيادة؛ وهذه السماء تستطيع أن تهب الناس حاجتهم من المعانى وزيادة؛ والناس فى التشرع على المادة يتفاضلون ويتمادون، فإذا هم حين يقصرون المعانى يرتادون تقرباً وسماحاً وحباً وسخطاً وبوحاً؟ فكلما اهتمت البشرية بالناحية المادية أمعنت فى التمزق والتشعب. وكلما توسعت فى الناحية الروحية أمعنت فى التماسك

والانسجام . ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الأفكار والدعوات الروحية رأينا أخصبها روحاً أكثرها تآلفاً بين أنصارها ، ولم يدع الاختلاف يدب إلى هؤلاء الأنصار إلا حينما تحولت إلى مكاسبهم منافع مادية تفرقهم . فالواجب إذن على البشرية إذا كانت تريد أن تستخدم ضعفها في الخير أن تقنع من المادة بما يقوم بالحياة البدنية فقط لا أكثر ولا أقل ، وأن تصعد بجواهر البدل من شأنها إلى حيث يمكنها أن تتوحد . وهذا هو ما دعا الأنبياء إليه ، ويجب أن يكونوا عادلين ، وإنما هم أنبياء وقد أرشدوا البشرية إلى طريق الخير وصدوا ، فأتيحهم أولى ، أنضجت الدعوة إحساساتهم وعقلهم ، واتسع في طريقهم عادون يستثقلون في هذا الكون جماله ، ويطلبون كماله ويكال أنفسهم معه

— ولكن البشرية إذا استحكم في هذا عادت كما كان يعيش أهل الكهوف ، أو كما يعيش أهل الغابات

— وهل تحسبون الحال تختلف ؟ الكهوف باقية ويكتب اليوم تعرف من ناطحات السحاب . وفي الغابات يصيد الناس الحيوان ويأكلونه ، وفي هذه العمارات يصيد الناس بعضهم بعضاً ويأكل بعضهم بعضاً ، وقد عادت البشرية إلى تأكل لحها فأكلت في العمارات جسمها وشربها وروحها . إن أهل الكهوف كانوا أقرب منا إلى الله ، وإن أهل الغاب لا يزالون أقرب من أهل العمارات إليها

— ولكن هذا الترف الذي عندنا ، وهذا العقل الذي عندنا . أنلقيهما في الفضاء لنعود إلى حياة العراء ؟

— لم يقل أحد هذا . وإنما نستطيع أن نجد عقولنا ونترك تستجم أرواحنا لا تقربه من أجسادنا ، وسترى عندئذ أن أكثر ما عندنا ترف لا يغذي الروح ، وسترى عقولنا قد اسودت من كثرة ما كذبت علينا وأسلمنا طرقنا

— وعندئذ ماذا نصنع ؟

عندئذ يصفو إحساسنا . عندئذ يصوغنا الكون في آلاف الصور وكلها حسنة . وقد يبعث صوم الأنبياء على تذوق الحب واستساغته ، وقد يصرفنا هذا الشوق الشفاف عن شهوات الأجسام وتصادمها .

— وبعد ذلك نتبلد قوى البشرية فتضمحل وتهزل ويصير سلبها وتحول .

— من أي جسم هذا ؟ سيأكل الناس من الأرض ما يعيشون به ، والطبيعة لا تدعهم أكثرهم أن يبيعوا أبدانهم ظناً أنهم قد ضيعوا أكثر ما يلزم لما خلقوا له ، فاستنكروها وكفروا أنفسهم ، وسيتجه الناس عندئذ عطوف وسيجمعون نفسيته للحياة المادية أن تسلك أبدانهم إلى مراحلها الجديدة . وليست الحياة تريد أكثر من هذا . وستأتي بعد ذلك مطالب الإبدال الروحي التي يؤديه الإحساس . الحياة تطلب الفن طلباً حثيثاً واجب الأداء ، فأين هو في هذا العصر ؟

— إن الحياة هي التي حبست عباقرتها الروحية من البشر في هذا العصر !

بل هي مدروسات أمام الأرواح النابهة ، ولكن ما أقل هذه الأرواح النابهة الآن ؟ لقد استغنى الناس عن أنفسهم ، فشغلهم العلم والعقل فتاهم أمامهم من التعب

— ولكن ها هو ذا العلم يدعو الراغبين إلى الفنون الجميلة يصرفهم عن شهوات أبدانهم

— أو لا يعتك العلم إلا عند الدعوة ؟ إن الفنون الجميلة لها الذين يحبونها لا يصرفون عنها . أما الذين يدرسونها فلا يجاوزون عليها بالنظر على نوع من العبث

فما الذي تطلبونه من العلم إذن ؟ إنه لا يستطيع غير هذا

— يريد أن يرى الراغبين ويفرهم إلى المراتب من الماضي والفكر ، فإذا عشقوها طاروا بها أرواحهم ؟ فإذا ما كسروا أصبح منها فنوناً سلكتها الحياة للأصيلة إلى الأمام في سعيها

— وكيف يحدث هذا ؟

— إن هذه المراتب باهتة لا تتيح إلا أسماع حس وصف منه لها ، فهل يستطيع العلم أن يرهف إحساس الناس ؟

— لا . ولذلك يعمد في هذا إلى الفن مستعيناً به

— ولكن المستعرض الفني لا يخلق فناً ، وإنما يخلق الفن الإحساس بالحياة فحسب ، وما دمنا نرمي إلى تحويل إنتاج البشرية بقدر ما نستطيع من الإنتاج البدني إلى الإنتاج الروحي فلا بد أن ننمي خلق الفنون وإنتاجها لا دراستها واستعراضها ، وهذه الثانية هي التي تتفق مع الدأب إلى دنيا الروح

— وهل يمكن أن نقيم دنيا من الروح ؟

— نعم كما أقمت دنيا من كهرباء موجبة وسالبة

عزيز أحمد فهمي

محمود صبح

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحي

قد يجمد الفنان إذا أعوزته مفاتحه وعجز عن الابتكار والمرض والمثابرة! وقد يجمد إذا عرف نفسه سرها لأنه أدرى الناس بعبقريته وقوته، وأشدهم إيماناً بمقامه ونبوغه

ولكنه لا يجمد ولا يشقى حتى إلى [illegible] أعماقه و[illegible] إلى الأنانية التي تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع — الجميع دون استثناء..!

ومحمود صبح موسيقي [illegible] موهوب [illegible] ويجيد الضرب على العود والناي والبيان، وهو أول [illegible] يعترف به ويعجب [illegible] كبيرة [illegible] ولكنه معتقد بل يؤمن إيماناً عميقاً أنه مبعوث العناية الإلهية لإنهاض الرسالة الموسيقية [illegible] على كل من يصل إليها [illegible] أن يؤمن به إيمان [illegible] فلا نقاش ولا جدال

(لأن الذي يستطيع أن يناقشه أو [illegible] لم يخلق بعد ولن يخلق لأن الله سبحانه لا يخلق موسيقيين في شخص واحد إلا [illegible])

هكذا يقول الرسول (محمود صبح) الذي يؤكد [illegible] الذي أتى معجزته فكان [illegible] كل من [illegible] فيها الناموس [illegible] ومبادئ لا [illegible] إلا لأنه كافر بالمعجزة والعبقرية

[illegible] وإن كانت تميل إلى القصر، [illegible] (غلول) [illegible] شكلاً وعقلاً، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب [illegible] فقد وهبت قوة [illegible] تستطيع (بفضل الله) أن تجندل من تشاء [illegible] تجيد [illegible] الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال

ورأس أودع الله فيه [illegible] من الفن الأصيل [illegible] المبتكر [illegible] شعره على [illegible] (صلعه) لأصبحت غنية بالشعر [illegible] أن كانت [illegible] في [illegible] حتى [illegible] على شكل (هلب كبير) — !

وجه [illegible] طالما [illegible] حتى [illegible] وأبى إلا أن (يتطرقن) [illegible] وإن كان يذكر الله كثيراً ويجيد تلاوة كلامه إلا أنه لا [illegible] أن يعصي الشيطان [illegible] أوامره [illegible] بل يندفع في سبيل [illegible] (إخوانه) وزملائه [illegible] (مهجور) [illegible] في [illegible] (ولاد) وحوش [illegible]

أذنان [illegible] لا تعترفان إلا [illegible] صاحبهما، [illegible] (إيه ده؟!)

عينان قد ركبتا [illegible] إذا [illegible] صاحبهما أمراً [illegible] وعتمة [illegible] أصيلاً [illegible] الموسيقى الغربية (البحتة)، [illegible] الفن العالي الذي لا [illegible] إلا [illegible]

صوت [illegible] كامل [illegible] الجميع [illegible] والقوة [illegible] وقوة التأثير [illegible] أروع من يؤدي (القاص) وأبدع من يحس (البرتون)، وأروع من يجيد (التحرير). [illegible] من [illegible] وصعب [illegible] لا عيب فيه إلا [illegible] من العيب ... صوت

واستطاعت محطة الإذاعة أن تهيئ له الحفلة الفنية المسبوقة أمام (الميكروفون) لكان آه، وخلانا من تلك المواصفات التي تكاد تصم الآذان

صوت يملأ الفضاء أنق قليل، ويحاكي صوت (الثقة) ثم يحاكيه ومن طرف محمود أنه إذا سمعنا أحسك بمحصول المعجبين منه ما (يلذ) حتى تحسبه امرأة مسجلة في (ماجورها)

أقدر من يلحن الموشحات، ويكفيه فخراً وسمواً وخلوداً أن أعظم من الناس جمع من الموهر الفنيه لا يستطيع أن يحاكيه واحد من موشحاته لقصرها، وكثرة أنغامها، ووعورة حركاتها، ودقة تركيبها، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد.

فنان موهوب متفكر بصير بما يصنع، حجر بصنعته لا يحاكي ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف لأنه كما قلنا مثلاً لا يؤمن إلا برسالته لا يعرف شيئاً في القواعد النغمية مع أن عبد «الحصيني» قد تقدم وأصبح يعرض في كل مكان

يجيد الضرب على العود، والضرب على السلم والتمتع في الناي إذا سألته عن (فلان) المشهور قال: (طز) وعن فلانة المعروفة قال: (طرز يا سيدي)

* * *

الويل لك إذا سمعته وأملت سرورك وتقدمك بقولك (يسلام يا سيخ محمود الله يرحمك) لأنه مثلما يحس إليك ساكناً مصعراً صدره (هو ليه يا أخينا سرديني - حيطيش إذا أكثر من كده؟) والويل لك أكثر وأكثر إذا أحدثك النشوة فتحب أن تحييه لأنه يمسك خناقك وعظامك

— مصر نك مش سامعني يا تندي!

— سامع يا أستاذ دي حاجة عظيمة جداً

— أمال ساكت ليه؟ ساكت به يا افندي؟ ودانك جو جيبك؟ والله ما قايل حاجة إلا لو خرجت من هنا اتصل يا افندي وحدها وهي حلوة

* * *

كان في اغنية من غناء حفلة يعرب بصوته أمام حشد من جمهوره وحييه بطا السيد النشوة في (مموده) وصرخ مسعوداً قائلاً

أهيئوني أدركوني

مالك يا مولانا مالك يا مولانا

— أهيئوني، أدركوني أسكوني جداً وسعدوا

«ودانى» — سدوا «ودانى» — !

هرع إليه عدد الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق على الشيخ محمود يقول

الحق ماره غضلني، وتبسم كلي في (أذني) وقال احنا جوزيناك يا محمود عشان بقى حتحور — اسكوني ليحطفوني!

* * *

عمس إلى درجة جهنا لا يطيق النقد. ومن طريف أمره أيام كان يضيع في الحفلات الأهلية أنه كان يجلس في عمله (فؤاد) ثلاثة لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بما لا يحب

يا ليل، يا ليل، سامع (يا فلان) ماس — شاهب الشغل تراني يا ليل، يا عين يا ليل، (فلان) يعني محمود صبح، ما أنت مان الا وليل يا عيني، لاح بحر الم آمان أمال دوس بالاكل .. يا عوج (...) يا أولاد اصلوا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم يتلم!؟

* * *

ويعد محمود صبح شخصية عظيمة غريبة انحدرت من بيت عريق وهي أصل طيب لا يعتمد في معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إرادته الخاصة التي يكفل له عيشاً رغداً، ولولا مبالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيماً تاماً

أحمد السيد المراغي

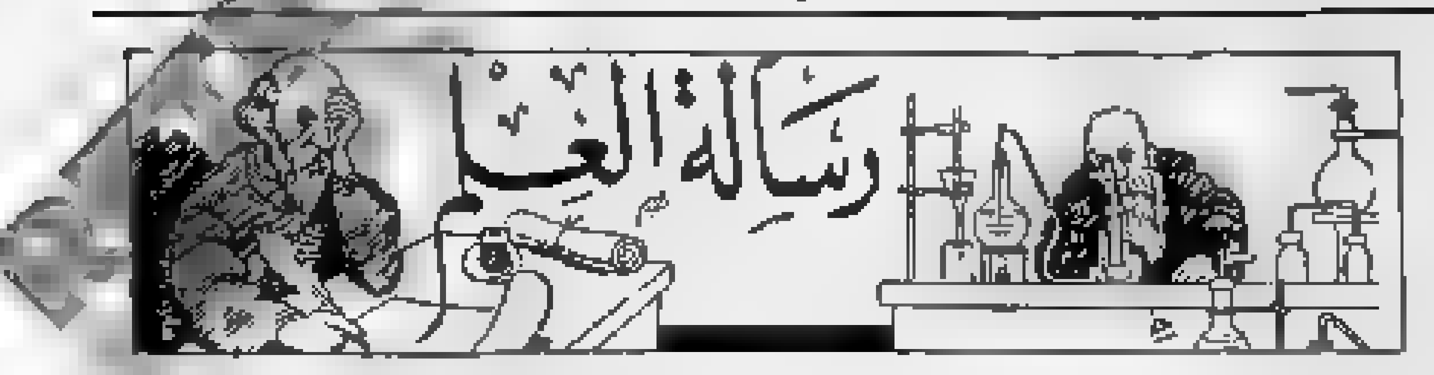

نهاية الكون

عجز الإنسان في الظواهر وعجزه عن الحكم على مستقبل الزمن

للدكتور محمد محمود غالي

اطلعت في العدد الأخير من الرسالة على ما وجهه إليّ الأستاذ نصيف المنقبادي وعلى أسئلته الخاصة بتطبيق نظرية بولتزمان Boltzmann في الحكم على مستقبل الكون، وقد تتبعت مقالاته القيمة التي نشرها منذ القدم في الرسالة، وتتبعت منذ أكثر من عام مقالاته على صفحات الأهرام التي كتب فيها الأستاذ الفاضل محمد فريد وجدي. ولو وصفنا الأستاذ نصيف ومرجعهم من الكتاب المصريين بأنه من الذين عرفوا بالجرأة في كتاباتهم لما ابتعدنا عن الصواب كثيراً، إذ لا شك في أنه من هؤلاء المطبوعين على حرية الفكر، ولا خلاف في أن لكتاباته قيمة كبرى بجانب الفن، ويجد فيها المطلعون

* * *

الموضوع الذي يسألني عنه يمس بخاصة كل علم إذ يجب التفريق بين ما هو جائز وبين ما هو محتوم — قلنا إن التفسير البولتزماني للمبدأ الثاني للترمودينامكا يدلنا على نوع من الموت الحراري للكون، ولكن لم نقل إلى أي حد يجوز لنا الاستناد والتوغل Extrapolation في قبول هذه النتائج في مستقبل الأحقاب والعصور.

يحدثني عن ملايين الملايين من السنين التي خلت ويتساءل لماذا لم يحدث الاقتراب من السكون المرتقب رغم بولتزمان، وقد مضى على الخليقة ملايين ملايين السنين. ومن ذا الذي قال إن هذه الملايين الخالية كافية للوصول بالكون إلى الحالة التي تحدث عنها بولتزمان والتي تحتمها الزيادة الحتمية والمستمرة «للأنتروبي»؟

وهب أننا وصلنا إلى نوع من السكون النسبي فمن ذا الذي قال إن هذه هي أول مرة يصل فيها الكون إلى السكون والموت؟ ومن ذا الذي يخبرنا أنها ليست حركة لا نستطيع من جديد بعوامل لا نعرفها تمت إلى الأصل في معرفة الخليقة ووجود الكون؟

هنا نقطة حساسة أعتقد أن آراءنا تفترق عندها، فإنك تميل إلى تفسير كل شيء بعلمنا الميكانيكي ومعرفتنا المحدودة بظواهر الطبيعة، وأميل من ناحيتي إلى اعتبار ما نعرفه لا شيء بجانب المجهول. ومع ذلك فإن جُلّ ما نعرفه من الظواهر الطبيعية ظواهر دورية، ألا يكون الكون في مجموعه، الكون المحدود عند ريمان أو عند لوباتشفسكي أو ما يشاء العلماء من الخبرات، ظاهرة دورية وأننا الآن في مرحلة من مراحل الانتقال والدوران؟ بمعنى أنه ليس ثمة بداية للكون وليس ثمة نهاية له

* * *

في نشرة العالم «سان» S. R. Sen [1] اطلعت عليها حديثاً في محاضر الجمعية الملكية الإنجليزية يناقش فيها هذا الرياضي الطبيعي بعض النظريات الخاصة ببدء الكون وما وصل إليه العلم

---

(١) محاضر الجمعية الملكية الإنجليزية (Proc. Roy. Soc.) ٢ مايو سنة ١٩٣٢ كذلك تعرفت العالم البلجيكي المعروف ليمتر (Lemaître)

من تعدد وما يحدث الآن فيه من ابتعاد كل العوالم بعضها عن بعض — هذه النشرات رأيناها التي يتناقش العلماء فيها « كون إينشتاين » أو « كون دي ستير » وهما كونان معروفان لدى العلماء توصل إلينا بهذه الفكر الصورة للكون

لم يقل « سعد » بتغيير قوانيننا الطبيعية في مستقبل الزمن ، ولكن كل شيء يجوز أن يتغير ما دمنا سنعتبر أحقاباً طويلة من الزمن مثل الأحقاب التي نتكلم عنها

على أن الزمن نفسه يدخل في طياته عدم اليقين عندما نتوغل فيه إلى حد كبير . ثمة فارق كبير في معرفة فترات الزمن التي نحددها ونعرف هذه الأحقاب الطويلة التي لا نعرف عرضها أو تحديدها ، فإذا تحدثنا عن عمر الإنسان أو عن الزمن الذي مضى من الثورة الفرنسية حتى يومنا هذا ، أو عن عمر أحد الأجيال الإنجليزية الكبيرة ، وربما ما عاش طويلاً قبل الثورة الفرنسية ، فإني أفهم لذلك معناه ، وأفهم نوع الدقة المطلوبة فيه ، حتى إذا تكلمنا عن الزمن الذي مضى منذ أن كتب هومر إلياذته المشهورة أو منذ أن بني هوفو هرمه أو نحت الأقدمون « أبا الهول » فإن هذا وذلك يمكن أن يكون أمره معروفاً . أما إذا أردنا أن نتكلم عن عمر الرجل الأول أو الزمن الذي مر لتطور الحجرة دورة كاملة أو الزمن الذي خلا منذ ظهور الحياة على الأرض فإن شيئاً من الإشكال يدخل في تقديرنا هذه العصور الطويلة . وما بالنا لو أردنا بعد ذلك أن نتكلم عن عمر عنصر اليورانيوم أو عمر النجوم أو العوالم أو التوغل حتى صفحاً خليقة ، فإننا لا نستطيع أن نحرم بمقدار هذه العصور الطويلة ، ولا نستطيع أن نستوعب معنى الزمن إذا نظرنا إليه

هذا في ناحية الأحقاب الطويلة ، وإننا نجد نفس الصعوبة إذا نظرنا إلى الطرف الآخر واعتبرنا الضروب القصيرة . فإذا تحدثنا عن فترة الزمن التي تقدر بثانية أو بمدة تردد الموجات اللاسلكية الطويلة منها والقصيرة أو فترة حياة « الراديوم C » فإن حقيقتها منها يختلف عن فترة تردد الموجات الصاعدية Ondes Associées

ضروبون في ميكانيكية « دي بروي » الموجية أو ربما عن ضروب أقصر من ذلك عندنا عن الصدق في مستقبل الكون

ومع ذلك فإن هناك عاملاً آخر يتصل بسر الوجود وما يحدث فيه من تطورات وكيف لا أرى أن أعرض البحث عنه . إلا أن أسئلة الأستاذ تحمل على المجيء إلى هذه الطريق . وعلي أو في في أن أشرح هذا العامل النظري ، وأن أكشف عن رأيي في المثال الآتي

إنه من الصعب أن نضع على الأرض عصا خشبية مدببة الطرف في وضع رأسي وتتركها على طرفها هذا وفي هذا الوضع دون أن تقع العصا على الأرض . ولو أننا وضعنا مصوبة إلى ذلك فإنه لن تمضي لحظة حتى تقع العصا على الأرض وفي اتجاه لا نستطيع تحديده . ولو أننا تساءلنا عن سياق (مصير) العصا وهي في وضعها الرأسي لا تستند إلى شيء لقررنا أنها حتماً واقعة على الأرض لنفرض بعد ذلك أن هناك كائناً حياً يرفع العصا طوراً ويدعها تقع على الأرض كرة أخرى

ثمة مجموعتان واحتمالان لوضع العصا وما عليه هذا الفصل

المجموعة الأولى تتكون من العصا والأرض . هنا نعلم أنها تقع على الأرض وأنها لن تقوم رأسية من تلقاء نفسها كما كانت

والمجموعة الثانية تتكون من العصا والأرض والإنسان اللاعب بها . هنا تقع العصا ولكنها تعود رأسية كما كانت ويمكن أن يتكرر ذلك ما دام الكائن موجوداً

ولو افترضنا أننا مخلوقات تعيش على سطح العصا ، وأن فترة آجالنا محدودة جداً بالنسبة للزمن الذي تقع فيه العصا ، فإننا الآن في مرحلة نشاهدها وهي تقع ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأنها لا تقوم بنا كرة أخرى ، فقد يكون هناك لاعب ماهر يلعب بالعصا ولا نعرف من لعبه شيئاً ، وقد تكون هذه إحدى المرات العديدة التي وقعت العصا فيها على الأرض

فلا يخفى أنها الكتاب على التكرار كلما انقطاع دورانها وعلى

النجوم وقوى حركتها وعلى الكهرباء أسبابها وعلى المادية ماهيتها وعلى الأرض نشأتها وعلى الأحياء موتها، فإننا عاجزون عن أن نعرف الأصل في كل هذا وأن نستوعب الكون حياً والحياة حية ، لهذا لا يجوز لنا دائماً أن نقول إن الذي ترك العصا يميل وقع يستطيع أن يعيدها سيرتها الأولى ، كما نستطيع أن نعرف أن الأرض والعصا واللاعب مجموعة تختلف عن الأرض والعصا بلا لاعب

حدثت الفتوى عما حدثت به إليه من علة عجوزة في سرادق فسيح في ليلة عرس ، وظن أنما صحت أن الدنيا كلها سرادق فيه أنوار وحفل يلهو فيه وقتيه زينة الأثاث ، وظن أنها قد أعطت صورة الدنيا ، كذلك نحن والكون وما يحدث له في المستقبل البعيد من تطورات ! فقد علمنا كثيراً وركنت معارفنا ولكنا قليلاً من ذلك قد علمنا شيئاً أجدى وهو أننا لا نعرف من الأصل في الكون والمستقبل في التطور أكثر من معارف النملة التي لم تعار السرادق والتي لا تعرف ما بخارجه

فكرى مثل لا يجادل في الشيء بهذه السهولة ولا تحدث في الحياة والمادة والروح بهذه الطريقة من التوكيد التي تحدث بها إلى الشك أحجم بالصفاء عندما يحاولون إلى ميدان أصل الوجود ويحاولون معرفة سر الخليقة ذلك عندما ذكرت أني أعترف من التفاحة التي أكلها وعن الخمرة التي أول منها هذه الأسطر كان عندي إيمان قوي بما أقول ، وإن لم يكن لدي ولا عند غيري الدليل العلمي للتدليل على ذلك بما لا يقبل النقض

* * *

ومع ذلك وبعد الذي ذكرت أرجو ألا تنس أنني الأخ أنني من الذين يؤمنون بالعلم التجريبي ويعيرونه كل تقدير ولا يؤمنون كثيراً بالعلم النظري فلا يولونه من الوقت إلا اليسير ، وإني لا ألجأ إلى البحث في العلم التخميني Sciences Speculatives إلا بالقدر الذي أعتبره طريقاً لرياضة الذهن والنشوة على الفهم ولذا رأيتني لجأت إلى التجريب كثيراً أشرح للقارئ طريقتي التفكير الحديث وأستعرض بإخلاص عمله وتطبيقه وعلى الحديث ما يقوله العلماء وما يجري في فكري

أما إن خاطبني كرجل تخرج من الفصل ، وودان ظني الشبه من البصر عنهما ، فإني ممن لا يحصرون الدين في مستقبل الكون بهذه السهولة ، وعلى هذه الصورة ومن ذلك فلست ممن يؤمنون بالبولتزمانية إن صح أن نطلق التفسيرات الحرارية الأخرى هذه التسمية إلا متى أنها صحيحة في مرحلة انتقالية للكون هي المرحلة التي نجتازها ، وهذه المرحلة قد يتبعها مراحل لا يكون البولتزمانيه موضوع الحديث .

وبعد فإني أعود إلى الطرف الإيجابي من المسائل والظواهر عامة . لقد درست على كوبون ، وتتلمذت على موريه ، وصاحبتهما عشرة أعوام أو زيد — ولقد كان جانبين يتفرقان إلى المسائل ويتساءلان أنفسهما : هل من وقائع حقيقية ورا ما نرى أو ما نقول ؟ وإني أضرب لك مثلاً

عندما حصل مليكان[1] (Millikan) حساباً واحداً يحمل ألكتروناً حراً واحداً[2] كنت واثقين منه فقد كانت نتائجه التجريبية تعمم شحنة الإلكترون بالقدر الذي أعطاه مليكان ما دام منطق الحساب البسيط صحيحاً هذا الحساب الذي تعلمناه كلنا طلاب المدارس — والمدارس الابتدائية على الخصوص — فقد كان الحادث عند مليكان عندما استطاع أن يرى هذا الجسم وإنما ملاحظة بين كفتي المكثف الكهربائي عادتا نصباً بقاعدة حسابية بسيطة معروفة لدى طلبة المدارس الابتدائية ، وهي قاعدة القاسم المشترك الأعظم

عندما تشمل من العدد الذي يقسم الأصداد ٤٢٨٠٢١٤٤

(١) مختصر من تجارب مليكان المرونة في مقال عام

(٢) كتاب الألكترون لمليكان Millikan أستاذ الطبيعة بجامعة شيكاغو ومدير معهد نورمان بريدج بكاليفورنيا ترجمه الفرنسية ادولف يلب Adolphe Lepape الطابع فيليكس آلكان Felix Alcan طبع سنة ١٩٢٦

٤٠٣٠٤ ، فإن الجواب معروف . فالعدد ٧ يقسم كل عدد الأعداد

ولقد كانت تجارب مليكان المروعة التي عين بها شحنة الألكترون لا تخرج في مكونها الأساسية عن قسمة الساعة بالثانية . فلذلك كان ريانك بها جاءنا يقيناً في جواب المسألة الحسابية السابقة [1]

ولكن عندما تتحدث أيها الأخ عن ملايين ملايين السنين فإن للقوانين اعتباراً آخر ، وللنواميس تطورات عجيبة

* * *

وبعد فلقد ذكرت كم أكون سعيداً لو استوقفت يوماً أنك تنظر إلى المسائل نظرة إليها وتعالج الأمور معالجتنا لها ، فقد أكون محقاً فيما ذهبت إليه ، ولكن هكذا تكونت وهكذا درست

ولا عجب إن تحدثت بعد اليوم بالعالم الفرنسي والطبيب الفرنسي ، ولا تذكرني كما تذكر علماء السوربون وأساتذتهم الأعلام فإن هذا شرف لم أنله ومجد لم أرتفع إليه . ولا بد من أن يتسع الصدر كثيراً لتطالع عشرات ما طالعته ، ولا بد من أن تمرسون صبراً لتستوعب الكثير مما لا تعرف

وفي الختام أشكر لك كلماتك الطيبة التي لا أستحقها ، وأعدك وقراء الرسالة بأني سأتم كلامي عن الذرة والألكترون وسألخص تجارب مليكان وبيران عن الألكترون بشيء من التفصيل . بيد أني ما انتهيت من هذا سأتناول أربعة موضوعات رئيسية تتصل كلها بالتفكير الحديث ومستقبل البشر : الكم أي « الكوانتا » لبلانك العالم الكبير بألمانيا ، وربما تكلمت عن علاقتها بالفضاء والقدر والنسبية « لأينشتاين » ، والموجية لعالم الشاب « دي بروي » ، والبحث النظري لكل هؤلاء الشبان من أرجاء المعمورة الذين يعملون في حل الاضطراب في تفسيرنا والذين يواصلون الليل بالنهار ليصنعوا عصراً جديداً وأسلوباً في مستقبل المعرفة

وإني سعيداً لأرقب ملاحظاتك وأرد على أسئلتك وأشترك في خواطرك وأبعث إليك مع أحسن التحيات .

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) هذا الأعلى على جهد الجزء من عمل مليكان ، وليس اعتماده في بحث الأساس على سلسلات [illegible] وفي قانون ستوكس Stokes على الخصوص .

من هنا ومن هناك

الثالوث البريطاني في البلاد العربية

[عن مجلة (لايف) الأمريكية]

منذ بدأت إنجلترا تتبع سياسة التحكم عن طريق الاستعمار في البلاد العربية ، لم تكتف بجنودها الموظفين وطياراتها ودباباتها خارج تلك البلاد ، بل بعثت فيها رجالاً ذوي مقدرة نادرة وكفاية عالية لتسير سياستها في طريق النجاح . وذلك أن أعمال (لورنس العرب) قد أصبحت تقليداً يتبع ومثلاً يحتذى عند الإنجليز .

وقد تبدو مهمة هؤلاء الرجال على جانب من البساطة ، ولكنها في حقيقتها على خلاف ذلك ، فهم في حاجة إلى التمييز بين العرب واكتساب مودة الأصدقاء ، وتفهمهم فضلاً عن البدو والرحل . فلا تمر صغيرة ولا كبيرة في الحروب الشرقية إلا كان لهم شأن فيها . وهم يحاربون أعداءهم في صمت وهدوء .

ويتبين مما كتبناه عن الإمبراطورية العربية - يرمي إلى المقالات التي نشرتها الرسالة في أعداد سابقة - أن الاتصال في البلاد العربية يدور في ثلاث مناطق هي محور السياسة في الشرق الأدنى . وهذه المناطق هي : الرياض عاصمة مملكة ابن السعود ، وعمان عاصمة الأمير عبد الله ، والصحارى التي يشغلها بدو الفيافي والرحل الذين لا يهابون الموت ولا يعتبرون أنهم قد خلقوا له . فمن الطبيعي أن يجد خدام الإمبراطورية البريطانية المخلصين في تلك البقاع .

وأول « الثالوث البريطاني العربي » هو (فردريك جيرارد بيك) ويعرف في الشرق الأدنى باسم بيك باشا . وقد كان هذا الثالوث الذي يبلغ طوله ستة أقدام ، الذراع اليمنى للورنس أثناء ثورة الصحراء .

وقد كان بيك متصلاً كل الاتصال بالجهة التي تقررت في تقرير مصير الولايات العربية بعد تدهور الإمبراطورية التركية واشترك برحلة مع الملك فيصل في العراق . ولم يلبث أن رحل إلى الرياض لمفاوضة ابن السعود ، وجاءت فترة بعد ذلك كان فيها عيناً كريماً على شيوخ العرب الذين يرأسون القبائل الثائرة في الصحراء ، ثم اتصل أخيراً بالأمير عبد الله أمير شرق الأردن وصار أحد مستشاريه المخلصين . وقد عين مديراً للأمن العام في عمان حين صدرت الأوامر بذلك للبلاد . وهو على الرغم من وضعه أحسن النظم لاستتباب الأمن في عمان ، يؤدي قوته بحفظ النظام .

أما العضو الثاني من هذا الثالوث فهو (جون باجوت جلاب) ويعرف عند العرب باسم (أبو حنيك) لجرح كان قد أصابه في حنكه واستمر أثره إلى اليوم . وتنحصر مهمة جلاب في اجتياز الصحراء شرقاً وغرباً والاتصال بالبدو والأعراب في كل مكان ، وهو يستعمل كل وسائل الانتقال وقد تحمله الطائرات إلى أواسط الصحراء حيث يأوي إلى أقرب الخيام . وقد تمضي أشهر عديدة لا يسمع به أحد أو يعرف له مستقراً . وهو يتكلم اللغة العربية الفصحى ويعرف لهجات القبائل المختلفة وعادات العرب في كل منطقة ، وهو يجيد الرماية إجادة تامة ، وله مقدرة فائقة في معرفة الطرق . أما الغاية التي يرمي إليها فهي اكتساب ثقة الأعراب الذين يجوبون الصحراء . وقد نجح في منعهم من الاتصال بالثورة في فلسطين على الرغم من المجهودات التي بذلها المتطرفون لإثارة هؤلاء البدو إلى حرب عامة للجهاد باسم الدين .

ويقيم العضو الثالث من الثالوث البريطاني في الرياض عاصمة ابن السعود ، ويدعى سان جون فيلبي وله فضل كبير في اكتشاف الصحراء العربية وحضرموت ووضع كتب قيمة عنها .

وسان جون فيلبي صديق حميم لابن السعود ، وقد اتصل به منذ رحلته الأولى إلى جدة بعد الأتراك . وهو مفتون ببلاد العرب وقد اعتنق الدين الإسلامي من بعد .

وكان يعتقد لورنس في رحلته إلى بلاد العرب أنها يجب أن تقسم إلى إقطاعيات تحت حكم الحسين وأبنائه ، ويقول فيلبي إن لورنس يستبق الحوادث ولا ينظر بنظره البعيد إلى القوة التي وراء ابن السعود والوهابيين . وقد دلت الحوادث على أن فيلبي كان على صواب ، ثم لم تمض سنتان بعد هزيمة الأتراك حتى نجح ابن السعود في التغلب على الحسين ونشر لواءه على نجد والحجاز . وقد استمر حليفاً مخلصاً للدولة البريطانية بفضل سان جون فيلبي .

هؤلاء الرجال الثلاثة يقومون بخدمة بريطانيا في بلاد العرب، فإذا ماتوا خلفهم آخرون وهكذا، وما دام في بريطانيا رجال على هذا الطراز فليس لوزارة المستعمرات في هوايت هول أن تهتم بها كثيراً. وسواء بعد ذلك صمد الأمير عبد الله، وشجاعة فوزي القاوقجي، ودهاء الحاج أمين الحسيني، فليس في مقدور أحد منهم أن يؤسس إمبراطورية عربية.

وإذا ساعدتهم الظروف على ذلك، فلن يكون هذا إلا رغماً ورغم المستعمرات، ما دام هؤلاء الرجال الذين يعرفون أغراضهم ولا يجهلون الطرق التي توصلهم إليها

الطرق تحكم أوربا

[ملخصة عن ناين [illegible]]

أصبحت الطرق تحتل المكان الأول من اهتمام الدول الأوربية حتى لقد بلغ من المحتمل أن تقع حرب عالمية من أجل طريق عند بضعة أميال في بولندا

ويرجع ذلك الاهتمام العظيم بأمر الطرق إلى إدخال السيارات في أنظمة الجيوش والاعتماد عليها في الحروب. ومن المعروف عند رجال الحروب أن النجاح فيها موكول إلى سرعة الانتقال بالجيش الذي فيه الوسائل لنقل الرجال والأسلحة فمن غيره فقد ضمن له النجاح، ومن هنا جاءت أهمية الطرق، وصح القول بأن من يستولي على الطرق الحربية في أوربا هو الذي سيحكمها ولا محالة

وقد اشتد اهتمام ألمانيا في الأيام الأخيرة بشرق حدودها بالطرق التي تحتاجها وقت الحروب، ثم منذ استولى هتلر على دفة الحكم لا يقل عن أربعة آلاف ميل من الطرق الممهدة لسير السيارات، وأصبح من السهل على ثلاثين ألف عربة من سيارات الانتقال، ومليون رجل من رجال الحروب أن ينتقلوا إلى أقصى الجهات في جهة ألمانيا في وقت لا يزيد على أربعة وعشرين ساعة

وقد أصبحت برلين الآن محاطة بأنسجة من الطرق الحربية من كل الجهات وهذه الطرق توصل بين بعضها وبين الطرق الهامة في أوربا، فلا يكاد الإنسان يتأملها حتى يتساءل: من أي هذه الأنسجة تنفجر الرتيلاء؟!

والطريق من برلين إلى وارسو (وموسكو) هو الطريق المؤدية إلى سهول شمال أوربا الشاسعة. وهذه السهول منبسطة في أكثر الجهات، وقد لا يزيد ارتفاع الجهات العالية منها على 600 قدم، ويمتد هذا الطريق من برلين إلى جهة بوزنانيا إلى سهل الفستيولا ثم إلى وارسو حيث تؤدي إلى موسكو

وقد عبر نابليون سنة 1812 هذه السهول، واحتل بوزن وعبر الفستيولا ثم تقدم منها إلى عاصمة روسيا. ومن هنا يتبين أهمية الطريق التي تطلبها ألمانيا إلى دانزج ورجال بروسيا الشرقية خارج حدود بولونيا. فدانزج ورجال بروسيا ما زالا كما كانا بالأمس المركز الممتاز الذي تتطلع إليه الأنظار لاقتحام وارسو وشرق بولندا. وكل ما تطلبه ألمانيا أن يسمح بمدها عليه — لا تتم أمل الطريق الذي تزعمه — ولكن المصوب منه الضربة القاضية

هتلر والمسيح

[[illegible]]

تدل الحوادث التي تتكرر في ألمانيا كل يوم على أن حكومة النازي تعمل على محو أثر الكنيسة في الحياة الألمانية. وقد ظهر حديثاً كتاب بعنوان (أزمة المسيحية) يتبين مؤلفه مصير ولم يتنبأ ما يحدث في الكنائس الألمانية على اختلافها في العهد الحاضر. وماذا عسى أن يحدث في الكنيسة الألمانية؟ الجواب لا يحتاج إلى تفكير إذا ما نظرنا إلى النظام الذي يشمل ألمانيا الآن، فما يحدث للكنيسة هو جزء من السياسة العامة التي ترمي إلى محو كل نظام قائم إلى جانب النظام العام الذي وضعه النازي للبلاد

ويبين مما جاء في هذا الكتاب أن هناك حملة مدبرة لمهاجمة آراء الكنيسة ووضعه الكنيسة وبانيه للكنيسة. والقول بأن العقيدة في عصر تعادل العقيدة في السيد المسيح، والثقة بأعمال النازي كالثقة بالقديسين الأكرمين، وهذا أمر لا يصدقه رجل مسيحي بالطبع لأنه كفر وتجديف، ولكنه هو الواقع بكل أسف! فالطريقة التي يجمعها من عن اختيارهم يقصد الرسم التي كان يستعمل مهرجان الدين في العصور الغابرة، ومذهبه العلمي الذي يرمي إلى مادية كل تفكير وكل عمل من شئون الناس هو مذهب ديني كما يظهر لا مذهب سياسي. وقد قبلت الكنيسة تلك الظاهرة مغمضة، ولم تحاول أن تعارض هذه الفكرة السياسية إلا في أحوال عارضة

ويقول مستر (ويلنج) إن شباب الجيل الجديد الذي انتزعهم النازي من أيدي القساوسة، وأسلمهم إلى النظام السياسي الذي يسود ألمانيا الآن، سيفقدون على التدريج ثقتهم في كل شيء، حتى اعتقادهم في دينهم القديم. فإذا بعض الكنيسة

إلى ذلك، بمعنى لنا أن نسمع إليه هؤلاء الشباب، وتقودهم إلى حركة تقضي لا محالة على ذلك النظام

إن القوة التي تعرض النازي لا يمكن معرفتها الآن بجانب الضغط الذي يسود ألمانيا، إلا أن التاريخ قد علمنا أن كل قوة تقوم على محو المبادئ من النفوس، لا بد أن تتحطم من الكأس التي تقدمها له

هؤلاء هم كبار المتعالين !

[بقلم دكتور هوبرت ورت الكاتب الألماني]

لا تقصد بهذه الكلمة أن تعني الرجل المفكر المخلص الذي خصص عمله وكتاباته وتجاربه لخدمة أمته، فإن الفكر الألماني يتألف من هؤلاء الرجال المفكرين، ولكن مما لا شك فيه أن هناك فرقاً شاسعاً بين المفكرين الذين على هذا الطراز وغيرهم من أدعياء الفكر. فليس كل من يحظى بنصيب من التعليم، وشيء من القدرة على الظهور ممن يسمونهم بالمتعالين، هو في الحقيقة من الأذكياء أو المفكرين. إن مثل هذا الرجل من شأنه أن يضلل الجيل الناشئ إذا أعطي له توجيهه، ونشأ على طريقة معيبة في التعليم؛ فهو في الحقيقة لم يكن سوى مجموعة من العلوم عنت في ظل مزيج من الذكاء الزائف

أما تأثير هذا الرجل في المجتمع فهو أشد وأنكى من تأثير الجاهل البسيط، إذ إن اكتشافه للناس ليس بالأمر اليسير

والرجل الذي على هذا الطراز يرى الظن حكمة، والنزق حرباً، والتكبر شجاعة، والعربدة مروءة وشباباً

فإذا عرف خطره على المجتمع، فإن خطره على المجتمع الألماني أشد وأعظم؛ لأن الألمان جميعهم لم يعرفوا حتى ذلك المستقبل في عصرها الأصيل.
أما الرجل المفكر المتعلم الذي يعمل ويناضل لإحياء وطنه وخير بلاده، فهو ورغم شأنه يحبون أن الآن من كرهم في الحكومة الاشتراكية الوطنية، أو يسيرون خلف مشعوذين مهرجين

إن المفكر المتعالي الذي يجد من نفسه قدرة على التحرر من ملكه والمنطق، ثم يتحدث بعد ذلك النبيه عن الحقيقة، جاهل قصير النظر، فلا يزال يرى أن العلم والتربية والمكانة لم تعط جميعها إلا لما يرجوه هو ويراه. وكل من تحدثه نفسه بأن يسلك سبيلاً غير سبيله فهو خارج على الدين، ومن ثم يجب أن يكافح ويحذر من أعماله ويوجه إليها حملات النقد والتفنيد

ولا حيلة من هذا الرجل في أيام السلم إلا أنه قد يكون عقبة في الطريق حين تشتد الأزمات السياسية، فيجتمع هو وأمثاله زعماً بأنهم أهل الفهم والحكم على المواهب الحقيقية بعقولهم وعقول الآخرين فيهم العلم الزائف الذي يدعونه

إن هؤلاء المفكرين المتعالين لا يزالون يقابلون كل عمل من أعمال الحكومة الاشتراكية الوطنية وأعمال الفوهرر بكلمة «لا»، ومن المحتمل أن يظلوا كذلك إلى الأبد. وليس في وسعنا أن نمنع أحداً منهم إنما لا لأننا لا نستطيع ذلك، ولكننا لا نريد أحداً منهم على الإطلاق، إذ إنهم حمل لا فائدة فيه

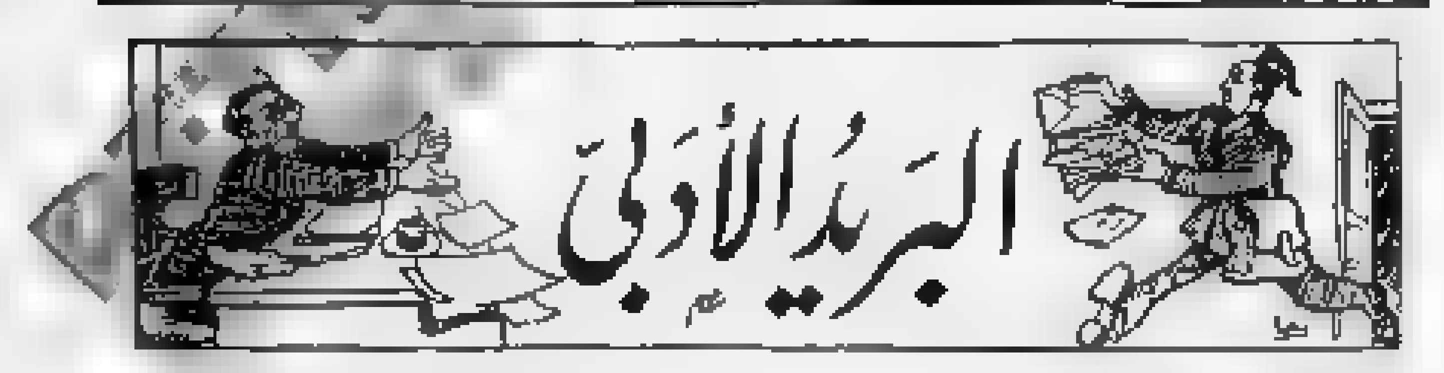

حول صفة الأدب الجاهلي

تحت هذا العنوان كتبت (الثقافة) في عددها الأخير كلمة بدأتها بهذه الجملة:

«أتتنا مقالات عدة من مختلف الأقطار العربية، يبحث في مناقشة الفكرة تأييداً أو رداً، وبعضها في حب نشر مقالات (الرسالة) (لمن يريد «كاتب») والتعريض بصاحب الحملة وتعليل الأسباب الداعية إلى ذلك»

ولو كانت الثقافة من مواليد العام الماضي لشهدت في الرسالة معركة من أعنف المعارك الأدبية وأصلاها بين الأستاذ سيد قطب وبين روح الأستاذ الرافعي. وكان الأستاذ قطب أمضى أسلوباً وأشد هجمة من الدكتور زكي مبارك؛ وكان بأيدينا أن نحذف من حدته أو نلطف من ألفاظه، ولكن الدكتور زكي يسمح لنا أن نمس من سورته بالحذف والتغيير حتى لتنقص حرارة في بعض المقالات إلى النصف!

وكان الرافعي عضواً عاملاً في أسرة الرسالة وصديقاً حميماً لصاحب المجلة إلى أن استوفى آخر أنفاسه. وكان حين نشبت هذه المعركة قد اتصل بجوار الله فلم يعد له لسان ولا قلم ولا صحيفة، فكان من الخاطر حينئذ لمن لا يعرفون النقد إلا أنه انتقام وخصومة أن يكتبوا في «التعريض بصاحب الحملة وتعليل الأسباب الداعية إلى ذلك ...». ولكن صديقنا الأستاذ أحمد أمين متعه الله بطول العمر له قلم وعلة ونظر؛ وهو صاحب رأي جديد في الأدب الجاهلي لم ينشره إلا بعد أن وطن النفس على مكروهه، وناقده أستاذ معروف له استقلاله في الرأي وأسلوبه في النقد ومكانته من الصحافة، فلا يمكن أن يوجه إلى حملة أو يحمل على رأي. إنما يكون من المجازفة والاعتساف أن يظن ظان بعد ما عهد من مثل الرافعي ورأى من نشرنا النقد والرد عليه أن هناك أسباباً دعت إلى هذه المعركة غير خدمة الأدب في ذاته. والرسالة والحمد لله تستطيع متى شاء أن يدافع ويهاجم وينقد في حدود الأدب والحق والمنطق من غير حاجة إلى استعداء أو استعداء.

(الرسالة)

النعيم الحسي والروحي في الإسلام

قرأت في «الرسالة» كلمة نفيسة لحضرة الأستاذ محمود علي قراعه في مراجعة ما ورد في أحد الأحاديث النبوية من اعتراف القرآن بالنعيم الحسي في الفردوس.

والظاهر أن الأستاذ قراعة يرى أن القول بالنعيم الحسي ينافي القول بالنعيم الروحي لمن رضي الله عنهم من المؤمنين.

وأقول بصراحة جلية: إن الإسلام يقوم على أساس القول بأن الإنسان مكوَّن من جسد وروح، وهو كذلك في الحياة الأخروية؛ فسيكون عند الحساب جنة أو نار، جنة فيها أنهار وأشجار وأزهار، وقصور، وحُور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ونار فيها جميع صنوف العذاب!

جنة حقيقية لا مجازية، ونار حقيقية لا مجازية

تلك هي الدار التي سيصير إليها المؤمنون أو الكافرون بعد الحساب

أما القول بأن الجنة والنار رموز لا حقائق، وأن الثواب والعقاب سيكونان مقصورين على الروح، فذلك قول وصل إلى بعض الصوفية من التأثر بالمسيحية

والنظرية الإسلامية الصحيحة التي تعترف بالملذات الحسية في الآخرة لا تمنع من القول بأن سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم برضوان الله أطيب من نعيمهم بما في الجنة من شراب وطعام

ويرى أمثال هذا الصديق يرجون أن الملذات الحسية من طعام وشراب ونساء هي من نعم الله على الحلال، وهي مشتهاة في الدنيا والآخرة، وما كانت كذلك إلا بمشيئة بارئ الأرض والسموات

أنا يا صديقي واثق من أن يكون حظي في الآخرة عند الله الذي تقول به الآية الكريمة:

«فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز»

أما صباح الأبد الأبد بالتسبيح والتكبير والتهليل، فهو غاية سيطلبها رجل غيري؛ فقد قضيت حياتي في أكدار وأشجان، وقضاء الأبد في الفردوس هو الراحة التي أستظل بها من هجير هذا الوجود

انطلق هناك يا ولدي! ما سيكون في الجنة من أطايب النعيم، فلن يسرني أكثر من أن يواجهني نورك الوهاج، وذلك الرأي الأعلى في التجاور من دوني وآنائي

زكي مبارك

تصحيح مسائل

سيدي الأستاذ الجليل الزيات

تحية وسلاماً، وبعد فقد قرأت المقال القيم الذي كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب في عدد الرسالة (٣٩٤) عن المرحوم الأستاذ فليكس فارس، وقد وجدت في المقال أشياء استوقفت نظري ورأيت من الواجب أن أنبه عليها بياناً للواقع

وأول شيء استوقف نظري أن الأستاذ كامل حبيب وضع رقماً يدل على تاريخ مولد الأستاذ فليكس فارس، وتاريخ وفاته، والرقم هكذا «١٨٨٦ — ١٩٣٩»، ولكن الحقيقة أن الفقيد ولد عام ١٨٨٢ في بلدة «صليما» بلبنان، وقد أخطأ في ذلك أيضاً الأستاذ صديق شيبوب إذ كتب في جريدة البصير في العدد الصادر في يوم الجمعة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٩ أنه ولد عام ١٨٨٦ في بلدة «الزريعات»، والذي نعرفه نحن شخصياً من الأستاذ فليكس فارس أنه ولد في ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٨٢، وقد أخبرت أسرة الفقيد أنه توفي عن سبع وخمسين سنة، وعلى هذا يكون تاريخ ميلاده موافقاً للسنة التي ذكرناها

هذا والأستاذ كامل حبيب ذكر أن الفقيد سافر إلى أمريكا عام ١٩٢٠، والذي نعرفه أن الفقيد لم يرحل إلى القارة الأمريكية إلا عام ١٩٢١. ومما يؤيد هذا الكلام آخر ما كتبه الفقيد والذي جاء في العدد الخاص من مجلة «المكشوف» عن مظاهر الثقافة في مصر، وكما جاء أيضاً في أكثر من مكان في كتابه «رسالة المنبر إلى الشرق العربي» ص ٢٩ مثلاً.

هذا وقد ذكر لخروجه من مصر إلى أمريكا أنه اضطر

في «الرابطة القلمية» مع زميله الفنان جبران خليل جبران وما لبعثات سياسية وأمر حرقته بمساعدة صديقه الأستاذ أمين الريحاني

ويذكر الأستاذ كامل حبيب أن الفقيد من مؤسسي جمعية وعن أعضاء الرابطة العربية في نيويورك. والحقيقة أن الرابطة القلمية التي كان عميدها جبران ومستشارها ميخائيل نعيمة (كتاب جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص ١٧١) وأما الرابطة العربية فمقرها في القاهرة، على ما نعرف، وعميدها الأستاذ محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ السابق

إبراهيم أدهم

سؤال إلى (المفكرين) من علماء المسلمين

أنا لست من الفقهاء ولا المحدثين ولكن لي من المشاركة في عمل الباحث ما يطوّع لي عرض هذا السؤال وتوجيهه توجيهاً قد لا يرضي المتمسكين بحرفية النصوص الشرعية، والواقفين عند ما جاء في الشروح والحواشي، معترفاً بأن مستندي في الذي أنوه عن الأحكام العامة والرأي والاجتهاد، لا على الدليل الأصولي والحجة الشرعية، وهذه الأحكام العامة التي أرجع إليها وأستند عليها هي:

١ — أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأن مبادئه لا يغيرها الزمن ولا تمسخها الأيام

٢ — أن الإسلام يجعل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية في العلم والقوة والمال والحضارة

فكيف يتفق مع هذين الأصلين وجود أحكام في الفقه لا تصلح لهذا الزمان، وأحكام تخص المسلمين دون الأمم الأخرى في ميادين الحياة؟ مثال الأول أحكام البيع والشراء في مذهب الشافعي مثلاً؟ فإن فيه ما يتعذر تطبيقه في المعاملات الواسعة وما يخالف كثيراً من المتعارف عليه بين التجار، كأن يشتري التاجر المصري بضاعة من انكلترا ويبيعها في سوريا من غير أن يقبضها أو يراها، أو يشتري من المعمل أشياء لم تصنع بعد يوم العقد عليها. ومثال الثانية ما قام عليه الدليل الحسي من أن أمة مسلمة لا تستطيع اليوم الاستغناء عن المصارف (البنوك) ومعاملاتها وما قدر أن يقوم به بنك مصر من الأعمال العظيمة القائمة في الأساس على شيء من الربا.

أفتقول للتجار إن الإسلام يحول بينكم وبين اتباع الأسلوب السهل المعروف في التجارة ويعرقل أعمالكم؟ أو تجيز أعمال

البنوك مع ما هي عليه من الرسوم وغيرها من الفوائد والربا؟ وكيف يكون التوفيق حينئذ بين هذه النهضة التي نحتاج إليها وبين الأصلين الثابتين المتقدمين؟

أو لا يصح القول بأن من أحكام الفقه ما هو مبني على نص ثابت من كتاب أو سنة فهذا ما لا سبيل (فيما أعلم) إلى تبديله أو تغييره، ومنها ما هو مبني على عرف كان سائداً في عصر الفقهاء المجتهدين، فإذا تغير العرف فيجب أن تتغير الأحكام المبنية عليه. أذكر أنه مر معنا عند درس (البيع) في كلية الحقوق أنه إذا باع الرجل دابة واشترط على المشتري ألا يركبها في البلد مثلاً فالشرط فاسد لا نفع فيه. وقد بني هذا الحكم على اعتبار هذا الشرط ضاراً بالمشتري في حين أنه لا ينفع البائع فالمدار على قاعدة (الضرر يزال) .. فإذا وجدنا فيه نفعاً للبائع كأن يكون البائع للسيارة سائقاً يستغل نقل الركاب على طريق معين، وأن يكون استعمال المشتري السيارة على الطريق عينه مضراً به، فإنه يجب في هذه الحالة اعتبار هذا الشرط صحيحاً. فما هو قول علمائنا الأعلام؟

والربا؟ أليس الربا المحرم هو استغلال صاحب المال حاجة المستقرض وإرهاقه بالزيادة، وضم الزيادة إلى رأس المال عند عجزه عن الدفع (على طريقة الفائدة المركبة) حتى تستغرق الفائدة رأس المال أو تزيد، وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب البيوت وتنازع بين الناس وتسرب العداء إلى النفوس؟ أو ليس هنالك فرق (عظيم) بين هذا الربا وبين معاملات المصارف؟ فأنت حين تعامل المصرف لا تستغل حاجته، ولا ترهقه بالفائدة بل هو الذي يعرضها عليك. فهو أشبه بشركة المضاربة ولا يشترط (فيما أظن) تقسيم الربح بالتساوي بين الشريكين، ولا مانع من أن يساهم المضارب ببعض المال. فإذا صح هذا أمكن أن نعد المودعين في أموال البنك بمثابة الشريك المضارب، والمساهمين بمثابة صاحب المال، والخسارة تكون بالطبع على أصحاب رؤوس الأموال بنسبة أموالهم. على أن البنك لا يستثمر المال في التجارة ولكن يستثمره بطريق الربا أيضاً، وهي التي لا وجه لها عندي. فما هو قول علمائنا الأعلام؟

إن الإسلام إنما كان لكل زمان، فإنه يجب أن يكون لكل زمان فقهه، والفقه الذي يدرسه الطلبة في الأزهر وغير الأزهر لم يوضع لزماننا، وإنما وضع لأزمان مضت. وأنا أستعجب أشد العجب من الفقهاء المتقدمين، فإنهم لم يدرسوا نتائج أوطانهم ويضعوا لها الأحكام فقط، وإنما فرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها. فأين فقهاؤنا الذين يتعرضون للمسائل الفقهية الناتجة عن الراديو مثلاً وحكم سجود التلاوة عند سماع القارئ فيه، وحكم الاقتداء بالإمام الذي تسمع قراءته في الراديو والمسائل المتعلقة بوسائط النقل الحديثة والمصارف، والمسائل التي حدثت في العرف التجاري وغير ذلك مما نشعر بالحاجة إلى معرفة حكم الله فيه؟ على أني أذكر هنا بالشكر بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر في الطلاق فإنه يعد مثلاً كاملاً في هذا الباب. فمتى يعمد العلماء إلى الكتابة في مشكلات المسائل على هذا النمط، ومتى يخرج من الأزهر الفقه الموضوع للقرن التاسع والعاشر يحل محل فقه القرن الرابع عشر، مع العلم بأن منبع الاثنين الكتاب والسنة عماد الإسلام: هذا الدين المرن الصالح لكل زمان ومكان؟

هذا سؤال أوجهه إلى (المفكرين) لا الحافظين من علماء المسلمين!

«دمشق» علي الطنطاوي

حول المرقدات والمسكرات في الإسلام

أستاذنا المحرر الزيات،

وبعد فقد أنساه بعضهم فيهم ما ذكره من ابن عابدين جزء ٣ ص ٢١٥، وإليك نص ما ذكره بما نقله كاملاً: قال السيوطي: قال ابن عقيل الحنبلي جرت مسألة بين أبي علي بن الوليد المعتزلي وبين أبي يوسف القزويني في ذلك، فقال ابن الوليد: لا يمنع أن يحصل ذلك (يريد الفوائد) من جملة الملذات في الجنة لزوال المفسدة لأنه إنما منع في الدنيا لما فيه من قطع النسل وكونه محلاً للأذى، وليس في الجنة ذلك، ولهذا أبيح شرب الخمر لما ليس فيه من السكر وغاية العربدة وزوال العقل، فلذلك لم يمنع من الالتذاذ به. فقال أبو يوسف: الميل إلى الذكور عاهة وهو قبيح في نفسه ولهذا لم يبح في شريعة بخلاف الخمر، وهو مخرج الحدث، والجنة نزهت عن العاهات. فقال ابن الوليد: العاهة هي التلويث بالأذى؟ فإذا لم يبق إلا مجرد الالتذاذ ... والظاهر أن المراد بالحرمة هنا القبح إطلاقاً لاسم المسبب على السبب، أي قبحها عقلي بمعنى أنه يدرك بالعقل وإن لم يرد به الشرع كالظلم والسكر، لا أن معناه أنه لا يحرم العقل شيء، أي لا يكون العقل حاكماً بحرمته، وإنما ذلك عند ... بل العقل مدرك حسن بعض المأمورات وقبح بعض المنهيات، ويأتي الشرع حاكماً بمقتضى ...

ذلك ، فهو يأمر بالحسن وينهى عن القبيح ؛ وعند المعتزلة يجب ما حسن عقلاً ، ويحرم ما قبح ، وإن لم يرد الشرع بوجوبه أو حرمته . فالعقل عندهم هو المثبت ، وعند [illegible] المثبت هو الشرع والعقل آلة لإدراك الحسن والقبيح قبل الشرع . وعند الأشاعرة لا حسن ولا قبح قبل الشرع بل العقل تابع للشرع فما أمر به الشرع علم بالعقل أنه حسن ، وما نهى عنه علم أنه قبيح ... فلا يكون التوالد في الجنة على الصحيح لأنه [illegible] و[illegible] عنها ، وفي الآخرة حرمتها [illegible] فلا وجود لها في الجنة ، وهي [illegible] »

هذا وقد ظن بعض القراء أن معنى وجود خلاف في الرأي فيما يتصل بوجود هذا الفعل في الجنة أو عدم وجوده ، أن الشريعة الإسلامية ، لم تنكر هذه الفعل لأنها لم تقرر الحد عنه ، وفاتهم أن عدم إقامة الحد عليه لا يخفف من التغليظ حتى رأى الجمهور تكفير مستحلها ، وأن بعضهم يرى حد الفاعل والإحراق بالنار ، وهدم الجدار والتنكيس من محل مرتفع باتباع الأحجار والجلد والتعزير والسجن حتى الموت أو يتوب ، ولو اعتاد هذا الفعل قتله الإمام سياسة

هذا وقد قال لنا بعض العلماء إن الذين يرون رأينا في روحية العذاب في الجنة يجب تكفيرهم أو على الأقل رميهم بالضلال والبعد عن الله ، لأن رأي الروحانية يتنافى في رأيهم مع أصل النصوص ، والواقع أن هؤلاء يتجاهلون ما يجب أن يعرفوه من أن اللذة سواء أكانت حسية أم معنوية تتصل أكبر ما تتصل بالتأملات النفسية وتقرب كل القرب من الروح ، فالسمع والبصر والشم واللمس والذوق حواس الإنسان الخمسة يمكن أن نضم إليها الحاسة السادسة التي يسميها بعض الكتاب وهذا يكاد يتفق في إحراز الجزء الروحي في كل حاسة بل أكبر شأنه وبعضه أنه أسمى جزئياتها . فأنت إذا رأيت منظراً جميلاً هل تستطيع أن تقدر الجزء الروحي من رؤيته هذا المنظر أقل من [illegible] الاستمتاع بما يشع عليك من سرور . ولقد كان جمال يوسف الصديق شاغلاً لأهل مصر عن الإحساس بألم الجوع ، حتى أنهم كانوا إذا جاعوا (كما ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين الجزء الرابع) نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع ، وحتى قطع النسوة أيديهن لاستغراقهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك كما قص لنا القرآن الكريم . وكذلك يمكن القول عند

ذكر الملذات جميعاً [illegible] هؤلاء الفلاسفة الذين [illegible] مكفروا مع أن التكفير أمر عظيم لا يكفر إلا [illegible] ليعقلوا لأنا نفهم أن الإنسان كما يمكنه أن يسمو بلذاته [illegible] إلى حيث مرتبة الروح ، يستطيع أن ينزل بها إلى حيث [illegible] من الحيوان ، فعند سماعك للغناء تستطيع أن ترقى ، وتستطيع أن تهبط دون ذلك ، فإذا سمعت غناء من ذي صوت جميل فقدست الله وتفكرت في جمال المخلوقات التي خلقها فأنت رجل روحي تجمع لذة السماع وهي لذة حسية وترتفع بها إلى جانب ترقى روحك وعقلك ، وأما إذا كنت تسمع صوتاً جميلاً من جميل وتزيد بسماعك من حركات التي تحرك شهواتك ، فأنت نازل بذلك الحسية إلى الحضيض ، وقد ذكر السهروردي حل الغناء في الأولى وحرمته في الثانية

ثم ما قول هؤلاء العلماء في لذة النظر إلى وجه الله الكريم ! وهي لذة روحية بحتة تفوق كل اللذات — ألهي أنهم ظنوا بجهلهم روح الإسلام ومبادئه الصحيحة ، أن حسية اللذات تمنع من روحانيتها ، وفاتهم أن اللذة حسي لا يحس وأنها إذا حسبت لا يخضعها فليس هذا إدراكاً لما من حالها إلى عالم اللذة أو الحس ، ولكن الذي نؤمن به كمسلمين صادقين أن في الجنة لذات روحية وحسية ، وأنا كمؤمنين صادقين نرى أن لذات الجنة الحسية لذات راقية تسمو بالروح ، إذ لا لغو في الجنة ولا تأثيم ، وأن أكبر لذات الجنة التي سيتمتع بها المؤمنون روحية . هذه عقيدتنا التي يجب أن يؤمن بها كل مؤمن صادق

[illegible]

[illegible]

كتب الأستاذ أنور كامل في عدد [illegible] الماضي من الرسالة كلمة عن جماعة الفن والحرية بعد أن شعر أن الكلمة المنشورة في العدد الأسبق تحت عنوان الفن المنحط تعني الجماعة التي ينتمي إليها وهم أن الكاتب لم يشر صراحة إلى جماعة الفن والحرية ، وهذا التصرف من الأستاذ كامل له مبرراته .. وقد أتيح لي أن أطلع على بعض ما كتبه ووزعه بعض المنتمين إلى تلك الجماعة وأرسل بعضه لمحرر الرسالة ، ولعله الذي أثبت في تلك الكلمة التي أنكرت الأستاذ كامل ودعته إلى كتابة كلمته

وإني أقول للأستاذ إن الفن الذي ينشره ويدعو له [illegible]

منحط رغم كل ما يقال فيه ، وإن الجماعة التي تسمى باسم الفن والحرية لا تقوم الحرية إلا على أنها فوضى لا ضابط لها ولا قانون — كما أن مساوئ الفن الأوربي في تخبطاته الأخيرة ليست حرية على أي الأحوال ، بل هي فوضى وهباء ، وهذا هو ما تفعله جماعة الفن والحرية ! فليشرح لنا الأستاذ على أي أسس تقوم آراؤه هذه — وإني على استعداد تام لمناقشة كل ما سيبديه الأستاذ في الدفاع عن آرائه جماعته ، ولعل صفحات الرسالة تتسع لكل ما سيكتب في هذا الموضوع والكسب للفن على كل حال .

مصري عطا الله مرسي

المعهد والتاريخ . بيان وتصحيح

لما قرأت ما نشرته الرسالة منذ أعداد من نبأ (الحياة الأدبية) التي ستصدر في حمص ، والعاصمة التي تلقب في بعض الدوائر من (التأليف والمؤلفين) وأحاديث (الرادو) عن شعراء دمشق ، ورأيت ذلك كله مختصراً في عدد واحد وإلى جنبه ذكر كتاب نشر حديثاً ووصفه بأنه (آية في التحقيق والتدقيق) ، ظننت أن الله قد بعث الحركة الأدبية في الشام ، واستحضر الطرب حتى دعاني إلى الإسراع بالعودة إلى الصحف ، لأشترك في تجشؤ بواكير هذه الثمرة الطيبة .. وعلمت أن هذه الحياة (مشروع) من هذه المشروعات التي يحيك بعض الشيوخ المتقاعدين وبعض الشبان المتطفلين الكلام فيها ليوهموا الناس أنهم (مستنيرون) ولم يتحقق منه إلا اجتماع دعا إليه أحد الأدباء ، وخبر لا أدري من بعث به إلى الرسالة ، ذكر فيه أشخاص متقاربون في شهاداتهم ومناصبهم ومثلاء في التدريس ، فرجع بعضهم إلى المرآة العليا وهم من بعض أنهم (متأدبون متشوفون) تقدموا على الرسالة ، والرسالة لا ذنب لها . وإذا المحاضرة التي ألقيت ونشرت كاملة في صحيفة (ظلال) تشتمل على دعوة (قوية) إلى ترك الثناء بالباطل ، وإلى النقد الصريح . ومن أجل ذلك أقول ، واستكمالاً لأمر صاحبها ، أن المحاضرة أول مقيل من كتاب (الوسيط) الذي يدرس للطلاب ، وأنها خالية من الإحاطة بالموضوع ، ومن التحقيق العلمي ، ومن (الشيء الجديد) ، وأنها عبارة عن نتف من هنا ونتف من هناك ، جمعت بأسلوب خطابي يثب فيه المؤلف من عصر إلى عصر ، فيذكر أشياء لا ندري لماذا يذكرها ، ويهمل أشياء لا ندري لم أهملها ، ثم يختمها بكلام طويل في وصف المؤلف الذي (يريد) ، أما الحديث الرادوي فلم نثق بعد ، وأظن أن هذا الشاب العامل المجد سيكون أقرب إلى التوفيق من سادتنا الكهول الذين أمضوا شهوراً من الصبر ما يمسوا عنها ، وإذا دعوا إليه ، وأخرجوا الإنتاج القيم ، وإذا الحركة الأدبية (لا تزال) ميتة أو مغمى عليها مع من قتلها الصهيونية وأصحابها ، فأرجو أن ينشر هذا البيان في الرسالة لا سيما فمشق قد مدحوا حياتهم أكثر من الأكاذيب ، ولكي يعرفوا العلم والعلماء الحقيقة ، ولئلا ينشر في الرسالة غير الحق ، وأنا أخشى والله أن يكون الأمر غير ما أقول ولو عشت كلها —

ع ط

فرقة تمثيلية من المشايخ

شهدنا في دار الأستاذ علي الطنطاوي اجتماعاً عجيباً لتأسيس فرقة تمثيلية تضم كبار الشيوخ المتضلعين بالعلم والأدب ، الغاية منها إرشاد الناس إلى المنهج الأخلاقي ، والعمل للإصلاح عن طريق التمثيل وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر المنطلوي . وقد تبرع أحد الوجهاء الذين حضروا الاجتماع بأرض واسعة يبني فيها مسرح عظيم ، والمعدات اللازمة للتمثيل . وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل حالاً ، في الرواية الأولى التي يعدها الآن الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي

« دمشق » (ص . م)

المرحوم فلكس فارس

ستقام حفلة تأبين كبرى للمرحوم الأستاذ فليكس فارس بدار المحفل الأكبر الإلهي بشارع ... رقم ٢ بالإسكندرية وذلك في تمام الساعة السابعة والنصف من مساء الاثنين ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٩ ، والدعوة عامة

عائشة والعباسة

وقع في هذه المقال المنشور بالعدد (٣١٤) من « الرسالة » سهو ، وهو أن الحاشية (الأغاني ٥ — ١٣٠ طبع دار الكتب) موضعها آخر السطر الثاني (ص ١٣٥٠) لأنها تعين مصدر الحادثة المذكورة ، ولا علاقة لها بالسراق

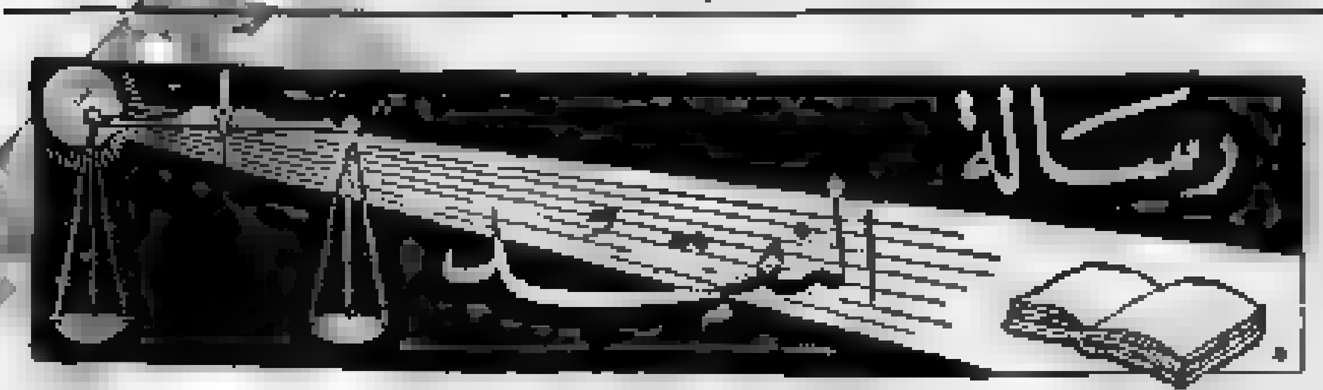

سمو المعنى في سمو الذات
أو أشعة من حياة الحسين
تأليف الأستاذ عبد الله العلايلي
للأستاذ علي الطنطاوي

حمل الأستاذ عبد الله العلايلي فأهدى إليّ كتابه الذي سماه (سمو المعنى في سمو الذات)، وجعله الحلقة الأولى من سيرة الحسين بن علي بن أبي طالب، فطالعت أكثره، والتذذت به، فكنت أكتب بعض التعليقات على ما أنكر منه فاجتمع لي في عشر مسائل (مهمة جداً) أحببت أن أنشرها وما أشك في أن الأستاذ سيقبلها بقبول حسن، فيقرها إذا رآها حقاً، ويناقشني فيها إن رآها غير ذلك. ولست أعرض في هذا النقد للخلاف بين السنة والشيعة، أو أثير غبار النزاع في القضايا المذهبية، وإنما أنقده من الناحية التاريخية البحتة، للوصول إلى الحقيقة التي أنشأ الأستاذ العلايلي كتابه للبحث عنها.

والملاحظة العامة على هذا الكتاب هو أنه يعرض خلافاً بين فئتين، فيسبغ على إحداهما ثوب التقديس والإجلال، ويكتب عنها بروح كلها إكبار واحترام، ويصل بالكتابة إلى حيث يشكو من الطول بها، ويلصق بالأخرى التهم والعيوب، ويتكلم عنها بلهجة لا أجد أحياناً من كلمات وعبارات لا يليق بالمؤرخ المنصف المهذب أن يدونها. وقد تكون هذه التهم صادرة عن (الخيال) وحده، ليس لها مستند من رواية أو نص؛ وقد يعترف بذلك المؤلف، ولكنه لا يمتنع من ذكرها ... كقوله وهو يتكلم عن الأمويين صفحة (٣٣): «عرفنا الأموي كان فنياً في طموحه، وعرفنا كيف أسلم زعيم الأموية أبو سفيان، وعرفنا كيف أن بني الأمويين أي مقام اعتباري في محيط الإسلام الذي كان طموحه فوراً وغلبة الهاشميين ... ووصلوا إلى ولاية يزيد بن أبي سفيان وولاية معاوية من بعده فرصة سانحة القيام بعمل خطير، ففكروا في اغتيال عمر بن الخطاب ( ) وكشفت الغالة يد فارسي ...» إلى أن قال: «وإني أقول في جملة ما أقول إنه يوم قتل عمر لم يكن وحيد فكرة فارسية مدبرة، وإنما كان وحيد فكرة مدرسية سالفة وأموية معه ... وعسى أن أجد (أعيه) في منثور الروايات والأخبار ما يوضح الواقع».

فإذا كان المؤلف يستند في تاريخ للناس إلى (رأيه ...) ويضع النتيجة قبل أن يجد المقدمات، أي أنه إنما كان يرسم التاريخ ارتجالاً فليس عجيباً أن يكون في الكتاب نقول عن المسعودي في الطعن على بني أمية والمسعودي لا يتقبل منه (وحده) في هذا الباب كما هو معروف، وأن يكون فيه نقول عن مثل الأب لامنس عدو العرب والإسلام، المتعصب الذي يصدقه كثير من المستشرقين ولا يرى الأستاذ منه.

والمؤلف يقول في صفحة (١٣): «والحق أنا لا نزال من فهم عصر الحسين على غموض وخفاء، وذلك لأن الأقلام التي تناولته منذ أول عهد العرب بكتابة التاريخ لم تكن وقفاً على إظهار الغموض، بل دارت على خدمة أغراض شتى بين النزعة المذهبية والأخرى من الكلمة الثانية». ثم يأتي في صفحة (٤٩) فيقول في عنوان مكتوب بحروف كبيرة: «أسباب قتل معاوية على عليه السلام وغلبة السياسة العلوية[1]» ويصف الأمويين بأنهم أولئك

(١) كأن السياسة العلوية سياسة دون أي فارسي مجوسي

يفسد وفي حقيقتهم بعث الحياة الإسلامية صفحة (٢٨) ويقول في صفحة (٤٢) « علي بن أبي طالب مظهر فذ من مظاهر التكامل الإنساني ، ونموذج بارع من نماذج التفوق البشري ، ومثال بارع للاستعداد الكامل في القسم الخ » في صفحة كاملة كلها مبالغات ومبالغات على هذا النمط . وحينما يتكلم عن الخلفاء الأربعة يتكلم عنهم ص (١٢) بما نصه « الخليفة الأول والثاني والثالث ثم عليّ عليه السلام »

ولنأت الآن إلى عرض نماذج من المسائل التي أنكرتها في الكتاب بقصد التمثيل لا الاستقصاء .

١ — يقرر في صفحة (١٠) أن نظام الحكم في عهد الأمويين « لم يكن إلا ما نسميه في لغة العصر الأحكام العرفية ، هذا النظام الذي يهدر الدماء ، ويرجح التصرف على المنطق القانوني (كذا) ويهدد كل امرئ في وجوده . وفي هذا العصر إذ كان يتحدث في ظروف استثنائية وحالات خاصة فقد كان في العهد الأموي هو النظام السائد » وكان هذا في رأيه (وصمة احتكم في كل التاريخ الأموي وصبغه بصبغة وبيلة ، تتنافى مع المبادئ العربية والدينية) وكل ما أورد المؤلف من الأدلة على هذه الدعوى التي لا يجيزها أشد الناس من أعداء التاريخ الإسلامي وخصومه ، كل أدلته أنه أشار إلى « الرسوم الملكي أو المذكرة الإيضاحية (كذا) الصادرة في بيان الأسباب التي ... قتل أبي جعفر النعماني » وذكر أنها في الجزء الأول ص (٣٢٨) من معجم الأدباء — وهكذا جنت هذه الشبهة الظاهرة ، وسوّدت صفحة من أنصع صفحات التاريخ العربي ، وانتهى الأمر بسلام ، والحمد لله رب العالمين

ورحمة الله على العدل أيام بني أمية ، ورحمة الله على التحقيق التاريخي في أيامنا هذه .

٢ — يقرر في ص (١٢) أن معاوية اقتبس النظام البيزنطي « وأمعن به إلى أبعد حد ... فانتقل مرة واحدة إلى نظام يبعد كثيراً عن النظام النبوي من كل الأطراف » إلى أن قال « إلى حد نتمكن معه من القول بأنها حالت دون أن تكون أسس الإسلام ، وحالت دون حكومة القرآن ، ومسخت معالم النبي ، وشوهت تقاليد حكومة الخلفاء » اهـ والذي نفهمه أن موضوع اقتباس الأمويين للنظام البيزنطي محتاج إلى درس شامل لشكل الحكومة وأنظمتها ، ولا يمكن شرحه في دون الرسالة الكبيرة ، هو الشكل ... أن مجرد الادعاء وإرسال التعليقات فلا يجدي في التاريخ ... ولا يكون له فيه قيمة علمية

٣ — ذكر في صفحة (١٧) أن من الأسباب « التي يظن أنها مهدت إلى حمل الاضطراب (كذا) وإلقاء الخواطر وقتئذ للانقلاب الكبير ، الاختلاف على البيعة يوم السقيفة والتنازع بين فاطمة منها وآل هاشم عموماً » وذكر أن هذا الخلاف « كان له صدى عكسي — كذا — وقد عبد للعبيديين شيئاً من الشعور بالاستهانة وجرأهم على الانتقاص والخروج والتمرد » . وجعل المؤلف هذا الخلاف من الأسباب المؤدية إلى ارتداد العرب مع أن انتخاب الرئيس في أي بلد من البلدان الجمهورية يصحبه في عصرنا نزاع وخلاف لا يقاس به اختلاف أهل السقيفة ، ولا يؤدي إلى خروج ولا تمرد . ثم إن خلافة أبي بكر كانت إجماعية لم يشذ عن بيعته إلا رجل واحد هو سعد بن عبادة . وتأمر على ... هذه الأسباب أخرى ذكر أن منها اشتغاله بكتابة المصحف ، ومع كل فقد تابع أحمد أمين . أن الارتداد من يرتد فقد كانت له أسباب معروفة (غير ما ذكر) .

٤ — ويذكر في صفحة (٢٣) أن من هذه الأسباب : « عدم عناية حكومة الخلفاء ببث الدعوة وعرض التربية الدينية » وهذا كلام لا يقبله أحد ، لأن المؤلف لم يقم عليه الدليل العلمي أولاً ، ولأن هذا الادعاء طعنة موجهة إلى صميم التاريخ الإسلامي . وإذا كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي لم يعنوا ببث الدعوة وعرض التربية الدينية ؛ فمن ذا الذي عني بها ؟ ومن ذا الذي بث الدعوة إلى الهدى حتى شملت مشارق الأرض ومغاربها ؟ ومن عرض التربية الدينية حتى في صدور الفرس والروم وأهل خراسان وأرمينية حتى صاروا مسلمين يتقاتلون يعرض الدين ويحمون حماه ، وحتى نشأ منهم علماء طوال وأئمة هادون ؟

أتردّ هذه الحقائق كلها بضعة أسطر جاء بها المؤلف ، خالية من أي دليل ، من نص ثابت أو استنتاج منطقي ؟

٥ — ويذكر المؤلف أن « سعة الحكم إلى عصر عليّ لم تزل

خاصة للنظامات القبلية ، وأن حكومة « تقوم على نظم البداوة لا يرى لها بناء ، لأنه ليس بين عناصرها وحدة حقيقية » والرد على هذا الكلام من وجهين : أولهما أن الإسلام قد محا عصبية القبيلة ودعا إلى الأخوة الإسلامية ، وجمع ذلك الصحابة ونشأ منه وحدة عربية استطاعت أن تعمل أكبر عمل في سبيل الدعوة إلى الله . وثانيهما أن هذه النزعة القبلية إنما كانت قد ظهرت بعض الظهور ، فإنما ظهرت أيام علي . ويستقيه المؤلف عصر علي من الحكم الذي أطلقه وعمّمه قلب للحقيقة وتبديل للواقع

٦ — ويقول في صفحة (٢٦) « إن للأنصار حقاً أكيداً وشبه قوية في السلطة على أنهم صبروا في آخر الأمر أنهم أنصار الدين وأنصار محمد وأنصار بيته (كذا) وقادوا غل عليهم إلى هاشمي القائم من آل البيت » — ويقرر في حاشية الصفحة أن الأنصار « يعتبرون وصول بني أمية إلى الحكم ، إنما هو انتصار لأعدائهم القدماء من مشركي مكة »

ودليل هذا كله أن « فلوتن » ذكره في كتابه « السيادة العربية » فلننظر هذا التحقيق !

٧ — ويرى في صفحة (٣٢) أن الأمويين أرادوا « أن عصدوا من شركة المدينة وقصروا على الطبقة الدينية المدنية » وأنهم « سخروا طوائف من الشعراء والمغنين والمختثين من سفهاء عرب أن ويقيمه لأجل أن يمسحوا ماحتى الدين في مكة والمدينة بمسحة لا تتبين منها . » إلى أن قال « ويبدو مما نقلناه إلى أن الأمويين فكروا بصرف الناس عن المقدسات الإسلامية التي فرلت من الإسلام مرتبة الشعرة ، بإنشاء المسجد الأموي بأبهته العظيمة بدمشق . ولقد غلى بعض المستشرقين « كالأب لامنس اليسوعي » بأن هدم بية عبد الملك بن مروان بأبهته في تشييد المسجد الأقصى . ونحن وإن كنا نقلل ونتواضع من نقل رسل ما نقول في نحفظ مطال حتى تتناسب عليه الشواهد والروايات » اه وما دام هذا كله نقلاً من المؤلف ، وما دام قد أقر بحثه فنحن نقول أن النقل لا يغني من الحق شيئاً ، وأن التاريخ لا يكتب على هذا الشكل الذي عمد إليه المؤلف ، وإنما يكتب التاريخ رجل خالي النفس من الهوى لا يبصر ولا يصد ؛ وإنما يتحرى للإنصاف ويتحير

فيما يهدى النطق ويحمى حيث يشتى به ، ومن هذا ما لم يكن تاريخاً ولا شبه تاريخ

٨ — ومن أعجب ما يأتي به هذا المؤلف الذي رحل بالتاريخ ويشي من حيله حوادث لم تكن — أنه يقول في صفحة (٦٣) بأن يزيد بن معاوية ، نشأ مسيحيه . ويستدل على ذلك بأن أخواله من كلب كانوا يدينون قبل الإسلام بالمسيحية ! وإلى أنه يعرف طرفاً من الفلسفة . وإلى أن يزيد أمر الأخطل (لمسألة خاصة معروفة) بهجاء الأنصار . ويقول في صفحة (٦٨) بعد سرد هذه الأدلة المضحكة : « إذن كان يقيناً أو شبه اليقين أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة ؛ أو بعبارة أخرى كانت مسيحيه خالصة ، فلم يبق ما يستغرب منه أن يكون مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب لتقاليدها وعاداتها أي حساب ولا يعير لها وزناً ، بل الذي يستغرب أن يكون على غير ذلك »

هذا قليل جداً من كثير جداً ، مما في هذا الكتاب العجيب من المسائل

***

أما لغة الكتاب فلا تخلو مواضع منها كثيرة من ضعف في التأليف ، أو استعمال الكلمة على غير وجهها أو في غير مكانها قال المؤلف في الصفحة (٩) « ثم هذه العوامل التي تجمع إليها على مر الزمن الأسباب على وجه الجملة إلا إنا اقتصرنا على مسائل الخ ... » فأخرج الكلام عن وجهه . « ثم هذه العوامل » وكان الأولى أن يقال « ثم إن هذه العوامل » ، ويستعمل كلمة « مشرنا » بمعنى « فضلنا » في غير وجه . ويقول في ص (١١) « وكذلك يبدو العرض متصفاً عاطفياً حتى تتعب من تاريخ الحسين موقف المحبة الطلقة لشعور حقيقي للعاطفة التطبيق (؟) في كل مراحل حياته التي كانت تشبه بالتصوف » وقليل من يفهم هذا الزيد بالجانب الضيق ، أو يفهم كلمة « البيئات » في هذا الموضع ، ولذلك أمثال في الكتاب

هذا وإنا نشكر للمؤلف الفاضل هديته ، وأرجو أن يعمل قصدى على المحمل الجميل ، وأن يثق بأني لولا اعترافي بقيمة ما نقدته ولا عرضت لكتابه

علي الطنطاوي

7me Année No. 317

Lundi - 31 - 7 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٧ «القاهرة في يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣١ يوليه سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

لجنة التقدير

للأستاذ عباس محمود العقاد

ثم عرفت ضريبة الجمال(1)

وجاء دور البحث التي تقدر الجمال بالنظرة والنظرة الصادقة وتقدر الضريبة عليه بالعدل والقسطاس المستقيم

فمن هم الخبيرون بالجمال؟ ومن تتألف اللجنة أو المجالس التي تعرض «مقداره» ثم تفرض مقدار الضريبة الواجبة عليه؟

* * *

زعموا أنهم عدوا لذلك طائفة من فلاسفة «الاستاطيقا» أو فلسفة الجمال كما عربها الأستاذ الأكبر أحمد لطفي السيد باشا

واعتقدوا أن هؤلاء الفلاسفة هم أحق الناس بمعرفة المعاني الحية والصور الجميلة، كما أنهم أحق الناس باستخلاص كنه الجمال في جوهر الجواهر ولب اللباب

قالوا: فمست وجهة نظر أن يجمع هؤلاء الفلاسفة الأخيار على التعريف المختار

هل الجمال هو الحرية؟ وهل الجمال هو التناسب والنظام؟ وهل الجمال هو عنصر الفكرة في المادة؟ وهل الجمال في تمثيل النزعة الجنسية؟ وهل الجمال في تمثيل النزعة الكمالية؟ أو هل الجمال شيء غير هذا... أو هو شيء عميق عميق في الروح وعمق أسرار الغيوب؟

(1) راجع العدد ٣١٠ من الرسالة

وجه إلى الحكومة بمحاضر الجلسات قلقاً من أشياء ومسميات ، وشعب ومصوغات ، وشائعة تلتقي بها الخواتم والهدايا ، وتمضي الأعوام قبل أن تنسى تلك الفضيحة ...

* * *

وزعموا أن الحكومة تركت هذه القصة ... في مناحيها ومدت للأمس حتة أخرى من رجال الشارع ... ومصوري اللاعبين واللاعبات والراقصين والراقصات

ثم جربتها في مدينة ... ، وانتظرتها وجهة أخرى فإذا هي ... إليها ماسعة ، لا تحضور ... ، وأرقام لا تتعدى ... ، لأنها حسب رصيدها في قياس الوجوه والأجياد ، وقياس الأنوف والآذان ، وقياس الصدور والظهور ، وقياس الضلوع والأطراف ، فاستحسنته من هنا ... من هناك ، ومن زاوية من الصدر نقيصة من الساق ، ومما أصابه ... خلفه ، ومن أرشقتين ... إلى ثروة ... فأوشكت أن يؤدي إلى الإفلاس

وبلغ الشكايات إلى مسامع الحكومة قبل أن يبلغ ... إلى صاحبها . ثم ظهرت في التقرير بعد ... إنها وجد هو اضطراب في الأهواء ، واضطراب في الآراء ، واضطراب في الأرقام والأسماء ، فقضت عليه وعلى كاتبه السماء !

* * *

وسموا هذا ... أن أوربا كلها ... إلى الحكومة ... فأشار عليها بالتعويل في أمر المقارنة على أكبر الفلاسفة وأكبر خبراء الفنون

هذا عليها مثلاً لو ... إلى طائفة من هواة الصور ... في ... ، خاطب ... الجمال ، وتقدير حياة الأموال !

هؤلاء أكبر من أوساط الناس ... بأصحاب ... في ... والأموال ، ولا ... في القياس والاعتبار ؛ وهم مع هذا ... وعيون ... ، ... هم من أصلح الأكفاء لتقويم الجمال كما يتذوقه عامة الرجال والنساء

وإن الحكومة لتهم بالموافقة والتصديق ، إذ ... بأحد ... ، ... من هذا الفريق ، لأنه أخبر فريق من الفرنسيين في هذا ...!

سألوه : لماذا ؟

فأجابهم : هكذا .

وهذا عنده هو وهواه أن رواد المراقص والملاعب لا يحبون الحسناء لأنها حسناء ، ولكنهم يحبونها لأنهم يحبون ... والرقص ، والمعاصرة والشكل ... مثال المرأة عندهم كمثال كل علامة يتحقق بها الظرف والتطور ، وما يعلون من ... في هذا المثال فإنما يعلونه ... للراقص أو ... للقاص أو ... للتحدي في أمر من أمور العناد والإصرار ، ولا يعلونه تقريباً للحسن ولا للمتعة ولا لإرضاء الذوق السليم والفن الجميل

ويقول كثيراً أن ... هذا ... أو هذه ...

ويقول كثيراً أن يطلب التأكيد ... من بعد ... والتأكيد ... والنزق والفتنة ... للعقل الصحيح

* * *

... الله ... كما أن ... الناظرين والباحثين والشارعين ...

... لا يجمع الفلاسفة ولا يجمع خبراء الفنون ، ولا يجمع عشاق الحسان أو ... الحسان

في الذي يختصمون ؟ ومن الذي يقدرون ؟ وكيف يقدرون ويختصرون ؟

رأى أحد ... فيه ...

قال ... في أمر التقدير والتحكيم إلى ... من عامة خلق الله ، لا هم بأصحاب فلسفة ولا هم بأصحاب ... ولا هم بأصحاب ... وشعوب

بل زيد وعمرو وبكر وخالد وفلان من ... بني الإنسان

وجمعوا الحكام من عامة السكان

ساروا ... وهم بين ... و ... و ... و ...

عند البيت الأول قال شيخ من ذوي الوقار بين الأعضاء مائة دينار لا تنقص درهماً واحداً في هذه الحسناء

قال من أين ، وأين هي تلك الحسناء ؟

قال الشيخ ، تلك التي تراها

قال الفتى: أتلك السمينة البدينة التي تشبه الزرافة!

فأعرفها حتى ستقعد تحت أوسة أو خمسة من الضاربين، أعدمهم الشيخ والآخرون أو الآخرات، ما شئت من سامين وسامات

وفي لحظة أخرى تبرز الأعرج فكانت الضريبة الراجحة من نصيب النحيفة العجفاء، على خفى الممتحن في غير الضرب والتجبيه والإيذاء

وكانت اللجنة من الطعان تشتمل على المصري والقروي والشيخ والشاب والجاهل والمتعلم والزوج والأعزب ومن يعرف نساء الحي ومن ليس له معرفة بهن ولا قرابة. فهذا أعجب الآراء، فهناك ليسة ولا اشتباه، ومتهمون ولا أبرياء، ومعروفون ولا هاء، في عرض جميع الرجال وجميع النساء.

وكثرت الرشوة، وعمت الوشاية، وتضاعفت الأقاويل، وبطلت الامتحان، فما كل من أهل قرية فليصل إلى مبرهة تمنع التهمة ومنع الشبهة، ومن لا تجمع ولا تندفع بحال

* * *

قال كاتب هذه السطور: فلما علقت بهذه الورطة وعلمت أني جنيتها وأوقعت من أوقعت فيها علمت كذلك أني مطالب «بالتخليص» كما قد شرعت بالتوريط، وأني حسبت باباً ولا مناص منه من إقلاقي، ووجدت أمراً ولا بد له من ختام

قلت لهم: ضع ما شئت. إياكم والامتحان، وإياكم والتقدير، واجعلوها كما هي في طبيعتها ضريبة عدة بين ضرائب الجمهور، فلا يعلوها مقدر ولا يحتج جاهل ولا يسأل عنها سائل، وربما ترك الرأي فيها لمن يحتل منه ويسوّم تسويته، وما على الحكومة إلا أن تملي بالقدح والتصحيح والثناء في أرجاء البلاد أجمع، كل مائة راجحات في كل يوم من الأيام، ولا عليها من نشر الصور والأوصاف إلا أن يشاء ذلك من يشاء

وسنرى كيف تنقل الخزانة، وينقلب معنى الضريبة إلى الإعلان في الأمانة، فيؤديها الناس أضعافاً مضاعفات، ويعطونها صواب بعد مرات، كما تأتيهم الإعلان مرة فاستمر كما شاءت

عباس محمود العقاد

حول كتاب

مستقبل الثقافة في مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

٢

وأما ما عدا الفصول والبراهين التي بني عليها مؤلف الكتاب «الحكم» الذي ذكرته آنفاً، فهي كثيرة ومتنوعة؛ سأكتفي بذكر ثلاثة منها، لإعطاء فكرة عامة عنها

١ – عندما يسأل المؤلف «أمصر من الشرق أم من الغرب؟» يوضح قصده من هذا السؤال بقوله: «أنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافي والغرب الجغرافي، وإنما أريد الشرق الثقافي والغرب الثقافي» ثم يعقب قوله هذا بالعبارات التالية

«فقد يظهر أن في الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف، ويتصل بينهما صراع عنيف، ولا يلتقي كل منهما صاحبه إلا محارباً أو متهيئاً للحرب. أحد هذين النوعين هذا الذي نجده في أوروبا منذ العصور القديمة، والآخر هذا الذي نجده في أقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضاً» (ص: ٧)

يصعب علي جداً أن أوافق المؤلف على ما جاء في عباراته هذه:

لا أدري ما هي الثقافة التي كانت موجودة في أوروبا منذ القرون القديمة؟ وما هو الصراع العنيف الذي اتصل بين هذه الثقافة وثقافة الشرق الأقصى المخالفة لها؟ ومتى وكيف حدث هذا الصراع، وبأي شكل انتهى؟ ما هي الحروب التي حدثت بين هاتين الثقافتين، كلما التقتا؟ ما هي تواريخ التقاء هاتين الثقافتين المتخاصمتين؟ وما هي تفاصيل الحروب التي نشبت بينهما كلما حدث هذا الالتقاء؟

إن كل ما أعرفه من التاريخ بوجه عام، وتاريخ الحضارة، وتاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم بوجه خاص... لا يساعدني «مع الأسف الشديد» على إعطاء أجوبة مقنعة على هذه الأسئلة. وبعكس ذلك، كل ما أعرفه في هذه الشئون يحملني على القول بخلاف ذلك تماماً... كل ما أعرفه في هذا المضمار يحملني على القول بأن الصراع الذي حدث بين الثقافات والمحاربات التي نشأت

وتعرضت حول بحر الروم نفسه، كان أشد وأعنف وأطول من الخصام الذي حدث بين هذه الشعوب والثقافات الغربية والشرقية، بدرجات كبيرة ...

مع هذا أتساءل حائراً: ما الفائدة من هذه الأبحاث في هذا المقام؟ ما شأن هذه القضية بثقافة مصر أو تعريبها؟ وهل من علاقة منطقية بين هذه القضية وبين مسألة وجود أو عدم وجود فروق جوهرية بين العقل المصري والعقل الأوربي؟

يتساءل المؤلف في هذا المقام:

— أيهما أيسر على العقل المصري: أن يفهم الرجل الصيني أو الياباني، أو أن يفهم الرجل الفرنسي أو الإنكليزي؟

«هذه هي المسألة التي لا بد من توضيحها وتحليلها قبل أن نفكر في الأسس التي ينبغي أن نقيم عليها ما ينبغي لنا من الثقافة والتعليم» (ص ٧)

وهل من مفكر يقول — في مصر أو في غير مصر — بوجوب إقامة الثقافة والتعليم على أسس ثقافة الصين أو اليابان؟

إني أعتقد أن هذه الأبحاث كلها من الأمور الاستطرادية التي لا ضرورة لها ولا فائدة منها؛ فلا الاتفاق في أحدها يكون سبباً كافياً لقبول الحكم المتعلق بعدم وجود فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي، ولا الاختلاف في شأنها يكون سبباً مبرراً لرفض ذلك الحكم.

كما أن الاتفاق أو الاختلاف عليها لا يستلزم الاتفاق أو الاختلاف في تثبيت الأسس التي يجب أن تقام عليها الثقافة والتعليم، في مصر وفي سائر البلاد العربية.

٢ — قبل أن ينتهي المؤلف من مناقشة قضية «الشرق والغرب» يتطرق إلى مسألة أخرى، فيتحدث عن «تأثير وحدة الدين ووحدة اللغة في تكوين الدول» ويقول في هذا الصدد ما يلي:

«من الحق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا قواماً لتكوين الدول ...» (الصفحة ١٦)

«فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى، وأقامت سياستها على المنافع الزمانية، لا على الوحدة المسيحية، ولا على تقارب اللغات والأجناس ...» (الصفحة ١٨)

إن هذه الآراء تسترعي النظر، وتستوجب المناقشة في عدة وجوه:

أولاً — يستعمل المؤلف في الفقرة الأولى تعبير «وحدة اللغة» وفي الفقرة الثانية تعبير «تقارب اللغات». ولا أرى من حاجة إلى الإيضاح بأن الفرق بين مفهومي التعبيرين المذكورين كبير جداً.

ثانياً — يسوي المؤلف في كلامه هذا بين وحدة الدين ووحدة اللغة في وجهة التأثير السياسي؛ ويدعي أن تأثيرهما في السياسة كان من خصائص القرون الوسطى، وأن أوربا تخلصت من تأثير هذين العاملين منذ عهد بعيد.

إني أعتقد أن كل ذلك يخالف حقائق التاريخ ونواميس الاجتماع مخالفة صارخة. فإن عمل وحدة اللغة في الحياة الاجتماعية وتطوراتها التاريخية، يختلف عن عمل وحدة الدين اختلافاً كلياً. يذكر التاريخ — بين حوادث القرون الوسطى والقرون التي تلتها — أمثلة كثيرة لعمل الدين في السياسة؛ كما يسجل وقائع عديدة تظهر تأثيرات مهمة «لحقوق الملوك» في تكوين الدول وتوحيدها؛ ويذكر أمثلة كثيرة لانضمام بعض الأقطار إلى أخرى، بسبب وقائع التزاوج والتوارث التي حدثت بين الأسر المالكة. ولكنه لا يذكر — بين حوادث تلك القرون — مثالاً واحداً من تكوين دولة على أساس «وحدة اللغة».

إن وحدة اللغة لم تصبح من القوى الفعالة في تكوين الدول وتوجيه السياسات إلا في القرن الأخير؛ وذلك بعد أن فقدت «وحدة الدين» قوتها وتأثيرها في عدة أقطار. كما أن تأثير «وحدة اللغة» في السياسة لم ينته بانتهاء القرن المذكور، بل زاد شدة في القرن الذي نعيش فيه، وهو لا يزال مستمراً وشديداً.

ولهذه الأسباب أقول: إن قياس «وحدة اللغة» على «وحدة الدين» في هذا المضمار، والادعاء بأنها فقدت تأثيرها السياسي وعملها التكويني منذ عهد بعيد .. لا يتفق مع حقائق التاريخ، بوجه من الوجوه.

يقول المؤلف اتباعاً لما تقدم: «إن السياسة شيء والدين شيء آخر». إني أوافقه على هذه الفكرة؛ ومع هذا أستغرب كيف يسوغ لنفسه أن يحشر اللغة مع الدين في المعرض الذي قال فيه هذا الكلام!

فلنقل ولنصح مع المؤلف: إن السياسة شيء والدين شيء آخر؛ ولكننا هل نستطيع أن نقول: إن السياسة شيء واللغة شيء آخر؟ لا شك في أننا نستطيع أن نقول للناس: ليحتفظ كل منكم بمعتقده الديني لنفسه؛ ولكن هل نستطيع أن نقول لهم: ليحتفظ كل منكم بلغته لنفسه؟

يقول المؤلف : إن أوربا أقامت سياستها على المنافع الزمنية ؛ فهل يستطيع أن يدعي أن اللغة لا تدخل في نطاق المنافع الزمانية ؟ إذا شك في ذلك، جوزت منه أن يتصور نفسه سلطة وحضر مرداً في زمان تملكه أهميته ، ليعرف شيئاً عن شئونها الرئيسية ، ويستعرض أنواع المشاكل التي يقع فيها في كل خطوة من خطوات حياته اليومية ، فهل يستطيع أن يعد اللغة خارجة عن نطاق الأمور الزمانية ؟

ثم النظر في سياسة الدول التي قطعت أبعد الأشواط في فصل الدين عن السياسة ، وبالغت أشد المبالغة في حصر أعمال الدولة في نطاق الأمور الزمانية ؛ هل هي أخرجت مع ذلك اللغة أيضاً عن السياسة ؟ وهل تركت مسائل اللغة خارجة عن ساحة أعمال السلطات الزمانية ؟

إني أعتقد اعتقاداً جازماً أن اللغة تختلف عن الدين في وجوه الطبيعة الإنسانية ، والتأثير النفسي ، والعمل الاجتماعي ؛ وفي عدم ملاحظة هذا الفرق الجوهري الموجود بين اللغة والدين — في هذه الوجوه المختلفة ، قد عرّض المؤلف لأخطاء كبيرة ، وأوقعه موقف يخالف فيها أثبت وقائع التاريخ ، وأظهر حقائق الاجتماع مخالفة صريحة .

يحاول المؤلف أن يستشهد على أقواله الآنفة بتاريخ الإسلام أيضاً ، غير أن محاولاته هذه لا تزيده إلا توغلاً في الأغلاط وتباعداً عن حقائق التاريخ ...

٣ — يتحدث المؤلف عن اتصال مصر بأوربا ، وعن اندفاعها في اقتباس الحضارة الأوربية ، مثبتاً سهولة هذا الاتصال ، وسرعة هذا الاندفاع من الدلائل التي تبرهن على عدم وجود « فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي » .

ثم أنه خلال ذلك يتطرق إلى « نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية » في مصر ، ويبدي رأياً غريباً في هذا الصدد ؛ إذ يقول :

« إن الذين أرادوا أن يستبدوا بأمور مصر في العصر الحديث كانوا يذهبون مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ، أكثر مما كانوا يذهبون مذهب عبد الحميد وأمثاله » (الصفحة ٣٣)

في اعتقادي أن هذا الرأي لا يستطيع أن يقاوم أبسط انتقاد .

فلنتذكر أولاً : ماذا قصد المؤلف من تعبير « مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ومذهب عبد الحميد وأمثاله » ؟ إن ذلك يظهر بوضوح في العبارات التي تسبق الفقرة الآنفة الذكر والتي تليها ؛ فقد قال المؤلف ، قبيل الفقرة المذكورة : « إن نظام الحكم المطلق عندنا في العصر الحديث كان متأثراً بنظام الحكم المطلق في أوربا في انتشار النظام النيابي — وإن نظام الحكم المقيد عندنا كان متأثراً بنظم الحكم المقيد في أوربا أيضاً » .

كما قال بعد الفقرة المذكورة : « والذين أرادوا أن يحكموا مصر حكماً مقيداً بالعدل ، ودون أن يشركوا الشعب معهم في الحكم كانوا يتحدون لحكمهم قيوداً أوربية لا شرقية ؛ لأنهم نقلوا نظم الإدارة والحكم من أوربا ، ولم يستمدوه من كل ما كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم في القرون الوسطى ... » .

عندما فهمنا بهذه الصورة ما يقصده المؤلف من هذه التعبيرات يقتضي أن نوجه إليه الأسئلة التالية :

هل يستطيع أن يدعي أن عبد الحميد لم يستند في حكمه واستبداده إلى نظم أوروبية ؟ وهل يستطيع أن يقول إن بلاط القاهرة يختلف عن بلاط الآستانة ؟

ثم أنا نستطيع أن نبرهن بكل سهولة أن حكم عبد الحميد أيضاً لم يكن من النوع الذي كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم في القرون الوسطى ، وعلى أن استبداده أيضاً كان متأثراً إلى حد بعيد بنظام الحكم المطلق في أوربا ، كما أستطيع أن أبرهن على أن تجارب الآستانة في القاهرة كانت واسعة جداً .

مع هذا أرى من الضروري أن أسأل : ما الفائدة من إثارة هذه المسائل في هذا المقام ؟ وهل من علاقة منطقية وعلمية بينها وبين المسألة الأصلية التي يعالجها المؤلف في المبحث الذي ذكرناه ؟

هذه ثلاثة نماذج واضحة على « المباحث الاستطرادية » التي كثيراً ما يحشرها المؤلف بين مباحثه الأصلية ، ويوقع نفسه من جرائها في أغلاط كبيرة .

من المعلوم أن « التفكير العلمي » يتطلب تحليل المسائل ، وتجزئة المشاكل ، ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة ؛ وأما الخطة التي يسير عليها الدكتور طه حسين في كتابه هذا — في أكثر الأحيان — فمعكوسة لذلك تماماً ؛ لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها في بعض ، فيزيدها بذلك تعقيداً وإشكالاً . وكثيراً ما يحاول أن يبرهن على كل قضية بمجموعة قضايا أخرى أكثر حاجة إلى البحث والبرهنة من القضية الأصلية نفسها .

— ٣ —

بعد الانتقادات التي سردتها آنفاً ، اعتراضاً على بعض الآراء

التي خص بها الدكتور طه حسين من الصفحات المئتين الأولى من كتابه ، خلال بحثه للمسألة المبحوث عنها — أعني مسألة العقل المصري ، والعقل الأوربي — لا بد لي من أن أنقل البحث إلى وجهة نظر أخرى ، فأحول كلمة في بعض النقائص التي ألاحظها في بحوث المؤلف في هذا الباب ، من جراء عدم التفاته إلى بعض الأمور المهمة ، بالرغم من شدة علاقتها بالموضوع ، وبالرغم من ضرورة ملاحظتها لإتمام بحث المسألة من جميع وجوهها .

لا شك في أن الطريقة المثلى لدرس مثل هذه المسائل درساً علمياً ، وحلها حلاً منطقياً ، هي طريقة الاستقراء والمقارنة ، بإجراء مقارنة مباشرة بين الشرق والغرب — بين مصر وأوربا ، من حيث العقل والثقافة والطبيع والنزائع ، واستخراص الفروق والتشابهات التي تحصل بينهما من هذه الوجوه المختلفة ؛ ثم البحث عن جوهرية وعدم جوهرية الفروق المذكورة ، وذلك على أساس مقارنة الفروق التي تلاحظ بين الأمم الأوربية المختلفة من جهة وبين مختلف تلك الأمم وعناصرها من جهة أخرى

إن الدكتور طه حسين بقي بعيداً عن هذه الطريقة من أول أبحاثه هذه إلى آخرها

وقد نجم عن هذا الابتعاد نقصان خطيران

أولاً : لم يلتفت المؤلف إلى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب ، وهي التي تشاهد بينهما من وجهة نظم الأسرة وأوضاع المرأة ، والأوصاف النفسية — الخلقية والعقلية — التي تتبع تلك النظم والأوضاع ..

ثانياً : لم يذكر المؤلف شيئاً من الآراء المستندة إلى الاختبارات العقلية ومقاييس الذكاء

ومما يزيد في خطورة هذا النقص الأخير هو أن بعض هذه الآراء كانت حامت حول مصر مباشرة ، واستندت إلى الاختبارات التي أجريت في مصر على جماعة من المصريين ، بمساعدة جماعة من كلية الآداب المصرية نفسها ، كما سيظهر للقارئ من التفاصيل التالية

كانت الحكومة المصرية قد استدعت الدكتور كلاباريد — أستاذ علم النفس في جامعة جنيف ، وأحد أساطين هذا العلم في العالم — قبل نحو عشر سنوات ؛ وطلبت منه أن يدرس المدارس المصرية ، ويبدي لها آراءه في بعض المسائل المتعلقة بوجوه إصلاحها . فأراد الأستاذ المشار إليه أن يستفيد من وجوده في مصر لهذا الغرض ، لدرس « العقل المصري » درساً علمياً . وقام بسلسلة اختبارات عقلية على جماعة من المصريين والطلبة ، وتوصل من اختباراته هذه إلى نتيجة تستلفت الأنظار ، فقد لاحظ أن معدل الذكاء في مصر يكون سوياً عند الصغار ، غير أنه يأخذ في التأخر والهبوط عن المستوى الطبيعي المعروف في أوربا بسرعة غريبة بعد سن الطفولة ... اهتم الدكتور كلاباريد بهذه النتيجة وأعلنها ، وأذاعها في معهد جان جاك روسو في جنيف قبل أن ينتهي من مهمته في مصر ؛ وهؤلاء نشروا رسالة عنه في مجلة « المربي » التي تصدر في جنيف ... هذه المسألة انعكست بعد مدة على الصحافة المصرية ، فنشرت مجلة الهلال مقالة لأحد الأساتذة يشرح فيها الاختبارات والبحوث عنها ويحاول تعليل النتيجة المذكورة بصورة تبررها (الدكتور منصور فهمي . الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩)

أفليس من الغريب ألا نجد أية إشارة كانت إلى هذه البحوث في كتاب الدكتور طه حسين ، مع أنه خصص أكثر صفحاته لدرس مسألة « وجود وعدم وجود فرق جوهري بين العقل المصري والعقل الأوربي » ؟ تطرق الدكتور في كتابه هذا — خلال بحث هذه المسألة — إلى أمور متنوعة جداً .. من مباحث التاريخ القديم إلى مسائل السياسة والدين ، من ثقافة المصريين إلى مدرسة الإسكندرية ... من حكم لويس الرابع عشر إلى سقوط عبد الحميد .. من أسباب انحلال الدولة الإسلامية في القرون الوسطى إلى أساليب الحكم الفاسد في مصر ... من تأثير الديانة المسيحية في تكوين العقلية الأوربية إلى نظر الإسلام إلى المسيحية ، من انقطاع الصلات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى إلى دعوة الرواد إلى الأرض الشريف في العصر الحاضر .. يتطرق الدكتور إلى مسائل لا تعد ولا تحصى .. ولا يشير إلى البحث العلمي الذي ذكرناه آنفاً مع أنه يمس الموضوع مساساً مباشراً !

إني لا أذكر اختبارات كلاباريد وآراءه في هذا المقام اقتناعاً بها أو تصويباً لها ، بل أصرح بهذه المناسبة بأنني كنت من المعترضين عليها ، فقد انتقدت تلك الاختبارات في حينها ، وأظهرت مواطن الخطأ فيها ؛ ورددت على ما نشر في الهلال في شأنها ، واستندت في ذلك إلى الاختبارات العقلية المتنوعة التي قمت بها بنفسي في مدارس بغداد (مجلة التربية والتعليم الجزء ٤ ص ١٥١ — نيسان ١٩٣٠ الجزء ٧ ص ٣٩٩ — كانون الأول ١٩٣٠)

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

مشكلة اليهود في العالم

للأستاذ عبد الرحمن شكري

إن الذي يدرس تاريخ اليهود من قديم الزمن يعرف أن العوامل التي تتنازع سياستهم ليست حديثة العهد، وأن مواقف الأمم الأخرى منهم في هذا العصر كانت لها أشباه ونظائر في عصور التاريخ المختلفة في عهد قدماء المصريين والبابليين والآشوريين والفرس والإغريق والرومان. فمسألة اليهود كانت موجودة حتى قبل أن يفقدوا استقلال مملكتهم وقبل أن يخرب طيطوس ابن الأمبراطور الروماني فسبسيان معبدهم وقبل أن يقضي على أورشليم، وقبل أن يتشتت اليهود في العالم [1] بل هي كانت موجودة قبل ذلك عند أسرهم، وقبل أن يذهب الكثير منهم إلى بابل وهو المعروف في التاريخ باسم أسر بابل [2] وكانت موجودة عند ما صحح

هم من رق فرعون مصر وعند بناء أورشليم، وتفشى شعبهم في أنحاء العالم لكي ينشط التجارة في دولته. فتاريخ شعب اليهود من قديم الزمن حافل بالنزعة المالية، والنزعة الشعبية المتطرفة بنسبة واحدة. وقد كان شعب اليهود حديثاً وقديماً يشكو من استفحال النزعتين وتنازعهما نفوسهم؛ فتارة يوقظ الشعور بالمحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية في نزاع مع الدول الأخرى، وتكون لبعضهم الغلبة في النزعة الدينية في ذلك النزاع. وقد كانت النزعة المالية تظهر في نفوسهم في بعض الأحايين بمظهر اقتصادي مالي فيحاولون السيطرة على أسواق العالم المالية، وتارة تظهر النزعة المالية بمظهر الدعوة إلى المثل العليا. وكان بعضهم يريد قصر تحقيق هذه المثل العليا على اليهود، وهؤلاء هم الذين كانوا يناصرون النزعة الشعبية الدينية، وبعضهم لا يريد قصرها على اليهود بل تعميمها في العالم. والغريب في أمرهم أنه بالرغم من المشاحنات والاقتتال الذي كان يحدث قديماً بين اليهود من أنصار المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية وبين أنصار النزعة المالية، وبالرغم من أن النزعة المالية في نفوس بعضهم كانت تتخذ مظهر الأثرة المالية والمطامع الدنيوية الراغبة في الربح المالي قبل كل شيء، وفي حين يغالب بعضهم المثل العليا ويغالب التضحية في سبيل تحقيقها، فإن كثيراً منهم كان يحاول التوفيق في نفسه بين النزعتين المتناقضتين أو يحن تارة إلى هذه وطوراً إلى تلك. كما أن بعضهم كان يحاول الاستفادة لنفسه أو لشعبه اليهودي من النزعتين المتناقضتين معاً. فاليهودي الذي يميل إلى المثل العليا أو الذي يميل إلى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية لا يرى حرجاً في أن يلتجئ إلى صاحب النزعة الدنيوية المالية والمطامع الدنيوية لاستخدام ماله وسطوته في سبيل تحقيق تلك المثل أو في سبيل المحافظة على التقاليد الشعبية الدينية العتيقة التي ترفض النزعة المالية. كما أن صاحب المطامع الدنيوية والأثرة المالية لا يرى تناقضاً في مطالبه إذا حن إلى المثل العليا التي قد تغالب رغبة أثرته الدنيوية، أو إذا ساعد في المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية العتيقة التي تغالب نزعته المالية الدنيوية، وربما حن إلى المثل العليا ذلك الحنين الذي يدعو إلى التضحية في سبيلها في الوقت الذي يستمر في الدعوة إلى تلك المثل العليا لكسب المال وزيادة نفوذه الاقتصادي. واجتماع هذه النزعات المختلفة في النفس الواحدة ليس مقصوراً على اليهودي فحسب، فجميع النفوس البشرية عنده ولكن هذا التناقض

(1) كان اليهود منتشرين في العالم المتحضر من قديم الزمن قبل هدم أورشليم، وأحياناً كان بعضهم يفد عقب أخرى ويرقى أعظم المناصب في الأمم الأخرى القديمة ويحرزون قصب السبق على الأسواق كما يفعلون الآن. (2) في عهد بختنصر الكلداني.

كما أسرح ... الاختبارات الأخيرة كتاب (عطش ...) نتائج الاختبارات التي جرت في أوربا وأمريكا عام ... (مجلة التربية والتعليم — جزء ٩ ص ٣٠٣ — حزيران ١٩٣٩)

هذا ذكر اختبارات الدكتور كلابريد هنا؛ لأرد بها على رأي الدكتور طه حسين، وإعادة ذكرتها لأظهر بيان (بمثال آخر وبوضوح أكبر) مدى خطأ البحث الذي سطر عليه الدكتور في التربية والتعليم.

أعتقد أن الانتقادات التي سردتها آنفاً من المسائل الأولى في المسائل التي تناول الدكتور طه حسين درسها ومطالبها في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» تكفي لإعطاء فكرة عامة عن هذا الكتاب المذكور من القيمة العلمية.

ومستنداً إلى كل ذلك، أكرر ما قلته في مقدمة هذه المقال بأن كتاب مستقبل الثقافة في مصر، عبارة في حقيقة الأمر من مجموعة أبحاث ومقالات، قليلة التناسق وكثيرة التفكك يبدو في جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال، وتتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات.

(بغداد) أبو خلدون

أظهر ما يكون في اليهود لتلازم في الزمنين المتناقضين علواً يظهر الفرق بينهما في نفوسهم أكبر منه في نفوس غيرهم. وقد ظهر في اليهود قديماً وحديثاً ظهوراً كبيراً في معاصرة الزمنين المتناقضين، وهذه الدعوى كما ذكرت لها مشاحنات بين طوائفهم وإلى مشاحنات بينهم وبين الأمم. وقد ظهرت النزعة الدينية في حياة اليهود على اختلاف مظهري تلك النزعة أي المظهر الأول الاقتصادي ومظهر [illegible] قبل أن فقد اليهود كل سلطة سياسية في حكم فلسطين فظهرت في دولة الفرس [1] وظهرت في دولة الرومان [2]

في أن فقدتهم كل سلطة سياسية في حكومة فلسطين لم يوهن النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم وإن كان قد ساعد على استعمال النزعة الدينية. وتحريم الكنيسة المسيحية على المسيحيين تعاطي الربح عن سلف النقود واعتباره ربا أدى إلى ما يشبه احتكاراً من اليهود للمعاملات المالية وإلى سيطرتهم على الأسواق المالية في أوروبا، وهذا قوى النزعة الدينية في نفوسهم كما أدت النزعة الشعبية الدينية إلى مناصرة بعضهم بعضاً وزاد [illegible] وجود جماعات يهودية في وسط كثرة غير يهودية من الشعوب التي هاجروا إليها، وشأن القلة من الطوائف التعاون متى لا تغمرها الكثرة ولا سيما إذا كانت الكثرة كثيرة بغض القلة. وزاد البغض الديني في نفوس الكثرة أولاً استيلاء اليهود على الأسواق المالية [illegible] وثانياً [illegible] مناصرة اليهود بعضهم بعضاً في استيلائهم على كثير من المهن التي تحتاج إلى الأعمال الفكرية والاستعداد النفسي والفني. وبالرغم من أن بعض اليهود [illegible] هذا البغض [illegible] على الفكرة التي كان بين اليهود يسعون بها تعميم الاندماج في الأجناس الأوروبية اندماجاً تاماً، فإن الكثرة من اليهود [illegible] محافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية. ولو أن النزعة الدينية غلبت على نفوسهم كل الغلبة لتمكنوا من الاندماج في الشعوب التي استوطنوا أرضها. وهذا الاندماج كان ينسي تلك الشعوب أن اليهود في أنفسهم أجانب، وهذا كان يزيل البغض الذي كانت أساسه ذلك

(١) بعد عودتهم من بابل استعملوا [illegible] التي [illegible] هواجع دينيا [illegible] الأسر [illegible]

(٢) كالشكل [illegible] المالية في [illegible] أولاً [illegible] اليهود ثم [illegible] إلى غيرهم. وقد ساعد هذا الشكل [illegible] في إيجاد [illegible].

الشعوب تضمر لهم [illegible]، وكان يستطيع اليهود أن [illegible] الصغيرة على كسب المال، ويسكن ربما كانت تلك [illegible] رغم ذلك الاندماج لأنه كان يسمهم اختلاف جنسهم عن الأجناس الأخرى، فكان بعضهم في مناصرة بعضهم بعضاً وفي [illegible] سيطرة على الأسواق المالية، وعلى المهن الفكرية والفنية

وهذه النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم أدت إلى فكرة الصهيونية [1] التي تدعو إلى العودة إلى حكم فلسطين. وهذه الفكرة كانت في أول أمرها مثلاً أعلى كالمثل العليا [illegible] الإنسانية ولا تمحى. وهذه الفكرة الصهيونية زادت اعتقاد أهل الشعوب الأوروبية أن اليهود [illegible] وإن عاشوا بين غير جنسهم، وإن [illegible] في الحروب وفي غير الحروب [illegible] الجديد الذي [illegible] — أجانب بالرغم من ذلك، وأنهم يعدون أنفسهم أجانب.

وهذه الفكرة الصهيونية مخالفة لصالح اليهود الاقتصادية؛ فإن قطراً كفلسطين ربما كان صالحاً لاستيطانهم قديماً عندما كانوا قليلين وعلى حالة قريبة من البداوة، وعندما كانوا هم الكثرة الغالبة فيه. أما الآن فقد زاد عددهم في العالم وتعددت مواردهم ومناقشهم المدنية، وصار في هذا القطر كثرة غير كثرتهم من العرب الذين [illegible] كثرتهم في فلسطين كثرة عربية أخرى في الأقطار المجاورة. ولو خلت فلسطين لليهود لما استطاعت أن تأوي غير عدد قليل من الملايين العديدة من اليهود [illegible] العالم [illegible] أكثر [illegible] الأمم الناصرة لليهود. فلا يمكن أن يقال إذاً إن الضرورة والأسباب [illegible] هي التي تقضي [illegible] لهجرة اليهود في فلسطين . .

لا، بل تشبث اليهود بفلسطين هو تشبث بتلك النزعة الشعبية التي تمثل التقاليد القديمة والتي تحاول أن [illegible] دورة الزمن وأن تعيد العالم كما كان في بدايته وأن تتجاهل حقائق الحياة. وهذا من قبيل التشبث في أمور الحياة لا في مواهب النفس وحدها بمثل أعلى لا يمكن تحقيقه. وهذا التشبث كما

(١) من قديم الزمن كانت تلوح فكرة الصهيونية والتشبث [illegible] الأرضي [illegible] فكرة [illegible] في نفس كل يهودي، وظهرت هذه الفكرة [illegible] الحياة [illegible] أولاً [illegible] إلى [illegible] غزوة [illegible] الكلداني [illegible] أورشليم

جناية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٨ —

عرف الناس ما كان من انزعاج الأستاذ أحمد أمين من كلمة الحق، وحسبوا أنه تجلد وتصبّر إلى أن عجز عن التجلد والتصبر، وللطاقة الإنسانية حدود

وما كنت أحسب أن الأيام ستقهر الأستاذ أحمد أمين على أن يتحدث بأحاديث فيها لوثة جاهلية، وهو الذي دعا الأمم العربية إلى وضع آثار الشعر الجاهلي في «متحف» لا يدخله الناس إلا بعد استئذان!

ويعز عليّ والله أن يزعج الأستاذ أحمد أمين وأن يدّعي أنه تلقى رسائل من مختلف الأقطار العربية فيها سباب موجه إلى من هجم عليه في مجلة (الرسالة) فهذا الادعاء يشهد بأنه يعجز عن الصدق في بعض الأحيان

لو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف عواقب ما يصنع لعلم أن الأمر كان يجب أن يكون بالعكس، فمن يجني على ماضي الأدب العربي بأحكامه الجوفاء، ويختلق الاتهام ليقول إن أدباء العرب لم يكونوا أصحاب أرواح، وإنما كانوا أصحاب معدات، وأنا أبطلت تلك التهم وأصلحت ما وقع في كلامه من أغلاط

فمن الذي يستحق اللوم والسباب في هذه القضية؟

لو فرضنا جدلاً أن أنصف الأستاذ أحمد أمين لكان من الذوق أن يتلقى العرب هذه الثقافة بالقبول، لأن فيها تجريحاً لماضي الأمة العربية

ولو فرضنا جدلاً أن الأستاذ أحمد أمين على حق في السخرية من ماضي الأدب العربي لكان من الطبيعي ألا يستريح العرب إلى ذلك الحق، لأن الأبناء الأبرار يحصون محاسن آبائهم ويتناسون ما قد يكون فيهم من عيوب

والأمر ليس كذلك في هذه القضية، فالأستاذ أحمد أمين لم يكن في جانب الحق حين قال في الاستهزاء بالأدب العربي ما قال، وأنا كنت ولا أزال في جانب الحق حين حكمت بأن الأدب العربي أدب أصيل، وأنه حقيقٌ بالخلود

الأستاذ أحمد أمين يروّج من عنده حكاية الادعاء ليوهم القراء بأن أدباء العرب في مختلف الأقطار قد وجهوا له أسف التوجع، وصرحوا لخصمه بالشتم والسباب، كأن أدباء العرب لم يبق لهم مآرب يحرصون عليها غير حماية أحمد أمين من كلمة الحق!

ولنفرض جدلاً أن أدباء العرب جميعاً وقفوا في صف هذا «الأديب» فهل يتوهم أنه سيحميه من غضبي حين ينحرف عن الصواب؟

لقد سرني والله أن يتطاول على صاحب «الرسالة» وأن يتهمه بسوء النية في نشر هذه المقالات، فصاحب «الرسالة» قد آذاني أشد الإيذاء حين استباح أن يحذف من المقالات الماضية بعض الفقرات، ليظل مهذّباً مؤدّباً كصديقه المهذّب المؤدّب أحمد أمين!

كم تلطفتُ وترفقتُ في موطن لا يجوز فيه لطفٌ ولا رفق، ثم كان جزائي أن يقال إن أدباء العرب غضبوا عليّ وسبّوني لأني جهرت بكلمة الحق!

ومع ذلك فما الذي يؤذيكم مني يا أحفاد يعرُب وقحطان؟

طالما أوقع اليهود قديماً وحديثاً في قتال ونزاع مع الأجناس المجاورة، وطالما أدى إلى ضياع فكرة اليهود الدينية الصهيونية. ولكن حقائق الحياة والضرورة قد تغري اليهود بقبول الاستيطان في بقعة أخصب من فلسطين وأقل سكاناً وأوسع رقعة. ويمكن إرضاء العاطفة الشعبية بأن يسمى ذلك الوطن الجديد (فلسطين الجديدة) أو (صهيون) وأن ينشئوا فيها مدناً تسمى بأسماء المدن القديمة في فلسطين القديمة. ويمكن إرضاء النزعة الدينية بأن ينقلوا من الأحجار والآثار القديمة، ومن تربة أرض فلسطين القديمة إلى فلسطين الجديدة ما يعتبر به الحكم الجديد رمزاً هو ضروري للوطن الديني القديم. وهكذا يمكن الجمع بين إرضاء العاطفة وبين الفائدة الاقتصادية

عبد الرحمن شكري

أليس في مقدوركم أن تحتملوا أديباً جنى على نفسه وعلى معاشه ليرفع راية النقد الأدبي ؟

أليس في مقدوركم أن تصبروا على أديب يتلف أعصابه في أوقات القيظ ليرد عادية المعادين على اللغة العربية ؟

ألا تستطيعون أن تنصروا رجلاً جهل أخلاق الزمن فاعتصم بالحق والعدل ؟

لقد حدثني عنكم أحمد أمين بما لا أحب ولا تحبون

فإن كان صدق فيما حكاه فنصر الله لكم ! وإن كان تزيد فعفا الله عنه

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

* * *

أما بعد فقد كان السياق يوجب أن تكون كلمة اليوم في نقض ما أخذه أحمد أمين على الأدب الأندلسي من الخلو أمام الطبيعة الفاتنة في تلك البلاد

ولكني أحببت أن أقف وقفة قصيرة عند إحساس العرب بالطبيعة والوجود

يعرف كل من اطلع على كتب الأدب أن الشعراء كانوا يتواصون عند عسر القريحة بالنظر إلى المياه الجارية ، والرياض الحالية

ومعنى ذلك أنهم كانوا يحسون أن النظر إلى جمال الوجود يوقظ العواطف ويُرهف الأحاسيس

وهذا يشرح الحسن في غرام العرب بافتتاح القصائد بالنسيب لأنهم كانوا يدركون أن تأثر الشاعر بأقوى مظاهر الطبيعة وهو الجمال يوجه إحساسه إلى مختلف الأغراض

ومثل الشاعر في ذلك مثل المغني ، فالمغني يجلس في عوده ثم يصدح حوله الموسيقا بأصوات مختلفات ، ويظل كذلك إلى أن يستيقظ ما كان قد نام من أحلام القلب والروح فينطلق في النشيد

وكذلك كان شعراء العرب : كانوا يهيمون بالرياض الحالية ، أو الدار الخاوية ، أو المياه الجارية ، قبل أن يشرعوا في نظم القصائد ، فإذا أحسوا في النظر بدأوا بجوانب القديمة من نفوس أنفسهم وقلوبهم ليواجهوا الأغراض المقصودة وهم في عزة من طغيان العواطف وعنفوان الأحاسيس

ألا يشهد ذلك بأن شعراء العرب كانوا يدركون أثر الطبيعة في إذكاء الأرواح وإرهاف القلوب ؟

وهل فكر أحمد أمين في شيء من ذلك ؟

هل خطر في باله أن شعراء العرب في الأعصر الماضية كانوا يطلبون أنس النفس بالسياحات والرحلات حتى صار من النادر أن يقر شاعر في بلده إلى أن يموت ؟

قد يقال إن ذلك كان سعياً في طلب الرزق

ونجيب بأن الشعراء كانت لهم غايات أعظم من طلب الرزق ، فقد كانوا يستأنسون بالبلاد والبحار والأنهار والجبال حتى لنكاد نقول بأن دواوينهم في بعض مناحيها تشبه الخرائط الجغرافية

وهل ننسى قصيدة المتنبي في شعب بوان ؟ هل ننسى قصيدة البحتري في إيوان كسرى ؟ هل ننسى قصيدة الأندلسيين في أهرام مصر ؟ هل ننسى قصائد الشريف الرضي في أطلال مطيرة ؟ هل ننسى قصيدة الأنطاكي في بيان الجزيرة والنيل ؟ هل ننسى ألوف القصائد التي سجلت أهواء الشعراء في الحنين إلى معاهد الأنس والوصال ؟

لقد هجر ابن زريق وطنه في طلب الرزق ، فهل عرفتم كيف كتب يتشوق إليه يوم مات ؟

إن الذي يحكم بأن شعراء العرب لم يحسوا الطبيعة ولم يشعروا بمفاتن الوجود لا يكون إلا رجلاً حرمه الله نعمة الفهم الصحيح لأسرار الشعر والبيان

لقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن الشعراء في العصر الأموي والعباسي قلدوا شعراء الجاهلية في وصف الرسوم والطلول

فهل يستطيع أن يدلنا على أن وصف أولئك الشعراء للرسوم المواطن ، والطلول الدارسة ، ليس إلا صدقاً للطبيعة في جانبها الكئيب المغرب ؟

لم يحدثنا أحمد أمين لم يحدثنا كيف وقف أبو نواس على الطلول ، بعد أن سخر ممن يقفون على الطلول وهو يرى حاله وحده إلى التقاليد الجاهلية ، فهل يظن أن الطلول كانت انمحت لعهد أبي نواس ولم يبق إلا المسرات الباقية على الزمان ؟

فما رأيه إذا حدثته بأن صور الطلول لا تزال باقية إلى اليوم ؟

أشهد صادقاً أني ما مررت بشارع الرملة في مصر الجديدة إلا حسرت القلب لرسم كان لي فيه صديق أضاعه القدر الجموح

أشهد صادقاً أني أكفكف من حين إلى حين وأنا أسير في شوارع مصر الجديدة مدامع أرى الصديق الذي كنت أسايره عشايا أو ساعات وهي تصطبغ بالنغم الملازم لأحوال الدنيا والناس

فكيف يكون حالي لو نظمت قصيدة في التوجع لتلك الدار التي صارت رمماً بعد أن صمتت في تجريح صاحبها ما صنعت ؟

وهل يمكن القول بأن ابن المعتز كان يقلد شعراء الجاهلية حين قال :

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ　　يا دار جادك وابل وسقاك
بؤساً لدهر غيرتك صروفه　　لم يمح من قلبي الهوى ومحاك
لم يحل للعينين بعدك منظرٌ　　ذمّ المنازل كلهن سواك
أي المعاهد منك أندب طيبهُ　　ممساك بالآصال أم مغداك
أم برد ظلك ذي الغصون وذي الجنى　　أم أرضك الميثاء أم ريّاك
وكأنما سطعت مجامر عنبر　　أو فُتّ فأر المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ　　وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأن درعاً مفرغاً من فضة　　ماء الغدير جرت عليه صَباك

وقد ترجمتُ هذه الأبيات إلى الفرنسية في النسخة الفرنسية من كتاب النثر الفني فعدّها الفرنسيون من أصدق ما تحدث به العرب

فهل يرى صديقنا أحمد أمين أن هذه القصيدة لا تمثل إحساس الشعراء بالوجود ؟

وهل يمكن الشك في صدق ابن سنان الخفاجي

ورب وقفنا نخبر رسومها　　مدامع تنديه السكوب وتكرهه
شكونا إليها ما لقينا من الهوى　　فعرفنا كيف السقام دثورها
وقد درست إلا أمارة ذكر　　تلوح به بعد التمادي سطورها
حبيل له عمّ الأسى وتعاهد　　فتوب الليل مشتاق يبل ودورها
فلا دار إلا دمنة ورسومها　　ولا حي إلا وحشةٌ يزورها
تمر الليالي ما حدثن عليهم　　فيوحشني مغانيها وصورها
وغالوا عطاء الدهر يبلى جديده　　ومن لي بدنيا لا يزول سرورها

فهذا شاعر لا يمكن أن يقال إنه عطّل الطبيعة ، وإنما يؤكد أن الطبيعة توجعت لما يهول ، وذلك غاية التفاني في الإحساس بالوجود

وكذلك صنع الشاعر الذي قال

سقى المنزل [illegible]　　[illegible]
واهي أولى البلى　　[illegible]

فمن الذي يستطيع أن يحكم بعد هذه الشواهد بأن شعراء العرب لم يحسوا معاني الوجود ؟ ومن الذي ينكر صدق الروعة على ابن الخياط إذ يقول :

وشب أغاري الوجد حوب مدامع
تبيح من السر المكتّم ما أخفى

أطالب ملاك اليمين صبابةً　　وأدمع من صخر لعينيه الوهم
ومن أين إلا الهوى بكاء من الأسى　　تكيف في عيب الرسم من وسم
كأني بأجراع النقيبة مسلمٌ　　إلى نار لا يعرف الصبح من حرم
لقد وجدت وجدي البيد بأهلها　　ونوم عدو حدى لما سمعت سمعي
عشيٌّ وسمٌّ العراق وربما　　على له ما ليس النار من وسم
وكم صمّ البيد الصبا بين مربع　　ويبقى ولكن الهوى مائر النسم
منازلُ أجدى من شجاني عرفها
ميلاً شجاها نامل القلب والجسم ؟

فما رأي الأستاذ أحمد أمين في هذا الشعر النفيس ؟ وهل خطر في باله أن شعراء العرب لم أمثال هذه المعاني ؟

أنا أخاطب رجلاً من أساتذة كلية الآداب ، ولولا ذلك لشرحت ما في هذه القصيدة من شواهد الإحساس بقدرة الطبيعة على تدوين البؤس والنعيم

وهل تمنى لشاعر في شرق أو في غرب أن يصل إلى هوى بعض الأعراب في توديع نجد

أقول لصاحبي والعيس تهوي　　بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد　　فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد　　وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحي نجداً　　وأنت على زمانك غير زار
شهورٌ ينقضين وما شعرنا　　بأنصاف لهن ولا سرار

ونكرر الأستاذ أحمد أمين قد يتهمنا بالتعصب للأدب العربي ويقول إننا ننظر إليه بعين الحب ، فهل يستطيع أن يدلنا على شاعر أوربي توجع لفراق النعيم في وطنه مثل هذا التوجع ؟

إن العرب لم يسودوا من باب المصادفة ، وإنما سادوا لأن

لهم عبقرية ذاتية قضت بأن يسيطروا على العالم زمناً غير قليل

وقد دالت دولة العرب أكثر من عشرة قرون، ومع ذلك بقيت سلطتهم الأدبية والروحية، فهم سادة لمئات من الملايين وإن لم يبق لهم عرش ولا تاج

وقد تحذلق المتحذلقون فقالوا إن الفقه الإسلامي صورة من الفقه الروماني، فهل هذا صحيح؟ أين آدم من أحفاده، فلهم أصول الشرائع؟

إن العرب سادوا عن حق، وقد تركوا ثروة أدبية وعلمية وتشريعية لا يجحد خطرها إلا حاقد أو جهول

فمتى نرجع إلى أنفسنا لنبحث عن الموروث النبيل الذي ورثناه عن أسلافنا النبلاء؟

لقد سمعتم وسمعنا كيف بغى الأسبانيون بعضهم على بعض، وكيف حصل في تلك المعارك الدامية بعد نحو ثلاث سنين

هل تذكرون أن أسلافنا صبروا على المعارك الأسبانية نحو ثمانية قرون؟

وهل كان ذلك إلا لأنهم شعروا بأن الأندلس قطعة من أرواحهم وقلوبهم؟ فكيف تحكمون بأنهم لم يحسّوا الطبيعة ولم ينتشوا بالوجود؟

إن العرب في أغلب أحوالهم عاشوا عيشة حربية فرضت عليهم أن يطلبوا مساقط الغيث، فكيف يقال إنهم لم يحسّوا الطبيعة إلا بطريق سطحية؟

أكتب هذا وأنا أعرف أن الأستاذ أحمد أمين سيهز كتفيه ويقول: «هذه خطابيات يراد بها اكتساب عواطف الجمهور!»

إن قال ذلك فسأحيله على تاريخ يحيى بن طالب

فهل يعرف من هو يحيى بن طالب؟

وكيف يجهله وهو يتصدر لتدريس الأدب العربي بكلية الآداب؟

إن يحيى بن طالب أحس الطبيعة وأحس الوجود إحساساً نادر المثال، وهو وحده كاف لبركة من الأدب العربي، وقد أنصفه من لم يعرفوه بأنه خالد من وصف مظاهر الطبيعة وأشكال الوجود

فهل ننتظر أن يظفر هذا الشاعر بفصل نفيس من «فصول» أحمد أمين؟

لو كان صديقنا الدكتور أحمد أمين قد اطلع على الأدب العربي لتذكر تخيلات حسان في شعر مطيع بن إياس، فكان من ذلك أحاديث يذكرها ... ولكن أين أحمد أمين من هذه الشؤون وهو مشغول بالفلسفة والإعراب!

إن أحمد أمين لا يجني على الأدب العربي، وإنما يجني على نفسه حين يزعم أن التشبيهات ليست إلا ألاعيب

ولو كان من أهل العلم بدقائق الأدب، لعرف أن التشبيهات من أصدق الشواهد على حس العرب بالطبيعة والوجود

ولن أشرح له هذه المعاني إلا يوم يعرف أن من واجب المرء أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد. وقد تخرج فرصة قريبة فأشرح هذا المعنى لمن يهمهم أن يعرفوا كيف تضيع حقائق الأدب على هذا «الأديب» وهل يكتم ما صرحت مكابرة الصديق أحمد أمين!

* * *

لقد استطعت بعون الله وقوته أن أبدد السحب التي أثارها حول الأدب العربي من يجهله كل الجهل أو بعض الجهل

فلأحمد بعد ذلك أن يرفع التهمة عن الأدب الأندلسي ليعرف من لم يكن يعرف أنه جدير بأن ينصب له كرسي خاص في كلية الآداب

والأمل كبير في أن يتمكن الأستاذ أحمد أمين من تحقيقه حين أقنعته أن في مصر ناساً يعرفون ويحكمون

فإن كان قد استمرأ العافية من سكوت النقاد بضع سنين فليعرف أن ذلك حلم تبدد، ونعيم زائل، وعليه أن يستقبل المكاره بعزائم الرجال

والله وحده يعلم أني لم أرد بهذا النقد غير وجه الحق، ومنه وحده أنتظر حسن الجزاء

«[illegible]» زكي مبارك

النبوة – الوحي – المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

(تكملة ما نشر في العدد الماضي)

ثم ... إن المعجزة الحسية لا علاقة لها بالإقناع عند أكثر من لم يقتنع بالحجج الفكرية، وأغلب ظني أنها ما أجريت للإقناع، بل لتبهر المنكرين وتأخذ طرق الإنكار عليهم، حتى لا يجدوا إلى عنادهم سبيلاً، وحتى يحملوا حملاً على الإيمان ... ولذلك كانت هي الدور الأخير من حجج الرسل بعد أن ييئسوا من هداية الناس فموسى مثلاً كما يحكي القرآن ... يدعون للإيمان بالله من طريق العقل في أول الأمر، فلما كذبه وعاند فرعون ... قال «أو لو جئتك بشيء مبين» وألقى عصاه ... إلى آخر القصة. وكذلك صنع كل رسول من أصحاب المعجزات ... فهي كانت آخر سهم في كنانة الرسول أمام الجاحدين. ولم تكن ذات أثر كبير في حمل جمهرة الناس على الإيمان كما يحكي القرآن. قال: «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً» ... والجملة الأخيرة من الآية تدل على أن المعجزة لم يكن [illegible] للإقناع، فهي إنما أجريت لإكمال الحجة واستنفاد كل شيء، حتى [illegible] الفطرة في سبيل غاية الحياة العظمى ... وهي الإيمان — فالذي لا يقتنع عن طريق التفكير والمدركة الحسية ... [illegible] الحق ... لا ينفعه أن تنتصب له الصاعقة، أو المعجزة [illegible]، وإنما هو [illegible] فقط من [illegible]، ويبقى في نفسه الإنكار النفسي التي [illegible] الحق من أجلها.

ولذلك جعل الله الرسالة الأخيرة مشتملة على معجزة عقلية ذاتية هي القرآن ... الذي هو الرسالة، وهو المعجزة المثبتة لتلك الرسالة ... وهذا أمر ذو قيمة كبرى تفرد به الإسلام.

وقد أراد مشركو مكة أن يجيئوا مع رسول الله (ص) طريقة من سبقهم من الأمم في طلب الآيات الحسية، فأبى عليهم القرآن ذلك، وقال: «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» ... «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم — تشابهت قلوبهم. قد بينا الآيات لقوم يوقنون، إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» ... «ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون» ... «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله» إلى آخر الآيات التي تبين أن المعجزة الوحيدة التي تحدى بها رسول الله إنما كانت القرآن وحده.

وبعد هذا أقول للذين يرون المعجزات الحسية ضرورة في سبيل الإيمان بالنبوة: أليس الناس متنوعين في التفكير وطرق الاقتناع؟ فلا بد إذن أن تتنوع وسائل إقناعهم. فمنهم العقليون الذين يسيرون – على أسلوب الله — ويدركون كلامه في الطبيعة ولو لم يتحدث إليهم بصوت ولا بحرف، وهؤلاء قليلون جداً! ومنهم الأطفال المسرحيون الذين لا يستيقظون إلا إذا رأوا عرضاً أو جرة ... درعاً أو سوطاً ... وهؤلاء هم الأكثرية الغالبة الناعسة.

فلو تصورت طرائقكم في التدريس أيها الفلاسفة المعلمون؟ ألا تنوعون أساليب التعبير والشرح تبعاً لعقول تلاميذكم؟ وهذا أيضاً هو منطق الله مع الناس!

وبعد تحديد «الوحي والنبوة» كان يجب أن يكون معروفاً ممن عند المتأملين بعمق في الطبيعة ... الذين يدركون معنى الحب والرحمة [illegible] على القلب الإنساني، لا بد منه من وجود حبل للنجاة فيها، والطمأنينة على ميتها وميتة الإنسان فيها.

إن وراء الحياة رب الحكم الذي يحمي العقل الإنساني وجوده ولن يخلي الطبيعة منه إلا لو جن واختلط ... وقد وضع الإنسان في هذه الحياة الأرضية، وصار له فيها رغبات وأعمال في تصحيح الطبيعة والتصرف فيها بعد أن لم يكن شيئاً ضالاً يعيش على هامش الحياة فكيف بعد هذا كله يترك هذا الصنف المكرم من غير خطاب من الله من أول الحياة إلى آخرها؟

إن هذا الخطاب يحكم العقل والوجدان بأنه لا بد منه حتى ولو كان للرجوع والأنس الروحي بين الله والمخلصين له ... ومع هناك الضرورة الاجتماعية العامة التي بمقتضاها يستطيع الإنسان الرسول أن يحمل النفس مطمئناً متشجعاً صبوراً حمولاً ... لأنه يسمع صوت الله قائلاً له: احمل واصبر لأن معك.

***

كتب الأستاذ العقاد في «الرسالة» عدد ٢٨٥ أو ٢٨٦

مثلاً بسنوات « القناع الأدنى » هو موضوع كبرة في تحليل النفس الآدمية ، ويقال آفاقها ، وتحقق سريرتها وتقدرتها على التقاط المعاني ، والسيالات من جوف الكون !

وكل ودي أن يكون هذا المقال أمامي الآن لأنقل منه فقرة تقرب معنى الوحي ببيان عصري إلى العقول التي تأبى أن تصدق شيئاً خارجاً عن نطاق الحس . ولكني آسف لأن المقال ليس في متناول يدي الآن

وتعبيري عن معانيه هذا الشيء . إن الكون عالم زاخر بكل معنى من معاني الحياة … كعنصر الإذاعة اللاسلكية ، والقلوب لها خاصية الالتقاط كآلات الراديو التي تستقبل . وبعض القلوب قوي يستطيع أن يأتي بعالم سحره من أقصى مسافة ، كأقوى بعض آلات الراديو له قوة على التقاط الموجات البعيدة

وهنا نستطيع أن نصل منه إلى فهم معنى الوحي قلب النبي وصله أعطى إمداداً … سماوياً وراء الطبيعة وهو في موقعه يعبر عن أنه فوق الإنسان الذي يستطيع الإنسان أن يصل إليه في الاتصال بخفايا الكون !

وما دام العصريون يصدقون بمذهب النشوء والارتقاء في الأجسام ، فلم لا يصدقون به في النفوس والأرواح ؟

وإذا كان الله لا يظهر معنى نوره الروح الإنساني الذي هو نفحة منه فكأي شيء يظهر ؟

ولا بد من باب ينفذ منه الحس الإنساني إلى ما وراء الطبيعة وهذا الباب هو حس النبي وروحه ؛ ولن يسع الإنسان أن يقطع الصلة بينه وبين ما وراء الطبيعة إلى هذا الحد الذي … الإعلان في الطبيعة ، وهم يصاحبون بأي فكرة تنقد …

ولو كان منكرو النبوة والوحي يتخذون الأسلوب العلمي في بحثهم حول النبوة والوحي كما يتخذونه في بحثهم في المادة ، لما أمكن لأحد منهم أن يرفضوا شيئاً لم يقم دليل علمي على بطلانه ، على ما أعلم لأحد منهم أن يجادلوا فيه عن غيره من الأشياء والأعمال إلا على سبيل الاستفسار لا الإنكار . فكما لا يباح لرجل الشارع الجاهل أن يجادل « ماركوني » أو « … » أو « أديسون » وغيرهم من أساطين العلم المادي ، كذلك لا أحسبنا ما أبيح لأنفسنا أن ننكر على الأنبياء ما رأوه في آفاق الحياة والروح إلا إذا كنا على قرب منهم في الصفاء والرياضة الروحية التي كانوا يزاولونها . فالأسلوب العلمي يحتم على من يريد الإنكار عليهم أن يقاربوهم ويزاولوا ما زاولوه ، … [illegible] … وصول إلى درجة تحاط معها أرواح الملائكة والأنبياء

قال الغزالي أبو المعرفة ومحصل علوم … في كتابه (المنقذ من الضلال) : « ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه . وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول . وكل ذلك خطأ … » إلى أن يقول « وبالجملة من لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء . وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه . وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها » ثم بين الغزالي أطوار نمو العقل البشري من إدراك المحسوسات إلى إدراك المعقولات ويبين أن وراء هذه الطاقة « عيناً أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأموراً أخرى العقل معزول عنها »

فعلى منكري هذا من الباحثين العلميين أن يتبعوا الأسلوب العلمي في الإنكار والإثبات فيسلكوا سبيل أبي حامد الغزالي وأشياعه ليروا أهم على حق أم على باطل . فلقد كان أبو حامد شاكاً … وسلك حتى أتاه اليقين

* * *

إلى الدكتور الفاضل عمر فروخ ببيروت

إن الكاتب الفاضل الذي استعداني على مقالك « الهجرة » المنشور بصحيفة الأمالي (عدد ٣٧ ص ١) أرسل إلي العدد الذي فيه المقال ، وقد قرأته بإمعان ووجدت منه ما أشرت إليه في مقدمة مقالي الأول عن النبوة والوحي والمعجزة ، فأسرعت إلى … مرتبطاً به ومقالك الذي علق به على … ، ولا كنت أنا قائلاً له … إليه ، وأرجو أن ترجع الذين يخوضون في الدفاع عن عقيدتهم … في أي شيء … ما دام الدفاع خالياً من السباب والمهاترة فإن هذا هو شأن الباحث الذي يحترم عقائد الغير . فالكاتب الذي كتب إلي من بيروت إنما صدر عن إخلاص حين

أراني أن أجعل رأيك في المعجزة. أما ذكرته أحمد أتعبا في عدم وجوه لا تتسع له غير ما أشرت إليه آنفاً

وأما عند تعجب من تسميتك للمعجزة أنها في حقيقتها صورة عن النبوة غير ما في أذهان الواقفين عند نصوص القرآن في معجزات الرسل السابقين. فالقرآن يحدثنا أن معجزات الرسل لا دخل فيها للإنسان الرسول، وهو نفسه لا يفهمها ولا يدري سر إجرائها كما دل على ذلك فرار موسى حين رأى عصاه حية تهتز كأنها جان ... وأنت تفرق السحر في فهم الخاصة بأنها عمل إنساني محض فيه إدراك تام لقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع، فكلما كان فهم الإنسان لطبيعته والبيئة أدق وأعمق كانت معجزته أجل وأسمى. هذا كلامك بحرفه، فأنت ترى من كلامك أنه صريح في جعل المعجزة عملاً إنسانياً، مع أن القرآن يجعل هذا النوع منها آيات إلهية لا دخل للإنسان الرسول في إجرائها إلا ما يتعلق بتحديها وموضعها

ثم إنك جعلت توحيد رسول الله محمد العرب معجزته الكبرى وقد تم ذلك لغيره في عصور مختلفة أحدثها عصرنا لملك الحجاز عبد العزيز بن سعود وقد كان مثل هذا التوحيد في غير العرب من الأمم أفنجعل ذلك كله معجزات بالمعنى الديني؟

ثم أخيراً عند عجب أنك تريد أن تجعل محمداً في صف الأبطال المصلحين الذين لا يعتمدون على مدد من السماء وأنت تريد أن تجعل كل ما جاء به من الأفكار والأخلاق في الإصلاح والإرشاد والتشريع، عملاً كله عملاً إنسانياً بشرياً صادراً من ذاته هو ... وهذه مقالة تشيع في هذا الزمان وهي تنقص النبوة عظمتها عند المؤمنين

ولكني بعد ما قرأت مقالك الذي تعقب به على مقالي وجدتك تقول: إنني رجل أومن بالنبوة على ما ورد في القرآن الكريم لا أحيد عن رأيي في ذلك. «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد» وهذه يا أخي آخر الأمر ... رأيي ... في تصحيح رأيي في آرائك كلها في النبوة ... أما رأيك في المعجزة فهو بعيد عن قول القرآن فيها، وقد ذكرت سبباً في هذه المقالة خلاصة رأيي فيها ولك الشكر

(القاهرة) عبد المتعال الصعيدي

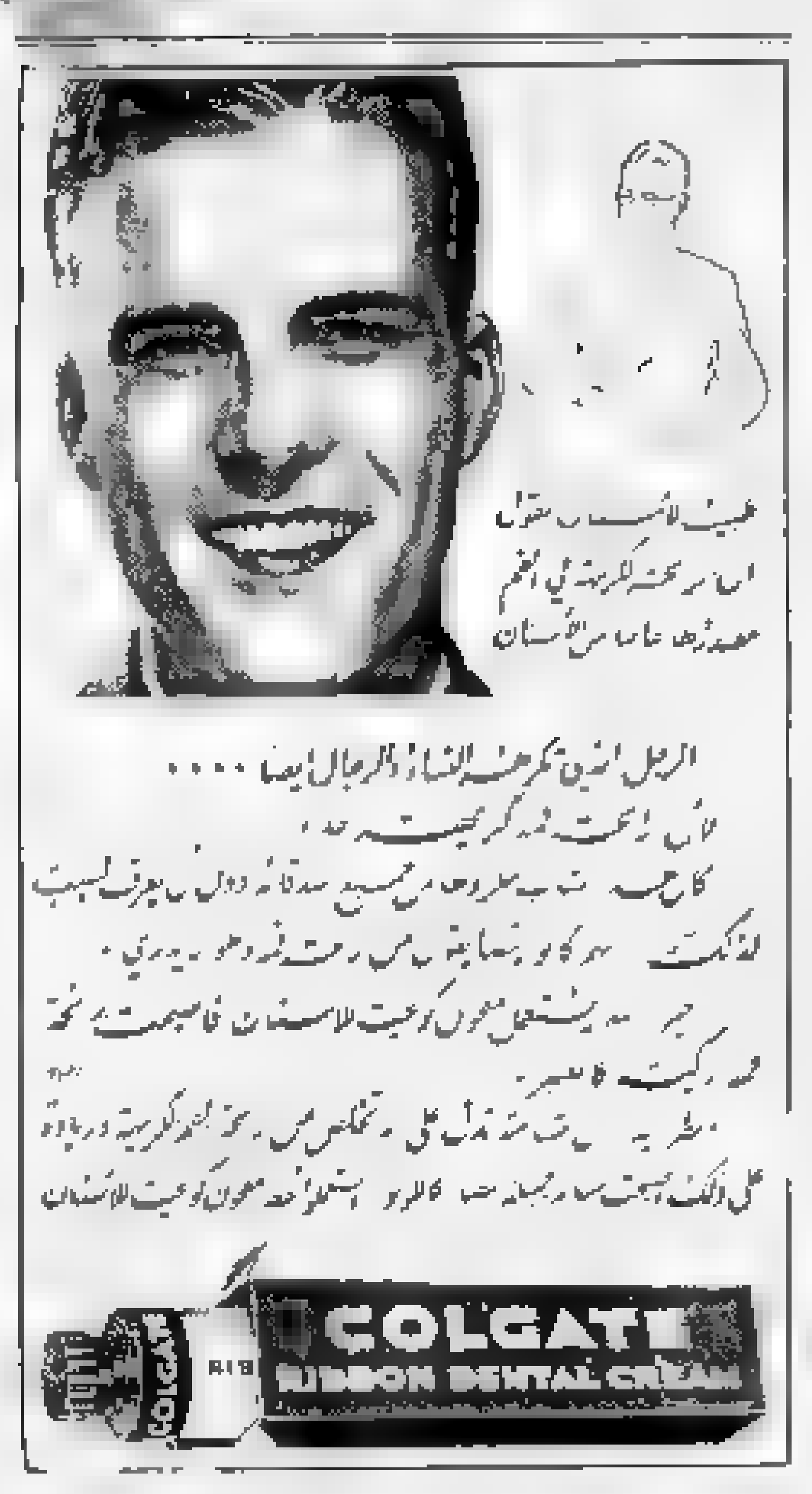

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ خليل

– ٢ –

أورد الأستاذ المردمي خبر الفرزدق في هذه الرواية في الأغاني في أثناء بحث اجتزأ به، وقد رأيت سوق القصة بتمامها في هذا المقام.

«نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال الأحوص: ما تشتهي؟

قال: شواء وطلاء وغناء. قال: ذاك لك. ومضى به إلى قينة بالمدينة، فغنته:

ألا حيِّ الديار بسعد إني ... أحب لحب فاطمة الديارا(١)

إذا ما حلَّ أهلك يا سليمى ... بدارة صُلْصُل شحطوا المزارا(٢)

أراد الظاعنون ليحزنوني ... فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها!

قال: أوَ ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: هو (والله) لجرير يهجوك به.

فقال: ويلُ ابن المراغة! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره».

وأورد أبو العباس في (كامله) الحكاية مطولة، وجاء في ختامها: «فقال الفرزدق: ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري، وأحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره».

فالفرزدق وجرير في الإسلاميين يحسبان مثل حبيب والوليد في المحدثين. «ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم

(١) سعد: موضع بنجد. في معجم البلدان: قال أبو زياد: سعد ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربي بالوادي

(٢) دارة صلصل: موضع لعمرو بن كلاب وهو بأعلى مطرها بنجد (معجم البلدان)

واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلين بأصناف الحلي(١)».

وهي طبيعة المرء، وهو من اسمه: «كانت القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق(٢)».

وقد قلت في بحث قبل: ما اختلف الطائيان الأكبر والأصغر في الطريقة، إلا لاختلاف الخليقة، فلن تشدد حبيب في اعتقاد الغرابة وتتبع نوادره، ومن سمحت غريزته وقت كله؟ فالأمر عائد إلى الطبائع. وقول الأقرع في هذا شيء معروف.

«والفرزدق وجرير والأخطل أشعر العرب أولاً وآخراً، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه. وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون، وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب المتنبي، فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدانٍ في طبقة الشعراء(٣)».

والثلاثة الإسلاميون مسيلمان، والثلاثة المحدثين الذي عرفهم وقد تخرج الآخرون على الأولين وأسلفوا التخريج التام وتقدمهم بك الحضارة، ورأوا مما لم يرها سالفهم في الزمن، وأوتوا بما أوتوا به، ففضلوا على غيرهم، وهم عيٌ من بعدهم أشياعهم.

ومن الأسباب التي يرجح بها الإسلاميون الجاهليين: «أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية في القرآن والحديث الذي عجز البشر عن الإتيان بمثلهما لكونها وحذوا في كلامهم، ونسجوا على أساليبها منوالهم، فهذبت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل

(١) المثل السائر لابن الأثير

(٢) الوساطة للجرجاني

(٣) ابن الأثير في المثل وفي كتابه (الوشي المرقوم) حكاية أخبر الأديب نسيج الفرنسي: كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٩٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك ونزلته كبرا في هذا حجاباً. ثم إن القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني – القاضي الفاضل – رحمه الله في هذا، فقال: (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال

الجاهلية ومن لم يسمع هذه الطبقة ولا شيئاً منها[1] »

والفرزدق أصل الثلاثة الإسلاميين ، وقد وصفه وصاحبيه خالد بن صفوان في خبر في الأغاني ، وفي قوله من كثير ، وأسلوبه يحكي وصف (الهمذاني) الفرزدق وجريراً في المقامة الغريضية وهذا ما نسب إلى خالد : « أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلاهم عللاً ، الطامي إذا زخر ، والحامي إذا زأر ، والسامي إذا خطر ، الذي إن هدر قال ، وإن خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان — فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً ، الذي إن هجا وضع ، وإن مدح رفع — فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ، الذي إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق — فجرير »

وقال أبو الفرج : « الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل . ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول ، أو يدل على مكانه بوصف ؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف (وقد) اختلف (الناس) بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرهم . فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه . وهم في ذلك طبقتان أما من يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً »

والفرزدق عند الشعراء العلماء الكبار والنقدة المبرزين أعظم من جرير ، روى الأستاذ المرزوقي في (الكتاب) عن (الموشح) للإمام المرزباني : « قال أبو الغوث يحيى بن البحتري : كان أبي يقول لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق ، ولا أعده من العلماء بالشعر . فقيل له : وكيف ؟ وكلامك أشد اشتباهاً إلى كلام جرير منه إلى كلام الفرزدق ، فقال : كذا يظن من لا يعرف الشعر . نعمري إن طبعي بطبع جرير أشبه ، ويشكو من أبي حزرة مكان الفرزدق وحسن اختراعه ؟ جرير عبد النسيب ولا يتجاوز هذا ، والفرزدق بأربعة أشياء . بالفخر[1] ، وبقتل الزبير[2] وبأخته جعثن[3] ، وبامرأته النوار[4] . والفرزدق يهجوه في كل قصيدة بأنواع هذه ، يفرعها ويبدع فيها »

وقد عرف الأستاذ المرزوقي من نبوغ الفرزدق ما عرفه البحتري ، بل نبه على من لم ينبه عليه . ونرى أن هذا ما بعث الأستاذ على أن يخص أبا فراس بكتابه ، وإن كان طبعه — كطبع البحتري — بطبع جرير أشبه ، وشتان وقتُه ووقتُه

وقد عد ضياء الدين بن الأثير رواية الموشح هذه غير صواب ، وعما قال : « إن البحتري عندي أجل من ذلك ، وهو عارف بأسرار الكلام ، وكيف يدعي على جرير أنه لم يهج الفرزدق إلا بهذه المعاني الأربعة التي ذكرها ، وهو القائل

لما وضعت على الفرزدق ميسمي[5]

وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة في بيت واحد

وإعجاب ابن الأثير بمثل هذا البيت أمر [illegible] ، وهو عنده من نوع الاجتهاد التي نقلها وذكرها في قوله في مقدمة كتابه « وما هي درجة الاجتهاد التي لا تكون أدواتها تامة وإلا ما حصلت » وقال ابن الأثير : « ولو سمعت البحتري ما زعم من أن جريراً ليس له في هجاء الفرزدق إلا تلك المعاني الأربعة لاعترضت عليه

(١) جرير

هو الخليفة وابن الخليفة لا ابن مثله [illegible] للناس أو [illegible] الأيام [illegible]

(٢) جرير

إن الفرزدق لم [illegible] لاستعظموا أو [illegible] أحرار

(٣) قال [illegible] : كان جرير يقول [illegible]

وكانت [illegible] ، امرأة [illegible]

(٤) كانت النوار امرأة [illegible]

(٥) هذه رواية (القتل)

(١) ابن خلدون في المقدمة في الفصل الخامس والأربعين في أن صناعة الكلام — ملكة النثر والنظم — بكثرة الحفظ وجودته بجودة المحفوظ

بأنه قد آثر جرير بالنسيب ؛ وذلك أن النسيب للقلق أو الشكاة . البليغ هو الذي إذا حد معنى واحداً بصر بحيه ووجوه التصرف فيه ، وكذلك جعل جرير بابه أبرو من هذا الفرزدق والقين كل عربية ؛ وأورد ابن الأثير من « هذه الأساليب التي تصرف فيها جرير » سبعة أبيات ، منها

قال الفرزدق رقص أكيارنا ... قال: وكيف ترقص الأكيار[١]

وحسب أبي الفرزدق فعلوه ... قدوم قيس كامة النحاب[٢]

ولو لم يرو حتى هذه لكان حجراً لابن الأثير ولصاحبه جرير « قال جرير لرجل من بني طهية : أينا أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له : أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء فصاح جرير : أنا أبو حزرة ! غلبته ورب الكعبة ! والله ما في كل مئة رجل عالم واحد »[١]

فإن أصبح قول الطهوي جرير وازدهاه ... أرأيتم كتب في العربية ... العامة ؟

وما نقصد بهذا القول إزراء على الفحل ، جرير ... وهو الثاني في الثلاثة ، هو الآن في الثالوث الإسلامي ... وقد قال الفرزدق « إني وإياه - يعني جريراً - لنغترف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر »[٢]

وإنما كان ... الذي يرى « الشعر كله في ثلاث ... بابها ... (أنت) وإذا ... (حسب) وإذا ... فقل : (كنت) »[٣] ... في ... ، وأجل ... القارئ لا ... كما ... من ...

... — الإسكندرية

(١) أكيار : جمع كير ... يقوم عليه الحداد

(٢) القدوم التي ينحت بها ... ولا ... قدوم بالتخفيف ... (الصحاح) ...

(١) الأغاني

(٢) طبقات الشعراء للجمحي

(٣) العمدة لابن رشيق

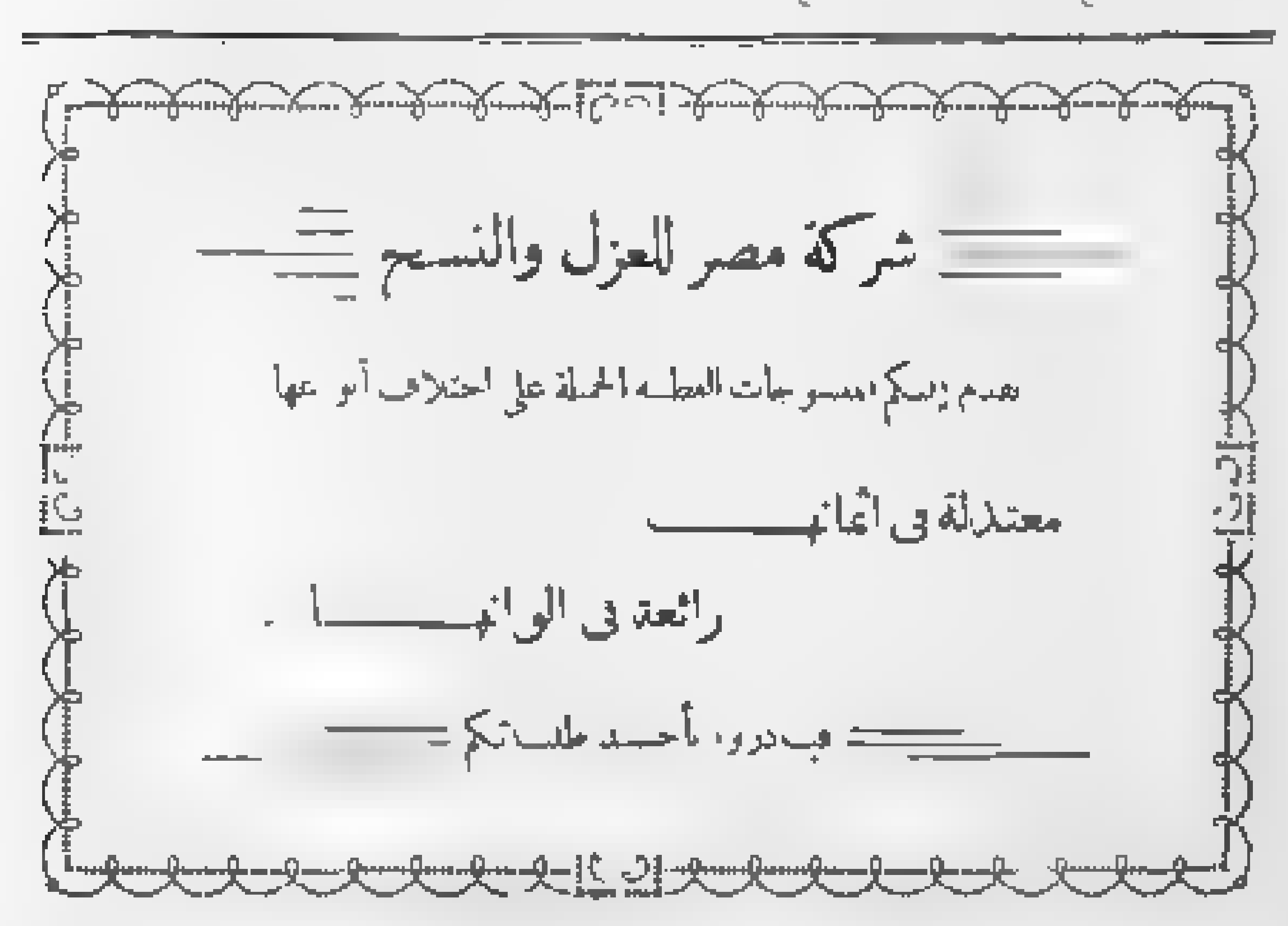

في محيط الشعر

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ على الجندي

فوق بسيط الصحراء النرابي الأطرس ، المنمّـر بتلاويح العشب الأخضر ، وعلى كثب من أخبية عبد الملك الذي تمحض في الحب حتى ضُرب به في ذات الأمثال ؛ كانت سعاد أو سعدى العذرية ترعى البَهْم مع ابن عم لها يدعى سعدا في مثل سنه أو يجاوزها قليلا .

وسعدى [illegible] والنسيم - كما يعرف المشغوفون بالأدب العربي - أخصب منابت الحب في البادية وأحفلها بنابتيه ، ففي ظل تلك الربوع الصافية والفطرة الطليقة ، وبين كثبان الرمل الأحمر وتحت الشمس الضاحية ، بعيدا عن فضول الرقباء وشماته العذال ، انسكب هذا الفيض العلوي على القلوب ، وانقدحت شرارته السحرية الأولى ، وانتسج الخيال - في كلاءة العفة والتصوّن - التصاوير والتآلف والتشاكل والمناجاة ! بل حطّت مصارع العشاق المتيّمين من أمثال ابن حزام وابن ذريح وابن الملوّح ، [illegible] آيتهم الدامية وآلامهم [illegible] التي يصحب [illegible] الهوى و[illegible] الصبابة أسمار الغزل والنسيب !

ولم يكن بدٌّ لسعد وسعاد أن يحيدا عن هذا العرق الأصيل في القبيلة ، وقد يقال : إنهما في تلك الصفرة وغضارة الحداثة ؛ أجل ، ولكن الحب كالسياسة ليس له قلب ! فهو كما لا يوقر الكبير لا يرحم الصغير ! بل من أروعه وأشجاه ما ساور الأفئدة الغضة ، وخامر الأكباد الرطاب !

وأخذ الهوى الطفل يتدرج في القلبين تدرج الحبيبين الصغيرين في العمر ، حتى شارف الذروة في الوقت الذي بلغت فيه سعاد سن القمر البدر ! حيث خلفت الرابعة عشرة ، فعلت[1] شمسها ، وتمت أنوثتها ، وترقرق فيها ماء الشباب ! وإذا هي أروع مثال للجمال صاغته يد البادية العبقرية الصَّناع !

(١) الشعر

كانت الفتاة فارعة القوام ، مُهفهفة الأعطاف ، كأنها كثيب مهيل ، وأعلاها خوط بان !

لها شعر فاحم وارد[1] تتلوى ذوائبه على وجه أبهى نضرة مشوب بسمرة ، وجبهة كما ينشعب الكافور بالمسك ! وعينان نجلاوان مكحولتان بالسحر البابلي ، يحرسهما حاجبان مُهلّلان[2] كأنهما [illegible] وخدان أسيلان تصحب تفاحتهما [illegible] الصحراء ، [illegible] أنف كقصبة [illegible] أو حدّ السيف [illegible] ولم يعب به طول ، تحت [illegible] خاتم عطر كالأقحوانة [illegible] ، يتسع فيه سمطان من اللؤلؤ المنضود يجري منهما شهدة العسل وسلافة الرحيق !

وكان يُحلّى جيدها المذهبي الأتلع ، عقد من خرز[3] الظفاري ، وسخاب[4] من القرنفل والمحلب ، وانسكبه [illegible] حراء ثانية ، تتوهج في ثغرة نحرها ، وعروق تجري صدورها وهج الذهب الذائب في وجنته .

وإلى هذا الإغراء من الحسن المطبوع ، أوتيت صوتا من مزامير آل داود ، فكان صوتها شجيا رخيما ، عذبا ، [illegible] الرجل ! [illegible] في أعصاب الإبل ، أو سمعت وراء الغنم ، أو [illegible] بأطراف [illegible] في المقاصر ، صبت في الآذان ما يشبه وسواس الحلى أو رجل الحلم !

وتَرَجّح الحب بالفتى والفتاة ، وعلت الصبابة فيهما أقاصيها ! ولكن حياء الفتيين وخفر العذرى الموائل في هذه الأيام ، حالا دون المكاشفة بهذا الهوى الدفين ! فكانا يتناجيان بلغة العيون ، والعيون أقدر على أداء رسالة الغرام ، وأحسن إفصاحا عن لواعج الشوق الساهر من لسان المقال !

تكلّمُ منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

وفي صبيحة يوم شديد القُرِّ لاذع النسيم[5] ، خلص العاشقان حيث لم يسطلياها التماسا للدفء ، وقد عشي بصرهما بالشرر المتطاير هنا وهناك كأنه فرصة اللعب ، فاعتنقا من كل شيء حولهما ، وبدلا في صمت رهيب ! وإذا الفتى تمتد يده - دون أن يعي - إلى جمرة من بابس العرفج[6] طرحها في النار ،

(١) طويل (٢) مقوس كالهلال (٣) خرز أسود يجلب من ظفار باليمن (٤) قلادة تجمع الطيبات (٥) البرد
(٦) شجر سريع الاحتراق

ند كاهيها وانحدرت أنفاسها ، فجرى مرتعش على وجه الفتاة الذي تقمص لونه ، وعلا خفقه ، وترنحه سعيراً على سعير !

وأحست سعاد – بعد لأي – بلفح الأوار ، فصحت من جهرها ، وازورت من الوجد قليلاً متشبثة الوجع يتسايل حسبه للتكسر ، فاستقرت أهدابها الوطف[1] على ورد حسنها ، فكان منظراً أخاذاً يفرح قلب الخلي ، ويعث الناسك على الصبوة !

غضت عين الفتى هذه الصورة الفاتنة ، فسهل صبره ، وتدله عقله ، وخفق قلبه خفوقاً متدارِكاً ، وربا مَعشره[2] حتى ما يكاد يتنفس ! ثم شعر كأن نفسه تنزي من بين جنبيه وأن أكلم عواطفه تنفتق عن سحائب سبعة مديه ، ثم تليها أن تختلج في صدره ثم ارتمت إلى لسانه ، ثم سالت على مدى لسانه ، فإذا هي هذا الشعر يهتف به أول مرة في حياته

ماذا أنكرت النار فأوقدت ... عرفت ما تحتك في إصلاحها
من سر ذات الخلاع صباتها ... وتحسن صورتها لدى إفلاحها
وأرى صبابتك في القلوب حبيبة
بسهامها ... وأراكها ... وجروحها[3]
شركتك في كل الأمور بحسنها
وصباتها ... وملاحها ... وصلاحها

فتجاهلت سعاد بأنها لم تسمع – وهي تعد ساعة – حتى إليه أن شعره لم يبد على قلبها ، ولم يقع منها موقعا ، فأعاد شعر النار يؤنسها بمزيد من العطف ، وهو يترنم بهذه الأبيات

وما عرضت في نظرة متعرضاً ... فأنظرها إلا سئلت حيث أنظر
أنار على عقلي له فكأنني ... إذا رام لحظي غيرها ليس يبصر
وأحذر أن تعصي إذا ما عجت للهوى
... ما كتمها جهدي هواي وأستر

فمست إليه سعاد جيدها الناصع ، ورمته بنظرة ذاوية منكسرة مزجها عتب وحنق ! فاضطرب الفتى وصمت وجهه حمرة الخجل ، وأطرق ينكت الأرض بعود في يده ، وأراد أن ينشد بعد ذلك شعراً آخر ، فصعب ريقه ، وانعقد لسانه ! فساد الصمت مكرها كأنه عن به من حيل ، وظلا بقية يومهما جامدين كالأنصاب

ولما كان من الغد بكر الفتى إلى المرعى فطرب ابن عمه[1] ، بعد أن قضى ليلة حسية بحشى مؤرق ودمع مترقرق

ولبث يرقب سعاد وعينه تلاحق لمة القتاة ساعات عصيبة فلم تحضر ! فساورته الهموم ، وطاف به الظنون كل سبيل ! وكان أخوف ما يخافه أن تكون ابنة عمه قد عصته فصد به ضيم بمس[2] الأمس فظن يفرع الوادي إيابا وذهابا ، ويسيل رداءه سرابا سحيقة ، حتى كل منه اللغوب ، فسقط رازحا بين هضاب الرمال ، ينشد

تمت شوقاً ، وكنت أعظك وجداً
حبيب أهدى لحبيب هوى وصدا
مالي حبيب إذا دعوت إليه ... روى القرب منه نأياً وبعداً
حبيب لا كيف عن هواه سلوى
وهو شمس الضحى إذا ما تبدى !!

ولم يكن سعد مخطئاً في ظنه ، فقد كانت سعاد مطمئنة إلى حسن نية ، وصدقه في رعيه ، قد شانتها سمار المصريين (إن في خيانتا سياحة وفي صبوتنا نعمة) ، ولم تكن كذلك بأنه منه نسيبه بها ، بل دل على قلبه برداً وسلاماً وأي فتاة لا تعرج إلى حديث الحب البريء ، ولا تهفو إلا رؤيته محاسنها مترعة في غوالي الشعر المذهب ؟

ولكن الفتاة كانت عاقلة أريبة بعيدة النظر ، فخشيت أن يسحق الشاعر هذا المرعى الموثق ، ويمادى في إعلان صبوته ، وتجرى مقطعاته ورقائقه على ألسنة الرواة فتفتضح بها ، وتقف دون ذلك عقبة في طريق أمنية تحول عنها الحياة ! وهي ورثت من ابن العم الحبيب الذي نزل منها في سواد العين والفؤاد ! فأرادت أن تصطنع من اللقاء أياماً تمتنع فيها الرعي على ثورة نهاً وتجنيه تمر وما درت سعاد – عفا الله عنها – أن ما حسبته دواء هو الداء الأكبر بل أدوى الأمر !

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

وبينا كان الفتى متوحداً في الصحراء تحرقه المواجس ، ويخبط من حيرته في مثل قطع الليل المظلم ! لمحت في دهشة خاطره ، استقر منها وجهه وتلج له نوره ، فسالت عينه وصاح

أحمد عبد اللطيف بدر

---

(١) طريقة صوفية (٢) الرئة
(٣) السهام والمراد ، نابت

(١) المرعى (٢) كناية عن الليل إلى ما لا يجلى

وما هَمَّ أن اتكفأ بالرَّاقية والحَالية إلى مضارب الخيام، ثم صعد إلى علية عمه، حتى إذا بلغ مجلس عمه الشيخ، فإذا هو مُشْعَب موى ليغة عقد حبه القِبَابِيَّة[1]

حيَّا الفتى عمه الشيخ فرد عليه بأحسن منها، ودعاه إلى المجلس فجلس قُبالته مغضبا وانقبضت نفرة كل منها رائع البصر شارد العقل جم البلابل! ثم نقف على وساوسه وقال بصوت متقطع النبرات:

— عمي وأبي بعد أبي!

بيك وحدي ووصلتك رحم

حتى أعطى إليك سعاد

حل الشيخ حبوته وابتسم قائلا: سعد يخطب سعاد! هو الفحل لا يُقْدَع[2] أنفه!

فنكس الفتى رأسه مستحيياً وقد نبت كل شعرة من وجهه ثغر ضاحك

وكان لسعد صِرْمة[3] من الإبل وثلة من الضأن والمعز ورثها عن أبيه الذي مات عنه — وهو طفل — فأصدق سعاد عشرين ناقة عُشَراء[4]

وما هي إلا أيام قلائل حتى أصبحت الفتاة إليه في بيتة أخبيته فرحة، تحف بها كوكبة من أترابها يغنين ويضربن بالدفوف، وأمامهن الجواري المصريات يرقصن، ومن حولهن فتيان الحي يتشاقون[5] بالسيوف ويتقاذفون بالسهام، ويتسابقون على صهوات الخيل العراب حتى بلغوا بها خباء من الوبر ضُرِب لها خاصة على مسافة غلوة[6] من الحي، فأدخلوها فيه وجلس إلى جانبها الزوج، وأقبل على رأسيهما نثار الخير وهلاً بسنة البدو! ومر على الحي مساء وصلاً في لهو وسمر حتى انحسر الفجر، فودعوهما داعين لهما بالرفاء والبنين!

ومضى عامان أجردان[7] مر فيهما العروسان كأحلى ما مر به إنسان، من حياة هنيئة صافية وعيش ألين[8] الظلال، ومضت على الأيام ودلو بجدة وجدة! ولكن صدق من قال «وبعد صفو الليالي يحدث الكدر»!

فلم تعلق بالزوج حبائل الحب، ولم يزل كلفاً بعروسه وبمالها، ينفق ماله بسخاء حتى يسلط يده كل البسط في الإنفاق عليها، فكان يرد بها أسواق العرب يبتاع لها الطرائف من خيرة الكسا وتحف الشام ومناديل مصر وعطور الهند وبرود اليمن الغالية، مبالغة في زينتها وتحليتها، مع سعيها له بالحمد والاعتراف، ومع ما جرى من خيرها الترف التي عرفتها من رغد البادية وسذاجة البدوية

ثم بات الزوج العاشق، وقد ذهب ماله حتى أملق ولم يبق له سبد ولا لبد! فتلقت سعاد هذه الفاجعة بالصبر الجميل! وضاعفت من حبها للفتى وحدبها عليه لترفه عنه حزن المصاب!

ولكن الأمر لا يعنيها وحدها، فهناك أبوها وهو رجل كان من قوم جُبلوا من طينة العواطف، وركبوا رقة الشعور، ونشئوا الناس سنن الوفاء في الحب؟! إلا أنه كان أعرابياً جافي الخليقة غليظ الكبد! لا يهمه من الحياة غير رغاء الإبل وثغاء الشاء والتمر والحلائب، فأبى لابنته خشونة العيش، وما طمع أن تلفحها سموم الفاقة في طراءة السن ونضرة الشباب

فطلب منه بيعها وحجرها عنه وسعى في خلاصها منه، فرفع الزوج الأمر إلى والي مكة الفتى الأموي الحلو الشمائل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة مروان بن الحكم، وكانت سعاد قد وصفت له في بعض حسانه إلى البادية، فشغفها على السماع — والأذن كالعين تعشق — فجعلها فرصة يقتنص فيها هذه الشادن النجدي الهارب الذي ما برح يرتع حبه قلبه! فأكرهها على مفارقة زوجها، وضمها إليه — بعد انقضاء عدتها — وفي عينيها دمعة حائرة، وفي قلبها لوعة ذاكية

وضاقت بالزوج الأرض، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولا يجد منصفاً يتوسل به في حبه وكرامته. ولكن إذا جار الوالي أليس هناك يد أعلى من يده، هي يد الخليفة! وفي حقيقتها يد الله!

لم يجد الفتى بداً من أن يقصد دمشق، حيث يتربع على دست الخلافة أمير المؤمنين، ووارث ملوك آل حرب، وكسرى العرب وأدهى دهاتها معاوية بن أبي سفيان، ليقصه على ابن عمه الحاكم المتسلط

[البقية في العدد القادم] — علي الجندي

---

(1) ثقيلة الأرداف (2) لا يضرب (3) قطعة ما بين العشرة إلى الأربعين (4) حامل في الشهر العاشر
(5) يتلاعبون (6) مسافة رمية السهم (7) كاملان
(8) كثيف

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الإسكندراني

رواية الأستاذ عمر لطفي النشار

صوت

رقصت الروح على شهرونٍ   فؤادي أملك هذا الرقص
عندي من الخيل التي تشترى   لا كوكب الشرق ولا كوكبين

الشعر للأستاذ علي الجارم منسوب على من سمعه «الدوركاه» من صنعة الأستاذ محمود مصطفى

حدثني الأستاذ محمد شعراوي بك قال: إن «كوكبان» و«شهرون» جوادان من جياد السباق، وإن الجواد الذي أراد الأستاذ الجارم بك أن يتغنى به هو «كوكبان»، ولكنه من أجل الجناس اللفظي بين كلمة «رقص» وبين كلمة شهرون قد أهمل اسم الجواد، فجعل الممدوح هو المذموم والعكس بالعكس.

قال الأستاذ شعراوي بك: وأعجب من ذلك أن كوكب الشرق ليس جواداً ولكنه مغنية كان يصطفيها الأستاذ حافظ عوض بك، ولكن الجناس اللفظي قد جر الجارم بك إلى اعتبارها جواداً، وجواداً من جياد السباق، وذلك ليقال كوكب وكوكبان.

وانتهى شعراوي بك من حديثه إلى أنه لن يرضى على بيت واحد من الشعر ما دام الشعراء يهملون الحقائق من أجل تلك الشكليات اللفظية التافهة «التي يعدونها من وجوه البلاغة في عصر مضى».

وحدثنا الأستاذ عبد الغني حمزة قال: إن في خيول السباق جواداً اسمه شكسبير، وأنه عرض على شعراوي بك بثمن مناسب ولكنه رفض شراءه لأنه اسم شاعر. قال: وقد تحامل شعراوي بك على الجارم بك تحاملاً شديداً لأن الجواد كوكبان من خيول شعراوي بك، وقد كان يود أن يكون هو الممدوح لا الجواد شهرون.

قال أبو الفرج: وهذا القول جائز، ولكن كيف استحالت مغنية كوكب الشرق إلى جواد من جياد الرهان؟

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال: وهذا الباب من أغرب الشعر أثر من آثار الجناية التي يجنيها الأدب الجاهلي على أدب العصر الحاضر، فقد كان الجواد عند العرب هو الأسطول والطيارة في العصور الحاضرة، فإذا وجد الآن شاعر يتغنى بالأسطول ويصفه ويتغنى بمحاسنه فلا عتب عليه في ذلك، وإذا وجد شاعر في مصر يتغنى بالطيارات الحديثة والطيارات ذات الأزيز التي تسوغ المواقع الوطنية فهو شاعر حقاً، كما كان العربي شاعراً في وصفه الجواد وحبه إياه وقد شاركه في أخطار الموت ودخل وإياه الحقول المفتوحة وجرح وإياه في الميدان. ولكن ما بال الشاعر المصري العصري يركب السيارة ويأنف من ركوب الجواد ثم يتغنى بذكر الخيل؟ وما له يذكر الرهان والسباق وهو لم يعالجهما قط، وإنما يجعل منهما وسيلة لذكر الخيل لأن العرب كانوا يذكرونها — أليس هذا مما يجنيه الأدب الجاهلي على أدب العصر الحاضر؟

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: ما أعجب رأي الأستاذ أحمد أمين في السيارة والجواد، فقد قضيت صبيحة أتسلى فيها بجريدة «نش» التي اشتريتها حديثاً وأنكرت ما كنت أظنه من الخيول التي لم أركبها قط، ومن قولي في تلك الصبيحة:

صوت

ألا أبو سرعة العمر وفادح   يوم عرض البلاد يا من وثبا
أطلقت عهدها القرامل وإنما
ب بي «الناش» يجوب الأرض بها

حدثنا الدكتور زكي مبارك قال: ما رأى الناس قط شيئاً مثل هذا، فالخيل ما تزال من عدة الحروب، وما أنكر على شاعر أن يصف ما يراه من المخترعات الحديثة، ولكن كيف جاز للمؤمنين أن يحرموا على أنفسهم ما أحل الله لهم؟ وكيف يزعم الزاعمون أن الخيل قد زالت قيمتها فيجب أن ندع التغني بها؟ إن ميادين السباق في العواصم تستنفد من الثروة ما يكفي لبناء أسطول هنا في العواصم، وما يزال في العرب من يباهون بانتخاب الخيول ويعدونها من علائم الأصالة والنبالة. وقد كان جدي جواد في سنتريس أعتقت وكربه كلما طفت بتناول الصبايا، ويرحم الله صباي في سنتريس! لقد أنكرت الرجعة منذ كنت من

ركوب الجياد واستبدلت بها الطيارة والسيارة. ثم ما لهذا كله وما لأبيات الجارم بك؟ إن رياضة الخيل ضرب من الفروسية التي يجب الاحتفاظ بها في كل مكان وكل زمان، وهي تقليد من تقاليد الخلفاء. وقد قال الوليد بن يزيد:

تمسك أبا جعفر بحمل عنانها ... فليس عليك إن ركبتك أمس

هل قرأ هؤلاء أدب الأمويين؟

قال الدكتور زكي مبارك: وهذا البيت قصة طريفة عند أشعر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد على «الملوك» من ركوب القدر من الجياد فأمر بتدريب طائفة من القرود وكون منها فرقة من «الملوكية» كما أمر بصيد عدد كبير من حمر الوحش جعل منها فرقة من «البواكي الشيبة» وأبو قيس هذا الذي يذكر في شعره ليس إلا فرداً من هذه القرود

بيت للمدنية التي تشترون بها يبلغ من الرفاهية ما بلغته في العصر الأموي التي لم يجدوا شيئاً عنه

لم تحمد الحياة وعد حق ... خلفته إلى بني مروان

ثم ضحك الدكتور زكي مبارك وقال: وسيأتي اليوم القريب الذي يعود شعر الجارم فيه إلى الشعر المقبول في حسب الأستاذ أحمد أمين وأنشد

يقول بشعب بوان حصانى ... أمن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي ... وعلمكم مفارقة الجنان

هكذا قال حصان أبي الطيب فليسمعنا الأستاذ أحمد الشايب ما قاله سيارته وهي أنهى من طراز «ناش».

حدثنا الأستاذ عبد الغني حسن قال: دخلت ميدان السباق فرأيت بين الشاهدين الدكتور زكي مبارك، ورأيت طائفة عظيمة من الوجهاء والأعيان وكلهم مشدود النظر بالخيل التي تجري دون أن ينظر بعضهم إلى بعض. وسمعت الدكتور زكي مبارك ينشد في هذا المنظر أبياتاً لم يعن بدعوى منها غير هذا البيت في وصف ميدان السباق

ويكون أعناقاً وأعينا ... فيه وملء عيونها الشمم

عود إلى أبيات الجارم بك

حدثنا الأستاذ محمود مصطفى قال: إنني وإن حملت على الجارم بك في شرحه لكتاب البخلاء فلا أنكر فضله في الشعر فقد حدد به مفاخر العرب وسمى بأكرم وصف أعادهم، ومثل لنا بعض أروع المفاخر العربية عشق العرب بالخيل التي تمت إلى الأمم الغابرة، وقد استحدث من أدوات الدماع فسيلحقا الخيول في النهاية إلى إيثار الخيل العتاق. وأنشد بيت أبي الطيب:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب

وحدثنا الشاعر جبريل ديرو قال: حدثنا المسيو موسوليني قال: ليس في يدي أن أثير الحرب! ولكنها إن كرت فسيكون المسئول عنها هو جوادي، فإن رؤية الخيل تغري إلى الرغبة في القتال وأنشد

صوت

وأميل بالصهال مهري جؤذل ... أآبق كما لا أبي الطراد ولا الطرد

علام انتظاري أيجم الخصي والصعد

وحتام حتى لا أعيد ولا أبدي

الشعر لجبريل ديرو وفيه لحن يضرب على نغمة الكرابور من صنعة الشاعر نفسه

(٠٠٠) عبد اللطيف النشار

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

ألا آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يضعه في مكانه بين قواد حركتنا القومية؟

للأستاذ محمود الخفيف

ولندع الآن ماليت يسير سيره الأثيم، ولندع كذلك الخديو في حيرته والوباء كله؟ ولننصرف إلى أوربا لننظر ماذا آل إليه موقف الدولتين من المسألة المصرية.

وجدير بنا ألا ننسى ما أسلفنا الإشارة إليه أكثر من مرة، ألا وهو موقف الدولتين إحداهما من الأخرى، موقف المراوغة والمناورة، ذلك الذي كان طابعه أول الأمر غمبتا وجرانفل

وقد تغير هذا الموقف تغيراً أساسياً من جهة فرنسا حينما حل دي فرسينيه في الحكم محل غمبتا؛ وذلك أن هذا الرجل قد انتهج في المسألة المصرية نهجاً جديداً ما لبث أن بينه لانجلترة حين ولي الحكم

وقد ألقيت إلى مسيو فرسينيه مقاليد الأحكام كما ذكرنا قبل أن يغضب البارودي غضبتها في مصر بنحو خمسة أيام، فكتب إلى الحكومة الإنجليزية أنه لا يميل إلى أي تدخل عسكري في مصر سواء أكان هذا التدخل من جانب إنجلترة وفرنسا مجتمعتين أم من جانب كل منهما على حدة، وأنه كذلك لا يرضى كل الرضى أن يمر أي تدخل من جانب الباب العالي.

ولعل جرانفل قد رأى في سياسة فرسينيه ما يسهل عليه الوصول إلى غرضه مع ما قد يبدو لأول وهلة من أنها تؤدي إلى عكس ذلك، وذلك لأنه يستطيع الآن أن يرغم دي فرسينيه بسياسته هذه على [illegible] هو الأسباب لتدخل حكومته بمفردها؛ ومن يعلم أن يجد من الحوادث تافهة كانت أم كبيرة ما يتخذ منه مبرراً لتدخله. ولكن إزاء الحوادث ما أيسر أن يختلقها خلقاً أعوانه في مصر، حتى إذا [illegible] الفرصة أهب من فرنسا وانقض على الفريسة وحده! ولماذا يدع الترك أن تتدخل في تلك الأثناء فلتستثمر إنجلترة [illegible] فرنسا الأسباب التي تملي أنه يتبع في تدخل الباب العالي. وإن إنجلترة لتتابع في الواقع أكثر مما تتابع فرنسا حتى لا تعود مصر إلى حوزة صاحبها الشرعي، فيضيع على إنجلترة كل آمالها؛ ولكنه يلقي ذلك على عاتق فرنسا فتزداد بابها عداء وتزداد في نفس الوقت قرباً من غايته

وكان غمبتا يشير كما بينا بالالتجاء إلى القوة بدلاً من الرجوع في مصر، وبعث جانب الدكتور السمركة؛ وكان من الواضح أن عموم الدولتين سياسة التدخل العسكري في مصر، ولكن جرانفل لم يشاركه في هذا الاقتراح مبيناً ما ينطوي عليه تنفيذه من أخطار. ولقد جاء كلام جرانفل هذا إلى غمبتا في رسالة وصلته قبل سقوط وزارته بيوم واحد. وجاء في خاتمة هذه الرسالة قوله: «إن حكومة جلالة الملكة ترى في أن الدولتين من كرها حساً في مصر وذلك بناء على الظروف القائمة والاعتبارات الدولية؛ وترى كذلك [illegible] أنه قد ينجم بعض المتاعب من دعوة عدة دول في مسألة حكومية [illegible] حكومة جلالة الملكة إلى الحكومة الفرنسية أن تنظر فيما إذا لم يكن الأمر في حاجة إلى الاتصال بالدول الأخرى كخير وسيلة لتناول حالة من الحالات يظهر أنها ذات مساس بالفرمانات السلطانية وعلاقات مصر الدولية».

ولم يكن جرانفل بالصريح موقفاً من التدخل العسكري في مصر، وإنما كان يود التخلص من مشاركة فرنسا لانجلترة في هذا، وقد كانت السياسة الإنجليزية تدور منذ حملة بونابرت على مداومة عود فرنسا في وادي النيل ثم الاستيلاء عليها في

أمكن ذلك دون مساعدة مني في سبيل الوصول إلى هذا الغرض.

واستفهم السير مرسيه الحكومة الإنجليزية عن أسباب تلك الاحتياطات التي أخذتها السير بعد موافقتها على المذكرة المشتركة، فكان الجواب أن الحكومة البريطانية تحتفظ لنفسها بتعيين نوع العمل إذا لم يكن من العمل بد وفي تقرير وجوب العمل أو عدم وجوبه على وجه العموم.

ثم أراد جرنفل أن يخفف من وقع هذا الكلام في نفس فرنسيه فذكر أنه ليس في مصر ما يدعو إلى القلق وأن الوزارة الحديثة تجهر برغبتها في المحافظة على معاهدات مصر الدولية؛ وإذا وقع ما يقتضي التدخل فإن الحكومة الإنجليزية تعمل على أساس تضامن أوربا مع وجوب اشتراك السلطان في كل خطوة وفي مقاومة يؤدي إليها هذا التدخل.

وفي ذلك الأثناء كان كلفن وماليت يحيكان دسائسهما في البلاد ويباعدان بين الخديو ووزرائه [illegible] ... [illegible] «الضرورة» التي تقضي بالعمل.

وكانت الحكومة الإنجليزية التي تقف من فرنسا ذلك الموقف الذي أشرنا إليه تفكر في ذلك الوقت في إعداد حملة على مصر، ففي الخامس عشر من شهر مارس أي بعد استلام البارودي أزمة الحكم بأسبوعين زار مستر بلنت السير جرنت ولسلي الذي سوف يكون قائد الحملة على مصر عما قريب، فدار بينهما الكلام على هذا المشروع. يقول مستر بلنت: «وبعد أن تكلمنا في فرنسا انتقلنا إلى موضوع مصر وإمكان مقاومة الوطنيين في حالة التدخل، وسألني رأيي في ذلك فقلت له: إنهم بالطبع سيقاتلون والقتال لن يقتصر على الجنود لأن الأهالي سينضمون إليهم وربما استمروا مرحاً أخرى بعد ذلك. وقد أبى أن يصدقني في قولي بأن الجنود ستقاتل، ولكني ثبت على رأيي وقلت له إنه إذا كان بأي يذهب لغزو مصر فعليه أن يأخذ معه على أقل تقدير ستين ألف جندي. وقد بالغت بلا شك في هذا التقدير لأني كنت أرمي إلى جعل هذه المهمة شاقة في نظرهم حتى لا تقدم عليها الحكومة إلا بعد تردد ومحاجة. وقد تطوع بالجهر بأنه قد يستغرق شهرين أو ثلاثة مدة الحملة نفسها على مصر والاحتلال. وقد أكد لي أنه ليس هنا من يريد التدخل وأن احتلال مصر سيكون مكروهاً عند الجنود، وأنه هو نفسه يكون آسفاً جداً إذا اضطر إلى الذهاب إلى مصر. ومن رأيه أنه يجب على المصريين أن يسرحوا جيشهم ويثقوا [illegible] أوربا [illegible] أجبته بأنه ليس من المستطاع في أن أنصح لهم بذلك وأن الأزمة التي تتوقف [illegible] على أن يصاحب [illegible]؛ وقلت له إنه ليس هناك شيء يدعى الشرف في الحروب، وإذا كانت المسألة مسألة حرب فلا يجب عليهم أن يثقوا بنا ولا بأي دولة أخرى».

ثم أخذ في الكلام عن الطرق الحربية المؤدية إلى القاهرة فذكر ونادرت وطريقه على الشط الأيسر بين فرع النيل وطريق الصحراء بين قناة السويس والدلتا حتى صرح بأنه قد درست الجيوش مشكلة هذه الطرق، ولكني احترست من أن أعطيه أي معلومات فيها أثر فائدة، وكتمت بالضحك عندما سألني عما إذا كنت أرضى لأخذه عن الطريق عندما تصل الحملة.

وبينما كانت الدسائس تدور بمصر في الداخل والخارج على هذا النحو لم يكن للوزارة المصرية من وسائل الدفاع شيء ما؛ فكان أعداؤها يقولون عنها ما شاءوا وما شاءت لهم مطامعهم حتى لقد صور عرابي زعيم الحركة الوطنية صوراً تمثل أقصى حدود الغرابة، فهو تارة وقح مغامر من المغامرين الخوارج على القانون والنظام، وهو طوراً داعية إسماعيل اشتراه بالمال ليعمل على إعادته إلى مصر، وهو بالإضافة عند بعض الإنجليز فرنسي أو أسباني في زي مصري، إلى غير ذلك من الأقاويل التي لا تدري أحقها بالأم أم السخرية.

وانطلقت الصحف تذيع في الناس الأكاذيب في غير حياء أو فتور وليس لمصر لسان يدافع عنها إلا لسان مستر بلنت فقد سعى هذا الرجل ما تيسر ليقابل كل من لهم صلة بالمسألة المصرية ويريهم وجه الحق في هذه القضية وليصحح ما جاء على ألسنة الساسة من خطأ.

ولقد قابل مستر بلنت جماعة من النواب ومن رجال السياسة وما زال يسعى حتى ظفر بمقابلة جرانفل فتحدث إليه بما لديه من المعلومات ودافع عن قضية الأحرار في مصر بكل ما وسعه من وسائل الإقناع. ولكن عظيماً كانت دهشته عندما نطق جرانفل حسبه يجب أن لديه من المعلومات الأكيدة ما يؤيد أن عرابياً ما هو إلا صنيعة إسماعيل وأن المسألة من أولها إلى آخرها ما هي إلا سلسلة من الدسائس لإرجاع الخديو السابق إلى عرشه.

وعول بلنت بعد ذلك على مقابلة جلادستون وقد كانت شهرته قائمة على أساس ميله إلى الحرية، والأخذ بيد الشعوب حتى يتخلصوا من مستعبديهم، هذا ما جعل بلنت يتجه إليه أملاً يتحدث في

الحركة الوطنية في مصر في طلاقة وحماسة، وظل غلادستون صامتاً ينصت إليه كأنه مقبل عليه مؤمن بما يقول مصدق ما يقول. يقول مستر بلنت : « ثم سألني عن موقف ماليت والسير ... في شعوره في المسائل الوطنية ؟ فإنه توجس من هذا الظهور فأوضحت له تاريخ الحركة وأكدت له أن ما قيل من تدخل ... عن ولع فيه ، وأن تلك الرواية القائلة بأن ... كانوا يتوعدون الترك و... من الروايات المختلقة وقلت له إن الاستعدادات الحربية الحاضرة ليس لها من غرض سوى الخوف من الاعتداء والتدخل »

ولكن ماذا كان ينتظره بلنت من جرانفل وغلادستون ، ولم تكن المسألة مسألة إقناع وحجة ؟ لقد كان يأمل بلنت ولم تكن المسألة ما يجب أن يعمل ، وإنما كانت حتى بعد ما ... عليه؟

وإني لأحس من قراءة ما كتبه بلنت عن مقابلته لجرانفل وغلادستون أنهما كانا ينظران إليه نظرتهما إلى من لا يعلم ما يجب أن يسير عليه الإنجليزي في معاملة الشعوب الشرقية أو إلى فتى في السياسة لا يدري أن الكلام شيء والخطط المرسومة شيء آخر . وقد علق كرومر في كتابه على مساعي مستر بلنت فقال : « ومن هؤلاء الذين عطفوا على القضية ... أبرزهم هو مستر ولفرد بلنت ولقد عاش مستر بلنت زمناً بين المصريين وكان له لذة شخصية في كل شيء يتصل بهم وبحياتهم ؛ ويظهر أنه كان يعتقد في إمكان إحياء الإسلام على أساس ... وقد صادف أن كان في مصر في شتاء عام ١٨٨١ — ٨٢ ؛ فألقى نفسه بكل ما تبيحه الطبيعة الشاعرية من حماسة في جانب القضية العرابية وأصبح مرشدها وفيلسوفها كما أصبح الصديق لعرابي وأتباعه ؛ ورأى مستر بلنت أنه كان يرى بحركة هي إلى حد معين حركة قومية بلا نزاع ؛ وفشل في أن يفهم فهماً كافياً ... وهي أن سيادة الحزب العسكري كان بها القضاء على العنصر القومي في الحركة ؛ وكان في وقت ما يعمل وسيطاً بين المستر ... وبين مالت والقوميين

ولكن هذا الاختيار لم يكن موفقاً ؛ لأنه يتبين بأجلى وضوح مما ذكره بلنت في كتابه من مساعيه أنه بينما هو يعرف اللغة العربية لم يكن على شيء من الحصافة اللازمة لتحصيل النجاح في مسألة لها ما لهذه المسألة من صعوبة ودقة . ولقد نصح القوميين أن يثقوا بالمستر جلادستون وإلا خالفهم أوربا ، وكان يعني النصيحة بلا ريب

ولكنها كانت في ... كما كانت ... خطر من هذه الفترة الأولى ... تنظيم الحزبين الوطني والعسكري أكثر مما كان في ... »

ولقد كان من السهل على السياسي المجرب أن يدرك هذا ، ولم يكن للمستر بلنت خبرة سياسية ذات قيمة ما وإنما كان رجلاً ... يحلم أحلاماً عن يوتوبيا عربية »

هذا هو رأي كرومر في بلنت . وليس عجيباً أن يكون هذا رأي كرومر وهو من أساطين الاستعمار في رجل كمستر بلنت كان بلا ريب من كبار الأحرار ؛ وإنما أوردت رأي كرومر هذا لأنه يكشف عن جانب من أساليب المستعمرين الإنجليز في محاولة طمس الحقائق في سبيل الوصول إلى ما يطمعون فيه من أغراض، وهو من ناحية أخرى يبين عما كان يمكن أن يقابل به مسعى رجل مثل مستر بلنت في موضع ... بأن تلك الأزمة التي نحن بصددها - أزمة مقاومة ... الوطنية في مصر

ولم يكن ينتظر أن يصيب بلنت غير الفشل ، ولقد رأيت دورة جلادستون في مسلك الحوادث، ... من فرنسا و... في وضع يدها على مصر حتى تتخلص من الوضع الحرج الذي وضعها فيه مسلك فرنسيه ... على أن هذا الغرور قد ذهب في غضب المسؤول على مصر إلى حد أنه كتب إلى قنصل فرنسا في القاهرة يأمره أن « يلتزم خطة التحفظ والحذر ، وإن كان ذلك لا يمنعه من أن يحس ... بكل حكومة في مصر تحترم الاتفاقات الدولية وتحافظ على النظام »

ولقد زاد فرنسيه على هذا أن استدعى السير ... العسكري ... لما كان يعلم من مسلكه نحو الحركة الوطنية في مصر ؛ واستبدله ... ومالت ... ويتحملان الحوادث في صبر وأناة ولا استحياء.

وبعد شهرين من هذا وقع في القاهرة حادث المؤامرة الشركسية، ... أن يصور لنفسه أية فرصة كانت تلك الفرصة التي أتيحت للسياسة الإنجليزية وعلى أي صورة راحت تستغلها لصالح دولتها دون أي وازع من ضمير أو قانون أو عرف . ولننظر بعد ذلك ماذا كان من أمرها وأمر الخديو في هذا الحادث العادي الذي لولا أطماع السياسة وتربص القوي بالضعيف جرياً على سنة تنازع البقاء في هذا الوجود ما كان ليعتبر شيئاً مما أثير من قلاقل خطيرة ، أو ليلد ما ولد من أحداث جسيمة

(يتبع) الخفيف

نقل الأديب

محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧١ — المرأة

(الحكم الرومانية): سئل الفيلسوف سيكوندس الصامت عن المرأة فقال: هم الرجل، شرٌّ لا يوصف، سبع مباشر، لبوة في شعرك، أفعى مستورة بالثياب، حربٌ لا تهدأ، رائحة تنبهك، حزن دائم، هلاك الضعيف، آلة الفحشاء، غول البهيمة، آلة بقاء الصورة.

٤٧٢ — هذا الصبر

حضر الفقيه الشاعر ابن أبي الصقر الواسطي عرسه بعد ضعف، وهو يرتعش من الكبر، فقال له بعض الحاضرين: كيف حالك؟ الصبر وبقي هذا الشيخ في هذه السن! فقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب عرسه وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ رزق الصبر وخاف الكبير[1]
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك: هذا الصبرْ

٤٧٣ — المعز المكرم

ضحى الخطيب: قال القاضي محمد القرشي المقري: حكى لي القاسم ابن محمد الحجي مدرس دمشق ومفتيها أنه قال له شيخ صالح رابط الخليل (عليه السلام): نزل بي مرض فرض حتى طال علي أمره فدعوت الله أن يفرج عني ويقبضه بموت أو عافية. فرأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام فقال: أعجبه المكركون ما لا يعرفه هكذا بالنون — فسمعته في تكأتها حدث له به

(١) رق لقة الصبر وكل إنسان هذا الحرف — بكسر الفاء — والإسكان للحرف (أصلها). قال ابن الجوزي: حكى إسحق بن إبراهيم قال: حضرت جنازة لبعض الجند فقال رجل منهم من الحرف (بكسر الفاء). قلت: الله! أشربت حتى كدت أموت وفي (الكشاف): والذين يحرمون شكراً ويعرفون أزواجاً. أي يحرمون (بفتح الياء) أي يستعدون آجالهم، وفي قراءة علي رضي الله عنه (قلت) من ذلك يقال: فلان الحرف بكسر الفاء.

الشعاء. وكان أبو القاسم يقول فيه كلاماً، ويعالج الناس في حصب اللتوب من هذا الاسم، ويقول: لا أعلم من لزوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووجه هذا من الطبيعي فرضها، الطعام في بيتان القارة وبشهوته على كثرة استعمالهم، وقد فرضها سبب سهو، أو رده إلى عده.

٤٧٤ — بين عاشق الأدب ومليح قطني

— ما آن أن ترحم قلبك[1] ؟!

— لا.

— حتى متى يصب في بابك؟

— إلى آخر العمر

لا أسعم الله فؤادي الهوى[2] !

أمين

— يوماً ولا حرية عليك!

— قد عشق الله منك

إن كان رق قد مس الحس،

ماذا يكون؟

— وشدة الحب فما ذنبك؟

— مثل عشقك

٤٧٥ — صدقك والله أحب إلي

(الأغاني): قال الرشيد يوماً لأبي حفص عمر الشطرنجي: يا حفص، لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما. قلت: ما هما يا سيدي؟ وفيمن شرحتهما أستحسنتك لي، فقال: قولك:

لم أنل ما شئت من يوح بعده إلا حسنك ذاك الهيرة
حسداً عليك وأني بك وأني ألا يقال سوى منك حبيبه

فقلت: يا أمير المؤمنين، لهما في عباس بن الأحنف، فقال: صدقك (والله) أحب إلي.

* * *

محمد بن داهم البرمكي: رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعر ورأيت منه إنساناً بلبيك محصوره من كل جانب، ونسيك عالمه في هموم المصائب، قربه عرس، وحديثه أنس، عنده

(١) حذفت همزة الاستفهام في الفصل حذف الهمزة إذا دل عليها دليل، في الشي الأخفش يجيز ذلك في الاختيار عند أمن اللبس

(٢) أسعم يداه: أقعده إياه

لب ، ونسب جيد ، ودين ماجد ، إن لمسته على ظاهره نبعت موموقاً لا تمله ، وإن سبته استحسن حبوته ، وقعت على صبوة لا تطور[1] الغوائش عنانها ، وكان ما حدث أقل ما به الشعر

٤٧٦ — أقصر آية من القرآن

(مفاتيح الغيب) : روى أن عمر بن حسام كان يقرأ كتاب المجسطي[2] على عمر الأبهري، فقال بعض الفقهاء يوماً: ما الذي تقرأونه ؟ فقال : أفسر آية من القرآن ، وهي قوله تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) فأنا أفسر كيفية بنائها ولقد صدق الأبهري فيما قال ، فإن كل من كان أكثر توغلاً في عجائب مخلوقات الله كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته

٤٧٧ — النبع يقرع بعضه بعضا

(مجمع الأمثال) : ومنه المثل (النبع[1] يقرع بعضه بعضا) يروى لزياد ، قاله في نفسه وفي معاوية ؛ وذلك أن زياداً كان على البصرة ، وكان المغيرة بن شعبة على الكوفة ، فتوفي بها فخاف زياد أن يولي مكانه عبد الله بن عامر ، وكان زياد لذلك كارهاً فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة ويشير عليه بتولية الضحاك ابن قيس مكانه ، ففطن له معاوية فكتب إليه : (قد فهمت كتابك فليفرخ روعك[2] أبا المغيرة ، لسنا نستعمل ابن عامر على الكوفة وقد ضممناها إليك مع البصرة)

فلما ورد على زياد كتابه قال (النبع يقرع بعضه بعضا) فذهبت كلمته مثلاً يضرب للمتكافئين في النجدة والمكر

---

(1) تطور : لا تطيركما في النسخة المطبوعة ، وفي الصحاح : لا أطوره ، أي لا أقربه ، ولا تطر حراه أي لا تقرب ما حوله ، وفي الأساس : لا تطر حراها لا تقرب ساحتنا ، وأنا لا أطور بفلان لا أحوم حوله ولا أدنو منه

(2) المجسطي (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء) أعرف ما صنف في الهيئة بين الأمم ، وهو كتاب لبطليموس ذكر فيه الوجوه التي توصل بها إلى تحقيق الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلة التفصيل وعربه حنين ابن إسحق (كشف الظنون)

(1) النبع من شجر الجبل وهو من أكرم العيدان

(2) أفرخ الروع — بفتح الراء — ذهب الفزع (الصحاح) أفرخ روعك — بالضم — أي خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ

١ ـ لحن الذكرى

[illegible] أحبة [illegible]
[illegible] الذكريات [illegible]

للأستاذ صالح علي الحامد العلوي

ذلك [illegible] ... ولا على حجر !
[illegible] إلا [illegible] ... [illegible] الشوق وأحلام الذكر
كلما [illegible] ... [illegible] فانتثر !
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الشعر [illegible]
[illegible] الوجدان [illegible] ... [illegible] يتحرك الخطر !

* * *

يا لها [illegible] ... الهوى [illegible] !
[illegible] ... ذكريات [illegible] بين الفكر
[illegible] ... [illegible] الدمع [illegible] !
[illegible] ... من [illegible]
[illegible] ... [illegible] القدر
[illegible] ... [illegible] !
كم [illegible] أثار [illegible] ! ... ومننا منه [illegible] الخطر !

* * *

[illegible] الصوت [illegible] ... كم [illegible] !
[illegible] ... [illegible] الحب [illegible]
[illegible] ... [illegible] المعاني والصور
[illegible] ... [illegible] !

* * *

[illegible] ... [illegible] الطير [illegible]
[illegible] القلب لا [illegible] ... [illegible] حلالاً والبصر

٢ ـ الأوبة

[illegible] الصبا ! [illegible] أزمانا
[illegible] ما بك الآن
[illegible] على [illegible] ... [illegible] ولا [illegible]

لا [illegible] شيء
[illegible] ثم [illegible]

[illegible] الصبا [illegible] ... [illegible]
ولا [illegible] ولا ... [illegible] الوادي [illegible]
[illegible] ... إلا [illegible]
ولا [illegible] ... إلا [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] القلب حول [illegible]
مثل الفراش [illegible] !
[illegible] كؤوس الحب [illegible]
[illegible]
في [illegible] الطهر [illegible]
من الهوى والصبا [illegible]
[illegible] الأنس [illegible] ... ولا [illegible] الأمس [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] على الأغصان [illegible]
[illegible] في [illegible] !
[illegible]
[illegible] كما كانا !

* * *

والآن [illegible]
[illegible] !
[illegible] ... إلا [illegible]
[illegible] ذكرى [illegible]
[illegible] الأنزاح [illegible]
[illegible] إلا [illegible] ... [illegible]
[illegible] الأهل [illegible] من [illegible]
[illegible] أهلاً وإخوانا
[illegible] ... [illegible] !

([illegible]) صالح بن علي الحامد العلوي

وداع الحمراء

من ديوان « رجيع الصدى » .

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

وقف أبو عبد الله آخر ملوك العرب في الأندلس على التلة التي أطلق عليها الإسبان (زفرة العربي) يودع غرناطة وهي تتوارى عن عينيه ، وألقى النظرة الأخيرة على قصر الحمراء مغرورقة بالدمع مخنوقة بالشهقات ، وقد ودع بهذه النظرة نفسه وعصره اللامعة بعد العز الشامخ والجد [illegible] للمجد وكأن عبرته تتفجر في أعماقها عبر الأجيال !

وداعاً جنتي ودوار قدسي ... ومظهر عزتي وجلال أمسي
لقد طمس الأعادي على حقي ... فقد ثلت بين مهمتي ويأسي
وأسلمني ليتهم إلى شقاء ... يعود مخلفاً من نسيم نفسي
وما أنا غير مخلوق [illegible] ... عليه كواكب الدنيا بنحس
سبت عرائس الحب أماني ... وضرب في مواكبي تمشي
وشهوى كل آمالي طغاماً ... تمر إلى الفناء [illegible] نفسي
وصرت في دموعي وكربي ... تموت كأنها حلبات كأس
وأعتصر الفؤاد عليك حزناً ... فلا أجد العزاء ولا التأسي
دفنت بك المظالم [illegible] ... وملت أحط في الآلام رمسي
وما أنا غير آدم هام شكي ... على فردوسه في جاهر بؤس
لقد [illegible] أعتاب [illegible] ... وهب أنا المغني [illegible]

حسن كامل الصيرفي

حيرة

للأستاذ فريد عين شوكة

ساحرة وتساء [illegible] ... ولا أملو [illegible]
حبيب ، كل أمسي [illegible] ... فلسي [illegible]
وسح إليه بالشكوى ... من [illegible] وحره
تبسم ضاحكاً ! وعد ... من الشاكي وشكواه !

* * *

ساحرة ! وهل أقوى ... على سحر وصدوه ؟
وهل يرقع في قلب ... [illegible] السحر [illegible]
وهل ترقع في حيب ... [illegible] [illegible] !
وكيف أطيق أن [illegible] ... من دنياي [illegible]
ويلقاني [illegible] !! ... ويحرمني [illegible] !
كأن [illegible] له كانا ... حي آدم وأمرة

* * *

أحلف عليك يا قلبي ... حقيقتك حبيب [illegible]
أحلف عليك أن تسعى ... إليه قبل [illegible] !
[illegible] الصمت في [illegible] ... أسيراً من أسراره
وكم [illegible] لنا ... [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible] مختصراً ... قربت ! وصحيح [illegible]

فريد عين شوكة

دم عجيب

للأستاذ محمد العلائي

ما هذا الجرح يا طبيب [illegible] ... أن تهيج العين من [illegible]
والمس الجرح يا طبيب [illegible] ... فتم الجرح [illegible] تحت [illegible]
من دم الجرح يا طبيب وأحمد ... من عيون [illegible] لون [illegible]
واحتمد يا طبيب [illegible] ... أن يمس [illegible] بعد [illegible]
حبك الجرح يا طبيب [illegible] ... حمل [illegible] في سبيل [illegible]
[illegible] يا طبيب من [illegible] ... عند الظلم في [illegible] أربابه
أرسل السهم [illegible] ... فأصاب [illegible] في [illegible]

محمد العلائي

طفل

[من ديوان « [illegible] » تحت الطبع]

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

تبارك الذي خلق ... من مسه ومن خلق
سبحانه مصوراً ... من حمأة الطين خلق !
من الحموات السود وسل ... من الحيل القلق
واستخرج الإنسان من ... [illegible] وطلق
[illegible] من [illegible] ... سر البيان فنطق

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

دراسات في الفن

الفن علامة الإنسانية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

[illegible] حاول جود [illegible] المتنبي إلى النبات يتألم ويئن وأثبت ذلك. وأحسب الظن أن حاول جود لو لم يكن [illegible] لكثر عليه أن يحس الألم والتعبير عنه بالأنين إلى النبات، ولا كتفى بقوله إنه تبدو فيه اهتزازات واضطرابات تشبه انفعالات الألم عند الإنسان. هذا هو منهج التفكير عند العلماء الذين يصدون

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحياة [illegible] يؤثرون أن ينكروها أولاً ثم لن يعترفوا بها ثانياً على خلاف ما يفعل الشعراء الذين يشعرون بها أولاً ثم يعترفون بها ثانياً مادامت نفوسهم غير منتهية إلى شيء، لأنهم يأنسون [illegible] ويحبون بطبعهم أن ينسبوها إلى الأحياء جميعاً ولا يسمحون لأنفسهم أن يقرروا ما قاله بعض علماء النفس من أن الحيوان عنده [illegible] وأن كل ما يبدو عليه من أعراض الوجدان والعاطفة ليس إلا ردود أفعال لاهتزازات عصبية [illegible] تعتري الحيوان في ظروف خاصة [illegible] وهم يذهبون في تنكرهم هذا إلى أبعد الحدود حتى لينكرون هذا الفرح الذي يعتري الكلب في استقبال صاحبه الغائب، وهذا الحزن الذي يعتريه لفقد صاحبه [illegible] والذي يحمله على الإضراب عن الطعام والشراب حتى يموت موتاً. ينكرون الصفة الروحية على الحيوان ويقولون إنه لا يفرح للقاء صاحبه وإنما هو يضطرب لأن مرأى صاحبه يثير في نفسه أو في أعصابه صور الطعام والنعم التي يحصل عليها، ثم يقفون أمام الكلب المنتحر من الحزن والأسى، وقد طأطأوا رؤوسهم ينكرون في هذه الفترة التي [illegible] حيوان من أخص خصائص [illegible] الطعام والشراب وحياة [illegible] يقصدون الروح [illegible] الكلب طويلاً يبحثون في أدمغتهم عن علة صيامه! فإذا قال لهم قائل إن الحزن والأسى هما السبب اقتصروا وقالوا: لا. نحن لا نعرف. ولكننا نأبى أن ينكر على الحيوان روح وحياة. أما بقية الناس فمنهم من لا يرون في فرح الكلب وحزنه إلا اضطرابات واهتزازات وانفعالات وردود أفعال عصبية مادية لا روح فيها ولا حياة، وهؤلاء يسيرون أن يصدقوا هؤلاء العلماء لأنهم مثلهم، وأن يقفوا معهم أمام الكلب ينكرون عليه فرحه وحزنه إلا أن يعود

لهم بلغة من اللغات الأوربية ... إلى فرح وإلى حزن ... ومن الناس من يحسون ويشعرون ويبدون سمات الشهقات والزفرات، وأولئك كتبوا من صميم أنفسهم أن في الحيوان روحاً وحياة، وهم يسلمون إلى جاجدبز بعد بصدقه حين يقول: إن النبات يتألم وينفعل ويحس ويبكي ويطلق شهيقاً ويخرجون من هذا بأن الحيوان أرقى من النبات.

ورضى الله عن جاجدبز بوز الذي استطاع أن يثبت رأيه إثباتاً علمياً استخدم فيه آلات الضغط وأجهزتها وأسلاكها فلم يبق هناك مجال لإنكار ما أثبته بل لقد عد سبقه هذا من كرامات البشرية الحديثة ... التي يحرزها ... الشرقيين

أثبت الشرقي إذن أن النبات يتألم وأنه يئن من الألم، وقد يكون الألم علامة الروح الوحيدة في النبات وقد يكون ... ولكنه على أي حال يكفي للتدليل على الروح، فهو يستطيع أن يشعها وهو الذي يترجم بها إلى الملامس، وهو ... أيضاً ... حسنا من علامات الروح في النبات

فإذا ارتفعنا من النبات إلى الحيوان في سلسلة التطور والارتقاء الحيويين رأينا الحيوان يمتاز على النبات في الظاهر بالحركة، ورأينا الحيوان في حركته واحداً من اثنين: إما حيواناً يتحرك في حياته حركات متشابهة متكررة لا تصرف فيها ولا تجديد ولا محاولة تدل على قدرة التلاؤم مع بيئته، وإما ربما يتحرك في حياته حركات مختلفة يطرأ عليها التعديل كلما تغيرت الأحوال، ويطرأ عليه التجديد كلما استحدثت الظروف الجديدة، وتتعدد وتتزايد وتبرز المحاولة التي تدل بها على قدرة التلاؤم مع الحياة

أما حس الحيوان فقد يسهل تصوره محروماً من العقل إذا اعتبرنا أن العقل هو القوة التي تمكن الكائن الحي من التلاؤم بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة المتجددة، ولكن هذا إذا سهل علينا تصوره، فإنه يتعسر علينا (بعد الذي أثبته جاجدبز بوز) أن نتصوره خالياً من القوة الروحية التي يجود بها في نفسه ... الألم على الأقل. فإذا كنا ممن يؤمنون بالتطور والارتقاء الروحيين إلى جانب التطور والارتقاء البدنيين، فإنه من غير شك نزعم أن يكون في أدنى الحيوان من علامات الروح شيء إلى جانب الألم، لأنه قد ثبت أن النبات يتألم، والحيوان مهما كان

دنيئاً فهو أرقى حياة وروحاً من النبات، إذ إنه كلما ارتقى الكائن الحي ارتقت روحه وزاد إحساسها وزادت قدرتها على التعبير عن نفسها

أما الرفيع من الحيوان الذي تتضح مقدرته على التلاؤم مع ظروف الحياة الطارئة المتجددة، فهذا يصعب تصوره محروماً من العقل لأن فيه من مظاهر العقل

صحيح أننا نرى في سلوك الحيوان ما يدل على الغباء أحياناً وما يدل على الغفلة وما يدل على الحمق، ولكننا إذا قدرنا هذه المواقف التي يظهر فيها غباء الحيوان وغفلته وحمقه رأينا أكثرها مما تصطنعه ظروف غير طبيعية في الحياة. ولما كان الحيوان حيواناً وليس أستاذاً من أساتذة العلم الحديث فإنه المسكين يحار ويخبل أمام هذه الظروف الطارئة التي لم يسبق لأجداده الوقوع في مثلها وتجربتها ومعالجتها سبقاً متكرراً كان يمكن أن يهيئه للتغلب عليها، وهو في هذا لا ... يشبه أساتذة العلم حين يقفون أمام المشكلات الجديدة المستعصية: أليسوا هم أنفسهم يحارون ويتخبطون؟ ألا يصدر عنهم من الأعمال ما يدل على الغباء والغفلة والحمق كما يصدر عن الحيوان أعمال تدل على ذلك؟ إنهم كذلك من غير شك ولكن في الحيوان عقلاً ولو ضئيلاً أمام عقل الإنسان وواضح أنه موجود لا يمكن إنكاره

فإذا اعترفنا للحيوان الراقي بوجود العقل، أو بوجود العقل فيه، فإننا لا نملك ... إلا أن نعترف له إلى جانب هذا بوجود الإحساس والعواطف فيه أيضاً، وقد نستغني عن هذا ... جاجدبز ... إذا كنا ممن يرون ويبصرون ويحسون ويدركون الأشياء من غير أجهزة ومقاييس وموازين. فإن لم نكن من هؤلاء فقد قال جاجدبز بوز العالم من الهند إن النبات يتألم ويئن، وأثبت هذا إثباتاً يقنع عقل الغرب كما يرضي عقل الشرق، وأصبح من المكابرة بعد هذا أن ننكر الأحاسيس والعواطف على الحيوان، خصوصاً الحيوان الراقي الذي يسلك في حياته سلوكاً يشبه سلوك الإنسان فيبحث عن طعامه بحثاً منظماً، ويتقي عدوه اتقاء منظماً، ويبني مسكنه بهندسة منظمة بل إنه يفكر أحياناً ويتحايل ويحتال، مما يدل دلالة قاطعة على أنه حي يقظ يحاول أن يلائم بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة

فيصح أحياناً ، ويمثل أحياناً ، ولكنه لا يكف عن الحركة ما دام حياً .

فإذا تركنا حياة النبات والحيوان وقد تراءت لنا الروح فيها وعرجنا على حياة الإنسان رأيناها أفسح من حياتيهما في نواحيها الثلاث : النبات يحس ويعبر عن إحساسه ، والحيوان يحس يعقل ويعبر عن إحساسه وعقله ، والإنسان يحس ويعقل ويعبر عن إحساسه وعقله .

فهل يزيد الإنسان على الحيوان في شيء ؟

لا جدال في ذلك ولا حيرة أمام هذا ! ولا يرضى به شرف قد كان من الممكن أن يقال هذا لو نظرنا إلى الإنسان حلقة مدرجة في أرقى الحلقات في سلسلة التطور والارتقاء في الخلائق وما دمنا قد قلنا هذا ، وما دمنا رأينا التطور والارتقاء الماديين لازمهما تطور وارتقاء روحيان ، فلا بد أن يكون في الإنسان ميزة روحية ترقى به عن الحيوان إلى حسب رقيه المادي الذي

فما هي هذه الميزة الروحية ؟

لنعد مرة أخرى إلى النبات والحيوان نتتبع فيهما منحنى التطور والارتقاء لنهتدي به إلى ما نريد أن نعرفه من علامة الإنسانية التي لو فقدها الإنسان لم يكن غير حيوان ، وإن نطق . فالنطق على أشرف صورتيه إلا عبارة حسية . أما الصورة الأخرى فهي التي نعرفها من الببغاء التي أنطقها الله لأمر ما ، والتي لعله سبحانه أراد حين أنطقها أن يدرك المتبصرون شيئاً من تشابه الخلائق ، ونوعاً من التوحيد ينطق بها جميعاً ، وإن تفاوتت وتعددت وتطورت وارتقت .

النبات يرتقي حتى يشبه الحيوان في حلقة الإسفنج ، والحيوان يرتقي حتى يشبه الإنسان في القرد أو ما هو أرقى خلقاً من القرد وهو الحلقة المفقودة التي ذكرها العلماء . وقد رأينا الإحساس يبدأ في الحياة أولاً ومعه تعبير صامت عنه ، ثم يرقى العقل بعد ذلك في الحيوانات العالية ومعه تعبير ناقص عنه لم يقترب من النطق ، وهكذا حين أن نترك حلقة الحيوان إلى حلقة الإنسان نرى الحيوان يعبر عن إحساسه تعبيراً يدل على ذاته ، وهو أشبه التعبير بالغناء البشري . فإذا تركنا حلقة الحيوان ومضينا إلى ما بعدها في سلسلة التطور والارتقاء وهي حلقة الإنسان رأينا هذا التعبير الذي حاوله الحيوان في الغناء يصبح عند الإنسان ويتدرج حتى يصير له الإنسان الأرقى مواهب حيناً تجمع الموسيقى بها ويفتن فيها ، ثم يصدر معه أعلى ذاته كما يفعل البلبل والكروان ولكن في صور أكثر من صورهما ، ثم يصير بعد ذلك على نحو لا يصل إليه أحد من الطيور ، لا البلبل ولا الكروان .

ونحن إذا حاولنا أن نجد فرقاً ظاهراً يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات في هذه الظاهرة لم نجد فرقاً ؛ ذلك أنه إذا حسبنا النطق يميز الإنسان فالببغاء ناطقة ، وإذا حسبنا الحياة الاجتماعية تميز الإنسان فالنحل والنمل والقرد والوعل حيوانات اجتماعية ، وإذا حسبنا الإحساس يميز الإنسان فقد رأينا الحيوان بل والنبات يحس ، وإذا حسبنا العقل فالحيوان يعقل وإن أنكر ذلك . وهكذا فإننا نحتار في التفريق بين الحيوان والإنسان إلا بالتدين ! هذه الظاهرة التي سنحللها ، وظاهرة أخرى هي الفن . على أنه يمكن بسهولة تامة أن نتصور النبات والحيوان والجماد جميعاً متدينين جميعاً إذا اعتبرنا أن الدين هو الإسلام وهو سنن النظم الطبيعية التي تؤدي إلى السلامة ، وإذا علمنا أن الأديان لم تلزم الإنسان إلا بما أن يخرج عن سنن النظم الطبيعية التي كان يجب عليه أن ينهجها لتسلم حياته من الأمراض وأمراض البدن والروح ، لم يبق أمامنا من شيء يميز الإنسان على سائر الكائنات غير هذه الظاهرة التي ذكرناها .

فما هي هذه الظاهرة ؟

إنها الفن .

وهذه الظاهرة سلكت حين تسري في الإنسانية مسلك كل ظاهرة من ظواهر التطور والارتقاء . وقد رأينا ظواهر التطور والارتقاء تبدأ في الشيء من الخلائق على صورة يسيرة غامضة ، ثم تزدهر وتتضح وتتسع حتى تصير عمراً كاملاً واضحاً ملموساً فيكون هذا الخير طابعاً لهذا الفريق من الخلائق ويكون هذا الفريق أنضجها وأرقاها في هذه الناحية .

وكذلك الفن موجود في البشر جميعاً لأنهم حلقة الحيوانات التي اختصتها الطبيعة به وهيأتهم له . والدليل على ذلك أن الناس جميعاً يستجيبون للفن أو هم على الأقل يطربون للموسيقى وما كانوا ليطربوا إلا لأنها نغمة في الحيوان ما يشبه كالكروان

والجنس ، وما دام فيه ما يستجيب للضمير ، وهو ضرب من الموسيقى ، كالشمس . وليس غناء الكروان والبلبل واستجابة الشبان وطربه للصبر [illegible] الإنسان إلا تعبيراً عن [illegible] الحياة الخلاقة في الحيوان ، ومنتهاه تحقيقاً تاماً في الإنسان !

مع أن الناس ليسوا سواء في تكوينهم الفني ، وليس في هذا عجب لأن الناس ليسوا سواء في شيء من الأشياء ، ولأن طبيعة الحياة أن تتشابه في العموميات ، وأن تختلف في التفصيلات بحيث يقوى الأبصر أن هذه الخلائق لا تتشابه في شيء فيه آلاف ومئات الألوف وإنما هي وحدها بطريقة هي التي [illegible] أن يتكرر حين يتوحد سبحانه من خلق !

فإذا راق لنا أن نؤمن بها وأن نعتبر الفن علامة الإنسانية التي تسمو بها على الحيوانية والتي لا يمكن الإنسان أن يكون إنساناً إلا [illegible] بها [illegible] أن يكون أقرب الناس من الذين أنضجهم إنسانية . ولزم أيضاً أن نتوقع لهذه العلامة الإنسانية أن يتزايد وضوحها وتمكنها حتى يصبح العصر عصراً ، وعندئذ يصبح بشائر للعزة الجديدة التي يريد الله أن يطبع بها أعظم الخلق من حلقات التطور في الخلائق . ومن يدرى أي شيء سيكون هذا الطابع ، وأي مرة سيكون عنده [illegible]

[illegible] الذي [illegible] إلا عند العلم [illegible]

فإذا كان الأمر كذلك كان ما يسعد الفن هو ما يسعد البشرية ، وكانت كل عداوة [illegible] بها التضليل من شأن الفن عداوة موجهة ضد التطور البشري .

فهل سيمنح الإنسانية في حياتها الحالة سهماً مما يسعدها ويرقى بها ؟ أم هي قد انحرفت عن طريق الفن إلى طريق آخر لا يمكن إلا أن يحيد بها مهما كان صالحاً ومهما كان فيه من نواح بشرية غير ناحية الحس الروحي ؟

إن الإنسانية قد انحرفت إلى هذا الطريق منذ أمسكت بالحضارة والعلم المادي يتحسسان الأشياء

وإنه من الخير لها أن تعيش وأن تعود إلى حياة الحس الروحي تنتعش فيها النفس وتنتعش فيها الروح والعقل ، وعنده [illegible] أن تتبع سنته

محمد أحمد الغمراوي

عمل أفوجادرو ونجاح ماندلييف

للدكتور محمد محمود غالي

بساطة النسب الثابتة في التراكيب الجزيئية ـ كشف «جي لوساك» ـ [illegible] «أفوجادرو» [illegible] نظرية «أفوجادرو» [illegible] [illegible] «ماندلييف» [illegible] الكشف عن التراكيب الجديدة

كان لا بد لنا ونحن نذكر قصة العلوم والطفرة التي حدثت في العالم في المائة والخمسين سنة الأخيرة، تلك الطفرة التي لا يمكن أن يتكهن أحد بمدى ما ستنتهي إليه من التقدم، أن نورد تلك الخطوة الرئيسية للعالم الإنجليزي الكبير «دالتون» صاحب الفرض الذري، ذلك الفرض الذي مهد له العالم الفرنسي «بروست» الذي لاحظ وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها[1] ومن العدل قبل أن نطوي الذرى صورة مما أتاه العلماء من هذه الحالة المجيدة أن نذكر أن «دالتون» لم يستفد من ملاحظات «بروست» فحسب، بل أيضاً من تجارب فريق من العلماء، تجارب كان لها أثر كبير في تدعيم الفكرة الذرية عنده، ولا مشاحة في أن لتجارب مثل Wenzel وريشتر Richter التي لا ندخل في تفاصيلها، أثراً عند «دالتون» للوصول إلى الفكرة الذرية التي كان من المحال بدونها أن نشهد هذا العهد من التقدم العلمي، وأن نلحظ هذه النهضة الكبرى التي قامت عليها العلوم الكيميائية، فاتخذت في جوهرها وتفاصيلها طريقاً مختلفاً منذ «دالتون» عن الطريق الملتوي الذي اتخذه كيميائيو القرون الوسطى.

ومن اللائق أن نذكر الذرة مرة أخرى عندما نذكر التجربة التي سلف عنها أولو العلم الفرق بين المزيج المتجانس والاتحاد الكيميائي، ففي الأول تمتزج مادتان بأية نسبة بينهما، وفي الثاني تتحد مادتان بنسبة محددة، وقد تبين أنه عندما نريد الحصول على الماء من الأكسجين والهيدروجين لا بد من مراعاة نسبة بينهما معينة، فإنه لا تتحد إلا وزن معين من أحدهما مع وزن معين من الآخر. هذه الحوادث وأمثالها أدت بدالتون إلى كشف قانون النسب الثابتة الذي كان الأساس في النظرية الذرية، وفي التعرف على شخصية الذرة.

على أن أهم ما في قانون النسب الثابتة لدالتون هو أن هذه النسب بسيطة وواقعة بين الصحيح ١ و ٤ على أكثر تقدير بمعنى أن العناصر تتحد بنسب بسيطة واقعة بين ١ و ١ إلى ١ و ٤. ولا ريب أنه كان من حسن الحظ أن كان الاتحاد الكيميائي وفق نسب محدودة لا تتجاوز أربعة أمثال، إذ لو كانت هذه النسب مرتفعة بأن تتحد مواد بنسبة ١ إلى ٣٠٠ أو ١ إلى ١٠٠٠ لاختلط الأمر على دالتون، ولشق على هذا العالم أن يجد مجالاً لهذا النوع من الأبحاث الفكرية الذرية.

على أن النسب الرئيسية لم تكتسب إلا بعد مدة كبيرة عندما كشفت في التراكيب العضوية، ومن كانت الذرية قد دعمت وأصبحت من الحقائق العلمية المسطورة التي يتناقلها العلماء ويصعب في [illegible] التجريب.

* * *

لم يقف التقدم العلمي الخاص بالذرة عند اكتشاف «دالتون» (١٨٠٧) فقد كشف العالمان جي لوساك Gay-Lussac سنة ١٨٠٥ والسكندر دي هامبولت Alexandre de Humboldt

(١) راجع مقالنا برسالة العدد ٦٣٦ في [illegible] ص ١٣٦٢ ـ ١٣٢

أن هذه النسب البسيطة الموجودة عند اتحاد العناصر بعضها ببعض لا تخص الأوزان فحسب، بل إن ثمة نسباً ثابتة موجودة في التفاعلات بين أحجامها أيضاً حتى أن غازين مختلفين لا يتحدان فقط بنسب ثابتة في الوزن، بل بنسب ثابتة في الحجم — هذا القانون الذي لقي صادف حرجاً عنيفاً من جانب العالم دالتون ولكنه أدى إلى كشف حقيقة جديدة إذ قرر أفوجادرو أن في الأحجام المتساوية تحوي الغازات عدداً واحداً من الجزيئات، حقيقة أود أن يتأملها القارئ قليلاً ويتأمل بساطتها وعظمة ما تحمله في طياتها من أعجب ما عرفه من حقائق الكون

هذا الكشف حدد عدد الذرات المتحدة بعضها مع بعض، إذ عندما ذكر أن جرامين من الهيدروجين تتحد مع ١٦ جراماً من الأكسجين لتكون منهما الماء، أدرك برزليوس وغيره ودالتون وغيرهم أن ثمة عدداً معيناً من ذرات الهيدروجين اتحدت مع عدد معين من ذرات الأكسجين، ولكن هذه النسبة الثابتة في الأوزان لا تكشف عن تحديد عدد الذرات من الأكسجين مع ذرة واحدة من الهيدروجين أو اتحدت ذرة واحدة من الأكسجين مع ذرتين من الهيدروجين. ولكن عندما عرفنا ما كشفه أفوجادرو من أن في الحجم الواحد يوجد العدد ذاته من الجزيئات، وعندما عرفنا وزن حجمين متساويين من الغازين المتحدين، يمكننا أن نعرف أمراً مؤكداً اليوم وهو أن ذرتين اثنتين من الهيدروجين اتحدتا مع ذرة واحدة من الأوكسجين ليكونا ذرة من الماء. هذا التحديد الذي كان لجاي لوساك وأفوجادرو الفضل الأكبر فيه كان الخطوة الثانية بعد عمل دالتون العظيم. بعد ذلك حسب العلماء بدقة الوزن الذري لكل العناصر معتبرين وزن ذرة الهيدروجين كوحدة ونسبوا إليه ذرات العناصر الأخرى

هنا شرع الفن التجريبي وأبدع العلماء في تجاربهم بما رفع الكيمياء على حد قول برتشلو إلى مصاف العلوم الصحيحة، وبهذا التنوع في التجارب وما أحدثته الفروض من تقدم وما أحدثته الميكانيكية من تصحيح في معارفنا أمكن العلماء الوصول إلى معلومات محددة عن الذرات عجيبة في الدقة وعظيمة الدلالة، فهذه الذرات، هذه الشموس التي كشفوها في أشعتها يبلغ قطر الواحدة منها حوالي واحد على عشرة ملايين من المليمتر، ولكي نتصور ذلك يجب أن نتصور كرة من الصلب يبلغ قطرها ٢,٥ من السنتيمتر من تلك الكرات[1] التي يدور عليها محل البيرنج، والتي تكون بها في الشكل درجة عظيمة من الدقة، وعلى القارئ أن يتصور بعد ذلك أن النسبة بين حجم هذه الكرة الصغيرة من الصلب وبين حجم الذرة كالنسبة بين حجم الكرة الأرضية وحجم هذه الكرة من الصلب، وبعبارة أخرى إن الأرض وما عليها من قارات ومحيطات تكبر هذه الكرة الصغيرة بقدر ما تكبر هذه الكرة الذرة[2]

أما عن وزن الذرة فلو أخذنا الهيدروجين مثالاً لتصورنا المسألة علمنا أن وزن ذرة الهيدروجين حوالي [illegible] من الجرام أي واحد على مليون مليون مليون المليون من الجرام، وإذا علمنا أن وزن الأرض يبلغ تقريباً 6×10^{27} جراماً فإن النسبة بين وزن الكوكب العظيم إلى وزن الأرض أكبر بكثير من النسبة بين وزن ذرة الهيدروجين ووزن هذا الكوكب. ولهذا كان يعيش في هذه الأرض على سطح الكرة الأرضية حوالي ألفي مليون من

---

(١) يمكن الحصول على هذه الكرات صغيرة بدرجة عظيمة، حيث لا يبعد طول قطر الواحدة منها من جهة منها إلى أخرى بأكثر من ميكرون واحد وأحياناً بأكثر من نصف الميكرون (الميكرون $\frac{1}{1000}$ من المليمتر)

(٢) لعل القراء يرغبون أن يجروا العملية الحسابية التي تتضح منها هذه النسبة. حجم كرة نصف قطرها نق هو $\frac{4}{3} \times 3.14 \times نق^3$ حيث ٣,١٤ هو النسبة التقريبية. وعلى هذا فإن حجم كرة الصلب السابقة الذكر هو حوالي ٨,٢٢ سم³، وإذا لاحظنا أن قطر الأرض هو ١٣ ألف كيلو متر وقطر الذرة $\frac{1}{10}$ من المليون من المليمتر، نجد أن حجم الأرض 1.08×10^{27} سم³ وحجم الذرة $\frac{1}{10^{24}}$ سم³، فالنسبة بين حجم كرة الصلب المتقدمة وحجم الذرة كالنسبة بين حجم الأرض وحجم هذه الكرة وهي نسبة كبيرة تبلغ حوالي 1×10^{26} أي أربعين مرة مليون المليون المليون المليون

كيلو متر فإنه يوجد في ١ سم٣ من الهواء ٢٧ كوادريليون من الجزيئات أي ما يربو على ملايين المرات عدد ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان ، ومع ذلك فإن الفراغ الذي يوجد حولها يزيد بكثير عن الفراغ الذي يوجد حول إنسان في مسكنه ، فإن المسافة بين جزيئين متجاورين (في الحرارة والضغط العاديين) تساوي مائة مرة قدر قطر الجزيء ؛ وهنا يجوب الجزيء فيه بسرعة عجيبة تبلغ في الهيدروجين حوالي ١٫٧ كيلو متر في الثانية الواحدة أي أنها تقطع المسافة بين مصر والإسكندرية في دقيقتين في الوقت الذي يقطع فيه أسرع قطاراتنا الحديدية في ساعتين

هذه الأرقام صحيحة وليس الخيال هناك كل الطرق العديدة والمختلفة التي اتبعها العلماء وصلت إلى النتائج ذاتها بطرق مختلفة

هذا موجز ما نعرفه عن الذرة التي تتركب منها الجزيء في أنه هنا نستطيع بطرق الكيمياء أن نجزئ الأخير إلى ذرات ، فإننا لا نستطيع بهذه الطرق أن نجزئ الذرة إلى جسيمات أصغر منها ، ولم يتصور العلماء حتى عهد قريب إمكان العمليات العجيبة التي لا تمت للكيمياء في شيء والتي يمكن بها اليوم القيام بهذه العملية الأخيرة من تجزئ الذرة

من هنا حدد العلماء تعريف العنصر الكيميائي أنه مادة أولية لا يمكن بالطرق الكيميائية تقسيمها إلى عناصر أخرى ، ومن ثم اتضح أن معظم المواد التي نصادفها في الطبيعة هي مركبات كيميائية تتطلب عملية خاصة لتحليلها إلى عناصرها الأولى. فالماء وهو أكثر المواد شيوعاً على الأرض مركب من الأوكسجين والهيدروجين ، والهواء من الأوكسجين والأزوت ، وهكذا أصبحت فكرة القدماء الذين كانوا يقسمون الكون إلى ماء ونار وأرض وهواء ؛ وانتهى عصر الكيمياء القديمة وبدأ عهد جديد يرجعون فيه المواد مهما تعددت إلى عناصر معروفة ، حتى المواد العضوية المكونة للأحياء ترجع إلى مركبات كيميائية معروفة يغلب فيها عنصر الكربون حيث يتألف منه ، وكما ذكرنا(١)

صورة قريبة من العدم ... حالة تصعدها إلى أن ... كتاب هذا العنصر الأخير يتحد مع غيره من العناصر بما يجعل الجزيئات كثيرة الذرات كثيرة من الصعب إحصاؤها بالطرق العادية ، ويرجع هؤلاء أن هذا هو الفارق بين المادة الحية والمادة الجامدة للجماد، ويجعلنا من ناحيتنا أنه لا بد أن يكون ثمة أسباب أخرى عميقة تعمل فارقاً بين التوهين في التكوين

* * *

هذه المجموعة من العناصر الكيميائية المبتدئة بالهيدروجين والمنتهية بالأورانيوم ذلك العنصر المشع الذي ... على خواصه الإشعاعية ... في آخر القرن الماضي ، لا تكون مجموعة مبعثرة ، بل مجموعة تعمل نظاماً مستقراً . في سنة ١٨٦٠ بين الباحثان الروسي منديليف Mandelejeff والألماني لوثر ماير Lothar Mayer أن العناصر مرتبة وفق نظام دوري Systeme Periodique

والواقع أنك لو رتبت العناصر واحداً واحداً وتسمى عنصراً وعنصراً بالترتيب ... بين العناصر ... الذري ... العناصر ذات الوزن الثقيل ، فإن هناك حالة دورية Periodicité تظهر في تتابع خواصها الكيميائية ، حيث يحتل الهيدروجين أول مكان في هذه العناصر ويكون مجموعة بمفرده يليه غاز الهيليوم مكوناً طرف الدورة يتبعه الليثيوم ، والكربون والأزوت ، والأكسجين حتى غاز الفلور Fluor أما الهيليوم فهو غاز ليس له أي أثر كيميائي فهو غير فعال بينما الهيليوم خواص فلزية واضحة كما أنه فعال من الناحية الكيميائية ، أما العناصر الوسطى من هذه المجموعة فلها خواص بين الفلزية واللافلزية ، فإذا وصلنا إلى آخر المجموعة وجدناه يكون في الواقع عنصراً شديداً ؛ أما الدورة الثانية فهذا يبدأ النيون يليه الصوديوم كأول عنصر فلزي ذي أثر ويتلو هذا وذاك المغنسيوم ... كالألمنيوم والأخيرة يوم حتى السيليسيوم ويبدأ في هذه الحالة عند الكبريت والكلور حيث العناصر اللافلزية الشديدة . ونجد التتابع هذه في المجموعات التي تتلو ذلك بحيث تبدأ دائماً كل مجموعة بأجسام فلزية تتلوها أجسام بين الفلزية واللافلزية ثم أجسام لافلزية ، وقد كان

(١) راجع مقالين للرسالة ... العدد ٢٦٣ في ١٣/٧/١٩٣٩ ص ١٢٦٠ – ٦ والثقافة ... العدد ٢٩٥ في ٤/٧/١٩٣٩ ص ٣٦٩ – ٣٧١

الضروري جداً والدورات متطابقة للحد الذي تنبأ به «مندليف» بضرورة وجود عناصر أخرى في المجموعة الواحدة، عناصر لم تكن معروفة ولم يجدها العلماء في ذلك الوقت، عناصر أصر على وجودها في الكون «مندليف» لا لشيء سوى انسجام مجموعة معينة من المواد. وهذه العناصر وجدها الباحثون فيما بعد. ورأينا في تاريخ العلم المجيد «مندليف» يعلن مثلاً عن عنصر يجب وجوده بجانب السيليسيوم حيث يحدد هذا الباحث بدقة خواصه الكيميائية ووزنه الذري، وثمة منه في وجوده، يسميه «إكاسيليسيوم» ويكتشفه العلماء بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ويسمونه جرمانيوم عندما كشف «ونكلر» أثر الجرمانيوم على اللوح الفوتوغرافي.

ولعل العالم أن مائة سنة لم يكن الكشف عن الراديوم بعد ذلك أمراً محتوماً فقد كان عمل مندليف الكبير الذي كشفه عملاً غريباً مصيباً يذكرنا بعمل وليم هرشل William Herchel التجريبي عندما كشف في سنة ١٧٨١ الكوكب أورانوس وهو الكوكب السادس في البعد عن الشمس في مجموعتنا الشمسية، ولكن عندما كشف «مندليف» عنصراً جديداً كالجرمانيوم كان ذلك عملاً حسابياً يحتمه انسجام ضروري تراءى لهذا الباحث في قوانين الكون.

تذكرنا هذه الحوادث العلمية بعمل لفرييه Urbain. J. J. Leverrier العالم الفرنسي ومدير المرصد الذي عندما استأنف في سنة ١٨٤٦ دراسة الحركة غير المنتظمة وغير المفهومة لكوكب أورانوس للتقدم الفكر حتم وجود الكوكب نبتون الذي يعادل حجمه ٧٨ مرة قدر حجم الأرض، بل وتذكرنا هذه الحوادث بعمل «كلايد تومبوج Clyde Tombaugh» في سنة ١٩٣٠ عندما حتم وجود كوكب تاسع يدور في مجموعتنا الشمسية أسماه العلماء بلوتون. أذكر أن العالم الفلكي الذي حتم وجوده مات قبل أن يراه العلماء ببضعة شهور.

وهكذا كان «مندليف» يبحث في الأمان عن عناصر إذا ثابت هنا حتم وجودها وكان «لفرييه» يبحث في الكون عن كواكب إذا لم ير كوكباً حتم وجوده واستند كلاهما إلى انسجام القوانين الطبيعية، غير أنه أمام الدلائل [illegible] أن يكون الحساب عند «مندليف» و«لفرييه» [illegible] أن يكون الحساب عندهما صحيحاً، ولقد دلت الأيام أن الحساب صحيح وأن العناصر كانت موجودة منذ وجود الأرض وقبل ذلك وأن الكواكب الجديدة في معرفتنا كانت تدور في أفلاكها حول الشمس منذ ولدت النار التي تمسكها.

* * *

وهكذا مع دالتون وبروست وجاي لوساك وبرتلو [illegible] وأفوجادرو ومندليف ورذرفورد، كشف الإنسان طائفاً من القوة وكشف بذلك من بادئ الأمر عوالم [illegible] على كل ما [illegible]

ولكن كان لابد أن يكون لهذه الشموس سيارات وتوابع كالقمر تتبع الأرض وهذه والمريخ يتبعان الشمس. ويسرني أن أذكر مع القارئ أن مع ميكان الأمريكي، وفرمي الإيطالي، وجوليو الفرنسي كشف الإنسان أمر هذه التوابع ودخل القرة وعرف ما فيها.

[illegible]
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
[illegible]

من هنا ومن هناك

في إيران دكتاتور من نوع آخر

[عن « ذي [illegible] »]

من أهم ما نراه في الدكتاتورية أن الدكتاتور إنما يعد لا يخلفه من يملأ الفراغ الذي يتركه من بعده، ولكن إيران لا خوف على مستقبلها من هذه الناحية، فإن شعبها على ثقة دائماً بأن ولي عهده الذي تزوج أخيراً من شقيقة ملك مصر، سوف يكون خالفاً لوالده في الصلابة والحزم في حكم البلاد.

والأمير محمد رضا شاهبور في [illegible] من سنه، وهو أكبر أنجال الشاه الستة، وقد ورث عن أبيه قوة الجسم وسلامة البنية، وتدرب على الرياضة بأنواعها وعلى الأخص لعبة التنس وكرة القدم. ويعد في الطبقة الأولى في الرماية وركوب الخيل. وقد تلقى تعليمه بالكتاتيب — التي أخذت تنتشر في إيران بسرعة عجيبة — وفي المعاهد الخاصة التي قصدها للدراسة في سويسرا.

فإذا دعي إلى عرش الطاووس الذي أحرزه أبوه له بعد جهاد طويل، فسوف يجلس للحكم في القصر الذي كان والده في يوم من الأيام حارساً على أبوابه.

فقد كان الشاه رضا خان بهلوي منذ خمس وثلاثين سنة، جندياً بسيطاً في حرس الشاه السابق. وفي سنة ١٩٢١ زحف إلى طهران العاصمة، فوجد الناس يتقاتلون فيها على الخبز والفقر قد أنشب أظافره في كل شيء، بينما يعيش الشاه في باريس منذ عدة سنين، والحكومة على أبواب الإفلاس، والدين الأجنبي يزيد ويتضخم بسبب ما ينفقه الشاه من الأموال في عاصمة فرنسا.

لم يطق رضا خان صبراً على هذه الحال ووطد عزمه على تغييرها، وكان يقتبس كثيراً من الإصلاحات من مصطفى كمال أتاتورك. وفي سنة ١٩٢٥ كان قد أدخل كثيراً من الإصلاح في بلاده ونال الشعب الحكم الصالح. أما الشاه الذي ظل في باريس بين الملاهي فقد فقد احترامه بين الجمهور وعلى الأخص بعد أن ورد إلى طهران تلغراف من باريس يصف سلوكه في حفلة مع غادة وقد وضع يده وسط خصرها وحسر عن أصابعه من القفاز على مشهد رجل سواه. وقد بلل قميصه الشميز الذي تساقط من الكأس التي لم تقو يده على حملها لشدة السكر.

فعزم رضا خان على أن يزيل عهد الشاه كما أزال حكومته منذ أربع سنوات فأعلن خلعه وولى نفسه مكانه شاهاً لبلاد العجم.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن إيران الحديثة وهي مملكة مساحتها [illegible] ميل مربع وعدد سكانها عشرة ملايين كلها من صنع رجل واحد — هو الشاه.

فالشاه يشرف على كل شيء في إيران بنفسه وله فيه الكلمة التي لا ترد. وإن كان رضا خان لا يبت في أمر ذي بال قبل أن يوافق مجلس النواب عليه. أما الوزراء فهم جميعاً ملحقون بخدمة الشاه ولا يقومون بعمل دون موافقة الشاه.

فهذا الحاكم الشديد في غير ظلم، يعد من رجال الملك الجديرين بالحب على الرغم من خشيته، بل يصل حبه إلى حد العبادة! ويعده شباب الجيل الحديث في إيران أباً لهم. وعلى الرغم من أنه يملك سلطة لا حد لها في حكم البلاد، فهو يعمل لها بجد وتواضع واعتدال.

هل تخلى « العم سام » عن « جون بول »

[عن مجلة « [illegible] »]

إذا قدر لبريطانيا العظمى أن تنهزم في حرب عالمية وتتدهور دولتها حتماً، فهل تخلفها الولايات المتحدة الأمريكية في الاحتفاظ بزعامة الجنس الأبيض على العالم؟

يرى « أندريه سيجفريد » المؤلف الفرنسي المشهور للإجابة على ذلك يجب أن تقدر الظروف التي أوصلت بريطانيا إلى مركز الزعامة والقوة في العالم. فقد اتجهت بريطانيا إلى التوسع والسيادة في وقت لم يكن يزاحمها فيه أحد

أما الآن فقد تغيرت الحال وأصبحت بريطانيا تشعر بتزعزع واضطراب في مركزها القديم ؛ وقد زال من العالم ذلك النوع من الارتباط الدولي الذي كانت تقوم على حمايته بريطانيا العظمى على مبدأ الأخذ والإعطاء ، على ما كان له من الفوائد الجمة لسائر الأمم

وقد جاءت اليابان بمطالب عنيفة لا نعرف ماذا سيكون من أمرها بعد ، إلا أنه مما لا شك فيه أن ذلك الزحف الغريب في الصين ، يسبب أزمة خطيرة إلى أوصال أوربا المجهدة

فهنا ضعفت الهند من بريطانيا وضعفت إلى جانب مستعمراتها في الشرق الأقصى ، فقد زالت رهبة الجنس الأبيض من الوجود . إن أن ذلك ستتبعه ولا شك مطالب لا تحد لسائر الأجناس في أنحاء العالم ، فتعاني أوربا ما تعاني من جراء ذلك ، ولا تخفى أثر هذه الصدمة على الولايات المتحدة

فإذا كان للمدنية البيضاء أن تحتفظ بمكانتها في العالم ، فمن الواجب أن تقوم قوة دولية عظيمة بالاضطلاع بما عليه هذا الوضع الخطير من الواجبات السياسية والحربية

وقد قامت انجلترا بواجباتها زهاء قرن ونصف قرن ، ونصبت نفسها في شمال وجنوب أفريقيا . وها هي ذي ألمانيا تحاول السيادة الدولية منذ ١٩١٤ — ١٨ ، ولا يشك أحد ممن يتتبعون مجرى الحوادث في أوربا لحظة واحدة في أنها تعود ثانية إلى التفكير في تلك المحاولة

إن ما تصبو إليه ألمانيا لا بد أن يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي عشنا فيه تحت نفوذ بريطانيا ، وعلى ذلك يجب لنا أن نتساءل . هل الولايات المتحدة على استعداد لقبول مسئولية السيادة الدولية إذا احتاج الأمر إلى ذلك ؟

وهنا يظهر فرضان . الأول أن الولايات المتحدة يجب أن تحمي القارة الأمريكية ولا تتجاوز هذا الحد . والثاني وجوب التأكيد في حماية الإمبراطورية البريطانية من الهزيمة لأن سقوط بريطانيا يؤثر تأثيراً سيئاً على مركزها في العالم

ويميل الرأي العام في الولايات المتحدة إلى الرأي الأول ولكن هناك حركة يقوم بها بعض زعماء السياسيين تجعل الأمل كبيراً في ترجيح الرأي الثاني

إن الولايات المتحدة ليست على استعداد لأن تحل محل الإمبراطورية البريطانية في السيادة الدولية ، ولكنها مع ذلك لا تسمح بتحطيم القوة البريطانية

الحب كمظهر عام

[عن « ذي سيكولوجيست »]

يقول علم النفس الحديث إن الحاجة إلى الحب هي في الحقيقة حاجة إلى حماية الآخرين ومساعدتهم

فالأسماك لا تعرف الحب ، فهي حين تخرج السمكة إلى عالم الوجود ، لا تعرف لها أماً ولا يعنى بها أبوها ، وقد تفقسها في أمواج شاسعة . فالسمكة الصغيرة لا تعرف حاجة إلى الحب على الإطلاق ، وحياتها مبنية على المصادفة والجهد المستقل

ولكن الطفل من بني الإنسان على نقيض ذلك . فهو يولد عاجزاً كل العجز ، ولن يبلغ أشده إلا إذا لاقى عناية خاصة من جميع أهله . فالطفل لابد أن يجد الحب وإلا أن يموت

وهذا الحب الفطري لا تقابله منفعة شخصية للغير . فالطفل يلاقى العناية الفائقة من أمه أو مربيته أو من يضطلع بأمره ولا يجازيهم على ذلك أي جزاء ، ولا ينتظر أحد منه شيئاً من هذا ، لأنه لا يقدر عليه

إلا أن هذا الوضع لا يستمر على الدوام ، فإذا رأينا إنساناً في سن الرجولة يأخذ من الناس ولا يعطيهم مقابل ما ينال منهم ، فإننا نعده إنساناً ما زال في دور حب الطفولة . وينتظر أن ينمو ويتقدم إلى المرحلة التي يتحمل فيها مسئولية حب شخص آخر يحتاج إلى رعاية غير آمل في جزائه

وبمعنى آخر إن كل إنسان يجب أن يعبر الطريق الذي ينال منه كل شيء ولا يعطي مقابله أي شيء ، إلى الطريق الذي يعطي فيه كل شيء ولا ينال شيئاً . ولا يعد هذا التحول عقبة بأي حال ، غير ضرورية حيوية ورثها الإنسان منذ ظهر في هذا الوجود

وليس في أنانية الطفل ما يؤخذ عليه ، فكأنه بعمله يقول : إنه عاجز وإنه عالة على عطف الآخرين وإنه يجب أن يأخذ منهم وإنه لا يستطيع العطاء

وإذا لم يمكن لدى الطفل الفرصة التي تخرجه من أحضان أمه إلى دائرة أكثر سعة واتساعاً ، فقد تفوته فرصة التقدم من مرحلة

التي يلقى منهم الحب ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فلا بد أن يتصل بإخوته وغيرهم من الأطفال المقاربين له في السن ؛ ومع هذا لم يتقصوا من المزية التي يتلقون منها حب الآباء والأمهات ، ولا تقل أنانيتهم عن الأنانية التي يستمتع بها ... جمع لفيف من الأطفال على هذا النحو فإن الاختلاف سرعان ما يحدث بينهم إذ أن كل طفل مولع بجعله مؤثراً بإرادته على إرادة الآخرين إلا أن الألعاب المسلية المنظمة التي تواسي التعاون تقضي على هذه الروح لأن الطفل في هذه الحالة يشعر بأنه ينال السرور الحق حينما ينظر إلى حقوق الآخرين بعين الاعتبار فهو يحترم الآخرين لا عن طريق التضحية أو عن طريق المبادئ الأخلاقية ، ولكن لأنه يجد راحته في هذه الحال

وهذه مرحلة طبيعية من مراتب الحب ، والذين لا يمرون بها لا يعرفون العواطف السامية في طور الكبر

الصحافة بعد ستين عاماً

[عن مجلة الصناعة الأمريكية]

كيف تكون الصحافة بعد ستين عاماً أي سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد ؟

هذا سؤال وجهته مجلة الصناعة الأمريكية في الأيام الأخيرة إلى بعض الصحفيين والمشتغلين بالصحافة ، فوردت عليها أجوبة مختلفة عن هذا السؤال ، إلا أنها تجمع على أن الصحافة بعد ستين عاماً ستكون مختلفة عنها اليوم

ومن الأجوبة الطريفة على هذا السؤال ما كتبه مستر هارولد ستريبر ... رواية خريجة الولايات المتحدة ، وقد مزج الجد بالفكاهة فقال

« حين أفكر في مستقبل الصحافة بعد ستين عاماً ، تجري على خاطري رغبة سبقني إلى شرحها توماس جيفرسن يوماً من الأيام . اقترح جيفرسن أن تقسم كل جريدة إلى أربعة أقسام

١ — الحقائق ٢ — الأخبار المحتملة الوقوع

٣ — الأخبار التي تنتظر الإثبات ٤ — الأكاذيب

فإذا سلكت الصحافة على هذا المنوال ، فمن رأيي أن يكون الباب الأول حتماً نتائج المباريات الرياضية ، والثاني خاصاً بتقرير الأرصاد الجوية ، والثالث بأخبار السينما ، والباب الرابع خاصاً بمثالية الأخبار السياسية

ومن رأيي أن هذه الطريقة تحفظ من الصحافة شكلاً صحيحاً للحقيقة ، كما تجعل منها مثالاً صادقاً للخيال [illegible] الإخلاص ونزعه من قلوب الناس »

وقد تناول هذا الموضوع رجال الصحافة بما يستحق من الجد والاهتمام

ومما قاله أحد الصحفيين : إن أصحاب الصحف الذين يرقبون منافسة الإذاعة اللاسلكية قد يجدون شيئاً من الراحة والاطمئنان إذا لاحظوا أن اليوم ، حتى سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد لا يمكن أن يزيد على أربع وعشرين ساعة

وقد استطاعت الإذاعة أن تخترع طرقاً عجيبة للاستماع إلى الموضوعات والبرامج التي يحب سماعها في الوقت الذي يشاؤه الإنسان . أما الإذاعة المصورة (تلفزيون) فسوف يتيسر لنا أن نمسك الصور والأصوات ، وسوف يتيسر لنا كذلك أن نحتفظ بها لأي وقت نريد ، فتستطيع أن تستمع إلى البرنامج الذي يذاع في الساعة التاسعة وأنت بالبيت أو المسرح ، في الساعة الحادية عشرة في منزلك أنت وعائلتك وترى كذلك الصور المذاعة

وسوف يكون من السهل الاحتفاظ بالصور المذاعة والرجوع إليها في المستقبل . وفي سنة ألفين يستطيع الرجل أن يقرأ الصحف في مكتبه في الصباح بينما تكون زوجته تسمع برامج الموسيقى التي أذيعت في الليلة السابقة في باريس

ومن المنتظر في ذلك الوقت أن يتلقى الإنسان أخبار العالم بواسطة محرك بسيط يلمسه بأصبعه ، فإذا كل شيء قد نقل إلى أذنه لتسمعه ، وإلى عينه لتراه

وسوف ينقل إليه بطبيعة الحال صور من التقارير الرسمية الدقيقة من أنحاء نائية كبيرة ، وتنتقل مصورة نقلاً مطابقاً للأصل كل المطابقة

وكذلك صور للأوبرا ، فتستطيع أن يجلس المرء في أي وقت ليسمع قطعة من أوبرا تكون قد أذيعت من موسكو في الليلة السابقة ويحتفظ بها ليسمعها في أي وقت يريد

وسوف يكون لديه قطعات طويلة من الأوراق المصورة بواسطة الراديو ، ينقل إليه في أي وقت حديثاً يكون قد فاته سماعه في الليلة الماضية

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

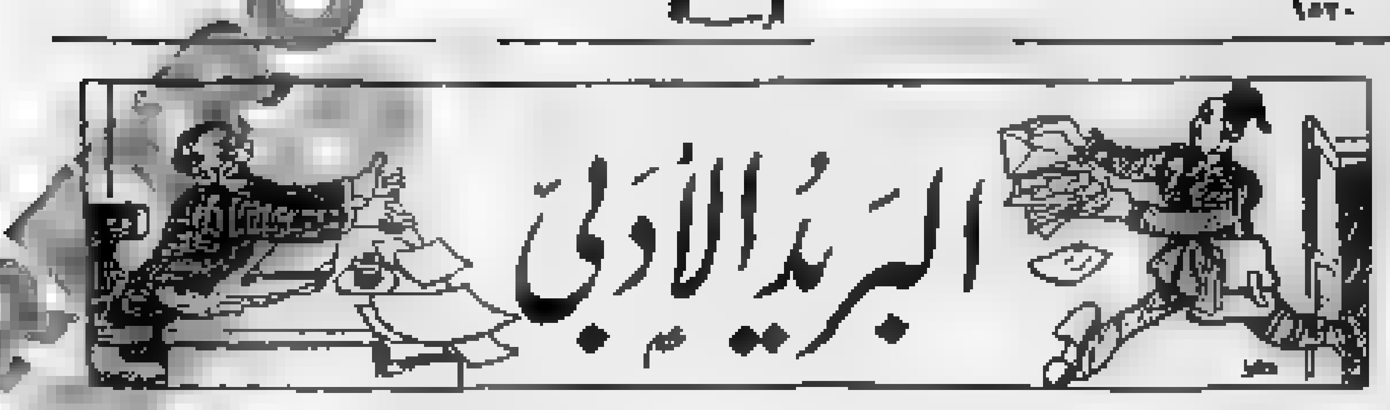

الأب أنستاس ماري الكرملي والنضدة

قال العلامة الأستاذ الأب أنستاس ماري الكرملي في كلمة عنوانها (مباحث عربية) في الجزء الأخير من مجلة (المقتطف) الغراء: «وجدناه (أي صاحب مباحث عربية) استعمل (النضدة) ص ٢٣ وقد شاعت على يراع كتبة هذا العهد، ناقلاً إياها عن (أقرب الموارد) الشرتوني، أو عن كتاب نشر عليها في المعجم المذكور، على أن لفظة لم ترد في كلام فصيح ولا [illegible] في أسفار مؤلف جليل ثقة يعتمد عليه. وصوابها (النَّضَد) كما ذكرها أرباب الدواوين اللغوية، وهي من باب تسمية الشيء باسم المصدر»

أقول: قالت (الجمهرة): «النضد متاع البيت، وكثر في كلامهم حتى سموا السرير الذي ينضد عليه المتاع نضداً» وفي (اللسان): «سمي السرير نضداً لأن النضد عليه» ونحو من ذلك في (المصباح والتاج)

وقال الإمام الزمخشري في (أساس البلاغة): «النضد شيء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نضدهم»

فسبب التسمية قد ذكروه، وفي اللسان العربي: النضد والنضدة

الأب أنستاس [illegible] قد عاد [illegible] الأدباء [illegible] فيه النفس في كل حالة

وقد فسر أحد الصحفيين الذين كتبوا في هذا الشأن ناحية أخلاقية في الموضوع

فقال: إن التلفزة الإنسانية سوف تستطيع أن تصل إلى النهاية التي تيسر لذوي العقول والكفاية أن يصدروا الصحف دون حاجة إلى رؤوس الأموال الطائلة التي يحتاجها إصدار الصحف الآن، حتى لا تكون هذه الصناعة وقفاً على أصحاب الثروات فيتمكن الرجال ذوو الأخلاق والمواهب من إصدار الصحف بيسر وعلى [illegible]

وسوف يكون من المستطاع إخراج الصحيفة الكبيرة بتكاليف زهيدة للغاية، وتصبح الآلات الضخمة التي تستعمل الآن شيئاً لا يذكر إلا على ألسنة المؤرخين

فسوف تلقي التلفزة تلك الآلات الضخام وتجعلها موضعاً لسخرية الساخرين

من هنريك هاين

تحت هذا العنوان كتبت مقالاً في عدد مضى من الرسالة سخرت فيه من الأرستقراطية سخراً أوضح من الصراحة؛ ولكن إفراط الحر على الأعصاب في هذه الأيام جعل الأستاذ محمود (صاحب الأجنحة الأدبية) في مجلة «زهرة الشرق» يعرض المقال على ظاهره على أنه «معرض بحكم الشعب ويدعو إلى حكم الأرستقراطية ويتهكم بالناس والزارع ويحتقر الأجير والسيد» ثم أراد أن يدلل على صحة ما فهم فساق كثيراً من المقال في معرض التهكم عليه. ولولا [illegible] الكاتب [illegible] على السخرية في العبارات التي نقلها عن الأصل؛ ولكنا نرجو أن يعيد قراءة المقال [illegible] جزء من سلسلة [illegible] وأصوله) وآخرها (حلم ليلة صيف) وكلها [illegible] الأجزاء إلى الاستهزاء بالأرستقراطية. وليت شعري إذا كان هذا مبلغ الأدباء من فهم الكلام، فكيف يكون حال الجهلاء والعوام؟!

[illegible] الفن والفرد

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

عني صديق لأسرة «الرسالة» أن كلمتي «القومي» و«الفن النقدي» اللتين [illegible] لم تخرجا من وحي تفكيري، وإنما جاءتا من حنق طائفة من الناس ترى في كل حركة تجديدية مروقاً

على التقاليد والأخلاق، وجنوحاً بالحرية إلى حد الفوضى، وخطراً على الأنظمة الاجتماعية المعاصرة التي تهيئ لأفراد هذه الطائفة أكبر قسط من التكسب المادي؟

إن جماعة «الفن والحرية» حركة اجتماعية قبل ما هي حركة فنية تعمل للفن من أجل الفن، ذلك أن مظاهر التفكير البشري والمواهب الإنسانية بصورها المختلفة حتى صور الفلسفة العليا منها لا تخرج في نظرنا عن حدود التعبير الناشئ عن اصطراع التيارات المتعاملة داخل الهيئة الاجتماعية.

والمجتمع المصري بحالته الراهنة مجتمع مريض مختل، فقد الاتزان لا في مقاييسه الخلقية فحسب، بل في أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية أيضاً. ومثل هذا المجتمع القلق على المبوس يجب أن تتوفر فيه الحرية المطلقة للكتاب والمفكرين في نشر آرائهم الصحيحة والاقتناع بالحلول التي يعرضونها لعلاج المشاكل المعقدة.

وجماعة «الفن والحرية» فئة من الشباب راعها ما رأت من اختلال عناصر القوى في مصر، فكرست جهودها لدراسة مسببات هذا الاختلال، ولإيجاد الحلول التي ترى أنها قد تعود بالخير على المجموع. فهي ليست متأثرة بحركة أجنبية، وإنما هي حركة مصرية أكثر ما يمكن أن يقال عنها إنها ستكون مهداً تتموج فيه الأفكار الحديثة التي ستهيئ أسباب التطور لهذه البلاد.

أما إن كان الفن الذي تنشره جماعة «الفن والحرية» منحطاً أو غير منحط فهذا أمر لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة بنقاش يدور على صفحات مجلة من المجلات. وخير من هذا النقاش أن تلبي أسرة «الرسالة» دعوة الجماعة لزيارة معرضها حتى يكونوا فكرة صحيحة [illegible] من حقيقة الاتجاهات التي ترى أنها

أنور كامل

الوحدة الإسلامية

إلى الأستاذ الفاضل ساطع الحصري بك

قرأت مقالكم «حول الوحدة العربية» الذي تردون فيه على الدكتور طه حسين، في العدد (٦١٠) من الرسالة الغراء فلفتت نظري فيه الجملة الآتية:

«وأنا كما سبق أن قلت، قديماً أومن بفكرة العروبة، وبعتبر

ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية، وضرورة العمل والسعي في سبيل تحقيقها — أعتقد باستحالة الوحدة الإسلامية».

فهل لي أن أسألكم سيدي الأستاذ، علام بنيتم اعتقادكم هذا؟ وعلى أي أساس أصدرتم حكمكم باستحالة تحقيق الوحدة الإسلامية؟ إن من المعروف لدى الخاص والعام أن روابط الإيمان والعقيدة أقوى من روابط اللغة والعادات والمصالح؛ وأن التقارب بين الخاص والعام، يقوم — مع وحدة اللغة — على وحدة المبادئ والعقائد والغايات. وها هي ذي مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس اختلفت لغاتهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم، ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يجتمعوا ويتشاوروا ويعملوا على خطة واحدة ومنهاج واحد، أفتكون مبادئ الإسلام مانعة من اتحاد المؤمنين بها واجتماعهم؟

يعلم الأستاذ أن العرب في الجاهلية كانوا متنافرين متخاصمين مع أن لغتهم كانت واحدة، وعنصرهم واحداً، وأن الإسلام قد آخى بين العرب وغير العرب وجمعهم على مبادئه السامية وألف بين قلوبهم، وجعلهم أمة واحدة رغم اختلاف الأجناس واللغات، أفتجحدون هذه الوحدة التي أمكن تحقيقها في عصر صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم، مستحيلة في عصرنا هذا؟ إن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو الجاوي أو الأوربي أخ له كأخيه المسلم الذي يعيش معه جنباً إلى جنب، فلم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية؟

أنا لا أنكر إمكان تحقيق الوحدة العربية ولا أنكر وجوبها ولكني أعتقد — ويعتقد معي كل مسلم على وجه الأرض — أن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها، وأن تحقيقها أسهل من تحقيق أي وحدة أخرى، فهل يمكنكم أن تبينوا لي خطأ اعتقادي هذا، وأسباب استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية؟

(دمشق) على الطنطاوى

تعريب الكتب القديمة وعرضها عرضاً حديثاً

كانت فكرة تعريب الكتب العربية القديمة إلى أذهان الناشئة وعرضها عرضاً حديثاً قد اجتمعت في عقل الجماعة السادسة من

مساء يوم الاثنين ١٢ يونية سنة ١٩٣٩ برئاسة حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوي بك وكيل المعارف ونظرت في الكتب العشرة التي قررت الوزارة التقريب كخطوة أولى لتنفيذ هذا المشروع الأدبي . ثم عرضت أسماء الأدباء الذين يختارون لهذا التقريب واستقر الرأي على أن تعتمد اللجنة في اختيارها لكل كتاب قوة التمكن من الثقافة العربية والاختصاص في الموضوعات الأدبية واستغلال الثقافة الغربية ما أمكن ذلك عند بعض الأدباء المعاصرين للانتفاع بها في توجيه طرائق التقريب والعرض توجيهاً فنياً حديثاً

وبعد مراجعة الأسماء والمناقشة في كل كتاب يعرض تقرر الاختيار وفقاً لهذا البيان ثم رفع إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف فأقره بعد تعديل يسير . وإليك هذا البيان

١ — الكامل للمبرد

(ا) الأستاذ السباعي بيومي المدرس بدار العلوم
(ب) الأستاذ مصطفى السقا المدرس بكلية الآداب

٢ — البيان والتبيين للجاحظ

(ا) الأستاذ محمد [illegible] المدرس بدار العلوم
(ب) الأستاذ عبد الوهاب حمودة المدرس بكلية الحقوق

٣ — أمالي أبي علي القالي

(ا) الأستاذ محمد شتا مدرس أول اللغة العربية بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية
(ب) الأستاذ إبراهيم مصطفى مدرس بكلية الآداب
(ج) الأستاذ عبد العزيز أحمد بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

٤ — ديوان أبي تمام

(ا) عبده عزام أفندي معيد بكلية الآداب
(ب) خليل عساكر أفندي معيد بكلية الآداب
وسيضاف إليهما أستاذ من دار العلوم أو من كلية الآداب

٥ — ديوان البحتري

(ا) الأستاذ عباس محمود العقاد
(ب) الأستاذ عبد الرحمن شكري

٦ — ديوان شوقي

(ا) الأستاذ أحمد حسن الزيات
(ب) الدكتور زكي مبارك
(ج) الأستاذ أحمد الزين بدار الكتب

٧ — تاريخ ابن خلدون

(ا) الأستاذ أحمد الشايب المدرس بكلية الآداب
(ب) « محمد مأمون نجا « بالتوجيهية الثانوية
(ج) « حسن عثمان « « « «

٨ — كتاب الروضتين في أخبار الدولتين

(ا) الأستاذ عبد الله عنان بالداخلية
(ب) الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ مساعد بكلية الآداب
(ج) عبد اللطيف حمزة أفندي معيد بكلية الآداب

ولقد رأت اللجنة أن تعرض الكتب القصصية عرضين

(١) عرضاً فنياً

وفيه يستلهم الكاتب روح الكتاب القديم وطريقته وخصائصه وينسج منه بطريقته قصة جديدة

(٢) عرضاً علمياً

وفيه تعرض دراسة علمية وافية عن الكتاب وتاريخه والترجمة لصاحبه وأثره في الأدب والثقافة العامة وكان اختيارها في القصص على هذا الأساس

٩ — قصة عنترة

العرض الفني { (ا) الأستاذ محمد فريد أبو حديد — (ب) الأستاذ محمد سعيد العريان }

العرض العلمي { (ا) الأستاذ حامد عبد القادر — (ب) يوسف الطويل أفندي }

١٠ — ألف ليلة وليلة

العرض الفني { (ا) الأستاذ إبراهيم المازني — (ب) الأستاذ توفيق الحكيم }

العرض العلمي { (ا) الأستاذ محمد خلف الله المدرس بكلية الآداب — (ب) الآنسة سهير القلماوي }

حول نعيم الجنة

إن الدكتور زكي مبارك أسلوبه في الكتابة، وله أن يتظرف به أو يتمجن ما شاء ما دام يكتب في الأدب الذي هو دكتور فيه. لكن الذي ليس له والذي لا يمكن أن يقره أحد عليه هو أن يتظرف أو يتمجن حين يكتب في الدين أو حين يذكر الله سبحانه.

فقد رأى في مقالاته الأخيرة في الرسالة أن يستشهد بالدين على استشهادات خطأ كلها. لكني لا أريد توجيه اللوم إليه الآن؛ إنما الذي نأخذه الآن به هو ما جاء به خطابه المنشور في العدد ٣١٦ من الرسالة مؤيداً رأيه في نعيم الجنة في الإسلام. هو رأي وافق شطره الصواب، ولو قد وقف عند الآية الكريمة «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» في موضعها من خطابه لكان خطابه ذلك من أحسن ما كتب. لكن شيطان المجون فيه أبى إلا أن يفسد عليه ذلك الصواب حين أوحى إليه أن يكتب بعد ذلك قال في آخر خطابه لله سبحانه: «اشهد منك يا رباه! إنا سنكون في الجنة من أطايب النعم»!

فهل رؤي سوء أدب وسوء فهم للدين كالذي نشهده في كلام زكي مبارك هذا؟ وهل يظن زكي مبارك أن أهل الجنة حين ينعمون بما يشغلهم عن وجه خالقهم؟ إنهم لم يستحقوا ذلك النعيم إلا بأنهم لم ينسوا الله في الدنيا، فهل يظن هذا الماجن أنه سبحانه أرضاهم بذكره وعبادته في الدنيا ليأذن لهم في نسيانه والاشتغال عنه في الآخرة؟

لو كان زكي مبارك يفقه في الدين شيئاً لعرف أن نعيم أهل الجنة يصح تعبيراً عن قربهم من رضوان الله أو شغل عن الله. ولو كان لدى زكي مبارك من روح الإسلام شيء ما اجترأ على الله في خطابه هذا الاجتراء المتحصن في جملة ذلك، ولأدرك أنه يأتي به كبيرة توشك إن لم يتب منها خالصاً أن تكبه على وجهه حيث لا نعيم للبدن ولا اطمئنان للروح.

محمد أحمد الغمراوي

كتاب في الدين الإسلامي

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

هنا في قلب الجزيرة السودانية جماعة طيبة من الشباب تربطهم بأسرة الرسالة رابطة الأدب والثقافة. وقد أصبح أفراد منهم يعرفون أفراد هذه الأسرة الطيبة المباركة معرفة كلها تقدير وإعجاب.

والأستاذ علي الطنطاوي من أولئك الشبان الأفذاذ [illegible] قدوة حسنة لنا، ونرى في تتبع خواطرهم عجيباً لفضلها.

والدافع لي إلى أن أكتب هذا عرضك للمقال الممتع الذي [illegible] في العدد ٣١٤ من الرسالة، والذي يقترح فيه الأستاذ الفاضل تأليف كتاب في الدين الإسلامي على طريقة حديثة تكمل لنا الإلمام بتعاليمه وتحثنا على فهمه. والذي يهمنا هو أن يجد هذا الاقتراح كل عناية وتقدير من علمائنا وأدبائنا الأفاضل، ما دامت «الرسالة» قد [illegible] القراء [illegible] لبحث هذا الموضوع الديني القيم أملاً في تنفيذ هذا المشروع وإبرازه إلى حيز الوجود فيكون فاتحة عهد جديد لإحياء تراثنا الأدبي والديني إن شاء الله.

هذا، وللأستاذ علي الطنطاوي ولأسرة الرسالة المباركة منا كل شكر وتقدير

(ود مدني) [illegible]

تصويب

سقط سهواً من مقال الأستاذ ساطع الحصري المنشور بالعدد ٣١٦ صفحة ١٣٨٦ سطر في آخر العمود الثاني، ونعيد هنا نشر هذه الفقرة وفيها هذا السطر الذي سقط:

«الوحدة العربية كما نفهمها نحن يجب أن تتحقق بشكل إمبراطورية متحدة أو بشكل مشابه للاتحاد الأمريكي أو السويسري» ونحن لا نرضى بهذا ولا بذاك.

استدراك

نشرت رسالة الأسبوع الماضي أبياتاً لي تحت عنوان: «تعراف صوتك في السحر» وقد سقط بيت من أبياتها فنذكر هنا البيت الناقص مع سابقه ولاحقه:

سرات صوتك في الزاهر كلها ... طربة نشوى من العيدان!

ورنت أحلامي وهب تمائمي ... فنقلت عنك قلائد العقيان

ووهبت لك الآمال من عواطفي ... وعلى سماك وجدت حر بياني

العوضي الوكيل

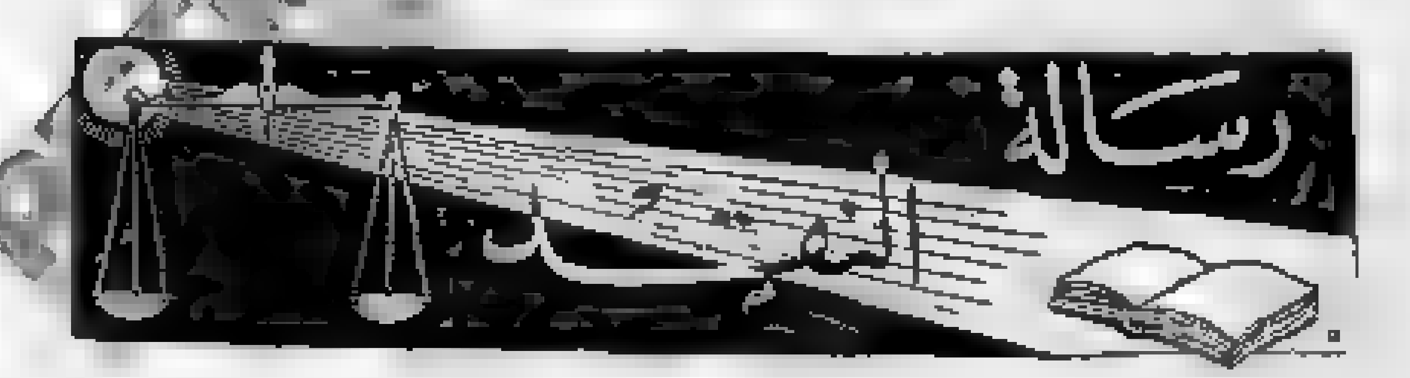

كتاب «توفيق الحكيم»

بيني وبين الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عندما كتب الدكتور بشر فارس كلمته الأولى في «الرسالة» عن دراستي عن «توفيق الحكيم» لم أكن راغباً في ردّي عليه إلا في حدود باب المناقشة بيني وبينه في مسائل دقيقة استرعت نظري في مقالة يتصل بعضها بصميم الأدب الحديث ومناهج البحث والتحقيق، ويتصل بعضها الآخر ببعض الدقائق في الشؤون القلمية التي تدور حول فكرة (رسالة الرجال) والتاريخ والرمية بالشهوات. كذلك لم أكن قصدت أعتقد الذي نشرته في «الرسالة» لكتاب «مباحث عربية» الذي أخرجه للناس أخيراً الدكتور بشر إلا التمحيص العلمي لوجه الحقيقة. ومن هنا جاء ما في ردي عليه ونقدي له من «التمحيص والمراجعة في بعض الملاحظات»، كالاحظ الجميع. وأما صديقي بشر فارس، فقد آثر أن يدور الدوران حول النواحي الشكلية. ومن هنا وقف من ردّنا على كله، ومن نقدنا لكتابه في الخارج — كما يقول العامة — يطوف حول كلامي دون أن ينفذ إلى نواحيه ويناقش المسائل في صميمها. ومن هنا جاء أيضاً عتبه على الصديق بشر من «أنه لا يسلم كاتباً ناقداً إلا في المواضيع التي يديرها في ذهنه ويحصرها على أوجهها البحث والتمحيص» غير أنه يظهر أن ما كتبه في صاحبي لم يرضه، وجعله يظن متوهماً أننا نحاوره ونحاوره من جانب من كل جنب. ولا أعتقد طيبة سريرة صاحبي، فإنني غير محتاج للتعليق على هذه الدراسة التي جرت من نفسه (إنا صحبنا الحساب في يومنا قبل صدوره) وحسبي هنا مناقشة كلامه فيما يتعلق بدراستي عن «توفيق الحكيم» على أن أعود لمناقشة ما أثاره حول نقدي لكتابه «مباحث عربية» قريباً بعد صدور مقتطف أغسطس، ومناقشة ما كتب وعلق به على نقدي.

١ — قدّر الدكتور بشر فارس موضوع المناقشة في رده الذي جاء بالعدد ٣١٢ بالرسالة حول اقتراضي اقتباس بعض تعبيراته ومنها تعبير «جملة صلات اجتماعية» وما ينظر إليه في الفرنسية وقد وجدت عليه في هذا الموضوع بالنسبة لاقتباس هذا التعبير منه فقلت: إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه فقد جاء في بحث لي عن «إسماعيل مظهر — المفكر المصري» ودالاً على المصدر الذي جاء فيه. هنا يسحب ويخرج الدكتور بشر يتساءل عن العبارة التي تضمنت التعبير لنرى موضعه منها، وها هي أولاء نسوقها للقارئ:

«هل التاجر عن الفناء في سبيل المادة الصافية ويسميه مظهر «التاجر التبدلي» وذلك أن أمر الأحياء عالاتها تتطلب مطالبها. وإسماعيل مظهر استناداً إلى هذه الفكرة ينجح في الإجابة على كثير من المشكلات التي تمس مذهب النشوء وما يتصل بمسائل علمي الاجتماع والآداب وطبائع الدين العقل والأخلاق، وخصوصاً ما يتصل من هذه الأصول بنشوء المشاعر النفيسة من المشاعر الذاتية «الأنانية» التي هي الأساس عنده في خلق مجموعة أو جملة من الصلات الاجتماعية التي تربط بين الناس. وهذه الصلات بجذورها تمت عنده لإيجاد المشاعر والأخلاق الاجتماعية. وقد وضع مظهر استناداً إلى هذه الفكرات وضع سماه القيم «فلسفة اللذة والألم» ...)

وواضح إذن أن تعبير «جملة صلات اجتماعية» قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه «مباحث عربية»

٢ — نقل إلى عبارة Une somme de rapports sociaux الفرنسية التي ينظر إليها تعبير «جملة صلات اجتماعية» ليست للدكتور بشر فارس وإنما قد جرت على قلم دوركايم عالم الاجتماع المعروف. وقد اعترف بهذا الدكتور بشر فارس في رده المقال ماضيه؛ والذي في الحقيقة أن دوركايم يستعمل هذه الجملة غير مرة وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته (الرسالة ص ١٣٧٩ ع ٢ س ١١ — ١٢). فكأني في استعمال هذا التعبير لم أنظر إلى ما كتبه الدكتور بشر لأن التعبير شائع من جهة ومستعمل في كتب علم الاجتماع الحديثة من جهة أخرى، وهذا الشيوع والاستعمال ينفيان مظنة الاقتباس. ويسلم الدكتور بشر فارس بهذا، ولكنه رأى أنه على وشك خسارة القضية التي لم من أجلها الأهد والريث، فماذا فعل؟ خرّج الموضوع تخريجاً يشهد له بالبراعة، ولكن أي براعة؟ براعة الرجل المشكل فقال إن المصدر الذي نقلت عنه لم يقف عليه ولم يعثر له على أثر وذهب يدير الكلام ويكرره للإيهام. وكأني به في تخريجه هذا يحاول أن يشككنا في أن دوركايم أستاذ علم الاجتماع المعروف منذ عشرين سنة لم يلق محاضرات منه، وأن هذه المحاضرات قد جمع بعضها في كتب أخرجت للناس. أما «المجموعة» التي قلت إن دوركايم قد استعمل فيها تعبير Une somme de rapports sociaux فهي تلك المجموعة التي تحمل اسم Les Règles de la méthode sociologique والتي طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥ ضمن المجموعة الاجتماعية لمكتبة F. Alcan بباريس في أثناء Travaux de l'année sociologique وقد طبعتها هذه المكتبة أكثر من مرة. والنسخة التي تحت أيدينا هي الترجمة الإنجليزية وفيها التعبير Sum of social reports والترجمة بقلم G. W. Swain وتذكر بعنوان أثناء Travaux de l'année sociologique à l'Université de Paris وقد راجعنا اليوم نسخة من طبعة عام ١٩١٢ في الفرنسية، والعبارة وجدناها وردت أكثر من مرة.

أما التعبير نفسه فقديم في الفرنسية، وهو يتألف من شقين: الشق الأول يتضمن تعبير Une somme بمعنى sum أعتبريا مجموعة أو جملة عربياً. وهذا الشق يعود استعماله إلى أواسط القرن السادس عشر، وقد وقفت عليه عند [illegible] وعلى وجه خاص في الكتب [illegible] الأجوبة [illegible] الدكتور بشر [illegible]». أما الشق الثاني فيتضمن تعبير rapports sociaux الذي ينظر إليه بالإنجليزية تعبير social reports والتعبير الفرنسي كثير الاستعمال ورد في الكتب التي تحت أيدينا مئات المرات، وعلى سبيل التمثيل نذكر منها كتاب Le rapport social, essai sur l'objet et la méthode de la sociologie من تأليف Eugène Dupréel طبع مكتبة F. Alcan عام ١٩١٢، وقد ورد التعبير فيها أكثر من مرة في ص ١٦٠ و١٦٢ و١٦٤ و١٦٦ مثلا حيث يقول في هذه المواضع La synthèse des rapports sociaux و Une série des rapports sociaux و La masse des rapports sociaux و une somme des rapports sociaux وكل هذه التعابير قريبة المدلولات في الفرنسية، ويقابل في العربية تعبير «جملة صلات اجتماعية».

٣ — تحدث الدكتور بشر في هامش مقالي إلى الفرعين الأولين من خاتمة المقال الأخير منه من الدكتور زكي مبارك. والذي أعرفه أن هناك موضع تشابه ولكن لا يحمل على محمل الانتزاع لأنه شكلي. ولو كتب الدكتور بشر لجاز لي أن أقول إن الدكتور زكي مبارك هو الذي انتزع ما في كلامه عن أحمد أمين كلاماً من مقدمة التي جاء في نقد كتاب «فيض الخاطر» التي نشرته الرسالة في العدد ٣٨٧ ص ٤٣ — ٤٤. بيان ذلك أن الدكتور زكي مبارك يتحدث عن الشكلية والتقدير عند أحمد أمين. تلك الشكلية وذلك التقدير الذي تكلمنا عنهما من قبل في نقدنا لكتاب فيض الخاطر الذي أخرجه أحمد أمين. ولكنا نعتقد أن مثل هذا التشابه لا يحمل على محمل الانتزاع، وإنه على أن الموضوع الذي وقف منه الدكتور زكي مبارك يقف على نفس الوصف الذي وقفناه من قبل إزاءه. ثم يستقل بعد ذلك كل منا بنتائج خاصة به تخلص بها من الظاهرة التي يلمسها في آثار أحمد أمين.

نقول هذا معتقدين أن صديقي بشر لو رجع اليوم وألقى نظرة على ما كتب في هذا الشأن لما رضي ما كتبه. وهو معذور — على كل حال — فيما كتبه عن هذا الشأن، بحجة أنه كان يكتب كله

وهو في حالة انفعالية . على أن التشابه بعد ذلك بين ما كتبناه وبين ما كتبه زكي مبارك عن صاحبه أحمد أمين شكلي محض ، لأن أحمد أمين عند زكي مبارك رجل تعوزه النظرة الشاملة ، ومن هنا جاء عدم تعمقه في تقييد الخطرات والسانحات التي تطوف بالنفس من حين إلى حين . وبشر عندي رجل بحاثة ينفذ إلى الموضوعات التي يديرها [illegible] في بحثه ويستقصي على وجوهه بالبحث والتمحيص . ومن هنا يجيء ما في أعماله من التطويل وما في الكتابات التي يصلها من بحثه دون أن يديرها وفقاً في رأسه من إغلاق راجع إلى فقدان العنصر الأساسي لتيسير التحصيل عنده والتقدير ، وهو الوعي الذي يعطيه الفرصة على إدارة الشيء في ذهنه حتى يدرك غوامضه وأسبابه .

يحكم صاحبي بشر في الهامش [illegible] عن [illegible] ميلاد توفيق الحكيم . [illegible] كيف أنكر على توفيق سناً يزكيه هو بنفسه . ولكن كله كان هنا إلى الأسباب الموضوعية الداعية إلى ذلك ، وهي مبسوطة في أكثر من موضع في دراستي (ص ٧٩ مثلاً من الطبعة الخاصة) . بيان ذلك أننا نرى طبيعة توفيق الحكيم مرتدة [illegible] عن الصراحة . أما الأسباب التي حدتنا إلى ذلك فبيانها موجود في كتابنا بالإسهاب . ولهذا وقفنا موقف الحيطة مما ألقاه إلينا الأستاذ الحكيم بشأن ميلاده . وحققنا على طريقتنا تاريخ حياته ، فتمكنا من ذلك أن رفضنا التاريخ الذي قال إنه تاريخ ميلاده . ومن المهم أن تحقيقاتي التي كانت للأمس عند الأستاذ بشر فارس موضع الاعتبار أصبحت في ثورة غضبه موضع السخر والتهكم . ومع هذا فالشكل وضعوا منها موضع الصدر . وقد كان من المستطاع أن أسوق الشهادات آخذ أيسرها [illegible] بعض ما يؤيد تحقيقاتي عن ميلاد توفيق الحكيم وأسنانه وبعض الذين اطلعوا على ملف خدمته بوزارة المعارف وفيها شهادة ميلاده ، ولكن لأننا لم نستأذن أصحاب هذه الشهادات في النشر فقد اكتفينا بالتعريض . والدكتور بشر نفسه يعرف بعض هؤلاء ، وكتبه [illegible] بعضها من الإسكندرية في طريقه إلى أوربا

* * *

هذه مراجعة لما قاله الصديق بشر فارس مما يتصل بكتابي عن « توفيق الحكيم » . أما مراجعة ما أثاره حول قصتي [illegible] « [illegible] عربية » فموعدها مقال آخر بعد أن تظهر [illegible] في منعطف أسمى من مراجعة الأقوال . وأرجو ألا يضير القارئ أن هناك شيئاً بيني وبين الدكتور بشر كما ظن البعض [illegible] هذه النقاش وهذه المساجلة مهما عنفت في أسلوبها [illegible] و « السلاف الاجتماعية » [illegible] آخر . وما في كتابة الدكتور بشر من العنف إنما هو نتيجة الانفعال الذي يمنع له أن يسيطر على ما يكتب ، وهذا يرجع إلى أن صاحبنا بطبعه طبيعة الفنان ، ولعل في ذلك بعض ما يخفف شدة كلامه لنا ويعتذر له . والسلام

الإسكندرية — إسماعيل أحمد أدهم

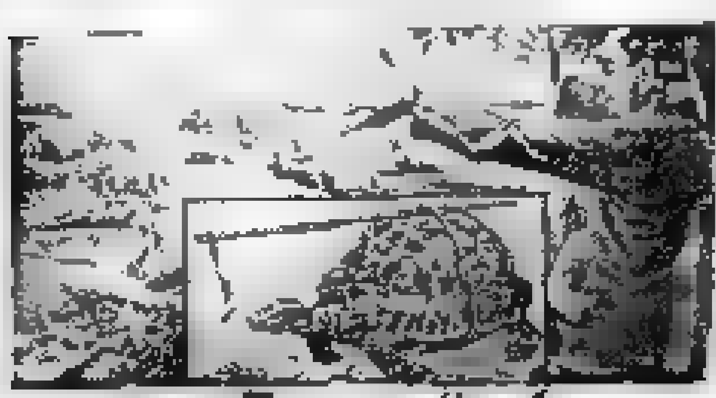

7me Année No. 318 — Lundi - 7 - 8 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

اللغة والقوالب الموروثة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كنت ذات يوم أكتب رسالة إلى صديق جرى القلم فيها بهذه العبارة المأثورة «وزاد الطين بلة ...» وهممت بأن أمضي في الكتابة ثم وقفت نفسي وألقيت القلم ونهضت إلى الشرفة ورحت أروح وأنظر إلى الناس — ولكن النظر إلى الناس لم يكن هو ولا كان كل شاغلي! فقد كنت أحدث نفسي وأحاورها وأقول لها إن عبارة «وزاد الطين بلة» [illegible] التي ورثناها في جملة ما ورثنا من لغتنا وقد صارت على الأيام «كليشيها» أو قالباً مصبوباً نستعمله في الحديث والكتابة من غير أن نفكر في الصورة التي يرسمها هذا «الكليشيه» الموروث الذي يسر لنا أن نجري [illegible] تسهيل وأقل عناء. وقد نشأت هذه العبارات الموروثة في زمان كان زمانها — أعني أنها كانت في الزمن الذي أخرجها وثيقة الصلة بمظاهر الحياة، وكانت تحدث في ذهن مستعملها صورة تحصل بلا عناء وترتسم بغير جهد. ولكنها الآن قد مضت بها العصر إلى زمان آخر مختلف جداً ولم يبق لها تلك الصلة القديمة بحياة العصر ولسنا نحس حين نستعملها أنها ترسم لنا صورة ما.

وسألت نفسي: «هل ثم ضرر من استعمال هذه القوالب الموروثة؟» وهجرت كتبي وعطلت ورقي — [illegible] التردد الذي

يحاول أن يهتدي أو أن يبين التورط في رأي يجزم به. وبعد أن
رأيتُ أفكر في هذا السؤال – أن العصور لا تجيء من استعمال
هذه القوالب، بل من الاقتصار على استعمالها، أي دون التنبه
لعمل لغتنا صورة لحياتنا. وأحسب أن لا بد من اتخاذ هذه
القوالب إلى حد ما. وكل لغة قديمة – ولا سيما إذا كانت قد
ركدت زمناً ما – تصبح عبارة عن مجموعة من القوالب، ولكن
اللغة الحية لا تزال تتسع بما يحصل فيها ويضاف إليها من العصور
التي تتعاقب عليها. وحياة اللغة مستمدة من حياة أهلها ولا أدب
لها بعد [illegible]، وإنما يكون الأدب لهم؛ فإذا رأيت أدباً من أبناء
عصر حديث له خصائص حية جديدة يكتبون بلغة قديمة في قوالبها
– أي كالذي كان يكتب بها من سبقوهم بعشرة قرون أو عشرين
قرناً بلا اختلاف ومن غير أن يحدثوا فيها جديداً يدل على أنهم
تأثروا بعصرهم – إذا رأيت ذلك فاعلم أن هؤلاء أناس متخلفون
وأنهم أشبه بالآثار الباقية منهم بالأحياء، وأن الأدب واللغة
لا يكسبان شيئاً منهم سوى زينة الجمود إذا كان هذا مكسباً

وغير منكور أننا لا نستطيع أن نفكر إلا بالألفاظ
وقد يجيء زمان يستغني فيه المرء عن الاستعانة بالألفاظ على التفكير
بل أنا أؤمن بأن هذا الزمان لا محالة آت وأن الإنسان سيستغني
عن الكتابة والكلام في نقل ما يدور في نفسه من المعاني والخواطر
والآراء والإحساسات إلى آخر ذلك – إلى نفس أخرى، ويكتفي
بإرسال موجات يتلقفها غيره ويترجمها كما ترسل محطات الإذاعة
موجاتها فتتلقفها آلات الراديو. ولكن إلى أن يجيء ذلك الزمان
الذي يتيسر فيه الاتصال اللاسلكي بين نفوس الأفراد لا يسعنا
إلا أن نفكر بواسطة اللفظ. فاللغة لا تزال أداة التفكير الذي
لا [illegible] سواها؛ فإذا ظلت لغة من اللغات جامدة لا تتغير قوالبها
ولا تتجدد ولا يدخل عليها جديد ولا يحدث فيها تطور ولا يؤثر
فيها كر العصور ولا يترك فيها مر هذه العصور آثاراً من حياتها
فمعنى هذا يكون أن أبناء هذه اللغة يفكرون على نحو ما كان
يفكر أبناء زمان متوغل في القدم فهم يعيشون بأجسامهم في عصر
ولكنهم بعقولهم يعيشون في عصر مضى وانقضى وانقرض وانطوى
وقد يكون العصر الماضي جميلاً وقد [illegible] كل ما فيه كان جيداً
ولكنه زال وجاء غيره بخصائص جديدة وأساليب تفكير وآمال
ومخاوف وآداب وعادات مختلفة، فكيف لا تظهر هذه في لغة الكتابة
والكلام؟.. وكيف يعقل أن تظل القوالب لا تتجدد ولا تتغير

ولا تطرأ عليها [illegible] من العصر الحاضر [illegible] أن توجد الآن؟ أيكون
ذلك من الكسل؟ أم هو من ضعف الحياة في هذا العصر الذي يعيش
الأحياء فيه جثثاً محنطة لها وجود ولكن ليس فيها حياة؟

ورأتني وأنا أفكر في هذا أسأل نفسي سؤالاً لا علاقة له
به: «أتراني أشبه أبي؟» وضحكت لما قلت ذلك، وقلت: «أشبه
أبي... ما هذه السخافة؟ ... وكيف أستطيع إلا أشبهه؟
[illegible] ألست أعني [illegible] العادية التي تكون بين الآباء والبنين
فإن معمل التقليد لا يحدي ما بدعه مصانع النسج من إخراج
طراز جديد في كل عام لا شبيه له ولا صلة بطراز العام السابق؟
وإنما أعني من أنا أحور شيئاً فشيئاً حتى أصبح صورة طبق الأصل
من هذا الأب الفاضل؟» وحدثت روحي وسألتها: «أي صورة
الوالد الصغير؟» فقال: «إيه؟ [illegible] الوالد المحترم؟ أي والد؟»
فقلت وأنا أضحك: «وهل لي غير والد واحد؟ إني كنت
[illegible] لي غيره فقول [illegible] الأمل، ورحم الله الوالد والوالدة
جميعاً» فقال: «لا [illegible] [illegible] وبهذه لتعرف
أني [illegible] الآن [illegible] والد [illegible] أم والدي؟» فقلت: «كلا
لا حاجة لي بأبيك [illegible] ولا بأن [illegible] في حقيقته، ولكني أريد
أن أرجع صورته أو على الأصح [illegible]» فجاء
بالصورة وهي غير [illegible]، فقلت: «تأمله وتأملني إنهما منظران
ليس فيهما سرور لأحد، ولكن [illegible] هل ترى مثله؟
هل لو [illegible] مثل هذه [illegible] الاستامبولية، وهذا الطربوش
الطري، [illegible] بطولات، [illegible]، ووجدت
عليك في [illegible] [illegible] أني، [illegible] وخرج
من [illegible]، أو تحسبوني على الأقل [illegible]؟»

فقال: «لا أدري لماذا هذه [illegible] ولكني أقول إن هناك [illegible]
[illegible] كثيرة [illegible] ولكنك تختلف [illegible] حتى النظرة مختلفة
نظرة [illegible] وهل [illegible] كريم [illegible]» فقاطعته
«[illegible] هذه [illegible] الطويل»
فقال: «لا [illegible] ولكني [illegible] أن نظرتك مختلفة [illegible] شيء
آخر [illegible] الشيء موجود ولا [illegible] كما يعرف، وإن كان
لا يعرف [illegible] أنه لا [illegible] يكون [illegible] أكبر [illegible] أو [illegible]
على التحقيق [illegible] ولكن هناك اختلافاً لا أدري كيف أصفه»
قلت: «لا [illegible] يكفي أني [illegible] ولو كان [illegible]
لاستطعت أن أتبين في أي شيء من خلائق الطوية يختلف،

كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

يثير الدكتور طه حسين (في كتابه مستقبل الثقافة في مصر) مسألة «اللاتينية واليونانية» بشكل يستلفت الأنظار ويستدعي الاهتمام.

يستهل كلامه الطويل عن هذه المسألة (ص ٢٨٥ — ٣٠٢) بقوله: «إن ضرورة الدرس لا نريد أن نقف عندها ولا أن نفكر فيها، لأنها غريبة بالقياس إلينا، بل هي غريبة شاذة بالقياس إلى الكثرة العظمى من المثقفين المصريين، مع أنها في حسبي من أوضح المسائل وأجلاها...»

وسكنه تسرع ... على كل حال أحمد الله. لقد كنت أخشى، كيف أقول؟ أخشى أن أظل أرجو وأرتقب، حتى أصير مثله تماما بلا فرق؛ مسألتي «وماذا بعد هذا؟» فات... ولو حدث هذا لأصبحت صورة مكرورة ... نسخة ثانية ... طبعة ثانية لا تختلف عن الأولى إلا في ... أي زيادة لا داعي لها ولا ضرورة ... وسكان وجودي تكلفا لا مسوغ له، وإسرافا غير جائز، وعناء باطلا لا جدوى منه ... وسيحاسب ربي عن ذلك. وكنت أخاف شيئا آخر ... أن يضطرني ما يحوجني إلى الصحافة إلى ترك أسلوبي الكتابي جملة ويتخبط بأن يفقد سلفه الحياة، وبأن يصب عباراته في قوالب قديمة مرصوصة ... كون كالمقاول المعماري الذي لا يعرف غير طراز واحد من هندسة البناء. أتعرفين أن عندنا في مصر «مقاولين» و«معماريين» في بناء ... فلو تركت أسلوبي يصبه بالإهمال والكسل لأصبحت كهذا الذي لا يبني إلا القبور وما إليها ... ولكني نجوت والحمد لله، فما كنت من هذا بعد اليوم على حذر ... وقد راجعت ما كتبت أو كتبته من جديد، ولكني ما فاتني شيء، والتجربة هي أنت، وحسبك يا امرأة أن تعدلي، أو على الأمر أن تعيني على التجديد، كما أبقى أنا على تجديد أدبك، وهذا خير ما تستطيعين أن تعملي، إذا كنت تستطيعين شيئا»

إبراهيم عبد القادر المازني

ثم يستعرض الأدوار التي مضت على تعليم اللاتينية في مصر، ويشرح بإيجاز كيف «أن صاحب القدم الراسخ في ... كان قد شعر بخطر هذه المسألة وهم بحسمها، فقد ... وزير المعارف، فقد همّ بإدخال اللاتينية واليونانية في بعض المدارس الثانوية، وقرر ضم هاتين اللغتين في الجامعة بالقياس إلى كلية الآداب والحقوق. غير أنه لم يمض من طويل على ذلك حتى نحيت اللاتينية واليونانية من المدارس الثانوية، وقام صراع عنيف حول أمر اللاتينية بالقياس إلى كلية الحقوق، وانتهى هذا الصراع بانتصار خصوم اللاتينية ...»

يصف الدكتور طه حسين «الحالة الحاضرة» التي نجمت عن ذلك بأشد أوصاف اللوم وأعنفها، فيتهم في حديثه كتاب «المضحك، المخجل، المزري ...» ويصل الأمر إلى درجة استعمال أقبح التعبيرات وأقرصها، من «الرجعة بالعقول» إلى «الاستخذاء أمام الأوربيين» و«الانحطاط إلى الخزي المبين».

وذلك لأنه يعتقد بضرورة اللاتينية واليونانية اعتقادا بالغا، ويعبر عن اعتقاده هذا بكلمات آية:

«أنا مؤمن أشد الإيمان وأعمقه وأقواه، بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح، ولن تنجح في تدبير مرافقها الثقافية العامة، إلا إذا عنيت بهاتين اللغتين، لا في الجامعة وحدها، بل في التعليم العام قبل كل شيء» (ص ٢٨١)

لأن «اللاتينية واليونانية أساس من أسس العلم والتخصص» (ص ٢٨٥) فيجب أن تفرض على «كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه» (ص ٢٧٦) و«لأن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التي لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها» (ص ٢٩٢)

ولهذا السبب، يوجه الدكتور إلى معارضيه السؤال التالي، ويجيب عليه بالإيضاحات التالية:

«والسؤال الذي يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه في صراحة وإخلاص ودقة ووضوح وجلاء هو هذا السؤال: أنريد أن ينشأ في مصر بعد العلم الخالص نشء أمثاله في البلاد الغربية في أي بلد من البلاد الأوربية الراقية أو المتوسطة أم لا نريد؟ فإن كانت الثانية فقد ضربت القسمة، ولست مصر في حاجة إلى يونانية

ولا إلى لاتينية ، وليست مصر في حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها بل حسبها أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال ، وأن تسير سيرة المستعمرات وتكتفي ببعض المدارس العالية لتخريج من تحتاج إليهم من الموظفين . وإن كانت الأولى فقد وجب التعمية ، ولا بد من العناية بهاتين اللغتين لا في الجامعة وحدها ، بل في المدارس العامة أيضاً[1] (٣٨٨)

يظهر من هذه العبارات أن الدكتور يعتبر هاتين اللغتين من لوازم الجامعة الأساسية ، ويخشى أن عدم العناية بهما لا يختلف كثيراً عن طلب إلغاء الجامعة نفسها ، ويرى بأن ذلك لا يجوز إلا إذا طُلب من مصر أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات

وقد يخطر على بال القارئ أن يسأل مستغرباً : إذا كانت المسألة بهذه الدرجة من الوضوح والجلاء ، فكيف وجدت هذه المقاومة ومن هم الأنصار في دوائر المعارف وعوامل التعيين ؟ إن الدكتور يعلل هذا الاستغراب فيقول : « ومن أغرب الأشياء في مصر وأشدها عن معنى ألا يفطن له ولا يهتدي إليه الذين يهتمون بشئون مصر ويقومون على تدبير الأمور فيها ، والذين يشرفون على التعليم فيها بنوع خاص » (ص ٣٨٦)

يبحث الدكتور — مع هذا — عن أسباب هذه المقاومة فقد ما صادفه فيردها مرة إلى عوامل عرضية مثل استياء الإنكليز من تعصب معلمي هاتين اللغتين من الفرنسيين والبلجيكيين (ص ٣٧٥) ، أو كيد أستاذ من أساتذة كلية الحقوق للعميد الأول لكلية الآداب المسكوب (ص ٣٧٩) ، ويردها مرة ثانية إلى عوامل أساسية تتلخص من حيث الأكثر في نقص « ثقافة القائمين بشئون التعليم في مصر » (ص ٣٨١)

يقول المؤلف في هذا الصدد : « وأكبر الظن أن معظم هؤلاء إنما هم من الجيل الماكر والرقي إلى الحكم لا يتصل الصلة بالشئون الثقافية في أوربا ولا يكاد يعرف منها إلا ظواهرها ، وظواهرها القريبة اليسيرة التي لا يحتاج فهمها ولا العلم بها إلى جهد ولا عناء » (ص ٣٨١)

إذ أن « منهم من تعلم في المدارس المصرية وانتهى إلى غاية التعليم العالي المصري أيام الاحتلال ، ثم وقف عند ذلك ولم يتجاوزه ، لم يعرف من حقيقة التعليم شيئاً أو لم يكد يعرف منه شيئاً »

(ص ٢٨١) ومنهم « من اتصل بالجامعات الأوربية قبل أن يتم التعليم العالي في مصر أو بعد أن أتمه فدرس فيها وظفر ببعض إجازاتها ، ولكنه درس فيها عملاً وظفر بأيسر إجازاتها وأهونها واندمج في هذه كله بنظام التبدلات التي تفرضه الجامعات الأوربية تيسيراً على الأجانب الأجلاف إليها ورغبة في الاتصال بها . »

(ص ٢٨٢) ، وكذلك عاد من أوربا دون أن يعرف « من الحياة العقلية الأوربية إلا ظواهرها وأشكالها ... » (ص ٢٨٣)

وإن « بين الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا منها وبين الذين أقاموا في مصر واتصلوا بأوربا بعض الاتصال من ألم إلماماً يسيراً بل إلماماً كافياً مشوهاً بهذه الخصومة التي قامت في أوربا منذ آخر القرن الماضي بين الديمقراطيين والمحافظين من جهة ، وبين المجددين والمحافظين من جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية » (٣٨٤) « إنهم فهموا هذه الخصومة على غير وجهها الصحيح ، وظنوا أن التجديد يقتضي نفي هذه الأشياء القديمة » ... « ولم يخطر لهم أن يتعمقوا هذه الخصومة ولا أن يتبينوا موضوعها وغايتها .. » (ص ٣٨٥)

إن الخصومة التي تكتنف اللاتينية واليونانية في مصر نشأت من هذا النقص الأساسي ، فلو حاول هؤلاء أن يتعمقوا هذه الخصومة لعرفوا أن موضوعها « لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة ، وإنما كان ضرورة فرضهما على جميع التلاميذ الذين يختلفون إلى المدارس الثانوية ويطلبون التعليم العالي على اختلاف فروعه وألوانه لا سيما بعد أن انتشر التعليم وطمحت فيه

(١) يستعمل الدكتور طه حسين في الفقرات التي نقلناها آنفاً — وفي سائر الأقسام في كتابه — عبارات « التعليم العام والمدرسة العامة » بمعنى « التعليم الثانوي والمدرسة الثانوية » ويخرج « على المألوف والمعروف » في ذلك ، ويعلل استعمال هذه العبارات — على عكس المألوف — استعمالاً مخالفاً للمعاني المعروفة من جهة وللمصطلحات الاصطلاحية من جهة أخرى . فلعل أن الدكتور — أراد أن يقتدي بالإنكليز الذين يسمون بعض مدارسهم الثانوية بمثل هذا الاسم Public school مع أنه يود أن ينبه الأنظار إلى أن هذا الاسم عندهم من الموروثات التاريخية التي لم تعد تنطبق على مسماها وحقيقة أمرها ، لأنهم كانوا يعبرون في ذلك المدارس باسم « التعليم العام » بمعنى « التعليم الخاص » الذي كان يجري في بيوت الخواص على أيدي معلمين خاصين ، وذلك قبل أن تعرف فكرة التعليم العام بالمعنى الذي نفهمه الآن

هذا كان الإنكليز الإنكليزية المؤسسة في هذا الباب ، فمن المؤكد على الاستمرار في استعمال هذا الاسم الموروث من سالف القرون — بالرغم من عدم مطابقته لمعناه الحاضر — فمن يجوز لنا نحن أن نقتدي بهم في مثل هذه التسميات الشاذة ؟

الطبقات كلها طبقات الأغنياء والفقراء وأوساط الناس ... »
(ص ٢٨٥)

يحاول الدكتور أن يصحح مزاعم هؤلاء فيؤكد أن «موضوع الخصومة كلها في حقيقة الأمر هو هذه المسألة: أيجب أن نهيئ الناس جميعاً للعلم والتخصص ليصبحوا جميعاً ذوي الرأي ومدبرين الأمور كلها، أم يجب أن نهيئ بعضهم لحياة العلم والتخصص، وأن نهيئ أكثرهم للحياة العملية التي تفرض عليهم الاضطراب في طلب الرزق وكسب القوت؟ فإن تكن الأولى فلا بد من اللاتينية واليونانية لأنهما أساس من أسس العلم والتخصص. وإن تكن الثانية فكثرة الناس محتاجة إلى التعليم الفني من جهة، وإلى التعليم العام المقتضب الذي يعرض عن اللاتينية واليونانية إلى اللغات الحية والعلوم التجريبية، بشرط أن تظل اللاتينية واليونانية مفروضتين على كل من يريد العلم العالي والتخصص فيه » (ص ٢٨٥ — ٢٨٦)

مع هذا، يلاحظ الدكتور طه حسين — في محل آخر من كلامه — أن الخصومة التي تقاوم اللاتينية واليونانية في مصر، لا تنحصر في دوائر العامة، بل تشمل معاشر المثقفين بأجمعها. إنه يلاحظ ذلك أيضاً، ويصفه « بالمادة لا أكثر ولا أقل » إذ يقول « إنهم لم يتعلموا اللاتينية ولا اليونانية، ولم يسمعوا بهما أثناء اختلافهم إلى المدارس العامة؛ وقد رأوا مصر تعيش عيشة سعيدة من غير هاتين اللغتين، فلم يشعروا بما أشعروا إليه من الاقتناع بأن تعليم هاتين اللغتين ترف لا حاجة إليه ولشيء لا خير فيه ... » (ص ٢٩١)

وبعد ذلك، يكرر المؤلف دعوته إلى العناية بهاتين اللغتين اعتباراً من الدراسة الثانوية؛ فيقترح توزيع التعليم الثانوي إلى ثلاثة أنواع، على أن يختص النوع الواحد منها إلى تعليم الثقافة القديمة « يفرض فيه على الطالب درس اللاتينية ولغة أجنبية حية، ويترك له الخيار بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » ويحتم الانتساب إلى هذا الفرع على « كل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة: بما فيها الفلسفة والتاريخ والجغرافيا ». (ص ٣٠١)

لا يهمل المؤلف المقاومة التي ستلقاها فكرته هذه من مختلف الطوائف والبيئات فيقول: « إني أسمع في أثناء إملائي هذه الكلمات صياح الصائحين وأسمع ضجيج الضاجين، وأنظر [illegible] المنكرين من سخطه، ويمكنني مع ذلك [illegible] أقول: [illegible] إليه، فأمضي في هذه الدعوة، غير حافل بالرضا ولا بالسخط، ولا أمضي إلا لما أعتقد أنه يحقق للنهضة الثقافية المصرية » (ص ٣٠٠)

* * *

يتبين من هذه الاقتباسات التفصيلية التي تلخص آراء الدكتور طه حسين — دون أن أبدي شيئاً من موافقتي لها أو اعتراضي عليها — تبين بكل وضوح وجلاء أن مسألة « اللاتينية واليونانية في مصر » تطورت تطوراً غريباً ووصلت إلى طور جديد يحتاج إلى قرار حاسم.

هذه المسألة لم توضع على بساط البحث في معاهد المعارف والتربية في سائر الأقطار العربية؛ غير أن إثارتها ومناقشتها في مصر بهذه الصورة مما يجب أن يحمل المعاهد المذكورة أيضاً على التفكير في أمرها، لتكوين رأي صريح فيها، واتخاذ قرار معقول في شأنها.

ولهذا السبب، رأيت من واجبي أن أتدخل في هذا البحث الذي يثيره الدكتور في كتابه، وأبدي ما سنح لي من الملاحظات حول هذه المسألة.

إني أعتقد أن الطريقة المثلى لحل أمثال هذه المسائل هي أولاً: درسها من وجوهها الأوربية البحتة درساً عميقاً مجرداً عن كل فكرة مسبقة مع ملاحظة العوامل التاريخية التي أثرت فيها في الماضي والمذاهب الفكرية التي تحوم حولها في الحاضر. وبعد ذلك الإقدام على التفكير في المسألة من وجهة أحوال البلاد وحاجات الأمة، مع الاستنارة بالاختبارات التي تكونت والآراء التي تبلورت حولها في أوربا.

وإني عملاً بما تقتضيه هذه الطريقة أحاول بحق بإلقاء نظرة إجمالية على تاريخ مسألة تعلم اللاتينية واليونانية في البلاد الغربية فأقول:

من المعلوم أن اللغة اللاتينية كانت لغة روما في القرون الأولى، غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة المثقفة والمتنورة في جميع أنحاء أوربا الغربية عندما دخلت تحت حكم روما، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في تلك البلاد عندما اعتنقت الديانة المسيحية؛ وأخيراً صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عندما تكونت

الكنيسة المذكورة وأخذت تبسط سلطانها على جميع الدول والدويلات التي تدين بها، فقد تبنّت الكنيسة اللغة اللاتينية واتخذتها وسيلة لقيامها وحصنها، ولذلك عملت على نشرها في جميع البلاد التي دخلت تحت نفوذها، حتى بعد تداعي سلطة الامبراطورية الرومانية وزوالها بصورة نهائية.

وأما اليونانية فقد حافظت على كيانها في معظم البلاد التي انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها، كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق عن الغرب وتكوّن الامبراطورية الشرقية مستقلة عن امبراطورية روما الغربية، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في العالم الأرثوذكسي عندما اعتنقت الامبراطورية المذكورة الديانة المسيحية.

بهذه الصورة تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السيطرة على الحياة الدينية في أوربا المسيحية، فأصبحت الطقوس والصلوات المسيحية تحت احتكار اللاتينية في أوربا الغربية في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي، وتحت احتكار اليونانية في أوربا الشرقية - في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الأرثوذكسي - واستمر الحال على هذا المنوال طوال القرون الوسطى حتى حلول عصر النهضة وظهور البروتستانتية.

وأما الحياة الأدبية العلمية، في القرون الوسطى، فمن المعلوم أنها لم تجد من رواتها وبين أهلها إلا من بين رجال الدين؛ فعاشت وترعرعت تحت ظلال الكنائس وفي أروقة الأديرة، وارتبطت لذلك - هي أيضاً - باللغة اللاتينية فأصبحت هذه اللغة لغة العلم والأدب في جميع بلاد الغرب علاوة على كونها لغة الدين والصلاة.

من المعلوم أن اللاتينية تفشت في بعض البلاد الغربية بين جميع طبقات الناس، فأصبحت لغة العوام، وأخذت تتطور من جراء ذلك بصورة تدريجية إلى أن ولدت اللغات التي عرفت فيما بعد بالإيطالية، والفرنسية، والأسبانية، والرومانية ... مع هذا، ظلت اللاتينية الأصلية لغة الدين والصلاة، ولغة العلم والأدب، حتى في تلك البلاد، وحتى بعد تكوّن اللغات المذكورة واستقلالها عن مرجعها الأصلية.

إن الجامعات الأوربية والمعاهد التعليمية التابعة لها، أخذت تتأسس - في القرون الوسطى - في دور سيطرة اللاتينية على الحياة الفكرية والعلمية سيطرة تامة، ولذلك اتخذت من اللاتينية كلغة تعليم في جميع فروعه.

في الواقع كانت الجامعات المذكورة أخذت في تعليمها بعد مدة من الزمن بتعليم اللغات العربية والعبرية واليونانية أيضاً ... العربية لكونها مصدر العلوم في تلك القرون، والعبرية لكونها لغة الكتاب المقدس القديم، واليونانية لكونها لغة الأناجيل الأصلية. غير أن العربية والعبرية خرجتا بعد مدة من ميدان مشاركة اللاتينية في التعليم، وبقيت اليونانية اللغة الوحيدة التي تساعد اللاتينية في مهمتها العلمية والتعليمية، [illegible] تدريجياً بمرور الزمن، ولاسيما بعد أن [illegible] العلمية والأدبية.

إن معاهد التعليم الثانوي التي تأسست بهيئة الكليات الجامعية تأثرت بهذه الحالة العامة، فاتخذت اللاتينية أساس كل شيء، ولم تشرك بها أية لغة غير اليونانية [illegible].

إن تاريخ التعليم في فرنسا يقدم تفاصيل وافية عن أحوال تلك المدارس ومناهج التدريس وتشكيلاتها الإدارية ... ونفهم من تلك التفاصيل أن المدارس الثانوية في القرن السادس عشر كانت عبارة عن مدارس لاتينية بكل معنى الكلمة: لا يدرس في صفوف الأولين شيء غير اللاتينية، ثم يضاف إليها في السنة الثالثة مبادئ اللغة اليونانية، وفي السنة الأخيرة بعض المسائل الرياضية. وأما اللغة الفرنسية أو العلوم الأخرى، فلم تشغل أي محل كان في مناهج الدراسة ... حتى إن التكلم باللغة المذكورة كان يعتبر من الأمور الممنوعة على المعلمين والطلاب في خلال الدرس أو بعد الدرس، في داخل الصف أو في خارج الصف ... وهذا المنع كان مؤيداً بعقوبات عديدة وشديدة.

(يتبع) أبو خلدون

جناية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

٩

كتب إلينا أحد القراء يرجونا أن نترك السخرية من الأستاذ أحمد أمين ونكتفي في الرد بشرح ما تجنى عليه من الحقائق الأدبية، ونسمح أن نعود إلى السخرية من هذا الصديق

«إن الأستاذ أحمد أمين في معظم الفروق بين هذا وذاك سواء إلا يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال»

ولكن ما الذي نصنع والأستاذ أحمد أمين هو نفسه الذي يثير غضبنا عليه؟

ألم يحكم بأن الشعر العربي في جميع عصوره تشابه بحيث لا يمكن تمييز شاعر من شاعر إلا بعد مراجعة ترجمته؟ وهو قائل لنعرف أن أشعار الشعراء أدل على أصحابها من الترجمات. وهل يقع هذا الحكم من رجل إلا وهو يعتقد أن الأدب يكال بمكيال؟

أيحكم بمثل هذا أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب، وهي في العصر بين معاهدنا العالية، وأساتذة كلية الآداب لا يجوز عليهم الظن بأن الشعر العربي تشابه في مختلف عصوره وأقطاره تشابهاً يقضي بألا نستطيع التمييز بين ديوان وديوان إلا بعد مراجعة تراجم الشعراء

وهذا من يرجو تمييز العصور بعضها من بعض إذا جنى ذلك على أساتذة كلية الآداب؟

وقد حدثتكم من قبل أن حكم الأستاذ أحمد أمين في هذه القضية محال في محال. فلا يجوز أبداً أن يخفى على الناقد أن هنالك فروقاً كثيرة جداً بين العصور الأدبية؛ ولو شئت لقلت إن الشاعرين قد يعيشان في عصر واحد، ومع ذلك يختلفان أشد الاختلاف في طرائق التعبير وفي عرض المعاني. وهل يشبه شعر مسلم بن الوليد شعر أبي نواس وهما متعاصران؟ هل يشبه شعر أبي العتاهية شعر العباس بن الأحنف وقد نشآ في عصر واحد؟ هل يشبه شعر أبي تمام شعر البحتري وهما من عصر واحد ومن بيئة واحدة؟ وهل يشبه شعر الرضي شعر مهيار وهما متعاصران وكان بينهما من الصلات ما بين الأستاذ والتلميذ؟

وبعد عشرين سنة كان في مصر ثلاثة من فحول الشعراء يختلفون في المشارب والأذواق أشد الاختلاف حتى صح للعقاد أن يسميهم «الثالوث» وهم إبراهيم المازني وعباس العقاد وعبد الرحمن شكري، وكانوا قد كوّنوا جبهة أدبية تشبه المدرسة في الأدب الحديث، فهل يصح لناقد أن يتوهم أن هؤلاء الشعراء الثلاثة تشابهوا في الأغراض وفي تأدية المعاني؟

وكان حافظ وشوقي وصبري ومطران وعبد المطلب متعاصرين فهل تشابهوا في الخصائص الشعرية؟

وما يقال في الشعر يقال في النثر: فلا يجوز لناقد أن يتوهم أن الصاحب وابن العميد والتوحيدي يكتبون بأسلوب واحد مع أنهم متعاصرون

وما يجوز أن يقال إن المويلحي الصغير يشابه المويلحي الكبير في ألفاظه ومعانيه مع أن الأول ابن الثاني وعنه أخذ، وبأدبه تثقف، وأخذ من عيبه وروايته ما أخذ

وكان علي يوسف ومحمد عبده وحفني ناصف ومصطفى كامل متعاصرين، فهل يمكن القول بأنهم متشابهون في الخصائص النثرية؟

وكان محمد الخضري ومحمد المهدي قد تخرجا في معهد واحد وصارا في الخصوصية زميلين في مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة المصرية، أفيجوز أن يقال إنهما في التحرير وفي الإنشاء متماثلان؟

وفي عصرنا كاتبان يتصلان بالأسلوب أشد الاتصال وهما العشري والزيات، فهل هما متشابهان؟ وقد تأثر عباس حافظ بأسلوب السباعي، فهل هو صورة من السباعي؟ هيهات، فلكل منهما أسلوب خاص

والأمر كذلك في سائر الفنون. فقد كان محمد عبد الوهاب من تلاميذ سيد درويش، وهما مع ذلك متباعدان أشد التباعد في الاتجاهات الموسيقية والغنائية

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن شعراء العرب على اختلاف عصورهم وأقطارهم قد تشابهوا بحيث لا يمكن تمييز بعضهم من بعض إلا بعد الاطلاع على كتب التراجم؟

إن هذا لا يقع إلا من ناقد يتوهم أن الأدب يكال بمكيال ولو كان أستاذاً في كلية الآداب

لو كان أحمد أمين قد عكف على دراسة الأدب منذ فجر حياته العلمية لعرف أن الناقد البصير يدرك جيداً أن الشاعر الواحد له في حياته الشعرية أساليب مختلفة

ألم تسمعوا أن ديوان ابن الفارض يشتمل على فنون من الصنائع

ومن الأغراض بحيث يصح أن يقال هذا شعر الكهولة وذاك شعر الشباب ؟

ألم تسمعوا أن بغداد تقلب شعر ابن الجهم من حال إلى أحوال ؟

ألم تسمعوا أن أشعار الشريف في مصر لها ألوان تخالف ألوان شعره في الشام والعراق ؟

إن صديقنا أحمد أمين يتوهم أن وحدة القوافي والأوزان توجب وحدة المعاني والأغراض ، فهو لذلك يعتقد أن ديوان ابن خفاجة صورة من ديوان ابن زيدون ، ويزعم بأن شعراء مصر لم يكونوا إلا صورة من شعراء العراق .

ومثله في ذلك مثل من يقول أن الناس خلقوا جميعاً على طراز واحد ، لأنهم جميعاً لهم وجوه فيها أنوف وجباه وأفواه وعيون وآذان وهذا والله حق : فكل إنسان له عينان وشفتان وأذنان ، وهو يمشي على اثنتين لا على أربع ، ولكن هل يمكن القول بأن بني آدم مع هذا التشابه خلقوا على طراز واحد ؟

كيف يجوز هذا القول والتوأمان قد يختلفان اختلافاً بيناً في سمات الوجوه وفي خصائص الذاتية وفي فهم الأشياء ؟

ما كنت أظن أني سأحتاج إلى توضيح الواضح في الرد على الأستاذ أحمد أمين ، ولكنه قهرني على سلوك هذا المسلك الشائك لأدفع أوهامه عن أذهان القراء وفيهم من يظن أنه أبعد حرجاً من حرام حين يقول في أدب قسمة وأدب الروح ما يقول

المهم أن يعرف القراء أننا لا نتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، وإنما نريد أن يبصروا أن الحقائق الأدبية وجوهاً مختلفة يدركها من لا يدرك من ينظر إليها نظر المتهم والاستقراء . أما الذي يحسبون الأدب بلا تأمل ولا تثبت فقد يخفى عليهم المعاني الفنية ولا يظهر لأعينهم غير ما يحبون أن يجدوه من ملحوظات يقال إنهم مصححون لا يهمهم غير التنبيه على العيوب .

ونحن نقول بأن الأدب العربي كان في جميع أطواره معرضاً من الضعف ، وإنما ننكر أن ينظر الرجل إلى الأدب العربي نظرة الاستخفاف ليهون من شأنه بلا بينة ولا برهان

وفي أي عصر يستبيح بعض الناس هذه الألاعيب ؟

في العصر الذي يريد فيه العرب أن يستوحوا من أدبهم ذاتية أدبية ليقاوموا طغيان الآداب الأجنبية ، ويقيموا ما تهدم الأدبي على أسلوب قريب من عظمة أسلافهم في التاريخ

ولو أن الكلام الذي قاله الأستاذ أحمد أمين وقع من رجل غيره لقلت إنه يشجع أعداء العروبة والإسلام ، ولكن الأستاذ أحمد أمين بالتأكيد سليم الصدر من هذه الناحية ، فهو رجل عربي مسلم والحمد لله ، وإنما أخطأ في حكمه فكان خطؤه من أوجب الواجبات والله يرجع عنه فيعرف أننا لم نقدم إليه غير الجميل

وهل نحتاج إلى إقامة الدليل على حسن النية في صنعنا مع هذا الصديق ؟

لقد كان ناس يزعمون أننا حاربنا الدكتور طه حسين لأغراض شخصية ، وكان الدكتور طه يحرص على نقل هذا التوهم على بعد الرد عليه بعد ثلاث سنوات ، أو أربع سنوات ، بأسلوب واضح صريح ؛ ثم ... الصبر والاحتراس أن يتوهم قراءه وسامعيه بأن محاربه لغرض خاص ... من العقل ألا يصح الرجوع للأغراض الشخصية ثم ذهبت الأيام واستبان للدكتور طه ملاءمة أعلم جمهور من أقطاب الرجال بأن ذلك سلوك من أصحاب العقائد في حياته الأدبية ويجب أن ينظر للنصف إلى مساواة في النقد الأدبي بين الرفق والعنف

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يهرب من الرد عليّ بحجة أنه شتمه وتجاوزه بلا سبب معقول ، ثم يكتفي بأن يوجه إليّ أنواعاً من لوم جاهلية لا يصدر عن رجل في مثل آدابه العالية ، وهو يعرف في سريرة قلبه أنه أصدقاؤه منذ عهد بعيد ، ويعرف أني أصفه من آثره ما لا يصفه إلا الأقربون ؟

وكيف جاز له أن يقول أني تآمرت مع صاحب « الرسالة » عليه ، مع أن مقالاتي في الرسالة قد تنتهي بخصومة بيني وبين الزيات ، لأن الزيات سامحه الله قد حذف من مقالاتي فقرات كثيرة رعاية لصديقه العزيز أحمد أمين ؟

أيعرف ذلك بها القراء ؟

نحن أيضاً في غربة موحشة بين رجال هذا الزمان فالأستاذ أحمد أمين كان يحسب أني أتشفى تلبية لتزكية أحكامه الظالمة على الأدب العربي ، والأستاذ الزيات كان ينتظر أن أرد على أحمد أمين بأسلوب رقيق شفاف بعد كل سمائم الأقاويل والشبهات على صفحات الجيل !

فكيف غاب عن هذين الصديقين أني رجل له صفات ؟

كيف غاب عن هذين الصديقين أن الأدب العربي وصل إلى ذي شجون وأني أتحرى من يشتهون به أحد الأقوياء ؟

إن الأدب العربي هو الصورة الناطقة من ماضي الأمة العربية

وهو في الواقع أدب أصيل لا يستهين به إلا حاقد أو جهول ، وهو كذلك صورة من التعرض للصرف في عهود الخوارج ، فكيف يجوز أن نسامح من يجنون عليه أشنع الافتراء ولو كانوا من كرام الأصدقاء ؟

الله يشهد أني متوجع لما صنعت للأستاذ أحمد أمين ، وهو رجل له ماض في خدمة الدراسات الإسلامية ، وله مواقف في مواروثي سأذكرها وإن طال الزمن ؛ ولكنه في الأعوام الأخيرة أصيب بمرض عضال هو السخرية من ماضي الأمة العربية ، والتبرم بضرب من الحذلقة لا يجوزه غير الأصحاب المتطفلين الذين لا يهمهم غير الاقتراب من روحه الطيب

والأدب القديم الذي يتنكر له أحمد أمين هو نفسه الأدب الذي لم يستنصر بغيره حين حاز ما أن يشتمه وهو ظالم

الأدب القديم يقول : « أمن سكياتك لا أمن مضحكاتك »

فهل توجع هذا الصديق مما أسمعناه يهجوم عليه فرض واجبه أن يذكر أنا آذينا مصر خدمة عظيمة حين واجهنا بالكلام نقد كان من ينتظر أن يشرب الشكاكين المرّ من النقاد في الشام ولبنان والحجاز والعراق والهند وتونس والجزائر ، وهنا كثير ، وما إلى هؤلاء من الأقطار التي تسير الأدب العربي

قد يقول قائل : وما معنى هذا الكلام ؟ أيكون معناه أني أنتصر على الأستاذ أحمد أمين بعد أن أصبته بالتبدد ؟

هو ذلك ، فما كان أحمد أمين إلا ابناً مصرياً وإن عرّض مصر لأشنع ضروب الهتك

أحمد أمين رجل فاضل وإن تردى في هاوية الزيغ والضلال حين حكم بأن أدباء العرب كانوا أصحاب معدات لا أصحاب أرواح

وما كان لي أن أطيل في شرح هذه المآسي لولا أن عرفت أن رجالاً لم أتشرف بمعرفتهم دعوني إلى مساءلة هذا الصديق

فليعرفوا — غير مأمورين — أني لا أهجم عليه إلا اجتهاداً في الحق ، وفي أن أذكره في أمان حين يعرف أن الأدب العربي أقوى وأعظم من أن يتعرض له باحث بسخرية واستخفاف ، وسوف يرى عواقب ما يصنع إلى حين والسلام

* * *

أما بعد فقد كان موضوع هذا المقال هو النص على سخاء هذا الصديق في السخرية من الأدب الأندلسي

فهل اتفق لهذا السخي أن يدرس أدب العرب في الأندلس ؟

إني لا أزال أذكر كيف أمر حتى تلاميذ معاهد التعليم العالية في مسابقة فقدمت لهم شبه من قيمة أعماله شئ الحمد اسمه الأستاذ أحمد أمين من دون تفسير حين شئت ، وكيف نقل ذلك ؟ نقلوا إلى مقدمة الجزء الثالث من كتاب ظهر الإسلام وفيها يصرح المؤلف بأن تصميم الكتاب كان يوجب أن يكون له جزء رابع خاص بالأندلس ، ولكن أحد المستشرقين نبهه إلى أن الأندلس في ذلك العهد لم يكن فيه حياة عقلية تستوجب أن يفرد لها جزء من كتاب ، فانصرف عن تأليف ذلك الجزء المنشود !

وفي مساء ذلك اليوم كان عندنا الشهاوي بك والعرسواني فتحدث ، ودار الحديث حول المؤلفين المصريين فانبرى الأستاذ العرسواني يثني على الأستاذ أحمد أمين ، فعجبت وحكيت أن أحمد أمين صرح في مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام بكيت وكيت ، فقال : هذا مستحيل ، هذا مستحيل ، ولولا حضور الشهاوي بك لثارت معركة بيني وبين الأستاذ العرسواني

والحق كل الحق أن الأستاذ أحمد أمين لا يعرف الأندلس إلا معرفة سطحية ، وآية ذلك أن الأدب الأندلسي لم يدرس في كلية الآداب منذ عشر سنين

فهل نستطيع مرة ثانية أن نلتفت فندعو الأستاذ شفيق غربال إلى إنشاء كرسي للأدب الأندلسي في كلية الآداب ؟

قد يعتذر السيد الجديد بأن الدكتور طه حسين صرح مرة بأنه لا يجوز لأستاذ أن يتصدر لتدريس الأدب الأندلسي وهو لم يطلع على غير كتاب نفح الطيب

ولكني أؤكد للأستاذ شفيق غربال بأن مصر لا تخلو من رجال درسوا الأندلس في المصادر العربية والمصادر الأجنبية ، ولهم قدرة على تحلية ذلك الأدب بأسلوب واضح جذاب ، وهو خليق بأن ينتفع بمواهبهم حين يشاء

ومتى حتى تكون كلية الآداب أعظم معهد أدبي في الشرق إذا لم يتيسر لها أن تحيط بتاريخ العرب في الأندلس من نواحيه الأدبية والسياسية والتشريعية ؟

وكيف يجوز أن يعجز علماء مصر عما قدر عليه علماء الفرنسيس والإنجليز والأسبان ؟

إن مصر هي بلا جدال أعظم الأمم الإسلامية والعربية في الشرق ، فكيف تعجز عن درس تاريخ العرب والمسلمين في الغرب ؟ وكيف يصح لأبنائها أن يكونوا عالة على المستشرقين

في الشؤون العربية والإسلامية حتى يجوز لأحد أساتذة كلية الآداب ألا يحسم في أبحاثه أو يتأخر إلا بعد أن يظفر من المستشرقين بإذن خاص؟

قد تقولون: وهل احتقرت الثقافة العربية في كلية الآداب؟

وأجيب بأن كلية الآداب تأخذ من أموال الحكومة أعظم مما تأخذ سائر المعاهد المشرفة على الدراسات الأدبية والفلسفية، وهي مسئولة عن عرض حوادث العرب والمسلمين في الشرق والغرب، ولها الترجيح في توجيه الشبان إلى ضم خصائص المجد في خدمة الحضارة والمدنية، وتذكيرهم بأن أسلافهم سادوا العالم بضعة قرون، وكان لهم تأثير كبير في خلق الجيل الجديد.

فهل يعترف بذلك صديقنا أحمد أمين؟

وهل تعترف به الجامعة المصرية؟

لقد قضيتُ نحو خمسة عشر عاماً وأنا أدعو إلى تدريس العلوم باللغة العربية في كليات الجامعة المصرية، فكان المتطلعون من أساتذة العلوم يعتذرون بأن اللغة العربية تعوزها المصطلحات في كثير من الفنون، وظلوا على ذلك إلى أن كتب معالي الدكتور هيكل باشا إلى صحيفة مصر الحديثة يقول: إنه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تأدية المعاني العلمية. وكانت تلك الإشارة كافية لأن يعرف أساتذة الكليات أن تدريس العلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل، وكانوا يرون قبل ذلك أنه من المستحيل!

لقد مضت الجامعة المصرية أعواماً طوالاً وهي تدرس العلوم بالكتب الأجنبية، ولم تعرف وجه الحق في إعزاز اللغة القومية إلا بعد أن نبهها وزير المعارف، أكرمه الله وحرسه من الأذى.

فهل يعلم القراء أن ما قوى هذه الفكرة من قبل أن الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغة العبرية مع أن بني إسرائيل ليس لهم ماضٍ في خدمة العلوم، ومع أن النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عن أغراضهم بلغات أجنبية، ولم يفكروا يوماً في خلق عصبية للغة العبرية قبل حركة الصهيونية؟

اللغة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهي في قبر عميق؛ أما اللغة العربية فتعجز عن تدريس العلوم مع أنها كانت لغة دولية في مدة دامت نحو خمسة قرون، ومع أنها استطاعت أن تحفظ الذخائر مما خلف الفرس واليونان!

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لأن اليهود أرادوا أن يظفروا لأنفسهم بذاتية قومية، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد.

أما اللغة التي تكلمها أقوام يشاركوننا في ديننا، والتي صححت بعجائبها كثيراً من ألفاظ الشريعة، والتي تقول الأجيال اللاتين بعرفه التقديس، والتي حملت أسفار الأنبياء الدينية في مختلف عهود التاريخ، والتي حدثت حدثت ... لغة من لغات الشرق أو من لغات الغرب، والتي عجز العقل عن تحديد ما عاناه من دمار ومعاش، والتي سخر الله لخدمتها طائفة من الأساتذة في الجامعات الأوربية والأمريكية

هذه اللغة النبيلة — لغة العرب — هي اللغة التي يقال إنها تعجز عن تأدية الأغراض العلمية، فحسن حظها ... الذين يرون في تجريحها باباً من الشهرة والنباهة وبعد الصيت

وأعيد القول من الأسف بقيمة هذا الاستطراد، فهو متصل بدعوى سخرية أحمد أمين من الأدب العربي، وإعابته على تلك الصحيفة لأنها من الشواهد على أنه غير موصول الأواصر بذلك الأدب البديع. ولو أن أحمد أمين كان تذوق أدب العرب لأصبح محبوب لياليه، ولكنه ... من صدور الذين من أبناء الجيل، وصدق قول الحكماء: «من جهل شيئاً عاداه».

وهناك شبهة يجب تبديدها، فقد يتصدى أحمد أمين ... هذا الرجل يرد علينا قائلاً: إن الأدب يحتاج إلى النقد وأكثره يحتاج إلى التجريح، وهذا حق، ولكن هل يدرك المراد من النقد؟

النقد هو في الأصل تمييز الزائف من الصحيح فيدخل فيه الذم ويدخل فيه الثناء، ولكن أحمد أمين يتوهم أن النقد مقصور على التجريح، ويرى الكلمة الطيبة باباً من التفريط، وهو عنده عيب، ونحن نقول: فلا نقد إلى الأدب العربي أدب أصيل والزائف منه لا حاجة به ولا قيمة بجانب الصحيح، فكيف انحرف صدره عن المحاسن ولم يشهد غير العيوب؟

وهل في الأدب حَسَنٌ وقبيح؟

الأدب جدُّه حقٌّ وهزله جدٌّ، ولا يعاب منه إلا ما غلب عليه التكلف والافتعال، كالذي يقع من بعض الناس حين يكتبون مقالات لم تصدق فيها قلوبهم، وإنما يكتبونها ليقال إنهم ظفروا الجمهور في كيت وكيت، أو ليحصلوا على وسيلة لاجتلاب مقالات المكتتب بأمس لتحصيل أعدادهم في تحرير الجرائد والمجلات

فماذا أريد أن أقول؟

أريد النص بأن الأستاذ أحمد أمين يسرف في كلمة الحق

ولو رزقني الله الشجاعة لقلتُ إن هذا الرجل يجني على

الأدب العربي لأنه لم يعرفه معرفة صحيحة ، ولو قد عرفه حق معرفته لأدرك أنه خليق بأن يُبذل في سبيله نفائس الأعمار من أحرار الرجال

لو أن أحمد أمين كان تذوّق الأدب العربي لآمن أنه خليق بأن يتعصب له الباحثون من هذا الأدب عاش بمصر له جميع الدهور

ما رأي أحمد أمين في كتاب « لسان العرب » ؟ وما رأيه في كتاب « الأغاني » ؟ وما رأيه في كتاب « نفح الطيب » ؟ وما رأيه في كتاب « عيون الأخبار » ؟ وما رأيه في كتاب « إحياء علوم الدين » ؟

إن كتاباً واحداً من هذه الكتب كان لأن يتهيب ... طليعة مثل حياة أحمد أمين ، وهو خليق بأن يرفع رأس العرب بين سائر الممالك والشعوب

وما رأي أحمد أمين في « ألفية ابن مالك » وهي من المنظومات النحوية والصرفية ؟

هل خطر بباله أن هذه المنظومة شغلت مئات من العلماء ؟

وهل مرّ في خاطره أنها تُرجمت إلى التركية منذ أمد بعيد ؟

وهل يعرف كيف تترجم مثل هذه المنظومة إلى اللغة التركية ؟

وهل يعرف من الذي ترك وجهها من علماء الأزهر الشريف ؟

إن هذا الصديق كان يتوهم أن مصر خلت من المتبحّرين في الدراسات الأدبية واللغوية ، وكان يحسب أن يشطح وينطح بلا رقيب ولا حسيب

وما كان يهمني أن أصحح ما وقع فيه من أغلاط لو لم يكن أستاذاً بكلية الآداب ، فتلك الكلية هي أول معهد فرضته الأمة على الحكومة ورفعت قواعده بما عندها من أموال وقلوب

وما أنكر أن أحمد أمين بذل جهوده في كلية الآداب وقد وصلته بها صلات أربع سنين ، ولكن يعز علي أن أراه يحبط أعماله بمقالات خطرة لم تكن غير ثمرة لسهر الليل وإغفاء العيون تحت أضواء المصابيح ، وإنما كانت ثمرة لنزوة وقتية أراد بها أن يخلق حركة في بعض المجلات ، والنقد كالزواج بعضه حرام وبعضه حلال

أنا أريد أن أعرف كيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن أبناء الأندلس لم يعشقوا الطبيعة ، ولذلك حساب سيراه في المقالات الآتية ؛ ولكني أرجوه قبل أن أشرع في هذا البحث أن يدلني على مراجعه من التهديد الذي خصني به في مجلة الثقافة الغراء !

وإنما أخص ذلك لأني أحب أن أعرف مصيري بعد أن ستحسّ ما ستحسّ من الحرقة في الكبد الأولى

إن الشاعر الذي استنجد به أحمد أمين يقول :

هل زهير يخشب سرانا ... حسد يتناهى إلى الحجر

ولا بأس ، فأحمد أمين لا يجاري في السم بالسم ، إن صح أن شبهه

ثم يقول ذلك الشاعر الذي استنصر به أحمد أمين

ولكننا نأتي الظلام ونختفي ... مكان رقيب الشعريين مصمم

أعوذ بالله ! هل أخشى أن يتقلد أحمد أمين بسيف مصمم رقيب الشعريين ؟

وكيف وهو الذي هرب مني حين ذهب أحمد عنه بشوارب الإسكندرية ! وكيف يلقاني أحمد أمين بسيف رقيب الشعريين وهو الذي لم يستطع ملاقاتي إلا في شارع مهجور وقد ... ؟

ثم يقول الشاعر الذي استنصر به أحمد أمين

ونحمي أيدينا ونعمر رأيتها ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

هل أخشى أن يرميني هذا الصديق بالحجارة والطوب حين يلقاني في الإسكندرية أو في مصر الجديدة ؟

يلقي أحمد على الحجر ... ليس ثم ليب

فلو كنت شجاعاً لثبت إلى أحمد أمين لم يحرك الردى من تلك الأبيات الحماسية . وكيف أشجع وأنا مهدّد بالحجارة والطوب من أحمد بن أمين المصري ؟

إن الأستاذ محمد سعيد العريان يقول : إني في أسلوبي قريباً لأني من الأشراف ، وهي تهمة لا أدفعها عن نفسي لأني أحب أن أميني : أي عن أني شريف

أنت ... هل تعلم كيف خلقني ، وكيف سوّاني رجلاً لا يغضب إلا في سبيل الحق ، وقد شاء ربي من عباده أن يظلموني فتجاوزت عنهم وأصفح عنهم ، فإياك أن تنتظر الذنوب

ولك أن تنتظر ، يا صديقي أحمد أمين ، مصيري في الأسبوع المقبل كيف ألقاك ، وكيف أحرّك إلى أدب يعرف كيف تتكلم أبناء العرب في مصر والأندلس والشام والعراق

وعداوة رجل مثلك قد يكون كفّارة عما اقترفت في حياتي من آثام وذنوب .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين »

« الحديث شجون » زكي مبارك

ذكريات سنى التعليم

الامتحانات والنتائج

للأستاذ عبد الرحمن شكري

منذ ما يطول كان سوء نتائج الامتحان ينسبه بعضنا إلى ضعف الطلبة وإما إلى المناهج أو نظم الامتحان وإما إلى المدرسين، إلى غير ذلك من الأسباب، ولكنهم يحسبون أموراً عامة قلما يذكرونها فيأتي التعليل ناقصاً. وهذا هو سبب تكرر مأساة سوء النتائج سنة بعد سنة بالرغم من استقرار حالة الطلبة نسبياً الآن عن كان عليه أثناء الإضرابات المتكررة والأزمات السياسية الحادة، وبالرغم من تخفيف المناهج وتبسيطها، وبالرغم من تسهيل نظم الامتحان بما يجعل الامتحان في مواد أقل أو مواد سنين أقل وقلّ عدد تلاميذ الفصول في المدارس الأميرية وقت اضطراب السكينة، وخفض عدد الحصص التي يدرسها الأستاذ المدرس في موسم المنهج ذاته. وإن كان قد وكل إليه عمل آخر في النشاط المدرسي — فكان يجب أن تتحسن نتيجة الامتحانات تحسناً كبيراً لو كانت هذه الأمور وحدها سبب حسن النتيجة

والحقيقة أن هناك أسباباً لم ينظر إليها. ولم تكن النتائج الحسنة التي حصلت عليها بسبب إرهاق الطلبة في العمل؛ بل كنا بالعكس نحاول منع الطلبة من إرهاق أنفسهم العمل ليلاً ونهاراً في الشهر الأخير ونمنعهم من إتلاف صحتهم من غير فائدة ببذل الجهد المتعب؛ أما التشدد في نتائج النقل فلا ينفع أيضاً، إذ كنا نحصل على مثل هذه النتائج في مدارس لم تباشر امتحان النقل فيها أو في فرق كانت نسب النجاح في امتحان النقل فيها حسنة صحيحة. فالتشدد في امتحان النقل وحده لا يكفي إذاً. وجهود المدرس أو مدرسة لا تكفل وحدها حسن النتيجة، فقد تكون جهود المدرس كأحسن ما تكون الطاقة وجهوده أكبر جهود، وتأتي النتيجة سيئة نسبياً. وقد شاهدنا ذلك في نتائج أساتذة من أحسن المدرسين عملاً وطاقة، بينما كانت نتائج مدرسين آخرين في ظروف أخرى في مثل نتيجة المدرسة لحسن الطلبة مع أنهم لا يمتازون عن إخوانهم في المادة ولا في الشرح والتفهيم، بل كان بعضهم أقرب إلى القاصر منه إلى المبرز [illegible]

والعامل الأول في تحسين نتائج الامتحان في رأيي هو في فحص المدرسة التلاميذ الضعاف في كل فصل بالرجوع إلى دفتر امتحان النقل في كل مادة وأن يوجه إليهم الأستاذ المدرس جهده أثناء التدريس والشرح، وفي الاختبارات الشفوية في أول كل حصة وفي توجيه الأسئلة أثناء خطوات التدريس للتأكد من التفاتهم وفهمهم ومذاكرتهم. وبالاختصار يكون أكثر التدريس للضعاف أثناء الحصص. قد يقال إن الطالب الذكي المجتهد أولى بالرعاية والتشجيع كي يزداد علماً وثقافة. وهذه فكرة خاطئة إذ أن المدرس غير مطالب بتخريج نوابغ قليلين، وأكثر النوابغ يستطيعون النبوغ بقليل من التفات المدرس وعنايته، ولكنه مطالب برفع مستوى الضعاف وهم أعظم أشتات المدارس لأن حاجتهم إلى المرشد أعظم من حاجة النوابغ. ولا يصح أن يتجرد الطالب القادم من التعلم على حساب إخوانه الضعفاء أو الأقل ذكاء. ويستطيع الأستاذ إذا سبق النوابغ إخوانهم في الفهم والاستيعاب أن يعطيهم عملاً خاصاً في أثناء الحصة أو خارجها إلى حين للتخلل من جانبهم، إذا صبر على قصور فهم الضعفاء واستيعابهم، ويستطيع أن يمنع الأذكياء من حق الإجابة عن السؤال للتأكد من أن سيره مع الضعفاء لم يثبط همة الأذكياء ولم يصرفهم عن الدرس ولا سيما الأذكياء الذين يعتمدون على ذكائهم في التحصيل في الشهر الأخير من العام الدراسي، على أن تتبع الأستاذ الخطأ والصعوبة في أذهان الضعفاء مما يزيد النابغة معرفة بمواضع النقص الإنساني من الخطأ والصعوبة وإن كانت الصعوبة في ذهنه أقل؛ إذ لا شك في أن بعض الأذكياء قد يكتمون نقصاً عندهم ربما لا يدركه الضعيف الفهم إذا لم يمسكه الا حياء وخجلاً من الظهور عنده وربما كان عناد يضحك منها إخوانه الأذكياء، وهو أمر ينبغي ألا يسمح به.

ولا فائدة مطلقاً من تقديم الأستاذ المدرس تقرير لناظر المدرسة يومية أو أسبوعية عن التقصير في الاستذكار إذا لم يحمل على اتباع هذه الطريقة اتباعاً خاصاً، أي طريقة مناقشة الضعفاء أثناء الشرح للتأكد من التفاتهم ومتابعتهم إياه وفهمهم. وإن كان في التدريس

بطء بسبب هذه الطريقة استطاع الأستاذ أن يتلافى هذا البطء بوسائل أخرى، ومن الضرورة أن تشجعه وسائل التنشيط والتقدير والمكافأة مهما إذا اضطره هذا التعطيل إلى الزيادة في عمله إلى تصحيحه وقته الخاص

أما العامل الثاني في تحسين النتائج فهو أن يعرف الأستاذ مواطن الصعوبة في المنهج ذاته والأغلاط والأخطاء الشائعة بين الطلبة عموماً سواء أكان ذلك في الحساب أو في المواد الأخرى وأن يعطيها شرحاً أوفى وتكراراً أكثر وأن يعاود الرجوع إليها حتى يقتلعها من أذهان الطلبة اقتلاعاً ليس أساسه القهر وإنما أساسه الفهم. وكذا تحصى الأغلاط الشائعة بين الطلبة المنتشرة بين في السنة الإعدادية وتحصيها لهم وتعمل على مكافحتها

فالعامل الأول هو التوجه بالتدريس إلى الضعفاء والمتأخرين منهم والعامل الثاني إحصاء الأغلاط الشائعة وأوجه الصعوبة وتلافيها

أما العامل الثالث فهو أن الطلبة يؤجلون الاستذكار إلى آخر السنة وقد لا يكون التأجيل ناشئاً من الكسل والبلادة بل قد يكون عن حسن نية لأن سبب هذا التأجيل فكرة سيكولوجية خاطئة فهم يحسبون أنهم إذا استذكروا شيئاً في أول السنة ثم نسوه لم يستفيدوا من ذلك الاستذكار بسبب النسيان، وقليل من علم النفس يبرهن على خطأ هذه الفكرة إذ أنه يثبت أن صورة الأمر المنسي راسخة في أعماق الذهن والوعي الباطن وأنه لا يسهل استخراج المقولات من أعماق الذهن عشوائياً، فصاحبه قد يذكرها في أي وقت إلا إذا انطبعت الصورة في الذهن مرة بعد أخرى وفي كل مرة يعقب الاستذكار النسيان حتى يأتي على صاحب الذهن وقت لا ينسى بعد الحفظ، ولو فهم الطلبة هذه الحقيقة النفسية لاستطاعوا أن يتصوروا السبب في أن الواحد منهم قد يجيد مذاكرة الدروس في الشهر الأخير من السنة فقط حتى إذا سألته ربما أجاب إجابة جيدة فإذا دخل الامتحان نسيها ولم يستطع الإجابة فإذا رسب أقسم أنه استذكرها جيداً وأنه نسي الحفظ. نعم إنه استذكرها جيداً قبيل الامتحان ولكن يجب أن نفهم أن محاولته تجنب النسيان في أثناء السنة بتجنب المذاكرة طول السنة هو الذي أوقعه في النسيان أثناء الامتحان فهو أجل المذاكرة آخر السنة، وأن نسيانه أثناء الامتحان نسيان للمقولات أو كاد دليل على انطباع المقولات في النفس انطباعاً لا تنسى معه عند الحاجة يستلزم تجميع [illegible] في التذكير مرة بعد أخرى في أوقات مختلفة. ومن الصعب أن تدرك الطلبة هذه الحقيقة كل الإدراك أو يتذكروها فتمنعهم التخلص من عادة تأجيل المذاكرة للشهر الأخير اعتماداً على أعمال التصحيح لهم من هذا القانون السيكولوجي. ومن الممتنع أن يوفق أحدهم بالمذاكرة ليلاً ونهاراً في الشهر الأخير يغلب عليهم وإنما تكون الصحة تأثر الفعل ولو تأثراً مؤقتاً ويصير أقل استعداداً للإجابة أثناء الامتحان. وحسن النتيجة للمدرسة في الامتحان يتوقف على الوسائل التي تمنعها من تأجيل الاستيعاب إلى الشهر الأخير

والأساتذة المدرسون يجدون مقاومة كبيرة في حمل الطلبة على الاستذكار من أول السنة، كما يجدون مقاومة إذا اتبعوا طرق النجاح الأول واختبروا الطلبة في كل حصة من الحالة الأولى بعد الحصة مطالبتهم بالاستيعاب والمذاكرة من أول السنة حتماً ولطفاً ومطالبة بغير مانع لا عائق في نظرهم لأن نفوسهم تعتاد بعد أول استذكار، وقد يكرهون المدرس أو الناظر إذا حمل حملهم على هذا العمل من أول السنة ويعدون هذه ووسائله في حملهم تعسفاً ومضايقة لا مبرر لها ووسيلة غير معقولة. وفي حالة الاختبار الطلبة للمدرس في كل حصة يعد الطلبة المدرس عند الاختبار الدائم إليهم تعسفاً مكروهاً ومضايقة وإهانة لشعورهم بأنهم أحرار [illegible]

والآباء وأولياء أمور الطلبة لا يدركون مقدار ما يلاقيه الناظر وما يلاقيه المدرسون من عنت للتغلب على عيوب الطلبة وأخطائهم الناشئة من الوجهة السيكولوجية أي اعتمادهم أن العمل من أول السنة عمل ضائع لأنه يؤدي إلى النسيان واعتقاد المضايقة في الورد أن الاختبار لهم في كل حصة مقصود به إهانتهم وهذا هو السبب في أن أولياء أمور الطلبة قد يشكون في سياسة الناظر أو المدرس أو على الأقل لا يحاربون نفوس أبنائهم فترى أحد الآباء يحضر إلى الناظر أو المدرس يشكو منه، وقد يبلغ هذا الأمر حداً يشترك الأب فيها ابنه في كره الناظر أو المدرس. وهذه المقاومة من الآباء والأبناء تشتد إذا كانت هناك عوامل خارجية أو داخلية في المدرسة تزيد سوء التفاهم وتشجع الطلبة أو أولياء أمورهم على كره الوسائل التي

يتحمس الناظر أو المدرس ومدرستهما، وهي على أي حال مقاومة كبيرة، وقد يضطر الناظر إلى رفض طلب أو إذا طلب المدرس من الناظر رفض طلب رفضاً مؤقتاً لأن بعض الطلبة قد يحرج المدرس إحراجاً كبيراً إذا حاول اتباع هذه الخطط والعوامل التي شرحناها. ويرى بعض آباء الطلبة أن حضور الطالب طول العام من غير رفض أيام قد يجعله متعباً كسائر الطلبة ولا يمنع حضوره وأن يصحبه أيام في الرفض قد يزيد رغبته واستعداده حضوراً في الأيام الأخرى. ومن أجل هذه المقاومة قد يزهد الناظر أو المدرس في اتباع هذه الخطط التي شرحناها رغبة في تسهيل سير الأمور ومنعاً للمشكلات، أو قد اتبعت هذه الخطط قد تتبع تتبعاً مخففاً حسب الظروف وقدر الاستطاعة. وهنا يقلل ملاحظ من حسن نتيجة الامتحان. والنتيجة محصورة ما دامت هذه المقاومة موجودة ولا يستفيد الناظر ولا المدرس من اتباع خطط قد تجلب له عداوة شديدة وأحقاداً وربما تخطت منطقة المدرسة إلى الوزارة نفسها. والوزارة أيضاً لها بعض العذر فإنها إذا نصرت الناظر مرة قد لا تستطيع مناصرته دائماً. فالكاتب الذي يكتب في الجرائد ويطلب نتائج حسنة يجب أن يحول للمقاومة التي تمنع من الحصول على نتائج حسنة.

بقي أن نعقد بعض الأخطاء الشائعة في التعليم والتي قد تؤدي إلى رسوب الطلبة، فمن هذه الأخطاء مغالاة بعض أساتذة اللغة الفرنسية في طريقة الشرح باللغة الفرنسية وحدها للطلبة المبتدئين الذين قد يستمرون أشهراً غير فاهمين لأن التفسير يحتاج إلى تفسير. نعم إنه مبدأ جيد بشرط أن يكون الشرح مفهوماً، أما إذا كان التعبير الفرنسي مجهول الكلمات غير مفهوم فالواجب استخدام أية وسيلة لإفهام الطلبة سواء أكانت بالإشارة إلى الأشياء أو في المنقولات غير اللغوية باستعمال اللغة الإنجليزية أو العربية. ومن الخطأ في تدريس اللغة الإنجليزية أن يقال للطالب هذه خطأ وصوابه كذا ويكتفى بذلك، فهذه طريقة التدريس لبعض الإنجليز الذين يحسون الصواب كثيراً. فلا بد من أن يكون الأستاذ مدرس اللغة الإنجليزية خبيراً بفقه اللغة وقواعدها، ولا حرج عليه مطلقاً في شرح القاعدة أو الاصطلاح إلا إذا كان الاصطلاح غير مبني على قاعدة. ويكون أكثر أخطاء الطلبة المصريين في اللغة الإنجليزية راجعاً إما إلى الخطأ في قواعد اللغة، وربما إلى احتذاء الأساليب العربية وقواعد اللغة العربية، وهذا الخطأ يحتاج إلى شرح سببه ونوع الطالب في خطئه، ومثل ذلك أن الصفة تجمع في اللغة العربية، ولا تجمع في اللغة الإنجليزية، فإذا عرف الطالب القاعدة وسبب خطئه أمكن تجنبه، أما أن يقال له لا تقل كذا بل قل كيت وكيت لأن الأول خطأ فهذا شيء في تدريس حل أسئلة الرياضة والعلوم يحول الأستاذ هذا الحل خطأ من غير تفسير سبب الخطأ، وهو تفسير يجب أن يشهده كل طالب في كل سؤال أو تمرين وإلا بقي الخطأ في ذهنه بالرغم من معرفة حل الأستاذ للمسألة. وهذا التفسير ببيان سبب الخطأ في كل تمرين يحتاج إلى وقت ولكنه السبيل الوحيد للنجاح. وقد رأيت بعض الأساتذة الأعلام يحاولون محاولة الطالب الأسلوب الأدبي العالي في الإنشاء بالرغم من غفلة الأغلاط الأولية له! وهذا يرجع إلى عدم التوجه للأسلوب الأدبي بشرح الأغلاط الأولية الشائعة والتصدي لها بكل وسيلة لأنه يعطي فكرة سيئة عن الطالب تؤدي إلى رسوبه في الامتحان مهما حاول المصحح إنصافه في مسائله بعض الجمل الثانية.

عبد الرحمن شكري

علاج حديث مبتكر ولكنه قديم

عند الرجوع المتمعن عرفت أسلافنا الأقدمون بعضاً من الفوائد الطبيعية الصحية التي يمنحها لنا الطبيعة في الثوم؛ فهو ينشط القلب ويقويه وينظم عمل الشرايين ويطهر الدم وينظم الدورة الدموية وبكيفية مستمرة يجدد الشباب جميع أعضاء الجسم بما فيها الكلية.

ومنذ ٥٠٠ سنة ذكر هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير في كتب التاريخ أن الثوم كان الطعام المحبب عند قدماء المصريين لتقوية الجسم والقوى. ووجدت الحركة اليوم من حقائق هذه الطبيعة المدهشة ما يبين له عمل الثوم في تقوية الجسم وأعضائه [illegible] الرجل المصري [illegible]

وبعد هذا أصبح من المحتم على كل رجل وامرأة بعد سن الأربعين أو الخمسين أن يأخذ زيت الثوم لشهرين على الأقل في أوان فصل الشتاء وفصل الصيف من كل سنة [illegible]. ولكن [illegible] من أن يأخذ الثوم فإنه يتأفف من طعمه ورائحته [illegible] الآن يحصل على حبوب [illegible] التي هي زيت الثوم وخلاصته [illegible] لا رائحة ولا طعم [illegible] جميع الصيدليات الكبيرة في العالم [illegible]

من كتاب الدين الإسلامي

مقدمة لبحث الإيمان

للأستاذ علي الطنطاوي

معنى التعريف

إذا قال لك قائل إن جزء الشيء يساوي مجموعه، أنكرت ذلك عليه وكذبته فيه لأنك (تؤمن) بأن الجزء أصغر من الكل، وتقطع بذلك قطعاً، ولا ترى عنه معدلاً. وإذا وجدت من يبذل دمه في سبيل وطنه، ويضحي بنفسه وماله، ويحرص على حمايته قلت إنه من ذوي (الإيمان) الوطني، وإذا ألفيت المحب الموله، يعصي العذول، ويعرض عن الناصح، وصفت حبه بالإيمان وعبرت عنه، كما يقول الترجمة الناقلون بالمبالغة، فقلت: إنه يعبد حبيبته.

هذا كله من مظاهر (الإيمان) — والإيمان — بهذا المعنى — هو العقيدة الثابتة في النفس، أو العاطفة القوية الراسخة التي لا تتبدل ولا تتزعزع ولا تحتاج إلى التدليل عليها، لأنها من (البديهيات) بالنسبة لصاحب المؤمن بها.

فالإيمان (في اللغة) التصديق وفعله آمن وأصلها أأمن بهمزتين قلبت الثانية

أنواع الإيمان

يتضح لك مما مثلنا أن للإيمان نوعين: فإيمانك بأن الرغيف أكبر من نصفه، وهي الواحد ثلث الثلاثة (إيمان عقلي) لا أثر لك فيه ولا عمل، وإنما هو من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. أما (الإيمان الوطني) أو (الإيمان بالحبيبة) بالنسبة للعاشق فهو (إيمان قلبي)، لا دخل للعقل فيه، وهو فردي شخصي يختلف عن (الإيمان العقلي) الذي يتصف بكونه عاماً شاملاً للعقلاء جميعاً. وهذا التقسيم جديد استنبطته من الأمثلة المختلفة للإيمان ورأيت فيه نفعاً، لأنه يثبت جنس الإيمان، ولأنه بعد ذلك يساعد على تحديد البحث. أما الإيمان بأصول الدين، فهو من نوع الإيمان القلبي، ولكن العقل مجالاً فيه من حيث إنه يقبل مبدأه ويقر نتائجه، ولا يناقضه وإن كان لا يفهمه تماماً. ويبين هذه المسألة المهمة أن العقل (يؤمن) بصحة الرأي بوجود الله، وبأنه عدل، ولا يناقض نتائج الإيمان بالقدر (خلافاً) ولكنه لا يستطيع أن يفهمها ولا أن يعقلها، ومنشأ ذلك أن العقل مقيد في تفكيره بالمقاييس والأجيال والاختبارات السابقة، لا يستطيع أن يخرج عنها، أو يحرج عليها، فهو يحكم على عدل الله بما يعرف من معنى العدل (العدل البشري)، وما لديه من الاختبارات فيقع في خطأ لاختلاف فكرة العدل البشرية النسبية، عن فكرة العدل الإلهية المطلقة.

فالعقل إذن لا يستطيع أن يفهم نتائج الإيمان ولكنه لا يؤمن بها، وإنما الذي يؤمن هو القلب.

الإيمان في الدين الإسلامي

عرفنا معنى الإيمان في اللغة. أما معناه في الدين فهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر (وسيأتي الكلام على ذلك كله إن شاء الله) أي تصديق بها تصديقاً جازماً فهو المؤمن حقاً. وقد جعل الله هذا التصديق أصل الدين وأساسه، وأقام الأدلة على هذه المسائل، وخاطب بها العقل، لكن الذي أفهمه أن العقل يقبل مبدأ الإيمان إجمالاً، ثم يدع دقائقه للقلب، أي أنه كالملك في الدولة يوقع على المراسيم ولكنه يدع لغيره من الموظفين فهمه وتطبيقه وشرحها وإذاعتها. فالعقل يؤمن بأن الله موجود، وأن القرآن كتابه الذي أنزله، وأن محمداً نبيه الذي لا ينطق عن الهوى، ثم يدع للقلب (الإيمان) بكل ما جاء في الكتاب، وما نطق به الرسول والاطمئنان إليه والتصديق به وقبوله بلا أدنى شك ولا ريبة. وليس في أصول الإسلام ما يرفضه العقل، أو يعجز عنه فيؤول لمخالفته لبديهياته الثابتة، أو أحكامه الصحيحة، وهذه من ميزة الدين الإسلامي عن كل دين.

الفرق بين الإيمان والإسلام

الإسلام هو (إظهار) الإيمان، والتعبير عنه (عملياً) بالنطق بالشهادة عنه، والقيام بالعبادات التي نشأت منه. وهو الأساس الذي يبنى عليه تقسيم الناس إلى مسلم ومخالف، وما يتفرع عن هذا التقسيم من أحكام مدنية وحقوقية، لأن الناس لهم (الظواهر) ولا يستطيعون أن ينقبوا عن قلوب الناس ويعرفوا أسرارهم. وهذا معنى ما جاء في الحديث الشريف: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)[1]

---

(١) قال السيوطي: حديث متواتر، وهو (كما قال القاري) أصل من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده

فإن نطق الشهادة، وأدى الفرائض ولكنه غير (مصدق) بها، ولا (معتقد) وجوبها، ولا يعمل إلا جسمها دون روحها، وشكلها دون معناها، فهو (غير مؤمن) وهو ما كان عليه بعض الأعراب الذين قال الله عز وجل فيهم (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)

وإن (أظهر) الطاعة عن تصديق وجزم، وأدى الصلاة معتقداً وجوبها مراقباً الله فيها، فهو المؤمن المسلم حقاً. وفي اللسان عن تهذيب الهروي قال: المؤمن بالقلب والمسلم باللسان (أي ويعمل بالجوارح) وقال الزجاج: صفة المؤمن أن يكون راجياً ثوابه خاشياً عقابه.

وقال الزمخشري في الكشاف في صفة الكامل: (هو من اعتقد بقلبه وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله. فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، ومن أخل بالعمل أي بالعبادة من صلاة وصيام وحج فهو فاسق)

الإيمان ضروري ونافع

بعد ذلك ما تقدم ذكره أن الإيمان ضروري لا يستطيع إنسان أن يعيش بدونه، وأن المرء إذا زعم أنه لا يؤمن بالأصول الدينية لم يكن له بد من الإيمان بمبادئ عقلية، ومبادئ اجتماعية، وأخلاقية، ولا مخلص له من الحب — والحب والإيمان من طبيعة واحدة في الأصل — فليس في الدنيا إذن إنسان إلا وهو (مؤمن) لأن (الإيمان) شيء مستقر في طبيعة البشر، ومن آمن بهذه المبادئ المتغيرة، أو الأباطيل التي تتوهم حقائق، كما يتوهم [illegible]، لم يستطع الكفر بحقيقته الكبرى، وهي وجود الله.

وسنرى بعد أن وجود الله بديهية عقلية، وأن التأليه والتطلع إلى المجهول، والبحث عن [illegible]، من الفطر الإنسانية.

ثم إن من مصلحة الإنسان أن يكون مؤمناً بالله، لأن الحياة مملوءة بالآلام، مليئة بالمكاره، فإذا لم يكن للمرء قوة من إيمان يفزع إليه كلما حلت به الشدائد، أو انتابته الأمراض، كانت حياته جحيماً محرقاً لا يحتمل، وربما أدت به إلى الانتحار كما يفعل الملاحدة، فلا سعادة إذن إلا بالإيمان ولا أنس بالحياة إلا معه.

ومن مصلحة المجتمع أيضاً أن يكون الناس مؤمنين، لأن القوانين والقوى التي تؤيدها، والعقوبات التي تصحبها، كل ذلك لا يؤدي إلى إنشاء مجتمع خيّر صالح إذا فقد الإيمان. وكيف نرى يمنع الرجل ويخيفه، وهو لا يحسب السرقة إلا سوءاً من الشرطي وهرباً من العقاب، جاء المؤمن الذي يترك من العقاب سرق وقتل وعمل الأباطيل. فإذا كان (مؤمناً) بالله يخشى عقوبته، و(مؤمناً) بمبادئ الأخلاق التي اصطلح عليها كون الترغيب عليه مستقيماً دائماً، لأن الله مطلع عليه مراقب له دائماً. وشيء آخر هو أن الدافع إلى كل ما يعمله الإنسان المنفعة أو اللذة، فالمؤمن يعمل الصالحات ولو لم يره أحد ولو لم يعلم به أو يشكره لاعتقاده أن الله يثيبه ويحبه، فلماذا يعمل الصالحات غير المؤمن إذا لم يكن من يراه أو يشكره أو يذيع فضله أو يجزيه بعمله خيراً؟!

الإيمان الكامل

والمؤمن الكامل الإيمان هو الذي يتصور في كل لحظة أنه يسمعه الله ويبصره وأن الله مطلع عليه ناظر إليه، فإذا لم تعصمه من المعصية خوف الله منعه الحياء منه، ولذلك جاء في الحديث «إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة، فإذا أقلع (أي تاب توبة صحيحة) رجع إليه»[1] فلا يستطيع الزاني أن يزني وهو مؤمن إيماناً حقاً، ومتصور أن الله ينظر إليه بل هو لا يستطيع أن يزني إذا كان أبوه أو أستاذه يشرف عليه، فالإيمان إذا كان على هذه الصورة يمنع صاحبه من كل فاحشة، ويصرفه عن كل ذنب.

الصالحات بغير إيمان

فإذا عمل الرجل من الصالحات وهو غير مؤمن لم يكن له ثواب في الآخرة، وقد يعد ذلك غريباً لأول وهلة ولكنه نهاية العدل من الله، وهل في العدل أكبر من أن يعطي العامل المجتهد كل ما يطلب؟ فإذا كان يقصد ثواب الآخرة، وكان (مؤمناً) بها أعطاه الله ما يطلب، وإن لم يطلب إلا الشهرة في الناس وخلود الذكر فيهم، أعطي الشهرة والخلود، ولم يكن له في الآخرة شيء. (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

هذه مقدمة موجزة جداً لبحث الإيمان، سيلحقها فصل في الإيمان بالله للأستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ينشر في العدد الآتي.

علي الطنطاوي

(1) حديث صحيح

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

من النقد الغريب بين الفرزدق وجرير ما رواه الأستاذ المردمي من الأغاني: « تنازع في جرير والفرزدق رجلان من عسكر المهلب، فأرسلا إليه رسولاً، فقال: لا أقول بينهما شيئاً، ثم دلهما على الخوارج، فما وافق المختلفين غير أحد المتنازعين من المضي إلى عبيدة بن هلال اليشكري الخارجي فسأله عنهما فقال: أجرير؟ قال: من الذي يقول

وطوى الطراد مع القياد بطونها ... طي التجار بحضرموت برودا[1]

فقال: جرير. قال: هو أشعر الرجلين ».

فالذي يخرج لنا من هذه الحكومة أن الخارجي رأى بيت جرير أشعر شعره، وأن ليس للفرزدق شبيه بهذا، أو أن من يعرض من هذا البيت حقيق بالتقديم (وهو في هذا المقام للبحث عن قيمة هذا البيت وحده) أو أن حمية النفس إلى الفناء ... [illegible]

وإني تعجيل قاتل على قاتل ... من ... المذكورة فهو لهيب المحض، وخروج على سلطان ... ألا (لا حكم إلا لله)

ولا ... إلا من ... ذي ...

وإلا في يحسب أو أن يجري[2] صاحبنا الأستاذ أبو إسحق أطفش ... الناقد ... الأدبية وأصلاه[illegible] — لنشر على الشراة[3] [illegible] ... مقالات في (الرسالة الغراء) ... [illegible]

ومن ... الخارجي في ... ، بل أزرى على جميع

(١) ... حيلا

(٢) يجري ... ، وفي الصحاح ... حتى ... غضباً.

(٣) الشراة: الخوارج، ... أنفسهم ... الجنة ... والواحد شار، والشاري ... ، والأخرى ... (اللسان ...) ... أحد الشراة ... يوم ... .

أنا الوليد بن طريف الشاري ... لا يصطلى بناري
جوركم أخرجني من داري

أعجوبة في النقد الأدبية ... الأعشى صاحب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) فقد ... في كتابه (العروض ...) وإذا كيف يكون الطلع البحتري، ... على ... كما قال: ... على ... النفس وعاطفة ... الهوى ... التحامل، وأين موازن، فهذا سيم؟

بأي شيء ... قال في ... الوليد بحسب ... أبو ... أزلن
ولا بي تمام أبيات ... ، كل بيت منها بديوان، وله ... أطرفت ...

... لا توسع في الجواب، وقد كان قال: « أنا لست أفصح ... أحدهما على الآخر ... أقرن بين قصيدتين من شعرهما ... أيهما أشعر في تلك القصيدة ثم احكم أنت » ولكنه لم ... ذلك واجتزأ بإيراد أبيات ... من الطائيين ... [4]

وبهذا قال أبو تمام

إني ... في ... ، ... على ... في ...

وقال البحتري

قال ... وأقل ... ، لم ... إلى ... في الحدق
... يتوارى ... و... ووقع ... ، وبيت الوليد فيه ... طريق ... [3]

وقد كان ابن الأثير أنصف[4] من الآمدي حين ... بين حبيب والمتنبي في ... وأبي ... لعبد الله بن طاهر، ... لسيف الدولة؛ وبين البحتري وأبي الطيب في وصف الأسد وقد ... الطائيين في ... ووصف

وإني ... أن الآمدي ... ولم يعرف أبا تمام وعبقريته

وممن ... ذلك ... ابن أوس ... أبو بكر محمد بن يحيى الصولي صاحب كتاب (أخبار أبي تمام) الذي أخرجه إلى العربية ... العلماء: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نذير الإسلام الهندي — بارك الله في ... — ... الكتاب ... في مقالة في العدد (٢٢٥) من (الرسالة)، وكانت ... (المختصر) ... كتاب الصولي، ... على حبيب ... عنها ...

(١) ... ، قال ... ، هو ... من ... اليونانية ... كان ... من أرض ... (اللسان)

(٢) ... أبدو ... فظنه ... وتكلم

(٣) ... الكلام وتطويله ... في ...

(٤) قال ابن الأثير في ... : (...) ... ، ... العربية ... حبيب الطائي ... ، ... شرح ... (...)

في مقالة في العدد (٣٣٥) من (الرسالة) وقصد الفتى أن الكاتب في القشعم ما ورد في كتاب الصول فيعرف ذلك الشاعر المظلوم ، معال على المنحول أو على ما حيك كما يقولون

* * *

ألا إن الشعر لا يكثر مما روي في الكتاب من عيوب الأمدي وأعظم ما احتفظ الفرزدق من ميزة أوضحنا الكبير الأستاذ الردي في كتابه .

« لا تجد شعراً أكثر تأثراً بالإسلام ، والعصبية العربية ، ولا أوسع لغة ، ولا أجزل أسلوباً ، ولا أجمع لشوارد العربية وفصيحها ، وأخبار العرب وأيامهم — من شعر الفرزدق »

« والفرزدق على حدة طبعه له غلبة تفيض بمعانيه ، وتحسن الابتكار والاختراع ووضع الأقاصيص بأسلوب حسن (١) »

« والفرزدق على أميته واسع الرواية كثير المحفوظ ، ولم يقف عند حفظ أشعار العرب وأخبارهم بل حفظ القرآن ، وروى الحديث النبوي . قال صاحب مرآة الأدب (البغدادي) (روى الفرزدق عن علي عليه السلام وعن غيره من الصحابة) . وقال صاحب النجوم الزاهرة (روى الفرزدق عن علي بن أبي طالب وغيره وكان يرسل (٢) ، وروى عن أبي هريرة وعن جماعة) فكان أعلى نمطة يسمو شاعر في ذلك العصر »

« ويجمع الفرزدق إلى حصب القريحة وسعة الرواية كثرة التنويع في شعره فهو سجل حياته ومرآة عصره »

« ونفس الفرزدق طويل ، وقصائده التي تزيد أبياتها على المائة كثيرة ، وله القصائد الطوال ، وهو في كلا الفنين لا يضعف ولا ينزل عن طبقته »

« وقد استقام للفرزدق من الأبيات الحاصة بين شرف المعنى وشرف اللفظ ما لم يستقم لغيره ، فهو أكثر الشعراء الإسلاميين بيتاً مقلداً (٣) »

(١) راجع الصفحة ٤٠ من كتاب الأستاذ الوقوف على بعض الأقاصيص التي وضعها

(٢) في (القاموس) : الأحاديث المرسلة هي ما يرويه المحدث بأسانيده متصلة إليه ، ثم يقول التابعي : قال رسول الله ولم يذكر صحابيا سمعه من رسول الله . وفي (مقدمة ابن الصلاح) : صورته التي لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم إذا قال : (قال رسول الله) وفي (إرشاد الساري) للقسطلاني : وهو أي المرسل ضعيف لا يحتج به عند الشافعي والجمهور والمحتج به أبو حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه فإن اعتضد بمجيئه من وجه آخر مسنداً أو مرسلاً آخر أخذ رجاله عن غير رجال الأول احتج به .

(٣) البيت المقلد المشهور الذي يضرب به المثل (الأساس) البيت المقلد بمعنى المشهور الذي يضرب به المثل (اللسان) كالقلادة للعنق ...

« وشعره في جملته يدل على سمو الشاعر وسعة نظره وإحاطته بما يرمي إليه من الأغراض وسعة علمه ونفاذ فكره وذكائه في تقريب الصور »

هذه جمل من (الكتاب الذي هو البحث في شعر الفرزدق) وهي مسائل منالها البحتري و« معاني الفرزدق وخصائص شعره وأبواب هذه التي يصرفها ويبدع فيها » وفيها من النبوغ الفرزدقي ما فيها ، وترى الفضل الذي حباه في اختيار الأستاذ مقاماً من بين الثلاثة الإسلاميين واختصاصه إياه بهذا الكتاب

وقد أوضح الأستاذ الردي ما أوردته من أقواله أتم إيضاح ، وأيدها بأبيات كثيرة للشاعر

يقول الأستاذ في مطاليب البحث من شعر همام : « وأما عشقه العربية في فصاحتها وشواردها ، وتمرغ العرب في ماقيهم ومثالبهم حتى قيل (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب (١)) وقيل (لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس) فذلك لكثرة مفرداته وسعة تراكيبه ، وجزالة أسلوبه ، واشتمال شعره على الغريب ، وأوجه التعبير الفصيحة ، ووفرة ما تضمنه شعره وحفاظه من أخبار العرب وأيامها ومفاخرها ، ومثالب من يهجوهم في الجاهلية والإسلام . خذ مثلاً لذلك قصيدة من نقائضه مع جرير تجد فيها صحة اللغة وفصاحة الأسلوب وجزالة التركيب وروعة القافية وعراقة العربية مع شيء من الغريب كما تجد كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية والإسلام ، ولو جمع باحث مفردات الفرزدق التي استعملها في شعره لكانت معجماً ضخماً ، ولو توفر على ترتيب ما فيه من الأخبار والحوادث والمفاخر والمخازي والعادات والأساطير والخرافات لجمع تاريخاً للحوادث الجاهلية وحياتها الاجتماعية . والشواهد على ذلك أكثر من أن تذكر ويكفي بإيراد قليل منها قال ... » ثم قال : « وروى الأستاذ ثمانية أبيات من القصيدة التي مطلعها

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

ثم قال : « هذه الأبيات الثمانية فيها من الأخبار والحوادث والأيام ما يستغرق عشر صفحات من كتاب النقائض ، ولا سبيل لتلخيصها هنا » وأشار إليها ، وروى وبيّن غير ذلك مما يجمل مقالته في الفرزدق

ومن يتأمل هذا الشاعر من النواحي واشتمال كلامه على أخبار كثيرة وأسلوب ذات بال ... « من شعره علم جم من

(١) يونس

النصب ، وجملة وافرة من أيام العرب » وأبو بكر الخوارزمي الذي يستظهر رسائله كما للعلامة الأستاذ الأمير شكيب أرسلان

والقول المعتمد في أبي عامر هو في (رسائل الانتقاد) لابن شرف القيرواني ، وقد شرحها العلامة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي في مجلة (المقتبس) للعلامة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

وجرى الأستاذ ... ومن التعابير العربية التي حفظها لنا شعره ... ص ٢٨٣ أو ... أو ساعة نهارا

و ... الأحيال

... وهو في قول صحب ذلك في فلان أي وفلان ... »

وهذا القول ... إليه ... وفي العربية شيء كثير من مثل هذا التعبير ... معناه أو أشكل ولم ... قال ابن فارس « إنا ... في هذه اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب فلا يكاد واحد يخبر عن حقيقة ما ... فيه بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان » ، وأورد في كتابه (الصاحبي) طائفة من الأقوال ... عنده ، ومما ذكره « روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (لا تقولوا دعدع ولا لعلع[1]

وتكلم ... (دع ودع) ... معنى صحيحا عند القوم ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم ؟

(الإسكندرية)

... قال ... كلاما ... وقد ... ما ... الذي ... والتاج ؟

(١) في اللسان ... كلمة ... ولا ... دعدع ... لعلع ...

في موطن النضار

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ علي الجندي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وتربص سعد أسبوعاً بين يأس يطويه ورجاء ينشره، حتى إذا أذن معاوية للناس يوماً دخل في سرعانهم (١) وغمارهم، فلما أخذوا مجالسهم، جثا بين السماطين وأنشد بصوت كسيرة المحتضر:

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل
وذا البر والإحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي
وأنكرت — مما قد أصبت به — عقلي
ففرّج — كلاك الله — عني فإنني لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
وخذلي — هداك الله — حقي من الذي
رماني بسهم كان أهونه قتلي
وكنت أرجّي عدله إن أتيته
فأكثر ترداد مع الحبس والكبل
سباني سعدى وانبرى لخصومتي وجار ولم يعدل، وغاصبني أهلي
فطلقتها من جهد ما قد أصابني
فهل أنت — أمير المؤمنين — منّي العدل

وكان معاوية متكئاً فاعتدل في مجلسه — وقد اكفهرت على وجهه سحابة من الحزن — وقال: نعوذ بالله من طوارق الشرور! لقد شجنت بأشجاني، إيه بارك الله فيك ما خطبك؟ وما طرحك إلى هذه البلاد؟ فدفع إليه شاب في شملة الأعراب، ساكن الطائر، رابط الجأش، قد لوّحه السفر وعصّر وجهه من الهزال! فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنني رجل من بني عذرة، تزوجت ابنة عم لي على حب ومقة، وكانت لي إبل وصبيان، فأنفقت ذلك عليها؛ ولبثنا معاً في حياة راضية وعيش أنيق غرير، حتى كلب علي الزمان، وعنتني نكباته والتوت الحروب وصار عني، وكان عمري مها حياء وكرم فأنكرت حسبه أن ... فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستجيراً به مؤملاً نصره، فأحضر أباها وشكوته إليه، إذ دفع له مروان ... آلاف درهم! وقال: عشرة آلاف، وزوجنيها؛ ... أسمع بمحيبها من الأعراب! قال أبوها: إلى المال، وأصبح الأمير لي خصماً وعلي منكراً؛ فانتهرني وطرحني في السجن، وأمرني بطلاقها فأبيت، فسعد علي الضعف واتقى في إيلامي! فلما اشتد علي الضيق، وأيقنت بالهلاك لم أجد بداً من طلاقها، فطلقتها، والعين تجري والقلب موجع ... فلما انقضت عدتها حتى تزوج بها مروان، وأمر السجان بإطلاق سراحي، وقد أتيتك — يا أمير المؤمنين — صارخاً فزعاً، متنصفاً من الظلم، مثل حمامك! وأنت غياث المكروب وسند المسلوب! فهل من فرج؟! ... ثم أجهش الأعرابي بالبكاء، وأنشد:

في القلب مني نار والنار فيها استعار
والجسم مني نحيل واللون فيه اصفرار
والعين تبكي بشجو فدمعها مدرار
والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيماً فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليل ولا نهاري نهار

وكان لمرأى هذا الزوج الواله وشدة ضراعته وعظم غصته ورقة شكاته، أثر أي أثر في نفس معاوية! ... فأطرق هنيهة؛ ثم رفع رأسه وقد ازبد وجهه الأبيض كأنما نضح بالأرجوان فقال: ويل على ابن الطريد (٢)! كيف هرب به حلوم أمية؟ لقد تمده في طغيانه، وعادى في أضاليل هواه، وطرحت عينه الدنيا ... إنه لإن وال في طغيانه (٣) ورفث، فلعمري لئن حيده لأميني من حصر حديه!

ثم التفت إلى سعد فقال: طب نفساً وقر عيناً — يا أخا عذرة — فقد سألتنا النصف، وستبلغ ما رجوته إن شاء الله! ودعا من فوره بدواة وقرطاس، وكتب إلى مروان كتاباً

(١) أوائلهم

(١) أم عمرة (٢) كان الرسول (صلوات الله عليه) نفى الحكم والد مروان ورده عثمان في خلافته (٣) تمادى وأكثر

صدره بكلام أخشن من حس الحجر ، وأتبعه بشعر أبرق له به وأرعد

ركبت أمراً[1] عظيماً لست أعرفه

أستغفر الله من جور امرئ زاني !

قد كنت تشبه صوفيا له كتب	من الفرائض أو آيات قرآن
حتى أتاني الفتى العذري منتحباً	يشكو إليّ بحقٍّ غير بهتان
أعطي الإله عهوداً لا أخيس بها	أولا ، فبرئت من دين وإيمان
إن أنت راجعتني فيما كتبت به	لأجعلنك لحماً بين عقبان
طلّق سعاد وفارقها بمجتمع	مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب	ولا فعالك حقاً فعل إنسان

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الكميت ونصر ابن ذبيان ، وأمرهما أن يدفعاه إليه !

فخبّ الرسولان في السير حتى طلعا على مروان ، وسلّما إليه كتاب أمير المؤمنين . فلما قرأه عرته رعدة واصفر كأنه جرادة تكبر ! ثم أرسل زفرة حبيسة كأن بعضها صاحب بعضه ، وقال : وددت لو — أمير المؤمنين — خلّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف !

ولبث سنة يؤامر نفسه في طلاقها فلا يستطيع ! فاشتد عليه الرسولان وأرهقاه ، حتى طلقها وأسلمها إليهما بعد أن أحسن جهازها !

ولكنه أراد أن يثأر لنفسه من سعد ، فعمد إلى حيلة من حيله الشيطانية التي كانت سبباً في قتل الخليفة الثالث ، وهي عند السعدين ! . . فأرسل إلى معاوية كتاباً يصف فيه محاسن سعاد وصفاً يهيج صبوة الجماد ؛ راجياً أن يقع خليفة في شرك هلكه فيستبد بامرأة وينزع الزوج تحت ضغن ! ثم تأسى بمعاوية في قرض الشعر فختم الكتاب بأبيات من الوزن والقافية

لا تحنثنّ أمير المؤمنين فقد	أوفي بنذرك في رفق وإحسان
وما ركبت حراماً حين أعجبني	فكيف سميت باسم الخائن الزاني
أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت	منك الأماني على تمثال إنسان
وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها	عند البرية من إنس ومن جان

(١) قد يكون هذا الشعر ركيكاً ، وقد يكون وضع في معناه ؛ ومن كل قراءة الأدب يرون أنه ركيك كل عربي صريح أن يقول الشعر ، ولم يسلمه لنا عن أي سيرة من الخلفاء الذين رويت لهم أشعار

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت

أقول ذلك في سري وإعلاني

فلما ورد كتابه على معاوية وقرأه قال : لقد أحسن في الطاعة ولكنه أطنب في وصف الجارية ! فإن صح أنها جمعت بين حسن الصورة وطيب النغمة فهي أكمل البرية طراً !

وعقد معاوية مجلساً من خاصته ، وجاء إليه سعد ، ثم تقدم باحضار سعاد ، فطمح الحضور بأبصارهم إلى الحجب يرون شبحاً السر الذي غطى قصة النفس النحير !

وما قليل أبصرت الفتاة تتأطر في مشيتها ، سعدة أذيال الإستبرق[1] وقد حف وجهها إطار من شعرها الفاحم ، فهيا كأنه قمر يطل من خلف سحابه دكناء ، أو لألاء فجر في جبهة من غبش الظلام !

وسلّمت على الخليفة من بعيد ، فرد عليها السلام ثم استدناها منه واستنطقها فإذا بها عصب جلي في صوت كأنه غنة الظبي أو حس الوتر !

فعجب معاوية الداهي العظيم ! وأراد أن يبحث بمعرفتها عند سعد فقال : يا أعرابي ، فعند سعود ، ولكن هل لك عنها من سلوة لمحضل الرجعة ؟ فأجاب الأعرابي : نعم ، وكل معشرة شئت فيا صح فقال متعنتاً : نعم يا أعرابي ؟ فقال : نعم نعم ، إن فرقت بين جسدي وروحي ! فقال معاوية : أعوضك عنها يا أعرابي ثلاث جوار أبكار حسان — مع كل جارية ألف دينار — وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهن

فبهت الأعرابي شبهة على معاوية أنه لفظ روحه ، ثم فاء وقال له : ما بك يا أعرابي ؟ قال : شر بال وأسوأ حال ! استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فمن ذا أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول

لا تجعلني — والأمثال تضرب بي —

كالمستجير من الرمضاء بالنار

أيقتل سعاد على حيران مكتئب	يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق	وأسعر القلب منه أي إسعار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها	وأصبح القلب عنها غير صبّار

(١) الخز الأحمر

وكأن معاوية استحسن هذا الكلام فغضب، أو قل: إنه تظاهر بالغضب، فما كان الغضب عليه من سبيل إلا التظاهر بالأعرابي الذي تحن أنت مغرٌّ بطلاقتها، وحيوانها مغرٌّ بطلاقتها. ويحي نخوتهم، فلي احترتك أهدانى إليك بعد جديد، وإن احترت سواك وحدك به.

ماذا يبولين، سعدي؟ أهم أحب إليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسعته وزينته، أم صهوان في صحته وجوده، أم هذا الأعرابي في خشونة عيشه وسوء حاله؟

ألقى معاوية هذا السؤال وهو أعرف الناس بجوابه. فإنه لا يزال يذكر قول زوجته ميسون بنت بحدل الكلبية حين نقلها إليه من البادية:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إليَّ من قصر منيف
وخرقٌ من بني عمي نحيف
أحب إليَّ من علج عنيف

فقال: ما رضيت حتى جعلتني علجاً!!

وما أشبه الليلة بالبارحة، فلم يكد الفتاة تسمع قوله حتى مالت كالغصن المروح، وتحدرت[1] إلى الخليفة حتى التفت أعدائها ثم أنشدت بصوت يشبه الناغاة:

هذا - وإن كنّ في عز وإضرار -
أعز عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التاج أو صهوان عاملة
وكل ذي درهم عندي ودينار

وكأنها أدركت أنها في حضرة ملك العرب وخليفة المسلمين فأدركت من مشاعر ومسّ الرق، وقالت وهي مطرقة وجهها بأطراف أظفرها استحياء: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان وغدرات الأيام. وإن لي معه صحبة لا أنسى وعشرة لا تبلى. وإني لأحق من صبر معه على الضراء، كما صبرت معه في السراء!

(١) نزلت منقبها

فعجب الخليفة كل من كان حاضراً، وأمرت معاوية بعتق المرأة ... الصدوف بكرها وإدراكها ... الأعرابي ثم أمر بإمائها وكتب ... الغضب عنهم من صهوان ... ثم رداها إلى ابن عمها بعد ميعاد، ووصلها بألف دينار وعدة عبيد صادق، ومضى يزوج في سيرة أبيه[2] الناظم وهو مترنم يقول:

صيدوا من الطريق للأعرابي أم ... حكمكم سابق؟
... ذلك ...

(١) سكد كان معاوية (٢) زوجها الأول (٣) سيرة خيف

الله في علاه !...

للأستاذ سيد عبده

خرج الملاح والفجر [illegible]
يلتمس رزقه بين جرجرة البحر العاصف ..
[illegible] السماء [illegible] مدرارا
والرغبة في الحياة تدفعه للعمل ليلاً ونهارا
وبسمة الأمل تكبر في قلبه نارا
فإذا بقاربه يرتطم بالصخر
وإذا بسمة الأمل تصبح صيحة الفزع
والرغبة في الحياة صرخة القبر .
ومع ذلك فقد نجا
من أنجاه ؟؟
من نجاه ؟!
هو الله في علاه

* * *

خرج الشاب في رحلة إلى الصحراء ..
يلتمس راحة بين الرمال الصفراء
يحمل القوت والأمل والرجاء
وسار [illegible] حيناً
والشمس قد مالت [illegible] نحو الغرب أصيلا
ونشوة [illegible] قد [illegible] في قلبه قليلاً قليلا
[illegible] به يضل الطريق
وقد جعله [illegible] ملء اليأس والضيق
لأنه فقد الأمل في الحياة
وقارب من [illegible]
ومع ذلك فقد نجا
من أنقذه ؟؟
من هداه ؟!
هو الله في علاه ؟!

* * *

لكن حاكماً متجبراً جبارا
يذل قومه ويصليهم من عذابه نارا
ويستعبد شعبه فلم يجدوا عنه إلا فرارا
فهم [illegible] من جحيم
والحياة في ظله بؤس وهلاك مقيم .
مضت الأيام فإذا عهده قد زال
وإذا الحال يصير غير الحال
وأصبح الحاكم عبرة للسواد
من أهلكه ؟؟
من أفناه ؟!
هو الله في علاه !

* * *

إنه عامل صغير اتخذ في المجتمع مكاناً قصيا
يحتقره القوم لأنه لم يك شيا
ويحوطه [illegible] لأنه غدا نسياً منسيا
يعمل [illegible] ويحب الناس كي يعيش رضيا
مضت الأيام فإذا به قد أثرى
وصار ذا عز
و[illegible] سعيد
و[illegible] ذكرى
من أسعده ؟؟
من أغناه ؟!
هو الله في علاه

[illegible]
المدرس بالأزهر

كتـــــاب الأغانى

لأبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

ولست بمعروف [illegible] ... بلا أركبه مركبا [illegible]
ظل إذا ما ... الأمس ... [illegible] فخاطب فى شأنه وعاتبه

الشعر للأمير على ... الغريب من شعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ببلاد الأحساء فى شبه جزيرة العرب وفى هذا الشعر ... من صنعة قاسم بك أمين على نفسه ... حين ... أبصر !

حدثنى الأستاذ عزيز أحمد فهمى قال : ولولا ... القنون بعضها ببعض لفسد الحسن فاللحن الموسيقى والشعر زوجان ليكمل أحدهما نقص الآخر وقد كنت أقول حينئذ إن كل من يجب أن يتزوج ... من آخر ، وهذا كلام حسن ! ولكنى رددته حينا لما ... أن التزوج بين فنين يستدعى تشابها بينهما ولكنه كذلك يستدعى أن يكون أحدهما سالبا والآخر موجبا

هذا ... أم كلثوم ليس لأن فيها كنفه ولكن لأن ... الفنى فى ... وهذا الفرج ... يسمى تعصبا ... بين الفنين تشابه ولكن أحدهما لا ... الآخر بل يشرح الآخر على طريقته هو التى قد لا يدركها هذا الآخر

قال ... الشعر ... عن الغريب ... قاسم أمين ... من ... أم كلثوم من شعر ...

قال أبو الفرج ... سألت الأستاذ عزيز ... ما الذى ... العمه التى ... على أن قال ... حبتك ... أبصر

حدثنا الأستاذ حسنى سعيد قال : حدثنا العلامتان ... وضيحكل ... علماء ، وحدثنا ... ولم يقر ... وأصف الظل ... أو ... ألا يوجد من هؤلاء العلماء الأعلام حل ... العالم ... ألمانيا فى مشكلة ... ؟

وحدثتنا السيدة الجليلة ... خانم شعراوى ... إن هذا الشاعر الذى أصبح يشتق ... من أن يحدث زوجته فى شئونه أو أن تحدثه زوجته فى شئونه ، ... الرجل ... زوجته فى الشئون للشركة بينهما ضربا من «الديمقراطية» ... الشاعر وأمثاله هم الذين ... لقاسم أمين ... فى تحرير المرأة الشرقية ... أول الشعراء فى القرن التاسع عشر ... أن يكونوا ... تركوا الركب الذى تختاره لهم أزواجهم لا ... لهم وأعوان لهم أن يحتوا هذا الشعر ... يدعو الحاصل أنه أخرجه عن ... ويبدو ... أنه ... وأكل ... وأنه لم يناقضه ، ولا ... عن طبيعته ، ... هذا الشعر ... من الزوجة ... وقد أطرب الناس وأشجى وكان من أثره ظهور نهضتنا الأدبية النسوية ... هذه الديمقراطية و...

صوت

من أنت ماذا تكون يا رجل ... أظهر ما ... فى خيالك الهول
فى كل حين تقول يا امرأتى ... يا امرأتى ... ما تريد يا رجل !

الشعر لزوجة أديب كبير من شعراء العصر الحاضر اعتاد أن يشعر كل أسبوع ... يقول فيها : «وقلت لزوجتى ... يا امرأتى» ... هذه السيدة المحترمة

يا امرأتى ... «امرأتى ... ما تريد يا رجل !»

تم ... القصيد

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : حدثنا أحمد أمين قال إن الأدب العاطل جنى على الأدب العربى فى هذا الباب أيما ... فالعلاقة الحسية ... لا تقديس أدباء العرب الجاهليين ... كل أديب ... شخصية صادقة كانت تهيم على الأطلال من محبوبته التى ... فى قوله

إذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل أديب قال شعرا متيم

ولكن الأمر لم يقتصر على استحسان الناس الأثر الذى تركه الجاهليون بتقديس العرب ... فى شعر العرب ... وحب ... الأثر الجاهلى

قال ... :

... فاعدلونى ... أعجب

وكان هذا اللون طبيعيا من شبوب البنات ... الإسلامى ولكن ... الرصافة بالعراق ... وصحته ... هذه النصيحة ... إلا أثرا من آثار الشعر الجاهلى

قال أحمد أمين: وهل نجد في الشرق رجلاً ممن لم يقرأوا الشعر الجاهلي يستطيع أن يجمع من روائه بجماعته الصحيحة؟ ألا رحم الله الأبيوردي حيث يقول

وكم للعوالي من يد قد جحدتها ... وشكر أيادي الغانيات جحودها

فهذا هو الشعور الطبيعي عند رجل متمدن. أما الذي يقول فيها يقول: إن روحي أطال الله عمرها في نحوت بناء عبر جاء العير، فلا أستطيع أبداً أن أسمعه بغير الحمدين ولكني أسمعه بتأثير الشديد بالشعر الجاهلي. وهل من حق إنسان أن يتحدث عن الأدب وهو لا يقدر أثر الإيحاء الدائم المستمر في النفس؟

لقد منع أبناءنا عن الاتصال بالطبقات التي لا ترضى عن أخلاقها خشية كلمة تقال فتترك في النفس أثرها فكيف نشعر نحب به ونعجب ونستظهره ثم نعيده ونستعيده سنين، ثم نطلب بعد أن نحفظه فإذا نسيناه رجب في عقلنا الباطن؟ ألا يترك هذا كله أثراً في النفس؟ وإن لم يكن التكرار القرون الأبعد يترك أثراً في النفس فلماذا نؤمن بالأدب ولماذا نكتب؟ دعنا مما يقرره علماء النفس في الإيحاء ولنعرل إلى صرعة العامة. ألم تسمع قول العامة: «الموس في الأذن أشد تأثيراً من السحر»

هؤلاء الجاهليون الذين يقلون البنات نزكوا في القرن التاسع عشر من يقول

ولست بهلوب يرى في غريمه ... إذا أركبه من كيا ميهو ودك
يظل إذا ما جبه الخطب حائراً ... عقاطيها في شأنه وعواطبه

وحدثنا الأستاذ فريد قال: ... ولكنني لا أذكر ما قال فقد كان يتحدث في النقد وعن مقدمة النقد

وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا قال: أما أن لغة الجاهلية لغة سامية فلا ريب فيه لأنها إما أن تكون هي العربية الأصلية إن كان هناك شعر جاهلي، وإما أن تكون لغة أعم الناس باللغة الجاهلية إن كان علماء الأدباء في العصر الأموي قد وضعوا ذلك الشعر عاذج كما ينبغي أن تكون عليه اللغة. ولكن كون الفكر الجاهلي يقرب من الرأي الواضح فهو المحال بعينه. وكيف نستطيع التوفيق بين الإيمان بحياة محمد وبين الإيمان بأي إنما بعث محمد لكي يهدمه؟ ولقد تلقيت الشعر الجاهلي لغة لنا أسلوب يجب أن نحترمه ونعمل نعني بمساوي الرأي بيد أنه وليد أفكار ومبادئ، وليس بالمقبول ولا المعقول أن تكون هذه المعاني خالية من الفساد وإلا فلماذا نشأ الدين؟ وما جدوى الحياة الإنسانية إن كانت هذه الآراء وتلك المبادئ لا تزال صالحة بعد خمسة عشر قرناً من الزمان؟ إنه يجب علي من يعلم النشء سنة الزمن أن يمكن فرص قبول الفكر الجاهلي فإن الفكر الرفيع الاستحسان يورث الفكر وليس كذلك الفكر مع الاستهجان؛ وإني لأعجب ممن هم للغة العربية يعلم تلاميذه قول الشاعر الجاهلي

سروق النساء مردها وعمارقا

ثم لا يقول لهم إن سنة هذا الشاعر سليمة ولكنه من حيث الأخلاق لا يمتاز شيئاً عن البهائم. وإني لأعجب ممن يعلم العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية معجزة في فنه فإنه كان في آرائه وشروره نحو النساء كأي حارق الطريق؛ وإن عرفه لا يختلف شيئاً من الهيين وإن لنا منه أن الشعور الإنساني الصحيح هو قول الشاعر

وكم للعوالي من يد قد جحدتها ... وشكر أيادي الغانيات جحودها

وسئل الدكتور طه حسين إن إنكار الأدب الجاهلي لا يتنافى مع هذا الرأي الذي تحدث به هيكل باشا، فإن الذي أنكر الشعر الجاهلي إنما لاحظ مبادئ الجاهلية وسجاياها

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال: إن أدب العرج الإسكندر في رجل منافق في علاقته النسوية ومثله في ذلك كمثل الأبيوردي سواء بسواء. وأنا لا أقول كما يقول الأبيوردي

وكم للعوالي من يد قد جحدتها ... وشكر أيادي الغانيات جحودها

ولكني أقول إن هيامنا بمنصرين مستقل حسين يعساً فيه قوى وأقول كما يقول أبو نواس الذي لم يكن بجاهلي

ولا تسلني سراً إذا أمكن الجهر

وأقول كما يقول كشاجم وليس بجاهلي

حوريون من مصبحة ... لبسه يدو وضع

صورس

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

لشعر لأبي نواس والحق للدكتور زكي مبارك

(يتبع) ... [illegible] الشاه

الجبرية والاختيار :

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

— ١ —

وقول الحق أثقل من الكون ، والسلطة العالم
لا تكون ، وقد الذهب سلطة ، وهو لست غير جلى ،
إلا أنه قد رأى ما حضر ، فاسع لذلك الحكمة فى الصلاح

من المسائل التى وجهت الباحثين والفلاسفة منذ زمن بعيد مسألة الجبر والاختيار ؛ تكلم فيها البرهان والفرس ، ونقلها عن اليونان السريان ، وخاض فيها النصارى حيث نسبتهم ديانتهم ، وتكلم فيها المتكلمون من المسلمين . وكانت تختلف فى مراحلها وتختلف باختلاف هذه الفروض ؛ فإذا تكلم فيها الفلاسفة نحوا بالفرض طريق بحثه ، وهو سير الكون ومظاهره مسيرا أم ؟ وإذا تكلم فيها الأخلاقيون قصدوا إلى غرض العملى ؛ هو النظر فى المجتمع ونقده ، وإصلاحه أو محاولة ذلك ؛ وإذا تكلم فيها أهل الدين فإنما يقصدون من بحثها تخريجات تدور مسئولية الفرد من أعماله ، ونتيجة فكرة البعث والحساب والعقاب على أسس تختلف قوة وضعفا

والفلاسفة يعنيهم أن يفهموا الكون وحركاته ، وكل ما يجرى فيه أمر ضرورى ناتج عن إرادة مسيطرة متصرفة ، أم هو نتيجة اتفاق محض لا يربطه قانون أو تقيده قواعد . وهم بعد ذلك ينظرون إلى الإنسان مظهر هذه المشكلة ، أهو مخير فيما يعمل ، بمعنى أن لا شىء يمنعه من إتيان عمل ما ، أو يدفعه إلى ضده ، بمعنى أن أمره موكول إلى إرادته الخاضعة للمؤثرات الخارجية من ظروف وسنن . أم هو مجبر فيما يعمل بمعنى أن قوة تدفعه إلى أن يعمل ما يأتيه قسرا ، فهو كالنائم مسخط بتلك القوة التى سيطر عليه ، خاضع لنفس القوانين التى يخضع لها هذا الكون .

والأخلاقيون يهمهم البحث فى الأعمال الإنسانية من حيث هى صادرة من المكون المطلق للإنسان فقط ولا أثر سعل خارجى عنها ، أو أن النظم الاجتماعية والظروف الخاصة التى يعيش الفرد تحت تأثيرها سببان يرجع الأعمال الصادرة من الإنسان وبأى معنى من المعانى يعتبر المرء حرا فى هذا الاختيار . وعلى أنه سواء اتفق الأخلاقيون فى وجهات نظرهم إلى هذه المسألة أم اختلفوا فهم متفقون فى الغرض ، وهو إصلاح المجتمع وتهذيبه

أما رجال الدين والمتكلمون من المسلمين فقد عالجوا فيه وكان همهم الأول البرهنة على أن الإنسان بما يأتى من أعماله فهو مسئول عنها أمام الله فى القيامة ، ويحق عليه الجزاء ثوابا وعقابا ؛ أو أن الإنسان وأعماله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب ؟ وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله بما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده

والكلام فى القدر لم ينشأ إلا فى الشام والبصرة على خلاف فى أسبق القطرين إلى الخوض فيه . ثم إنه نشأ دخيلا على الإسلام ؛ أعنى أن أول من تكلم فيه كان نصرانيا وأسلم ثم تنصر ، وأخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى . كما عدا بعد الكلام فى القدر وقد أثارت الخلافات السياسية حول الخلافة هذه الأبحاث أن تروج وتتسع ، وأن تنقسم وتتكاثر . فإن الخلافة كانت مصدر القلاقل والفتن فى أيام الخلفاء الراشدين ، وإلى الفتن انحدر شيعة وخوارج ومرجئة ومعتزلة وأزارقة وأشاعرة إلى غير هذه الفرق التى تختلف فيما بينها فى الرأى فى الخلافة والخليفة جميعا . والذى يعنينا هنا فرقتان من هذه الفرق العديدة : المعتزلة والجهمية ، فقد كانت آراؤهما أروج الآراء انتشارا فى هذا الباب

أما الجهمية فقد كانت تقول بالجبرية المطلقة أى أن الإنسان كالجماد وأن الله يخلق فيه الأعمال كما يخلقها فى الجماد ، ويجرى عليه الحساب ثوابا وعقابا

أما المعتزلة فقد تكونت على أثر خلاف فى مرتكب الكبيرة أهو كافر خالد فى النار . وقد قالوا إن الله لا يخلق أعمال الناس بل هم يخلقونها ، وإن الله لا يسند له غير ذاته . فتشتركوا الجهمية فى هذا الأصل ، وقد أقروا بسلطة العقل وقدرته على الحكم بالحسن والقبح العقليين

ولو كان الأمر فى هذه الفرق قاصرا على حد الكلام

ولاستبداد الفلسفة اليونانية وغيرها لا تكفى لما عده الأهمية التي سلفها ... ذلك بأنها كانت تريد بسط سلطانها على الواقع العملي فالمعتزلة حين قرروا مبدأ حرية الإنسان كانوا يرمون من ذلك أن الناس مسئولون عما يقومون به من حروب ومنازعات؛ وحين قرروا مبدأ السلطان الذي كانوا يريدون القياس في الحكم وذلك أمر لم يعره أهل السنة وكان بسبب خلاف كبير. وقد تمكنوا أن يسيطروا على الواقع السياسي مدة من العصر الأموي الأخير؛ فقد اعتنق مبادئهم يزيد الناقص ومروان بن محمد وأخوه إبراهيم

والمهم أنه ما كاد يأتي القرن الثالث والرابع، حتى كان علم الكلام قد نضج معناه، وحتى ترجم إلى العربية فلسفات كثيرة، وحتى اختلط ذلك كله بالهوى والعقائد. وقد عملت أحداث السياسة وفتن الرأي على إضعاف الدولة واستغلال ذلك. وكان الشام هو مسرح فتن الرأي والدين والفلسفة والسياسة جميعاً، كما كان هو والعراق فقط، أو ما عدا ذلك من أنحاء الدولة الإسلامية قد كان مستقراً نوع استقرار

في هذا الوسط المضطرب احتدم نشأ أبو العلاء، وتنقل بين أرجائه ما بين المعرة وحلب وبغداد، فشارب ما كان معاصره من الفلسفات اليونانية والإسلامية والمسيحية واليهودية والمجوسية وكانت من عناصر ثقافته، هذا إلى نظراته الخاصة وطباعه البشرية المستبدة

ولم يحاول أبو العلاء في «الفصول والغايات» أن يسلك هذا المسلك الذي رآه من تقيد في اللفظ ولزوم ما لا يلزم ونظام الفصول والغايات والنعم والوسوم، إلى غير ذلك من الصور الكثيرة لتدل على مقدرته الفنية، أو يبرهن على سعة اطلاعه ومعرفته بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم، وذكاء قريحته الوقاد، بل أنا أوشك أن أقول بأنه قد سلك ذلك حتى يصرف الناس إلى ظواهر الأشياء، حتى لا يصيبه أذى من السفهاء، وحتى يأخذ كل من معانيه ما يلائمه وما يستطيع حمله ويقبله عقله. هذا أمر يوجب الحذر حين نتلقى من المعري آراء. وأمر ثان هو أن المعري كان متبرماً لا هم له إلا تحري نفسه وملاحظتها ملاحظة دقيقة وقد يحتاج أحياناً إلى التنويع والنسبة، وكان يعمد إلى هذا التنويع من المعاني والألفاظ، وذلك واضح جداً في هذه المنطق على الأقل. فعند ما نسمع قول المعري يجب أن نحتاط قليلاً، وربما حمد البحث باللفظ على شيء من الاعتساف في المعنى، أو اندفع إلى معنى غريب غير مقصود في سبيل الحشو أو الشكل الذي أخذ نفسه به أخذاً عنيفاً، وكثيراً ما ضحّى بالمعنى من اللفظ. يجب أن نحتاط إذن حين نحكم على المعري آراءه فنحن لا نعرف متى كان للمعري هازلاً، ومتى كان جاداً في عبثه بالألفاظ والمعاني. وأمر ثالث يجب أن نلتفت إليه، هو قد نرى آراء يحرص عليها ويثبتها على أنها من فلسفته، ويمكن أن تكون آراء تثيرها فيه الصور والأخيلة، ويمكن أن تكون بين بين. أعني أنها خواطر تعرض له كما تخطر الخواطر لأي شاعر سواء تعارضت مع مبادئه الفلسفية أو اتفقت. فلا عجب إذا رأيته يحدثك بأن الإنسان مجبور في كل أعماله وتصرفاته، ثم يأتي فيذكرك أن للمخلوق في الأقدار تصريفاً، فهذا لا مرد له إلا ما قلت من أنه مع تلك الخواطر السوانح له في جنونه، وحرصه على تصويرها تصويراً مبتدعاً مستعيناً على ذلك بما علم من شعر الأقدمين وأخبارهم وعلومهم

وأبو العلاء يقول بعجز العقل في أعمال الإنسان وأحواله، ورتب على ذلك نتائج اجتماعية خطيرة، وآراء فلسفية خطيرة كذلك

ومن هنا أردنا أن نلخص نظرية الجبر عنده فلن تجدها مجموعة في مكان واحد، ولا هو يعالجها بأسلوب واحد، وإنما أنت تقرأ الكتاب حيناً فتجده ينطق جبرية، بل لا يكاد يخلص من القول بشيء من الجبر تلميحاً أو تصريحاً أو وصفاً فهو صريح صريحة، تارة أخرى، هذا، أحياناً، فهو تجري في أكثر الكتاب. على أن تكرره الجبر المطلق أوقعه في حيرة وريب كبيرين، من الناحية العقلية لا تستطيع أن تتبين رأيه في التكليف ولا في البعث فهو مضطرب فيهما أشد اضطراب، ذلك لأن الجبرية إما أن تقول بعدم تكليف العمل وعدم ترتب الجزاء كما تقول الجهمية، وهو عبث يأباه المعري على الله؛ وإما أن تقدر عليك العمل والجزاء، وهو ما يلائم المقول بحلقة تقدير العمل، ولكنه يخالف الهوى مراجعة. والمعري في كل أحواله آخذ بما يرى العقل. والعقل هو الذي هداه إلى أن الجبر مسلم به، لأن كل شيء في هذه الحياة إنما هو نتيجة لشيء كان قبله ومقدمة لما يأتي بعده، وإلا لما كان

الأمر لخبير؟ فإما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال الحلقة بعضها ببعض فيكون الخبر بعينه، أو أن يكون الأمر موضوعاً ومضطرباً وهو ما لا يثبته الواقع الخارجي.

ولست بسبيل أن أدافع عن نظرية الخبر، أو أتكلم عنها مطلقة، ولكني أثبت صفات الفلسفة العلائية صحت أو لم تصح وأقرر أنه اعتمد على العقل في كل أحواله، وعلى العقل فقط؛ فما قام عليه دليل العقل صدقه واعتنقه، وما لم يقم عليه دليل أو خرج عن حيز العقل وجد منه المعري موضعاً لشك، ريباً وشكاً، لا يصلان إلى درجة الإنكار المحض، ولا الإيمان المطلق، وخاصة إذا كان الأمر يمس الدين والقدرة الإلهية من قريب أو بعيد.

ولكن ذلك قد يدفع المرء إلى أن يتساءل عن أخذ أبي العلاء بهذا الأصل في كل فلسفته؟ فقد يكون أخذ به في اللزوميات من بعده ولكنه في «الفصول والغايات» يصرح بأنه «مدرك العلم ثلاثة أشياء: بالقياس الثابت، والعيان المدرك، والخبر المتواتر، فأما الحس فزجر طير في حقيقة بالكذب، وإن صحت فبالاتفاق، والطرق كلاً»(1) وعند ورد المعري اثنان من مدركات العلم، ولكنه أهمل التواتر [illegible] منه عن الحقيقة وما قد يكون أساسها من خطأ أو تحريف، فإذا خُيّر بين الحديثين اللذين عنا لو قد هو سائل: «ما بالك لا تخبرنا لو جد بها أمانا بالله به عليم، فقال الزمن لم يعلم القيل [illegible] فعلمها عند الله وحده»، [illegible] بصحة الحادث، ووضع الراوي، أو وضع الخبر أصلاً فهو لا يعتمد في شيء مصدراً من مصادر العلم أو أكثره، لم يبق له إلا القياس الثابت، حكم العقل، فهو يهتدي به ويحكمه في نفسه في كل أموره وشئون فكره، وهو مع ذلك كثير الشك كثير التساؤل كثير الحيرة، يحس ذلك من نفسه فيعترف به اعترافاً صريحاً لا مرية فيه «أدلج وأدلج، وإذا سكت فأنا مصبح، ولله فلسفة ظهير»(2) لا يجزم بشيء، ولكنه مؤمن أشد الإيمان، يتساءل في بحث يقل أن يعترض أو يتوقف. وهو منطقي المنهج في التفكير يعدم التعسف، ويستنتج النتائج ويقيس عليها قياساً منضبطاً فنظر إلى هذا القياس المنطقي الصحيح «القياس على [illegible] حمل الحقيقة والسهو، والنقل من سهو إلى سهو، خلو من التفكير

(1) ص ٤٦٨ (2) ص ١٠٩

والزهو، فيصبح في شيء وهو يسأل عن الظلم والغشم [illegible] سمعه من شيخ [illegible] «هذا قياس منطقي سليم [illegible] أن الشاب الزاح عصر، وهو لا يرى الشيخ من [illegible] كذلك ولكنه لا يجري أنزيد الحقيقة هذا القياس فيقول: [illegible] على الرياح»(1)

وحين تتعارض وسيلته هذه مع الطبيعة أو الواقع يقصر فيقول: «هكذا يقول المعقول وقد نظر في العالم دقيق» وهو [illegible] بأنك «إن حسبت أن الرقيع لمطر حيلاً، وأنت المصيح [illegible] فقد أما في المعقول [illegible] وأما في القدرة فبلى» فهو هنا يثبت بأن لله حكمة وقدرة أعظم من أن يتصورها العقل أو يدركها، ويصرح أن الله قدير لا تتقيد قدرته بمعقول أو غير معقول، ولكن ذلك لم يمنعه أن يصل عقله فيتخطى به هنا إلى استحالة معتقة، فهو يقرر بهذا العقل المطلق من إدراك أغراض القوة الخفية؟ وهو إذا ما فكر وأطال التفكير في الخير والأخيار والثواب والعقاب، عالج الخير وأنكر الثواب والعقاب كما رشدته إلى ذلك عقله [illegible] «مُنجحان العالمين ظاهراً ومحتجباً، أرشدُ دعوني، أم أنا أمين؟ [illegible] عشت وما قد رشت، أتركني يا معطيه هذا الناتج»(2).

ويصل نحوه إلى أن يجمع أقضية الصبر على حكمة الله عند [illegible] في [illegible] بين الحياة للإنسان [illegible] «من جعل [illegible] وكم للحر [illegible] كارهون» ويسائل الإنسان متعجباً أن «ما يمنعك أن تشهد الشمس واسمع في بلاد [illegible]»(3)، ويرى من المرء أن «دع ما صر [illegible] على ما صح وعاش، وخل ما يحسر إلى ما غشر وارتق اليسه من الرحب، فإن طرق الخير كثيرة» ولكنا نرى المعري في كل الكتاب [illegible] «أن [illegible] التوفيق في جميع السداد»(4) وذلك «من يخشى [illegible] إلا بالقسمات»(5).

ومرد هذه النشأة من طبيعة وسيلته إلى العلم، ذلك بأنه مؤمن بأن العقل وحده هو الموصل إلى العلم، وهو واثق من أنه ما دام قد أوصله العقل إلى الطبيعة فلا بد أن يصل به إلى ما بعد الطبيعة. وهو مؤمن كذلك بأن الله خلق هذا الكون من حكمة

(للبحث صلة) السيد محمد العزاوي

(1) ص ٣٠٣ (2) ص ٢٤ (3) ص ٣٨٢
(4) ص ٥٦ (5) ص ٣٢٦

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧٨ — ثاقب

يتيمة الثعالبي : سمعت عون الهمذاني يقول : أتي الصاحب ابن عباد بغلام ثاقب(١) فلعب بين يديه فاستحسن صورته وأعجب بحذاقته فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً فقال الصاحب :

وثاقب في يده المحقق فاق جمال الغرب والشرق
شبهته والشيء في كفه بالبدر إذ يلعب بالبرق

٤٧٩ — راقص

قال ابن عروس في غلام جميل الصورة راقص :

ومبرّح الحركات يلعب بالنهى لبس المحاسن عند خلع لباسه(٢)
متأوداً كالغصن وسط رياضه متلاعباً كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه كالسيف ضُمّ ذبابه لرياسه(٣)

٤٨٠ — وفي هذا العضو لم يطلع ظفير

قال لسان الدين بن الخطيب : حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، وجرى ذكر بعض أعدائه فقف ما أمكنه في إطراء ذلك العدو ، وما عرفته من حمقه . فأنكر عليّ بعض الحاضرين ممن لا يعقب(٤) إلا في حبل السلطان ، فقلت : أبقاكم الله ، أغبركم عن السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء ، بل عرفت أنس ؛ فبقي كلام الشاكر على عدو ، كان له على غير حق ، وهو الأولى سحقاً وعلانية قدره ، وإن طله الخصوم سلبه خير فيكون أشد للعسرة وأبكت للنصيحة . فوافق — رحمه الله — على ذلك واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض .

٤٨١ — يفتضح العشاق وقت الرحيل

قال ابن السكيت : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت إليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر ، فقال :

دمعةٌ كاللؤلؤ الرطـ ـب(١) على الخد الأسيل
هطلت في ساعة البيـ ـن من الطرف الكحيل

فقالت جارية :

حين همّ القمر البا هرُ عنا بالأفول
إنما يفتضح العشـ ـشاق في وقت الرحيل

٤٨٢ — تثاقل كأنك واسطي

في (معجم البلدان ومراصد البغدادي) : شرع الحجاج في عمارة واسط سنة (٨٤) وفرغ منها سنة (٨٦) كتب إلى عبد الملك : « إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها واسط » ؛ فلذلك سمي أهل واسط « الكرشيين » . فكان إذا مرّ أحدهم بالبصرة نادوا : يا كرشي ، فيتغافل ويرى أنه لا يسمع أو أن الخطاب ليس معه ، فقيل : تغافل واسطي ، وتثاقل كأنك واسطي(٢) . وللفضل الرقاشي :

تركت عيادتي ونسيت بري وقدماً كنت بي براً حفيا
فما هذا التغافل يا ابن عيسى أظنك صرت بعدي واسطيا

---

(١) ثاقب : الذي يثقب اللؤلؤ ونحوه . وفي عبارة : إصابة الثغرة في الثاقبة وحروفها ، وهو مناقض حسن الثقافة بالسيف بالكسر (الأساس) وروى صاحب التاج :

وكان لهم بروتسا في الجواسيس الخلف

(٢) (مبرّح) : أصل التبريح الجهد والأذى ، والتبريح في العرس حسب وتوهمه .

(٣) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به (النهاية) وكأن السيف مليته ، ولكنه كأنه أحد من الرأس وكأن . قال ابن سيدة : وحده في المخصص كرس السيف في جعبته ، فلا أدري ، هل هو تصحيف ، أم الكلمة من هذه (اللسان) ؟

(٤) من الخلاف : عقب في حبله : تتبع وأذاه ، وطلبه المعقب في . . . ووصل إلى مراده (الأساس)

(١) الرطب : قال شيئاً من أبي الريحان في كتاب الجماهر فرضهم في اللؤلؤ الرطب كناية عما به من ماء الرونق والبهاء ، وتشوفه البصرة ، وعدم الجفاف ، لأن الرطوبة تحصل عنه ، وفي القرب منه في الذكر ، وليس بين الرطوبة ضد اليبوسة ، وكذلك قولهم في الذهب الرطب : (التاج)

(٢) في (مجمع الأمثال) : أصل المثل أن الحجاج كان يسخر أهل واسط في البناء فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء في المسجد ، فيجيء الشرطي فيقول : (يا واسطي) فمن رفع رأسه أخذه وحمله ، فلذلك كانوا يتغافلون . (قلت : ورواية تلك أصح)

٨٨٣ — ولكن قذاها زائر

في الأغاني : بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أمر البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً وبين يديه باطية شراب ، والمرأة تحدثه وهو يشرب إذ دخل رجل فجلس فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم فيستحيي منه ؛ وأطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع في الباطية في شرابه . فقال الرجل : يا أبا مالك ، الذباب في شرابك ! فقال :

وليس القذى بالعود يسقط في الخمر ولا بذباب ، نزعه أيسر الأمر
ولكن قذاها زائر لا نحبه رمتنا به الشيطان من حيث لا ندري

فقام الرجل فانصرف :

٨٨٤ — كلب البيت

ابن قتيبة : قال عمارة بن حمزة : يحضر في بيتي كل يوم ألف رغيف ، كلهم يأكله حلالاً غيري . (وكلهم يأكل رغيفاً واحداً) ويسمون فلان رب البيت ، وإنما هو كلب البيت [1]

٨٨٥ — الرأي الصائب

في (كتاب الأمر والملوك) لابن نمير الطبري : قال أحمد ابن إسحق بن برصوما : لما حصر محمد (الأمين) وضغطه الأمر قال : ويحكم ! أما أحد يستراح إليه ؟ فقيل : بلى ، رجل من العرب من أهل الكوفة يقال له : وضاح بن حبيب بن بديل التميمي ، وهو شيخ بقية من بقايا العرب وذو رأي أصيل . قال : فأرسلوا إليه فقدم عليه ... فلما صار إليه قال له : إني قد حضرت حديثك ورأيك فأشر علينا في أمرنا . قال له : يا أمير المؤمنين ، قد بطل الرأي اليوم وذهب ، ولكن استعمل الأراجيف فإنها من آلة الحرب فنصب رجلاً كان ينزل وضاحاً ، فقال له : يبكر من الغد فكان إذا رأيت يعقد كرة وجارية مريضة ، قال له ... فقد جاءنا نزلة فيصبح له الأخبار ، فإذا مشى الناس تحدثوا بخلافها

---

[1] كان لإسحق الموصلي خادم يقوم ... في الدار ، فقال له يوماً : ما حالك ؟ قال : يا مولاي ، ما في الدار أشقى مني ومنك ! قال : وكيف ؟ قال : أنت تطعمهم ، وأنا أخدمهم

ابنة العار

للأستاذ فؤاد بليبل

يا ابنةَ العارِ والشقاءِ والرذيلةْ ... لولاكِ ما عرفتُ الفضيلةْ
أنتِ كأسٌ فيها تذكو الشرورُ ... ومنه مدُّ السماح تنبثُ (١)
ومن السمِّ ما يقتلُ ومنهُ ... ما تحتوي في الجسومِ العليلةْ

* * *

إنّ في خطيئةِ الإثمِ ربقاً ... طاهراً أحطّ الورى تأويله
هو صوتُ الضميرِ من صقة الإثــم على مصرعِ ظلالِ النبيلة
هو ومضُ الحياةِ في حبيبِ اليأس ... وبصيصٌ من الشقاءِ الطويلة
هو دربٌ من النور وحيٌ ... لاحَ كالفجرِ في ظلامِ الرذيلة
هو روحٌ داءٌ أسى فاستحالت ... عبرتْ بين لحونِ الكئيبة
تتقلبُ الآلامُ بين شرورٍ ... وتحنتُ الآلامُ بين صقيلة
كلُّ ذاتِ الخطيئةِ النفسُ ... دونَ إدراكها سحوراً سبيلة
ورآها على المسالكِ هيماً ... بين طهرها وبين سعيه
ومن العارِ ما يبرّئه الجهــلُ وما يجهلُ الورى تعليله

* * *

يا ابنةَ العارِ ... المقدّرِ أولى ... منكِ بالعدلِ جورُ حكمِ الجميلة (٢)
إنما العدلُ من صقرٍ على الرجس ... وأهرق بالوعودِ الجميلة
[illegible] والقازي لسيبـــك وهو يدعو لتسبيك حيه
وأراك الشيخ جيلاً شعيثاً ... لا شيء إلا يروى عنه
فإذا بالتعطيرِ غيرُ سكيرٍ ... صاح حتى [illegible] سكرى عنه
حسبتِ المعذرَ ساعةَ طهرٍ ... وسبقتْ حياةً إلا قليله
مضى الأمسُ واستعطفتِ في الطهرِ ... في حانوت الجموع عسيله
وأتى الشرعُ والتقاليدُ إلا ... أن تعيشي — وإن تحتسي — ذليلة
وتشكي ... الجميعُ وهو يحسدُ ... ك تعاتك الجموعُ الطليلة
تتحدّث كلُّ روحٍ شريفٍ ... وأحكّوا روحَ الشقاءِ دليله
ثم أرادوكِ أن تكوني جيفةً ... وهم أقنعوكِ ثوبَ الفضيلة
مرذّبةٌ في النفائسِ والجــــــهر ولو أحسنوكِ كنتِ كريمة

(١) [illegible] (٢) [illegible]

همومٌ بعد همومٍ بعد أخرى ... [illegible] وبيله
ليتَ شعري هل حسبَ من الطبيعــةِ سوى الأسى والحياةُ [illegible]
وانهيار الآمال والندم المر ... [illegible] وحب الرغائبِ [illegible]
وذبول الشبابِ دون عمره ... وجاها يُدني [illegible]
وفصولٌ تُرِدادُ يوماً فيوماً ... وعيونٌ كأنّها مكنونٌ [illegible]
وضميرٌ قد حطّمته المآسي ... وحياةٌ بالموبقات حفيله

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

الإسكندرية

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

يا فتنةً سحرت بي ... حلم الرؤى فتحطّم !
ما أنتِ إلا جمالٌ ... في الحسن وسما يتجسّم !
على صفحات عمي الـــــعصور لا يتكلّم
الموجُ يشهقُ غرقاً ... والشطُّ جذلانُ يبسم
وأنتِ بين جلالٍ ... على البسيطة حتم
الشعر فذٌّ وتحت ... ولحناني تموّجهم
يا فتنةً متحققٍ ... على الجسم وتنظّم
حتفٌ بنار سحري ... وحتف كي أترنّم
[illegible] سُنتُ الأ ... [illegible] لا تترجم
مطوية من حنانٍ ... على الشواطئ تُهوّم
هنّ [illegible] وتكي ... أمواجها بين تتنم
وكأنّ حسبك ترمي ... بالشدة وتلهم
[illegible] ... من الكواكب تحوم
تهتزّ في اليمّ لا لا ... تهوي في الأرض تضرم !
مجيبة لقسط محتس ... [illegible] الرمال وتسعم
وقد رأيت عليه ... عيب [illegible] جثم
[illegible] ... ومحنة يتحطّم !
وفتنة حسن تقضي ... على القلوب وتحكم
يا فتنة الصيف هدى ... [illegible] الناس ترحم

مرّوا إليك [illegible] ... من [illegible] كم [illegible]
ومن [illegible] ... ومن [illegible]
[illegible] ... ومُشعة [illegible]
على [illegible] ذلك [illegible] ... [illegible] وفي [illegible]
مطوية [illegible] ... [illegible]

حسن كامل الصيرفي

قبـــل الوداع...

للأستاذ العوضي الوكيل

لا تسلْه [illegible] ... فقد [illegible] ما يحاوره
[illegible] الفراق وفي ذكراه ألم ... القلب قد [illegible] منه [illegible]
وأقبل اليوم لا كانت [illegible] ... من الزمان ولا كان [illegible]
الصبح وهو [illegible] قد [illegible]
[illegible] هو [illegible] الوحشة [illegible]
لا الشمس [illegible] ولا ... [illegible] الصباح [illegible]
ما [illegible] ف الأكوان من [illegible]
[illegible] حتى النفس [illegible]
[illegible] لا [illegible] ولا [illegible]
الشر في [illegible]
[illegible] أن [illegible] ... في النفس الذي [illegible]
[illegible] الصبر دون [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible] ... حرص البخيل إذا [illegible]
فكيف [illegible] أو [illegible]
[illegible] بك [illegible] ؟
[illegible] وكان [illegible] ... من [illegible] الحب [illegible]
والنفس تزعم أن حبّ أسعدكم ... [illegible] قد [illegible]
وتزعم النفس أن [illegible] قد كذب
وكيف [illegible] إنسانا [illegible] ؟
يا أيها [illegible] ... [illegible]

أنت الربيع وكم لي [illegible] من [illegible]
[illegible]
عن الربيع [illegible] ... [illegible]
والشمس في أعلى الطير [illegible]
[illegible]
فالنفس [illegible] بالأ[illegible]
[illegible] الروض في [illegible]
[illegible] الروض [illegible] ... من [illegible]
[illegible] العين [illegible] ... قد [illegible]
لا تسأم العين من [illegible] ما نظرت
ولا الفؤاد [illegible]
كفاك أنك في [illegible] ... [illegible] لا [illegible]
[illegible] ... [illegible] لا [illegible]
[illegible] لي — من [illegible] — [illegible]
([illegible]) ما كان أشواقي [illegible]
النأي [illegible] ... على القلب [illegible]
واستعمل القوم أيا [illegible] ... [illegible]
[illegible] في الحياة [illegible] ... [illegible]

العوضي الوكيل

جمـــال وقلب

[من ديوان « إشراقة » تحت الطبع]

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

[illegible] يا جمال [illegible] ... [illegible] وحب
[illegible] ... [illegible]
[illegible] كل [illegible] ... [illegible] حتى [illegible]
[illegible] ما [illegible] ... [illegible] وأنت [illegible] !
[illegible] ... [illegible] وأنت أكثر [illegible] !
من ترى [illegible] ... [illegible] !
من ترى [illegible] القلوب [illegible] ... [illegible] !
من ترى [illegible] الورى بين [illegible] ... [illegible] : جمالاً وقلبا !!

التيجاني يوسف بشير

رسالة في الفن

الحب والفن والله

معراج غاندي الصاعد

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

———

يصف القرآن أهل الجنة فيقول: «دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين».

ويعرف الإنجيل الله فيقول: «الله محبة».

ويروي الأستاذ فتحي رضوان في كتابه عن غاندي أنه لما كان في جنوب أفريقيا يجاهد الإنجليز في سبيل الهنود وكرامة إنسانيتهم كان في اجتماع، وبينا هو ينادي مصطحباً سيدة أمريكية لقته السيدة يتسلل من جانبها إلى ركن مظلم، ورأته في الركن يواجه شبحاً ورأته يمد يده إلى يد الشبح يأخذ منه شيئاً فأمعن راق، ورأته يحنو ذا الفضل [?]، ثم يتأبط الشبح فيخرج به من الظلمة إلى النور يسايره ويحادثه ويلاطفه ويوادعه، ثم يصافحه ويستودعه أمراً جللاً ثم يحييه ويفارقه فيعرف الشاب الهندي مطمئناً مؤمناً مستبشراً علاه من كبرياء المستشهد بعد أن كان الشبح المنحني المتلصص المتلزم إلى الجريمة. وراع السيدة هذا الذي رأته فسألت غاندي فقال لها: أحسست أن هندياً كامناً لي يريد القضاء علي لأنه حسب في الصبر والتمهل وصيانة الهنود، فسعيت إليه، وأنا مثله يحبه كما أحب كل الهنود. انجذبت إليه وأتاني مما ملك، فأنسى حتى القتل في نفسه حتى ورد خالق حباً، فتصارحنا وتفاهمنا جانبنا، وتفارقنا ونحن إخوان في حب الهند والهنود من الهند.

معجزة من معجزات الحب أيد الله بها غاندي ونجاه بها من كيد كان فيه الردى والهلاك، ولم تكن معجزة كهذه تقع بين سمع الناس وبصره من غير أن تنم عنه وتشتهر، كما متعجبة متضمنة موالية إلى صاحبها يسد ما أملى صاحبها أنها يسرت له بتدريب ورضى عليه نفسه فكان هذا الإعلان إيحاء بالمعجزات تنبع من وحيه، فما بين السيدة وغاندي حديث تقص فيه السيدة الحب وتمتحه من أصنافه الجديد، فكان ما عنيه إيحاءً أنه قص وصناً يقيم في مسارح المغرب والمشرق، وأنه كان مأمن صوابه، يؤمنه حتى لما كان يطوي نفسه عليه، وكانت تعبه خالف قلبه خياله وتصوره.

معجزات أخرى فصلت من روح غاندي في يومه. فأي رجل هو؟

إنه من أولئك الذين تحيتهم سلام. وإنه من أولئك الذين يحصدون في الأرض ومية الإنجيل ودعوته إلى الحب الذي يقول إنه هو الله. فأي رجل هو؟

ليس في تاريخه ما يدل على أنه عبقري العقل كما يعرف الناس العباقرة. كان في صباه تلميذاً متأخراً منصرفاً عن الدرس واللعب. وكان في شبابه طالباً عادياً متعثراً خجولاً يوصى بالأدب والجد ما تعوزه فيه قلة الذكاء، وكان بعد ذلك في بدء اشتغاله بالمحاماة محامياً متواضع الأمل، راضياً كل الرضا بأيسر النجاح يؤتيه من أشق العمل، فهو يستحق المرتين من طرق النجاح كالبائس منه، ثم يطرب ويسعد منه ما يسره أحدهم بأن له الترقي ما كد وانكب على عمله بالمثابرة والإخلاص.

فهل كان غاندي على هذا غبياً متواضع العقل حين كان في صباه التلميذ المتأخر المتهيب للتفصي من الدرس واللعب، وهل كان في الحق غبي الذكاء حين كان في شبابه خجلاً شنلاً

لا يعرف فيه أحقاده ولا زملاؤه العقل الذي يخطئ ويعرفون عنه القلب والجلد، وهل كان يصدق الدهر الكاذب السيء الحظ حين كان يسائل المجربين عن طرق النجاح في الحياة وحين وسعه أمله أن تتواضع نفسه عند تحصيل الرزق الهين والعيش التافه؟

هل كان غاندي هذا الإنسان الرخيص؟

الأدلة والدلائل من حياته تنفي عنه هذا، بل إنها تثبت له عكسه ونقيضه. فغاندي اليوم هو الرجل الأول بين رجال الإنسانية الروحية، وليس هو الرجل الأخير بين رجال الإنسانية المادية. فلو كانه ما حسبت له الحقيقة حساباً وما وجب حسابه، ومن لا تخشى السجين ولا الإرهاب بل إنها لو أمكنها أن تصرف الناس الذين تثق بهم عن الاشتغال بأمور حياتهم ما رغبت في ذلك وما تأخرت عنه، وما امتنعت من الإنفاق على الأجرة والساعد تعثر بين الناس زاهدين طالبين، فطر [...] الأرض وجع جهاتنا كل وكترب وغضب وبيتها تصبيراً وعبثاً [...] وعشاه، وتنكيه، وسلقه حباً وتقسو عليه حيناً، فلا بد أن يعرف فيه خطراً عظيماً تخاف أن يكتمها وأن تختفي فيه الخيوط المحمية التي تربطها من النفس والصوت بجره للمصير الذي لا تريد قتلاً ولا حصر على نصب الأطفال

لا يمكن أن يكون غاندي هذا قريباً من الغباء ولا الحمق! وإنما هو ذكي يتعالى ذكاؤه على ذكاء الناس، وعقل يتعالى عقله على عقولهم. وليس في هذا عجب ولا فيه خرق لنظم الطبيعة، فنحن إذا تأملنا نفس غاندي، رأينا الرحمة والسمو متضمنين فيها مؤكدين في الخصائص التي تكملان النفس الإنسانية إذا انتهينا إلى العقل، وعادل التأملات مع النفس والحس [...] غاندي ثبت أنه من أرحم الناس حقاً، ومن أشدهم استمساكاً لمعاني الشرف والنبل والوفاء والبر والصدق والعطف والتضحية، وغير هذه من الخصائل [...] فقد كان في الهند وفي انجلترة وفي إفريقيا الجنوبية، مثلاً صادقاً للإنسان النبيل الذي يأمر بالعمل أهله وذويه، والذي يعجز خصومه عن أن يتهموه بنقيصة خلقية، وعن أن يصموه بريبة. هذا على الرغم مما يرويه هو من عيوب نفسه وزلاتها [...] فقد اعترف على نفسه بأنه كان يسرق من أبيه ما يشتري به الدخان، كما سجل على نفسه أنه اقترف الزنا بإيعاز

من صديق شرير كان يغريه بالفساد في أول عهد إقامته في [...] فهذه الخطيئة النادرة لم يكن في الحق أكثر من [...] عرفه أراد غاندي أن يدون بعض المعصوم من قائله ليفصح عن طريقها له بدرجة حتى عافها مرجواً، لأنه رأى فيها تبعداً لقبر [...] والانحلال، فعاد وصلح، وبعد أن صلح وسمو — فيما يعلم الله وتثبت شواهد حياته المكشوفة الصريحة — لا يعرف من الذنوب إلا هفوات الأولياء الصالحين

هذه هي أخلاق غاندي! فهو بها أقرب من عرفت من الأحياء إلى الكمال، وهو إلى ذلك بإحساسه أقرب من عرفت من الأحياء إلى الكمال أيضاً. فقد مكنه الله من أن يسمو بنفسه، وأن يجنبها حتى ليبلغ من صفائها ونقائها أن تنعكس على النفوس أنوار إحساسها بتعبيرها وعلائقها بشتى النور وبهجته [...] وهذه صيحة من الإنسانية الروحية يطلقها الإنسان بعد أن سرها استشهاده بنفسه هو الإحساس الصادق والاستجابة لصدق الإحساس، وليس أدل على ما نقوله من هذا الحادث الذي ظهر فيه غاندي بعد ذلك الذي أراد أن يعته بدعوى التعصب، فقتل فيه النزوع إلى الشر والعزم على المعركة بعد أن جمع لها إحساسه وإرادته وإيمانه، وبعد أن دبر لها وقته وجهده وأعد لها سلاحه، وبعد أن عاش عليه فيها حياته ووهبها لها في شبابه!

غاندي إذن هو أكمل من عرفت من الأحياء خلقاً وأصحهم حساً [...] فلنا أن نصدق أنه قليل الذكاء ضعيف الفهم لأنه رسب في التلاميذ من المتأخرين، ولأنه كان من الشبان الخاملين، ولأنه كان من المحامين المغمورين الخائبين، فإن أكثر ما كان يمكن أن نتصوره يصل إليه من مراتب الرقي البشري هو أن يكون شيخاً للطريقة من طرق التصوف والتدين اللذين يتطلبان في الصلاح من أشكالهما هذا الصفاء في النفس، وهذا الكمال في الأخلاق، وقد سهلت الحياة لغاندي أن يكون هذا الشيخ، ولكنه أبى، وإن أنكر عليه نفسه هذا الإباء، وإن حسبه أقل ملكه ودعوه إلى ما يطاول مرتبة الأنبياء [...] ذلك بأن شعبه الهندي لم يكن مقصوراً على تقديس الصالحين الأتقياء، فهو على الأقل ما عودته هذا التقديس متطرف فيه، فلو أن غاندي شاء أن يكون زعيماً من زعماء الدين لكان هذا الزعيم، ولما أنكر عليه الزعامة أحد، ولكنه عدل

من هذا إلى ناحية أخرى من نواحي الحياة تستلزم الكفاح العمل والانتصار فيه، كما يستلزما التفوق العلمي والسلطان الناطق. ولقد تم لغاندي النصر في هذه الناحية بشهادة بعض الكثير من رجال الإنجليز الذين فاوضوه في الهند ولندن وغيرهما فقالوا إنه رجل يقتدر في تكوينه على غيره من الرجال ... ويحسب ساسة الإنجليز المكار بالأمس القريب، ولا الانتصار عليهم بالأمر المتاح لكل إنسان، والإنجليز حين يقاومهم الناس وحين يكافحون هم هؤلاء المقاتلون لا يكافحونهم بالإحساس، ولا بالأخلاق وربما لهم في المكافحة سلاح آخر هو العقل، ويكاد العقل الإنجليزي يكون في أرقى مراتب العقل البشري، فإذا غلبهم غالب بسلاح العقل فلا يمكن أن يقال إنه قليل الذكاء أو إنه مستهتر العقل، ولقد غلبهم غاندي في مواضع كثيرة فلا بد من أن يكون أقوى منهم عقلاً وأشد ذكاء

وإنه كذلك! وعلى هذا يتم له الانسجام النفسي القائم على أساس من القسط النفسي الرفيع المتألف من الحس الأصح، والخلق الأكمل، والعقل الأوفر

وهذا النوع من العقل هو الذي أردت أن ألفت إليه نظر القارئ في حديث اليوم. فقد رأى القارئ في أحاديث سابقة صوراً من الرقي الأوروبي الذي يجري به العقل الحديث، والذي يدفع إلى العلم المادي وحضارة المادة دفعاً يكبت في الإنسان إحساسه ويخمد أخلاقه. وقد رأى القارئ في حديث الأسبوع الماضي أدعو الإنسانية أن تبحث عن العقل الذي يطالعنا به غاندي عله على هذا العقل الأوروبي الذي لا يصدق عليه اسمه إلا من حيث إنه عقل الحس البشري وكبت الأخلاق كبتاً لا يسمح لها بالسمو إن لم يهبط بها إلى الحضيض

عقل غاندي هو بشارة من بشائر الرقي الإنساني التي تسارع إلى الظهور في بعض مراحل التطور البشري، ولو لم تتأهب الإنسانية لإحسان استقبالها وإحسان استصحابها

فما هي ميزة هذا العقل وما هو طابعه؟

إنه العقل الناهد المتحدي المنطلق إلى هدف بعيد من السماء والذي يدرك حقائق الأشياء وما بين الأشياء من علاقات بعد أن تعرض له هذه الأشياء، والذي يطلبه الإحساس الصادق فلا يعمل في تقديره، ولا يكيفه إيحاء ... تردده النفسية إلى إحسان الموازنة بين الحقائق وبين الأشياء فيدرك أنها نافع لنفسه وأنها بديع، وأنها جدير بالاهتمام وأنها حسن الإجمال، وأنها لازم لتقويم كيان الفرد، وأنها لازم لصلاح المجتمع ... بعد ذلك حضور العقل بنفسه ولا يعتدي

هذا هو العقل الذي زان الله به غاندي، وهو عقل ... سام يدل على غاندي كما يدل عليه إحساسه وكما تدل عليه أخلاقه فهو عقل خاص نادر لأن غاندي رجل نادر، وهو لذلك غريب على هذه الحياة وهذه الحضارة، غريب على علومها وعلى الأجواء التي تحول فيها، ولذلك فإنه يكاد يصعب عليه أن يصاحب العقل المادي وأن يماشيه، وربما هو ينفر من ذلك العقل المادي بطبيعة تكوينه، والناس الذين يعتبرون الحساب، وعلوم الرياضة «المتصلة» مقياساً للذكاء يرون هذا الاختلاف بين عقل غاندي وبين عقلهم ويأبون أن ينسبوا الضعف في أنفسهم، ويحسبون الضعف والتأخر لعقل الخارق العجيب الذي يحيرهم والذي يرونه كالعاجز عن مجاراتهم، وهو في الحق مستقيم يقصد إلى هدف خاص يتزع إليه صاحبه بإحساسه وأخلاقه، فلا يلتوي على نفسه ولا يجمد ولا يتعثر مثلما تعثر العقول المتحضرة حينما تجمع عنده من المتناقضات من الحقائق لا يحتويها في هذا الجمع عن ... ولا تريد من سبيله أن تصل إلى هدف ولا أن تؤدي به رسالة، ولا يهمها إذا كان هذا الذي تجمعه شيء يستحق أن يلم أو أنه لا يستحق ذلك

وهذا هو أشرف ما يدعيه العقلاء لأنفسهم فهم يقولون إنهم يطلبون العلم للعلم، وهم حين يفخرون هكذا يحسبون أنهم يردون به على أولئك الذين ينتقصون صنعة علمهم ويتهمونه بأنه يسعى إلى خدمة اللذة في الحياة، أو أنه يسعى إلى خدمة الشر. فإذا صح هذا الذي يفخرونه ولم تقس عليهم قسوة من يتهمونهم بمختلف التهم لم يكن علمهم إذن إلا ضرباً من الفضول أو التحسس على قوى الطبيعة ... والفضول ضعف، والتحسس رذيلة

أما العلم الذي يصل إليه العقل المتصل الخاص فليس فيه من الفضول شيء، ولا من ضعف الفضول، وليس فيه من التحسس شيء، ولا من رذيلة التحسس، وإنما هو علم يطلبه صاحبه لأنه يحبه، ويرضى ما عمله لأنه لا يريد شيئاً غيره، وهو يسعى

قوانين النشاط الحراري
وتحول الطاقة
للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

رأيت في عدد مضى من الرسالة ما كتبه الأستاذ نجيب الصيادي المحامي، وقد راعني ما فيه من خلط بين التحصيلات العلمية والنتائج التي وصل إليها العلم وبين بعض مدركات حديثة في الكون مستمدة من التفكير الفلسفي، لا تجد مكاناً اليوم في عالم العلم. ورأى فكرة أدخل في العلم من القول بأن المادة (أو مجموع المادة والطاقة) معدومة والاستناد إلى مثل هذه المبادئ الفلسفية للاعتراض بها على نتائج انتهى إليها العلم في المعمل والمختبر ومحصتها التجارب على مدى طويل من الزمان. والواقع أن التفكير العلمي الحديث يرفض مثل هذه الآراء الزائفة ولا يعرف من مفهوم المادة والطاقة إلا أنهما مقدمتان في عالم الزمان - المكان.

وقد سبق لي أن أشرت إلى بعض هذه الحقائق في البحث الرياضي الذي نشرته لي مجلة الرسالة لأربع سنين خلت عن نظرية النسبية الخصوصية وقلت في ذلك الحين ما نصه:

(حسب المادة كما يعرفها العلم الطبيعي الكلاسيكي، بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة في المكان، بل المادة مجموعة توالي الحادثات في نقطة واحدة من نقط عالم الزمان - المكان؛ وذلك على أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات Events وتوالي عدد من هذه الحادثات في نقطة واحدة يخلق في روحنا معنى المادة)
(الرسالة السنة الرابعة العدد ١٤١، ص ٣٨٧)

ومعنى هذا الكلام أن العلم الحديث يرفض فكرة المادة في مفهومها القديم الذي يعتبرها الشيء الذي تنضم به الصورة وهذا لا يعني ... إلى ... أحد ... على هذا المفهوم ومعنى الكلام يمكن تطبيقه على الطاقة ومفهومها وبعد ذلك نجد

إليه لأنه يشعر أن فيه كماله، وأن في الوصول إليه راحته وأنه قبل هذا وذاك يرضي إحساسه وأخلاقه ويتسق معهما.

وهذا هو العلم الذي يسر حين يطالع الناس وفيه من حسن صاحبه إحساس صاحبه وأخلاق صاحبه، كما يكون فيه من عقل صاحبه. فأي شيء يشبه هذا العلم؟ إنه يشبه الفن وهو يشبه الفن من حيث إنه تعبير عن نفس صاحبه، ومن حيث إنه يعبر عن حاجة من حاجات صاحبه الروحية، وقد تشمل هذه الحاجة مطالب مجموعة عامة من المجموعات البشرية وقد تشمل مطالب البشرية بأسرها.

هو إذن رسالة نفسية فنية، وهي قائمة على أساسين من الحس ومعنى إلى جانب ما تقوم عليه من أساس العقل. وليس كل العلم هكذا، ولا كل العقول التي تجري وراء العلم هكذا. وإنما هي نفوس الفنانين التي تشعر بسرور من سرور الحياة في إنتاج ما اصطلح الناس على اعتباره من الفنون الجميلة إلى أدوات ورسالات هي في ظاهرها غير هذه الفنون، وهي في حقيقتها فنون جميلة بل من أجمل الفنون. ذلك أنه إذا كان جميلاً أن يبدع إنسان لحناً أو قصيدة أو قصة أو تمثالاً أو صورة، فأجمل من ذلك أن يبني إنسان نفس إنسان آخر، والأجمل الأجمل أن يبني إنسان حياة من النفوس في جيل من الناس على صورة من حياته. وليس أجمل من أن تقوم رسالة حية على أساس من الحب يطوي المؤمنون بها نفوسهم عليه ويبرونه لأعدائهم كما يبرونه لأصدقائهم، تحيتهم سلام ودعاؤهم محبة، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

عزة أحمد [illegible]

الصورة العلمية الجديدة للمادة والطاقة أقرب إلى Phenomenisme — أعني الفلسفة التي لا ترى شيئاً وراء ظواهر Phenomena الطبيعة

وإذا صح مثل هذا التفكير لا يمكن التكلم عن الفناء (الموت)، ومفهوم اللانهائي في الزمن لا معنى له في العلم الحديث

أما الشيء الذي يعترض به في الواقع على ما جاء به الدكتور محمود خالد، فهو أنه تقيد أكثر من اللازم بمبدأ الانحطاط الحراري العام الذي قال به العلامة سادي كارنو عام ١٨٢٤ والذي ينص على أن الطاقة في نموها تتحول وأنه ليس في المستطاع عكسها. لأنه من المعروف أنه من المفهوم الذي أراح كارنو وجه رأيه قد بذلت الجهود في سبيل إيجاد التلازم بين مبدأ تحول الطاقة وعدم عكسها ونظرية القوى الحركية التي تفرض إمكان عكس أي شيء في الطبيعة. ومن هنا كانت جهود ماكسويل Maxwell وبولتزمان Boltzmann وجبس Gibbs في أن الحركات لو كانت تقترب من حد التجانس، فليس ذلك نتيجة لأن العناصر الثابتة تميل لعدم التخالف والتباين، وإنما يعود ذلك إلى الاختلاط، فالاختلاط إذا منع حدث الأعظم الاحتمال، أو ما يقرب منه جداً وكأنه متجانس النظر وهو في الواقع غير ذلك.

وفي هذا وحده عدم إمكان تصور أن الأجسام الساخنة لا ترجع حالتها الأصلية عن طريق العكس. وكما يقول Gibbs أننا لو وضعنا حبة من قمح أحمر في كومة من القمح الأبيض واختلطت بها، فتصور هذا الحدث من السهولة بمكان، والنظر الشرعي من عدم وجود هذه الحبة ومن هنا سيحكم بأن الكومة كلها متجانسة مكونة من هذه القمح. وهو لو عرف أن حبة قمح قد اختلطت مع الكومة ويبحث عن الكوم فإنه سيعتقد باستحالة استخلاص حبة القمح من الكوم. وفي هذا وحده كل تفسير Gibbs لعدم إمكان العكس الذي يتضمن مبدأ كارنو

إلا أنه من المهم أن نلاحظ أن هذه التحولات مستندة إلى القوانين الإحصائية Statistique وهي إن كانت صحيحة في عالم النظر، ولكن مبدأ كارنو كان يحتل قوته في عالم الواقع كما أيدته التجربة. ولكن الذي حدث أنه في أواخر القرن التاسع عشر لاحظ العلامة براون Brown في الأبحاث التي يستحضرها رافعاً غير منتظم في الحركات، وعرف هذا التأثير بالحركة البراونية Brownian وقد ظن بادئ ذي بدء أن هذه الظاهرة وقف على عالم الأحياء، إلا أن بعضهم لاحظ وجودها في العالم الميكانيكي الآلي. ولقد فرض بعضهم أن الضوء يتجمع ويتدافع على هذه الحركات، ولما كان الضوء لا يختفي عن موضع الحرارة؛ فإن الحرارة تختلف في ذلك الوسط من مكان لآخر ويكون نتيجة ذلك مجموعة من التيارات هي التي تحدث هذه الحركات. غير أن العلامة Gouy نقض هذا الفرض بأن بين أن هذه الحركات كلما كانت صغيرة كانت حركاتها الشديدة تدل على أنها أسرع، وهذا إلى أن هذه الجسيمات لا تتأثر بالنور الساقط عليها؛ فإذا صح أن هذه الحركات تحدث بدون أن تستند إلى مصدر من الطاقة خارجي، فماذا يكون الوضع؟

لا شك أنه لا يمكن التراجع عن مبدأ ماير Mayer في حفظ الطاقة؛ كما أنه لا يمكن أن ننكر أن الطاقة والحركة يتحولان إلى حرارة، ويجوز أن نقبل مبدأ ترى الحرارة تتحول لحركة وهذا يناقض مبدأ كارنو

هذا ما ارتبك به العلم في أوائل القرن العشرين والتبس عليه مبدأ حفظ الطاقة ومواضع النشاط الحراري وتحول الطاقة

حقيقة أن أينشتين وبيرلان وميرجاند أطروا الكثير إلى هذه المبادئ والقوانين وبيان حدودها وأخرجوها عن مطلقاتها الأولى، ولكنا نعرف أن في الإمكان في ضوء الجهود الجديدة أخذ مبدأ كارنو من جهة حساب الاحتمال ووصله بالنظرية الاحتمالية التي يقول بها هيزنبرج وشرودنجر ودراك وغيرهم من الأعلام، وإني كان في أن أذكر هنا شيئاً في موضوع كرتي من «الحركة البراونية» التي قدمتها عام ١٩٣٥ إلى أكاديمية العلوم الروسية ونشرتها مجلة Priroda الطبيعة — الروسية عام ١٩٣٦ ونقلتها عنها Herald of the Academy of Sciences في نص المجلة أن الأصل الذي تذكره تتضمن Izvestia الأخبار الأكاديمية وأعمالها العلمية وتجدد في النشر في النسخة ١٩٣٥ ص ٤١١ - ٤١٦

ويمكن أن ينظر هنا سبتاً The Reports on the activities of USSR Academy of Science for 1936, by V. P. Volgin, Moscow 1935.

من هنا نرى أن مبدأ كارنو من ناحية النظرية لا يمكن

أجمل الكواكب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

وزحل أجمل الكواكب، وأكثر الأجرام السماوية بهاء! سحر الناس بمنظره وخلب عقولهم ... ليس كمثله كوكب، فريد في شكله، وحيد في صورته ... يحيط به ثلاث حلقات مستوية وإنه يختلف منظرها باختلاف موقعه.

ثم هناك ... يدور حوله ... إلى هذا ... سطحه ... على ... ومن عجب ... رؤيته أن حقيقة هذه الحلقات عرفت من ... المعادلات الرياضية ... فلقد ... العالم الشهير «ماكسويل» أن هذه الحلقات تتألف من أجسام صغيرة جداً كثيرة العدد، تدور حول الكوكب في أفلاك دائرية تقريباً وقد أثبت (مبين الأطياف) أن دوران أجزاء الحلقات الداخلية أبطأ من دوران الخارجية، كما يرجح البحث العلمي أن تكون هذه الحلقات يرجع إلى اقتراب أحد أقماره وحل نشأ عنه تمزيق ذلك القمر إلى قطع صغيرة تكونت منها هذه المجموعة من الحلقات الثلاث.

وهنا جزاء كل قمر يقترب كثيراً من أمه ... القرب قرباً من الأرض — وهذا ما سيجري بعد ملايين السنين — فلا بد أن يجري عليه ما جرى على قمر زحل، فيتمزق إلى قطع صغيرة ينشأ عنها حلقات حول الأرض على الشكل الذي نراه في زحل وهذا ما سيزيد في جمال ليالي الأرض وما سيسحرها ورواء؟

وسماء تشتعل ... وتمنحها ... ويقول جينز: وعلى الرغم من أن هذا سيزيد في بهجة الفضاء فسيكون الأمر من بعض النواحي ... كما ... الآن بسبب تكسر بعض الأقمار بعضها ... أجزاء منه على الأرض كالنيازك الضخمة تسقط من السماء. ويعد زحل من الكواكب البعيدة من الشمس بالنسبة إلى الأرض، ويبلغ بُعده (٨٨٦٫٠٠٠٫٠٠٠) ميل، وطول سنته ٢٩ سنة ونصف سنة من سنينا، أما متوسط قطره فيقرب من (٧١٫٥٠٠) ميل وعلى هذا فحجمه يساوي (٧٣٤) مرة قدر حجم الأرض.

وقد حسب الفلكيون كتلته بطريقة ... وما تحدثه من تأثير ... على المشتري فكانت ٩٥٪ من كتلة الأرض، وما دام الأمر كذلك، وما دام حجمه أكبر من حجم الأرض مئات المرات فهو من أقل الكواكب كثافة إذ لا تزيد كثافته على ٣٣٪ من كثافة الماء، مما يدل على أن معظم ... لا يزال في حالة غازية.

ويوم زحل قصير لا يزيد على ١٠ ساعات وربع ساعة، ويحيط به جو مليء بالغيوم يمتد إلى آلاف الأميال. وعلى كل حال يمكن القول بأن معلوماتنا عن سطحه وما يجري عليه من تغيرات لا تزال في أولى مراحلها.

وزحل غني بالأقمار يحيط به تسعة أقمار تعد كثيراً من الحلقات وبعد أحدها (كما يعد الثامن من أقمار المشتري) يسير من الشرق إلى الغرب بينما الأقمار الثمانية الباقية تسير من الغرب إلى الشرق.

ومما لا شك فيه أن هذه الأقمار ... للتبعية وحركاتها المتنوعة ... وحلقاته ... جميلة من أبهى المناظر التي تقع عليها العين، وأروع المشاهد التي يراها الإنسان.

(نابلس) قدري حافظ طوقان

أن يصل إلى فكرة الموت المطلق، إلا إذا حلت الشبه في الصور الحديثة التي أحدثها أكثر مما يحتمل، وأظن أن هذه المسائل، لأنها أدخل في ... المسائل النظرية، لم تمل الدكتور ... أخي وهو الإخصائي في المسائل التطبيقية Applied من العلوم الطبيعية

ولنا عودة لمراجعة بعض آراء الدكتور ... الحسية ... خصوصاً ما يتعلق بمبدأ الصدفة للنظامية وطريقته الحسية

(الإسكندرية) إسماعيل أحمد أدهم

دكتوراه في العلوم الرياضية والطبيعة النظرية
من الكلية العلمية من موسكو

من هنا ومن هناك

لا مفر للعالم من الحرب

[عن « سيرفي جرافيك » نيويورك]

ظهر في الأيام الأخيرة كتاب قيم لـ «كلارنس ك. ستريت» بعنوان «الاتحاد الآن» Union Now وقد كان المؤلف ممثل جريدة «نيويورك تايمس» في أوربا وقضى السنين القليلة الأخيرة في جنيف

والمؤلف من المتحمسين في الأصل لعصبة الأمم، وهو في هذا الكتاب يبين العلل والأسباب التي قضت على الآمال العريضة التي بناها العالم في سنة ١٩٢٠ لإقرار الديمقراطية والقضاء على فكرة الحرب، ويقدم إلى العالم الاقتراح الذي يراه ضمان السلم ووجه دعائم الوفاق. ومن رأيه أن الحالة التي يسود العالم الآن لا ترجع أسبابها إلى مبادئ الاشتراكية، أو الفاشستية، أو الاشتراكية الوطنية؛ ولا ترجع أسبابها إلى مطامع الدكتاتورية ومنافعها؛ ولا ترجع كذلك إلى إخفاق الحكومات الديمقراطية. فهذه كلها نتائج لا مسببات، ويرى أن السبب الجوهري لروح اليأس الذي يكتنف العالم اليوم، يرجع إلى الفوضى التي تسود الأمم التي تصبح لها سلطة السلام والراحة، إلى التفكير في أن يكون لها دون غيرها السيادة والسلطان.

هذا أساس البلاء كما يشخصه المؤلف، أما العلاج الذي يراه لهذه الحالة فينحصر في إيجاد نوع من السيادة القوية على هيئة محالفة بين الخمس عشرة دولة الديمقراطية الموجودة الآن، كنواة لنظام عام سوف تحكمه حكومة عالمية.

وقد كتب لورد «لوثيان» سفير إنجلترا في الولايات المتحدة مع تعيينه في هذا المنصب بأيام قليلة مقالاً نيراً في التعليق على ما جاء في هذا الكتاب قال فيه:

إن الحرب ضرورة ورثتها الأمم القوية لتحديد علاقاتها، حيث يجعل الاتفاق الودي لا تجد الأمم القوية بداً من الحرب للدفاع عن كيانها واسترداد حقوقها، سواء حاولت هذه الأمم أن تستولي كل منها على الأخرى أو عقدت التحالف أو الاتحاد القوي تحت نظام خاص كعصبة الأمم فهذه الحقيقة لا تتغير

إن قوة الأمم مساقها أن تلجأ إلى الأمر الذي تلجأ إليه، إن تطلع سياسة الاتفاق الودي مع الأمم الأخرى، هي سياسة القوة أو الحرب. ويترتب على هذه السياسة أن الحكومة تدفع نفسها مسوقة إلى تضحية حقوق أبنائها واستقلالهم لزيادة قوتها واستعدادها للدفاع عن كيانها كما هو ظاهر اليوم، ومن النتائج المحتمة لسياسة القوة والسيادة انتشار الفقر بين جمهور الشعب وازدياد عدد العمال العاطلين، وانتشار الفساد واليأس بين السكان.

وتقود هذه السياسة إلى الحرب الاقتصادية بين الأمم حيث تحاول كل أمة أن ترعى مصالحها الاقتصادية بصرف النظر عن مصالح الأمم الأخرى، فترتفع الضرائب وتمنع الهجرة وتوضع تحريمات رءوس الأموال

وهذه القيود والمؤامرات الاصطناعية من شأنها أن تزيد في محصول كل أمة، فيصبح التوزيع بين عنصري الاكتفاء الذاتي والقوة الصناعية، لأن هذه الأمم تحسب وتفكر في العالم أجمع

صرخة من مقبرة تشكوسلوفاكيا

[عن « ليدوفي نوفيني » براج]

الأمم كالأفراد يتعاقب سقوطها بعضها إثر بعض كما يتعاقب موت الأطفال في أسفار التاريخ. ويحرك بعدها الفناء، فتصبح عواطفها وصورها شيئاً منسياً كما تتلاشى المياه وتزول في أعماق الرمال. ولا يعد التاريخ برمته التحدث عن عددها وسلطانها الزائل. ومما لا شك فيه أن تاريخ بريطانيا وفرنسا بعد انتهاء الحرب العظمى يشبه التاريخ الأخير.

في سنة ١٩١٨ كانتا تملكان أكبر قوة على الأرض وكانت كلمتهما هي القانون. فماذا بقي اليوم من هذه القوة؟ كل إنسان يستطيع أن يجيب على هذا السؤال بسهولة. وعلى الأخص إذا كان من سكان أوربا الوسطى، فقد أصبحت وكأنما فصلهم عن بريطانيا وفرنسا محيط مترامي الأطراف

قال حكيم من حكماء الرومان: الإنسان لا يكون سيئاً مرة واحدة. ومما لا شك فيه ألا يكون كذلك مصيباً مرة واحدة

ومن الصعب علينا أن نعرف بالتحديد اللحظة التي أخذت فيها قوى الديمقراطية الغربية في الانحدار . ومن المحتمل أن نرد ذلك إلى ظروف كثيرة وأسباب متنوعة . لقد كان الفيلسوف الألماني « فردريك نيتشه » قليل الثقة بالقيم الأدبية للانتصارات ، فكان يقول : إن الانتصارات كثيراً ما تحيط الأمة بسياج من البلادة ، وقد نكون قريبين من الصواب إذا نسبنا إلى الانتصارات إصابة الأمم بالكسل على الدوام .

إن الهزيمة ولا شك هي التي ألهبت بسياطها نشاط الأمة الألمانية ودفعتها إلى العمل . وقد عرفت زعيم ألمانيا كيف تستغل المرارة بعد ذلك روح الرجولة والقوة بين أبنائها ودعوتهم ليكونوا على استعداد للموت في أي لحظة إذا احتاج الأمر . هذا الوضع الجديد يقابل من فرنسا وبريطانيا التحلي بالأحلام [illegible] شيئاً له إلا بجد صنفين من النوم والإهمال . وقد ظلت بريطانيا إلى اللحظة الأخيرة مكتفية بعظمتها الغابرة ولم يكن لتكاتف أبنائها فيما بينهم أكثر من دمع الفرائس . فكانت النتيجة الطبيعية أن حدث ما حدث في هذا العالم الذي بدأت مظاهره من سنة ١٩٣٣ وقد أصبحنا نسمع الشباب في إنجلترا يتحدثون بلسان السخر والاستهتار عن قبة الإمبراطورية التي شادها آباؤهم وأجدادهم ، ويعلنون أنهم لا يرغبون لإمبراطوريتهم العظيمة إلا الفشل والدمار . أما فرنسا على الرغم من جيشها الكبير فقد وقفت جامدة إزاء الفوضى التي تم كل مكان المحافظة على جيشها .

إن أزمة ستنتهي الحال بين صدد ما وصلت إليه عزيمة بريطانيا وفرنسا من الانحطاط . فالفلسفة التي أخذتها الأمتان تجاه هذه الأزمة ، سرعان ما تمخضت عن تأثير حب السلامة والكسل حتى أنتجت الفرصة إلى ذلك !! أن بعض العالم صمداً للوثب العجيب . ولن ينسى صورة مستر تشمبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية وهو يحيي من شرفته غب عودته من ميونخ ، ملوحاً للجماهير بورقة كتب فيها بضع كلمات ، ليعلن : لقد استطعنا السلم الدائم

لماذا يكذب الأطفال

[عن مجلة « هيبيا » بشيكاغو]

يجب أن ينشأ الأطفال على أن مدنيتنا قائمة على الاحترام والثقة المتداولين بين الناس على أساس الأمانة والشرف . ويجب أن يعرفوا أن الصدق أمر حيوي في حياة الإنسان ، وأن الكاذب لن يكسب احترام مواطنيه . ولكن هل العقاب نفسه هو خير الطرق لإصلاحهم ؟ ذلك أمر يعرف الآباء . فإذا يكذب الطفل فلا أفضل أن يستعينوا بأسرتهم في هذه الصفة المعيبة دون أن يلجأوا إلى العقاب . والكذب نوعان : كذب مقصود وهو الذي يحاول به الطفل أن يغش الآخرين ، وكذب غير مقصود وهو الذي لا يدرك الطفل ما فيه من عيب .

فمن جاء إنسان لآخر وقدم إليه تحفة عزيزة وطلب أن يقسمه بأنها [illegible] فإنه لا بد أن يتهمه بالكذب إذا لم يثبت لديه أن هذا الإنسان مصاب في نظره بآفة الألوان . وهكذا الشأن في الطفل الصغير فمن واجب الآباء ألا يتهموه بالكذب بغير روية ، ويجب أن يعرفوا قبل كل شيء لماذا لا يرى الأشياء كما نراها بالتحديد .

قد يكذب الطفل لأنه لا يستطيع أن يدرك تمام الإدراك ، أولاً لأنه قصور في العقل وسلامة الفهم في الحكم على الأشياء . في الحضرة أن يجانب [illegible] من الأكاذيب حتى من هذا النوع . وقد يعود العقاب الطفل إلى حالة سيئة [illegible] حتى الكذب ويستقل لسانه [illegible] عند كل قول . قد لا يفهم الطفل معنى الكذب ، فمن واجب الآباء في هذه الحالة أن يبصروه ويبينوا له أسبابه حتى لا يعود للوقوع فيه .

أما الكذب المتعمد ، وهو الكذب الذي يحاول فيه الطفل خداع الآخرين بقصد الاحتيال والغش ، فلا يوجد علاج له غير النصح والضرب !

إن الأسباب التي تدفع الأطفال إلى الكذب على وجه العموم هي الخوف من العقاب . فيجب على الآباء أن يحيطوا أبناءهم بجو من التفاهم والعطف والمساعدة .

حيث يتورط الطفل ولا يجد عطفاً ، حيث يعاقب ولا يفهم عنا السبب الذي عوقب من أجله ، حيث يعامل معاملة لا يفهمها مثله الصغير ، حين تضيق به الحيرة ، ولا يجد غير الخداع سبيلاً للدفاع عن نفسه ، والخروج من المأزق الذي وقع فيه .

حول نعيم الفردوس

يعجب بعض القراء، أو يغضبون، بعض ما أكتب في الدين من حين إلى حين، لأنهم يتوهمون أن الدين في منزل خاص من المسئولين هو من شأنهم، يجب عليهم الدفاع والخروج على الألوف من قواعد الدين

وأنا أرحب بالنقد، وأراه علامة من علائم الحيوية النفسية فلا يضايقني أن يكون في القراء من يراقب ما أكتب في الشئون الدينية مراقبة تجد مجالاً للتعقيب أو التصحيح

ولكن الذي أنكره على بعض القراء أن يحرّف الكلام عن مواضعه ليسمح له أن يصورني بصورة المسيء، كالذي وقع من الفاضل الذي زعم أني قلت

« إشفع مناك، يا رباه، بما في الجنة من أطايب النعم » فيصور له أن يقول: « فهل رؤي صورة أعجب من صورة صاحب الدين كالصورة المتحمسين في جهاد زكي مبارك هذا » ؟

وأنا لم أقل ما نسبه إلى هذا الرجل الفاضل، وإنما قلت

« إشفع مناك، يا رباه، بما في الجنة من أطايب النعيم، فإن بصري أضعف من أن يواجه نورك الوهاج »

وهذه العبارة هي غاية الغايات في الإيمان بعظمة الله ذي العزة والجبروت، ولكن ذلك الفاضل صعب الشيخ الأخير يجد الفرصة لادعاء الغيرة على الدين، هنيئاً له ما ظفر به من التقوّل على رجل أعزه الله بالإسلام الصحيح، وعصمه من الأخذ بالظن

ألا يكفي أن سكت عن الأوهام التي يذيعها بعض الناس من وقت إلى وقت بصحبة أنهم المرجع الأول لنشر التعاليم الدينية ؟ وفي أي شرع يجوز تحريف الكلام عمداً ليتمكن من في قلوبهم مرض من تجريح الأبرياء !

إن الكلمة التي نقلها هذا الفاضل لا يجوز كما صورها الواعظ ولو طلب من توضيحها القلب ؟ إن الصيغة الصحيحة هي رؤية الله في نعيمه المشكورة، وليست في دعوى النظر إليه، وهي دعوى أعرض من الصحراء

وأنا دعوت الله، دعوت، ولا يزال أن يتقبل ذلك الدعاء، فإن بصري على حدته أضعف من أن يواجه نوره الوهاج

أحب أن أراك في جنتك، يا رباه، في الحدود التي تحدثت إليها في كتاب « التصوف الإسلامي »، وكن وجهك الرحيب على جنتك حافظاً لجنتك وسمتك، فليس لي في الوجود مصير سواك

زكي مبارك

الوحدة العربية

سيدي الأستاذ الزيات

لقد سرني كما سر غيري ما جرى بين الأستاذ « ساطع الحصري بك » و « الدكتور طه حسين بك » من نقاش حول « الوحدة العربية » فرغبت في نشر حديث كان قد جرى بيني وبين أستاذ فرنسي يهودي حول هذا الموضوع

بدأ الأستاذ الفرنسي حديثه معي بالكلام على ما يسميه الناس بالحقائق فقال: ليس هناك حقيقة مطلقة

قلت: نعم، لا، ليس هناك شيء مجرد، بقدر ما يكون امتداد النظر يكون اتساع الأفق

فشجعه ذلك على الاسترسال فقال:

أراكم تلهجون كثيراً « بالوحدة العربية » في هذه الأيام فهل ترى إمكانها؟ إن مصاص كل شيء في هذا العصر هو الدائرة منه، فما فائدة هذه الوحدة لكم؟ أتعتقد أنك عربي؟ أنت مصري قبل أن تكون عربياً، وقبل أن تكون مسلماً. أليس كذلك؟

قلت: ألست تسأل عن سر الخليقة؟

قال: بلى!

قلت: حسن إذن. قد يكون الجواب على السؤال سؤالاً آخر: فما هي الدولة؟ وما الفائدة من وجودها؟

قال: إن تعريفها غير متفق عليه، ولم يصل أحد بعدُ إلى تعريف حاسم لها. أما فائدتها فلا أظن أحداً ينكر الفائدة من وجودها؟

قلت: أمعنى ذلك أن الدولة لا توجد لأن تعريفها لم يُحدد؟

قال: من ذا الذي يقول بهذا؟ إنها موجودة رغم ذلك.

قلت: أنت تدري أن الدولة مكونة من عناصر هي: وحدة الدين، واللغة، والجنس، والتقاليد، والتاريخ، والآمال، والمنافع... وكل هذه العناصر ينتظمها «روح معنوي» يسري بين سكان الدولة — هو شعورهم — بأنهم يكوّنون دولة لها وجود، ولها حياة، ولها غاية تسعى إليها... الشكل العنصري لا الجغرافي لكل هذه العناصر، تنتظمه هذه الروح، هو ما يسمى بالدولة. فماذا ينقص الشعوب العربية من ذلك؟ لا شيء البتة، بل أنا أنظر حولي، فلا أرى شعباً في العالم يضم من هذه العناصر ما يضمه الشعب العربي. إن ألمانيا الحديثة تقوم على أكذوبة «الجنس» فلنفرض أن «الوحدة العربية» تقوم على أكذوبة من هذا النوع... هذا إذا أخذنا بالمثل، وتجاوزنا عن التعيين

إن الصعوبة الكبرى في قيام الوحدة العربية، منشؤها من أن العرب شعوب متعددة تخضع خضوعاً تاماً — أو ناقصاً — لدول شتى. كما أن هناك اختلافاً على مدلول هذه الكلمة وتفاصيل هذا المدلول «الوحدة العربية» يفسره كل منا بما يراه أنه الأصلح لمصلحته، أو رأيه، أو هواه.

فلو كان العرب كلهم أحراراً، أو لو كانوا كلهم يخضعون لسيادة دولة واحدة، لخرجت الفرص من وجودهم إلى الاتحاد، أو لو جمعتهم ثقافة متحدة في التخلص من نير الأجنبي إلى تكوين الوحدة المرتقبة، كما أنهم لو تظاهروا لاتحدوا في وجهة النظر وسبيل الوصول.

لو لم تكن «الوحدة العربية» حقيقة واقعة، لكانت أمراً واجباً. إن الوحدة العربية ليست عبثاً تفرضها الجنسية الشعوب القديمة، كالمصريين، والأشوريين، والفينيقيين، وكلها جميعاً تكل هذه الزمرة لتكون شعب واحد، وحدة، على كل حال. أما شبهة الجنس فلا عرب ولا عروبة بحكم التعميم، والتعليم خير سبيل للتحديد والتعميد والتقليد. إن الأكذوبة العنصرية جعل ... الوحدة، وإذا كانت الوحدة العربية كذباً، فكم من كذب هو أصح من الصواب... والكذب في السياسة، صدق في النظر!

الوحدة العربية، حقيقة واقعة، لأنها ضرورة واجبة!

الله موجود لأنه واجب الوجود، والوحدة العربية موجودة لأنها واجبة الوجود!

* * *

هذا رأيي في الوحدة العربية. أما رأيي في الدكتور طه حسين فهو أن جمعه إلى جانب الرأي من طرفي السمع والإتباع. فهو لم ينظر في نفسه باعتباره رجلاً من أهل الشرق، وبنيته العربية، ودينه الإسلام، ومأمنه العروبة. بل جعل ينقل من كلام الأوربيين ويتبع ما قالوه بلا تمحيص، ولكن خير له لو رجع إلى بيئته، وسار مع طبيعته، ونظر في نفسه واستفتى ما يمليه النظر المجرد والمنطق السليم؛ كما أن نظر الدكتور نظر جزئي لا يجمع الشمول والتعميم، وما ذلك بعيب فيه، ولكنه طبيعة مطبوعة. وإنما العيب أن يخرج الإنسان عن طبيعته، فيكون كمن يجرد نفسه من نفسه، ومن هنا كان خطؤه في فهم الأشياء. هذا إلى أنه من الأدباء وليس من العلماء.

محمد أبو الفضل حسن حسن

سعد وسعاد ومعاوية بن أبي سفيان

ذكر صديقي الأستاذ علي الجندي فيما كتبه في مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان أن سعداً لما طلق أبو سعاد صاحبها به رفع أمره إلى والي ذلك الصقع الأموي للشعوب الذي عكاه من قريش، وعكاه من الخليفة مروان بن الحكم.

ثم ذكر ما كان من أمر ذلك الوالي مع سعد واغتصابه لها من سعد، وأن سعداً استصحب الصحراء إلى دمشق عاصمة الخلافة ليشكو ذلك الوالي إلى ابن عمه الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

ولا يخفى أن في سياق قصة سعد وسعاد على ذلك الشكل

مصرنا ظاهراً ، لأن ما ذكره الأستاذ المتندى في الأول من أن ذلك الوالي الأموي كان معدلاً عكاه من الخليفة مروان بن الحكم يفيد بظاهره أن قصة سعد وسعدى كانت في عهد مروان ابن الحكم لا في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وما ذكره في الثاني من أن سعداً اقتضب الصحراء إلى دمشق يشكو ذلك الوالي إلى ابن عمه الخليفة معاوية يفيد أن تلك القصة كانت في عهده لا في عهد مروان

ولا يخفى على الأستاذ المتندى أن عهد معاوية بن أبي سفيان غير عهد مروان بن الحكم ، لأن معاوية ولي الملك بعد أن تنازل له عنه الحسن بن علي ، فمكث فيه نحو عشرين سنة ، وقد بويع من بعده لابنه يزيد ، فمكث بعده ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم بويع بعده لابنه معاوية ، فمكث في الملك ثلاثة أشهر ، ثم رغب عنه وزهد فيه . فتولاه بعده مروان بن الحكم ، وهو فرع آخر من بني أمية غير فرع معاوية بن أبي سفيان

ورجائي بعد هذا إلى صديقي الأستاذ على المتندى أن يرجع إلى مصدر هذه القصة ليحقق فيه ذلك الاضطراب ، ويدلنا على العهد الذي وقعت فيه من هذين العهدين . والسلام على الأستاذ ورحمة الله

عبد المتعال الصعيدي

هل الجزاء الأخروي حسي أم روحي ؟

أخذ الأستاذ محمود مراعة على الدكتور زكي مبارك عده الجزاء الأخروي من قبيل الحسيات . والأستاذ مراعة يريد أن يكون جزاء روحياً معنوياً ، فقد صرح في كلمته المنشورة في العدد ٣١٥ من الرسالة بأن الإسلام (عند ذكر المثوبات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسي ، بل يريد بها جزاءها المعنوي الروحي ، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هي في دنيانا ، بل يريدها غزيرة تشمل أكبر ما تشمل الروحيات والمعنويات) ولكنه في كلمته المنشورة في العدد ٣١٦ من الرسالة لم يبق مصراً على هذا فقد آمن بأن (في الجنة لذات روحية وحسية) ولكن الحسية راقية تسمو بالروح

فإذا كان كذلك فلماذا أخذ على الدكتور زكي مبارك ؟ وهل أنكر الدكتور زكي مبارك أن في الجنة لذات روحية وحسية ؟ وأن الحسية راقية تسمو بالروح ؟

الواقع أن الأستاذ مراعة لم يأت بشيء يلائمني فيه أو يناقضني فيه ، فهو إلا كلمة ليست من موضوع الجدل ... أثبتنا أنه لا سبيل إلى إنكار شيء مما ذكره الدكتور زكي ، فإذا لم يكن الجزاء الحسي المذكور في القرآن الكريم منصباً على المعنى لا على الجسم لما كان هناك معنى للبعث والنشور . إن البعث والنشور معجزة تلحق الجزاء الحسي بالنعيم في الجنة أو العذاب في النار لا مناص من ذلك أبداً . ولو كان الجزاء روحياً لما كان هناك حاجة للبعث والنشور لأن الأرواح خالدة تنعم أو تعذب . وما دامت الروح قد مضى عليها أن تكون في هذا العالم « الجسم » في الدنيا والآخرة ، فلا لذة هناك ولا ألم إلا عن طريق الحواس ، حتى أكبر النعيم وهو رؤية الله تعالى في الآخرة « وإن كانت بغير كيف » حسي لأنه آت من طريق الحواس ، فهو حسي من جهة معنوي من جهة أخرى

وبعد فمن هو المفكر الأمريكاني الذي ذكره الأستاذ مراعة من قبل في كون نعيم الآخرة حسياً حتى ينتبه الأستاذ قربه من الإسلام ؟

أما الكلمة التي يناقض فيها الأستاذ مراعة نفسه فهي قوله (إن النعيم الحسية في الآخرة تسمو بالروح) فإن هذا القول يفيد أن الروح في الآخرة تسمو بالمزيد من تذوق كل لذة « وكل عذاب » وهذا أمر لا يتصور لأن الآخرة دار جزاء ، فقد وضع كل إنسان في مرتبته فقد حصل على مرتبته من السمو تناسبه فيبقى فيها إلى ما شاء الله ، هذا هو المعقول . ولو كانت كل لذة تكسب الإنسان سمواً لاستحق بهذا السمو جزاء لذة أعلى ، ثم تكسبه هذه اللذة سمواً ، وهكذا . وهذا أمر لا ينتهي فلا يكون والله أعلم

« فلسطين » داود حمدان

ما رأى علماء اللغة

يقول ابن مالك في ألفيته عند الكلام على النسب :

وفَعَلِى في فَعِيلَة الْتُزِم ... وفُعَلِى في فُعَيْلَة حُتِم

وما أريده من هذا البيت هو الشطر ... وقد شرحه الصرفيون هكذا : إذا أريد النسبة إلى ما وازن فعيلة حذفت ياؤه وفتحت عينه إن لم يكن معتل العين ولا مضاعفاً وذلك مثل حنيفة فيقال فيها

حسَنٌ. أما إذا كان مستقل العين كطويلة أو صماماً كجليلة فلا يحذف منه شيء، وعلى ذلك يقال في النسبة إليهما طويليٌّ وجليليٌّ. هذا ما قرره الصرفيون في صيغة فَعيلة، ولكني أقول إذا تقرر هذا فكيف يسوغ لنا أن نقول في النسبة إلى الطبيعة والبديهة طبعيٌّ وبدهيٌّ مع أن القياس كما علمت أن يقال طبيعيٌّ وبديهيٌّ؟ ولذلك عدوا ما ورد مخالفاً لذلك من العرب شاذاً لا يقاس عليه كقول الشاعر:

ولستُ بنحويّ يلوك لسانَه ... ولكن سليقيٌّ أقول فأعرب

وبيت القصيد هنا سليقي إذ كان القياس أن يقال كما علمت سَلَقيٌّ ولكنه قال سليقي فهو من قبيل الشواذ، وما أوده من ذلك البحث هو هل يجوز لنا إحياء شواذ اللغة والقياس عليها وهجر القياس الشائع مع عدم وجود ما يمنعنا من استعماله — فتعدل عن القياس مع هذا أولى إن لم يكن واجب التقديم وهو ما عليه عامة ... أريد أن أعرفه!

« معهد الزقازيق » — عبد الغني محمد

النعيم الحسي والمعنوي في الجنة

خلقت مشكلة التعليم على الأدب مشكلة أخرى وهي: هل نعيم الجنة حسي أم معنوي؟

ومثل هذه المشكلة وأمثالها من المشكلات الحبيبة إلى النفس لأنها في سبيل الأدب والعلم، فلذلك رجوت الله أن يكثر من أمثالها ضعف ما رزئنا من المشكلات السياسية العصيبة.

ولقد قرأت ما كتبه الدكتور زكي مبارك، وما كتبه الأستاذ قراعة في هذه المشكلة فعنت لي بعض ملاحظات على رأي الأستاذ قراعة أسطرها فيما يلي:

أولاً — يثبت الأستاذ بأن لذات الجنة لذات معنوية، ويذهب إلى وجوب تأويل النصوص التي يدل ظاهرها على أنها حسية. وهذا فضلاً عن أنه مخالف لإجماع أهل السنة فإن كثيراً من النصوص لا يمكن تأويلها إلا بتعسف شديد لا تحتمله، وذلك كقوله تعالى:

«قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» فقد دلت الآية الكريمة على أن أنواع الزينة والطيبات من الرزق مباحة للمؤمنين والكافرين في الدنيا، خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشركهم فيها أحد. ولا شك أن أكثر زينة الدنيا وطيبها حسي محض، وسيكون في الآخرة بهيئة … .

وقال تعالى: «ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين» فإن في قوله تعالى كلمة تشتهيه الأنفس مع ملاحظة اختلاف النفس والروح يشعر بأن النعيم الأخروي حسي في كثير من النعم.

وفي الصحيح من حديث حذيفة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة) أفليس المناسب أن يكون النعيم بالحرير والديباج، والذهب والفضة في الآخرة، نعيماً حسياً لأنه هو القريب في استعمالنا؟

ولو تتبعنا نصوص الكتاب والسنة لوجدنا الكثير منها لا يمكن تأويله وصرفه عن وجهه.

ثانياً — مثل الأستاذ رؤية المنظر الجميل، وسماع الصوت الجميل من الجميل، وبين أنه بواسطة الحاسة الفنية إليهما تكون قسمة معان من اللذة: روحية، وحسية، وأن البحث عن الأولى ارتفاع بالروح إلى أوج الكمال، والبحث عن الثانية نزول بها إلى الحضيض... إلخ وهذا التمثيل صحيح لا غبار عليه. ولكنه لا يظهر إلا في مثل هذين الشيئين مما يمكن أن تضاف إليه الحاسة الفنية ويكون له جهتان.

ولكن ماذا يقول الأستاذ في مثل قوله تعالى: (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون – فيهما فاكهة ونخل ورمان) إلى غير ذلك من الآيات التي يظهر منها أن المقصود التنعم الحسي ولا يظهر منها اللذة الروحية؟ إلا إذا رأى الأستاذ أننا نأكل حسب المعنى لتغذي أرواحنا لا أجسامنا.

على أني لا أنسى أن أشكر للأستاذ مجهوده العظيم، وأهنئه على عقيدته وعلى ما رمي به من الكفر أعاذه الله منه.

أحمد علي حسين جبريل
كلية اللغة العربية

هل الترجمة الشرعية؟

سيدي الأستاذ الجليل:

تحية واحتراماً. وبعد فقد وردتني رسالة من طالب فلسطيني فاضل يسأل فيها — احتجاجه — والنية حسنة — عن صدق الرواية الواردة في كلمة «هل في الحيوان عبقرية للحيب» (الرسالة رقم ٣١٤)

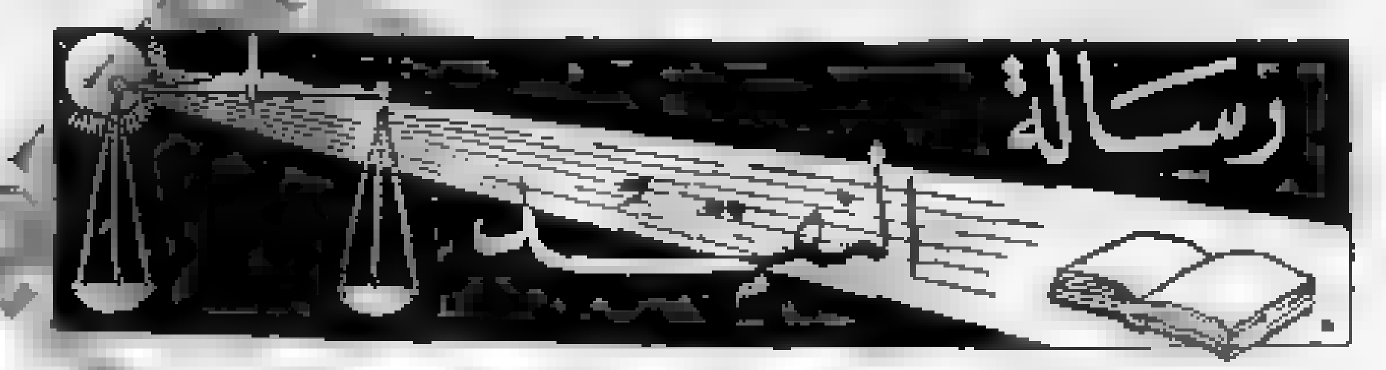

معلقـــة الأرز

تأليف الأستاذ محمد فازن
بقلم الأستاذ جورج سلستي

ليس « معلقة الأرز » ديواناً منثوراً بالمعنى الذي نؤديه لفظة ديوان — أي مجموعة قصائد تتفاوت في المعنى والمباني — وتتباين فيها النغمات والضروب ، وإنما هو رسالة في الأدب شاء دون صاحبها الفني أن يضمّنها قصيدة واحدة دعاها معلقة الأرز

والأرز رمز لبنان الخالد منذ رأى الناظر التاريخ — وأرودها بمجموعة شعرية صغيرة دعاها « أنشودة الغريب » بث فيها حبيه إلى لبنان وهوى فؤاده ، ومثار إلهامه

وتحميل الشعر رسالة في الأدب بادرة مستحدثة في الشعر العربي ، فقد كنا حتى اليوم نقرأ رسالات الأدب نثراً لا شعراً ، كما أننا نعرف الشعر مستودع الخلجات العاطفية والخلجات النفسانية يحتفل بالخواطر والرؤى والصور

وسيان عندنا أحمل الشعر رسالات أو دراسات وحمّل الفلسفة والتاريخ والعلم أم اقتصر على تصوير وبث خلجات الروح ، فكل ما يعنينا أن يحتفظ بسموه ومكانته وأن يستوعب الفن الرفيع ، ولا يضير الشعر أن يؤدي للناس رسالات في الأدب إن استطاع الشاعر أن يسمو به ويحلق ، وإن تمكن فيه أن يقنع قارئيه بصحة رأيه وصواب فكره

والرسالة التي شاء الأستاذ محمد فازن أن يذيعها للناس في معلقته يتلخص مضمونها في إيثار المعاني على الألفاظ ، وهي رسالة كثر فيها القول واشتد حولها الجدل

والأستاذ فازن على كل حال لم يأت في قصيدته بشيء من الحجج الدامغة ليقنع قراءه بفكرته ، أو في الأخرى فلدعم بما وأنا بعرض عليهم كل ما عرفناه وهو يسخر من خصوم المذهب الأول الذي يعتنقه سخرية لاذعة من التهجم الكبير والتجني الكبير

يقول حضرته « ... ... »

ويكن أنه ورقة من هذه التي ... أن يتاجر بها

إنها ورقة ... ... كل غناء الأعلى ... ... ، ومن يستطيع أن يثنيه عن إعلانه بما قدر على حد قوله : « وما تخرجون عن مخرجون »

ويصدق ذلك الشاعر الذي لا يتزحزح عن عقيدته ولو رجمه الناس

لئن ترجموني ... ... عن ...
فكأنه بطل من أبطال الإيمان الأولين يسعى في سبيل

إن أقول : « وما قد انتهى أمر الثورة » وهو يقول : إن سكون البلاد لا يعني انتهاء الثورة ، وسوف لا تكون هنا إلا إذا نالت البلاد أمنيتها

وأجيب الطالب الفاضل بأني حين قلت مقالتي تلك لم أكن أقصد هذا المعنى الذي ذهب إليه ، ومعاذ الله أن أقصده ، وإنه من المعنى أن الثورة ... ... اليوم ... ... هذا في النفوس ... ... الشعر الذي ... له « القوم » ... ... هنا ونصه

على أني ... ... من قصيدة لم ... ضوءاً على المعنى الذي قصدته بمقالي ؛ والخطاب في الأبيات موجه إلى الوطن العربي

وملائكُمْ يجمع ... ولا ... هم ... كالراسيات عظام
... ، فأبى ... ... لا ... ولا استسلام
نكّسْ من ... الهوى وكيده ... هناك شكيمة ولجام

هذا وإني أشكر الطالب الفاضل حسن رأيه وأكبر فيه ذلك الروح الشبابي الذي يتجلى في رسالته

« نابلس » بدوي عبد الفتاح المرشد

عليه حتى بالتنفس ، ومثل هذا السخاء يقدَّر ولكنه في غير الأدب ، والصبر والإعنات محمودان ولكن في غير هذا الشأن لاسيما وهو لا يعود على الأمة أو على الأدب بخير ، حتى ولا على صاحبه بشبه خير أو نفحة

فالأدب ميدان تصرع فيه الحجة الملحة ويرهق بالبرهان ومن تورث صحته وبحث كنهه ومشى وراءه نابه وإلا ضل وانفرط من حوله حتى عقد القرين

وإيثار المعنى مستحب ما في ذلك ريب ولكن الاستهتار باللفظ من أجل المعنى عدوى مسمومة ، وإنك لتلوم الأستاذ فازان لوماً شديداً عند ما تراه جنحاً في أداء معانيه إلى اللفظ السقيم لا عن جهل أو قصور ولكن عن سابق عمد وتصميم ، على مذهب أهل التأويه ، كما يؤكد ذلك صديقه الأستاذ توفيق شحوت عضو العصبة الأندلسية في البرازيل وواضع مقدمة « مملكة الأرز »

ونحن لسنا من المتزمتين ولا المتشددين في تمسكنا بقواعد اللغة وأوزان الشعر ، ولسنا من دعاة التقييد ولا الجمود إلى أن أسمعنا الأدباء أن يجزموا في بيانهم وجه الصواب ، ولكنا من دعاة التجديد مثله إلا أن الفرق بيننا هو في تحديد معنى التجديد . إنه من الأولى بطرهم المعنى الجميل ولكن في اللفظ الجليل ، ونهزم الفكرة الفجة ، ولكن إنما حيث في قالب مصقول ، لأننا نرى أن نصبح اللغة فوضى في حين أن لها ضوابط وقواعد يحتم على من يريد الإبانة فيها أن يتبعها

إننا نحن نهاب أن تتحدر من جراء الترجيع إلى حضيض العامي الوضيع

وماذا يحل باللغة لو ترك الحبل فيها للأدباء على غاربه يصوغ كل صاحب ألفاظه على هواه ، وينظم كل شاعر أبياته على منحاه فيحط في ألفاظه وفي قوافيه ، والألفاظ أكسية المعاني ترفل في النفيس منها وتتيه ، وتسمج في السخيف وتشوه

وإن كان الأستاذ فازان يحسب أن الاستهتار باللغة من دواعي التجديد ، فقد أخطأ كل الخطأ

إن مجال التجديد رحب ، وإنه ليستطيع أن يزاوج بين ألفاظه كما فعل البحتري من قبل ، ويأتينا ببيان مرموق فيه كل الجدة والطرافة دون أن يلجأ إلى حوشي الغريب من الكلمات ، والبيان نفسه يستنكر مستهجن اللفظ غير المأنوس .

والمزاوجة بين الألفاظ وعددها مزاوجة [illegible] من مكنون البيان ، ومزية سامية من مزاياه يستطيع الأديب أن يصل إليها إذا تجشم نفسه قليلاً من التدقيق والتمحيص والمران

ويستطيع الشاعر إن كان من ذوي القدرة على التوليد والابتكار ، ومن ذوي المواهب ، أن يحلق في مطالق الأوزان المعروفة ، على أن يأتينا بشعر سائغ موزون كما فعل بعض شعراء الأندلس من قبل . والشعر كالموسيقى غذاء الأذن المرهفة ، والحس المهذب والخيال السمح ، ومن أوتيها أوتي حظاً كبيراً ، ولكنه من غير جهد ولا عنت أن يجعل الأدب [illegible] حتى يفقدها [illegible] على الدهر

ثم ليس من التجديد في كثير أو قليل ، ولا من [illegible] الأدب وحرمة الأدباء في شيء أن يطعن الشاعر أحياناً الأقدمين وأن يقول الأستاذ فازان في (شوقي) ومريديه مثلاً ، وقد حسب فيهم أصنام الأدب

دعاة الأمير سلام عليكم	من الخارجين على الدعوة
لقد مات الشعر من بعده	وبان التباب من الفترة
ومات الأمير عليه السلام	فماذا لديكم سوى الكلفة ؟
هنا لك عنه عفا الله عنه	فلا يشتكي سوى الرحمة

شاعر له مكانته الرفيعة في الشعر وله أياديه البيضاء على الأدب ، شاعر كان من أترابه الشعراء في الطليعة عليه الركب ، ومكانته الرفيع ، لا يجوز أن ينال منه ، وهو الذي هو التراث الأدبي بحافل من روائعه التي خلفها للأجيال من بعده [illegible] منه ، مثل [illegible]

إننا لا نستصوب الإسفاف في الشعر ولا الركاكة في الأدب ، ولكن عدم متابعتنا لهذا الرأي لا يمنعنا أن نثبت المعنى القوي ولا يحصر الطعن فيهم

أما تحديد الشعر وكيف يجب أن نفهمه فهو ما بها الشاعر بقوله

فلو كان معنى الحياة سرى	يخطر تائهاً في صورة
وكان جمال الحسان اللاح	بكحل العيون وبالزينة
وكان الشبابُ وعزمُ الشباب	بحسن الوجوه والغرة
لكنتُ وكنتم بأجمعنا	لقلتُ : هو الشعرُ بالفطنة
ولكنه الشعر روحٌ به	ولكنه الشعر في الخلقة

فما الشعر بالكأس رائقةً ... ولكنه السرُّ في الخمرِ

وفي هذا بعض حق لا الحق كله . وإنا لنسأل الشاعر ألا يشين الجمال تستره الأطمار ويحط من قدر الغانية الرائعة الحسن ... ما ترتدي من الثياب ؟

أجل ، إنا لنجاريه في رأيه ولكن إلى حد ، فليست الكأس هي التي تبهرنا وإنما الخمر التي فيها

ولكن ألا يُنتقص من امتناء تلك الخمر إذا أديرت على الشاربين في كؤوس لا تهفو إليها النفوس وتنأى عنها الشفاه !

إنا نغفر للجمال حين يتشح بالأطمار ولكنه سرعان ما تصدر من قلوبنا ... آسفين أن ... تلك الأطمار ... أو يُسبغ عليه كساء يلائم سناه ليبدو بما هو جدير به وأهل له ، بهجة الناظر ومتعة الخاطر

وإنا نود أن نحس تلك الآهة ونكسب ذلك الحنين ... الحس ، ولن نستطيع ذلك إلا إذا كان ... في حلة الزاهية القشيبة

والديباجة المشرقة لابد منها للشعر السامي ، والديباجة المشرقة هي التي ... صاحب سلامة الأداء ، وخلو القصيدة من المكروه والمعيوب ، هو ما يتطلبه الشعر السامي ، والمعروف ... شاعرنا كذلك

ولكن نعرنا له فساد التأسيس في قوله :

وبت ولي ... الحاسين ... كأني ... من إبرة

فلا في ... ولا في الحديد ... (سكت ؟) طريق الخابق

وفساد ... من عيوب القافية ، أو فساد الردف في قوله

فلو كان ... سري ... في صورة

وكان ... الشباب ... حسن الوجوه ...

وفساد الردف من عيوب القافية أيضاً ، أو الضرورات الشعرية المستهجنة كقطع همزة الوصل في قوله :

إنا ... ولو ... هنا ... على مفلق

أو الأخطاء في استعمال الألفاظ كقوله

وسبحان ربي ... النطاه ... يخص النباهة بالحمق

وصوابها ، يخص الحمقَ بالنباهة

أو أخطاء اللغة كقوله

وبتُّ ... على طرقي ... وربما ما ... طروبي

وصوابه ، طروبي ، ومثله ... في قوله :

... وقارب ... صب ... الرمحين

وصوابه ... الخ

أجل ، لئن غفرنا له هذه الأخطاء وأشباهها مما قد يقع فيه كل متأدب ، على ... له ... في استعمال الألفاظ ... في أبياته ... دلالة على معرفته لها و... استعمالها

و... استعمال الألفاظ ... صحيحة ... ملازم ... صاحبها أشد اللزوم وأحقه ... أو ... ناقلين ... أو ... عن

وإنه ليعز علينا أن يتجنى بعض المجددين على ما يسمونه قديماً ... يلازم لا من جمال البيان وروعة الأداء فحسب ، بل من روعة الأفكار التي يدعون حمل لوائها ؛ كما يعز علينا كذلك أن ... بعض ... على القائلين بالجمود والآخذين بأسبابه

ويقول الأستاذ ... إنه لم ... هدم الشعر على ... بشروطه ، وإنه ... إلى ... ونفسه المعطشى

« فكنت ... كي يشرب الماء بالشوكة »

... في ذلك ريب في ... في وجه ... والصواب

ولقد وقع في مثل ... من ... بالأمس ... للمتطرفين من أدبه في إحدى الحلقات الأدبية البيروتية ... مثل هذه الآراء من ... الطالع من الشباب ... ولا شك من هذا ... من ... الدكتور عمر فروخ في « جبران خليل جبران » في العدد ٣٣ من مجلة (الأمالي) البيروتية الصادر في ... وقد ... في مقال « الخطوط في الأدب » حيث قال فيه بعد أن ... الأديب وعناصر أدبه

« هذه هي العناصر الأدبية التي لا يجوز لنا أن نطلق لفظة أديب على رجل إلا ... وجبران ... منها جميعاً »

و... في المقال نفسه « للأدب كما ... مقاييس مشهورة لا يجمع جبران واحدة منها »

... الأدب عن أديب كبير كجبران كتبه من أديب كبير كالمنفلوطي ... من التجني والظلم ، ... الأدباء المشتغلون فلا يصح أن يقع فيه أديب كالدكتور عمر فروخ له من ثقافته العالية وذوقه الأدبي ... ما يعصمه من مثل هذا الشطط

وصلة الأدب ... ذات ... شاعرية ... أن ... بالخير ... من يقول

إن الشعر ... في ... ودم على الأمة

ومن يقول :

« فلا لقى الليل في برده إذا لم أمرّق به بردتى
ولا طلع الفجر يوماً علىَّ إذا لم يجدنى مع الطلعة »

ومن يستشهد بقول المتنبى

« إن نحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء »

ساعة لن يكتمل معه بأوساع الطاقات ، ولن يسخر شعوره لما لا يشعر به ولا يحس ؛ بل هو طموح ينشد أن يأتيك المسبب للسكر من الشعر النابض الحى ، ولن يمتنع عنه الركب بعض المكرور للالتقاء تحت عرش السماء .

وصفحة الأرز تزخر بعد هذا بالحنين ، حنين الغريب إلى وطنه الحبيب ، وله في ذلك أبيات رقيقة صادرة من نفس مسهوها الأشواق ، آثر فيها بلاده وأمته على بلاد العالم وأممه جميعاً

أقول بجامع الدنيا حسنه وأحلى مفاتن الدنيا جميع
هلا ، لا أريد سوى موطنى ولا ، لا أحب سوى أمتى

وقوله في « أنشودة الغريب » وقد [illegible] وطنه ، يخاطب لبنان

ورب من (دى ؟) [illegible]
يا [illegible] أبى [illegible] لبنان

***

هل يرجع الغريب للوطن [illegible]
ويحب القلوب [illegible]

***

الأرز والوادى [illegible] أحدودى
يا أرض ميعادى [illegible]

***

ثم لا أرى بداً قبل أن أختم مقالى من أن أقول إن شعر غزال مرة أخرى هو الصدق في التعبير عن خلجات نفسه تعبيراً لا مداورة فيه ولا رياء ، وذلك عائد إلى ما يتراءى لنا من صدقه على ولو كان عليه ، والتفاته بنفسه ثقة كبيرة ، ومن ثم جاء شعره خلياً من كل جرح وكل خلاء [illegible] النفس الحرة الأبية كقوله من قصيدة :

وليس الخلق من شيمتى وليس [illegible]
بأنى ترعرعت بين الجبال على [illegible] والعتو والكلفة
ومن عاش مثلى على حرة فلا يستحق سوى الحرية
فلما نطقت نطقت بحق وبما سكت فكل عفة

وما عنده من ذلك من نفسه إلا صادقاً ، والصدق في ما نعتقد من أجل مميزات الأديب ؛ وصاحب صفحة الأرز عنده من المزايا الأدبية ما يفسح له في دولة الشعر مجالاً رحباً يمشى فيه إلى غايته المثلى ، ولا يعوزه إلا صقل ديباجته وتهذيب بيانه ؛ وليس ذلك على مثله بعزيز ، فإن له من ملكته الفنية خير مسعف ومن حياة الركب خير معوان

عليه بعون النفس في إجادة مبانيه لتراءى معانيه إلى كل وجد أن يعود إلى الفرقة الرحيمة التي تصير إليها النفس الطموح

(بيروت) مرعى حلمى

7me Année No. 319

Lundi 14 - 8 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣١٩ — القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ — السنة السابعة

الفهرس

مطاعم الأغنياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

مطاعم الأغنياء ... ؟

لعلك تعني مطاعم الفقراء

كلا، بل مطاعم الأغنياء أقصد لأنهم، أو لأن أكثرهم، في حاجة إلى مطاعم يتعلمون فيها كيف يأكلون، كما يحتاج الفقراء إلى مطاعم يجدون فيها ما يأكلون.

من البداهة في رأيي أن الفقير يجب أن يأكل، وأن أحداً من الناس في هذه الدنيا لا يعجز عن عمل يساوي بعضه أرغفة وقليلاً من الإدام في كل نهار. فإن عجز فذلك دور الأمة تصاحبها وليس دوره الذي يجري عليه بالجوع والموت، وعلى الأمة إذن أن تكفل له قوته [illegible] ولأمثاله، أو مطاعم تكفيه مؤونة [illegible] في انتظار العمل والصناعة.

ذلك شأن الفقير المحروم، فما بال الغني [illegible] الأوراق [illegible] الطعام ليأكل [illegible] والشارب ؟

* * *

في مصر أزمة طعام سغبية و[illegible] في وقت واحد: فأما السغبية فتلك أزمة الفقير، وأما [illegible] فتلك أزمة الغني الذي يجد الطعام ولكنه لا يجد الغذاء

إذا قيل في مصر «فلان يعرف يأكل» صدقت على الأرجح الأعم وجل يجهل صناعة الأكل ولا يزال على خطر مما يأكل لأن تعريف الطعام النافع عنده أنه هو الطعام اللذيذ أو الطعام الذي يثقل على الجوف، ويملأ الأحشاء.

وقد يكون الطعام لذيذاً وهو ضار، وثقيلاً على المعدة وهو ضعيف الغذاء قد يؤول إلى صحة الجسم وانتظام الأعضاء

وقد يحسب أنه يعوض جسمه مما فقد فإذا هو يضيف إليه خسارة إلى خسارة، ونقصاً إلى نقص، ثم كلالا على كلال، وفتوراً دون فتور

سمعت أن «صديقاً» تزوج، ثم سمعت بعد أشهر قليلة أنه أصيب بـ«السكر»، ثم سمعت حكايته فعلمت أنه قد أصيب بالداء من حيث طلب السلامة، وأنه لولا طلبه السلامة من حيث طلبها لكان أقرب إلى العافية وأبعد من الداء

ظن صاحبنا أن الزواج — أو الزواج الحديث على الأقل — عمل دائم لا يتخلله انقطاع، فمن لم يبق متزوجاً في الصبح وفي الظهر وفي الأصيل وفي المساء فهو أعزب أو شبه أعزب على أقل تقدير. وكيف يستطيع الإنسان أن يجمع بين الزواج وعدم الزواج في آن؟ هما نقيضان لا يجتمعان! وقد يكون في الجمع بينهما معنى من معاني الطلاق إلا شهر العسل والتعبير عنه

فتزوج وتزوج وتزوج، ولم ينس واجب الحيطة والوقاية لأنه رجل حازم مستبصر وقالت الأقدار الحزم والتبصر من هذا القبيل

فمع الزواج الدائم شرب دائم من السمن والعسل على الريق وبين الطعام والطعام، وكلما وجد السمن والعسل وجب موجوداً له

وهل هناك أوفر من السمن والعسل؟ وهل أصح منهما للبدن وأرد منهما للعافية وأطيب منهما حلالاً مبيناً على حلال؟

هكذا تعرب حيثما قياس العمر من حيث قدر، لأن عمله التكبد في هضم كوب من السمن والعسل أشق عليه من عناء الزواج الدائم. ولم يكن عوضاً مما يعوض به واستعانة على حلاله، بل كان كما أسلفت كلالاً على كلال، وفتوراً فوق فتور

وآخرون يباري بعضهم بعضاً في «كفتة» الماندتو «سبيك» القدور واستحلاح «الحيد» من الأصناف: هدم النعمة على المعدة وجب القناعة، والثقل على المعدة وجب التخمة والقرارة.

ويأكل منهم صنف مشهور في كل يوم [illegible] بينهم متجاورين متجرمين، متساوقين في الكرم متسابقين [illegible] لا [illegible] العذاب سبيلاً من الكلفة والنصب يوماً أو بعض يوم، ولا يتخلف واحد منهم في مضمار السباق المؤدي إلى القبور

أفي البلد أمثال هؤلاء لا يزالون مع الأطباء ويستمرون سوابق مطاعم الأغنياء؟

ما أحوجه مطعماً يساق إليه أصحاب الضياع والكروش شهراً من كل سنة يصومون فيه عن «الأكل» ويصبرون عليه من أموالهم مكرهين

وما أحوجه قانوناً من قوانين الحكومة يهجم على المطابخ العامرة كما يهجم على المخدرات والمهربات، ويصادر السم كما يصادر السم! وهو طعام سمنه وليس السم في الدسم كما قال صاحب البردة رحمه الله

* * *

على أن الآفة الكبرى أن يحرم المرء النقد، لأنه لا يجد ولأنه لا يعرفه فاعل شأن الكثرة العظمى عنده من سواد الجمهور

فما أكثر قرائنا لا يعرفون بين الشهية وبين إمساك الجوع، وكلما يعرفون إلى المعدة الصارخة عارضهم إلى السكت النافع الذي لا يريد منه إلا السكوت. فإن أسكتوه بطلبه فذلك حسن، وإن أسكتوه بغير ذلك أحسن، ولا ضير عليهم بعد أن يسكت ويكف عن الضجيج

ألبطن ميزان أم حوار؟

ذلك جوابهم كلما «شهوا» من طعام عث كثيف لا خير فيه، وكأنهم يحسبون من المسمار والحافة أن يحصر جلسة الصارخة إذا استطاعوا أن يسكتوا منها بالقليل، فليس السحر عن خداعه والاحتيال عليها بالأمر الذي يليق بعقلاء الرجال

وربما رأيت هؤلاء المسكنين للمعدات يعيبون على بعض الناس، ولا يعدون في مصلحة الإحصاء من زمرة الجهلاء.

كان لنا ولصديقنا صاحب الرسالة أيضاً زميل في التدريس يقبض ثمانية جنيهات في الشهر، ويشتري نصف رطل في اللحم، ويقسمه مرة أو مرتين في الأسبوع

وعرضت نظر الفرصة على طبيب فأسر عنده إليه أن الرجل

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقافة العامة
وتعليم اللاتينية واليونانية
للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

عندما نبحث عن الأسباب التى تدعو إلى استمرار بعض البلاد الغربية على فرض تعليم اللاتينية ولو فى بعض الفروع من الدراسة الثانوية، يجب علينا ألا نسهو عن تذكر ذلك العهد الذى كانت تسيطر فيه اللاتينية على حياة العلم والتعلم فى جميع مناحيها سيطرة تامة.

كان من الطبيعى ألا تستمر هذه السيطرة المطلقة على طول الزمن، كما كان من الطبيعى أيضاً ألا تزول هذه السيطرة المطلقة دون أن تترك أثراً عميقاً.

كان من الطبيعى أن ترتفع أصوات الاعتراض والاحتجاج على هذه السيطرة، مع بزوغ عصر النهضة؛ ومن الطبيعى أن تقوى الأصوات المطالبة بتحطيم ... «لغة اللاتينى» — حسب تعبير «لا روبير» الشهير — وكان من الطبيعى أن تصل هذه الأصوات — أخيراً — إلى درجة الدعوة إلى الثورة على اللاتينية للتخلص من سلطتها المطلقة.

إن الخروج على سلطة اللغة اللاتينية بدأ أولاً على شكل «انقلاب دينى» عندما طالب لوثر بترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية، ودعا إلى إقامة الصلوات باللغات التى يتكلم بها الناس.

ثم جاء دور الانقلابات الأدبية: خرجت الآداب — فى الممالك الأوربية المختلفة — على سلطة اللغة اللاتينية المطلقة عندما نهضت وتقدمت اللغات القومية، وأصبحت من الآثار الهامة ما رفعها إلى مصاف اللغات الأدبية.

ثم جاء بعد ذلك دور تخلص «العلوم والتعليم» من سيطرة اللاتينية، فأخذت هذه اللغة تفقد سلطتها المطلقة فى هذا الميدان أيضاً شيئاً فشيئاً.

إن الانقلاب الأخير لم يتم إلا بتدرج عظيم وبطء عظيم؛ فمثلاً اللغة الفرنسية لم تتمكن من دخول المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة، نلخصها فيما يلى: أولاً إفساح المجال للتكلم بها فى أوقات الفرص. ثانياً: التوسع فى تشجيع التعبير بالمقالات الأدبية العصرية. ثالثاً: تخصيص ساعات لتعليمها كدرس خاص. رابعاً: تخصيصها بمهمة تعليم بعض الموضوعات الدراسية. وأخيراً زيادة هذه الموضوعات بصورة تدريجية.

كما أن التاريخ أيضاً لم يدخل المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة: أولاً على شكل «التاريخ المقدس» مرتبطاً بدروس الدين، ثانياً على شكل «تاريخ اليونان» و«تاريخ الرومان» مرتبطاً بدروس اللاتينية واليونانية.

إننى لا أرى داعياً لاستعراض جميع التطورات التى طرأت على المناهج الأساسية فى المدارس المذكورة، حتى أواسط القرن التاسع عشر؛ غير أنى أود أن ألخصها بكلمة مختصرة: وهى إفساح المجال للعلوم المختلفة شيئاً فشيئاً، بجانب اللاتينية واليونانية، دون إخراج هاتين اللغتين من نطاق الدروس الإجبارية.

صحيح كأصح ما يكون الجسد السليم، وأى آفة كآفة ... الغذاء؟ كيف يكون هذا وهو يأكل ويشبع ولا يجوع؟

وأصر الرجل على عادته، وحافظ الشاعر على ملازمته أن يجوعهم من الحصص بمقدار ما يشترى الأستاذ من وجبات الإطعام المتفق له، بل أصبح أن يأكل من طعام الفقراء بغير ثمن، ووجبة على الأقل ... وجبة ناعمة فى النهار.

* * *

كان القديس أوغسطين يقول إذا تكلم عن جسده: أخى الحمار، لأنه فى حكمه حيوان كسائر ... الحيوان.

أما الجسد عند هؤلاء الذين يطعمونه وهم يقهرونه، ويتعبونه وهم يحسبون أنهم يصنعونه، ويحملون الثقل ولا يدرون كيف يأكلون، ويشبعون وخير لهم لو يجوعون، فهو الأحق بأن يقول وهو يتكلم عن صاحبه: أخى الحمار ... فهما فى الواقع حماران اثنان فى جسم إنسان.

وكل هؤلاء نشرع مطاعم الجهلاء من الفقراء والأغنياء!

عباس محمود العقاد

كان بعض المفكرين والمربين يدعون إلى إحداث انقلاب أساسي في مناهج التعليم من حين إلى حين، كانوا يظهرون تبرمهم في مواقف تعليم اللغات القديمة، حتى أنهم كانوا يصلون باعتراضاتهم هذه إلى درجة القول بضرورة ... مع أن هذه الآراء قد كانت تجد آذاناً صاغية، لم تستطع أن توجد تيارات فكرية قوية تؤثر على الحالة الراهنة

مع هذا اشتدت الحملات على اللاتينية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأخذت الانتقادات تتغلغل في محافل المفكرين، من جراء انتشار روح الثورة والاستعداد لرغبة الإصلاح والتجديد من جهة، ومن جراء تقدم العلوم وتعقد الحياة الاجتماعية من جهة أخرى

فزادوا تساؤل المفكرين والمربين يوماً عن يوم: هل من ضرورة تدعو إلى الاستمرار على تعليم اللغات القديمة في المدارس الثانوية؟ أليس هذا التعليم من آثار النظم البالية التي توارثتها المدارس المذكورة من عهد القرون الوسطى؟ ما الفائدة من تعليم هذه اللغات بعد أن لم يبق على وجه الأرض من يتكلم بها؟ وإذا قيل إنها لا تخلو من فوائد، فهل تعادل هذه الفوائد الجهود العظيمة والأوقات الثمينة التي تصرف وتبذل في هذا السبيل؟ ألا يمكن الوصول إلى الفوائد المذكورة من طرق أخرى بوسائط أقل عناء من تعلم اللغات الميتة؟

إن هذه الأسئلة فتحت ميداناً فسيحاً للأبحاث والمناقشات التربوية. وهذه الأبحاث والمناقشات، تناولت مسألة «التعليم الثانوي» من جميع وجوهها العديدة، حتى أنها أثارت مسألة «التدريس التقليدي» من أساسها المتينة

* * *

انقسم المفكرون والمربون حيال مسألة التعليم اللاتينية واليونانية إلى معسكرين متخاصمين: معسكر الذين يقولون بوجوب المحافظة على هاتين اللغتين القديمتين في المدارس الثانوية، ومعسكر الذين يعتقدون بوجوب تخليص المدارس المذكورة منهما

بدأت المناقشات بين الفريقين والمتخاصمين منذ قرن تقريباً، وهي تشتد أحياناً وتفتر أحياناً، وتضطر الحكومات إلى اتخاذ قرارات عملية جديدة، تحت ضغط هذه المناقشات، من حين إلى حين

إن النزاع حول هذه المسألة صار أشد عنفاً وأعظم أثراً في فرنسا مما كان في البلاد الأخرى ... ولهذا السبب ... من الموافق أن نلقي نظرة عامة على الآراء التي استند إليها المدرسون والمتخاصمون، في المملكة المذكورة بوجه خاص

يقول أنصار اللغات القديمة: إن في تعلم هذه اللغة فوائد عظيمة — مباشرة وغير مباشرة، قريبة وبعيدة، عملية ونظرية، تهذيبية وتثقيفية — لا تضاهيها الفوائد التي يمكن الحصول عليها من تعلم أية لغة من اللغات الحية ... وأي فرع من فروع الدراسة الأخرى

وأما أنواع هذه الفوائد، فتتلخص في الأمور التالية:

(ا) إن اللاتينية أم اللغة الفرنسية ومصدر مفرداتها؛ فإتقان اللغة الفرنسية إتقاناً بمعنى الكلمة الصحيح، لا يمكن أن يتم بدون معرفة اللغة اللاتينية

(ب) إن الآداب الفرنسية تأثرت بالآداب اللاتينية واليونانية تأثراً كبيراً؛ فمعرفة الآداب الفرنسية معرفة عميقة تتوقف على درس الآداب اللاتينية واليونانية دراسة كافية

(ج) إن خزائن الأدب اللاتيني واليوناني مملوءة بالآثار الخالدة التي تصور أسمى عواطف الإنسان بأجمل الأساليب؛ فالاطلاع على هذه الآثار الخالدة من الأمور الضرورية لتكوين الثقافة المناسبة

(د) إن الحقوق الفرنسية مؤسسة على الحقوق الرومانية، والتعمق في هذه الحقوق يتطلب معرفة مصادرها، وفهم هذه المصادر يتوقف على معرفة اللاتينية

(هـ) لقد أصبحت اللاتينية واليونانية مصدر الاصطلاحات العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بالتاريخ الطبيعي والطب والكيمياء، وأنواع المعارف الحديثة، ومعرفة معاني هذه الاصطلاحات العلمية — وسرعة فهمها عند الحاجة — مما يتطلب معرفة هاتين اللغتين

(و) إن تعليم اليونانية واللاتينية من أحسن وأنجع الوسائل التثقيفية؛ فإن هذا التعليم يلعب دوراً هاماً في تكوين العقل وتمرينه وتعويده على التفكير الصحيح المستقيم

ولا يوجد موضوع دراسي يماثل هذا التعلم من وجهة هذا العمل التثقيفي ، ولذلك يجب أن نعتبر تعلم اللاتينية واليونانية بمثابة حجر الزاوية في صرح التثقيف

إن جميع العظماء الذين عرفهم ونعرفهم — من أساطين الأدب إلى جهابذة الفقه والعلم — قد تثقفوا بهذه الثقافة واستفادوا منها فلا يجوز لنا أن نهملها . ويجب أن نعرف حق العلم أن إهمال هذه الثقافة التي أنتجت حضارتنا والثمرات الفنية التي أنتجها الأمة الفرنسية يكون بمثابة عرض مستقبل هذه الأمة إلى خطر عظيم ، خطر انحطاط الثقافة العامة التي تفتخر بها وخطر انقراض جيل أعاظم الأدباء والعلماء الذين نفتخر بهم

هكذا كان يقول أنصار اللاتينية واليونانية

وأما معارضو هؤلاء فيقولون : إن اللاتينية واليونانية من اللغات الميتة التي ترجع إلى العهود البائدة ؛ وإن المعتقدات والثقافات التي تمثلها هاتان اللغتان أصبحت مدفونة في أعماق التاريخ ولو كانت سامية وباهرة إبان حياتها . فليس من المعقول أن نصرف — في هذا العصر الذي نعيش فيه — كل هذه الأوقات ، وأن نستنفد كل هذه الجهود في سبيل تعلم وتعليم مثل هذه اللغات البائدة

وأما الفوائد الأخرى التي يذكرها المدافعون فيمكن مناقشتها واحدة واحدة كما يلي :

(ا) لا شك في أن اللاتينية هي أم الفرنسية ومصدرها الأصلي ؛ غير أن ذلك لا يدل على أن إتقان الفرنسية يتطلب معرفة اللاتينية ، فالفرنسية اليوم ، أصبحت لغة مستقلة عن اللاتينية استقلالاً تاماً ؛ فيجب أن تدرس درساً مباشراً ، حسب معانيها وقواعدها وأساليبها الخاصة بها ، بقطع النظر عن مصادرها الأصلية وتطوراتها التاريخية . وأما درس تلك المصادر ، وتتبع تلك التطورات ، فإنه يجب أن يختص به العلماء الذين يريدون أن يتبحروا في هذه اللغة ويتعمقوا في تاريخها ؛ ولم يكن من الأمور التي يجب أن تعتبر من أسس دراسة الفرنسية دراسة عامة ، حتى ولا من أسس دراستها دراسة أدبية

(ب) إن الأدب الفرنسي أدب تام بنفسه ، وإن كان قد نشأ في أحضان الأدب اللاتيني وتأثر بالأدب اليوناني ، إنه تقدم أشواطاً بعيدة ، فأصبح كياناً مستقلاً عن ذلك الأدب وأبنائه لا يتطلب الرجوع إلى منابعه بوجه من الوجوه

ومن الواضح البراهين على ذلك عدم افتقار الثقافة إليه ، فإننا نعرف عدداً لا يحصى من المثقفين الذين درسوا اللاتينية واليونانية ، ومع هذا لم يستطيعوا أن يكتبوا الكتب الجيدة في الفرنسية ، ومقابل ذلك نعرف عدداً غير قليل من الأدباء الذين أحرزوا مكانة عظمى في تاريخ الأدب الفرنسي ، مع أنهم لم يتعلموا اللاتينية ، ولم يتثقفوا بآدابها . . »

(إن لاروشفوكو ، وبوسويه ، وآنتوني ، ودوماس ، وجورج صاند . . . من جملة الأدباء الذين يذكرون في هذا الصدد .)

(ج) إن الآثار الخالدة المكتوبة باليونانية واللاتينية قد ترجمت إلى الفرنسية كبار الأعلام ، فيمكن الاطلاع عليها من خلال الترجمات الجيدة ، دون إضاعة الأوقات والجهود ، في تعلم اللغات التي كتبت بها

هذا ، ولكن يجب ألا يعزب عن البال أن معرفة اللاتينية واليونانية التي يمكن الحصول عليها خلال الحياة المدرسية لا تستطيع أن ترفع الطالب إلى درجة تمكنه من تذوق محاسن تلك الآثار الفكرية والأدبية ومزاياها في لغاتها الأصلية — ولذلك نستطيع أن نقول : إن درس الآثار المذكورة في ترجماتها الجيدة أكثر ضماناً لتذوق مزاياها تذوقاً حقيقياً

وزد على ذلك أن اللغات الحية الراقية أيضاً أوجدت آثاراً خالدة لا تقل أهمية وسحراً عن الآثار التي يشير إليها دعاة اللاتينية واليونانية ، إن لم نقل بأنها تفوقها في هذا المضمار ، على الأقل من وجهة قربها إلى حياتنا العصرية . فلا يجوز للثقافة الإنسانية العالية أن تبقى تحت سلطان اللاتينية واليونانية القديمة ؛ بل الأحرى بها أن تستفيد من الآثار الخالدة التي أنتجتها اللغات الحية في العصور الحديثة . .

إن تعلم اللغات الحية — عوضاً عن اللاتينية واليونانية القديمة — يأتي بفوائد عظيمة ، من هذه الوجهة أيضاً

(د) لا ينكر أن الحقوق الفرنسية مستمدة من الحقوق الرومانية ، والحقوق الرومانية مدونة باللغة اللاتينية . غير أن النصوص اللاتينية المتعلقة بالحقوق والقوانين — قد ترجمت

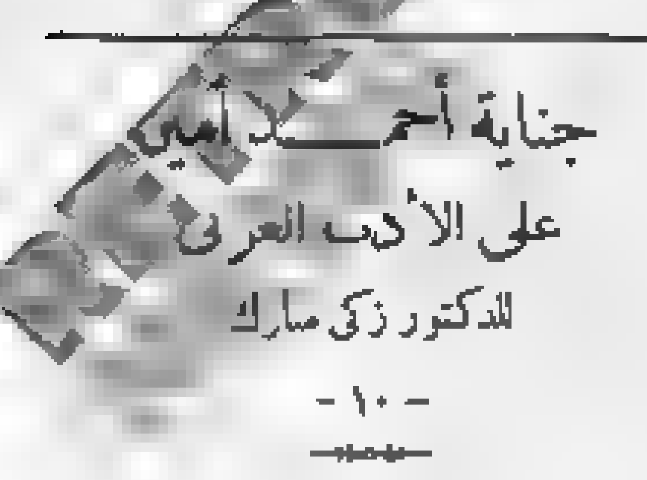

جناية أحمد أمين على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ١٠ -

سنواجه الأدب الأندلسي في مقال اليوم، وهو الأدب الذي اتهمه الأستاذ أحمد أمين بالعجز عن تدوين الطبيعة والإحساس بالوجود

ولكن لا بد من كلمة قصيرة نبين بها بعض الخصائص التي امتاز بها الأدب العربي ليعرف أحمد أمين ومن لف لفه من المتحذلقين كيف تفرد ذلك الأدب بالصبغة العالمية بين سائر الآداب.

أشهر الآداب في العصر الحاضر هو الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي والأدب الألماني. ولكن هذه الآداب على عظمتها لا تزال محصورة في البيئة المحلية. ومعنى ذلك أن أقطاب الأدب الإنجليزي إنجليز، وأقطاب الأدب الفرنسي فرنسيس، وأقطاب الأدب الألماني ألمان

والأدب الإنجليزي حين ازدهر في أمريكا لم يكن أقطابه عمالاً من السكان القدماء لبلاد الأمريكان، وإنما كان أقطابه من السلالات الإنجليزية التي استعمرت تلك البلاد.

والفرنسيون لا يعترفون لأهل سويسرا وبلجيكا بالتفوق في الأدب الفرنسي، ويقولون إن أدبهم لا هو لحم ولا هو سمك، على حد تعبيرهم الطريف Ni chair, ni poisson مع اعترافهم بأن أفراداً قلائل منهم استطاعوا التفوق في لغة موليير وفينيلون ولامرتين

أما الأدب العربي فكان حظه من أغرب الحظوظ، لأنه تغلغل في كثير من البيئات الشرقية والغربية، واتسع بعبقريات كثيرة من مختلف الأمم والشعوب، فكان له أقطاب ليس لهم لم يكن لهم قبل الإسلام صلة بعهد الأمة العربية من ناحية الجنس أو الدم

ما أصبحت اللغة الفرنسية في يد أكثر العلماء والمتخصصين، فأصبح في استطاعة كل فرنسي أن يدرس الحقوق الرومانية دون أن يتعلم اللاتينية

هذا، ويجب ألا يعزب عن البال أن الحقوق والقوانين المصرية لم تبق تحت سيطرة الحقوق الرومانية، وإن كانت قد استمدت بعض أصولها منها؛ فإن الحقوق الرومانية في الثقافة المصرية آخذة في التضاؤل يوماً بعد يوم، وسائرة نحو مطاوي التاريخ بخطوات سريعة

ولهذا كله لا مجال لتبرير تعليم اللاتينية — بصورة مطلقة — بحجة ضرورة ذلك لفهم الحقوق الرومانية

(٥) وأما مسألة الاصطلاحات العلمية الحديثة فإنها ليست من الأهمية بدرجة تستلزم صرف الجهود الشاقة لتعلم اللاتينية واليونانية؛ فإن مصادر هذه الاصطلاحات وأساليبها معدودة، فليس من الصعب تعليمها مباشرة مع ذكر وجوه اشتقاقها دون التعمق في أغوار اللغتين القديمتين المذكورتين

فضلاً عن أن المعاني الاصطلاحية قد تختلف عن المعاني اللغوية؛ فمعرفة المعاني الأصلية قد لا تساعد في فهم المعاني الاصطلاحية ويمكن أن نقول: إن عدم ضرورة التقيد بالمعاني الأصلية في الكلمات والتعبيرات المستخرجة من اللغات الميتة، كان من أهم العوامل التي سهلت وضع هذه الاصطلاحات الحديثة، ونشرها بين جميع الأمم العصرية (وذلك بعكس الناس الآخرين، وهو ملاءمة الأمم التي لا تقبل هذه الاصطلاحات التي تستمد عناصرها من لغات الأمم المعاصرة لها)، ولا مجال لإنكار أن هذه الاصطلاحات ربما أدخلت على اليونانية واللاتينية إدخالاً، فلو أنها عرضت على أبناء اللاتينية أو أبناء اليونانية في حياتهم، لما فهموا منها شيئاً، أو فهموا منها أشياء أخرى

وعلى كل حال نستطيع أن نقول: إن معرفة المعاني الأصلية ليست ضرورية لفهم المعاني الاصطلاحية، كما أنها ليست مفيدة لها في أكثر الأحيان

فمحاولة تبرير تعلم اللاتينية واليونانية بحجة ضرورة هاتين اللغتين لفهم الاصطلاحات العلمية الحديثة، مما لا يتفق مع العقل والمنطق بوجه من الوجوه

(يتبع) أبو خلدون

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأدب العربي هو الأدب المصور الذي اتسع للأهواء المختلفة من طبائع البلاد وسرائر الرجال. وقد ظهرت عبقريته في لونين من ألوان التعبير: في العلوم الشرعية والفنون الأدبية. وما يمكن لباحث منصف أن ينكر أن الفقه الإسلامي صورة من صور التعبير الدقيق، وهو من صميم الأدب عند من يعرفون أن شرح الشرائع فرع من الفروع الأدبية، وهو يمثل الشعور بما في المجتمع من معضلات ومشكلات خلقتها ظروف المعاش.

وذلك الفقه لم تختص به أرض دون أرض، فكان من أهل الهند وأهل فارس وأهل مصر وأهل المغرب والأندلس رجال شوقوا إلى الدراسات الفقهية أشد التشوق، وأمدوا الأدب بصور كثيرة تمثل الاتجاهات الفكرية والعاطفية.

وما قيل في الفقه يقال في التوحيد والتفسير والحديث، فهناك ألوف من المصنفات الجيدة التي وعت ضروباً من الحقائق الأدبية والعلمية لا يستهين بها رجل حصيف.

ولو وجهت همم الباحثين إلى شرح ما في تلك المصنفات من مقاصد وأغراض لأتوا بالعجب العجاب. وقد سبق إلى ذلك المسيو [illegible] يوم كنت مشغولاً بشرح الرسالة العذراء فاستطعت أن أجد شواهد أدبية من كتب الفقه عند المالكية. وكذلك استطاع [illegible] المسيو ماسينيون استخراج بعض الحقائق الصوفية من المؤلفات الفقهية.

حيّا الله أساتذتي في باريس، فعندهم عرفت من مذاهب البحث ما لم أعرف.

* * *

وإنما بحثتُ لقالَ اليوم بهذه التكاليف ليعرف الأستاذ أحمد أمين كيف أخطأ حين توهم أن الأدب مقصور على قصائد الشعراء، فما كان الشعر إلا صورة من صور التعبير، وهو المقيد بالقوافي والأوزان لا يستطيع التعبير عن جميع الأغراض.

وأنا مع ذلك سأقف عند الأدب الشعري الذي يمثله الشعر والنثر الفني وأنا أتحدث عن الأندلس.

فهل من الحق أن الأندلسيين لم يحسّوا الطبيعة ولم يصوروها كما قال أحمد أمين؟

إن المعروف عند جميع أدباء اللغة العربية أن الأندلسيين تفوقوا في وصف الطبيعة، فكيف غفل [illegible] عن ذلك؟

أيكون أحمد أمين أعلم الناس بالأدب ولا [illegible] تلك الشواهد من الصحيح؟

أيكون من طبيعة كلية الآداب أن تروض مدرسيها على اصطناع المجادلة والإغراب؟

أغلب الظن أن أحمد أمين سمع أنه في باب تجديد عند أهل كلية الآداب، والتجديد عنده هو الخروج على ما نص عليه جمهور أهل الأدب في ميدان الحقائق الأدبية، فهو يتكلف ويتعسف ليأتي بجديد يجعله في الطليعة بين أساتذة كلية الآداب، فكان ذلك الجديد هو التجني على ماضي الأدب العربي حتى زعم أنه في أكثر أحواله أدب معدة لا أدب روح، وأنه لا يصور الحياة كما صنع الأدب الإفرنجي، وأنه لم يصف الطبيعة ولم يتحدث عن المجتمع.

وقد نقدنا هذا الزعم فيما يخص مصر والشام والعراق.

وننقد اليوم ما وجّهه أحمد أمين إلى الأدب الأندلسي وهو في أهله مصر [illegible] التعبير في تذوق الطبيعة وفي الإحساس بما تعرضوا له من الأحداث الاجتماعية.

ويجب أن يكون معلوماً قبل الشروع في التفاصيل أن الأدب الأندلسي تعرض للضياع بعد أجيال، فما وصل إلينا من ذلك الأدب ضاع منه أكثر من تسعة أعشاره لما بعده من العوادي، فقد طغى على ذلك الأدب جناية حروب الأسبان على مخلفات العرب في الأندلس وإصرارهم على تبديد ما ترك العرب والمسلمون من روائع الآداب والفنون.

وكان ما صنع الأسبان بآثار العرب في الغرب صورة لما صنع التتار بآثار العرب في الشرق، فكان حظ قرطبة صورة لما في حظ بغداد.

فقد ضاع من آثار الموسيقى الأندلسي ما ضاع، وضاع منه ما ضاع؛ ومع ذلك يجب الاعتراف بأن العرب في الأندلس أحسوا الطبيعة والوجود إحساساً قليل النظائر والأمثال.

وهل يدرك أحمد أمين قيمة الإحساس بالطبيعة في قول المعتمد بن عباد:

وليل بسد النهر أنساً قطعته … بذات سوار مثل منعطف النهر

نضت بُردها عن غصن بان منعم … فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر

أيقال إن هذا لعب بالتشبيهات ، كما يتوهم أحمد أمين ؟

وما رأيه في قول عمر بن فرج وهو يتحدث عن شرف المعاني

وطائعة الوصال عففت عنها ... وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت ... دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها ... إلى فتن القلوب لها دواعي
فملكت النهى جمحات شوقي ... لأجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما ... فيمنعه الكعام من الرضاع[1]
كذاك الروض ما فيه لمثلي ... سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات ... فأتخذ الرياض من المراعي

أينكر أن هذا الشاعر أحس الطبيعة أدق إحساس ؟

وهل يستطيع أن يؤدي هذه الصورة بأفضل من هذا الأداء ؟

وما رأيه في قول محمد بن سفر

وواعدتها والشمس تجنح للنوى
بزورتها شمساً وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى
وطوراً كما مرّ النسيم على النهر
فعطّرت الآفاق حولي فأشعرت
بمقدمها والعَرف يُشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها ... كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبتُّ بها والليل قد نام والهوى ... تنبّه بين النفس والحلم والسكر
أعانقها طوراً وألثم تارةً ... إلى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقوداً للتعانق بيننا ... من بينها [illegible] ساقه النحر

ألا يرى كيف كانت الطبيعة بأشجارها وأزهارها وأنهارها وأنسامها تداعب خيال الشاعر وهو ينظم هذا القصيد ؟

أيدرك قيمة الإحساس بالطبيعة في هذا البيت

فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى
وطوراً كما مرّ النسيم على النهر

أم يقول إن هذا عبث بالتشبيهات !

إن قال ذلك فسيأتي يوم قريب نبين فيه قيمة التشبيهات وما فيها من الدلالة على الأنس بمعاني الوجود

وما رأيه في قول أحد الأندلسيين :

أدرناها على الروض الندّى ... وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكأس الراح تنظر عن حباب ... ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الأفق لكن ... نقلن من السماء إلى الرياض

أيحسب هذه الأبيات من الكلام الزخرف الذي لا يدل على شيء ؟ !

اتق الله في نفسك يا صديقي أحمد أمين ، فأنت لا تجني على الأدب ، وإنما تجني على نفسك حين تجلب إليها النقمة من أعداء هذه المعاني

وما رأيه في قول الرصافي الأندلسي في وصف حائك غزل

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي
لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمري في الصبابة لي
لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
علقته حبَبيّ الثغر عاطره ... حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
غُزيّل لم تزل في الغزل جائلة ... بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحواك أنمله ... على السدى لعب الأيام بالأمل
ضماً بكفيه أو فحصاً بأخمصه ... تخبّط الظبي في أشراك محتبل

ألا تدل هذه القطعة على أن الشاعر قوي الإحساس بالوجود ؟

وهل ينكر أحمد أمين أن الأندلسيين لهم أمثال هذه المعاني ؟

وهل غريب أن منهم من قال في وصف راقص مليح

ومنوّع الحركات يلعب بالنهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأوّداً كالغصن وسط رياضه ... متلاعباً كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه ... كالسيف ضمّ ذبابه لرئاسه

ألا تعد هذه القطعة من غرائب الشعر البديع الذي يمثل الإحساس بالوجود ؟

وهل غريب أن في الأندلسيين من قال

عاطيته والليل يسحب ذيله ... صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضمّ الكميّ لسيفه ... وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى إذا مالت به سنة الكرى ... زحزحته شيئاً وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كيلا ينام على وساد خافق

هذا شاعر رقيق العواطف ، مشبوب الأحاسيس ، جريء

---

(١) السقب : ولد الناقة ، والكعام بالكسر : [illegible] الذي يكعم به

جمال الوجود في أوقات الصفاء، ومواجهة الطبيعة بنظر ثاقب، وقلب خفّاق.

وما رأي صاحبنا في قصيدة ابن هانئ:

فتقٌ في مأتمٍ على العشاق ... ولبس السواد في الأحداق

وهي قصيدة يحفظها أكثر الأدباء، وفيها من وصف الطبيعة ألوان.

وما قوله في أرجوزته القافية التي وصف بها الساقي فقال:

يحثّها بكفّه المرموق ... أرقّ من أدمعه الرقيق
وبات سلطاناً على الصبوح ... يسلّط الشّبا على الطريق
ويعرض اللآلئ في العقيق ... كأنّ ذوب تبره الأنيق
ألف من حبابه الغريق ... أو ورق من نبته إلى الأريق

وهل سمع الأستاذ أحمد أمين بأخبار ابن شُهيد صاحب «الزوابع والتوابع» ولأدبه صلة شديدة بتذوق الوجود؟

هل قرأ أشعار ابن زيدون ورسائل ابن زيدون ليرى كيف شقي هذا الشاعر الكاتب بهموم الدنيا والناس؟

وهل نظر في نكبات ابن عمار الذي تذكّر عتابه بعتاب أبي فراس؟

وهل خطر في باله أن ينظر كيف برع الأندلسيون في الموشحات، وكانت أقباساً من الأضواء، وأنفاساً من الأزهار؟

هل عرف أن الأندلسيين تركوا ملاحم بكوا بها بعد ما أصيب من قلوبهم الغوالي؟

هل مرّ بخاطره أن الأدب الأندلسي ترك في الأدب اللاتيني أصولاً وسمات ثبتت على الزمان؟

هل وصل إلى علمه أن عهد العرب في الأندلس هو أشرف ما عرفت أسبانيا من العهود؟

هل انتهى إليه أن يعرف أن تاريخ العرب في الأندلس كان مادة غنية صنعت بها مجموعات كثير من الباحثين الذين تشرف بهم الجامعات الألمانية والفرنسية والإنجليزية؟

هل طرق سمعه الخبر الذي يقول إن علماء الأندلس هم الذين عرّفوا أهل أوروبا بمذاهب اليونان؟

فبأي حق يجوز التطاول على أهل الأندلس من رجل مثل أحمد أمين وهو يشهد على نفسه بأنه لا يكتب عن الأندلس إلا بعد أن يأذن له المستشرقون؟

آه، ثم آه!

ما جزعت على وفاة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي كما جزعت عليه اليوم!

فلو كان الرافعي حيًّا ورأى أحمد أمين يقول في ماضي الأدب العربي ما يقول لأصلاه نار الصدق وصيّره أحدوثة بين أهل الشرق والغرب.

ولو كان أحمد زكي باشا حيًّا ورأى هذا العبث في السخرية من أهل الأندلس لقدّم أحمد أمين إلى مهاوي «سَقَر» — وأحمد زكي باشا أول من أذاع محاسن الأندلس في العصر الحديث، قبل الشيخ محمد المهدي والأمير شكيب أرسلان.

ومن يدري، فلعل أحمد أمين يلقى من الجزاء ما هو له أهل يوم ينتبه أساتذة الأدب إلى واجبهم في رد عدوة العادين على ماضي اللغة العربية!

من يدري، فقد يقوم أحد المستشرقين بالانتصاف للتراث الذي تطاول عليه الشرقيون.

من يدري، فقد تستيقظ كلية الآداب فتنشئ كرسيًّا للأدب الأندلسي ليعرف شبان العصر الحاضر أن أسلافهم استطاعوا أن يوجهوا الأدب اللاتيني في عصره الأول!

* * *

إن الشواهد التي سمعت قد تنزع أكثرها من الشعر، فكيف كان النثر عند أهل الأندلس وكيف دل على ذوق أصحابه؟

لا أريد أن أعيد ما قلت في كتاب النثر الفني حين تحدثت عن كتاب الأندلس، لأني أبغض الحديث المعاد، وإنما أنبه القراء إلى خصيصة خاصة من خصائص النثر الأندلسي هي غرامهم بالتشبيهات ورغبتهم في تجسيم المعاني، والتشبيهات تنتزع في الأغلب من صور الطبيعة والوجود، فهي من الشواهد على إحساس الكتاب بالطبيعة والوجود.

ولم تقف هذه الخصيصة عند الرسائل القصيرة أو كتب العهود، وإنما شملت كتب التراجم وكتب التاريخ، وطغت على الأبحاث العلمية.

ومعاذ الأدب أن نفهم الطبيعة كما يفهمها أحمد أمين فنظنها مقصورة على الشجرة والزهرة والعشب، إنما الطبيعة كتاب الوجود بما فيه من حيوان وبشر، وشجر ونبات، وماء وجماد

والطبيعة الشاجية تظهر بطلوعها وحبورها كثيراً مما في أكثر ما كتب الأندلسيون، ولو شئت لقلت إنهم ألحوا في ذلك حتى قاربوا الإسفاف، فهل كانوا مغلوبين من وراء الغيب أن سيجيء في آخر الزمان من يتهمهم بالغفلة عن تذوق الطبيعة والوجود؟

أين أضع تلك النفحة المصرية في تعبير الكاتب كأن الشيخ من حافظ يختال ويتعصب في الأوصاف والتشبيهات ليقيم الدليل على أن الطبيعة كانت تطالع الأندلسيين من كل جانب؟

أكان ابن زيدون وابن برد وابن شهيد وابن حزم يعرفون أن سيجيء عليهم من يتهمهم بالتبلد وضعف الإحساس فكان من الحتم توصيف الطبيعة ما كان؟

***

وهنا أستأنس بكلمة رأيتها للأستاذ العقاد منذ سنين وهو يفاضل بين البحتري وشوقي، فقد نص على أن شوقي وصف الطبيعة بعد أن صار وصفها من المذاهب الأدبية، أما البحتري فوصفها بوحي من الفطرة. وكذلك أقول في الحكم لأهل الأندلس: فهم لم يصفوا الطبيعة ليقال إنهم عرفوها وأحسوها، وإنما وصفوها بوحي من الفطرة، فكانت أوصافهم أبلغ في الدلالة على سلامة الذوق، وصفاء الطبع، وأصالة الوجدان.

ويصدق أحمد أمين [illegible] أن الشاعر الذي رأى نفسه جزءاً من الطبيعة على حد قول الحلاج

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني ... وإذا أبصرتني أبصرتنا

وصول إلى الحلاج محمد الله شاعر عربي، وشعره زكاة عن العرب الذين اتهمهم أحمد أمين، و «باب الحلاج» في الاندماج في الطبيعة، ولذلك تفصيل يراه من شاء في كتاب التصوف الإسلامي عند شرح نظرية وحدة الوجود، حتى لا يظن ظان أن أحمد أمين أول من التفت إلى هذه الشؤون

ولكن ما بال صاحبنا يغفل عن أبيات الشاعر الأندلسي الذي منح الطبيعة ضمائر النفس الإنسانية حين قال:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ... ألذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمسَ أنّى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

وهل يعرف أحمد أمين أن نظرية وحدة الوجود وهي أعظم تمجيد للطبيعة لم يشرحها أحد بتفصيل ما شرحها صوفية الأندلس؟

وهل عرف أن ابن عربي له في ذلك كتب وبحوث؟

وهل فطن إلى أن ابن زيدون جمع في قصيدة أطراف الوجود حين قال:

يُدني خيالك حين شطّ به النوى ... وهمٌ أكاد به أقبّل فاكا

***

أما بعد فقد زعم أحمد أمين أن ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة لم يعد غير الصياغة، ولم يستطع أن يجمع فيها الروح إلا في النادر القليل.

فهل تركت هذا الزعم بلا تفنيد [illegible] «الأديب»؟!

وهل هان الأدب العربي على أهله حتى يتركوا زمامه لكل مجهول ومحتال؟

إنه من حق ابن خفاجة علينا أن نعطر صفحة من حياته الشعرية والنثرية فنبين كيف كان ذلك الرجل فناناً موهوباً تجري أقلامه على أوتار الوجود، فهو من مفاخر اللغة العربية، وهو محجوب عمن يتطاول عليها ممن لا يدركون أسرار البيان

وقبل الشروع في الكلام عن ابن خفاجة أرجو أصحاب الجرائد والمجلات في غير مصر أن يصححوا رأيهم في أسباب هذه المقالات، فليس من الصحيح أني انتهزت فرصة الأخطاء التي وقع فيها أحمد أمين لأشفي صدري منه أو لأشفي صدر صديقي صاحب الرسالة، فليس بيننا وبين الأستاذ أحمد أمين خصومة شخصية، وإنما هي مصر تروض أبناءها على طاعة أصدقائهم في سبيل الحق

« للحديث شجون » زكي مبارك

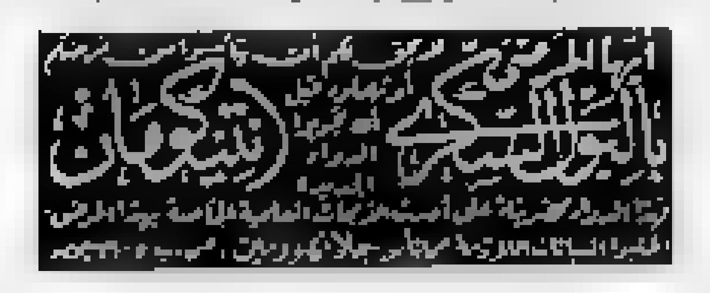

حول الوحدة العربية

بين الحصري بك وطه حسين

للأستاذ عز الدين التنوخي

جئتُ مساء إلى منزلي فاستقبلني ولدي «الرسالة» بثوبها الأحمر المعهود، وهي بدأً بين مجلات عند ناظري، وهوى خاطري. ولا غرو في ذلك، فإن للمصريين عامة، وأدباء العرب عامة، بمصاحبتها لروحها العربية، وبما عملت على «توحيد الثقافة العربية» في سائر البلاد العربية. وكلما ازداد الإيمان القوي في العرب، ازداد هذا الحب الشديد للرسالة، وازداد معه تقدير ذلك السحر والإعجاب من عرفها. وأكبر المثال الواقعي الحال دلالة على صحة ذلك، فقد شاهدت مساء أمس فتى عربياً في الترام يحمل مجلات منها «الرسالة» فقلت له:

— لِمَ عدلت عنها كلها ؟

— عن «الرسالة» !

— ولماذا آثرتها بالمحبة ؟

— لأن روحها المصرية تمزج روحها العربية، ولأنها — وهنا أشار إلى المجلات — تعمل على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية !

وحين رأيت مساء عدد «الرسالة»، تطرب إلى عرضها فوجدت فيه موضوعاً يهمني — وأبناء العرب جميعاً — وهو رد الأستاذ ساطع الحصري على الفصل الطوال التي نشره الأستاذ طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر».

أجل! كنت أنتظر بصبر غير جميل من مثل أبي خلدون أن يعيد الكرة على صاحبه الذي أخذه في بعض اعتذاره على النصر الجوال. ذلك بأننا — ولا يكتم الدكتور طه حسين — كنا نحذر هذه الإحالة ونخشى ضرباً من الفرار من معركة المناظرة، وقرأت اليوم كتاب الأستاذ أبي خلدون (إلى الدكتور طه)، فلا أدري ما كان على أن يراجع به هذا الأديب العربي الكبير الذي يريد أن أستشهد عليه بكلامه، وحسبي منطقه؟

حسبُ الأديب الدكتور طه حسين بالأديب العربي — لا بالمصري، فحسب، لأن أدبه عربيٌ بعناصره، عربيٌ بلغته وأسلوبه، عربي بمباحثه المبتكرة، وأسانيده المعتمدة، لا عربي على الرغم منه روحه حيا ويمض نفسه في سعيها عن عنصر الفرعونية، ومن عمل لأنصارها!

أليس طه حسين هو الذي حمل أدبنا العربي المتقدم على آداب أمم الحضارة القديمة في كتابه «حديث الشعر والنثر»؟

أليس طه حسين من أشهر العاملين على إحياء الآداب العربية وإحياء آدابها بذلك الأسلوب العربي الرائع سلاقته على سلامته واستقامته على إطلاقه؟ أو ليس هو القادر بجرعة الثقافة العربية التي إلى حمها الأستاذ أبي خلدون، ويحكيها لنا أيضاً، حيث له كل ما تقول من ضروب الوحدة؟!

أجل! للدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها، حتى أن يكون في قطر واحد أديباً، وليته — أمتعه الله — مثل في المتكلمين أدباء العرب الذين يتنافسون في اقتناء آثاره، ويتفاهمون بلغتهم من أساليبه، أو ليته — وهو مصري — يخاطب العرب كما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو المصري — وهو لذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة دون الأولاد!

وليسمع الدكتور طه حسين ما يقوله الأستاذ مكرم عبيد في عدد الهلال الممتاز «العرب والإسلام»:

«سافرت في رحلة عجيبة إلى سوريا، وشمل إخواني السوريون في الشام ولبنان وفلسطين، فشملوني بترحيبهم وتكريمهم، فوقفت بينهم وتحدثت عن الوحدة العربية وقلت: «المصريون عرب». وأبديت رأيي في هذه النظرية التي يؤيدها التاريخ، فنحن معشر المصريين جئنا من آسيا[1]، وعلى أننا إلى العرب منذ القدم من حيث اللون والدم والخصائص الشامية والقومية، إلى أن يقول: نحن عرب! ويجب أن نذكر في هذا العصر دائماً أننا عرب قد وحدت بيننا الآلام والآمال، ووحدت روابطنا الكوارث والأحداث، وصهرت الظلم وخطوب الزمان فأحدثت منا أمماً متشابهة متماثلة في كل ناحية من نواحي الحياة».

ثم تكلم عن الوحدة العربية بقوله: «فالوحدة العربية حقيقة قائمة، هي موجودة لكنها في حاجة إلى تنظيم، والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار، وتصحيح التعريفات، وتوفير الرخاء، وتنمية الموارد الاقتصادية، وتشجيع الإنتاج المحلي، وتوحيد

(١) وقد بين ذلك في موضع آخر من وطن للمصريين الأول جبوه من ٣٣ «والمعتقد أن القديم إلى الأصل السامي الذي هاجر إلى مصر من جزيرة العرب».

في تعاون المنافع وتجانس المطالب. فكما أن أوربا خلقت شيئاً مشتركاً تربط به وتلتف حوله أغراض سكانها على اختلاف أممهم، فكذلك نحن سنؤول مصيرنا إلى الالتفاف حول مثل أعلى يرص بيننا فنصير كتلة واحدة ونصير أوطاننا طائفة وطنية واحدة، أو وطناً كبيراً يتفرع منه عدة أوطان، لكل منها شخصية تكشف عن خصائصها القومية العامة متحدة متصلة اتصالاً قوياً بالوطن الأكبر.

وفي هذا البحث الممتع للأستاذ مكرم عبيد يشير آنفاً إلى رحلته الصحفية لعبير الشامية وأنه كان يتحدث إلى المرحبين به قائلاً (المصريون عرب)

صدق والله، فقد كتب من قبل الرحيل بأخوته العربية في حفل أقيم بدمشق، وسمعت هذه الكلمة الطيبة من فيه، لا من فوه. ولا أزال أذكر ذلك يوم سألته عن تلك النعرة الفرعونية في مصر فقال لي ما معناه: نحن عرب في مصر ولا تعنينا الفراعنة إلا لأنهم عرب!

الأستاذ مكرم عبيد فرعوني صميم، ومن نوابغ مصر في ثقافته وأخلاقه ووطنيته، والأستاذ طه حسين العميد المصري بحكم والناس معه بالنظر على فرعونيته، فلن يكون هناك أصدق حرفاً من مكرم عبيد، وإذا ما أدى ذلك كان أشد فرعونية من فرعون نفسه، أو سأسمه كأمير سلطنية من الملك،

والأستاذ طه حسين الذي كان ينكر الوحدة العربية بأنواعها ويعد من يقول بهذه الوحدة من أصحاب العقل القديم، قد أصبح ولله الحمد أخيراً أقدم العقل كالأستاذ مكرم عبيد لقوله بالوحدة العربية على شكل إمبراطورية متسقة أو على مثال الاتحاد الأمريكي أو السويسري!

وأظن أن العرب تزايدت عندهم الثقة أيضاً لقوله بالوحدة العربية، فما أجمل ذلك العقل القديم الذي يصل بين الأرحام المتقاطعة والأرواح المتنافرة والقلوب الحاقدة، ويجدر بنا ألف مرة أن يجمع بيننا العقل القديم من أن يفرق ويمزق بيننا العقل الحديث.

(يتبع)

عز الدين التنوخي

عضو المجمع العلمي العربي

كتاب في الدين الإسلامي

للأستاذ محمد بهجة البيطار

قرأت في الرسالة الغراء مقالاً لنابغة الشام الأستاذ علي الطنطاوي في الإسلام وتعليم الأصحاب والأعراب له من النبي صلى الله عليه وسلم في مجالس معدودة ، وحفظوهم عنه مطمئن ودعاة إلى الله لأنهم كانت أوعية العلم الصدور لا الكتب ؛ ثم وصف ما يلاقيه في عصرنا طلاب العلوم والفنون من عنت في معرفة هذا الدين السمح بعد أن صرنا عنه أبعد الأبعد من كتبه ، واقترح أن يؤلف كتاب في الإسلام — عقائده وعباداته وأخلاقه — يشرح فيه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل فيه النبي (ص) عن الإيمان والإسلام والإحسان بأسلوب علمي مؤثر ، لا هو بالأسلوب العلمي الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصي الخيالي ، كما قال ووجه الكتاب إلى البحث في هذا الموضوع الجليل ، واقترح على حفظه الله أن أكتب في مبحث الإيمان بالله مبنى على الأساس الإسلامي لا المذهب الكلامي (المشحون بالألفاظ المبتدعة كالجوهر والجسم والأعراض ، والأعراض والأشخاص والحدود والجهات وحلول الحوادث وغيرها) لينشر على صفحات الرسالة الغراء ، فلبيت شاكراً للأستاذ الطنطاوي غيرته ، ممهداً بوصف كتب العقائد المتداولة بين الأيدي

كتب العقائد المتداولة

لا يخفى أن الإيمان بالله تعالى هو توحيده على الوجه الذي أثبته لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه . وقد نظرنا إلى كتب التوحيد العربية التي تداولتها أيدي الخواص والعوام في معظم الأمصار الإسلامية ، وصارت عمدة المدرسين والطالبين في المدارس الحكومية الرسمية وفي المدارس الأهلية والمعاهد الدينية أيضاً فوجدناها نوعين :

١ — كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيها الوجودية الثابتة ، بتأويلات تخالف على خلاف الوضع والشرع

٢ — كتب المتأخرين من الإسلام والتوحيد ، والبعث ، في دين الحق والفطرة ، وصاحبة الشرع في كل زمان ومكان ، وهذا التشريب في وصانا سنته وسكوتك في دين أحسن الأقوام وأصلحها ، كتب التيسير أو التفسير ، وصورت من الإلحاد والعصبية ، وكتب التحريف والتخريف ؛ وفي دعوة دعاة الإسلام وحملة العصبية دمج بالحليب وكيح لجامحهم ، ولكن هذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع ، هي سلاح على ظهوره في وجوه أعدائنا ، لحراسة عقائدنا ، والدعوة إليها ، والنضال عنها ، لا تغني عن التوحيد وعقائده منها ، فمع علو منزلتها وضرورة دراستها وكونها لا يستغنى عنها في مثل هذا الزمن ، ليست كتباً موضوعة في علم التوحيد ، ولا هي قواعد العقائد المستمدة من نصوصه اليقينية عنها ، بل هي سلسلة علوم حول التوحيد ، وإيضاح محاسن الدين وسماحته

وهناك نوع ثالث وهو الكتب التوحيدية السلفية التي دعت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق النقول والمعقول بورود كلام الصحابة والتابعين ثم بين صحة في النصوص

وقد كتب حول هذه الصحيح بعضها العربي التي ظهرت في عصورهم ، وساعدت مقالاتهم في الناس كالقدرية والخوارج ، والجهمية والمعتزلة والمرجئة والرافضة ، وكتب علماء السنة الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما من أئمة السلف أجل ما صنف في العقائد الصحيحة ، وأنفعها في النقض على هذه الفرق المتحرفة ، وقد جدد عهدهم ، وشرح مذهبهم ، وبين آثار الأئمة والأعلام والأحكام شيخا الإسلام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية في كتبهما ، ثم من جاء بعدهما من أئمة الإسلام وأنصار العقيدة السلفية ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الراسخة هي علمية جدلية ، لأنها في الغالب كتب حجاج ومناظرة ، وتأييد لمدلولات النصوص ، ورد لشبهات الخصوم . فأنا أؤيد رأي أخي الطنطاوي من كتب ، وأقترح على حملة العقائد الصحيحة التي جاء بها القرآن أن يضعوا كتاباً للتوحيد السلفي ، وأن ينشروا فصولاً مستمدة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، تكون تمهيداً لوضع مسائل التوحيد سلفية ، معروضة حقائقها بأسلوب عصري مدرسي ، تقرب القلوب من السلف الصالح وآثارهم ، وتطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، وتغذي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص المطهر من كل ما يخالطه من أدران البدع والزوائد ، فتصح العقائد ، وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ

والناس، فعسى هذا الاقتراح أمام أولي الكفاية والعزم من حماة السلفيين، لعله يجد مكاناً للاستحسان والتنفيذ إن شاء الله تعالى

تعريف التوحيد

التوحيد في اللغة التفريد. تقول: وحدت الشيء وأحدته إذا فصلته عن سواه، وأفردته. وفي الشرع: اعتقاد أن الله واحد أحد، فرد صمد لا ند له ولا ضد. والتوحيد أساس العلوم الدينية، وهو الذي نزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وورثه المصلحون في كل عصر، وقاموا عليه خير قيام. وهو الذي يجب أن يكون رأس الدعوة، ويجاهد في سبيله كل من عاداه، حتى يكون الدين كله لله، وتترك العبادة لما سواه من حجر وشجر وبشر، وشمس وقمر، وملك وجن، وسائر ما عبد من دون الله في الملأ الأعلى أو الملأ الأدنى، وهذا هو مناط النجاة في الآخرة، وليست الدنيا إلا دار سباق لها

أنواع التوحيد

التوحيد ثلاثة أنواع (١) توحيد الربوبية (٢) توحيد الألوهية (٣) توحيد الأسماء والصفات (فالأول) الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور. (والثاني) هو إفراده تعالى بجميع أنواع العبادة، والتوجه إليه وحده بالدعاء والطلب (والثالث) هو أن نصف الله سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا. فمن الأسماء: الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام. ومن الصفات: الرحمن على العرش استوى، بل يداه مبسوطتان، وكلم الله موسى تكليماً

وقد دل القرآن وشهد التاريخ أن العرب قبل الإسلام كانوا مؤمنين بوجود الله، معترفين له بالوحدانية في الخلق والرزق، والتدبير والتأثير، والإحياء والإماتة، والتصرف في جميع الأمور، وأن ليس لآلهتهم شيء من ذلك. والنصوص في ذلك كثيرة وصريحة، قال تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» وقال: «قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون؟» وقال: «قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل فأنى تسحرون» وهذا هو المسمى بتوحيد الربوبية الذي كان عليه أهل الجاهلية، وهو توحيد الرب بأفعاله

إنما كان شرك المشركين الأولين بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة، ومن مظاهره الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي كان يصرفها المشركون لمعبوداتهم من الصالحين وغيرهم لتقربهم إلى الله زلفى، وكانوا يقولون في حجهم «لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك» فهذا الشريك هو الذي كان يشرك مع الله في العبادة فحسب، لا في الإيجاد ولا في الإمداد كما قال تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»

كلمة التوحيد

أساس الدين وركنه الأعظم هو كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهي أصل الأصول، ودين الرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» فكلمة التوحيد هذه لا بد من فهم معناها والعمل بمقتضاها، وهو ما بعث به النبي (ص) ودعا إليه: أله الإلهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه كما في القاموس، فمعنى إله في لغة العرب وفي الشرع هو المعبود بحق أو بغير حق، ولفظ الجلالة علم على المعبود بحق وهو الله عز وجل. فكلمة (لا إله) نفي لكل معبود في الوجود وإبطال لعبادته، وكلمة (إلا الله) إثبات العبادة للمعبود بحق وحده «ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير» فكلمة التوحيد مسقطة لجميع آلهتهم، هادمة لأنواع عبادتهم، مثبتة العبادة كلها لله وحده الذي يعبدونه ويحبونه ولم يعبدوه بالسيف، فأقام عليهم الحجة بما أقروه على ما أنكروه، وبين أن من تفرد بالإيجاد والإمداد يجب أن يفرد بالعبادة، وهذه الحجة القاهرة من حجج الله على العالمين إلى يوم الدين

لما كان العرب في جاهليتهم يفهمون من كلمة (لا إله إلا الله) هذا المعنى الذي بيناه لغة وشرعاً كانوا يستكبرون عن النطق بها لأنهم علموا أن الإيمان بها كفر بآلهتهم وإبطال لعبادتهم، كما قال تعالى: «إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون» وقال: «وإذا ذكر

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟ ائتوني بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » وقال : « ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يُشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير »

أما دعاء غير الله فقد سهل عليهم الأمر لأنهم جعلوا من كلمة التوحيد ما يخالف الوضع والشرع وفسروها بمعنى توحيد الله بأفعاله ، وبتفرده في الإبداع والاختراع ، وأخرجوا كل ما ذكرته من معناه اللغوي والشرعي ، كالدعاء والخوف والرجاء والحب والتعظيم ، والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة ، والتوكل والذبح والنذر ، والخضوع والخشوع والالتجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وأجازوا صرفه كله لغير الله ، بعد أن جعلوه تحت التوسل والاستشفاع

التوسل الخاطئ

ليس الكلام في التوسل الخلاف المشهور بين العلماء المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل إليه بصالحي عباده ، وإنما الكلام في توسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء أهل القبور أنفسهم ، والاستمداد بهم ، وطلب الغوث منهم لإنقاذ الغرقى وشفاء المرضى ، ورد الغائبين وإغاثة الملهوفين ، وإعانة المستغيثين ! وهذا لا يسمى توسلاً بهم لا دينا ولا عقلاً ولا لغة ، بل هو دعاء لهم وطلب منهم وهو خارج عن موضوع التوسل وليس منه في شيء

فإن قلت إن الداعي لغير الله لم يرد بدعائه إلا الله ، متوسلاً إليه بمن يدعوه ، وإن قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لتبينت لك ، فهلا شققت عن قلبه ؟ (فالجواب) أن ما في القلب لا يعلمه إلا علام الغيوب ، وأن الكلام منحصر في دائرة الأقوال والأعمال التي تناقض صحة العقيدة النقية كل التناقض ، والشارع ناط الأحكام بالظاهر ، والله يتولى السرائر

ولا يرد حديث (هلا شققت عن قلبه) إلا على من يدعي معرفة الباطن ، وأنه موافق أو مخالف للظاهر ، وإنما البحث فيما يصدر عن الشخص من قول أو عمل يصادم الشرع ، وقد أنكر النبي (ص) على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل ، فادعى أسامة (رضي الله عنه) أنه لم يأت بها عن عقيدة قلبية ، فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال : « هلا شققت عن قلبه ؟ » وأين هذا من ذلك ؟

ووصف القرآن أهل الجاهلية وفرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية بأنهم كانوا إذا وقعوا في شدة كخوف الغرق في البحر مثلاً دعوا الله مخلصين له الدين ، كما قال عنهم « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » وقال في فرعون « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين » أفيكون أولئك القوم وفرعون أولى بدعاء الله وحده في الشدائد ممن يتسمون بالإسلام والتوحيد ؟ وبدهي من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لا يملكون لأنفسهم — ولا لغيرهم بالأولى — في الرخاء ولا في الشدة ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؟ فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية الصريحة عينها مع دعاء غير الله تعالى في الرخاء وفي الشدة أيضاً ؟

وإذا أضيف إلى ما سبق دعوى التصرف في الكون التي يدعيها الجهال وأشباه العوام لبعض الصالحين ، أو تقسيم الدنيا إلى أربع مناطق ، وتخصيص كل قسم منها بواحد منهم ، ودعوى وجود الله تعالى بذاته — تقدست وعلت — في كل مكان ، أو دعوى أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، وما يتبع ذلك من سلبه تعالى صفات كماله ، ونعوت جلاله ؟ فقد وقع الإشكال العظيم في التوحيد بأقسامه الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، ونعوذ بالله من سوء المصير والخذلان .

على أن يقال : إن هذه العقائد قد عظم ضررها ، وعم أثرها ، وكان من نتائجها خروج جماهير المسلمين عن الطريقة السنية من دائرة دينهم ، واتكالهم على غير ربهم ، فما هو العلاج الشافي من هذه الأدواء الفتاكة يا ترى ؟ وكيف يعود الناس إلى عقيدة لا يعتمد فيها إلا على التوحيد الصحيح الذي جاء به الإسلام وجرى عليه أهل الصدر الأول علماً وعملاً واعتقاداً ؟

علاج

أرى والذي جعل العلماء ورثة الأنبياء — لأعجب كل العجب ممن يقفون على تاريخ الإسلام وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ومن يتلونهما في المدارس ، ثم يغفلون عن حقيقة من أهم حقائق التاريخ وأشدها ارتباطاً بسر التوحيد وتأثيره في تهذيب النفس

الإسلامي بل الإنساني الحديث ، وإنشائه صحيح النقل ، سليم الفطرة ، بعيداً من كل لوثة وثنية أو جاهلية

بل كل من أحاط بالسيرة النبوية وسيرة الصدر الأول للإسلام خبراً أنكر أشد الإنكار ما أحدث الناس من البدع والجهالات والسخف والخرافات . وإلى مورد طرفاً يسيراً من سيرة الصحب الكرام ولا سيما الخلفاء الراشدين الذين من عمل بسنتهم نجا ، ومن شذ عنها شذ في النار ، لتكون لنا منارة كنار الطريق

توفي النبي — بأبي هو وأمي (ص) — فبقي الناس ثلاثة أيام والنزاع قائم بين الصحب الكرام على أمر الخلافة حتى بايعوا أبا بكر (رض) ولم يسألوا النبي (ص) عمن هو الأحق بها من بعده . وكانت وقعة الجمل بين أم المؤمنين وابن عمه أبي السبطين الشهيدين ، وسفكت فيها دماء عزيزة عليه (ص) ولم يستفتوه قبل القتال ولا بعده وهو دفين في بيت عائشة بين ظهرانيهم ، وجرت وقائع صفين بين علي ومعاوية ، وكانت أعظم هولاً وأشد حنكاً ، ولم ينقل أن أحداً منهم استنجد بالنبي أو استغاث به ، أو سأله عن حكم هذه الحرب أو التي قبلها ، كما أنهم لم يسألوا شهداء أحد عليهم الرضوان شيئاً من ذلك وهم سادة الشهداء .

وجمع القرآن في عهد الصديق ، ووقع الخلاف أولاً في جمعه ، ولم يستفتوه في ذلك ، وكانوا يسألون النبي (ص) عن كل ما يعرض لهم من الأمور فصار يسأل بعضهم بعضاً ، ولم يجيئوا فيسألوه في قبره (ص) وقال عمر : اللهم كنا إذا أجدبنا نستسقي بنبيك محمد (ص) فتسقينا ، والآن نستسقي بعمه العباس ، فطلبوا السقيا من العباس ولم يطلبوه منه كما كانوا يسألون في حياته بينهم

وقال عمر : ثلاث مسائل وددت لو أني سألت رسول الله (ص) عنها ، ولم يسأله عنها بعد وفاته . وكانوا يضربون أكباد الإبل من الشام إلى المدينة ليسألوا عائشة عن حديث سمعته من النبي (ص) فكانت تجيبهم ، ولم يسألوه وهو في بيتها . ومضت القرون الثلاثة الفضلى وكل طبقة كانت تسأل من فوقها وتستفتيهم ، ولم يسألوا سيد الأنبياء ، ولا سادة الشهداء الأحياء عند ربهم (شهداء أحد) عن شيء

فهذه من أعمال الصحابة (رض) حينما فاجأتهم الخطوب ، واستعرت بينهم نيران الحروب ، ووقعت لهم مناظرات كالمناظرة التي جرت بين الشيخين في قتال مانعي الزكاة ، وكالخلاف الذي وقع في إرسال جيش أسامة بن زيد الذي عقد لواءه النبي (ص) ليسير إلى بعض جهات الشام ، ولم يسألوا النبي (ص) عن شيء من ذلك أحوج ما كانوا إلى سؤاله ، وأحرص ما كانوا على العمل بمقاله ، وكان (ص) هو الذي يفصل بينهم في خطيرات الأمور ، ويكون حكمهم في الخصومات ، ويرسل بينهم السرايا ، فلم يقع شيء من ذلك له بعد وفاته

وجملة القول — أن النبي (ص) كان مرجعهم في الدين والدنيا في حياته ، فصاروا يرجعون إلى ما فهموا من سنته بعد وفاته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، ولكن معرفي تاريخ السلفيين في الأمصار الإسلامية قد قصروا في بحث ما يهمهم من البيان ، وفي عدم الجمع بين حوادث التاريخ ومسائل الدين ، والكتب الكلامية للمذاهب المدونة لم تبين العقائد فيها على قواعد الأدلة ، ووصف ما كان عليه في القرون الفضلى أهل هذه الملة

وإنما قد أوردت في مقالي هذه شذرات من أعمال الصحب الكرام منبعثة من هدى النبي الأمين ووحيه ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها كما قال مالك إمام دار الهجرة (رض)

فإلى رجال الدين والتاريخ والعلم الصحيح أوجه مقالي هذه راجياً أن يعززوا العقائد الدينية بالشواهد التاريخية ، وصحة عهود الأمة ، ويكون علم العقائد عند الطلاب كسائر العلوم التي يطلب منهم العلم على النص ، فيكون صحيح الحجة المطلوبة من دروس العقائد والتاريخ التي يقضي الطالب في دراستها زمناً غير قليل ، والله هو الموفق والمعين

(دمشق) محمد بهجة البيطار

خليـــل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

شعر الفرزدق

عزنا [illegible] على الناس كلهم ... وبئر مساعي الدارمي والشعر [illegible]

« وشعر الفرزدق في هذا الباب من حر الشعر وعاليه ، ومن أحسن ما قال : يحتفل ويجري ، ويقوى ويشتد ، ويطول نفسه ويتسع مجاله ، ويحسن التصرف ويجيد التأويل والاعتذار[1] ».

ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم »

والبيت حكاية رواها الأستاذ في الصفحة (٢٠) من (الكتاب) وما أوردته في هذا الباب .

إذا مت فابكيني بما أنا أهله ... فكل جميل قلته فيَّ يُصدَّق

وكم قائل مات الفرزدق والندى ... وقائلة مات الندى والفرزدق

* * *

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا (يا جرير) الجامع

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع[2]

ورواية (الجامع) هي التي في الديوان وفي كتب اللغة والأدب ، وذكر الزمخشري (الجوامع) في البيت ، وقال في الأساس : « وجمعتهم جامعة أي أمر من الأمور التي تجمع لها ، قال الفرزدق : أولئك آبائي ... »

وأورد الأستاذ قول الفرزدق

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وروى عن أبي الفرج قصة تخبر بانتحال البيت، وهو في شعر جميل ، والحق أن شيطان الفرزدق الذي أوحى إليه (القافية) أعطاه إياه . وفي هذه (القصيدة) يقول ابن غالب :

وما حل من جهل حُبا حلمائنا ... ولا قائل المعروف فينا يعنف[1]

وما قام منا قائم في ندينا ... فينطق إلا بالتي هي أعرف

وإني من قوم بهم تتقى العدى ... ورأب الثأى والجانب المتخوف[2]

لنا العزة الغلباء والعدد الذي ... عليه إذا عد الحصى يتخلف

ولا عز إلا عزنا قاهر له ... ويسألنا النصف الذليل فينصف[3]

ومنا الذي لا ينطق الناس عنده ... ولكن هو المستأذن المتنصف[4]

تراهم قعودا حوله وعيونهم ... مكسرة أبصارها ما تصرف

وبيتان بيت الله نحن ولاته ... وبيت بأعلى إيلياء مشرف[6]

لنا حيث آفاق البرية تلتقي ... عديد الحصى والقسوري المخندف[7]

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[8]

---

(١) كل قول بين الأهلة غير معزو إلى صاحبه ، هو من كلام الأستاذ المردمي

(٢) الأخدعان عرقان في الرقبة ، وفي الأخدع مثل تعصير [illegible] وفي الأساس : « ربي [illegible] [illegible] وتكبر ، وسوى أخدعه ترك التكبر » وقد نسب الزمخشري البيت إلى جرير [illegible]

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وروى بيت الفرزدق على وجهين ، والاحتباء معروف ، وفي النهاية : « الاحتباء حيطان العرب » أي ليس في البراري حيطان فإذا أرادوا أن يستندوا احتبوا والاحتباء [illegible] من الحلم [illegible] [illegible]

(٢) في (المصباح) : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٣) في صحيح (الجوهري) : « الثأى الفتق [illegible] [illegible] » وفي الأساس [illegible] [illegible] [illegible] وفي اللسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٤) النصف بالكسر ويثلث الاسم من الانصاف (التاج)

(٥) تنصف [illegible] [illegible] [illegible] (التاج)

(٦) في (النهاية في غريب الحديث والأثر) : « في ابن عمر أهل عمرة من إيلياء » هي مدينة بيت المقدس ، وولاتها اليوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٧) وفي رواية « عديد الحصى والعدد [illegible] » (المخندف) [illegible] [illegible] [illegible] في (اللسان) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وفي تاريخ الطبري في كتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٨) قال صاحب (ميزان الذهب) : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وهذا البيت يسير في أبيات الفرزدق أيضاً جداً[1] هنا وهو في ديوان جميل كأنه ابن عم كلامه ورواية في صدر صاحب بيته هي:

نسير أمام الناس والناس خلفنا … فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وأنه من توارد الخواطر غير المتنكر، وإن كان قول الأخطل «هو من معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ...» لا ينكر

ومما يُروى أضحوكة من الأفاكيه، وأعجوكة من الأعاجيب قول أبي هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) وهو هذا: «وعند الناس قصيدة جميل أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق»

وأنا أستعجب من أبي زيد محمد القرشي كيف لم يثبت قافية جميل مكان قافية الفرزدق في أول (المنتخبات) في كتابه (جمهرة أشعار العرب)

ألا إن الأدباء قد يفتنون كلامهم[2] وقد يهرفون بل قد يكفرون في الأحايين، وما قول العسكري هذا إلا من الكفر، فليختر من قافية جميل شيئة مروية في الجزء الثامن من الأغاني، فليراجعه من شاء من الفضلاء ليرى كيف يجور المتحكم!

إن قصيدة جميل أحسن من قصيدة الفرزدق وأعظم منها وأنظر عند النسناس[3] لا عند الناس

ومن تخبيط العسكري ما قاله في (كتاب الصناعتين) وهو هو: «كان البحتري يفضل الفرزدق على جرير، ويزعم أنه يتصرف من المعاني فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه في شعره في كل قصيدة خلاف ما يورده في الأخرى، وجرير يكرر في هجاء الفرزدق الزبير وجعثن والنوار وأنه قين لا يذكر شيئاً غير هذا. وسئل بعضهم عن أبي نواس ومسلم فذكر (أن أبا نواس أشعر لتصرفه في أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه، ومسلم جار على وتيرة واحدة لا يتغير منها) وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون في قوة صانع الكلام أن يأتي مرة بالجزل، وأخرى بالسهل، فيلين إذا شاء، ويشتد إذا أراد. ومن هذا الوجه فضل جرير على الفرزدق؛ قال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا … وقت الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه … برد تحدر من متون غمام

فانظر إلى رقة هذا الكلام، وقال أيضاً:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن … لم يستطع صولة البزل القناعيس

فانظر إلى صلابة هذا الكلام»

وفحوى هذا الكلام أن ليس التصرف في القول والتفنن فيه والإبداع قدرة، وأن الشأن كله في أن يلين القائل ويشتد أي أن يمسح العبقري من طبيعته التي فطره الله عليها ويتكلف الشدة أو اللين

وقد روى ابن رشيق في (العمدة[4]) قول البحتري الذي حاول العسكري علاقة حطه ثم قال: «فهو كان عنده حكم له (أي الفرزدق) بالتصرف، وبه أقول أنا وإياه أعتقد فيهما (أي في الفرزدق وجرير) وإنما لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع»

وقول أبي هلال في لين القائل واشتداده أو في تليين الكلام وتصعيبه ذكرنا بخطب في كتاب لا أسميه الآن كان صاحبه يكد روحه وهو يصوغ كذباً، ويزور زوراً، ويرمي يعجز المرء عند الرلاية ... ويجول ويقوم ويقعد ... لكن هل تحكي تلك الخطب بنصوصه أقاويل الأولين السابقين فتحور منسوبة إلى من عزيت إليه، وهيهات هيهات أن تحور! إن تكلفها، إن تصلفها، إن زخرفتها، إن فقدان الطبيعية فيها - قبل كل ذلك يصيح: قد صاغها صوغاً.

* * *

* الفرزدق

إني كذاك إذا هجوت قبيلة … جدّعتهم بعوارم الأمثال[5]

---

(1) [illegible] (الأساس)

(2) يفتن الكلام: يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء

(3) في اللسان: النسناس خلق على صورة بني آدم أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم. وفي الحديث عن أبي هريرة: ذهب الناس وبقي النسناس، قيل: من النسناس؟ قال: الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس. وروى الميداني في مجمع الأمثال هذا الحديث الشريف في أمثال المولدين

(4) قال ابن رشيق في المقدمة في كتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده): «وربما ألف الرجل من رواياته (أشعار العرب) الشعر والأشعار ... ذكر ذلك ابن رشيق في كتابه العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»

(5) في طبعة الصاوي: «جدعتهم لعظم آذانهم» وجدعهم هنا قطع آذانهم وصيرهم كأنه جدع آذانهم كما في الأساس واللسان

وكنت إذا طوبت قوماً حليهم ... على الجمر حتى يحسم الداء حاسم

« والفرزدق في هجائه واسع النطاق فسيح المدى كثير الفنون لا يقف عند حد في مناقشة خصمه، يذكر المخازي ويصرح بالمثالب، ويفحش ويتهكم ويختلق ويذكر العورات، ويخصب خياله فيحكم التشبيه ويجيد الاستعارة ويعرض على الأنظار صوراً شتى تمثل حماقة المهجو في نفسه وأهله وعشيرته من غير أن يزعه دين أو يردعه حياء.

وبراعة الفرزدق في هذا الهجاء وإحسانه — إن صح أن يسمى إحساناً — مشهورة مجربة في النقائض »

وقد اقتضى البحث أن يروي (الكتاب) شيئاً من هذا الهجاء فأورد طائفة، منها هذه المقطوعة:

ولو تُرمى بلؤم بني كليب ... نجوم الليل ما وضحت لسار
ولو تُرمى بلؤمهم نهار ... لدنَّس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بني كليب ... ليطلب حاجة إلا بجار

ومن هجائه المشهور قوله في خالد بن عبد الله القسري حين ولي العراق، أورده (الكتاب) في سيرة الشاعر:

ألا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تخطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه ... تدين بأن الله ليس بواحد[1]
أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فعجل هداك الله نزعك خالدا[2]
بنى بيعة فيها الصليب لأمه
ويهدم من بغض الصلاة المساجدا[3]

قال الكامل: « كانت (أم خالد) نصرانية رومية، ويروى عنه فيما روي من عتوه أنه استسقى من بيعة بناها لأمه، فقال للأمين للمسلمين: قبح الله دينهم إن كان شراً من دينكم...!

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من قوال موالي الأنصار، وهو:

ليتني في المؤذنين حياتي ... إنهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم ... بالهوى كل ذات دل مليح

(١) ويروى:
بنى بيعة فيها النصارى لأمه ... ويهدم من كفر منار المساجد
(٢) في البيت خرم وهو كثير في شعرهم
(٣) البيعة — بكسر الباء — معبد النصارى، والجمع بيع [illegible] ( ) [illegible]
وقد ضبطت البيعة بالفتح في مقالة [illegible] في رغبة الآمل (الجزء ٨ الصفحة ٢٢) وكتب اللغة كلها [illegible] الكسر

وفي رسالة هشام[1] إلى خالد [illegible] وتحاول تقديم [illegible] ما سبب [illegible] إشاعتك المجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبايتهم خراجهم وتسلطهم عليهم! نزع بك إلى ذلك عرق سوء من النصرانية [illegible]

ويروى أن خالداً[2] بنى البيعة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، وكان يضرب له الناقوس إذا أذن المؤذن.

(يتبع) (الإسكندري)

* * *

أوريا تخطى) — في القسم الثاني — مشدد الياء، وهو مثل الحزي كأسطا ابن خلكان، وكتب اللغة، وهنالك (أحواً ج) وهو احتراز و(عالة في الشعر) وهو وعلة و(نطيح جرو اشبه) وهو نطيح جرو و(حال أمير قرب الطهوي) وهو [illegible]

(١) ورسالة هشام مهينة، ذكرها الكامل بنصه
(٢) كان خالد من الخطباء المشهورين في العربية والرواية. وقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن خالداً كان من ولد شق الكاهن، وقال مؤلف (الوفيات) غير سكر ولا مختلط بل هذا: « كان شق ابن خالة سطيح وكانا من أعاجيب الدنيا، أما سطيح فكان جسداً ملقى لا جوارح له، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، ولا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس [illegible] وكان شق نصف إنسان، ولذلك قيل له شق، أي شق إنسان، فكانت له يد واحدة ورجل واحدة [illegible] » وفي الجزء (٦ - ٢٤٦) من (الرسالة الغراء) القول المفصل في أسطورة شق وسطيح التي نقلها الرواة والأدباء والمؤرخون كافة

علاج حديث مبتكر ولكنه قديم

منذ أن عرف الدين عرف أسلافنا الأقدمون [illegible] بالمراقد الطبية تلك الحالة التي تحدث لنا [illegible] في النوم، فهو يخفض القلب ويقويه وينظم عمل التنفس [illegible] ويطفئ الثورة العصبية، وبكلمة مختصرة يفيد النوم جميع أعضاء الجسم بما فيها النفسية

ومنذ ٢٥٠٠ سنة ذكر هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير في كتبه التاريخية أن النوم كان العلاج المحبوب عند قدماء المصريين [illegible]

[illegible]

[illegible] الحالي أكبر ... الفائدة [illegible] وعلامات [illegible] ولكن لا راحة ولا نظام [illegible]

[illegible]

قد كان لي قلب ! ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

جنحت الشمس إلى المغيب ، ومضى الهجير أو كاد ، وأنا جالس في مقعدي من مقاهي طنطا إلى جانب أيمم له وجهي في هدوء ، وبين يدي كتاب أتصفحه بين الحين والحين ، لأسرح النظر في هذا الناس ، وهم يتدفقون زرافات إلى حيث يتنسمون روح الجنة بعد أن هبت عليهم زفرات الجحيم تحسهم في الهجير ساعات طوالاً

* * *

ما هذا الفتى هناك يعبر ... يمشي وئيداً ، يتثاقل في مشيته ، مطرق الرأس ، منكسر العينين ، ساهم النظر ؟ إنه صديقي ... كأن ... هذه الشعلة التي كانت تتأجج في نفسه قد خبت ... وهو ... في حد الثلاثين ، وكأن روحه ... قد عبثت بها يد الأيام فاستحال إلى ما أرى ... ، أو هو ... ... تغير ...

عرفته وعرفني منذ سنوات وسنوات ، وعشنا معاً عمراً من العمر كان فتياً حلواً ، وكان هو ... كنت أعهده أبداً ... روح الدعابة الطروب ، والضحكة العالية الرنانة ، والنكتة الحاضرة الحية ... فما بال أراه اليوم ما أرى ؟ أهل حدثاً من حوادث الأيام قد انحط عليه فسلبه رواء الشباب وبهاء الحياة

وتعلق بصري به وهو يسير إلى جهة لا يرفع رأسه ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، كأن شيئاً في هذا الجسم المضطرب يهزه لا يسيه ؟ وأنا على خطوات منه لا أستطيع أن أدعوه ، ... الصوت عنه ، والنفس إلى لقياه مشوقة بعد سنوات من فراق أرغمتنا عليه دواعي العيش

يا عجباً ! لقد مسني روحه الحزينة ، فوجدت لذع الأسى في حرارة نفسي !

وحدثت النفس عنه برؤ صاحبي إلي

* * *

ورآني الفتى فبسطت أسارير وجهه مرتاحاً ، وأقبل فسلم وسلمت ، ثم جلسنا في صمت أنا إلى جانبه ، وهو إلى خواطر نفسه

وثاخ على الأسى والضعف ... فسألته ... كيف أخيرة ... المكروة ... الكتاب ... الناس ... فقلت إليه ... « أهكذا أنت ؟ »

قال : « نعم ، يا صاحبي ، لقد كان لي قلب فسبت ! وزورقت في بحره ... مكموة تريد أن تجد لها متنفساً ، فشملني حزن ... ووحشة ، وأنا أعيش روحاً ، وأعيش في أيام نحوه لا يتفجر في رواء ، ولا يندفع في حياتي ... ثم قلب في لحظة » و كيف ... كيف ؟ » !

قال : « أما القصة فهي قصة قلبي ... قلبي أنا ، هو قد ألقى بي في معضلات تتقاذفني ، فلا أجد منها الخلاص » . ثم سكت سكتة حزينة وكأنه يرشف ... ، أو كأنه يستدرج في نفسه أسباباً فيه الشجن والألم ... ثم قال : « ... فتاة كالطفلة ... فيها الجمال وفيها الأنوثة ، ولست فيها أشياء تجذبني إليها ... فدفعت إلى جانبها في طريق لا ... ولا يتحط بالكرامة ، وهي ... حباً مبرماً ، وحبانا عنادي ! ووجدت أنفسي ... إلى دارها ، بين ... والفتنة ... فلا ... وكيف ، وأخوها شاب في مثل سني ؟؟ »

« ... أيام وأيام ، وشيطان الهوى يشب في قلبي وقلبها في آن ... فلا تلتقي إلا على ميعاد ، ولا تلاقي إلا على شوق » وفي ذات صباح كتبت إلي : « ... الأسى وأنا أسير ... جانبك في عدم ... » فقد رآنا واحد من أصدقاء أخي الأكبر الذين ... معه منذ الطفولة ، ... فحمل إليه ... في غير تحرج ... وأقبل أخي والشرر يتدفق من نظراته ، وهو ... غضباً وحنقاً ! ... وراح ... على رأسي أنا ، ... ليلة ؛ وهكذا أصبحت ... يتندر به القوم ويسخرون منه ... هذه ... كالشيخ ... الضحكة ... لا أطيق الصبر عليه إلا أن ... منك قوة ، أو بلفتة رشيقة ! أنت وحدك تستطيع أن تقتل على هذا السير ... فيعود ... ! »

« وانكشف أمامي ما أردت ، فرحت أقلب الأمر في أحدى إلى رأي » !

وفي المساء جاءني حديثها : « ... تلك إذن أنانية الرجل ، يهوى ما انفسحت أمامه طرق الهوى ، ويعبث عنوتاً من العبث ؛ فإذا جد الجد حرج من إنسانيته ، وأنف بأن أحب في غرور جلف وطار مع آماله إلى حيث يختنق الحب ... ! »

واضطرب قلبي لهذه الكلمات القاسية ، فطرت إلى أحب من غير أناة ولا روية ... أسر إليه بأمر ، فبدت على وجهه سمات العبوس والطمأنينة . ثم تباعدت وفي نفسي أن الأزمة قد تفرّجت على حين لم أسر أنا شيئاً

وبعد أسبوع إلى ، وفي رأيه أن امرأة أخرى قد ربطت بيني وبينه ، فحسبته في هواه ، واضطربت عنه في وهن

وعبرت زمناً لا أوصد القلب دونه ، ولا أبين لكلماته ، والفتاة تستحثني إلى أمر ، والقضاء من ورائهم يدفعني إلى حتفه

وعلى حين غفلة مني ألقيت إلى أمها القسم ، فإذا أنا زوج للمرة الثانية

وتلقى الخبر إلى زوجتي الأولى ، فهرعت إلى أهلها ، وفي أحشائها بضعة مني ، وخلفتني وزوجت قلبي

* * *

ودخلت زوجتي الثانية داري ترف وجهها الأمل الحلو ، فملأ الدار والقلب جمالاً ورواء ، فسكنت إليها وسكنت هي

وسيطر على الشوق ، يزال على قلبي ، فرحت أذكر ما اقترفت من جرم جرّته النزوة الهوجاء على زوجتي الأولى وعلى ابني جميعاً .. فأصبحت لا أنال السمع إلى صيحات هذا الطفل ، ولا آلو بآلام الزوجة المسكينة ، ولا أعبأ بزفرات المسير

ورأيت أهل زوجتي الأولى جانبي يطلب ، وجهي بغير ، وجوابي بكرم ، وخيانتي بإحسان ! .. على حين كانت الزوجة الثانية تمد إلى جانبي ، وتبذل غاية الجهد في أن تسيطر على قلبي حيث تفصل بيني وبين زوجتي الأولى وابني ستاراً كثيفاً من النسيان ، وتصنعت الأيام فرحي بأمس

وهب القلب من رقدته بعد سنوات ثلاث ، فانطلقت أريد ابني وقد فقدته منذ زمن ، فما أبت الزوجة ولا استعصى دورها فإذا ابني بين يدي ألثم فيه أباه حنوناً ، أداعبه فيبسم ، وألاطفه فيضطرب وأضمه إلى صدري فيطمئن لي ، وكأنه يحنو ... كنت لا أحنو عنايته ، فاستشعر الذل والمسكنة ، وأنا ما أزال ... طرحت من قدره وفي رأسي عاصفة هوجاء ما تستقر !

آه ، لقد رهبت أن قلبي يطمئن حين أخلص إلى ابني وزوجتي وحاولت أن أطرح التي أحب وطرحت معها قلبي ... آه يا صاحبي ، لقد كان لي قلب فصمت ، وأنا الآن — كما ترى — أضرب في أرجاء الأرض وحدي لا أجد القرار ولا أستمتع بالحياة . لقد خيل إلي أن المرأة مصلحة فإذا هي راحة القلب وبهجة العمر وجمال الحياة ، فأين أجد السلوة يا صديقي ؟

* * *

وأردت أن أرفه عن صاحبي بعض ما ألم به فخذلني عجزي وهو يقول ، ولا عجب لقد طفحت فنهنه من أحزاني ، إن في النفس حسرة وفي القلب جرحاً ما يندمل ، وفي عيني عبرة ما ترقأ ، وفي كل الفجر أراد أن يخلص من همومي مثل ما جنت نفسي !

كامل محمود حبيب

من الأدب الألماني

محاورة عن الألمان

لهينريش كلايست

بقلم الدكتور جواد علي

الشاعر الألماني كلايست Heinrich Von Kleist (١٧٧٧ — ١٨١١) من أشهر المجددين في عالم الأدب الألماني ومن أصحاب (الدرامة) في عصره. أصبحت معظم قطعه ... إلى عالم التمثيل والأوبرا. ومن القطع التي أتاحت لها الفرص زيارة (دور الأوبرا) وخصوصاً الألمانية منها شغلوا أصحابها وأطلقوا على مسرح قطعه الخالدة مثل: أمير هومبورك (برنس فون هومبورك) و(كيتا فون هايلبرون أو محاكمة بالنار) ... (كتب كروغنشتاين)

على أن الحروب النابليونية الألمانية (البروسية منها بالخصوص) قد حولت اتجاهه إلى اتجاه آخر هو الاتجاه الوطني السياسي الخاص فأصبح شعره منذ هذا العهد من نوع آخر يتأثر (بواقعة Hermann) كقصيدة كرمانيا إلى أبنائها وبمعركة هيرمان (هيرمان شلاخت) وفي القطعة التالية محاورة عن الألمان التي ألفت على الطريقة الأسبانية للأطفال والكبار، أمثلة خصوصية عن حب الأدب الرائع والوطنية الألمانية. وقد ترجمت إلى لغات كثيرة فلذلك رأيت ترجمتها إلى قراء الرسالة

س — تكلم أيها الطفل من أنت؟

ج — أنا ألماني

س — ألماني؟ أنت تهزل. ولدت في مايسن. والأرض التي تقع فيها مايسن تسمى زاكسن؟

ج — ولدت في مايسن، والأرض التي تعود إليها مايسن تسمى زاكسن. وسكني وطني، الأرض التي تقع فيها زاكسن هي ألمانيا وولدك يا أبت هو ألماني

س — أنت تحلم. أنا لا أعرف أرضاً تقع فيها زاكسن، إلا إذا كانت تلك التي تسمى بلاد الراين. أين أجد ألمانيا هذه التي تتكلم عنها وأين تقع؟

ج — هنا يا أبت لا تشوش علي

س — أين؟

ج — في الخارطة

س — نعم على الخارطة (خارطة سنة ١٨٠٥) ... علم ماذا حدث في سنة ١٨٠٥ حين تم عقد صلح بريسبورك؟

ج — نابليون، القيصر الكورسيكي، حطمها ودمرها بعد الصلح بظلمه وجبروته

س — والآن؟ ومع ذلك فهل هو موجود؟

ج — بكل تأكيد! ما هذا السؤال؟

س — منذ أي وقت؟

ج — منذ نهض فرانس الثاني قيصر الألمان القديم لبناء ما خرب، وعند نادى الشعب الشجاع للانضمام إلى الجيش الذي يقوده لإنقاذ الوطن وتحريره

عن حب الوطن

س — تحب وطنك أليس كذلك يا ولدي؟

ج — نعم، يا أبت ذلك ما أحسه طبعاً

س — لم تحبه؟

ج — لأنه وطني

س — أنت تعني لأن الله بارك فيه بالأثمار الكثيرة وزينه بقطع نادرة من الفنون الجميلة، أو لأنه أظهر أبطالاً ورجالاً وأصحاب حكمة، ربتهم بمن لست لأحصيهم عدده

ج — لا يا أبت إنك تشوش علي

س — أنا أشوش عليك؟

ج — إذا كانت روما ودولتا مصر القديم كذلك بالأثمار وبالقطع النادرة من الفنون، وبجميع ما هو عظيم وكبير كما هو أعظم وكثير من ألمانيا. ولكن لو ساق القدر أبناءك إلى السكنى هناك لشعروا بالانقباض وضيق الأرواح، ولما أحسوا بالحب لها كما يحسون لألمانيا

س — إذاً لم تحب ألمانيا؟

ج — لقد أجبتك يا أبت

س — أجبتني؟

ج — نعم لأنها وطني

عن تربية الأطفال

س — ماذا حكمك الله، وبنيّ في حب مغتصب نابليون على ألمانيا وإقلاق راحة الألمان؟

ج — لا علم لي بذلك

س — لا علم لك بذلك ؟

ج — نعم يا أبت

س — وأنا أيضاً ، ولكني أرجح سهام عسكري نحو السماء بين أصبت وبعدت ، وإن لم أصب لم أخسر . أتعيب ذلك علي ؟

ج — كلا يا أبت

س — لعلك تقول ذلك لأنك تعتقد أن الألمان في قمة الشعوب كما تكون الأشياء بعضها أرفع من بعض

ج — أجل يا أبي

س — إذاً فقد كانوا على الأقل يسيرون دائماً في الطرق المستقيمة للوصول إلى ذلك ؟

ج — لا يا أبت ، ليس ذلك أيضاً

س — عن أي الأبطال تحدثت إليك ؟

ج — عن الأبطال ؟

س — نعم عن الأبطال الذين يحتفي بأبنائهم هذا الجنس

ج — كل أبطال الشعب الألماني كما ذكرت لي قد أزهر وكان العلماء الأذكياء يعكسون ما ينعكس عليهم ، ويمحصون من ذكائهم ، ولكن تلك القوة السحرية وتلك العاطفة الفنية قد رفعتنا

س — ألا تعتقد أن الأبطال ينطبق على أبيك الذي عبد الله أيضاً ؟

ج — نعم ، والنبي العزيز

س — أين تكون الآخرة ، وأين تكون الجنة ؟

ج — الآخرة تكون في حب الله والتاج ؛ أي أنها تكون في الأشغال بالتجارة والحركة ، حيث يتصبب العرق من الجبين ، ويمشي المرء مشية هادئة مرحة بلا هم ولا غم

س — إذاً لم هذه السكينة التي صب الله على هؤلاء الناس غمرت الأكواخ وغنت للزروع ؟

ج — كي يتطهر هؤلاء من تاج الدنيا ويهرعوا إلى الله فيتقربوا إلى أعظم سلطان مهيمن على العالم ، وهو الله

س — ما هي أعظم مقدسات الإنسان ؟

ج — الله والوطن والشعب والحرية والحب والإخلاص والجمال والعلم والفن

عن الحاضر

س — ما هو ذنب من خالف أوامر الأمير كارل وهدامه الذي أذاعه على الشعب أو عارضه بالقول أو الفعل ؟

ج — الخيانة العظمى يا أبت

س — لماذا ؟

ج — لأن الشعب الذي ينتمي إليه هذا الخائن مضطهد

س — وما الذي يجب أن يعمله إذاً أولئك الذين خانوا الوطن وانضموا إلى صفوف الفرنسيين لإذلال الألمان ؟

ج — يجب عليهم إلقاء السلاح حالاً والانضمام تحت الرايات النمساوية

س — وإذا لم يفعل أحد منهم ذلك بل ظل يحمل السلاح فما يكون نصيبه ؟

ج — الموت يا أبي

س — ولكن من يستطيع وحده أن ينقذه من هذا الموت ؟

ج — هو فرانس ، قيصر النمسا وحامي الألمان

الماضي

س — أيمكن يا ولدي أن يصل بعض قياصرة ... إلى استعمال السلاح لينقذ حرية الألمان ، ولكن الأقدار لم تساعده على ذلك . ألا يهال عليه التراب والأحجار كلها ، أم قام القيصر بذلك ؟

ج — لا يا أبي

س — ولماذا ؟

ج — لأن الله هو الحاكم المهيمن على العالم لا القيصر فليس في يد القيصر ولا في يد أمته كلاهما مشيئة تمكنهما من كسب المعارك متى يشاءون

س — وهذه الآلاف من الناس ، والمدن التي هدمت والأرض التي خربت ، أنسي كل هذا عبثاً ؟

ج — نعم يا أبي مع ذلك ؟

س — ماذا تعني مع ذلك ؟ حتى ولو هلك جميع من في الأرض من رجال ونساء وأطفال ، هل تجد أنت الكفاح ؟

ج — نعم يا أبي مع ذلك

س — ولماذا ؟

ج — لأن الله يريد ذلك ، يريد الموت في سبيل الحرية

س — وما الذي يريده الله أيضاً ؟

ج — سيادة النيوبرية

[illegible]
[illegible]

الجبر والاختيـــار

في كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتي]

للأديب السيد محمد العراوي

٢

« ولولد الحي أمثل من السكون ، ومشاكلة السالم لا تكون ، وقلة الدنيا منقطعة ، وسعر الميت غير حي ؛ إلا أنه لله لي ما حصر ، فسبح نفسك الخالق في الصلاح »

هذه الفكرة مسيطرة عليه في كل الكتاب ، هو مؤمن بها إيماناً حسناً جاء من معرفته لله عن البحث والنظر ؛ وهو أصل يجريه في اللزوميات كثيراً

أرى فلكاً ما زال بالخلق دائراً له حركات ما يصانُ ونحصا

وهو يبحث عنه ويسلكه هذه فلا يهتدي إليها ؛ فكل ما كان للبشرى من اضطراب أو حدة فإنما منشؤه هذه الحكمة الملقاة عليه ، هو يقرر بأن الله « يقدر أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، ويكون بنانه مجاري دمعه ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبيه ، ويمشي إلى الغرض على هامته ... » ثم هو يعترف بأن « ذلك في القدرة يسير » ولكنه يتساءل عن حكمة الله في هذا النظام ، وهذا التنوع من الخلق ، ولم كان هذا ولم يكن ذاك ؟ وهو يرى أن « يؤتي الملك ملكه فيسر الصعلوك على عدمه ، ويكاس الجيل بحسنة الجمال ، هو سالب القبيح - ، فيد الله المعطية والحرمان[1] » وهو يرى « أن الصبر حسن بالتوقير » ولكنه لا يدري لماذا فيقول « والله العالم بم ذلك[2] » فهو يتساءل على أي نظام كانت هذه العطية وذلك الحرمان ، وعلى أي اختيار حسن الصبر بالشيب ، والتبول ما سبب هذا التعريق في الثروة والرزق « والناس بنو رجل وامرأة » ويستمر إلى ذلك عاقل من الاستسلام فخاطر « ومن عند الله نعمت المقدور »

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٤٤

وإن لمعرفة هذه الحكمة الملقاة عليه فيطلب ويتعرف ، فهو مول عليه ؛ فإذا ما علم أنه قد أوشك أحاطت غلو في فهم حكمتها الألهية وحدث عنه ، ولكن أدرى على حاله ذلك من وجه نفسه ، « إنه أما كرجل مُبتلىً بالصدى ، لا يجد ورداً ولا مورداً ، ضحى كل أبداً ، إن ورد حرم رفقاً ، وجاءه مصعوقاً ، ألحَّ عاصفه نزوعه أموزه الآهة وتلبين ، فيجاهو كذلك هو على رحل يجزع بجرب ، فشكا إليه فرط الكرب ، فقال : يأتيك إن شاء الله مزيد فاصبر على انزعاج الزمن ؛ فلما كان الغرب بعيث ريثاً فغرب الوجم ، وماء الثلج[1] »

حائر والحيرة توجب عليه الحذر والاحتياط ، فهو يحيى في ريبة مما يراد به ويكون ، فهو إذا قال « ما أنشأك ربك لعبث » ، واثق أنه لم يخلق عبثاً ، وإن لم يستبن وجه الحكمة في هذا الإنشاء ، فهو يحتاط ويحذر مما قد يكون من أمر هذه الحكمة فيقول « نأى عن القبيح والرّفث ، وسبّح في النهار والليل[2] » وهو يصرح بأن « العالم الذي لا يأيس ، يحمّد الله ويقدس ، وسر طاعته لا ينسى ، لعل الأجل يحركه من أهل السعداء[3] » أي هو دون ذلك سواء يجزم بشيء أبداً . فعيشته تقتضي ألا يكون هناك يأس ، وهي كذلك تقتضي أن لا ثقة ؛ وإنما هو يقول « احسروا إصلاح كم جاءه اللأمور بعد السدود وأسكم الرمال ، وحصو الثار ولو هم على طلب للنجوم ، وغضب بكر الشبوب ولو أسكم الجبال حوماً ، فالظالم يلقى ما عمل ، والمظلوم سيفت مُنصفٌ فصد المصوّت لا ظالماً وجد ولا مظلوماً[4] » فهو لا يأمن لشيء ولا يثبت شيئاً ؛ وإنما يأمرك بالحيطة والحذر لأنه لا يدري يقيناً ما يراد به شيئاً ، ولا يشك فيه شكاً صريحاً . فلو ما كان لله حكماً ، وهو ما يجريه للورى تقريراً ، وإنما ما كانت حكمته خافية فالخير للإنسان أن يحذر ويحتاط . وهذا الحذر والاحتياط لن يحصلا إلا بالسداد والنسك والتطهر والتحلي بالمعالي ؛ ولكن ما هي هذه الحكمة ؟ ما شأنها ؟ لم أجرت أموراً على وجه دون آخر ؟ لم سخر من كمنع الإنسان وغرض عنه ما يريد ؟ لم لا عدل بين المخلوقات بين الإنسان والحيوان والجماد ، بل بين

(١) ص ٣٤٦ (٢) ص ٦ (٣) ص ١٦ (٤) ص ٤٣٦

للإنسان والإنسان والحيوان والحيوان؟ على أي أساس بنى أحكامه هذه؟ هو لا يدرى من كل ذلك شيئاً فيحار حيرة ناشئة من وضعه وضعاً شديداً أن يكون العالم ليس من حكمة، وأن يسير إلى غير غاية وإلى غير غرض، ويرمى إلى غير قصد

وأبو العلاء مؤمن بأن هذه الحكمة تنظم الكون، وتسيطر عليه سيطرة لا تدع لقوة ما أن تدحض هذه السيطرة فتهرب بنفسها ينعطف إلى الخير فلا ينعطف، وكيف وقد نادى خالقه بإسكان « أو تحول من حكمها شيئاً « فيأيها الخاشع لا يسبك الجامح، الفلك أسعد منك بل ماشئة لا روح في الروح، حل من الشمس والقمر في حلقات أطواق كالطراب »[1] وإنما نظمه نظاماً آلياً قويا لا يشذ، ولا يحيد؛ فإذا ما أدرك ذلك صرخ: « قد دروت من عمر الله فإذا هو أمر الحياة، هل أنا على غير الأرض، أو أدور من تحت السماء؟! أوحت فأصبح إمام المسلمين، وجرت وهو مع المجرى. قال وجرى مع القناة والمرسين. »[2] فلا يمكن للمرء أن يحيد عما يراد به، فهو مجبور على ما يأتى من أعمال « والمرء يجبر والشيء الأمور بحسب أنه يملك ويجور، كتب الله النفوس »[3]، وليس أصرح من هذا النص ولا أجمل في بيان مكرته « إن أنا أمر في ربي قد أعدت له الدية، ينتظره أمر الفلك فتجرى الشمس على الأوراج »[4] وإن ذلك ليرهبه، ويملئ خاطره بهول، فيشكو من القسمة ويهول في النفس، أي أسلك من العدم سبباً، أذهب النوم وأطال الأرق، وأقل رعبى من الشرب أن لا أحد من ذلك مدمعاً »[5] « ربما تسيرون بحكم الله كما سبق من كل مسلككم، وله من الترجيح عليكم، وإن تسمحوا وراء شيء الحجب فالقدر معكم، لا يزال من قضاء الله »[6] فهو يوصي بعد ذلك أن « اصطبروا على ما حكم إنه رائى السكنات » و « دع الأقدار وما تريد فإنها لا تصرف عن حب راغبين واعلم أن ربك لا يهجم على أحد الأهليك »[7] و « من عند الله سعد المسعودين »[8] و « الشر على جبهة قائله موسوم »، و « ربك أولع بالأنس هباؤها »[9] فهو يشكو،

(١) ص ٦٦ (٢) ص ٢٥٩ (٣) ص ٢٧٤ (٤) ص ٣٨٣
(٥) ص ٢٤٢ (٦) ص ١٢٦ (٧) ص ٣٦٩
(٨) ص ١٦٥ (٩) ص ١١٨

ويتقدم استقلالاً سعيداً حتى يضرب على القضاء مرب « فتحول إلى شرك الوعد، ومن نرى ما لاح لها من فرع فيزول ليرجعها معه إلى أحد ثلاثة شهود: مُحَط صهوة، أو منسكب من بحر، أو مذنب من جرح، ما من عين ما حس ريبك راسب »[1]

هذه الفكرة تقوم من فلسفة المعري في « الفصول والغايات » مقام الوزن في القصيدة، فهو حين يتكلمه عن حكم القصيدة فلا يخرج عليه في أي جزء من بيت، وهي تقطف فيدور حوله الأفكار بمعانيها المختلفة وألفاظها الشجية. فكل تفكير المعري إذن يدور حول هذه الفكرة، أيا ما كانت صوره ومعانيه وألفاظه. فإذا ما نظر في الشمع أي وراء هذا الظاهر؟ وإذا ما تمثل الكون بتفكيره في هذه المعنى، وهو قد يصطنع من الأساليب الغريبة، ومن متون الكتابة ما يصرف المرء إلى غوامض الأشياء؛ ولكن الأمر لا يزال عند ما عرفت من قبل: فلو تخطينا حاجز الظاهر المختلف ألوانه وصوره، ووصلنا إلى ما وراء هذا الظاهر لألفينا الأمر منضبطاً يدور على ما وصفت، لا يكاد يند من ذلك شيء إلا ما أملته التقية حيناً، وفرضته الأهواء السياسية حيناً، وأوحى به عبث النفس حيناً آخر

وتفكير أبي العلاء في الحيرة يحدد صورتين غير مختلفتين إلا بابتعاد الشيء عن مظهره، فهما يمثلان في الكون وأحد مظاهره وهو الاجتماع

* * *

وأول ما يشغله في الاجتماع الأرزاق « والأرزاق تحت مقسومها »[2] بيد أن الرزق لو أن له « لساناً عتب على رقد، أو يداً ضرب للصحيح فيه، أو عيناً لوجل على حسده » لا يزال الرزق مسابقاً على العامة ويبقى الطير التائه على ماء الطمع، فلو نصيبٌ من الروح الخاشي، صارت تلك الطير بادية »[3] « فلا رد من حيث حدث ولا تبل، أمس واد أتاك الرزق أم من جبل. فإن ألطاف الله طارقتك من كل أوب »[4] وهو يدعوك الأعرب، ويؤكد لك أنه « يأتيك رزقك ولو جمع من أشتات »[5]

(١) ص ١٧٣ (٢) ٢٣٤ (٣) ص ٣ (٤) ص ١٥٩
(٥) ص ٢٣٩

« وذلك بقدر الله لا بحسن المساعين »(١) . وهو يلاحظ إلى ذلك أن من الناس من لا يعمل ولا يجد ولكنه يظفر بما يظفر به ذلك العامل الجاد « فالله عز يطعم حرص ، يُيَسِّرُ رزقه وبه حرص ، وآخر تتعذر عليه مشبعة يهماء ، كُلِّفت إليه الفضاء »(٢) . فهو يرى أن كثيراً منهم يعمل جهداً كبيراً فلا يظفر بشيء « فالرمي أبي اصابه تمر ، والمجدود أبي يقع لا يظفر بالنجاح »(٣) وأنه ربما عنّ جد ، فالك ... ، وأنت طريح الأحلام »

فهو يلحظ في كل هذا أن الرزق ميسر لك « ما سعيت به الفهم ولا عرى الجبن » وهو يردد ذلك المعنى في اللزوميات كثيراً

نصيب الرزق للأنام قائمة ... مع العجز ذاك النصيب

وهو يلاحظ أن هذا التقسيم يجري في عسره ويسره على قواعد خفية غير مفهومة

حد مقيم وغاب ذو سمر ... كأنه في المصير حرباء
قسمة لا ينال ولدها ... عار في كونها الأرباء

وهو يلحظ إلى هذه إرادة عجيبة تسخر من محاولات البشر وتقدمهم « فالمرء يسر ويسيره الأمور ويحسب أنه يملك ويحوز كسب ... اللصوص »

ولم يقتصر بفكرته هذه على الإنسان وإنما تعدى بها الحيوان من ناحية الرزق والقسوة . أما من ناحية الشرور فهو كالإنسان تجري عليه الأقدار — خاضعة مبهمة — لا يدرك قبلها أو سرها ... سواء . فالنوق يجيئون من حلب إلى حواء والحام سحقة جيوش الطيور ... صاح القلبه ... وترفع حذاق الشمر ... ظلام ، ... مثل العار ، أخفتها أمس الحبالة فلمست بالبرص ، وصادفتها في اليوم ضراء الكلب فكم إهابها يشقه ... وسلمت ... وفي الغد ... بعض سهام الرامين ، فلم ... الأحداث(٤) » وهو يسوي بين الحريص والأخرق من الحيوان والإنسان في القسوة « ما يحصن ... عرق وقع في حبالة آمن ، فتنق أحد النتق ، أيها خلاص من الخلاص »

ومن ناحية الأرزاق كذلك عرض عليه في شعره الشخوص التي تجري على الإنسان . فجسم فظلم الحقيقي ولم يوجد ... يسمو على الحمى والحديد ؟ وعمي الأول السعدان ، ويعمو الأوجب عند السعدان ، وكذا قليل ... ثم إن الحمل الأكبر يصبر على عطش ، والقلى طويل صبر على العطش ، فهو يتساءل عن ذلك جميعاً ويتساءل لم خص الطبيعة هذا بذلك ولم تعطه غيره ، ولم يحتاج الظالم إلى الزاد والأرض ... الشراء المتاحة ... بالعشب والنبات !

وإذن فالحيوان كذلك لا تسير عليه الأرزاق حسب قاعدة معلومة ، فنحن لا حيرة لنا إذن في تعليل هذا ونحن كذلك لا حيرة لنا في كسبه وملاءمته الطبع والاقتناع به

فهو يكل الأمر جميعاً إلى نظرية الجبرية والجبر المطلق الذي لا تحده إلا هذه القيود التي لا ... أبو العلاء علام كانت ... حكمة بين أحكامه في العطاء والمنع ، في الحصى والرخم . وعلى ذلك فهو لا يعد المجتمع من هذه الناحية ... فالناس ليس لهم بما يجري بهم يد ، وليس لهم في أرزاقهم تصرف . إذن فما يحزنه من فروق بينهم ... هذه الأقدار والأرزاق ... وليست بذنب حضر ولا أثم

ونحن إذا وصلنا إلى هذه المرحلة من تفكير أبي العلاء نجد أنفسنا أمام رجل يفرد حوضاً على المجتمع ونظامه ، يعدد آثامه وأخطاءه يائساً من إصلاحه والسير به إلى الخير والعدل والأمان ، حانقاً ... أسماه الأحرار « بأن الوحيد في العالم لا يصحبه عيب من سواه » ، ويدعو إلى إصلاح بالتعاطف والتراحم والمودة

ووقفه من النظام الاجتماعي نتيجة مباشرة لآرائه الجبرية فهو كما قلت لا يريد أن يبني أحكاماً على أشياء ليس بها البشر ... خارجة عن حدود تصرف البشر . لا يريد أن يصلك بمال أو عمل أتاك به الحظ والقدر ، وهو لا يريد أن يعطيك الفقر لم تكن لك به يدان وأتى الهية تعانيك منه . هو لا يريد أن يسلك هذا المسلك الذي سلكه كل الناس وعليه بني المجتمع أحكامه . هذه القوانين تجري على ظلم لو كانت بيد الخلق لتشيّب

(١) ص ٢٢٢ (٢) ص ٢٩٠ (٣) ص ٦٦ (٤) ص ١٩٩

شهوراً يقف من هذه الأوضاع التي جعلت الفاجر عفيفاً والفاسق مهموماً على [illegible] ثم [illegible] إلى الناس بنو وطن واحد، ما أروق للمؤتمنين من الشباب » . فأين ما كل الاختلاف بين الناس [illegible] من [illegible] ومن أن يلصقوا جميعاً إلى صفات مشتركة عامة، و « الناس في نظر الله سواء » . هم سواء رغم اختلاف طبائعهم وأوضاعهم الاجتماعية وتقدير الجميع لهذه الاختلافات والأوضاع تحيلنا إلى الحياة واحدة، وخروجنا من الحياة واحد كذلك وما دمت ستنتهي إلى حد تستوي فيه الناس جميعاً، مهما تكن أوضاعهم الاجتماعية، فجدير بك أن تنصف من الناس، وألا تسرف في [illegible] من [illegible] الأقدار وقدرتها تقديراً، وجدير بك أن تسطو على الصغير وأن [illegible] جهلاً وجده عند الله « ولا أحد » [illegible] أمرك على الدنيا أمرك » من؟ وأماناتك التي سورك؟ كلا . [illegible] أمرك . »

هذه نظر أبي العلاء في ظاهرة من ظواهر السكون، فأما [illegible] في السكون نفسه، فهو امتداد لتلك الفكرة أو [illegible] على وجه أعم

(البقية صلة)

السيد محمد العزاوي

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يكتب مكانه بين قواد حركتنا القومية؟

للأستاذ محمود الخفيف

أ [illegible] حيرة توفيق تلك أن جاءت ماليت وحملت بذلك فكرة أخرى من حلوله التي كانت تسهل سير الحوادث أبداً نحو الغاية التي رسمها الإنجليز والتي كان الوصول إليها معناه التهام مصر وازدراد تلك اللقمة التي طالما هفت انجلترة نفسها إلى ازدرادها

ولعلنا نذكر من موقف توفيق السالفة ما كان يهيئ به الحوادث من طريق الفتن والثورة حتى صح الذي أدى إلى انضمام الطرفين العسكري والوطني وتظاهرهما يوم تمكن الدستور وأخرج شريفاً من الوزارة وهو الذي نص على ماضيه أنه غير مسئول عن مظاهرة عابدين ثم جاء الآن عند المذكرة المشتركة ما جعل أعمال شريف للمرة الثانية وصدم الوطنيين صدمة لم يدع لهم بعدها رجاء فيه

وليس بعجيب أن تكون خطة توفيق كلها منصبة إلى الاقتراب من العسكرية بما كان يعمل من الأوامر وهؤلاء

عن جيوشه الطمس الذي يقصدون إليه بحيلتهم، ولكن توفيق قد دان بعد نفسه حتى جرى في صف عرى الخديوية وبعث أن يؤيد جانب الإنجليز في كل شيء؛ لأن في ذلك كما [illegible] السلطة التي كانت تحيط عرشه

وأراد الخديو كما رأى ماليت أن يحكم المجلس العسكري على الشراكسة من الجراكسة حكماً [illegible] الوزارة [illegible] ورأت الوزارة من جانبها أنها ستسلك في المسألة منذ بدايتها مسلكاً لا ترضى به [illegible] بذلك تمسكت بالحكم الذي أصدره المجلس، وعمدت إلى أن [illegible] الحكم من شأنه أن [illegible] ثم أنها فوق ذلك ترى التخفيف [illegible] من جانب الخديو ذلك الذي كان يتخذ بالأمس أعظم النفوذ يوم [illegible] عرابي وصاحبيه إلى [illegible] كذلك لمجرد أنهم شكوا إلى أولياء الأمر حالهم [illegible] ومن هنا [illegible] أن البلاد [illegible] من أدنى [illegible] كل [illegible]

وكان الذي يغضب الأمة والوزارة في الواقع [illegible] وآله تدخل الإنجليز في تلك المسألة التي لا صلة لهم بها ولا [illegible]، وأحست الوزارة أن غرضهم هو إحراجها فحسب، ومن هنا أصبحت المشكلة مظهراً [illegible] كل الخطر، فقد وجد الوطنيون [illegible] موضعاً [illegible] الكرامة الوطنية والعزة القومية، ورأوا الظروف تعود من جديد فتظهر الخديو أن لا سبيل له إلا سبيل الوطنيين [illegible] عن [illegible] [illegible] البلاد [illegible]

ولقد فرح المستعمرون، لا ريب، أن تعقد المشكلة على هذا النحو [illegible] أنها من صنع أيديهم، ولذلك كانوا لا يألون جهداً في العمل على [illegible] بكل ما وسعهم من مكر وخبث، وراحت صحفهم [illegible] الأخلاق اختلالاً، لا تتورع ولا تتوانى ومن ورائها رجال السياسة ورجال المال يصورون مصر في أبشع حالات الفوضى والاضطراب، فقد سيطر رجال العسكرية وسيطر زعيمهم عرابي على كل شيء، حتى ما يقف في طريقه حائل من قانون أو [illegible] الحرب والتخريب على مصر

وكان الخديو في الواقع [illegible] يستطيع أن يجد [illegible] مصر [illegible] ولكنه ألقى نفسه سلب الإرادة أمام إرادة الإنجليز، بل [illegible] أن [illegible] وزارة البارودي [illegible] [illegible] ويتخلص بذلك من عرابي الذي [illegible] أشد النفرة حتى [illegible] أن يسمع اسمه .. [illegible] عرابي

من تلقاء نفسه، إذاً لحال الخلف وحب وطأة الدول على النفوس منه كان يمكن أن يقال يومئذ إنه ارتأى رأياً؛ وإنه يحتوي أمير أو يحتوي الشر حسب ما يرى، ولكنه والحق كان يحتوي على الرجلين بمسمعه فلم يكن يريد شيئاً وإنما كان يراد له كل ما يأخذ أو يدع من أمر

ومما طالبت فأوحى إلى الخديو أن يتخلص من فكرة عرض الأمر على السلطان، وحجته أن هناك رجلاً يحمل لقب الخديوي، فلا يجوز لأحد غير السلطان أن ينزع منه هذا اللقب. وسرعان ما عمل توفيق كما أشار به ماليت فزاد الأمور ارتباكاً وتعقيداً

ولقد أخطأ ماليت خطأً كبيراً فيما أشار به، فإنه حين يدعو تركيا إلى التدخل في تلك المسألة، الأمر الذي كان يعتبره البريطانيون أعظم الخطر وإن كانت إحداها تخفيه، بينما الأخرى لا تتحرج من أن تعلنه في كل مناسبة وتنسبه

أما الوطنيون فقد غضبوا لتلك أشد الغضب، ورأوا فيه ضربة جديدة من لؤم ماليت، فأجمعوا أن يقفوا تدخل تركيا مهما كلفهم ذلك من وجوه التعب والتفاني. وبلغ الغضب برئيس الوزراء أن يقول في عزم مصمم «إنه إذا أرسل الباب العالي أمراً ينقض حكم المجلس العسكري على الجراكسة المحكوم عليهم، فإننا لن نطيع هذا الأمر، وإذا أرسل الباب العالي من قبله مندوبين، فسوف لا نسمح لهم أن يهبطوا مصر، وسوف نردهم بالقوة إذا لزم الأمر[1]»

وهذه لا ريب ثورة غضب من البارودي سددها من أصابه فقد أفضى بها التصريح إلى ماليت، وهذا أرسله إلى حكومته وإنه لشديد الاغتباط به إذ يسوقه دليلاً على أن الأمور قد بلغت منتهى التحرج؛ ثم إنه يسوقه من الجهة الأخرى دليلاً على صدق ما ذكره مراراً وهو تسلط زعماء الجيش واستهتارهم بكل سلطة ووجوب عرقلة من حملات الكاذبين ... وعلى مسئولية هذا التصريح كأنما كان هو قائله، وأحسب الزعماء أن البارودي إنما يعبر بوحي من عرابي الذي يعتبر الحاكم المطلق للبلاد

الحق أن البارودي قد أساء إلى القضية إساءة كبيرة بهذا التصريح، فهو فضلاً عما ذكرناه إنما يتحدى السلطان في ذلك الوقت العصيب فيضيف إلى أعدائه عدواً جديداً، ويعطي الفرصة الأعداء من كل جانب حتى يبرهنوا به أن يعملوا لإبطال الحماس من صدورهم، أو يكسب من الأعوان والأنصار من يكونون له في الشدة عوناً وسنداً

وليس البارودي كما فهم من المسألة المصرية ويخفى عليه كان يكره يد حل السلطان العثماني كما يكره يد حل إنجلترا ومرجع ذلك ولم يكن ذلك عن حب في استقلال مصر ورغبة في سيادتها، وإنما كانت لهذا الرجل أطماع جنية الخطر. فكان يتطلع ببصره إلى عرش مصر، وكانت توسوس إليه نفسه أنه سيعتلي ذلك من عروته وقد تمكن منه القديم فهو كما زعم من سلالة الأشرف (برسباي)، وعلى ذلك، فقد كان حقه من دون غيره على تلك العرش الذي حرم اليوم إليه نفسه، والذي يجيء أن لا يشايع تركيا الأمير عبد الحليم فيتربع عرشه إذا أخلى من صاحبه عنه

وكانت النتيجة المباشرة لهذا التصريح استحكام الأزمة بين الوزارة والخديو، فلقد رأى توفيق أنه أصبح في الواقع وليس له من الأمر شيء، وإذا كان البارودي يقف هذا الموقف في وجه السلطان نفسه، فكيف به إذا وقف منه هو؟ وعلى هذا فهو يلتمس الذي كان لا بد آخذاً موقفه الخديو في تلك الأزمة العصيبة

ولو أن الوزارة أصرت وقتئذ على موقف العناد والصرامة لخلفت قسطاً كبيراً من السوية عن سقد الأمور ولكنها ما لبث أن خطت خطوة جديدة تنطوي على كثير من الكياسة وبعد النظر، فإنها تقدمت إلى الخديو تقترح أن يخفف هو الحكم من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى تركيا أو غيرها، والوزارة ترى في هذه المسألة أن ينفي المحكوم عليهم من مصر إلى أي جهة من الجهات دون أن تجردهم أو أن تسقط وإنما تستبعد أسماءهم من سجلات الجيش المصري

وهذا الاقتراح لا ريب دليل صادق على حسن نية الوزارة ورغبتها في أن تنتهي تلك المسألة وتنجو البلاد من لؤم الأعداء، وهي فيما به متسامحة أكبر التسامح، فما دام المجلس العسكري قد حكم بإدانة هؤلاء فإبعادهم من البلاد يقتضي حتماً إبعادهم من الجيش. ولكن الخديو والقنصل قد رأوا اليوم للوزارة وتنكر، ورفض أن يجيب إلى هذا الاقتراح

وكان ماليت من ورائه لا ينفك يوسوس له ويزين له فعل السوء، وكان جرانفل قد أنكر من ماليت ما أشار به على الخديو من دعوة تركيا إلى التدخل، فكتب إليه أن يسير على وفاق

(1) Cromer — Modern Egypt

مع تمثل فرنسا ، وفى هذا تطبيق إلى ما كان فى مقدمته من خطأ ، وكل تمثل فرنسا يثير نوعاً من مرضيه ، ولكن ماليت قد عز عليه أن تتراجع بعد هذه الخطوات فينقض ما نسجه بيده من غزله ، فانظر إليه كيف يخلع النقاب على صورة قل أن يوجد مثيل لها فى سجل السياسة العام فيكتب إلى جرانفل قائلاً : « إسمحوا لى أن ألاحظ أنه عند النظر فى الخطة التى يجب أن يسلكها الخديو بإزاء حكم الحزب العسكرى يجب أن تبقى نظرة عامة على المسألة كلها ، وأن نذكر أن الوزارة الحاضرة تتحدى لتصفية سلطان الحماية الإنجليزية الفرنسية ، وأن نفوذنا آخذ كل يوم فى النقصان وقد يستحيل علينا أن نستعيد سلطتنا العليا حتى نحطم شوكة الحكم العسكرى الذى يروج الشطر عنه الآن

وفى اعتقادى أنه لا بد من حدوث أزمة كهذه شديدة قبل الوصول إلى حل مرض للمسألة المصرية ، وأن الحكمة تقضى باستعجال هذه الأزمة كلما كانت لا يتأخر حلها [1] »

وأى كلام يمكن أن يعلق به على هذه التى يقول ماليت وهل الأحمق تلك الحكمة التى يشير إليها ؟ أهكذا حتى للطامع على العقول والقلوب حتى تحسن من الحكمة استعجال الأزمة كهذه ! ولكن صراحة القلب و نحن لن نزال أبداً الأساس الذى يقوم عليه المنطق فى كل ما يجرى من كلام بين الضعيف والقوى فى هذا الوجود

وأى دليل أبلغ من هذا الدليل على صحة ما ذكرناه ويذكره كل منصف من السياسة الإنجليزية تجاه مصر منذ كان لها فى هذا الوادى أطماع ؟ ألا إنا لنقرر فى غير تردد أن هذه السياسة الآثمة كانت خليقة بأن تقابل من جانب الوطنيين بكل مقاومة ، بل إنها سياسة كان يغتفر فى مقاومتها بوسائل كل عنف .. ولكن بعض الناس لا يزالون يأخذون على عرابى وحزبه تشددهم وعدم مسالمتهم خصومهم ويعدون خطأهم هذه من السيئات التى لا تغتفر ولا تنسى

ورأى جرانفل أن يتابع مرضيه فى هذه المسألة وكان يرى مرضيه أن يتقدم نوبار الحكم كما يرى الوزارة تقتضى هذه الأزمة ! ولكن كيف يدع ماليت الفرصة تمر وهى من صنع يديه ؟ وكيف يطيق أن تخرج الوزارة من الأزمة ظافرة فيكون ظفرها فى الواقع هزيمة له ! لذلك ما زال يوحى حتى وقع على أوراق الحكم ينبئ الناقمين إلى خروج الشراكسة جميع ... أسمائهم من سجلات الجيش !

وتمت الوزارة الغلبة وتحمستها البلاد ، وأما عرابى وسائر الجيش من الوطنيين هذا النصر بالتكبير وهم الذين كانوا على وشك أن يفقدوا رؤوسهم بالأمس أو ينفوا إلى أقصى السودان لأنهم شكوا من سوء ما يصنع بهم رفق ..

وأعلنت الوزارة فى لسان ... أن لا بد من قرار يلغى هذا القرار حتى تمحى تلك الإهانة التى وجهت إليها وإلى البلاد فى شخصها ، ولكن ماليت حذر الخديو أن يجيب وزراءه إلى ما طلبوا ! ويستطيع القارئ أن يدرك خطورة هذا الموقف فقد كانت القطيعة بين الخديو ووزرائه واستحكمت الفتنة وتفاقم البلاء ،

ووصل كل من الطرفين إلى الموقف الذى يخشى ... كل عمل حسب ما يجرى من أهواء الغرض منه كل حركة ريبة وفى كل بادرة إيهامه ، وكل نية لن تكون إلا نية سوء ، وكل جنوح إلى السلم لن يؤخذ إلا على أنه ضرب من المراوغة والتسلل ، وكل كلمة لينة أو شديدة لن تفهم إلا على أنها ضرب من التحدى يراد به إحفاظ القلوب وإحراج الصدور

وفى هذا الموقف الخطير راح السير إدوارد ماليت يحث على غرضه وإنه ليطرب من الفرح كما يطرب الشيطان ... كتب إلى جرانفل فى اليوم الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٨٨٢ أى بعد قرار الخديو ببضعة أيام يقول « لقد انقطعت العلاقة بين الخديو ووزرائه ووصل الموقف إلى أقصى الخطورة »

وتقدمت الوزارة لترد على الخديو تطلب خطوة جريئة بالغة الجرأة هى دعوة مجلس النواب دون الرجوع إلى الخديو لتعرض عليه الأمر ، فازدادت الأمور حرجاً على حرج ، فلقد عد أعداء البلاد هذا العمل من الوزارة بمثابة خروج على الحاكم الشرعى لا يقل فى خطورته عن ... ونسوا أو تناسوا أن الخديو بإتباع مشورتهم هو الذى دفع الوزارة حتى أوقعها فى مأزق ضيق بحيث لم يبق أمامها إلا أن تقر الخديو على خروجه على الدستور ومشايعته أعداء البلاد أو تستقيل ، وفى كلا الأمرين تفريط منها فى حقوق البلاد فضلاً عن كرامة وجهها

وانطلقت الشائعات من هنا ومن هناك ، فالبارودى يريد أن يثب إلى العرش والجيش على أهبة لأن يتحرك إلى ...

(1) المسألة المصرية تعريب الأستاذين بدران والعبادى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٨٦ — انو الخير

في (الآداب الشرعية) لابن مفلح المقدسي: قال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه يوماً: أوصني يا أبت.

فقال: (يا بني، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير)

هذه وصية عظيمة سهلة على المسئول، سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعاً، سواء تعلقت بالخالق أو بالخلق، وأنه يثاب عليه

٤٨٧ — فإنا بها نسلو

أبو الفتح علي بن محمد البستي:

يقولون: ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسلُ
فقلت لهم: نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتنا نسل فإنا بها نسلو

٤٨٨ — السمر

ياقوت في (معجم البلدان): مِرباط فُرضة[1] مدينة ظفار[1]، وهي مدينة معروفة بين حضرموت وعمان على ساحل البحر، وأهلها عرب، وزيهم زي العرب القدماء، ومع ذلك مع شراسة في خلقهم وتعصب، وفيهم قلة غيرة كأنهم اكتسبوا ذلك بالعدة. وذلك أنه في كل ليلة تخرج نساؤهم إلى ظاهر مدينتهم ويسامرن الرجال الذين لا حرمة بينهم، ويلاعبنهم، ويجالسنهم إلى أن يذهب أكثر الليل، فيجوز الرجل على زوجته وأخته وأمه وعمته، فإذا هي تلاعب آخر وتحادثه، فيعرض عنها ويمضي إلى امرأة غيره، فيجالسها كما فعل بزوجته. وقد قلت لرجل منهم عاقل أديب: بلغني عنكم شيء أنكرته، ولا أعرف صحته، فابتدرني وقال: لعلك تعني (السمر)؟ قلت: ما أردت غيره. فقال: الذي بلغك من ذلك صحيح، وبالله أقسم إنه لقبيح، ولكن عليه نشأنا، ولو استطعنا أن نزيله لأزلناه، ولكن لا سبيل إلى ذلك مع مر السنين واستمرار العادة به.

٤٨٩ — فلا عجب

(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة: حكي عن أبقراط أنه أثنى بالتعليم على حدث من تلامذته، فعاتبه الشيوخ على تقديمه إياه عليهم، فقال: ألا تعلمون ما السبب في تقديمه عليكم؟ قالوا: لا. قال: سلوا عما هو أعجب ما في الدنيا؟ فقال أحدهم: السماء والأفلاك والكواكب. وقال آخر: الأرض وما فيها من الحيوان والنبات. وقال آخر: الإنسان وتركيبه. ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول: لا، فقال للصبي: ما أعجب ما في الدنيا؟ فقال: أيها الحكيم، إذا كان كل ما في الدنيا عجباً فلا عجب. فقال الحكيم: لأجل هذا قدمته لفطنته.

٤٩٠ — [illegible]

في (مفتاح دار السعادة) لابن الجوزي: حكي أن امرأة أتت منجماً فأعطته درهماً، فأخذ طالعها وحكم وقال الطالع. فقالت: لم يكن شيء من ذلك. ثم أخذ الطالع وقال: يخبر بكذا، فأنكرته

(1) الفرضة: محط السفن

(1) ظفار: والبناء على الكسر وقد تعرب إعراب ما لا ينصرف، وهي تعرف بظفار الساحل، [illegible]

يرغم جوهناً على سوء مطالب الوطنيين كما أرغمه على مثل ذلك في اليوم الخامس من شهر سبتمبر من العام الماضي، وبتخويف [illegible] المقاومة إلى غير ذلك من الأراجيف التي كان من شأن مثل ذلك الوضع أن تختلق.

ولو كانت الروح العسكرية هي المسيطرة على الحكم يومئذ كما أرجف المرجفون لما وقف حائل أمام الجيش دون الذهاب إلى القصر ويكون بعد ذلك القصر أو الطوفان، ولكن الوزارة رأت أن تحتكم إلى نواب البلاد، ولما كانت واثقة أن العدو لن يجرؤ المجلس [illegible] ولا عبرة بالشكل في سبيل تحقيق الجوهر.

(يتبع) [illegible]

حتى قال: إنه ليدل على تَضَلُّع من بحث القتل

فقال: الآن صدقت، وهو اليوم الذي وعدته بالبيان

٤٩١ — وترسل في زروعهم إذا يبست

في (صبح الأعشى): كان قوم من عسكر الملك (الناصر) يتوثبون بالقرب من بلاد التتار يحتالون على إحراق زروعهم بأن يمسكوا الثعالب ويحوطها ويربطوا الخرق المغموسة في الزيت بأذناب تلك الثعالب ويوقدوا بالنار ويرسلوا في زروعهم إذا يبست، فإذا أحست الثعالب من تلك النار المربوطة بأذنابها، ذهبت في الزروع يميناً وشمالاً، فلا تمر بشيء إلا أحرقته، وربما وصل الحريق من بعضها إلى بعض فيحرق الزرعة عن آخرها. وهذا الأمر قد طال حكمه من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار

٤٩٢ — أرسطو، المتنبي

في (الرسالة الذهبية): قال أرسطو: إن الحكيم يرى الملك أن يكون عنده معاً، فهو يتواضع لتلك الرتبة، والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط عنه فتمقته النفوس

قال أبو الطيب:

وما التيه طبي فيهم غير أنني ... بغيض إلى الجاهل المتعاقل

٤٩٣ — دع اسمه وأعطنا جسمه

(زهر الآداب): قال بعض ... أبو تمام ... حضرت عند بعض أصحاب السلطان فوقف علي، فقلت: من أين؟ قال: كنت عند بعض الملوك فما كان طعاماً طيباً وفاكهة ناضجة، وغَمْراً وعُنُقًا(٢)، فطرحت عيني في المجلس ناظراً إلى النسيل، وما في مجلس غيره ... (٣) بعض الأدوية، فقلت: دع اسمه، وأعطنا جسمه، فليس يخبأ عن الطعام ما تحته من سم الحرام

(١) ... وتعرضت للسكب

وما لي ... مقالة ... آمر

قال ... وجدنا أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قد ألم في شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية، فإن كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة والألفاظ البديعة، وهو في الغالب على ... من الشعر ... بالحرية البارعة

(٢) ... (٣) ...

إلى دودة

للأستاذ ميخائيل نعيمه

تدبّين دبّ الوهن في جسمي الفاني
وأجري مجدّاً خلف نفسي وأكفاني

فأحتقر مجراكِ والكبر سائقي
بأقدامِ آمالي وأشباح أشجاني

وأبني قصوراً من هباءٍ وأشتكي
إذا هدمتْ كفّ الزمان بنياني

ففي كل يوم لي حياة جديدة
وفي كل يوم سكرة الموت تغشاني

ولولا ضباب الشك يا دودة الثرى
لكنت الآن في دربك إخواني

فأترك أفكاري تذيع غرورها
وأترك أحزاني تكفّن أحزاني

وأرصد في عيني عليك محبّةً
دواعي وجدي أو بواعث وجداني

ومستسلماً في كل أمرٍ وحالةٍ
لحكمة ربّي لا لأحكام إنسانِ

فما أنت عبد الله بجوفه مصغّر
ولستُ سوى صورة في مثال عيني

لك الأرض مهدٌ والسماء مظلّة
ولي مثلها من صنع فكري وجثماني

لئن سالكاً بي لم تسبقا محاجتي
ولكن بجهلٍ وادّعائي بعرفاني

ومن دونه سدّان: جهلٌ مصمّمٌ
وفكر عنيد بالتساؤل أعماني

توهّمتُ أن الكون سرٌّ رأيته
يُنال ببحثٍ أو يباح ببرهان

فرحت أجوب الأرض والجوّ والسما
أسائل عن قاصٍ وأبحث عن دانِ

وكنتُ سعيداً قبل ذلك كاملاً
فضيّعني ما بي من شكٍّ وأوزانِ

وأسألك يحصر الشكل سرّها
ويحصرها بعضٌ رآه سعاني

تدبّين في حضن الحياة طليقةً
ولا همّ يضنيك أمرٌ وأكوانِ

فلا تسألين الأرض من مدّ طولها
ولا الشمس من أشعل حشاها بنيران

ولا الزهر من صاغ لونه وطيبها
ولا الوردة الحمراء من وهب القاني

وما أنتِ في عين الحياة دميمةٌ
وأصغر قدراً من نسورٍ وعقبانِ

فلا النجم أعلى عندها من ترابها
ولا الناس أسمى من حجارة صوّان

هل انتحبتِ ومات نابليون؟!
وهل أفرحت دوداً أتاها سليمان؟!

وهل حنت غيراً لما ساءها؟
وأرجعت للأعمار سعي خلطان؟!

وهل المطلب حقاً لتعرفي موضعاً
وكلا سطح الأرض بلا وطناني

سمرك يا أختاه ما في حياتنا
صواعق قهرٍ أو غواية أوثانِ

مظاهرها في الكون تبدو لناظر
كثيرة أشكالٍ عديدة ألوانِ

وأقربها الحق بين العدو واحداً
تحدّث بشهبٍ أم عنت بصحدانِ

وما فقد أسرارها، وهو كشفها،
سوى مشعرٍ بالماء حرقة عطشان

ميخائيل نعيمه

المعنى التائه

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

أنت معنى تائه في ذات نفسي يا حياتي
كل رمز فيه معنى لاح في خطراتي

* * *

كان يبدو مثل طيف تلتقي عيناه عيناً
في ربيع طلع الفجر عليها باسماً
وليالٍ وجه الكوكب طيف حالماً
أو ابتسامة الفجر عليه دائماً

ثم طار الفكر حيناً في ربيع الخلود
وبدا لم أرَ في حمر السحب

* * *

لست أدري أي ولّى حين ولّى ومضى؟!
هو في الأفق وراء وتلاشى في الفضا
مثل لحن همسته النفس في ساعة الرضى
أو كروح خلف الأسحار لاح ومضى

واختفى عن مقلتي كأنه سريع النصال
وتلاشى الصوت في الأفق إلا الظلال

* * *

هكذا كنت كالوهم سار في النفس
لم تكد تهبط من أسرعت في مثل حوب
وتلاشت، وأنا أبحث عنها مثل طيف
غير أن الزهر أمسى سرها في طيب عرف

فذكا واستشرفت روحي حديث الزهرات
فتشكلت العطر حتى أسكرتني نفحاتي

* * *

تبسمت روحي قليلاً ، وغمضت عيناي حينا
فترامت ذكرياتي عن حلاوات الصبا
ومضت ترقص أحلاماً تهز الخاليا
وترامت فوق صدري فترعشت حنينا
في احتضاني جسمها الرطب وكانت ملاقي
لستر الحلم الأثري من دنيا خيالي .

* * *

من هي الفتاة ؟ . . ذكرى حب روحي
ولك من أوجها الثائر للشوق جريح
من هو المشوق ؟ يا أحلام روحي !
أ تسح أحلام روحي وربيت العبقريات
فانتفت وصحت مني وتجلت يقظاتي

* * *

وإذا بالحلم معنى تائه في ذات نفسي
أسعد الوحي منه في ضلالي وحسي
وإذا في وجه الشمس وكون الله شمس
عندها روحي بطرسي فإذا بالقلب آت
وإذا بالحسن يبدو مشرقاً في ذكرياتي

حسين أمين الصيرفي

غرور الفنان وعقابه

للأستاذ علي أحمد باكثير

« يريد الشاعر أن يصور في هذه القصيدة الطريفة غرور الفنان في تصويره أنه خالق جمال يغرد منقطعاً عليه حتى أنه يود أن يتشارك في ذوبته الموهوبة في حقه الشكر بعد رغبته وحنانه ، فإذا به أن ملبه ذلك ربما منه لن تسمعه من لوح الوجود لأنه أصبح زوراً لا عن في الوجود ، ويختم الأمر الله بالرجوع إلى الله وأنه الخالق وحده لا خالق سواه في خلافه هذا الرجاء إلى هذه العذاب الشكي »

قم يا زهرة الجمال تنكرتني لتري الوجد منك كبيرا ؟
أولست التي حسنك في قلبي وأسميتك الزلال النميرا ؟
وقصيت النهار والليل أرعا ك أريك الضمير والإضميرا

أنت حلمي إذا أويت إلى النو م وشعري إذا رغبت الشعورا
خلقتني روحي عليك حناناً ولرعايا وليحبيتك غيورا
موعداً دوب مهجتي فيك حبا بعدها الروح مانحا والحبورا
صارها فمة عليك من الأحـــلام شتى منك الأدى والحبورا
حاملاً من شوقي إليك صلاة عرفاً من دمي عليك عبيرا

* * *

في طريقي إليك عشقي الأز هار شتى يدعى بعطر ونورا
مهاهن من صاحب حبيبا مر والشم وعشق نورا
فتكبرت أن أجود عليهن بعطرو تحبه الهوى والشعورا
وعصفت بين ملام صخيري في ألفاظهن ما يهد الضميرا
لا أبالي إذا رعيت رعيي الك من جيئاً وودهم والنعورا
ولقيت من يدي الحلوة فخري أن طرقي نحو إليك مريرا
لا تعي متى التفتنا حتى أن أنال الرماد منك اليسيرا
هو وجوي في الحياة ذلي أن ذكرتها حطواً وملكا كبيرا

* * *

أنا عند فيك شكل وصور تك ما شاء الحب مصورا
وبحتي صلت حسنك في الكو ن وسحعت في زنك العطورا
وحلت الزمان يشدو بلحن ينسي الأسى ويحيي السرورا
أتعرضين سعد عند قلبي أن يكون المرء الهجورا ؟
أنت حتى ..... صار يوماً بحسنه مستجيرا !
أتحديني حلقاً وكون إلها تسمى بالحسن قلبي الكبير ؟
وترى ما بي .. فمن ملك رب يلك حيث عنقه وحسيرا
لا أبالي به ... لقلبي وحده كنت أسيراً أو أميرا
هلوا ... أنت إلا ... فانمحي من لوح الوجود الزور !
أعدميني فلا تحيين عندي بعد حوداً فذرني وضميرا

* * *

كنت في خاطري وكنت سعيداً قبل أن خاطري سيبقى كبيرا
آه ، يا بنت كنت مرة حيث كنت المصور المصورا
لكنت الأسى إذا والصبح ونبت النغم الوقورا

* * *

ما وصفت إذ جعلتك حبا في يدي أن أصير عبد الصبرا
إنما حسنا مولاه من قارع الله علام يلقى العذاب الكبيرا !

علي أحمد باكثير

RETRO
هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
اشربوا
الشاى المثلج

دراسات في الفن

الفن والحـــرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

مظاهر الحياة في الإنسان ثلاثة ، يرجع إليها كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات وسكنات . وهذه المظاهر هي الحس والعقل والخلق . والإنسان الوسط يستطيع أن يلحظ في غيره بسهولة تامة النقص الذي يعتري ناحية أو أكثر من هذه النواحي الثلاث ، فيحكم عليه بأنه بليد الحس ، أو ناقص العقل ، أو معوج الخلق . وليس يهمنا ما يقال من أن الحكم في هذه الأحوال لا يكون إلا تقديرياً ، وإنما الذي يعنينا هو أن الحس والعقل والخلق موجودة في كل إنسان ، وإن تفاوت وضوحها ، وتفاوت درجاتها في الناس ، وإن اختلفت معاييرها فليس يمنع وجود القمح أن يكيله ناس بالأردب ، وأن يزنه ناس بالقنطار

ولما كان الكمال البشري يستدعي رقي الإنسان في نواحيه جميعاً فيجب أن تنسجم هذه النواحي فيه وتتوازن وتتسامى فتخطو خطوة جديدة في طريق التطور والارتقاء تلبية لقضاء الطبيعة التي تريدها ، لزم أن يكون كل عمل من أعمال الإنسان صادراً عن حس مرهف ، وعقل مستنير ، وخلق مستقيم . فإذا اختل التوازن بين الحس والعقل والخلق في أي عمل من أعمال الإنسان كان هذا الاختلال للعمل ، نقص قدره

ونحن إذا نظرنا إلى هذه النواحي الثلاث رأينا لكل ناحية منها طريقاً خاصاً من طرق الرقي الإنساني تسير فيه . فالحس طريقه الفن ، والعقل طريقه العلم ، والخلق طريقه الفضيلة

وأكمل الناس من غير شك هو الذي رقي في معراج التطور بحسه وعقله وخلقه ، وأقل منه كمالاً من رقي في هذا المعراج بناحيتين فقط من نواحيه الثلاث ، والأقل كمالاً من رقي في هذا المعراج بناحية واحدة . وأغلب الناس غير متوازنين ، بل إن أغلبهم تتضخم في نفسه ناحية واحدة فقط من هذه النواحي حتى تطغى على ما سواها ولكن عن غير وعي منهم ، بينما تتخلف إلى جانبها النواحي الأخرى من الناحيتين الأخريين . وهكذا كان في الناس فنانون لا صلة لهم بالعقل ولا بالعلوم إلا ما يرد عليهم فيتهم الناس إياهم بالجنون ، أو بشيء من هذه الأوهام ، بل إن منهم من يرميه الناس بالجنون ، ومفكرون لا صلة لهم بالحس ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالفسق إلى جانب الجنون . وهكذا أيضاً كان في الناس علماء لا صلة لهم بالحس فهم باردون ، وعلماء لا صلة لهم بالحس ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالجشع إلى جانب البرود . وهكذا أيضاً كان في الناس فضلاء تبعث الفضيلة في نفوسهم حياءً ممن يكرههم كما يعجب من يحبهم لا يحسون ولو أرادوا ، فإنهم فضلاء يعصرون كما يعصر غيرهم من الفضلاء ، ولا هم يحسون الشر فيما يحسون ، وهؤلاء من أصحاب الفضيلة هم الأتقياء الزاهدون المتصوفون المظلومون

وكل فرد من هؤلاء الأفراد الناقصين في نواحيهم الخاصة ، والمتسامين فيها على مستوى الجمهور يعتبر عبقرياً في ناحية بالذات أصيبت فيه الإنسانية بالنقص في الناحيتين الأخريين ، فما زالت العبقرية في نظر الناس ضرباً من ضروب الشذوذ ، أو هي في الحق كذلك ما دامت تمس إحدى نواحيه فقط

فإذا أنكرنا على الإنسان أنانيته وطالبناه بأن يرعى جميع الإنسانية في كل عمل من أعماله وعلى الخصوص في تلك الأعمال التي تتصل بغيره وتؤثر فيه فإنا لا نعفي من ذلك الفنانين إلا أن نطالبهم بأن تتسامى نواحيهم الثلاث في إنتاجهم الفني كما نطالب

ذلك من العلماء ، وكما خلف ذلك من أهل التصوف . فالحق أو أكثر الحق هو ما أرضى العقل والقلب إلى جانب ما يرضي الحس ، كما أن العلم أو أكثر العلم هو ما أرضى الحس والقلب إلى جانب ما يرضي العقل ، وكما أن التصوف أو أكثر التصوف هو ما أرضى العقل والحس إلى جانب ما يرضي القلب .

هكذا إذا راعينا أن التفوق والتقدم والتفاضل في أعمال الإنسانية التي تتجه في سبيل الوصول إلى استكمالها موحدة مجتمعة متزنة . فإذا لم نتمكن كل التمكين في هذا ، فإنه يجوز منا أن نبيح للعالم أن يحاول التبحر في طريقه بالحس وحده ، وللحكيم أن يسير بالعقل وحده ، وللرجل الفاضل أن يسير بالقلب وحده .

ويكون للإنسانية مثلاً عالياً تتزع إليه وتريد أن تبلغه وإن اختلفت صوره في أذهان الناس . ونحن إذا ما حاولنا أن نستخلص من بين هذه الصور الصورة التي نعتقد أنها أصدق صور الكمال فإننا عندئذ نستطيع أن نصعد إلى غايتها صورة للإنسانية تكون هي أقرب صور الإنسان من الكمال ، ويكون هذا مبيناً لنا ما تحققه صورة الفرد من نواحي الكمال المطلوبة في صورة الإنسانية الكاملة . وسنرى كيف يمكن أن يتم التوازن بين حس الإنسان وعقله وخلقه في هذه الصورة العالية التي نكتشفها . وسنرى هل يتم هذا التوازن إذا كان للإنسان من حسه ومن عقله ومن خلقه مقدار متساوية ، أو أن هذا التوازن يمكن أن يتم باختلاف في مقاديرها اتساع في بعضها وخفة في بعضها أو ضرورة تستوجب بعضها والجواز يمكن به الاستغناء عن بعضها في بعض الأحيان

مستختلف

فقد اختلف الناس في هذه منذ أصبحوا ، وسيظلون ، وقد كانت لهم أخلاق ، وسيظلون مختلفين في هذا إلى أن يشاء الله فيكونوا أمة واحدة ، وهم الآن أمم ، ولكل أمة منهم مثل ، ولكل أمة منهم نزوع إلى تحقيق مثلها حادة حيناً ومتكئة حيناً ، ومتفاوتة في أغلب الأحيان .

فإذا سألني سائل عن أمتي ، وعن المثل الذي أنزع إليه مؤمناً به ، فأنا من أمة محمد التي تنشد ما تحقق المثل الأعلى الذي رسمه لها بدينه للحياة ، والمثل عندي هو ما يحقق هذا المثل ، والخلق عندي ما يتفق وروح الإسلام .

ولست أجبر إنساناً على أن يجعل مثلي مثله ، ولا على أن يجعله مثله الأعلى ، ولكني أقول ، مع ذلك ، إنني أعتقد أن ليس بكثير علي مثلي من أبناء هذا العصر المجهول ... كله عجب من التقدم والرقي الشيوعية ومن الأيديولوجية عنوان الشباب ، وعن أن المثل الأعلى الذي رسمه الإسلام للإنسان والصورة النقية التي وضعها للإنسانية هي صورة أرقى من أرقى صور العقيدة ، فما كان مستكاً من قبل الله من أن محمداً هو خاتم النبيين والمرسلين ، وأن الإسلام هو ختام الأديان . ونحن إذا أمعنا النظر في الإسلام رأيناه يشمل كل الأديان السماوية إلى الله ، وأنه يبرئ الله مما ألحقه به الناس من الباطل والزيف . وهنا سنجد استقصيته أن أعلى المثل الإنسانية التي ليس إلا بعض المثل الإسلامي الأعلى . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نعتبر الإسلام حكماً على أعمال الإنسان الروحية كلها سواء منها الحسية والعقلية والخلقية ، فإذا لم يرض بعض الناس من الإسلام حكماً فهم أعلنتم العليا تحكموا كما يشتهون ما يشاؤون في كل ما يملكه جاحد مستبد مثلي في مقام كهذا هو أن يقول لهم : قبل أن تستعملوا الإسلام قدروه

فإذا قدروه فهم من مسلمين . فإذا أسلموا فهم أمة وسط ، وما داموا أمة وسطاً فعليهم أن يراعوا العقل والخلق في حياتهم فيعطوا كلاً منه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والخلق في علمهم فيعطوا كلاً منه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والعقل في عقائدهم فيعطوا كلاً منها نصيباً . وعندئذ يحدث هذا التوازن بدون تدبر ويحدث احتيار إذا كانوا مسلمين . فالإسلام هو دين الفطرة ، كما أن الفن الصحيح السليم هو فن الفطرة ، وكما أن العلم النافع هو علم الفطرة الذي يمنحه الله الناس سواء ، كانوا أميين أم كانوا قارئين كاتبين ، وكما أن الخلق القويم هو خلق الفطرة الذي يصدر من الإنسان مقترناً من غير جبر ومن غير اختيار

وبعد أن رأينا فطرة هذا الكلام وهذه الفطرة ، فإنه قد يبادرنا هنا سؤال له محل من التفكير ، فقد يقول لنا قائل : أليس من فطرة الإنسان أن ينزع أحياناً إلى ما تستنكره الأخلاق ، وإلى ما يبعد عنه العقل ، فإذا في هذا النزوع الذي كان منه فطرياً ، ويكون مع هذا لم يكن متمشياً مع الإسلام الذي وإن كان دين الفطرة فهو يرسم حدوداً ، ويضع من الأخلاق حراساً على هذه

قيوداً وحواجز على هذا السؤال هو أن الخروج بالفن إلى ما تنكره الأخلاق وما ينكره العقل ليس نزوعاً فنياً، وإنما هو نزوع فيه من النقص ما يعتري صاحبه أو يعتري غيره. وإذا نزع الفن إلى تلبية إحساسه والتعبير عنه، فهو حينئذ الفن يرى نفسه وحدها، وفي ساعة عاجلة من ساعات حياته هو، فهو لا يحس بمستقبله ولا يفكر فيه، ولا يحس صلته بغيره ولا يفكر فيها، ولا يحس أثره في غيره ولا يفكر فيه.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هذا الضرب من الفن ... فن، ولكنه فن ضيق يقتطعه صاحبه من حياة نفسه ليرضى به هو وحده. ونحن لو تأملنا ألوان الفن التي ينكرها العقل لم نجد غير المراهقات الفنية، ونحن لا نؤاخذ الإنسانية في شيء إلا إذا تحولت هذه المراهقات مقنعة بحيلة أن يحمل الناس على أن يؤمنوا بأنها حقيقة واضحة، ولم يظهر في الأدب فنان من هؤلاء إلا وخرج عشاقه من دائرة الفن إلى دائرة التعصب والاحتيال. وإذا تأملنا ألوان الفن التي ينكرها العقل لم نجدها إلا نماذج مرضية لنوازع من طبيعة يكاد يعرفها الناس جميعاً، ويكادون يحسونها جميعاً، ويكادون يستطيعون أن يعبروا عنها جميعاً تعبيراً لا يقل صدقاً ولا روعة عما يعبر به الفنانون عنها. فإن لم يحاول جمهور الناس بالعمل التعبير عن هذه النوازع المنحطة من الحياة التي يحجب الخلق الإسلامي عنها، فهم يستطيعون هذا التعبير بالقوة. وهذا هو ما يعبر بنا بنفسي في الحرص على اتباع الإسلام حتى في الفن، فهذا الذي نحذره من الفن بهذا الحرص تافه وهين ما دام جمهور الناس يستطيعونه، والفنان يطلب منه شيء أكثر مما يطلب من عامة الناس، وهو الكشف عن النواميس الحياة الذي يتوقع منه الناس أن يكشف لهم بإحساسه الرحب عن حقائق الحياة وسعتها وجمالها ما لا يستطيعون هم أن يهتدوا إليه بأنفسهم، كما أنهم يحبون من فنانيهم أن يهدوهم من حقائق الحياة ومتاعبها إلى ما يعجزون هم عن أن يصلوا إليه، وكما أنهم يحبون من الفنان الأكبر دون العيش أن يرسم لهم ما ينبغي أن يكون وما ينبغي ألا يكون.

وما أجمل هذا الفتى يجتمع له هذا كله فيكون هادياً بفنه وهديه ونفسه.

فإذا لم يخسر هذا الرجل الإسلامي شيئاً في الإرادة كعدة تحقيقها. ولست أقصد بالإرادة أن يعزم الفنان أن يحقق في نفسه الأخلاق الفاضلة، ويقصيه بعيداً عن الأخلاق الناقصة، فيخرج منه متكلفاً مصطنعاً يشعر كل من يتصل به بأنه بعيد عن سيرته الإنسانية الأولى، ومن أن يكون تلبية لنداء الطبيعة والفطرة، وإنما الذي أقصده هو أن يبدأ الفنان بتحقيق الفضيلة في نفسه هو، فإذا أبدع فناً بعد ذلك كان الفن صورة نفسه، وكان الفن فاضلاً.

وطبيعة التطور والارتقاء تطالب الفنانين بهذا، كما أنها تطالب به الناس، وكما أنها تطالب به أصحاب الأخلاق والفضائل، ذلك أن طبيعة الروحية للإنسان تريد أن تسمو وأن تقدم الخطى إلى الأمام، وطريقها إلى هذا الرقي هو نفوس الناس أنفسهم، وما دام في الإنسان إرادة فلا بد من أن يكون لهذه الإرادة أثر في تحقيق التطور والارتقاء بدليل أنها لا تزال موجودة في نفس الإنسان، وأن الإنسان لا يزال يحسها في كل أعماله تقريباً، وما دام الأمر كذلك فإنه قد حق علينا أن نريد ترقية أنفسنا، ثم أن نعمل على هذه الترقية. أما الإرادة فأصلها يبدأ، وأما العمل فطريقه التدريب، وكما أن للعقل تمريناً يساعده على نزوع العلم، وكما أن للخلق تمريناً يساعده على نزوع الفضيلة، فإن للحس تمريناً يساعده على نزوع الفني!

وقد ارتضى كل فنان لنفسه مثلاً أعلى يريد أن يرقى إليه، وأنا اخترت الإسلام من هذه المثل لمن يصحبهم اختياري.

أما أولئك الذين لا يريدون أن نعرفهم أن يتجردوا من نفوسهم ومطامعهم، وما علاقتهم بالفن ... من حرية الكلمة الضالة.

[illegible]

من هنا ومن هناك

الحريم في نظر الغرب

إن حياة الحريم في قصور سلاطين آل عثمان لتمثل في الغرب من الليالي التي تصورها ألف ليلة وليلة ، والتي خلق الكتاب الأوربيون في وصفها ما وسعهم الخيال ، فشبهوا الأجواء المفعمة باللهو وضروب المتع والتسلية المختلفة . ولقد ظل « الحريم » من الأسرار الغامضة التي تضاربت فيها الأفكار ، حتى إذا زالت سلطة الخلفاء ، وأبيح للجميع أن يدخلوا قصورهم الفخمة ، كشف القناع عن الكثير مما كان يجري فيه . ولا شك أن رغبة الغربيين في معرفة أسرار « الحريم » في القصور العثمانية كانت أعظم من أية رغبة أخرى في إدراك أحوال الدولة إبان عهد السلاطين ، وكان ذلك مدعاة لأن يكتب الكثيرون ... آراء الحق وآراء الباطل ... حول هذه الناحية ، وتنافس الخيال والحقيقة في تصوير الحياة داخل « الحرملك » فكان ما تضمنته الكتب التي تطلع علينا بها – بين حين وآخر – دور النشر في الغرب . ومن الكتب القيمة الطريفة حول هذا الموضوع كتاب The Harem الذي وضعه المستشرق الإنجليزي بنرود ، وكان ملماً باللغة التركية ، عاش في الآستانة ردحاً طويلاً ، وخبر الحياة التركية عن كثب . وقد وصف في كتابه هذا حياة القصور ، لا سيما قصر سيراليو الذي كان يسكنه سلاطين آل عثمان مع آلاف النسوة اللاتي جيء بهن – إما سبياً أو اقتساراً – ووصف منظر « الخصيان » وما دعوا في أوساطهم الصحية ، فلا عجب إذا اجتذب الغربيين هذا الوصف لحياة تكاد تكون من بنات الخيال ، بل لقد يقصر الخيال في كثير من الأحيان عن أن يتطاول ببلوغ ما بلغته الحقيقة الماثلة في قصر سيراليو .

يقول مستر بنرود في وصف الحرملك « إنه دنيا صغيرة ، محكمة الإدارة ، دقيقة السياسة ، خلا إلا من النساء اللاتي تعيش كل منهن من أجل واجب تؤديه . والحرملك ، وإن كان مجتمع نسوة ، إلا أنه كثيراً ما دبت فيه المكائد ، ونصبت جنباته مسرح مآس تقشعر لهولها الأبدان ، كما كان مصدر الكثير من ويلات الجيلات القتل بلا رحمة . وكم ضمت أمواج البسفور من فتيات غضب عليهن السلطان فأصبحن طعمة لحيتان البحر وأسماكه . أما الخصيان ، فهم أحد خدمهم رواد كما أنقص مواليد السلطان . وكانوا في أول الأمر من البيض غير أنه سرعان ما حل محلهم السود لما عرفوا عنه من إخلاص لسادتهم ، أما البيض فكانوا أهل دس وغدر وخيانة . ومنذ القرن السادس عشر أصبح الحرملك يدير أمور الدولة من وراء ستار . ولما نفي السلطان عبد الحميد إلى سلانيك عام ١٩٠٩ م ، أذنوا له أن يصطحب معه في منفاه بعض المقربات إليه . أما الباقيات وعددهن ينيف على مئات فقد أصبحن بلا مأوى . وقد وصف ذلك كله فرنسيس ماك كلاغ في كتابه « سقوط عبد الحميد » فقال : « لقد جمعن في قصر (توب كابو) في حشد عظيم ، وإذ كان أغلب النسوة في حريم السلطان جركسيات ، وكن يؤثرن على غيرهن الجنس الأبيض ، فقد أبرقت الحكومة التركية إلى مختلف القرى الجركسية تدعو إليها أن ترسل كل عائلة لها أمل في استرداد فتاتها من حريم السلطان سواء أكان أبوها قد باعها أم اغتصبت من بين ذويها . ومن ثم وفد على القسطنطينية الكثيرون من جنس الجراكسة يخطرون في ثيابهم الشعبية ، وحددت لهم الحكومة يوماً تواعدوا فيه على قصر (توب كابو) ويستعرضوا عقائل السلطان سافرات بلا قناع . وكم كان منظر الفتيات وهن يرتمين في أحضان آبائهن أو أخواتهن مؤثراً ، بعد أن حيل بينهن وبينهم ، ويئسن من لقائهم ... فهذا أب يقبل ابنته وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وهذا أخ يعانق أخته بعد أن ظن أن لا تلاقي بعد . ولشد ما كان التباين عظيماً بين لباس هؤلاء الجبليين ولباس بناتهم وهن يرفلن في حلل الثياب وأبهاها . وسرعان ما جمعت كل عائلة ملابس »

وحرمت القصر خير آسفة عليه ، فبلغ مجموع ما أنفق مائتين وثلاث عشرة أعني ، أن البانيت بعد انحدار بعض الأسلاف من احتكار .

بعد وصف شاهد عيان لمنظر من مناظر القصر الرائعة

أما قصر سراجليو فقد خيم عليه الصمت ، فكأنما أسدل على ما فيه من ستار كثيف ، حتى إذا كان عام ١٩٢٤ حولته الحكومة التركية من المنافع العامة ، ووضعت من أجله دليلاً يشرح للزائرين ما يهمهم عليهم إدراكه ، وإذا كان الزائر لمصر لا بد له من مشاهدة الأهرام وأبي الهول ، فإن نزيل القسطنطينية اليوم ليهرع قبل كل شيء إلى قصر سراجليو ليتمثل صورة حريم والترف في عصور السلاطين ويرى روعة الفن وجلاله ، وكم شهدت حجراته من مآس وسرور !

النضوج وضبط النفس

إذا نظرنا إلى الطفل وجدناه أكثر من غيره تعبيراً بالتعب عن آلامه الجسمية ، فإذا أحس قليلاً من البرد أو الحر أو شعر بتقييد حركته فلم يستطع أن يتحرك كما يشاء ، أو أصابته هزة عنيفة بسبب من العوامل ، فهو ولا شك عرضة للتهيج

وإذا كان الطفل لا يعرف الأسباب التي تدعو إلى ما يشعر به من الألم ، فإن احتجاجه عليه لا بد أن يكون عنيفاً

فإذا تجاوز سن الطفولة ووصل إلى سن النضوج ، فإن شعوره بهذا التهيج يخف ويتغير . وليس معنى ذلك أن الراشد لا يشعر بالآلام التي تعرض له ، ولكن شعوره بها يتغير كل التغير ، حتى لا يبدو عليه شيء من مظاهرها

فالشخص الذي لا يحتمل الشقاء ، ويصيح متبرماً إذا لم يصل ما يصبو إليه بنفسه ، ويهتاج لكل حادث ، هو في الحقيقة شخص لم يصل شعوره إلى درجة النضوج . وكل إنسان ولا شك يكره أن يكون مثل ذلك الرجل . فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا من هذه الناحية يجب أن نترك الحكم عليها للآخرين ، وعلى الأخص هؤلاء الذين لا تجمعنا بهم روابط الصداقة

فما مقدار الألم الذي يستطيع أن يحتمله هذا الرجل الكامل النضوج ؟ إن نظرة بسيطة تدلنا على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأفراد من هذه الناحية . فقد رأينا أناساً يحتملون كسر العظام وقطع الأوصال ، ورأينا بعضهم يخضعون لإجراء العمليات الجراحية لأجسامهم وهم يتحلون بالشجاعة تجمع أوصالهم ، في بعض الحركات ليظهروا صدقاً أو يبرهنوا على ما يريدونه فلا يشكون ولا تتغير ملامحهم

وعلى النقيض من ذلك نرى أناساً لا يحتملون أي نوع من أنواع الألم فيلجأون إلى العقاقير المسكنة كالكوكايين والمورفين لتخفيف آلامهم وكثيراً ما يدمنونها

فهل هناك حد وسط بين هذين الحدين ؟ وهل توجد حالة طبيعية بين هاتين الحالتين ؟ من المحتمل أن لا يوجد شيء من ذلك . وكل ما نستطيع أن نقوله أن الرجل الصحيح يتجنب الألم بقدر الإمكان ، فإذا لقي شراً لا بد منه فيجب عليه أن يتحمله ويحتمله ، ولا يصرخ كما يصرخ الطفل . وقد نستطيع أن نطبق هذا المبدأ على أوجه الحياة المختلفة . فنحن كثيراً ما نعمل أعمالاً لا نريد أن نعملها ، فبعضنا يرضون ضمائرهم بالشكوى لأقل شأن ، وبعضنا يتركون العمل الذي يتناولونه بغير مبرر ! فإذا عرضنا لك أمثلة تحكم على أن نكون مع شخص لا نوده . فالرجل الناضج في هذه الحالة يحتفظ بشعوره نحو هذا الإنسان ويعامله بشيء من الحذر . أما شعور السرور الذي يتولانا في مجلس من المجالس ، أو عند مشاهدة تمثيل إحدى الروايات ، فقد يثير في نفوسنا شيئاً من الضحك أو التهيج ، وقد لا نستطيع أن نتحكم في هذا الشعور ، إلا أنه من الواجب أن لا نشوش به على الآخرين كما يفعل الصبيان ، وسواء كنا في حالة من السرور أو حالة من الألم فالواجب علينا أن نتعلم ضبط النفس وكبت الشعور وإلا كنا غير ناضجين

تجنيد الكلاب في الحروب

تدرب الكلاب في جميع أنحاء العالم المتمدنة في الحروب . ففي روسيا أنشئت مدرسة في موسكو للكلاب ، وفي اليابان أعلن أنها كلية صحيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد أعدت ميادين خاصة في بولندا وإيطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها ، وفي ألمانيا تلازم الكلاب فرق الجيش ، أما في فرنسا فهي تحرس مع الجنود في كثير من الميادين

وتستخدم الكلاب في حمل الرسائل إلى الفرق الحربية ، وفي توصيلها إلى المدارس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصيل رسائلها . وهي تدرك الجرحى في الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع أن تحمل المؤن على ظهورها وتسير بها إلى مسافات بعيدة

وقد كانت الكلاب تستعمل في الحروب والدفاع منذ أقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيروس » كانت لديه كلاب

يستخدمها في الحروب [illegible] وفي كتاب بوفون أن الكلاب أنجت كتيبة « كوريشه » من الهلاك

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب في حروب أرجوس، واستخدمها الرومان لحراسة الجيوش، وكان « الغال » يدربون الكلاب على مهاجمة الخيل، فاستخدموها في الحراسة وفي ميادين الحروب

أما في القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض، وقد كانت الفرق الأسكوتلندية تصطحبها على الدوام، وكانت مدينة سان مالو تستخدم الكلاب في حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠، وقد جند نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود في مدينة الإسكندرية [illegible] واستخدم الألمان الكلاب لحراسة الثكنات وحراسة الأقاليم والمعسكرات في سنة [illegible]٨٧

وفي سنة ١٨٩٥ قام كلبان بإنقاذ كتيبتين بالتمام أثناء الحرب على أكمل وجه

وفي سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألماني يستخدم [illegible]٦ كلب من الكلاب مدربة على الحرب [illegible] وآلاف من الكلاب الأخرى

أما الحرب العظمى فقد حفلت بتجنيد الكلاب في سنة ١٩١٦ وقد اجتمع في باريس [illegible]٠٠ ٩ كلب دربت مرة وأرسلت إلى الميادين للحروب، وقد قامت تلك الكلاب بأعمال عظيمة مما كان موضع إعجاب المحاربين

آلة لقراءة الخواطر

اكتشاف عظيم سيحدث ضجة عظيمة في العالم، ذلك هو اختراع آلة لالتقاط الأفكار والخواطر التي تجول في ذهن الإنسان [illegible] وليست هذه الآلة كالآلات المصورة التي جربها كل إنسان، ولا حلماً من أحلام رجال العلم، إنها موجودة تستعمل في كل مكان وليس إلا أن يرقد الإنسان على مقعد والآلة تسجل خواطره دون أي ألم أو ارتباك!

والمحصوا على هذه الصورة يمكن أن يكون هناك موصل آلة كهربائية وفم نظيف وعند آلة تسجيل الخواطر [illegible] إنك لا تستطيع بعد ذلك أن تحجب أسرارك بحال من الأحوال

قد يكون هناك بعض صعوبات في تسجيل خواطر بعض الناس ممن يفكرون في شئون مختلفة في وقت واحد، ولكن تلك الآلة تستطيع أن تركز ذهن الإنسان وتستخلص ما يشاء من أفكاره

غير أنك قد تجد بعض الأفكار العامة والمعلومات العلمية المطلوبة قد تصدرت خطوط مختلفة مختلطة من الخواطر المختلفة كما يحدث في بعض الأحيان

ولا يقتصر على هذه الآلة اختراع بعض المخترعين ومعرض الاختراع [illegible] بل ينتظر أن تأتي بأجل الفوائد، ولا شك أن هذا الاختراع سيفتح أمام العلماء آفاقاً جديدة من التفكير

أي روح عجيبة سيأتي بها هذا الاكتشاف؟ وكيف يكون؟ وكيف تصبح حياتنا إذا كانت حتى خواطرنا [illegible] ملكاً [illegible] في هذه الحياة؟

لقد [illegible] [illegible] [illegible] أي كانت هذه الآلة [illegible] أي نوع من النور كان [illegible] عن العقل؟ أهو نور [illegible] أم نور [illegible]؟

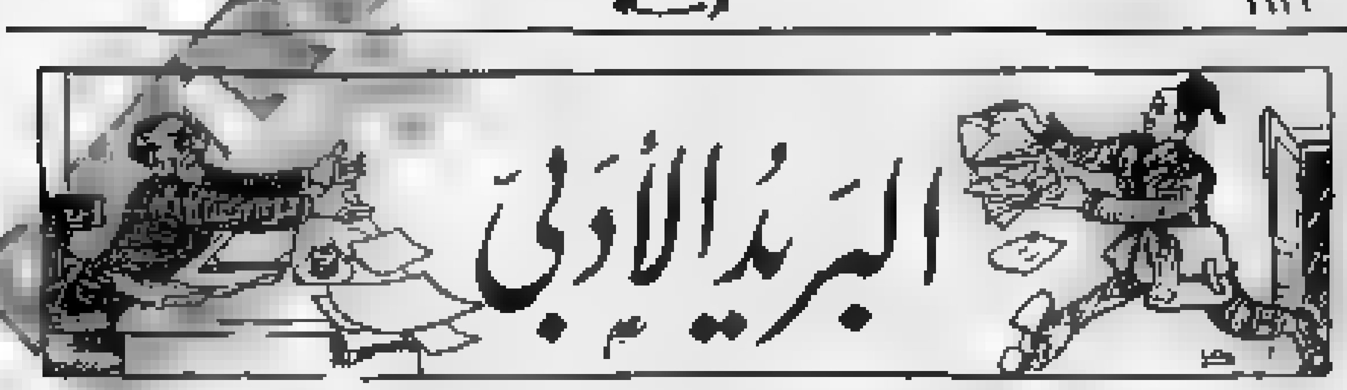

حول حملة الأدب الجاهلي — حديث لأديب مصري مصطاف في لبنان

نشرت زميلتنا المكشوف البيروتية في عددها الأخير هذه الكلمة وهذا الحديث بإمضاء (جواب) ورأينا من فائدة الأدب في ذاته أن ننقلها عنها لا مصري ولا عسكري، أما رأي الرسالة في الموضوع فقد صرحت به في العدد ٣١٦ فلا سائل إلا عنه. قال الكاتب [?]:

أطالع منذ أسبوعين في مجلة «الرسالة» المصرية سلسلة من المقالات للدكتور زكي مبارك ينقد فيها آراء للأستاذ أحمد أمين أبداها في الأدب الجاهلي وجنايته على الأدب العربي ونشرها في مجلة الثقافة. وقد اختار الدكتور مبارك عنواناً لمقالاته «جناية أحمد أمين على الأدب العربي». ولا شك أن التهمتين مبالغ فيهما؛ فلا الأدب الجاهلي جنى على الأدب العربي بقدر ما يتصور الأستاذ أحمد أمين، ولا الأستاذ أحمد أمين جنى على الأدب العربي بقدر ما يتخيل الدكتور زكي مبارك. فما هو السبب يا ترى في إثارة هذه الزوبعة من النقاش؟ بل هذه المعركة الحامية الوطيس بين الرسالة والثقافة؟

مما لا شك فيه أن هذه الأبحاث طريفة في حد ذاتها على ما رافقها من مبالغات وتعصب في العرض والرد والنقد. ومما لا شك فيه أيضاً أنها تمس قرائح الباحثين، فيتناولون هذا الموضوع ويقلبونه في جو بعيد عن غبار المعركة. ولا بد أن يجني الأدب فائدة ممن درس الأدب العربي على ضوء «الصدق والروح» على أن يقارن بينه وبين آداب الأمم في عصورها المتشابهة أو المتقاربة، وعلى أن يميز الثابت ويطيب [?] الزائف.

وقد اتفق لي منذ يومين أن التقيت في أحد المصايف أديباً مصرياً قدم إلى لبنان ترويحاً للنفس، فجرى بيني وبينه حديث عن المعركة التي أثارها الدكتور زكي مبارك وعن أسبابها الظاهرة والخفية، فصارحني محدثي برأيه. ولما طلبت إليه الإذن في نقل هذا الرأي إلى قراء «المكشوف» أو سألته عن ذكر اسمه، أبى [?] أنه يفضل أن يعرج على أن يدخل شخصاً ثالثاً في نقاش قد يتطاول إلى العرض والقراحة [?]، وهو ما جاء لبنان إلا للراحة والسكينة.

ونزولاً على مشيئة محدثي أكتم اسمه وأكتفي بنص خلاصة أمينة لما قال.

— لا جدال أن النقد في مصر قد خفت صوته، ولذلك أسباب لا مجال لعرضها الآن. ومن الخير للأدب أن يعود النقد إلى سابق عهده فيروج الكتب والمجلات. وقد يسعف الحظ بعض الأدباء الناشئين فتطبع أسماؤهم في عالم الأدب وتقوم شهرتهم على حساب غيرهم، وهذه سنة الحياة. أما الدكتور زكي مبارك فلا أعرف أديباً أشد اندفاعاً منه في ميدان النقد، فكأنه مفطور عليه يجرب إن لم يجد به [?] حركة دائبة، وإن هو لم يجد من ينقده مال على نفسه ينقدها. ولست أشك في إخلاصه لفنه، إلا أني أعيب عليه ميلاً قد يكون مكتسباً، إلى حمل خصومه على مناقشته في مواضيع دقيقة وحساسة في شرقنا العربي. أضرب مثلاً على ذلك اتهامه الأستاذ أحمد أمين بشيء من الفتور في دينه، وإلصاقه به تهماً أهل الشام والعراق وغيرهم من الأقطار العربية.

على أن أسباب المعركة القائمة الآن بينه وبين أحمد أمين، أو بين «الرسالة» و«الثقافة» ليست ناجمة — فيما أظن — عن الأخطاء التي ارتكبها أحمد أمين في بحثه عن جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي، بل يرجح عندي أن هذه الأخطاء كانت فرصة اغتنمها الدكتور ليشن الغارة على أحمد أمين. أما الأسباب الحقيقية

ثم رجع إلى المناوشات التي قامت في وقت ما بين الزيات وأحمد أمين من أجل الكتب التي قررت وزارة المعارف وضعها بين أيدي التلاميذ، ولم يكن بينها كتب الزيات صاحب «الرسالة» في هذا الاختيار، واسم أحمد أمين بكونه فيه، وكان أحمد أمين صريحاً، فاعترف بأنه لم يوص على إدخال مؤلفات الزيات في قائمة الكتب المقررة لأن فيها ما يؤذي الأخلاق

واستمر هذا الخصام بين الزيات وأحمد أمين تارة مستتراً، وتارة ظاهراً، حتى ظهرت «الثقافة»، وكان صاحب الأول عاريه «الرسالة». ومن الواضح من هم قراء الأدب في مصر؟ إنهم طبقة خاصة في أكثريتهم، فهؤلاء لا يستطيعون حمله التأليف والترجمة والنشر بعملة وجه أعانها إليهم بعد أن يستطيعهم بالكتب! وأكثر أعضاء هذه اللجنة من أساتذة الجامعة، فصدرت «الثقافة» يوجهها خصوم الزيات من طه حسين، إلى محمد عبد الله عنان، إلى أحمد أمين. إن مبرهم عن أخصهم الزيات لسبب من الأسباب في وقت من الأوقات، وهذه نوازع بشرية لا غرابة فيها، وإنما الغرابة أن يستطيع أحمد أمين الانتقام من الزيات ولا يفعل!

وقراء الأدب في مصر محدودون، فكان طبيعياً أن يتحول قسم كبير منهم من «الرسالة» إلى «الثقافة»، وأن تحس الرسالة أنها لم تبق وحدها في الميدان، فاشتد النزاع واشتد ... ورأينا الزيات يحمل في مقالاته تحسنات وأبواباً جديدة، ثم لا يلبث أن يحاول اجتذاب طبقة الأزهر إليه فيحمل منهم حرباً يصمده على حرب الجامعة. ولا أدري أنجح في محاولته هذه أم أخفق، وكل ما عرفته أن الثقافة رجحت موازينها على صعيد الأدب ... بانتصارها إلى الروح الصحفية الحديثة.

.. «الجديد»، وإن كانت معصاً المعركة القائمة الآن بين أحمد أمين والدكتور زكي مبارك، أو بين الرسالة والثقافة. فهذا كان الأدب العربي أدب معده في عصوره القديمة لا أدب روح، فالعلوم أن حياة الأدب القديم لم تكن هينة للوارد، فهل الأستاذ أحمد أمين يتمسك في أدبه بما يعيبه على الآخرين؟

انتهى كلام عدلي، وقد نقلته إلى قراء «الرسالة» بكل أمانة.

(ميراب)

بعثة عراقية إلى الأزهر

كان وزير المعارف بالحكومة العراقية قد كتب إلى صاحب المعالي رئيس الديوان الملكي في صدد قبول الحكومة المصرية عدداً من طلبة العراق في الأزهر للتخصص في الوعظ والإرشاد، فتلقى وزير المعارف من معالي الرد التالي:

«تلقيت بمزيد السرور والارتياح خطابكم الكريم الذي تلتمسون فيه أن تقبل الحكومة المصرية عدداً من طلبة القطر العراقي الشقيق للتخصص في مسائل الوعظ والإرشاد، وقد تشرفت بعرض الأمر على حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم، ثم عرضت رغبة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في هذه المسألة، وقد أمر على قبول عدد من الطلبة بقدر ما يستطاع توفيره من أماكن، يجمعونها نحو العشرة.

ولا أراني في حاجة إلى أن أؤكد لمعاليكم أن من أحب الأشياء إلى مصر ما أمكن على ازدياد روابط البلدين إحكاماً وقوة، وأن جميعاً يسرنا أن نبذل أقصى الجهد في تحقيق هذه الغاية الشريفة»

(علي ماهر)

الحمد لله على نعمة الإسلام

امتاز الإسلام من بين سائر المذاهب الدينية بخصلة جليلة، هي رفع الوساطة بين الله والناس، فلكل مسلم الحق في أن يتصل بالله واجب الوجود كيف شاء في حدود المنطق والعقل، ومن حقه أن يخاطب الله بلا وسيط من الأشياخ أو الأحبار أو الرهبان

أقول هذا، وقد قرأت في «الرسالة» كلمة يقول كاتبها إن من حقي أن أتكلم في الأدب لأني دكتور في الأدب، وليس من حقي أن أتكلم في الدين لأني لست دكتوراً في الدين

وهذا الكلام يدل على أن قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الإسلامية، فالرسول عليه الصلاة والسلام قد رفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم، بعد أن كانوا يرجون أن يبهم وبينه حجاباً لا يرفعه غير الأحبار والرهبان

ولو أني انتظرت الإذن من رجال الدين لكان من المعلوم أن تضيع الجهود التي بذلتها في الدراسات الإسلامية، وهي جهود سالت بها قلمي وأنا مصدوع الرأس، فالله جلّ شأنه لا يضيع أجر المحسنين

وإني استكثر أن أتكلم في الدين بهم أني صححت للشيخ خطأ في تاريخ التشريع الإسلامي حين بينت بالأدلة والبراهين أن كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعي، وإنما ألفه البويطي المصري، وتصرف فيه الربيع بن سليمان.

وتم كذلك مصري أني صاحب كتاب « التصوف الإسلامي » وهو كتاب سأؤجر به الجنة وسأرحم من أجله على حساب أقوام من الأدباء المحرومين، كما أوحى الله إلى الرباب أبي سول، وهو رجل سابق الإيمان، ورجاؤه في الله مقبول.

والحق أني أعجب من الذين يصرّون على التشكيك في صدقي. لو كانت قلوب هؤلاء عرفت معاني النور لعرفوا أن في مؤلفاتي شواهد على أصالتي بجوار من وهج الإيمان الصحيح.

وما يهمني أن أزكي نفسي، فالله يعلم ما بيني وبينه، وإنما يهمني أن يعلم بعض الناس من الخيبة في السر أو الجهر في الملاحاة في أمور متصلة بالدين، فإني أخشى أن يغضب الله عليهم فلا يدوموا غير الخسران.

وإني لخليق بأن أرجو لهم الخير، متمثلاً بالقول المنسوب إلى الرسول:

« اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون »

والله أرجو الرجاء في أن يصيّرني من العفو عنهم، وأن يجعلني عبداً من عباده الصالحين، وأن يحميني من العاقبة أمثاله الصبر على محنة الأدب والدين

زكي مبارك

سعد وسعاد

قرأت ما كتبه الصديق العلامة الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وأبدأ فأقول: إن مروان ليس بدلاً من الخليفة بل من (والي تلك الجهة) وبذا يرتفع الإشكال، وأحسب أن حول العبارة أتى عليها خلط من الناسخ.

ولا أكتم شيخنا الجليل أني سررت بوقوعه في هذا الاشتباه فقد أخطأ (سعاد) حين نسبها إلى قومها في مقالة (بنو عذرة) وكأنها الخليفة عمر بن عبد العزيز في نظرته إليهم، فكان من حقها أن نذكر شيئاً هل يؤمن به هنا بأن المحال (كرامات)؟

أما القصة فقد وردت مختصرة في بعض الكتب أذكر منها نهاية الأرب للنويري وقد تكون صحيحة أو موضوعة لا أستطيع الحكم بين صحيحها، فوجدت فيها تحقيقاً على البدو في حبهم وعشقهم وزواجهم وطلاقهم، القلالات بأن حظها عظيم من الخيال، ولكنه خيال يساوي الحقيقة في الصدق لأنه يحكي طبعاً ويصور حياة، بل لقد توسعت في بعض الروايات فأطلقت سعداً بشعر لم يقله، لأن المقام يحتم ذلك ولأن القصة يبيح هذا التوسع.

وإني لأنتهز هذه الفرصة فأهدي إلى حضرة الشيخ الصديق أزكى التحيات المباركات.

ملحوظة: ورد في المقال الثاني شطر بيت هكذا: أو صاحب التاج أو مروان عامله، وصحته عامله.

علي الجندي

سعد وسعاد ومعاوية بن أبي سفيان

قرأت المقال الثاني للصديق الأستاذ علي الجندي فرأيته يجعل ذلك الوالي الذي اغتصب سعاداً من ابن عمها سعد مروان بن الحكم، وأراد بها تلك القصة أسطورة! وقد رأيت بعد هذا أن أراجعها في مظانها، ولم يحضرني على عجل إلا ما يستبعد أن يقع مثل ذلك من مروان في مكانته ورياسته بني أمية، وأن يظهر في تلك القصة بمظهر الوالي الذليل لمعاوية، وهو الذي كان ينافسه في حبه ورياسته لتلك الأسرة الحاكمة من قريش، وقد كان معاوية يلاينه ويداريه، ولا يجابهه بتلك الخشونة التي جابهه بها في تلك القصة، حتى إنه لما عهد لابنه يزيد كتب إلى مروان يأمره بأخذ بيعة قريش وأهل المدينة ليزيد، فأبى ذلك وأبته معه قريش، ثم ذهب إلى معاوية غاضباً في نفر من أهل بيته، وأنكر عليه خروجه على ما سار عليه الخلفاء قبله من جعل ذلك الأمر شورى بين المسلمين، وتأميره الصبيان عليهم، فأخذ معاوية يسترضيه، واسترضاه بالمال، ففرض له ألف دينار في كل هلال، وفرض له في أهل بيته مئة مئة.

ولم تخل — والحمد لله — مراجعتي في ذلك، فقد راجعت تلك القصة في كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ الفيلسوف داود الأنطاكي الطبيب المعروف، فوجدته يذكر أن سعداً لما أمسك بها أمر به إلى ابن أم الحكم، فحبسه عليه السجن والقيود حتى طلقها كارهاً، فأمسى أيما حسرة

الآن عنهم وزوج بها . ولا شك أن ابن أم الحكم غير مروان بن الحكم ، لأن ابن أم الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي وقد اشتهر بنسبته إلى أمه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب الأموي ، وكان خاله معاوية يوليه بعض أعماله فيسيء السيرة فيها ، وهو الذي يليق بأن ينسب إليه ما حصل في تلك القصة

على أني أرى أن تلك القصة من القصص الموضوعة الضعيفة في سبكها وشعرها ، فقد جاء فيها منسوباً إلى معاوية من الشعر هذا البيت

قد كنت تشبه صوفياً له كتب [illegible] من الفرائض أو آيات فرقان

ومثل هذا لا يمكن أن يقال في عصر معاوية ، لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث في ذلك العصر ، ولم يكن فيه كتب في التصوف يحملها المتصوفة أو غيرهم [illegible] وكل أشعار تلك القصة على ذلك الشكل من الضعف الذي لا يتفق مع شعر عصر بني أمية في سائر نقوده ، وإنما هي أشعار موضوعة في العصر الذي ألف فيه كتاب تزيين الأسواق [illegible] وهو العصر الذي وصلت فيه العربية إلى حالة الضعف في أدبها وأشعارها

عبد المتعال الصعيدي

الدين والسياسة

جاء في مقال الأستاذ الجليل ساطع الحصري بك في العدد (٣١٧) من الرسالة [illegible] من أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وإطلاق هذا القول في بلد دين دولته الإسلام ، ودين شعبه الإسلام ، لا ينصرف معنى الدين فيه إلا إلى الإسلام

ونحن نعلم أن الأستاذ ساطع بك من أكابر علماء التربية وأساليبها ، وأنه يعني كل ما يقوله القول ، ولكننا لا نعرفه عالماً بالدين الإسلامي ولو اطلع على الإسلام لما جارى رأي الأوربيين في وجوب فصل الدين (المسيحي) عن السياسة ولما أطلقه على الدين الإسلامي ، إذ إن معنى الدين عند الغالبين منا قليلاً ما يعدو علاقة الإنسان بربه أو ما يسمى في فقهنا بالعبادات ، وهذا الذي يريدون إبعاده عن السياسة ، كما أنهم يريدون الخلاص من سلطة الكنيسة وسيطرة رجال الدين . ونحن المسلمين لا نزال على جهلة السياسة الإسلامية لأنهم يستغنون بأن الإسلام عبادات ومعاملات وتشريع . أما العبادات فبين المرء وربه لا تتدخل في السياسة ولا تؤثر فيها ، أما المعاملات والتشريع فهل يمكن فصلهما عن السياسة أصلاً ، وفي القرآن عشرات الآيات في السياسة الداخلية والخارجية وفيه سورة برمتها ، أفتفصل هذه الآيات عن القرآن ؟ أما سلطة رجال الدين فلا يعرفها الإسلام وليس لهم طبقات تحصر من حيث هي ، أو أنهم وكلاء عن الله

وأحسب أن الأستاذ الحصري لم يطلع على كتاب « السياسة الشرعية » مثلاً للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف أو « الشرع الدولي في الإسلام » للدكتور الأرمنازي أو كتب العلماء المتقدمين من أمثال ابن تيمية وابن القيم قبل أن يكتب ما كتب ، ولكل « في الموضوع » موقف آخر

(دمشق) ناجي الطنطاوي

كشف أثري في شمال الترنسفال

نقلت جريدة (المستداي تيمس) من مراسلها بجوهانسبورج كتاباً قال فيه [illegible] إنه كشف في شمال الترنسفال أخيراً صورة ملونة يعتقد أنها من صور قدماء المصريين ، فأثار هذا الكشف عناية العلماء هناك وكان موضع اهتمامهم

فإذا صح ما زعمه صاحب المزرعة ، وثبت أن الكشف مصري قديم ، فمعنى ذلك أن كل ما دون من أخبار الحوادث في عصور ما قبل التاريخ ستعاد كتابته من جديد

وقد عثر على هذه اللوحة في مغارة صغيرة داخل مزرعة [illegible] التي تبعد اثني عشر ميلاً عن مدينة [illegible]

وأرسل صاحب المزرعة كتاباً إلى الدكتور بروم ، العالم الأثري الشهير ، يعلمه فيه نبأ الكشف الجديد ، وطلب إليه زيارة المزرعة ليرى تلك اللوحة التي أثرت في الأيام الأخيرة اهتماماً غير قليل ، إذ المعروف حتى الآن أنه لم يكشف عن صور ملونة من أصل مصري قديم في بلاد تمتد مواقعها جنوب منابع النيل

ولا شك أن زيارة الدكتور بروم ستمحو الغموض الذي يلابس هذا الكشف الجديد ، ويثبت أن المصريين القدماء كانوا يمتدون [illegible] برسومهم قافلة خاصة لا يخطئ معها الإنسان في أن يعرف إذا ما كانت هذه القافلة من آثارهم أم لا .

لقد أثبتت الآثار المصرية التي أمكن العثور عليها في مختلف السواحل الإفريقية أن قدماء المصريين تمكنوا بوساطة طرقهم الملاحية، من أن يصلوا إلى تلك الجهات، ولكن المكتشف من مثل هذا الأثر المهدي في داخلها متوغلاً بعد ظاهرة جديدة يحتمل معها كثيراً أن يكون قدماء المصريين قد توصلوا في عصور ما قبل التاريخ إلى تأسيس مستعمرات لهم في أفريقيا الجنوبية.

اكتشاف أوراق خطية قديمة في مكتبة جامعة كمبردج

أعلن عميد جامعة كمبردج أن السر هربرت تومسون الأستاذ السابق بكلية [illegible] أهدى إلى مكتبة الجامعة عدداً من الأوراق الخطية القبطية القديمة، يتراوح بين ثمانين وتسعين ورقة.

وترجع أهمية هذه الأوراق إلى أنها تمثل أشكالاً مختلفة للحركة الأدبية في العصور التي سادت بين القرن الخامس إلى القرن الثامن، وقد وجدت هذه الأوراق في الدير الأبيض المشهور في جوار أخميم

حول حرب المنطق – كلمة أخيرة

أساء الأستاذ أنور كامل فهم الروح التي أملت عليّ كلمتي المنشورة في العدد ٣١٦ من الرسالة تحت عنوان «ثم ماذا بعد ذلك» والتي أثارت الأستاذ والجماعة التي ينتسب إليها أمر الكلام عنها — ومن حقي أن أعتقد أن الأستاذ على استعداد لمناقشة الآراء التي يستهدي بها بعد أن قال عن جماعته: «وأهدافهم تنحصر في الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفي نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات ...» (الرسالة عدد ٣١٥ ص ١٤٢٦)

وقد أتيحت له بكلمتي هذه فرصة طيبة للإعلان عن جهود جماعته في مجلة عالية كالرسالة؛ ولكن الأستاذ تحول ونشر في العدد ٣١٧ من الرسالة كلمة تختلف في روحها اختلافاً كبيراً عما نشره في العدد ٣١٥، وترك الفرصة تفلت من يده لا لشيء إلا لأنه لا يمكنه الدفاع عن الفن الذي يروج له، لا عن طريق التفكير المنطقي المقنع ولا عن طريق البيان الذي يلهبه الإيمان بحرارة الذي ينبعث من القلب ويتصل بالقلوب مباشرة فيقنع به. ومن الراجح (كما هو ظاهر لكل قارئ) أن الرسالة لم تنشر الرد الذي بعث به إليها الأستاذ كاملاً بل حذفت منه ما لا يتفق مع آدابها العالي ومستواها الرفيع. وأنا لا يهمني التحمس للأستاذ الفاضل ولن أثأر لما ينال شخصي [illegible] من الأقوال، بل أؤكد للأستاذ ولأسرة الرسالة أني كنت ما كتبت موقناً بأن الفن الحديث بضاعة يجهل قيمتها الكثيرون، وأن المناقشة فيه ودرسه عن طريق التمحيص ومعرفة حقه من باطله قد يدلني الأستاذ كامل على ما أجهل وقد أدله على ما يجهل.

وأعجب من أني رأيت طرفاً مما رسمه بعض أعضاء الجماعة وإني لأكرر بكل قوتي أنه هو مسخ! فرسومهم تستند إلى مذهب السيريالزم Surrealism وهو حركة فرنسية عمدتها بالمذهب الأول ظواهر العالم سيجموند فرويد. وللدلالة على حقيقة أهداف هذه الحركة نقتبس قول أحد أقطابها وهو الأديب أندريه بريتون André Breton

«إني أؤمن [illegible] الأفكار في الأشخاص المتوهمين تنفس اتفاقاً معروفاً مع بعض الفراسات المعروفة. إن ظاهرة الكتابة الآلية قد تأتي بنتائج مدهشة. نحن لا نعرف شيئاً مطلقاً. إننا نعتقد بقدرتنا على احتمال أو التغلب على الفقر والإحساسات الخيالية. نحن نعطف على كل الأحزاب الثورية. نحن لا نؤمن بالتقدم الإنساني. إننا نريد أن نهدم كل حركة مقاومة [illegible] بأعدائنا. الزمن لا وجود له. إني أفضل أن أحصل على [illegible] نحن نصر على مواجهة القيم الفنية مواجهة كاملة. نحن لا نؤمن بالنبوغ الأدبي، والصفة الأدبية literary quality ليس لها أهمية ما. إننا نصر على الحقيقة الحاضرة»[1]

وأظن أن الحركات الفنية لا تنتقل بمثل هذه السهولة من قطر إلى آخر.. دعك من حديث التعصبية والإدغام

أما الشطر الاجتماعي من جهود الجماعة فإني أتمنى له الازدهار والإثمار المبكر [illegible] الأستاذ الذي ثار وهاج لأني وضعت [illegible] دعوة [illegible] الحديث عن الفن

* * *

وكان كاتب هذه المقالات قد وعد قراء (الرسالة) بسلسلة مقالات عن الفن، وقد قربت الأسباب من إعداد هذه المقالات وستنشرها الرسالة قريباً تحت عنوان «الفن كما أؤمن به» وبذلك تؤدي ما نعتقد أنه واجبنا المحتوم

حسين عطا الله [illegible]

(1) عن كتاب Bohemian, Literary & Social life in Paris

فرعون الصغير
وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود تيمور

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يعتبر القاص محمود بك تيمور أشهر الكاتبين للأقصوصة في العالم العربي. وقد أصدر إلى اليوم نحو عشر مجاميع قصصية تحتوي على نيف ومائة أقصوصة تمتاز كل واحدة منها بطابعها الفني. وقد ترجم بعض هذه الأقاصيص إلى الألمانية، والبعض الآخر إلى الفرنسية كما ترجمت أقصوصة له إلى الإيطالية كنموذج من فنه القصصي. وقد نالت أقاصيص محمود تيمور شيئاً من التقدير في الدوائر الأدبية الغربية، وذلك لأنه صاحب اقتصار على كتابة الأقصوصة، وهذا الاقتصار يجيء في الأصل من طبيعته الفنية التي تدرب على جوانب الحياة ومشاهدها ومعالجتها، متأثرة من جهة بأجواء القصص الأوربي، ومن هنا ما في أقاصيصه من شدة الصلة بأقاصيص جي دي موباسان، وتشيكوف، ومتأصلة من جهة أخرى معبرة عن المحيط المصري، ومن هنا ما في أقاصيصه من الطابع المحلي.

وتيمور بك فنان يرتبط نظره بصور الأشياء، ومن هنا نرى ما في أقاصيصه من الرجوع إلى الحياة، والنقل المباشر عن جوانبها ومظاهرها. ولهذا كان إبراز مظاهر الحياة في أقاصيصه مرتبطاً بقدرته على الوصف، والوصف عنده عادي، ومن هنا ينشأ نقص من التدقيق؛ وعلى هذا الوجه فقد يمكن فهم بعض تيموريات الفن في أقاصيصه. وربما كان ما في طبيعته من الصور هو الأصل في هذه النزعة الواقعية الواضحة التي تتراءى للناظر من آثاره. فالتصوير يتيح مجال التداخل لخصيصة أركان الشعور وسلطانها في نفس دقيقة مع الفكر، بحيث يسوق إلى حد توازن بين العقل والمشاعر، وهذا التوازن يعمل عمله حتى يتصل بموضوع الأقصوصة. وهو لهذا يعود من ناحية شكلية، فنجد نظرة محمود تيمور ترتبط بمظاهر الأشياء وسطوح الحياة، ومن هنا يمكن أن نقول بأن الأصل الواقعي في فن تيمور بك ساذج إذ هو نتيجة الوصف الحسي.

وخير ما يقال في أقاصيص تيمور بك أنها قطع من الحياة منتزعة في كل بساطة وصدق، على صفحة ساذجة من الحياة؛ إنه إذا رسم موضوعاً فيها هو جوهر الأقصوصة، أو غرضاً ترمي إليه، فإنك تستشف من وراء أقاصيص الرجل صفحات من الحياة يعرضها عليك في دقة مشهورة بأسلوب الرسام لا بريشة الرسام أو المصور.

ويعتبر «المجموعة» التي أصدرها في هذه الأيام من خير مجموعاته القصصية، وفي مقدمتها بحث عن المصادر التي ألهمته الكتابة. وهذا البحث في الأصل محاضرة ألقيت بقاعة يورت بالجامعة الأمريكية مساء ٥ مارس سنة ١٩٣٨. وقد وفق فيها تيمور بك إلى حد كبير في سبر غور الموضوع الذي يطرقه، كما نجح نجاحاً يذكر في الكشف عن العوامل التي اكتنفته ووجهته وجهاً أدبياً صرفاً، وعملت على طبعه بطابع خاص. ومن رأي تيمور بك أن العوامل التي تعمل في كل كاتب وتكونه هي ثلاثة أمور أساسية: وراثة وبيئة وحوادث، تتداخل فتجري مجرى الحياة الباطنة من طريق إلى آخر. ويرى هو أن عامل الوراثة يتمثل فيه في أن أورثه أبوه وعمه من حب الكتابة، وشقيقه المرحوم محمد تيمور من حب الأدب القصصي. وهذا العامل قد ساقه تداخله مع بيئته إلى الأدب، كما أنه يرى أن أهم العوامل التي أثرت فيه متصلة بجانب مطالعته. وأهم الكتب التي تركت أثراً في ذهنه هي ألف ليلة وليلة، وأقاصيص موباسان، وتشيكوف. على أننا نلاحظ على هذا البحث أن الكاتب وقف بمسألة الموضوع

وسبر أغوار نفسه عند الحب، فلم يحفل بتلك التفاصيل التي تعين على رسم صورة حقيقية دقيقة له.

وفي هذا الفصل ملاحظات تستوقف النظر، أهمها رأي الكاتب في «ألف ليلة وليلة»، وتفسيره لقوة الخيال فيها بأنها ترجع إلى كونها — جاءت من طريق الفرس — وعنده ملاحظة قيمة في دلائل التنويه على بعد نظر الكاتب وعدم جريه وراء الأوهام التي يجري وراءها بعض الذين يكتبون في الأدب العربي من الكتاب المعاصرين.

أما المجموعة نفسها، فتحتوي على اثنتي عشرة أقصوصة، تستهل بأقصوصة «فرعون الصغير»، وهي أقصوصة يبرز فيها الروح القصصي [illegible] من حيث يغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالي، على أن هذه النزعة عند الكاتب في هذه الأقصوصة تمس فكرة الأقصوصة مرتبطة في أطرافها. ففي هذه الأقصوصة نجد تيمور الشاب بطل الأقصوصة شاباً في سن السابعة عشرة، مدفوعاً إلى ذلك بفكرة أولية، هي أن يخلق صلة شبه بين الشاب والفرعون الصغير توت عنخ أمون الذي مات في السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة من عمره — وهذا التصوير الأنيق في بناء القصة مع الجو الذي يقوم به الشاب من أنه يهرب من داره وبات خارجها مع الأمريكية الحسناء.

وفي الأقصوصة الثانية وهي «مريم» نجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصة على أساس من تنازع العواطف، وهذا ما نراه واضحاً في شخصية رشدية يسري. وهذا اللون الباطني وإن كان خفيفاً في هذه الأقصوصة، فهو يعود إلى علم النفس الحديث، والتأثر بالفرويدية Freudism وتصحيحها، على أنه في وصفه شخصية رشدية يسري نفسه فيه مشكلة الواقعية الساذجة؛ فتراه يصف الصور شخصيتها في دقة وبساطة... وهي في تصويره شخصيتها يبدو وكيفية رسمه المصور من حيث يستخدم الألوان ويرجح على الأطياف والظلال. على أنه في تصويره هذا يحول وكأنه ظل قصة بحث يريد أن يبين خلاله القصصي التركي الكبير حين عرض لتصوير «زبيدة» بطل قصته.

وفي الأقصوصة الثالثة وهي «حرب أب» نجد تيمور بك يبث عبر شخصية «الشيخ عفيفي» في صورة إنسان، قد تدرج فيه الإحساس بعد أن صدم في فلذاته، وهو يتخلص من تصويره بأن ربك الأب قد انتصر... وبهذا تخلص من تدرج مشاعره وإحساساته. وهذه الأقصوصة من نوع باطني، ولكن لا يكاد يتشعب منها، وإن أمكن نعوتك أنها يطل منها بعض القصة وهي أيضاً تجرد أثرها الباطنية. وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن الشخصية من جهة والباطنية من جهة أخرى أصبحت تطغى على الواقعية الساذجة، ولكن يجوز أن تعتبر هذا التطور عند تيمور بك طبيعياً؛ لأنه رجل تتكون فيه ميول متطلعة ويختار التعبير الذي يتمشى مع الجو الذي يضطرب في طوايا نفسه.

والحق أن هذه التطورات عند تيمور بك تعد تطبيقاً لجود الواقعية والأصل الواقعي الذي نأى من نفسه بعد ذلك، ولا أدل على ذلك من ظهوره بصورة جيدة تعرض في صميم أقاصيص الرجل.

هذه مجموعة أقاصيص «فرعون الصغير» وهي مجموعة طيبة من الأقاصيص تدل على تطور الفن القصصي عند تيمور بك ولكن مع استناده إلى الأصل الثابت من نفسه، نوصي هنا بقراءتها بالسداد والتمحيص والاعتبار من أبناء العربية.

إسماعيل أحمد أدهم

* * *

وقع خطأ في ردي الأخير على الدكتور بشر فارس هو ورود كلمة report الإنجليزية وكان ينظر إلى كلمة rapport الفرنسية والصحيح من الكلمة الفرنسية تنظر إليها في الإنجليزية كلمة relation أو rapport، وقد استعمل الترجمة الأخيرة G. W. Swain في ترجمته لكتاب دوركايم. كذلك جاء في المقال ص ١٥٢٤ س ١ كلمة التعبيرات مكان العبارة كما جاءت في أكثر من موضع كلمة التقدير مكان التقرير. كما ورد ص ١٥٢٦ س ١٠ كلمة التقدير زائدة. ولهذا لزم التنويه.

7me Année No. 320

Lundi - 21 - 8 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البحراوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الحلف العــــربي

وقضيتا فلسطين وسورية

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

منذ بضعة أسابيع نشرت لي مجلة « المكشوف » البيروتية في عددها الممتاز كلمة عن الوحدة العربية بينت فيها ما يتيسر من ذلك في الوقت الحاضر ، وهو أن يكون الأمم العربية — أو الشعوب العربية — من بينها حلفاً حربياً وتوطيد الدعائم بتوحيد نظم التعليم العام ، وإزالة الحواجز الجمركية ، ووضع الحوالات ، وتنظيم التبادل التجاري ، وتوثيق الروابط الاقتصادية ، وتوحيد النظام العسكري ويعين على إنصاف الأمم العربية التي لم تزل إلى الآن متعثرة في الحياة الحرة مثل : تونس والجزائر ومراكش ، ويجعل من هذه البلاد كلها كتلة واحدة وصفاً متراصاً مصوناً المدفع عن وجودها وصون مصالحها والذياد عن كيانها . وقلت : إن هذا مطلب ليس فيه شطط ، فإنا نرى فرنسا وبريطانيا تسعيان لمحالفة الروسيا الشيوعية على الرغم مما بين الدول الثلاث من تفاوت في الأصول واللغة والنظم الاجتماعية والسياسة والأغراض والمصالح والمواقع الحربية

وقد نقلت جريدة البلاد البغدادية هذا المقال ، وعلقت عليه بحوثاً إلى الحلف الذي أدعو إليه قد فكر فيه العراق ، وأوجد

مشروعه بعقد معاهدة مع المملكة العربية السعودية ودخلت فيه مملكة اليمن، وبابه مفتوح لدخول كل دولة عربية أخرى »

وأنا أعرف ذلك وما سبقه ولا أنسيته يوم كتبت كلمتي إلى المكشوف، وقد كنت في بغداد لما كانت المفاوضة دائرة بين العراق والمملكة العربية السعودية لعقد هذا الحلف، وقبل الأوبة إلى مصر بشرنا السيد يوسف ياسين مندوب الدولة السعودية، والمرحوم ياسين باشا الهاشمي رئيس الوزارة العراقية يومئذ، بأن الاتفاق تم ولم يبق إلا التوقيع، فكان هذا أعظم ما سرنا وخير ما عدنا به من بغداد

وما زال الحلف قائماً ولا شك في فائدته للدول الداخلة فيه ولكني لا أعلم أن الفائدة تجاوزت هذا النطاق المحدود. وإذا كانت العراق واليمن والمملكة العربية السعودية قد تعاونت على السعي لإنصاف فلسطين فقد اشتركت معها في ذلك مصر وهي غير داخلة في الحلف، وقد كسبت هذه الدول الأربع لفلسطين العدول عن الوطن القومي وحصر الهجرة اليهودية إليها في نطاق الثلث، وهذا مكسب له قيمته ولا ريب، ولكني أجترئ على القول بأن الفضل في كسب فلسطين العربية لأبنائها الأشداء الأبطال المغاوير قبل أن يكون لهذه الدول العربية، ولو لم يقم عرب فلسطين بثورتهم الباهرة لما أجدى سعي البلاد العربية الأخرى منفردة أو مجتمعة. ومع ذلك أصبح هذا المكسب عرضة للضياع إذا اعتبرنا ما يحدث كل يوم من تهريب اليهود إلى فلسطين واستعمالهم كل وسيلة غير مشروعة لإحباط سياسة الكتاب الأبيض التي تقضي بتحديد الهجرة والعدول عن الوطن القومي، وهؤلاء اليهود يخرجون من بلاد لا تضطهدهم ولا تسومهم شيئاً من العذاب أو الظلم وإنما يُجمعون ويُرسلون إلى فلسطين ليقاوموا السياسة الجديدة كما صرح زعماء اليهود بذلك

وأنا أعلم أن معالي نوري السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية هدد في لهجة صريحة بسوء العاقبة إذا لم تعمل بريطانيا على إنصاف عرب فلسطين، وكان لوعيده هذا أثره يومئذ في المؤتمر

ولكن على الرغم من تعاون البلاد العربية في المؤتمر ودخولها فيه وخروجها منه كتلة واحدة، وعلى الرغم من [illegible] لم يظفر العرب بأكثر من خمسين في المائة من مطالبهم العادلة وحتى هذا الظفر يهدده التهريب اليهودي الآن

ودع فلسطين وانتقل إلى سوريا وألق نظرة على حالها. عقدت فرنسا معاهدة مع سوريا مماثلة للمعاهدة العراقية البريطانية، وما أظن أن أحداً سيدعي أن فرنسا أرغمت على ذلك أو أن سوريا أملتها عليها بحد السيف، ومع ذلك راحت تماطل في إبرامها ثم عصفت سياسة المعاهدة جملة وقضت على الحكم الدستوري وعطلت البلاد نيابياً، وسلخت الإسكندرونة ونفحت هديتها إلى تركيا، وليس ما صنعته ألمانيا بتشيكوسلوفاكيا كما فعلت فرنسا فما كانت تشيكوسلوفاكيا أمانة في عنق ألمانيا وإنما كانت شوكة في جنبها وضعتها هناك سياسة فرنسا. وليس هذا دفاعاً عن ألمانيا وإنما هو الحق. وإذا كان المرء لا يجد ما يصلح أن يكون دفاعاً عن ألمانيا في هذا الباب على الرغم من الحقائق المعروفة فأي دفاع يمكن أن يكون هناك عن فعلة فرنسا في سوريا من اقتطاعها الإسكندرونة إلى تركيا، وتقسيمها ما بقي من البلاد السورية إلى محافظات مستقلة إدارياً وسياسياً ومالياً وحكمها حكماً مباشراً، وإهمال المعاهدة التي عقدت في سنة ١٩٣٦؟

والشعب السوري من أسبق الشعوب إلى اعتناق الفكرة العربية والدعوة إلى الوحدة ومن أرقاها وأحقها بالحياة الحرة، وإذا كانت سوريا لا تستحق الاستقلال فلا ندري من ذا يستحقه؟ وإذا كانت سوريا التي احتمل رجالها أثقل أعباء الثورة العربية في إبان الحرب الكبرى والتي كانت ولا تزال إلى هذه الساعة على الرغم من عسف فرنسا أقوى مؤيد للحركات الاستقلالية في كل بلد عربي، تقابل بكيانها على هذا النحو، ولا أحب أن أقول الجحود، فلا أدري أي أمة أخرى أولى بالمعونة والنصفة؟

أنا أعرف كما قلت آنفاً أن هناك حلفاً عربياً بين العراق والدولة العربية السعودية واليمن، ولكني أستأذن صديقي الأستاذ [illegible] صاحب «البلاد» السعودية في أن أقول إن هذا الحلف لا يمكن أن يؤتي الثمرة المرجوة منه ما بقيت فلسطين وسوريا ترسفان في الأغلال، فإن هذين القطرين هما قلب البلاد العربية

إن البلد العربي الوحيد الذي يستطيع أن يعمل في الحلف العربي الآن هو مصر ولكني أعرفها فيه لا تريد مغنماً، ولا تبغي مكسباً، ولا تريد شيئاً غير علاقات الود والتعاون بين مصر وبلاد الحلف (العراق والمملكة العربية السعودية واليمن)

كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

(تابع)

أما الفوائد التي تعزى إلى « تعليم اللاتينية واليونانية » من وجهة تسبب هذا التعلم في « تثقيف العقل وتقوية الذكاء » في الأمور التي تحتاج إلى إنعام النظر من وجوه عديدة

فإن نظم المعارف السائدة في أوربا ، كانت جعلت « الدراسة الثانوية الممزوجة بتعلم اللاتينية واليونانية » السبيل الوحيد الذي يؤدي بالطلاب إلى الدراسات العالية . ولا حاجة للبرهنة على أن عدم وجود سبيل آخر يؤدي إلى ميادين التفكير والثقافة الفسيحة ، لا يمكن أن يعتبر دليلاً على عدم إمكان إيجاد سبل أخرى أقصر وأحسن وأنجع من تلك السبيل . . .

كما أن ذكر الأمثلة الكثيرة من أعاظم العلماء الذين كانوا من المتأخرين والمتقدمين في دروس اللاتينية لا يمكن أن يبرهن على أنه صحة كانت في هذا المضمار ؛ لأن العكس أيضاً صحيح يتطلب التساؤل تجاه مثل هذه الأمثلة عما إذا كانت اللاتينية هي عامل من عوامل تفوق هؤلاء العلماء ، أم أن مواهبهم العقلية كانت من أسباب تقدمهم في اللاتينية ؟

ونرى من المفيد أن نوضح هذه القضية بمثال مادي : لنفرض أننا أخذنا حفنة من الحبوب وغربلناها بغربال معين ؛ من الطبيعي أن هذا الغربال سيسقط الحبوب الصغيرة ، وسوف لا يحتفظ إلا بالحبوب الكبيرة . فهل يجوز لأحد أن يدعي — عندما يشاهد هذه الحبوب الكبيرة — أن الغربال سبب « تضخم الحبوب » ؟

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يجوز لأحد أن يدعي أن هذا الغربال هو الواسطة الوحيدة لانتقاء البذور ؟ أو أن الغربلة هي أحسن الوسائط لهذا الانتقاء ؟ وهل لأحد أن ينفي احتمال سقوط بعض الأنواع من البذور الجيدة والنافعة — مع ما يتساقط من الغربال ؟ أو ألا يسلم باحتمال بقاء الأنواع من البذور الرديئة والمضرة ، بين ما يبقى في الغربال ؟

ونحن لا نقصد في سوق هذا المثال وإيراد هذه الأسئلة أن ندعي أن « درس اللاتينية في العقول لا يختلف عن عمل الغربال في الحبوب » ، بل إنما نريد أن نقول : إن هذه القضايا كثيرة التعقيد كما يظهر من المثال المادي البسيط الذي ذكرناه ؛ فلا يجوز لنا أن نبت في مثل هذه القضايا قبل أن ندرسها من جميع وجوهها ونقوم بأبحاث دقيقة وشاملة في شأنها .

فلنفكر كيف يمكن أن يؤثر « تعليم اللاتينية » على القابليات العقلية . لا شك في أن هذا التأثير يجب أن ينجم عن ممارسة طرق الترجمة التي تجري خلال هذا التعليم . فإن الترجمة تحمل الطالب على القيام بأعمال ذهنية هامة : إنها ترغمه على نقل الفكرة الواحدة ، أو المعنى الواحد من لغة إلى لغة أخرى ؛ وذلك يضطره إلى تحليل المعاني والعبارات إلى عناصرها المختلفة ، ويحمله على إجراء مقارنات دقيقة بين عبارات اللغتين ويعوده ملاحظة أصغر الفروق وأدق الأمور في معاني الألفاظ والعبارات التي يعرض عليه أو يصطدم بها . . . إن الفوائد الحقيقية التي يحصل عليها الطالب من تعليم اللغة اللاتينية أو اليونانية ، لا تخرج عن نطاق فوائد هذه التمارين من وجهة التأثير على القابليات العقلية .

ولا مجال للشك في أن جميع هذه الفوائد لم تكن من خصائص

وإنما الذي يكسب العرب وزناً جديداً وقيمة عملية من الممكن أن تكبر الآن هو استقلال فلسطين وسوريا وتحولها في الحلف وكذلك جميع البلاد العربية (إلى آخر حدود مصر الغربية) كتلة واحدة حقيقية في وسعها أن تتعاون على مواجهة الطوارئ وملاقاة الأحداث ودفع الأخطار . وليس ذلك لأن سوريا وفلسطين أكثر عدداً أو أوفر مالاً أو أعظم قوة أو كما بل لأن بقاء هذه البلاد خاضعة لسلطان دول أجنبية يشطر البلاد العربية شطرين ويجعل التعاون العملي بين الشطرين متعذراً ويحول دون القيمة التي يسهل أن تستفاد من اتصال الحدود وزوال الفواصل والحوائل .

وإلى أن يتم استقلال سوريا وفلسطين لا يجوز إلا لكاذب القول بأن الحلف العربي موجود وقائم وأن بابه مفتوح لمن يريد الدخول فيه فلا يجدي شيء حقيقي بدخول مصر فيه قبل استقلال سوريا وفلسطين . وإلى هذا ينبغي أن يتجه السعي قبل كل شيء ، وما أظن إلا أن إخواني في العراق يرون هذا الرأي .

إبراهيم عبد القادر المازني

معلم للاتينية أو اليونانية ؛ بل هي مما يمكن الحصول عليها خلال تعلم أية لغة من اللغات الحية الراقية أيضاً

إن هذه القضية كانت من أهم المسائل التي احتدم النزاع عليها ودرت الباحثات والمناقشات حولها ... وقد قام عدد غير قليل من علماء النفس ورجال التربية ، بدرس هذه المسألة درساً وتجريبياً . فقد قاموا بتحقيقات واسعة النطاق ، ووصلوا إلى أن اللاتينية لا تمتاز على سائر اللغات — من حيث القابلية التثقيفية — بوجه من الوجوه

فلا يجوز لنا مع ذلك أن نوصي بتعليم لغة ميتة إلى « تثقيف الذهن » ؛ بل الأحرى بنا أن نصل إلى التثقيف المذكور من طريق تعليم لغة حية يستطيع الطلاب أن ينتفعوا بها في الوقت نفسه طول حياتهم الفكرية والاجتماعية

وعند ما فكرت في هذا الموضوع — على ضوء الآراء والأبحاث التي أشرت إليها — تذكرت قصة صغيرة كنت قرأتها في كتاب مدرسي ، بين موضوعات الإنشا

كان رجل يعتمد في تدبير معاشه على نتائج مزرعته . فلاحظ يوماً أن البركة أخذت تذهب من مزرعته ، وأن النتاج أخذ يقل عن حاجته ، فشكا حاله إلى أحد أصدقائه ، فوعده صديقه هذا بسؤال أحد السحرة لتدبير مسألته . فقال إليه — في اليوم التالي — بعلبة سحرية ، وقال إنه كفيلة بإعادة البركة إلى مزرعته على أن يستصحبها معه كل ليلة إلى بعض أنحاء المزرعة — من الاصطبل إلى مخزن الحبوب — فأخذ الرجل يتجول يومياً مستصحباً ويطوف بالعلبة السحرية في الأنحاء المذكورة . ولم تمض على ذلك مدة طويلة ؛ إلا وقد رأى أن العلبة فعلت فعلها السحري ، وأعادت البركة إلى مزرعته . غير أن هذه العلبة ، كانت في حقيقة الأمر علبة اعتيادية فارغة ، وأما سحرها ، فقد نتج من اضطرار الرجل إلى الطواف ليلاً في مختلف أنحاء مزرعته ؛ لأن هذه الطوافات ، ساعدته على ملاحظة أحوال مزرعته ، ومراقبة أعمال مأجوريه ، ووضع حد لجميع الأسباب التي كانت تؤدي إلى تناقص موارده .

إني أشبه عمل اللاتينية في صقل التفكير ، بعمل « العلبة السحرية » التي ذكرتها ، فإن السحر ليس فيها ، بل في الأعمال الفعلية التي تجري بواسطتها . ولا حاجة لبيان أن هذه الأعمال مما يمكن أن يجري دون واسطتها ؛ بل بواسطة أية لغة من اللغات الحية الراقية

إن المناقشات التي ثارت حول مسألة تعلم اللغات القديمة لم تحصل وراء الحدود في فرنسا ؛ بل حدثت بعض الإصلاحات الجامعية هناك إلا بعد انقضاء النصف الأول من القرن الأخير

وأما أول التدابير العملية التي اتخذت في هذا الباب فقد كان إحداث نوع جديد من الدراسة الثانوية في عهد وزارة (دكتور دوروي) . فعرف هذا الفرع الجديد باسم « التعليم الخاص » واستقل عن تعليم اللغات القديمة ، وجعل غايته إعداد الطلاب للمدارس العالية الاختصاصية التي تفتح أمامهم سبل التحول إلى الحياة العملية

غير أن إحداث هذا النوع من التعليم أثار غضب أنصار اللاتينية ، كما أنه لم يحقق رغائب المجددين . فقد صرخ فيه أنصار اللاتينية واليونانية قائلين : « إن هذه الدراسة الحديثة ستجلب الشبان إليها من جراء قصر المدة التي تتطلبها والفوائد العملية التي تضمنها ، وذلك سيؤدي إلى انصراف الشبان عن سبيل العلم الخالص ، وإلى انحطاط الثقافة الفرنسية العالية » . فقرروا لذلك وجوب تطويل مدة الدراسة فيها لإزالة أسباب الإغراء منها

وأما معارضو اللغات القديمة فإنهم قالوا بأن هذا الإصلاح غير واف بالمرام ؛ لأنه أحدث سبيلاً جديداً للدراسات العملية النافعة وحدها ، وترك سبل الدراسات الخاصة على حالها ؛ في حين أنهم كانوا يطالبون بإصلاح تلك السبل أيضاً ؛ كانوا يطالبون بوجوب إحداث نوع في الدراسة الثانوية لا يقصر في أهدافه السامية عن أهداف الدراسة الكلاسيكية الراهنة ، ولا يهمل شيئاً من الفروع الثقافية التي عرفت باسم « الإنسانيات » منذ عصر النهضة ، إنهم كانوا يدعون إلى إحداث « إنسانيات عصرية » تعوض الكتب القديمة باللغات الحية ، دون أن تحيد عن أهداف العلم الخالص والدراسة الخاصة

ولذلك ثابر هؤلاء على مطالبهم إلى أن جاءت وزارة (بورجوا) وخطت خطوة جديدة في السبيل الذي كانوا يدعون إليه ؛ إذ أنها حولت « التعليم الخاص » إلى فرع ثانوي جديد عرف باسم « التعليم العصري » . وأصبحت الدراسة الثانوية بعد ذلك متفرعة إلى فرعين متوازيين : كلاسيكي وعصري

بدأ هذا الفرع الجديد يعيش لنفسه الطريق بين أنواع شتى

من الموانع والمشاكل — من قلة الوسائط إلى معارضة الموظفين وعراقيل المدرسين — إذ أن أنصار اللغات القديمة والتعليم الكلاسيكي بذلوا كل ما لديهم من قوة لتحذير أولياء الطلاب من الاعتماد على نتائج هذه البدعة، وحرصوا حرصاً شديداً على إبقاء الجامعات موصدة الأبواب أمام متخرجي الفرع العصري من الدراسة الثانوية.

فاستمر النزاع والنقاش، ووصل الأمر في أواخر القرن إلى درجة من الحدة اضطر معها مجلس الأمة إلى القيام بتحقيق برلماني خاص؛ فألف لجنة لدرس مسألة الدراسة الثانوية من جميع وجوهها دراسة واسعة النطاق. فاستمعت اللجنة لآراء عدد كبير من رجال العلم والأدب والتربية والتعليم، من رؤساء الكليات وعمداء ... إلى كبار رجال العمل في المهن المختلفة، وخصصت في أعمالها ومباحثها مكاناً كبيراً لمسألة التعليم العصري والتعليم الكلاسيكي.

وقد أظهر هذا التحقيق الشامل عدة حقائق مهمة حول مسألة تعليم اللغات القديمة في المدارس الثانوية.

إن الدراسة الكلاسيكية المستندة إلى تعليم اللغات القديمة، كانت لا تزال تتمتع بشهرة عظيمة بين أولياء الطلاب. كان المتعلمون منهم قد درسوا دراسة كلاسيكية، فتعودوا أن ينظروا إلى أن معرفة اللاتينية — معرفة تمكن من ترصيع الكلام ببعض عبارات منها عند الاقتضاء — من دلائل «الامتياز الفكري» ولوازم «الأرستقراطية المثقفة»؛ ولذلك قلما كانوا يرضون لأولادهم نوعاً من الثقافة تحرمهم هذا الامتياز، وتحط من مراتبهم الاجتماعية. وأما الذين كانوا ... أبسط من ذلك — ومع هذا أجدر يطمعون ... أولادهم من طريق تعليمهم تعليماً راقياً — فكانوا لا يرضون لأولادهم أن يحرموا من ... في هذا الميدان ... ولهذا ... الأكثرية منهم نحو التعليم الكلاسيكي القديم.

يزاد على ذلك أن معظم مديري المدارس الثانوية ومعلميها أيضاً كانوا متشبعين بفكرة تفوق الدراسة الكلاسيكية على العصرية؛ ولذلك كانوا لا يتأخرون عن تشويق التلاميذ الأذكياء إلى اختيارها ... حتى أن البعض منهم كان يغالي في هذا الاعتقاد أشد المغالاة، فيظهر الفرع الجديد بمظهر «ملجأ المتأخرين» من الطلاب، ويبذل كل ما لديه من قوة لإقناع المتفوقين منهم بالرغبة عن هذا الفرع ...

وأخيراً كان في جبهة الدراسة الكلاسيكية عدد كبير من المدرسين المعروفين المزودين بأحسن الأساليب والطرق الصالحة؛ في حين أن الدراسة العصرية كانت في حاجة شديدة إلى معلمين جيدين يحسنون القيام بالمهام الملقاة على عاتق هذه الدراسة الجديدة.

ومع كل ذلك قامت الدراسة العصرية بأعباء التثقيف أحسن قيام، وأعطت نتائج باهرة، لا تقل عن نتائج الدراسة الكلاسيكية.

واللجنة قررت (بعد ما اقتنعت بذلك) إبقاء الفرع العصري في الدراسة الثانوية (مع العمل لتوسيعه وترقيته) ومع هذا قررت في الوقت نفسه الاستمرار على اشتراط معرفة اللاتينية للقبول في كليتي الطب والحقوق. غير أنه مما يلفت الأنظار، أن القرار الأخير لم يتخذ إلا بأكثرية ضئيلة جداً؛ لأن الأصوات التي ارتأت جانب اشتراط اللاتينية للقبول في الكليتين المذكورتين لم تتغلب على مخالفيها إلا بصوت واحد فقط!

ولإظهار قوة الآراء المخالفة لذلك، أود أن أذكر بعض الفقرات المستخرجة من المضابط التي أدلى بها ثلاثة من رجال العلم والفكر في هذا الصدد، وهم ليون بورجوا، وأرنست لافيس، وريبو، وبوانكاره.

قال الأول ما مؤداه: نحن لم نعتقد أن الذين يتعلمون الدراسات القديمة هم وحدهم جديرون بتكوين الأرستقراطية الفكرية؛ بل اعتقدنا بإمكان «إنسانيات عصرية» مستقلة عن اللغات القديمة، اعتقدنا بأننا نستطيع أن نعطي نوعاً من الثقافة العامة، يختلف عن الثقافة الكلاسيكية، دون أن يكون أقل سمواً منها. ... إن الدراسات الكلاسيكية بطبيعتها «كلاسيكية» فلا تستطيع ... حاجات عصرنا هذا، ومطالبه الفكرية والأدبية والاجتماعية ... إن العالم قد تبدل تبدلاً أساسياً منذ عشرين قرناً؛ فالثقافة الكلاسيكية التي توارثت مكتسبات الحضارات القديمة ونعمها، أصبحت بعيدة عن ملاءمة الحضارة الحالية ...!

ثم وجه مخاطبيه بالسؤال التالي: «أيها السادة، لنسأل أنفسنا بكل صراحة: من منا يستطيع أن يقول بأنه تذوق ما في مآسي «سوفوكليس» أو محاورات أفلاطون، من جمال، عن طريق قراءة نصوصها الأصلية ... إذا لم يكن قد أولع بالكتب القديمة ولعاً شخصياً، فتعمق في دراستها بعد

الأسباب من الدراسة الكلاسيكية ؟ أنا أنا فاسرت – من حيث – بكل إخلاص – بأنني لم أفهم مطلعه « أوديب الملك » إلا في الكوميدي فرانسيز . . . مع أنني كنت من المبرزين في دروس اللغات القديمة وآدابها . . . »

وأما « أرنست لافيس » – الذي يعد من أشهر كتاب التاريخ في فرنسا ، والذي ظل مديراً لمدرسة المعلمين العالية مدة طويلة – فقد اعترف خلال نصف قرن بأنه كان مؤمناً في مبدأ تجربة الدراسة المصرية – منذ إنشائها – غير أنه تخلص من هذا الريب ، بعد أن رأى النتائج الفعلية ، فأصبح يعتقد بأن قيمة الثقافة التي تكتسب خلال مثل هذه الدراسة ، لا تقل – بوجه من الوجوه – عن قيمة الثقافة التي تكتسب من الدراسة الكلاسيكية . وزيادة على ذلك فند الرأي القائل بضرورة اللاتينية لإجادة الفرنسية ؛ وصرح باعتقاده الجازم في مساواة هاتين الثقافتين ... وقال بأن « صحيح اليونانية واللاتينية وإيصاد أبواب الحقوق والطب أمام خريجي الدراسة العصرية » ما هي إلا من قبيل الأوهام الباطلة التي لا تستند إلى تجربة وتفكير ، وأشهر مستمدة من مناقشة القضية » بعد الاستقصاء .

وأما « بوانكاريه » الذي كان من كبار رجال الفكر والفنون ، والذي قام بأعباء وزارة المعارف ، وخرج بعد ذلك إلى رئاسة الوزراء ورئاسة الجمهورية – فهو أيضاً قد دافع عن الدراسة العصرية من وجهة قيمتها الثقافية دفاعاً حاراً ؛ ورد على آراء القائلين بضرورة اللاتينية لدراسات الحقوق ردوداً عنيفاً . فقد قال – في هذا الصدد – ما مؤداه :

« إنني لا أستطيع أن أسلم بضرورة معرفة اللاتينية لدروس الحقوق الرومانية بل أقول بإمكان درس هذه الحقوق بأساليب جديدة غير التي سودناها إلى الآن ، كما أعتقد بأنه لم يبق لهذه الحقوق من فائدة سوى منفعتها التاريخية . فضلت عما كذا من أن الاستعاضة عن دراسة الحقوق الرومانية بدراسة الشرائع المعاصرة ، لا يكون أشد موافقة وأكثر ملاءمة لتحصيل الثقافة الحقوقية العصرية »

« هذا ، وإنني سأذهب إلى أبعد من ذلك وسأزيد على قولي قولاً آخر – مع علمي بأن هذا القول سيعتبر في نظر البعض من ضروب الكفر والإلحاد – فأقول بدون تردد : إن سيطرة الحقوق الرومانية على الفكر الفرنسي المعاصر ، لا تخلو من مضار ... وقد شاهدت مضارها الرومانية بصورة خاصة في المناقشة البرلمانية إلى الحد الذي عرفته ، يجب أن نعلم أن مصدر قسم منها هو الأساليب الرومانية التي تعودناها في تفهم وتصور الحقوق »

غير أن هذه التصريحات القوية وأمثالها من التصريحات ، لم تتمكن من زعزعة الاعتقادات القديمة كلها من أذهان جميع أعضاء اللجنة البرلمانية ، ولذلك أيدت اللجنة ما كره بعض ... الوحدة النظام المتبع في اشتراط معرفة اللاتينية لدراسة الحقوق . غير أن حالة الأكثرية التي أقرت ذلك كانت دليلاً واضحاً على أن الحل المذكور لم يكن من الحلول التي تطمئن إليها الأفكار ، وتستقر عندها الأمور ، بل كان من الحلول المؤقتة التي تؤجل التسوية النهائية ، دون أن تضع حداً حاسماً للاختلافات . فكان من الطبيعي ألا تقف الأمور عند هذا الحد ، فتستمر المناقشات إلى أن يتقرر مبدأ المساواة بين الثقافتين الكلاسيكية والعصرية

وهذا ما حدث فعلاً ، فإن مناهج الدراسة التي وضعت بعد التحقيق البرلماني الآنف الذكر ، حاولت أن توجد حلولاً متوسطة تمكن من حل المشاكل فأوجدت مثلاً نوعاً جديداً من الدراسة الثانوية ، يحتفظ باللغة اللاتينية ، ويستغني باليونانية لتعويضها بالعلوم أو اللغات الحية . ولا شك في أن هذا النوع كان يشغل موقفاً متوسطاً بين « الكلاسيكية المحضة » التي تحتفظ باللغتين القديمتين في وقت واحد ، و « العصرية المحضة » التي تستغني عن هاتين اللغتين مرة واحدة

غير أن الإصلاحات التي تقررت بعد الحرب العالمية ، انتهت (بعد شيء من الجزر والمد) بتقرير مبدأ المساواة بين الدراسة الكلاسيكية والدراسة العصرية ، واتخذت عدة تدابير عملية لضمان هذه المساواة بصورة فعلية

هذا هو ملخص الأطوار الأساسية التي مرت بها مسألة تعليم اللاتينية واليونانية في المدارس الثانوية الفرنسية

(يتبع) أبو خلدون

الحق جاهد

للأستاذ عبد الرحمن شكري

إن الإنسان كلما كثرت عليه التجارب أدرك التفاؤل على أكثر الآراء عناء زائل وأمر حائل، وأن ما يبدو متفائلاً على الحق إنما هو شائل على المطامع التي تدعي حقاً. قال أحد الفلاسفة من الغرد في علم الحساب أن جمع الاثنين والاثنين أربعة ولكن لو كانت هذه المسألة من مسائل الحياة التي تختلف فيها مطامع الناس ومطالبهم ومآربهم لكان بين الناس من يعتقد بإخلاص وحسن نية أن جمع الاثنين والاثنين خمسة أو سبعة أو تسعة حسب ما تقتضيه مطامعهم وعوائدهم. وكل منهم يعتقد بإخلاص أن جمع الاثنين والاثنين إنما كان في رأيه خمسة أو سبعة أو تسعة غير مؤسس على ما تقتضيه المطامع والفوائد الخاصة، وإنما وصل كل منهم في اعتقاده إلى هذه النتيجة المتخلص من لوازم شخصه وبالفكر النظري الخالص من كل شائب. ولكن الناس اتفقوا على أن جمع الاثنين والاثنين أربعة لأن هذا الجمع ليس من الأمور التي تختلف فيها مطالبهم أو عوائدهم. على أن الناس في الحقيقة يختلفون في جمع الاثنين والاثنين عند ما يخرجونه من حيز المسائل الحسابية النظرية المجردة وعند ما يلبسونه لباساً من مطالب الحياة وقوانينها واختلاف أوجه النظر فيها حتى تصير المسألة الحسابية البسيطة نفسها غير معروفة في أفكارهم ومطالب حياتهم وكأنها غير موجودة

أذكر أني قابلت أثناء الحرب العظمى الماضية أحد أفاضل الأجانب ممن اتصف بالعدل وصدق النظر في الأمور والاعتدال في الرأي، وجرى بيننا الحديث عن الحرب والأمم المتقاتلة فيها فأجرى الفرنسيين ودم الألمان، وأوضح أسباب الفتح والنصر ثم انقضت الحرب وحاولت فرنسا بعدها بمحالفة الدول الأوروبية السيطرة على القوى الحربية في أوربا وحشد العتاد وأن تخل بالتعادل الدولي. وقابلت صاحبنا فذم الإنجليز ومدح الألمان وقال هم أبناء عمنا وذكر أسباب الفتح وطبعاً. ولو قابلته الآن بعد أن صدت العاطفة وفرنسا إلى الوفاق وبعد أن عرفت ألمانيا لعاد إلى رأيه الأول وصاحبنا هذا رجل عدل وإنصاف واعتدال في أمور الحياة وهو

في كل حالة كان يعتقد ما يقوله ويرى ما يراه ولا يكذب فيه، وهذا العامل ليس ببدع، فهذه سنة الناس قديماً وحديثاً يعتقدون بإخلاص وحسن نية إلى ما يناسب أغراضهم ومطالبهم وأحاسيسهم وهم لا يشعرون بذلك التحويل، وعدم علمهم بهذا التحويل هو سبب إخلاصهم في نصرة ما يعدونه حقاً وبذلهم في سبيله كل وسيلة في نصرته، ومن هذه الطريق يدخل نفس الفاضل حتى الخبيث فيما يدخله من شر وسوء ولؤم، ولكل إنسان في أحيانه يدخل في ... من ... وميوله وخواطره وآماله ومآربه ومصالحه وعاداته وما يناسب شأنه وثقافته الخاصة وميوله وهو يدخل ما يدخله في معنى الحق من غير أن يعمل عمل المنافق الذي يخفي من رأيه غير ما يعرض على الناس، ولو تبينا طريقته في تحويل معنى الحق إلى جانبه نفاقاً لكانت نفاقاً لا يعرف صاحبه أنه نفاق

فإذا أضفت إلى هذا النفاق غير المقصود الشائع في كل نفس ما تقصده أكثر النفوس من سبيل القصد إلى النفاق الخبيث ظهر أن معونة نصرة الحق أمر جاهد حقاً وظهر السبب في خطأ الناس في عدم ما يعرض عليهم من الأمور التي تسمى حقاً. بيد أن النصر والضرورة في نصرة ما يسميه كل إنسان حقه ليست مقصورة على صاحب النفاق الخبيث الذي يعرف صاحبه أنه ينافق فيما يسميه حقه، بل إن النصر والضرورة في نصرة الحق أمران قد يلقيان في نصرة صاحب النفاق غير المقصود لما يتصور له من الأمر الذي يسميه حقاً. ومن أجل ذلك قد يبقى الناس أنفسهم مختلفين فيما يعرض عليهم من الأمور الموصولة إلى الحق، فهم أيضاً في حكمهم شأنهم بأن صاحب الأمر الذي يعرضه عليهم كي يقبلوه، فهم إما يقدرونه على أنه حق إذا وافق هواهم وإما ينكرونه بطلانه ويوجهون ويدعون أنهم خدعوا لصاحبه. فإذا خالف هواهم قالوا إنه باطل وهم في كل حالة قد يخالفون أنفسهم ويعرفون النقص والتمحيص ويعتقدون ما يعتقدون أو ما يتظاهرون باعتقاده بحسن نية، وقد يجتمع حسن النية والتظاهر، إذ أن النفس تستطيع أن تخادع نفسها حتى في ظاهرها بغير ما تبطن. ومن أجل غلبة الأهواء يقول البحتري:

أعيذ إذا النفس حدثتك بالحسـ ... ـها وإذا حدثتك بالحسنى

فقال الحق هنا لأن النفس أعلم بالأهواء وأعلق بالوفاء

وفي البحث إرشاد إلى ثقافة ولكن الثقافة نفسها قلما تخلو من أهواء النفوس وقلما يستطيع المرء أن يخلص نفسه إذا جعلها الملق وقلما يحاول أحد تلك الخلاصة وذلك الاستشفاف للحق مادام يلون الحق كما يشاء، ويصبغه صبغة أو يصطنع في نفسه وهو لا يدري والحق يختلف أيضاً باختلاف آراء المرء حسب حالات جسمه وأعصابه الناشئة من سقم أو صحة وقوة أو ضعف وحالات صحته وبطالته، وقد يفكر المرء في اختلاف الحق حسب اختلاف مطالب المرء ونشأته وثقافته وحالات نفسه وجسمه فإنه قد يستطيع مع إيمان المفكر أن يخلو من ضراوته وأكاذيبه وحقده وغيرها من الوسائل التي يناصر بها نفسه، على حد قول القائل إن الغاية تبرر الواسطة، غير ضراوته وأكاذيبه وحقده لأنه يستخدم هذه الوسائل في نصرة الحق الذي هو أيضاً وليد أعصابه وحالات نفسه وجسمه.

واستعراض هذه الأمور العديدة التي تشكل الحق في نظره يسقط حجته في أن الغاية الشريفة تبرر الواسطة الخبيثة إذ أن شرف الغاية مسموم أو إذا كان موجوداً فقلما يكون بقدر ما تشرف الواسطة الخبيثة، بل إن الواسطة الخبيثة تقضي على شبه الشرف في حقه الذي خالط فيه الصدق حاجات نفسه وميولها.

والعصبيات تكتنف الحق وتمنع المرء من الاعتدال الذي أراده البحتري ... عاصية النفس كعصبية المودة أو القرابة أو العصبية أو العصبة المتحدة أو عصبية الجوار والبلدة الواحدة، وهذه العصبية الأخيرة قلما تكون إلا إذا استطاب أهل البلدة التي استضعفت عصبيتهم عمن حولهم من أهل البلاد الأخرى اختلافاً في الجنس أو النشأة، ولا عيب في تلك العصبيات إذا التزمت جانب الشرف والإنصاف والضرورة القصوى، أما إذا تعدته إلى جانب الإسفاف والجهل والظلم فيرد ... صالح الحق في مطالب تلك العصبيات، وعصبية المعاصرة على ما بها من عيوب قد تكون مصدر قوة لطائفة كبيرة من قوم الأمة أو شبه قوام، ولكنها إذا دخل فيها من لا يمتاز إلا بخبرة بجسم، وارتفع إلى المعاصرة أناس من السفلة وأهل الرياء، شرُّ اعتوى حسب ظلم النسبة وآرائهم الخطئة بين أناس من ذوي الأناقة في الخلق والرأي، ومن ذوي الاعتدال في الحكم، فتصبح المعاصرة مظلمة للحق ولأمور الناس.

والضراوة في مناصرة مطالب تلك العصبيات التي ... حقاً تشتد كما طال العهد في أمة وراء الضعف والفوضى في ... وكثر الهرج والمرج الذين يخلقون لأهل البناء ... سانية من أخطر رجال ... ،

واعتياد الناس في الحرب ... عبيد ... ما في ... المهمة التي تحلق في أدمغتهم ... كما تحلق لمخلص ... البناء الظلم المحمور، وذلك لأن ... والضرورات تنقص وتخف، ولكن المواهب لا حد لها ولا انقضاء.

إن الإنسان لا يدهش كثيراً إذا وصف أمامه إنسان بالشر والمكر والسوء، وهو يعرف أنه أحد الناس من هذه الصفات قدر ما يدهش إذا كان هو الموصوف بهذه الصفات لأن دهشته في الحالة الثانية تزيد على أمر عجبه وبرمه، والدهشة الممزوجة بالألم أشد وقعاً في النفس من الدهشة الخالية من الألم، ولأن كل إنسان يعرف من أسباب أقواله وأعماله ما لا يعرف من أسباب أقوال غيره وأعماله، ويعرف من حالات نفسه في تلك الأقوال والأعمال ما لا يعرف من أحوال نفس غيره فهو بهذه المعرفة يستطيع أن يسوغ أقواله وأعماله، وذلك لجهل حالات نفس غيره لا يستطيع إلا إنكار أقوال غيره وأعماله إن كانت تستدعي الإنكار أو النقد، وهذا بالرغم من أن كل إنسان يعرف من هواجس السوء التي تتردد في نفسه أكثر مما يعرف من هواجس السوء في نفس غيره. فإن الإنسان لا يستخدم ميزاناً واحداً فيما بينه وبين الناس، فهو مثلاً يكذب كثيراً ويعد كذبه أمراً هيناً فإذا كذب غيره في حقه عد كذبه ... بعد لؤم.

كل هذه الحقائق حقيقة بأن تزهد المفكر المتأمل في سعيه أو ضراوته في مناصرة ما يحسبه حقاً وأكثره ليس بحق، وهي حقيقة بأن تزهده في رأي من يرى أن الغاية تبرر الواسطة، إذ أن خطأه في تقدير الغاية قد يكون من حسن نية، ولكنه قد يسوقه حسن النية إلى أعمال اللؤم والإجرام في سبيل مناصرة الحق المزعوم الذي في تلك الغاية التي أخطأ فيها وعدها نبيلة وهي ليست نبيلة، وحسن نيته في ذلك الخطأ لا يغنيه من إثم ولؤم ذلك السعي وتلك الضراوة.

إن الذين يتشوقون أنفسهم للبحث عن الحق فيأبون

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

١١

لا يريد الأستاذ أحمد أمين أن يفهم أن النقد من علائم الصداقة الصحيحة وليس من علائم العداوة للأشخاص ، ولا يريد أن يفهم أن ما بيننا وبينه من صداقة لا يجب أن يتعرض للزوال بسبب هذه المقالات التي فرضها الصدق والواجب ، وكان حقيقاً بأن يفهم وهو الصديق والواصل

ولو كان فهم هذه البديهيات لما استباح لنفسه أن يقول :

« كل الصلات بيننا مقطوعة ، فلا صلة بين الأستاذ وطلبته إلا الدرس ، ولا بين الأديب وقرائه إلا صلة الكلمة بين كاتب وقارئ ، ولا صلة بين الأدباء أنفسهم إلا صلة المنصب ، فإن لم يكن منصب فوداع »

وهذه الكلمات تدل على أن صديقنا أحمد أمين قد ضاق ذرعاً بدنياه منذ اليوم الذي رأى فيه لأول مرة كيف توضع منزلته الأدبية في الميزان

فالأساتذة عنده قد انقطع ما بينهم وبين تلاميذهم ، والكتاب قد انقطع ما بينهم وبين قرائهم ، أما الأدباء فيما بينهم فيتعاملون على أساسين اثنين : المنصب والرياء

وكذلك رآنا من المتنابذين ، ويرى أصحابه من المرائين

والأستاذ أحمد أمين مضطر إلى أمثال هذه الحدود وهو شيء يسوءه إلى حد هذا التشاؤم ما كنت أظن أن الأيام ستبلغ به هذا عما يتوهم ، فقد كتبت إلى كثير من أصدقائه وتلاميذه أرجو أن أرفق في النقد ، وشهدت له بأنه كان حسن البلاء فيما كتب عن الأدب العربي ، ولم يكن إلا مجتهداً حسن النية ، وللمجتهد أجر حين يخطئ وأجران حين يصيب

وقد همت بالتحدث عن جناية هذا الصديق على الأدب العربي لأمضي بقية هذا البحث في هدوء وأمن ، ويتحدث القراء بحالة (غير الغريب) وهو يقصد صحوة الفكر ، ولكني ذكرت أن هذه المقالات لا تخلو من فوائد أدبية ، وذكرت أنه على كل حال من طلاب الحقائق ، وطالب الحقائق قد يعرض من أجلها الملام والعتاب

* * *

وأرجع إلى حديث اليوم فأقول :

إن الأستاذ أحمد أمين يرى أن ابن خفاجة لم يتحدث عن الطبيعة وإنما يسير في وصف الطبيعة

وليس من المستغرب أن يخطئ أحمد أمين في فهم ابن خفاجة حين وصف ، فهو على ما نعلم لا يتذوق الشعر إلا في النادر القليل

فكل أديب في الدنيا حدثته نفسه بأن ينظم من الشعر بيتاً أو بيتين ، حتى الدكتور طه حسين ، فقد كان له في مطلع حياته غرام بصوغ القريض ، وسنعرض للمحصول من حياته الشعرية بعد حين . أما أحمد أمين فلم يفكر يوماً في نظم الشعر

والواقع أن عظماء الكتاب في جميع البلاد كانت لهم نزعات شعرية ، لأن الشعر رياضة قوية في تكوين الأسلوب ، وهو الذي يروض الكاتب على حسن التصور والإحساس بالرنين

والكاتب الحق هو الذي يعاني من المكاره ما يعانيه الشاعر ، وقد أخطأ أبو هلال حين توهم أن النثر كلام غير منظوم ، مع أن أبا هلال كان من أهل البصر بأسرار البيان

* * *

مالي وهذا ؟

أنا أريد أن أنصف ابن خفاجة الذي ظلمه الأستاذ أحمد أمين

كان ابن خفاجة يسمى « الجنان » وهي تسمية تشهد لأسلافنا بسلامة الذوق ، وكان يسمى « صنوبري الأندلس »

كان ابن خفاجة بستانياً ، لأنه مضى دهره في وصف الرياض

ولا سيما البحث عن الحق في أمور حياة الناس التي تتحكم فيها الأهواء والأوهام ، وقد يحسب الساذج أن الحق في حياة الناس كالحق في علم الحساب بمقدار معين لا اختلاف فيه ولا تغيير ، ولكن الساذج إذا اختبر الحياة واستطاع أن يمضي عمره على سذاجته علم أن أحوج الناس إلى مظاهر الحق هم أهل الباطل ، ومن هذه الحاجة نشأ صدورهم ، ولم ينشأ ذلك الصدور من عدم الإخلاص فحسب بل من شدة شعورهم أنهم على باطل يحتاج إلى مظاهر الحق

عبد الرحمن شكري

والبساتين ، وكانت جنته هي الأندلس وقد سماها جنة الخلد ،
ومن أجل ذلك أشبه بعض معاصريه بالروض حين قال

يا أهل أندلسٍ لله دَرُّكمُ ... ماءٌ وظلٌّ وأشجارٌ وأنهارُ
ما جنةُ الخلد إلا في دياركمُ ... ولو تخيّرتُ هذي كنتُ أختارُ
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقراً ... فليس تُدخلُ بعد الجنة النارُ

والحق أن ابن خفاجة يعبر عن عناصر بلاده أشد التعبير ، فكان يترصد الفرص لوصف ما ترى العيون أو تحس القلوب بتلك البلاد

وكان في شعره ونثره قيثارة تعود بأعذب الألحان في وصف الأشجار والأزهار والأنهار والسواقي والسحائب والبروق

وقد ظل ابن خفاجة معمراً يصف الطبيعة نحو ثمانين سنة فهل يجوز لإنسان أن يقول بأنه لم يتعود الطبيعة في كل ذلك الأمد الطويل وهو يتغنى بها صباح مساء ؟

وكيف وكان ابن خفاجة مرهف الإحساس إلى حد الخيال ؟

إن ابن خفاجة هو الشاعر الذي تفرد بحنانه إلى الطبيعة في جميع النواحي الشعرية ، حتى في قصائد الرثاء ، فكيف يجوز القول بأنه وصف الطبيعة بلا وعي ولا إحساس ؟

يضاف إلى ذلك أن ابن خفاجة تفرد بين معاصريه بالزهد في مدح الملوك والترفع عن جوائز السلطان ، في زمن كان فيه للمديح مجداً لا يمحى من أقدار الشعراء ، ولا يعرضهم لسماحة القيل والقال ، فاتسع وقته لدراسة مواقع السحر في صحوه وصفائه

إن ابن خفاجة صاحب مذهب في الشعر العربي ، ومرتبته في وصف الرياض لا تقل عن منزلة أبي نواس في الخمريات والشريف الرضي في الحجازيات

ومن الذي ينكر قيمة الشاعر الذي يقول

لله نهرٌ سال في بطحاءِ ... أشهى وروداً من لمى الحسناءِ
متعطفٌ مثل السوار كأنه ... والزهر يكنفه مجرُّ سماءِ
قد رق حتى ظُنّ قرصاً مفرغاً ... من فضةٍ في بردةٍ خضراءِ
وغدت تحفُّ به الغصون كأنها ... هدبٌ تحفُّ بمقلةٍ زرقاءِ
ولطالما عاطيتُ فيه مدامةً ... صفراء تخضب أيديَ الندماءِ
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماءِ

وكيف يتهم في وصف الطبيعة من يقول :

حيث الشقيقة والنسيم عليلُ ... والظل خفاقُ الرواق ظليلُ
والنَّوْر طرفٌ قد تنبه دامعٌ ... والماء مبتسمٌ [illegible] مكحول
ومطلَّعٌ من رق كل حمامةٍ ... في كل [illegible] ترتيلُ
حتى تهادى كل خوطة أيكةٍ ... ريّا وغصت [illegible]
فالروض مهتز المعاطف نعمةً ... نشوان يعطفه السبيل
وكأن مصحفه الندى ثم انجلى ... عنه فذهّب صفحتيه أصيلُ
وارتد ينظر في نقاب غمامةٍ ... طرفٌ يرقرقه النعاس كليلُ
متحير كما يرنو إلى مولاه ... [illegible] ومتضح [illegible]

وهنا شعر يفسده الشرح والتعقيب والتحليل
وهل تحتاج محاسن هذه الأبيات إلى من يقيم عليها الدليل ؟
ومن الذي ينكر روعة الفتون في الأبيات الآتية

وأهيف في صدر الندي محسّدٌ ... حلى وفي صدر القصيد نسيبُ
حلو المهيف أما ردفه فمنعمٌ ... خصيبٌ وأما خصره فقضيبُ
ترى روضة الحسن من نور وجهه ... وقامته نوّارةٌ وقضيبُ
حلاها وقد مس الحمام عشيةً ... عبيراً عليها للخضاب مشيبُ
وجاد بها حمراء ، أما حبابها ... فتاه ، وأما ملؤها فلهيبُ
على حده ريعٌ ، أما حبابه ... فنورٌ ، وأما موجه فتكسرُ
تخلت بها الغوادي رقةً ... وقد ساعدتها صبوةٌ وحنينُ
وظللنا جنى هنالك كم حمى ... ومبتسمٌ للأقحوان شنيبُ
عليه ذيول الغمام سحبه ... ومس بأطراف الشباب رطيبُ

أرأيت كيف تفنن الشاعر في الطبيعة فجعلها أصل الحسن والفتون ؟

أرأيت كيف مزج الشاعر بين الطبيعة والملاحة ، وكيف رأى الزهر والماء أصلاً لكل مليح وجميل ؟

وما رأي الأستاذ في الأبيات الآتية

وجميلٍ أبرزه الشباب بعرضه ... سبقٌ وللعيب الحسام دجب
يمشي الهوينا نخوةً وتريب ... أطرفه خوراً نشوةٌ وشيب
حتى الحاسن ، فوضاء رسطه ... بيداً عليه ، والحياء نقابُ
وعطفيه الشبيبة سهلٌ ... فتسمعته من القميص سرابُ
عبق النسيم سماحةً فكأنما ... أهدى قبسٌ به السماء شهابُ
لقد استطاعت بقاحته بسرى ... طرباً شباب رائق وشرابُ
والساب في بحر [illegible] وروق ... فجعلتني حرب وحبابُ
وركبت دجلته فما حكى بها ... فرحاً حبيبٌ عاشق وحبابُ

يجلو من الدين عروساً بينما | حسناء يرشف والنسيم رُضاب
ثم ارتمت والسماء ذؤابة | شيباء تنصب والظلام خضاب
تجري مطالع الشرق والعنب | والغيم دون الكاشحين حجاب
حيث اعتقلت السمر وقد دوارنه | نصبت كما تتواكب الأحباب

فهل فكر صديقنا أحمد أمين في وصف السباحة وقد سبقه إليها ابن خفاجة بنحو تسعة قرون ؟

إن الذي فكر في وصف الطبيعة هو الذي يصطاف إلا ... كل سنة ولم يمنع الله عليه بنعم القول بأنه جلس على صخرة الكيس ليأكل السمك الياس ، وليفكر في مصير الشمس بعد الغروب ، ويقول إنه تحير مع هيام في بيان !

يقول أحمد أمين إن ابن خفاجة لم يصور الطبيعة ، فهل استمع إليه حين يقول

وربما استضحكت الحبيب | حتى توهمها عليه الغمام
كلما مر قاصراً من خطاه | يتهادى كما يجر الغمام
سقم النفس والكئيب عليها | على النفس والكئيب سلام

وهل استمع إليه حين يقول :

أبى البرق إلا أن يحن فؤاد | ويكحل أجفاني الغيب سهاد
بعث ولا من كان الصبح صوره | مطر ومن أهدى يدي وساد
تنوح به الورقاء وهي خلية | ويهمل دمع المزن وهو جماد
ولاح كما مد الغراب جناحه | وسال على وجه الصحن مداد
يمس ويمس البرد والليل خلفه | شرود تراءى والغمام طراد
سريت به أسريه لا خبة السرى | يحول ولا تخشى الصباح يعاد

يطلب من الغرم إنسان مقلة | لها الأفق جفن والظلام سواد
تخوض لقلب البرق حسنة روعة | به وطافي النجم فيه سهاد[1]
سحيق ولا غير الرياح ركائب | هناك ولا غير الغمام مهاد
كأني وأجناء الفلاة تجنني | سريرة حب والظلام فؤاد
ولا تمر يمس دجى الليل طعنة | وأقرص من ماء الصباح نجاد
حفت وقد لاح الغمام صبابة | ونشق من الليل البهيم حداد
على حين شطت بالعتاب بيئة | وحالت بينها بيننا وبلاد

* * *

ومن مزايا ابن خفاجة أنه يتمثل الطبيعة في حركة وحياة ، فيراها ترضى وتغضب ، وتضحك وتعبس ، كأن يقول :

عانق أعطاف الصبا | ويستنشي لأعطافه الرماح
ورافق النعس وهو رطب | يخار أو طارح الصباح
وقد يتجدى منه نسيم | حيث سرى به سلاح
فناك أعطافها تلوي | تشرب أكوابها شراب

وكأن يقول

أتى المساء حيث يسترهي | نهر ومبيت بالغصون خضل
وكل ما بين الغصون فلا رح | فيه وما بين السماء ظلال

وكأن يقول :

أعد الربيع عليه كل غمامة | فيكل مرتبة أراه تنصبي

فيرى هذه الأشعار يمنح الطبيعة من الحياة والحركة ما يماثل شمائل الأحياء

وأريد أن أقول إن الطبيعة في نفس ابن خفاجة لها عربة وإرادة وفترة وعبقرية ، فهي تستمع ما يستمع من ظريف أديب وعاشق مشبوب ، فهي تعمل بصاحبة ، تشعر وتعقل ، وتفيض الهوى والنعيم على الأحياء بإرادة وفهم وإحساس

وقد وقع في كلام الشعراء ما يسامه صفته المعاني ، ولكن ابن خفاجة أكثرها إكثاراً سما بالشعور والتفرد ، فهو أوحد الناس في بابه بلا جدال

وكأن ابن خفاجة يقسم بجان الطبيعة من أنهار ورياض وأزهار وأنداء ومياسم وعيون ، فيقول

آه والتفات الروض عن أزرق النهر

وإشراق جيد الغصن في حلية الدهر

وقد نسمت ريح الندى فتنبهت

عيون الندى تحت ركائب الفجر

وفي قصيدة طويلة أقسم بها عن الشاعر بأسرار الطبيعة أشد امتزاج

والطبيعة في وجه ابن خفاجة حيث تلفت ، فهو يراها في كل مكان ، وانظر كيف يقول

يا رب ليل قد نضحت | وكأنه من وضح شعرك
تهتل منية حسن | فيه ويندى نور ذكرك
أبيت ... وقد يكوست مثلي | عنك در تثرك
وشربت منك بمجر | قد ورقتها كل عصرك
فكأنما نقص من | تتحير لنا زمان صدرك
وأرب ليل قد صفت | ظلامه عيني بدرك

---

(1) تخوض ... بالنجم — الأرض الواسعة تجري فيها الرياح

وطوفُ فيه بدرٌ مكتوبةٌ في حقّ حسنك
تندى شمائل وجنتيك به وتضحكُ ريحُ نشرك
وقد استظل بصحنٍ سوسانٍ جبينك ظلٌّ دوك
حيث الحبابة حمةٌ تجرى بوجنة كأس خمرك
وسمرٌ مثلك حتى شمسى هدك ريح سكرك

وهو في هذه القصيدة خلع محاسن الطبيعة على الملاح ، وقد يخلع محاسن الملاح على الطبيعة فيقول :

وكمامة حدر الصباح قناعها عن صفحة تندى من الأزهار
في أبطح رضعت ثغور أقاحه أخلاف كل غمامة مدرار
نثرت بحجر الأرض فيه يد الصبا
درر الندى ودراهم النوار

وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت حلى الحباب سوالف الأنهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربى والطل ينضح أوجه الأشجار
وأراك تسجع والهديل جوابه والصبح يسفر عن جبين نهار
حيث قد أعطافها وزلعا ملئت عليه سُلافة الأنوار

وهذا والله أنفس ما قيل في اتصال الأحاسيس بمراتب الوجود
وأشعار ابن خفاجة تشهد بأنه كان يحفل بالحب كل الاحتفال
وكان يرى شعره نفحة من نفحات الجمال ، كأن يقول :

سقتنيه شوقاً من عزيز ريقه له رشفها دوني ولى دونه السكر
ويقرن ماء مقلتاى ووجهه ويذكي على قلبي ووجنته الجمر
وطينا معاً شعراً ونثراً كأنما له منطق نثر ، ولى نثره شعر

وقد توجّع ابن خفاجة لضياع الشباب أشد التوجع ورأى في ملاحة الشيبة عزاء عما ضاع من سماحة الملاح ، فقال

وكل امرىء طاشت به هبة الصبا
إذا ما تجلى بالشيب تخلف

فيا أيها الليل كل ليل طيفه من الهم يستجير من الصبح أشهب
وأذكى أرواح الربا متنفساً فأنشق أنفاس الصبا متنصبا
وأرشف ثغر الطل من كل وردة فكأنها من النرجس حوتنا أشبى

وهو بهذه الأبيات يخلع الجمال الإنساني أجمل ما في الطبيعة من ألوان ، وهي نظرة سليمة لا ينكرها غير الذين يرون الشجرة والزهرة أصلاً لكل جمال

وكان ابن خفاجة في أيام توجعه على صباه يصفي أو يعرف مصير النفس بعد الموت ، كأن يقول في رثاء بعض الأصدقاء

كنا اصطحبنا والتقينا كلُّ عشية
حتى كأنا ... ...
ثم افترقنا لا لترحة صحبة حتى كأنا شعبة ...
يا أيها الثاني ولست بجامع شكس الدهور وبيننا إبعاد
إن تمس النفس النفيسة عندنا مهجر الأرواح والأجساد
كسف النظام إليك من سر الردى
فأصب بما سدى به الأكباد

وهي لفتة فلسفية لا يهتدي إليها شاعر إلا شوقي في أكثر قصائد الرثاء

أما بعد فكنا نحب أن نذكر شواهد من شعر ابن خفاجة تمثل هيامه بالطبيعة والوجود ، ولكنا رأينا الدكتور صيف سبقنا إلى ذلك في كتابه « بلاغة العرب في الأندلس » وعرض بعض الحديث المعاد

وما الذي يوجب أن نلح في شرح مذهب ابن خفاجة وهو معروف لجميع الناس ؟ لقد أردنا أن نتهز الفرصة فنمتع أنفسنا بالنظر في ديوان ابن خفاجة من جديد ، ونذكر به الشبان الذين شغلتهم عنه ملاهي العصر الحديث

ونجد الوجب في ختام هذا المقال إلى الثناء على أديبين فاضلين يهمهما ديوان ابن خفاجة ويعدان له دراسة أدبية تحدد مكانه في التاريخ . أما الأديب الأول فهو عزيز عبد السلام عيسى وأما الأديب الثاني فهو جاسم محمد الرجب ، وأولهما من خريجي كلية الآداب في القاهرة ، وثانيهما من خريجي المعهد العالي في بغداد

فمتى نظفر بجهود هذين الأديبين في إحياء ذلك الديوان ؟

لقد ظهر ديوان ابن خفاجة بالقاهرة منذ اثنتين وستين سنة ، فكيف جاز ألا يطبع مرة ثانية بعد ذلك الأمد الطويل العريض ؟

إن اللغة العربية لغة حية ورواؤها يقاربون مائة مليون ، فكيف رقدت تلك الملايين في ذلك الشعر النفيس ؟

إن ديوان ابن خفاجة وصل إلى أقصى بقاع الشرق الإسلامي قبل ظهور المطابع ، فكيف يحجب اليوم بعد الانتفاع بالطبعة السريعة والبريد السريع ؟

ومن أعجب العجب أن يتولى توحيد العرب في آثار أسلافهم رجل تمرده كلية الآداب التي يوجب على أبنائها أن يجرموا إلى آثار القدماء من الروس واليونان

ولكن صبراً فستهدى كلية الآداب بعد حين ، وسترجع إلى سيرتها الأولى يوم كانت مثابة القلوب والعقول

(للحديث شجون) زكي مبارك

دمشقيات

من «الجادة الخامسة» !

للأستاذ علي الطنطاوي

آمنت بالله واستثنيت جنته (دمشق) روح وجنات وريحان[1]

قالوا : أيّ كنت في (رحلتك) الطويلة ، فأحمل حتى في الآخرة على مثال (دمشق) ، وأجعل قصري منها في «الجادة الخامسة» !

ولكن كيف لي بتصوير «الجادة الخامسة» لقراء «الرسالة» وهم منتشرون في أقطار الأرض كلها ؟ وكيف لي بإقناعهم ، ولكل منهم بلده ، وكلّ بلده فخور ؟ إن في الشام دمّر وأرج الكرون ، وإنها بيت التنسيه في (مضمه ، الوحود) ، وإنها القدم الكبرى حسنه ، وإنها الباطنة السبعية ، والعب مصبوّر أعيب ، ومحبوراً ومروجاً وبساتين . وإن «الجادة الخامسة» درة دمشق ، وبيت قصيدها ، وإن الذي تكرى عليه منظر أقلّ ما يقوله الصادق فيه وأبعده عن المبالغة وألصقه بالحق الصراح أنه أجمل منظر على ظهر الأرض ، وأن الله جمع ووزع الجمال على البقاع ... فخص كل واحدة منها — بنوع واحد منه — جمعه كله لدمشق ، ووضع أجمل مجموعة منه في «الجادة الخامسة» .

* * *

ولقد كنت في البادية منذ أسبوع آيباً إلى دمشق ، أحدّق في الأفق على أرى جبال دمشق : بلد الحب ، بلد العشق ، بلد الكرم ، بلد الجمال ... فلا أرى إلا الصحراء وجهها الكالح الكئيب الصامت الرهيب ، تأنف من مرآها وتُعرض عنها عيني ، أحاول أن أختلس من الزمان إغفاءة ، فأضع عنه القطرين المتي على عطفه الكرى .. فلا أرى في منامي إلا طيف دمشق الحبيب الحبيب ، ولا أكاد أستمتع به حتى تنقصه عني سيارة (نيرن) بهديرها الذي يطرد الأحلام ، ودويّها الذي يطير شهائين الشعر ، وشقائها ووثائها التي تشبه أحلام قوم الفرزدق[2] ... ونشب على ذلك حتى جاوزنا الصحراء ، واستقبلنا طريق حمص ، وكنت في شبه غفوة .. ثم أحسست إلا إنساناً بنا يبتى من بغداد كان معنا في السيارة بصحبي مسافرين ... فانتبهت فإذا أرى حولي طلائع خضرة تمتد إلى السفوح البعيدة ؛ أهذه هي (الغوطة) ؟ فضحكت وقلت : هذه سهول لها نظير في كل أرض .. فكيف تكون هي الغوطة التي ليس لها في الأرض نظير ؟ انتظروا رويداً ... وسرنا خلال السهول تم هب النظر فترى من حولنا كل لحظة ما لم تكن رأيناه ... حتى بعث أوائل الكروم ، كروم (دوما) ... هذه التي لم يسمع بها تلك التي طارت شهرتها في الآفاق ، فأسكرت بشهدها العشاق وعوى الأعماق ، كما أسكرت رحيقها من كان من أهل الرحيق فقالوا : هذه هي الغوطة ؟ قلت : لا ، بل هذه كرومها ، فانتظروا

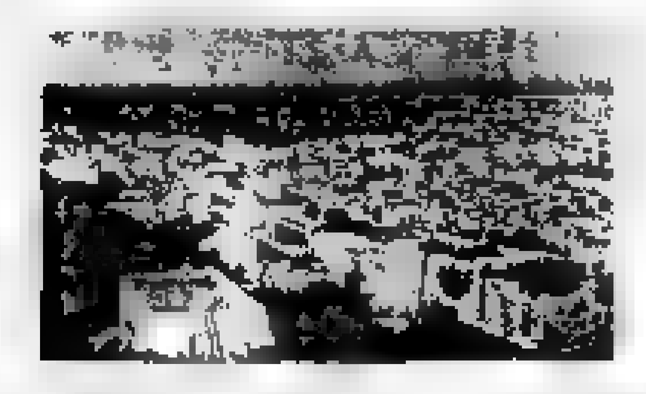

طرف دمشق الشرقي وجانب من الغوطة كما يبدو من الجادة الخامسة

الغوطة التي شغف أجدادكم من قبلكم ، وتغنت من قبلهم الروم والفرس ، وبقي كل ذي لب إلى يوم القيامة ! وسرنا خلال (الكروم) ، وهي تمتد من يمينا إلى حيث لا يبلغ البصر ، و (النواطر[1]) ، قائمة على الميادين الرحيبة ، منثورة في الأرض ، سارية في السماء ، لا يحصيها العد ، كأنها أعشاش المتيمين ، أو منازل يؤدون فيها صلاة الغرام ، بعث في نفسي ذكريات دهر الصبا (وفي نفس كل إنسان منه ذكريات) ، فعهد الحب حياً وسرنا خلالها حتى بلغنا (الغوطة) ، فسكت جانباً عيني بحدي عيون ومرستا[2] فقلت : هذه هي الغوطة ! وسكتّ لم أعرجها

(١) خرق

(٢) وطول هذه البادية التي قطعناها (٣٧) ساعة ...

(١) جمع ناطرة ، عريشة عالية على أعمدة يسكنها ناطور الكرم

(٢) قريتان قرب الغوطة ، فيها تعرفون القرى ، ومرستا بلد صغير خرج منه الإمام محمد صاحب أبي حنيفة ومدفون هنالك

طم، ولم أقرظها، بل تركتها تقرظ نفسها ... فقلتُ وأربتُ على ما كان في الخيال منها، فصعب الإعجاب بالقوم كل مصعب، وظل من نفوسهم كل منال، فسكت اللسان، ونطق القلب، وقالت العينان، وشحذت اللغة، فما بقي إلا عبارة ما فيها ري ولا بل ... وهل في اللغة إلا أن تقول: جميل وعجيب ومدهش وعظيم؟ أو ليس الخليل مائة ألف نوع؟ أو ليس الدهشة بعض من الأعجاب؟ فأين الكلمات التي تدل على هذا العالم الحيّ؟ إنا معشر البشر ما حملنا النطق إلى اليوم

قسم من المهاجرين، ومن ورائه المسكر وجانب جبل قاسيون
كما تبدو من «الجادة الخامسة»

وبلغنا دمشق، فقلت للقوم - إن في سفر الطبيعة صفحات مختلفات، في كل بلد صفحة منها - سهل وجبل ووادٍ وصحراء وبحر ونهر ... فتعالوا أشرف بكم على صفحة فيها كل الصفحات، تعالوا أطلعكم على دمشق، وقد رأيتم منها سهلها وغوطتها، لتروا جبلها وصحراءها وواديها! - فأبوا عليّ، وجنحوا إلى الهرب، وشكوا التعب، وأصررتُ وأبَوا ... فرأيتهم لا بد كارهين، فتفتّت بهم، ولم أبالِ كراهيتهم، على أن ما سيرون سيقع منهم موقع الرضا وفوق الرضا ... وأخذنا سيارة من الرأب «الكراج» الذي ستودعنا مفاتنه، إلى (الدار) التي استأجرها لنا أخي - في «الجادة الخامسة» ثم انطلقت بنا السيارة نحو (طريق الصالحية)، وتصاعد أمامنا البيوت رتلاً في الصبر، وهو يحملها في صدره، وغوطتها بذراعيه، ويحني عليها رأسه المائل المتوج بالصخر، حتى يسدّل سحطهم ... وطفقوا يسألون! ... فقلت: أما التي إلى اليمين، حيث البيوت الواطئة المتلاصقة، والمآذن الكثيرة السامقة، والقبب، حيث الأكراد والصالحية؛ وقد أنشأ حي الصالحية الجد الأعلى لآل قدامة،

أو آل المقدسي ... حين نزحوا إلى دمشق ... وأقاموا داراً من فلسطين وما لحق بها يومئذ من المحنة ... فنزلوا به ... في ذلك الجبل، وعمروا فيها المدرسة العمرية، وظهر من أسرتهم علماء فحول كالضياء المقدسي وموفق الدين عبد القادر ... السيوطي وشبيهه في سعة علمه وكثرة مصنفاته ... ولكن ... عشر السيوطي من عشر علمه، وطوى علم ... في مجلدات دار الكتب الظاهرية - ولا تزال آثار هذه النهضة العلمية العظيمة ظاهرة في المدارس الكثيرة القائمة في السفح وبين البساتين

ثم تتالى بناء المدارس في الصالحية، حتى أن شارعاً يدعى الآن: شارع (بين المدارس) في الشركسية يحوي أكثر من عشرين مدرسة باقية حتى الآن، فضلاً عما اندثر منها. وآخر هذه المدارس وأعظمها المدرسة العمرية، أنشأها الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي في منتصف القرن السادس الهجري - وعمرت حتى صارت (جامعة)، ودعيت بالمدرسة الشيخة؛ ثم تضاءلت حتى رجعت اليوم خراباً كأكثر مدارس الشام، واختلس الجيران ما قدروا عليه من ساحتها وأبنيتها، فأدخلوه بيوتهم ... وأما الذي إلى اليسار عن المهاجرين، وقد كان قبل ثلاثين سنة جبلاً أجرد، فأسكن فيه الحكم باشا (المهاجرين) من (كريت) بعد عدوان اليونان عليها، وبنى لهم أكواخاً صغيرة، ثم حال الحال فصارت قصوراً للأغنياء، غير أنها لا تزال بقية من تلك الأكواخ خلال القصور، ولا تزال قطع جرداء من الجبل أو صخور مائلة بين الدور

وصعدت السيارة ترتقي في الطريق الصاعد إلى (المهاجرين)، وكلما علونا فيه شيئاً، بدت لنا من دمشق والغوطة أشياء، حتى إذا بلغنا نهاية الطريق الذي يمشي عليه (الترام) انكشف لنا أعظم منظر تقع عليه عين: من ورائنا الجبل الفتان (قاسيون)، وهو في الجبال كالفتى العربي في الرجال، قوي ولكنه وديع، وحلو ولكنه منيع؛ ومن أمامنا جبل المزة ووادي الربوة، ذلك الذي يجري فيه بردى في السبعة الأنهار: يزيد وتورا وبردى وبانياس وقنوات والمزاوي والديراني؛ تتسلسل كأنها أطواق اللؤلؤ على أحلى جيد، تقطع من صلب هذا الجبل حيث يجري (يزيد) إلى سفحه، حيث يمشي (تورا) من تحته، إلى أسفل الوادي، إلى منبع

الجبل الآخر، إلى مصبه؛ والأشجار على ضفاف الأنهر كلها، والشلالات تنحدر من الأعلى إلى الأدنى تتكسر على الصخور، وتتحطم، فتحيلها أشعة الشمس فيكون لها بريق ولمعان كلمعان الماس، وأين مهانتان للماس!... ومن خلال الغصون الرحب، تبدو الغوطة كبحر من آخر أمواجه خضر... وتقوم في وسطه دمشق، دمشق الجميلة، دمشق القديمة، دمشق الخالدة! والجامع الأموي في وسط البيوت تظله قبة النسر، كأنه رجل طويل واقف بين صبية صغار! ومن الصور التي شبهناها بالصبية ما فيه سبع طبقات، ولكنه الأموي معجزة البناء الإسلامي... ومناراته الثلاث العالية... يا دمشق ومناراتها المسجد والله، وغوطتها و بردا

قلب دمشق وفي وسطه الجامع الأموي مع قسم من المهاجرين
كما يظهر من الجادة الخامسة

قلت: هل بقي من الصحة من لم تحوه دمشق؟ هذا الجبل، وهذا الوادي، وهذه السهول، وهذه البساتين، والصحراء الخضراء الرحبة... وأنت ترى هذا كله منبثاً على قدميك في نصف ساعة، وهنالك البحيرة تلمع لكم من وراء الغوطة. هل بقي من الطبيعة لون لم تحوه دمشق!

قالوا: لا والله، إلا أن يكون البحر، وهنا بحر من الخضرة. شهدنا أنه لا إله إلا الله، وأن دمشق أجمل بلاد الله!

قلت: شهدتم وأنتم في (الجادة الأولى) فكيف إذا صعدتم إلى (الجادة الخامسة)؟

* * *

وبعد... فإني أحمل على أيامي التي قضيتها ساكناً في (البلد) وما فيها من قوم عندهم (حي المهاجرين) ويقطنون في غيره، ويعدونه للمصيف ويسمونه (تحت) في السهل! وكيف يقوم الناس للمصايف، ويهاجرون إلى بلودان ولبنان، وعندهم (الجادة الخامسة)

لو طلب من بأولى الأيام على أنها أجمل من لبنان، وأعذب ماء، وأطرى هواء، لما أثم ولا حنث؟

اللهم عفوك! فإني والله لا أحصي حسنة السكنى فيها ولا أؤدي شكرها طاقة

* * *

ينظر الساكن فيها فلا يرى حوله إلا ظلالاً ... ويحس أنه في دنيا مسحورة نائمة، فإذا نطق (الجادة الخامسة) مكتحلة بالسنا، وتجرب، فرآها في زينتها وحسنها، فأحس أنه مع دمى بوجهه ويحيي ويسلم، حتى يرى في الصباح كنافذة جميلة في جمالها ظهر، وفي غيب سناء، تومئ إليك التأمل، وتسمو بك فوق الشهوات، وتراه في ضوء القمر كأنه مسرحية فتانة يهيج في مسالك القلب، وتشعل في أعصابك النار، وتسمع من الجادة الخامسة كأنه الطفل في دنيا الفتنة، تضطرب بما تأوي إليه، وتبصر المنارات تضيء في الليل من كل جانب يسمو بك الغناء حتى تحس أنك عن (الدنيا) قد جئت كلها، حتى صارت في (العليا)...

في أعظم (الأذان) عند من يسمعه من (الجادة الخامسة) ينادي في الفجر الساكن الخاشع: لا يشغلنكم سكونه وسحره عن عبادة الله والاتصال به!... وينادي في الظهر الساكن العامل: لا تصرفنكم الدنيا عن صلاتكم ونجاتكم؛ ... وينادي والشمس تغيب من أعالي الجبل فيتحرك دونه السماء والبلد والغوطة سابحة في نور الشمس، وينادي حينما يعم الدنيا سحر الغروب، وينادي حين يبدأ الليل، ويشتد الغشية للنوم، ونحيا الروح المسهر!

في (الجادة الخامسة) يشعر الإنسان أنه يتمتع بهذا السكون ويأنس به، ويحنو إليه؛ ثم إذا هبط إلى البلد تذكره واشتاق إليه

* * *

كل شيء في (الجادة الخامسة) ساكن حالم، أما (البلد) فكل ما فيه مضطرب متوثب ... هنا الشعر والتأمل؛ وهناك هنالك حيث هذه السقوف التي تظهر خادعة في سحاب الصباح، ووهج الظهيرة، وظلمة الليل... خلاف ونزاع على الرئاسة، و خصام وجدل ... هنالك سقطت قيم الأخلاق وأعمى الإيثار؛

فالأحوال مضطربة ، والعدو — عدونا معاً — واقف يتربص لنا ليصيدنا ، تصور مرامها وبسطها من الإيحاء ، مثل ليعمل بها ما يشاء . هنالك المتاجر للعيش من أصحاب السياسة ، والتقيد الراسخين أصحاب السياسة ، والعامل المطرود من أصحاب السياسة وكل الناس من أصحاب السياسة وزعماء البلد ... لم يبق فقيه لدرسه ، ولا تاجر لدكانه ، ولا عالم لكتبه ، ولا طبيب لعيادته ، ولا رجل لما خلق له ، وتركهم جميعاً التحاسد والتنازع ، كل حزب يهدم الأحزاب فتهدم جميعاً ، ويبقى العدو ما بقى . أرى هنا كله من (مجانين الخامسة) فأتألم ولكنني لا أتكلم ، لم يبق لي مجال الكلام ...

أرى هنا فأذكر بغداد ، وما خلفت في بغداد . خلفت شعب النظام والاتحاد والطلاب الذين جمعهم نظام الفتوة جميعاً ، ومعي المدرسين الذين صرنا صاحباً لهم شدوات العساكر وحياتهم وآلامهم

خلفت الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة ، والشعب المترابط ، والجيش القوي ، والاستعداد لنصرة كل قطر عربي .

أشهدكم أني أحب بغداد ... أني أحبها ، ولكني أحب دمشق

أحب بغداد وأفخر بها ، وأحب دمشق حباً أكبر ولكني آسى عليها ، وأرجو لها مثل ما أعطيت بغداد على أيسر سعد و نصب

• • •

اللهم ! إن كل شعرة من أشعار الغوطة تشهد ... هذه الأرض الطاهرة التي سعدت بالعلم ، ثم إنها لم تخلص لأهلها ، ولم تنج من الغاصب الدخيل . اللهم كما جعلت دمشق درة الكون ، ومسحتها ما لم تمنح بلداً ، أكمل عليها نعمتك وهب لها الحرية والمجد ، فالحرية والمجد أجمل من كل شيء !

اللهم ! متى أطل من شرفة داري في (الجادة الخامسة) ، فأقول :

الحمد لله ! كل هذا الحال لنا ، ... وحده أمتنا متحدة ناهضة ، تمشي في طريق العلاء ...

متى يا رب ... متى ؟ !

علي الطنطاوي

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

شعر الفرزدق

مدح الفرزدق «والفرزدق عالم بأنقب المدح ومعاب الثقر يظ ومكانه حاذق يمدح الرجل بما يليق أن يمدح به، وينظر إلى مصالحه فيهتق عليه ثوباً من البلاغة[1]».

«ومدح الفرزدق خلفاء بني أمية بمدائح رائعة ومفخرة يظهر عليها الطابع السياسي جلياً واضحاً أكثر من كل ما مدحهم به الشعراء حتى أخص شعرائهم كالأخطل وجرير وعدي بن الرقاع؛ فهو داعية لهم ولسياستهم، يجاهر بأنهم أجدر العرب بالملك، وأن الله اختارهم لخلافته».

وقد روى الأستاذ طائفة صالحة من أقواله المذهبية منها قوله:

وجدنا بني مروان أوتاد ديننا ... كما الأرض أوتاد عليها جبالها

وقوله في يزيد بن عبد الملك:

وما وجد الإسلام بعد محمد ... وأصحابه للدين مثلك راعيا

ضربت بسيف كان لاقى محمد ... به أهل بدر عاقدين النواصيا

وقوله فيه، وقد عدا الفرزدق طوره في البيت الأول وكفر أو كاد:

لو لم يبشر به عيسى وبينه

كنت النبي الذي يدعو إلى النور[2]

فأنت إذ لم تكن إياه صاحبه

مع الشهيدين والصديق في السور[3]

في عرض جنة الملك التي جعلت ... لهم منازلهم فيها بلا سكور

فلن تزال بكم والله أثبتها ... يكون إلى نفخة الناقور بالسور

أبا فراس! لم يجيئوا إلا خشية أو غاضبة

من يأمن الدهر نحسه ومصبحه

في كل يوم له من مفشر سور

سمان مروان أودى بعد مقدرة ... دأب لعينها الأمصار والكور

ثم الوليد نعى عنه منازله ... بالشام والشام مسرور به حين

عن إلهه جلاد لله ناحيه ... أحلامها ترة للأسد وزر

وفي سليمان آيات وموعظة ... وفي هشام لأهل العقل معتبر

وادكر أنا خلد وفي عصمته ... ريب المنون وولى عنه عمر

وفي الوليد أبي العباس موعظة ... لكل من يمنع الخير يبدو المكر

دانت له الأرض عن أوعيد جزء ... لا يدفع الغني من أقطاره حطر

بيت له الملك ما في صفوه كدر ... إذا طور ما وجهه الهوب والكدر

كانوا ملوكاً كعرون حيوش بها ... يعلو على حاميه الشوك والشجر

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

عبر أسوى الذكر والآثار إن ذكروا[1]

ويظن بعضهم أن لو استمر ملك القوم قرناً آخر لتعرب الدهماء وأخال[2] أهلب.

يقول الأستاذ في باب البحث عن شعر الفرزدق «ولابد أن نقف على الأسلوب العربي الصريح بجزالته ونخامته فاسمع قوله»

أحل عريمهم يوم بابل بقتلنا ... بدور نساء من تميم خلت[3]

فأصبح لا يشترى حسابعبه ... من الناس إلا عنه للفتى ربي

يكون أمام الخيل أول طاعن ... ويضرب أخراها إذا هي ولت

عشية لا يدري يزيد أشقى

على السيف أم يعطي يداً حين شلت

---

(1) يقاله في ذلك المعنى والنظر إلى مصالح الممدوح — الفني — أن ... ج

(2) روى الأستاذ قوله لهشام (وهو أهون خطباً من قوله في يزيد):

ولو أرسل الروح الأمين إلى امرئ ... سوى الأنبياء المصطفين الأكارم

لجئت لأنت حقيق بمعالم رسالة ... من الله حتماً منزلات الخواتم

(3) يريد بالسور أعلى مكان في الجنة. والسور في اللغة جمع سورة: وهي من البناء ما حسن وطال كما في القاموس

(1) حكم بن الوليد بن عقبة بن معيط القرشي يذكر قتل الناس بطوله بني أمية

(2) في الشباب من أشعار الجنة أن أسلم بني أمية بعول في السكر إلى الإسلام

(3) في رواية الطبعة المصرية: حريم، وفي المعاجم: حريم وعريم

وأصبح كالشقراء شعر ابن مصعب
وتقرب ساقاها إذا ما تولت[1]

لعمري لقد جلّى هريم بسيفه وجوهاً عليها غبرة ضحكت
وقالت كيف القتال ولو رأت هريماً أدرت عينها واشمأزت[2]
وما كان إلا كالأكل أول طاعم ولا عابه للخيل إلا انحازت

ويزيد المذكور في هذا الشعر هو ابن المهلب، وكان خلع يزيد بن عبد الملك وولي الخلافة بنفسه، وقال له مشيعوه إنه سبيل الأمس وبينهم دمشق ....
تخبرك الكهان أنك بالغ
دمشق التي كانت إذا الحرب مرت[3]

ولما واقعه جيش مسلمة في العقر[4] عقر بابل ضرب هريم ابن أبي طعمة المجاشعي يد يزيد فقطعها[5]، وقتله القحل بن عياش وضرب يزيد القحل فقتله جميعاً. قال الطبري: «فخرج الفريقان عن يزيد قبيلاً، وبقي القحل بآخر رمق، فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتلته، ويومئ إلى نفسه أنه هو قتلني»

وفي هذه الوقعة يقول الفرزدق

كيف ترى بطشة الله التي بطشت
بابن المهلب إن الله ذو نقم
كم فرج الله عنا كرب مظلمة
بسيف مسلمة الضراب للبهم

ولما قتل يزيد كان الحسن البصري يثبط الناس عنه، قال يوماً في مجلسه: يا عجباً لفاسق من الفاسقين، ومارق من المارقين عمر زمناً من دهره ينتهك الله في هؤلاء القوم كل حرمة، ويركب منهم كل معصية، ويأكل ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال: أنا لله غضبان فاغضبوا، ونصب قصباً عليها خرق وتبعه رجرجة[1] رعاع هباء ما لهم أفئدة، وقال: أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز. فبلغ ذلك يزيد، فأتى الحسن هو وبعض بني عمه إلى حلقته في المسجد متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به، وصار الناس ينظرون إليهم فلما طال يزيده فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له النضر: فما أنت وذاك يا ابن اللخناء، فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد: ما تصنع؟ قال: أقتله، فقال له يزيد: أغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا[1]

يقول الأستاذ: «ومدح الفرزدق في جملته من أجود شعره الجيد، ومن أحسنه قوله

إني أرى يزيد عند شبابه لبس التقى ومهابة الجبار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار[2]

وروي له من هذا الجيد غير ذلك»

* * *

رثى الفرزدق و«رثاء الفرزدق قليل، وهو إذا قيس ببقية أبواب شعره يقع مقصراً، وما ذاك عن مصطنع أو عن حوف يئم[4] على قوة ومقدرة كرثائه الحجاج وأخيه وابنه»

يقول في الحجاج

ليبك على الحجاج من كان باكيا
على الدين أو شار على الثغر واقف[5]

---

(١) الرجرجة: ما بقي في الحوض كدرة خاثرة شبه بها الرذالة من الأتباع (الكاتب)

(٢) ابن خلكان، وفي الطبري الجزء (٨) الصفحة (١٠٣) قول له في التهديد والنصح

(٣) الشعر في يزيد بن المهلب، وفي (وفيات الأعيان) «لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه، فقال له: مه، إن يزيد طلب جسيماً، وركب عظيماً، ومات كريماً»

(٤) في الأساس: من مضى ... دل على الملك والحكمة

(٥) الشاري هنا المجاهد في سبيل الله لا الشاري الخارجي

(١) في مجمع الأمثال: «كالأشقر إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر» قالوا: كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول: أشقر إن تتقدم تنحر، وإن تتأخر تعقر، يقول لفرسه: يا أشقر، إن جريت على طبعك خلصت إلى العدو فقتلوك، وإن أسرعت فأخرت صيرت أعداءك من ورائك فطردوك، فاثبت والزم الوقار، واقف من وصلك الناس. ويضرب المثل لما يكره من وجهين. «والفرزدق يشير إلى هذا الخبر، ولكن أراد أن يقول الأشقر فقال الشقراء.

(٢) الهبابير جمع هبير وهو الغمير ... (القاموس)

(٣) الفرزدق من قصيدة في هريم

(٤) العقر عند الكوفة قرب من كربلاء

(٥) كلا يدل على ثقة قول الفرزدق فيه

وأبناءُ سودِ الزرامين لم يدع | به الدهر الأيلين بجوانب
ومهملة [illegible] أنا [illegible] | أراحت عليها مهملات القنائف
[illegible] أربعا [illegible] | [illegible] العوارف
[illegible] على الناس [illegible] | [illegible] من الخالف
يقولون [illegible] أن [illegible] | [illegible]

وهم من وراء النهر جشيُّ الرواوب (1)

[illegible] والذي | به تربط الأحشاء [illegible]
له أشرف أرض العرش لنوره | وأومن إلا [illegible] كل خائف

ومقصدت الفرزدق ومقطعاته في هذا الباب تشعر بأنه يجيد حين يريد . ومن صالح رثائه أبياته في بشر بن مروان ، ومطلعها :

وكنا ببشر قد أمنا عدونا | من [illegible] والمشي [illegible] عن القمر

وقد ذكر فيها أنه عقر فرسه على قبره ، وقال في ذي عيينة ، ادعى أنه عقر فرسه ولم يعقره ...

يقول الأستاذ : « يدل على تخلفه في هذا الباب أنه لما ماتت النوار لم يحتج عليه بما يصح أن يناح به عليها ... » ويقل شاعر : « كان لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير »

ويقول الأستاذ [illegible] شيء من الحق ، ويقول بشار فيه [illegible] . وإذا كان الفرزدق لم يقل فيها شيئاً حين [illegible] مطلقته النوار التي أشقى [illegible] القدرَ الأطول .. فهل يدل ذلك على أن لجرير ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ؟ وهل الشعر رثاء وبكاء ؟ على أنا إذا جمعت مراثي الشاعرين — ولجرير اثنتان وعشرون قصيدة ومقطعة ، والفرزدق خمسة وعشرون قصيدة ومقطعة — ووازنا بينها موازنة للفحلين ، لم نر جريراً [illegible] صاحبه إلا [illegible] لا يراعة معانيه ، والأسى يؤدي إلى لين العريكة وقساوة الطبيعة . ثم إنه

من ثقة الإحساس ألا يرى [illegible] إلا أن [illegible] شخصاً [illegible] [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، ودموعاً [illegible] ، والتياعاً وارتماضاً وأسفاً ...

إن للشعراء في الرثاء والصحاء [illegible] في القتال ، [illegible] البارعين هم المجيدون [illegible] لا [illegible] .

يقول الأستاذ : « [illegible] » على أن الشعر [illegible] ، والآن [illegible] حرقة [illegible] [illegible] كقوله :

بني أصابهم [illegible] | فهل [illegible] من أحد [illegible]
ولو كانوا بني جبل [illegible] | لأصبح وهو [illegible] الصخور
إذا [illegible] تهيج مني | حرارة مثل [illegible]
[illegible] إذا ذكرا | [illegible] مع القبور

وروى الأستاذ الفرزدق في وكيع بن أبي سود الغداني

[illegible] أن [illegible] لا يموت [illegible] | على [illegible] القمر

ودعي لبناء [illegible] إلى [illegible] فقال :

ما [illegible] إلا [illegible] غير أننا | [illegible] قليلاً [illegible]

([illegible] - الإسكندرية)

***

(1) جشي : [illegible] أن يكون بدلاً من الواو في [illegible] ، والثاني أن يكون [illegible] والواو حرف الجمع لا [illegible] على [illegible] ، [illegible] الفرزدق [illegible] أكثر من [illegible]

قواعد النقد الأدبي في العربية

للأستاذ محمد [illegible]

أتى على العصور الأدبية في اللغة العربية زمان تهيأت فيها الروح المتوثبة سالت كما يسيل الماء الصافي، ثم تكدرت فسقط، وطغت الفكرة على كل شيء، فكانت قوية ناضجة وفصاحة تمتو لها ويقدرها النقاد، وأتى على اللغة العربية حين آخر حيث فيه ببعض هذه الأفكار، حتى الكاتب إلى المساجين والعلماء، يحصر حسب أحكام المستلب النظرية غير الطلقة. ومع أننا في النقد الحديث نحبذ كل التحبيذ الفكرة القوية الناضجة التي هي نوع من الإلهام يسيل جهده، ولا يقيده زمان ولا مكان، إلا أننا - مع ذلك - نقدر كل التقدير القالب الذي تتمثل فيه الفكرة، إذ أن من نواميسها يخرج الأسلوب الحسي المناسب، ونعرف الأسلوب بأنه حسن تأدية اللفظ للفكرة التي تحتويها، وكلما كان الأسلوب محسنًا في تأدية هذه الفكرة صح مقارنة النقد الأدبي

وهنالك عناصر كثيرة تكوّن ذلك الأسلوب وتسمه بطابع خاص، فهناك شخصية الكاتب تتجلى في أسلوبه، وهناك «ملامح» تلك الشخصية تتجلى في استعمال ألفاظ خاصة تترجمها كما تترجم الدقة الموسيقية دليل الانسجام الموسيقي. ومن يقرأ أسلوب الكاتب الإنجليزي ديكنز «Dickens» يستشعر ذلك النوع من خفة الروح تدافعنا من خلال ألفاظه وتكاد تنتظرها قبل أن نقرأها، حتى نتمثل أسلوبه تمثلًا تامًا من عباراته

هنالك إذن عوامل شتى تجتمع فيها صبغة الأسلوب وتتألف من شخصية الكاتب ومن بيئته، ومن الأفكار الشائعة في وقته، ومن مجرى الحوادث السياسية والاجتماعية. لكن ما هي القواعد الأدبية والأنظمة التي يمكن أن نحكم بها على الأسلوب كما عرفناه؟

لا شك أن لكل كلمة حسنة الأسلوب جهة التعبير عن المعنى الكامن خلفها، وروحًا خاصًا قد تضمه، وقد لا يمكن مهما حاولنا ما تيسر لنا أن نعرف نوع الجمال والسحر الذي فيه، فغاية ما يمكن أن نقول عنه إنه جميل. ثم هنالك المعنى المعطى الذي يحوي الفكرة السوية، وهذا الذي يمكن أن نطبق عليه أحيانًا المقاييس. وقد نقف أحيانًا مكتوفي الأيدي أمام القطعة الشعرية فلا يمكننا أن نعبر عن الحال الروحي الذي [illegible]، إلا أننا نحس هذا التأثير بأي شعور [illegible] ملك علينا مشاعرنا بحسب [illegible] وسامًا وإيجابًا. ولما كانت مشاعرنا تنحصر في هذه الحواس الخمس وفي ذلك الشعور الباطن بالجمال الذي [illegible]، وفي تلك الأفكار التي تحوي مدائح خاصة نقيس عليها كل جمال نراه، يمكننا أن نقول: إن القطعة الأدبية تدخل علينا السرور من طريقين كبيرين: أحدهما عن طريق العين والمرئيات حين ترسم لنا صورة بارزة وأخيلة قوية خلفه، وثانيهما من طريق الأذن بواسطة السحر الموسيقي. فانسجام القطعة الأدبية يرجع لقدرها فوق كل شيء من طريق البصر والسمع، ثم من طريق قوة العاطفة والفكرة. وعلى هذه الأساس يمكننا أن نضع قواعد بسيطة للنقد الأدبي

أولاها اختيار اللفظ الذي يجمع أدق المعنى المقصود. يقولون عن الشاعر أو الناثر المجيد إنه لو انتزع لفظ من كلامه لما أمكن وضع بديل منه يؤدي نفس المعنى في نفس السياق! وتتبين مقدرة الكاتب من هذه الاختيار اللفظ الذي لا يمكن العبث به ولا التبديل فيه. ومن هنا تتبين قوة أسلوب الكاتب وضعف ذلك الأسلوب يفي بالغرض المطلوب منه في كل قطعة على اختلافها، وتأديته الأغراض المختلفة في القطعة الأدبية

يلي ذلك اختيار الكلمات وتنسيقها تنسيقًا موسيقيًا، أو [illegible] ترتيب الرسام ألوانه ليخرج لنا الصورة الفنية. ولننظر في قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا) نرى فيها الانسجام اللفظي البديع الذي لا يتأتى لأي تنسيق سواه أن يرتفع إليه. فقوله «أكملت» تراه يتردد في لفظ «أتممت» وفي لفظ (الرضى) الإلهي، كما يتردد النغم الطيب، فهذه إكمال الدين من جانب البشر، وهذه «إتمام» النعمة من جانب الله، ويفيض عنه الرضاء. ثم انظر إلى لفظ «الدين» في الأولى و«الدين» في الآخر، ولفظ نعمة في الوسط وهي تزيين آخر لفظ «الدين». ولست أجد أبدع في ترتيب الكلام من آي القرآن

أما الناحية الثالثة فهي الوزن والقافية في الشعر . ولست أدري لماذا أريد أن نتحرر من هذه القوافي التي تتحكم في أبياتنا بلا مبرر والتي تلزم الشاعر ربياً من الأفكار قد يختل فيه الانسجام ، ويضيع معه الجمال . ولست أدري ما الذي يحول بيننا وبين أن نخرج على هذه البحور « الأثرية » التي حددها لنا الخليل بن أحمد . ولست أدري لماذا نظل في الموسيقى الفردية ولا نخرج منها إلى الموسيقى الإجماعية Orchestral Music التي يكون فيها الحال الفني من صاحبه أمام خلطة لآلات كثيرة تساهم كل منها بنصيبها في تكوين القطعة . وليس من شك في أن البحور الشعرية موسيقى خاصة ، ولكن موسيقى كل بحر إنما هي موسيقى فردية ، فلنجعل القافية والوزن مكانهما في الشعر ولكن يكون أوسع من مكان الترجيع الممل في الموسيقى الفردية . وهناك إلى جانب هذا تمثيل الصوت بحيث يؤدي المعنى ويسمى Onomatopoeia ، وقد نظم تنيسون Tennyson مقطوعة شعرية عن البحر ، فحال وأنت تقرأها أنك تسمع صوت مرجرة البحر وصخب الأمواج ، وقد تم للشاعر ذلك بانتخاب أحرف خاصة .

ثم المجاز والتشبيه ، ومجاز كثال يعني أن نعطي إعمالاً للفكر ، لأن [illegible] هناك مواضع نحتاج فيها إلى التشبيه ، ولا يمكن صبها سوى ، خاصة إذا كان المعنى المراد تأديته إليه صعب فندعى إلى عرض المسألة صورة خاصة من التشبيه .

أما الناحية الأخيرة من نواحي النقد فهي التأثير الفني الإجمالي .

لكن ما هو هذا التأثير الفني ؟ وإنني أرى أولئك الذين يمنحون ملكات الجمال ، فيمضون إلى مقاييس التناسب الجسدي لمعرفة التحسين الجمالي ، يسألون أنفسهم نفس السؤال : ما هو الأثر الإجمالي الذي يتطلبه هذا التناسق الجسدي في مجموعه ؟ وفي اعتقادي أن الإجابة على هذا السؤال تتوقف في النهاية على نحو هذا المجموع من ذلك [illegible] تلزم وتشكل [illegible] نماذج خاصة للجمال ، وقد يضم كل من الجمال [illegible] صور الجمال في ذهنه أو يقدر ما يصبو إليه في روحه .

قد يقرأ القارئ قطعة ثم يعود إليها فيقرأها غير ما قرأها في المرة السابقة . وننكسر بعض قطع كلما قرأتها نجد فيها معنى جديداً ، فكأنما الكاتب قد ملك ناصية المعاني وهو يكتب إليك من عليائه بما فتر [illegible] ، وهو [illegible] بعض تلك الأرض [illegible] في نفس الظروف والملابسات التي [illegible] ذلك الكاتب حتى كان اللفظ الذي كتبه وترى معنى جديداً ؟

حقاً ما أشق مهمة الناقد وما أوهن قواعد النقد

[illegible]

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الإسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أصلحتُ ما قال سيبويه ... بآراء «أور كرومبي»

قد أصبحت مصر في أمانها ... مسيخ شرق ومسخ غرب

وصوت في أذني رهيباً ... كأنني ملقيت في حرب

الشعر للأستاذ أحمد الشايب، وفيه لحن لا يطرب لسامعه

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: لما وضعت كتابي «الأسلوب» عمدت فيه إلى تهذيب النهج القديم في تعلم البلاغة، وراجعت كتاب المستر أور كرومبي، وطرحت ما يسميه الإنكليز «روتريك» بما يسميه العرب «البلاغة»، وأخرجت من ذلك كتاباً في الأسلوب على طريقة كتاب Art of expression

قال أبو الفرج: والله طالعت هذا الكتاب فوجدته بديعاً ولا عيب فيه غير أسلوبه

قال: واختصر الأستاذ الشايب من ذلك بالقاعدة الإنكليزية في حروفية تلك اللغة A preposition is a bad word to be ended with قال وهذه القاعدة عند علماء البلاغة في كل النصوص أن يكون أخذ المعنى لما خالفاً للمعنى الذي تضمنته كما يقال في البلاغة العربية «قبيح أن يبدأ الجملة بلفظ قبيح» قال وهذه القاعدة تصلح ترجمة للقاعدة الإنكليزية التي ذكرتها

قال أبو الفرج: وظني أن المركب الذي استحدثه الأستاذ الشايب البلاغة مركب بديع، وقد خرج فيه عن الطريقة العربية للمركب المزجي وقارب الطريقة التي ذكرها الأستاذ فريد في مركباته العطفية

حدثنا الأستاذ سلامة موسى قال: إن مركب النص ومشتقاته ليست هي كل المركبات وإنما ذكرت منها ما ذكرت في الجملة الحية على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، فهناك مركب مثلاً اسمه مركب لجانبه النصب وهو يعلق [illegible] دون نصرها ووجوده بالطبع إلى أشياء أخرى غير الفردية، ومن أمثلة هذا المركب أن في الإسكندرية طبيباً جيداً اسمه الدكتور زكي أبو شادي وأستاذاً كبيراً اسمه الأستاذ إسماعيل أدهم، وهما يشتركان في تأليف كتب باللغة الإنجليزية ويوقعانها معاً بإمضاء مستعار، ولكن الدكتور زكي أبو شادي يوقع بلقبه العلمي فقط «الدكتور» ويوقع الأستاذ أدهم باسم «ليونارد ماركس» ويرى الناس التوقيع هكذا: «الدكتور ليونارد ماركس» ويحسبونهما رجلاً واحداً بهذا الاسم والواقع أنهما اثنان أحدهما دكتور شاعر والثاني ناقد

قال الأستاذ سلامة موسى: «ولقد عرفت هذه الحقيقة، وجعلني أطلق الشعر على الرغم من كراهيتي له» وقد أعجبها

كم لله أبسط من شاعر ... وشاعر أسكر من ناقد

[illegible] بالله ترى [illegible] ... قد صحت الروحين في واحد

قال: وهذا لا تنتمي إلى فرديتهما وإنما تشير إلى المركب الذي يرجحاهما معاً

حدثنا الأستاذ إسماعيل مظهر قال: إن نظرية فرويد ترجعها إلى النسيان، وقد وضع كتاباً في الحياة اليومية على أساس من ألوان النسيانات، فلب من نسيان الأرقام، وآخر في نسيان الوجوه، وثالث عن نسيان الأخبار وهكذا. ومن الحق أن الأستاذين إسماعيل أدهم أو الدكتور زكي أبو شادي لم ينسى قط إلى المزج وإنما أراد التوقيع بكامل اسمه ولقبه، ولكن نسي أحدهما اسمه بعد أن كتب كلمة الدكتور، والثاني نسي لقبه حين أن يكتب اسمه ليونارد ماركس، ولقبه هو البروفسور

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: أما المركب الذي استحدثته في البلاغتين العربية والإنكليزية فليس من هذا النوع وليس منشؤه النسيان وإنما وقع في خاطر للقراء، ألم أكن موظفاً في حكومة السودان وكان الحكم فيه ثنائياً فاختاروا كتابي «الأسلوب» لمدارس الأعمال [illegible] سودان أليس كذلك؟ أوربي. وفي رواية أخرى أنه لم يقل أوربي، وإنما قال: موكية

حدثنا الدكتور زكي مبارك قال: [illegible] والله [illegible]

للمثقفين بالثقافة الإنكليزية . ولقد سمعت منذ أسابيع محاضرة ألقاها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني من محطة لندن فحدثنا عن الفرنسيين المصريين أننا أوصدنا على الأدب المصري عصر الثلاثاء وأننا بعد أن هجرنا الرومانتيكية سكتنا [illegible] ومن الذي يزعم أني سكت أو أني سأسكت ؛ على أن الأستاذ المازني قد فاته أن يتحدث عن بدعة الأستاذ الشايب

وحدثنا الأستاذ المازني قال . لقد أذعت محاضرتي قبل أن يصدر كتاب الأسلوب وأنا الآن أعجب من أن أقرأ الأسلوب في [illegible] الدكتور زكي يتحدث مثل الأوان ؟ أحسب أنه يطلب مهاجمتي كما هاجم غيري من قبل !

حدث الدكتور زكي مبارك قال : ما لهؤلاء يتهمونني جيباً بالشعب ؟ أراني أهل كاهن وصوفي فاسمعهم وأكتب عنهم وحبهم حباً لا أتكلف ولا أحب من يتكلف ولولا أن الرهبنة ليست في الإسلام لودعت الناس جميعاً وقضيت بقية العمر راهباً في معبد نوتردام دي سنترس !

ليت العباد يترهبن ويتحلل من الحد ! إني سكت أشهر من أجل دكتور [illegible] صاحب كنيسة نوتردام دي باريس آه لو ترهب الصبايا !

قال أبو الفرج : والحق أن أصدقاء الثقافة الفرنسية كانوا أقدر على الاختراع والابتكار حتى ظهر كتاب الأسلوب مزيجاً بين اللاتين من الاقتصار في الابتكار لأصدقاء الثقافة الإنكليزية

حدث الأستاذ أحمد الشايب قال : وهل يحسب أحد أن التقريب بين مصر وبين حلفائها من حيث البلاغة ليس إلا ضرباً سياسياً من ضروب الوطنية . أليس ذلك مؤدياً إلى حسن التفاهم بين الأمتين في المستقبل ؟

قال أبو الفرج . أما وقد أشار الأستاذ الشايب إلى الوطنية فما سمعت في الشعر المصري أروع وطنية من شعره ، ولا رأيت في النقد المصري أقوى من تلك الوطنية في نقده

قال . لقد قرأت نقد الأستاذ الشايب لشاعر الذي [illegible] مرآته بهزة مراً عنيفاً ويسأله أين شعره في الحروب الصليبية ، وأين وطنياته المصرية ؟

ولقد قرأت نقده للمتنبي مرآته بهزة كذلك مراً عنيفاً ويسأله أين شعره في النيل ؟

وعوفي الرحمن حتى سكنت طمعاً بمقام الزعامة الحكيمة ليكون قدوة ومثلاً لغيره من الناس ، فكان أول [illegible] ممنوع في [illegible] الإسعد من التراب الجوية

قال . ولقد كنت وإياه وجماعة من المصطافين القاهريين بالإسكندرية عندما أطلقت صفارة الخطر على سبيل التجربة ، فلم [illegible] الأستاذ الشايب من نومه ولم يعجل هذه القصيدة ، ويبين أنه [illegible] على وطنيته وحماسته

صفرت

صفرت كصوت البوم ينعى ناعيا … [illegible] من الدموع [illegible]
فودعت أهلي واحتسبت كأنني … وبدلت [illegible]

والقصة الصغرى [illegible] من الألفاظ [illegible] في قرى الإنشاد

أفنى بالأذنين في صوت معول … ولا معول إلا المنون الناعب
أرى صوراً تحمل الموت [illegible] … وروحاً بلا جسم [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] للأستاذ أحمد الشايب [illegible]

[illegible] صفرة الخطر

« يتبع »

عبد اللطيف النشار

الجبر والاختيار
في كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتي]

للأديب السيد محمد العزاوي

— ٣ —

« ... وخوف الحق أجل من السكون ، واستقامة الظالم لا تكون ، وقد أراها محبة ، وسم القلب غير جلى إلا أنه قد بى ما حضر ، فسم عنك المناقشة في الصلاح »

ومن مظاهر هذا التفكير ما انتهى إليه من نظرته في الجبر وأول ما عكى أن نصادفه من هذا التفكير مشكلة خلق الأعمال ومشكلة التكليف وأمر البعث . فإن المسألتين الأخيرتين تتصلان ما اشتركتا بمشكلة خلق الأعمال تتأثران بها سلباً وإيجاباً . فلو ما أثبت للإنسان خلق الأعمال صحت إذن تعاليم الأديان بشأن القيامة والحساب ، وإذا أثبت ذلك فقد صح التكليف من الشرع واستقام في رأى العقل والحس فكرة الحساب والعقاب . ويبدو أن هذا ما يميل إليه أبو العلاء ، وإن لم يصرح به تصريحاً . وهو كما ستجد قد أسلم فيه النص ، وعقله إذن لا يجد للعقل فرصة من الحق في شيء أن يثبت حساً ولا تكليفاً ، فلم قد أثبت الجبر في الأعمال . بل كان العقل يحس صراحة بالنص إلا إذا كان البعث والحساب جبراً كذلك ، وهذا ما لم يقبله أبو العلاء صريحاً فقد هدا راه من بعث .

يرى المعرى نفسه مجبوراً على أن يعمل ما يأتيه لا حيرة له والقدر من حوله « نحو الحياة » فيقول : « كذبت النحاة أيما سلم ، ودع الناس وحسب المعين ، إنما القوم مسيرون ، والسم لعالم الغيوب خالق الأعب والآدب[1] » فهو لا يرى أن القائم بالعمل هو الفاعل الظاهر ، وإنما الفاعل شيء آخر « بيده نواصى العباد ، لا يخرج بما يحسبه الجد ولا الحرمان ، ولا يعمل إلا ما رضي وشاء ، وهو متعلق به الريح والنطفا ، ولا شيء من الديان » هذا الشيء يخشى أن نسميه بسمكه[2] . وقد وصلت حيث التشبيه ، وأشرك النصف العاجزين ، مع القوى القاهر في بعض المقال إن قلت عمل الأول وعمل الثاني ، و[illegible] بين الفعلين[3] » وقد يبدو هنا أنه أسند إلى الثاني عملاً تاماً متماسكاً منفصلاً عن الأول كما يشعر بذلك قوله [illegible] ما أبعد بين الفعلين » ولكن ما الرأى وهو يرى عكس هذا ، ويصرح به في نصوص صريحة لا تحتمل الشك ولا التأويل نحو قوله : « وعلى مكتوب مكتوب ، مقترن بالحفظ تم مقروء ، ومكتوب المهابة على مقروء ، وغير القمر هو المقروء ، لا يعد عن السوء ، أمر الطير وأموره ، والأقدار دونه معرشات[3] » فهل رأيت إلى ذلك المكتوب ؟ وعارفته عمل الخير فلا عكسه من ذلك الأقدار لأن التي قدرها لم يقدر له أن يمحها ؟ فيحسب أبو العلاء لذلك ويصبح أن « لو كانت للناقشة في غير دار الستورجت لحسب أن تلق إلى صحيفة العمل فأضرب عن ما حمنته رحلة الإعراب[4] » ولكن أنى من ذلك ؟ « هل يحصى الاجتهاد وقد سبق حكمه أن من أهل النصر ، أم يصرى التقصير وقد تقدمه أنى في جرحه الأبرار[5] » .

وقد يعترض على ذلك بأن أبا العلاء سمع يقول « أثرك للسبل إلى المرشحة ، فإن طرق الخير كثيرة » وقال : « ما يمنعك أن تخير النفس وأنت في بلاد الضلال ؟ » ولكنه ربما أوردت على ما يمنع المرء أن يترك هذا إلى ذلك أو أن يخير النفس .

فالأعمال إذن حكم مقدر على المرء ، لا يستطيع أن يحيد عنه ، ولا أن يعدل إلى غيره . وما معنى أن يعدل المرء من « حكم » إلى « حكم » ؟ وهو يذهب إلى ما ذهب إليه في مسألة الأرزاق من أن الأحكام تجرى على نهج خاص كذلك ، لا تدرك أو تبطل ، كما جرت الأرزاق على نقص النصوص والإبهام .

ولا يمكن أن تجد عند أبي العلاء علة يتمسك بها أو يقنع نفسه . وإنما العلة عنده أن « الناس أربعة نفر ، محروم عيش فهو المرحوم ، ومخصوص سعد فهو المحسود ، ومولود بالسعادة إلى أن يموت فذلك الكريم المرزوق ، وثابت على الشقوة فذلك المطرح المرفوض » .

(١) ص ٧٨

(١) ص ٢٣٦ (٢) ص ٨٨ (٣) ص ١٠١ (٤) ص ٥٩
(٥) ص ٣٢٠

وهو يمضي بعد ذلك إلى استخلاص حكمه في هذه القضية، ونظر ما تشير به العقل، فهو متشائم من دوام كل شيء، يحكم الله وحده: «هل أمم شتى فيرجع مشرق كأنما يرجع عنه [illegible] أمثال والهلاك [illegible] وكساه الأديم ويرواه عقل [illegible] الوحيد وذلك بعلم الله [illegible] صرفت رقبة من الشعر في أعقابهم طالب رزق يقوم الليل ويصوم النهار، ويرثي الساحر [illegible] عنق جارحة حبال له علم عيونهم من جثث؟[1]» وهو يعرض إلى تلك الفكرة في بيان جلي يرسمها تفصيلاً حين يقول: «وليس اللسان رب إنما اللسان محرك اللسان، كفارس طعن برمح مثل غير مستحق القتل، فالجاني الفارس، والرمح عن هي الأعضاء، وإذا سعت القدم إلى تجريح فاجرية لناقلها، مثل رجل ركب فرساً فاختلف سبيلاً فاستوجب العقوبة الرجل دون الموجد وإذا خانت اليد فالباسط لها القلب المطلوب [illegible]» ومن هو محرك اللسان ومن سيّر الفارس؟ وهل كان في إمكان محرك اللسان ألا يحركه، والفارس ألا يطعن برمحه، وناقل القدم ألا ينقلها؟ كلا، لم يكن يستطيع، إذن فلا لوم عليه ولا تثريب. ولكن هذا قوي، وأبو العلاء يأبى أن يقول ذلك صراحة، فهو لا يعرض لها في بيان أكثر مما نرى، فهو حذر يود ألا يتعرض صراحة لأمر ليس على علم به. فأما هو أمر الموت وما بعده من حياة الأخرة فهو يجهل أمرها جهلاً يدعو معه أن يقول: «عجبت [illegible] ما أقدر عليه [illegible] بعد الموت كيف أكون[2]» وهو نفسه يصرح تصريحاً بهذه الموت والجهل ويقر نفسه أنه لم يعتقد الحيلة والصبر حيال هذا الأمر الغامض: «وقد سئمت الحياة وأخاف أن أعقل ما أنعم على ما جرى ومساء وأنا أعشق الجرم [illegible] عن الجهد [illegible] في سير[3]».

ولكن [illegible] لا [illegible] أمامه مختاراً [illegible] البعث والحساب؟ فرض ألا يكون بعث ولا حساب إلا إذا كان مجبراً [illegible] وهو حتماً يبره عنه الله على أنه يرى أموراً [illegible] حدوثه إذ يصرح أن: «أو جرت ألف حقبة ما ورد في علم كتاب ولا رسول، [illegible] إن جنود النجوم [illegible] والنجوم [illegible] وصوت الأعظم

(١) ص ١٢ (٢) ص ٢٢٨ (٣) ص ٢٣١

رمماً[؟]» وهو يتحرر من أمر [illegible] الآخر، [illegible] في ومن رمماً «سر الله فيكم أهل دهر لا يقصرون [illegible] الصبح، ولا [illegible] حل النهار، أعتاد إليكم [illegible] الأرواح مسكنة، ولا الأجساد [illegible] ولا العقول [illegible] على أنه يؤمن الإيمان كله بأن [illegible] هو حق [illegible] «أن اللحاق بالقوم قريب ولست من لقائهم على يقين فقد لقيت أصعب حرف، أقرأن أو حر على ذلك وأكب؟![3]» فهو حرب كما ترى لأنه لا يستطيع أن يتبين حال الأموات في الدار الأخرى، ولأنه لا يستطيع أن يؤمن بلقائهم وهو يميل إلى [illegible] من أسباب، فإذا ما أراد بعد ذلك أن يمضي [illegible] «[illegible] وحل القبائل [illegible][4]» [illegible] من النصوص كثير يدل على وجهة نظره في البعث. وقد يقال بأنه يؤمن ببعث الأرواح دون الأجساد فقد قال «غريب بعث الأرواح» ولكنه قال «والله باعث الأرمم» وقال: «ولا يمتنع أن يكون (جسد) الصالح إذ قبر في نعيم، و(جسد) الكافر في عذاب أليم» فهو لم يجزم بشيء. [illegible] أمر لا يجتنم. ثم هو يتساءل [illegible] الله [illegible] ويثيب [illegible] وكل [illegible] ولكنه [illegible] «سبحان الله عزاً وحمداً [illegible] أرشد [illegible] أم أنا آمن؟» «لا يركن إلى حال من الطمأنينة [illegible] كانت، «فالدنيا فانية، والنفس لا تأمن [illegible][5]» «ولي [illegible] أن [illegible] وقد أصبحت رأساً [illegible][6]» فهو يرى أن «العادم الذي لا يأبى، يحمد الله ويمدح، [illegible] لا [illegible] الأجل يحركه من أهل السماء».

وكل ما يمكن أن نأخذه عن أبي العلاء في أمر التكليف ومسائل البعث إنما هو جهل وشك لا يثبت شيئاً ولا ينفي شيئاً، ونحن لو قرأنا الكتاب جميعاً لن نجد ما يدل آراءه في صراحة أحسن من قوله: «وقول الملى أمثل من السكوت، واستدامة الحلم لا [illegible] وقد الدنيا [illegible] وسير [illegible] إلا أنه قد [illegible] ما [illegible][7]»

وأبو العلاء حين يعرض «للعاصي» ومرتكب الكبيرة

(١) ص ٤١٩ (٢) ص ٢٢ (٣) ص ٤٢ (٤) ص ٢٥٩ (٥) ص ١١٨ (٦) ص ٣٠٥ (٧) ص ٣٠٨

أهو حائر فى النار ، مجده يميل إلى التفاؤل تارة فيعتقد أن « عفوك إمنا مأمول[1] » وتكاد أيها المشاقة حرفت ما وجب ، فانظرى هل لك من متاب » . « إن فعلت شراً فى أمرك ، وإن تفعل خيراً فعند الله مسرح لا يحجر ولا يشبه الفاجرين » وهو يعامل حتى يعود أنه « ما صنعت السيئة فأصلحه عنه[2] » والله غافر ذنوب المذنب[3] » بل هو يذهب إلى أبعد حدود التفاؤل : « لا آيس من رحمة الله ولو غلبت ذنوباً مثل أعمال سوداً كأنهن بنات حبر ووصحبى فى عنق الصبية كما ينظم صغير اللؤلؤ فيما طال من العقود ، ولو سفكت دم الأبرار حتى أسبح فيه كاستنان الحوت فى معظم البحر ، ودنوى من الجحيم كالشمشم ، والقربة منه مثل العربة ! رجوت النعمة إلى أمر كلى وقت التوبة صحو ما لم تحل النفس دون التنفس ، والجريض دون القريض ، ولو جنيت بيتاً من الجرائم أسود كبيت الشعر يلصق بأعنان السماء ويستقل عموده كاستقلال عمود الصبح ، وعقد أطنابه فى السهل والجبل كامتداد حبال الشمس ، لضمه عفو الله حتى لا يوجد له ظل من غير كيان[4] » فانظر إلى أى حد يطمع فى عفو الله ، ويؤمل مغفرته . على أن ذلك لا يمنعه ألا يسأل « هل من راق فذى إراق ، يلبسنا كياً من الطيبة … ونسأله … غفران الكبائر ، والله القابل توبة التائبين[5] » « ما أحسنت فأطلب الجزاء ولكن أسأت فرجوت الغفران . ومن لى بالبعد عن المرتقين لا كرم ولا أمان[6] » وقد يؤديه هذا السؤال إلى اليأس أحياناً . « كيف أغسل الذنوب وقد صارت كسواد الغراب والغداف كلما غسل حمر عنه ربى ذلك ازداد سواداً بإذن الله » . فهو ييأس … فى محاولة غسل الذنوب ، ولكن هذا الجهود يذهب عبثاً لأن الله لا يريد : « ولو … لحت … فيض تحت الثوب ، … الثوب ، ولكنه أحرى الصدر … وتكون … الذى … ويعتقد أبو العلاء أنه … لا شىء إلا أن الله قدره … أحدث … أو حاجته … فانظر إلى أى شىء … أبى العلاء ؟ انتهى إلى الآخرة كذلك … ، وهو … لأنه … ومهاجرها … من نوع الأطفال : فأينما ولى وجهه لم يجد إلا …

(1) ص ٤٦ (2) ص ٢٦٤ (3) ص ١٩٨
(4) ص ١٧٩ (5) ص ١٩٩ (6) ص ١٧٣

نفسه التى تحبث الناس ، وهذا البيت … الخالى … الأخرى النسمة الرعية ، التى … أمسها … الأمهات ، أم غضب ما أوحى به عقله ؟

فى هذه المسألة أيضاً — مسألة الخلود فى النار — لا نجد أن أبا العلاء يثبت شيئاً ، وإنما هو متردد مضطرب متقلب بين مسائل حيناً ، وشاك متشائم حيناً آخر .

غير أننا لو تأثرنا تتبع الكلام فى ذات الله لديه فى نصوصه الثابتة لوجدناه … المتكلمين وغيرهم . على أنه يقول : « لا أعلم كيف أعبر عن صفات الله وكلام الناس عادةً واصطلاح ، وإن … ذلك … التشبيه … كيف يوصف بشىء حالى الصفات[1] » فهو … صريح لا يحتمل الشك فى أنه لا ينسب لله غير ذاته ، فليس هو من الصفاتيين فى شىء وإنما هو من المعطلة . وقد أثبت أنه « لا أعلم كيف هو ولا أين هو[2] » وأن « الله القديم الأعظم ، وحكمه جرى القدر ، ألا … لا أعلم[3] » ولكنه إن اعترف بكون الله « شيئاً ما غاب ولن يغيب » وعده … لا صفاته وحدوده ، فقاصر لأوليته طوال الأعصر ، كالأجنة إذا حدثتك عنها النظرة الأولى كذبتها الثانية[4] » فإنه يحيد شيئاً … إلى ذلك . فهو لا يتصور أن الله خلق اللغة من العدم أو أنه وجد قبل الزمان والمكان وإنما هو « رأى ما يحدث فى صميم الدهر ، والزمان فى شرخ شبيبته أيام … الكواكب … فى … وسورها … فى … وأصبحه … فى … إن كل ذلك … ، وإن … الله … اليمات »

(للبحث صلة) السيد محمد العراقى

(1) ص ٥ … (2) ص ٢٧٤ (3) ص ١٥٨ (4) ص ٩٢

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

وسئل رئيس الوزراء عن وجهة نظره في دعوة المجلس دون الرجوع إلى الخديو، فكان جوابه أن الخديو قد نشأ الخلاف بينه وبين وزرائه بحيث لا يمكن الاتفاق بينه وبينهم، ولذلك عقد دعوة المجلس دون مباحثة سلطانه في هذا، ثم قال: «إني أشكو أمراً هو أنه سلك مسلكاً يقضي على استقلال مصر وكثيراً ما عمل ذلك دون مشاورة وزرائه»[1]

والحق أن توفيقاً كان يود التخلص من هذه الوزارة بأي ثمن ولاسيما البارودي الطامع في منصبه، وعرابي زعيم الحركة القومية التي تسير بطبيعة حركتها في طريق يعده الخديو طريق الضلال والعصيان وعد كل خطوة منها ثورة وتمرداً، وأي شيء آلم في نفسه من أن يرى فلاحاً من أبناء هؤلاء الذين ما خلقوا إلا للطاعة والطاعة العمياء يتربع في كرسي الوزارة ويتكلم إليه ويتحكم باسم الأمة ويمضي ما يعمل أو يرفض ما يرفض [illegible]

ولقد عاب كثير من الناس على عرابي وقتئذ أن [illegible] عناد الخديو في تلك الأزمة، وحجتهم أن الرجل كان يخشى على البارودي أن يترك الحكم ما دام قد استحكم الخلاف بينه وبين الخديو، ولقد يبدو هذا الكلام وجيهاً لمن ينظرون في الأمور دون تمحيص للحقائق، أما الذين لا يصدرون حكماً إلا بعد تمحيص وهم ممن لا يتعصبون لمذهب هؤلاء، ولا يقيسون قياسهم

وليست المسألة دقيقة على الأفهام حتى تتشعب فيها وجوه الرأي، وحسب هؤلاء العائبين على الوزارة مسلكها أن يذكروا أن الخديو كان معرضاً عن الإصلاح وعلى ذلك فإجابته إلى مقصده لن تكون إلا تسليماً لأعداء البلاد، الأمر الذي لا يقبله وطني؟ ولو أن الأمر كان خلافاً بين الخديو ووزرائه، وكان الخديو يريد وجه الوطن لكان من السهل جداً أن يحتكم إلى الأمة ممثلة في مجلس النواب ويجعل له من طيب خاطر القول الفصل في هذا الخلاف

وهل كان بعيداً من الوزارة أن يكون عسيراً عليها الاستقالة من الحكم وإنها لو فعلت لذهب جهود ومقاومة الدسائس السياسية ومطامع الطامعين؟ كلا، بل إنا نرى استقالتها في تلك الظروف ضرباً من الفرار وشكلاً من أبلغ أشكال الضعف، وعلى الأخص إذا سلمنا بموقف الخديو من القضية كلها على النحو الذي ذكرناه، والذي نجد دليلاً على صحته أبلغ ما ذكره لورد كرومر في كتابه حيث يقول: «إنه بين للسير أدوارد ماليت في يوم ٦ مايو أنه يلزم أن تفقد مصر بعض امتيازاتها على يد الباب العالي وتعود إليها السلطة المطلقة على أن يبقى ويظل ذلك الخديو» ومعنى هذا أنه كان يريد أن تطلق يده في مصر يحكمها كما يريده ولا عبرة في سبيل الوصول إلى هذا الغرض بما عسى أن تفقد مصر مما حصلت عليه من امتيازات خطت بها خطوات واسعة نحو الاستقلال

والبحث الذي يرى هذا الرأي أن يكون احتكامه إلى مجلس الدستور الأصح بالأحرى من المماطلة، فإذا كان الدستور يقضي بإسقاط الوزارة إذا صدر الحكم بينها وبين الخديو فلن يكون ذلك إلا على أساس احترام الخديو لذلك الدستور في جملته وتفصيله. وما أجدر أن يجمد الدستور إذا ما طرق سبيلاً للتحايل عليه بما يشتهيه

وقفت وزارة البارودي لا تتحول ولا تلين فكان موقفها هذا من الأشياء فيها ثورة قومية كأروع وأجل ما تكون الثورات القومية، وهو موقف يراه [illegible] الإعجاب والتقدير، وما عسى

(1) Cromer — Modern Egypt

لم يكن في مقدوره إلا كل بعد من مواقف المشهودة التي تذكر في مواطن النصر والباهاة

وكانت الوزارة قوية بتأييد الأمة لأنها كانت معتززة بالنواب وبإجماعهم على الأخذ بناصرها ، ولكنها تضطرب فإذا بهم يهمسون فيما بينهم بسر وإعلان ، وإذا كثيرهم سلطان يدعوهم إلى الحكمة والروية ... وكم عمل على الحكمة والروية أعمال ليست منها بسبب من الأسباب .. قال سلطان لمنا ومثله فيمير أدوارد ماليت - « لقد أسقط المجلس شريفاً تحت ضغط عرابي ، وإن نصف الأعضاء الذين أطاعوا في ذلك أكثر من غيرهم ، وقد سمعنا لهم أنهم جددوا - يتوقون اليوم إلى إسقاط الوزارة » ولو اطلع عرابي على الغيب يومئذ لرأى أن هذه أصعب ضربة من ضربات سلطان هذا ، تلك الضربات التي سوف يسددها إلى قلب الحركة الوطنية في تضييع الجهاد وسكرات الاستشهاد

وانحاز فريق كبير من النواب إلى جانب الخديو ، وإن كانوا ليتظاهرون أنهم يظاهرون الوزارة ... كتب في ذلك ماليت إلى حكومته في اليوم الثالث عشر من شهر مايو يصف الحال في مصر أو على الأصح يصف ما أملاه من مخاوف وسائله الإنجليزية ، قال : يظهر أن رئيس المجلس والنواب يميلون إلى جانب الخديو ، ولقد سألوا سموه أن يأخذ الأمر فيصلح وزراءه ، ولكن الخديو رفض ذلك ... وبعد مسموه على رأيه ، فلم يصالح وزارة تحدثه صراحة ، وتهدده هو وأسرته ، واعتمدت على القانون بدعوة المجلس إلى الانعقاد دون الرجوع إليه ، وفي القاهرة شيء غير قليل من القلق وكثير من الناس يتحدثون بها .

بإزاء ذلك اعتزل عن رئيس الوزارة عزمه ، وزايل إصراره شيئاً فشيئاً ، حتى رأت البلاد البارودي يرجع إلى الخديو استقالته ويمسك بذلك إعجاباً منه عليه أشد العجب ، فقد كان عليه أن يستطلع رأي النواب صراحة في جلسة يعقدونها ... فإذا أصروا كان عليه أن يبقى في مكانه حتى يقال ، فيحتمل شرف الإقالة ، أو ينتصر ، فيكون له فخر الانتصار

لقد رفض النواب أن يجتمعوا في علنهم ... أي أنهم رفضوا أن يساندوا الوزارة في غضب الخديو ، واجتمعوا في منزل رئيسهم وهذه حقائق مسلم بها ، ولكنها أمور شكلية لا تمس جوهر الموضوع ، فالأمر الذي كان يهم الوزارة ، هو معرفة رأي ممثلي البلاد ، وسواء فيها اجتمعوا في علنهم أو في أي مكان ، فليس ثمة من فرق بين الاجتماعين ، إلا أن هنا رغم ، وذلك هو رغبتي ، ولم يكن أمامه وهنا عال شكليات ... جرى الخديو في مضمار . تلك الحادثة التي أوغرت البلاد ، وهي الأمر المسبب الفرنسي الذي انتصر في ملعب الخصي في تسهيل الأمور العسكرية لا يتبرمون من زي الشمس لأنهم اعتصموا في ثامه عليها

الحق أن البارودي قد هجم ما سيلي جيباً بإستقالته فقد رأى أنه قبل شرف الإقالة ، لكان منطقه متسقاً ، ولأضاف بذلك إلى صحيفته في ... صفحة من صفحات العدالة ، ومن الخديو والوطنيين إليه ورداً جديداً يضاف إلى سابق أوزارهم !

وحمل الخديو أن هم في الحكم وزارة ، فقد أشفق منها الرجال يومئذ ، وأشفق منها مصطفى فهمي باشا حين عرضت عليه رئاستها عملاً باقتراح قنصلي انجلترة وفرنسا اللذين صدر منهما الآن حتى استقالة الوزارة إلى حين وصول سفنهما في مصر .

وصرح الوزراء على الرغم من استقالة رئيسهم أنهم لا يستقيلون إلا إذا كان ذلك بأمر من مجلس النواب ، وهنا يعود عرابي ليصب إلى الطليعة ... وقد ساق البارودي بالأمس ووعماً ، فهو الذي أوعز إلى الوزراء بما فعلوا ، وقد عز عليه أن يعيد الوزراء من مناصبهم عشية قبيل مشيئة الأمة ... وتلك خطوة أخرى يضمها في صحفه رجل إلى جانب سطوته

ووقف عرابي في مكانه لا يتزحزح وقد كان أصدقه وأخلص مساعديه إذا وقف في أمر يرى أنه الحق ، ولقد صور المتطرفون وقتئذ من أنه يعود إلى الثورة المسلحة وأنه يوشك أن يعاني البلاد يوم آخر كيوم عابدين ، فما حفل كلامهم ولا خشي جهدهم ؛ وكتبت الحكومات إلى ممثليها في مصر أن « يرسلوا إلى عرابي يبلغونه أنه إذا أصاب النظام خلل فسوف يجد أوربا وتركيا كما يجد انجلترة وفرنسا ضده ، وأنهم يحملونه تبعة ذلك »

ونصر ذلك الفلاح الذي لولا ما جاء به الأقدار لكان يومئذ يعمل فأسه في حقل من حقول قريته رزية ولا يجري من أمر الحكم والسلطان شيئاً ؟ وظل على عناده يكسب من حيث عنصره وكرم منبته يتهم من يريد أن يتهم أن ذلك الفلاح الذي يعمل الناس في صبر وسكت في أنحاء هذا الوادي لا ينقصه إلا العلم والحرية ليبهر العالم بعبقريته وبطولته ...

وصرح سلطان وقد أخذته يكيد البارودي وعرابي معاً « أنه ليس من الممكن تسيير الوزارة ما دامت القوة الحربية محصورة في عرابي باشا » ولم يلبث يصر سلطان أن وراء تلك القوة الحربية قوة أخرى لولاها ما قام عرابها ثم يجد سلطان باشا أي حد.

القوة العربية التي يشير إليها كانت قائمة في مصر حين ... فما ظهر أثرها إلا في عهد كرومر وأنه بذلك نجا من هذه من الإهمال

وانتهت الأزمة بأن أشار بحلا أعلنه وعرف على الخديو بأن يطرح مسائل الشخصية جانباً ، وعلى أن عوده لم يستطع أن يقيم وزارة جديدة لأنهم يطلبون إليه أن يعيد علاقته بالوزارة القائمة

وبقيت الوزارة في مراكزها وانتصرت كلمة الأمة من جديد على يد ذلك الذي خرج من هذه الروح وثق تسلطاً من العلم في الأرض ، ثم تدرج بعد في مطارح الرقي فكان في نموه كالشجرة الطيبة في نموها لا كالطفيلي الذي لا ينمو إلا على غيره من النبات

ولولا هؤلاء الأحرار من المتربصين بمصر وحرية مصر حتت البلاد من هذا الانتصار أطيب الثمرات ونزت بذلك كلمة الأمة حتى ما تخشى بعدها ؛ ولكن مصر وأعداءها جنت من انتصارها هذا الظلم والمنظر

وكيف كان يقضى لمصر السلامة وورأه الخديو الإنجليز يتربصون ويكيدون ! لقد حق لهاليت الآن أن يدعو حكومته إلى التدخل السلمي بعد حادث القائمة ووأى الصحافة ، ومن يهمه عنده أن يكون على القدرة لكل ما حدث فلن يكون احتجاج الصحافة إلا صرخة ساقطة ، ولن يكون سلطانهم إلا أثراً ، ولا يذكر إلا مصحوباً

لم تكن في البلاد ثورة ولا خوف منها أحس على حياته أو متاعه ولكن أعوان السوء صوروها بوجه صورة منكرة ارتعدت منها أوربا عند الإرجاف ، مع أن هؤلاء الكاذبين كانوا يعلمون حقيقة الأمر ويؤمنون أن المسألة لا تعدو خلافاً بين الوزارة والخديو ما كان يبلغ ما بلغه من الشدة ولا يستطيعه على ذلك النحو الأثيم

ولم تكن البلاد في مثل تلك الحال من الفوضى التي ذكرها الطامعون ، وحسبنا أن نورد هنا بعض ما جاء في خطابين كتبهما كرومر يبعث إلى سير جراي وكان ذلك في أوائل شهر أبريل أي قبل الأزمة التي نحن بصددها بنحو شهر ، قال كرومر : « ونحن نرجو لا نخشى أن نكون أقوى الأسباب ساعدت في إيجاد نظام حسن على أساس الحرية صير مصر عدل في مصاف الأمم المتمدنة الحرة وبحمد الله فإننا نسرى سروراً عجيباً في جهودك ولهذه مصر وسوقك سالماً فلادولة بالأحسن النجاح المنتظر ... أن خصوص النصيحة التي زودتنا بها شخص شكرك ونجيزك بأننا لا نقصر في حفظ النظام والهدوء لأننا نعتبر هذا من أهم واجباتنا ونؤكد لك أن كل شيء هنا هادئ ؛ فالهدوء والسلام يسودان البلاد ونحن وأعواننا الوطنيون نضع بأنفسنا ما يمكننا من حقوق جميع السكان بصرف النظر عن الأمة التي ينتمون إليها ، ونحن نحترم جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ولن نسمح لأحد كائناً من كان أن يعتدي على أوربا فضلاً عن ملاقاتها الودية معنا . أما عن تهديدات الدائنين وأصحاب المصارف في أوربا فإننا نعتبرها المسألة وقتية ، واعتقادنا أن هذه التهديدات تعود عليهم وعلينا بالأذى ومن الدول التي تشجع أقاويلهم ، وغاية الرجاء هو تخليص البلاد من العودة والفقر والجهل وأن يرجع السكان إلى مراكز لا يمكن فيه الاستبداد أن يعود كما كان في الأزمنة الماضية بنشر الخراب والدمار في مصر ومن هذا الذي أكتبه إليك هو ما يفكر فيه كل مصري عاقل يحب خير بلاده »

هذا ما يقوله كرومر وهذا ما كان يرجوه المصريون من إنجلترا من عهد يرجع إلى قبيل الاحتلال ، وكم تكرر في مصر من أشباه ونظائر لهذا الترجيف ، وكم جاء مثل هذا الكلام على ألسن غير لسان كرومر ومكثنا ننتظر الفرج من الأعداء إلى غير ما نهتدي به فالسياسة الإنجليزية في مصر هي هي وإن تغير الزمن واختلفت في موضع الزعامة الرجال

وقد أكد كرومر هذه النسب في كتابه الثاني ، ومما جاء فيه « ونحن ميالون أشد الميل إلى التفاهم مع المصالح المتصلة بيننا وبين الدول المرتبطة بنا وليس المقصود فتح الباب للتداخل في بلادنا من سبيل الانتفاع بجهودهم ومساعداتهم إلا إذا كانت الصداقة التي بيننا وبينهم وثيقة ، فلذا عقدت هذه الصداقة فالضرر لن يعود علينا وحدنا بل يعود على الدول أيضاً وخاصة إنجلترا وليس هناك سياسي كبير الإدراك إلا ويفهم جهة المنافع التي تعود على إنجلترا من صداقتها لنا وصداقتنا لها في كفاحنا » . وقال : « إنه قد وبتاتاً صداقة على أن يكون لأمتنا مركز بين الأمم المتمدنة بعد المسارعة في البلاد والمحافظة على الأمن والنظام والقضاء بالعدل بين الناس أجمعين ، ولا يمكن لشيء في العالم أن يرده عن هذا الذي شرعنا فيه لا الوعيد أو التهديد ولن نخضع إلا للحكم الصادقة التي نعرفها ونكرمها — أما عن الهدوء في مصر فحسبك أنه ليس هناك أي قلق ، ونحن الآن نحاول أن نمحو الآثار السيئة التي تركتها لنا الحكومة السابقة »

ويذكر مستر بلنت أن الشيخ محمد عبده كتب إليه في ذلك الوقت مثل ما كتب كرومر يؤكد له تمام النظام والسلام في مصر ويقول : « وإن اختلف المنظر الذي يمثله الشيخ محمد عبده ثم هذا المركز السامي الذي يملأه الآن في مصر وهو منصب الإفتاء

قصائد من

من دموعي الضائعة !

[إلى التي صيحت عمري على العذاب
وما زالت بمصر ... الضمور]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ — أحزان الحيرة

أمشي؟ أنا ! أم قبر ... على جسدي
من صرعة الحب كفّان الأسى الأبدي!
وشاعرٌ أنا ! أم شلوٌ على وتر
من الفجائع مشدود على كبدي !!
وناسكٌ أنا ! أم نعشٌ للأسى حملت
أعواده لدروب الهالكين يدي ؟!
وإنسٌ أنا ! أم روح مشفقة
من المدامع والأرزاء والنكد ؟
هنا بكيت فلا دمعٌ يعين ، ولا
إلا صدى رب بعث حدوة الكمد
هنا حبوت كأحلام اليتيم بها
حيث تميم طوالة الحب في صغري
أعدائها الهوى أشباه تتوعت
طاف المسيح بهم في ليلة « الأحد »
تحت النور ، فأصبحت يتيمته
في ذاكر كطهور الضارعين بدر
ودرت وحدي حتى مخال بها
من الذكرى صوت شاطئ الأبد ...

الشرعي ، كل هذا يحس بشاهده فيه شرعيه لا يبالغ الإنسان مهما غالى في مدحها ، وهذه الشهادة يصح وصفها بجانب الكتب الأخرى لإيضاح أكاذيبها المختلفة ، وكان في ذلك الوقت وضعا لتحرير طريقة الرسمية وصدور آلتي الرقابة الصحفية فكان من كره هذا يحمله على علم بما يجري في الوزارة الرسمية حيث لم يكن صاحب أو كاتب أو أي أوربي آخر ليدلي مثل معرفته بهذه الشؤون »

(يتبع) الخفيف

٢ — عقدة الله لن تحلها

[إلى العقدة التي يحملها ... لا تستطيع ... المشاكل؟*]
« بنيامين كونستان »

سيبقى لك الحب حتى تموت ... وتشدو أنشودة يعذب
فلا تجري في ظلام العصور ... غداً من يحيلك حول كأسنا
غداً تسكنين كرهي كطول ... على الحب منظر الهوى والسنى
غداً تلتقي لا للصبا الحج ... ولا روح من الدمع تجري بنا
ولا همس تحرجني طيب الهوى ... نجد به رفرف اللآلي لنا
وطلقنا صرخة في الزمان ... ولوح به في شباب الدنى
غداً نلتقي لا ... الشجن ... ولا نسط الشمس في دمعنا
فلا تذري بعدها نسمة ... ولا تندى في الهوى تحنا
فكم دوّخ الحب أبطاله ... وتمتام كأسه فينا
لقد قسم الله أحلامنا ... وأترع من قسمه كلنا
وأنت كيف رأى الهوى ... وشيني على الدرب نعشنا
وسحر من هوى كما ... رأى بأرواحه حولنا
تختفي على ظلمة الحجر أيامه ... ودوى في ظلمة عهدنا
وأبصرت بيع الأسى في القيام ... صاليل الكأس واقض بنا ...

٣ — لتحترق الأمهات

إذا كن مثل التي أسعدت ... بظلالك في الحب منه حميد
وظنتك أني تسمع العوالم ... وما أنت إلا صداه ووجود
وزينة من شعاع السماء ... عداها ولم يدر أين الأمور
ومصري وشعري وروحي هواي ... وسلطان روحي وحر الشعور
فكيف تشبك أعوانها ... بعادات على الورق الكبير
وكيف التي من تراب وطين ... تدل التي من شعاع المنير
نماه على الحب إن أوقف ... تسايحة أمهات السرور
تدل الجبار بين الورى ... ومنحتهم بالخيال يدور
أأوقف إعصاره تحضرة ... من الشر بين ظلام العصور !

محمود حسن إسماعيل

(*) من رواية « أدولف » للكاتب الفرنسي « بنيامين كونستان » تعريب الدكتور « حسن صادق »

في يوم رحيل

للأستاذ العوضي الوكيل

ذكراك لا ومضى القلب متواليه … لقد قضى بتحناني بعدك الله

[illegible] … حتى أصاب فؤادي ما [illegible]

[illegible] في شعاب القلب موحشة … أم ذاك الموت يبدو لي [illegible]

العيش بعدك بؤس لا [illegible] … والبعد والبؤس [illegible]

[illegible] في الغرب [illegible]

[illegible] في [illegible] ذكراه

[illegible] وليس كمثلي في القلوب [illegible]

[illegible] أواه

أواه لو نفع المحزون أواه … [illegible] بعدك [illegible]

[illegible] … أنا الغريب الذي [illegible]

[illegible] … [illegible] نذكره اليوم [illegible]

[illegible] من كل ناحية … [illegible]

[illegible] … [illegible] من الصوت [illegible]

وأي [illegible] … [illegible] كنا [illegible]

وأي [illegible] … وأي [illegible]

وأي ما [illegible] الأسحار [illegible] … كل ذاك [illegible]

يوم الرحيل [illegible] … [illegible] كالأهوال [illegible]

[illegible] … [illegible] شكواه

الأوصاب [illegible] وادكروا أملا

أسيه [illegible]

[illegible] … [illegible]

[illegible] في النفس [illegible] … [illegible]

اليوم [illegible] … أيام [illegible]

أملا بكم [illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] ولا [illegible]

آليت [illegible] … من [illegible] قلبي [illegible]

[illegible] … [illegible] الليالي [illegible]

العوضي الوكيل

رجعة

للأستاذ فريد عين شوكة

أتيت أعباء النوى من كاهلي … [illegible] من [illegible]

وسعيت [illegible] بي … [illegible] إليك [illegible]

[illegible] الآلام [illegible] … [illegible] في [illegible]

حتى [illegible] من خطري … ما كنت [illegible]

وحدت واستفد اللسان كأنما … أنا [illegible] من (طائل)

* * *

يا [illegible] … [illegible] من [illegible]

[illegible] … [illegible] بلا بلى؟

[illegible] … [illegible] أو سائل

[illegible] … يشفي فؤادي من [illegible]

إني [illegible] الهوى … [illegible]

فإذا فؤادي [illegible] … [illegible]

وإذا أنا [illegible] حتى أهتدي … [illegible]

* * *

شهر [illegible] الهوى … [illegible]

[illegible] النوى … كالموج [illegible]

[illegible] اليوم من [illegible] … [illegible]

يا [illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] الغافل!

* * *

[illegible] في [illegible] وفي [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] في الحياة [illegible] … [illegible] كل

[illegible] الوصال [illegible] … يا [illegible] الناحل

فإذا [illegible] … [illegible] وسائلي

[illegible] لا [illegible] على [illegible] … [illegible] كل [illegible]

* * *

يا من أرى في [illegible] كل المنى … [illegible] للصب الآمل

لا [illegible] … [illegible] بالصب [illegible]

فريد عين شوكة

دراسات في الفن

الفن هو الإنتاج الروحي

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يقول علماء البلاغة والتربية والمنطق وغيرهم من العلماء الذين يتصدون لدراسة العلوم المتصلة بالفنون أو العلوم التي هي موضوعها فنون: إن الفن هو التطبيق العملي للقوانين الخاصة بموضوع ما. وإذا كان موضوع البلاغة هو حال الكلام فإن فن البلاغة هو التطبيق العملي للقوانين التي تحصل الجمال في الكلام ما استطاعت. وإذ كان موضوع التربية هو تنشئة الأحداث على وجه من الصلاح أو على أوجه الصلاح كلها فإن فن التربية هو التطبيق العملي للقوانين التي يتم صلاح الأحداث باتباعها على وجه من الوجوه أو على أوجه الصلاح كلها؛ وإذا كان موضوع المنطق هو ربط الكلام على نسق الصادق حتى يطابقه فلا يزيد عليه ولا ينقص عنه فإن المنطق هو التطبيق العملي للقوانين التي يتحقق باتباعها هذا الربط وهذه المطابقة.

وبهذا التفصيل وبهذا التيسير أباح العلماء لأنفسهم ولتلاميذهم أن يستسهلوا الفنون وأن يستهلوها وأن يحتقروها، ما داموا قد وجدوا هذا التعريف الذي يستطيعون به شيئاً يمكن أن يعتنقه كل إنسان، وأن يمضي في تحقيقه ما شاء له تهاون هذا التعريف الذي يمنع من الفن ما يلزم لحدوثه، اللهم إلا أن يكون تطبيقاً صحيحاً للقوانين... وبهذه الإباحة كثر الكتاب الذين يطبقون في كتاباتهم قوانين البلاغة، وكثر المربون الذين يطبقون قوانين التربية، وكثر المجادلون وتكاثر عدد المناطقة الذين يطبقون قوانين المنطق. ومع هذه الكثرة فلا يزال الكتاب المبدعون قليلين، ولا يزال المربون الملهمون نادرين، ولا يزال المجادلون والمناطقة الساطعون يعدون في الجيل على أصابع اليد أو على أصابع اليدين.

فلو كان الفن حقاً هو التطبيق العملي للقوانين لكان كل من يعرف الطريق إلى هذا التطبيق فناناً كما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بالأعداد حاسباً، وكما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بعناصر المادة كيميائياً.

ولكن الأمر ليس كذلك. فليس كل ما يعرض على الناس في ثوب الفن فناً، وليس كل ما يساق إلى الناس مجرداً من ثوب الفن هو في الحقيقة من غير فن. ولا بد أن يكون القارئ قد سمع غناء من الأغاني قال عنه صاحبه ومن يروجون له: إنه موسيقى وطرب، ويقيم الدليل على أن فيه تطبيقاً عملياً لقوانين الأصوات والأنغام في الوقت الذي لم يستشعر فيه حين سمعه إلا هذا التطبيق العملي وحده لهذه القوانين دون أن يحمل هذا اللحن إليه عاطفة ينتشي من نشوتها، أو خيالاً يبعث من روحه، ويعبر عن إحساسه وذوقه ووجدانه. هذا كما لا بد أن يكون القارئ قد رأى دواء وما أشربة أو عطراً أعده كيميائي عن قصد هو سهم وأمو المهم إلى تطبيقهم العملي لقوانين المادة وعناصرها. وكما أنه لا بد أن يكون قد سمع من صحبه أحيانا ... فأحس من كثرة ما قيل عن غموضها وتعقيدها وتناسبها أنه ليس تطبيقاً مجرداً لقوانين الأعداد وأنها في حقيقة شيء من روح يشتغل صاحبه لم يصل إليها إلا لأنه بتعمقه في تطبيقه لقوانين الأعداد أفاض عليها هو من روحه إحساسه الذي قاد تفكيره.

فإذا سلمنا بهذا استدعى الإنصاف أن نحكم على تلك الموسيقى التي لا يسمع في لحنها إلا التنسيق الحسي فقط بين الصوت والأنغام

بأنه غير فنان . وعلى هذا القياس يكون غير فنان كذلك كل من يتصدى لأي فن من الفنون وليس معه إلا ما اكتسبه من معرفة القوانين الخاصة بهذا الفن ، ومعرفة طرق تطبيقها ؛ كما أن الإنصاف يقتضي إلى جانب هذا أن نصف بالفن كل من ينتج إنتاجاً فيه من نفسه وروحه كأينشتين الذي ابتدع النسبية وككل كيميائي يبتدع شراباً أو عطراً فيه من روحه

والنتيجة اللازمة لهذا هي أن ينهار هذا التعريف الذي وضعه علماء البلاغة والتربية والمنطق وأمثالهم للفن ، فهو تعريف غير جامع مانع كما يقولون هم ، لأنه يسمح للأدعياء بالدخول في زمرة الفنانين ، كما أنه يحرم فنانين صادقين من الاستمتاع بحقهم الطبيعي في الاتصاف بالفن بما هم جديرون بأن يتصفوا به

وما دام هذا التعريف قد انهار فقد لزم أن نبحث عن تعريف آخر نقيمه مقامه ويكون فيه الجمع والمنع اللذان تتطلبهما صحة التعريف

أما أنا فأحب أن يكون تعريف الفن هو هذا العنوان الذي وضعته على رأس هذا الحديث وهو أن الفن هو الإنتاج الروحي ولست أرى من عيب لهذا التعريف إلا أنه يسمح لكثير من الأعمال البشرية التي اعتاد الناس ألا يحسبوها بين الفنون بأن تكون فنوناً فهو يسمح للنجارة إذا كان فيها من روح النجار وموهبة الصانع أن تكون فناً ، كما يسمح لصيد السمك إذا كان فيه من موهبة خاصة ترجع إلى ذوق الصياد وتلهمه إياها روحه أن يكون فناً . وهكذا فليس من عيب في هذا التعريف إلا إمكان تعميمه على الأعمال البشرية جميعاً

وقد لا يكره هذا التعميم إلا الفئة الخاصة من الفنانين الذين يصنعون تلك الفنون التي اصطلح الناس على تسميتها فنوناً جميلة هؤلاء وحدهم أو بعضهم هم الذين يحبون أن يقتصر الاتصاف بالفن عليهم فلا يكون النجار فناناً ، ولا يكون صياد السمك فناناً ، ولا يكون أحد من الناس فناناً إلا من كان أديباً أو موسيقياً أو ممثلاً ، أو رساماً ، أو واحداً من هؤلاء الذين يسبحون في « السموات العلى » لا لشيء إلا أنهم اعتادوا التعالي على البشرية بأنغامهم وموسيقاهم وتخيلهم ورسمهم

غير أن هذا في الواقع نوع من الأرستقراطية القاهرة ، أو المتهورة ، يكرهه الفن الصحيح ... والفن الصحيح يكرهه لأنه بشري ، ويكرهه لأنه نوع من الأرستقراطية التي يمقتها الفن ... فالفن متعصب كل التعصب لأرستقراطية الروح ، وهو يعتز بأن ينسب إلى نفسه كل ما انتسب إلى الروح من أعمال البشر ، حتى ولو كان نجارة أو صيد سمك ، ولكنه يأبى أن ينسب إلى نفسه كل ما خلا من الروح حتى ولو كان غناء أو شعراً أو رسماً

والفن في هذا لا يحيد عن الحق ... وأشرف للفن أن يحتضن النجار وصياد السمك متى جمعا الروح والذوق ، من أن يحنو على كلام سخيف منظوم ولكنه ميت ، ومن أن يضم إلى صدره ألحاناً روعي فيها أن تكون مطبقة تطبيقاً حرفياً لقوانين الصوت والنغم ، ولكنها ما تزال جامدة كأنها الصخور صمتاً [illegible] !

ولا أظن أهل الفنون الجميلة إلا مقتنعين بهذا الرأي ، وما أظنهم بعد اليوم إلا آخذين به ، فهم مقرون بالبهم كل من تمتد روحه إلى عمله ، وكل من يسري من نفسه إلى عمله ما ... فيحييه ويلونه ، فيكون عمله تعبيراً عنه يعرف به ... وهم يمقتون منهم كل أجرد النفس ، قاحل الحس ، مجدب الروح والشعور ، وإن قضى حياته يعزف على الأوتار ، أو يسود الصحائف بالحبر

وقد يحسن أن يؤمن الفنانون بهذا الرأي مثلما يحسن أن يؤمن به الجمهور ، وأن يأخذ به النقاد أخذاً شديداً ، وأن يبعدوا عن مناطق الفنون إلا بفضائله ، وأن يشجع مثلهم كثيراً من الأعمال البشرية عند الناس ، فإنهم إذا فعلوا هذا فإنهم سيقربون الفنون من عقليات كثيرة تختص بها وتدعي النسبة إليها ، كما أنهم سيعترفون بالحق فيعترفون لكثير من الأعمال البشرية المباشرة للروح بأنها فنون

صحيح أنه مقياس شاق ، ولكنه في الوقت نفسه مقياس عادل ، إذ يرد إلى كثيرين من أصحاب الجهد الروحي اعتبارهم الإنساني بعد ما طالت الأحقاب الطويلة وهم لا يحسبون بين الناس إلا على أنهم صناع أو عمال . وهو على ذلك أنه سيكشف

لك الأمثلة من وجود كتّاب شكرة لها أرواح ولها فنون ولكنهم مختلفون في الحياة دوماً عبر فنونها حيث عبا سعة بدون أرواح لأن أرواحها منصرفة إلى ما تصبو إليه

وكى يتصور القارئ صورة هذا التفاوت فلنطبقه على بعض الأعلام من الذين يقال عنهم في مصر إنهم فنانون

فلنأخذ في الأدب مثلاً الأستاذ أحمد أمين ، ولنأخذ في الموسيقى مثلاً الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ولنأخذ في التمثيل مثلاً الأستاذ جورج أبيض ، ولنأخذ في الرسم مثلاً الأستاذ محمد ناجي الذي كان مختاراً لمدرسة الفنون الجميلة العليا إلى عهد قريب

أما الأستاذ أحمد أمين فقد أثنت عليه الدكتور زكي مبارك في مقالاته الأخيرة بالرسالة أنه أستاذ يكتب ولكنه لا يسرى من روحه شيء في كتابته ، فأنت لا تعرفه حين تقرؤه إذا كان راضياً أو كان غاضباً ، وأنت لا تشعر به إلا هادئاً دائماً وقوراً وحسبه هدوءاً وفتوراً ما سجل عليه الدكتور زكي مبارك مظهره وهو أنه عاش وقتاً طويلاً في الواحات ثم عرف الناس أنه عاش في الواحات إلا يوم أعلنت هذه الحقيقة الغريبة على صفحات الرسالة في المقال الأخير . بل حسبه هدوءاً وفتوراً وبعداً بنفسه عن الروح أنه كان قاضياً ومع هذا فإنه لم يكتب قصة واحدة من قصص الحياة التي عرضت له وهو في القضاء . وهذا دليل على أنه يعيش في دنيا ، ويكتب في دنيا أخرى . وهذا يستدعي واحدة من اثنتين : فإما أن يكون الأستاذ أحمد أمين روحين يعيش بواحدة ويكتب بالأخرى ولا صلة مطلقاً بين الواحدة والأخرى ، وإما أن يكون كما هو الآن متنكراً يعيش ويكتب فلا نعرفه على حقيقته ما عاش أو كتب

والأستاذ محمد عبد الوهاب لا يعرف له لحن من لحن موسيقى يستحق ... في موسيقى سيد درويش أو في الموسيقى الغربية ، ولا معنى لهذا إلا أن يكون الأستاذ عبد الوهاب عاجزاً عن إطلاق روحه بالتعبير الموسيقي ذي العاطفة أو الخيال على وجه من الحس يرضيه ، أو أنه عاجز عن التعبير الموسيقي أصلاً . فلجأ أحسنه إلى اضطرابنا هذا في أمر ، أنه كثيراً ما يعمد في التصوير الموسيقي بحضور الشرح بأنغام أخرى ، والخاصة بأسماء الخلاعة ، والأنين بأنغام الطرب ، فهو هذا فيما نحوه ... وكان هذا الى المستمع على عنه بأنه مطبوع السمة بالروح ، ... جنونه مختلطة الأحاسيس تضطرب في التعبير وإن عبر عن شعوره وهو ليس كذلك ، وإنما روحه هي المحتاجة إلى شيء آخر من الإبداع الموسيقي لأنها لم تغن له . فالأستاذ محمد عبد الوهاب فنان متنكر مثل الأستاذ أحمد أمين

والأستاذ محمد ناجي الذي يقتنع في فنه بأن يرسم خطوطاً تشبه ما يراه من الخطوط في الخارج ، وأن يصبغها بألوان تشبه ما يراه من الألوان في الخارج — لا يمكن أن يزيد في اعتبار الفن « الرسم » عن أنه نقاش أمين . . إذا كان أميناً . . يغني الفنان الذي يحتاج إلى نسخ كثيرة من الصورة الواحدة عن آلة من آلات الطباعة ، زد على ذلك أنه يحتاج دائماً إلى شرح صوره بكلام وإيضاحات يتعب أكثر مما يتعب التصوير ، ويصل به إلى إقناع جمهوره الذي يدعوه إلى مشاهدة صوره أو الذي يبيع لجمهوره جمال هذه الصور وروعتها ، إذ يعجز هذا الجمهور عن إدراك هذا الجمال إذا اكتفى بالنظر إلى هذه الصور . فالأستاذ ناجي هو أيضاً مثل صاحبيه فنان متنكر : يصور شيئاً لا يحبه ، ويخفي شيئاً لا يصوره

أما الأستاذ جورج أبيض الذي لم يغن إلى اليوم إلا الأدوار الثلاثة أو الأربعة التي حفظها أيام كان طالب بعثة التمثيل المصرية في باريس وهي هملت وأوديب الملك ولويس الحادي عشر والملك لير ومصححات تلك مما أظن ، وقد تقمص جميعاً بالأسلوب الفرنسي التصحيحي الذي تعلمه في فرنسا والذي يصرح في مشاهديه بين كل كلمة وأخرى ، وبين كل حرف وآخر بأنه تمثيل ليس فيه من الطبيعة ولا حتى من التطبع شيء . . الأستاذ جورج أبيض الذي اعتصر فنه في هذا وحده يحرجنا كثيراً إذا طالبنا بأن نعترف له بأنه فنان فيه روح ملتهبة مبعثرة — تظهر في تمثيله —

وقد يسألنا سائل كيف نجمع هؤلاء الأساتذة في حياتهم على الرغم مما نشكره منهم جميعاً من صلة فنونهم بأرواحهم ، ونحن نجيب عن هذا بأن ثلاثتهم أحمد أمين ومحمد عبد الوهاب ومحمد ناجي قد عاشوا لأن لهم أرواحاً تسري في أعمالهم ويكن من طريق

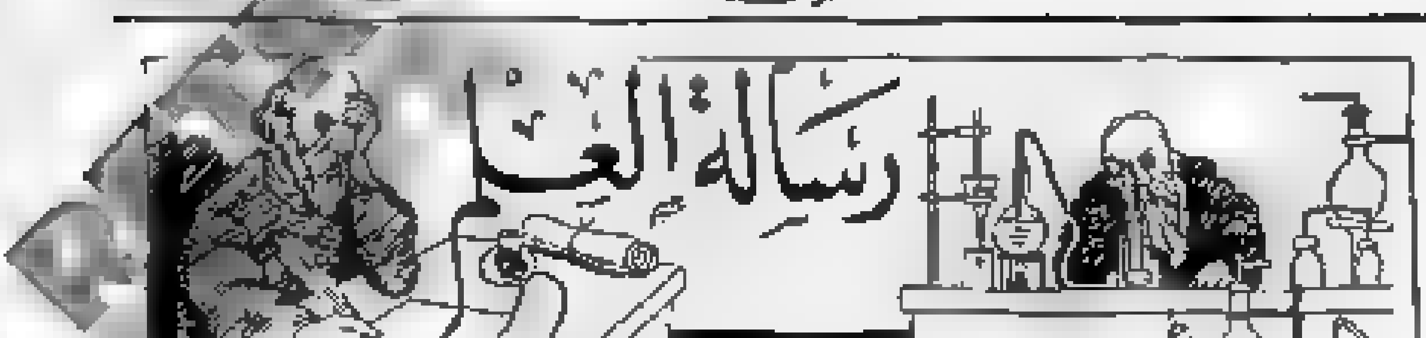

من الذرة إلى الألكترون

الكهرباء كالمادة ظاهرة ذرية

للدكتور محمد محمود غالي

تقسم الكهرباء المعروفة ذاتها إلى قسمين للطاقة — الكهرباء تركيب ذري شبيه بالتركيب الذري للمادة — التحليل الكهربائي وقانون فاراداي، أول دليل على التركيب الذري لوحدة الكهرباء — الأشعة الكاثودية ... هذا التركيب الذري — ... الألكترونات الهائمة والكرة للأشعة الكاثودية — تكبر قوة الميكروسكوب حيث الألكترون التي يوجد فيها أكثر ما يكبر ... للقارئ ...

نرى هذه الرمال الفسيحة، وهذا الفلاء الشاسع والسكون الرهيب، نرى هذا القمر الساطع والمشترى يتلألأ في السماء، والمريخ نراه في هذه الليلة من السنة في أقرب مكان للأرض — نرى في هذه الصحراء المترامية حيث لا يرى بشر، بعيداً عن الضوضاء، نستطيع أن نطلع القارئ على موضوع بعد من[ه] ما تخفيه السماء في السديم الأسود؟ — هذا الموضوع خاص بالبحث عن الألكترون بعد أن تعرفنا على الذرة وعرضنا المكونات الأساسية في المادة، ومنه يتكون التيار الكهربائي

كانت السنون تتتابع والاختراعات تتوالى، والاكتشافات آخذة طريقها في الازدياد، ولا يدري أحد ما تخبئه الغد من مفاجآت علمية، وما يحمله القدر في طياته من مفاجآت يتوقف عليها مستقبل الإنسان — ترى ما يخامر الذرة؟ هذا العالم الصغير الذي حدثنا القارئ أنه من الضآلة بحيث أن النسبة بينه وبين كرة من الصلب يبلغ قطرها حوالي ٥٠ سنتيمترات كالنسبة بين حجم هذه الكرة والكرة الأرضية

أو يسبح في هذا العالم المتناهي في الصغر عوالم أصغر منه، عوالم يسميها العلماء اليوم الألكترونات؟ — أو تسبح هذه الألكترونات تارة حرة طليقة في المادة أو في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء[1] وطوراً تسبح دائرة ومقيدة حول نواة تستقر في الذرة وتكون مع النواة الذرات السابقة الذكر، وهل توجد ظواهر طبيعية تدلنا على هذه العوالم الحديثة المتناهية في الصغر — كل هذا نود لو عرفناه ونود أن نعرف المناسبات التي استدل بها العلماء على هذا التحليل الجديد للمادة، هذا التحليل الذي يذهب بنا بعيداً عن حدود الذرة ويدخل بنا فيها

* * *

لقد تكلمنا عن الزمن الذي يمر علينا ونشعر بمروره الحوادث، وتكلمنا عن الحيز أي الفضاء الذي تحدث فيه هذه الحوادث، وشرحنا ما يفهمه العلماء من المادة وكيف تنقسم إلى عناصر وكيف تتكون العناصر من الذرات المختلفة، وحسبي أن الشخص العادي يدرك أن هناك ظواهر عجيبة تختلف عن المادة من حيث

(١) قدر العلماء سرعة الضوء بحوالي ... وهي تساوي ٣٠٠ ألف كيلو متراً في الثانية تقريباً

التجارة والإعلان لا من طريق الفن، وعلى هذا الأساس يتحدد رأينا ويصبح هؤلاء السادة الأفاضل فنانين تجاراً معلنين، وإن كانوا غير متفانين في هذه الفنون الجميلة التي تصدوا لها، والتي عرضتهم للناس

أما عن نجاح الأستاذ جورج أبيض فلا شك أنه رجاء الله منه، هو رجل طيب ما كان الله إلا ليحسن خاتمته

وأخيراً، هكذا يجب أن نحاسبهم، ويمكن هكذا وحتى هؤلاء إذ يعتبر كلامهم شيئاً في مصيره

عزيز أحمد فهمي

ظاهرة الكهرباء ، ويدرك أن ثمة فرقاً كبيراً بين أسلاك الترام المرفوعة على الأعمدة في شوارع العاصمة منتشرة ممتدة مصنوعة من النحاس وبين الأسلاك ذاتها بعد مرور التيار الكهربائي فيها

كلنا يسمع عن ظاهرة الكهرباء ولا يراها ، وكلنا يعرف أنه يكفي مرور هذا التيار الذي لا نراه في الأسلاك المرفوعة لتسيير مركبات الترام من محطة إلى أخرى — كلنا يعرف أن الكهرباء ظاهرة تختلف عن المادة وإن ظهرت فيها

ومن العجيب أن تتبع الكهرباء في تطوراتها الطريق ذاته الذي سلكته المادة ، إذ نتحدث عن أيضاً نظرية الكهربائية كما نتحدث عن المادة بالنظرية الذرية ، وقد استترت الكهرباء بادئ الأمر وراء نوع من الظواهر المتميزة والمتنقلة ، وهو الوضع المتناقض الذي يبدو لنا في مختلف الظواهر الكهربائية ، ومع ذلك فقد انتصرت في نهاية الأمر فكرة التركيب الذري أي الذري للكهرباء كما انتصرت قبل تلك الفكرة ذاتها في كل ما يتكون للمادة في الكون

على أنه كان من الصعب تصور هذا التركيب الذري في حالة الكهرباء إذ لو جاز لك أن تتصور المادة تركيباً حبيباً ، كل حبة مستقلة ومباينة للأخرى فإنه لا يجوز لنا بسهولة أن نذهب إلى تعميم هذه الحالة ذاتها في الكهرباء فنفرض لها تركيباً حبيباً مماثلاً للتركيب المادي ونفرض بذلك ذرة كهربائية لا يمكن تجزئتها فإن الأمر الأخير يبدو غريباً ويتطلب منا براهين قوية على وجوده ذلك لأننا نتصور الكهرباء في العادة حالة طارئة على الجسم أكثر مما نتصورها جسماً يجري في أنحائه ، بل إننا نتصورها مجردة من القوى أكثر مما نتصورها مادة في الوجود ، ومع كل ما تقدم ومع مخالفة حقيقة الكهرباء لخيالنا وتصوراتنا فإن الفكرة الذرية للكهرباء قد ثبتت أخيراً وأصبحت حقائق لا يمكن أن يمسها أحد العلماء اليوم بسهولة بالشك ولا يمكن أن يبعدها عن حظيرة اليقين

* * *

لننتقل بالقارئ إلى إثبات الفكرة الذرية للكهرباء

لقد كان الدليل الأول على وجود الذرة الكهربائية التي أسماها العلماء الإلكترون في قوانين « الإلكتروليسيس » أي القوانين التي تخص انتقال الكهرباء في السوائل ، هذا الانتقال المرتبط بتحليل كيميائي يقع في هذه المواد الموضوعة في السائل

نذكر أن فرداي Faraday الإنجليزي هو الذي كشف القانون الأساسي في هذا الموضوع والذي يتلخص في أن كمية من أي مادة تتحلل كهربائياً ترتبط بعلاقة بسيطة مع قوة التيار الكهربائي ومع الوزن الذري للجسم الموضوع في السائل ، بحيث إذا أرسلنا تياراً كهربائياً معيناً في محاليل مختلفة فنرسل التيار مرة لنحصل على عنصر معين ، ونرسل التيار ذاته مرة أخرى للحصول على عنصر آخر فإننا نحصل على التوالي من العنصرين بواسطة هذا التيار الكهربائي بكميات مختلفة ولكن بالنسب التي تعينها المعادلات الكيميائية لهذه العناصر في جزيئات المحاليل الموجودة فيها

ولم يمكن ثمة تفسير لهذه الحالة ولارتباط التحليل الكهربائي بالوزن الذري إلا أن كل ذرة من ذرات العناصر المختلفة تحوي عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية وأن الكهرباء وحدات مستقلة غير متصلة كما أن المادة وحدات مستقلة ومنفصلة

ومن هنا لا تتوزع الكهرباء بكيفية اعتباطية في الأجسام بل إن كل ذرة مادية تحوي عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية فهي تحوي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً مثلاً أي عدداً كاملاً ليس

(1) يكون موضوع التحليل الكهربائي و « الإلكتروليسيس » إحدى المواد المتعددة في علم الطبيعة العامة ، هذا العلم الذي يتكون من الميكانيكا والمغناطيسية والكهرباء والضوء و « الترموديناميكا » والصوت « والإلكترونيات » و « الأجهزة الكهربائية » ويدرس الطبيعة العامة في السوربون بباريز عدة أساتذة من أعلام العلم في العالم المتمدين لا شك أنه ليس لهم مثيل هنا في مصر والشرق القريب وهم معروفون [illegible] أذكر منهم « كوتون » رئيس المجمع العلمي الفرنسي ومكتشف [illegible] ، وفابري عضو المجمع العلمي ، و « كوروه » و « فابري » المعروفين بأبحاثهم [illegible] ، والأستاذ الكبير « بيه » المعروف بدراساته [illegible] و « المغنطيسية » [illegible] والمعروف بأبحاثه [illegible] أنه أول من اخترع [illegible] المعروف أنه [illegible] وقد أراني الأستاذ « بيه » أول جهاز [illegible] في العالم من صنعه . ومما هو جدير بالذكر أن كل أستاذ [illegible] — أذكر أن [illegible] « فابري » موضوع الإلكتروليسيس في عام ١٩٢٢ وقد أصبح من المواضيع اللازمة اليوم لمن يريد أن يتعلم العلوم الطبيعية

بتكوين الوحدة الصغيرة شخصية لا تستطيع الوجود في المكان والزمان إلا كاملة. إنك تستطيع أن تدعو عدداً معيناً من الأصدقاء لتناول العشاء، فتستطيع أن تجمع على مائدتك ستة منهم أو ثمانية أو أكثر، وحيث إذا أردت أن تزيد عدد المدعوين فإن أقل ما تستطيعه أن تزيدهم فرداً واحداً. [illegible] من أصدقاء أحياء يحضرون إليك تدعوهم ذلك؛ وليس الشأن كذلك أن تدعو من الأصدقاء أكثر من السبعة وأقل من الثمانية فإن هذا غير موجود فالأصدقاء لا توجد إلا أفراداً وهي عرضته. كذلك تعجب الفكرة في الكهرباء أي لا توجد أو تزيد إلا بوحدة الكهربائية التي لا تتجزأ بحيث أعجب الفكرة في بدء الأمر بأنه ليس هناك حالة كهربائية بل أن ثمة ذرات كهربائية تشبه الذرات المادية موجودة في الذرات المادية أو معها. ولقد لفت النظر إلى هذه الحقيقة (هلمولتز) Helmholtz في سنة ١٨٨١ وهو الطبيب الفسيولوجي الألماني الذي منحته جمعية برلين كرسياً في الطبيعة في سنة ١٨٧١ والذي وضعته أعماله في الضوء والكهرباء والصوت إلى مصاف علماء القرن التاسع عشر

ويسمون « يون » وفي النطق الفرنسي أو « أيون » وفي النطق الإنجليزي ويكتب في الحالتين Ion ، الذرة محملة بالكهرباء أو مجموعة من الذرات مجتمعة ومحملة أيضاً بعدد من الوحدات الكهربائية ويتكون « اليون » بانقسام أو تحطيم أوصال جزيء غير مشحون بالكهرباء Molecule neutre فمثلاً تحلل سلفات النحاس Sulfate de cuivre إلى ذرة من النحاس محملة بالكهربائية الموجبة ومثيل من الكبريت والأكسجين محملة بالكهربائية السالبة وتسمى الأولى اليونات الموجبة والثانية السالبة ، ويحمل اليون الواحد ذرة واحدة أو أكثر من الذرات الكهربائية

وقد درس « لانجفان » Langevin العالم الفرنسي الذي انتخب أخيراً عضواً في المجمع العلمي الفرنسي ما نسميه اليونات الكبيرة واليونات الصغيرة وأتم في هذا دراسة معروفة قام بها منذ أعوام في أعلى برج « إيفل » في باريس حيث عرف أن هذا العالم الفائق اليوم في العمل للأثير كيتو المسائل الاستماعية السامية، فقضى بضعة أشهر في أعلى البرج للقيام بهذا البحث الذي يحمل اليوم اسمه والذي يذكرنا بدراسة « مارسيل بريوان » Marcel Brillouin الفرنسية كروية الأرض بطرق سوف تبقى مدى أشهر طويلة في ست غرف موزعة في نفق سامبلون للمرور

وسأل الكثير من مجموع طلاب العلم كيف تكون ميزات العلم اليوم في جلب البرهان على هذه الحالة الذرية الكهربائية عند قوانين « الألكتروليس » المقسمة والعلاقة بين الوزن الذري للعناصر وبين شحنها الكهربائية عند ما نسند إلى تحليلها كهربائياً وإنما وحدت الفكرة الذرية الكهربائية وجداً جديداً من طريق يختلف كل الاختلاف عن طريق التحليل الكهربائي المتقدم الذكر، وذلك أنه أمكن للباحثين فصل الكهرباء عن المادة التي تحملها ، وبهذا أمكن البرهنة على أن الكهرباء مادة مستقلة في المادة وأن لها صوراً متعددة في الفضاء . وإلى القارئ كيف وصل العلماء إلى ذلك :

عند ما يحدث تفريغ كهربائي داخل « أنبوب » مفرغ من الهواء وهو غلاف زجاجي كالغلاف الكروي للمصابيح الكهربائية فإنه يتكون داخل « الأنبوب » شيء من الضوء ضعيف ومتوهج وهذا الضوء ناتج من تصادم الألكترونات مع جزيئات الهواء المتبقي داخل « الأنبوب » بعد تفريغه عند انتقال الألكترونات السريعة من القطب الموجب داخل « الأنبوب » إلى القطب السالب ، بحيث يظهر أثر هذا التصادم القوي بهذه الإضاءة ولو أننا عمدنا إلى زيادة تفريغ ما بداخل الغلاف الزجاجي من هواء فإن هذا الضوء يتضاءل لقلة عدد جزيئات الهواء التي تتصادم مع الالكترونات المقذوفة ويبدأ أن يكون الغلاف الزجاجي لون أخضر تحت تأثير هذا القذف الألكتروني، وهذا اللون الأخضر حدث من تصادم هذه الألكترونات مع جزيئات الزجاج. وتتضح هذه الحقيقة بأنه لو وضعنا أي جسم داخل الغلاف الزجاجي في طريق هذه الألكترونات وليكن قطعة معدنية مثلاً فإن صورة هذه القطعة ترتسم على الزجاج وسط اللون الأخضر ، وتبين الصورة المواضع التي غابت عنها الصدمات بحكم الجسم الذي وضعناه في الطريق ، ويمكن الاستدلال أيضاً على اتجاه هذه الألكترونات ومسار هذه الأشعة الألكترونية التي ثبت أنها تسير من القطب السالب إلى القطب الموجب ، وقد أعطى العلماء هذا السيل من الألكترونات اسم الأشعة الكاثودية Rayons Cathodiques نسبة إلى القطب السالب الذي يسمى الكاثود

هنا تساءل العلماء عما إذا كانت هذه الأشعة داخل (الأنبوب) أشعة موجية Ondulatoires أو أشعة جسيمية Corpusculaires

ولقد ثبت أنها أشعة حُبَيْبية أي جُسَيْمية، إذا قرّبنا مغناطيساً من الأنبوب فإن هذه الأشعة تنحرف عن طريقها تبعاً لوضع المغناطيس ، ويبدو لنا ذلك من انتقال البقعة الخضراء على الغلاف الزجاجي، وفي هذه دليل على أن الأشعة مكونة من جسيمات صغيرة يجذبها المغناطيس في مواضعه المختلفة التي نعلم أنه لا يؤثر إطلاقاً على الموجات الكهربائية . ويقول ريشنباخ Hans Reichenbach في كتابه « الأتوم » الذي ترجمه الفرنسي موريس ليكا Maurice Lecat إن هذه الكهرباء تلوح جسيمات مهاجرة وإن التيار الكهربائي يمثل مجموعة من الأفراد المهاجرين من قطب إلى قطب

والطريقة ذاتها التي يؤثر بها المجال المغناطيسي على هذه الأجسام المهاجرة يؤثر أيضاً المجال الكهربائي على طريقها ، وقد وضع الباحثون كثفتين معدنيتين في طرفي « الأنبوب » فجعلوه [illegible] في المجال الكهربائي ولاحظوا انحراف الأشعة الكاثودية بنفس الطريقة التي تنحرف بها عند وجود مجال مغناطيسي ويزداد هذا الانحراف مع القوة الكهربائية المستعملة

ولقد وجد العلماء في قياس درجة هذا الانحراف طريقة لقياس كتلة الإلكترون أي كتلة واحد من ملايين الملايين الأفراد المهاجرة ، ذلك أنه يمكن معرفة القوة الجاذبية من معرفة شدة المجال الكهربائي أو المجال المغناطيسي كما أنه يمكن معرفة الشحنة الكهربائية لأحد هذه الإلكترونات ، وذلك بالالتجاء إلى تجارب أخرى وعدنا القارئ بشرحها قريباً عندما نتحدث عن تجارب « بيران » الفرنسي « وميليكان » الأمريكي ، ومن الجلي أن يدرك القارئ أنه بهذه الطرق يمكن التوصل لمعرفة كتلة الإلكترون ، لأن ثمة علاقة سهلة بين كتلة الجسم وبين الدرجة التي ينحرف بها في مجال معروفة قوته

وقد توصل الباحثون لحساب هذه الكتلة فوجدوا أنها حوالي [illegible] من كتلة أخف ما نعرفه من الذرات ، وهي ذرة الهيدروجين وبناء على ما تقدم فالإلكترونات جسيمات تصغر كثيراً جميع الذرات الكيميائية المعروفة ، وقد توصل العلماء أيضاً إلى معرفة شحنة الإلكترون وهي كمية الكهرباء التي يحملها تقدر بمقدار واحد على عشرة آلاف مليون من تيار أمبير يستمر مروره مدة واحد على مليون من الثانية

وقد ذكرنا النسبة الخاصة بكتلة الإلكترون وكتلة ذرة الهيدروجين [١] النسبة بين كتلة الشمس وكتلة الكرات الكبيرة التي تسير حولها ؛ إذ تبلغ كتلة الشمس ١٠٠٠ مرة تقريباً كتلة المشترى [٢] Jupiter أما النسبة بين كتلة الشمس وكتلة أورانوس وهو الكوكب التالي في الكبر للمشترى فتبلغ [illegible] [٣] تقريباً ، وعليه فإن كوكباً وهمياً يكون أصغر كتلة من المشترى وأكبر من أورانوس ، ويوازي كتلته كتلة الأرض ١٦٧ مرة تقريباً، تمثل النسبة بين كتلته وبين كتلة الشمس النسبة بين كتلة الإلكترون الطائر داخل ذرة الهيدروجين وكتلة هذه الذرة

ولا شك عندي أن ثمة شموساً أخرى غير شمسنا وكواكب أخرى غير كواكبها توجد بينها هذه النسبة صحيحة فإن قوانين المصادفة وتعدد الشموس وإمكان اقتراب بعضها من بعض وطول الزمن يحتم علينا أن نسلم بوجود هذه النسبة في الكون . ومن يدري فربما يكون لهذه النسبة علاقة بأسرار الوجود .

هذا الإلكترون الطائر ، هذا الكوكب الصغير بالنسبة إلى الذرة لا يكفي في الكلام عنه هذه الأسطر التي نعتبرها مقدمة لموضوعه ودليلاً على وجوده . هذا الموضوع سنتناوله مع القارئ ، ونأمل أن يساعدنا هذا الكون بشيء من الضوء على فهمه

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) النسبة المضبوطة [illegible]
(٢) المشترى أكبر الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس إذ يبلغ حجمه حوالي ١٢٩٥ من قدر حجم الأرض وتبلغ كتلته [illegible] كتلة الأرض — أما حجم الشمس فيبلغ ١٣٠٠٠٠٠ مرة حجم الأرض وكتلتها تبلغ حوالي [illegible] كتلة الأرض
(٣) النسبة المضبوطة تساوي [illegible]

من هنا ومن هناك

هل تقضي الحرب القائمة على المدنية؟

[عن مقال الكاتب الصيني « ج . ب . »]

طالما تردد على أسماعنا أن العالم إذا حلت به حرب عالمية جديدة، فستقضي هذه الحرب القضاء على المدنية. وقد يبدو هذا الكلام صحيحاً، وقد تمسك به كثير من الناس لأن الحرب لم تعد تلك الحادثة الخيالية التي يسمعون بها من بعيد. ولكن هذا القول في حقيقته لا يحمل شيئاً من الصحة. وهو في نظري قول بعيد كل البعد عن الصواب، فأنا لا أستطيع أن أتصور أن العالم أجمع يتفانى في هذه الحرب.

فمن المحتمل كثيراً إذا وقعت الحرب أن تترك ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا للخراب والإفلاس. ولكن من الخطأ أن نظن المدنية متاعاً موروثاً لتلك الدول فيقضى عليها إذا حل بها الدمار وهددها شبح البطلان.

إني أرى كثيرين يتحدثون عن أوربا الغربية. وأتوقع أنه إذا جاء مؤرخ بعد بضع مئات من السنين يؤرخ هذه الفترة من الزمن، ويسجل التقدم الذي أحرزه العالم فيها فسوف لا يقول إذن ماذا كانت تفعل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا.

إني أعتقد أنه سوف يرى بغير غموض أن حركة التقدم في شعوب العالم الحديث في هذا القرن، قد انتقلت من الأمم الغربية والأمم الصغيرة في هذا العصر إلى الأمم العظمى، ومن سكان الجزر الصغيرة إلى سكان القارات والممالك الكبيرة.

ولمعرفة ذلك يجب ألا ننظر إلى ما هو واقعي ولكن إلى ما يتم. ومما لا شك فيه أن انتشار التعليم من أقوى الدلائل على هذه المدنية الحديثة، حيث حل العلم محل الجهل، تقوم دعائم المدنية.

إني حينما أسمع كلمة انتهاء المدنية، يجيل نظري حول العالم أجمع فأتذكر تلك الظلمات والنكبات التي مرت بها أوربا الوسطى وقد كسب أعاظم رجالها الطريق الشاق، كم من أمثال هذه الظلمات في العالم؟!

قد يكون من السهل هدم نظام التعليم في تلك الجهات التي أشير إليها. وقد نستطيع أن نقول إنه سيمضي زمن طويل حتى تكون جامعات كمبردج وأكسفورد وقد تجد الظلمة أمامها في بعض البلاد التي تعرضت للهدم وصورت طلابها إلى الدرجات العليا في التعليم.

ولكننا إذا نظرنا إلى مصيرها الجديد وقضائه على تقدمها المحسوس نحو المدنية والرقي عرفنا كيف تأتي هذه الأمم بالمعجزات.

إني أجيل النظر حول العالم كما قلت فأذكر الصين مثلاً وقد أنشئت فيها الجامعات وانتشرت في بلاد لا يكاد يسمع اسمها الإنسان. وإذا كانت اليابان قد وجهت ضربتها في حروبها إلى تلك الجامعات فتنادي أنها لم تحرز شيئاً من إزالتها السابقة ولو أدى الأمر إلى نشأتها وسط الكهوف والأحراج.

وهكذا أفهم أدق حينما أسمع كلمة الحرب وانتهاء المدنية هذا تشاؤم لا مبرر له ووهم لا أساس له من حقيقة. إن المدنية تسير في طريقها. وهو على كل حال طريق ليس من السهل على القذائف والمدمرات أن تناله بسوء.

الوطنية الطموح

[عن مقال الزعيم الهندي « جواهر لال نهرو »]

إذا كانت الوطنية هي التي خلقت الأمم الأوربية منذ مائة سنة أو أكثر، وهي التي أقامت الدعائم للمدنية التي يكاد يتلاشى أن ينهار في السنين الأخيرة، فلا شك فيه أن الوطنية هي القوة التي تعمر الأمم الشرقية التي تئن تحت نير الحكم الأجنبي وراء الحرب في هذه الأيام فألفت بين شعوب أبنائها وشحذت من عزائمهم وأطلقت روحهم الحبيسة من عقالها، وبذلك ناحية سامية في حياة تلك الأمم، فأضيف جانباً جديداً إلى النجاح الذي ناله الحر في تاريخ الإنسانية. إلا أنها على الرغم من ذلك لم تستطع الخروج بها من تلك الدائرة الضيقة، إذ أن اشتغال الأمم بالحس وراء حريتها لا يترك لديها مجالاً للتفكير في شيء آخر، ولم تستطع

الهند من هذه القضية . فالهند في كفاحها قد سبقت العالم برهة من الزمن ولم تفكر في غير شأنها ، إلا أن القوة التي أحرزتها ، والثقة التي أحياها النجاح في نفوس أبنائها ، قد حملتاها تفكر في دائرة أوسع وأعم

إن غزو اليابان للصين أحدث في شباب الهند عطفاً على الصين ، كما أن اغتصاب إيطاليا الحبشة قوبل باستياء شديد ، وكذلك المأساة التي حلت بوسط أوربا قد هزت العالم الأسف الحزين ؛ ونحن نطلب تجاربنا للإمبراطورية البريطانية ، لم نصدق شيئاً من وعودها للأمم الضعيفة ، ولم نثق بمعاونتها في تصحيح الأمر ، فلذلك كله نتتبع سياستها الخارجية باهتمام ، وقد أصبحت معارضتنا للعود الإمبراطوري البريطاني جزءاً من سياستنا التي تعارض كل عود إمبراطوري أو فاشي في أنحاء العالم

لذلك كانت بعثتنا الطبية إلى الصين ، والبعثة التي أرسلناها إلى أسبانيا باسم الهند ، من الطرق التي تحددها لتبين سياستنا الخارجية ، واستقلالنا عن بريطانيا . وأكثر من ذلك فقد اطرحنا جانباً التفكير في أي مساعدة حربية إذا ثارت حرب ، فالشعب الهندي وحده هو الذي سيقول إذا كانت الهند تدخل الحرب أولا تدخلها ، وأي إمداد تقل عنه من الحكومة البريطانية ستقابل بالرفض . يجب علينا أن نقرر سياستنا الخارجية بأنفسنا وكذلك سياستنا المالية والحربية ، ولنا الحرية التامة في الارتباط بالأمم الأخرى

إن مستقبل الإمبراطورية البريطانية يتلاشى أمام أعيننا ، وليس أمامها إزاء الهند غير طريقين . الطريق السليم والعاقل الذي يلزمها بالاعتراف للهند بحقها في تقرير مصيرها على قاعدة الحرية التامة وإتاحة الفرص التي تمكنها لعمل إرادتها المطلقة

والطريق الآخر هو الذي تستطيع الهند أن تلقي به أحكامها القاسية عليها حيث تصطدم بالوطنية الهندية . وإذا كانت هذه الطريق ستؤخر حريتنا قليلاً إلا أنه مما لا شك فيه أنها ستؤدي إليها وتطورها إلى أمور لم تكن في الحسبان ، من أجل ذلك نرى الحكومة البريطانية تتجنب مع الهند أي حركة من شأنها أن تدعو إلى العنف

ربما قد نرحب باتفاق ودي مع الوطنية الهندية يكون نتيجة إقامة المجلس الوطني ، ولكن ذلك سيؤدي حتماً إلى الطريق الذي ابتدأت منه ، وذلك ما نخشاه

حماية الملكية الأدبية

عنيت وزارة التجارة والصناعة بوضع تشريع لحماية الملكية الأدبية في مصر، إلى جانب ما أعدت في وضعه من تشريعات أخرى خاصة ببراءات الاختراع، وحماية الملكيات الفنية والموسيقية وغير ذلك مما يتصل بصميم حياة استغلال المواهب، وتقرير حقوق المؤلفين والمبتكرين.

وقد انتهت إدارة التشريع بوزارة التجارة من وضع أساس هذا التشريع وعرضته على معالي وزير التجارة توطئة لاتخاذ الإجراءات الخاصة بإصداره.

وقد روعي أن يشتمل هذا القانون على مادة خاصة بحماية حقوق المؤلفين الأجانب، أملا في أن يمهد ذلك لاشتراك مصر في الجمعية الدولية لحماية حقوق المؤلفين، فيضمن للمؤلفين المصريين عن طريقها حقوقهم في مؤلفاتهم في البلدان الأخرى.

مغالطة

قلت في الرسالة (العدد ٣١٤، بريد رسالة العدد) إن هذا الكتاب، «مجموعة محاضرات دوركايم» لا وجود له، وهي «المجموعة» التي استند إليها الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم [illegible] ذكر عنواناً من عنده (أجل!) وجاوز أن يدل على أنه قرأ فيها هذا التعبير Une somme de rapports sociaux ثم عاد الأستاذ أدهم (الرسالة العدد ٣١٧) يقول — غير هيّاب —: إن هذه المجموعة موجودة وفي فصل اسم Les Règles de la méthode Sociologique التي طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥، وفي المجموعة (كذا) الاجتماعية لمكتبة F. Alcan بباريس على أنها Travaux de l'Année Sociologique ورد فيها «والصحيح

التي تمت (ويد [illegible]) أيدينا ([illegible]) هي الترجمة الإنجليزية وهذه العبارة مترجمة sum of social rapports والترجمة هي G. W. Swain ... ونحن نعلم [illegible] من طبعة عام ١٩١٢ في الفرنسية، والعبارة وحدها (ووحدة العبارة) وردت أكثر من مرة ([illegible] مرة)» اهـ كلام أدهم.

والرد الواضح على هذه أن ترجمة عنوان الكتاب الفرنسي Les Règles de la méthode Sociologique (وما هو مجموعة كما يدعي الأستاذ أدهم، فقد قرأته على أساتذتي في السوربون غير مرة) هي «قواعد (أو أصول) المنهج الاجتماعي» (أي منهج علم الاجتماع) فأين تعبير «مجموعة محاضرات»؟ وترجمة هذا التعبير الأخير Recueil de Conférences

وقد زعم الأستاذ أدهم [illegible] إلى أنه ترجم العنوان الكامل وهو Travaux de l'Année Sociologique (وما هو بعنوان الكتاب المذكور قبلُ) فترجمة هذا العنوان الأخير هي «أعمال السنة الاجتماعية» (وهي علمّة) فأين تعبير «مجموعة محاضرات»؟

وهذا يدل على أحد أمرين كما قلت في مقالي السابق: فإما أن الأستاذ أدهم لا يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية لقلة معرفته باللغة الفرنسية، وإما أنه يخدع القارئ على سبيل التهويل. وله أن يختار أحد الأمرين، وأنصح له أن يختار الأول فهو أهون شراً[1]؟

---

(1) يورد الأستاذ أدهم ترجمة اللغة الفرنسية باللغة الإنجليزية فكيف sum of social rapports ثم ينسبها إلى G. W. Swain فأين اسم الكتاب في الإنجليزية وتاريخ طبعه ولا سيما رقم الصفحة حتى يرجع المراجع للترجمة وينظر في كلمة rapports وهي كلمة فرنسية فكيف تكون rapports في الإنجليزية؟

ثم إن الأستاذ أدهم يقول: إن التعبير الفرنسي une somme (وهو ليس من خلقي كما كنت من قبل دفعاً للإيهام والتهويل) ورد «أكثر من مرة» في كتاب «قواعد المنهج الاجتماعي». فأين الصفحات؟ [illegible] أحب أن يرشدني الأستاذ أدهم إلى مكان [illegible]

ومن ذلك كله يتبين أن الأستاذ أدهم يحسن الإيهام من طريق المغالطة، وهو ممن لا يخشى أن يستنكره المطلع على مواضعها ويبطلها ابتذالاً. ثم إنه ممن ينصرف إلى الإحالة للمصادر ارتجالاً؛ وقد بينت ذلك في المقال السابق من الرسالة وفي مقتطف أغسطس، ولن أنسى أن الأستاذ أدهم يستند إلى الإصحاح الرابع عشر من سفر دانيال «العهد القديم» وكل السفر اثنا عشر إصحاحاً، وأنه يستند إلى الجزء الثالث من «الفهرست» لابن النديم، على حين أنه يقع في جزء واحد! ولعل القارئ لم ينس ذلك (راجع الرسالة العدد ٣٦٤).

وبعد، فإني لم أكتب هذه الكلمة، متعقباً فيها قولاً للأستاذ أدهم (وهو والله شنشنة مثل أقواله كلها)، إلا لعلمي أني لا أزال أعده أجنبياً عن العلم العربي، بعيداً عن مدارج الثقة والفقه. فليترو وليتحرز من الكتابة وليعلم أن في مصر ومن غاب عنها لأجل من «بالمرصاد»، مهما تزيّ نفسه وكابر.

ولعله يحول إلى هذا اللقب «شكلي»، وهو لقب طالما يحرج إليه وينتسب به. فالذي أعرفه أن الهمة والأمانة في تدوين المصادر مما يعظم شأنه في جامعات فرنسة وإنجلترة وألمانية وإيطالية ومصر! ولا علم لي بما يجري في جامعة موسكو — حيث تلقى الأستاذ أدهم ضروب العلوم، كما جاء في مجلة الحديث الحلبية — جدّ قليل

(تلال الهرم — الجيزة) بشر فارس

ضرب نعيم الجنة

شهدنا النكير على الدكتور زكي مبارك لقوله: «اشتغلي عنك يا رباه، بما سيكون في الجنة من أطايب النعيم» فكتب يقول: إنه لم يقل هذا وإنما قال: «اشتغلي عنك، يا رباه، بما في الجنة من أطايب النعيم فإن بصري أضعف من أن يواجه نورك الوهاج» وزعم أننا حذفنا شطراً من كلامه ليجوز أن نقول عن شطر (هل رؤي سوء أدب وسوء فهم للدين كالذي ابتلي المتصوفين في دعاء زكي مبارك هذا!) في حين أن عبارته بشطريها (غاية التأدب في الإيمان بعظمة الله ذي العزة والجبروت)! هذا هو كلام زكي مبارك. فهل يجد الدكتور زكي مبارك حين يقول هذا؟ وهل في دعوى أن الجملة التي لم نذكرها ذلك الأثر الأكبر في الجملة التي ذكرناها فنقلتها من حد التأدب في سوء الأدب وسوء الفهم للدين إلى غاية التأدب في الإيمان بعظمة الله ذي العزة والجبروت؟

لننظر أولاً إلى غاية ما بلغ زكي مبارك في تعظيم الله والتأدب معه. إن بصر زكي مبارك (على حدته) — كما يقول في دعوته — أضعف من أن يواجه نور الله (الوهاج)؛ أهذا ثناء على الله أم على بصر زكي مبارك؟ وتعظيم لله أم تعظيم لزكي مبارك؟ إن بصر زكي مبارك أضعف من أن يواجه نور بعض ما خلق الله، فلو أطال التحديق في الشمس حتى لعمي؛ بل لو حدق في القرص الكهربائي لكلّ. فهل بعث النعمة بزكي مبارك أن يرى ثناء على الله ما لو أتى به على بعض مخلوقاته لكان تقصيراً في الثناء، فضلاً عن أن يراه غاية التأدب في الإيمان بعظمة الله؟

ثم وصف (الوهاج) في دعاء هذا المتصوف الذي لا يدرك معاني دعائه غير صفوة المؤمنين، ما معناه وما مغزاه حين يصف به نور الله سبحانه؟ إن الكلمة في اللغة توصف بها الأجسام المتألقة اشتعالاً، وقد وصف الله بها الشمس في سورة النبأ كما يعرف كل إنسان، فكيف غاب عن الدكتور المتصوف أن وصفاً كهذا — فيه من التكييف ما فيه — لا يليق أن يوصف به نور الله سبحانه؟ سيلجأ الدكتور إلى العبر يتحسس فيه مخلصاً صحيحاً، وليخبرنا على أي نحو يمكن أن يخلص هذا اللفظ حين يصف به نور الله وجل يرى أن دعوى النظر إلى الله أعرض من الصحراء

الواقع أننا هنا حين كتبنا أول مرة لم نحمل هذه الجملة التي يدعي الدكتور الآن من أبعد موضع نقد ولوم، ولا أننا آثرنا أن ندع ما فيها على أي حال في صيغة ثناء، وأن نقصر الكتابة على ما لا يمكن أن يتصور فيه عذر مما جاء في صدر ذلك الدعاء.

على أننا سنفرض أن ليس في ثناء زكي مبارك هذا ما يمكن أن يكون موضع مؤاخذة أو استدراك، فما علاقة كلال بصره عن نور الله بما جاء في صدر دعائه من طلب الانشغال عن الله؟ أيبعث الوصمات الحسية بالدكتور زكي مبارك أن يرى أن ليس له وراء البصر في معاينة الله مذهب، فلما لم يستطع أن يبصر فلينصرف عن الله ويشتغل عنه بنعيم الجنة؟ أهذا هو الحال التي تسامى إليه في (التصوف الإسلامي)؟ وهل معنى رؤية الله عنده في بعض المذكورة الاشتغال بتلك النعم عن الله؟ أم هل في منطق فلسفته أن المؤمن بعظمة الله وجبروته يستطيع أن يعمي على

لله ذى الفرد والجبروت جـل أن يمنعه عن نفسه سبحانه منع الجنة لأى سبب من الأسباب !

لا يبعد من الممكن أن يكون الدكتور زكى مبارك جاداً حين يزعم للناس أن عبقرته تلك قد بلغت به النهاية فى الإعجاب بعظمة الله فأدركه كرمه أن يحرمه أصعب من أن يرحمه من الله . إنه يسخر وهو يستطيع أن يكيل من مزاعمه من أدباء العرب أو أدباء الفرنسيين ؛ إنه يسخر من نفسه أو يسخر من الناس ؟ لكنه يسخر فى حال لا ينبغى للمؤمن أن يسمح لسخريته أن تحوم حوله ولو من بعيد . وقد أنصحنا زكى مبارك مخلصين أن يتوب إلى الله من اجترائه عليه وأن يخلص التوبة فلن أمر ليوشكن أن يسخر منه الله ! أحمد الشرباصى

سعد وسعاد

فى أول كلمة كتبها شيخنا الجليل عبد المتعال الصعيدى ، كان مثار الاضطراب عنده فى القصة أن سعداً ذهب يحث سكونه إلى الخليفة مروان والخليفة معاوية فى وقت واحد . وإنما سبق ذلك إلى ذهنه لأنه رأى فى القصة حرباً صريحاً أحل (مروان) بدلاً من الخليفة فى هذه الجملة (وإلى تلك الجهة الأموى المنتمى الفضل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة ، مروان بن الحكم) مع أن سياقة القصة وما تقدم هذه الجملة من كلام لا يجعل مجالاً للشك فى أن المراد بالخليفة . معاوية والوالى : مروان . هـذا إلى أنى أعتقد أن مكانى عند العلامة الصعيدى لا تنزل إلى قرار أجهل الفرق معه بين عهد مروان وعهد معاوية وهو ما لا يسع أن يجهله تلاميذنا فى المدارس الابتدائية

وقد أردت أن أمهد العذر للأستاذ الكبير فيما ذهب إليه ، لأن القصاب جاءه فى صحيفة صديق ليس بالشيء الملق ، فقلت لعل طول الجمع أثار عنده شيئاً من الغموض ، قلت ذلك وأنا أعتقد أن ظالمه ، فليس فيه غموض ولا إبهام ولا تعقيد غير ما أراد منها كاتبها وغير ما فهمه القراء

ثم كان أن ظهر الشطر الثانى من القصة ووضح منه (أن المعنى بمكانه من الخليفة) ليس إلا الوالى مروان بن الحكم ، وكان ذلك جديراً أن يزيل هذا الاضطراب — إن صح وجوده — لأن الاضطراب كما يعرف العالم لم يجد منفذه (دواعيه) إلى الآن ، ولكن العلامة الصعيدى عاد فقرر فى كلمته الثانية أن الاضطراب لم يرتفع بل ازداد ، ومعنى ذلك : أنه لا بد من وجود الاضطراب سواء أكان مروان مشكوكاً فيه أو مشكوكاً فيه . غير أن شيخنا وقد ظهرت له براءة الحقيقة مما رميت به رأى أن ينقل الاضطراب وركائزه التى أقيمت عليه — إلى القصة نفسها ، ونحن نعرف أن كل قصة موضوعة يجب أن تكون مضطربة ! ولو أعتمدها هذا المنطق لطعن القدماء على كل ثمرات الخيال

أما أن القصة موضوعة فقد أعترف بها مع الحذر والحيطة ، ولا يسعنى إلا أن أحمد الله على أن وفقنى لم يعني كما عدد الأستاذ الصديق ، فقد ألقى فى روعى أنه سيخرج من دعوى الاضطراب إلى دعوى القصة بالوضع ، فبادرت بإعلان رأيى مقدماً لأوفر عليه العناء ، ولكنه كان ينتظر الشطر الثانى من القصة ليثبت من وجود الاضطراب ، لم يتريث حتى يقرأ ردى على كلمته ليعرف رأيى فى القصة

والآن أود أن يتسع صدره لنقاش ما يلى

١ — رجح أن الوالى الظالم ابن أم الحكم ، لا مروان ابن الحكم ، اعتماداً على رواية داود الأنطاكى فى تزيين الأسواق وظهر أن أستاذنا الفاضل يقيم لهذا الكتاب وزناً كبيراً ، بدليل استشهاده منه على ما كتبه عن (بنى عذرة) وأنا مثله كثيراً ما أعتمد عليه بل إنى أحفظ أغلب أشعاره ؛ ولكن رأيى أن الشيخ داود الأنطاكى كان فى تصنيفه لهذا الكتاب كحاطب ليل ، وقد يكون ثقة جداً عند الشيخ الفاضل ، ولكنه ليس أوثق عندى من شهاب الدين النويرى ولا من الإمام ابن الجوزى راويى قصة سعد كما كتبت

٢ — يستبعد شيخنا أن يقع هذا الظلم من مروان بن الحكم وهو يعرف أنه كان مستشاراً لعثمان (رضى الله عنه) عرض جماعة المسلمين ؟ وكتب عن لسان الخليفة كتاباً مزوراً إلى والى مصر لولا انكشاف أمره لأوقف منه رقبة ؟ ويعرف أنه فى موقعة الجمل تحين طلحة وهو من أنصاره فرماه بسهم فى أكحله أودى بحياته ؟ فأين يقع اغتصاب سعاد من هذه الأفاعيل ؟ ، ثم أين هو الاغتصاب ؟ ألم يخش سعد ، ويجبر أن يخون زوجته ؟ وألقاها على أن يخسر الزوج سعيداً من أسباب الفرقة ، ثم ألم يطلقها سعد على كل حال (وإن كان مكرها) وإذا صح أن الملازمة تثبت بالتطليق ألا تثبت الزوجية ؟ ثم ألم يتزوجها مروان بعد انقضاء العدة واستبراء الرحم على سنة الله ورسوله ؟ فهذا الزواج لا يجافى الحق حتى وإن تعدى والورع ومكارم الأخلاق ، ومروان ليس بمعصوم من النزوات

٣ — بعث (بكر أبي مروان) من دهاء بني أمية ، ولكن أيظن شيخنا أن معاوية يعجز عن خصومه وعنه هذه القرابة ؟ وهو داهية العرب الذي كان يتألفهم بسياسته الخارقة ومواهبه البارعة ، وهو خليفة المسلمين المسئول عن استدراجهم وخصومهم وأمورهم . أيخشى معاوية أن يحاسب (مروان) على ذنب اجترحه وهو الذي منع من تمكينه أن ينازع عليًّا الخلافة — على قرابته وسابقته وفضله . ومن مروان إذ ذاك من معاوية ؟ لم يعمد أن يسند إليه إمارة بعد يزيد فلم يجب له بذلك وهو قد عزله من ولاية المدينة ؟ ثم ما هي الذلة التي ضربت على مروان في هذه القصة ؟ أيكون ذليلاً لأنه طلب إلى رشده ومتعاطي الدهاء والحيل على حكم مليحة ؟ وهل كان ينتظر منه أن يقطع لساناً أو يسل سيفاً والحروب تعرس الألسنة وتغمد السيوف ؟

٤ — حكم شيخنا بأن القصة ضعيفة في سبكها وسردها ، وأنا أوافقه في ذلك وأخالفه . أوافقه على أن بعض الشعر ضعيف بين ضعيف ، وقد أشرت في تعليقي إلى أنه قد يكون وضع على لسان معاوية . وأخالفه في أن معاوية ... غير محكم ، وهو ما قاله سعد وسعاد أو قيل على لسانهما

أما سبك القصة فهو عمل خاص بي ، ولست أقصد إلا هيكلا علمياً كسوته الشعر وأجريت فيه القلم ، فإن كان لا يزال يصر على أن هذا السبك ضعيف ، فلا يسعني إلا أن أحترم رأيه ، ولكن ذلك لا يمنعني أن أقول : إن أدباء القصة لا يتفقون معه في ذلك ، ولهم ... كثير في هذا الباب الأدبي .

٥ — وبعد فإنه يرى أن هذه القصة موضوعة . وأقول : إن هذا حق لا يمنعني من العمل بها ... . وأجد من الزلل أن يتابع صاحب الفصل في عدم ... ذلك ، فراويها الإمام ابن الجوزي في ... معروف ، وهو ممن ... ما يقول ويسمع ... وإن كان مروان ... روماً مصرحاً على طلاق امرأته الحبيبة ليتزوج بها ، وأن الخليفة رد الحق إلى صاحبه ، وأي شيء مانع من أن يحدث هذا ؟

هذا ما عن لي فيما كتبه شيخنا الفاضل ... والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

علي الجندي

أين علماء الأزهر ؟

الأستاذ الشاعر علي الطنطاوي رجل مؤمن الروح ، مشرق القلب ، نير البصيرة ، وهو بعد من أولئك الشبان الأحرار الذين يحترمون أنفسهم جداً ، ويحبون أن يسمعوا كلمة الإسلام ويخلصوا في عصر ... أصبح فيه كل من يتكلم في الدين رجعياً جامداً ... والعقد ... تجاريه العصور الحديثة والتطورات العقلية الجديدة

أقول هذا بمناسبة نداء الأستاذ الأخير الذي وجهه لعلماء المسلمين على صفحات الرسالة يحثهم على مشاركته في تأليف كتاب في (الدين الإسلامي) ، يضم بين دفتيه الإسلام الذي جاء به النبي محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخرافات ، يقرأه الشاب المسلم الذي يعرف الدين فلا يحتاج بعده إلى شيء ، ويقرأه العامي فيفهم منه دينه ، ويقرؤه الغربي (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة .

ومع أني أتمنى أن تتحقق هذه الفكرة النبيلة ، فإنني أعترف بأنها ستكون من أصعب عملنا ، وخصوصاً وعندنا علماء الأزهر الشريف ، وهم أحق الناس بتلبيتها والنهوض لها والاهتمام بها . ولكن هذا كله ؟ كأن ... دعوة الرجل هباء ، فلا حس ولا حركة ولا حياة !

والحقيقة أن أساتذتي علماء الأزهر معذورون ، وفي الحقيقة أنهم قوم لا يعرفون من الحياة إلا ... أنفسهم ... ، ... تظاهرهم ... والزهادة ، وصحو بالحوقلة والبسملة ؛ أما روح الإسلام ومعناه ، فذلك شيء ... على ... حياتهم

أين ... والخيال ... وأبو ... والأودن والحوري ... أين هؤلاء ؟ وأين غيرهم ... من علماء الأزهر الذين هم ... ومفكر وبيان ... لا أستطيع أن أحصي .

يا إلهي ... ! متى يتكلم شباب الرأي الذي عنده ... الشمل ويتقدم القافلة ؟

عبد المنعم عيسى

القومية العربية والوحدة الإسلامية

إلى الأستاذ علي الطنطاوي

خاطبكم الأستاذ العلامة (ساطع الحصري بك) في العدد ٣٠٧ من الرسالة الغراء في قوله : (أشغلكم بمسألة الوحدة الإسلامية) وقال : (أتذكرون هذه الوحدة التي أمكن تحقيقها في عصر صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أين تنبعث مستحيلة في عصرنا هذا ؟) تقولون هنا وأنتم تعلمون أن الدين الإسلامي الحنيف لم يبق مبادئه وتعاليمه كما أمر الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) إلا في زمن صدر الإسلام ، وفي عصر الأمويين إذ كان الدين الحنيف يسير على مصالحه العرب الذين جاهدوا وسعوا وحول العناصر الغريبة عن العرب

فوزى المعلوف وآثاره

[illegible]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه دراسة جديدة عن علم من أعلام الأدب الحديث تصدر به المكتبة الاستشراقية في اللغة الفرنسية من أديب شرقي تقدم بها كأطروحة إلى جامعة باريس لينال عليها إجازة الدكتوراه في الآداب. والفرنسية تمتاز جامعاتها بالتوسع في العموم وكونها أقرب إلى التثبت العلمي منها إلى التحليل والنظر في المنهج، فهي ترجع إلى المصادر واستقصائها، ودلالة على مناحي [illegible]

مما يجده مبذولاً في أمهات المصادر والمراجع، وبعد ذلك نرى القسم للعناصر المتفرقة من المراجع بلا تمحيص ومناقشتها بإحكام، ثم بعد ذلك الرجوع إلى ما يتصل بها من آثار فوزى المعلوف والخلوص من ذلك بأحكام تمثل وجهة التقدير.

سهل القراءة تمهيده عن الشعر العربي الحديث في طليعة القرن العشرين، تناول فيه صاحب الأطروحة بالبحث بواعث روح النهضة في الشرق العربي وخاصة بين [illegible] الأسباب التي كانت تعوقه عن أن يثور في آفاق الحياة الجديدة التي أصبح معاصروها يجربون، وهذه الأسباب ترجع إلى نظام حكم عتيق. وهو لهذا يرى أن الشعر العربي السوري لم ينهض إلا في المهجر سواء كان مصر أم أمريكا. وهو يرى [illegible] رأس المدرسة اللبنانية في الشعر، وقد تخرج على مذهبه الإبداعي جل المجددين في الشعر

في صميم الحكم والقضاء، فلما أن جاء العصر العباسي وكثر ميل الخلفاء عن العرب واختص السفاح بمساعدة الخراسانيين وهم فرس، أصبح الفرس يتدخلون في الحكم ظاهرين (أي الدولة لم تقم إلا على سواعدهم) وازدادت هذه التدخلات بعد أن انتصر المأمون على أخيه الأمين بقوة جيش خراسان أيضاً. ولم تزل هذه العناصر الغريبة تعبث بالأمة الإسلامية حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن. ولو قدر الله أن يبقى الحكم في يد العرب لازدهرت الأمة الإسلامية ولما وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

إن المسلمين العرب اليوم في حاجة ماسة إلى الاتحاد والائتلاف مع المسيحيين العرب الذين يشاركونهم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وليس من العقل في شيء أن نترك أخانا وجارنا المسيحي العربي من أجل مسلم بعيد لا تربطنا به عادات ولا لغة ولا تقاليد. يقولون بعد: (إن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو اليابانى أو الأوربي أخ له)

وهذا صحيح، ولكن هل تعتقدون أن المسلم الهندي يحب المسلم المصري أو السوري أكثر من حب المسيحي للمصري أو السوري؟

ها هي ذي فلسطين الذبيحة تكوى بالحديد وبالنار فهل رأيتم هندياً أو يابانياً مسلماً تبرع للدفاع عنها حيث يتساوى الهلال والصليب، وحيث يقف المسيحي إلى جانب المسلم دفاعاً عن [illegible] المستعمر المتعصب؟

إن مطامع الأمم الأجنبية في بلاد المسلمين العرب أكثره [illegible] مما يسمونه (حرب الأديان) ويجب أن يأتي يوم ننطق فيه الجملة العربية على لسان المسيحيين العرب المخلصين (إننا لسنا أقليات بل نحن من صميم الأمة) حتى يأتي ذلك اليوم فإن الأمم المستعمرة لا تجد أمامها من هو محتاج إلى حماية [illegible]

لقد أعطت (فلسطين) درساً وافياً في القومية وفي العصبية فها هي ذي تكاد تتلاشى (لا سمح الله) والدولة التركية المسلمة، ومع [illegible] واحد. قد تستطيع الأمم الإسلامية أن تعقد ائتلافاً تتشكل منه دولة واحدة لها سيادة، ولكن معنى ذلك هو [illegible] العرب في بقية الدول المسلمة القوية.

في مقدور المسلم أن يوثق علاقته بإخوانه المسلمين أين كانوا وهو جاد في [illegible] (القومية العربية) وعلى القضايا الوطنية المشروعة

(طرابلس) أحمد عز [illegible]

العربي ، يذكر منهم جبران ورشيد أيوب ، وفوزي المعلوف منهم . على أنه يخطئ حين يذكر أن مطران هاجر إلى مصر عام ١٨٨٤ ، والصحيح أنه إنما هبط عام ١٨٩٢ كما جاء في البحث السابع من دراساتنا عن مطران بمقتطف يوليه سنة ١٩٣٩ .

كذلك لم يلاحظ الكاتب أن مطران وإن أثر على جبران ورشيد أيوب وفوزي المعلوف ، فقد كان تأثيره على جبران من جهة الطلاقة الفنية ، وتحرير شخصيته الشاعرة وأخيلته وأجوائه . أما رشيد أيوب وفوزي المعلوف فقد وقفا من مطران موقف التأثر التام بنهج سوق أغراضه الشعرية ، يظهر ذلك في وحدة القصيد وسلسلة المعاني وبث فكرة مطردة في القصيد ، وهذا ما عنى إليه الكاتب بالنسبة لفوزي المعلوف في أكثر من موضع من الدراسة على أنه يعود في المقدمة فيشير إلى تأثر أحمد شوقي بمطران في بدء شبابه ، وما جد من أثر مطران في النثر الموقع prose rythmée (الشعر المنثور) ويلح المؤلف في ختام هذه المقدمة على الجانب الانفعالي والاجتماعي بالنسبة لفوزي المعلوف ، وهو يقف من هذا الجانب عند المجمل منه دون أن يعرج إلى تفاصيله ، أو يدل على روحه ، الشيء الذي تأثر به فوزي المعلوف تحت شخصية متأثرة بمراده .

والفصل الأول — من القسم الأول وهو عن الشاعر في لبنان — وقف على مولد الشاعر ونشأته . وفي هذا الفصل يقف المؤلف من طفولة الشاعر ونشأته عند التسجيل الخارجي المربوط بالزمن دون أن يحاول النزول إلى أعماق الطفل فيظهر خطرات روحه ومختلجات نفسه ، ومن هنا جاء عيب ملحوظ على الدراسة تكاد تراه في كل الفصول التي ترتبط بالترجمة من حياة الشاعر . والفصل الثاني من هذا القسم وقف على الكلام عن آثار الشاعر الشعرية في الفترة الأولى من حياته ويجيء بعد ذلك الكلام عن المترسلات Essais التي تذهب منحى النثر المرسل .

أما القسم الثاني فيجيء عن الشاعر في البرازيل . الفصل الأول عن قصائده التي تصحب بعض الصحوات ؛ أما الفصل الثاني فوقف على الكلام عن بساط الريح والفصل الثالث عن أصدقاء الأديب ، ويجيء بعد ذلك فصلان : الأول عن فكرة الشاعر والثاني عن فنه وفي ختامه يختص بتأليف من مجموعها القسم الثالث من الكتاب ، وفي نهاية الكتاب ملحقان الأول يحصر آثار المعلوف والثاني يحصي النص العربي للشعر الذي استشهد به في الدراسة ، فهرس لأسماء الأعلام ، فقائمة بالمراجع الفرنسية .

وهذا العرض السريع لترتيب فصول البحث يبين مقدار تمكن المؤلف من الروح المنهجية في البحث الذي جعله يخرج عنه بحثاً معقولاً ، على أن في الكتاب بعض هنات بسيطة وقعت في العموم في المواقف التي عرض فيها لفوزي المعلوف بالنسبة لشعراء آخرين ، ويظهر أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكاتب وقف في دراسته عند آثار المعلوف ثم يمدها إلى آثار الآخرين الذين تتصل شخصياتهم أو آثارهم بشخص المعلوف أو فنه الشعري .

من ذلك كلامه عن مطران ومقارنته فوزي المعلوف به ، فهذه المقارنة خطأ من جهة النحو الذي ذهب إليه المؤلف ، فقد قرر أن مطران وقف عند حد التعبير عن إحساسات قلب (محب) sentiments d'amoureux في حكاية عاشقين بعكس فوزي المعلوف الذي ارتفع في ملحمة على بساط الريح إلى آفاق فلسفية تتصل بعالم ما وراء الطبيعة ، ومن هنا جاء ما عند فوزي المعلوف في بساط الريح — في نظر المؤلف — من الصراع بين الروح والجسد . وهذه الملاحظة وإن كانت صادقة ولكن إطلاقها بعد ذلك على الشاعرين فيه شيء من خطأ لأن المسألة ترجع في ذلك الحين إلى كل آثار الشاعرين والطابع العام لشعرهما ، وفي ذلك الوقت لا أظن أن هذا الحكم يصح خصوصاً وما يعرف من شعر مطران في ملحمته « نيرون » وقصيدته « نرجسيس » أو قصة « الجنين الشهيد » مثلاً .

على أننا بعد ذلك لا ننكر ما قد أظهره المؤلف في دراسته من النظر ، خصوصاً فيما أخذه على الناقد المعروف الأستاذ صديق شيبوب وما أبداه من مقارنة بين الشاعر موضوع الأطروحة ، وبين رديارد كبلنج .

والدراسة في العموم قيم عظيم للمكتبة العربية ، وللأدب العربي الحديث

إسماعيل أحمد أدهم

إلى المشتركين بالتقسيط

لقد اشترطنا حين قسطنا قيمة الاشتراك المخفض لقسط الطلاب ورجال التعليم الإلزامي أن تكون الأقساط متتابعة والإخلال بهذا الشرط يستوجب إلغاء الاشتراك . فكل من لم يسدد باقي الاشتراك ستقطع عنه الرسالة والرواية ابتداء من هذا العدد

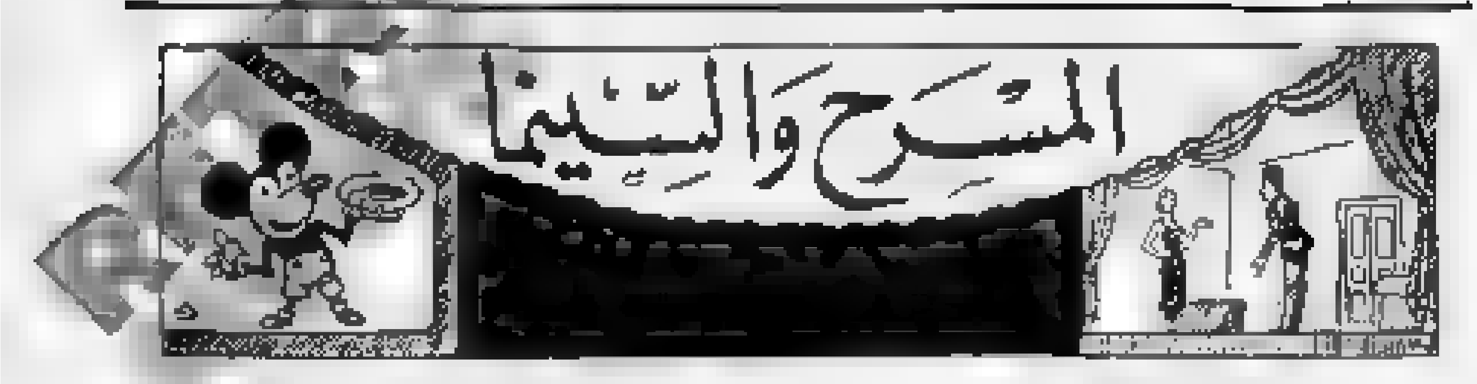

من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

وموقف الفرقة القومية منها ومن حيالها

في هذه الصفحات سنكتب تاريخاً موجزاً للنهضة المسرحية في مصر، تلك النهضة التي قامت على أكتاف أبطال وبطلات فرقة رمسيس منذ خمسة عشر عاماً حتى الآن. سنكتب تاريخاً لهذه النهضة على غير الطريقة التي يكتب بها التاريخ، فهو ليس تاريخاً بالمعنى المفهوم والمتعارف عليه، بل هو خواطر وآراء علقت بالنفس ووعتها الذاكرة مدى هذه الأعوام الطويلة. وكان لا بد يوماً من إخراجها للناس، وفي وقتها المناسب؛ وليس أنسب من هذه الظروف، وقد تهيأت لنا أسباب النهوض بالمسرح، ثم لا نجد من ينهض به، أو يعمل مخلصاً في سبيله!

أليس غريباً للنفس وموجعاً للقلب أن تمنح الفرقة القومية خمسة عشر ألفاً من الجنيهات في كل عام، ثم لا يكون من عملها ونتاجها إلا في شيء إخراج بعض روايات قديمة سبق أن أخرجت للناس في أبهى حلة وأتم نظام وأكمل ترتيب، وأن مسيء كذلك إخراج بعض روايات جديدة غريبة، هي مفارقة للصناعة والفن، ومفسدة للأخلاق، وموحية بأحط المثالم وأقبح الآراء؟!

مما يؤسف له حقاً أن بعض الكتاب إنما في نفسه أن يتحدث عن الفرقة القومية كأن حدث من المسرح في مصر، مع أنه لو أسقطها من حسابه، وأهمل ذكرها، لما خسر شيئاً يذكر في تقديره للأمور وفي حسابه للأرقام. أما المؤرخ فلن يستطيع هرباً من الحقيقة، وسيجد نفسه مضطراً لتدوين هذه الفترة المخزية في حياة المسرح المصري. فقد كان المسرح في مصر لم ينعم أبناؤه بجهودهم حتى كونوا النهضة، ولم تتيسر الأمور مثلما تيسرت لهم الآن، ومع ذلك فإنهم لم يصيبوا من أحلامهم غير الفشل والخسران المبين!

ومن العجيب أن يحدث هذا بعد خمسة عشر عاماً من وثبة المسرح المصري على يد فرقة رمسيس التي أنشئت لحساب فرد واحد، ومن غير معونة من هنا أو من هناك، ومن وقف حسن المسرح فيه تمثيله، وكان لأهله حينذاك سمعة وقدراً

يذكر المذكورون أن المرحوم عبد الله باشا وهبي كان عسيراً عليه أن يرى ابنه يوسف وهبي ممثلاً، وكان عسيراً على أي رجل آخر أن يرى ابنه (مشخصاً) على المسرح، فلم يكن التشخيص في نظر الناس سوى مهنة وضيعة للذين فقدوا كل أمل في الحياة وكل أمل في الكرامة، وكل أمل في العمل الشريف. ولم تكن الحكومة لتعترف بوجود هذه الفئة من المسرحيين أو بعملهم وربما أنشئت فرقة رمسيس وسط هذه العوامل وبين هذه الآراء؟

ومع ذلك فإنها سرعان ما اكتسحت تلك الحجب الأمر قبل العقير والمظلم قبل المستنير، وأصبح مسرح رمسيس محط الطبقة الممتازة في مصر وملتقى الكبراء والعظماء وذوي الرأي والخطر في البلاد؟ ولم ينقص عنها جمهورها، ولم ينصرف عن تشجيعها إلا منذ حادت عن طريقها المرسوم وتنكبت السبيل السوي!

أما الفرقة القومية التي وهبتها الحكومة جنانها، ومنحتها مالاً ومسرحاً، وجعلت لها جمهوراً آلياً، ويشرف حفلاتها ملك البلاد وكبار رجال الدولة وعظماؤها. أما هذه الفرقة التي تهيأت لها كل أسباب النجاح والفلاح فإنها لم تخط حتى الآن بما خطته فرقة رمسيس من قبل، ولم تخط خطوة واحدة نحو مثل المكانة التي نالتها تلك الفرقة، ولم تكتب سطراً واحداً في تاريخها تستطيع أن تفخر به أو تطمئن إليه، وحتى أصحاب الشأن فيها يطرقون رؤوسهم أسفاً وحسرة، ويقفون حيارى لا يدرون أين المفر من هذا المصير المحتوم الذي يطل عليهم من بعيد بوجهه البشع ويقترب منهم رويداً رويداً

وقد أردنا بكتابة هذا التاريخ الموجز، وسرد هذه الخواطر والآراء أن نضع أمام الرجال المشرفين جميع العوامل التي كانت من أسباب نهضة المسرح، وكذلك جميع العوامل التي كانت

من أسباب سقوطه وأسباب نجاحه ، ليكون لهم في النهاية مجموعة من المعلومات التي يسترشدون بها في تنظيم الفرقة القومية ووضع برنامج لها تسير عليه ولا تحيد عنه إلا في سبيل التكامل . والواقع أن الفرقة القومية لا تحتاج بعد الذي تهيأ لها من أسباب إلا النظام والتنظيم والخطط المرسومة التي تسير بمقتضاها وتسترشد بهديها . أما هذه الطرق الارتجالية التي تأتي عفو الخاطر ، وأما هذا العبث المضني في اختيار الروايات وإعدادها وإخراجها وتوزيع أدوارها وفي [illegible] والخواطر . أما كل هذا وغير هذا مما سلكته الفرقة القومية ، أو آلة أصابها ، فقد قضى على سمعتها ، و[illegible] أن يقضي على الفرقة بسبب [illegible] الأخير

ولا يحسبن أحد أننا من أعداء الفرقة القومية إذ نحكم عليها هذا الحكم ؛ فالحقيقة أننا من أنصارها والمتحمسين لها والداعين إليها ، وما عدونا إلا النظام ، أو قل الفوضى التي تسير عليها ؛ وما نبغي إلا الإصلاح ، ولا حاجة لنا سوى هذا

وكانت هذه السطور بعيدة عن القصر كل البعد . وسيرى القراء أنه كما سيعطي فرقة ... حقها من التمجيد ونصيبها من التقدير ، كذلك سيخصها نصيب من النقد اللاذع ، لأنها كما نهضت بالمسرح ، فإنها كذلك هبطت به إلى الحضيض . فطلب الجميع منذ العمل المطلق ، وهدفنا الأسمى المصلحة العامة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد الذي كان ، وعلاج ما سوف يكون

صناعة السينما في مصر

إن الجهود الفردية التي وجهت الصناعة قديماً نرى [illegible] من ذلك الفن الرفيع في وقت كان فيه الفن السينمائي في مصر ترفاً ممتعاً وأوهاماً وأحلاماً في كل صباح وكل مساء — إن هذه الجهود الفردية التي أدت مهمتها وراحت ضحية جرأتها لتستحق منا اليوم كل تمجيد وثناء . إنها [illegible] في كثير طلائع الجيوش التي تعرض صدورها لرصاص العدو وتكشف أجسادها لسهامه ، فتروح ضحية جهلها وعلمها [illegible] . بيد أن من يأتي بعده لا [illegible] في خطاه ، ويعرف كيف يحمي نفسه ويسير على أشلائها إلى النصر والمجد !

[illegible] كذا دين اليوم [illegible] حديثنا عن النهضة السينمائية الناشئة ، فيجب أن نذكر أولئك الذين سقطوا في الميدان منذ أعوام ، كانوا الشهداء ، والذين [illegible] من أتى بعدهم ومهدوا لهم طريق التكامل [illegible] إلى أسمى الغايات . أما ستوديو مصر ، فقد أصبح بحق [illegible] حرب [illegible] أمثاله في أوربا وأمريكا ، إذ فيه كل الأسباب الحديثة ، وفيه الرجال وكل الاستعداد ، وبعثة ممتازة من [illegible] في استطاعتهم إخراج أية رواية من أي نوع [illegible] إخراج « لاشين » التي [illegible] إلى حد ما ، أن في مقدور هذا الاستديو أن يخرج روايات ممتازة ومن أعظم أمثال [illegible]

وليس ينقص الجهود الفردية اليوم إلا قصورها عن أن يشمل [illegible] كل العناصر المؤدية إلى النجاح الكامل . [illegible] نؤيد حرية العمل وندعو إلى المنافسة الشريفة ، إلا أننا ننصح بعض الأفراد أن يضموا جهودهم بعضها إلى بعض ليصلوا مجتمعين إلى ما تصل إليه الشركات الكبيرة والمؤسسات الضخمة

ومما يسرنا أن يكثر عدد المتحمسين السينمائيين ، وبالتالي يكثر عدد الشركات . وحينئذ تصبح مصر هوليود الشرق وتطرد منتجاتها الفلم الأجنبي من أسواق الشرق جميعاً ، وهذا غاية ما نرجوه

([illegible])

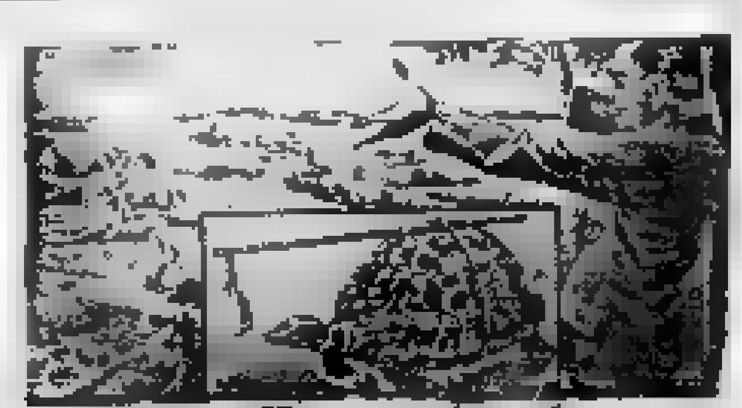

7me Année No. 321

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البغالة رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢١ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

فهـــــرس

٣٠٧٢

ما رأيـــــها ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

سئلت ما رأيها ، والضمير إلى الفتاة المصرية ؟

ما رأيها في تعدد الزوجات وفي أن تكون شريكة لثانية أو لثالثة في زوج واحد ؟

إنني أبدأ فأثير نخوتها فأقول : إنها أكبر من أن تقبل دور الضرة ، لأنها لا تعد من كيد النساء وما أخذ الرجال ما كانت تلقيه جدتها التي كانت تعرف الصبر بسلاحه ، وتصبح الصبر يقدر صلاحه

ثم أثني فأنبهها فأقول : إنها أكرم على نفسها وأعرف بالأواصر النفسية بين المرء وزوجه من أن تقبل زواجاً تنقطع فيه الأواصر النفسية وتهبط فيه الكرامة

ثم أعقب على هذا وذاك قائلاً : إنني ما رغبت في هذا المقال أن أحتكم معها إلى حكم الدين ... بعد أن عرفت أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات ولكنه لا يوجبه بل يكاد أن يقيم عقبة على العمل واستكثاره أن يعدل الرجل بين اثنتين ولو حرص عليه

إنما أحتكم معها إلى آراء ... الحسيين والنهضة المعاصرة ، وربما كان من الخير أن نعلم أن هؤلاء القادة لم يجعلوا أنفسهم حظاً في حملة كالتي كانت عليها الأمة العربية صدر الإسلام الأول

لهم تعدد الزوجات وتجاوزوا ما أجازه القرآن ، بل أوشكوا أن يوجبوه ، وربما كان هذا الغلو من دواعي تصحيح النظر إلى أصول الشرائع والأخلاق التي عابها أناس وقصروا ما كان لها من بواعث وأسباب

* * *

أقطاب « النازيه » في ألمانيا الحديثة يستحسنون تعدد الزوجات لأنهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتأهبون لليوم الذي يغلبون فيه على أوربا الشرقية فاتحين ومقيمين

والأستاذ أرنست برجمان عضو حزب الفلسفة بجامعة ليبزج يقول في كتابه « روح الأمومة » [illegible] الزواج المفرد ، ويوجب تعدد الزوجات في سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج المفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيستحسن حيث فرضت الزوجة الواحدة على الرجل [illegible] وأن تمثل الدولة الصالحة تلك الدولة التي يكون فيها للمرأة [illegible] ، ولن يزال في الأمم عدد من الرجال كاف وقابل لإيلاد جميع الإناث وما علينا إلا أن [illegible] سخافة الزواج المفرد فنعلم أن الطبيعة قد صنعت كل رجل كافياً لعشر أو لعشرين من البنات اللواتي لم يحتلن في نفوسهن غريزة الأمومة »

والدكتور [illegible] فيلسوف الشعب [illegible] « نظرات » وسيئة » [illegible] بالرجعة إلى آداب الثقافة الجرمانية ومسائل الزواج ، ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما [illegible] الشعوب الجرمانية في القرون الماضية ، ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء في بعض الأزمان يربي كثيراً على عدد الرجال كما يوشك أن يكون الأمر في الزمن الحاضر .. فهل يقضى على هؤلاء النساء أن يقضين خلال أيام الحياة محرومات [illegible] الطبيعية [illegible] التي [illegible] ؟ وهل يؤذي المجتمع الناس القانع بما هو فيه أن [illegible] هؤلاء [illegible] ؟ »

ثم يحض [illegible] الأبناء من غير الزوجات الشرعيات ، تكثيراً للنوع وتعزيزاً لقوة الأمة الجرمانية !

ورأي المفكرات الألمانيات قريب من رأي المفكرين الألمانيين في هذا الباب ، فإحداهن وهي السيدة « شولتز كلنك » تقول في خطاب لها بين المصحبات « إن [illegible] الألمانيات [illegible]

في عصرنا الحاضر إلى [illegible] الأصيل [illegible] في خضوع [illegible] أن هذا القرار [illegible] يشكو [illegible] ويستحي [illegible] الألمانية الحديثة »

* * *

وقبل الفلسفة النازية بجيل كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليهم النازيون الآن ، وكان يرى الأمة الفرنسية [illegible] النسل كما يرى النازيون أمر الجرمان ، وكان يقول مثل ما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء في ازدياد وعدد الرجال في نقصان

فمن قوله في هذا الصدد : « إنني صاحب كل ما [illegible] لإصلاح حال النساء [illegible] الذين يسابقون [illegible] ، ولكن المرء لا يستطيع أن يفكر في هذه الناحية [illegible] على نظام الزواج ، ولا [illegible] أحداً يقدم عليه »

« وقد كان الرجل في الزمن المتقدم [illegible] إلى جانب الزوجة لم يكن أبناء الرق [illegible] كما [illegible] في أيامنا . ومن المضحك ألا يباح الرجل أكثر من زوجة [illegible] كالأجرب كل [illegible] أو [illegible] »

« إن الرجل لا [illegible] في العصر الحديث ، ولكنه [illegible] خليلات وهن [illegible] من كلمة أسمح من كلمة الزوجات . ولقد [illegible] الفرنسيون على إكبار المرأة وما يعني لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا آلة لإزعاج [illegible] »

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه أثر ذلك . أما المرأة ، فإذا [illegible] مرة بعد مرة فلا [illegible] »

ويقول [illegible] من المساواة بين الجنسين : « لا مساس من سيادة أحد الجنسين على الآخر . فقد يختل نظام الأمة إذا [illegible] المرأة [illegible] ، وهو مكان الطاعة والخضوع »

* * *

والآن لا أدري ، هل أكسبت نابليون وعلماء الألمانيين [illegible] بين [illegible] ، أو [illegible] من التمويه !

لكن الحرب قائمة ، أو يخشى أن تصير هنا وهناك من

كتاب مستقبل الثقافة في مصر

الثقافة العامة
وتعليم اللاتينية واليونانية
للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

[تتمة]

قد يخطر على بال الإنسان أن يتساءل عندما يلقي نظرة عامة على هذه الأطوار المتتالية: هل تقف يا ترى سلسلة هذه التطورات عند الحد الذي وصلت إليه أخيراً؟ أم ستستمر بعد الآن أيضاً؟ هل يجوز لنا أن نقول إن التطور الأخير سيكون خاتمة الأطوار؟ أم يجب علينا أن نتوقع حدوث تطورات أخرى بعد الآن أيضاً؟

أنا لا أرى لزوماً للتنبؤ عن مستقبل هذه التطورات، لأني أعتقد أن ما عرضته من الحقائق حتى الآن كاف لتوضيح وحل المسألة التي من أجلها خضت غمار هذه البحوث. ولهذا أرى من المفيد أن أنقل بعض الكلمات التي كتبتها أخيراً — في هذا الصدد — في إحدى المجلات التربوية:

«لقد ترتب بين الإنسانيات القديمة والاختصاصات العالية هوة سحيقة لا تزال تزداد عمقاً وعرضاً، يوماً فيوماً... إن دور الإنسانيات المذكورة قد انتهى، ولم يبق في استطاعة أحد أن يدعي حق البقاء كنبع للثقافة العصرية. إنها لا تستحق الآن إلا الاحترامات الاستثنائية؟ لقد ذهب كل ما كان لها من قوة وحياة»

كذلك أرى من المفيد أن أذكر ما كتبه العلامة «دوسان بيير» في هذا الصدد:

«سيأتي يوم نفهم فيه أن حاجتنا (يعني حاجة الفرنسيين) إلى تعلم اللغة اللاتينية، أقل من حاجتنا إلى تعلم اللغة الألمانية أو تعلم اللغة العربية»

إني أعتقد أن الحقائق والوقائع التي سردتها آنفاً، حول مسألة تعليم اللاتينية واليونانية في المدارس الثانوية في أوربا بوجه عام وفي فرنسا بوجه خاص، تعين لنا بكل وضوح الموقف الذي يجب أن يقفه مفكرو العرب حيال هذه المسألة بالنسبة إلى مدارس البلاد العربية. لا شك في أن هذا الموقف يجب أن يكون موقف الرفض والإعراض.

يجب علينا أن نتذكر — في هذا الصدد — الحقائق التالية على الدوام:

إن تعلم اللاتينية واليونانية في أوروبا لم يحصل الوضع الذي هو فيه في نظم الدراسة بناء على تأملات وملاحظات تربوية؛ بل حصل هذا الوضع تحت تأثير عوامل ووقائع تاريخية كلها خارجة عن نطاق البواعث التربوية... وأن الفوائد العقلية والتربوية التي ذكرت فيما بعد لتبرير الحالة الراهنة [illegible] بعيدة عما كان عليه [illegible] لم تستطع أن تقاوم انتقادات المنطقية والأبحاث العلمية مدة طويلة... ولهذا أخذ نطاق هذا التعلم يتقلص من جميع الجهات تقلصاً مستمراً؛ ولم يبق عند الآن إلا على جزء صغير من ساحة الدراسة الثانوية... كما أن بقاء هذا التعليم في هذه الساحة الأخيرة أيضاً لا يمكن أن يعلل ويبرر إلا بعوامل الاعتياد والاستمرار من جهة وبرابطة [illegible] من جهة أخرى.

وأما فكرة اختيار اللاتينية «واسطة ضرورية لتثقيف

حيث لا تتوقع حدوثها؟ فماذا يكون الرأي إذا عرضت من الحرب وعندنا ثمانية ملايين امرأة، وليس عندنا من الرجال إلا ستة ملايين أو سبعة ونصف مليون؟!

اليوم يتكفل الداء الخفي بحصد الرجال واقتحامهم بداء «الأنكلستوما والبلهارسيا» حيثما تنتشر مياه الري في إقليم جديد، فيصاب الفتيان ولا يصاب الفتيات، ويصاب الرجال ولا يصاب النساء.

فإذا جاءت الحرب، فاتت هذه البداية، فماذا يبقى من أنفة الجنس اللطيف؟ ومن يرعى للعاملات على القصر أمام هذه الضرورة التي لا تعني الكلام بلغة «التدني»، ولا تعني في رقة وإحسان كما يعني رواد الصالون؟

سوق النساء إلى الزراعة؟ تسيرهن على العمل؟ مستبدلين الرجال في مشاق الأعمال؟

على كل حال ذهبت الأنفة والترف، وذهبت معهما مزايا الجنس اللطيف، ولو كان للمستقلات حظ الرخصة من بنات الكوخ والبيت الوضيع، ولم يكن من بنات التدني والصالون.

ثم هو حل لمشكلة العمل، فأين الحل لمشكلة الزوج ومشكلة الأسرة ومشكلة الأخلاق؟!

عمل عظيم بين يدي «وزارة الشؤون الاجتماعية» أعانها الله عليه!

عباس محمود العقاد

المعول » هي من النظريات التي ثبت بطلانها كل الثبوت ، إذ قد أصبح من المسلم في علم التربية أنه لا يوجد موضوع دراسي « مثقف » في حد ذاته ؛ كما أنه لا يوجد موضوع دراسي يحتكر قابلية التثقيف لنفسه . وأما « التأثير التثقيفي » الذي يحصل من الدروس فلا ينتج الموضوع الذي يُدرَّس ، وإنما ينتج الطريقة التي يتم بها التدريس . فنحن نود أن نحصل « الثقافة » بمعناه الأعم في الدراسة الثانوية يجب علينا أن نعلم حق العلم أن الوصول إلى هذا الهدف ، لا يتم إلا بالبحث عن أحسن « طرق التدريس » لسائر العلوم والسير على تلك الطرق على الدوام . وأما إضافة لغة أو لغتين من اللغات الميتة إلى مناهج الدراسة ، فلا يمكن أن يضمن لنا شيئاً من أهداف التثقيف بوجه من الوجوه

فليس من المعقول — والحالة هذه — أن نضيع أوقات طلابنا في المدارس الثانوية في سبيل تعلم اللاتينية واليونانية

هذا . ولا بد لنا من ملاحظة الحقائق الهامة التالية أيضاً في هذا الصدد

(١) إن تعلم اللغة العربية يستنفد من الأوقات والجهود أضعافاً أكثر من الأوقات والجهود التي تتطلبها اللغات الأخرى من أبناء الناطقين بها ؛ وذلك لزيادة تعقيد قواعد العربية من جهة وللنقائص السائدة في أساليب تدريسها من جهة أخرى

(ب) إن حاجة أبناء العرب إلى تعلم اللغات الحية أشد من حاجة الأمم الأوربية الراقية إلى تعلم تلك اللغات ؛ وذلك لفقر خزانة الكتب العربية من جهة المؤلفات العلمية والأدبية

(ج) إن تعلم اللغات الأوربية الحية يتطلب من الناطقين بالضاد جهوداً أكبر من الجهود التي يتطلبها من سائر الطلاب الأوربيين ؛ وذلك لاختلاف الحروف من جهة وقواعد الأصول والقواعد والأساليب من جهة أخرى

ولهذه الأسباب إذا جاز للأوربيين أن يصرفوا قسماً من أوقات بعض أبنائهم في سبيل تعلم اللغة اللاتينية — بأمل الحصول على بعض الفوائد ولو كانت ضئيلة — فلا يجوز لنا نحن أن نقتدي بهم في هذا الباب

وإذا جاز للأوربيين أن يخيّروا أولادهم بين دراسة اللغات الميتة ودراسة اللغات الحية ، فلا يجوز لنا نحن أن نفكر في مثل هذا التخيير

إذاً يجب علينا أن نتذكر دائماً أننا في حاجة قصوى للاقتصاد في أوقات طلابنا وجهودهم بتكثير الكتب التي يحتاجون إلى مطالعتها وزيادة الأوقات التي يحتاجون إليها لإتقان هذه [illegible]

هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب علينا أن نفكر في أمر آخر أهم من ذلك أيضاً . هذا الأمر هو ضرورة الاهتمام بمعالجة النزعة الكلامية المستولية على أفكارنا . إننا كثيراً ما نهتم بالألفاظ اهتماماً كبيراً ، ونغفل عن تحديد معانيها تحديداً كافياً . وكثيراً ما ننخدع بالكلمات الفارغة ، ونسترسل استرسالاً واسعاً لتغلب الكلاميات على مناحي تفكيرنا . فلا ننسى إذا قلنا بأننا مصابون — على الأكثر — بداء الكلاميات . إن أوربا أيضاً كانت مبتلاة بمثل هذا الداء ؛ وقد صرف مفكروها ومربوها جهوداً عظيمة لمحاربة هذه النزعة الكلامية ، ولتنمية روح التفكير الدقيق ونزعة البحث العلمي فيها . ونحن الآن في حاجة شديدة إلى الاقتداء بهؤلاء في هذا المضمار . وأعتقد أن هذه الحقيقة يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام عندما نفكر في وسائل توجيه ثقافتنا .

إني أعتبر فكرة إدخال اللاتينية واليونانية في مناهج الدراسة الثانوية من الأفكار الخاطئة والمضرة من هذه الوجهة أيضاً لأنها تؤدي — طبيعتاً — إلى زيادة حصص اللغات في دراساتنا زيادة كبيرة ، وذلك يزيد استغراقنا في الكلاميات ويبعدنا من مناحي التفكير الصحيحة

ولهذه الأسباب كلها أعارض هذه الفكرة معارضة شديدة جداً . ولا أراني في حاجة إلى إيضاح أنني لا أقصد من هذه المعارضة أن أعترض على كل من يود أن يتعلم اليونانية أو اللاتينية بل بعكس ذلك أتمنى أن يظهر بيننا من يولع باليونانية ويتخصص في آدابها ويسعى لترجمة علمائها ، كما أتمنى أن يظهر من يتعلم اللاتينية ومن يتعلم الروسية وحتى من يتعلم اليابانية ، ليتسنى لنا الاستفادة من نتاج تفكير جميع الأمم على اختلاف ثقافاتهم . غير أن إبداء التمني لظهور بعض الاختصاصيين من أبناء العرب في الآداب اللاتينية واليونانية شيء ، واعتبار تعلم هاتين اللغتين من ضروريات الدراسة الثانوية كالفنون والتاريخ والجغرافيا شيء آخر

فأقول لذلك : إذا أدخلت اللاتينية واليونانية إلى المدرسة الثانوية يكون مثلنا كمثل الخياط الغبي الذي تناقل قصته بعض الأقلام ؛ بذل الخياط المذكور جهوداً كبيرة في خياطة « بنطلون » لبعض الكبار شبيهاً « ببنطلونه » القديم الذي

كل ... إليه . وأخص الملاحظة إلى مرحلة تعميم التربيع الذي ... أيضاً

بعد أن شرحت رأيي في مسألة تعليم اللاتينية واليونانية شرحاً عاماً أرجع إلى آراء الدكتور طه حسين فيها ، وأبين ما أعتقده في هذه الآراء على ضوء الملاحظات التي سردتها :

إن أول ما يلفت الأنظار في ملاحظات الدكتور في هذا الباب ، هو خلوها من الأدلة والبراهين ، وتكونها من سلسلة دعاوى معروضة على شكل نصوص قاطعة تعب الاعتقاد بها بدون طلب برهان . كأن لسان حاله يقول على الدوام : « آمنت أنا ، فعليكم أن تؤمنوا أنتم أيضاً »

فإنه عندما يذكر رأيه المتعلق بضرورة اللاتينية واليونانية للثقافة المصرية يقول : « والأدلة على ذلك تظهر لي بوجوه جلية وضحية واضحة » (ص ٢٨١) ولكنه لا يذكر شيئاً عن تلك الأدلة . وكل ما يكتبه بعد العبارة المذكورة لا يخرج عن نطاق ... « جهل » معارضيه و « قصر » ... « و » عدم إتقانهم الشئون الثقافية في أوربا » و « عدم نظرهم إلى الشمس عن الشمس والحد ... » وما أشبه ذلك من تعبيرات التجهيل والازدراء .

إنه عندما يتطرق إلى مسألة « تأثير هاتين اللغتين في تكوين العقل » تلك المسألة الهامة التي تكون حجر الزاوية في دعاوى أنصار اللغات القديمة لا يكلف نفسه مشقة شرح المسألة ، لأنه يعتقد أن ذلك فوق مستوى فهم معارضيه ! ويسجل اعتقاده هذا بصراحة كبيرة إذ يقول : « كل هذا وقد أتحدث ... أتحدث عن أثر هاتين اللغتين في تكوين العقل وتقويمه وتثقيفه وإعداده للتفكير المستقيم فإن هذا الحديث إلى ... يحتاجون إليه ... لأن فهمه يقتضي حظاً من تعمق اللغتين ودارسيهما واختلاء آثار هذه الثقافة والثقافة ، والذين يعرفون هاتين اللغتين في مصر يمكن إحصاؤهم على أصابع اليد الواحدة أو على أصابع اليدين » (ص ٢٩٧)

وأخيراً عندما يتطرق الدكتور إلى الحالة الراهنة في أوربا ويشير إلى الخصومة القائمة بين أنصار اللغات القديمة وخصومها ، يتهم معارضيه « بالإلمام اليسير » بل بالإلمام الناقص السيئ » بهذه الخصومة (ص ٢٨٥) ثم يحاول أن يصف هذه الخصومة « على وجهها الصحيح » ... من يقارن بين ما يقوله الدكتور في هذا الباب وبين التفصيلات التي سردناها آنفاً ، يرى أن « الوجه » الذي ... الدكتور بعيد عن الصحة بعداً كبيراً

يقول الدكتور طه حسين : « إن موضوع هذه الخصومة لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة ... (ص ٢٨٥) في حين أن المؤلفات والمجلات التربوية مملوءة ... ومناقشات طويلة في ضرورة أو عدم ضرورة هاتين اللغتين للثقافة ...

يقول الدكتور : « كان موضوع الخصومة ... هذه المسألة : أيجب أن يهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ، أم يجب أن يهيأ بعضهم لهذا العلم والتخصص ويهيأ ... للحياة العاملة ؟ » (ص ٢٨٥) في حين أن ذلك أيضاً ... حقائق الأمور بعداً كبيراً

يقول الدكتور : « إن الخصومة حول تعليم اللاتينية واليونانية قامت في أوربا منذ أواخر القرن الماضي بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة ، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى » (ص ٢٨٤) في حين أن الخصومة كانت قائمة في عالم الفكر والتربية قبل أن تنتقل إلى ساحة السياسة بمدة طويلة

وقد أسهبت آنفاً في تلخيص المناقشات التي دارت في أوربا حول هذه المسألة ، فلا أرى حاجة للتوسع في تفنيد ما كتبه الدكتور طه حسين في هذا الباب

أود أن أختم انتقاداتي هذه بملاحظة صغيرة ... الدكتور النظام الذي يقترحه لتربية المدرسة الثانوية يقول « وكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للعلوم الأدبية المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب الخالص لإحدى اللغات فرضت عليه اللغة اللاتينية ولغة أجنبية حية وخيرته بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » (ص ٣٠٦)

وإذا لاحظنا أن الطالب الذي كان يدرس ... طبيعة الحال اللغة العربية وآدابها أيضاً ، نجد أنه سيضطر فيه ... أربع ... على أن يكون ... اللاتينية على كل حال

إني أعتقد بأن اشتغال الطلاب ... خلال دراستهم الثانوية بهذا القدر من اللغات لا يهيئهم إلى الدراسات المذكورة بل يضطرهم ... لاستساغة ... الآن في دراسة الفلسفة والتاريخ والجغرافيا

أبو خلدون

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ١٢ —

لا يعرف أحد كيف استباح الأستاذ أحمد أمين ما استباح فصنع بنفسه ما صنع !

وهل كان في مقدور الله نفسها أن تقتضي أن يسيء إلى الأستاذ أحمد أمين بمثل ما أساء إلى نفسه بلا رفق ولا استبقاء ؟

كنت أدعو الأستاذ أحمد أمين إلى رعاية نفسه فأصبحت أدعوه إلى رعاية مستقبله ، فإني أخشى أن يضيع الثقة بكتابه الضعيف فيصبح معلوم التقصير والعجز ، وهو لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة الأصحاب والأصدقاء ، وظن نفسه قليل

أقول هذا وقد كشف الأستاذ أحمد أمين عن حقيقة نفسه النفسية فصرح بأنه يحتقر العقلية العربية في عهد الجاهلية بقصد من هذا الاحتقار وسيلة لتأييد دعواه في جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي

والجاهليون قوم كانت لهم حسنات وسيئات ، وكلمة الحق فيهم لا تؤذي أحداً من الناس ، وقد قال فيهم القرآن ما قال فلم يعد أحد من أحلامهم ، لأنه لم يقل فيهم غير الحق

أما التحامل على عرب الجاهلية ، وتجسيم مساويهم وتصغير مزاياهم ، والتشهير بوثنيتهم ، والقول بأنها كانت وثنية أرضية وضيعة — كما يعبر أحمد أمين — فذلك إثم منكر يؤذي عظمة الأرومة العربية ويشوه صفحتها في التاريخ ، وذلك لا يقع إلا من رجل يخلو من الوفاء بحقوق الآباء والأجداد

نحن لا ننكر أن العرب القدماء كان فيهم وثنيون ، فقد كان الحال كذلك عند قدماء المصريين والفرس والروم والهنود ، وإنما ننكر أن تكون وثنية العرب وصلت إلى الانحطاط الذي تصوره أحمد أمين حين ارتضى السخف الذي تنطق به العبارة الآتية منسوبة إلى أحد الأعراب .

« كنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناه عليه ، ثم طفنا به »

أو العبارة المنسوبة إلى أعرابي آخر

« كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نرميه »

كذلك روى أحمد أمين ، وهو في غاية من الطمأنينة عن بعض الكتب القديمة ليؤكد لقرائه أن العرب أهل لأن يقول فيهم من الإسفاف ما يقول

وتصديق هذه الأخبار شاهد جديد على السذاجة العلمية التي يمتاز بها بعض الناس ، فليس من الصحيح أن العرب وصلوا إلى مثل هذا السخف ، وليس من الصحيح أن العرب كانوا يعبدون الشاة الحلوب ، فإذا أكلوها اتخذوا شاة أخرى يعبدونها ، كما تحدث النكتة التي نقل عنها أحمد أمين

* * *

أيها القراء اصبروا ، وانظروا ، وإذا وهمتم فانتصروا

أيها القراء اصبروا لتعرفوا الوثنية الجاهلية ، اسمعوها مني لا من أحمد أمين

كان في العرب وثنيون ، بشهادة القرآن ، ولكن أحمد أمين نسي حقيقة تاريخية ما كان ينبغي أن تغيب عن رجل يتصدر لتأريخ الحياة العربية ، نسي هذا الرجل أن عصر النبوة شهد معركة حامية بين الوثنية والتوحيد ، وفي تلك المعركة كان لرجال الدين أن يلطخوا تاريخ الوثنية بالسواد ليندحر الوثنيون ولتنشرح صدور المؤمنين

فكل ما نقرأه في الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالغفلة والحمق ، والطيش والخبال ، وسوء الفهم ، وبشاعة التصور ، وخمود العقل ، وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات الشنيعة مُصطنع لغرض خاص هو تصغير الوثنية الجاهلية لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد

وكان من حق رجال الدين أن يسرفوا في تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون ، لأنهم كانوا يرومون ربحاً في ربح وضلالاً في ضلال

أما أحمد أمين فلا يملك هذا الحق ، لأن الإسلام قد استغنى نهائياً عن حرب الوثنية الجاهلية بالنصر المؤزر الذي ظفرت به عقيدة التوحيد

والوصف اليوم قد تغير بلا جدال ، فهو ليس موقف الموازنة بين الجاهلية والإسلام حتى يستبيح ما يستبيح من تحقير الجاهليين ، وإنما هو موقف المفاضلة بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية ، وهو موقف لا نعترف به اعترافاً ، فقد صرح به الرجل الذي عاد فكره إلى القول بأن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة وأن وثنية اليونان كانت سماوية رفيعة !

إن أحمد أمين يقول بأن الوثنية العربية وثنية أرضية وضيعة، على حد تعبيره للمذهب الجديد !

فهل يستطيع أن يقول من أي مرجع أن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة ؟

إنه يجهل — وأنا أيضاً أجهل وسائر الناس يجهلون — كيف كانت الوثنية العربية ، لأن تلك الوثنية طمست آثارها منذ أزمان طوال ولم يذكر في أي كتاب إلا بالتحقير والتسفيه والتقبيح

وأنا أتحدى الأستاذ أحمد أمين أن يذكر كتاباً واحداً من مؤلفيه يشرح الوثنية الجاهلية شرحاً يبين ما لها وما عليها بلا تزيد ولا بهتان

إن العرب ألفوا كتباً كثيرة عن الأصنام ، ولكن الغرض من تلك الكتب كان غرضاً دينياً ، وهو غرض شريف أرادوا به أن يصرفوا وجوه العرب عن وثنيتهم من المستحيلات ... ولو كانوا يعرفون أن تلك الكتب ستكون حجة يحتج بها من يشاء في ميدان تحقير الأرومة العربية وتمجيد الأرومة اليونانية لحفظوا لأسلافهم بعض ما كان لهم من حسنات في عهد الجاهلية

ونحن نعلم أن الخلفاء الراشدين كانوا في غاية من الحزم الصارم العنيف الشريف في حرب الوثنية الجاهلية ، لأنهم كانوا يخافون أن يكون أشفق عليه في جوه الميراث الذي خلفه الرسول الكريم ، وهو ميراث التوحيد ، فلم يسمحوا لأحد برواية الأشعار التي تمثل الوثنية الجاهلية ، وخاف المسلمون على دينهم فصدروا ما خلف الوثنية من أصنام وأحجار ، وبالغوا في التصون من تلك الآثام لئلا يقال إن فيهم رقة وثنية

كان للعرب صنم اسمه يغوث ، فهل يعرف أحمد أمين مبلغ الأساطير التي صيغت حول يغوث ؟ وهل يعرف ما صيغ حول اللات والعزى من أقاصيص ؟ وهل يستطيع أن يقول بأن الوثنية العربية بقيت سليمة من التحريف والتبديل ؟

لو عرف الأساطير الجاهلية لاستطاع أن يعرف كثيراً من الوثنية العربية ، ولكن تلك الأساطير ضاعت كل الضياع ، وربما كانت محرّمة على المسلمين ، والحكم على الغائب لا يخلو من تعسف واستبداد

إن الأستاذ أحمد أمين حين تحدث عن وثنية العرب بالتقبيح كان يريد إظهار فضل الإسلام على العرب فلنقبل كلامه بالقبول ، فالإسلام نقل العرب من الظلمات إلى النور ، ولكن أحمد أمين يحقر الوثنية العربية لغرض آخر هو قوله الصريح بسماوية الوثنية اليونانية وأرضية الوثنية العربية

* * *

كنت أحب أن أشهد كلام أحمد أمين شواهد من التاريخ ، ولكن أين أجد تلك الشواهد وقد تقرّب العرب إلى الله بوأد الوثنية الجاهلية ؟

وهل أنسى أصوات الحجيج والوافدين وقد تلقيت عن أساتذتي في الجامعة المصرية وجامعة باريس دروساً كثيرة في مكونات عنصر الحج والبرهمن ؟

على أني لا أفهم إمكان أحمد أمين لأنه يعتمد في تحقير الوثنية العربية على ما يرويه القصاص وأنا لا أقيم لتلك الروايات أي ميزان

فالسحر من جانب شيء يه العقلية القديمة ... ولا سحر والشعوذة من جانبه شيء يه العقلية الأمية من غير شك

إن العرب حفظوا ... عقيدة متمردي طاعة لله التي ... من التعلق بالوثنية ، ولم تحفظ من صور تلك الوثنية غير الصور التي شنّعها القرآن ليروضهم على التوحيد ، فمن حدثكم أن العرب في جاهليتهم كانوا يعيشون بعقلية أرضية وضيعة فاعلموا أنه يحكم على الغائب بلا بينة ولا برهان

* * *

وهنا مسألة دقيقة لا يمكن أن تخطر في بال الأستاذ أحمد أمين ، لأنه على فضله بعيد كل البعد عن التعمق والاستقصاء

ثبت لكم أن العرب بين الوثنية والتوحيد حسب إصلاح الوثنية وتلطيخ سمعتها بالسواد ، وأقول الآن إن هناك حرباً ثانية عانت الوثنية العربية أمام قصة المسيحية ، فقد أراد المسيحيون

أن يجعلوا العرب في جاهليتهم مثلاً في الضعف والخور والخبال، وذلك مستحيل يعرفه من يقرأ كتب الأدب والتاريخ بعقلية المؤرخ

وكذلك نعرف أن الوثنية العربية حوربت مرتين: مرة بسبب العصبية الدينية، ومرة بسبب العصبية الجنسية. وهذه من أسباب الغشاوة الثابتة على كثير من الناس

وخلاصة القول أن الوثنية العربية حوربت بلا هوادة ولا رفق، ولم يبق من أصولها السليمة ما يعين الباحث على تصحيح الصورة العربية في العصر الذي سبق الدين الحنيف، فمن حق أحمد أمين أن يتزيد على العرب كيف شاء، ومن حقنا أن نعده في إصراره على تحقير العرب في جاهليتهم - وهو لا يعرف شيئاً صحيحاً عن وثنيتهم - هو إصرار الرجل المحروم من نور المعرفة بأصول المباحث العلمية في العصر الحديث

* * *

متى أخذت أحمد أمين بالوثنية اليونانية التي خلقت «أفروديت» وأدونيس وإيروس، فهل يعرف كيف عاشت الوثنية اليونانية؟

لو أن اليونان كانوا أسلموا كما أسلم العرب لأرجف في اليونان من يبدل آثار الوثنية اليونانية بحيث تصبح وتمسي وهي مثل في الرقاعة والسخف

ولكن اليونان عاشوا في وثنيتهم بعد ظهور الإسلام بأجيال طوال، وظلوا يتوارثون أوهام أسلافهم من عصر إلى عصر إلى أن جاء المتطرفون من شعراء الفرنسيس والإنجليز فعكفوا على تلك الوثنية يبعثونها من جديد لأنها قامت على أساس وثني هو التعبد لجموح الأهواء وتحقيق الأحاسيس

وهنا تُحلّ المشكلة التي حار في فهمها أحمد أمين، فهنا الرجل يتعجب من سكوت العرب عن ترجمة ما كان عند اليونان من أشعار وأقاصيص

وأنا أتصدى عنه لحل هذا الإشكال فأقول: إن السلفيين الذين صدهم دينهم عن إحياء الوثنية العربية قد سموا بفضل التدين عن إحياء الوثنية اليونانية

وهل يعرف صاحبنا من مستحدثات حماسة الأوربيين لوثنية اليونان؟

إنهم انتصروا لتلك الوثنية يوم استحكمت العداوة بين اليونان والأتراك؟ وهل كان يمكن لشاعر مثل بيرون أن يغرم بشمائل اليونان لوجه الحق؟

إن الغافلين يجهلون السر في عشق شعراء فرنسا وإنجلترا وإيطاليا خاصة الأكروبول، هذا العشق كان له أسباب في عقيدة الأمة التي جعلت عبادة الشهوات من الشرائع، ولو كانوا يعرفون وجه الحق لوضعوا على «الكعبة» العربية التي يتوجه إليها الملايين من أهل الشرق والغرب في أوقات الصلوات، والتي كانت مثابة للأمم من أقطاب التشريع

ولكن الكعبة ليست من مواطن الأوهام عند أهل الشهوات، ولا هي حصن من عبادة أفروديت وأدونيس وإيروس؟

إن الشهوة هي أهم العناصر في حياة الإنسانية، وهي تستهوي الناس في كل عصر وفي كل أرض، ولكن العرب امتازوا بين الأمم بالخوف من عواقب الشهوات، فكانوا لذلك موضع النصب والسخرية من الشعراء الظرفاء الذين بكوا دماً على مصير اليونان أيام حرب الاستقلال

وهل يمكن القول بأن اليونان عنصر الشهامة والفتوة والرجولة كما عند العرب؟

هيهات! هيهات!

إنما هي وشائج من الشهوة والعصبية السياسية قضت بأن يقول الأوربيون إن وثنية اليونان كانت وثنية سماوية لخصوم هم دولة تسامي بعض العرب والمسلمين في الشرق

وأحب أن أبين أوجه الحق في هذه القضية فأقول:

إن هيام الشعراء الأوربيين بالوثنية اليونانية له صلة وثيقة بما كان يكربهم من مصائب وأهوال، ذلك بأن الوثنية اليونانية تقوم على عبادة المرح والبهجة والإيناس، فأهواء الآلهة عندهم أهواء حلوة من الوجهة الحسية بحيث يغترف ما في الطبيعة البشرية من عبث وطيش وجبروت، وأخلاق الآلهة عندهم أخلاق منزهة تمثل ما في الطبيعة البشرية من جموح وصلف وغرور

والشاعر الذي يعتنق في وطنه الوثنية اليونانية يعيش عيش المرح والنعيم، فهو محروس بعواطف تحميه في جميع الشؤون، فله عند الغضب إله ينصره هو إله الحرب، وله في أوقات السرور إله يرعاه هو إله الخمر، وله عند الصبوة إله يمنح له قلوب الملاح هو إله الحب

وهذا هو السر في أن شعراء أوربا وجدوا في الوثنية اليونانية ما لم يجدوه في الشريعة الإسلامية، مع أن الشريعة الإسلامية محلاة بالطرائف من أصول الآداب والفنون

وتوضيح ذلك سهل، فالذي ينظر في الوثنية اليونانية يواجه مصطخب الأهواء والأذواق والأحاسيس، أما الذي ينظر في الشريعة الإسلامية فيواجه بحراً هادئاً من الواجبات والتكاليف، ويشعر بأنه مسئول عن كل شيء حتى خطرات القلوب

وهذه الخصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية كان لها دخل في عدم ظفر الإسلام بغزو النفوس في الممالك الأوربية، فالإسلام دين صارم عنيف لا يتسع للأهواء والشهوات إلا بحساب وتلفت، وهو يحمل المسرفين على أخذهم بالويل والهلاك

وقد استطاع الإسلام أن يؤثر في المسيحية فخلق منها مذهب البروتستانت، ولكن ذلك المذهب حول المسيحية إلى ميادين عقلية لا يقتحمها الجمهور الأوربي إلا بمشقة وعنت، وما عاش ذلك المذهب إلا لأن الذين اعتنقوه كانوا أقوياء، وسيعودون إلى الكثلكة يوم يغلب عليهم الضعف

واليونان تنصروا بعد الوثنية، ولكن نصرانية اليونان نصرانية شعرية هي مذهب الأورثوذكس، وهو مذهب جذاب براق ترف أجنحته بأرواح الشعر والخيال. وهو شبيه بمذهب النصارى في مصر، لأن الوثنية المصرية لا تقل ألواناً وتهاويل عن الوثنية اليونانية

والإسلام الصحيح لم يعرفه العرب إلا في عهد الصحابة والتابعين، فلما ضعفوا خلعوا على إسلامهم أردية جديدة من أردية الوثنية. ولو قام باحث يدون الأساطير التي نسجت حول الأولياء والصالحين لأمد الأدب بثروة تفوق الثروة التي خلفها اليونان أيام الوثنية

قد يقول قائل: وما محصول هذا الاستطراد؟

وأجيب بأنه يفسر تلك الظاهرة الغريبة التي لم يقع مثلها في التاريخ: ظهور الإسلام في بلاد العرب يشهد بأن العرب لعهد ظهوره كانوا في حالة روحية وعقلية، وبذلك استطاع الإسلام أن يمسخ وثنية العرب إلى غير رجعة، ليسمو بهم إلى رجال يفكرون في عجائب الأرض قبل أن يفكروا في غرائب السماء، والأرض هي المبدع الأصيل لطلاب السيطرة والجبروت من أصحاب العزائم الشداد

وأحمد أمين لا يفكر في هذه [illegible] رجل عظيم، والرجال العظماء يكتفون بما رتبه الناس من النصوص [illegible]

ولكن أين نحن من موضوع هذا البحث؟

أنا أخشى أن يكون ما عرضته من صحيح [illegible] من النصوص، لأني استرسلت في عرض بعض المشكلات [illegible] من يخشى على السرائر لأسلم من تقول المرجفين

فما هو موضوع البحث بطريقة واضحة صريحة تؤكد صدق ما ذهبنا إليه؟

خلاصة القول أن أحمد أمين حكم بأن وثنية العرب كانت «أرضية ضيقة» وأن وثنية اليونان كانت «حلوة رضية»

وقد ثبت بالبرهان القاطع أن وثنية العرب محاها الإسلام، ولم يبق لها رسوم ولا أطلال، فالحكم لها أو عليها حكم على مجهول، ونحن نتساجل بطريقة علمية لا تبنى فيها الأحكام على المجهولات أي عناد

وقد تحدث الإسلام عن وثنية العرب في مواطن كثيرة من القرآن، ولكنه لم يشر إلى ما كان في تلك الوثنية من نفحات الشعر والخيال، لأن الإسلام لا يرى الخير والحق والجمال في غير عقيدة التوحيد

وما كان ينتظر أن يمسح الإسلام غير الذي مسح، فحكمه قام على أساس الصدق في تطهير العقلية العربية من أوضار الأساطير والأباطيل

أما أحمد أمين فموقفه مختلف كل الاختلاف، فهو يحقّر العرب ووثنيتهم، وهي عنده أرضية ضيقة، مع أنه لم يعرف من تلك الوثنية غير وجهها الدميم، وذلك الوجه الدميم موضع شك وارتياب، لأنه نُقل بأسانيد جمعتها حلقات العصبية الدينية والعصبية السياسية

وأحمد أمين ينظر إلى الوثنية اليونانية بعين الإعجاب ويراها حلوة رضية

ومن المؤكد أنه لا ينظر إليها تلك النظرة إلا وقد جرد نفسه من النزعة الدينية، لأن الإسلام لا يرضى عن الوثنية في أي شكل من الأشكال

لم يبق إلا أن يكون نظر إليها من الوجهة الأدبية، ونحن نعترف بأنه على حق في الإعجاب بتلك الوثنية، لأنها وثنية حية ولأنها أرّثت الأخيلة والأذواق في كثير من الممالك والشعوب

ولكن تلك الوثنية ظفرت بحظ لم تظفر بمثله الوثنية العربية، فقد ظفرت بالإعزاز والتبجيل على حين لم تظفر وثنية العرب بغير التحقير والتقبيح

فالجميل من الوثنية العربية تناساه المؤمنون، والقبيح من الوثنية اليونانية تناساه المفكرون. وكانت النتيجة أن لم يبق من وثنية العرب غير القبح، ولم يبق من وثنية اليونان غير الجمال

فهل ترون ذلك الحق أيها القراء؟

ألا ترون أن الأستاذ أحمد أمين يجني على المنطق وعلى التاريخ حين يستبيح ما يستبيح في تحقير الجاهلية العربية وتمجيد الجاهلية اليونانية!

أنا أحتكم إليكم أيها القراء فصلوا بيني وبين هذا الزميل

إن الوثنية العربية قد انقرضت تمام الانقراض، ولن تعود مصدر خوف على العقيدة الإسلامية، فلا حرج على الرجل المسلم من القول بأن العرب في جاهليتهم كانت لهم أوهام وأضاليل لا تقل جمالاً عما كان عند الفرس والروم والهنود من أوهام وأضاليل

إن الأساطير تخلق لتلبية نزعة في طلب مراح الأفئدة والعقول، وكان العرب في جاهليتهم كاليونان في جاهليتهم محتاجين إلى ترفيه أوقات الفراغ بطرائف الأسمار والأحاديث، فلم يكن بدٌّ من أن يخترعوا ألواناً من الأقاصيص تصور أهواء الأصنام والأوثان، كما اخترع اليونان ألواناً من الأقاصيص تصور ما كان عند آلهتهم من نزوات وشهوات وأهواء

ولكن أين الأساطير العربية؟ أين؟ أين؟

لقد عاش الإسلام يحارب العقيدة الوثنية بعقيدة التوحيد

وأنا مع ذلك قادر على وضع صورة للوثنية العربية، إن صح الفرض بأن أعيش في بلاد العرب سنتين اثنتين أدرس فيهما ما بقي في أذهان العرب من أساطير الأولين، ووضع سرد بعض الفروق بين أحلام العرب وأوهام اليونان. فإن لم تسمح عقدة العرب فقد وجهت الأذهان إلى الجديد من هذا الموضوع الطريف، وهو موضوع حاولت درسه منذ سنين لأتقدم منه برسالة إلى جامعة باريس تحت عنوان:

La Mentalité des Arabes d'après le Coran

وقد صدّني عنه رجال ثلاثة: أولهم الدكتور طه حسين وكانت حجته أن هذا البحث قد يفضي إلى تكفير العرب، وثانيهم لطفي بك السيد وكانت حجته أنه لا يحسن بمصري أن يعرض لفتن جديدة، وثالثهم المسيو ... وكانت حجته أنه لا يمكن لباحث أن يستنير أسرار هذا البحث إلا بعد أن يعيش في جزيرة العرب بضع سنين

ولو أن المقادير كانت سمحت بالمضي في هذا البحث (وقد كنت شرعت فيه سنة ١٩٢٧) لكان من المستحيل أن أعجز عن تقديم صورة من الوثنية العربية أقاوم بها السحر الذي تتمتع به وثنية اليونان. فهل أنتظر أن يكون بين طلبة كلية الآداب من يوجه همته إلى هذا البحث الطريف؟

هل أنتظر أن يكون منهم من يزحزح السدة التي تغافل عنها مؤلف كتاب «فجر الإسلام»؟

إن من القراء من يذكر أني نبهت الأستاذ أحمد أمين إلى هذه النقطة بمقال نشرته في جريدة البلاغ، ومنهم من يذكر أن بعض تلاميذ الأستاذ أحمد أمين دافع عنه يوم ذاك

والمشكلة مع ذلك باقية، وقد فصلتها في كتاب النثر الفني بعبارات نصح منها الأستاذ أحمد أمين، ودهش من سكوت الجمهور عما فيها من صراحة جريئة، وأشار إلى أنه تلطف بالسكوت حين نقد كتاب النثر الفني في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٤

أيها المرشحون للمباحث الأدبية والتاريخية

أنا أوجهكم إلى موضوع صدّتني عنه ظروف الحياة، وهو درس ما بقي في أذهان العرب من أساطير الأولين لتعرفوا شيئاً من رسوم الوثنية العربية التي حاربها القرآن

متى وصلتم إلى شيء عرفتم كيف كان العرب يتصورون الغيب والوجود قبل أن تظلهم راية الدين الحنيف، وبعد ذلك نعرف كيف كانت جاهلية العرب بالقياس إلى ما عرفنا من جاهلية اليونان

(للحديث شجون) زكي مبارك

حول نعيم الجنة

بين الحسية والروحية

للدكتور محمود علي قراعة

يحق لي أن أفكر ماذا وراء وصف الجنة من صورة النعيم تصوره
من ذهب مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار
مطردة بالخمر والعسل واللبن ، محفوفة بالنخل والرمان ، مزينة
بالحور العين ، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر . ولكنا إن آمنا بهذا كله ، فإنا أكثر إيماناً بأن
لذة النظر إلى وجه الله تعالى تفوق كل اللذات ، وأن لذة اللقاء
والرضى أسمى نعيم . وإنا نرى أن اللذات الأخرى الثانوية لذات
حسية تسمو بالروح أو لذات روحية معنوية تطربها ، لذلك قال
مجاهد في قوله تعالى « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط
والبول والبصاق والنخامة والمني والولد ، فارتفع بلذة الأكل
والشرب والنكاح من المستوى البهيمي إلى سماء الروح . وأنت
في حياتك الدنيا إذا جئت إلى مائدة فخمة ، فتحركت فيك
شهوة الطعام وسررت بألوانه المختلفة أمام ناظريك ، تستطيع أن
تضع على المائدة الأزهار والرياحين الجميلة ، ووجودها لا يذهب
الرغبة في الطعام ، بل يجعلها شريفة ويوجد حولها جواً روحياً
يسمو بها بعض السمو . ولذلك نرى الغزالي وهو حجة الإسلام
يجعل للأكل سنة اجتماعية منظمة ، فيرى أن من آدابه أن
يكثر الإنسان الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده وأن يغسل
اليد لأن اليد لا تخلو من لوث في تعاطي الأعمال فغسلها
أقرب إلى النظافة والنزاهة ، ولأن الأكل لقصد الاستعانة
على الدين عبادة ، وأن يبدأ بسم الله في أوله ويحمده في آخره
ولا ريب في أن القصد من هذا السمو بلذة الأكل وإحاطتها
بأجواء روحية تخرجها بقدر الإمكان من ماديتها . فإن قلنا بروحية
اللذات في الجنة وبأن الحسي منها يحوطه الإشعاع الروحي ، فإنما
إنما نعبر أصدق تعبير عن روح الإسلام (ولو كره الأستاذان
جبريل وحمدان) . وكذلك يمكن القول عن الصلة بين المرء
وزوجه ، فما يمكن تصوره عن الصلة البهيمية والتماس الصلة النفسية
الروحية ، أم أن الصلة النفسية الروحية هي الأسمى وما عداها
تبع ؟ ثم لماذا ينكر حظ الإشعاع الروحي ؟ ما نقول بأن
السمو الروحي للذات الحسية بحرصه أن كل شخص لا يمكن
أن يتعدى درجته من النعيم ، فرضوه بأنه لن يتعدى درجته
لأن ما حوله من سمو يهيئ له السمو الروحي للدرجة القدرية له
هيأها إلى جانبهم المستقر فيهم ، لأنه لم يقل أحد بتجديد المعنى
وإن كنا نختلف في درجات النعيم ، فكما أنك في الدنيا لك أن
تستعمل ما يمكنك في كل أوجه الاستعمال إلا الاستعمال الشاذ الخارج عن القانون
أو الذي فيه إساءة لاستعمال الحق أو التعدي على الغير ، فأقل ما يتصور
أن يكون كذلك في الآخرة ، لا تحد من استمتاعك إلا بحد هذا
الاستعمال من حد السمو الروحي الذي يشع على المؤمنين . ثم إنه
بعد الموت لا يمنع أن أتمتع بكل ما أستطيع من النشوة
الروحية ؛ لأن السمو ليس الصعود في شوط بل الرقي من درجتي ،
ثم إن الذي يحدد هذه الدرجة هو معرفة الله ، فبقدر معرفته
سبحانه سيكون درجات النعيم ، وبقدر معرفته سبحانه سيكون
اللذة . ولعل الذين ينكرون هذه الفكرة ، يجهلون قول الغزالي
إن من شرف النفس أنها كلما قل اشتغالها بالبدن انبسطت
وأعطت قواها ، وأنها كلما ازدادت بعداً عما علقت به ، ازدادت
قوة على ما هو أعمق وأرحب ، فلا هي تنحصر ولا الأمر ينتهي
ولما رأى الغزالي أنه على من أراد أن يخرج من عالم الحس ويرجع
إلى ذاته ، أن يعمل على ركود حواسه الظاهرة ليقوى على أن
يحس بما لا يقع عليه الحس ، فإذا فهموا معنا أن النفس الإنسانية
كما قال الغزالي ليست جسماً ولا جسمانية بل هي جوهر مجرد
(أي ليست قوة جسمانية حالة في المادة ولا حساً بل ولا مكانية
لا تقبل الإشارة) متصرفة في البدن تصرف التدبير من غير أن
تكون داخلة فيه بالجزئية والحلول ، استطاعوا أن يخرجوا مثل
مينا موريس إلى العالم العلوي (إن هنا موضعهم) وأن يسمو
مع أرسطو وأفلاطون إلى مرتبة خروج من البدن كأنهم مجردون
لا أبدان لهم ، فيرى نفسه داخلاً في ذواتهم خارجين عن سائر
الأشياء ، ويروا في موضعهم المتحررة من أثقال البدن أنواراً من
الحسن والبهاء ما يعجب ويرون أنهم من الملأ الأعلى الأسمى

الشريف وأنهم ذوو حياة مقدسة كما قال العلامة مسعود التفتازاني فيجمعون مع الصوفيين أن كل المخلوقات بأسرها مظاهر صفات الله وطريق إلى القرب منه وزيادة معرفته. فإذا ما جمعوا معنى عند جمالا لا يخطر عليهم في أن يعرض لهم شك أو خوف السمو بأرواحهم وأسمى مثل هو مثل الصور الجميلة الآدمية وهي حيث تدعو الكثيرين إلى أخس أنواع اللذات الحسية ، ولكنهم هنا سموا السمو الذي ذكرنا ، فإنهم يصلون إلى حب أن هذه الصور موصلة إلى معرفة معانيها ، وما معانيها إلا إدراك قدرة الله تعالى وعظم شأنه وجليل جماله ، فهذا أجمل المخلوق صورة آدمية جميلة فهو لا يناجيه عن اللذات وإنما يناجي خالقها المبدي جماله ومظاهر قوته في معانيها . وقد عد ابن الفارض يقرر في تائيته الكبرى أن حسن كل مليح وصبحة مظهر من حسن الذات الإلهية ، وأن قيساً حين هام بليلى ، وأن مجنون ليلى حين هام بليلى ، وأن كثير عزة حين هام بعزة ، وأن كل العشاق حين يهيمون بمعشوقيهم لا يهيمون بهم على الحقيقة ، وإنما هم يهيمون بالذات الإلهية التي صورت تلك الصور فأحسنت خلقها ، وأن الله جميل وأن تلك الصور الجميلة المختلفة وإن تعددت إنما تعبر عن معنى واحد وهو الجمال الإلهي ، وأن العشاق جميعاً يتصوفون تحت لواء لأنهم جميعاً يعشقون معنى واحداً . ويصف أن ذكر في شعره شهود الصفات الإلهية كما رأى حسناً وكلما سمع صوتاً حسناً ، فتشاهده فكره بطرف تخيله ، ويسمعها ذكره بسمع حقيقته ، فيهتز في ظاهره ويطرب في باطنه ، ويرقص قلبه ويسمو روحه ، ويرى الله في معاني الحسن والجلال — حرج من ذلك إلى أن الإنسان يدل لله على أرضه لأن فيه معنى من معاني جلال الرب وكما أن من شاهد نفسه في المرآة عرف له صورتها ، وأن من تكلم ما أمكنك التصور سمع صوت نداء ، فكذلك كل مظاهر القوة والجمال في هذا العالم تنم عن المعنى الإلهي الذي أودعه فيها . فالعبد على هذا إذا ناجى ربه فإنما يناجي ذاته وشهوده ، والرب إذا ناجى عبده فإنما يناجي خلقه وصنعه ، فالصلة بين العبد وربه إذن صلة موجود وموجد ، وما دام الموجد أصل الموجود وهو الموجود لا يوجد إلا بهذا الموجد فالعبد عند معرفته نفسه ووقوفه على سرها ورمزها إنما يعرف في ذلك ربه . والصورة الجميلة على ذلك تبعث وتحبب وإنما تصعد

وإذا سمعوا بها ، فإنما يهيمون بها ويناجون ويعشقون فيها المعنى الذي مثل مصدره السماوي الخفي . وإن أردنا أمثلة أخرى على ما يجعلونه كالمطالب ممثلة الجمال والمعنى والتأثير ، ومتابعة الخيال ، فيصح أن نقول إن الذي يشدو هو الحياة في الصوت ، حياة ، عنها وحياة سعيدة والحياة في الحديث والحنان في الابتسامة ، وأن نغمة الروح التي تحبب إلينا الجميل ، تحبب إلينا حديثه فنحسه محلقاً حاوياً قلوبنا ، وتبعث إلينا نفحة تنوير عينيه ، وترسل إلينا نغمته إحساسه وأنها نفحة روحية تريد الشوق إلى نغمتها المحسوسة بنفسها وتلك البهجة والتقديس بها للنغم طرباً بها . وأحب بعد ذلك من هؤلاء المسلمين أن نحول إليه في كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه جولة قصيرة لنقف أمام قوله : « وقد ظن قوم أن كمال الإنسان وغايته هما في اللذات الحسية ، وأنها هي الخير المطلوب والسعادة القصوى . وظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه من أجل هذه اللذات والتوصل إليها ، وأن النفس الشريفة التي سميناها ناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأعمال ويميزها ويوجهها نحو هذه اللذات لتكون الغاية الأخيرة هي حصولها على النهاية والوجه الجسماني . وظنوا أيضاً أن قوى النفس الناطقة أعني الذكر والحفظ والروية كلها إنما خلقت لذلك ، قالوا وذلك أن الإنسان إذا تذكر اللذات التي حصلت له بالطعام والشراب والنكاح ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، فقد صارت منفعة الذكر والحفظ إنما هي اللذات وتحصيلها ، ولأجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد المهين وكالأجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية ، المحصلة للمآكل والمشارب والمناكح ورتبتها لها وخدمها إعداداً كاملاً موافقاً . وهذا هو رأي الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس السقاط . وإلى هذه الخيرات التي جعلوها غايتهم ، تسوقوا عنده ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل وهي التي يسألونها ربهم تبارك وتعالى في دعواتهم وصلواتهم ، وإذا حضروا العبادات وتركوا اللذات ودعوا فيها ، فإنما ذلك منهم على سبيل التجر والمرابحة في هذه بعينها ، كأنهم تركوا قليلها ليصلوا إلى كثيرها ، وأعرضوا عن الفانيات منها ليصلوا إلى الباقيات ، إلا أنك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الآمال إذا ذكر عندهم الملائكة والنفس الأعلى الأشرف وما وصفهم الله عنه من صفته

القدسيات . فعلموا الحق أنهم أقرب إلى الله تعالى وأعلى رتبة من الناس وأنهم غير محتاجين إلى شيء من حاجات البشر ، بل يعلمون أن خالقهم وخالق كل شيء الذي تولى بتدبير الشكل هو منزه عن هذه الأشياء، متعال عنها غير موصوف باللذة والتمتع مع التمكن من إيجادها ، وأن الناس مشتركون في هذه اللذات للخنافس والديدان وسائر الحشرات والهمج من الحيوان ، وإنما يتأسون بملائكة الفعل والخير ... » وبعد ذلك وضع لنا أساساً سامياً نبيلاً في تقدير اللذات ، وأن أعلاها ما كان روحانياً . ثم حمل معنا إلى أن نصل إلى قوله : « إن الإنسان ذو نفسية روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة ، وذو نفسية جسمانية يناسب بها الأنعام لأنه مركب منها ، فهو بالخير الجسماني الذي يناسب به الأنعام مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة يعمره ويصلحه ويرتبه حتى إذا ظفر بهذه الرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي وأقام فيه منغمساً سرمداً في صحبة الملائكة والأرواح الطيبة » . ثم تراه يقرر أنه ليس معنى ما نسميه المكان الأعلى في الحس، ولا السفلى المكان الأسفل في الحس ، بل كل محسوس فهو أسفل وإن كان محسوساً في المكان الأعلى ، وكل معقول فهو أعلى وإن كان معقولاً في المكان الأسفل . ثم تراه يذكر لنا أن للحس لذة عرضية على حدة ، وأن للعقل لذة ذاتية على حدة ، وأن من لا يعرف اللذة الذاتية لا يعرف اللذة الحقيقية ولا يلتذ بها . وهو يسمى اللذة الناقصة التي تشاركنا فيها الحيوانات لذة انفعالية، ويسمى التامة التي تختص بها الحيوان الناطق لذة فعلية أي تامة ، ويعتبر اللذات الحسية المقترنة بالشهوات عرضية لأنها تزول سريعاً وتنقضي وشيكاً بل تعقبها [illegible] غير لذات بل تصير آلاماً كثيرة أو مكروهة بشعة مستقبحة ، أما اللذة الذاتية فليست كذلك لأنها لا تصير في وقت آخر غير لذة ولا تنتقل من حال بل هي ثابتة أبداً . ويخرج من هذا فيحكم بأن السعيد مكون لذاته ذاتية لا عرضية، وعقلية لا حسية، وفعلية لا انفعالية، وإلهية لا بهيمية . ثم يحدثنا بعد ذلك عن الجوهر الإلهي الذي في الإنسان وأنه إذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم يجذبه أنواع الشهوات وأصناف محبة الكرامات ، اشتاق إلى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذي لا تشوبه مادة، فأسرع إليه وحينئذ يفيض عليه من ذلك الخير الأول [illegible] لذة لا تشبهها لذة ويصير إلى معنى الاتحاد ، فليس الطبيعة البدنية أم [illegible] فيهما . إلا أنه بعد مفارقته الطبيعة بالكلية أحق بهذه الرتبة العالية لأنه ليس يصير الفعل التام إلا بعد مفارقته الحياة الدنيوية ، مجرى من غير احتياج للحاجات الروحية في الدنيا ، وهو بلا ريب في الآخرة أعلى وفي الجنة أولى ، فأحسب أنا إذا ذكرنا الحور العين مثلاً وأنهن كما ذكر القرآن قاصرات الطرف أتراب من الحور والعين مقصورات في الخيام، وإذا ذكرنا أنه يطاف على المؤمنين بصحاف بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين وأن الذين يطوفون عليهم ولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون في نعيم أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر (كما جاء في القرآن في سورة الرحمن والواقعة وغيرهما) أحب أن يكون فهم الله هذا كله ، وكرامتي تقديسي خلق هذه الصور وهذه الجنات وهذه الأنهار ، وفهمي أن اللذة الروحية التي يتمتع بها المؤمنون من كل هذه هي أسمى مما يتصوره بعضهم من أن المقصود هو أن يستمتع المؤمن بكل هذه الحور وأنه يرزق قوة عجيبة إذا دنا على جماع، ولا أنكر أن يكون هذا في الجنة لأنه لذة وإن كانت لذة حسية إلا أنها لذة [illegible] والرغبة فيها . ولكن الذي أنكره وأستكره كل سوائي أن يكون هذا الأساس الذي هم أهل الجنة أو أن يفهم بعضهم من ذكر القرآن للنعيم المقيم الذي سبق أن ذكرناه وطرحنا فيه بعض العلماء ، وأرى أن أسمى جزء في التمتع هو التمتع الفكري الروحي ، وأن يكون المؤمنون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الله الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لهم فيها كل ما يشتهون ، وأنهم كل يوم بفناء العرش يحضرون ، وأنهم ينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان . هذا وقد ذكر الأستاذ داود حمدان البعث والنشور والرأي أنه سواء أكان بإيجاد المعدوم في الشكل أو جمع ما تفرق من الأجزاء ، أو إعادة ما تفرق بدانه من الأجزاء ، وتأليف ما تفرق منه ، فإنه إذا أصبحت في الآخرة فلا بد أن يصحب الله تعالى في سماء أخرى مستعدة للبقاء غير قابلة للفناء مهيأة لما يشاء من النعيم أو العذاب، ومكونة الأرواح فيها غرائب الأحوال ولا بد من جنس أرواحنا كما ذكر ابن القيم، وإن جميع الإدراكات من

سمع وبصر وقد وأنه لا يكون متحيزاً في موضع البدن كما هي في نشأة الدنيا بل يوصف كل جزء بأنه سميع بصير متكلم مما لا تشتبه نشأته « ومتكلم بما لا يعلمون » وبعني « كما بدأنا أول خلق نعيده » ثم أعيد أول خلق مماثلاً لهذي حالته والتشبيه يقتضي المغايرة كما ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي في كتابه أحكام الروح ص ٨٩) فهذا لا ينافي إعجاز القدرة الروحية وكذلك ذكر الأستاذ عوض رؤيته تعالى، والرأي أنه ليس سائرة لا ترى ولا يحس إلا بعيون عوضية وعلى لأنه باستعدار الرأي كما نبه الألوسي عن بعض المحققين في تفسير قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » أنه إذا رفع الحجاب بينه تعالى وبينهم ينظرون إليه وينظر إليهم عز وجل وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ضرورة سبحانه لكن لا من حيث ذاته المقدسة ولا من حيث كل تجل حق عليه بنوره الشامل الذي لا يطاق ، بل يتجلى بما يطاق لهم وملائم لاستعدادهم وأن هذا الحجاب (كما ذكر أستاذنا مخلوف في أحكام الروح ص ٢ ١) غير الحجاب المشار إليه في حديث « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه (أنواره وجلاله وعظمته التي منها خر موسى صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى عليه) كل شيء أدركه بصره » فلا معنى لرؤية ذاته تعالى عند المحققين إلا رؤية سحابة حجاب التحول والتجلي) كما أنه لا معنى لرؤية ذواتنا إلا رؤية أنوارنا وأسرارنا ، وهذه لذة روحية عند من يعقلون الروحانيات جعلنا الله رجال روح ، وغشى في الجنة على ... وشفوقاتها نعيم روح أبدي سرمدي

[illegible]

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ خليل

وصف الفرزدق (٣) « الفرزدق واسع الحيلة ، حسن الملاحظة ، جيد القصص ؛ وعنده الرؤيا أهم عناصر الوصف في الشاعر ، وهو أميل إلى الأسلوب القصصي في الوصف ، ولو توسع في كل ما يتناوله من المعاني على سبيل التشبيه أو التخييل أو الاستعارة أو توسع في قصصه ، لخلف للأدب العربي صوراً من أروع الصور الشعرية »

ذلك ما قال الأستاذ في الشعر الوصفي الفرزدقي ، وقد روى له في هذا الباب أشياء محكمة ، وأشار إلى غيرها مما تركه في الديوان . ومما روى له قوله في سفينة :

وساجرة قد غودرت وكوبها ... وما كسبت وكأنما حين ترحل

مواقعها أيدي الرجال إذا انتحت ... وتحمل من فيها سوداً وتحمل

إذا ما تلقى الأوذيّ شقها ... لها جؤجؤ لا يستريح وكلكل

إذا رفعوا فيها الشراع كأنه ... قلوص نعام أو ظليم شمردل (١)

وقوله في أسد :

ورد السراة من سود ملاغمه ... عاصي القرين لا يبكي الخمر (٢)

كأن عينيه والظلماء مسدفة ... على فريسته ناران في حجر

كلب ضبارة مأكل له ... بالزعفران ورد في غير حضر (٣)

وقوله في سفينة يحلف بها جريراً — ويروي الأستاذ منه سبعة أبيات —

بعيدة أطراف الصحوح كأنها ... وكية لقهر المشبهة بالرحل

إذا نظر الأسوف فيها تقلبت ... حماليقهم من هول أنيابها الثعل (٢) !

إذا ما رأيت الشمس ظل طبيبها ... كريماً عند الليل تختنق العقل !

يود لك الأدنون لو مت قبلهم ... يرون بها شراً عليك من القتل !

وقوله في الذئب

تدارك شيب في السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم !

وأبياته في الذئب مشهورة مستأنسة

* * *

تغزل الفرزدق (٤) « غزل الفرزدق على ما فيه من جفاء أحسن ما قال من الشعر ، فهو الذي يكشف عن طبع الفرزدق أخلاق ونفسه الطامحة المسرعة إلى اللذة ، وهو غزل شهواني قد خفيف فيه الخور والعيوب ، وعاطفة الفرزدق فيه حسنة ، وله غزل يقص فيه حوادثه الغرامية ، وقد يصف الحوار الذي يدور بين أشخاص تلك الحوادث ، ولا سيما النساء ؛ وبعض هذا الغزل أشبه بالقصص المروي لامرئ القيس »

وقد أورد الأستاذ أمثلة كثيرة من أقوال الفرزدق ، ستين بيتاً في غزله — من ذلك خمسة وعشرون بيتاً — من القصيدة التي مطلعها :

ألا من لشوق أنت بالليل ذاكره ... وإنسان عين ما يغمض عائره !

والمختار مما أورده (الكتاب) هو

يحاربه ، إن شعرت ليلة التقى ... فكل دوني أنت (يحارب) ثائره

ومما روى الأستاذ

وأنت ناجية من سالمة ، إنني ... أخشى عليك بني ، إن طلبوا دمي

---

(١) وكيا النهار : [illegible] ، الصلح : [illegible] (اللسان)

(٢) [illegible] (الصحاح) الأسوف : الأطباء

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل ، وفي الأصل : من النعام [illegible] ... وإن كان القلوص بفتح القاف كما ضبط الأستاذ الشاعر لا بالضم كما جاء في طبعة الصاوي . الشمردل : القوي الفتي الجليل (اللسان)

(٢) الملاغم : ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه (اللسان) وفي الأصمعي : تلقت الرائحة الطيب بجسمه على ملاغمه

(٣) [illegible] — بكسر النون وضمها — : تسبغ (عصر ، يجمع الكسر ، وهو قليل ، عصر الدر بما يعصرها عصراً إذا كسرها ، وأمالها إليه (عصر) الكسر الأسد الذي قد اتخذ الأجمة عريناً مثل المفترس في الزمان الأول . . .

وكنت في كدنا باث طارب … كعادي مطفئاً إليك بمسم
هل له كريم إذا الركاب مناخة … وحماً لرواح أهل الموسم !
إذ نحن نخبر بالمواصب بيننا … ما في النفوس ونحن لم نتكلم
ولقد رأيتك في المنام ضجيعتي … وكأن من شنبيك أطيب مطعم

منع الحياة من الرجال ونفعها … حدق تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا … حدق النساء لنبلها أغراض

وفي (ديوان المعاني) في (ما قيل في شعبان ورجب ورمضان وشوال) فنه من الفرزدق وأجاد في ذلك

إذا صمت عن الشهر شهراً تحركت … أراجيب بالشهر الذي أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيد بيننا … لكي يلتقي مظلوم قوم وظالمه
فإن شاقني شوال تشفل في أكفنا … كؤوس عادي الشفق حين نسائله

ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق وإذا لم تكن هذه الأبيات لمن نسبت إليه فمن قائلها ؟

وروى البحتري له أبياتاً في الشيب والشباب في حماسته منها

فلم أر كالشباب متاع دنيا … ولم أر مثل جدته ثيابا
ولم أر مثل الشباب بغير يوماً … به شعر من الحيين شابا !

* * *

قال الفرزدق في الأدب والحكمة و «الفرزدق في الأدب والحكمة» مختار من الأبيات يشتمل بعضها على رأي صحيح أو حكمة حسنة ، أو قول يمتثل به ، وهذا الضرب يمثل الروح العربية في أدبه وحكمه .

وروى الأستاذ للفرزدق جميع الأبيات الآتية

لا يحسبك دنيا أنت تاركها … كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا
يفنى أخوك ، فلا تلقى له خلفاً … والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ألم تعلموا أن آل طوعة أهلها … جميع حلالات الأمور دهيمها

موارس تأتيني وتحتقرونها … وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

والإناء في طبعات الأغاني والكامل ، وطبقات الشعراء المحققين ، والإعجاز والإيجاز الثعالبي . ورواية (الأنا)[1] أقرب إلى الفرزدقية

(١) الأنا : كل مجموع فيه أنا (المعجم)

فكان كعنز السوء قامت بظلفها … إلى مدية وسط التراب تثيرها[1]
وكنت كذئب السوء لما رأى دماً … بصاحبه يوماً أحال على الدم

من هنا أخذ صاحب (الروميات) القائل

وأنت سيوفك ما يهواه يصحبه … وأسمع الناس ما يختار يرضيه
وأكثر الأنس مثل الذئب تصحبه … إذا تبين منك الضعف أرهقه

وبيت الفرزدق من سواهد الصحاح والأساس والتاج وغيرها وفي اللسان « تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول هذا رجل السوء . قال الفرزدق[2] »

فقد تلتقي الأحياء في الناس والسكن … كثيراً ، ولكن لا تلاق الخلائق

هذا البيت في ثلاثة أبيات ذكر المنقدي منها اثنين « قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ؛ وذلك كما قال صديق مولانا القريب ، وأنى عنه التسيب الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : إنزل على أبي نعيم قتيبة حسبه ابن غارق بملالاته فإذا هو آخر ، وذم قرئه وجواره ، فقال :

سرتحلت سرتين ليلها فوافقت … أبا حسن ليس الذي هو خارق

وقد تلتقي — و (تلاق) إنما هو حذف إحدى التاءين تخفيفاً ، وفي البيت — والحالة هذه — إكفاء أو إقواء ، وإنما يعمد صاحب البيت فيه ضرورة ، وفي (شرح النهج) لابن أبي الحديد « ولكن هجروا في الخلائق » . ورواية الأستاذ المرصفي والبغدادي أصح

وروى الأستاذ لأبي فراس من معلقاته :

أحلامنا تزن الجبال رزانة … وتخالنا جناً إذا ما نجهل !

(١) في شرح التبريزي كالعنز تبحث عن المدية ، هذا مثل العرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة فبحثت بظلفها فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا . بحث عن حتفه بظلفه فصارت مثلاً . وهلك للتاعس . وكانت كعنز السوء .

(٢) ولا يقال : هذا رجل السوء أو رجل سوء بالضم لأن السوء اسم للضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذي هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن فيقوم مقام قولك ضراب وطعان (اللسان)

قال الآمدي في (الموازنة) — ورأى لأبي تمام قوله على ما يجنا من حصومة قديمة — — : « أنكر أبو العباس قول أبي تمام :

وجري حواشي الحلم في أي حلمه ... يكفيك ما عاريت في أنه برد

وقال : هذا الذي أضحك الناس منذ عصره إلى هذا الوقت والخطأ في هذا ظاهر ، لأني ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والرزانة ، كما قال الأخطل

شمس العـــداوة حتى يستقاد لهم

وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[1]

وكما قال الفرزدق : أحلامنا — ومثل هذا كثير في أشعارهم . ألا ترى أنهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ؛ وقد خف حلمه

ونسب أبو تمام في الحماسة إلى الفرزدق هذين البيتين :

إذا ما الدهر جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا : أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

وعن العلاء بن برذة قال الفرزدق : « قيل للفرزدق مالك والشعر فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعة شاعراً ، فمن أين لك هذا ؟ قال : من قبل خالي . قيل : أي أخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظة الذي يقول : « إذا ما الدهر — ؟ »

وفي (ديوان الحماسة) في باب الحماسة مقطوعة — ثمانية أبيات — للفرزدق ، واختير له في باب المديح والأضياف ستة أبيات جيدات . يقول فيها واصفاً قدوره التي بعث بها إلى ضيفه :

قصوراً كجرثوم النعامة أحشت

بأجواز خبت زال عنها هشيمها[2]

(1) يقول الخطيب في (الإيجاز والإعجاز) : الأخطل أشعر قوله : شمس ... وفي الأغاني : قيل لأبي العباس أمير المؤمنين : إن رجلاً شاعراً قد مدحك فاسمع شعره . فقال : وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النصرانية في بني أمية : شمس العداوة .

(2) جعل قدورها عنقاً لها ، جرثومها : صدرها ، إحلال الخلل : [illegible] (العبري) ، وفي الأصل ، « وصحح » البيت — قيل للفرزدق : وما جرثوم النعامة ؟ والله ما يحسن الفرزدق ، ولكني أقول ، [illegible] أخذت قلباً ترى [illegible] فيه خلاياها لم يحصل ...

وروى الأستاذ الرزدي للفرزدق هذا البيت :

أترجو ربيع أن تجيء صغارها ... بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

ونسبه أبو تمام في الحماسة إلى شبيب بن عبد الله ، وليس من مقطعات الفرزدق

وروى أبو تمام في باب الهجاء للفرزدق الأعرج في ابنه منازل مقطوعة ، نسب بعدان الدهان .

وربيته حتى إذا ما تركته

أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت

يداك يدا ليث فإنك ضاربه

والبيت الثاني للفرزدق في مقطوعة في ابنه لبطة ، وكان في المقطعة (واستغنى عن المسح شاربه) من بيت في المقطوعة .

قالوا : كان فرعان من اللصوص ، وهو سرق المال الذي تركه المال أو نحوه[1] إذ روى الأصمعي[2]

ولم يرو أبو تمام في الحماسة للأخطل شيئاً ، وروى لجرير ثلاثة أبيات في رثاء ابنه سوادة ، ولا يدل ذلك على أن ليس جرير جريراً ولا الأخطلُ الأخطلَ

يقول الأستاذ : « وللفرزدق ضرب آخر : فيه زهد ونسك وروية ووعظ ، وإقرار بالذنب وزجر للنفس ، وهذه الضروب تمثل الروح المتأثرة بالدين ، وهو في كلا الضربين — في هذا وفي شعره في الأدب والحكمة — يمثل الشاعر الإسلامي في عصر بني أمية خير تمثيل للروح المتأثرة بالإسلام ، من ذلك قوله

ألا كل شيء في يد الله بالغ ... له أجل من يومه لا يحول

وإن الذي يقضي به الله صانع ... ولكن سيجزي الله من يتوكل

يجيء ما يجني على الناس قومه ... ببال وأثم على الناس دوك

ويجيء إليك الشيء الذي متحامل ... بذلك علام به حيث يسأل

وروى الأستاذ لأبي فراس أربعة عشر بيتاً من قصيدة

(1) أو نحس ، وذلك أن تقول أو نحس ، على ثلاثين كما قال سيبويه وقال ابن جعفر في شرح الشذور « ولا يجوز بعده شيء منها — من مثل — من نحو المنسوخة لأنه لا فعل له » والصحيح أن له فعلا

(2) [illegible]

حتى أطلي من بزيته وجها إبليس ، فهو مثله

وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغي رضاه ولا يقتادني بزمام[1]

سأجزيك من سوءات ما كنت سقتني

إليه جروحاً فيك ذات كلام

تزيدها في النار والنار تلتظي عليك زموم فوقها وضرام !

وقد استط أبو فراس بهذا القصد عند الإمام على المصري فقال له ، من هو؟ إبليس لعنه قال : لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لنفسي أو لأعرض مأمول الناس في حبس ينهى عن عجزه إبليس

قال : اسكت ، فإنك بلسانه تنطق ..

قال الأستاذ : والعروضي شاعر لا تدخل بحث باب من عده الأبواب ولكنها ذات دلالة على أنه على ورأى على حياة العروضي الخاصة

(١) إبليس لم يحرم لأنه أعمى صرفه في ورع عداد عن ١٣ الصفحة (٩٢) ١٠ ماومنه - يعني كتاب حيل — الإبليس ، قال الذي وصفه عشق إبليس من إبليس ؟ وله أوصف هذا البناء الرقاق ذكره كتب لنا) كما مرلة حسنة تحتاج إليها كثيرا

وحيلة عيطه ؛ وأشار إلى أشياء من هذا قال ويروى أبياتاً للعروضي يشكو فيها إلى الوزير بن عبد الملك مور حاله ومعائشه :

أمير المؤمنين وأنت تشفى من بحديث أدواء الصدور !

فكيف سامن يحمي عليك يكلفنا المرواح و السكير

وأنى بالمرواح وهي منا كرامع راحبه إلى الصدور[1] !

ألم تسمع الخليفة صوت داع ينادي الله على في من مجير !

وأصوات الصبية معرات وصبيان على حل الحجور !

يدين لأعيني نبال داع لدى الله مقصاب منصور !

(... الإسكندرية)

* * *

* * *

جاء في مختصر الجزء ١٩ ، ٢٠ ، ٩ علق أن الأرجوزة شرح الفن ومن الأحق أن ابن عبد ربه في ... [illegible] ... وربما قطعه إذ عطل العصر بخلفه ... [illegible] ... يجمع عليه معطا

وجاء في الجزء ٣٢ والظر ... وقصيدة والصواب عنه كما هو ماهش

العمري المورد

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الإسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أنا الفنان ليلك ... مناديلي وسعديك
إذا لامست مصباحي ... أتى بي لمس كفيك
كأسرع خاطر يسري

الشعر للأستاذ توفيق الحكيم وفيه لحن من صنعة علاء الدين أحد أبطال قصة ألف ليلة وليلة

حدثنا أبو الفرج قال: الخطاب في هذا الصوت موجه إلى وزارة المعارف، وكانت قد عهدت إلى طائفة من كبار الأدباء بتلخيص الكتب الشهيرة المطولة، فلما كان موعد بحثها عن الأديب الذي يصلح لتلخيص ألف ليلة، رأت أن الكتاب ذو جانبين: جانب يحتاج إلى تعميق علمي وجانب إلى روح فنية، ثم تركت البحث عمن تتوفر فيه روح الفن حتى وقع نظر وزيرها السابق هيكل باشا على المصباح الأخضر

قال: والمصباح الأخضر هذا هو المصباح المسحور الذي كان علاء الدين قد وجده في كنز مرصود دله إليه الساحر المصري. وكان علاء الدين لا يزال طفلاً غبياً، وقد عرف الساحر أن الكنز لا يفتح إلا على يدي غبي أبله مثله وقاده إلى الخلاء ثم أطلق البخور وقرأ التعاويذ ففتح الكنز، ودخل علاء الدين وأخذ المصباح، وكان الساحر يريد أن يأخذ المصباح منه وهو بداخل الكنز ولكن الصبي كان مرهفاً في الرأي فأبى تسليمه حتى يخرجه، وغضب الساحر فأغلق باب الكنز وترك علاء الدين

وكان مع علاء الدين خاتم أعطاه إياه الساحر من قبل، فلما مسحه جاء خادم من الجن موكل بطاعة من يحوز الخاتم، فطلب إليه علاء الدين أن يفتح الكنز ففعل، ثم عاد إلى منزله ومعه المصباح

ومسحت أم علاء الدين ذلك المصباح لتجلو الصدأ عنه، وكان للمصباح أيضاً خادم للمصباح وهي لا تعرف ذلك، فلما جاء الخادم ولم يرد يأمر بأمرها وجعل المستحيلات من أعماله ومن أعمال علاء الدين حتى غصب المصباح منه آخرون

قال أبو الفرج: وكان آخر من عرف قصة المصباح أهل الكهف حتى في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، وكان من قبل وجيئاً علاه الصدأ واستحال على مدى العصور إلى مصباح أخضر

قال: ويظهر أن أهل الكهف كانوا قد طلبوا إلى خادم المصباح أن يوقظهم بعد ثلاثمائة سنين وتسع ولكن هذه مسألة لا ينبغي أن نماري فيها إلا مراء ظاهراً ولا نستفتي فيها منهم أحداً

قال أبو الفرج: فقد وضع الأستاذ توفيق الحكيم قصة «أهل الكهف» زار الكهف الذي رقدوا فيه ونقل منهم كما نقل كبر الكلب والصبيين من شعاب المناطق في جوها وبيئتها، وكما نقل هيكل باشا لما حج قبل أن يكتب السيرة. قال: فوجد الأستاذ توفيق الحكيم ذلك المصباح في الكهف وأراد أن يجلو الصدأ عنه فجاءه خادم المصباح فإذا هو خادم يجمع الشعر حيناً البرهة ويكتب ما يكتب تحت ضوء المصباح الأخضر

فلما وقع نظر الوزير الأديب هيكل باشا على المصباح مسحه هو أيضاً، ولكن لم يظهر له العفريت خادم المصباح بل ظهر له الأستاذ توفيق الحكيم، فعهد بمسألته إليه أن يراجع كتاب ألف ليلة وليلة، فأنشد بين يدي سائليه هذا الصوت

أنا الفنان لا أهوى ... لعيني ما لها قلب
أنا الفنان لا أهوى ... لنفسي ما به حب
بنفسي أخي مصباحي ... وتسقط دونه الحجب
وسر الغيب في المصبا ... ح وكالحلم لا نعبو
فكيف أدركت سري

بنو إسحاق حيناً ... سلطان في داره
فهل عندي الذهب ... كأسلافي وتجديدي
بنيت الصرح من ماء ... كريم غير مورود
ويحترب له الريح ... بتبديلي وتبديدي
وعلى متعلق الطير

وبث إليه من سبأ ... بأسرار وأنباء
فلما استنظر الهدهد ... أتت له بأنبائه
فكلت العرش والتاج ... إليه وجئت حواء
وإبصارك الجنة ... فيه غير إيحائه
أهدي ثمرة السحر

فلما صاح مصباحي | تحطم كل ما صنعت
مضى في رحلة لله | وصمت الكون أو كنت
وحال الحلم عن الفجر | بأني بعـــده صب
ولو حـــلا عنوق | على الدنيا لما خفت

فوق آخر البحر

أنا الفنان لا أرجو | إذا ما شاع مصباحي
مآمالي وأشجاني | وأحزاني وأفراحي
وما أخشى وما أرجو | معلقـــة بأرواح
بأرواح حبيبات | تماء ضوء مصباحي

فذلك كله سري

قال: وهي قصيدة طويلة جداً، وزعم أنها منقوشة على مصباح علاء الدين وأن عفريت من الزجة والشياطين بأنهم أسماء مترادفة لكلمة الفن فهو الذي جن الناس

. . . . كلا وأن عفريتاً من صنع الجن

قال الأستاذ توفيق الحكيم: وقد راجعت اشتقاق كلمة الجن في جميع اللغات فوجدت [illegible]

والجن معنى واحد في كل لغة، فالعرب يقولون عبقري ومكان الجن عبقر، والأوربيون يقولون «جني» و «جينيس»، وليس من الصعب التامة لذلك أن يعلو المرء كأنه نائم، فلعله يكون قد مضى حيناً من الدهر مع أهل الكهف. وعلى زيارة الكهوف بالأمر الذي يسهل حدوثه ولا يأتي لا يقرأ على الطريقة العامة طابع النوم العام

وحدثنا الدكتور حسين فوزي قال: لقد أخطأ الكثير من النقاد في فهم كتاب أهل الكهف للأستاذ توفيق الحكيم فعده البعض عربي الأصل لأن القصة وردت في القرآن الحكيم وعده البعض مسيحي الأصل لأن القصة مروية من قبل في أساطير المسيحية! وهي في كتاب الله العزيز رمز مصري يشير إلى قدرة الله على البعث، وهي في الأسطورة المسيحية ذات مغزى تشير إلى معنى آخر. قال: ولكن القصة كما يرويها الأستاذ توفيق الحكيم ذات لون آخر، فهي غير منظور فيها إلى هذين المصدرين المذكورين وإنما مصدرها كتاب الموتى الفرعوني

قال الدكتور حسين فوزي: وإن قصة أهل الكهف للأستاذ الحكيم ليست إلا بعثاً جنائزياً وإنما حياة الفنان المحروم من نعمة الآخر هي بين يديه غير أحد، لأنهم قضوا، وإنما بعثت هذا

الأم فقدان الصديقة التي لم يجد مثال وفي [illegible] الناس صديق حين سوء عدو مرأة؛ وما كان الفنان ليكون [illegible] الأصل عبقري العامة: «من جهل أمراً عاداه».

وحدثنا الأستاذ اسماعيل أدهم قال: [illegible] لقد بحث الدكتور بشر فارس في تحقيق علمي على طريقته الخاصة تاريخ مولد الأستاذ توفيق الحكيم وزعم أن التاريخ الصحيح هو الذي ذكره الحكيم نفسه والذي أجمع عليه الناس، ودلت عليه الأوراق الرسمية. ولقد شهد الدكتور بشر فارس بذلك على نفسه أنه غير جدير بالمكانة التي هو فيها من العصر الحاضر. إنني ما حددت مولده تاريخاً غير تاريخ مولده إلا إشارة ورمزاً حتى لأنه من أهل الكهف

وحدثنا الأستاذ بشر فارس قال: أما وقد اعترف الأستاذ [illegible] الدكتور بهذه الحقيقة فإن تاريخ مولد الأستاذ الحكيم يرجع إلى القرن الثاني من ميلاد المسيح

قال الأستاذ توفيق الحكيم: لقد وهم كل هؤلاء. فإن تاريخ مولدي سابق على تاريخ الكون. أليس أفلاطون يقول إن الفكرة وجدت أولاً ثم وجد الكون على غرارها؟ وأنا هذا مكون الفكرة «الأزلية» غير الفني؟ ألم يكن يقول شوبنهور إن الطبيعة عالة على الفن وليس الفن هو الذي يحاكي الطبيعة! ومن يرى الناقد فارقاً في المعنى وإن اختلف اللفظ بين نظرية أفلاطون ونظرية شوبنهور. وهل ثمت فارق بين الأزلي وبين الفني.

ثم التفت إلى [illegible] وأنشد

صوت

أنا الصوت الذي دوى | فملء دوى أذنيك
أنا [illegible] | لم [illegible] في [illegible]
وكل [illegible] | وكل [illegible]
وكل عجب قال | وكل [illegible]
وما يجري إلى [illegible] | وما يبقى على [illegible]
وما يخشى وما يرجى | وما يهوى وما يمضي

جميع الكون من أمري

الصوت للأستاذ توفيق الحكيم، وهو في نعيم في شاطئ الإسكندرية عروس في اليم

«يتبع» عبد اللطيف النشار

اطمئنوا على ودائعكم
بنك مصر
استأجروا خزائنه الحديدية

الجبر والاختيار
في كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتي]

للأديب السيد محمد العزاوي

(تتمة)

« ... وترك الحق أجمل من التكرت ، وإساءة الناس لا تكون ، والدنيا مغلقة ، ... إلا أنه ... ما ... جميع ... في الصلاح »

أريد الآن أن أبين جبرية المعري من أي نوع هي ؟ أهي ميتافيزيقية كما هي عند أبي العلاء في السكون شرو في أحد عصوره حين أنكر الاختيار إنكاراً شديداً ، ومن بعده اسبينوزا من أن شعورنا بالحرية في أعمالنا ما هو إلا نتيجة عدم معرفتنا للأسباب التي تدفعنا ، وأن سلوك أي كائن ينتج ضرورة من طبيعته ، كما أن صفات المثلث تنتج ضرورة من طبيعته كما يقول لبنتز . وهل نظر أبو العلاء من يوجب علينا الجبر ؛ أهو هذا النسيج القوي المتلاحم من السبب والنتيجة ؟ أم هي قوة تفرض علينا عملاً أو رأياً سهماً خاصاً ؟ وهل مر في الجبرية بين مصطلح ميكانيكي يدفع ، ولا محيص عما يدفع إليه ، وبين نوع ميكانيكي إن دفعت إلى عمل فلا توجب حدوثه ؟

وهل كانت نظرته فلسفية حقاً ؟ هل تكلف لها التجريد والارتقاء والقياس والحصر واستنباط الأحكام ؟ وهل هو انتهى إلى أحكام ثابتة يمكن أن تضاف إلى الآراء الفلسفية المعروفة ؟

هل نظر في تطروء الجبرية إلى الناحية النفسية فقال بأن الإرادة تحصل عادة من الشعور والآراء ، ومن هنا كانت الإرادة جبرية لا عدم شعوراً موجهاً نحو غاية تقتضي لنا فكره ، والفكرة من أمر الله من قبل ؟ هل قرر أن أعمال المرء وليدة مجموعة من الظروف ملحقة نتيجة المقدمة سميت نوع الأعمال الصادرة عن الإنسان ؟؟

أو من الناحية الأخلاقية ، فقرر في أية أسس للأخلاق يمكن أن تبني الأخلاق ؟ وما هو القول الفصل في مقومات الأخلاق بأنواعها ؟ وما هو الرأي الواسع البين في البحث والمطلب والعقيدة ؟

الواقع أن أبا العلاء لم يتبع البحث العلمي ولا حزمه ، وإنما إن بحثه قد أثر فيه تأثيراً كان من نتائجه أن تكيفت نظرة أبي العلاء تكيفاً إن لم يكن كلامياً محضاً فقد شابته الشوائب الكلامية ؛ فهو يتعلق بالأعمال . أهي من صنع الله أم من صنع الإنسان ، واهتم بمرتكب الكبيرة ، أهو خالد في النار أم مرجو يرجى غفران الله ، واهتم بصفات الله أهي خارجة عن ذاته أم هي منه ؟ وهذا هو السبب الذي حدا بي أن أحمل جبرية أبي العلاء على مناهج المتكلمين

الحق أنه من الظلم أن نقارن بين أبي العلاء وبين الفلاسفة فأبو العلاء لم يقصد إلى الفلسفة قصداً فنأمل أن يتحدث عن الجبرية كما يتكلم سبينوزا أو لبنتز أو عمرو بن عبيد وغيرهم من الفلاسفة وعلماء الكلام ، وأن يتحدث عن الكون كما يفعل أرسطو أو أفلاطون

ولم يقصد إلى الأخلاق وإصلاح المجتمع فيحدثنا عنهما كـسبنوزا ، وإنما هو أديب قبل كل شيء ، وأديب يعنى بالصناعة الأدبية ، يحس النقد ويعنى به عناية الجوهري ، ويحرص على الغريب متنه ويتلقفه ويتقفاه ، ويستطرد له استطراداً ربما أضاع المعنى أو أنسيه . وهو كذلك يحمل المعنى الطريف ويبحث عن أي ثوب يلبسه ، وبأي شكل يعرضه ، ومبلغ ما يكون فيه من حسن إذا ظهر على هذه الصورة أو تلك . وهو أديب كذلك يأخذ شواهده وأمثلته مما بعد وما يسمع وما يحس ، فهو إنما فكر في أقدار الإنسان فضرب لنا مثلاً مما حوله واخترع موضع تفكيره ووسائل تصحيحه مما حوله كذلك

فهو لم يحاول أو قل لم يستطع أن يجرد التام من ظواهره ويصل إليه حقيقة مجردة متحدة ، وإنما هو كان يرى التلألؤ في تلك الصور والمعاني التي درج الشعراء على أن يخلعوها عليه ، ولعل حرص أبي العلاء على المعاني المبتكرة ، والأفكار الطريفة ، واللفظ

القوى الغريب، وفلسفته التي كان أشد من حرصه على النظريات الفلسفية المرتبة الشاملة. ولعل ميله إلى إظهار آخر ما كره الأدبية التي فيها أخبار الأقدمين وأسمارهم وقصصهم، ومقدرته اللغوية البيانية التي تسمو به إلى محاولة تقليد القرآن، وسعة خياله الشعري التي تصعد به إلى كل خاطر عال، وترنو إلى كل معنى بديع، صرف ذلك عن أن يبني فلسفة خاصة به يبنيه العالم وأنصاره المحدود، أو أن يرد ما قال به معاصروه من الفلاسفة الإسلاميين وغير الإسلاميين. فأنت تستطيع — إن شئت — أن ترى صورة أدبية حقيقية لعصره، وأن تستطيع إن شئت أن ترى صورة اجتماعية لعصره، ولكنك مكان تبحث عنه إنما تحاول أن تظفر بصورة واضحة كاملة للفلسفة في عصره أو بصورة لفلسفة له متكاملة متساوية.

ولست أريد بهذا أن أنكر أن له فلسفة، وفلسفة جريئة خاصة، كلا، فإن الرجل كما رأيت كان يدين بالعقل ويؤمن به إيماناً عميقاً قوياً، وكل شيء حوله يدفعه إلى هذا الإيمان العميق القوي. مر بالطبع كان متزمتاً يائساً ولكن بطبعه كان متعففاً عن الناس، كل ذلك الاستمرار الميكانيكي الذي يسير على الناس والعالم بصورة النشاط وحكمة الطبيعة، فلا سبيل إلى الشك في أن أبا العلاء له في هذه الناحية مفكر، ومن يستطيع أحد أن ينكر عليه ذلك التفكير.

وإن جاز لنا بعد كل هذا أن نعد أبا العلاء متكلماً أو فيلسوفاً بمعنى دقيق فلا أقل من أن نثبت له ما يمكن أن يكون من ألوان الفيلسوف أو المتكلم ونظره، وأن نتبين أثره في الفلسفة حوله ومنزلته بين غيره. لقد كان معتمداً على العقل اعتماداً أقل منه المعتزلة، وقدمه على الشرع، فهو بهذا خالف أهل السنة لأنهم يقدمون الشرع على العقل، وخالف المعتزلة لأنه قدم العقل أكثر من احترامه الشرع مع اتفاقهما في تقديمه. فهو قرر مع المعتزلة قوة العقل على إدراك الحسن العقلي والقبح كذلك ولكنه قدم العقل على الشرع حين كان المعتزلة يقدمون الشرع على العقل.

* * *

وأما نرى أن الأعمال حكم مقدور، فهو بهذا أي يوافق الجهمية، هم الذين قالوا بأن الله هو الذي خلق الأعمال وقدرها على الخلق قسراً. على حين أن المعتزلة تقول بأن المرء هو خالق أعماله وأن للإنسان قدرة توجد الفعل باختيارها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله ومشيئته.

* * *

وإذا ما نظرنا إلى ما يقول في المنزلة بين المنزلتين لا يعدو لنا أنه قال بذلك بمقدار الحق ومذهب المعتزلة من أن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن لكنه فاسق يستحق الخلود. فهو كثير الرجاء لغفران الله لكل ذنب، شديد الأمل في رحمته كما رأيت بشكل خاص، والشواهد على ذلك كثيرة جداً في الكتاب. أما لفظة (فاسق) فقد حاولت أن أجد لها عنده هذا المعنى الاصطلاحي فلم أوفق، ولعله كان يقصد بها (المذنب) دون أن تشترط الفسق التسمية المعتزلية. أحصيت ورود الكلمة بهذا المعنى قد ذكرها سبعاً وعشرين مرة في مواضع من الكتاب مختلفة لم يقصد بها إلا معنى المعصية والخروج عن الطاعة.

* * *

وفي مسألة البعث لا يوافق أبو العلاء الجهمية ولا المعتزلة بل أن كلا الفرقتين تؤمن على البعث. الأولى تؤمن بأن ذلك حق والحساب والعقاب حق كذلك. والثانية تقول به نتيجة لإسنادها الأعمال للإنسان. وأما أبو العلاء فلا ينفي شيئاً ولا يثبت شيئاً كما رأينا.

* * *

ونحن حين نعرض لصفات الله نجده يمضي مع المعتزلة والمعطلين؛ فهو لا يثبت لله صفة؛ وكيف يوصف بشيء خالق الصفات! وهذا نص واضح صريح. وأما قوله بأن الله خالق الزمن وبأن القدم أزلية فلا يعنينا هنا كثيراً لخروجه عن مقام البحث في فلسفة أبي العلاء الإلهية على وجه عام، وإنما الذي يعنينا هو إثبات الصفات أو تجريدها عنها.

* * *

استعرضنا أفكار أبي العلاء الجبرية في كل ما تقدم ورأينا

ما كان من اضطرابه وتنقله بين المذاهب المختلفة تنقلاً هو أقرب إلى تنقل الشاعر الذي يؤمن بالفكرة لحظة ظهورها، ويؤمن بها حين يستحلها إيماناً يجعلها قطعة من نفسه في لحظة ما، أقرب إلى ذلك من تفكير الفيلسوف ينظر في الكون بنظر خاص به، وبه وحده. ونحن لا يمكن أن نقبل هذا الاضطراب من مفكر يحاول أن تكون له فلسفة ذات أصول وفروع. هذا الاضطراب ليس ناتجاً من ضعف في التفكير، ولا من إبهام في العقل وشك في قدرته على إدراك الحقائق واستنباط الأحكام، بل هو نتائج الشخصية في ذلك المجتمع الإسلامي الذي شاع فيه تفكير الفرق من الدين وما يتبع ذلك من إلحاد لم يكن المعري يحب أن يتعرض له؛ فكان أن اضطر إلى التقية والمصانعة بصرف الناس إلى الظاهر من الأمر، بل ربما اضطر إلى هذا الشك وتلك الحيرة لأنه عاجز عن إثبات إله قادر حكيم لم يستطع … أو على … بعطله مما يقصد به من الحكمة والعدل والإمكان

وهو كان يدعو بعد كل هذا إلى الزهد، ولكن على أي أساس بنى هذا القانون الأخلاقي؟ وما الباعث؟ أكان ثقة منه وإيماناً بأن هذه الدنيا مظهر من المظاهر الزائفة وغلبة للرغبات والأهواء على النفس الإنسانية والعقل البشري، فليس لها كيان واقعي خارج تلك النفوس والعقول؟ فهو يدعو إلى أن يتبصر الناس هذه الحقيقة التي اكتشفها وفطن إليها؟ وهل هو استطاع أن يتبين في وضوح صلة الإنسان بهذا الكون؟ وهل أمكنه أن يدرك حقائق كامنة وراء هذه الصور الزائلة الخادعة حتى يثبت أنه كتب به أي فرد من أفراد البشر إليه حتى … إلى التضحية والتراحم باعتبار أن آلام الآخرين هي آلام الشخص وآلام الشخص هي آلام الآخرين لتلك الصلة التي أدركها!

أغلب الظن أن باعث هذه الدعوة لم يكن شيئاً من هذا، وإنما كان باعثاً سلبياً محضاً نتج عن جهله بما وراء الموت وخوفه من ذلك ورهبته وعدم ثقته بما يراد به من عقاب وثواب، فهو إلى أوصى بالصلاح والزهد لذلك حتى لا يكون … إذا صح البعث والحساب من الخاسرين. من هنا نرى أن قانون الأخلاق الذي استنه قد بني على قاعدة سلبية بحتة ليس فيها من الطمأنينة شيء ما من الحيطة والحذر الذي وجهه الجهل والخوف. وكان الباعث كذلك نوعاً من الضيق النفسي لظروفه الاجتماعية والشخصية جميعاً، فذلك دعا إلى الوحدة والزهد في الناس «إن الوحيد في البلاد لا يلحقه عيب من سواه» فهو كذلك يتقي الجمع … حريته السمية هو لا يحاول إصلاحه، فهو يخشى من ذلك؛ ولكنه يتحفه ويجنبه، وكان الباعث كذلك سخطاً شديداً على تحول الدنيا وعدم بقائها على حال: «فالدهر حبة سوداء، ونحلة بيضاء، وليلة وضحى، والأيام مواسم لا تترك لحي حياتاً[١]».

إذن «فما البقاء إلا طول شقاء، والحياة حلة ليس فيها نشوة، ومن السعادة أن يموت القوم كراماً[٢]»، ولكن «أولع الوالد بالرشد»، وهو يرى بعد ذلك أن «راغب رعى، والخشية تمرع، حتى على الدنيا تمرع، تشابه ومصطرع، والقدر لنا مصرع[٣]» وهو يخاطب الدنيا مسراً لما يستعذبه منها: «أيتها الدنيا البالية، … أحسن ما خطبت به الحالية، أي أعماك تحلتيه، إني لأراك الموالية والنفس منك غير سالية، فتبع أولاك الثانية، والله أستعين على تلك المصيبات[٤]» وحربه على الدنيا ناتج من أنها تخلط بين الفرح والسرور. فقد يكون الرجل كاسياً يجر ذيل الأجيل، وشبابه كروضة الوصي، وعيشه أوسع من الفلاة، ورغبته … المساحة المساء، فلا يقدر في ذلك من التفكير: إن هذه الدنيا … عدياً لا حد له من انتقال، فإما باليوم وإما بالحياة … ويمكن أن يكون عيشه … وده مثل الزردة، ويمسي … فلان ثياب كلباس الرأي، ويطرق العروس إما أن تهلك، … أن تختار سواه، ويكون روضة شبابه هشيماً[٥]».

والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا تكاد تحصى، وكل ما يمكن أن نستخلصه منها أسباباً لاعتزال أبي العلاء الدنيا ونصحه الناس بالزهد فيها لا يعدو أنها مثقلة بالهموم، وأن خيرها مختلط بالشر وسرورها مختلط بالكدر، إلى غير ذلك من معاني الشعراء. فهل لو كانت ظروف أبي العلاء غير ما كانت، وهل لو كانت الدنيا على

---

(١) ص ٢٢ (٢) ص ١٦٣ (٣) ص ٢٠٩ (٤) ص ٢١٩
(٥) ص ٤٢

غير ما وصف؟ أترى كان يدعو إلى الزهد؟ ربما كان رأى في الكون ما رأى ولكنه لم يكن يدعو إلى الزهد في الدنيا على الأساس الذي بنى عليه دعوته التي وجدها في الكتاب كثيراً

ولماذا حرص أبو العلاء على أن يثبت حكمة تلك القوة التي تصرف أمور الناس، مع شقائه بهذه الحكمة وعدم الاهتداء إلى صوابها؟ تلك الإرادة التي بحث أبو العلاء عن حكمتها لم يرض والتي كان يشعر بثقله واضطرابه، والتي يخشى أن يبهمها النظر، لما يراه من متناقضاتها ومفارقاتها؟ كان منطقه يستقيم، ومنهجه يصل إلى ما وصل إليه من تفكير لو أنه قال بإرادة غير عاقلة عمياء، مجردة من العقل والحكمة فلا حاجة عليه أن نأتي من المفارقات ما شاهد أبو العلاء وأكثر مما يشاهد. ولكنه مفكر «شرقي» في «وسط إسلامي» أنشأ الكتاب بيمجد الله ويعظ

* * *

وقد حاول الأستاذ علي أدهم أن يعقد صلة بين أبي العلاء وبين شوبنهاور. ولست بصدد أن أبحث عن حظها من الصحة، وإنما أقول إن أوجه الشبه إن صدقت في وجهات متعددة من نظر الرجلين إلى العالم واتضح بحكم ما يبدو من مناحي التشاؤم، فإنها لن تصدق في تلك الناحية الخاصة. حقاً إن كلا الرجلين قد انتهى إلى [illegible] ولكننا إن تجاوزنا عن اختلاف الوسائل التي سلكاها [illegible] من [illegible] بين [illegible]

أبو العلاء يرى كثيراً أن القوة المسيرة للكون «عاقلة» يصدر عنها الأعمال، والأقدار، والأرزاق، عن حكمة خفية لا يدرك كنهها وإن أجهد نفسه الجهد كله؟ وهو كذلك لم يستطع أن ينظر إلى العالم نظرة تجريدية فلسفية، ولكنه [illegible] على أي تقدير إلى المباشر، والطريقة التي تخلص من شرورها وآلامها هي الزهد فيها وكبح الشهوات، وكبت الغرائز، والخلوص إلى العبادة والتفكير.

وشوبنهاور قد اعتبر الحقيقة المطلقة إرادة [illegible] لا [illegible]، وذهب إلى أن ليس ثمة إرادة غيرها، فالحرية مجرد والأشياء قائمة على عرض الزمان والمكان. وقد عرف أن الإرادة شر في أساسها، وهي شيء حافز إلى الوجود، وحرص على البقاء والنمو، وطلب لراحة ووصفه مصيباً إلى الشقاء، لأن الإرادة لا يمكن أن يؤدي طلبها أبداً من الرغبة في الحياة. وهو يعتبر غاية الحياة لذلك هي «الشقاء»، وأيسر السبل فيها أن يحترق الإنسان حسب الوهم الفردية ويرى عقم مطلب إشباع الرغبة وتحري المتعة، فيصل إلى هدوء صوفي يشبه الهدوء البوذي، ويعتاد الحياة خالية من الفن

فهما ينتهيان إلى غاية واحدة ومرد إلى مبدأ أخلاقي واحد، ولكن ينظران في الكون مختلفين، ولذلك ترى أبا العلاء وشوبنهاور قد بنيا على أسباب مختلفة [illegible] أبعد بين الفكرين

(تم البحث)		[illegible]

من وحي الفراق

سأسخر بالأقدار بعدك !...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[إلى أخي ... هذا ما وهب الله ... وعواطف ملائكية طاهرة ، ... في حياته ، وما أنا إلا ... أن أجني ... وأسى ... فأي قوة في العالم تستطيع أن تنتزع منه ... بل من ... أن ... أو ... من ...]

من رسائل إلي !

وبدلني من الصبر عنك وحشة | والا تخلني وجراح توثقي
بعثت لياليه في دمي ، ودركب | تؤجج أحلامي وتكرب خفقي
وتمسح أيامي عليك عصية | مسوخة الأنغام تهدي بلا غنى
وستذري الصبر ! إني نشدته | فأمسى كأنا يزول تهدأ في !
أيسعد من سوى بك عمره | ينابيع تنسيم وصحو ورحمة ؟
وأسكره بالحسن والطهر والهوى | ولكنه في الله أنس ومهجة
وعنفه إني هو الفن روحه | مكبر للإلهام أطهر كعبة
ومشرق في الدمع حتى أدبه | تأسيد أحزاني ويؤس وحسرة
أما لسحر أعمار لا الله من عزتي | ولا الثكلى السود عنقي عرائق
أيصير ما زرت الزمان كأني | حطا التاسع الشريد في ظل ...

وأسعر حشة الناس أصرب هامسي
من الأسى ذاتب يا نفس بهجة
وأسمع لاس ذنبهم وديارهم | ... عن آثار مانع في ...
فلي في كفيك طرحت أذى
وعطري من الدنيا وعز في وكبريتي ؟
ويحسب أني صرت في الترب خاشعاً
وطهرت من أوزاك البيض معدني ؟
وصيحت آلامي وما يصبى إنما | دهتني تراتيل الشدى لتبيتي !
فيا رحمن ... أعوانك ... | ... أصداه الشاد ...
ويدلي في شعري كالدوب النيل | ... آيات الشكاوي ...

(القاهرة) محمود حسن إسماعيل

الأمواج والشاطئ

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

سأل الشاطئ يوماً بحره | أيها البحر أجبني كم حوينا
ود لو يكشف عنه سره | بيد أن البحر قد حاول صمتا

قالت الأمواج للشاطئ ماذا تبتغي
من سؤالك ؟!
قال إني أشتهي ما غاب عني
من خفايا
قالت عنه بحزن ساخرة

ثم عادت الأمواج تحسو
في اضطراب مثل رعد
عاصفات ... عاطفات ترعى
دون صخر منه سار
وعلى الشاطئ عادت ثائرة

قال إني راضٍ منه وحيث
و ... ـب
حاملاً سرك ، إني لست أدري
ما ... !
فانثنت عنه بحزن ساخرة

ثم عادت نائماً وهي تجب
أنت سري أنت سري

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

الطائر والشمس

للأستاذ خليل شيبوب

صدق أحاديث هوى جئته ... تجرى كما يجرى بها الخاطر
سطّرها حيٌّ في مهجتي ... ثم رواها جفنيَ الساهر
[illegible] أعرضها قصة ... مأثورة شاهدها حاضر
عن طائر هام بشمس الضحى ... وأين من شمس الضحى طائر
فرخ ضعيف ريشه ، ناعم ... في وكره ، مرتعش حائر
يدرج منه بعض شيء إلى ... حيث شعاع باسم باهر
بعيد [illegible] كما ... فاض عليه نوره الناضر
يجرر ذيلاً ، ويطو طوراً به ... طول ، وطوراً ريشه قاصر
ما شك في أن ما يشتهي ... به حشاه والهوى الثائر
صنعة هذا النور في أمه ... وأنه من قوته صادر
وإذ رأى وجه السماء على ... له هناك [illegible]
أثوابه نار حاش من صدره ... دفقٌ حياة خافقٌ حاسر
صب من الجمر وسكبها ... عليه ثم الفلك الدائر
وجه يجيش النور منه كما ... يجيش نبع الروضة الناضر
تبكي هذا النور روحٌ ولا ... جسم ، وتحكي لهبٌ ثائر
في الشرق مرهفة فأما نزحت ... في الأوج من السحب السائر
والبدر محبوس متى عربت ... والأرجوان البهج القاهر
عشق هي الشمس التي نورها ... يجري حياة ما لها سابر
الكائنات النز حول حوضها ... [illegible] ناظمها الشاعر
فاتنة الدنيا ومشكاها ... ليس إليه مسلك خاطر

وشرع الطائر تشكته ... من كل ما يؤنسه نافر
يسبح في الروض وفيه في ... الفضاء والصبح به سافر
ونقت حتى طار مستشرفاً ... ما حوله تهوي له ناظر

سوف يحسبك غيري !!
لا تقلق أنت سري
ولأسراري إليك مصيرة

وسيمرُّ العمرُ بعدُ سنينا ... وكذاك الموجُ يتبعُ أشتاتا
ثم دنا الأمسُ عينَ حائرة

حسن كامل الصيرفي

إذا دعتك حولاً مرسلاً ... عطف عليه وأنه الشاعر
وهو يجوج الشمس في صدره ... منها جوى بالقلب والناظر
ينحب منها يومه هائماً ... ونفسه تحت الدجى ساهر
مرتقب في الدوح أن ينقضي ... الليل ويأتي السحر الباكر
حتى يراها وجهه مشرق ... كما يطل الملك القاهر
وصوت الأيم لا تألف ... واصب نحت غضب كاسر
فاستشعر اليأس ألا إنه ... مستضعف ليس له ناصر
لا الروض يسليه ولا حوله ... من الطيور الصادح الساهر
ولا نجوم الليل إما دجت ... ولا النسيم العاطر الخاطر
ما الروض والطير وما زهرة ... بها فتّق القصن الزاهر
سوى مثيرات لهوى قاتل ... هناك نور فاتن ساحر
ذاك حياة الشمس معبودها ... وحبه الأول والآخر

جاء إلى الغدير يوماً بكى ... على ظمأ وفؤاده ساهر
إذا به في الماء يجلى له ... وجه نقي والبريق طاهر
الشمس ... بلا موعد ... زائرة يا حبذا الزائر
فاختلط الغروب في عينه ... كأنما طالعه ساحر
وكاد أن يجدله حبه ... وطاش عنا أبصر الناظر
حتى إذا هب إلى وعده ... والحسن ثاه وهوى آسر
جانبه الفطة في حسه ... أسكره ... ولها القاهر
يسكبها غاب سريعاً وقد ... فلم يصحب نورها صائر
صفّق منه ونما منهى ... ما شيء قلبه الشاكر
كأنما قصي روت وجهها ... عنه فأودى جذبه الطائر
هل منصر العاشق في عشقه ... فيكل قصير له عذر
إن كان صحيحاً فله راحم ... أو كان ذنباً فله غافر
وحينما طاح به بؤسه ... والسهم منهوك القوى خائر
حط إلى الدوح ولى صدره ... لمسة يأس جرحها غائر
ظلّ فلم يصبر وحكم الهوى ... ألا يعيش العاشق الصابر
ومات في الدوح فأمسكه ... أغصانها والورق الناضر

يا روضة الدنيا ويا فتنة ال ... عمر ويا من حبها جائر
إليك من صورة في الهوى ... صورها عاشقك الشاعر
حسب للتي وصفها جزت لي ... حب شهيد ما له ذاكر
ماتت بك الشمس معبودة ... حباً وغنى ذلك الطائر

(الإسكندرية)

خليل شيبوب

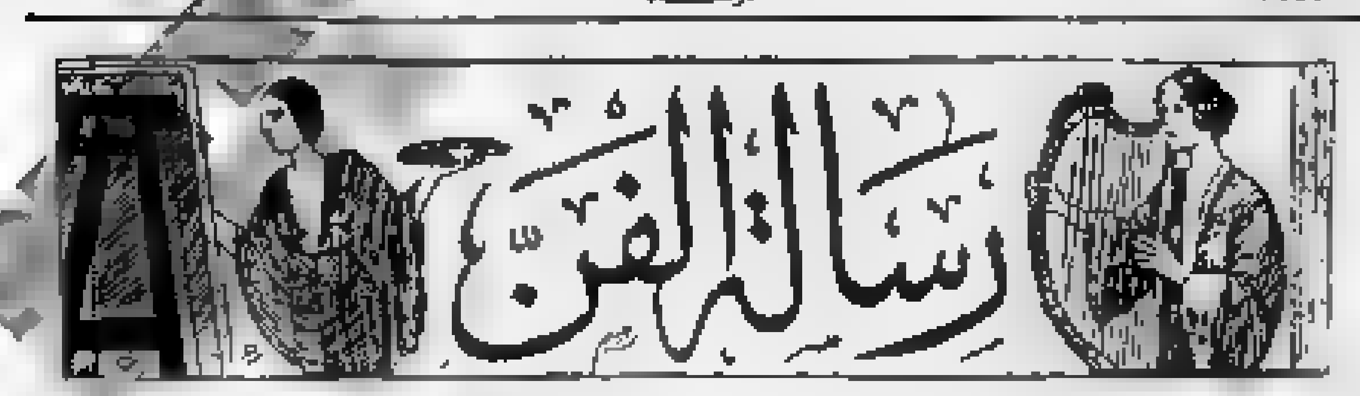

دراسات في الفن

الزعامة فن

على ذكرى الزعيم سعد

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ما دام الفن هو التعبير عن الإحساس، وما دامت الزعامة هي التعبير عن إحساس الجمهور، فالزعامة إذن فن، بل إنها فن عريض.

فكيف كانت الزعامة تعبيراً عن إحساس الجمهور؟

إذا نظرنا إلى المجتمعات البدائية رأينا هذه المجتمعات تعيش الظروف متشابهة؛ فهي تستنفد الحرب في كل لحظة، وهي إما أن تعد هذه الحرب سلاحاً، وإما أن تعتمد فيها على القوة البدنية وحدها. ولكنها على أي حال من الحالين تأخذ أهبة القوة لتقوم بها أحداث الحياة. فإذا نظرنا إلى الزعماء في هذه البيئات رأيناهم أشد الناس تعبيراً عن هذا الإحساس المركب الذي يبدأ بالخوف وينتهي بعبادة القوة البدنية. فهم أشد الناس في هذه المجتمعات حذراً على أنفسهم وعلى عشائرهم، وهم أشدهم اندفاعاً للخطر إذا ادلهم، وهم أشدهم مقاومة لهذا الخطر، وهم أقدرهم صبراً على صبره، وهم إلى هذا أشد الناس في هذه المجتمعات استكمالاً لمراتب البطولة فيها حتى لا يكون الزعيم منهم عرضة لهجوم خاص من شعبه تحوطه وتعززه في إحدى نواحيه الضعيفة فيه بما يكره الواحد من جمهوره أن تكون ضعيفة فيه. فإذا كان من مميزات جمهور أقدرهم السرعة في الجري إلى جانب ما يتميز به الجمهور من متانة القوة البدنية وجب على الزعيم أن يكون سريع الجري إلى جانب الذي يمتاز به على الجمهور من قوته البدنية، وإذا كان من مميزات جمهور أقدرهم الخفة في تسلق الأشجار، وجب على الزعيم أن يكون خفيفاً في تسلق الأشجار إلى جانب الذي امتاز به على الجمهور من قوته البدنية. وهكذا.

فإذا تركنا البيئات البدائية رأينا نظرتنا هذه تصدق في كل الحالات: في البيئات الزراعية، وفي البيئات الصناعية، وفي البيئات الاجتماعية المختلفة، وبقدر ما تتسع هذه البيئات وتضيق تتسع الزعامة فيها وتضيق. فهناك زعامة الجنس البشري كله هي زعامة الأنبياء والرسل الذين قاموا بالهدى على الخلق جميعاً، وهؤلاء زعامتهم تخلد بعد ذهابهم عن هذه الحياة الدنيا، وفي هذا تعويض للبشر الذي فقدوا زعامتهم في حياتهم. وهناك زعامة جنس من الأجناس البشرية كزعامة موسى التي يريد هتلر أن يرد عليها اليوم بزعامته الآرية. وقد تدوم هذه الزعامة بدوام الجنس إذا ظل الجنس متمسكاً بأنانية الطفولة وغرورها. وهناك زعامة الجماعة من جنس بشري يسكنون أرضاً ما، وهي الزعامة الوطنية كزعامة سعد وغاندي، وهي تدوم ما دامت دواعيها وقد ذكرها الذاكرون بعد زوال هذه الدواعي، وكثيراً ما تزول هذه الدواعي، لأن مشكلات الوطن كثيرة التقلب.

ونحن إذا حسبنا عمر المراحل التي استغرقتها طبيعة التطور والارتقاء الروحيين وجود رسالات إنسانية عامة وجدناه أقل من عمر المراحل التي استغرقتها هذه الطبيعة وجود رسالات خاصة بحيث نستطيع أن نتصور التطور والارتقاء جاريين في موجات صغيرة، وهذه تجري في موجات كبيرة. وكأن الموجات الصغيرة هي موجات التطور، وكأن الموجات الكبيرة هي موجات الارتقاء...

وهنا شيء لا يستغرب؛ فنحن إذا حسبنا المرحلة التعصبية

في البيئات الاجتماعية الإنسانية حتى نذهب إلى مجتمعات الصبيان في الحواري والفصول ، وإلى مجتمعات الشبان في النوادي والحقول ، وإلى مجتمعات النساء في الشوارع والبيوت ، وإلى مجتمعات الرجال في الأكواخ وفي القصور ، وجدنا لكل جماعة من هذه الجماعات زعيماً ، فإذا أحصينا عدد هؤلاء الزعماء استطعنا أن نؤلف منهم في كل وطن ألف برلمان تزيد الزعيم

وعلى هذا كانت أرقى الزعامات هي أعمقها ، ولا بد أن يكون أعمقها مطابقاً على نظم الطبيعة ، لأن نظم الطبيعة هي العامة في الكائنات ، وهي أساس تطورها وارتقائها . يجب أن نلاحظ وهذا التطابق وهذه الزعامة لم تتحقق على أكمل الوجوه إلا في حالة واحدة هي زعامة النبي الرسول محمد (ص)

وإذا استعرضنا بعد هذا القول بأن الزعامة من صناعة الطبيعة في نفس الزعيم كما تعمل الألحان والأنغام في نفس الموسيقي ، وكما تعمل المعاني والأخيلة في نفس الشاعر ، فإننا لن نستطيعه أن تكون قد تعرضت الصناعة مثلما تعرض لها غيرها من الفنون . وقد تحمل الصناعة الزعيم إلى كل ما أرادها التحسين والتجديد ، وقد تكتسب الصناعة الزعامية من حيث هي من الاجتماع الطبيعي إلى اتجاه آخر كالزعامة في الحياة ، أو الزعامة في الثقافة ، وهذا هو ما يحدث الفنون جميعاً من موسيقى وشعر وتمثيل ورقص وتصوير وغير ذلك

ولما كان أغلب المجتمعات البشرية اليوم قد تسلم القيادة والكتابة ، ولما كان من المحتم أن يكون الزعيم في كل مجتمع من هذه المجتمعات قوياً كاملاً ، فإن الزعماء في هذه الأيام يعرفون ويكثرون . الزعماء السياسيون ، والزعماء الفنانون — أي الذين يمارسون الفنون الجميلة — والزعماء الأدبيون ، والزعماء جميعاً وهم يقرأون فيما يقرأون تاريخ الزعماء السابقين ، وبهذه القراءة يستطيع الزعيم المصنوع في ناحية من النواحي أن يتقوى ، أو أن يتطلب أو أن يتعلم . . . وما دام باب الأدعياء قد فتح مع غيره من أبواب التصنع ، فقد أصبح من الميسور في هذه الأيام أن يدعي الزعامة في أي ناحية من نواحي الحياة مدع ليس بزعيم

فكيف يستطيع الإنسان في هذا المجتمع أن يحكم على الزعيم بأنه زعيم حقاً ، أو أنه قد استطاع أن يحتل شعوراً لأنه زعيم ، وسكن في نوع من أنواع التفكير ، وقد كان المجتمع في حاجة إلى زعيم في الإحساس والتعبير عن هذا الإحساس ، وما يصحب هذا التعبير من جهود ؟

نستطيع أن نصل إلى هذا الحكم العادل إذا نحن لمسنا إحساس المجتمع ، وواجهنا ما يجب أن يكون التعبير به عن هذا الإحساس ، ووضعنا إلى جانب هذا إحساس الزعيم وتعبيره عنه وطابقنا بعد على ذلك .. فإذا انطبقا وكان الزعيم بعد ذلك سائراً بنفسه إلى ما يؤمله فهو زعيم ، وإلا فهو ذلك المفكر الذي ذكرناه

وهذا هو ما يسمى في الفن بالطابع ، فأشد الفنانين تمكناً من الفن عند جمهور من الجماهير هو أشد الفنانين تمكناً من طابع هذا الجمهور الذي يطبعه ويميزه عن غيره من الجماهير

وقد اتفقنا في أحاديث سابقة على أن الفنون ... البشرية متقدمة أو متعثرة في طريق التطور والارتقاء ، والزعامة كذلك مادامت فناً ، وأشرفها إذن ما كان أكثرها تقريباً للمستقبل من الحاضر

ومن الزعامة ما تكون عملية طارئة ، تزول بزوال هذا الحادث أو تدوم إذا دامت — حتى يسحب ذيله ، وقد يحدث أن يندفع جمهور من الجماهير إلى أن يتبنى زعيماً من زعمائه في حياته بعد هو لم يعرف عن حوادث يستغرب الزعيم هذا ويستغربه معه آخرون ، ولا يكون لهذا من سبب إلا أن زعامة الزعيم كانت طارئة استدعاها حدث طارئ . ومثال هذه زعامة هندنبرج التي أسبغها عليه هتلر في السنوات الأخيرة من حياته حيث كان الشعب يريد أن يحل زعامة هتلر عليها لأنه رأى نفسه يحس شيئاً جديداً ويندفع إلى النزعة الحربية التي كانت تعبر عنها زعامة هندنبرج ، ولأنه رأى هتلر يعبر عن هذا الإحساس ، ولم يقل أحد إن هندنبرج كان قد فقد شيئاً من مميزاته الشخصية إلى آخر يوم من أيام حياته ، وإنما الذي حدث هو أن الحادث الذي ترجم له هندنبرج ألمانيا لم يستمر حتى نهاية حياة هندنبرج لتسحب بعدها ذيوله .. وذلك

الحديث هو الحرب الماضية وآخر ذيولها التي صحبته من آلام؛ هو الزمن الذي سمحت به السنوات الطويلة أمام شروط الصلح وما كان فيها من روح العسف والانتقام. وهناك زعامات ماتت في حياة أصحابها ولم تجد من يعطف عليهم

ومن الزعامة ما يكون وقتياً يلحقه جمهوره بسهولة فلا يعود يحفل به إلا كما يحفل المرء بصديق قريب وأصحابه. وقد يبقى الزعيم من هؤلاء الزعماء كما بقى الزعيم من السابقين وهذا الطوري تر؟ هذا الركود الذي يصحب زعامته زوال الطارئ؟ أو لعله الزعامة، وهو يبقى هذا الركود اختلاق الحوادث في الحالة الأولى وبجلسه الزعامة وسقيه في الحالة الثانية حتى يظن الجمهور أن وراء هذا الزعيم شيئاً يهيب به ويظل بجانبه وهو لا يدري إلى أين يسير به وجهه. ولعل المثل الصحيح للزعيم الذي ينطبق عليه هذان الوصفان معاً هو نابليون، فقد ظل يأكل حروب الفرنسيين ويسحرهم حتى نفى ومات منه فرنسا من مجتمع الدول دون حول والرأي النافذ، وقد يكون موسوليني من بين الزعماء الأحياء الذين يشبهون نابليون في هذا

وإذا كنا نحن اليوم وعلى البعد نستطيع بغير تحرج وبغير مهيب أن نقرر هذه الحقائق وأن نصف هؤلاء الزعماء بهذه الأوصاف فإن أحداً ممن كانوا في متناول أيديهم لم يكن ليجرؤ على شيء من هذا، لا خشية من هؤلاء الزعماء أنفسهم، فالأرجح أن فيهم من الحنكة ما يوسع صدورهم للنقد الحق على الأقل، بل خوفاً من جماهير هؤلاء الزعماء. فإنهم يكرهون أشد الكراهية أن يعد زعماؤهم بالباطل أو بحق، لأنهم في الواقع يحبون من هؤلاء الزعماء أوثاناً تقوم أمامهم في الحياة، وهم لهذا لا يحبون أن يخدش أحد زعماءهم ما دام هذا الخدش يعيب أصنامهم المعبودة الماثلة في أجسادها. وهذا واضح اليوم في الترك الذين يقدسون لمصطفى كمال تقديساً أعمى لا روية فيه، كما أنه واضح في شعبي هتلر وموسوليني، وكما أنه واضح في جماهير المعجبين بالفنانين المشهورين، فقد يصل الفنان النقد يوجه إليه من ناقد صادق، ولكن جمهور هذا الفنان لا يحب أن يلتفت إلى عيب فيه

هذا إن كان الزعيم فناناً من هواة الحكم ولم يكن ... أما إذا لم يكن من أصحاب ... فهو كأي فرد من أفراده الأعمى يحب الشقشقة ويحب الطنطنة

والزعيم الفنان «يتكون» كما تقدم في أول هذا المقال بطريقة طبيعية هي طريقة الانتخاب، ولكنه ليس انتخاب الأصوات، وإنما هو انتخاب القدرة، بحيث لو زحزح من مكانه وأحل محله غيره لظهر هذا الجديد وفيه النقص والشذوذ والتكلف

وتستطيع الجماعة أن تساعد الطبيعة في تكوين الزعماء كما أنها تستطيع أن تعرقل هذا التكوين؛ وهي تساعد على تكوينه بأن تتزود من الإحساس الداعي إلى التعبير عنه أو الذي تريد أن تعبر عنه، وبكثرة محاولة التعبير عنه، وهي تساعد على عرقلته بإهمال هذا الإحساس، وإهمال التعبير عنه

والأصل أن يحدث هذا بدافع من الطبيعة وحدها، ولكن إذا مست حاجة الشعب إلى الزعيم القائد واتجه عمله إلى هذا فهو يستطيع أن ينتج زعيماً باصطناع هذه الطريقة التي رسمتها الطبيعة لإنتاج الزعيم ما دام بين أفراده من يصلح بطبعه لأن يكون زعيماً. ولعل هذه هي التي تحاوله مصر الآن، فلا ريب أن فيها حركة يقوم بها بعض الأفراد يريدون من ورائها أن يتهافت الجمهور المصري فيرتفع عنه الضجة، فيرجع بعد ذلك أن يعبر الجمهور عن إحساسه بلسان زعيم لا تزال تنتظره منذ مات سعد زغلول

ولا ريب أن الزعيم المصري المنتظر يختلف اختلافاً كبيراً عن سعد زغلول، فقد كانت حال المصريين التي استدعت زعامة سعد حالاً لا تملك إلا أن تهب أو أن تثور متخبطة في ثورتها، ثم أن تهدأ بعد ذلك حتى تستجمع قوتها لتنهض وتثور من جديد. وقد كانت زعامة سعد تصور هذه الحال في خطبه الرنانة، وفي بياناته الطنانة، وفي نكاته اللاذعة الصائبة التي كان يلقي بها فيتعثر ما يعترض زعامته أو ما يقاوم العواصف التي تثور فيه جمهورها.

أما الزعيم المنتظر فهو الذي سيكون إحساسه أشد من إحساس المصريين بالحال التي نحن فيه، والذي سيكون أشد المصريين صبراً على هذا الإحساس، وأشدهم مقاومة لدواعي [illegible]

فيه ، وتقدم إليه هدايا أسواق الخير فيه

والحال التي نحن فيه الآن يغلب عليه الجهل والجوع والضعف والحيرة ، ونرغم المستقبل إذن هو الذي سيتقدم من هذا كله ، والذي سيعيد إلينا مصريتنا صحيحة معبرة تمثل مفاخر الفراعنة والعرب والإسلام ، وهو الذي تحاول الأزمات المتضافرة على الوطن في هذه الفترة من الزمن أن تتمخض عنه

وإننا نرجو الله أن توفق مصر في زعيمها الجديد كما وفقت في زعيمها الراحل . فالحق أنه لم يكن من الممكن أن يكون لمصر زعيم أفضل في صفاته الشعبية من سعد زغلول في ظروف نهضته وما أثمرت هذه الزعامة من ترتيب الطبيعية ومن هذه الحال التي نحن فيها الآن ، والتي ربما صرف إحساسنا بالحياة ، وزلزلت فيه قوة تعبيره عن هذا الإحساس ، وزلزلت فيها عقولنا إلى فروع أمانينا —

فمن هو الزعيم الذي سيبعث منا ؟ ... لا ندري

ومتى يبعث ؟ ... لا ندري أيضاً ... فقد يتدرج الزعيم في الظهور إذا لم تتدرج الحياة فيظهر فجأة

ومهما قيل إننا لم نزعيناً على يدي سعد ، فإننا لا نزال على مقربة من عهده ، فالزعيم الجديد سيكون فيه من سعد صفات من روحه ما لا يزال منتشراً في نفس الشعب المصري من الإحساس بعهد أيام سعد ، ومن صدى هذا الإحساس للعصر وروحه . فلا بد أن يكون الزعيم المقبل خطيباً إذا جاء قريباً لأن الخطابة هي التي يجمع بها الزعيم أشتات الأحاديث والأماني التي يرددها الجمهور ما بين أفراده ، وإن شئت ما يصل من الرقي إلى حيث يمكن أن يظهر فيه زعيم صامت أو قليل الكلام

فإذا كان هناك زعيم في الشعب اليوم ولم يكن خطيباً لأنه أرقى من مستوى الشعب ، فإنه يستطيع أن يتدرب على الخطابة قبل أن تجيء ... وسنتحدث عن ذلك في الجمهور

وعندما يهون أمر الخطابة فلا تكون من عماد الزعامة في الشعب المصري فإنه سيكون قد بلغ من الرقي مبلغاً يضعه إلى جانب الإنجليز الذين يسودهم المفكرون والصامتون

[illegible] أحمد [illegible]

حول الفن المنحط

للأستاذ كامل التلمساني

قرأنا بالعدد ٣١٩ من الرسالة الغراء كلمة بعنوان « حول الفن المنحط » كلمة أخيرة » رداً على ما كان قد كتبه أديب فاضل من جماعة « الفن والحرية » ، وما كان من مناقشته مع الأديب أنور كامل عضو الجماعة في رده عليه من ناحية وتعقيب أنور كامل البعد عن التعصبات الفنية وذكر الأسماء والتواريخ . أما وقد ذكر الأستاذ الفاضل في كلمته هذه اسم الأديب الشاعر أندريه بريتون André Breton وترجم كلمة قد كتبت له من السير يالزم Surrealism ثم تكلم بعد ذلك صفحاً بكلام من عنده ! فإننا نجد من سطراً لتصحيح ما أورده من الأخطاء في حق هذا الكاتب وحركته . ولكيلا أبيح الفرصة لقراء الأفاضل بأن يروا صورة مشوهة ممسوخة لهذه الحركة الفنية التي تعد من أخص وأنبل المشاعر الإنسانية في القرن الحاضر ، والتي وصلت عن طريقها الحضارة الفنية سواء في الشعر أو التصوير الحديث إلى المرتبة العليا ووصمة بذلك كانت المدرسة المعاصرة في الشعر الحر والتصوير المبني على الفكر السريالي والتحليل النفساني الحديث . وبعض الزملاء من الدارسين قد يتحرون الدقة بعد ذلك في إيراد ما يوردون من مصادره الأخيرة الموثوق بها بشأن هذه الحركة التجديدية التي ما زالت تتسع وتتجدد حتى اليوم ولا يقف أمام نشاطها ركود الفكر أو عوامل الضعف والتقييد .

والظاهر أن الأديب الفاضل قد اكتسب معلوماته عن السيرياليزم « الفني الخفيف من أحقية الظاهرة » كما يتضح من كتابته من طريق تلك المعرفة التي أتت إجمالاً في كتاب « Bohemian, Literary & Social Life in Paris » ونحن نعتقد أن مجرد قراءة فقرات كهذه كتبت منذ عدة سنوات لا تخول له الحق في التحدث بعلم عما تحدث به ، وأن في هذا جناية على الفكر والكاتب التي تحدث عنه ، و « الرسالة » بما لها من

تأثير وانتشار لا يقف عند حد مصر ، بل يتعداه إلى الشرق العربي أجمع. ولذا وجب أن نذكر هنا هذه «الكلمة الأخيرة» رداً على كل ذلك وليس لنا رجعة بعد ذلك الأمر إلا في معرض تحليلية مفصلة أو معارض ومحاضرات عامة يتسع لها الموسم الشتوي المقبل وهو قريب.

لقد تطورت السريالزم في السنوات الخمس الأخيرة تطورات عدة جديدة للنظر في جوهرها ، ونشر أنصاره [illegible] في هذه المدة عدة بيانات متتابعة عن الحركة وما يتفرع منها وما اكتسب من آراء وأفكار ؛ وكان آخر هذه التطورات مقالته الرائعة في العدد الأخير من مجلة : مينوتور Minotaur والتي لا بد للأستاذ من الاطلاع عليها وعلى ما سبقها من مقالات ، إذ تحدث بجلاء عن الاتجاهات الأخيرة في التصوير السريالستي ، كذلك ما كتبه أقطاب الحركة من النقاد والشعراء والكتاب الفرنسيين والإنجليز.

والسريالزم ليست «حركة فرنسية محضة» كما يقول الأستاذ بل هي حركة دولية عرفت أنها عالمية في التفكير والأداء ، وليس لها من الطابع المحلي أدنى نصيب قل أو كثر. وإنه لمن المدهش العجيب حقاً أن يسمح الأستاذ لنفسه أن يقع في مثل ما كتب من الخطأ الفاحش ، وإني لأنصحه في هذا الموضوع بمراجعة ما كتبه الناقد الإنجليزي الكبير هربرت ريد Herbert Read في كتابه عن الحركة السريالستية Surrealism وما أورده بشأن العالمية وعدد الحركة [illegible] وبعدها كل البعد أن تتهم بأنها فرنسية محضة كما قال الأستاذ. بل إني أخبره أنه ليس بين قادة التصوير فرنسي واحد ؛ فالمصور جورجيو دي كريكو Chirico إيطالي والثاني سلفادور دالي Dali أسباني وكذلك بيكاسو Picasso [illegible] كلي Klee وماكس أرنست Ernst من ألمانيا ، ورولاند بنروز Rose Pen إنجليزي وكذلك هنري مور Henry Moore ، وإميل بول دلفو Poul Delvaux من بلجيكا ، وشاجال Chagale روسي الجنسية وهكذا. هؤلاء يا سيدي الفاضل هم قادة الحركة ومن السخرية أنه لا يوجد بينهم فرنسي واحد !! وليس الأمر بعد يا صديقي فقد أسلفت عندما قلت في بحثي «وأظن أن الحركات الفنية لا تحتفل بجل هذه السهولة من قطر إلى آخر [illegible] من حديث الشخصية والإلهام».

وعلى ذلك فهناك حركة قائمة في كل من إنجلترا والمكسيك وبلجيكا والولايات المتحدة وهولاندا [illegible] هل ترى يا سيدي إذن من العيب أن نقوم نحن المصورين المصريين بتقليد أو مسايرة هذه الحركة ؟ إنك تريد حضارة تسير مع العالم ولا تريد أن تقف عند مسير الجميع. ثم إني أنصحك أيضاً أن تقرأ في هذا الموضوع عدد [illegible] نوفمبر ١٩٣٩ من مجلة Cité لترى بنفسك في صحبة [illegible] من هذه الحركة.

هل رأيت يا سيدي (عروسة الوفاء [illegible]) ذات الأعين الأربع ؟

هل رأيت [illegible] الفراعنة المصري ؟ وهل تعجب بعض [illegible] المصور والشاعر [illegible] وغيره من الأدب الشعبي [illegible] كل ذلك يا سيدي سريالزم.

هل رأيت الفن المصري . كثير من الفن الفرعوني سريالزم.

هل رأيت الفن القبطي .. كثير من الفن القبطي سريالزم. إننا لا نقلد المدارس الأجنبية بل نخلق فناً نابعاً من هذه البلاد السمراء [illegible] منذ يوم كنا نعيش بتفكير ؟ [illegible] هذه الساعة يا صديقي.

تقول يا سيدي إن هذه الحركة الفرنسية كما زعمت «باعثها الأول نظريات العالم سيجموند فرويد» هذا كلام على ما فيه كثير من التهويل واستدرار التصفيق من أيدي الجمهور — إن كان الجمهور [illegible] الجهل — بدون حق. هذا كلام بعيد عن التحليل العلمي ، ففرويد له [illegible] وعند كل العالم الحر [illegible] في فكره وتفكيره. وهل من جريمة يا سيدي أن يدخل التحليل النفسي على أساس نظريات فرويد Freudism في التصوير كما هو كائن في الأدب والشعر في بلادنا هذه ، وهو بلد حر ديمقراطي ؟ وليست مصر حتى الآن [illegible] من ألمانيا ولم تستعمر [illegible] حتى تحرق مؤلفات فرويد في الميادين العامة بين صيحات الفرح والوحشية ... ألا يا سيدي ما [illegible] مصر ديمقراطية [illegible] بالفكر الفاشي والنازي [illegible] هذه إلى هنا يجب أن [illegible] لنصلك الطريق القويم — هل علمت يا سيدي أن مصور محمود بك سعيد كبير المصورين [illegible]

Freudism وأن مسطر كتاب الأستاذ محمود تيمور بك وتوفيق الحكيم وغيرهما كذلك

ليس بجديد استنادنا إلى نظريات فرويد — لو كان في ذلك بعض الصواب عند بعضنا — ما يدعوك لدعوة مثل هذا الفن بالإسفاف بأقل صورته؟ أسمحت هنا يا سيدي أن نعرف قبل أن تنكر هنا علاقة هذه الصور بالعلامة سيجموند فرويد؟ أن أحيلك على هذه العلاقة في فصل ممتع بكتاب Art & Society للعلامة Herbert Read أو ترجع إلى ما كتبه السير [illegible] الإنجليزي في أعداد London Bulletin من ذلك أخيراً

لقد ذكرت فيما نقلت من مقالي المستشهد به كلمة «الكتابة الآلية» فهل ترى يا سيدي أن هذه الكتابة الآلية Automatic writing قد ولت ودعت زمنها الآن. إن الشيء الذي يجمد دائماً من تلقاء نفسه ولا داعي للاستشهاد اليوم بما هو شيء عرفت عنه شيئاً الآن فقط بعد أن ذكرك أصحابه بالصورة التي عرفته عليها. هل قرأت يا سيدي الأستاذ «ما هو السيريالزم؟» What is Surrealism? by André Breton إني واثق أنك لم تقرأه وإلا لما استشهدت بقوله الذي ذكرته اليوم وإن كان قد قاله منذ سنوات عدة والذي لم تذكر [illegible] وما ذكره بعد ذلك. ربما عن إحدى الصور التي قد سرتك يا سيدي في محاضرة ألقاها الشاعر المصري بالفرنسية جورج حنين ونشر ملخصها Revue des conférences Françaises en Orient التي تصدر بالقاهرة عدد أكتوبر ١٩٣٧

وأخيراً هل تسمح يا سيدي أن رجل النقد في مصر أحد [illegible] واسع [illegible] له رأيه في الفن [illegible] أن يظهر في مصر قد تكلم عن ثلاثة من أعضاء هذه الجماعة من المصورين في مقالات [illegible] في الأهرام ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٨ والبلاغ ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨ تأثير الفن الشعبي والفن الشرقي في فنون هؤلاء الفنانين وهم الأستاذان [illegible] وكاتب هذه السطور. إن بعض الأعضاء في هذه الجماعة مثل [illegible] قد بلغوا منهم درجة [illegible] عالية بالفن الشعبي [illegible] مجال [illegible] شخصي لا دخل للسيريالزم

فيه وإن كان به ما بالسيريالزم من بعض الصلات [illegible] خصوصاً في الصور المصرية التي [illegible] أما صور الأستاذ يوسف العفيفي [illegible] الشعب [illegible] تكون [illegible] شخصي [illegible] من غرب أو من [illegible]

إني أحب أن أحيطك هنا بما أجاب به أستاذه [illegible] أحد النقاد الفرنسيين لنظريته يوماً إذ قال له: «إن السيريالزم ما هو إلا الاسم [illegible] الحديث لما نسميه [illegible] الخيال [illegible] التعبير [illegible] الأساليب، والشرق منذ الأزل موطن كل هذه»

وليس لنا [illegible] بعد هذا، ولعل [illegible] وأوردت في إيجاز ما يدعو قراء الرسالة الأفاضل لدراسة بعض هؤلاء الكتاب والنقاد

كامل التلمساني

عضو جماعة الفن والحرية

الشقيقـــان

الإلكترون والبوزيترون أو السالب والموجب

للدكتور محمد محمود غالي

ذكرنا أن المادة مجموعة من الذرات، وأن الكهرباء مجموعة من الذرات الكهربائية، أطلقنا عليها «الإلكترونات»، كتلة الواحدة منها حوالي $\frac{1}{1850}$ من كتلة أخف الذرات (ذرة الهيدروجين)، وذكرنا أدلة حسية على وجود هذه الإلكترونات أو الجسيمات المتناهية في الصغر. من ذلك أن انجذابها للمغناطيس يحدث كما تجذبنا الكرة الأرضية، وذكرنا أن مسار هذه الجسيمات يدل على أن كهربيتها سالبة. والآن نخطو بالقارئ خطوة أخرى لنحدثه في نوعي الجسيمات الكهربائية. فكما أن العناصر المادية صنوف مختلفة ومن اختلاف الذرات، كذلك الكهرباء تتحول لاختلافه ومن نوع الذرات الكهربائية، ففي المادة نرى مثلاً الماء المكون الأعظم لسطح الكرة الأرضية، هذا الماء الذي يروي النبات الذي عليه نعيش، وفي المادة نرى الماس تكوّن من تكتيلهما أعظم معالم الدنيا.

وفي الكهرباء نرى نوعين مختلفين من الذرات، الذرات السالبة والذرات الموجبة، والأولى تكوّن التيار الكهربائي وقد عرفنا أنها مكونة من جسيمات صغيرة جداً تتحرك في المادة كما يتحرك النيل في بلادنا حاملاً أمطار الحبشة سر رخائنا وأصل ثروتنا، والثانية مكونة من جسيمات صغيرة جداً تساوي كتلة الواحدة منها كتلة الأولى تقريباً وشحنتها موجبة. ولقد عكف العلماء على البحث في ماهية هذه الكهرباء الموجبة دون أن يجدوا وسيلة واحدة لفصل جسيم من المادة التي تحملها كما حدث أن استطاع الباحثون التعرف على الجسيمات السالبة بعيداً عن المادة.

حقيقة أمكن الحصول داخل أنابيب التفريغ الكهربائي على تيارات موجبة هي تيارات تسير من القطب الموجب إلى القطب السالب، ويصح تسميتها الأشعة الموجبة Rayons Canaux، ولكن اتضح من تعيين كتلة وشحنة هذه الأشعة أنها كتلة ذرات الغاز المتبقي في هذه الأنابيب، بحيث أن هذه الذرات تتكون من ذرات الغاز نفسه، ولا تمثل الذرات الكهربائية الموجبة، وهكذا اعتقد الكثير أن الكهربائية السالبة هي وحدها التي تظهر على شكل إلكترونات حرة، بيد أن الكهربائية الموجبة لا تنفصل عن المادة وتكون جزءاً منها.

وعندما أمكن لميلكان العالم الأمريكي المعروف أن يحصل في سنة ١٩٠٧ على إلكترون حر واحد وبهذا أكد العلماء كلهم معه كما سيعرف قريباً قارئ الرسالة أن هذا الذي حصل عليه هو إلكترون حر واحد ليس اثنين أو ثلاثة — زاد تشوق العلماء إلى العثور على أثر جسيمات الكهربائية الموجبة حرة طليقة، ومرت السنون طويلة بعد حادث «ميلكان» دون أن توجد مناسبة عملية واحدة يستطيع الباحثون فيها أن يحصلوا على شبيه الإلكترون الفذ كأنه لم يكن من أبناء هذا العالم الذي نعيش فيه.

وشاءت الظروف أن يكون كشف الذرة الموجبة في المعهد ذاته الذي أحرز فيه «ميلكان» نجاحه المنقطع النظير[1].

(1) سنتكلم في مقال قادم عن كيف استطاع «ملكان» أن يحصل على إلكترون حر واحد وكيف أثبت بالحساب وجود هذا الإلكترون

وفي المعهد الشهير الذي يديره «مليكان» في باسادينا بكاليفورنيا كشف «أندرسون» Anderson حديثاً الذرة الكهربائية الموجبة، هذه الذرة التي أعطاها العلماء في بدء الأمر (البوزيترون) أي الذرة الموجبة والتي عرض «بيران» شيخ علماء السوربون أن يعدل العلماء عن هذه التسمية ويطلق على الذرة الموجبة (موجبون) وذلك في كتاب[1] «حبيبات المادة والضوء» Grains de Matière et de Lumière ولقد كان هذا الكشف من ناحية أندرسون نتيجة لدراسة خاصة للأشعة الكونية التي كتبنا عنها أربع مقالات بالرسالة وألقينا محاضرتين عن هذا العام إحداهما في الجمعية الطبية العلمية بكلية الطب، والأخرى في جمعية المهندسين الملكية. والظاهر أن جزءاً هاماً من هذه الأشعة العجيبة التي تصل إلى أرضنا يتكون من الذرات الكهربائية الموجبة كما أن لهذه الأشعة قوة اختراق عجيبة بحيث تستطيع عندما تصطدم مع المادة أن تخرج منها الذرات الموجبة التي اتضح أن كتلتها تعادل كتلة الألكترونات ذرات الكهربائية السالبة

ولقد استطاع الباحثون بتسليط أشعة جاما الراديومية أن يحصلوا على البوزيترون. وهكذا اتضح أن عملية إخراج الذرات الموجبة من المادة أصعب بكثير من إخراج الذرات السالبة، هذه الذرات الأخيرة تظهر في الأحوال العادية كشحنات حرة، فهي التي تحدث كل الظواهر الكهربائية المعروفة بالظواهر الألكترونية التي هي من سبب الأشعة الكاثودية وتسمى بينها كل هذه الألكترونات المهاجرة والسريعة التي تكون الأساس في فن الراديو حيث تعد هجرة الألكترونات في الفراغ من سطح «الكاثود» حتى «الأنود» العمل الأساسي في نجاح هذا الفن

على أن معرفة هذه الحالة للذرة الكهربائية التي يحملها الألكترون وانتهت بمعرفة شبيهه «البوزيترون» وتحديدها من المادة وقياس كتلة كل منهما، كل هذا تم في الأوساط العلمية الطبيعية التي عليها ظاهرة الكهرباء، وبعد أن كانت التيارات الكاثودية معتبرة عند العلماء حالة خاصة لظاهرة الكهرباء، عمم الباحثون أن الشحنات الحرة المسببة الكهربائية هي الحالة العامة الطبيعية، فالألكترون مهاجر حر يسافر في كل مكان وفي أي اتجاه بسرعة كبيرة تعادل سرعة الضوء، وما نلاحظه عندما تجرى الكهرباء فيه إلا وسطاً مقاوماً لطبيعتها الحرة، وسواء اعتبرنا «الأمبول» المفرغة مكاناً تسبح فيه الكهرباء أو اعتبرنا الأسلاك النحاسية مكاناً تروح وتغدو فيه، فالكهرباء في الحالتين ظاهرة واحدة. الكهرباء شحنات مهاجرة وعوالم متنقلة، وليس ثمة فرق بين هجرتها في الأنابيب المفرغة وهجرتها في الأسلاك إلا أنها في الأخيرة تعمل لها طريقاً بين ذرات المادة المتراصة وتلاقي في هذا السبيل ما نسميه المقاومة الكهربائية

* * *

عندما تحادث من القاهرة صديقاً لك بالإسكندرية وتستمر المحادثة بينكما ست دقائق في الساعة كما هو المعتاد، فإن كل لفظة تسمعها تترجم في الواقع من ملايين الملايين من الشحنات المهاجرة في السلك النحاسي الذي تمده الحبال بين البلدين. عندما تقول لصديقك في التليفون «كيف حالك» فقد حدث في هذه اللحظة من جراء صوتك جمع مئات الآلاف من الذبذبات التي تمثل صوتك والتي تحكي تسجيله والتي كان لها أثر على التيار الكهربائي بينكما، وفي كل حرف نطقت به وقعت حرب عوان لا نعرف بها مواقع فردان وللطرف الآخر فيه ملايين الملايين من المهاجرين كانت تشق طريقها بصعوبة وسط ملايين الذرات المادية كمثل عصرنا أسطر أن يجتاز صفوف العدو أو أن يخترق مدينة مزدحمة بالسكان وكل لا بد له في الحالتين من مجهود مضن قبل أن يكون قد اخترق كل ما أمامه

هذه العلاقة بين هذه المهاجرين وتشكل الشحنة أشبه بحربه

---

(1) كتاب حديث جداً لبيران أستاذ السوربون حائز على جائزة نوبل وهو الذي عينه «ليون بلوم» زعيم الحزب الاشتراكي في فرنسا وكيلاً لوزارة الأبحاث العلمية في وزارته السابقة كما عين بنت مدام كوري المعروفة في مثل هذا المنصب، وفي هذا الكتاب نرى في الفصل الرابع وفي الصحيفة ٤٤ هذه التسمية الجديدة. ونطالع في الأسطر الأخيرة من هذا الكتاب القيم كلمات الشكر التي يقدمها العالم الفيلسوف لابنه العالم الشاب «فرانسيس بيران» Francis Perrin على ما قدمه من مجهود

أنه لممكن التوسع أخيراً في طريقة نقل المكالمات التليفونية، بحيث أنه يمكن الآن على سلك واحد أن يتكلم حوالي ٢٥٠ متكلماً في وقت واحد بحيث يمكن في الحال تحليل الأصوات أو بالأحرى الذبذبات عند خروجها من السلك الذي يصحب جهازاً يسمع كل متكلم صاحبه في الوقت ذاته الذي حدثت فيه المكالمات جميعاً، وقد تمت مثل هذه الخطوط بين كثير من البلاد الكبيرة نذكر منها على سبيل المثال الخط الرئيسي بين لندرة وبرمنجهام وبين هذه ومانشستر. وقد قدر العلماء أنه في الأحوال العادية يهاجر في واحد على الألف من الثانية حوالي كانتليون من الألكترونات

• • •

ولقد درس العلماء ما يحدث في التوصيل الكهربائي وكشفوا ظواهر غاية في الأهمية، وعرفوا ما ينتج من سحب المقاومة الكهربائية عند تبريد الأسلاك الموصلة تبريداً يبلغ في هذه التجارب درجة الهواء السائل، وقد وجدوا أن التيار الكهربائي يستمر عند هذه الحالة عدة ساعات دون أن يُبدي الأسلاك التي يوجد التيار فيها أي مس كهربائي، طيلة هذه المدة. وفي حلقة معدنية غاطسة في هيدروجين سائل كوّن الباحثون بطريق التأثير induction تياراً كهربائياً، وذلك بتقريب مغناطيس من الحلقة؛ ومن جامعة ليد Leyde الشهيرة نقل الباحثون الحلقة المعدنية والوعاء المحتوي على الحلقة إلى جامعة أوترخت Utrecht حيث اتضح بواسطة الجلفانومتر أن التيار المتكون بالتأثير لا يزال موجوداً وأن الألكترونات لا تزال تدور دورانها في الحلقة(١). ولعل ذلك راجع إلى عدم وجود سبب في التهيج الذري المستديم الواقع في حلقة المعدن بحيث وجدت الألكترونات طريقاً سهلاً بين هذه الذرات التي اقتربت جداً بالتبريد من السكون.

وعليه فثمة ثلاثة أنواع رئيسية من الجسيمات

(أ) البروتونات وهي المكونة للمواد الطبيعية

(ب) والنوترونات وهي المكونة للتغيرات الكيميائية

(جـ) والألكترونات ومعها البوزيترونات المكونة للظواهر الكهربائية

أما أن يكون الجزيء مركباً من ذرات فهذا لا جدال اليوم فيه إلا إذا أردنا أن نعود بالعلوم إلى الكيمياء. وأما أن تكون الذرة مركبة من مكونات أصغر منها أهمها الألكترون والبروتون فهذا أيضاً أمر لا شك فيه وإلا جاز لنا أن نستغني عن كل معارفنا في الكهرباء.

هذان الشيئان يلعبان دوراً هاماً في معارفنا، وسنحاول مع القراء أن نتعرف عليهما أكثر من ذلك.

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم [illegible]

(١) يمكن الاطلاع على هذه الأبحاث في مذكرات جمعية العلوم بموطنه [illegible] ويستطاع هذه الأبحاث في كتاب الأتوم للمرحوم [illegible] في مجموعة فلاماريون ص ١٢٥

من هنا ومن هناك

لو كنت يهودياً

[منتخبة من مقال « المهاتما غاندي »]

كل عواطفي تتجه نحو اليهود ، فقد توثقت بيني وبينهم أواصر الود أيام إقامتي بجنوب أفريقيا ، وصار لي بعضهم أصدقاء مدى العمر ، فأتيح لي أن أعرف كثيراً عن هذا الاضطهاد الأبدي الذي يعانيه اليهود عن طريق هؤلاء الأصدقاء . إنهم المنبوذون في المسيحية . ولقد أرى وجه الشبه يتقارب كثيراً بين المعاملة التي يعاملهم بها المسيحيون ، والمعاملة التي يعامل بها المنبوذين طائفة الهندوس . عند كل الدين هو الذريعة التي لو تمكنت يحمي تلك المعاملات الهمجية التي عانتها الطائفتان . فإذا وضعت تلك الصداقة جانباً ، ونظرت إلى الأمر من ناحيته العامة وجدت عواطفي جميعها تتجه نحو اليهود

إن الدعوى السائدة تقضي بأن يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله أينما ولدوا وحيثما نشأوا . فاليهود الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ولا شك ، كما أن المسيحيين الذين يولدون في فرنسا فرنسيون . فإذا اتخذ اليهود فلسطين وطناً لهم ، فهل معنى ذلك أنهم يشعرون بكرة إخراجهم مقهورين من ديارهم ؟ أو أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة في طلب الوطن القومي تعطي الألمان حجة براقة اللون لطرد اليهود

إن اضطهاد الألمان لليهود على أي وجه نظرنا إليه ، يلوح لنا أنه منقطع النظير في تاريخ العالم . إن الطغاة الغابرين لم يصلوا في يوم من الأيام إلى ذلك الجنون الذي يلوح هتلر إليه ! وإنه ليصنع إليه بحماس ديني ، إذ أنه يدعو إلى دين جديد من الوطنية مولعة بالطرد والمحاربة ، فباسم الدين تعد هذه الأعمال المنافية للإنسانية ، من الأعمال الإنسانية التي يجازى عنها مرتكبوها في الدنيا والآخرة خير الجزاء .

إذا كانت في الحياة حرب عادلة تقوم باسم الإنسانية ، فالحرب ضد ألمانيا وحدها لمنعها من اضطهاد عنصر كامل من بني الإنسان . ولكنني لا أعتقد في الحرب بحال من الأحوال . إن ألمانيا تلبس الباطل ثوب الحق ، والهمجية ثوب الإنسانية . فهل يحتمل اليهود هذا الاضطهاد الغريب ؟ ألا يوجد سبيل للاحتفاظ بالكرامة والشعور بشيء غير الضعف والإهمال والخذلان ؟ إنني أقر هنا بأنهم لا يجدون هذا السبيل . إن إنساناً يعتقد في وجود الله يجب ألا يشعر بالعجز والخذلان . إن اليهود كالمسيحيين والمسلمين والهندوس في اعتقادهم بوحدانية الله ، إلا أنهم يشخصونه ويعتقدون أنه يتولى جميع أعمالهم ، فأجدر بهم ألا يشعروا بأنهم بغير نصير .

لو كنت يهودياً مولوداً في ألمانيا وكنت أحصل رزقي بها ، لصرحت في وجه أقوى رجالها ، « إن ألمانيا وطني ولا أخرج منها ولو قطعت أوصالي ، أو ألقي بي في سجن » . ولرفضت أن أطرد منها أو أخضع لأي نوع من أنواع الاضطهاد بها ، ولا أنتظر رفقائي اليهود لينضموا إلى عصيان مدني ، ولكني سأكون على ثقة بأنهم سيحذون حذوي في النهاية .

لقد نجح الهنود في حركة العصيان المدني بجنوب أفريقيا ، وكانوا يشغلون ذلك الوضع الذي يشغله اليهود الآن . بل إن مراكز اليهود في ألمانيا خير من مراكز الهنود في جنوب أفريقيا . إنهم أكثر ذكاء وأقوى استعداداً من هنود جنوب أفريقيا ، وفضلاً

عن حلك ، فقد أوجدوا لأنفسهم سنداً من الرأي العام في أنحاء العالم أنهم إذن جديرون أن يتقوا رجالاً وساء ذلك الموقف الحازم معتمدين على قوة الله التي ستحميهم ولا شك في احتمال الشدائد ، وأنهم حينئذ سيرفعون من شأن ألمانيا ويبرهنون على أنهم أبناؤها الجديرون بهذا الاسم ، لا هؤلاء الذين يسيرون بأمتهم وبعصبها نحو الهاوية

ويلات سيطرة عالمية

[عن مجلة « المركبة أوف لوبات »]

جرب العالم في ربع القرن الأخير كل رأي في سبيل منع الحروب . فمنذ عام ١٩١٨ بدأت محاولات جدية لإنقاذ العالم من الأوتقراطية ونشر مبادئ السلم والحرية ثم أعقب ذلك محاولة عصبة الأمم ، ثم ميثاق كلوج فاتفاق عدم التسلح فلما بهتت تلك الآراء بالخيبة وأخذ شبح الحرب يلوح ثانية للعالم ، أنيطت بعض الأمم تفكر في حماية نفسها من الحروب ، فعمد بعضها إلى التسلح ، ونزع بعضها للتحالف ، وآثر بعضها الوحدة ونظام الحياد الدقيق ولكن شيئاً من ذلك لم ينجح في وقاية العالم من الحرب ، وإن كانت كل أمة من هذه الأمم تعتقد تمام الاعتقاد بأن الحرب إذا اندلع لهيبها ولا يستطيع أحد أن يقول إن هذا أمر بعيد الوقوع — سوف لا تبقى إلا وهي على حافة الدمار

إن فكرة السيادة القومية هي أهم أسباب الحرب . فإن أجل السيادة يقضي على العالم الإنساني بأن يعيش تحت هوس الفوضى وإذا كانت هناك أسباب أخرى لا شك فيها لإثارة نيران الحرب كالخوف والطمع والزهد والتعصب العنصري إلا أن هذه الفوضى هي التي تشعل نيران تلك الشرور ، وتجعلها أمراً لا مفر منه ، فلا تلبث أن تؤدي إلى الحرب عاجلاً أو آجلاً ، كما هو الشأن منذ سقوط آخر نظام عالمي وهو نظام الأمبراطورية الرومانية .

لذلك تقع الحرب بين الأمم تحت السيادة فحسب ، أو الأمم التي تسير وراء السيادة والسيادة تحمل الناقمة على التسليح أمراً لا مفر منه ، وتمحي الأخلاق في سبيل التفوق السياسي ، وتسوق الأمم القوية إلى الاستعمار والضعيفة إلى طلب الاستقلال ، وتقضي على فكرة التعاون الاقتصادي بين الدول ، وتنشر في عدد قليل المتعطلين زيادة التعريفة الجمركية وغيرها من العوائق ، وتعويق الحالة المالية والاقتصادية ، وتقضي على حقوق الفرد ، وتحيل الأمم وهي في طريقها الذي لا آخر له في خلف الأمس بالقوى الحربية — إلى مجرد ولايات للرق والاستعباد

إن العلاج الوحيد للحرب هو الاتحاد الذي يقضي على القضاء التام على فكرة السيادة الدولية ، سواء تقمصت مظهر القوة كما نرى الاشتراكيون والفاشست ، أو تقمصت صحة التحالف الديمقراطي فكل اتفاق يؤول في النهاية إلى السيادة سيكون نصيبه أن يفشل تماماً كما فشل في الولايات المتحدة ما بين سنة (١٧٨١—١٧٨٩) إذ أن السكون الذي يعقب الحرب لم يستأصل جذوره

يجب أن نختار بين الحرب ، والمضي المتواصل وراء السيادة الحربية ، مع ما في ذلك من القضاء على السلم وحرية الفرد ، وبين الرجوع إلى فكرة حقوق الإنسان القائمة على اتحاد الشعوب تحت نظام فيدرالي كالذي تسير عليه أمريكا الآن إذا كان للحرية أن تعيش ، وللسلم أن يقوم على دعائم ثابتة .

الحرب ومشيئة الرحمن

[عن مجلة « مانشستر أوف ... »]

قد يتساءل الإنسان وهو يعرض لفكرة الحرب ، ويفكر في الشقاء والبلايا التي تعرض الإنسانية في هذه الحياة « كيف يرضى الله لعبيده هذا الحال ؟ » هذا السؤال وأمثاله يخطر ببال الكثيرين من الناس وهم إذ يفكرون هذا التفكير لا يريدون أن ينظروا إلى الحياة على وجوهها المختلفة المتعددة الجوانب ، مسوقين إلى آراء وهمية الأساس لا تنتج عادة غير الريب فنحن نظن أن عقيدتنا في الله والمسيح كافية لإصلاح كل شأن وصلاح كل مأرب مع ما نراه من البؤس الذي يعانيه كثير من الرعيين

الناسين في إيمانهم ، لا فرق بينهم وبين غيرهم ممن لا يؤمنون بشيء . ومثل بسيط كاف لحل هذا اللغز ، وإيضاح الحقيقة التي توجب ذلك

إن مجرد الإيمان بالفن لا يجعلنا من رجال الفن حتى الراسخ؛ إذ لا بد أن نصبح فنانين ... ذلك يتجلى في نفوسنا ذلك الشعور الداخلي الذي يخالط حياتنا ويحملنا على التعبير عن الفن

وكذلك نستطيع أن نقول إن مجرد الاعتقاد بالله وبالمسيح لا يؤدي إلى ما نشتهيه نفوسنا ، ما لم نكن مسيحيين كالمسيح ، متجلياً في نفوسنا ذلك الشعور الداخلي الذي يمازجه ويحملنا على التعبير عن قدسية هذا الشعور

فكما يعبر الموسيقي عن الأعمال الخالدة التي يصنعها كبار الموسيقيين ، يعبر عن الله العظيم ويترجم عن روحه

لقد وهبنا الله الحرية ... وإن شئت الحصول على الدلائل القاطعة على ذلك ... فالحياة تعبيرها حركة مطلقة ، وكل منا يحقق في نفسه تلك القوة الخالقة التي تسير الحياة ... هذه القوة وذلك النشاط هما الأداة التي تحيي فينا أسمى مظاهر الحياة

***

إن كل ما يحرزه الإنسان من التقدم في الحياة ، يرجع الفضل فيه إلى القوة الباطنة : هي التي تسمو بطبيعته وتهبها العمق والاتساع

والفرق بين الناس يرجع إلى الباطن دائماً ، فقد كان السيد المسيح فقيراً معدماً في ظاهره ، ولكنه في الباطن كان متصلاً بالسموات والأرض . لقد خلقنا الله لنعيش كما يعيش الفنان المعبر عن الحياة ، واهبا الروح والقوة والنشاط والحركة ، ووهب القدرة على الاختيار والحرية ، وبغير هذا حياتنا الباطنة ، فلسنا إلا آلات متحركة . إلا أن الحرية لا تسير بغير نظام . وإطاعة هذا النظام لا تفقدنا الحرية ... فالحركة والنشاط والقوة والعمل والنجاح يجب أن تسير جميعاً على نظام خاص .

والفرق بين الخضوع لقانون الفناء المحزن والخضوع لقانون الإله ، هو حرية الاختيار في الحالة الأولى ... حقائق الأمور — والإجبار الذي لا اختيار فيه في الحالة الثانية . وما دام الله قد خلقنا لنكون الفنانين المعبرين عن جلاله ، وخلقنا أحراراً في الحياة ، فالحرية إذن هبة الله ، وهو بقدرته يحمي هذه الحرية . فإذا خضعنا للقانون حمى نفوسنا وحفظ حريتها ، وإذا خالفنا ذلك القانون ، فقدنا حريتنا ، وخضعنا لقانون الآلة الصماء

فعدم تنفيذ إرادة الخالق يقضي على حريتنا ، إذ ... استبدال الحركة والنشاط واللذة والتقدم ، ويحضر ... إلى مهاوي الشقاء .

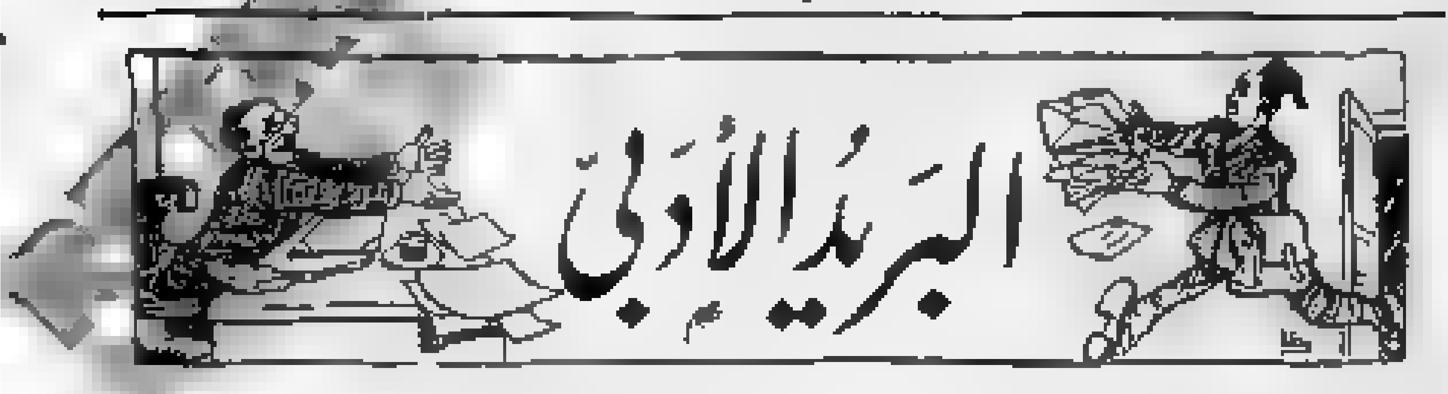

تاريخ الأمم والدول الإسلامية

هذا عنوان الكتاب القيم الذي أخرجه من أسابيع المستشرق العلامة الأستاذ كارل بروكلمن، وقد نشره R. Oldenbourg في مدينة موينخ من مدن ألمانية. وعنوان الكتاب في اللغة الألمانية Geschichte der islamischen Völker und Staaten

والحق أني لم أقرأ الكتاب بعد، وذلك لأني على سفر ولأني أستريح قليلاً من عناء المطالعة العلمية، غير أني رأيت ألا أتأخر بإخبار قراء «البريد الأدبي» بخروج ذلك الكتاب النفيس، وحسبي اليوم أن أجمل لهم مشتملاته على أن أعود إلى النظر فيه بعد رجوعي

١ — العرب والدولة العربية: العروبة قبل الإسلام. النبي محمد. الخلفاء الراشدون. الأمويون

٢ — الدولة الإسلامية: العباسيون وسقوط الخلافة وقيام الدول المستقلة. الفرس والترك. الإسلام في الأندلس وشمال إفريقية. الشرق الأدنى أيام الحروب الصليبية. المماليك في مصر. الترك والمغول

٣ — العثمانيون والإسلام: قيام الدولة العثمانية واتساعها في عهد سليمان. حضارة العثمانيين في أوج ملكهم. قيام الدولة الفارسية الثانية ومناهضتها للدولة العثمانية. انحلال الدولة العثمانية حتى نهاية المائة الثامنة عشرة

٤ — الإسلام في القرن التاسع عشر: الدولة العثمانية ومصر. الحياة العقلية في تركية ومصر. شمال أفريقية والسودان وإيران والأفغان

٥ — حال الدول الإسلامية بعد الحرب الكبرى: تركية. مصر. الجزيرة. الشام. فلسطين. شرق الأردن. العراق. إيران. الأفغان(١)

([illegible])

أشواق العروبة العراقية

كان يجب أن يكون معروفاً أن في مصر رجالاً أكرمهم العراق من أمثال الزيات والسنهوري وعزام، وهؤلاء تُختزن شمائلهم الكريمة في العراق بحفظ واعتراف، لأنهم ينظرون إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

وأنا عشت في العراق وعرفت تكرم أهل العراق، ومن السهل أن يقال إني أنظر إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

ولكنني أصمت عن حسن شبهة التحيز فلم أقل في أهل العراق غير كلمات صححت فيها ما يملكون من محاسن وعيوب

واليوم أراني مضطراً إلى إعلان ما أضمر لإخواني في العراق من الحب والإعجاب بعد ظهور المجموعة النفيسة التي أصدرتها مجلة المعلم الجديد بوزارة المعارف العراقية، وهي مجموعة مقالات وأحاديث نشرها سعادة الدكتور سامي شوكة في مناسبات مختلفات، وهي تدور حول محور واحد هو تقوية الفتوة في النفس العربية

ولا يمكن أن يتصور قيمة تلك المجموعة إلا أحد رجلين: رجل قرأها وعرف ما فيها من معانٍ سامية، أو رجل عرف الدكتور سامي شوكة وطالع ما في روحه الوثّابة من قوة وحماسة

والدكتور سامي شوكة معروف لأهل مصر، فقد زارها منذ أشهر أيام المؤتمر الطبي العربي وشاء كرمه أن يودعها بهذه الكلمات أعيدها:

«أودّع مصر القاعدة الحربية لجيوش أمتي العربية التي استندت إليها في صد أوربة وأوربا الغربية يوم كانت تقود العالم نحو الحق والفضيلة والعدل. أودع مصر أكبر كوكب في سماء بلادي العربية، مصر التي حمت لنا بجلادها وثقافتها سبيل الرقي والتقدم. أودع مصر عاصمة لغة القرآن في القرن العشرين»

بشير فارس

(١) وصلني من وقت قريب الجزء الرابع ... الثالث من «تاريخ الآداب العربية» للمستشرق بروكلمن، وربما كتبت فصلاً في هذا الملحق كما كتبت للأجزاء السابقة

ومما يجب التنبيه عليه أن الدكتور سامي شوكة وهو مدير المعارف العام بالعراق عمّم على جميع التلاميذ والمدرسين أن يلبسوا ملابس الفتوة لترتفع بينهم موازين التربية في الملابس وليشعروا بأنهم جنود مستعدون لتلبية نداء الوطن حين يفزع إلى أبنائه الأبطال

يا صديقي الذي لم أشهد فيه غير الشهامة والصدق، أعزك الله ونصرك، وجعلك قدوة لمن يخدمون المعارف بسائر الأقطار العربية

زكي مبارك

دعابات النشار

سيدي محرر «الرسالة»

وجّه نظري أحد الأصدقاء إلى الدعابات التي ينشرها حضرة الشاعر الفاضل عبد اللطيف النشار، وما أظن بلطفه إلا أن يتحملني وهو حرٌّ في ذلك، ولولا أن بعض ما يكتبه أتاح فرصة لسوء التفاهم مع بعض الأدباء. وحسبي أن أقول إن آرائي من أدبية واجتماعية وغيرها صريحة معروفة، ولم أحتج مرة ... أبي الفرج ولا غيره في التعبير المنسوب عنها. وعلى هذا فلست مسؤولاً عما يقوله زيد أو عبيد من معارفي أو أصدقائي، ولا أشاطر أحداً منهم عصبية، كما أن أحداً منهم لا يتحمل مسؤولية كتابتي. وأما من جهة الأمر ... فقد ذكرت رجلاً من أعلام النحالة المشهورين وهو المستر «ليونرد هاركر» فعرفت أيضاً ... ذلك من مظاهر لطفه. وقد يقتنع حضرته بهذه النسبة بالاطلاع على مجلة The American Bee Journal وإن لم يُرضه أن يجد أبناء العالم الجديد يعرفون العلم والأدب والتاريخ لما على غير ما يعلم

وبعد، فقد كنت قد تعبت جداً من الأدب العربي منذ زمن حتى أعدّ ... فصلاً كريماً من أبي الفرج الإسكندراني وأدعو له بالسلامة والتوفيق.

أحمد زكي أبو شادي

في الفصول والغايات

قال أبو العلاء في كتابه العبقري (الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ):

«علمت بعد فراق الروح كما نُقصّ من بدنك، وتُقصّ من مودك[1] ... أبي سعيد[2] في الفلق ... كأنما عرق طيل في السَّبج[3] مكدك؛ هكذا يحول المحول، ويؤثّر في الحجر دقيق. لا يمتنع أن يكون جسد الصالح إذا قبر في نسيم ورحمة، والكافر في عذاب أليم، لا يعلم به الآدميون، والله بحسن سبق به أعدائي أعظم نكالاً، فحسبنا كل شيء رحلاً قائماً بعوالقه حلالاً، يعم ... الإعفاء»

ويصف الفصل كله بمسر أبي الشيخ ... في الكتاب ... ويجعل ... وما أقصد ... أن أبحث بحثاً ... ولا ... فخطب ... في الفصل (غليل) وقد قال بعض الكتاب في التفسير «الغليل: لب البعير المكسر، أو ما هو من الشيء كسحالة الذهب وبرادة الحديد وشرار النار» وعندي أن الغليل هنا هو الشعر، و«ما قص من يدك» شرح (القسيط) و«ما قصر من مودك» توضيح (الغبين) وفي اللسان «النفية والنفل الشعر المتمع» وفي هذه اللغة «... من قتل، ... من صوف، غلبة من شعر، سيلة من غزل»

وإن استقل أديب فهذه لفظة و... في هذا الكتاب فلا يخفى ويهم إيمان العلامة ... في التدقيق وبالغ في الصيد فهو الذي قد حرمه نقداً كثيراً يشبهه

إن (الفصول والغايات) كتاب عجيب ما أخرج عالم في هذا الزمن من معادن الأدب القديم مثله، ولم يحقق مصنف تصنيفه[4] ولن يشبه أبداً أن الطبعة الأولى لم تنفد حتى اليوم وإنما يحزن ذلك القاهرة ومصر وبلاد العرب، ويخبر أن القوم (إلا أقلهم) لم يبرحوا في الشط ***

مصارعة رجلين

لا ندري ما الذي يحمل الدكتور زكي مبارك على أن يحرف كلام الناس ثم يتهمهم بأنهم يحرفون كلامه! فقد اتهمنا حين

(1) المود: واحد القرون وهو ... شعر الرأس ... (الأسنة ...)

(2) القسيط: القلامة الظفر

(3) السبج ... (التاج) ... (اللسان)

(4) راجع (المخزومات وكتاب الفصول والغايات) في الجزء ٢٠ من الرسالة الغراء.

أنكره عليه قوله: «أسقط عنك مرداء بما سيكون في الجنة من أطايب النعم» بأنها خمنت فوق عليه. فإن بصري أضعف من أن يوضحه نور الزجاج. ليجوز لنا أن نصفه بسوء الأدب في الفكر، وسوء الفهم الدقيق. وجملة التي أخذها منا لا يمكن أن يستخلصا أنه حجة أو دليل يمكن أن يضاف ذنب؛ فضلاً عن جملة يصح في ذاتها أن تكون موضع مؤاخذة لأنها ثناء على الله سبحانه بما لا يكاد يصلح ثناء على الشمس التي خلقها. فلو أن زكي مبارك كانا كتبها مرة أخرى، لكنتا كتبتها بمناسبة في أعلى مطلبه، كما سبق أن بينت.

والآن يأتي الدكتور في خطابه في العدد ٣٠٩ من الرسالة فينسب إلى كاتب هذه أنه قال: إن من حق الدكتور أن يتكلم في الأدب لأنه دكتور فيه، وليس من حقه أن يتكلم في الدين لأنه ليس دكتوراً فيه. والذي نعرفه أن الكاتب الذي يعنيه الدكتور لم يقل هذا، وإنما قال إن الدكتور له أن يتطرف أو يشتط في أسلوبه حين يكتب في الأدب الذي هو دكتور فيه، وليس له أن يتطرف أو يشتط حين يكتب في الدين أو حين يتحدث عن الله. فهو ينكر على الدكتور لا مجرد الكتابة في الدين، ولكن إساءة الأدب في الكتابة، سواء أكان دكتوراً في الدين أم غير دكتور فيه. وأظن سمعة الإسلام التي يحمد الدكتور الله عليها من شأنها أن تحمل الدكتور على الكاتب على ما قال، سواء أقر بما سماه الكاتب تمحكاً في دعوة زكي مبارك الذي وضعه أم لم يقر.

على أننا مع هذا يجب أن نصارح الدكتور زكي مبارك أن سيرأنه ... ليس لأنه يتكلم في الدين، ولا لأنه غير دكتور في الدين، ولكن لأنه غير متمكن فيه. وفرق بين الاثنين. فلو كان متمكناً في الدين لجاز له أن يكتب فيه ولو لم يحمل فيه شهادة أو لقباً ما، لكنه للأسف غير متمكن. ودليل ذلك أخطاؤه الكثيرة التي وقع فيها، والأخطاء التي لا يزال يقع فيها كلما كتب في الدين أو ما يتصل به.

والخطأ في الدين ليس كالخطأ في الأدب، كما أن الحلال في الدين ليس كالحلال في الأدب عرفي لا يستقيم منها بمعيار يميز الخطأ من الصواب. فمعيار الحق والصواب في الدين موجود لا يخطئ، ألا وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة؛ ما وافقهما كان حقاً وصواباً، وما خالفهما كان خطأ وضلالاً. والعقل بعد أن ثبت عنده أن القرآن من عند الله، وأن محمداً رسول الله، ملزم — ملزم بمنطقه هو أن يسمع ويطيع من غير تردد ولا ريبة، سواء فهم الحكمة أم لم يفهم، كما يفعل المريض الذي يسلم نفسه لطبيب يثق به ... إلى العقل حينما أن يحاول الفهم ما استطاع، بل هذا هو واجبه، ولكن ليس له أن يوقف السمع والطاعة في الدين على الفهم و«المعقولية»، وإلا أصبح الدين رأياً محضاً، أي أصبح غير دين.

يقول الدكتور زكي مبارك إن لكل مسلم الحق في أن ينظر إلى الله وإلى الوجود كيف شاء في حدود المنطق والعقل، ونحن نحتاج إلى ... بمكانة الاهتداء بالكتاب والسنة، لأن العقل وحده لا يستطيع تفكيراً صحيحاً إلا من مقدمات صحيحة، والمقدمات الصحيحة في الدين — بعد الدخول فيه بالعقل — لا توجد إلا في كتاب الله وسنة رسوله. فإذا لم يجد العقل فيهما ضل سواء السبيل.

والدكتور زكي مبارك في تفكيره فيما يسميه المنطق والعقل كثيراً ما يخالف الكتاب والسنة كما فهمهما أولو العلم من المسلمين من لدن وفاة الرسول إلى يوم الناس هذا. ومن هنا كانت أخطاء الدكتور، ومن هنا كان ما يشكو منه من سوء الظن به. فلو أنه اعتصم بالكتاب والسنة في تفكيره لقلت أخطاؤه كثيراً، ولما صح عنه شيء من نوع لا يضره ولا يضر الناس. إنه لما قال — مثلاً — «الشمس تحدثك يا رب» بأي شيء، لأي سبب؟ ولما جزم بأنه سيدخل الجنة بكتابه «التصوف الإسلامي» فضلاً من أن يدخل معه «على حسابه» ألوفاً من الأحياء كما يقول؛ لأنه لامس — في زعمه — قال قولاً كهذا «والتأويلات ... صادق الإيمان وحلاوته عند الله مقبول» فإن هذا النوع من الكلام خاطئ ... في الدين، فقد يسهل بلحنه من هو ... من ... من زكي مبارك ما أنكر النبي ذلك عليها وقال: «ما أدراك؟»

ويجب أن يذكر الدكتور أن الإسلام ليس مجرد إقرار، ولكنه أيضاً عمل. والكتابة عمل، بل هي من الأعمال. فلو راقب الدكتور الله في كتابته فلا يأتي فيها بما ينكره الإسلام، فإن ... المسلمين إلا من يحسن الظن به، فإن الذي حمل على سوء الظن به إنما هو ما وجد فيما كتب إلى الآن من مخالفة الكتاب والسنة حتى في بعض الأساسي من الأمور.

«بور سعيد» محمد أحمد الغمراوي

فتوى الأزهر في أسباب الرق وأحكامه

أرسل بعض علماء جاوة إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي:

«رجل باع ولده الحر لمسلم أو غيره، فهل يصح هذا البيع؟ وهل يصير هذا الولد ملكاً للمشتري؟ وإذا لم يصح البيع فما حكم ثمنه؟ وهل يجب رد الولد والثمن؟ وما هي أسباب الرق الصحيح؟»

وقد أجابت لجنة الفتوى عن هذا الاستفتاء بما يأتي:

الاسترقاق ظاهرة اجتماعية نشأت منذ نشأة الاجتماع الإنساني، ويرجع هذه الظاهرة إلى تغلب القوي على الضعيف وتسلطه عليه واستخدامه إياه.

وقد كان الرق شائعاً قبل الإسلام في جزيرة العرب، فكان الناس يخطفون الأنفس والفتيات من بين أهلهم ويذهبون بهم إلى الأسواق حيث توجد النخاسون وسماسرة الرقيق؛ وكذلك كان شائعاً قبل الإسلام في أمتي الفرس والروم على ما كان في جزيرة العرب وأشد.

وكانت معاملة الأرقاء في هذه الأمم تختلف في القسوة واللين تبعاً لاختلاف عاداتها وتقاليدها، إلا أن هذه المعاملة على العموم كانت قاسية جداً يظهر فيها سلطان القوي على الضعيف بأجلى معانيه، بل إن القوانين المدنية القديمة المؤسسة على وضع الطبقات البشرية كانت تعتبر الأرقاء من الطبقة السفلى التي تعزب عنها الكرامة الذاتية، ولا يمكن أن ترقى يوماً إلى مرتبة الطبقة الإنسانية.

فجاء الإسلام يسوي بين الناس جميعاً وأعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، ولكنه وجد نظام الاسترقاق قائماً بين الأمم ومعتبراً من النظم الاجتماعية المتأصلة في صميم حياتها إذ ذاك، فكان من حكمته في التشريع أن لم يهدم هذا النظام هدماً، بل عمد إلى تقرير المبادئ الآتية التي تخفف من آثار الرق وتنظم العلاقة بين المالك والمملوك لا على أساس القوة والضعف كما كان في الأمم السابقة، بل على أساس الشفقة والأخوة وتبادل المنافع والتعاون في شؤون الحياة. ولا نبالغ إذا قلنا إن مبادئ الإسلام التي شرعها في الاسترقاق تعتبر بمثابة إلغاء الرقيق. وإليك بعضاً من هذه المبادئ:

أولاً: حصر الإسلام في أسباب الرق حتى حصرها في سبب واحد هو محاربة المشركين للإسلام وصدهم الناس عن سبيل الله، فأذن للمسلمين الذين يدافعون عن دينهم ويدفعون عنه محاربة المشركين أن يضربوا الرق على من يقع بين أيديهم من أسرى هؤلاء المشركين المحاربين.

ثانياً: لم يجعل هذا الاسترقاق ضربة لازب ولا نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم، بل جعل ذلك من قبيل النظم السياسية الحربية، فخير الإمام في أن يلجأ إلى الاسترقاق إذا رآه وسيلة من وسائل الإعزاز لدين الله وكسر شوكة المعتدين، وفي أن يمن على الأسرى فيطلق سراحهم بفداء أو من غير فداء.

ثالثاً: إذا رأى الإمام أن في الاسترقاق وسيلة حربية لإعزاز الدين ودفع اعتداء المعتدي فلجأ إليه فإن الإسلام لم يترك الحبل على الغارب ولا ترك الرقيق لشهوة مالكه ورحمته يحمله من الأعمال ما شاء كما كان في زمن الجاهلية، ولا جعل حظيرة الرق حظيرة أبدية لا يستطيع الرقيق الخروج منها بحال، بل عني بأمر الرقيق وأوصى المسلمين به خيراً، قال تعالى: «وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس». وقال صلى الله عليه وسلم: «من كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها كان له أجران».

ثم رغب في العتق ودعا إلى تحرير الرقاب، وجعل في عتق رقبة قرباناً عند الله يستحق ثواب كثير من الطاعات، بل أوجب الإسلام في بعض المعاصي تحرير رقبة كمن قتل نفساً خطأ أو أفسد صيامه عمداً، أو حنث في يمينه التي عقد عليها قلبه.

وآيات القرآن الكريم وأقوال الرسول الكريم في الرفق بالرقيق والإحسان إليه في المعاملة كثيرة مشهورة. ومن هذا يتبين أن ليس للرق في الإسلام إلا سبب واحد هو ما أسلفنا الإشارة إليه من محاربة المشركين واعتدائهم على المسلمين، وأن الاستيلاء على المشركين بأي وسيلة كانت غير السبي، ومن غير حرب، وخطف الأولاد من أهليهم كما كان يحصل في الماضي، كل ذلك لا يترتب عليه أن يكون المستولى عليهم أرقاء ولا يسوغ التصرف فيهم بحال.

وإن بيع الرجل ولده يكون بيعاً باطلاً يجب فسخه، ويجب رد الثمن للمشتري، ورد الولد إلى أبيه. والله أعلم

محمد عبد اللطيف الفحام

رئيس لجنة الفتوى

سعد وسعاد ومعاوية بن أبي سفيان

ذكر صديقي الأستاذ الجندي أني عولت على قوله (والى ذلك الخليفة الأموي النبيل عمه من قريش ومكانه من الخليفة مروان ابن الحكم) عيباً خطيراً، فحسبت أن مروان بدل من الخليفة مع أنه ليس بدلاً منه. ولو أنصفني صديقي لذكر أني حين لم أستسغ ذلك حسبته عيباً حقيقياً، وأن عدم الدقة كانت سبباً في ظهور أمر لم يكن أحد ينتبه إليه لولا أني لم أستسغ ذلك، وذلك الأمر هو أن الذي حصل ذلك مع سعد وسعاد هو ابن أم الحكم لا مروان بن الحكم، كما جاء في بعض الروايات. ولا شك أن منشأ ذلك التلاعب بين الروايتين هو تشابه الاسمين، والمعروف في هذا أن يشتبه اسم ابن أم الحكم باسم مروان بن الحكم، لأن الثاني أشهر من الأول، فمن القريب جداً أن يكون بعض النساخ أبدله به، لأنه لم يسمع إلا باسم مروان بن الحكم

وقد ذكرت لصديقي الأستاذ الجندي أني لم أستسغ ذلك لمروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً يطمح إلى ما يطمح إليه كبار الرجال، ولا تدعو نفسه إلى مثل تلك الصغائر، ولم يكن كما قال الأستاذ رجلاً مفتوناً مدلاً، بل كان رجلاً عاقلاً ذا دهاء وسياسة، وقد اشتغل بالسياسة العالية وهو شاب صغير في خلافة عثمان رضي الله عنه، فكان فيها مشيره ووزيره، وصارع في ذلك أمثال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعاوية بن أبي سفيان، وما زال يطمح إلى أحد الخلافة ويسعى ليظفر بعد السلطان حتى ظفر به وأسس دولة بني مروان الكبيرة فكان لها ذلك الملك الكبير في الشام وغيره من البلاد الإسلامية، ثم بالأندلس التي ناهضت الدولة العباسية، فمثل هذا الرجل لا تستطيع النفس أن تقع في تلك الصغيرة التي جاءت بها تلك القصة، وإنما تستسيغ وقوع ذلك من أمثال ابن أم الحكم

وهذا إلى ما ذكرته في كلمتي الأولى هو منشأ اضطراب تلك القصة عندي، لا أنها موضوعة أو غير موضوعة كما نسبه إلى الأستاذ الجندي، فإني لم أذكر ذلك أصلاً، ولا يمكن أن يقع فيه رجل يفهم شيئاً في الأدب. ولا زلت أرى أن تلك القصة موضوعة، وأنه لا فرق فيها بعد ذلك بين أن تكون واردة في كتاب تزيين الأسواق أو في غيره من الكتب التي يحتفل الأستاذ الجندي بروايتها، مع أن احتفاله بروايتها يناقض ترديده في أنها موضوعة أو غير موضوعة، كما يتفق عزمه ووضع ما جاء فيها من الأشعار على لسان معاوية

وقد سكت الأستاذ الجندي عن دليلي على وضعها من هذا البيت الذي جاء فيها

قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات فرقان

وهو دليل على وضعه لا يمكن نقضه، ولا أدري لماذا سكت الأستاذ الجندي عنه

أما ما ذكره الأستاذ الجندي عن مروان في تلك الفتن التي فرقت كلمة المسلمين، فهو من الأمور التي اختلف العلماء قديماً فيها، ومقام مروان في تلك الفتن كمقام معاوية رضي الله عنه، على أن ذلك خروج عن موضوعنا، لأني نفيت ما ورد في تلك القصة عن مروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً لا يقع في تلك الصغائر، لا لأنه كان رجلاً عادلاً يتنزه عن الظلم

ولا أحب بعد هذا أن أطيل النقاش في كل ما جاء في كلمة صديقي الأستاذ الجندي، لأن القصة لا تستحق طول الجدل، ولأني لا أحب أن أشغل من الصفحات ما يستحق به مجلة الرسالة القراء

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

عبد المتعال الصعيدي

العثور على أبيات من الشعر وقطعة نثرية في أطلال الفيوم

أذاعت مصلحة الآثار بياناً عما قامت به بعثة جامعة ميلانو للكشف من أعمال البحث والتنقيب عن الآثار في منطقة مدينة ماضي بالفيوم. ومن أهم ما عثرت عليه عدد من المقتنيات بعضها ذهبي، وقد عثر عليها في أحد أركان حجرة صغيرة، وقد تحولت كلها إلى قطع متناثرة من تأثير الطبيعة

ومن الأمتعة التي تتبعها البعثة دراسة النصوص وجمع أجزاء الآثار بعضها إلى بعض، وقد أمكن معرفة ثماني قطع من الأبيات ركبها أوائل ست عشرة سطراً من الشعر لا تمت بصلة إلى هيرود ولا إلى أبولونيوس رودس

ووجدت أيضاً أجزاء صغيرة من الخطب، ومن قطعة نثرية يرجح أنها خطبة أكثر من أن تكون تاريخاً. ومنها هذه القطعة النثرية المكتوبة بحروف صغيرة على الباقي مكتوب بحروف جميلة كبيرة الحجم يرجع تاريخها إلى أوائل عصر المسيح أو قبل ذلك بقليل

كتاب الجماهر

عما أسمعنا به الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبي في (نقل الأديب) العدد ٨١٣ قول من (التاج) جاء فيه: «قال شيخنا من أبي الريحان في كتاب الجماهير قولهم

لأن الرطوبة [illegible] ... الخ» (رقم ٤٨٢ حاشية ١) والكتاب إنما هو (الجماهر) لا الجماهير، واسمه الكامل (الجماهر في معرفة الجواهر) لمؤلفه أبي الريحان البيروني نشره المستشرق العلامة الدكتور سالم الكرنكوي (ف. كرنكو) وطبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ، والعبارة المنقولة في التاج هي في ص ١٢٠ من كتاب الجماهر كما يلي:

«لأن الرطوبة فيه يقوم [illegible] الخ» وهذا هو الصواب [illegible]

[illegible] دمشق [illegible]

حول منهج الأغاني

للأستاذ النشار منزلة رفيعة في نفسي ومكانته الأدبية من شعرائنا تقدر كثير من اهتمامي وعنايتي وإعجابي وهو صديق وأستاذي من زمن بعيد ولكن ذلك لا يمنعني أن أقول كلمة في أشياء عنت لي في مقالاته

لم أجد اتفاقا بين الأغاني ومنهجه غير وضع لفظة (الصوت) على بعض الشعر وغير (حدثنا فلان عن فلان) وقد قال الأستاذ في مقاله الأول «ومن مخترع ومن ملفق إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة» ومع هذا فيكاد يكون ٨٠٪ من مقالاته نسيجاً على طريقته «إن لم يكن فقد كان يجب أن يكون»

وقد كان صاحب الأغاني يذكر الصوت فيترجم لصاحبه ويذكر آراء النقاد والعلماء فيه ثم يقص شيئاً من أخباره والأستاذ النشار لم يعمل شيئاً من ذلك فهو يكتب شعراً لغير الشاعر ونقداً لغير الناقد ثم يقول «إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذي يجب أن يقولوه» وليته لما آل إلى هذا يتسنى له تصريف القول كما يريد. وكان الأجدى لو عمد إلى أبيات من شعر من يريد أن يترجم له يتصور فيها منهجه وطريقته ثم يكتب ما قد قيل فيه من رأي ثم يعقب برأيه. وقد يذكر الأستاذ الاستطرادي ما لا حاجة إليه مثل أن يقول

«حدثنا الأستاذ حجري سعيد قال: حدثني العلامة [illegible] وشيخنا [illegible] وحدثنا الفاضل [illegible] بلاد حدثوه، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشيء، أو [illegible] ألا يروى عن هؤلاء العلماء الأثبات حتى يرى [illegible] في مشكلة دائرة»

مما يرى في مثل هذه العبارة [illegible] بعيد الأدب أو التاريخ

وقد ترجم أبو الفرج بك الآن لشاعرين رأيه خالف ما اتفق عليه الرأي في أحدهما، فقال إنما جاء في القرن الخامس والعشرين من يريد أن يعرف زعيم الموسيقا الحديثة في القرن العشرين لا يستطيع أن يعتمد على رأي الأستاذ، لأن المعروف والحق أن الذي فتح باب الحديث إلى هو (مطران) ومن خلفه (أبو شادي) أما ناجي فلم يكن له — من بعد — تأثير بالغ في هذه الأشياء. وقد [illegible] الأستاذ [illegible] رأيه، فكان عليه — وقد خالف المشهور والمعروف — أن يعزز رأيه بالحجة والدليل

وكذلك رأيه في صالح [illegible] (الموسيقار الكبير) وقد فهم أنه [illegible] من ذلك [illegible] ويمكن [illegible] في [illegible] من يأتي بعدنا

ومسألة رأيه أريد منها جواباً: من المأخوذ بالرأي المتحدث أو المتحدث على لسانه؟ وبعبارة أوضح من المسؤول عما قال الأستاذ في المرئي النفيس: الدكتور هيكل أم صاحب الأغاني؟

يقول الأستاذ على لسان هيكل: (وإني لأعجب من [illegible] الأمة العربية لا يقول [illegible] وإن كان [illegible] كان في آراء [illegible] شعر عمر [illegible] وإن [illegible] لا يختلف شيئاً من [illegible]؟) أهذا يقال؟!

والأستاذ النشار قد أجاد في ابتكار طريقة خاصة يدون بها التاريخ الأدبي لعصره الحاضر، فيها جدة وفيها ترويح عن نفوس القراء، ولكن ذلك قد يضطره إلى ما لا حاجة إليه كأن يقول: (والقصر [illegible] على [illegible])

وبعد، فرحلتي إلى الأستاذ الأعوج [illegible] من جانب (المنهج) كما [illegible] إلى من جانب (الأغاني)

ودعوتي إلى الله أن ينسأ له في الأجل حتى يتم كتابه وحتى يمتع قراء العربية بكتابته

[illegible]
كلية اللغة العربية

من تاريخ

النهضة المسرحية في مصر

وموقف الحركة القومية منها ورواجها ومآلها

كيف قامت النهضة المسرحية على يد فرقة رمسيس؟

لكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نعود خطوة أو خطوتين إلى ما قبل هذه النهضة، كيما نرى تلك الفترة الغريبة التي مر بها المسرح وقتذاك، وفي أية بيئة نشأت فرقة رمسيس، وفي أي ظروف أنشئت؟

نحن في عام ١٩١٧، والحرب الكبرى ما زالت في أيامها العصيبة، والناس هنا يحسون بها، ويصل إليهم أخبار أهوالها ويعانون الأزمات الناشئة عنها، بيد أن أكثرهم كان بعيداً عن الاصطلاء بنارها. وعلى كل حال لم يكن بهم من حاجة لقليل أو كثير من الناس يدفعونها إلى مآسي الحرب وآلامها، كان بهم حاجة في الواقع إلى ما يخرج بهم من همومهم ويخفف عن صدورهم مر الحياة والأيام العصيبة التي كانت تجتازها الدنيا حينذاك.

ومن ثم، فإنهم كانوا أقرب إلى تناول الأشياء المرحة منهم إلى تقبل ما يجهد أو يثقل الأعصاب ويثير كوامن الكربات الأليمة.

وكانت السينما ودور اللهو بنصيب في هذا السبيل، وقام أهل المسرح بنصيبهم أيضاً؛ ونشأت الفرق الهزلية تنتشر وتروج بمسارحها، ويقبل عليها الناس.

كان بربري مصر الوحيد يمثل في: (كازينو دي باري) عند مدام مارسيل، بين عشرات من الفتيات الجميلات!

وكان عزيز عيد، وروز اليوسف، ونجيب الريحاني وغيرهم يمثلون حيناً في (الآبيه دي روز)، وحيناً آخر في (مسرح رنكاسانس القديم)، أو على غير ذلك من مسارح كانت قائمة وقتئذ.

كان هؤلاء جميعاً يحاولون أن يضحكوا الناس وليدفعوا المسرة إلى قلوبهم والنشوة إلى نفوسهم، حتى خرج إليهم نجيب الريحاني بشخصيته البارعة «كشكش بك» عمدة كفر البلاص، فأحدث بها ثورة في دنيا الهزل! وراح يلقي بضاعته التالية من على منبر (الأجبسيانة) فيتحدث عن النساء، فلا أرى سلوى به وشغلاً له، وجعله ديدن الأطفال، وراح الشباب يستمتع بهن في مصر أم الدنيا! ووضع أمين صدقي رواية (حمار وحلاوة) وأخرجها نجيب الريحاني على مسرح (الأجبسيانة) فكانت نجاحاً منقطع النظير، وكانت هذه عهداً جديداً للمسرح الهزلي في مصر، ولأول مرة في تاريخ المسرح المصري لاقت رواية كل هذا الإقبال من الجمهور، حتى ظلت تعرض حوالي أربعة شهور!

وكانت بمثابة إعلان مصر عن هذا النوع الاستعراضي من الروايات الراقصة المضحكة بألحانها وموسيقاها، وراح الناس يحفظون أغانيها ويرددونها في الطرقات والبيوت؛ وراح أهل المسرح ينسجون على منوالها؛ ورأينا بربري مصر الوحيد يقول لمن حوله من الفتيات: «أنا في عرضك طلعة القمر»! ومصطفى أمين يطربهم بصوته الجهوري المشجي.. بعد أمين صدقي أن من الخير أن يترك نجيب ليعمل مع صاحبة مدام مارسيل، ويبني في ظلالها رغبة نجيب في تدبير خوري من بعض عهده هذا فيخطى الهام به.

وعمى كل في سبيله فلا تمضي بضعة شهور حتى لا يكون في مصر غير: «كشكش بك» و«بربري مصر الوحيد» وحتى لا يكون من غير شارع واحد يلج سمعه الآن هو شارع عماد الدين.

وبعد هل شأن المسرح الأدبي وصار أبطاله حيارى لا يدرون ما يعملون. ولقد وصل الحال بجورج أبيض بطل التراجيدي أن يستعين باسم «كشكش بك» وروايته «حمار وحلاوة» ويتخذ منهما شفيعاً لدى الجمهور ليقبلوا على شهود روايته العظيمة (أوديب الملك)، وعرضت (أوديب) إلى جانب الفصل الأول من (حمار وحلاوة) على مسرح الأجبسيانة، ووضع الناس (يعجبون)

أوديب إلى جيب صوت أو الكشك كشك البحوح

إلى هذا الحد من التفاهة انحصر التمثيل الجدي، أو قل — في تعبير مخفف — إنه ما عاد يشغل عقول الناس بعد الذي كان من شأن المسرح الهزلي

في هذه الظروف، وفي تلك البيئة، نبتت شخصية كانت مجهولة! وظلت مجهولة إلى حد ما حوالي خمسة أعوام بعد ذلك. هذه الشخصية هي التي زعمت نهضة المسرح في فرقة مسرح رمسيس عام ١٩٢٢.

كان يوسف وهبي بن عبد الله باشا وهبي طالباً من طراز غريب، كان أخوه محمد بك وهبي صاحب مدرسة وادي النيل الثانوية، وكان اسم يوسف وهبي الطالب الصغير ممزوجاً بين أسماء الطلبة الخاملين؛ وما كانوا يشهدونه إلا لماماً، إذ يجدونه كل بضعة أسابيع إلى جوار زميله وصديق الصبا عثمان يتحدثان في ... ويصبوان لتقيم ... كان كل منهما مزهواً بنفسه، واثقاً بعقله في ملكوت الفن الجميل

وفي نهاية العام شهد الطلبة زميلهم يوسف وهبي على مسرح المدرسة في مونولوج غريب، صور فيه صاحبه جندياً جباراً يدعى «مشكو»، يصارع الحرب ومصرعه، ويدعي الشجاعة وهي منه براء.

وظل يوسف يجود فيه بعض الحفلات المدرسية ومعرضه ورأى الناس فيه شيئاً بدا عجيباً إلى جانب «مونولوجست» ذلك الزمان من أمثال عبد الله شداد، ومحمد عبد القدوس، وحسن فائق، وحسين رياض، وأحمد عسكر... وغيرهم، كان يوسف شيئاً آخر سواهم، كان يعنى أشد عناية بشخصية الجندي الذي وبعث أروع تمثيل، وينال منها بعض الشيء في الإنشاد ونيل الإعجاب

ودارت الأيام دورتها، ووضعت الحرب أوزارها، واشتعلت نيران الثورة في مصر، وطورد من المونولوج، وكل من، وكل شيء في مصر ... ودعته المسرح نجاحاً وطنياً شعبياً في العهود التي سبقت ... وبينما يشهد الناس مسرح «الشعرة البيضاء» على مسرح الكازينو حيث ... من قريب أو بعيد، إذا هم يشهدون مسرح (حنظل بوبو) من بعدها لنفس السبب ولأسباب أخرى تحمل الأذهان!

بعد أنهم شهدوا في الرواية الأخيرة شخصية يوسف وهبي — لأول مرة — في دور (أستاذ) عنفه وعطاءه وحماسته،

ورأوا فيه شيئاً جديداً يستهوي انتباههم، لكنهم لم يكن ... أن تعرف اسمه، ولم يعرفوا خبره إلا في عام ١٩٢٢ حين طالعتهم الإعلانات الملصقة على باب مسرح رمسيس تعلن عن أسماء الممثلين والممثلات، فرقة رمسيس بطريقة مبتكرة هي إحدى نتائج يوسف وهبي بطل الإعلان في الشرق، وكان الناس يتطلعون ويسخرون من هذه الجماعة التي تورط نفسها في هذا العمل الضخم، وتحاول محاولة أن تحشر أسماء الهيئة المسرحية بين أسماء كتاب من ... عصبها من جبابرة المسرح، وفي وقت لم يكن يرجى فيه للمسرح الأدبي أي نصيب من الحظوة عند الجمهور

الإنتاج السينمائي في مصر وطرق علاجه

الإنتاج السينمائي في مصر ما يزال ضعيفاً رغم بعض الروايات الناجحة، أو التي يصح اعتبارها ناجحة بالقياس إلى غيرها، وعلة الضعف فيما نرى هو عدم وجود الرواية السينمائية الكاملة. أما أوجه النقص الأخرى فقد أمكن تداركها، فكل الأعمال الفنية الآلية قد تهيأت لبعض الاستديوهات في مصر بعد تجربة من تخصصه في الخارج، وكذلك بعض الرجال الفنيين الذين تحتاجهم هذه الآلات وهذه الأعمال، وإذا كانت التجربة المصرية قد أثبتت وأخرجت بعض المخرجين المصريين من الشباب، فإن استخدام بعض الأجانب قد عوض عن النقص الموجود. وقد أثبتت التجربة أن كثيراً من ممثلينا وممثلاتنا يصلحون إلى حد ما للعمل السينمائي، كما أن بعض الوجوه الجديدة قد تدربت في الميدان وأثبتت وجودها

أما التأليف السينمائي فقد دلت الأيام على أنه الشيء الوحيد الذي ينقص إنتاجنا السينمائي ويشل حركته أو يؤخرها

سمعت مخرجاً يقول: إن الرواية السينمائية تعتمد في نجاحها على الإخراج، أما الموضوع فهو آخر ما يعتد به، لأن المخرج القدير يستطيع أن يأتي بالمعجزات من لا شيء. وهذا لا يعدو أن يكون كلام مخرجين يطلبون لأنفسهم ... أما الواقع فهو أن الرواية القوية هي أول ما يعتد به في صناعة السينما، وكل ما عدا ذلك إن هو إلا (روتوش) الصورة وتجميل لها

لذلك يصبح متحتماً علينا أن نفكر أولاً في (الرواية) فإذا وجدناها فإن الباقي سهل وميسور، ... في سبيل الحصول على الرواية الكاملة قبل العصر الأكبر الذي يأتيهم عن طريقه سيختصهم بعد ذلك بساحرات الفن والعطاء، حتى كان لنا هذه النصيحة التي نقدمها إليهم ملاحظين

([illegible] الصغير)

أخبار سينمائية

آنا نيجل

بطلة (فيكتوريا العظيمة) و(ستون عاماً مجيداً)، وقد نالت بهما شهرة، جعلت الآفاق كأنها تتوجها مليكاً سامياً .

باربرا ستانويك

زوجة روبرت تايلور، وإحدى فاتنات هوليود، وهي أبرز نجوم وأحسنهن حظاً

السينما والصيف

تغير الحال، وصار للسينما في الصيف موسم يعمل له حساب بعد أن كان الأمر غير ذلك منذ سنوات قليلة، حين كانت أغلب دور السينما لا تعمل إلا شتاء . فإذا عملت صيفاً، فإنها لا تلقى إلا إقبالاً قليلاً . أما اليوم وبعد أن أنشئت دور السينما الصيفية، وزاد الإقبال عليها زيادة هائلة، وأصبحت مورداً وفيراً، إلى جانب تكاليفها الزهيدة، فقد بدأت الشركات تعمل حسابها للموسم الصيفي، وتعد له العدة كالموسم الشتوي على السواء، وسيكون لهذا أثر ملحوظ في صناعة السينما، وسيكون من شأنه زيادة الإنتاج ودورة الأرباح وشدة التنافس؛ وبالتالي ازدهار صناعة السينما وتقدم شأنها عند الأمم

يصنعون روايات الموسم القادم

* تمثل أسمهان في روايتين (غرام) و(ضحية الظلام)
* تم إخراج (يوم سعيد) وهو من أحسن الأفلام الفنية الأخيرة
* يعمل الأستاذ حلمي في إخراج (برلنتي) لسيدة آسيا والآنسة ماري كويني .
* يخرج إبراهيم لاما (قيس وليلى) على طريقتهم المعروفة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البرماوي — عابدين)

7ème Année No 322

Lundi - 4 - 9 - 1939

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البديوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

مجمعنـــا اللغوى

ماذا يصنع ... وماذا أثمر ؟

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

عرفت الدكتور أحمد عيسى بك لا من طبه — لا أُحسب حاجتي إليه ، ولا حذقه وأستاذيته فيه — بل من أدبه وعلمه وقد كانت له مشاركة في سياسة الأحزاب جنت عليه فيما أعلم ولم يستفد منها إلا العناء الباطل ، وإلا الاضطهاد بعد أن دالت دولة الحزب الذي دخل فيه . وما كان له هذا عمل في السياسة وإن كان قد حسب من رجالها — وحوسب على ذلك — في وقت من الأوقات . وإنما كان همه العلم والبحث في اللغة ، وما زال هذا همه وديدنه . وقد زارني مرة منذ بضعة شهور أيام كان الكلام يجري في تخليد ذكرى المرحوم الملك فؤاد ، وقال لي : إنه يرى غير ما يرى الناس في وسيلة هذا التخليد ، فإنهم يريدون إقامة تمثال هنا وهناك ، ولكن الملك فؤاداً كان ملكاً محباً للعلم والعلماء ، فالأولى أن يخصصوا المال الذي يجمع لنشر الكتب العربية التي لا تجد لها ناشراً كما فعلت أم المستشرق جب الكبير . وأراني ديوان شعر عربي طبع في أوربا وعلى الصفحة الأولى منه أنه مطبوع من المال الموقوف لتخليد ذكرى هذا العالم المستشرق . وهذا الاقتراح من الدكتور عيسى بك يرجح ترجحه

ومن أعجب ما سمعت منه في ذلك اليوم أنه رد عشر آلاف كلمة من اللغة العامية إلى أصولها العربية، ورتبها وبوبها وعرضها على مجمعنا اللغوي ليطلع عليها ويطبعها وينشرها إذا وافق. ولكن المجمع آثر أن يهمل الأمر وأبى أن يصنع شيئاً — على عادته —

وقد عنيت بهذا الخبر لأني أنا أيضاً جمعت طائفة من الألفاظ التي يظنها الكثيرون عامية وهي صحيحة وردت في كتب اللغة وكتب الأدب. وكان الباعث لي على العناية بهذا أني أوثر أن أستعمل اللفظ المألوف وأستثقل الحوشي والمهجور، فحاجتي شخصية وغايتي عملية بحت. وأتيحت لي فرصة فأذعت حديثاً من العامية والفصحى أشرت فيه إلى بحث الدكتور عيسى بك ورجوت أن ينفض المجمع عنه هذا الغبار الكثيف وأن يولي بحث الدكتور عيسى بك شيئاً من العناية التي يستحقها، ولكني حسبتني أدعو غير سميع فما المجمع لرجل أو كتابه سندا

وقد وافتني صحف عن هذا المجمع بمقالات شتى في البلاغ وفي المجالس وفي ... شهدت اجتماعه وسمعت فيها مقالات شديدة عليه، فلبثت أتهم القصد في صحتها حين أتساءل عن هذا المجمع ماذا تراه يصنع ... إن كل ما أراه يصنعه هو إجازة صيغ لا يحتاج جوازها إلى إذن خاص منه، ووضع ألفاظ لمصطلحات العلوم والفنون سبقه الكتاب والمترجمون والمؤلفون إلى غيرها ولا خير في إلغائها، ونشر مجلة لا انتفاع لأحد بها، وطبع معجم الدكتور مشرف أو عدم طبعه ولا فضل للمجمع في هذا. وقد سألت مرة أحد أعضاء المجمع عن هذا المعجم هل اطلعتم عليه وراجعتموه واقتنعتم بصحته فكان الجواب السريع: «لا».

قلت ولكن المجمع ينشره فهو يعد مسئولاً عما فيه، وعسى أن يكون فيه خطأ أو اعتساف أو شطط فمن يحمل تبعة هذا غير المجمع الذي ينشره والذي يعتقد الناس — ولهم العذر — أنه أقره. فكان جواب عضو المجمع أن ترحم على الأستاذ الكبير لأنه كان هو الوحيد الذي اجترأ على الاعتراض على نشر هذا المعجم بغير مراجعته أو بحث كاف.

ولست أحاول أن أغض من قدر الدكتور مشرف أو أن أنتقص من قيمة معجمه الذي يقال إنه قضى أربعين عاماً في وضعه فما اطلعت عليه — كما لم يطلع المجمع — وإنما قرأت وصفاً له في الصحف ورأيت أمثلة لا يقال إنه فيه ... وأمثال ... عمر في الحكم عليه أو الإعجاب به إلى أن ... هذا الحديث على سبيل التمثيل لطريقة المجمع في العمل وفيما تقدره نتيجته.

وقد قيل لي إن خير ما ينتظر من المجمع هو وضع معجم حديث لهذه اللغة وإن هذا عمله الأكبر، وقال لي غير واحد من أعضائه ومن لم أبرح إنه معنى عن هذه البحوث العلمية في الأقطار العربية بطول عنايته بوضع الألفاظ لما لا لفظ له في العربية وإن هذا وذاك يسبيل مما يجب أن يضطلع به من وضع المعجم العربي. ولكني لا أراه يصنع معجماً بل أراه يطبع معجماً لدعيا للألفاظ وضعه الدكتور مشرف المستشرق. ولا أراه يصنع شيئاً يذكر في وضع الألفاظ الجديدة من الناس والتعبير! ولو أراد كاتب أو مترجم أو مؤلف في علم أو فن أو أدب أن ينتظر حتى يمده المجمع ما عسى أن يحتاج إليه لما حبس سوى طول الراحة على الصبر. ولا أراه يعرض البحوث العلمية بل أراه وعسى أن ينشر بحثاً الدكتور عيسى بك في العامية رده آلافاً من ألفاظها إلى أصولها! فهل كان يجب أن يكون الدكتور عيسى بك مستشرقاً أولاً؟ وعضواً في المجمع ثانياً ليجامله الأعضاء بنشر كتابه بلا بحث أو نظر أو مطالعة.

رحم الله الفيروزابادي وابن منظور وابن سيدة وأمثالهم، فما كان أحدهم مجمعاً طويلاً عريضاً ذا أعضاء من الغرب والشرق ومال تتكفل به الدولة.

وعسى أن يتوهم البعض أني أحاول أن أحمل المجمع على نشر هذا البحث للدكتور عيسى بك، ولهذا أقول إن هذا على لا عمل له فقد نشر الدكتور كتابه وانتهى الأمر ولا حاجة به إلى معونة المجمع. وأقول أيضاً إن الدكتور الفاضل ما كان يبغي أجراً على عمله أو منفعة أخرى يصيبها من وراء ذلك وربما رأى أن المجمع أليق جهة بنشر كتابه لأن عمله يعد بعض عمله.

سمعت مرة من رجل مسئول — أو كان من المسئولين يومئذ — وقد قال لمسئول آخر إنه يرى إنشاء مجمع أدبي لخدمة الأدب لا اللغة وحدها كما يصنع المجمع القائم، فقيل له إن التريث واجب في إنشاء هذه المجامع فقد أنشأت الدولة مجمعاً للغة العربية

جنـــــاية أحمد أمين على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

١٣

كتب إليّ أحدُ المتخرجين في كلية الآداب يقول: «ألا ترى أن إصرارك على تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين فيه تجريحٌ لكلية الآداب، وأنت أقسمتَ على الوفاء لكلية الآداب»؟

وأقول إني ما نسيتُ ذلك القسم العظيم، وسأظل طول دهري وفيًّا لكلية الآداب

ولكن كيف يصح القول بأن تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين ينال الوفاء لكلية الآداب؟

إن كلية الآداب لها رسالة أدبية وفلسفية، وهي تروض أبناءها على الفناء في الحق، وتنكر عليهم أن يكونوا أبواقًا تذيع أهواء المعلمين، ومن الوفاء لتلك الكلية [illegible] من المباحث والآراء، وأن تتعصب أساتذتها [illegible] الواضح بلا غلو ولا إسراف

وقد انتقدتُ قبل اليوم آراء الدكتور طه حسين [illegible] عميداً لكلية الآداب، فلم يقل أحدٌ إن ذلك النقد كان عقوقاً لتلك الكلية وخروجاً على يمين الوفاء

وهل خرج الدكتور عبد الوهاب عزام على كلية الآداب حين أنكر آراء الأستاذ أحمد أمين؟

وماذا تريد منا كلية الآداب؟

أتريد أن نطوف بأحجارها طواف الخشوع ونعدّ كل صدًى يرنّ في حجراتها وغرفاتها وحياً نزل من السماء؟

إن تقاليد تلك الكلية قامت على أساس الثورة، وقد شرعت النضال والعراك حول المذاهب والآراء، فليعرف بعض الأساتذة هناك أن الوشائج الصحيحة بيننا وبينهم ترجع إلى أصل أصيل من تقاليد تلك الكلية، هو الثورة على الأخطاء والأغلاط والجهالات.

ونحن ماضون في سبيل النقد الأدبي بجرأة وصراحة رعايةً للحق، ورعايةً لتقاليد تلك الكلية الغالية، حفظها الله إلى الأبد منارةً لحرية الرأي والعقل، وحماها من عادية الأهواء!

* * *

وأرجع إلى الموضوع فأقول:

رأى القارئ كيف أخطأ أحمد أمين حين وازن بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية، لأن الموازنة لا تصح إلا بين أمرين معروفين، وقد دُثرت الوثنية العربية وطُمست الوثنية اليونانية، فالموازنة بينهما لا تجوز إلا في ذهن من يستجيز الحكم على المجهول

وأنا مع ذلك أعترف بأن الوثنية العربية بقيت منها أشياء، فقد صح أن بعض العرب عبدوا الأصنام وعبدوا الشمس وعبدوا بعض النجوم

هذا صحيح، وقد شهد به القرآن، وشهادة القرآن لا يمكن إنكارها على الإطلاق، فهو عند المؤمنين وحيٌ من عند الله، وهو عند الملحدين صورة صحيحة لأحوال العرب في عهد النبوة، وكذلك يستوي المؤمن والملحد في تصديق ما شهد به القرآن

ولكن كيف كانت تلك الوثنية من الوجهة العقلية والروحية؟

وكان الأمل فيه كبيراً فمضت سنوات طوال وهو لا يصنع شيئاً يستحق الذكر أو يستحق ما أنفق عليه من مال الدولة وهذه تجربة لا تشجع على المضي في إنشاء المجامع

أما إنشاء مجمع حكومي للأدب فقد كنت لا أرى رأي صاحب الاقتراح فيه لأني على شعوري بحاجة الأدب إلى التشجيع وحاجة الأدباء إلى التفرغ للإنتاج أكره أن يكون للحكومة دخل في ذلك وأخشى أن يجيء دخولها في هذا الأمر على الأدب فما يرجى للأدب خير إلا في ظل الحرية، والحكومات بطبيعتها نزاعة إلى السيطرة والتحكم وتسخير الأقلام لها

تلك هي اعتراضي على ما اقترح من إنشاء مجمع أدبي على مثال المجمع اللغوي. أما المسئولون فكأنهم ينظرون إلى الأمر من ناحية التجربة المنفقة وما تشير به من ضرورة التريث اتقاء لبعثرة المال في غير غرض صالح، ولست أروي هذا إلا ليعرف الجمع رأي الحكومة فيه لعل هذا يستحثه قليلاً إذا كان رأي غير الحكوميين من أمثالي لا يعنيه

إبراهيم عبد القادر المازني

هل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب صنماً في صورة أسد ؟

لا يكفي أن يكون الصنم نحت من حجر ليقال إن عبادته أرضية وضيعة ، كما يعبر أحمد أمين ، وإنما يجب أن نعرف لأية غاية روحية أو عقلية عبد بعض العرب صنماً من حجر على صورة أسد ، فقد يكون الغرض من تلك العبادة تمجيد الأنفة والفتوة والكبرياء ، وهو غرض نبيل رأينا له أشباهاً في وثنية الفرس والمصريين واليونان

وقد عبد العرب أسافاً ونائلة ، وهما تمثالان لامرأة مليحة ورجل جميل

فهل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب هذين التمثالين ؟

لقد تحدث الأخباريون بأنهما صورة لرجل وامرأة فجرا في الكعبة فمسخهما الله حجرين ، وهنا يتحذلق أحمد أمين فيقول : « ولست أدري ما حملهم على عبادتهما مع شنيع عملهما ، وما إن استحقا شيئاً غير الرجم لا العبادة »

فالقول بأن أسافاً ونائلة فجرا في الكعبة فمسخهما الله حجرين هو التأويل الذي اهتدى إليه بعض العرب بعد انحطاط الوثنية العربية

أما أهل البصر بأسرار الوثنيات القديمة فيعرفون أن أسافاً ونائلة عند العرب قد يشبهان إيروس وأفروديت عند اليونان ، فهما تمثالان يرمزان للجمال والحب ، وهما تمثالان لعبادة الفجور والفسق (١)

فعرض الأستاذ لتصور العرب في الزهرة لم يعرك ما فيه من جمال ، فالزهرة في الوثنية العربية كانت امرأة حسناء صعدت إلى السماء ومسخت كوكباً ، فهل رأى الناس تمجيداً للجمال أروع من هذا التقديس ؟

ألا يمكن أن تكون تلك الحسناء قد صعدت من الأرض إلى السماء ، ومن عالم الفناء إلى عالم الخلود ؟

تلك لمحة إلى أسرار الوثنية العربية صاغت صيغة أبدية بفضل الدين الحنيف ، ونحن غير آسفين على ضياع تلك الأسرار ولكننا لا نستطيع القول بأن عقلية العرب كانت أرضية وضيعة ونحن

(١) حدث أن الأستاذ إسعاف النشاشيبي تحدث في هذه المسألة بعض مقالاته ، وقد خالفه طوائف من معاصريه في رأيه فيها ، فلا أدري أمحقون هم أم مخطئون .

نعرف كيف كانوا يتصورون شؤون الدنيا وأحوال الوجود

والعرب قد اعتذروا عن عبادة الأصنام فقالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وهذه العبارة القرآنية البليغة تشهد بأن وثنية العرب كانت تحريفاً لدين صحيح قام على أساس التوحيد

فمن الخطل أن يقول قائل بأن عبادة الأصنام كانت عبادة أرضية على حين يشهد القرآن بأنها كانت موصولة الأواصر بمعاني السماوات

ويشهد القرآن أيضاً بأن وثنية العرب كانت لها أحكام متصلة بسكان السماء ، فقد « جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » ومعنى ذلك أن أوهامهم تجاوزت الأرض إلى السماء

إن العرب في جاهليتهم قد عرفوا المصريين واليونانيين والفرس والهنود ، فكيف جاز أن تخلو وثنيتهم من الصور التي عرفت عند أولئك الناس ؟

كيف يكون ذلك والوثنيات ينقل بعضها عن بعض ، كما تنقل بعض الديانات عن بعض ؟

ثم ماذا ؟

ثم يحكم الأستاذ أحمد أمين بأن العرب لم تكن لهم طبيعة فنية وأن ما كان عندهم من تماثيل فمجلوب من مصر أو من اليونان ، وأن « يغوث » إله مصري اسمه « بيسوت »

ويجب أن نعرف من هم العرب في ذهن أحمد أمين

يظهر أن العرب في ذهنه هم سكان البادية العربية ، وسكان البادية لا يحسنون صناعة التماثيل

والقول بأن العرب في جاهليتهم لم يكونوا إلا سكان البوادي هو خطأ أذاعه المستشرقون الذين يهمهم أن يثبتوا أن الحضارة العربية أخذت عن مصر وفارس واليونان وليس فيها أثر عربي أصيل

والتاريخ الصحيح يقول بغير ذلك ، فالعرب في الجاهلية كانت لهم حواضر في الحجاز واليمن والشام والعراق ، وكان لهم في تلك البلاد آداب وفنون ، ولو عاش قصر غمدان وقصر الخورنق لاستطعنا أن نعرف كيف صنعوا قواعد النحت والتصوير وكيف برعوا في تسجيل حوادث التاريخ

ولنفرض أن العرب جهلوا النحت والتصوير كل الجهل، فكيف جاز مع هذا الفرض أن يهاجم الإسلام فن النحت والتصوير؟ وهل ينهى الإسلام عن شيء غير موجود؟

قل كلاماً غير هذا الكلام يا أستاذ أمين يصدّقك من يريدون مواتاتك!

قد يقال: وأين آثار النحت والتصوير في البلاد العربية؟

ونجيب بأن ذلك كله بدّده الإسلام عمداً قصداً ليمحو آثار الشرك والوثنية.

وهل تعرفون كم أزاحوا صنماً حطمه المسلمون بمكة يوم الفتح؟

لقد كانت مصر مملوءة بمراتب التماثيل فحطمها المسلمون ليمحوا شواهد الوثنية الفرعونية. والذين قرأوا التاريخ يذكرون ما صنع الشيخ محمد صائم الدهر: فقد طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب يهشم ما ترك المصريون القدماء من الأصنام والأوثان، وهو الذي جدع أنف أبي الهول، ولو استطاع لحوّله إلى رماد.

وبعد إسلام أهل مصر بقيت فيهم بقايا من احترام تماثيل الأسود فكانوا يقيمونها فوق قناطر النيل، وكان الشيخ محمد صائم الدهر يسطو عليها من وقت إلى وقت فيحطم منها ما يستطيع.

فإن مررتم على جسر إسماعيل بقصر النيل ورأيتموه محروساً بأسدين فتذكروا أن تلك الصور الأسدية ليست إلا رجعة إلى ما كان يصنع المسلمون في تزيين قناطر النيل بصور الأسود. وإن زرتم أطلال الكرنك ورأيتم مداخل القصر محروسة بتماثيل الأسود فاعرفوا أن هذا من ذاك.

* * *

وزعم أحمد أمين أن ذوق العرب في الجاهلية كان أرضياً وضيعاً، فكان ذلك الزعم سنداً يركن إليه في تحقير التشبيهات الجاهلية، فهي عنده لاصقة بالأرض، وشاهد ذلك أن الجاهليين يشبهون الحيوان بحيوان مثله كتشبيه الناقة بالظليم أو بالثور الوحشي أو بالنعامة أو بالأتان.

وأحسب أن لو قال هذا الكلام تلميذ يتلقى التوجيه لسقط في الامتحان أشنع سقوط.

تشبيه الناقة بالظليم أو بالثور الوحشي تشبيه مقبول جداً، وليس مادياً لاصقاً بالأرض، لأن وجه الشبه هو السرعة لا الشكل، والسرعة صورة معنوية.

أحمد أمين يريد في الواقع أن يقول إن الناقة شبهت بحيوان يمشي في الأرض لا في السماء، وآية ذلك أنه عجب من امرئ القيس أن يشبّه الفرس بجلمود صخر حطه السيل من علٍ، وقال: «إن غير العرب شبهوا سرعة الفرس بالبرق».

ذلك كلام أحمد أمين، وما نعرج عليه.

فهل رأيتم كلاماً أغرب من هذا الكلام؟

أنا أنتظر رأي أساتذة البلاغة بكلية الآداب والأزهر ودار العلوم.

هل من الصحيح أن تشبيه سرعة الفرس بالبرق أدق من تشبيه سرعته بجلمود صخر حطه السيل من شواهق الجبال؟

إن تشبيه سرعة الفرس بالصخرة التي حطها السيل من شاهق لا يقف عند السرعة وإنما يتعداها إلى الثقل، فالفرس عند العدو ثقيل جداً بحيث لا يملك مواجهة ما قد يعترض الطريق من صخور أو جبال، وكذلك لا تملك الصخرة الانحراف من جانب إلى جانب حين تنحط من شاهق.

أما تشبيه سرعة الفرس بسرعة البرق فهو تشبيه لا يُقبل إلا عند من يرحب بالأخيلة الهوائية.

وأين الفرس من البرق؟

إن ما يقطعه البرق في لحظة واحدة قد يعجز عنه الفرس في الأعوام الطوال.

والغرض من التشبيه هو تقريب بعض الصور من بعض، أما الإغراب في التشبيهات والاستعارات فهو مذهب مرذول.

وأحمد أمين الذي تعجبه الصور السماوية كصورة البرق هو نفسه أحمد أمين الذي عاب على العرب أن يتصوروا مصير الشعرى بعد فراق سهيل:

«زعموا أن الشعرى وسُهيلاً كانا مجتمعين فانحدر سهيل فصار يمانياً، وتبعته الشعرى فعبرت المجرة، وأقامت الشعرى مكانها تبكي لفقد سهيل حتى غمصت».

تلك هي الأسطورة العربية التي استحسنها أحمد أمين،

ولو كان يعرف تاريخ الأساطير لأدرك أن هذه الأسطورة فيها ملامح يونانية ، فالنجم الذي يهوي من موضع إلى موضع هو إلهة عاشقة تنحدر لموعد غرام مع إله معشوق

وكانت الشعراء المسكينة على موعد مع معشوقها سُهَيل ، ولكنه هرب من عبور المجرة فظلت تبكي حتى أعماها التسهد

ولو كانت هذه الأسطورة يونانية لا عربية لعدّها أحمد أمين من عجائب الخيال ، وعدَّ أهلها من الواغلين في الأرض والمشغوفين بالسماء !

وإن كنتُ قد صدَّقت بعدي   وكنت كأنك الشري المبورُ

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم رأى أحمد أمين أن دين العرب في جاهليته لا يظهر أثره في وصفهم المرأة ، فهم لم ينظروا إلى المرأة إلا إلى جسمها نظرة أقرب إلى تقدير الإدراك لجمالها الحسي ، ولكنهم لم يدركوا جمالها الروحي ، أولعوا بقدها المشوق ، وعيونها الأدعج ، ووجهها الوردي ، وخصرها النحيل ، وردفها الثقيل ، وما شئت من أعضائها وأجزائها ، أما روحها السماوي وجمالها الروحي ، ومشاركة الشاعر لروحها والشعور بأنها مصدر وحيه وإلهامه فشيء لم يستطع إدراكه الشاعر الجاهلي !

ثم يصرح بأن الوقوف عند هذا الحد في النظر إلى المرأة شيء مخجل (!!)

أما أنا فأقول بأن نظرة الشاعر الجاهلي إلى المرأة نظرة سليمة تدل على الفحولة والفتوة ، جمال المرأة ، جمالها الصحيح ، هو في نواحيها الحسية ، وليس من العيب أن يقول الرجل إنه يشتهي المرأة شهوة حسية ، وإنما العيب على الرجل ألا يعرف من المرأة غير أنس الروح للروح

إن أحمد أمين يحب أن يكون روحًا لطيفًا شفافًا يؤذيه أن يتحدث الناس عن العيون الدعج ، والقد المشوق ، والخصر النحيل

هو يحب أن يضاف إلى رجال الأخلاق !

أما أنا فأعيذ أحمد أمين أن أضيفه إلى هذا الطراز من رجال الأخلاق

أنا أفهم جيداً أن المرأة لا تهمّ الرجل إلا إن كانت فيها جميع خصائص الأنوثة ، الخصائص التي تُشعر بأنها متاع جميل ، والتي تحمله على أن ينظر إليها نظر الأسد المفترس إلى الرشأ الربيب

ولا يمكن المرأة أن تكون مصدر وحي وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسّيّة ، ومن قال بغير ذلك فهو رجلٌ ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء

إن الأستاذ أحمد أمين يستبيح قول امرئ القيس

وبيضةِ خِدرٍ لا يُرام خباؤها   تمتعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ

فأين هو من الفحولة التي يجهر بها هذا البيت ؟

مجنون ! وكيف يجوز للرجل العاقل أن يبكي وهو يستعطف المرأة ؟

وأجيب بأن بكاء الرجل أمام معشوقته ليس علامة ضعف ، وإنما هو علامة قوة ، فالدمع في عين العاشق كالسم في ناب الثعبان ، فالثعبان يخدّر فريسته بالسم ، والعاشق يخدّر فريسته بالدمع

وهنا أستأنس بكلمة قرأتها للأستاذ المازني في جريدة السياسة سنة ١٩٢٢ وهو ينقد قول شوقي

« ما الحب إلا نظرة »

فقد عدّ هذه الكلمة بابًا من الضعف ، ومن عمى البصيرة ، لأن الحب في حقيقة أمره ضربٌ من الأسر والافتراس

قولوا الحق يا بني آدم ، فالنساء [illegible]

قولوا الحق ، واعترفوا بأن المرأة لا تهم الرجل إلا بوصف أنها مخلوق جميل له نهدان متكاوران ، وجبينٌ مُشرق ، وجيدٌ كجيد الريم ، وقوامٌ كالغصن الرطيب

وهل أحمد أمين يريد امرأة قيصرية كأنها عرقوب كشهر الصوم في الطول ، وما بين كعبي القيصاء سبعة على شهر الليل إلى أن يرجع « فجر الإسلام »

والعجيب أن تصدر هذه الأحكام من رجل يكتب في الفلسفة

من وقت إلى وقت ، وقد غاب عنه أن في فلاسفة هذا العصر رجل اسمه فرويد ، وهذا الفيلسوف يرجع أعمال الرجال إلى أصول شهوانية قد تسوق الناس من حيث لا يحسون . وما كان فرويد أول من نظر هذه النظرة فقد رأيت لها أصولاً في مؤلفات الشعراني ، ومن قبل ذلك رأيت لها أحياناً عند فقهاء الشريعة الإسلامية ، وهم رجال أمضوا في درس أسرار الطبائع

فمتى أخذ أحمد أمين هذه الحذلقة في فهم الأدب النسوي ؟

أغلب الظن أنه نقلها عن الكاتب القصصي توفيق الحكيم الذي زعم أن كل عبقري محروس بروح نسائية تفيض عليه الوحي من وراء الغيب !

وكيف تستطيع المرأة أن تسيطر على الرجل عند اليأس من طيبتها الحسية ؟

إن الرجل قد يذكر امرأة بالشوق بعد أن تموت ، ولكن ذلك لا يمنع من أن الأحبة الحسية لها دخل في تسعير ذلك الشوق

أقول هذا وأنا أعرف أن في بني آدم من يوحي إليه الرياء بتكذيب هذه البينات ، ولكن ماذا يهمني وأنا حريص كل الحرص على الجهر بكلمة الحق ؟

إن الوثنية اليونانية التي يعرفها أحمد أمين قد جعلت للآلهة شهوات ولذات ، فكيف يستنكر أن تكون لشعراء الجاهلية شهوات ولذات ؟

إن أفروديت وهي من الآلهة في الوثنية اليونانية قد عذبها الغيظ حين سمعت بأن في الأرض إنسانة جميلة تستهوي قلوب الرجال ، وكان من آثار ذلك الغيظ أن تعقبت بجنودها حتى حبسته الفتنة بتلك الإنسانة التي وصلت أخبارها إلى سكان السماء

الحق كل الحق أن الجمال الحسي هو كل شيء في المرأة ، وهي تصل إلى الكمال حين يزيد جمالها الحسي بالجمال الروحي ، كأن تكون على حظ ذلك عقل وأدب وظرف

وهل تعرفون كيف كان العفاف فضيلة ؟

كان العفاف فضيلة لأنه تمكين الرجل من السيطرة المطلقة على مواقع هواه ، فهو فضيلة أوحت بها الأثرة الرجلية

ما هذا الذي أقول ؟

أراني أمس الغرض [illegible] من لا يعرفون [illegible] من الأخلاق ، وأنا أحب أن أسلم من [illegible] أولئك الناس

الذي يهمني هو النص على أن شعراء الجاهلية ساروا على الفطرة السليمة حين جعلوا الأنس بالمرأة الحسية من النعيم [illegible] ولم يجعلوه من النعيم المعسول

ولو رزقني الله شيئاً من الصراحة لقلت إن الشهوات هي في الأصل من أجل نعم الله على عباده ، وما استنكرها رجال الأخلاق إلا بسبب الإسراف . أما الشهوات في حد ذاتها فهي من دلائل العافية ، والعافية نعمة عربية ينعم بها الله على من يشاء

والعصبية [illegible] ، وهي عصبية بعيدة لا [illegible] إلا حين [illegible] من رجال [illegible] بحيوية الشهوات ، فطغيان الشهوة محفوظ عند النظر في عصبية [illegible] . أما [illegible] الفاجر من الفجور فهو لا يستحق أي ثناء ، ولا يصل صاحبه إلى أهل الكمال وإن لبس مسوح الرهبان

ويجب أن يكون مفهوماً أن الشهوة الحسية لها صلة بتفوق الرجل في الميادين العقلية ، فالرجل الذي [illegible] من طغيان الشهوات محروم من [illegible] هذه الشهوة على [illegible] الجمال ، وهي [illegible] على عاطفة الأهواء

وكذلك يصح القول بأن الرجل الفاجر لا يستطيع أبداً أن يتسامى إلى منزلة أصحاب الأخلاق

فهل ترون وصلت إلى إقناعكم بأن أحمد أمين أخطأ حين عاب على شعر الجاهلية أن يصور المرأة من المتاع الحسي ؟

أنا أعرف أني أوذي نفسي بهذه التحليلات ، وأعرف أنها قد تصورني بصورة الرجل الفاتك ، ولكن ماذا أصنع وأنا أريد أن أصدق كل الصدق وأنا أحدث القراء ؟

وهل كُتب على الدراسات الأدبية والنفسية في مصر أن تقوم على قواعد الرياء ؟

احترموا [illegible] أحكم في هذه الشئون قبل أن تسمعوها من باحث [illegible] في لندن أو باريس ، فمن العار أن تسير مصر في القرن العشرين [illegible] على شريعة الأسلاف في عصور الظلام

* * *

في سبيل الإصلاح

علماؤنا والإصلاح

للأستاذ علي الطنطاوي

من في القراء من يذكر السؤال الذي وجهته منذ أسابيع إلى المفكرين من علمائنا وعرضت به إلى بعض المشكلات الدينية وسألتهم حكم الله فيها، وحكم الله لا يخالف مصلحة الناس، ولا ينافي صحة العصر. وقد مرت هذه الأسابيع ولم ألق من أحد جواباً، ولم أجد حتى القبث من علمائنا في هذه البلدة إلا أحد رجلين: رجل لم يقرأ السؤال، ولم يدر بأن في الدنيا مجلة اسمها الرسالة، ولم يدخل بيته إلى اليوم كتاب واحد أو مجلة أو رسالة صغيرة مما تقذف به المطابع كل يوم، لأن ذلك كله شر لا يليق بالعالم أن يلقي إليه بالاً أو يقف عنده أو يعرج عليه، وفي كتب الفقه والأصول والحديث الكفاية، وإن كانت الكتابة والحديث والتفسير ... في الكتاب والسنة ... مجرد التبرك والاطلاع، لا للاستنباط والاجتهاد، لأن الاجتهاد قد سد، والعلماء لم يتركوا شيئاً للآخر، وإن هو احتاج بعد ذلك إلى شيء من الأدب فحسبه المستطرف، والكشكول، ... ومساجلات ... على الذي ... مؤلف الفصوص الذي عبد الكلام ... وقوله في الصفحة ١٥٨ من كتاب الإسلام الصحيح للنشاشيبي

ورجل آخر، جاءت إليه الرسالة، فقرأ السؤال فكان جوابه عليه حملة حامية على هؤلاء المتعدين الذين يحلون ما حرم الله، ويدعون إلى الربا التي نهى عنه الله، وكان له مادة للإعلان عن ورعه على الكرسي، ونشر معرفته بين العامة

على حين أن المشاكل الدينية من عصر مشكلة الربا قائمة، والناس يتعاملون بألوان من الربا من الربا الفاحش المبين، ومن الربا الخفيف أو ما يشبه الربا، ولا نجد تاجراً (أعني تاجر الجملة لا البقالين) يستغني عن مثل معاملات الخصم (الاسكونتو) أو عن الاتصال بالمصارف على نحو ما. فإذا كان هذا كله من الربا المحرم المقطوع شرعاً، وكان هذا كله مما لا يستغنى عنه كانت النتيجة (المنطقية) أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان .. وهذا محال، فلم يبق إلا إبطال إحدى المقدمتين، فإما أن يقال بالاستثناء عن معاملات المصرف، وإما أن يقال بأن هذه الأحكام الفقهية ليست هي كل الشريعة، وأن من الممكن استنباط أحكام أخرى شرعية تصلح لهذا الزمان. وإذا نحن نظرنا في تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ الفقه نجد أن المجتهدين ظلوا متوافرين في كل عصر، لم يخل منهم زمان، وإن كان منهم من هو (مجتهد في المذهب) على حد تعبيرهم، وبقي ذلك إلى القرن التاسع حيث غلب الأتراك على البلاد العربية وضعفت العناية باللغة العربية، واستغلقت على القوم كتب الكتاب البيان، وخفي عليهم ما وضع العلماء الأولون من السنة، فأغلقوا باب الاجتهاد!! على أن هذا العصر أيضاً لم يعدم جماعة من أهل الترجيح والتخريج، وهم أصحاب مجتهدين (في المذهب الصغير) ... عن ... الاجتهاد وضيق الدنيا (بل ضيقت عليها) أن كان في الفقه اليوم أحكام تخالف ما يراه الناس صالحاً لزمانهم، مع أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، لا شك في ذلك أبداً

أما بعد فهذه مكرر سيصلحها أحمد أمين في المقالات الآتية، وسيعرف أن التحقيق على ماضي الأدب العربي لا يتم بلا حساب

وأنا أرجوه أن يترفق بنفسه فلا يصر على تحقير الأوزان العربية وتمجيد الأوزان اليونانية، فقد أستطيع أن أحدثه بأن العرب الذين غلبت عليهم شهوات الحواس هم الذين استطاعوا بفضل عقولهم أن يقهروا اليونان وأن يحولوهم إلى أسلاب في حوزة ... والسريان

وقد حدثنا أحمد أمين بأن العرب انحطوا في جاهليتهم بسبب تلك الوجهة الأرضية الوضيعة، ثم حدثنا بأن القرآن لم يرفع عقليتهم، مع أنه وحي سماوي رفيع، فهل جاء العرب بالوثنية ولا يتأثرون بالإسلام؟ ستعرف وجه الحق في هذه القضية في الأسبوع المقبل، وأنه القريب

(مصر الجديدة) زكي مبارك

فكيف يكون التوفيق بين الأصل الثابت وبين هذه النتيجة ؟

* * *

يستطيع العلماء أن يفتوا بأن هذه المعاملات (المصرفية) كلها ربا ، وأن الربا كله حرام ، ولكن الناس يستطيعون أيضاً أن يثابروا على التعامل بها ، والإقامة عليها ، وهي المشكلة على ترددها بشكلها ؟

فالإصلاح إذن لا يكون بالإصرار على هذه الحواشي الفقهية والدفاع عنها ، بل بالبحث عن أدلتها ، فما كان منها مطلباً ثابتاً بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، فهو الذي لا سبيل إلى تبديله ، وما كان منها مبنياً على عرف أو دليل فيه احتمال ، وكان إلى تبديله سبيل من الشرع بدل[1]

وهذه المسألة على وضوحها غامضة جداً ، ومشكلة جداً ، لأن من العلماء من لا يريد أن يفهمها ، ولا يقدر أولاً يجب أن يفرق بين قول الفقيه واجتهاده وبين النص — ومن يحسب الخروج على المذاهب الأربعة خروجاً على الدين ، وأكثرهم لا يبالي بعد ذلك هل شرقت الحياة شرقاً أم أغربت غرباً

* * *

ولم يبق أحد جاهلاً بأن المدنية الأوربية قد طغت علينا ، وأننا خضعنا لها واقتبسنا منها عادات حياتنا تبديلاً ، وغيرت طرائق معيشتنا في بيوتنا ومدارسنا وأسواقنا ، فأصبحنا أقرب في طراز حياتنا إلى أهل باريس اليوم منا إلى أهل دمشق والقاهرة في القرن التاسع الهجري ؛ وأصبح من المستحيل علينا العمل بأحكام استنبطها المجتهدون لأهل القاهرة ودمشق في القرن التاسع وإذا نحن وقفنا عند هذه الأحكام والحياة تمشي أصبح بيننا وبين الدين مسافة هائلة لا يمكن قطعها ، وأعطينا أكبر حجة لأعدائه وهو أنه دين البشرية الراقية في كل عصورها ، وعطلنا أصلاً مهماً من أصول دينه وهو الإجماع ، مع أن الوصول إلى الإجماع في هذا الزمان أسهل منه في كل زمان مضى لسهولة المواصلات وسرعتها ، فلماذا لا ننظم مسألة الإجماع ؟

الإجماع هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور على حكم من الأحكام ، فلا يمكن تنظيمه إلا بتعيين المجتهدين ، والاتفاق على الشروط التي يجب اجتماعها في العالم حتى يعد مجتهداً .

وأنا أرى أنه لا مانع من الشرع ولا من الطبع يمنع من إحداث تشكيلات للعلماء ، ودرجات ومراتب لهم معروفة ، حتى لا تختلط الأمور ، ويحسبهم الناس مفتين جهالاً فيضلوا ويضلوا .

ولقد خطونا الخطوة الأولى من عهد بعيد حين جعلنا في كل بلد مفتياً ورئيساً لهم هو مرجع أعلى ، هو شيخ الإسلام ، ولكن نسينا أن العالم لا يسمى مفتياً إلا إذا كان مجتهداً ، وحسبنا كل من عرف المتن وحواشيه والفتاوى الهندية صح أن يتصدى للإفتاء . فإذا وسعنا هذه الدائرة ، وجعلنا للعلماء درجات معدودة تخلصنا من هذه الفوضى المضحكة التي نراها اليوم حين أصبح كل صاحب عمة قد كورها وجبة قد وسعها من العلماء ، وحين رأينا في حساب العلماء أناساً لا يجاوزون من العامة إلا بالزي . وليت شعري لماذا يكون لكل فرع من فروع العلم درجات وشهادات ، فلا يستطيع أن يدعي الطب أو يمارس المحاماة إلا من حصل شهاداتها ودرس علومها ، ويبقى أمر الدين مهملاً يدعيه كل ذي لحية طويلة ؟ إن الطبيب إذا أخطأ قتل نفساً ، ولكن العالم الديني إذا أخطأ قتل أمة ، وأذهب عليها دينها ودنياها . .

فإذا وضع قانون الدرجات العلمية عرفت به العلماء الذين بلغوا درجة الاجتهاد — فجمعوا من كافة الأقطار الإسلامية — وعرضت عليهم هذه المشكلات وسئلوا حكم الله فيها ، فإن أجمعوا على أمر عد مجمعاً عليه وصار من الأصول الثابتة ، وإن اختلفوا استؤنس برأي الأكثر منهم ، هذا إذا لم يكن في المسألة دليل شرعي ، أما إذا وجد فالحكم حيث يوجد الدليل

* * *

وربما أنكر منكر هذا الاقتراح ورآه بدعة في الدين ، وتقليداً للنصارى في درجات علمائهم ، وأنا أرد سلفاً بأن هذا التنظيم من قبيل جمع القرآن ، وتدوين العلوم ، لم يرد ما يمنعه ، والمصلحة تقتضيه ، وليس من شك بعد بأن (هذا الإجماع) أقوى وأظهر من كل إجماع إلا إجماع الصحابة ، لأن استقراء المجتهدين وجمعهم والوقوف على آرائهم أهون في هذا العصر منه في العصور الأولى

تلك المسائل التي تعد أساس الإصلاح الديني وركنه ، هذه

---

(١) وهنا يجمع العلماء ، أو يثبت الدليل على أن معاملات المصارف كلها حرام — لا يبقى للكلام فيها مجال

لخصها أستاذنا المغربي في (البيان) في مقالة له نشرها منذ ثلاثين سنة، وأنا ألخصها هنا مقتصراً عليها:

١ — وضع مناهج للمدارس الدينية على شكل يعد الطلاب للاجتهاد ويحيي عزائم أصحابه

٢ — إصلاح أساليب الكتب القديمة ووضعها بشكل جديد، وقد بدأ بذلك الأستاذ محيي الدين عبد الحميد من أساتذة الأزهر فأصلح بعض كتب النحو، ولكن بقياس ضيق

٣ — أن يكون لعلماء العلم، والاجتهاد بيده من طلبة علمه خمسة، وبعد ثبوت أهلية الطالب وكفايته

٤ — أن يكون الاجتهاد إجماعياً لا فردياً، لئلا يكون الخلاف فيه

٥ — ألا تلتزم أقوال إمام بعينه، وإنما يؤخذ من كل مذهب ما يوافق العصر، ونقول: إن ذلك لا بأس به في العبادات، أما المعاملات فلا بدّ من وضع قانون لها مقتبس من الدين يختار فيه قول واحد وينص عليه ليكون العمل به

٦ — أن نحذر من البدع والمحدثات وأن نقف عند الكتاب والسنة

٧ — تحرير العقائد الثابتة من التقاليد الموروثة، فلا ندخل في باب العقائد إلا ما كلفنا الله به، ولا نكفر مؤمناً إلا إذا أنكر عقيدة ثابتة

٨ — أن يكون تصحيح الحديث مبنياً على متنه وسنده، لا على صحة سنده فقط، فإن خالف متنه أصول الدين أو المشاهد المحسوس رُدّ مع كمال سنده، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثله

٩ — أن يتشدد في العقائد والعبادات والشعائر ظاهر النص وأن يكون التساهل في المعاملات وما يتصل بالقضاء ويختلف باختلاف الزمن والمكان

١٠ — أن نرفع من شأن العمل قليلاً، فلا نزعم أن المسلم ينجو بمجرد أقوال يرددها، بل نقرر أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ونعلي الأعمال التي حث عليها الإسلام، ونعلي الأخلاق التي أمر بها

١١ — وأن نرفع من شأن الأسباب قليلاً، ونعتبرها مظاهر لإرادة الله وقدرته، فلا نطلب إلى … أن نقول إن السم لا دخل له في موت من شربه فمات به، … لأنه … مصير عليه

١٢ — ألا يبحث الفقهاء في نص من ساعتهم، وإذا بحثوا في كل أمر رجعوا فيه إلى أربابه، فإذا كان البحث عن اختلاف مطالع الهلال مثلاً لم يرجع إلى قول ابن عباس ويرجع إلى قول الفلكيين المحدثين، وفي الطب يرجع إلى علماء العصر لا إلى داود الأنطاكي ومن روى عنه

* * *

عندنا اليوم مشكلات كثيرة كمشكلة الربا والطلاق وثبوت الهلال والصور، وعندنا الاختلاف على التوسل بالصالحين، ووضع النقاب، وعبادة القبور، وكرامات الأولياء، وكل ذلك لا يحل إلا بيد المؤتمر الإسلامي أو هذا (الإجماع) المنتظر، لأن كل فرد من العلماء يؤثر السلامة، فلا يحب أن يعاديه الناس بما لا يألفون فيخسر مركزه بينهم ولا يجد الجرأة على ذلك

فهل يتلطف بعض من له صلة بشيخ الإسلام الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي فيحمل إليه هذه المقالة؟ وهل يجمل إذا حملت إليه فينظر فيها ويولي هذه المسألة شيئاً من عنايته؟

علي الطنطاوي

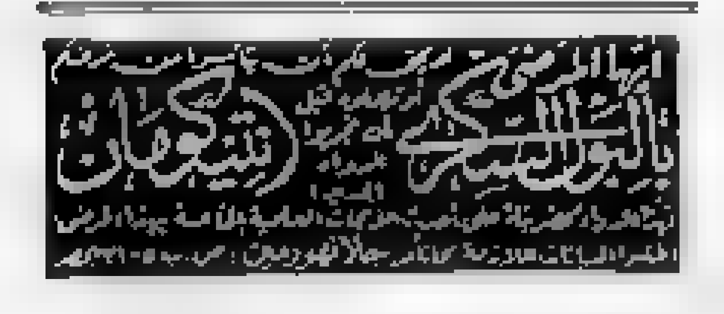

ذكرى

سـوداء!...

للأستاذ أديب عباسي

أطل صاحبي بعد أن نقر على الباب مرتين أو ثلاثاً ونادى:

— ماذا تنوي أن تصنع بيومك؟ أتريد أن تبقى حيث أنت أمام هذه الركام من الصحف والمشاء، أم تريد أن ترى الشمس قليلاً؟

قلت: وكيف لا تستطيع أن تنظر في كل هذا الذي ترى بعد أن تستمع بيوم مشمس كهذا؟ أليس الأولى والأحزم أن نجعل الحقل مصراً يقول أدب... ويعد... كم نحن غير قادرين على ... ؟

وقد كانت رغبتي في إيثار البقاء في المنزل؛ ولكن صاحبي أدرك أني أقول هذا في خلاف ما تقوله عيناي، وأدرك أني أريد النجاة من يبين يدي على أي حال، وهذا لم يرد على أن قال:

إني أنتظرك في أول الشارع، فهو يوم من أيام الربيع التي لا تعوض. ولم يبق اليوم متسع من مباهج الطبيعة الزهر والعطر والنضرة والظل، ولا يجوز هذا اليوم إلا كل جميل لحسن كلام السحر والجمال

* * *

سرنا ساعة وبعض الساعة في حلال الوادي لا أستمع إلى حديث صاحبي ولا يستمع إلى حديثي إلا بعض سمعنا؛ فلقد كانت روعة الوادي في ذلك اليوم من أيام الربيع تبطل كل اتصال بين حسنا وبين العالم الخارجي، إلا ما كان بينها وبين هذه اللائحة الشمة بسترق الفته وألوان الجمال. ولم نتنبه إلى أنفسنا، فنستحضرها من الوادي وشغلنا عن كل شيء سواه، إلا حين رأينا نخلف الوادي الظليل وراءنا ونمضي إلى العراء. وعندها شعرنا بالتعب والعطش يهبطان علينا فجأة دون تنبيه أو إنذار. وقال أحدنا: هيا إلى تلك الدوحة نستظل ظلها إلى أن ينكسر سم النهار[1] فنعود

ومكثنا في ظل تلك الدوحة ساعة ألح علينا بها العطش إلحاحاً شديداً، فقلت:

ألا نقوم فنسير إلى النبع نبل به العطش الذي يكاد يسلبنا كل ما نلناه من لذة ومتاع؟

فأجاب صاحبي:

— لا شك أن بيننا وبين الماء مسافة كافية من الصبر وتحمل هذه الساعة سيخف وهج الظهر ويخف معه ما بنا من أوام، ولكن انظر، ألا ترى هذه السوداء؟ إنها فتاة، ولكن جيد بها من جرتها الصغيرة؟

أنعدل إلى الطريق فلاقيها ونطلب أن تسقينا أم ندعوها إليه وتعدها بقليل من القروش؟

قلت: أعتقد أن من الأريحية ألا نكلفها الصعود إلينا، فلنقم نلاقيها ويكون أقل أنانية وجحود صريحة

وهممنا أن نقوم، وأخذ كل منا يبحث في جيوبه ليقدم للفتاة شيئاً مقابل ما نشرب من جرتها ويضطرها إلى الرجوع ومله من جديد... بيد أن الفتاة أدركت بحركة اضطرتنا إلى البقاء، فقد أشارت إلينا بيدها أن امكثا، وأقبلت نحونا. فالتفت إلى صاحبي وقلت:

— يا حسن هذه! أتكون قد سمعت كلمتك الصاعدة فجاءت ساعيك الطالب الذي أنت أهله؟

فقال: لا أدري، وإنما يجب أن نكون على حذر، وعلى كل ما لا أرى في وجهها شيئاً من الشر، وحسب أردت أن ساقتنا يسير ثمة أكثر من أن تمسك على رأسي هذا الماء الذي تحمل وهو كل ما أبغاه

فقد تمسك الفتاة الماء كما تمسي، وقد يسكب الماء والجرة معاً... وحسب أدرى عندها في الحربين يكسر الأخرى، حركتك الفارعة هذه، أم جرتي الأولى؟

دنت الفتاة حتى غدت على قيد خطوات منا، وابتسمت ابتسامة عذبة أزالت من نفس صاحبي ما ساوره من قلق، ثم حيت تحية طيبة وأنزلت جرتها من رأسها وقالت بلطف: تفضلا

وتناول صاحبي الجرة وبدأ يشرب، وقبل أن ينتهي من شربه أمسكت الفتاة بالجرة وأزالتها عن فمه، فتبسم مندهشاً وقال: دعيني أشرب، إني سأدفع ثمن الماء!

وابتسمت الفتاة مرة ثانية وقالت في شيء من الرقة والأسف:

— كم تخطئ الناس بحكم... إني لم أمسك عليك بالماء؛

[1] هذه من اصطلاحات العامة، ولا أرى بأساً في استعمالها

ولكن لعلك لا تعلم أن الإسراف في الشرب في مثل حالتك من العطش الشديد يأتي بأوخم العواقب ... هيا يا أخي اشرب (وأشارت إلي)، ولكن يحسن أن ترش يديك ووجهك بقليل من الماء قبل الشرب. إني لم أكن أعلم أنكما بهذا المقدار من العطش وإلا لنصحت لصاحبك أن يشرب قبل أن يغسل يديه ووجهه

وبعد أن ارتوينا وغسلنا أيدينا ووجوهنا طلبت إلى الفتاة أن تجلس وتستريح، فاعتذرت بأدب ولطف وقالت: إن أخوي الصغيرين في مثل حالتكما من العطش، فأرجو أن تسمحا لي بالرجوع لأملأ الجرة وأعود إليهما

فقلت بلطف: يؤلمنا أن نكون قد شربنا الماء الذي كان يجب أن يبرد غلة أخويك فلا تضطرين إلى الرجوع ومضاعفة الأمد الذي سيرتوي عنده أخواك

فأجابت الفتاة: لا بأس، إن أبناء الصحراء أكثر احتمالاً للعطش من أبناء المدينة ولو كانوا صغاراً كأخوي

وهنا سأل صاحبي وهو يحاول أن يتتبع عين الفتاة في عينيه: ولكن كيف عرفت أننا على هذا الحال من العطش حتى على الطريق وجئت تسعفينا؟

فأجابت الفتاة ببساطة: سمعتك تتمنى لو تتاح لك شربة من جرتي هذه!

فقال صاحبي بجرأة ظاهرة: أو سمعت ما قلته إذاً؟ فأجابت: نعم، سمعته. فقال: أسمعته كله؟ فردت: نعم، كله. فقال: وكيف جئت إذاً؟!! فرمقته الفتاة بنظرة قاسية ولم تجب. وعندما أدخل صاحبي يده في جيبه وأخرجها ثم مدها إلى الفتاة، وعندها نظرت الفتاة إلي وفي عينيها دموع وقالت: ألا سامحكما الله. ثم جرت وانصرفت.

* * *

كان إحساساً أليماً حقاً، شعرنا عنده أننا صغرنا وصغرنا إلى حد الضآلة. وطلبت صاحبي. لقد كنت قاسياً أشد القسوة. فأجاب: أتقول إني كنت قاسياً؟ ألا تقول إني لم أكن إنساناً؟ إنك تستحي أن تقولها.

وعدنا إلى الصمت، وفي صدر كل منا نشيج من العواطف الثائرة والأحاسيس المتهدجة الثائرة، ولم نر بداً من ترك المكان في الحال؛ فقد بدا في نظري ضمة شيء يكون الشيء مؤلماً أشد ما يكون الألم. وظللت بعد ذلك كلما سرت في تلك الطريق أشيح عنه بوجهي كما يشيح كل إنسان عن الموطن الذي حدثت له فيه حوادث مؤلمة محرجة

عدنا أدراجنا، وأحببت أن أصرف صاحبي عن التفكير الذي جرى له فسألته: متى تبدأ الامتحانات الشفهية؟

فأجاب وعينه دامعة: إنهم هم السيد وهم الأحرار!

قلت مستغرباً: من هم؟

فأجاب: هؤلاء السود الذين نحسبهم زنوجاً وعبيداً

فأدركت أن صاحبي لم يتحول عن التفكير في الفتاة وما أساء إليها إلا حتى شعر أنه نال من إيلام نفسه مثل ما نال من إيلام الفتاة. وعاد يقول:

يا لهذه المعتقدات العتيقة التي تلقيناها من بطون الكتب وأفواه الناس في الحكم على الأجناس. لقد تآمرت الكتب والمجلات والصحف والأحاديث وكل وسيلة من وسائل الإيحاء على أن هذا الجنس الأسود جنس منحط وأن خلاص البشرية، إن قدر له الخلاص، لن يجيء إلا من طريق الرجل الأبيض وما في رأسه من علم وصدره من أريحية وأخلاقه من نبل وسماحة. لقد أوحي إلينا بذلك إيحاء مستمراً حتى حسبناه من القضايا التي لا تناقش ولا يجوز فيها جدل، وحتى غدا سواد البشرة عندنا مرادفاً لظلام الباطن وحلكة النفس وسواد السريرة.

ثم صمت وعاد إلي صاحبي بحديثه.

— إن أجساماً تمتص النور، كما تمتصه أجسام هؤلاء السود لا يمكن أن تضم نفوساً مظلمة. إنه حيث يوجد النور تنعدم الظلمة. لقد أخطأوا خطأً فاحشاً حينما جعلوا القشرة السوداء، فقد كان الأولى والأصوب أن يجعلوها القشرة البيضاء قشرة الشمس والنور. فهل يوفقون يوماً إلى الحق ويصلحون خطأهم الشنيع؟ إن في الآفاق البعيدة والقريبة ما يكاد يشير إلى ذلك

فقال صاحبي ببطء: صدقت، لا ظلام حيث يوجد النور ولكن كنية صاحبتنا وهي سوداء هي من الآن «أخت النور»

وأدركت أن قد سري عن صاحبي وزال أكثر ما كان يحز في صدره من ألم، فودعته وانصرف هو إلى منزله وذهبت أنا إلى منزلي وقد نقشت الحادثة في صدري نقشاً لم تزله سبع سنوات كاملات مرت عليها

أديب عباسي

كتاب البخـــلاء

الطبعة الدمشقية بعد الطبعة المصرية

للأستاذ عبد القادر المغربي

جاءني كتاب من بعض الفضلاء يقول فيه: إنه بعد أن قرأ في (الرسالة) ما كتبه الأستاذ «محمود مصطفى» في نقد الطبعة المصرية لكتاب البخلاء اطلع على طبعته الدمشقية التي صدرت حديثاً فإذا هي تنص على نصها أن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق حققوها ونشروها بالاشتراك مع مؤسسي (مكتب النشر العربي) بدمشق ولم يصرح المؤسسون بأسمائهم على الكتاب وإنما هم صرحوا بأسماء أعضاء المجمع واحداً واحداً ثم قال: «وقد رأى في تصحيحات هذه الطبعة الدمشقية ما لا يصح نسبته إلى المجمع، فلك حاولت نقده ثم رأيت أن أتثبت في الأمر من حضرتكم أولاً»

فالمغربي يقول لهذا الفاضل إني أنشر كتابك هذا في (الرسالة) فيكون جواباً له ولكل من حاك في نفسه مثل الذي حاك في نفسه هو

أنشأ السيد ظافر ابن العلامة الشيخ جمال القاسمي (رحمه الله) ورفاق له منذ بضع سنين بدمشق مكتباً لطبع الكتب ونشرها دعوه (مكتب النشر العربي) وقد أخيراً أن يطبعوا (كتاب البخلاء) للجاحظ رغبوا إلي أن أقدمهم بالمشاركة في تصحيحه مع من وعدهم بذلك من أعضاء المجمع العلمي. فاعتذرت من المشاركة في مباشرة التصحيح، وإنما أنا أقدم إليهم نسختي المطبوعة التي كنت طالعتها منذ سنين، وعلقت تصحيحاً على بعض أغلاطها. وقلت لهم استعينوا على طبع نسختكم بما في نسختي من هذه التصحيحات، فقبلوا شاكرين

ثم انقضت سنتان لم أجتمع بهم خلالهما لأنظر في كيفية صدور النسخة الجديدة ومن طريقة ذكر اسمي في ذلك التصدير

وفي تلك الأيام أخيراً يهدون إلي نسختهم الجديدة وإذا على غلافها الظاهر (أن مكتب النشر حققها ونشرها بمشاركة لجنة من أعضاء المجمع) وتكرر في الغلاف الباطن مكتوب عليه (عبد القادر المغربي وفلان وفلان من أعضاء المجمع حققوا وكتبوا تصديره بالاشتراك مع مكتب النشر) ثم قالوا في مقدمة الكتاب نفسه «ونحن بعد نأمل أن نرجع إلى مجمع العربية بدمشق ... ونشركهم بالمسؤولية عما دعونا غيرهم»

هذا ما قاله مكتب النشر العربي في هذا الشأن. أما أنا فلا أعلم أن في دمشق لجنة ألفها مجمعنا العلمي أو مرجع آخر من خصائصه تأليف اللجان لأجل تصحيح كتاب البخلاء. ولا أعلم أنني عضو في هذه اللجنة المزعومة. ولا أعلم أني اجتمعت مع مصححي الكتاب أو واحد منهم مرة واحدة لتبادل الرأي في تصحيح غلطة وجدت فيه. ولا أعلم من جهة أخرى أني أرضى أن أكون مسؤولاً أمام (تاريخ الأدب العربي) عما يقع في هذه الطبعة الدمشقية من الأغلاط بمجرد مساعدتي لمكتب النشر في تقديمي له نسخة مطبوعة كنت منذ سنين صححت بعض أغلاطها تصحيح مطالع لا تصحيح ناشر طابع. بل لا أعد نفسي مسؤولاً عن تصحيحات نسختي نفسها ما دمت لم أحرص على التثبت منها ولم أطلع على شيء من (بروفاتها) قبل طبعها. ومن الغريب أنه وقع نظري على عبارة في نسختي المذكورة قلت في التعليق عليها (إن وصلية) وإذا مكانها في النسخة المطبوعة (إن شرطية)!

وكل ما أعلمه أني أعطيت نسختي إلى شبان (مكتب النشر) ليستعينوا بتصحيحاتي عليها بشرط أن تكون تصحيحاتي عوناً في نظر أعوانهم الآخرين الذين سيتولون بأنفسهم أمر التصحيح والتحقيق.

كما أن كل ما كنت أتوقعه من حضرات الناشرين المحققين أن تسمح نفوسهم بالإشارة إلى هذا في مقدمة طبعتهم الجديدة ولم يجر في حسابي قط أن تسمح نفوسهم بجعلي شريكاً لهم في مقاساة هذه تصحيح الكتاب، وفي تحمل متاعب نشره. وراحوا في النهاية يجعلونني مسؤولاً عن الأغلاط التي تقع فيه!

وقد كنت أرجو أن يتحفوني بذكر نوع مساعدتي لهم وتحديد مقدارها كما أنصفوا زميلي الأستاذ ([illegible]) إذ صرحوا في آخر الكتاب بأنه تطوع من الاشتراك في التصحيح

عودة إلى الشيخ الخالدي

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

حدثت قراء «الرسالة» قبلاً عن الشيخ الجليل العلامة خليل الخالدي، وذكرت طرفاً من علمه بالكتب العربية ومؤلفيها ومواضعها من دور الكتب في البلاد الإسلامية كلها، وفي أسبانيا.

وقد سنحت لقاء الشيخ مراراً من بعد في مصر والشام، ووجدت معرفته بآثار دمشق مساجدها ومدارسها ومزاراتها تعدل معرفته بالكتب والمؤلفين.

وقد شرّق الشيخ وغرّب بنا حين مضى الحديث إلى الكتب فأفاد وأمتع. وأثبت من حديثه هذه الغرائب:

قال: إني في حيرة من أمر هذا الشريف الإدريسي مؤلف نزهة المشتاق. أعجب من رجل شريف يدخل في خدمة ملك صقلية والحروب الصليبية مستعرة، ويكتب للإفرنج عن البلاد الإسلامية يصف لهم ثروتها وطرقها ومسالكها، ويقول عن كنيسة المسيح: الكنيسة الشريفة، وعن صخرة بيت المقدس: الصخرة التي يعتقد فيها المسلمون.

ولولا أني قرأت هذا الكلام في نسخة صحيحة نقلت من نسخة بخط المؤلف وكانت في خزائن الموحدين — وهي اليوم في كتب السلطان محمود في اسطنبول — ما أثبت الرجل مثل هذا الكلام خشية أن يكون وهماً منه.

والإدريسي في كتابه عالة على الإصطخري وابن خرداذبة، والهمداني، وابن حوقل، وابن واضح.

وسرنا في شعاب الحديث حتى ذكرنا ابن الأبار صاحب التكملة السائل فقال: أديب كبير ولكنه ليس ثقة. هو الشيخ بعد المؤلفين على طريقة المحدثين — قال: وقد طعن فيه الأبار الفضل وهو وزير عالم ثبت، ومن المؤلفين غير الثقات الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان؛ طعن في ابن باجة الفيلسوف، وابن باجة من أجل علماء الأندلس وفلاسفته، وكان الفتح رجلاً يعيش في الخانات، وقد جلده القاضي عياض في خمر، وقد مدح هو عياضاً ميلاً منه.

وعياض عالم كبير له كتاب الشفاء الذي أثنى عليه ابن الصلاح في أبيات منها:

مشرق أنوار تجلت بسبتة ... ومن عجب كون المشارق في الغرب

قلت: كان ابن الأثير معجباً بنفسه وكان أبوه يشجع هذا الإعجاب عنده.

قال: ومن العلماء المنسيين الأتقاني الفقيه مؤلف غاية البيان شرح الهداية، وله شروح على أصول الأخسيكثي. ومنهم السغناقي، وله شرح على أصول فخر الإسلام البزدوي وعلى الجامع الكبير. ومنهم عصام الدين وكتبه معروفة ولا سيما في بلاد الترك، ومن عجب هنا أن حفيده قدم إلى استنبول وأقام بها. وقد أهدى عصام الدين إلى السلطان سليمان القانوني حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة «أنوار التنزيل».

وقد رأيت في مكتبة بني قرمان في قونية خط الأتقاني على كتاب الأصول للبزدوي، وهو نسخة قديمة كتبت سنة ٤٧٥، ومن حسن الكتاب نسخة بخط الأتقاني في اسطنبول. ورأيت في هذه المكتبة من نفائس الكتب كتاب غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري، ما رأيته عند غيرها. والجزء الرابع من البخاري عليه خط الحافظ أبي الوقت السجزي، وعليه رواية أبي زيد المروزي أحد رواة البخاري.

ورأيت في مكتبة جلال الدين الرومي في قونية كتاب التمهيد لعبد الشكور السالمي في العقائد، وهو إمام كالماتريدي ونجم الدين النسفي. ورأيت في مكتبة صدر الدين القونوي كتاب الفتوحات المكية بخط المؤلف في سبعة وثلاثين جزءاً، ومواقف ابن حبان في الحديث بخط ابن العربي، وفصوص الحكم بخط صدر الدين، ورأيت هناك كتاب روح القدس لابن العربي عليه سماعات بخطه

من بعد السبعة الرابعة والستين. فيكون للمتنبي أن يأخذ ورقتان جميعاً كبيرين على المحتسب إلى البيع.

لو أنصفوني كما قال لكفوني مؤونة كتابة هذا التعقيب الذي اضطررت إلى نشره في (الرسالة) خدمة للأدب العربي وكرامته ومؤسساته، وتنديداً من أن يقوم (محمود مصطفى كمال) بمناقشة الجمعية الدمشقية بالسب ويحمل جهة أعمالها من الجد إلى الهزل.

(دمشق) المغربي

وكتب أخرى عليها خطه ، منها الأحكام الكبرى والصغرى لعبد الحق الإشبيلي ونحوها في فقه الحديث ، وقد أطلعه على الدين الصفر القونوي ورأيت عليها تصحيح ابن رشيق الأندلسي

ورأيت من مؤلفات النصير الأخرى النصيرية كتاب إجابة محصل سؤالات صاغها نصير الدين الطوسي ، وهي تتعلق بمسائل النصير من العلوم والفلسفة

ورأيت في مكتبة السلطان سليم في ... كتاب ابن ولاد بخط أحمد ... كتب سنة ٨٠٣ هـ

وعرض على الشيخ العلامة نسخة عندي من كتاب القنوي عليها أبيات كتب تحتها أنها بخط عبد الرحمن الجامي فقال: لا شك أن هذا خط الجامي ، أنا أعرف خطه ، رأيته على كتب كثيرة وخطه جيد. ومن العلماء حسني الخط الخيالي صاحب حاشية العقائد ، وملا خسرو صاحب الغرر. وقد رأيت له كتاب المرآة في الأصول بخطه ، وسعد الدين ، والقونوي ، وقد رأيت قطعة من شرح البخاري بخطه. وأنا أعرف خط النووي

ومن أحسن الناس خطاً الحافظ الصدفي المرسي نسخه الأندلسي على الإطلاق ، وابن قسيم صاحب الشاطبية الذي كان يحكم به عامة علماء الأندلس والمغرب

ثم انساق الحديث إلى الملك المعظم الأيوبي فقال إنه كان أعلم بني أيوب له شرح على الجامع الكبير. كان أعلم من صلاح الدين مع مكانة صلاح الدين في العلم ، وإنه كان يعد في درجة النووي أو فوقه . يقال إنه كان يحفظ التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في فقه الشافعي. وأبو إسحاق شيخ مذهب الشافعية في العراق وإمام الحرمين شيخه في خراسان

وكان المعظم يجل ابن قدامة ويقوم له إلى أن يصل عليه وما كان يقوم لسيف الدين الآمدي صاحب الأحكام لاشتغاله بالفلسفة ، وكان في درجة فخر الدين الرازي — ثم قال :

وكان الفخر ذا مكانة عظيمة عند خوارزم شاه ويسميه رجل بهاء الدين والد جلال الدين الرومي من خراسان

قلت: أرأيت لابن تيمية طعناً في جلال الدين؟ قال: نعم طعن فيه وفي الفخر وقال لو أدركت الفخر لضربته بهذا القضيب مثلا . قال ابن بطوطة إنه حضر ابن تيمية في دمشق وهو على المنبر يتكلم في نزول الله تعالى إلى السماء، وقال: ينزل كنزولي هذا (ونزل درجة من المنبر) .

قال: وفي ابن بطوطة أنه أدرك ابن تيمية ... والقصر ... كثير ولا يعول التثبت إلا على نسخ الصحيحة . إن أكمل الدين البابرتي وهب القنوي شرحا الفقه الأكبر لأبي حنيفة واعتمدا على نسخة محرفة جاء فيها « وأبواه ماتا على الكفر » والعبارة الصحيحة « ماتا على الفطرة » والبابرتي هو شيخ السيد الشريف الجرجاني وشيخ شمس الأئمة الأصفهاني الذي يقول بجواز الدور والتسلسل في الأمور العقلية

وكثيراً ما يقع النساخ في الأوهام . ألا ترى صاحب الكشاف كيف يروي حرفاك إرم ذات العماد ؟

ثم قال : إن الزمخشري أكثر الأخذ من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وكتاب الزجاج في القراءات ومن تهذيب الأزهري وقد عكف عليه ثلاث سنين في مسجد ... ومنه أخذ كتابه الفائق ولم يصرح بها

ثم تكلم الشيخ على المفسرين والمتأخرين من العلماء وذكر الطحاوي من فقهاء الحنفية وأثنى عليه كثيراً وقال: إن قبر الطحاوي في القرافة وعليه قبة. وذكر قاضيخان وقال: رأيت إجازة بخطه دلت على ضعفه في العربية . ثم ذكر من المتأخرين ابن نجيم صاحب البحر وتلميذه الحصكفي والشرنبلالي تلميذ الحصكفي وقال: إن صاحب ... أو قضاة العسكر كانوا يستفتونهم كثيراً ، وكان أحد هؤلاء خير الدين الرملي صاحب الفتاوى

ثم تكلم عن كتب المتقدمين فذكر شرح القدوري فقال: رأيت نسخة منه عليها خط الحصكفي. وتكلم عن كتاب المبسوط لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وقال: هو ثلاث روايات رواية أبي بكر خواهر زاده ويسمى المبسوط البكري ، ورواية الجوزجاني ورواية الحلواني . قال: وأما مبسوط السرخسي فهو شرح كتاب الحاكم الشهيد الجامع لكتب محمد بن الحسن. ثم يقال إن السرخسي أملى المبسوط وهو في السجن . قال: والذي أعرفه أن السرخسي ألف كتاب الأصول في قلعة أوزجند ، وقد رأيت نسخة منه بخط العلامة الكردري شيخ البزاز أولها قال السرخسي في زاوية من حصار أوزجند اهـ

« للكلام صلة »

عبد الوهاب عزام

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

يقول الأستاذ : « وقد يتعسف (الفرزدق) في كلامه ويداخل في تراكيبه ، ويقدم ويؤخر ويتجوز في استعمال الوحشي والغريب والإيواء ، وما هو أشبه بالمعمى ؛ وذلك لثقته بنفسه واعتماده على سليقته ولقساوة في طبعه . قال كردي : (سمعت الفرزدق يحتج بالرجال على عقولهم حتى يستعبدوه) ... عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي حينة بعد .

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

فقال له ابن أبي إسحق : « على أي شيء رفع أو مجلف ؟ فقال على ما يسوءك وينوءك[1] »

والبيت (المجلف) من شواهد الكشاف في مكانين ذكر بوحه الإعراب ... وقرأ أبي والأعمش الا قليلا منهم ، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا ، وهو باب جليل من علم العربية ؛ فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ، ونحوه قول الفرزدق (لم يدع من المال إلا مسحت[2] أو مجلف) كأنه قال « لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف » وقال في سورة طه « قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز ، والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ، ومنه قول الفرزدق (إلا مسحتا أو مجلف) في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه »

---

(١) أخذه من المثل (تركته ما يسوءه وينوءه) قال الميداني « كان ... [illegible] ... فقال ... تركت فلانا على حالة ما يسوءه وينوءه ... [illegible] ... قال الصاغاني : المزدوج الكلام كما يقال إنه لآتيه بالغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على غدايا

(٢) يروى مسحت بالرفع والنصب

وفي (القاموس) : « قولهم ودع للمسافر ... [illegible] ... متبوع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

لمعنى لم يدع مكسر الدال لم يثبت ، والمعنى منها إليه عطوف ... عوضه وتقديره لم يدع فيه ، وهذا أمر ظاهر »

وأورد الأستاذ أمثلة مما أشار إليه كردي ، وشغلت به الأمة في التقديم ، وقد اجتزأنا نحن من تلك النواحي بواحدة ...

* * *

الفرزدق هو — كما قال الأستاذ — و ... عنه اللغة وفصاحة الأسلوب » وقد رويت القول من قبل . وأشعار أبي فراس مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ ، وأبياته في الصفحات المنوه بها من أوائل الشواهد ... فلو رجع إليها الفاضل عبد الله الصاوي الذي (عني بجمع ديوان الفرزدق وطبعه والتعليق عليه) في شرح (الأوابد) في بيت الفرزدق

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي بتنحل الأشعار

ما كان قال : « شبه القصائد بأوابد الوحش » . وأوابد الوحش نفرها ، ومثل هذا الشرح يخذل البيت ويريع القارئ — فلو رجع إلى اللسان والأساس لوجد الأول يقول : « يقال للشوارد من القوافي أوابد . قال الفرزدق - لن تدركوا ... وقافية شرود عائرة سائرة في البلاد » ووجد الثاني يقول : « أوابد الشعر التي لا تشاكل جودة . قال الفرزدق لن تدركوا ... » وفي الصحاح « يقال للشوارد من القوافي أوابد قال الفرزدق . لن تدركوا ... » وفي التاج : « الأوابد القوافي الشرد عاز . قال الفرزدق لن تدركوا ... »

ولو رجع العلامة المصري المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي إلى كتب الأدب واللغة ما كان قال في مجلته (الضياء) السنة (٣) الصفحة ٤٨٥ — « قال الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهارا

أراد بقوله يصيح صيحة التشبيه من قولهم أصاح التمر ، فنقل المعنى إلى النهار كما قال البديع ... أصاح النهار بجانب ليل ، ثم

استعمل منه متعدياً بتجريده من الزيادة ، وهو غير معروف في هذا المعنى »

ثم رجع الشيخ إلى (إعجاز القرآن) للباقلاني و (ديوان المعاني) للعسكري و (حماسة البحتري) و (الأغاني) و (نثار الأزهار) لابن منظور صاحب اللسان ، و (الكامل) للمبرد و (أساس البلاغة) و (لسان العرب) و (تاج العروس) فوجد في هذه الكتب كلها رواية البيت الصحيحة :

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

ووجد في اللسان والتاج هذه الفائدة : « . . . عن أبي عبيدة أن جعفر بن سليمان قدم من عند المهدي فبعث إلى يونس بن حبيب فقال : إني وأمير المؤمنين اختلفنا في بيت الفرزدق وهو (والشيب ...) ما الليل والنهار ؟ فقال الليل هو الليل المعروف وكذلك النهار[1] فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى . قال أبو عبيدة القول ما قال يونس ؛ وأما الذي ذكره المهدي فهو معروف في الغريب ولكن ليس هذا موضعه . قال ابن بري : قد ذكر أهل المعاني أن المعنى على ما قال يونس وإن كان لم يفسره تفسيراً شافياً ، وإنه لما قال (ليل يصيح بجانبيه نهار) فاستعار للنهار الصياح لأن النهار لما كان آخذاً في الإقبال والإقدام ، والليل آخذ في الإدبار صار النهار كأنه هازم والليل مهزوم ، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم . ألا ترى إلى قول الشماخ

ولاقت بأرجاء البسيطة ساطعاً ... من الصبح لما صاح بالليل نفّرا

وقال : « صاح بالليل حتى نفر وانهزم »

ومدح الفرزدق في قصيدة مشهورة عارض بها قصيدة جرير مطلعها

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

وفي قصيدة الفرزدق هذه الأبيات

إن الملامة مثل ما بكرت به ... من تحت ليلتها عليك نوار

وتقول كيف يميل مثلك للصبا ... وعليك من سمة الحليم عذار !!

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار[1]

إن الشباب لرائح من بعده ... والشيب ليس [illegible]

فالفعل (يصيح) وماضيه (صاح) أي صوت [illegible] و (يصيح) مضارع فاعل يصيح . والشيخ اليازجي مخالف في هذه [illegible] وسنعود إلى تبيينها في وقت

* * *

في شعر الفرزدق ألفاظ كثيرة فاتت المعجمات التي عرفها مثل اللسان والتاج وغيرهما . من ذلك (الظآليل والوَعُون) وقد وردت الأولى في قوله :

وظلماء من جرّاء أو سريتها ... وهاجرة دوّية ما يُبيهُها

جعلت لهم دونها من ثيابنا ... ظآليل حتى زال عنها أصيلها

وجاءت الثانية في قوله

وحبل الله حبلك من ينله ... فما لعُرى إليه من انفصام

فإني حامل رحلي ورحلي ... إليك على الوعون من العظام

والوعون من مصادر وعن وقد ذكروا الوعن بالسكون والحركة ولكني لأستبعد قصده الوعون بفتح الواو بمعنى الضعيف

وفي العربية ألوف من الألفاظ الجاهلية والإسلامية لم تحوها كتب اللغة . وقد بحثت هذا الأمر المهم في جريدة (البلاغ) المشهورة منذ بضعة أعوام في مقال عنوانه (العربية ، أحاديث [illegible]) حين كنت في القاهرة – قبل مرابطتي في حلب الشهباء – وكنت أكتب (أسبوعياً) في تلك الجريدة

* * *

لما تقدم الغربيون وتحكم فيهم المرابيون وأراد هؤلاء أن يسخروا الأمم العربية والإسلامية الغنية الضعيفة ليحشوا جيوبهم في سياساتها أو لمآرب أخرى دعوا إلى مثل (الفرزدق) يستقطرونه ويستهمونه ، والسم القاتل لا يضل سبيله ، ولا يخطئ من يختار دربه . وأعمال المرابيين في هذا الشأن شهيرة تغني عن الإبانة عنها[2]

---

(1) روى اللسان البيت في مكان آخر وجاءت فيه هذه الرواية : « ليل يصيح بجانبيه نهار » [illegible]

(1) روى الكامل البيت ثم قال : هذا تأويل [illegible] وأغرب منه [illegible] وأقرب ما أجد

(2) شيخ المرابين من حكام السياسة والتعبير [illegible] بالدعاية في مواضع كثيرة [illegible] لا يرد القوم من غشية ذلك الأمم والأحبار

ولما كانت الملكة العربية وهمّ عمرو بن بحر (الجاحظ) وعلي بن عبيدة (الريحاني[1]) وعلي بن محمد (أبو حيان التوحيدي) وحبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) والوليد بن عبيد (البحتري) وأحمد بن الحسين الكندي (المتنبي) ونظراؤهم، فما همّ هؤلاء الناشئون أن يجدوا لشهم، ويصنعوا أدبهم، فجدوا إلى معرفة (العربية)، وعكفوا يعنون به، وتأدبوا في العربية عليه، ومن سار إلى الينبوع العذب من النمير السلسال وكرع فيه ارتوى، ومن سعى إلى منجم الألماس[2] ومعدن الذهب رجع جذلان غنياً

وإني لأرجو الرجاء التام أن الأمم العربية سوف تولي بعد ثلاث مئة سنة (إن شاء الله تعالى) ستعرف الجاهلية والإسلامية (الأموية) عرفاناً، وستأسيها عند أسلافها فلا عذر لنفسه من التخلي — وإنها لكثيرة — شرحت من أصحاب المعجات إلا استطاعوها، ولا شعراً مستحسناً إلا ابتعثته ورفعته، ولا ديواناً لكبير وصغير من الشعراء والمتواصين إلا اشتهرته. وستكرم دواوين لزمت طبعاتها، وسوّد القنطار القنطار (أو الساسرة[3]) ويحوجهم منه الله بنشره صحائفها

وستلقى[4] طلائع الزمن الآتي في التأليف في أدب الجاهلية والإسلامية اتساعاً، وسيعفّون البرمانيين والأئمة من العربيين السابقين (بدوق) حرمه الله الأرجي المستغرب أي ... وبدائع من الطباعة وغير الطباعة لم يعلق بها[?] العالم العربي من قبل. وسيعلم أولئك الراغبون المتشوقون من ... المأمون «خير الكلام ما نفع كل الزمان» ما لم يبه المتعبون إلى الأدب العربي من المصريين، والمتعصبون يجهلون ما لا يبصره المعاصرون[1]

* * *

نقد بعث الأستاذ الأردني (همام بن غالب) في هذا الوقت
و(البعث، حق، و(الرجعة) هذا اليوم

إنه اليوم في القاهرة (الحاضرة الثقوية للأمم العربية)
إنه الساعة في دار (الجامعة المصرية، جامعة فؤاد الأول)
— رحمة الله على الملك العالم[3] — وها هو ذا يخطب (الدكاترة)
والأساتذة والتلاميذ وهم جالسون به إنه ليجهر بصوت مثل سوم
كليهم الأسد، حيث همهمور، وإنا القصة يجون

أنا همام بن غالب أنا الفرزدق
أنا أستاذ (الخليل[4]) و(الزيعاني[5]) وحبيب
وأنب العربية الجاهلية الإسلامية الأموية حامية (الكتاب)
والتي قد كوت هذا اللسان

إن الناطقين بالضاد في كل وطن ومكان إلينا لمنتسبون

---

(١) كان أحد البلغاء الفصحاء، وهو أديب، كثير النقل، صحيح اللفظ، حسن العبارة، كاتباً عريفاً، يسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريق الحكمة، وكان له اختصاص بالمأمون، من الخاص من يفضله على الجاحظ في البلاغة وحسن التأليف. اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة: الجاحظ وعلي بن عبيدة الريحاني وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو الريحاني، ومنهم من وافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد (الفهرست، تاريخ بغداد، إرشاد الأريب)

(٢) الهمزة واللام فيه أصليتان، وصاحب القاموس يقول: (ولا تقل الماس فإنه لحن) وفي التاج: قال ابن الأثير أظن الهمزة واللام فيه أصليتين مثلهما في إلياس وليست — بعربية — عربيا

(٣) في (الفائق): «قال قيس بن أبي غرزة (رضي الله عنه) كنا نسمى السماسرة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتانا ونحن بالبقيع، فسمانا باسم هو أحسن منه، فقال: يا معشر التجار، فاستمعنا إليه فقال: إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشوبوه بالصدقة» وطائفة من التجار لا تستأهل هذه التسمية النبوية الكريمة، فسمهم الأولى

(٤) العين مثل غنى، والاكتفال مثل العمى

(١) حطى الشيء ظفر به. ولعله أخطأ الشيخ اليازجي في عجالة حالك وفي الجزء (٢٦٣) من الرسالة أنواء الأقوال السكانية والعالمية في ... عبد الغني

(٢) من المجاز: ... لن أبصروا الحق ولم تبصروه، ... عينيه، وما أصابه الجرو ... حرك عينيه ولما يفتح

(٣) [illegible] يوم ... سنة ١٣٥٥ ... الملك العالم ... رحب ... ولداً كريماً وحبيب ورضوان الله عليه، ولد أحمد ... (السلاوي) ... الأسلمية ... في الملك ...
ويجرت ... في السماء ...

(٤) الخليل بن أحمد والخليل به ...

(٥) علي الريحاني وأمين الريحاني

أما همام بن غالب (الفرزدق) وجرير بن عطية[1] و[illegible] فالعلم كل العلم في أن تعرفوا وتعرفوا الإسلاميين والجاهليين، والجهل كل الجهل في أن تنكروا!

أنا الفرزدق!!

(تصفيق شديد بدأ به الصديقان الأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام، وتبعهما الأستاذ إبراهيم مصطفى وسائر الأساتذة والطلاب)

حيث قد أدى الكريم الأستاذ [illegible] بما أبيات لنا (الفرزدق) في هذا الزمان حتى غلب في (الجامعة) [illegible] وحول في الجامعة والإسلامية مقالته، وصدع بالحق، وقال (الفرزدق) هو النبيل

إذا قالت حذام فأنصتوها ... فإن القول ما قالت حذام[2]

* * *

هذه كلمة اقتبست من فصل الأستاذ [illegible]، وطاقات اجتنيت من روض أدبه، أقدمها إليه إعجاباً وإجلالاً وحب

(الإسكندرية) (***)

* * *

(1) قال جرير حين نعى إليه الفرزدق:

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ... ولا ذات بعل من نفاس تعلت!
هو الوافد الميمون والراتق الثأى ... إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

وقال يرثيه جرير:

لعمري لقد أشجى تميما وهدها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق!
عماد تميم كلها ولسانها ... وناطقها البذاخ في كل منطق
فتح أبواب الملوك لوجهه ... بغير حجاب دونه أو تملق
فتى عاش يبني المجد تسعين حجة ... وكان إلى الخيرات والمجد يرتقي

[illegible] (٣٢) [illegible]

(2) [illegible]

أوراق مبعثرة...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ماهي [illegible] ...
[illegible] كالفتاة العروب ! تهوى بين العشب ، وترف حول الزهر ، وتثب وراء النهر ... ثم تناغي ، الشمس في أذني عيناه ، [illegible] ... [illegible] ... فلها أوراق تبعثر ... [illegible]

وهذه الأوراق !! [illegible] الشباب [illegible] [illegible] ... وكل ما أشعر به [illegible] كثيراً من [illegible] ، وروائع الشعر ، وبوادر الفكر ، و [illegible] ، [illegible] ... أيضاً [illegible] « الرسالة » [illegible] الأدب الزاهي [illegible]

— ١ —

قرأت اليوم كتاب « طاغور » عن الشاعر ودينه . إنه يجنح إلى الدقة حتى يصعب عليك فهمه ، ويميل أحايين إلى السهولة حتى ما تجد أسهل ولا أجمل منه . إن له آراء طريفة .. فهو يرى أن دين الشاعر ليس كدين الناس « لأن دين الناس عقيدة تهون بها المشكلات .. فينقلب بها الشك إلى يقين ، والتمرد إلى إذعان » . أما دين الشاعر فرحيب وجواح لا يجمع لشيء ولا يُقيده شيء . هو كالسماء التي تحيط بالأرض تتلاعب في جنباته الظلال والأنوار ، ويبدو الفجر فيه كالراعي الجميل ينفخ في مزماره ويمشي بين قطائع النجوم . إنه لا يقودنا إلى هدف ولا يجري بنا إلى غاية ، لأنه مطلق لا تحيط به الحدود حقيقته ؛ ولا الحدود الضيقة تحدده ؛ ولأنه واسع تتراءى لك فيه عوالم بعيدة وقريبة ، تسمع منها زفرات البائسين ، وأنين البائسين ، وأغاريد العصافير ؛ وتحس [illegible] المعذبين ، وحنين السماء ، واضطراب الراقصين ؛ وتستنشق عطر الورود وأريج الياسمين ، وتر إلى خرير السواقي ، وعبرات الثكالى ، وحزن المتسع ، [illegible] ، وضحك الربيع . استمع معي إلى هذا النشيد :

« أبريل يا أبريل .. أقبلت كالفتاة العروب ... ثم [illegible] الضمع مثلي ! »

« أبريل يا أبريل ... [illegible] أذناي [illegible]
تسمع أذني وترى عيني ، ثم [illegible] لها [illegible]
والزهر المتسع [illegible] في الذهب ! »

فهذا وجدت ! أليس هذا [illegible] « الترف في الشعر » ؟
ولنسمع أيضاً إلى شاعر [illegible] قديم

« استيقظت هذا الصباح على همس شراع القارب الحريري الجميل ، [illegible] الشاطئ لأسمع الموج الصارخ ... ثم سألتك هل آن لي أن أنطلق [illegible] الأحلام في تلك الجزيرة النائمة وراء الأفق الأزرق الجميل ؟ فسمعت ابتساماتك على سؤالي كما يتساقط صمت الأشعة على الأمواج ... وانقضى النهار مملوءاً بالأعاصير ، و [illegible] عليه [illegible] القارب السكران إلى [illegible] ، فسألتك أين هذه الربوع ، [illegible] هذا النهار الميت . [illegible] على [illegible] [illegible] أحلامك ؟ [illegible] أسمع [illegible] ؟ ويبكي صمت [illegible] كما تبكي حدائق النهار تحت همس الطل ، وأقبل الليل .. [illegible] الظلام ، [illegible] الهواء [illegible] ، [illegible] [illegible] المطر ، وهاج من الأسى ، [illegible] [illegible] عن [illegible] ، وسألتك : أوراء النجوم جنات يا عروس [illegible] التي [illegible] بين الورد والزهر ؟ ... هناك حيث [illegible] إلى [illegible] ، و[illegible] إلى ضحك ... [illegible] ... في الظلام كما [illegible] الليل ... وراء السحاب » فما هذه إلا [illegible] من الناس [illegible] وهذا هو الشعر الجميل

« دمشق » صلاح الدين المنجد

كتاب الأغاني

لأبي الفرج الإسكندراني

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

اصبروا على طبيبي   واذكروا وجيبي

حسبي راحتي بسقمي   وفؤادي بالتحبيب

فاصبروا على طبيبي

الشعر «لليلى المريضة في العراق»، وفيه لحن للجاحظ الثاني لم تدون سنته

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال: إن «ليلى المريضة بالعراق» ليست إلا كناية من الكنايات الأدبية، هي شخصية خيالية، كماريانا الفرنسية، وحبيبة [illegible] الإسكندري. وقد تعلق بها في كل جيل كبار أدبائه، وإنما أصبحت كثيرة العشاق.

قال: وقد كثرت مطالبهم إليها، وكان معظم الطلبات من الأدب الجاهلي، وهو كما يعرفون تميز عن الصفات الرقيقة، فأصيبت بعسر الهضم، وما يتبعه من ضعف الكبد ومرض السكر وسائر الأمراض التي تحدث عنها الأستاذ العقاد في مقاله عن «مطالب الأدب».

قال: وكان ممن افتتنوا بها العلامة الجاحظ الذي كان يسميه بطبه الناجع، وما طبه إلا العلاج بنبات الأرض التي نشأ فيها المريض، وبالإقامة مدة ما في الجو الذي كانت فيه النشأة، فاستبعدت بها من ملابسات الحياة الحاضرة إلى عهد أدبا غير محروم ولا غريب ما أنت، وكانت تعود إلى عهدها من النضارة والنضرة، حتى جلاها الله بطبيب اسمه خلف الأحمر فأخذ لها محلا للناهية، وتلويحه للمريض من أجل ذلك. فلم تزل مريضة إلى اليوم.

قال: وقد وفق الله سبحانه وتعالى إلى دواء ناجع فاقترحت جماعة أن تنشئ فيه كرسيا للأدب المصري، وليلاها المريضة في العراق مصرية بلا ريب، فاستحدث لها دواء من أعشاب الحياة المصرية، وبعثت إلى أعراقها في بغداد [illegible]

قال: لكن الرسول الذي بعثه إليها بطبيب [illegible] وكانوا [illegible] الشعر الذي يقول فيه:

مالك كلما مر بي رسول   أنا أهوى وطبك التشبيب

كل طب بعثت طيفا إليها   [illegible] وشى بها يسوء

قال: وعبد الحميد الخطيب لما ألفها في بغداد استعصى علاجه فالتفت [illegible] وتعدى إليها بعده من الأدب الأندلسي في ذلك صوب

اصبروا على طبيبي   واذكروا وجيبي

حسبي راحتي بسقمي   وفؤادي التحبيب

فاصبروا على طبيبي

وهذا اللحن قديم، كانت تقوله من عهد الجاحظ الأول، وأعادته في عهد الجاحظ الثاني! وكل الفارق بين الجاحظين أن أحدهما مولون حائل، وشي مائل، وإهاب سائل، وأن الثاني ذو رواء سائل، ولسان جائل. وقد ضيعت الصفحة الثالثة

وحدثنا الدكتور زكي مبارك قال: عهد اللحن لليلى المريضة في العراق [illegible] في ذلك شك، وأنا الطبيب، وأنا المجيب؟ وإذا أزالت مرضي من القلب لكي آسى من الناقة عند قليل، وهي القائلة على لسان عمر بن أبي ربيعة

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا

لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

ولكنني لا أنظر إلا إليها، ولا أنظر إلا وعيناي مفتوحتان إلى أقصى حد تستطيعان، وهذا قولي في ذلك

جفوني لا تنظر وتلك جنة   وما فتحت عيناي إلا لتنظرا

وفي لحن أبي أحمد [illegible] من الأدب الأندلسي وهو موشح من موشحات [illegible] فيما يعرضون للأدب الجاهلي، وهاأنذا أرشح نفسي لكرسي في الجامعة للأدب الأندلسي بأن أسرف في مدح الأدب الجاهلي، وهذا قولي في ذلك: أليست الأندلس قد تأثرت بالأدب الجاهلي أكثر مما تأثرت به جهة أخرى من بقاع العروبة؟ صحيح أن أهل الأندلس كانوا مزيجا من البربر والأوربيين والعرب، وصحيح أنهم كانوا يستمدون أدبهم من حياتهم في مكان بعيد عن النتاج الجاهلي، ولكن [illegible] من الأدب أدب لغة ثم الأدب

أدب قوم ؟ عنده في المسألة كما يقول الشيخ عبد العزيز البشري نقلاً عن شكسبير !

اللغة الإنكليزية في أمريكا قد طبعت الثقافة الأمريكية بطابع إنكليزي . من ذا الذي يشك في ذلك ؟ ولكن هل يجوز لأمريكي أن يقول إنه أمريكي ؟ أليس عليه أن يقول إنه إنكليزي وإنكليزي قبل كل شيء ، وإنكليزي ثم لا شيء ؟!

قال الدكتور زكي : ثم إن اللغة العربية لغة عالمية ، والصفة الغالبة هي الصفة الإنسانية . فلا يكون الإنسان وطنياً إلا وفيه من الصفات الإنسانية العامة الشيء الكثير . ثم تخرج من الصفات العالمية الإنسانية إلى حيث صفات القومية . فلماذا لا نقف عند الأندلسية ؟ ولماذا ندرس الأدب المصري كفرع من فروع الأدب العربي ولا ندرس معه الأدب الأندلسي ؟

صحيح أن الأدب الأندلسي قد ضاع معظمه إحراقاً وإغراقاً ولكن لماذا لا ندرس الأدب الذي بقي ؟ ألم أقل إن هناك شعراً جاهلياً ، وإن هذا الشعر الجاهلي قد ضاع ، وإن علينا أن ندرس هذا الشعر الجاهلي وإن كان قد ضاع ؟ ألا نستطيع دراسته على طريقة الصوفية بالتسبيح بآلائه والاكتفاء منه بأسمائه ؟

على أني سأزودهم بالحجة الدامغة . . . أليس الأدب المصري هو الشطر الثاني من الأدب الأندلسي ؟ ألم يمد الأدب المصري بالأندلسيين الذين هاجروا إلى الإسكندرية ، وأقام أكبرهم شأناً فيها عشرين سنة أنشأ فيها أولى المدارس الأدبية ؟ ألم يعرفوا شيئاً عن ابن هرمة في الإسكندرية أيضاً لمكتبها في عين الوظيفة التي يشغلها الآن الشيخ بشير السندي ، والتي شغلها السيوطي عبد الرحمن ؟

أوليس ابن رشد هو أستاذ ابن خلاقي رأس المادة والوجيه ؟ ثم أليس ابن المعتمد نفسه أندلسياً .. والمدارس الأدبية كمدرسة أبي الحسن الشاذلي ومدرسة أبي العباس المرسي ومدرسة الشاطبي ؟ ألم يكن هذا كله هو الأساس الأندلسي الذي بنى عليه الأدب المصري ، وشعراء الإسكندرية المعاصرون ؟ أليسوا من نسل أندلسي ؟ أليس لقب أحدهم آخر شعراء بني الأحمر ؟ وأنشد :

صوت

حيا أيا سوم فوروا حياً ... أرسلوا البين وما نويت الحيا
حملوا بمحدثي فيهم لهبا ... طفروا الصورة في الصبت وبا

أشعر الأدب في الأندلس

يا أبا العباس يا مرسي وبا ... شاطبي وأركان عقدي وبا
سيدي موسى بن ميمون وبا ... أولياء الشعر بالشعر أبا

ميمون الشيخ في الأندلس

قال : وسيدي موسى بن ميمون كان طبيباً عربياً في الأندلس ، ثم صار حاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية في الإسكندرية . فكيف يبدأ أستاذ الأدب المصري بتعليم الأدب المصري قبل أن أنتهي أنا من تعليم الأدب الأندلسي !

حتى الأستاذ ساطع الحصري يلك قال : مم يختصم هؤلاء ؟ أي دواء في يصلح عندي وفي أبعث به إليهم ؟ إن هنا وهناك نبل هنا ، فلا دواء من الأدب الأندلسي ولا من الأدب المصري ولكن من المركب العربي بمقادير وحسب . أما هؤلاء المتخاصمين من شدة سحر الصداع ؟

صوت

مالي يجري منه لا عين ولا أثر ... ولي عليه مساعي وأمالي

قال أبو الفرج : وهذا البيت الخصومة في شأن كرسي الأدب المصري وكرسي الأدب الأندلسي إلى صلح عقده الأستاذان المتخاصمان ، وأهم شرائطه أن يشتركا في نشر كتاب الأطباء لابن أبي أصيبعة ، سيرة الأطباء الشعراء من الأندلسيين الذين كانوا رواة للأدب المصري في القرن السادس الهجري ثم يسبقاه إلى قاعة المكتب العشرة المختارة .

قال : ولقد نشأت من هذه الخصومة دول عث من أيضاً رواه القدماء رواية مطلبة

بارك الله في هذه الخصومات ، حتى ينشر أمثال هذه الروايات

عبد اللطيف النشار

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٩٤ — أقبل على سوقك

دخل أبو العتاهية على ابنه محمد، وقد تصوّف[1] فقال: ألم أكن قد نهيتك عن هذا؟!

فقال: وما عليك أن أتعوّد الخير، وأنشأ عليه؟

فقال: يا بني، يحتاج التصوف[2] إلى رقة حال، وحلاوة شمائل، ولطافة معنى، وأنت ثقيل الظل، مظلم الهواء، راكد النسيم، جامد العينين. فأقبل على سوقك، فإنها أعود عليك. وكان رزاز

٤٩٥ — تزيل الجبال بالريش

قال ياقوت: قال أبو الرملي: حضرت مجلس أبي القاسم المرتضى[3] وأنا إذ ذاك صبي، فدخل عليه بعض أكابر الديلم، فتحرّج له، وأجلسه معه على سريره، وأقبل عليه مسائلاً، فسارّه الديلمي بشيء لم نعلم ما هو. فقال له مستبشراً: نعم، وأخذ معه في كلام كأنه يعاتبه، فنهض الديلمي، فقال المرتضى بعد نهوضه: هؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش. وأقبل على من في مجلسه فقال: أتدرون ما قال هذا الديلمي؟ فقالوا: لا. فقال: قال: بيّن لي هل صح إسلام أبي بكر وعمر؟!

(1) تصوّف: تنسّك أو تعبّد (التاج)

(2) الزمخشري وابن خلدون وصاحب التاج وغيرهم أتوا في اشتقاق التصوف والمتصوف والصوفي، والقشيري في رسالته يقول: «لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب» وقد قيل في التصوف ـ كما في التعريفات ـ: «بذل المجهود والأنس بالمعبود، وقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف، وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق»

(3) علي بن الطاهر من رجال الشيعة الإمامية وهو أخو الرضي، قال ابن خلكان: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر

٤٩٦ — [illegible]

في (تاريخ بغداد): اشترى السري السقطي كُرّ[1] لوز بستين ديناراً، وكتب في روزنامجه[2] ثلاثة دنانير ربحه، فصار اللوز بتسعين ديناراً. فأتاه الدلال وقال: إن ذلك اللوز أريده. فقال له: خذه! قال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً. قال الدلال: إن اللوز قد صار الكُرّ بتسعين. قال له: قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحلّه، ليس[3] أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً. فقال له الدلال: إني عقدت بيني وبين الله ألا أغش مسلماً[4]، لست آخذ منك إلا بتسعين. فلا الدلال اشترى منه، ولا السري باعه!

٤٩٧ — وشاعري فيها أوجعت القمط والتمريخ

في (وفيات الأعيان): كان المبارك بن أبي الفتح الملقب شرف الدين، قد خرج من مسجد بجواره يلازمه إلى داره، فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصداً فؤاده، فالتقى الضربة بعضده فجرحته جرحة متسعة، فأسعر في خلال البرء خاصته وجرحه[5] وقمطها[6] بالعصائب، فكتب إلى الملك المعظم (مظفر الدين صاحب إربل) يطالعه بما تم عليه في عضده الأبيات:

يا أيها الملك الذي سطواته ... من فعلها يتعجب المريخ[7]

آيات جودك محكم تنزيلها ... لا ناسخ فيها ولا منسوخ

أشكو إليك (وما بليت بمثلها) ... شنعاء ذكر حديثها تاريخ

هي ليلة فيها ولدت وشاعري ... فيها أوجعت القمط والتمريخ

وهذا معنى بديع جداً!

(1) الكُرّ، بالضم، وجمعه أكرار، هو عند أهل العراق ستون قفيزاً، وأربعون إردباً بحساب أهل مصر، واثنا عشر وسقاً كل وسق ستون صاعاً (التاج)

(2) الروزنامج: تعريب روزنامه، وهو ما يكتب فيه ما يجري كل يوم (الزمخشري)

(3) الحبس ضمير للمعاني

(4) أي لا أغش أحداً، فإنه لا يسوغ لمسلم أن يغش غير المسلم، ومن أجاز لنفسه ما لا يجوز لمسلم في الأخلاق الإسلامية، وإن خلت على قومه فهو شر من غيرهم لا يجهل

(5) جرح جرحه وجرّحه بتشديد الراء، والجرح بالضم (بالضم الجمع) وهو ما يرجى به البدن من كسر وجرح

(6) (القمط): شد كشد الصبي في المهد، وفي غير المهد

(7) المريخ: نجم من الخنس وهو بهرام

٥٩٨ — وردة تفتح في غصن

قالوا: أحسن ما قيل في الضربة الدامية مرور ابن المعتز:

عَلَى المضروبِ جبهتهُ ... وشيُ جراحاتِ الإحن
مادي الجراح ، كأنه ... وردٌ تفتّح في غصن

٥٩٩ — لقاء الله

في (طبقات الشافعية): قال الأستاذ أبو القاسم القشيري سمعت أبا بكر بن فورك يقول: سُئل الأستاذ أبو سهل محمد ابن سليمان الصعلوكي (شيخ عصره) عن جواز رؤية الله (تعالى) من طريق العقل، فقال: الدليل عليه شوق المؤمنين إلى لقائه، والشوق إرادة مفرطة، والإرادة لا تتعلق بمحال.

فقال السائل: ومن الذي يشتاق إلى لقائه؟

فقال الأستاذ أبو سهل: يشتاق إليه كل حر مؤمن، فأما من كان مثلك فلا يشتاق.

٦٠٠ — المحتسب

في (مصابيح القلوب): قال أبو الحسين النوري: كنت في بعض المواضع فرأيت زورقًا فيه دِنان مكتوب عليها لطيف، فقلت للملاح: إيش هذا؟ فقال: أنت صوفي فضولي، وهذه خمور المعتضد. فقلت له: أعطني ذلك المدرى[1]. فقال لغلامه: أعطه حتى ننظر إيش يعمل. فأخذت المدرى وصعدت الزورق فكنت أكسر دنًّا دنًّا، والملاح يصيح حتى بقي واحد فأمسكت، فجاء صاحب السفينة فأخذني وحملني إلى المعتضد، وكان سيفه قبل كلامه، فلما وقع بصره عليّ قال: من أنت؟ قلت: المحتسب. قال: من ولاك الحسبة[2]؟ قلت: الذي ولاك الخلافة. قال: لمَ كسرت هذه الدنان؟ فقلت: شفقة عليك. فقال: لمَ أبقيت هذا الواحد؟ فقلت: إني لما كسرت هذه الدنان كنت ... في دين الله، فلما وصلت إلى هذا أعجبت نفسي فأمسكت، ولو بقيت كما كنت لكسرته. فقال: اخرج يا شيخ، فقد وليتك الحسبة. فقلت: كنت أعمله لله (تعالى)، فلا أحب أن أكون شرطيا.

٦٠١ — ... ويلازم باب السلطان

في (مسالك الأبصار ومروج الذهب): كتب على باب (النوبهار[1]) بالفارسية: قال بوذاسف: أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال: عقل، وصبر، ومال. ثم كتب تحته ... الإسلام مدينة بلخ كُتب تحت هذه الكتابة بالعربية: كذب بوذاسف، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال ألا يلازم باب السلطان.

(1) النوبهار: بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، وكان من في مملكته يعظمه للملوك ويحجه ... وكان عليه وقوف وكان للبرامكة ... على أعلاه ... (مروج الذهب)

(1) المدرى: القرن ... (في النهاية) المدرى والمدراة شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه.

(2) الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله (الأحكام السلطانية) والمحتسب له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم (الحسبة في الإسلام) وفي الكتابين تفصيل هذا القول.

بائعة «الكازوزة» الحسناء

للأستاذ علي الجندي

تتردد في مصر الجديدة [illegible] وما جاورها من ضواحي القاهرة ، فتاة في زي الغربيات [illegible] من [illegible] ، تجلس [illegible] في أغلب الأحيان [illegible] باب [illegible] القراءة ، ولعل مهنة الأولى أن [illegible] من ذلك البصر [illegible]

[illegible] على حظ عظيم من جمال الفطرة البريء من الصنعة ، وقد اعتادت [illegible] بها [illegible] في [illegible] أن تعرض عليهم بضاعتها في [illegible] ورقة وأدب

وحدث أني كنت أرقب هذه الفتاة [illegible] في بعض الليالي [illegible] ، [illegible] بها مصادفة — [illegible] — [illegible] لي وقالت [illegible] (قبل) العرب كازوزة ، وقد [illegible] من [illegible] الزجاج من [illegible] للتصميم [illegible] ، ولكني [illegible] أن أرد [illegible] بأحسن منها

وحاولت جاهداً أن أتخلص من تأثير كلمتها (يا أستاذ) فلم أستطع ! لقد [illegible] في [illegible] ، وملكت [illegible] السحر ! [illegible] ، [illegible] — أني [illegible] ، فأخذت في [illegible] الكلمة [illegible] وقلبي ! ولكني [illegible] أستحضر صورة الحسناء [illegible] الناعمة ، [illegible]

وعصرية الأطراف ، تَخْطُرُ [illegible]
[illegible] تخطو في دلال وفي خَفَر
يجيء بها [illegible] الشباب [illegible]
كغصن [illegible] الريح أو شادن [illegible]
تكاد [illegible][1] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟
وهل ما بها أن [illegible] [illegible] والحق
[illegible] في وجهها [illegible][2] [illegible] ؟
إذا [illegible] بالظامئين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وما [illegible] الشراب ، وإنما
[illegible] من [illegible] على قدر
إذا هي [illegible] الورود ، فإنها
— [illegible] — لا [illegible] [illegible]

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (سبائك) [illegible]
(٢) [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
فمن [illegible] بين [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ، وآخر [illegible]
ومن [illegible] عنه [illegible] [illegible] تكاد من الشوق [illegible] [illegible]

* * *

[illegible] بها كالطيف [illegible] [illegible]
أحاذر أن [illegible] ، وهل [illegible] الحذر ؟
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] — [illegible] [illegible]
[illegible] — [illegible] الشمس في الأفق [illegible]
[illegible] [illegible] الليل — أيكما القمر ؟
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible][1] [illegible] أجدها [illegible]
[illegible] [illegible] ، وإن شئت [illegible]
[illegible] [illegible] الشهد من [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] و[illegible]
ووجه [illegible] [illegible] [illegible] من الشعر
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالشذا
[illegible] الأكواب [illegible] [illegible][2]
[illegible] من هنا [illegible] [illegible] الليالي غير مأمونة [illegible]
[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] ، [illegible] ! [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ، [illegible] والهوى — [illegible] الهوى — !
ألم [illegible] ما [illegible] في [illegible] [illegible] !
[illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ، أو [illegible] [illegible]

لمن ذاق [illegible] الأمد [illegible] [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible] والسهر
فلا [illegible] [illegible] بقلب [illegible][3] — على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أم [illegible] [illegible] [illegible] — وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) [illegible] [illegible] الأسفل (٢) [illegible] (٣) [illegible]

وما ذاك بين ... [illegible] ... وإنما
لبستُ رياض الشعر في ميعة الصِّغَر

حنانٌ على رأسي وعطفٌ مُدَمَّمٌ يشوب لنا صفو الحياة بالكدر
ربيعٌ ولا حسٌّ ولا ظلٌّ ولا أذى وماءٌ ولا دوىٌّ ، وورد ولا ثمر
شغالٌ أنى بين موج دُرَّة وبعد ملتقوا تمشي صوبهم الغرر

ولا أنهم هاموا على ، وبينهم
على الأنس ، لكن من له شيمة الغضر

أشهد لهم عهداً وأرى بصفائهم
سوى عهده! هل يستوي النبع والصبر؟

تواسوا على أكل ... وفي لجى الردى
وماني الشمس أن تُوكِلَ بلبة الذكر

* * *

وفي رحلت ... ... كعشري
وأيسر ما كان من عيشه العمر[1]

كفتنا - على رغم الهوى - سنك نظرة
وفي دين أهل الشعر لا يحرم النظر

من القيت عهداً كم وصل به الهوى
ثلت ، لا أعتق من لام ، أو عذر

رماك فؤادي بجلسان مُوكَّلٍ إليهن أسن بالأماثل والسكر
شعري إليهن الصبا ، ووسيلتي وكانت أشطر يلين له الحجر

صابح رحلان تمنت ، ولم تكن
سوى نشة الآداب والقلب والبصر

هدى ... شعري ، ووطلب العلى[2]
فدوى ورعاني الأحاديث والسمر

تكنت فؤادي يستمر الجرح موقه
- إذا طمحت الذكرى - ويزجر بالإبر

* * *

وحيَّاك عنا الله إ ... كل
عطرت بالشفتين ، فاشتبكت الزهر

ودام لك الرحة الصبيح ، ولا دوى
حبيك شبابٌ من صبا ، والعلى عمر

ملئاً لك الشعر الشبيب غلالة تزف على رماتي عشت البصر
بذلت ... جمعته جملة فالعمر أن يرى بها السمو والقمر

علي الجندي

---

(١) الرديف : الذي ... برديف صاحبه أو صاحبة
والمروءة لتلقيه بها (٢) جمع النسب للطروح

ترنيمة الرياح

للأستاذ ميخائيل نعيمه

صفقي ، صفقي يا رياح وصيحي ... وفي وشاح
بين حر الهجير واهتزاز الأثير
واختلاج السنى في صروح الصباح
صفقي ، صفقي يا رياح !

طوِّقيني بنور النجوم واشتمي لي قصور الغيوم
واحضنيني هناك في ... وراء الملاك
... ... في الجناح
صفقي ، صفقي يا رياح !

ها أنا ، ... النسيم يا رسول الإله الرحيم
ما عسانا نشاء بين تراب وماء
هبها ألف جاه ما لنا بين ربح ؟
صفقي ، صفقي يا رياح

آه يا ملاكي ... عصير ... شريد طريد
... العيوب
... الأمين والصريف النواح
صفقي ، صفقي يا رياح !

أرددي ... القلوب وأداوي الأسى بالظنون
كل فكري ... كل قلبي ...
كل ... كل ... كجناح
صفقي ، صفقي يا رياح !

كل ... في ... الزمان ... في رياض ...
... الوجود هل وراء الوجود
لو ... الخلود والجنس ...
صفقي ، صفقي يا رياح !

يا ملاكي ، ألا من جاب طريقاً وراء السحاب ؟
... الرجوع ... من خضوع
... الربوع يا ملاك السلاح !
ولولي ، ولولي يا رياح !

قل ، ... العرف الأول هل تراك ... عول
في وطب ... أبداً ما مضى

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

دراسات في الفن:

... والفن زعامة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

هؤلاء جماعة من أبناء الصعيد النازل في عمارة، وهذان رجلان متقدمان منهم: أحدهما هذا الذي استخفهم من الصعيد وسلمهم هذا السكن الذي حجزه ووقف على سره فهو مستقدمهم فيه وقائدهم، والآخر هذا الذي ينفق عليهم أثناء السكن ما اشتد بهم العسر ونفد ما عليهم! فهو أكثرهم شعوراً بوحشة الغربة، وهو أشدهم شعوراً بوجوب الكفاح في سبيل الرزق، وهو أشدهم هلعاً ورضا بقضاء الله، وهو أشدهم توقاً إلى التعبير عن هذا كله، وهو أقدرهم على هذا التعبير، وأحلاهم فيه.

فإذا وازنا بين زعامة المقاول، وزعامة المنشد، رأينا أن زعامة المنشد تستمر وراء زعامة الروح والفن استعلاء وتحدياً لما تشتهيه البطون، وقد جرت الأرزاق في مجراها الطبيعي، وما سار العمل على عهده المرسوم. هؤلاء الجماعة من العمال لا يذكرون أن لهم رئيساً يتبعونه في الحياة غير مستقدمهم إلا عند ما تطلبه الأمر أو العمل، وهم فيما عدا ذلك حائمون وراء شاديهم الذي يغنيهم، والذي يستخرج إلى نفوسهم ذكريات الماضي، ويقرب منهم آمال المستقبل.

وفي ساعة من السحر يحس الشادي بالسحر والحنان والبهجة، فيرشف منها رشفة ويسهل، وإذا بجمهور آخر من أبناء الصعيد أيضاً كانوا يمرون في طريقهم بهذا المحتشد السكران، فيتجمعون حول الشادي ينشدون معه، لأنهم حنوا إلى الصعيد معهم، ولمسوا حنوه الغربة، وذكروا الأهل وهاجت في نفوسهم الآمال، وطاب لهم هذا الترويح الذي وجدوه فأقاموا عليه يسمعونه. وإن منهم من يقف كالمسحور يهزه الطرب ويكاد يسحر عن ترديد ما يسمع.

وفي ساعة أخرى يمر بهؤلاء المنادي جماعة آخرون شاديهم، ولهم هم أيضاً زعيم يغني على ليلاه وأشجانه يرددون، فإذا صاحب الغناء الطارئ جوى عند الأكثرين منهم أصحابه وأحبابه، فإذا رأوا في الغناء الطارئ منافساً يصبح من مفاخرهم نشبت معركة حامية قد تذهب فيها الأرواح.

هذه صورة بسيطة من صور الزعامة الفنية وهي من الصور القليلة التي لا تزال قريبة من الطبيعة في نبعها وتصورها، وإن لها شبيهاً عند أبناء البلد من القاهريين، فهم لا يزالون يقيمون حفلات الغناء في مشاربهم العامة، يتم الحفلة منها شيخ يتكل منهما شيخ بقبة أبيا مثل، فإذا يجد ما يسعى إليه من

طاف صوتٌ عن دير الفلاح؟

ويل، ويل يا رياح!

عبثاً المرء تجيب بحنين أنت مثل حبيب

أنت مثل طيف هائم سعيد

ذكرى ماضٍ بعيد كان حيناً وراح

هوى، هوى يا رياح

أنت مثل صوت الطير هاك سرّ لا كبرى عيس

لا تئنّي يا ملاك ما دهاني دهاك

إنما يشكو الملاك فالملاك الجريح

هوى، هوى يا رياح

ثم هبت الرياح تكلاً تحمل الجسم ميت جسد

ونسائل نسمة في سرو النسيم

مثل شعر المظلم في الظلام يراح

اسكتي، اسكتي يا رياح

ميخائيل نعيمة

احترام وتوقير ، وإنما يحيى زعامته وكرامته بالمعنى

وثمة صور أخرى لهذه الزعامة التي تعرضت للطبيعة عرضاً ، والتي لم تستطع الحضارة معها إلا أن تمسها مكان ذلك من حسناتها القلائل التي نجت من المساعيات السيئات . من ذلك تلك الزعامات الفنية التي تقوم بالعظمة والحب والفرح بالتوزيع لها ، وبالطرب ... في بيئات ... فأبواب النشر حين تذيع آثاراً فنية بين الناس ، فيجد عند الأثر الفنية من يطرب لها ، ومن يرى فيه تزويداً لشيء كان يجول في نفسه ويريد أن يبعثه منها ، أو من يرى فيها شبيهاً لشيء رآه وأحسه ، ولكنه لم يستغرق في تأمله ، أو من يرى فيها مكان المبعوث على هذه الصورة من صور الجمال التي حققها له الفنان . وهؤلاء جميعاً عند ما يرون هذا يتجهون للفنان الذي أسعدهم به أنه زعيم عليهم فيه ، فمنهم من يتقرب إلى رحابه بمن عنده من روح من الزعيم ويصحب منصبه ، ومن هؤلاء من يأبى إلا أن يخلص الزعيم حتى يتزعم غيره ، ومنهم من يرضى بالتابعة ، وأكثر الناس يرضون بالمتعة يحصلون بها عند الزعيم الأصيل وعند المتزعمين وراءه ، ومنهم من يهتم الاهتمام الكبير بالمناوشات التي تدور حول الزعامة ، بل إن منهم من يثيرها ويشعل نيرانها رغبة منه في التلذذ بشهود الصراع الروحي الذي لا يكون من ثمره إلا الري والذي لا ينبت على جوانبه النخل ولا الحب إلا حيث يكون الخصب والشعر

وتقع الزعامة الفنية كغيرها من الزعامات كما انتهت إلى الشعوبيات التي يشعر كل الناس بأن لهم صلة بها . فالأديب الذي يذكر الزعة يجد في الناس عدداً يطرب لذكرها أكثر من العدد الذي يجده أديب آخر يذكر منظراً خاصاً من مناظر الطبيعة لا يعرفه إلا القليلون من الناس هم الذين يعيشون عنده ، وهم الذين يطربون لذكره إذا جرى على لسان الأديب . ذلك أن الزعة عاطفة يشترك فيها النفوس الإنسانية جميعاً ، ولكن هذا المنظر الطبيعي الخاص لا يدركه إلا أهله فقط

وليس معنى هذا أن زعامة الفنان صاحب الجمهور الكبير أفضل من زعامة الفنان صاحب الجمهور الصغير . فقد يحدث أن يستشعر فنان مشكلات ترتفع نحو الإنسانية من بعيد ميراثها ، ولا يراها معه من الناس أحد غيره ، وعند ما نقل(?) هذا الفنان شعوراً بهذه المشاعر أو النشر ، وعند ما يصرحها منه ، فإنه قليلاً ما يجد الناس الذين يتذوقون شعره ويواصلون عليه ويكشفون إليه ، وإنما غلب أن تدور عليه الجماهير ، ويغلب أن يتمسى له عن جماهير الفن في عصره من تتباعد بهم الحس ميهومة بالعجز أو الكسل ، أو الانزواء ، أو من هذه التهم التي يتقاذف بها المتفاحلون الذين لا يتعاظمون ، والذين لا يريدون أن يتعاظموا . وكثيراً ما يكون الفنان السابق في حقبة عنه وخلاليه يقتضي ما يقتضي من العمر وهو غريب عن عصره ، حتى إذا دنى من الحياة ، وودعته حياته وجاء بعده أناس ترمهم الحياة عما كان يراه ويتحدث عنه ، آمن هؤلاء به ، واستفادوا منه واسترجعوه ، وأقاموه من أنفسهم في مقامه الحق ... وجعلوه هو الزعيم ، فهم أحياء وزعيمهم ميت . وفي هذه ما فيه من معنى الثأر الذي ... آباؤهم الذين أنكروه ، فهم كأنما ذكروا زعيمهم وطلبوا له الزعامة لمنوا آباءهم لأنهم كانوا كافرين

ويقابل هؤلاء الزعماء السابقين زعماء آخرون زعامتهم معكوسة فهم لا يقودون الجماهير ، وإنما يجرون وراء الجماهير ، وقد تجد هؤلاء في زمرة التابعين ما لا يجده الراكبون المتسابقون وهؤلاء الزعماء الأدعياء ... ، منهم من تسوقه نفسه إلى السير مع الجماعات لأنه يحب رضا الجماعات ولأنه بطبعه فرد من أفراد الجماعات لا يزيد عليهم حساً ، ولا يزيد عليهم قدرة على التعبير ، وإنما كل ما يميزه هو الجرأة على التعبير والانطلاق به . ومنهم من يقتصد هذا الرضا عند الجماعات ليستغل منه الربح المادي والجاه والشهرة ، وهذا أدنى من صاحبه وأقرب إلى التجارة منه إلى غيرها . فالفنان في غير التجارة لا ينبأ ، بقربان ، ولا يحسب حساباً لأرباحهم أما التاجر وحده فهو الذي يستقصي طبائع الأسواق مستمراً أي السلع يروج فيها وأيها يبور

وليس هذا من طبع الزعامة في شيء ، وإنما هو من طبع العبيد الذين ... منه أخلاق الفن . وإنما أسمه الزعامة تقتضي الإرشاد والإصلاح والتحسين ... كل الجمهور منحدراً في وهدة من الرذائل ... زعيماً ولا هادياً من لم ينقذه منه ، وكما أن الجماهير تتردى في رذائل خلقية ، وفي رذائل عصبية ، وفي رذائل اجتماعية ، فإنها تتردى كذلك في رذائل حسية يجب على من يحمل لواء الزعامة الفنية فيها أن يتقدم منها أو أن يحاول إنقاذهم من أثقل ... ما دامت هذه الزعامة سبقاً في الحس ، وسبقاً في التعبير ... والاسمى

لا شيء ... أو من تلك الآداب العصبية الضيقة التي ليس لها شأن إلا بصاحبها فقط

أما الرذائل الخلقية والاجتماعية والعصبية فهي الأغلاط الإنسانية التي يحاربها أصحاب العصبية والإصلاح الاجتماعي والقائمون بالعقل المؤدي إلى الحكم التام ... وأما الرذائل الحسية فهي التي يتعصب القائمون عن أنفسهم بالسفسطة أو بالتعصب الحسي عن نحوها كذلك من نحو الذين يتابعونهم في إحساسهم ويتقدمون عنهم فيه ، والذين يتابعونهم في طريق التعبير عنه . ومن أمثلة هذه الرذائل الحسية ما تعانيه البشرية اليوم من استعمار التعصب للقومية المادية، فمن وإن كان مما تلزم آثاره عند الشعوب الضعيفة حفظاً لكيانها بين الشعوب القوية المتعصبة ؛ فإنه مما يجب أن تكافح وأن يقاوم بكل وسائل الكفاح والمقاومة عند شعوب القوة ، لأنه لا معنى له إلا الاعتداء بالثقل البشري الخيالي ، إلى حيث يكون أدناها أكثر وأنسبها رحباً وأخيرها اعتداءً

والمصريون الذين يتزعم العالم اليوم يتقدمون من هذه الرذيلة هم المثقفون الذين يحسون الضيق في هذا الإحساس ويشمئزون منه ويدعون إلى نفي هذا النزاع المادي المستتر تحت قناع القومية ولا بد أن يبدأ دعوتهم بأن يشعروا شعوراً صادقاً بأن الإنسانية حين تتقدم بعضها وعلمها في طريق الحضارة الثابتة الآن تتماسك أو التماسك في معناها الحسي ، فلم يوازن بين هذا التقدم في الحضارة وبين ما كان يجب أن يصاحبه من الإحساس الذي يشمل البشرية كلها كما استطاعت الحضارة أن تربط أطراف العالم بعضها ببعض وأن تخلط الشعوب بعضها ببعض ، وأن تصل الدول بعضها ببعض ، بحيث أصبح الياباني يعرف كل ما يعرفه الإنجليزي من الطرب ، وبحيث أصبح الأمريكي يقرأ ما يقرأه الإسرائيلي من الكتب ، وبحيث أصبح التركي يدرك ما يدركه الروسي من الحقائق العلمية .

ولكن إحساس الياباني لا يزال بعيداً كل البعد عن إحساس الإنجليزي ، وشعور الأمريكي لا يزال بعيداً كل البعد عن شعور الإسرائيلي ، والقلب الذي يجري التركي وراء [illegible] لا يزال مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك القلب الذي يحس الروسي [illegible] وليس ذلك إلا لأن الفنون تعثرت حيث تقدمت العلوم ، ولأن إحساس البشرية بطيء حيث ألهب [illegible] كان يصل بالبشرية [illegible] إلى الخير وحده ، فلا بد له من [illegible] وأخلاق يسير في مصاحبتها إلى هدف [illegible]

على أن هذا لا يصح أن يدفع الناس إلى [illegible] الناس ، فإن بذرة النجاة موجودة ، وطريق السعادة مهد [illegible] الإسلام ، وليس ينقص الإنسانية اليوم إلا مثقفون يعملون بجماع على ذلك الوتر الشعبي الذي ضرب عليه القرآن أول مرة ، نزل قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فمتى شاع هذا الإحساس في الناس شاعت فيهم السعادة ... وقد كاد هذا الإحساس يشيع لولا أن انقسم العرب على أنفسهم فأصبحوا مشارقة ومغاربة ، ولولا أن استعصت أوروبا [illegible] ، فأخفت في محاربة المسلمين الذين [illegible] الأندلس و [illegible] إلى أوائل هذا القرن حتى احتل اللورد [illegible] فلسطين [illegible] اليوم فقط وبعث الحرب الصليبية أوزارها

على أن الإنسانية قد بدأت تحس هذا الإحساس الخير ، وإن كانت تحاول تحسسه في هدوء وفي جد ، وإن كان بعضها وسائلها لا يزال ينكره ... ولولا هذا الإحساس لانتهكت الدول في الحرب منذ عام أو منذ عامين ، ولكن هذا الإحساس هو الذي يكف القادة من غير أهل الفن ، ويمنعهم من أن يورطوا أنفسهم بإعلان الحرب لأنهم يكادون يكونون مؤمنين بأن الشعوب أصبحت لا تتحمس ولا تتفانى جرياً وراء فكرة القومية المكذوبة ، ولأنهم أصبحوا يرون أن الأفراد اليوم يشعرون بحياتهم ، وبقيمة الحياة أكثر مما يشعرون بالوطن

وليست الشهادة الحرفية بتوحيد الله ، والاعتراف الحرفي برسالة محمد هي كل ما تطلبه ، وإنما تطلب لسعادة البشرية الإيمان بوحدانية الله إيماناً يخترق إلى كل عمل وكل قول مما يعمل المؤمنون ويقولون ، والإيمان برسالة محمد إيماناً ينفي كل ما يراد به تحصيل طائفة من طوائف البشر ورفعها على الطوائف الأخرى ، فإن محمداً لم يكن يرى فضلاً لعربي على عجمي إلا بالتقوى

هذا هو الفن الجديد الذي ينشده الإنسانية اليوم ، وقد يجود به طبيب مسلم ، وقد يجود به نصراني ، وقد يجود به يهودي عن تقسيم أفعالهم وتصفو نفوسهم فيجنح إلى جانب الثالثة ما هو خير من اللاحقة ، بل قد يجود به وثني مثل [illegible]

وقد كان طبيعياً أن يشتد الولاء للزعامات القومية بما معنى
وإن تستطيع حتى الزعامات الغنية بجرأتها في أقوى نوعها الآن
التشبه لم يكن قد انتهى هذا الانقسام الذي تشابكت به اليوم!
لم يكن عجباً أن يكون زعيم القبيلة هو فارسها وهو شاعرها
كما كان عنترة العبسي في قومه مفخرة لهم، له قيد العلوي في عدم
الحرب وعدم السلم أيضاً ... ولكن بعد بلغت الآفاق تتفتح
أمام المجموعات البشرية حتى عليها أن يتسع إحساسها حتى يحيط
بكل ما تضطرب فيه الحياة وحتى يلم بكل ما يضطرب فيها

ولا ريب أن الإنسانية قد انتهت إلى هنا الآن، فقد مضت
وقتاً طويلاً وهي تجرب هذه الدعوات التي تهتف بالقوميات
والعصبيات المادية حتى تبين لها أنها دعوات ضيقة جاحدة متناقضة

أما ضيقها فتابع لضيق الحيز الذي يصلح لانتشار كل منها،
وأما جحودها فتابع لما تستدعيه من التعبير الذي يبعث الكراهية
في نفوس الناس فيرجم بعضهم بعضاً، وأما تناقضها فظاهر
في أساسها كما أنه ظاهر في سيرتها وحربها وتنافسها مع غيرها،
فقد كانت للإنجليز قومية يدعون إليها ويتعصبون لها، وكان منهم
من أسرع إلى أمريكا فاستوطنها ثم أبى أن يخضع لسلطان وطنه
الأول فانقلب على قوميته وأنشأ لنفسه قومية أخرى يحبها ويناضل
في سبيلها لأنها تتصل بالأرض التي يعيش عليها وبما كل منها،
ولا أكثر. وهذا ما حدث للأسبان الذين نزلوا أمريكا الجنوبية
فقد تخلوا عن أسبانيا أمهم الأولى؛ ثم انفصلوا عن أنفسهم
واستأثر كل جماعة منهم بقطعة من الأرض .. وهذا يثبت
أن فكرة القومية والوطنية المادية تستند إلى الأرض في مكان يعلو
على الناس ويتعالى عليها، وما من شك في أن «قومية الفكر»
أو «قومية الفن» خير منها. ويصبح فصل الوطنية عن لغة
هذه القوميات المادية عند ما تحتك بعضها ببعض فإننا نرى أن
اللغة والدم قد يرشحان الصراع بين الناس أكثر مما يرشح المذاهب
الروحية كما وحدت في نفوس الناس على أساس من الصحة
والسلامة وعدالة الطبيعة والبعد عن التكلف كان ذلك أدعى
إلى تقريب البشر، وزيادة تفاهمهم وتعاونهم

فالفن إذن ليس وطنية فقط، وإنما هو أرقى الوشائج
بين العاملين إليه يرجون في الناس، وليت مصر تمد إليه بقدم!

عزيز أحمد فهمي

حركة السرياليزم

للأستاذ رمسيس يونان

«دعني أبني لكل إنسان نصيبه من الخبز
ونصيبه من الشعر» تروتسكي

يخطئ من يظن أن حركة السرياليزم هي حركة أدبية أو فنية
خالصة، وإن كانت تستخدم الشعر والقصة والرسم والصورة
ويخطئ من يظن أنها حركة سياسية بحتة، وإن كان التابعون
لها يدينون بمذهب سياسي معين. وليست هي أيضاً مزيجاً من الفن
والسياسة، فقد صرح «أندريه بريتون» زعيم الحركة مراراً
وتكراراً بأنه لا يوافق على أن يتخذ الفن وسيلة للدعاية السياسية
وقد فصل «أراجون» من جماعة السرياليين لأنه خالفهم
في هذا الرأي. فما هي إذن حركة السرياليزم هذه؟ وما غايتها؟

يصعب علينا أن نضع تعريفاً للسرياليزم في كلمات قليلة.
فإذا كان لا بد من ذلك علينا أن نقول: إنها حركة اجتماعية
فنية، سياسية، فلسفية، سيكولوجية ... ولا بأس أن نضيف
أيضاً أنها حركة دينية. فهي تستلهم شعر «رمبو» و«بودلير»
و«لوتريامون» وتأخذ عنهم حب الخيال الثوري البعيد عن المنطق
وأساليبهم الحرة في الشعور والتعبير. وتستلهم فلسفة «هيجل»
في إيمانها بالمادية؛ وتتفق مع «كارل ماركس» في التفسير المادي
للتاريخ، وتأخذ عن «فرويد» طريقته في التحليل الباطني؛ ثم هي
فوق ذلك تحاول أن تعتمد على هذه العناصر جميعاً في خلق
ميثولوجيا جماعية جديدة mythe collectif تناظر الميثولوجيات
التي خلقتها الملل القديمة

ومهما قيل عن كارل ماركس ومهما قيل عن فرويد فلا شك
في أنهما الرجلان اللذان استطاعا أن يؤثرا في الفكر الأوربي
الحديث أكبر التأثير. فإن كارل ماركس يرجع الفضل في تفسير
التاريخ على أساس من حروب الطبقات ومن التنبؤ بثورة العمال
وبدكتاتورية العمال، ثم بالعصر المقبل (الموعود!) الذي تزول
منه الطبقات ويتحقق فيه للمساواة الاقتصادية. وقد تأثر العمال
بالمذهب الماركسي فنشطت حركاتهم وقويت أحزابهم حتى أصبح
الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية أساس السياسة الأوربية
في السنين الأخيرة؛ كما تأثر بها المذهب عدد كبير من رجال

الفكر والأدب – وها نحن أولاء نرى أعلاماً مثل « رامبو » و « ويلز » و « أندريه جيد » و « مالرو » و « [illegible] » يشيدون به ويناصرونه .

والسيرياليون كما قلنا يؤمنون بالمذهب الماركسي ، ولكنهم يرون في نفس الوقت أن الدعوة إلى التحرر الاجتماعي يجب أن تلازمها دعوة إلى التحرر النفسي ، فالنفس الإنسانية مكونة أيضاً من طبقات يتحكم بعضها في رقاب بعض . ولا سبيل إلى الوصول إلى التحرر النفسي ما لم نستطع أن نزيل الحدود التي تفصل بين العناصر المتنازعة في باطن النفس .

ولقد أفهمنا « فرويد » بأن الشخص « السليم » من الأمراض النفسية هو نموذج مثالي لا وجود له . وما الفارق بين « العاقل » و « المجنون » إلا اختلاف في الدرجة لا في النوع . والسبب الأساسي لهذه الأمراض جميعاً هو أن للنفس الإنسانية رغبات كثيرة منها لا يتحمل الرقابة التي تفرضها من الوسط الخارجي ، والطفل الصغير لا يدرك هذه العقبات ولما كانت حياته لا تعرف الحدود ، فهو إذ يرغب في حيازة لعبة ، أو في حصان مطاطي ، أو في قطعة من الحلوى ، لا يشعر بأن هناك عائقاً من الموانع يمكن أن يحول دون ما يشتهيه ، ولكن رويداً رويداً يتعلم الطفل خلال ممارسته للحياة بأن رغباته جميعها لا يمكن تحقيقها ، فيضطر إلى كبح هذه الرغبات وتعود التسليم بالأمر الواقع . وكلما كبر في السن زادت فيه هذه العادة — عادة التسليم بالأمر الواقع — على أن الصراع بين الرغبات وبين الواقع يستمر طوال الحياة ، على الكبار وهو في أغلب الأحيان لا يخلص من الأحلام .

وعادة التسليم بالأمر الواقع بين الناس هي الأساس الذي ترتكز إليه دعوات المحافظين . وهي العقبة الكأداء التي تقف في سبيل كل تجديد وإصلاح . ولما كان السرياليون يؤمنون بضرورة تغيير النظام الاجتماعي المعاصر فإنهم يشنون حرباً شعواء على هذه العادة .

والأساليب التي يتبعونها في ذلك متعددة ؛ منها ما يسمونه « تغريب » الأشياء dépaysement des objets أي نقلها من وسطها المألوف إلى وسط غريب عنها (انظر الكلاسيكي لوتريامون belle comme la rencontre fortuite d'un parapluie et d'une machine à coudre sur une table de dissection) فمن المألوف أن نرى الأسرة في غرف النوم بينما نفاجأ في رسم بسرير ملقى على شاطئ البحر ، وقد تعودنا أن نرى السحب في السماء فإذا هو يأتي بها [illegible] وهكذا نشاهد في الرسوم السيريالية شجرة تنبت من [illegible] وشكلاً مسطحاً يجانب كتلة عرية ، وهيكلاً عظمياً من ... وأجزاء من جسم الإنسان طائرة في الهواء ، وهيكلاً عظمياً ... لأن تمثاله بجسمه مرده ...

وللسيرياليين أسلوب آخر في مقاومة عادة التسليم بالأمر الواقع هو الدعوة إلى إطلاق الرغبات المكبوتة وتشجيعها وحضها على التمرد . ومن هنا كلمة « سلفادور دالي » المشهورة : « يجب أن يكون الفن مثيراً للأكل L'art doit être comestible » أي مثيراً لتحريك الرغبة واجتلاب اللذة ، وكلمة « نيكولا كالاس » « الفن مستودع بارود L'art est une poudrière » أي وسيلة لهدم مقاومتنا في التفكير والسلوك .

وهناك أسلوب ثالث هام من أساليب السيرياليين هو ما يسمونه الأسلوب « الأوتوماتيكي » في الكتابة والرسم . وهنا يحاول الشاعر أو الرسام منهم أن يتحرر من رقابة عقله الواعي تاركاً لخياله العنان ، حتى يصل إلى حالة تقرب من الغيبوبة ، ثم يسجل كل ما يحب ويشتهي في نفسه من خواطر أو يتراءى له من الأشكال .

وقد استعار السيرياليون هذا الأسلوب الأخير من فرويد . ففرويد يجلس مريضه على مقعد وثير مريح ، ويوحي إليه بأن يرخي عضلاته ويرسل نفسه على سجيتها ، ثم يبوح دون تحرج أو تحفظ بكل ما يخطر بذهنه من أفكار ، وبكل ما يختلج في قلبه من عواطف ، وهنا يكتشف فرويد « العقد » التي تكونت من الرغبات المكبوتة في نفس المريض ، فيصارحه بهذه الرغبات ، ويحاول أن يقنعه بالتفكير مع بقية العقل الواعي والتنازل عنها إذا تعارضت مع حقائق الوسط الخارجي ؛ يعني التسليم بالأمر الواقع . وهنا نقطة الاختلاف الجوهري بين فرويد وبين السيرياليين : فهؤلاء لا يريدون بحال من الأحوال سيطرة العقل الواعي على العقل الباطن ، بل هم يريدون مواجهة العقل الواعي بالعقل الباطن ، والمنطق بالخيال ، والواقع بالحلم ، والحقيقة بالخرافة ، والحكمة بالجنون ، محاولين أن يؤلفوا من هذه العناصر جميعاً أداة جديدة للتفكير والمعرفة والنظر إلى الأشياء .

لهذا يتهم السيرياليون فرويد بأنه « قد اشترى شهرته في البحث العلمي على حساب التحفظ والتسليم بالأمر الواقع في الناحية الاجتماعية » .

[البقية في العدد القادم]

ألغاز الكون وأسراره
وتطور مخ الإنسان
للأستاذ نصيف المنقبادي

شرح عالمنا المصري المحصل الدكتور محمد محمود غالي بالرد على ما قام في ذهني من الحيرة بين ما يقرره العلم من أن الكون سائر لا محالة نحو السكون التام أو «الموت الحراري» بسبب تحول الطاقة كلها في العالم بأسره من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية الخ، إلى صورتها السفلى وهي الحرارة المنحطة المنتشرة فلا تستطيع أن تتحول من جديد إلى صور أخرى منها، وبين ما يدل عليه العقل من استبعاد بل استحالة أن يكون للكون نهاية، لأنه لو كان هذا سيحدث لكان قد حدث من قدم الزمان، ومن البديهي أن ما لا بداية له لا يمكن أن يكون له نهاية.

وإني أشكر للدكتور الفاضل الشروح القيمة التي أسداها إلي من وجوب عدم الجزم بشيء خارج ما يثبته العلم التجريبي وقد دل حضرته بهذا على أنه عالم بطبيعته يتحلى بالروح العلمية الحق. وأقول هذا على رغم تواضعه الذي جعله يرى عدم استحقاقه مني لهذا الوصف. وهذه صفة أخرى للدكتور تدل على أنه على جانب كبير من أخلاق العلماء الحقيقيين وسعة عقولهم. وإني أقول جازماً ومؤكداً — رغم نصيحة الدكتور لي — بأنه سيكون مفخرة مصر في الميادين العلمية العالمية في القريب العاجل.

***

والذي فهمته من مجموع رد الدكتور أن الموضوع الذي أثرته لغز من ألغاز الكون وسر من أسراره لا يستطيع العلم أن يحله الآن.

وهذا قول حق وهو ما أعتقده من جهتي. أما العامل الغريب عن العلم الذي اقترحه الدكتور افتراضاً ووصل إليه بلا ريب فإنه خارج عن نطاق البحث العلمي، وإني لا أرى له أي أثر في الطبيعة، ولا أجد في الكون ما يؤيده أو يدل على شيء منه ولو من بعيد. وهذه نواميس الطبيعة الصماء تسير على الدوام في طريقها لا تحيد عنه قيد شعرة، بدليل أن الإنسان يقيسها بالأرقام ويعرف نتائجها مقدماً قبل أن تقع، إذا عرفت أسبابها ومقدماتها، ويضعها في معادلاته وحساباته. فيحسب مثلاً مقدماً تواريخ كسوف الشمس وخسوف القمر والسيارات الأخرى وغيرها، بالثانية وكسور الثانية في كل نقطة من بقاع الأرض. أوليست أساس جميع العلوم — العلوم الحقيقية اليقينية — القاعدة المنطقية البديهية القائلة بأن نفس الأسباب تنتج حتماً نفس النتائج:

Les même causes produisent, fatalement, les mêmes effets. وبالجملة فإن أحوال النواميس الطبيعية لا تدل على تدخل

ثم إن السرياليين أنفسهم في نشر مذهبهم حتى يصبح «صيحة عامة» بين الناس يصرحون بأن النبوغ الفني والكفايات الأدبية لا تهمهم. فمهمتنا تشترك في الصراع النفسي بين الأحلام وبين الواقع؛ وعلى ذلك فكل منا يستطيع أن يأخذ نصيبه من عبقريتهم، إذ غاية السرياليين تتلخص في إشاعة «جو سيريالي» في الحياة.

والخلاصة أن السريالزم وإن كانت تعتمد كثيراً على المذهب الماركسي وعلى أبحاث فرويد إلا أنها مع ذلك حركة ثورية مستقلة. وقد أشرنا إلى خلاف جوهري بين السرياليين وبين فرويد، كما أشرنا إلى اختلافهم مع الاشتراكيين الذين يعتقدون — وهم على رأسهم في مرحلة انتقال سريع — بضرورة توجيه المجهودات الأدبية والفنية جميعاً في سبيل الدعاية السياسية المباشرة.

رمسيس يونان

عوامل أخرى في سيرها، والانظار تتغير من وقت إلى آخر في نظام النواميس التي يحدثها، فتسير الأرض اليوم مثلاً بسرعة كذا في اتجاه معين، وتسير غداً بسرعة أخرى في اتجاه آخر، ويتصرف في الدوام مرة على وجه معين طبقاً لنواميس محدودة، وطوراً يتبع طريقاً آخر ويجري على قواعد أخرى

* * *

وأظن أن الدكتور يذكر أكثر من ما حدث لأحد العلماء الرياضيين الفلكيين — ولعله اسحق نيوتن — من أنه يفرض نفس العامل الذي نحن بصدده لتصحيح ظاهرة فلكية تحدث في صورة معينة، تخالف ما يدل عليه الحساب ويعجز عن تفسيرها النواميس المعروفة في ذلك الحين أو التي اكتشفها هو. ولم تكد الأبحاث والاكتشافات التي جاءت بعد ذلك أن تثبت ذلك الفرض وتفسر تلك الظاهرة التفسير العلمي الصحيح. فهذه سابقة لعلها فذة من هذا القبيل يجب أن نحملها على محمل من سبيل الظواهر الطبيعية يمثل ذلك العامل. وإن العلم حقيق بمثل هذه السابقة، من أن تاريخ العلم إنما هو تاريخ انتصاراته على تلك الفروض القديمة

وبالجملة فإن العلم يجب أن يكون محصوراً في تفسير ظواهر الطبيعة بالنواميس الطبيعية التي تقع تحت المشاهدة والاختبار، والتي يمكن قياسها أو قياس بعض نواحيها

* * *

أما لماذا تجري النواميس الطبيعية هكذا، ولماذا لم تدبر ظواهر الطبيعة على هذا النحو، وما الغرض من ذلك كله، فهذا لغز آخر من ألغاز الكون، بل إنه اللغز الأول وهو ما سماه هربرت سبنسر L'inconnaissable أي ما لا يمكن معرفته. ويتصل بهذا الموضوع ويتفرع منه المسألة التي يجري بحثها خاصة بنهاية الكون طبقاً لآراء بولتزمان وقواعد علوم الميكانيكا والطبيعة أو علم الطاقة الجديد العام التحول L'energetique الذي شرع العلماء أن يجمع به عاجلاً أو آجلاً جميع العلوم الأخرى الطبيعية والبيولوجية

ولي رأي خاص في هذا الموضوع من أول أنحاء مؤلفي العلوم البيولوجية، وهو أن عجزنا الحالي عن إدراك أمثال هذه (الألغاز) التي تشمل أيضاً الأمور الأخرى المستعصية الآن على العلم مثل الوراثة وأسباب وكيفية حدوثها في الحيوانات والنباتات، ومثل الشعور في الأحياء وفي الحيوانات على الأخص (بما فيها الإنسان) وكيف أن مواد كيميائية، أي جامدة، عملت منها تلك الأرض والهواء بفعل العوامل الطبيعية، وعلى الأخص طاقة الشمس تشعر بوجودها وتحس بما يحدث لها — أقول إن عجزنا الحالي عن إدراك حقيقة هذه الأمور التي نسميها ألغازاً وأسراراً لا يدل على أنه من المحال معرفتها، وإنما يرجع ذلك إلى نقص في تكوين عقلنا وعدم نموه بعد إلى الدرجة التي تجعله يستوعب ويلم بعناصرها ويفسرها التفسير العلمي الصحيح

لا يخفى أن الحيوانات العليا الممتازة بشيء من الذكاء مثل الكلاب والقطط والقرود الشبيهة بالإنسان المسماة Anthropoïdes (الشمبانزي، والغوريلا، والأورنغوتان، والجيبون) تعجز عن إدراك معظم الأمور التي نعرفها نحن ونعدها من البديهيات فهي ألغاز وأسرار بالنسبة لها، ولو كان في وسعها أن تتكلم أو تكتب لوصفتها بأنها الأمور الغامضة التي لا يمكن معرفتها L'inconnaissable على حد تعبير هربرت سبنسر

ولا شك في أن هذا كان حالنا فيما مضى من الزمن قبل أن يتم تطورنا الإنساني بفعل العوامل الطبيعية. فقد تم هذا التطور على الأخص هنا بسبب الظرف الطبيعي الذي طرأ علينا في ذلك الماضي البعيد وهو اضطرارنا إلى الوقوف على الدوام على قدمينا الخلفيتين لتسلق الأشجار لجني ثمارها بسبب ما حدث في ذلك العهد من نقص النبات على الأرض من جهة، وغزو الحيوانات المفترسة من جهة أخرى، واستعمال أيدينا في القبض على فروع الأشجار وقطف ثمارها، ثم في تناول الأشياء والأجسام المادية الأخرى وفحصها والتأمل فيها، وذلك منذ مئات الألوف من السنين — أقول إنه حين تم هذا التطور فينا أمكننا أن نفهم شيئاً كثيراً من الأمور التي ظلت غامضة على أجدادنا، وأخذت معلوماتنا تتسع بالتدريج إلى أن تم العلم والرقي وساد العالم في عصرنا الحالي

وبطبيعة الحال لا يمكن القول بأن التطور الإنساني قد تم ووقف عند هذا الحد وهو لم يمض عليه أكثر من ثلاثمائة ألف سنة (متوسط تقدير العلماء) منذ أن تميز عن النوع الذي تفرع منه. ومعلوم أن حياة الأنواع الحيوانية والنباتية تعد بملايين السنين

والمرجح أن يستمر التطور في المستقبل، غير أنه لا يمكننا أن نعرف من الآن الاتجاه الذي سيسلكه لأن هذا متوقف على العوامل الطبيعية والاجتماعية المختلفة التي تطرأ وتستجد من وقت إلى آخر لأسباب غيبية لا يمكن التنبؤ بها، ومن ثم فأول لا يمكن حصرها مقدماً وتحليلها ومعرفة نتائجها.

ولكن الظواهر كلها تدل على أن المخ سيواصل نموه على مر الزمن في نفس الاتجاه الذي بدأ فيه بدليل مطرد في الأمم المتحضرة نشوءاً ونمواً على الأمم المتوحشة تفوقاً تدريجياً مستمراً.

فإذا استمر التطور في هذا الاتجاه فإن المخ الإنساني يصل حينئذ إلى درجة من القوة تمكنه من حل بسهولة المسائل المعقدة في العلم وفي الفلسفة ونسميها الآن ألغازاً أو أسراراً ويكشف عن أسبابها ونواميسها الطبيعية، ويتحول الإنسان إذ ذاك إلى نوع جديد من الـ Superman الذي يتكلم عنه نيتشه.

وعلى الجملة فنحن الآن في تفوق عقلي بالمسائل الغامضة النسبية في عقولنا على ما كان عليه أجدادنا [illegible] بالنسبة للأمور التي لا تدرك [illegible] وسيدنا [illegible] حذراً إلى النمو الكبير الذي طرأ على عقل أثناء تطوره.

وهناك بعض شواهد تؤيد هذا الرأي. فكلنا سمع بذلك الشخص الدمشقي الذي يقوم بأعمال كالمعجزات في الحساب دون أن يستعين بأية ورقة لأنه أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة. وقد اختبرناه أنا وعدد من المعارف فكنا نكلفه عمليات طويلة عريضة بأن نطلب منه مثلاً أن يجمع خمسة أو ستة أو عشرة أعداد كبيرة مكون كل منها من أرقام عديدة، أو أن يضرب عددين ضخمين الواحد منهما في الآخر، أو أن يقسم أحدهما على الثاني، أو أن يستخرج الجذر التربيعي أو المكعب لعدد من سبعة أو ثمانية أرقام الخ. وكنا بطبيعة الحال نحتاط بإجراء هذه العمليات على الورق مقدماً قبل أن نسمعه لنتحقق من إصابته في نتائجه. وليتصور القارئ ما كنا نعانيه من تعب ونقضي الوقت الطويل في ذلك. وكم كانت دهشتنا عظيمة كل مرة حين كان يجيء برده فإذا به مطابق تمام المطابقة لما وصلنا إليه بعد تسويد الأوراق الكثيرة. ولقد وقع خلاف فكان يجمع لنا من مجاميع حسابات [illegible] هو في شيء بل في الغلط جاء منا.

ويمتاز هذا الشخص بذاكرة للأرقام مدهشة غريبة للغاية فإننا كنا نملي عليه من أوراقنا الأعداد الصحيحة المكتوبة المكون كل منها من ثمانية أو عشرة أرقام طالبين منه جمعها أو ضربها أو قسمتها فكان يعيد علينا سردها دون أن يخطئ في رقم واحد منها. وأغرب من هذه مقدرته الغريبة على أن يجري عملياته في الحال السريع لحسابه الكبيرة المعقدة التي نطلب منه دون أن يستعين بالكتابة وهو يجهلها كما تقدم لنا القول. فلا شك في أن جزءاً من مخ هذا الشخص قد نما نمواً استثنائياً أكثر من المعتاد جعله يتذكر الأعداد الصحيحة التي تملى عليه ويحسبها بتلك السهولة المدهشة، الأمر الذي يعجز عنه باقي الناس. وقد شاهد كاتب هذه السطور شخصاً آخر من هذا القبيل من سنين في [illegible] الجنسية.

ومثل أولئك الحاسبين الشواذ الأشخاص الذين نبغوا في الموسيقى من حداثة سنهم نبوغاً فوق الطبيعي، فترى الواحد منهم وهو في سن الطفولة يلتقط أي نغمة يسمعها لأول مرة ويعزف على الآلات الموسيقية التي يجيدها فرحة الإعجاب الكبير ويؤلف الأدوار التي يعجز عنها كبار رجال الموسيقى القادرين، ويضع المراكب الموسيقية وقد لا يزيد عمره على العاشرة أو الثانية عشرة. والأمثلة عديدة من هذا القبيل وهي معروفة للجميع. فلا شك في أن مخ هؤلاء النوابغ الخارقين للعادة قد نما في ناحية منه نمواً أكثر من حالة الطبيعية جعلهم يجتازون تلك القدرة التي يعجز عنها باقي الناس.

* * *

وكذلك الحال بالنسبة لعظماء الرجال الذين نبغوا في العلم أو الأدب أو الفنون الجميلة أو الفنون العسكرية. فهذا باسكال العالم الرياضي الكبير استنبط من تلقاء نفسه وهو في سن الثانية عشرة النظريات الهندسية الأساسية قبل أن يدرسها. وهذا نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية. وهذا جوت أو جيته الشاعر الألماني الكبير مؤلف رواية فوست الخالدة بأنه [illegible]

في الشعر والأدب بل وأيضاً في العلوم كثيرة جداً، كاكتشاف ... وعلوم ... وانجلترا ... تأييد ناموس التطور والتسلسل الذي قال به « ... » وبحث فيه قبل داروين بخمسين سنة، بمناسبة ظهور نظرية لامارك سنة ١٨٠٩. وهذا نابليون عبر بجيشه جبال الألب وفتح إيطاليا وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين؛ ثم غزا مصر، ثم انتصر على أكبر قوى أوروبا ودخل جميع عواصمها وهو في مقتبل سن الشباب. وهذا شكسبير شيخ الشعراء، وهذا أينشتين، وغيرهم. ولا شك في أن مخ هؤلاء العظماء ... فوق المستوى الطبيعي لباقي البشر. والنمو المقصود هنا ليس في حجم المخ وشكل تلافيفه، وإنما في تكوين خلاياه، وصفاتها الطبيعية والكيميائية وتشعب فروعها واتصالها (أي اتصال الخلايا) بعضها ببعض بواسطة هذه الفروع الخ. والعلاقة بين النبوغ والعبقرية وقوة التفكير ترجع إلى نمو المخ.

فلا يبعد أن يصل مخ الإنسان أثناء تطوره في المستقبل البعيد إلى درجة من النمو عظيمة يعجز ... العقل ... عليه الآن ويردها إلى أسباب الطبيعية فلا ...

كما أنه يجوز مع شديد الأسف أن يتجه تطوراً انحطاطياً آخر بفعل عوامل جديدة وظروف طرأت علينا تجعله الآن متحولاً تحولاً عكسياً كل الاختلاف عن تفوقه فيصبح ... النوع الإنساني الحالي والنوع « Superman » الذي تصوره نيتشه قد تتحول إلى أنواع مختلفة قد يرتقي بعضها إلى تلك الدرجة العليا ويتأخر بعضها إلى الحد الذي ... من الارتقاء والانحطاط، ذلك لأن الطبيعة لا تعرف هذه الفوارق التي لا توجد إلا في تفكيرنا. ومن الخطأ تسمية ناموس التطور بناموس أو بمذهب « النشوء والارتقاء » على الطريقة القديمة

نصيف المنقبادي المحامي
دبلوم في الفسيولوجيا العامة الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

لحظات الإلهام

في تاريخ العلوم

تأليف مريون فلورنس لانسنغ

مقدمة

العلم هو الذي وصل بالعالم إلى ما هو عليه اليوم، وهو الذي سخر كل أداة في الحياة العصرية؛ ولكن العلم الذي نركن إليه في كل وسائل راحتنا ومتعتنا ليس بالقوة الغامضة الذاتية التي تعمل عملها بيننا وهي من نفوسنا بمعزل. إنما العلم معرفة إنسانية أقاموها في بطء، واحتمل في سبيلها الآلام رجال مثلنا وقد استخدموها لصالح النوع الإنساني.

وهذا الكتاب يصحبنا إلى رجال النهضات العلمية الذين خلقوا الدنيا الحاضرة. وفي الأقاصيص التي تضمنها هذا الكتاب ترى أهم اللحظات التي أدوا فيها مهماتهم. وقد نصف كل العصور بلحظات هي التي نسج منها التاريخ. وإنه يبدو لنا أن هذه اللحظات كأنه بداية عهد جديد في حياة الإنسان مع أنه كان في العصر الذي وجد فيه يكاد لا يكون موضعاً للملاحظة إلا من القليلين الثاقبي النظر الذين أبصروه.

ومن أمثلة الكشوف التي غيرت أنحاء العالم اختراع آلة الطباعة والآلات المتحركة بذاتها وآلات التخاطب على مسافات متباعدة سواء منها السلكي واللاسلكي. ووراء كل كشف من هذه الكشوف رجل أو طائفة من الرجال ميزتهم الجرأة أو الفطنة والمهارة وحب الإفادة. وفي الصفحات التالية سير رجال ألفنا سماع أسماء بعضهم، والبعض الآخر لا نألفه، ولكننا مدينون لهم جميعاً بدين عظيم. وستجد سيرهم في لحظات تصادم التجربة التي جربها بأنفسنا وبأمثالنا. وكل مجموعة من السير تكشف آثار الفكر الإنساني في أحد اتجاهاته وإنما يرد بها [illegible] حياتنا العصرية [illegible] الفكر، وفي كل ترتيب موضوعي لكل مجموعة

من هذه السير ما يمكننا من الإشارة [illegible] اكتشاف النار مثلاً يبدو لك وهل مستغرقاً في القدر عند ما تقتبس [illegible] في عصر النار وإن كان بيننا من يبدأ [illegible] وأحفادنا سيعيشون في «عصر الكهرباء» الذي نرى فجره الآن.

لقد اخترع أهل العصور الأولى الساعة واخترع الرجل العصري الآلة التي تدير عجلات العالم، وستكشف كيف يستعمل الوقود وقوة الماء والكهرباء في تسيير هذه الآلة.

لقد كان الرجل يريد دائماً أن يطير ولكن الآلة التي يديرها النفط هي التي جعلت هذه الرغبة في حيز الإمكان.

ولقد كان الزمان والمكان مشكلتين أمام أهل العصور الأولى، فكان الإنسان مضطراً إلى لزوم دنيا محدودة ضيقة هي دنيا وجوده الحاضر، فتمكن من السيطرة على اختصار المكان بواسطة الكتابة والطباعة والتصوير الشمسي والآلة الناطقة، وتمكن من السيطرة على اختصار الزمان بواسطة الساعة والمنظار المقرب وآلة [illegible] والتلغراف واللاسلكي والآلة البخارية والسيارة، وتمكن بواسطة الطيارة من انتصارات جديدة على حدي الزمان والمكان.

نجد الصغار من البنين والبنات أنفسهم في هذه الدنيا العجيبة ويتوقون إلى استكشاف السر فيها ويطلعهم منها كل ما كان في الإمكان، مما يساعدهم على فهم الدنيا أن يعرفوا كيف شيد بناء المدنية الحديثة.

وإن دراسة رجال النهضات وتقدير ما نحن مدينون به لهؤلاء الرجال بمثابة تقديم الشكر على الصنوف التي تناولناها من صنع أيديهم.

وفي تلك الدراسة وفي ذلك التقدير ما يجعل الشبان أكثر زهواً بمراسم الإنسانية عند ما يعلمون أن معارك العالم قد خاضها في كل العصور رجال ونساء مثلنا.

وعند ما يطلع على لوحة إنجازاتهم وبعض اللحظات العظيمة في حياة العلم سيرون [illegible] لا من الماضي والحاضر حسب، بل من اللحظات العظمى في حياة الإنسانية. لحظات الإلهام التي استمتع بها المخترعون والمكتشفون فكانت إيذاناً من الله بظهور هذه الاختراعات وتلك الاكتشافات.

عصر النار

سر صنع النار . العصر الحاضر العجيب

النار أخص ما كان في حيازة الإنسان فحيل كيف يكون حالنا إذا أطفأنا كل ما فيها من النيران ، ولم يبق فيها من يستطيع إيقادها !

إن سادت فسيصبح العالم بردة لا تطاق فيها الحياة ، وسيصبح طعامنا غير قابل للتسخين ، وتقف قطاراتنا وبواخرنا ، وتمتنع عن العمل مصانعنا ، ولا يمكن صنع الكثير مما نأكله أو نشربه أو نلبسه أو نتولى إدارته بأيدينا .

إننا نعيش في عصر جدير بأن يسمى حقاً « عصر النار » .

ولقد بدأ عصر النار منذ آلاف كثيرة من السنين . وليس على وجه الأرض قبيلة ليس لديها أسطورة عن نشوء النار للمرة الأولى وحصولها في حوزة الإنسان . ذلك بأنه ليس في وسع عقول غير الإنسان أن يصنع النار ، وأن مقدرته على صنعها جعلته في مستوى أرفع كثيراً من مستوى الحيوان . وكل أسطورة من هذه الأساطير تنص على أن النار كانت عند الآلهة ، وتختلف قصصها عن بعضها في بيان الطريق الذي حصل به الإنسان على النار ، فيروي اليونان أن بروميثيوس صعد إلى السماء وأوقد شعلته من عربة الشمس ، وسرق النار وهبط بها إلى الأرض . وقد كان الآلهة لا يرضون أن يحصل الإنسان على النار ، لأنهم يعلمون أنه بعد حصوله عليها سيصبح كأنه واحد منهم ، فهو بوساطتها يستطيع معرفة أسرار الأرض والاستمتاع بكنوزها ، وكانوا لا يرون أن يحوزه هذه المعرفة .

ولا يعرف أحد حتى المعرفة كيف عرف الإنسان سر صنع النار . وربما كانت أول رؤيته لها بسبب الصاعقة التي أحرقتها ، وربما كان فيمن رأى ذلك المشهد رجل أجرأ من غيره فاحتفظ بجمرة من النار السماوية عندما وجدها تحرق النبات بجمعه إياها وتجديدها بالوقود . فإن كان أحد قد فعل ذلك فما لا ريب فيه أن قبيلته تعده شخصاً محترماً لأنه عرف أسرار الآلهة . وقد كان في كل قبيلة أناس من مهمتهم أن يتولوا حراسة النار ، فكانوا يتناوبون حراستها آناء الليل وأطراف النهار ويغذونها ويتعهدونها كيلا تخمد فيحصر الناس هذه الهبة الثالية من هبات الآلهة ويموت الإنسان برداً . ولا شك أن عصوراً من السنين منذ اليوم الذي عرف فيه الإنسان كيف يحتفظ بالنار قد مضت والإنسان متمتع بالنار دون أن يعرف كيف يجددها ، وكان كل ما في وسعه أن يبحث عنها حيث يبعث آلهة البرق أو آلهة النار ، فيحمل منها قبساً إلى كهفه ويغذيه . ثم جاء يوم صنع فيه الإنسان النار لنفسه ، إما بحكه عصا صلبة بخشب مجوف على لوحة صلبة من البلاط ، وإما بدق حجرين من الصوان . وعلى أي الفرضين فإن اللحظة التي استطاع فيها الإنسان صنع النار كانت أعظم لحظة في حياة الإنسان في عهده الأول ، فإن وجود هذه القوة في يده مكنه من المفتاح الذي يستطيع به استخراج ما في الأرض التي يسكنها من كنوز .

ولما كنا لا نعرف حقيقة الأسطورة التي تنبئ عن استكشاف الإنسان النار لأول مرة ، لأن هذا الاستكشاف أسبق كثيراً من المعرفة التاريخية وعهد الأساطير فإننا سنروي القصة التي يعتقدها أهل جزائر بولونيزيا عن رجل مغامر جريء تمكن من معرفة أسرار العصي المنيرة وكيفية استخراجها في مأوى إلهة النار

يتبع (ع . ا)

من هنا ومن هناك

إلى أي طريق يسير الشباب الألماني ؟

[عن مجلة « برده »]

هل يستطيع هتلر أن يعتمد كل الاعتماد على الملايين التي حشدها لأجل الحرب ؟

هذا سؤال جدير بالعناية والتفكير. وقد كتبت مسز روز ولي الكاتبة المشهورة مقالاً في « الافتنج بوست » عن روح الشباب الألماني تلقي ضوءاً جديداً على هذا الموضوع.

يقول كثير من الألمان: « إننا نكسب الشباب » وتقول مسز ولي: إنني لم أصدق هذا القول حتى شاهدت بنفسي كثيراً من الحوادث التي تؤيده.

إن الحالة في ألمانيا كما تبدو للعيان تدل على الانسجام والتوافق بين حزب النازي وبين الشعب في ألمانيا. فهم يصطفون في الصفوف، ويغنون الأناشيد، ويجهرون بملء حناجرهم، ويرفعون أيديهم إلى التحية، ويحيون الألوية الحربية التي يؤمنون بأهدافها، وتبدو عليهم مظاهر الطاعة في كل شيء.

إلا أن كثيراً من هذه المظاهر تخفي وراءها القلق والاستنكار. وقد سمعت بعض الآباء يقول: « من يدري بماذا يفكر أبناؤنا ؟ إن قليلاً منهم الذين يستطيعون أن يصرحوا لآبائهم أو أمهاتهم بما في نفوسهم. إنهم في الظاهر يتصرفون بالكبرياء والاعتداد، وإننا لم نكن كذلك في شبابنا ».

ولقد سمعت بعض أساتذة المدارس يصف الجيل الحاضر في حذر واحتراس فيقول: « إن الشباب الذي يعيش في ألمانيا اليوم جيل عجيب؛ فهم في ظاهرهم متمسكون بالنظام والقوانين، وفي باطنهم على خلاف ذلك. فكل ما يمنعون منه لا يلبث أن يصبح موضع بحثهم ومثار شهوتهم؛ فهم يبحثون عن الكتب المحرمة، ويسعون وراء المحظور عليهم بهمة لا تعرف الكلل. وكم تكون دهشة المعلم حين يكتشف هذه الحقيقة، ويجد تلاميذه ملمين بهذه الكتب أكثر من إلمامهم بدروسهم المدرسية. إن لنا تراثاً عظيماً ومجموعة كبيرة من الآراء والأفكار الألمانية التي تناقض نظرية النازي، وعلى الرغم من السخط الشديد الذي يلاقيه أصحابها فإنهم لا يقدرون على محو هذا التراث. وفي بعض الكتب ويمكن لبعض الكتب منها. في ألمانيا عدد لا يحصى من الكتب الممنوعة التي يستطيع الشعب أن يحصل عليها. إن الفكر الألماني وإن كان مقيداً، إلا أنه ليس مقيداً على الإطلاق، فهو سريع الاشتعال، ومن السهل استثارته، ولكنه يكتنفه الزمام الحاطم كيف كان ».

وتقول مسز ولي في مقالها هذا إنها سمعت بعض أعضاء النازي يقولون: « من يدري من يكون إذا نشبت الحرب ؟ لقد جندنا جيشاً جراراً من أبناء ألمانيا، ولكننا لا ندري إلى أي ناحية سيتجه ذلك الجيش ! »

لقد رسم حزب النازي الخطة التي وضعها في أبناء ألمانيا، فقد كانت مراحله الأولى التي اجتذب بها قلوب الشباب، مبنية على أساس من المثل الأعلى، فزعموا أنهم يعملون على رفعة الجنس، وليس لهم رغبة في غزو بلاد أخرى أو إزعاج أهلها بأي حال. ولكنهم في هذا العهد ساقوا الجيش لاحتلال بلاد غير بلادهم، وهذا أمر لا يرتاح إليه الشباب، ويقلل بين الشباب الألماني الذين يحنون إلى روح الاستعمار البغيض.

قانون التعقيم

[عن « هلث بروك » الألمانية]

كثير من الأبحاث والأنظمة التي ظهرت في ألمانيا هذه الأيام وضعت للأجيال القادمة. وقد كان قانون التعقيم الذي يرمي إلى منع النسل العاجز أو المصاب بالأمراض الوراثية، من الظهور على مسرح الحياة، من القوانين التي قابلها العالم بالاهتمام، وخصه بكثير من النقد والتمحيص.

وقد أيقن الكثير من العلماء والمفكرين من مختلف الأمم، أن هذا البحث سيكون له شأن كبير في تحويل وجهة التاريخ الإنساني، ووجه آخرون وجهة إلى الصحة والرتبة الأولى.

ولم يكن هذا القانون وليد الفكر الألماني وحده، فقد بحث بحوثه في الولايات المتحدة، وكثير من الأقاليم السويسرية، والولايات الإسكندنافية، وما زال الصوت يرتفع في كثير

من الآفات ومنها بريطانيا العظمى ، بتنفيذ مثل هذا القانون .

أما الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا القانون فمن بينها يدركها الطفل الصغير ، ولكن السبب الجوهري هو التكاليف الباهظة التي تتكبدها الحكومة من جراء هذا النسل

فالطفل الصحيح الذي يسير إلى المدارس يكلف ألمانيا ٧٥ ماركا في السنة ، بينما يكلفها الطفل المصاب بنقص في قواه العقلية أضعاف هذا المبلغ . ومن المصاريف التي تنفقها الحكومة من أجل الشخص المعتوه من ٦ إلى ٨ ماركات في اليوم. أما الأشخاص المصابون بالميول الإجرامية الذين يحتاجون إلى حراسة خاصة ورعاية صحية لشذوذهم ، فيتكلف كل شخص منهم ٢٠ ماركاً في اليوم

وقد ثبت أن النسل الألماني لا يكتسب في الغالب ما يعادل ما تنفقه الحكومة على الضعفاء والمشوهين وأصحاب الآفات والمجرمين . فمن الصحيح أن الأسر التي تكافح جهدها للاحتفاظ بكيانها لن يستمر هذا التيار المنحرف من النسل العاجز بغير انقطاع ، فتضع على كاهل العامل عبئاً لا قبل لهم باحتماله ، أو تعجز حقوقهم المشتركة لقطع هذا النسل .

وقد شمل قانون التعقيم الصم والبكم والعميان الذين كفوا بهذه الآفات وإن كان الكثيرون منهم لا يكونون عالة على الحكومة بعد تعليمهم ، فهناك سبب آخر ساعد على تنفيذ هذا القانون عليهم قد يكون أكثر أهمية من أي سبب آخر ، ذلك أن ذوي العاهات قد يتجاوز عدد الأصحاء إذا ترك على ما هو عليه

وقد أصبح الرجال ذوو الذكاء والعقول الراجحة في ألمانيا يكتفون من النسل بطفل أو طفلين ، وأصبحت العائلات الصحيحة تتجنب كثرة الأطفال ، هذا فضلاً عن الوقت الذي يصرفه أبناء الطبقات الممتازة في التعليم والتخصص في المراتب العالية مما لا يمكنهم من الزواج قبل سن الثلاثين ، بينما يتزوج ذوو العقول الضعيفة في سن تتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين

وعلى هذا القياس لا يمضي مائة عام حتى يكون نسبة النسل الضعيف قد تجاوزت نسبة النسل الصحيح عشرات المرات

وقد أخذت الحكومة الألمانية تراقب هذه الأحوال بيقظة ودقة وتبذل فيه جهدها لإخراج جيل قوي صحيح

بحر العرب أو بحر الروم

كثير من الكتاب يسمون البحر الأبيض المتوسط « بحر الروم » حين يحلو لهم أن يذكروا التسمية القديمة لهذا المحيط، وأنا أوثر أن نسميه « بحر العرب ».

وهذا الاقتراح له أساس من التاريخ، فقد كان من أسلافنا من يسميه « البحر الشامي » وذلك اسمه في أكثر كتابات ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الأبصار ».

والواقع أن الشوام هم أقدم من انتفع بذلك البحر، بحر العرب، وهم أقدم من عرف أنه موطن استغلال، حتى صح القول بأن الفينيقيين القدماء هم الذين أسسوا مدينة مرسيليا منذ نحو خمسة وعشرين قرناً، ومرسيليا هي عروس الشاطئ الفرنسي من بحر العرب، ولا يعرف في الحسن غير الإسكندرية وهي عروس الساحل المصري من بحر العرب، وربما كانت الإسكندرية أجمل مدن السواحل على الإطلاق، ولذلك تفصيل سنطالع به القراء بعد حين.

فما رأي الأستاذ إسعاف النشاشيبي في هذا الاقتراح؟

أنا أظن أن عنده شواهد كثيرة تؤيد القول بأن البحر الأبيض المتوسط هو بحر العرب لا بحر الروم، وأنتظر أن يتسع وقته لشرح الفرق بما كان يملك العرب من السيطرة على هذا البحر أيام ازدهار الحضارة العربية.

وصدق شوقي الجليل حين قال:

أيه البحرَ أنت مهما اعترفنا … ملك آبائنا وملك الجدود

زكي مبارك

الجبر والاختيار

جاء في المقال الأول للأديب السيد محمد المريوي المنشور في العدد ٣١٨ من الرسالة ما يأتي:

(أما رجال الدين والكلاميون من المسلمين فقد خاضوا فيها (أي مسألة الجبر والاختيار) وكان فهمهم الأول المرتكز على أن الإنسان بما هو خالق لأعماله فهو مسئول عنها أمام الله في القيامة، ويجزى عليه الجزاء ثواباً وعقاباً، أو أن الإنسان وأعماله من خلق الله؛ فلا يكون ثمة حساب أو عقاب. وفهمهم الثاني هو البحث في معرفة الله لما يحدث: أهي قبل الحدث أم بعده)

ونحن نرجو من الأديب الفاضل أن يصحح هذا القول، فإن المعتزلة القائلين منهم بأن الإنسان خالق لأعماله وغير المعتزلة متفقون على أنه مسئول عنها أمام الله، وعلى أنه مجزي بها؛ فإن أهل السنة لا يقولون بأن الإنسان خالق لأعماله، ولكنهم يجعلون خلقه لأعماله أساساً لاستحقاق الجزاء، ولا معنى لقوله بعد ذلك: (أو أن الإنسان وأعماله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب) بعيد كل البعد من الحق. وكذلك قوله: وفهمهم الثاني هو البحث في معرفة الله لما يحدث: أهي قبل الحدث أم بعده) فيه نظر أيضاً، فإن المسلمين لا يختلفون في أن الله عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه، إلا أنهم قالوا: (إن علمه يتصف على وجهين: علم غير مقيد بالزمان، وهو متعلق أزلاً وأبداً لا يتغير ولا يتبدل؛ وعلم مقيد بالزمان وهو علمه حال التجدد أو التغير، وهذا العلم متناه بالفعل بحسب المتجددات، وغير متناه بالقوة كالمتجددات الأبدية. والعلم لا يتغير بحسب الذات، ويتغير من حيث الإضافة، ولا فساد فيه، وإنما الفساد في تغير نفس العلم[1]) ثم قالت فرقة من القدرية: (إن الله لم يعلم الأمور أزلاً، ولم يتقدم علمه بها وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها[2]) ولكن هذه الفرقة قد خرجت بهذا القول من الإسلام (فقد كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة[3])

(١) حاشية ملا أحمد على العقائد النسفية ص ١٤٤ ج ٢ من مجموعة حواشي العقائد النسفية (مطبعة كردستان العلمية)

(٢) و (٣) شرح [illegible] ص ٢٥٢ ج

على أن هذه الفرقة لو خرجت من الإسلام لا يصح أن يحمل عليها — وهو من الصحب ما هو — مقالاً لقول سائر المسلمين، أو على الأقل لا يصح الاعتماد عليه، فإن هم رجال الدين والمتكلمين هو البحث في هذه المسألة على هذا النحو

وجاء في هذا المقال أن المعتزلة قالوا: (بأن الله لا صفات له غير ذاته، وشاركوا الجهمية في هذا الأصل)

وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح، أولاً من جهة عدم توضيح قول المعتزلة، فإن ذلك قد يوهم بإنكارهم الصفات إنكاراً غير جيد كما يدل عليه اعتبارهم شركاء الجهمية فيه. وهم إنما يرجعونها إلى صفاته عين ذاته، أي إن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً، وبالمقدورات قادراً إلى غير ذلك، أي بمعنى أنه جل جلاله لا بأمر زائد على ذاته[1] (العقائد النسفية وحواشيها ص١٠٦)

وثانياً يحتاج الكلام إلى تصحيح من جهة ادعاء مشاركتهم الجهمية في هذا الأصل، أي أصل إنكار الصفات، فإن الجهمية طوائف أخرى مختلفة يبطلون الأسماء والصفات معطلاً بإسلام من الثابت النفسية[2].

هذا ما نريده من الأديب الفاضل السيد محمد الهروي تصحيحه وله الشكر سلفاً، كما أننا نرجوه أن يبالغ في التأني كيلا يقع في مثل هذا. وأسأل الله له ولي التوفيق

«فلسطين»

داود محمد

اللغة العربية والجامعة المصرية

في مقال الدكتور زكي مبارك المنشور في العدد ٣١٨ كلام طيب في مؤاخذة القائمين على التدريس بكليات الجامعة بأنهم زعموا أن العربية قصرت عن حاجة العصر، كأنهم يريدون أن يجدوا المخترعات الحديثة (دون تعب منهم ولا عناء) أسماء في معاجمنا القديمة، فإذ لم يجدوا رموا هذه اللغة بالعجز والقصور، وما العجز في الواقع إلا عجزهم، وما العيب إلا فيهم وفي همتنا والكثير لا ينتفع به حتى ينتهي فوته بالتداول

ونحن (في الشام) نعتقد منذ قيام كليات في الجامعة المصرية على صعوبة العربية إلى اليوم، بينما أخذت الجامعة السورية منذ تأسيسها (في عهد صاحب إصلاح العربية) تكون لغة التعليم بأساتذتها، وهم خريجو أول معاهد الغرب [illegible] بالعربية ولا هم في هذا السبيل عناء جهداً. ولا ريب أن [illegible] شأن لا يعدله إلا عظيم ما يبذل المعاهد [illegible] في التعليم

ونحن [illegible] على أن نقطع عدد المصطلحات العلمية [illegible] التي أنشأها [illegible] الجامعة الدكتور الأساتذة [illegible] طبع معجماً خاصاً للمصطلحات التي وضعوها لتدريسها، وما أظن أن ذوي الشأن في مصر جاهلوا مهمة

وحبذا لو [illegible] الجامعتان العربيتان في مصر والشام تعرف وأنظمتهما [illegible] أساتذتهما ومعاجمهم ومصطلحاتهم ثم تداولوا الرأي بما ينهض التأليف العلمي بلغة العرب، والوطن يشكر للذين وضعوا اسمه وأعمالهم كما يشكر غيرة وروح [illegible] مصر وحده الدكتور زكي مبارك

«دمشق»

حول الوحدة العربية

قرأت في العدد (٣٦٩) من الرسالة مقالاً للأستاذ [illegible] عن المجمع العلمي العربي بدمشق تأييداً لما يكتبه الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري نقداً لكتاب «مستقبل الثقافة في مصر»

وقد عرض في هذا المقال ببحث طريف حين طلب إلى الدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها أولى من أن يكون في قطر واحد أديباً! ثم قال [illegible] أولية — وهو مسلم مصري — خطيب العرب بلا منازع هو الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصراني المصري — وهو كذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة دون الأولاد!»

وجد للمناسبة الكشف شيئاً من مقال للأستاذ مكرم عبيد في هذا الموضوع [illegible] إلى تحليل فكرة الوحدة العربية ونتائجها وذكر أنه قابل الأستاذ مكرماً في دمشق وسأله عن تلك النعرة الفرعونية في مصر، وأنه لا يزال يذكر أن الأستاذ أجابه بما معناه: نحن عرب في مصر ولا عهد بالفراعنة إلا لأنهم عرب!

(١) قال ملا أحمد: لا خلاف في أن هذا ليس معقول لا يتبغي العقل من قبوله، ولا يليق صدوره من الأعلام الفخمة.

(٢) شرح عقيدة السفاريني ص ١١٠ ج ١

وأنا أقول إن الأستاذ مكرم عبيد وإن كان أديباً كبيراً – ومن نوابغ مصر في ثقافته وأخلاقه ووطنيته – إلا أنه سياسي متهم، ولا يخفى ما في جرابه السابق من أساليب السياسيين؛ ولعل ذلك لم يغب عن الأستاذ الشرقي إذ جعل فكرة رد الفراعنة إلى أصل عربي يطول مداها، ويصل بنا إلى صور التاريخ ما لسنا في حاجة إليه اليوم. خصوصاً وإني أعلم أن فكرة كراهية الفرعونية في مصر ترجع إلى سببين، أحدهما سياسي والآخر ديني؛ أما السياسي فهو أنها تقف حجر عثرة في سبيل الوحدة العربية كما يراها أنصارها. وأما الديني فيرجع إلى فكرة خاطئة هي أن فرعون قد ذكر في «القرآن الكريم» بأنه حاكم باطش عنيد بالرسل. وهذه الفكرة خاطئة لأن فرعون الباطش العنيد لا يمثل الفراعنة ثلاثين أسرة حاكمة توالت على عرش مصر في مدى ثلاثة آلاف سنة أو يزيد. وإذا كان موسى عليه السلام قد لقي من عنت فرعون ما دفعه إلى الخروج بقومه من مصر، فإن يوسف عليه السلام قد لقي عند فرعون إكراماً وتقديراً لمواهبه واستغلالاً لتلك المواهب في حكم البلاد. قال تعالى: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي، فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين)

هذه هي خلاصة للسبب في السبب الديني الذي يدعو إلى كراهية الفرعونية في مصر. أما السبب السياسي وهو أن الفرعونية تقف حجر عثرة في سبيل الوحدة العربية، فذلك أنهم يريدون أن تقوم هذه الوحدة على أساس الاشتراك اللغوي دون العنصري أو القومي، فهم لذلك يريدون أن يفرضوا العربية على جميع الذين يتكلمونها في نطاق هذه «الوحدة العربية» أو «الاتحاد العربي» ويستطيعون أن ينسوا أحدهم بغير هذا الاسم. فأنا أعيب عليهم هذا. وذلك أن العرب خرجوا من جزيرتهم – التي هي وطنهم الأول الخاص بهم – يحملون مشعل الإسلام في أيمانهم فتغلبوا على الشعوب الأخرى واختلطوا بها اختلاطين: اختلاطاً ثقافياً واختلاطاً جنسياً. فأما الثقافي فهو على أساس الإسلام والقرآن والأدب العربي، وأما الجنسي فعلى أساس الزواج والمصاهرة. ولا شك أن الاختلاط الأول كان أقوى من الثاني تأثيراً، فإن الشعوب الأصلية في البلاد المفتوحة ظلت عصوراً لم يكن قد عطف على معظمها في أكثر تلك البلاد بينما غلبت الثقافة العربية على جميعها. وإن كانت الثورات الشعبية التي صحبت الفتح العربي قد استمرت منذ انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، أنسب أن تسمى بعد ذلك «بالدولة العربية» فأصبح المؤرخون يسمونها بعد هذا التاريخ «بالدولة الإسلامية»!

وإني أرجو ألا يفهم من هذا أنني لا أؤيد وجود وحدة بأي نوع من الاتحاد وتحت أي اسم من الأسماء، ولكني أوجه إلى أقرب الطرق إلى تحقيق حلم من هذا النوع. إن مباحث الأدب والتاريخ لا تجدي، ولكن تصبح عظيمة الجدوى إذا اصطحبها النظر إلى واقع الظروف القومية والاجتماعية اللازمة، وقد تتحقق الوحدة المنشودة بإرشاد الخاصين بها أكثر مما تتحقق بإرشاد المؤيدين. فإن الناظر إلى حالة كل دولة عربية على حدة يدرك طول الأمد للطالب لتحقيق شيء من هذا القبيل لاختلاف الخاص في كل عضو من أعضاء هذا الجسم على انفراد، فليكن العلاج علاجاً لكل عضو مستقلاً عن سواه، حتى يصبح الجسم بصحة جميع أعضائه.

وبعد ذلك، أفلا يرى معي كل منصف أن الحاجة إلى القومية قد يكون ثم أصبح الحاجة إلى وحدة عربية أو إسلامية نوعه ميسورة في وقت ليس قريباً جداً، وأن من يريد أن يكون أديب الأقطار العربية كلها لا بد أن يكون في قطر واحد أديباً، ثم يكون هو أديب الأقطار العربية أخيراً، الذي عبد السبيل القويم – وإن كان بطيئاً – لوحدة هذه الشعوب التي تدين بدين واحد في أغلبها، وبآمال وطنية واقتصادية واحدة في مجموعها؟

(طنطا – مصر) عادل محمد جبره

العربية والفرعونية

دعتني إلى معاودة الكتابة في هذا الموضوع الرد الذي قرأته موجهاً إلي في العدد (٣٣٠) من «الرسالة»، على أن مثل هذا

الموضوع لا يُعتبر من كثرة الكلام فيه، وإنما يُعتبر (ولا يُعتبر) من قصر الكلام فيه، وأم بين حقيقته

والمسألة هي أن هناك أخوة إسلامية دينية، وهناك وحدة إسلامية سياسية، وهناك إسلام وهناك مسلمون، ولا بدّ من فصل كل واحدة من هذه المسائل عن الأخرى

فكون المؤمنين إخوة، وكون المسلم أخا المسلم ولو اختلف الدار وتباينت اللغات أمر مسلّم به ديناً، ولا يكون مسلماً من ينكره لأن الآثار القطعية وردت عليه، ولأنه أصل من أصول الدين، ولأن شعائر الدين كلها من نحو الصلاة والزكاة والحج والأحكام الفقهية تدور كلها على اعتبار الناس أصنافاً، مسلمين وذميين ومحاربين، وفي إبطال الأخوة الإسلامية واعتناق الأخوة القومية أو الوطنية خروج صريح على الدين الإسلامي

هذا من ناحية الدين، وليس معنى هذا أن الإسلام ينظر إلى الوطنيين غير المسلمين نظر العدوان أو يجحد حقوقهم أو يسامهم على نحو ما يدّعي من يعادي حماية الأقليات، بل الحقيقة التي يعرفها كل من له أقلّ اطلاع على الإسلام، أن الإسلام يحفظ للمواطنين غير المسلمين كل حقوقهم ويصون لهم حرياتهم، عليهم هذا

أما الوحدة الإسلامية وتحقيقها عملياً فهي أمر لا نبحث فيه الآن، ولكننا نعتقد أن هناك طريقاً إلى تحقيقه، وحسبك علماً بنظام الإمبراطورية الإنكليزية الذي استطاع أن يضمّ ممالك منثورة في كل آفاق الأرض لتعلم أن الفكر البشري لا يعجزه حين استكمال هذه الشعوب قوتها وحريتها، إيجاد نظام صالح للوحدة

أما الاحتجاج بعمل بعض المسلمين اليوم وموقفهم من فلسطين فلا يقوم حجة على الإسلام، لأنه فرع منه ولأن الدين مبدأ ثابت لا يُعد عدم اتباع فئة من المنتسبين إليه لأوامره وأحكامه قدحاً فيه. وأما عن مساعدة المسلمين في الهند لثورة فلسطين فهو باطل، والأموال الكثيرة التي انهالت من الهند على مجاهدي فلسطين لا يستطيع إنكارها أحد

(دمشق) ناجي الطنطاوي

حول معنى بيت

قال الأستاذ الصعيدي في العدد (٣١٩) من الرسالة تعليقاً على هذا البيت المنسوب إلى معاوية

قد كنت تشبه صوفياً له كتب … من الفرائض أو آيات قرآن

مقالته الآتية (ومثل هذا لا يمكن أن يقال في عصر معاوية لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث في ذلك العصر ولم يكن فيه كتب في التصوف يحملها المتصوفة وغيرهم)

أما إنه لم يكن هناك كتب في التصوف في ذلك العصر فهذا صحيح، لأن أول كتاب وضع للناس في التصوف هو كتاب «اللمع» لمؤلفه الشيخ أبي نصر عبد الله بن السراج الطوسي المتوفى سنة [illegible] هـ وقد قام المستشرق الإنكليزي نيكلسون بجمعه وتصحيحه وطبع في مدينة ليدن ١٩١٤ بيد أن هذا البيت لا ينهض دليلاً للأستاذ الصعيدي على أن قصة سعد وصالح موضوعة عند فهم كلمة «كتب» في البيت على ظاهرها

والذي أراه في تفسير هذا البيت أن أسلوبه مقتبس من أسلوب الذكر الحكيم (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي مكتوباً موقوتاً، والمكتوب هو المفروض. أي مفروضاً محدوداً بوقت لا يتعداه، فكلمة (كتب) ليس المراد منها في البيت هذه الصحف من مخطوطات أو مطبوعات، وإلا فما معنى من الفرائض؟ بل هي جمع كتاب بمعنى المكتوب عليه أي المفروض فيكون الأسلوب هكذا: له مفروضات من الفرائض، كما تقول ألفنا بها عمراً من الدهر. ومعنى البيت يكون: (قد كنت إصبوحاً في مطلع يقيني لك تشبه الصوفي الذي جعل لنفسه مفروضات من الفرائض يتعبد بها أو آيات قرآن يرتفع بها فلا يصل إلى ورطة الآثام)

وبهذا يسلم البيت من الاعتراض التاريخي الذي وجه إليه على تفسير الأستاذ الصعيدي. أما أن القصة موضوعة أو واقعة فهذا معنى آخر

أحمد عبد الرحمن عيسى

نظرات في كتاب

« بعث الشعر الجاهلي »

تأليف الدكتور مهدي البصير

للأديب خليل أحمد جلو

الكتاب — كما حدثنا المؤلف — مترجم منقول من كتابه « الأدب العربي قبل الإسلام » الذي نقله إلى الفرنسية وعرضه بشكل أطروحة في السوربون فأصبح لأن المستشرقين لا يرحبون بكتاب يشيد بالأدب العربي ويحيي ما اندثر منه، فاضطر إلى تأليف كتاب في الأدب الفرنسي فصحح فأطلقوا إليه وأجازوه الدكتوراه

والكتاب — بتعريف آخر — هو مجموع المحاضرات التي ألقاها صاحبه على طلاب دار المعلمين العالية ببغداد

والكتاب إذا أردت أن يعنى إليه أهل العراق، فلك هو كل ما ألقاه الدكتور من أحاديث في دار الإذاعة اللاسلكية في الصيف المنصرم

ولا تحسبن أيها القارئ الكريم من الكاذبين بهذا فقد نفد في الأسواق على حجمه، فإن وروده للسوق عند نشره وهو في الطبعة يبني على عطف وتشجيع، فأقعدت صاحبه من عناء التصريف وحسرة البوار وأحدثت بما روي: « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وهل أحد من الناس أولى من الأديب بالرحمة والإنعام في هذا الزمان ؟!

إن الدكتور كان بخيلاً على أصحاب المكتبات أن يرزقوا منه، وكان صعباً على القراء أن يظفروا به. فهل أبى النقد حتى ستنفد كتابه من السوق ؟ وهل اطمأنت نفسه حين عرضه على طلابه في دار المعلمين العالية عرضاً ألا تذيع نواقصه ونشر عيوبه ؟ وهل يحجب حياته حتى أذاعه في مذياع العراق أرجاء الأرض ولم يسمح للصحف والمجلات أن تنشره ؟

لقد حسب ظنون الدكتور، ولم يجد النقاد والمترصدون أن يصححوا له ويتناولوه. فاليوم عليه « البعث » وعلينا « التعقيب »

ولا أكتمك أني عندما حملت على الدكتور ألفيت أني أتعرض لشخصه ولا أسيء إليه وهو من ذوي الماضي المجيد، ومن دعاة الحركة الوطنية، وممن ساور وطرح البعثة مستعمرين، وممن لهم كرسي رفيع في دار المعلمين العالية

اقتضى هذا الإطراء ما أعرفه عن الدكتور من ضيق الصدر بالنقد واحتباس نفسه منه سواء أكان موجهاً إليه أم إلى غيره وخصوصاً فيما يمس صلته بالنقاد والأدباء ويؤلمونه بالمطاعن.

ألم تلاحظوا الدكتور زكي مبارك لا يفتأ يعلن مساوئه ويحمله لأحمد أمين وزمرته ؛ وبعض الناس لا يفتأون يتهمونه بالأغراض والمقاصد، بل وأشركوا معه صاحب الرسالة ؟

فليعلم الدكتور — غير معلم — أني لا أضمر له كرهاً وليس لي معه مأرب، وأن الأدباء من حماة النقد النزيه، ولعل ربك يريد أن يسبغ على بعض حسناته حين قيض لي نقد كتاب « بعث الشعر الجاهلي »

أما بعد فإن كتابك يا سيدي ناقص من عدة وجوه أهم عيوبها واستقصاؤها

أولاً: إنك اقتصرت في بحثك على ستة شعراء: امرئ القيس، وزهير، وعمرو بن كلثوم، والحارث، وعنترة، وتركت الآخرين مغمورين لم تعنهم. فهل أنكرتهم وشككت في وجودهم ؟ وإذا كان ذلك فأين الدليل والبرهان ؟ وإذا لم يكونوا من صلب بحثك فلم سميت الكتاب « بعث الشعر الجاهلي » الذي يقتضي ألا تدع ترجمة شاعر جاهلي ولا شكاً فيما روي عنه من قريض. هل تعتقد أن ما أسميته حقيقة مسلم بها لا تحتاج إلى التحري والإحاطة على الأقل ؟

إن الفن يطمع أن يبعث الشعر الجاهلي بحيث لا يدع شاردة ولا واردة منه إلا استقصاها واستوعبها؟ وهل من النقص الفاضح أن تكتفي في بحثك بقصيدة شاعرين، وهل تناولت في شرح معلقتيهم كل ما يمكن لهم من دون المعلقات قصائد وأبيات أخرى تحتاج إلى التحليل والتحقيق؟!

ثانياً: لم يخطر في بالك أن تتعرض ولو لرأي من آراء المستشرقين واستدلالات الفقهين الآخرين مثل « مرجليوث » و « جويدي » وغيرهما من الذين كانوا الأساس الذي اعتمد عليه الدكتور « طه حسين » والمنبع الذي أخذ منه في إنكار الشعر الجاهلي أو الإغراق في الشك فيه؟ وركنت إلى المصادر العربية القديمة دون تحرز واحتراس ودون جدل ولا مناقشة، وقصصت حياة الشاعر، متجنباً كل ما يدعو إلى الشك والارتياب، وبدون التحقيق والبرهنة، وشرحت المعلقات ولم تر حاجة أن تتناولها ببحث يقرر أنها جاهلية وأنها لم تنسب إلى غير قائلها أو بسبب من انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة القصاص، أو تكلف القصاص، أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين. وهل يصح لكاتب يريد أن يبعث الشعر الجاهلي بعد أن حامت حوله الشكوك والأوهام أن يغفل عن ذلك؟ وهل بعث الشعر الجاهلي بسرد حياة الشعراء وشرح معلقاتهم كما يدرسها طلاب المتوسطات

ولا بد أن أورد لك نماذج من بحثه لتستدل على صدق ما أقول ولتؤمن أن البحث العلمي الصحيح يحتم ذلك.

يقول الدكتور البصير مقرراً وجود عمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة اليشكري « إن منابع التاريخ العربي في القرون الوسطى ذكرتهما وروت لهما، إذن فلا سبيل إلى إنكار وجودهما ولا إلى الشك في شاعريتهما » (ص ٤٨ – ٤٩) ويعتقد أن القارئ قد أقنعه هذا البرهان، وأنه لا يمكن أن يقال أكثر من ذلك في إثبات الشاعرين، فيصدر أمراً عسكرياً « بالشروع بالبحث حالاً » في شرح معلقتيهما.

مهلاً يا دكتور! إن قولك لا يطمئن إليه أحد الناس سذاجة حتى تثق من صحته، فما أحيط به عمرو بن كلثوم من أساطير جعلته أقرب إلى أبطال القصص منه إلى أشخاص التاريخ، وحتى تنشئه بالنص التاريخي أو الأدلة المنطقية التي تقرب إلى صحته حديثه مع بين آل المنذر وبين تغلب من ناحية، وبين ملوك الفرس وأهل البادية من ناحية أخرى، وحتى تدفع عنه شكوك الرواة في بعض المدة ومثلاتهم في الأساليب الأولى؟ أحقاً قالها عمرو بن كلثوم، أم قالها عمرو بن عدي بن أخت جذيمة الأبرش؟ [illegible] أيضاً إذن أردت أن تجيب على أشد الناس سذاجة، أن تطوف [illegible] من تكرار في الأبيات والحروف، وخلوها من [illegible] الطبع البدوي.

وحدث لك وأنت تبحث في قصيدة الحارث التي أعجبت صاحب [illegible] أن تقنع القارئ بأنها ارتجلت ارتجالاً، ولم يفكر فيها الشاعر تفكيراً طويلاً ورتب أجزاءها ترتيباً دقيقاً.

رأى أيها القارئ الكريم أطيل عليك ما يجب أن يلاحظه الدكتور مهدي البصير في بحثه عن الشاعرين عمرو والحارث ومعلقتيهما ويكفي الحكم على كتابه الذي [illegible] « بعث الشعر الجاهلي » لا « بحث في الشعر الجاهلي »، وإن الكتاب أتى على طلاب دار المعلمين العالية ولم يأت على طلاب المتوسطات. وإني مقتنع بجدوى أن يقبل إلى الدكتور ملاحظة من مخلص وإرشاد إلى طريقة البحث العلمي الصحيح حتى يتمكن ويتلافى هذه الأغلاط.

ولندع ابن كلثوم والحارث ولنخلص إلى زهير وامرئ القيس.

أما زهير بن أبي سلمى فإن الدكتور لا يجد صعوبة ولا مشقة في إقرار شخصيته التي تناقلتها المصادر العربية القديمة وأسفاره التي رويت، فيحدثنا في مستهل حديثه عن زهير « إننا لسنا بحاجة إلى إقامة الأدلة التاريخية على أن زهير بن أبي سلمى قد وجد حقيقة وقرض الشعر » (ص ٣٩) ثم يقتصر « على درس معلقة زهير » ويقصد بالدرس هنا تفسير الغريب من ألفاظ المعلقة وشرح بعض المعاني فقط. ولا أظنك ترميني بالتقول إذا قلت إن الذي يريد أن يبعث الشعر الجاهلي ملزم في كلامه عن زهير أن يبحث عن نسبه إلى مزينة، وإقامته في غطفان، وكونه من أسرة معروفة بقرض الشعر، ومنزلته عند هرم، ورأي النقاد المحدثين والرواة الأقدمين فيه، وعلاقته بالإسلام مع ذكر الأدلة والشواهد التي تقنع القارئ بصحة ما يقول. وهل يثبت ما ذكره في مستهل حديثه أن قصيدة الشاعر جاهلية وأنها لزهير وأن ليس للمتحلين يد فيها؟ وهل يصح له أن يهمل ما يتحدث به الرواة عن زهير أنه تنبأ بالإسلام قبل البعثة، وأنه أوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما، وأن له شعراً فيه أمور دينية إسلامية، وأن النبي [illegible] استعاذ بالله من شيطانه فما قال زهير بيتاً من الشعر حتى مات؟

(البقية في العدد القادم)

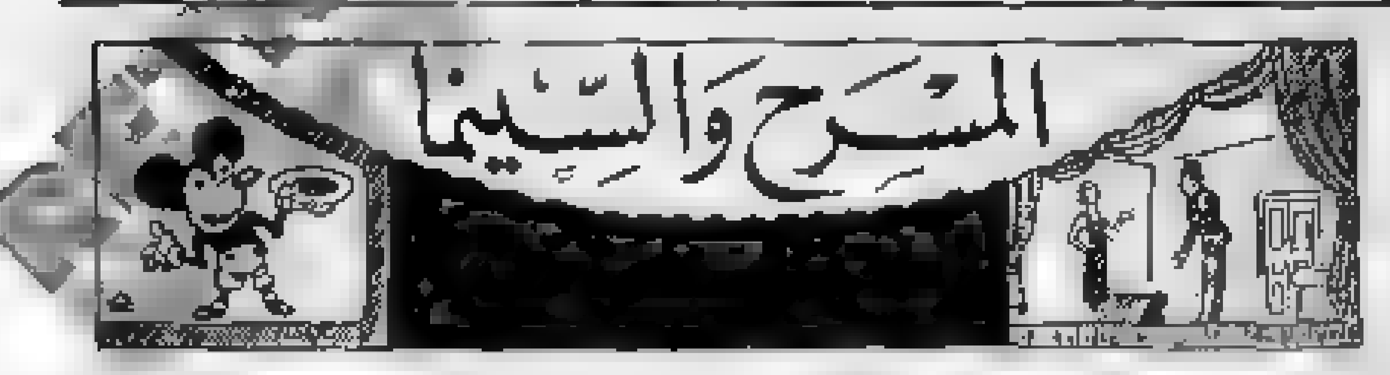

من التاريخ

٣ـ النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرق القومية منها ومواقفها حيالها

فرقة رمسيس

جمع يوسف وهبي حوله طلاب وأفاضل المسرح في ذلك الحين إلا من أبعدتهم الشهرة وأصدمهم الجد، أو خاف منهم على نفسه، وهو في سبيل حياته الفنية التي يريد بها التجديد ... وليوسف بعض العذر في هذا العمل، فما يحب أن يستقل باسم كبير لامع يتضاءل اسمه إلى جانبه ولا يجد منه شيئاً يذكر، ويكون مقصوراً على مشروعه الكبير الذي أودعه ثلاثة عشر ألفاً من الجنيهات من ماله الخاص، فيذهب إليه الفضل في النجاح إذا كان منتصراً، ولا يكون ليوسف إلا فضل صاحب المال، وما أتعسه من فضل لا يرتضيه فنان لنفسه! ويوسف أحسن ذلك له كل المعرفة التي يجعل منه رجلاً في وسطه، وله كل عيوب الأذكياء حتى بعض نقص المتكبرين، ويذكر في خوفهم الغيرة منهم والحقد عليهم وقد شق طريقه بجرأة لا مثيل لها، وزعيم جماعة المسرحيين،

وأقصى من لا يستطيع الزعامة عليهم، واستقصى من رماهم أكتافهم له، وارتضوا بقيادته لهم على حين أن خصومهم الطويل ومعرفتهم بالمسرح وخرايبهم، كانت تصمهم في أنفسهم ينظرون إليه ويحسدونه!

وترقب الناس ما ستخرجه لهم «فرقة رمسيس» من جديد يقبلون عليه. أما القديم فقد عرفوه وشبعوا منه وملوه! وعلى أي حال، فهل تستطيع «فرقة رمسيس» أن تخرج أوديب أو عطيل أو سيمبل ساعة حين؟ ... إن جورج أبيض الذي ترجم أثر حينئذ لم يكن قد فقد مكانته فيه، وما كان أحد يعتقد أن يوسف أو سواه يحسن القيام بأدواره، وأن تستطيع فرقة رمسيس أن تخرج للناس (الوحش الآدمي) أو (الثأر الهائل) ولم يكن أحد قد تصور حتى لحظة من الزمن أن عبد الرحمن رشدي يمكن أن يبزه آخر في هذه الأدوار التي اشتهر بها وأتقنها كل الإتقان

رغب الناس ما ستأتي لهم به فرقة رمسيس الجديدة من جديد كما رغبوا حين أنشئت الفرقة القومية ما ستأتي به لهم هذه الفرقة الحديثة من جديد — والناس هنا لا يرغبون بالقديم لمرقاتهم وللعهم به، ثم إنهم كانوا قليلي الثقة بسيد جورج أبيض وعبد الرحمن رشدي!

وقد كانت هذه الفكرة التي خالجت أذهان الجماهير، والتي تحدث بها بعض النقاد والكتاب عند تكوين فرقة رمسيس من الدوافع الهامة التي حدت بيوسف لأن يعمل على هدمها نظرياً وعملياً، وعرضها من أساسها بطريقة المسروقة — وسنفصل ذلك فيما بعد — على أن هذه المجهودات الهدامة كانت من العوامل التي أثرت تأثيراً عكسياً في النهضة المسرحية في مصر، وأساءت إلى يوسف وفرقته إساءة حقيقية، وأفقدته عطف الجماهير وتقديرها

أما يوسف من جانبه فإنه كان راغباً في هدم الممثلين جميعهم الآخرين، كان يريد أن يبقى المجد لنفسه وبفضله، وكان يريد

أما حديثه عن أصدق القصص فهو غاية في الظرف والفكاهة وجهل أخبار الناس. فهو يلخص كتاب أصدق القصص تلخيصاً خالياً من كل ما ترويه الكتب العربية من أساطير وأعاجيب لينجو من عناء المناقشة ومشقة الفحص والإثبات. ثم يستجهل القارئ ... غير ما روى من القصص، ثم يقول: «ولا ريب أنه (أي تلخيصه) ... مطرد .. وظاهر أنه لم يكن أكذوبة من أكاذيب القصاص» (ص ١٠)

(يتبع) خليل أحمد جلو

أن يظهر في ثوب جديد خلاب ، حتى لا يجد الجمهور وجهاً للمقارنة بينه وبين الآخرين فيه . ومن ثم فقد اختار أن يظهر (كياتوري) الإيطالي ، ووضع في براعته روايات جديدة لم يعرضها الجمهور من قبل ، ولم يسمع بها ، ولو أنه كان في إمكانه مثلاً أوديب وعطيل ولويس ، وكل الروايات التي اشتهر بها غيره من الأبطال والجواهر ابداً . وكان يعتقد في نفسه القدرة ، أو يرى في نفسه أنه يستطيع التأثير في الجمهور بطريقته الخاصة فينتزع الإعجاب منه وينتزع راية المجد من الآخرين ، وقد أخرج مثلاً فيما تلا من سنين بعض الروايات القديمة المعروفة ، كما لم نشهد نفير من محاولة حتى مشاهدة إحدى الروايات المصرية ، ولكنه لم يظهر في عطيل نفسها أو أوديب أو سواها من الروايات الضخمة التي أصبحت ملكاً لجورج أبيض طوال عمره !

* * *

وفي الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء اليوم العاشر من شهر مارس عام ١٩٣٣ وقع الستار في مسرح رمسيس عن رواية المجنون التي قيل يومئذ إنها من تأليف يوسف وهبي

(للكلام بقية)

اختيار الروايات في الفرقة القومية

يتساءل من يظن أن الفرقة القومية أو أصحاب الشأن فيها يعرفون السبب الحقيقي الذي من أجله أنشئت الفرقة ، وإلا فما هذا السبب الفني الذي نراه في اختيار الروايات ، وما هذه السياسة المضحكة التي يسيرون عليها ، وكأنهم موكلون بالتشكيك في المحسنين لقاء ما تكافئهم به الحكومة من أجر ؟

ونضع أمام القارئ أمثلة يسيرة من هذه السياسة العجيبة

(الخطاب) و (جنون الشرف)

في الموسم الأخير أخرجت الفرقة القومية رواية الخطاب « لأوجست سترندبرج » ، وهي رواية أقل ما يقال فيها أنها تحض على الرذيلة ، وتشجع عليها ، وتكافئ الخاطئين ، وتعرض الأبرياء للخزي !

ومعرب هذه الرواية هو الأستاذ [illegible] وقد خيل إليه أنه فهم رسالة الفرقة القومية في هذا الزمان فعرض على مديرها رواية (جنون الشرف) لبيرانديللو ، وهي رواية أقل ما يقال فيها أنها تصور الشرف في أحط الصور ، وتقضي على معنى الحب والتفاني به

ولكن المدير الفاضل رفضها وطلب إلى المعرب أن يختار سواها من الروايات الشعبية التي هي أقرب إلى مشاكل مجتمعنا الذي لم ير [illegible] بيرانديللو ، فاختار المعرب رواية (العطايا) تنقلب في الحال وكانت سبة الفرقة أبد الدهر !

الروايات التاريخية في السينما

منذ الأسابيع [illegible] إخوان لاما يخرجون رواية تاريخية عن المجنون وأن [illegible] (آسيا ، ماري ، هلال) يخرجون رواية تاريخية تحت اسم [illegible] أو شيء كهذا — [illegible] أن نقول هؤلاء وهؤلاء والتاريخ كله ، أو نسمي الاسم صيحة

منذ أعوام أخرجت السيدة آسيا رواية تاريخية هي (شجرة الدر) ، وأخرجت السيدة بهيجة حافظ رواية هي (ليلى بنت الصحراء) ، وأخرج إخوان لاما بضع روايات كانت مزيجاً من التاريخ وصور الصحراء ، وأخرجت السيدة عزيزة أمير وغيرها روايات فيها تاريخ وفيها صور من أهل البدو ، وكيف يعيشون ، وكيف يملأون الدنيا غراماً !

وكانت هذه الروايات جميعاً تنقصها الطلاوة والحبكة مع أن أصحابها [illegible] بالتاريخ والصحراء والملابس المألوفة أن يستروا بها أشياء كثيرة من عدم كفاية الاستعداد ، وعدم حبكة الموضوع ، بعد أن جربوا التطرق للموضوعات المصرية ، فأخفقوا بعض الإخفاق ، أي أنهم لجأوا إلى الروايات التاريخية ليداروا بعض العيوب وليعبروا عن الصحراء والمناظر الطبيعية الساحرة ، وصور الشوارع القديمة ، مع أن الروايات التاريخية أو ذات المناظر الخارجية تحتاج عناية أكثر واستعداداً أوفى ، وتحتاج فيما تحتاج إلى براعة فائقة في الإخراج لا يعرفها إلا الراسخون في الفن [illegible] من الصدق أن نقول لهؤلاء ، حتماً من البداية إن عرضهم للروايات التاريخية لن يفيدهم شيئاً إذا قصدوا إلى ستر بعض العيوب أو الإفادة من الطبيعة ومناظرها . ومن تلك أن نقول لهم إن إخراج رواية تاريخية معناه الفن العظيم والعجب الكبير ، وليتنظروا كيف تعمل الشركات الأمريكية والأجنبية على الخصوص ، بل ليتأملوا كيف عمل استديو مصر في إخراج (لاشين) ، وليتريثوا قليلاً وليفكروا كثيراً قبل الإقدام على هذه المغامرات

ونحن على أي حال نتمنى لهم النجاح والسداد والتوفيق

([illegible])

أخبار سينمائية

جريتا جاربو وميلفين دوجلاس

استقر الرأي أخيراً على أن يكون ميلفين دوجلاس زميل جريتا جاربو في رواية نينوتشكا وهذه ليست أول مرة يظهر فيها ميلفين إلى جانب جريتا فمنذ أعوام ظهر معها في رواية (إنك في حاجة إليّ) ولم يكن وقتها قد نال إلا قليلاً من الشهرة

جاري كوبر

أمضى جاري عقداً مع صامويل جولدوين وستكون أول رواياته (النصر العظيم) مع أندريه ليدز في دور البطولة

تيرون باور

منذ عامين لم يكن تيرون باور شيئاً مذكوراً ، ومع ذلك فإنه في العام الأخير قد ظهر في خمس روايات كل منها تكلفت أكثر من مليونين من الدولارات ، وأحدها كما يذكر القراء رواية (قنال السويس) التي منع عرضها في مصر لتعرضها بتجريح لشخصيات تاريخية معروفة . أما (جيسي جيمس) فقد دخلت مصر أخيراً وقوبلت بحماسة من الجمهور في كل مكان. وهكذا أصبح تيرون في لمح البرق تحسده الملايين وتحوطه قلوب الفتيات في العالم!

مارلين ديتريش

وقد ظهرت في رواية (الملاك الأزرق) مع (إميل جاننجز) وسطع نجمها في رواية (مراكش) أو (قلوب محترقة) مع (جاري كوبر) واليوم تعمل مع شركة (بارامونت) وتعتز بمكانتها في هوليود وقد دعاها الهر هتلر أن تعود إلى بلادها فرفضت وفضلت الخروج من جنسيتها لتعيش حرة طليقة من كل قيد

تيرون باور وخطيبته [illegible]
وهما في طريقهما إلى إحدى دور السينما

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)

7me Année No. 323

Lundi - 11 - 9 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

٣١ — ١٣

من ذكريات الحرب الماضية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثير على إنسان واحد أن يشهد الحرب العالمية في حياته مرتين، فقد كانت الدنيا كلها لا تشهد حرباً عالمية إلا مرة في كل خمسة قرون أو ستة قرون، وكانت على أوسع ما تتسع له آفاقها تنحصر في دولتين أو ثلاث دول هي كل ما يسمى « العالم » في تلك العصور

أما اليوم فقد شهدنا الحرب العظمى قبل ربع قرن، وها نحن أولاء نشهد العالم كله منتظراً لحرب عالمية أخرى ينتظرون كل من على ظهر البسيطة من كبار الشعوب وصغارها ولم يشعر كواحد في قتال

ماذا وراء ذلك ؟ خير أو شر ؟ ونجاة أو هلاك ؟ وخطوة إلى حضارة أعلى أو نكوص إلى همجية الكهوف ؟

بشر ولا نذر !

وعلى هذه السنة نقول : إن تتابع الحروب العالمية دليل على وجود المشكلة العالمية بعد أن لم يكن لهذه المشكلة وجود، وبعد أن لم يكن للعالم نفسه شعور بوجوده مستقلاً عن عصبيات الدول والأوطان

ومتى ظهرت المشكلة فقد بدأ الحل، ومتى تفاقم الخطر فتلك علامة النهاية

أي نهاية ؟

نهاية الخطر أو نهاية العالم ؟

بل نهاية الخطر إن شاء الله

* * *

وذكريات الحرب الماضية حسن الحصر والإحاطة ، فهي أربع سنوات لم ينقض يوم واحد منها على غير تجربة جديدة من تجارب الفكر أو من تجارب المعيشة أو من تجارب الحياة

تقابلها أربعة آلاف سنة تجتمع في أربع سنوات ، لأن الحرب الماضية قد عرضت على الناس في مدى سنواتها الأربع كل ما عرضه تاريخ الإنسان من خبرة السياسة وأطوار التاريخ ، وقد أرتهم مصائر ملوك ودولات لم يرها الأقدمون إلا من وراء الأستار الطوال ، وهي فيض حسير عما يراه الناظر رؤية العيان

سأكتفي فأقتصر في هذا المقال على ذكريات تمس الأدب والصحافة لأنني أكتبه في صحيفة أدبية ، وفي سعته كفاية على ما أرجو عبرة للمعتبرين

كانت الرقابة شديدة على كل ما يطبع ولا سيما الصحف السياسية.

وكنا نحن الذين ننشر في الصحف بعض المقالات أو القصائد من حين إلى حين نعرف مبلغ تلك الرقابة ، ونسمي « الرقيب » بالمكتوبجي تشبيهاً له بالرقباء على الصحافة في تركيا القديمة ، أيام السلطان عبد الحميد

كان المكتوبجي التركي يلغي كلمة « الزلزال » ويحسبها عنده أن يكون الكاتب مشيراً بها إلى عرش السلطان مراد

وكان يلغي كلمة « الرشاد » لأن معناها عنده أن يكون المقصود بها ولي العهد محمد رشاد

وكانت تأتي الأنباء بقتل عظيم من العظماء فتنشر الصحف كلها خبر النبأ إلا الصحافة التركية فهم لا يعلنون إلا أنه قد مات بإحدى أزمات السكتة القلبية . وقس على ذلك سائر الأنباء

وعلى هذا النحو — أو على قريب من هذا النحو — سار بعض الرقباء في قلم المطبوعات الموكول إليه أن يراجع الصحف قبل نشرها ، وأن يحذف منها ما يثير الخواطر ولا يرضي الحماة ، فكانوا يفسرون بين السطور بل يحسبون في ألفاظ الكاتب حتى لا يقع في خلده أنه قد فاتهم شيء ، ومن « فوت » عليهم كثير من الكتابات ، وهم الأذكياء الألباء !

وحضرني من نوادرهم أنهم حرموا على ذكر الاستقلال في قصيدة شعرية نظيرة للقائد العظيم صورة الحماية الأخيرة لم يذكر استقلال مصر عند إعلان الحماية عليها بل وعد برعايته والمحافظة عليه

أرسلت إلى « الأهرام » صبيحة في وحي « عيد ... » نظمها الأبيات الآتية وتتضمن أمنية الحرب وأشواقها

الناس يختال لقوى سعيهم ... والدهر يختال النعيم اختيالا
فيها كل الفاخرين مفاخر ... منه مكانه من طول واعتلالا
دعيو الفاخرين اشكوا كي يدوم ... أسفاً وما قعس الثرى متعالا
ملك الفراعنة الجاه وجاهروا ... للملك أعلاماً بمصر طوالا
وبناة الأكاسرة البناة كأنهم ... عبروا بعلوية الزمان وصالا
ومضى البطالسة الكماة وعهده ... مصر بها شعب بها إقبالا
تعرض الأوطان وهي كأنها ... من عهد نوح تربة ورمالا
عهد على الله القدير ودمنة ... ألا صبر لنا الكوارث آلا
فاحضروا حب الشعوب واحرلوا ... حسط البنين معارفاً وجمالا
إنا مرجوون ووجوه أنه ... ما كان يوماً لا يكون محالا
وستقصر فلا تقولوا إنه ... صعب المنال بها فلا استقلالا

فحذفت القصيدة وليس منها البيت الأخير ، وسألت عنه أي صاحب أعمال لي رئيس التحرير ساخطاً في يخطي المكتوبجي هذه المرة لا في يطلع الشاعر ! أسمعت أن تحذف إلى جيب دهر هذا البيت المفرد من القصيدة ! !

وشاءت المقادير أن أعمل في قلم المطبوعات ، لأنني خلوت من العمل وأعفيت إلى الإقامة بالعاصمة بضعة أشهر في جو ريبة وفي عمل يحسبني ما كنت أعنيه من العمل

ثم أنا الآن أكون « مكتوبجياً » وأنا أعلم بعض المكتوبجي من السخرية في مجالس الأدباء والصحفيين

ثم مضى أسبوع واحد حتى جاءني مستر « هورنبلو » مدير المطبوعات إليه في مكتبه ، وكان رجلاً منصفاً بدي الفراسة صحيح الأشياء وفي مقدمتها اللغة العربية الفصحى التي لا يحسن نطقها ، وجدني قائلاً :

— إنه لم يكن مطلقاً منا عهدنا بعمل في هذه الوظيفة ؟

قلت : إنني لا أفهم ما تعنيه

قال : إنك لا تعوض الدقة في مراجعة الصحف ، وأراك أخيراً تركت في بعض الصحف ، وكان من حقها أن تحذف محافظة على الأمن الخواطر »

قلت : إني لا أجد في هذه الأخبار ما يمنع نشره بين المصريين ، وإني أقرأ في الصحف الإنجليزية مثيلاً ما هو أهم من هذه الأخبار فماذا يجب أن يجهل المصريون ما يعلمه الإنجليز وهم مجاورون ! !

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

- ١٤ -

أبدأ حديث اليوم بالاعتذار لفريق من القراء يرجون أن يكثر من الشواهد كلما سمحت فرصة الكلام عن إحساس ابن حمديس بالطبيعة والوجود ، فالنضال بيني وبين حضرة الأستاذ أحمد أمين يمس شؤوناً لا تهم غير الخواص ، وهم في غنى عن سرد الشواهد وضرب الأمثال

أما الأديب الذي كتب من القدس ولم يذكر اسمه ولا عنوانه فإني أرجو أن يعفيني من الإجابة عن رأيه في الأستاذ أحمد أمين لأنه من أعدائه ، أما رأيه فيّ فلا يحتاج إلى إيضاح ، وأما سؤاله عن كتاب « ليلى المريضة في العراق » وأثاره من شجون فهو أن نفسي أكثر مؤلفاتي ، ولكن أستطيع أن أقول إن القلوب التي أصبحت إلى نفسي تسير مجروحة ، وإنما أحب نفسي صورة إنسانية أحرص على صيانتها مما في الناس من عشق وعيوب ، ولكن في الواقع لا أهتم بأقاويل الناس ولا أقيم وزناً للأراجيف ، لأني مؤمن أصدق الإيمان بأن الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، فهم أعجز من أن يضروا أو ينفعوا ؛ وأنا فوق ذلك أعرف أن الأساس السليم هو خلوص النية ، وسلامة ما بيني وبين فاطر الأرض والسموات ، وهو جل شأنه يعلم ما بينه وبيني ، ولولا لطفه ورحمته وستره لكنت اليوم من الهالكين

كم تمنيت لو استطعت شكر الله على نعمه وآلائه ، ولكن هيهات ، فله نعم تجل عن الحمد والثناء ، ومن تلك النعم نعمة الرضا الطيب عما كتبه ويكتبه ، فلا أذكر أبداً أني عرفت أو شعرت من مكروه يمر بي . وهناك نعمة أعظم تفضل بها علي الله ، وهي الإيمان بأنه ينزل أحزاني هو وحده القادر على الصبر والتسليم ، فلا حشمت صبره ولا رهبت سواه

فإن كنت صادقاً عند الله جزاه الصدق ، وإن كنت كاذباً فالله وحده هو الذي يعلم سر القلوب ، وسر الغيوب ، وعليه أعتمد في نجاتي من شر نفسي

مولاي ! أنا أحب أن أكثر من الثناء عليك ، ولكني أخشى الوقوع في مراقي الرياء ، فارحمني بالقبول يا من لا يعرف البخل في الإحسان إلى المسيئين والخاطئين

إن الكافرين بنعمتك لم يقيموا وزناً لإحسانك فكيف يجوز نعمك وعفوك وسترك وأنا في سريرة نفسي من أخلص عبادك

مولاي ، إليك الأمر كله فاصنع ما تشاء ، ولي رجاء أن تحبب حبك في جميع الأحوال

* * *

أرجع كارهاً إلى محاسبة الأستاذ أحمد أمين

صرح الأستاذ بأن الدين له أثر كبير في الأدب ، لأنه من ناحية مصدر كبير من مصادر الإلهام الأدبي ، ومن ناحية أخرى إذا كان الأديب ذا دين وثني جامد ثار أدبه بمقتضاه فخرج مثله

والواقع أننا كنا نقرأ الصحف الإنجليزية ، ونتلقى منها خطر الأخبار وأهم الحملات في انتقاد تصرف الحكومة وكانت هذه الصحف كثيرة الانتشار في مصر لاكتثار الضباط والجنود الإنجليز بها ، فإذا وصل بها البريد بعد فترة من الزمن علمنا منها ما لا سبيل إلى العلم به من غيرها ، وعجبنا لشدة الحجر على الصحف المصرية بالقياس إلى تلك الحرية البالغة وتلك الصراحة الطريفة

سألني كاتب الصحف الإنجليزية بالمصري « هوورسلون » ونظر إليّ طويلاً ثم قال : هل أنت من الحزب الوطني ؟

قلت : كلا ، ولكني من المصريين

قال : حسن ، نحن لا نتفق ، وأومأ إلى الخزانة ، وانصرف وأنا أتعجب من الدكتاتورية وخلو من العمل في عالم الحرب الذي لا متسع فيه لصناعة الأدب ولا لصناعة الصحافة !

* * *

إلا أن الرقابة بغير عرض أعرف كثيراً من رقابة عرضها على الصحف وجل يحتوي على عرض حق لا علاقة له بواجب الوظيفة

فقد كان من الرقباء من يطمع في المكافأة ، وكان منهم من يتعمد حذف الأخبار من بعض الصحف لكي تنفرد بنشرها صحيفة أخرى بينه وبين أصحابها صلة قرابة أو مصاهرة

وقى الله الصحافة المصرية شر الرقابة « بيرش » والرقابة المترجمة من الأعراض على السواء !

عباس [illegible] العقاد

مادياً جامداً ، وإذا كان دينه يصل الخيال لاصقاً بالمطر والأرض كان خياله في أدبه مادياً كذلك ، لأن حياة الإنسان وعقليته وحدة لا تتجزأ ، وإن اختلفت مناحيها ومظاهرها . من أجل هذا نرى الأدب الجاهلي في الكثير الأغلب مادياً لا معنوياً ، ولا روحياً ».

ذلك كلام أحمد أمين . وهو بهذا الكلام يضع قاعدة أدبية هي تأثر الأدب بالدين

فدين الجاهلية في رأيه دين أرضي وضيع ، وكذلك كان أدبهم ، لأن الأدب من صور الدين

ولكن العرب لم يظلوا معتصمين بالوثنية ، فقد أنعم الله عليهم بالإسلام ، وهو دينٌ سماويٌّ رفيع ، فكان الواجب أن يتأثر أدبهم بذلك الدين فيسمو عن تلك الصبغة الأرضية الوضيعة

منطق الأستاذ أحمد أمين يقضي بذلك

ولكن الرجل يصر على رأيه في تحقير العقلية العربية فيزعم أن الشعر العربي لم يتغير بعد الإسلام ، وإنما ظل في أسر العقلية الجاهلية

فهل يكون معنى ذلك أنه كان غلطاً حين قال بتأثر الأدب بالدين ؟

أم يكون معنى ذلك أن الإسلام لم يستطع أن يغير تلك العقلية الجاهلية ؟

لا هذا ولا ذاك

فالعرب في جاهليتهم تأثروا بالوثنية ، وتأثروا في إسلامهم بالإسلام ، ولكن أحمد أمين يترجح في مواطن لا يجوز فيها الترجح

وإلا فمن الذي يقول بأن الشعر العربي لم يتغير ولم يتطور بعد ظهور الإسلام ؟

هل كان في الجاهلية شاعر كأبي العتاهية في الزهديات ؟

هل كان فيهم شاعر كالشريف الرضي في الحجازيات ؟

هل كان فيهم شاعر كأبي نواس في الخمريات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن المعتز في التشبيهات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن الفارض في الوجدانيات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن خفاجة في الوصفيات ؟

هل كان فيهم شاعر كشوقي في التاريخيات ؟

هل كان فيهم شاعر كحافظ في الاجتماعيات ؟

وهل استطاع الشعراء الجاهليون أن يصنعوا ما صنع الشعراء الإسلاميون في تنويع القوافي والأوزان ؟

هل عرفوا الابتكار الذي أبدعه الأندلسيون والمصريون والعراقيون ؟

هل عرفوا تسجيل التاريخ بالشعر كالذي صنعه بعض شعراء مصر والأندلس ؟

إن أحمد أمين يشهد على نفسه بأنه لا يدري حين يحكم بأن الشعر الإسلامي صورة من الشعر الجاهلي ؛ وإلا فليتفضل [illegible] الوصف فليدلنا على باحث يؤيده في هذا الرأي الغريب

وهل في الدنيا كلها رجل يجرؤ على القول بأن الشعر الإسلامي في مختلف عصوره ليس إلا نسخة ثانية من الشعر الجاهلي ؟

إن أحمد أمين اختتم مقالاته في مجلة الثقافة بتلخيص كتاب القرشي ، وهو كتاب شرح أغاني الشعراء في وصف حياة القصور وملاعب اللهو والمجون

فهل كان في شعراء الجاهلية من يعرف تلك الأغاني ؟

ومن هم العرب بعد الإسلام في رأي أحمد أمين ؟

يجب أن نعرف أولاً من هم العرب في رأي هذا « الأديب »

فظاهر كلامه يدل على أنهم سكان البوادي العربية ، وسكان البوادي يتطورون تطوراً بطيئاً جداً ، وتظل أحوالهم متقاربة الأشكال والأوضاع ألوفاً من السنين . ومع ذلك لا يمكن القول بأن الإسلام لم يغير سكان البوادي ولم ينقلهم من حال إلى أحوال في العقائد والتصورات ، لأن الإسلام نقل البوادي العربية نقلة عنيفة وحول سكانها إلى رجال مؤمنين يتأسون بما في القرآن من صور النعيم والعذاب . ولو أن أشعار سكان البوادي دُوِّنت وعرفت مذاهبها ونصوصها لاستطعنا أن نعرف إلى أي حد أثر الإسلام في تلوين الصور الشعرية عند سكان البوادي العربية

ولكن أحمد أمين قد لا يرضى بظاهر كلامه فيقول إن العرب بعد الإسلام هم الأمم التي تكلمت لغة القرآن في الشرق والغرب بعد ازدهار الحضارة الإسلامية

فإن قال ذلك فقد حق عليه الخطأ من جهة أخرى من ضعف سيطرة القرآن على الأخيلة الشعرية في تلك الشعوب

إن أحمد أمين لم يدرس الشعر الإسلامي دراسة جدية ، وماضيه العلمي يشهد بذلك ، فأعماله كلها كانت محصورة في الدراسات الشرعية والأخلاقية ، ولو شئت لذكرته بالأساس الذي أقيم عليه كتاب فجر الإسلام ، فقد كان مفروضاً أن يدرس أحمد أمين

تطور التأليف، وأن يدرس طه حسين تطور الأدب، وأن يدرس عبد الحميد العبادي تحول السياسة. فالرجل في نفسه وفي أنفس زملائه مؤرخ لا أديب

وما يعيب أحمد أمين ألا يكون أديباً، فله مواهب في شؤون غير شؤون الأدب سوغت عليه هذا النقص، ولو وقف حياته على دراسة الفقه والتوحيد لظفر بنصيب من التفرد والتفوق

ولكن يعيب أحمد أمين أن يحاول تعقب سرائر الشعراء والكتاب والخطباء، وهو ليس بالشاعر أو الكاتب أو الخطيب

وشاهد ذلك موجود: فهو يحكم بأن الشعراء لم يجاروا القرآن، مع أنه لو نظر في كتب البلاغة وكتب الأدب لعرف أن تضمين آيات القرآن كان من الأغراض الملحوظة عند الشعراء، ولعرف أيضاً أن حفظ القرآن كان من الفرائض التي تواصى بها الشعراء

لو درس أحمد أمين تاريخ الأدب لعرف أن من الشعراء من كان يقيد نفسه بحفظ القرآن، ولعرف أن أبا إسحاق الصابي وهو على غير الملة الإسلامية كان يقرأ سوراً من القرآن قبل أن يشرع في النظم أو الإنشاء، حتى صح القول بأن بلاغة القرآن كانت تجري على لسان أبي إسحاق

ولما اتهم أبو تمام بأنه يشبه ممدوحه بأجلاف العرب ترنم فقال

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

وهذه البديهة تشهد بأن أخيلة القرآن كانت تلاحق ذلك الشاعر الفنان

واتفق مرة أن اعترض أحد الأدباء على الاستعارة في قول حبيب

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

وأرسل حاسده بجرة وقال: إن مولاي يرجوك أن تملأ هذه الكأس من ماء الملام، فقال حبيب: قل لمولاك يتفضل أولاً بإرسال ريشة من جناح الذل!

فهل هناك أبلغ من هذه الشواهد في الدلالة على أن الشعراء كانوا يتأثرون أشد التأثر بأخيلة القرآن؟

* * *

وهنا مسألة دقيقة لم ينتبه لها الأستاذ أحمد أمين، وهي مسألة لم تدرس قبل اليوم، وسيكون لها صدى عند الباحثين المهتمين بدراسة الشعر الجاهلي

وتلك المسألة هي تأثير القرآن في الشعر الجاهلي نفسه

ولكن كيف؟ إن هذا لمن يسمع كلامي من الغرائب: كيف يؤثر القرآن في الشعر الجاهلي مع أن الشعر الجاهلي أسبق؟

نعم، القرآن أثر في الشعر الجاهلي تأثيراً عنيفاً عند وضعه في الغربال ولم يستبق منه غير ما كان نقيه عربياً، ومعنى هذا أن القرآن

فالأشعار الجاهلية التي شرّقت وغرّبت بعد الإسلام هي الأشعار التي تسامر القرآن من الوجهة اللغوية والنحوية، فيعد الشعر هنا أثراً من الشواهد النبيل الذي احتاج إليه اللغويون والنحويون والصرفيون

وهذا «التوحيد» الذي صنعه القرآن كانت له يد في «توحيد» اللغة العربية. فلولا القرآن لظل الشعر الجاهلي مختلف الصيغ والأوزان والأشكال، ولكان باباً إلى «بلبلة» الذوق العربي باختلاف اللهجات والأذواق

فالقرآن هو الذي ساق العرب على اختلاف قبائلهم ومواطنهم ولهجاتهم في تيار واحد، وهو الذي جعل من الشعر الجاهلي سناداً لما فيه من ألفاظ وتعابير، بحيث لم يبق من ماضي الجاهلية غير ما أراد به القرآن أن يبقى

فلا تقل يا أحمد أمين إن الشعر الجاهلي قد نسيته العقلية الإسلامية، ولكن قل إن الإسلام هو الذي استبقى الأشعار الجاهلية وصيرها من شواهد القرآن

* * *

وهناك مسألة أدق، وقد يقنع بها من يؤرخون الأدب العربي، وهي سبق القرآن إلى غزو الأذواق والقلوب في البلاد التي فتحها المسلمون. فالمعروف عند المؤرخين أن الحياة الدينية كانت تسبق الحياة الأدبية في كل بلد يدخله الإسلام، لأن الإسلام شريعة دينية واجتماعية، قبل أن يكون شريعة أدبية وذوقية. فالفرس والهنود والمصريون والأندلسيون عرفوا القرآن قبل أن يعرفوا الشعر الجاهلي، وكذلك كان القرآن أسبق إلى تكوين ما صار عند تلك الأمم من شمائل وأذواق

وأحمد أمين صرح بأن الأدب يتأثر بالدين، فكيف جاز عنده ألا يتأثر المسلمون بأدب القرآن وهم يقرأون سوره في الصلوات ويتدبرونه صباح مساء؟

إن البيت الواحد من الشعر قد يؤثر في نقل الذوق من وضع إلى وضع ، فكيف يجوز أن يُحرَم القرآن هذه المزية وهو يحمل مئات من الأخيلة والتعابير والمعاني ؟

إن القرآن هو أساس ما عرف المسلمون من المذاهب التشريعية والنفسية ، وهو عندهم المرجع في الشواهد اللغوية والنحوية والبلاغية ، فكيف يُزعَم هذا الزعم بدون أن يؤثر في أذواقهم الأدبية ؟

أليس من العجيب أن يقع هذا القول من أحمد أمين وهو يعرف أن وزارة المعارف المصرية توجب على معلم اللغة العربية أن يحفظ القرآن ؟

إن كلية الآداب التي يتشرف بالانتساب إليها أحمد أمين قد اشترطت حفظ القرآن ، ووصيت بألا يكون خريجها حظ في تدريس اللغة العربية بالمدارس الأميرية إلا إن كانوا في الأصل من طلبة الأزهر الشريف

فما معنى ذلك ؟

أليس معناه أن الأمم الإسلامية قد توارثت الاعتقاد من جيل إلى جيل بأن القرآن له تأثير شديد في تكوين الذوق اللغوي والأدبي ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الأستاذ مكرم عبيد حفظ القرآن لتروض لسانه وجوده على الفصاحة العربية ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الدكتور يعقوب صروف كان يملك خمس نسخ من القرآن ليستطيع الأنس بالبلاغة القرآنية في كل وقت ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن من المبشرين من عاش متنكراً في الأزهر بضع سنين ليتذوق بلاغة القرآن حتى يستطيع أن يواجه الجماهير بلسان عربي مبين ؟

ما معنى ذلك أيها الناس ؟

معناه أنه صار معروفاً عند كل عارف أن القرآن أمتن ركن من أركان الفصاحة العربية ، فكيف يجوز القول بأنه لم يؤثر في أخيلة الكتاب والشعراء والخطباء ؟

أقول هذا وعندي خاطر خطر لي من الحيرة الدينية ، فليس من همي أن أحمل أسلحة القرآن ، وإن كان ذلك مما يشرفني لو سموت إليه ، وإنما أنا رجل أشتغل بتدريس اللغة العربية ، وفي تلاميذي مسلمون ونصارى ويهود ، ومن واجبي أن أرشدهم جميعاً إلى الحرص على تذوق البلاغة القرآنية ، لأنها بلغت الغاية في الدقة والعذوبة والجمال

• • •

وأريد أن أستقصي هذا الموضوع بعض الاستقصاء فقد يجيء الموقف من توضيحه بالتفصيل فيما بعد

إن أحمد أمين يعرف عند الشعر في درس تأثير القرآن ، لأن الوقوف عند الشعر يصحبه قليلاً من الحطب ، إن كان من الممكن أن يعرف سبيل النجاة بعد أن وقع منه ما وقع وهو نفسه ظالم

والأستاذ أحمد أمين أن يلتمس مذاهب النجاة ما يشاء ، أما أنا فسأتوجه بطريق من جديد فلا يعرف سبيل الخلاص وإن بالغ في التشكك والتوجع ، واستعدي عليها ملائكة وملاك

لا بد أن يكون أحمد أمين قد سمع تأثير الإنجيل في الأدب الفرنسي ، ولا بد أن يكون سمع بأن شاتوبريان تأثر في أدبه بأخيلة الإنجيل

فمن يمكن القول بأن أثر القرآن في اللغة العربية أقل من أثر الإنجيل في اللغة الفرنسية ؟

إن أحمد أمين جعل نفسه عدواً متعسفاً ، إن قال بذلك !

وعدله أن يقول ، أضلله ، أعدله ، إن وجد السلامة في غير التعسف

إليك أيها الصديق

إن القرآن قص على الناس أخبار الأنبياء ، فهل تعرف ما ابتدع المسلمون من الأقاصيص حول الأنبياء ؟

وهل تعرف كم صنف عرض المسلمون لشرح ما في القرآن من أخبار وأقاصيص ؟

وهل تعرف عدد التفاسير التي ظفر بها القرآن المجيد ؟

حدث القرآن عن بعض أخبار يوسف مع فرعون ، فهل تعرف أن هذا الحديث كان له مئات أو ألوف من الحواشي والذيول

ألا تصدق أن هذه الثروة القصصية أثر من آثار القرآن ؟

وهل يعرف أحمد أمين أن جميع العلوم التي عرفها المسلمون كان لها ثمرة هي تأييد القرآن

لقد استطاع القرآن أن يؤثر في كل شيء حتى العلوم الرياضية حتى عد أهلها تأييد لآيات القرآن المجيد

والذي يراجع أحوال العرب والمسلمين في حياتهم العقلية والأدبية يراهم يدورون حول القرآن في أكثر الشؤون

ومن منطلق كل هذا نرى الأبيات التي تقول :

في ميادين كثيرة من مسائل اللغة والموضوع ثم الفكر و «الفن» في أغلب العلوم وجمع إلى تأييد القرآن من الوجهات التشريعية واللغوية والعقلية علوم الفقه والتوحيد والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع ولو حسبنا جميعاً حجم ما يشتمل عليه القرآن من أغراض علمية أو أدبية

وقد شرحت ذلك في كتاب النثر الفني حين تكلمت عن مذاهب كتّاب النقد الأدبي، ولكن ذلك النقد لم يسق حظ الفرص البادي من المتقدمين في فهم دقائق القرآن

ومعنى هذا الكلام بطريقة صريحة أني كنت أحب أن تكون العلوم العربية والأدبية مقصودة لذاتها، بصرف النظر عن جعلها وسيلة لفهم أسرار الإعجاز في القرآن المجيد، ولكن ما كنت أعلم أن سيجيء رجل كالأستاذ أحمد أمين فيحكم بأن القرآن لم يؤثر في الحياة الشعرية، ويقول إن ما وضع من الأدب لا يصح وجوده إلا في البيئة القاصرة، والمسحات الصوفية، مع أن العرب قد استوحوا القرآن في جميع الشؤون وجعلوا الأدب كله وسيلة لفهم ذلك القرآن

وخلاصة القول أن حفظ القرآن وفهمه كان من الوسائل التي يتذرع بها الشعراء والكتّاب والخطباء للتفوق في البيان، فكيف يجوز القول بأن الشعراء لم يتأثروا به في تطور التعابير والأغراض ؟

ولقد كررنا مراراً أن العرب بعد الإسلام لم يكونوا أمة واحدة، فقد انتشرت اللغة العربية في أقطار كثيرة مختلفة المشارب والأذواق، وكان المتأثرون بها يعدون العشرات من الملايين، فهل يمكن الحكم بأن تلك الأمم جميعاً أصحاب الفطر لم تنتفع واحدة منها بأسلوب القرآن ؟

وهل هذا يعقل إلا عند من يسارعون إلى ارتجال الأحكام بلا مراجعة ولا استقصاء ؟

إن مؤرخي الأدب الفارسي ومؤرخي الأدب التركي نصوا على أن القرآن أثر في هذين الأدبين تأثيراً بليغاً، فكيف يجوز ألا يتأثر الأدب العربي بالقرآن وهو به ألصق، وإليه أقرب، ومن أخيلته وألفاظه وتعابيره يستمد القوة والحيوية ؟

أنا لا أستطيع القول بأن الأدب العربي وصل إلى ذلك الحد من الجمود في الاستفادة من القرآن مع أنه استفاد من كل ما وصل إليه من تجارب الآداب الأجنبية، وقد استطاع بالفعل أن يؤرخ الحضارات التي عرفت في الشرق والغرب، فكيف صار [illegible] العرب في الممالك الأسيوية والإفريقية والأوربية

ولا ينكر ذلك إلا رجل يكابر فيما عرفه الأجانب و[illegible]

***

ونختم كلمة اليوم بعرض فكرة لا يختلف فيها اثنان

وتلك الفكرة هي تأثير القرآن في وحدة اللغة العربية، فلولا القرآن لانقضت الحياة في لغة قريش بعد نحو خمسة عشر قرناً ولو أن العرب خلت حياتهم من الدعوة الإسلامية لكان من المستحيل أن يكون في الدنيا إنسان يفهم ما أثر من لغة قريش قبل الإسلام بقرن أو قرنين

وإنما استطاع القرآن أن يحفظ وحدة اللغة العربية، لأنه كان مفهوماً في كل أرض أنه نموذج عالٍ للبلاغة العربية، فكانت البلاد الإسلامية ترجع إليه في صيانة لسان العرب من العجمة والإعراب

والكاتب الذي يدرس لغته في أي قطر من الأقطار الإسلامية لا يبقى بينه وبين أدوات الشعراء حجاب

ولماذا يريد هذا الأستاذ الفضال ؟

أيريد أن يُبلي الناس عقولهم ليصدقوا أحكامه الجزافية على ماضي الأدب العربي ؟

إن جميع القراء قد اتفقوا على أن فتنة زلت وهو يحاول تزهيد الجمهور فيما ورثناه من الآداب والأحلام من الثروة اللغوية والأدبية، ولو أني استبحت نشر ما كتب من أصدقائه الأوفياء في نقد ما [illegible] إليه، لمادت الأرض تحت قدميه، وعرف أنه يتعلق بخيوط الأوهام حين يظن أن في القراء من ينظر إلى أحكامه الأدبية بعين الاستحسان

إن الأستاذ أحمد أمين يعاني اليوم أزمة أخلاقية، لأنه يعرف أن الاعتراف بالخطأ من مكارم الأخلاق، ولكنه لم يعترف بخطئه خائفاً سيحبون القراء هدايته إلى الحق، وهو يحنو على نفسه إن كان يحرم أن يعرف نفسه من يحسب الميزان الشعبي بين الحقائق والأباطيل

وسترى في المقال المقبل شواهد جديدة من أحكام ذلك الرجل الفضال

زكي مبارك

المعاملات في الإسلام

للأستاذ محمد بهجة البيطار

طالعت في الرسالة الغراء سؤال الأستاذ الطنطاوي الذي وجهه إلى (المفكرين) من علماء المسلمين، ودعاهم فيه إلى النظر في مشاكل هذا الزمن المتنوعة، وحل كل المشاكل الكثيرة التي أوقعتهم في بحران من الاضطراب عظيم، وسلكت بهم في سبيل ابتعاده عنه طرائق قدداً. وقد بنى سؤاله على أساسين كاذبين: (أولهما) أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، (وثانيهما) أنه يجعل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية في العلم والقوة والمال والحضارة، (قال): فكيف يتفق مع صدق الأساسين وجود أحكام في الفقه لا تصلح لهذا الزمن، وأحكام تجعل المسلمين دون الأمم الأخرى في ميادين الحياة؟ وضرب لذلك الأمثال من كتب الفقهاء المتأخرين، وما وضعوه من شروط وقيود، لبعض البيوع والعقود، يتعذر تطبيقها على كثير من المعاملات في هذا العصر، وعلى ما جرى عليه عرف الناس في المعاملات الرسمية؟ وبين إعجابه بالفقهاء المتقدمين الذين درسوا وقائع أزمانهم، وطبقوا عليها الأحكام، وفرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها (وهذا مما عابه السلف الذين كانوا يفتون بالواقع، ويسكتون عن القول بما لم يقع إلى زمان وقوعه، فتكون الفتاوى مبنية على الزمان والمكان والأحوال والأشخاص) ونعى على بعض المتفقهة المتأخرين جمودهم على الفقه الموضوع في القرن التاسع والعاشر، وأثنى على الأستاذ المحدث المحقق الشيخ أحمد شاكر بما كتب في مسائل الطلاق، وقال: فمتى يمد العلماء إلى الكتابة

أقول: لا شك أن واجب العلماء هو مواجهة المسائل التي ظهرت في هذا العصر وبيان الحكم في استعمال جميع ما استحدث من المخترعات إلى اليوم، على قاعدة جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها، أي أن تكون فتاوى العلماء الراسخين في أسرار التشريع، وكنه الزمن، وحاجة الأمة ساعية إلى حفظ وحدتها وتنمية ثروتها، وحماية حوزتها، ودفع عوادي الشر عنها، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدى الإسلام، وترشد إليه آيات القرآن، وأن المسلمين هم أولى بالمسابقة والسبق في هذا المضمار، كاستثارة دفائن الأرض مثلاً، واستخراج كنوزها ومعادنها، وعمارة الأرض بالزراعة، ونشر القرى، وإقامة الجسور والسدود، وتشييد الدور والقصور، وإنشاء السكك الحديدية، وإصلاح الزراعة والفلاح، فهو عين ما يذكره الفقهاء في أبواب الأنهار والمعادن وإحياء الموات، ومطابق لنصوص الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وصنع المصانع والمعامل، والطائرات والطيارات والمدرعات والغواصات، والكهرباء وسائر ما ظهر في الوجود من المخترعات والمكتشفات النافعة هو مما أرشد إليه الإسلام، ودل عليه مثل قوله تعالى: «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه»، فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لأحكامه

وهذا هو الفقه العام في الإسلام، وفقه الفروع والأحكام مشتق منه أو هو جزء منه. فالفقه بإطلاقه سداد في العلم، ودقة في الفهم، وإصابة في الحكم. وهو الذي دعا به الرسول (ص) لابن عمه عبد الله بن عباس بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، فكان فقيه الأمة وترجمان القرآن

وهذه الطريقة في فهم الدين والتفقه فيه هي التي جرى عليها في هذا العصر إمامه السيد محمد رشيد رضا (رحمه المولى ورضوانه) فقد أحدث منه مجموعة فريدة يحل في مناره وتفسيره عقد المشكلات الدينية العسيرة، ويبين للأمة وجه الحق فيها، وطريق الخلاص منها، مستهدياً بهدي السنة والتنزيل، وهما خير هاد ودليل، مسترشداً بسنن الوجود التي لا تبديل فيها ولا تحويل، وكانت فتاويه تبحث في أدق المسائل الإسلامية، وتحل أعقد المشاكل الاجتماعية حلاً يلائم حاجة العصر، ويتمشى مع قواعد النصوص الشاملة، والمصلحة العامة الراجحة. وقد تكلم عن بعض المسائل الفقهية التي عرض لها الأستاذ الطنطاوي في مقاله كمسألة الإجارة وعقد الاستصناع في المصانع، وكالمصارف المالية وسندات الأسهم، وفصل القول في تحريمها لأنها من الربا، وتوعد عليه بأشد الوعيد، وبين وجه تحريمه، وعقد فصلاً مستقلاً في حكمته وانطباقه على مصلحة البشر، وهو من الحجة لله سبحانه بما لم يتوفر لغيره من التشريع. وقد ختم هذا الفصل بقوله: «من هنا يتبين خطأ الإنسانين (أي الرجلين والشيخ محمد عبده) من أن تحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة، الموافق لمصلحة البشر، المنطبق على قواعد الفلسفة، وأن إباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشئون الاجتماع، زادت في أطماع الناس وجعلتهم ماديين لا هم لهم إلا الاستكثار من المال

وكلما عظمت ثروة البشر في أوربا عمهم ، ويجعل بعضه الناس عالة عليهم . فإذا كان المفتونون من المسلمين بهذه المدنية يكرهون من دينهم تحريم الربا بغير فهم ولا عقل ، فسيجيء يوم يعرف فيه المفتونون بأن ما جاء به الإسلام هو النظام الذي لا تتم سعادة البشر في دنياهم فضلاً عن آخرتهم إلا به ، يوم يثور الاشتراكيون في الممالك الأوربية ، ويهدمون أكثر دعائم هذه الثروة المادية ، ويرغمون أنوف المحتكرين للأموال ، ويلزمونهم برعاية حقوق المساكين والعمال » (٣ : ١١٣)

إن من رأي السيد الإمام (كما صرح به في مواضع من تفسيره) أن البلاد التي أحلت قوانينها الربا قد محت منها رسوم الدين ، وقل فيها التعاطف والتراحم ، وحلت القسوة محل الرحمة ، حتى أن الفقير فيها يموت ولا يجد من يجود عليه بما يسد رمقه ، فنبت من جراء ذلك مصائب أعظمها ما يسمونه المسألة الاجتماعية ، وهي مسألة تألب العملة والعمال على أصحاب الأموال ، واعتصابهم المرة بعد المرة بترك العمل ، وتعطيل المعامل والمصانع لأن أصحابها لا يقدرونهم حق قدرهم ، بل يعطونهم أقل مما يستحقون ، وهم يتوقعون من عاقبة ذلك انقلاباً كبيراً في العالم ، ولا علاج لهذا الداء إلا رجوع الناس لما دعاهم إليه الدين . ولكن من الناس من ظن اليوم أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه . (قال) وهذا باطل في نفسه ، إذ لو فرضت أن تركت جميع الأمم أكل الربا صار الموسرون منهم يقرضون المعسرين قرضاً حسناً ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالكسب من موارده الطبيعية ، كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء مبنياً على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون الذي يحبب الغني إلى الفقير ، وما وجد فيها الاشتراكيون الغالون ، والفوضويون القتالون

وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها ، فكانت خير مدنية في جنسها ؛ لأن ما شرعه الإسلام من منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة ، وهو أفضل ما يحتاج البشر في حياتهم الدنيا

الشركات والتجارة الكبرى

أسس في مصر أكبر شركة زراعية صناعية تجارية أسست بأموال المصريين ، وأخذت عوائد الشركات المالية والتعاون الاقتصادي ، وأقامت هذه الشركة ما يحتاج إليه أبناء الزارع والصانع والتاجر ، وآوت إليه أسراب العاطلين وكانت حرباً على البطالة ومفاسدها ، وزاحمت الشركات الأجنبية في البحر والبر ، فأشعر مصر حرمة الاستقلال الاقتصادي الذي لا يتم الاستقلال السياسي بدونه ، فهذا التعاون الاقتصادي الذي نهض بمصر هو نموذج من مدنية الإسلام الأولى التي تقوم على أساس استثمار الموارد الطبيعية ، وتنمية الثروة العامة ؛ لا على سبيل تلك المعاملات الربوية لسلب ثروة الأمة وإفقارها ، ثم الاستيلاء على مواردها ومسالكها ، بحجة المحافظة على المصالح والأموال ، كما فعل الأجانب بملكنا وحكوماتنا . فنحن معشر المسلمين لو كنا متمسكين بقرآننا الذي حرم الربا لسعينا إلى إنماء الثروة وتلك ، وأعددنا رجالاً لاستخراج كنوز أرضنا ، وتعمير بلادنا ، ونشر شأننا ، ولكنا بقينا مستقلين بأنفسنا ، أحراراً في ممالكنا ، فكيف يكون الربا الذي كان السبب في استعبادنا وسيلة لإنقاذها وإسعادها ؟

ويقول الأستاذ الشطاوي يرى أن البنك لا يستعمل المال في التجارة ، ولكن يستثمره بطريق الربا بحتاً ، وهي التي لا وجه لها عندي . أقول قد أوضح هو أيضاً الفرق في مقاله أو سؤاله بين الربا الفاحش (على طريق الفائدة المركبة ، أي الربا مضاعف ، وبين معاملات المصارف ، فقال في الأول على طريق الاستفهام الإنكاري ، وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب البيوت ، وتنازع بين الناس ، وصرف السماء إلى التعوس ؟ وقال في الثاني فأنت ترى أن معامل المصرف لا تشمل حاجته ، ولا ترهقه بالفائدة التي هو الذي يرضاها عليك ، فهو أشبه بشركة المضاربة (ظ) ؛ وهذا يعود إلى الفرق بين ربا النسيئة الذي كانوا يتعاملون به في الجاهلية مثل أن يُنسيء الدائن (أي يؤخر) دَينه ويزيده الدين في المال ، وكلما أنسأه أي أخر الدَّين في كل ثلاثة زاد في المال ، حتى يصير المائة عنده آلافاً مؤلفة ؛ وربا الفضل الذي كان تحريمه وسيلة لا مقصداً ودلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري (رض) عن النبي (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإني أخاف عليكم الرماء (أي الربا) فربا النسيئة محرم لذاته ، وفي الصحيحين : إنما الربا في النسيئة وفي رواية . لا ربا إلا في النسيئة ، وربا الفضل محرم لسد الذريعة أي لئلا يكون وسيلة إلى ربا النسيئة ، وما حرم لذاته لا يباح إلا للضرورة كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وما حرم سداً للذريعة

أبيح للحاجة والمصلحة الراجحة ، وبنى على ذلك الإمام ابن القيم في أعلام الموقعين جواز بيع الحلية من الذهب والفضة بنقود منهما تزيد على وزنها في مقابلة ما فيها من الصنعة . واستدل على هذا الجواز بأدلة معقولة ومنقولة أيضاً ، واستشهد على جواز ربا الفضل للمصلحة الراجحة بإباحة النبي (ص) بيع العرايا ، وهو من بيع المتماثلين في الجنس مع عدم التحقق من المساواة . فالتمر يجمع حرمة كسبه ربوياً ، وهو بيع ما على النخل من الرطب بما يخرص ويقدر به من التمر لحاجة من يملكه إلى أكل الرطب ، فيشتريه به . فالتمر يجمع صفة واحدة ، والرطب يعني التمر ، وقد رخص النبي فيها . وذكر ابن القيم من نظائره أيضاً إباحة نظر الخاطب والشاهد والطبيب ونحوهم إلى المرأة الأجنبية وإباحة لبس الحرير للرجال لنحو الحكة أو القمل ، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك كله (قال رحمه الله) وأن مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصناعة بحظها من الثمن ، من مفسدة الحيل الربوية ، التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . وإذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ما شاء ، وبالله التوفيق (٢ : ٢٧٥) وقال أيضاً : هذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ، ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو بالحيل ، والحيل باطلة في الشرع ا هـ

تفسير المنار ومقالات الربا وعمل المصارف

من العجيب الغريب أن يتهم السيد صاحب المنار (رحمه الله تعالى) بتحليل ما حرم الله من الربا ، وما أوعد عليه من مفاسد الربا ومصائبه ، هو شيء من كثير مما كتبه في تفسيره وغيره ، وآخره ما جاء في الجزء الرابع والثلاثين من المنار وهو خاتمتها ، فقد سئل عن أخذ الربا من البنوك لإنفاقه على الفقراء ، فقال من المعلوم من الدين بالضرورة أن الربا القطعي لا يجوز أخذه للتصدق به ولا التبرع ، لأن التقرب إلى الله لا يكون بما حرمه الله ، فإن هذا تناقض بديهي البطلان ، ولكن لاستغلال المال في الشركات المالية من المصارف وغيرها أعمالاً ليست من الحرام القطعي قد بيناها من قبل ، وسيكون كتاب الذي وعدنا بإكماله هو المفصل لها إن شاء الله تعالى . وقد نقل عن ابن جرير ما قاله أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الفرق بين ربا الجاهلية المحرم لذاته ، وربا الفضل المحرم لغيره ، وتقدم بيان ذلك . أما الكتاب الذي وعد بإكماله ونشره (رحمه الله) فهو في مباحث الربا والأحكام المالية التي اقتضتها الحاجة إليها في هذا العصر ، وفي الأصول والقواعد العامة للحلال والحرام ، وذكر فيه أن جمهور المسلمين في حرج شديد من هذه المشاكل المالية العصرية ، وكلهم يتمنون لو يجدون لهم مخرجاً منه مع المحافظة على دينهم مبني على التقوى ، وسعوا الاجتهاد في أحكام المعاملات المالية حتى أدخلوا في معنى الربا كثيراً من صور البيوع والقروض والشركات التي لا تدخل في ربا القرآن الأصلي (النسيئة) ، ولا في ربا الحديث الاحتياطي من باب سد الذرائع إلا بالتأويلات المستنبطة من التعاريف والأقيسة والضوابط المذهبية الاجتهادية كما قال . وليت هذا الكتاب تم وأخرج للناس قبل وفاته لنجى الناس منهم القضاة من هذا التخبط والاضطراب

ولقد عنّ الآن من هذه الأقوال المصرية التي أذاعها عنه ابن عمه الأول أن يجتنب المسلمون الربا الذي حرمه الله ورسوله ، وأن تجرى بيوع المسلمين وقروضهم وشركاتهم على نحو ما سارت عليه في خير عصور هذه الأمة وأعصارها ، مع وضع حدود وضوابط للاضطرار والحاجة إلى المحظور في القواعد المستنبطة من الأدلة كقاعدة اليسر ورفع الحرج والعسر ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وكون المحظور لسد الذريعة يباح للحاجة إليه ، ورجحان المصلحة على المفسدة ، ولم يقدر هو ضرورة الأفراد ولا حاجتهم ، بل وكل أهل الدين منهم إلى معرفتهم بأنفسهم (قال) : وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها غير الذي فيه التنازع . وعندي أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما يرد هذا الأمر إلى أولي الأمر من الأمة ، أي أصحاب الرأي والشأن منها والعلم بمصالحها عملاً بقوله تعالى في مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، (قال) : فالرأي عندي أن يجتمع أولو الأمر من مسلمي هذه البلاد (بلاد مصر) وهم كبار العلماء الدينيين والقضاة ورجال الشورى والمفكرين والأطباء وكبار التجار وغيرهم ويتشاوروا بينهم في المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه مما تمس إليه الضرورة أو تشتد إليه حاجة الأمة فتزول . وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها ومرجعه عندي أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما يرد مثل هذا الأمر إلى أولي الأمر من الأمة ، وهو في معنى قول الأخ المتطاوي ، وهي التي لا وجه لها عندي ، وهو قول علمائنا الأعلام ؟

عهد من الأعلام لم يجزم بشيء ، بل صرح بأن أولى الأمر من المسلمين — وهم أصناف الأمة الذين ذكرتم مختصين — هم الذين يقررون ضرورتها ، فأين قول المشايخ بأنه أباح الربا هو وشيخه الشيخ محمد عبده ؟ وإنما تكلم عن مسلمي مصر لأنه يبحث عنهم .

ولو كان الكلام في ضرورة الإسلام لصرح بوجوب اجتماع أو إجماع أولى الأمر من المسلمين في أقطار الأرض على تحديد ضرورة الأمة . وإذا فوض الأمر إلى (المنكرين) من علماء المسلمين كما قال الأستاذ المنفلوطي يبحثون في وسائل هذه الأمور ومقاصده وجعلوا المعاملات المالية على أسس الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان ، والتي يستفيدون منها للتوافق والتآلف أن قواعد الاقتصاد في الإسلام هي أرقى ما أبدعه الإنسان ، وأحق بتكييف معالم الحضارة والعمران .

البيوع والمعاملات

أما ما وضعه بعض الفقهاء من شروط وقيود لبعض البيوع والعقود ، مما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، بعد أن تكفل ربهم عز وجل وأحله ومصالحه ، وأما نهى الرسول (ص) عن أنواع من المعاملات والبيوع كانت في الجاهلية لما فيها من غبن وغش وعقد وغرر ، وأمثلتها معروفة في كتب السنة . والمعاملات تفترق عن العبادات في كون الأصل فيها الإباحة والصحة ، حتى يقوم الدليل على التحريم والبطلان . وأما العبادات فلا تكون صحيحة ما لم تكن قائمة على أمر الله ، وعلى الوجه الذي شرعه ورتضاه . وفي الأعلام للإمام ابن القيم مباحث نفيسة في ذلك أكتفي منها بقوله (رحمه الله) .

(الخطأ الرابع) اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فإذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط أو عقد أو معاملة استصحبوا بطلانه ، فأفسدوا بذلك كثيراً من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله بناء على هذا الأصل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الأصل في العقود والشروط الصحة إلا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح ، فإن الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه (إلى أن قال) فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال . وقد صرحت النصوص بأنها على الإباحة فيما عدا ما حرمه ؛ وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود والعهود كلها ، فقال تعالى « وأوفوا بالعهد » وقال « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقال تعالى « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » (ج ٢ ص ٣٤٤ من أعلام الموقعين) .

وقال الإمام نجم الدين الطوفي المتوفى سنة (٧١٦) في شرح الأربعين : وإنما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كماً وكيفاً وزماناً ومكاناً إلا من جهته ، بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول ا هـ باختصار ، وعليه البحث في رسالة يسر الإسلام ، وأصول التشريع العام للسيد الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى .

مشاكل نحو نظام التشريع (المصري)

إن من أفضل ما يقوم به المفكرون من رجال الإسلام النابهين وضع مجلة الأحكام ، تسير على نهج (مجلة الأحكام العدلية) التي وضعت في عهد الدولة العثمانية ، عام (١٢٩٧) على ألا يكون مقيداً مثلها بمذهب واحد ، يبحث في المسائل الشرعية المختلفة ، ويضع لها ما يناسبها من الأحكام ؛ وإنما يضطلع بهذا العبء ويقوم على تحرير مثل هذه المجلة ، لجنة مؤلفة من أكبر علماء هذا العصر ، ممن تضلعوا من علوم الكتاب والسنة ، وخبروا مذاهب الأئمة ، ووقفوا على كنه الزمن وقوانين العمران ، ودرسوا قوانين الدول وحقوق الأمم ، ومارسوا الشؤون القضائية والإدارية . ألا وإن عملهم هذا سيكون له فوائد عظيمة جداً ، منها أنه يبين أن الإسلام دين السماحة والتيسير ، تراعى أحكامه مصالح البشر في كل زمان ومكان ، ولا يخفى أن من قواعده المعروفة من نصوصه الكثيرة اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، فاستنباط الأحكام التي يدعو إليها الزمان من مآخذها وأدلتها يكون مبنياً على أساس حفظ مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها ، وقد تكرر هذا القول . (ومنها) أن اعتمادها كان أقرب دليلاً وأكثر ملاءمة لحاجة العصر وعقيدة الأمة ، من مذاهب الأئمة ،

يتبين به سعة الفقه الإسلامي، وأن اختلاف علمائنا رحمة والأخذ من متنوع مذاهبهم سعة

(ومنها) رد الزعم القائل بأن الإسلام لا يتفق مع حاجة العصر، ولا يبحث فيما يجد من شؤون الزمن. على أن الزاعم أن بعض فقهائنا قد تعرضوا لبحث بعض ما ظهر في عصرهم من الشؤون؛ فهذا الفقيه الكبير الأستاذ الشيخ محمد بخيت قد ألف كتاباً أجاز فيه العمل بخبر البرق (التلغراف) سماه (إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة) ومثله الأستاذ الشهير الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه (إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق) وقد أثبت أستاذنا القاسمي فتاوى لاثني عشر عالماً من أشهر علماء العصر بجواز قبول خبر البرق في إثبات الأهلة وغيرها، والمذياع والهاتف (الراديو والتلفون) كلاهما أوسع في الدلالة وأوثق من خبر البرق، لأن التلغراف يستفاد مضمونه من تلك الإشارات التي يعرفها العامل فيفهم خبره ويترجم للمرسل إليه، بخلاف الكلام بالراديو والهاتف فهو كلام صحيح صريح، وإنما يسمع من يلقى إليه الخبر فيهما كلام المتكلم نفسه لا معناه، وما أظن أحداً ممن أجاز العمل بخبر البرق في الديانات والمعاملات يتردد في جواز العمل بالمذياع والهاتف فيهما لما قدمنا؛ وهو أقوى من خبر الكتاب الموثق الذي قبله العلماء، وأبعد عن التزوير بكثير. وقد كتب النبي (ص) كتبه إلى الآفاق، وبلغ بها دعوته إلى الملوك، وقامت الحجة عليهم وكذلك فعل الخلفاء الراشدون، والملوك العادلون، فقد أرسلوا كتبهم، وقلدوا القضاة والولاة والأمراء عنهم بالكتابة، وعلى ذلك جرت سنة التابعين وأئمة الشرع وعلماء الأمة، وها هم العلماء الآن يذيعون القرآن والدعوة الإسلامية بالراديو – كما يفعل الإمام المراغي شيخ الجامع الأزهر – فتعم الفكرة الأزهرية، وتقوم حجة الله على العالمين

فإلى إخواننا علماء الجامعة الكبرى الفاضلة نكل ما حدث إلى الآن من الوسائل التي تعامل بها العالم أجمع في كافة أنحاء المعمور، وإليك تفصيل ما نشأ عن هذه الوسائل من مسائل وأحكام فقهية، حفظ أعلام الأمة، وفقهاء العصر، وبالله التوفيق

(دمشق) محمد بهجة البيطار

ابن حوقل

للأستاذ ميخائيل عواد

عهد التوغل في تاريخ العرب حركةٌ علمية واسعة النطاق، استغرقت أحقاباً من الزمن، وهي كلها جديرة بالعناية والدرس، وحَرية بأن تتناولها الأقلام في وقتنا الحاضر لتظهر محاسنها التي كانت إحداها السياحة في البلدان والضرب في مختلف الأصقاع

لقد استهوى بعض العرب هذا النوع من الحياة، فكانوا مشهورين بسعيهم بالتأثير والرحلة — بل إن فريقاً آخر منهم اتخذها حرفة يعيش به ويكتسب منه، وينشر آراءه شرقاً وغرباً... ذلك هو المراق المحيط بالبلدان وبين بني المرتحلين من مدى واسع، فإن كليهما يستكشف مجاهل الأمكنة والبقاع، ويحاول البحث في أحوال الأمم التي تعرفت إلى مواطنها، فيدرس طباعها ويعرف عوائدها ويتصل بأسباب ثروتها، فيصف تربتها وغلاتها وطرقها، إلى ما هنالك من مباحث عامة وخاصة

هذه كلمة نمهد بها لكلامنا على الرحالة العربي الشهير «ابن حوقل» الذي ذاع صيته في القرن الرابع للهجرة، والذي بالرغم من ذلك لم يخلُ مجال البحث عنه من مصاعب وغموض، نظراً إلى أن ما بين أيدينا اليوم من المصادر القديمة لم يرد بشأن منشأه وحياته ووفاته إلا النزر اليسير

حياته

هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، ولد ببغداد[1]، ونشأ بها في أعماق أغلب المؤرخين، وذلك في أواسط القرن الرابع للهجرة. وأقبل على التجوال في البلاد الإسلامية، متعاطياً التجارة، متكسباً بالكسب، ولا تفتر همته عن التنقل والتجوال، وهي الناحية التي شغلت ذهنه كثيراً. وصادف عند ابتدائه في تجواله عام ٣٣١ هـ (٩٤٢ م)، أن انقطع المسعودي الرحالة الشهير عن

(1) يختلف المؤرخون في تعيين محل ولادته، فمنهم من قال إنه ولد ببغداد، وكثير الموصل، والأول صحيح.

الارتحال ولازم بلاده، وعلى هذا نجد ابن حوقل قد خالف المسعودي في هذه القضية ... وتنتهي رحلتنا من رحلته الراسخة سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) فيكون بهذا قد أمضى ثمانية وعشرين عاماً في حلّ وترحال، زار خلالها أقاصي البلدان، وساح في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من نهر السند إلى المحيط الأطلنطي، ووصف بلاد الزنوج وصفاً جميلاً، كما أنه تجول في بلاد الأندلس متنقلاً بين كثير من مدنها المشهورة، وحل صقلية وأسهب في الكلام عنها، ووصف ربوع مصر وسورية والعراق وفارس ... ودوّن أخبار رحلته سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م)، ضمن كتابه المسمى بـ «المسالك والممالك والمفاوز والمهالك».

قال فيه عن نفسه: «... بدأتُ بسفري هذا من مدينة السلام — يوم الخميس — لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة — وأنا من حداثة السن وغرّته، وفي عنفوان الشباب وسكرته، قويّ المساعدة، تام الاستطاعة ...[1]»

إلى أن يقول: «... وقد ذكرتُ في آخر كتابي هذا كيف ساورتني الأسفار، واتصلتني في البر دون ركوب البحار، إلى أن سلكتُ وجه الأرض بأجمعه في طوله، وقطعتُ دور الشمس على ظهرها ...[2]».

ثم يصف لنا منهجه في تأليف كتابه فيقول: «... وقد حررتُ ذكر المسالك، واستوعبتُ صور المدن وسائر ما وجب ذكره ... وقد فصّلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً وكورةً كورةً لكل عمل. وبدأت بذكر ديار العرب، فجعلتها إقليماً واحداً، لأن الكعبة فيها ومكة أم القرى، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي ...[3]»

ويتضح لنا من دراسة مصنفه أنه اقتصر على ذكر صفات الممالك الإسلامية، ولم يتعرض لغيرها متنصلاً من ذلك بقوله في كتابه المذكور: «... أما بلاد النصارى والحبشة، فلم أتكلم عليها إلا يسيراً، لأني [illegible] الحكمة والدين والعقل وانتظام الأحكام يأبى أن أثني عليهم بشيء من ذلك[1]»

ابن حوقل يشتغل بالتجسس

ذكر العلامة دوزي في كتابه «تاريخ إسلام أسبانيا» أن ابن حوقل كان عيناً للفاطميين يشتغل بالتجسس لمصلحتهم، ولا شك أن يكون قد نال حظوتهم والتصق بهم أحسبه بين ظهرانيهم فساعدوه في شؤون رحلته وتجارته؛ وقد نتجت هذه الصلات عن تبادل الثقة، فوجدوا فيه خير مثال لدعاتهم، وهو ذلك الرحالة الشهير الذي جوّب بلدان الأرض فيسر دعوتهم على أحسن ما يرام

كتاب «المسالك والممالك»

جاء في مقدمة الطبعة الأولى «للمسالك والممالك» ما نصه «هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان، على مرّ الدهور والأزمان، وطبائع أهلها، وخواص البلدان نفسها، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها، وذكر الأنهار الكبار، واتصالها بشطوط البحار، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار، ومسافة ما بين البلدان للسفار والتجار، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار، تأليف أبي القاسم بن حوقل ... معوّل فيما جمعه على كتاب الإمام السالم أبي القاسم محمد بن خرداذبه، وقدامة بن جعفر الكاتب ...[2]»

وقد قدم كتابه هذا إلى أبي السريّ الحسن بن الفضل بن أبي السري الأصبهاني. قال ابن حوقل: «... وقد عملتُ له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان، ومحل الناس منها والعمران، من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها ... وكان مما حضني على تأليفه وحثني على تصنيفه، وجذبني إلى رسمه، أني لم أزل في حال الصبوة شغفاً

(1) المسالك والممالك لابن حوقل — طبعة كرامرز في ليدن سنة ١٩٣٨ المقدمة ص ٣ — ٤.

(2) المسالك والممالك — المقدمة ص ٥

(3) المسالك والممالك ص ٥ — ٦

(1) المسالك والممالك ص ١٤

(2) مقدمة «المسالك والممالك» طبعة دي خويه في ليدن سنة ١٨٧٣ م وطبعة كرامرز (حاشية الصفحة ١)

بقراءة كتب المسالك ، متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك وتصفحت تقرأب الكتب الجليلة المعروفة . فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيت فيها رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب .. وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر والشهوة ببلوغ الوطر [1] »

شغف ابن حوقل أثناء تجواله بدرس مؤلفات المتقدمين كالجيهاني وابن خرداذبة وقدامة . وكان في إحدى جولاته إلى بلاد السند عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) قد لقي الاصطخري (صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذي سبقه بنحو ثلث القرن أيضاً) فاطلع ابن حوقل على كتاب الاصطخري ، وانكشفت له مواطن الضعف فيه ، وكان الاصطخري قد طلب إليه أن يراجع مصنفه ويهذب بعض خرائطه الجغرافية ، لكن ابن حوقل أبى ذلك ، واعتزم كتابة هذا المصنف « المسالك والممالك » من جديد ، فأعده على ما أراد ، حسب ما تمليه مشاهداته ودراساته الخاصة وجعله باسمه

وهذا ما حدا بالكثير من المؤرخين إلى أن يقرروا كلهم في مصنف ابن حوقل ويعتبروه صورة ثانية لكتاب الاصطخري مع زيادات آتية من دراساته ومشاهداته الخاصة التي اكتسبها أثناء رحلته ، فأضافها إليه فيما عدا من تصحيح كتاب الاصطخري

وقد أضاف أبو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان أن « كتاب ابن حوقل مطول ، ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال ولا العروض وصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ... [2] »

وجاراه في هذا القول المجمع صاحب كشف الظنون [3]

ومهما يكن من أمر فإن هذا السفر الجليل عظيم الفائدة جدير بالدرس والاستقصاء ، لاختصاصه في الجغرافية دون سواها فهو يحوي وصفاً دقيقاً لأغلب الأقطار ، ولقد أفادنا بصورة حسنة عن مصر وسورية والعراق . وعُدَّ بحق طريق المغرب وأسبانيه وصقلية من المصادر الرئيسية ، ناهيك بالمعلومات القيمة في تحقيق الأسماء والبلدان والمسافات ، كما أنه لم ينس أن يعطينا فكرة عن ثروة البلاد ومصادر أهاليها ، وحياة الضرائب إلى غير ذلك .

طبعات الكتاب

نال هذا المصنف اهتماماً حسناً ، فظهرت له عدة طبعات قام بها طائفة من المستشرقين ، والفضل الأوفر في ذلك يعود إلى المستشرق الكبير دي غويه ، وسنأتي على ذكر هذه الطبعات فيما يلي

أولاً الطبعات الكاملة

١ — الطبعة الأولى : نشرها المستشرق دي غويه De Goeje الهولندي سنة ١٨٧٣ في ليدن ، معتمداً في ذلك على تحقيق مخطوطتي ليدن وأكسفورد ، كما أنه اعتمد على النسخة العربية المرقومة ٢٢١٤ في خزانة كتب باريس الأهلية ، تلك التي أطلق عليها في طبعته اسم الموجز الباريسي Epitome parisiensis وهو نص النسخة الاستنبولية . وتعتبر هذه الطبعة الحلقة الثانية من مجموعة « المكتبة الجغرافية العربية » Bibliotheca Geographorum Arabicorum والمعلوم أن هذه الطبعة قد مضت منذ سنين عديدة وأصبحت نسخها من نوادر الكتب

٢ — الطبعة الثانية : اعتنى بنشرها المستشرق كريمرز Kramers بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٩٣٨ ، وقد اعتمد بصورة خاصة على نص النسخة المرقومة ٣٣٤٦ ، المحفوظة في خزانة السراي العتيق في استنبول ، وعلى صورها ، كما أنه قابل نص الطبعة الأولى المذكورة آنفاً ، وبعض المصادر الأخرى ، فجاءت متوجة بهذه التهذيبات والتعديلات طبعة متقنة فيها وافر التصحيح ، وتحتوي على كل ما هو موجود الآن من مادة كتاب ابن حوقل فأصبحت متكاملة مع الطبعة الأولى ، كما أنها زينت بالخرائط ذات الشروح والتحاليل . وقد ظهر من هذه الطبعة حتى الآن القسم الأول الذي يتكون من ٢٤٧ صفحة ، وسيليه الثاني والثالث وعنونها الناشر بـ « كتاب صورة الأرض » تأليف أبي القسم ابن حوقل النصيبي

(١) المسالك والممالك (المقدمة ص ٢ — ٣)

(٢) تقويم البلدان لأبي الفداء (طبعة باريس سنة ١٨٤٠ ، ص ١)

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (طبعة فلوجل في ليبسك ، ٥ : ٥٠١).

٣ — وكان هذا الكتاب قد ترجم إلى اللغة الفارسية ، وعن هذه اللغة ترجمه إلى الإنجليزية السير وليم أوزيلي Ouseley وطبعه سنة ١٨٠٠ في لندن بعنوان « جغرافية الشرق لابن حوقل » Kitab el Mesalek wal Memalek The Oriental Géography of Ebn Haukal وهي تقع في ٣٦ + ٣٢٧ ص ، وخريطة

ثانياً: القطع المترجمة

١ — القسم المختص بالعراق العجمي ، وقد نشره المستشرق هامكر Hamaker (١) في ليدن سنة ١٨٢٢ ، ووضع هذا القسم في ٥ صحائف وترجمته اللاتينية في ثمان وعشرين ، بالملاحظة للناشر والنص في سورة « بلاد عراق العجم »

٢ — القسم المختص ببلاد السند ، طبع في بون سنة ١٨٣٨ مع ترجمة لاتينية

٣ — القسم المختص بأرمينية ، طبع في باريس سنة ١٨٠٢

٤ — القسم المختص بصقلية (أي نحو ٤٣ صفحة) ، طبع في باريس سنة ١٨٤٥ ، مع ترجمة فرنسية ، عني بها المستشرق الإيطالي أماري Amari

٥ — القسم المختص بسجستان نشره الأستاذ بلاشير Blachère في مجموعة تسمى « مستخلص من آثار الجغرافيين العرب في القرون الوسطى » Extraits des principaux Géographes Arabes du Moyen Age ، بالنص العربي مع حواشي وملاحظات بالفرنسية ، سنة ١٩٣٢ في بيروت (ص ٣٦ — ١٢٨)

٦ — وهل هنالك بعض الترجمات أو القطع المترجمة مما لم نتوصل إلى الوقوف عليه لضرورة ، صرفنا عنه صفحاً

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) هو المستشرق هامكر جمع كل ما كتب جغرافيو العرب عن البلاد المعروفة بعراق العجم ونشر ذلك في كتاب مع ترجمة وحواشي وشروح لاتينية

الشيخ الخالدى أيضاً

للدكتور عبد الوهاب عزام

قلت في المجلس السابق حديث الشيخ عن العلماء أصحاب الخطوط الجيدة . وقد لقيت الشيخ من بعد فقال

ومن جيدى الخط صدر الدين القونوى وتلميذه سعد الدين الفرغاني شارح التائية — تائية ابن الفارض — وأبو مسعود المراكشي ، رأيت عنده مصحف كتاب المحكم لابن سيده ؛ والملك المظفر الأيوبي ، وابن الأثير المؤرخ رأيت عنده المؤتلف والمختلف لعبد الغني بن سعيد الحافظ المصري ، وهو محدث كبير يُعدّ من أقران ابن عبد البر والحافظ النيسابوري . ومن أصحاب الخطوط الجيدة من علماء الأندلس أبو حيان النحوي وأبو الربيع سليمان الكلاعي صاحب السيرة الكلاعية أجل كتاب في سيرة الرسول

ثم قال : ومن أردأ العلماء خطاً نجم الدين النسفي صاحب العقائد ، والإمام الحصيري أستاذ الملك المعظم ، وهو شارح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن ، والعلامة التفتازاني وابن حجر . ومن علماء الأندلس نجم الإسكندرية الطرطوشي

وأما السيوطي والسيد الشريف الجرجاني والقطب الشيرازي والزمخشري وابن الأثير المحدث وابن مالك وابن هشام وابن عقيل فخطوطهم وسط بين الجيد والرديء .

ولقيت الشيخ مرة أخرى فقال :

الشيء بالشيء يذكر . ومن أصحاب الخطوط الجيدة أبو الريحان البيروني وعبد الله بن مسرة اليحصبي أستاذ ابن رشد الفيلسوف ؛ رأيت عنده مدونة الإمام مالك وفي آخر كل جزء

بخطه وقوبل « استغفر لمن كتبه [illegible] عند كتبته بيده الفسخ والتصحيح »

ومنهم الحافظ المنذري صاحب الترغيب والترهيب وكان مدرس دار الحديث الكاملية

ومن أصحاب الخطوط الرديئة شمس الدين الفناري صاحب فصول البدائع في أصول الشرائع ، وهو عالم تركي كبير وشارح مفتاح الغيب لصدر الدين القونوي

وحسب كتاب البدائع أن الفناري ألفه في ثلاثين سنة مع أنه شرح إيساغوجي في يوم واحد فيما يقال .

ومن ذوي الخط الرديء أيضاً ابن منظور المصري ؛ ورأيت عنده جزءين من مختصر تاريخ دمشق وللدارقطني [illegible] ؛ ورأيت عنده كتاب الكنى والأسماء للإمام مسلم ، ومنهم ابن الصلاح ، وابن خلدون . ومن متوسطي الخط الحافظ السلفي

قلت : ولا تنس السيد [illegible] فهو من أصحاب الخطوط الرديئة

— ٢ —

ولقيت شيخنا بعد أن نشرت في الرسالة مقالاً عن طرسوس ثغر الخليفة المأمون فحدثنا عن هذا الثغر ، وما كان له من مكانة في الشعوب الإسلامية ، فقال الشيخ

كنت أعجب حين أقرأ في تاريخ كثير من علمائنا أنهم أقاموا في طرسوس ، ولا أدري لماذا كان هؤلاء العلماء يرحلون إلى هذا الثغر القصيّ ، حتى قرأت في تاريخ أحدهم أنه سافر لأداء فريضة الحج ثم رحل إلى طرسوس للمرابطة ، فعرفت أن علماءنا الذين رحلوا إلى طرسوس كانوا يؤدّون سنّة من سنن الإسلام في مرابطة العدوّ على الحدود الإسلامية

ممن رحل إلى طرسوس أبو عُبيد القاسم بن سلّام ، أقام هناك زهاء اثنين وعشرين عاماً ، وأبو داود المحدّث صاحب السنن أقام بها إحدى وعشرين سنة وألّف « السنن » هناك ، وعبد الله بن المبارك كان يتردد على طرسوس ويطيل الإقامة بها ، والفزاري أقام وحدّث بها طويلاً . وممن رابط هناك أيضاً أبو زيد المروزي صاحب أجلّ إسناد للبخاري ، والإمام أحمد ، ويوسف بن أسباط وهو محدّث عظيم أجلّ من ابن المبارك ، أقام بطرسوس أكثر من عشرين سنة ، وإبراهيم بن أدهم أقام بها ما لا يقلّ عن عشرين سنة . ولابن المبارك كتاب في مدح طرسوس وأهلها المجاهدين

وكان طرسوس والمصيصة وأذنه وملطية من مواضع الرباط يكثر العلماء الإقامة بها

هذه عناصر من أسرار عظمة الإسلام ومجده، وتمكين للمسلمين في الأرض. كان علماؤنا الأبرون السادة اعتكافاً واعتزالاً ونسكاً جهاداً ورباطاً، كانوا يرجعون إلى الثغور المنصبة على بعد ... ليجاهدوا أو يرابطوا فسيطروا على الدنيا بالدين ولم يبعدوها من أيديهم. كانوا كما كان الخليفة الرشيد غازياً حاجاً عابداً مرابطين.

حين يقصد ... أو ... في الحرمين أو أقصى الثغور

— ٣ —

وحادث الشيخ في الكتب والمؤلفين فقال

أربعة كتب يجب عليكم أن تنشروها

١ — كتاب العين، النسخة التي عدها أبو بكر الزبيدي الأندلسي. رأيته في مدريد عند أستاذ جيل

٢ — كتاب الأفعال لابن القطاع منه نسخة كاملة في مكتبة واحدة في إستانبول

٣ — وكتاب الأفعال للسرقسطي ألفه المعبر بن أبي [illegible] ومنه نسخه في إستانبول وقد نقلت مقدمته كلها

٤ — والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام. رأيت نسخة منه منقولة من الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين وهي نسخة صحيحة

قال: وليت عندكم من يسعى لنشر كتب أخرى مثل شرح كتاب سيبويه للسيرافي والتهذيب للأزهري والاشتقاق الكبير لابن دريد وشرح التسهيل لابن حيان الأندلسي

ومن نوادر الكتب نسخة ابن القطاع من صحاح الجوهري عليه حواشٍ بخطه واستدراكات [illegible] كم لأسلافنا من كتب نفيسة لم تنل حظها من العناية. وعسى أن يوفقنا الله إلى نشرها والاستفادة منها وهو ولي التوفيق

٣٢ . ١٣ عبد الوهاب عزام

هتلر

للأستاذ ناجي الطنطاوي

إن جنيف تابويس — في اعتقادي — أول صحفي بل أول كاتب فرنسي استطاع أن يجلو للناس مدى تأثير هتلر في شعبه، ويبين لهم أن استيلاء هتلر على نفوس سامعيه وعمق أثر كلامه فيها ناتج عن أنه يشارك شعبه بؤسه وضيقه. يخطب في جماعة المحاربين الذين ذاقوا ويلات الحرب وأصلوا سعيرها، ويخطب في النساء اللواتي صبرن طويلاً على البؤس والشقاء في دورهن التي أقفرت من كل شيء، ويخطب في جميع أولئك الذين مسهم الفقر بنابه وتاقت نفوسهم إلى الخلاص منه؛ كان صوته الصاخب يدوي في الجموع المحتشدة دوي الجرس الداعي، ووعود الخلاص والإنقاذ كانت تظهر على كل سحنة من سحناته. كان يعلمهم بما سيحدث في المستقبل القريب واثقاً مما يقول، لا يحيد عنه بوضع النظريات والفروض، بل يستخلص منها خطة سهلة قريبة المنال، توصل إلى السعادة التي يحلم بها الرجال الجائعون والنساء [illegible]

ولقد رأيت النساء الألمانيات بنفسي، ورأيت نفوسهن أمام جاذبيته القوية ولما رأيتهن وافرات الصراحة، رحت أحادثهن وأسائلهن عنه، وأخبرت واحدة منهن وافرة الجمال والذكاء من مدينة كولونيا قدمت من برلين، وأخبرتني أنها حدثته على انفراد مدة «الأسبوع الأحمر» الذي جمع فيه الزعيم رجال الصحافة في كافة أنحاء البلاد الألمانية، ليبين لهم سبيل الإخاء والتفاهم، وراحت تحدثني عنه قائلة:

— إنه رجل لين الجانب. لقد سلبت أملك، وكان باستطاعتي أن أكلمه وأحدثه. ولكن الحياء عقد لساني يوم أن كنت قد زوّرت في نفسي من قبل كلاماً ألقيه إليه

سألتها

— كيف بدا لك شخصه ؟

فأجابت قائلة

— إن له عينين ساحرتين !

أجل إن له عينين ساحرتين .. هذا هو الحرف الذي أجمعوا عليه جميعاً كيلا يتنزل بشخصه وصفاته . واجتمعت في هامبورغ بامرأة أخرى كانت تطيل الحديث عنه ، وهي امرأة مسنة كثيراً ما صحبها أعمال زوجها الرحيل إلى برلين ؛ وكانت أوثق صلة بهتلر من سواها ، فكانت تصحب إلى جانب غيره الحرب والنساء الذين يحوطون به دائماً . وبدأت تخبر الأسطورة القائمة في ألمانيا القيادي ولغتاي ، تلك أنه لا يهدأ ولا يسر إلا بالمرأة . ولقد شاد في بافاريا داراً في الجبل كثيراً ما يأوي إليها ليخلو إلى تأملاته ، ويتنظر بهالته . وحدثتني المرأة قائلة :

— ذهبت إليه في أحد أيام مهرجانات ودعوته لتحصل زيارتنا مؤكدة له أنه لن يستطيع قضاء ليلة العيد عنده إلا بين أطفال إحدى العائلات ، فما كان منه إلا أن هز رأسه وأجابني بقوله :

« كلا ، كلا ، إنني سأستقل سيارتي مساء اليوم وسأستقل في الثلج تحت الثلج فأكون بعيداً عن الناس منعزلاً بنفسي » فتصرمت من الحيرة إلى أن أتقدم إليها بالسؤال عن صلته بالنساء ، فكان جواب أنه لا أثر لهن في حياته قط ، وصمت في حديثها قائلة

— وسألته في يوم آخر عن السبب الذي أقصى به العزوف عن الزواج ، فأجابني : « لو ، كلا ، إنني ذو شعور صعب وحس دقيق ، وموضوع ظني واعتدالي في الأرض يحول بيني وبين المضي في أعمالي السياسية »

ويذكر — لمن يجهل هذا — أن هذا الرجل السياسي قد قتل يوم الثلاثين من يونية عام ١٩٣٤ ديهم فون كار ، وأوروبوب ، وأوتو ستراسر ، والجنرال فون شليشر وامرأته ، وكثيراً غيرهم يبلغ مجموعهم زهاء سبع وسبعين نفساً . ولكنني قلت سمعاً لحديث اعتقاداً مني أنه من الواجب علينا أن نسابر النساء في تفكيرهن إذا وددنا أن نقف على أسلوب التفكير لدى إحدى الأمم — قالت المرأة :

ولما سألته هل يعتقد أن الحكم السائد بيننا هو الحكم الصالح ، أجابني بقوله « كلا ، وما يسرني كل حكم ورائي ، إن أولى البنات لا الأبناء هي الأرض ربة هانة لحياة الأسرة إن الشعوب هو صلاح الملك »

فقد كرر ثماءه هذا التعبير الجميل مورخنا ألبير سوريل : « إن حياة أسرة المرء امتداد لحياته بعد موته ، وحياة الأمة امتداد لحياة الأسرة بعد ذلك » وأنا أقول إن حياة الأمم التي تعرضها للملوك هي امتداد لحياتهم إلى ماوراء

هذا ما حدثتني به امرأة . أما الرجال فإن كلامهم عن هتلر لا يختلف عما تحكيه ، إذ أن الناحية العاطفية تعتني بهم ويقدرون في الزعيم رغبته في الإنشاء والبناء ، ورغبة الرجل الذي أعاد النظام حرمته بعد أن شوهته الاشتراكية ، والذي نص على البطالة بتمجيده العمل والنظام ، والذي أعاد لألمانيا كرامتها وعزتها ومجدها ، فأصبحت موضوعة الرأس بين الأمم ، ويكفي هل ترك الأمم الأخرى تحيا كذلك ؟

إن هذه الإشارة الخفية إلى النمسا وتشكوسلوفاكيا كي لا تترك أثراً ، ذلك لأن للنظر الألماني لا يدخلهما في عداد الأمم

إن صاحب حربه (دوتشي فرايدوريش ميرشاف) وهو الكونت آربيم ، هو من كبار الملاك ، وتبلغ مساحة ملكه سبعة هكتار . وليست هذه المساحة الشاسعة نادرة الوجود في ألمانيا الشمالية إذ أن الأرض هناك مجدبة وغير خصبة كثيراً ، وعدد الزراع هناك قليل ، فيضطر المالكون للالتجاء إلى البولونيين ، فكرث — ولا أظهر ذلك — في ملاحنا التي تمر فيه الأرض حتى الرحمات في الشمال ، وتقدم إليه الغذاء ومن اختلاف تياره ، ورغم هذا فإنه يذهب إلى المدينة ، إلى المسيحيين والنور

لقد تنبه الزعيم لهذه الهجرة ، ورأى أن وقعها لا يتم إلا برفع منزلة الفلاح . فالسور (الفلاح) هو عنوان نظري موضوع على تلك الأسر الألمانية تحت اسم القانون الذي تحرث الأرض ، والأرض هنا هو الحقل الموروث الذي لا تقل مساحته عن مائة وخمسة وعشرين هكتاراً ليس من الجائز تقسيمها ، وينتقل هذا الحقل بالإرث إلى الابن الذي يسميه الأب ، وليس لديه قانون الابن البكر ، فالأب يختار وريثه بنفسه

إنني أعني وأرجو ليلاحظ هذا أن يربط الأسرة بالأرض

ويقيّدها بها كيلا تسيطر المعدة عليها ، فالأرض التي تقسمها قوة القانون ليس باستطاعتها أن تؤمن حياة أسرة ، وتسيطر تلك الأسرة المعدة والرحيل . وإن حق التوريث في القانون الذي يقضي على زراعة مرتبة ، فيفقد فرصة معيشته وإنتاجها . يجب علينا حتماً أن نعيد النظر في القانون ، وبعض الأنظمة الحديثة راعى هذه الناحية ، ولكنها مراعاة غير كافية

احتفلت ألمانية احتفالاً شعبياً بذكرى بلوغ هتلر سن الخمسين من عمره وقد ولد في يوم العشرين من نيسان عام ١٨٨٩ في بلدة براونو؟ فلنحفظ هذا التاريخ لأنه من الممكن أن يعيد لنا تكوينه المعنى كان في العاشرة من عمره عندما حدثت في النمسا — وطنه الأول — قاصمة ويجب ألا ننسى أن أثرها كان قوياً في حياة الطفل وأن صورتها ظلت منقوشة في ذاكرته ، وعلى الأخص لأن أسئلته تشترك معه كما يغلب على الظن ، ولقد ذكرها دون ريب لما دخل فيينا ابن حصصه ، ودمع التي منها وأدلها . ولقد اطلعت على فصل جيد وافٍ مكتوب بقلم جورج فوبو عن الحياة الألمانية المعنية يكشف لنا عن هذه الناحية

صدر في نيسان عام ١٨٩٧ أمر الإمبراطور فرانسوا جوزيف باعتبار اللغة التشيكية في المحاكم والدوائر والكنائس لغة رسمية ، وكانت اللغة الألمانية قبل صدور هذا الأمر هي اللغة الرسمية السائدة فثارت ثائرة الشعب ، وقامت ثورة صحيحة كان أبطالها جرمانيو النمسا الذين ألقوا المسئولية على عاتق الكنيسة الكاثوليكية وكتب أحد الجرمانيين إذ ذاك وهو شونيرر يوم ١٦ نوفمبر عام ١٨٩٨ يقول :

« ألا فلتتحطم القيود التي ربطت بكنيسة معادية لألمانيا ، لا بد أن يسود التفكير المسيحي الأرض الألمانية . إن التفكير الجرماني هو وحده صاحب الحق بالسيادة فيها »

ومنذ ذلك الحين بعثت نظرية التوسع الجرماني في النمسا بشكل جديد : أنت بروتستانتي ... معنى هذا أنك ألماني ، وكان يجب التطرف إلى أبعد من هذا ، حتى أن صيحة شونيرر راحت تنادي صائحة : « لقد صبرنا طويلاً كما صبرنا روما فلننته منها بالجرمانية » ودعا شونيرر بوجوب محاربته إلى رفض حزن الدين المسيحي والعودة إلى العقيدة الوطنية التي تقول : « يجب على كل فرد من مواطنيّ أن يكون ألمانياً وطنياً لا رومانياً ومسيحياً » . ومؤرخ العصر الحديث عند الآن موقعة « تورنبرغ » بين الرومان والتيوتون قبل المسيح بمائة وثلاث عشرة سنة ، ثم يقول جورج فوبو : « يبدأ تاريخ ألمانيا الوطني بالحرب الواحدة إلى اليوم الذي أدخل فيه القديس بونيفاس الدين المسيحي إلى ألمانيا كان يوم حداد على جرمانية » وإن الأخلاق الألمانية الوطنية تعلمنا أن العقيدة الاسكندنافية القديمة التي نامت بقيادة العظمة بطلعة مثلها كانت أروع وأشرف من العقيدة المسيحية التي تذل الإنسان وتنصحه حتى عندما يلطم تقديم خده الأيسر ! وإن التربية الألمانية الوطنية التي تتخذ من الأبطال الجرمانيين القدماء مثلاً أعلى لها يجب احتذاؤه لأنها تمعن بأسلوبها في التربية حتى يكاد يعتقد الإنسان أنها تؤسس طبيعته . وتفضل هذه التربية عبادة « ووتان » الإله الوطني على عبادة يسوع المسيح . وبعد كل ذلك نرى الطقوس الألمانية الوطنية تحيي التقاليد الدينية التي كانت سائدة في الغابات القديمة ، وهناك يعودون إلى عادة تقديم الضحايا للشمس في زمن الانقلابين الصيفي والشتوي ويرقصون على ذرى الجبال . ومع هذا ، إذا كان الجرمانيون أفضل شعوب الأرض ألا يكون إله المسيحيين قد استهان بهم وانتقص من أقدارهم باختياره شعباً غيرهم ؟

وتملكت نفوس الألمانيين إذ ذاك رغبة صادقة في إنشاء دولة ألمانية موحدة يدين أفرادها بدين واحد هو دين « ووتان » وتقلبت الحركة الدينية إلى حركة سياسية .

« دمشق » ترجمه
ناجي الطنطاوي

تاريخ في سير أبطال

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يضعه في مكانه بين أبطال حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف

لم تكن مصر إذاً في حاجة إلى الغير إلا إذا كان الخلاف بين الخديو ووزرائه مشكلة تستدعي حلاً تتدخل الدول الأوربية لحسمها ؛ إذ لا يتيسر علاجها إلا على هذه الصورة .

لم تكن هذه الخلافات التي تشير إليه سوى الذريعة التي باتت إنجلترة تتحينها لتحقيق خطتها التي كانت سياستها في مصر طوال القرن التاسع عشر متجهة إليها ، وكانت إنجلترة قد عرفت أن تقطع المسألة إذا لم يتيسر لها حلها ، فيجمع تلك المسألة أو حلها تحقيق في الواقع غرضين : السيطرة على مصر وهذا قصارى آمالها في الشرق ، والتخلص من مشاركة فرنسا لها تباعاً في توجيه شئون مصر وهذا ما كانت مصلحتها تقضي بوجوب الإسراع فيه

والإنجليز قوم ليسوا في أن يأخذوا كل شيء وألا يعطوا شيئاً ، وأن يستغلوا رمية كل عدو أو صديق دون أن يكشفوا عن شيء تنطوي عليه صدورهم ، وهم في ذلك لسياستهم نجاحهم في عادتها أحد أسباب غرورهم الكبرى .

لذلك تقدم هؤلاء ليلبسوا إحدى لبوسهم السياسية وقد سهلت عليهم سياسة غمبتا الأمر ، فقد رأى هذا أن تتحد إنجلترة وفرنسا على التدخل المسلح في شئون مصر ، ورأى أنه إن استطاع أن يوجه سياسة بلاده نحو هذا الهدف فإنه يجد في إنجلترة ما استعصت عليه أو انفصمت منه

وتقدم فرسنيه بعرض على إنجلترة مقترحات لحل المشكلة ، فطالب على لسان سفيره أن ترسل الدولتان سفناً من أساطيلهما إلى مياه الإسكندرية وأن تطلب الحكومتان إلى تركيا ألا تتدخل في شئون مصر في ذلك الوقت ، ولكن فرنسا لا تعارض إذا حضرت قوة عثمانية إلى مصر بدعوة من الدولتين على أن يكون عملها محدوداً وأن تكون تحت مراقبتهما

ورأى فرسنيه أن تحاط روسيا والنمسا وألمانيا وإيطاليا بما تتخذه إنجلترة وفرنسا حيال المسألة المصرية على أن تكون مطالب تلك الدول إلى سفرائها في الآستانة عقب تطلبات الدولتين

ثم هي من تأكيد للخديو فقد رجعت فرنسا عن رأيها في حماية ذلك الرأي الذي كانت ولو لم تتبع مثل ذلك يقضي على كثير من الصعاب

وكان فرسنيه يريد من المظاهرة البحرية أن يلقي الرعب في قلوب الوزراء ليتخلوا عن مقاومة الخديو فتنتهي الأزمة التي كانت ناشبة بينهم وبينه ، ولقد وافق جرانفل على مقترحات فرسنيه في جملتها ورأى أن يبلغ الباب العالي مع الاحتياط في القول أنه قد تعرض عليه في المستقبل مقترحات أخرى ، ولكن فرسنيه لم ير هذا الرأي لأنه كان يرغب عن التقرب من تركيا وذلك بعد الأمر ولكنه عاد فقبله بعد إلحاح جرانفل عليه وكتب إلى سفيره بالآستانة أن يبلغ السلطان أنه ليس من المستبعد أن تقدم اقتراحات أخرى إلى تركيا فيما بعد .

وأراد جرانفل أن يبعد عن نفسه وعن حكومته شبهة الرغبة في التدخل في شئون مصر فاقترح أن تدعى الدول الأوربية إلى إرسال سفن إلى الإسكندرية تقف إلى جانب السفن الإنجليزية الفرنسية ؛ وما كان جرانفل جاداً في اقتراحه فإنه كان على يقين أنه

سيقابل من فرنسا بالرفض، وكانت ثمة شبهة أن ستقابله فرنسا لما تقدم به، بل لو كان هذا الاقتراح من جانب فرنسا لعارضت فيه انجلترة أشد المعارضة؛ ولو أن انجلترة كانت جادة في مقترحها هذا لبذلت صادق جهدها لتحمل فرنسا على قبوله ولكنها اكتفت أن بلغ فرسيه على لسان وزيرها أنها تأسف ألا تقرها فرنسا على وجهة نظرها وأنها تعد من الخطأ عدم دعوة الدول إلى الاشتراك في تلك المظاهرة، ولكن بما أن فرنسا قد نصحت في الموافقة على السياسة البريطانية في مثل هذا الحد فإن انجلترة لا يسعها إلا أن توافق فرنسا على ما ترى

وآمن فرسيه بنزاهة السياسة الإنجليزية، ولو كان غير فرسيه في موضعه لآمن بها كما آمن هذا، فلم يكن يدور بخلد أحد يومئذ أن انجلترة كانت ترقب الفرص لتنقض على الفريسة دون فرنسا ولا كان في خطتها ما يصرف عنه؟ ولكن الانجليز في هذا العالم خير من اتقنوا صناعة مكيافلي وخير من حذقها ولو قد تأخر الزمن بهذا الرجل لأخذ عنهم جديده ووجد في أساليبهم ووسائلهم خير أمثلة كتابه

على أن هذا المكر كان يخفى على فرسيه وغير فرسيه من أولى الخبرة والدهاء من الرجال؛ وما كان ليفطن إلى هذا إلا من يسيء الظن بانجلترة، فيكون سبب فطنته سوء الظن لا حسن الفهم وبعد النظر، ونحن إنما نفطن إلى هذه السياسة بعد أن تكشفت وصدقت عليها الظنون، ولقد فطن إليها فرسيه ورجال حكومته وشعبه لا ريب يوم وقعت الواقعة وانفردت انجلترة بضرب الأسكندرية غير حاسبة لأي شيء من حولها حسابا

وكانت انجلترة تبغي من سياستها هذه أن تصرف الدول عن مصر قبل دعوة تلك الدول إلى مشاركتها في المظاهرة البحرية بظهورها بمظهر من لا غرض له إلا الصالح العام في حين أن انفرادها مع فرنسا بالأمر يغضب الدول ويجعلها تميل إلى التدخل لتنال حظا من الغنيمة في مصر أو في غير مصر يوم يقوم اقتسام وتوزع الأسلاب

وفضلا عن ذلك فقد كانت انجلترة تخشى أشد الخشية أن يذهب السلطان بنجدة إلى عرابي وحزبه ضد توفيق فيظهر هؤلاء بمظهر المدافعين عن حقوق السلطان صاحب الحق الشرعي ضد

الخديو ومناصريه من الطامعين، وهذا ما يكسب نهضة المصريين بعد عرابي أمام الشعب المصري إذا ذهب أدراج الرياح

ولقد فطن ماليت إلى خطورة هذا الأمر وكتب إلى حكومته يحذرها من إرسال تركيا ما من شأنه أن يضم الجنود إلى العسكريين فيغدوا جيشا موحدا واحدا ضد أوربا أو على الأقل إنه يقوي جانب عرابي وأشياعه

ورفضت انجلترة مع معارضتها فرنسا ما أشارت به، وما وجدت إصرارها على استبعاد تركيا وتحويل جيشها لم يرجاء من أن ترسل إلى الجيش قوادا من أي جهة في خلال مصر ويؤكد أن انجلترة لم ترد بالمظاهرة البحرية إلا إقرار السلام داخل مصر وأنها سوف تترك مصر وشأنها إذا قضي على ما بقي من القلاقل؛ ولو لم تنجح تلك الوسائل السلمية فسوف تمضي انجلترة والدول على ما تراه هي وفرنسا خير سياسة تتبع

وبعث اللورد دوفرين سفير انجلترة بالآستانة إلى وزير خارجية العثماني في لهجة شديدة قائلا إنه إذا لم ترسل تركيا ما من شأنه أن يسهل على انجلترة خطتها فسوف ترد انجلترة عند القطع في الاسكندرية وتطيل أمد بقائها جيشا هناك

ولكن السلطان آثر واقتنع أن توجه قوة البحرية الانجليزية أمام الاسكندرية لم يكف عن احتجاجه وإعلان سخطه على هذا الوضع التام جرحا وضيما؟

وبينما كانت فرنسا وانجلترة تتداولان الرأي على النحو الذي ذكر، كان الحنق في مصر على الخديو يتزايد يوما عن يوم، وما زال الناس في قلق وخوف من موقفه ومشايعته الانجليز على هذه الصورة حتى وصلت السفن إلى الاسكندرية

ولقد أخذ بعض الناس على الوطنيين أنهم لم يخلعوا الخديو في ذلك الوقت ويتصلوا بتركيا طالبين تعيين غيره؛ والواقع أنها مسألة دقيقة، فمن الناحية الوطنية كان الوطنيون يرون ضرورة خلعه، وحجتهم أن السكوت معناه التفريط في جانب الوطن، ولكنهم من الوجهة الأخرى كانوا يرون أن خلعهم إياه يخلق وبالا عليهم في ظروف كتلك الظروف التي أحاطت بها أوربا معهم المراقبات من كل جانب

وفي هذه الأثناء حدث في صفوف النواب ما جعل أشد

المخلص من ذكره ، فقد انحاز كثير منهم سلطان إلى الإنجليز وذهب صد منهم لنفس بالتبني ولم يكن الوطنيين من عصم في تلك المحنة إلا الأعداد والقلة فكأنما تأبى الأيام إلا أن تجعل من أبناء مصر بعضهم لبعض عدوا ، وكل ذلك لكثرة ما تكرر من طمعهم التي فطروا عليها ! ولطالما فتك هذا الشرق المسكين بصفاته وانقسام أبنائه بعضهم على بعض مع أنهم يرون الغالبين الطامعين فيهم من أهل الغرب بعضهم في المكيدة لهم أولياء بعض !

وكان سلطان والمتحمسين من النواب معه إلى الخديو أيام ثورات الظاهرة القاهرة ، فإن سلطانا حينما علم بها من الخديو مكر وغدر ورأى أن المستقبل للخديو فقد حصر [illegible] إلى الخديو وآثر أن يلوذ بالاعتصام إليه لتكون له الحظوة والمكانة عنده وعند الإنجليز أولي الحل والعقد ! وما كان سلطان ومن معه إنما يعملون لأشخاصهم فحسب ، وفي ذلك عصم عنه القوة وإن سموا ، وهم أحسب الناس وإن طالوا ، وهم أحرص الناس على الفائدة وإن تظاهروا بالنبل والعفة ، وهم إنما حلوا بحماه من يسكنون إليهم لإنزال الخادم بسبب حيله

وقد عادت رأسوا من جديد يحيون أسوأ الأنباء عن مصر وعن عرابي وحزبه على وجه الخصوص ، حتى لقد وقف جراهام في مجلس العموم في يوم ١٥ مايو يتوعد مصر ويتهدد ويصرح في غير تردد ولا استحياء أن النواب والأمة جميعاً في صف الخديو

وكان مستر بلنت لا يزال يسعى سعيه في مظاهرة أصحاب الوطنيين وكانت بينه وبين عرابي مراسلات ودية قبل مصرع جرجل بؤكد حب عرابي للهدوء والسلام في مصر ، فلما أعلن جرنفل تصريحه أرسل بلنت إلى عرابي رسالة برقية بتاريخ ١٦ مايو يقول فيها « قال لورد جرانفل في البرلمان إن سلطان باشا والنواب قد انضموا إلى الخديو ضدك ، فإن كان هذا القول غير صحيح فاطلب إلى سلطان باشا أن يرسل إلى مكذباً ، وإذا عدتم فلا تخشوا شيئاً .. ألا يمكنكم أن تؤلفوا وزارة يكون سلطان رئيساً لها ؟ وعلى كل حال عليكم بالثبات »

وأرسل هذا الرجل الحر إلى سلطان باشا في نفس الوقت برقية هذا نصها « أعتقد أن جميع أولئك الذين يحبون مصر يجب أن يتحدوا فلا تتشاجر مع عرابي . إن الخطر عظيم » كما أرسل إلى كل من بطرس باشا وأبو يوسف وغيرهما الفاضلين برقية « هل الحزب الوطني مع عرابي الآن ؟ إن الحكومة الإنجليزية تدعي أنه ليس كذلك . إذا دعت الحاجة أخبرتكم أنوراً إلى أملاككم » ووصلت هذه البرقية أيضاً إلى الشيخ محمد عبده والشيخ [illegible] وعبد الله أفندي نديم

وجاء بلنت رد سلطان فإذا به يقول : « لقد زال الخلاف الذي كان بين الخديو وبين الوزارة ولم يبق له أثر ، وكلنا متفق على المحافظة على الأمن والسلام وعلى مناصرة الوزارة الحاضرة »

وتلقى كذلك مستر بلنت برقية من الشيخ الأنبابي شيخ الجامع الأزهر نصها « من الشيخ الأنبابي شيخ الإسلام سوى الخلاف بين الوزراء والخديو ، والحزب الوطني راض بعرابي والأمة والجيش متحدان »

وكتب الشيخ محمد عبده إليه أيضاً مثل هذا المعنى

(يتبع) الخفيف

كتاب الدين والعقل
أو برهان القرآن

تأليف الأستاذ أحمد عبدالله هراس

أول استعراض برهاني لعقائد الإسلام من القرآن الكريم يجمعه باستعراض النظريات العلمية يحتوي على مقدمة وسبعة أجزاء (البرهان القاطع في وجود الصانع) (الرسالة وحجة الأنبياء عليهم السلام) (البعث والمعاد) (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (القرآن كلام الله) (إن الدين عند الله الإسلام) (موجز الأديان) — وهو في مجموعه رسالة تعطي صورة بدلائل من القرآن على أسلوب جديد لعلم الكلام . وهو موسوعة كبرى بدلائل الدين وأدلة المسلمين من القديم وعلماء المحدثين . لقد قرظه كبار العلماء وشهدوا بأنه وحيد في بابه لم يسبق إليه من قبل ، وأنه قد سد فراغاً وكان يجب أن يسد قبل اليوم بقرون ، والمصريون لأجله عن العصر منهم حضرات : الأحمدي الظواهري ، يوسف الدجوي ، راشد الكوثري ، عبد المجيد اللبان ، المفتي حسنين ، حسن البنا ، عبد الوهاب النجار ، طنطاوي جوهري ، شكيب أرسلان ، فريد وجدي ، جاد المولى — والكتاب في ثلاثة مجلدات يطبع بمطبعة الرسالة على أجود ورق . وقيمة الاشتراك في المجلد الواحد قبل الطبع ، والاشتراك في المجلدات الثلاثة ٣٠ قرشاً ويكون الثمن بعد الطبع ٤٠ قرشاً المجلد و ٥٠ قرشاً من الكتاب كله

والاشتراكات ترسل باسم لجنة الرسالة بشارع عبد العزيز رقم ٣٢ بعابدين بمصر

من نار العراق

قبلما يخمد القلب!

«سأمضي فاصحبي حبيبي إلى حربه
على بركات حسن صدره»

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ — العصب الضائع

سأمضي .. لا أخشى، ولا أتردد
ولكن صباباً سوف يشكو له الغد!
سأمضي .. لا أخشى! وكيف؟! وإنما
حنانك صعب الفراق مرعد
ورعد لأهل تود عينيك إنما
أغاني الهوى المسحور تبكي وتنشد
ويصبح خادبك المعذب قبره
مكبلة الأنسام لا تتنهد
حريق الأحلام، تشربه الصدى
بها لحن عيون السماع مقيد
مولودة في مهد الدموع كأنها
غريب الليالي لا رباب، ولا يد
سأمضي .. فاحتفي نغمتي إلى طرفها
بعقبى ركاب حق ممرد
إذا مر .. يا ويل الهوى! ويل منتهو
إذا هب إعصار النضال المعربد
وما ويل ما مست بك الروح شعرها
ضحكت في هذا العذاب المبرد
وتحمل أبكي خاطر شعبه
على كاهل من الأسى متمرد
تسيل كرامها دمع الثكالى، وقدرها
تنوح على لهيب الحرائق محدد
فإن ذهبت مخلداً تحسبك تقي
جنوني، وأشباح السكون المشرد
ويشدو إليه المعبرات عزائم الهوى
فلا الحسن مسعود ولا الحب يسعد
سأمضي .. لكي قصة الأمس حية
بجانبه يظل في الصخر
سأمضي .. لكي قصة تحيى حب
تذيب به في ثغرة الشعر نفسه
سأمضي .. يشيع الرب وطلالة
وما من إلها عادى تحوقد
تحن إلى أيدي الخلود، واصحبي
جبينا على كفيك كم راح يسجد!
وفي حصاك المنصور أن يقودها
إلى واحة الكبرى أسير وأرشد

٢ — الثورة الكبرى

[الفتاة]

وتعبر آمال الهوى منك صدقة
بنى تقدم أرى حنانا من أحمله
نعيد آمال من الكون حبها
أبيت به بين لونيتي أتهجد
مشيعة أحلامه من الحب، ذوبا
ونحو كمعصم الشرفة مدد
مهدي أرومة عشقها وضوها
في ضوءها ومن متحنى تتجدد
هي الثورة الكبرى يصبح بها عدت
بها شهوة الأيام نرعى وترعد
فلا تحسبها في السماء وأقبل
ثورتها .. فالفجر أوسع يصعد

* * *

«سأمضي .. لا أخشى! ولا أتردد
ولكن صباباً سوف يشكو له الغد»
«تحن إلى أيدي الخلود، واصحبي
جبينا على كفيك كم راح يسجد!»

(القاهرة) محمود حسن إسماعيل

كلمة ولوع

للأستاذ خليل شيبوب

غريبةٌ هذه الحياةُ ... وكل ما في الورى غريبُ

يا هند ما بال مقلتيك ... ملأى الدمع والصفاء
كأنما تحت حاجبيك ... من الدجى النجم والضياء
تكفكفي الدمع لا عيناك ... تبتسم الأرض والسماء
هذا فؤادي يحنو عليك ... صبابة والهوى ضروب
غريبة هذه الحياة ... وكل ما في الورى غريب

فما سكرنا من التصابي ... صبراً بأيسر من الرحيلْ
نحن حسبنا الهوى يماني ... فذا بقلب قد اشتعل
صح ما كان من حساب ... وخاب ما كان من أمل
الوقت أشقى من بعض حال ... لو آنه حاضر قريب
غريبة هذه الحياة ... وكل ما في الورى غريب

نحن احتسينا ثم افترقنا ... وهكذا العمر ينقضي
الحب لو شئنا افترقنا ... والقلب حتى وإن قُضي
يا ليتني حين لو التقينا ... ما كان يرضى فلا رضي
راقب النجمُ قد شرقنا ... به ولا يشعر الرقيب
غريبة هذه الحياةُ ... وكل ما في الورى غريب

ما قيمة الكون والبرايا ... في عالم بعيد الرؤى
لنبسها محدقٌ خطايا ... لبس أي آخر تأى
وأي هذه الرزايا ... أوجعها الحب شقلنا
حسبت في بوره عدنا ... إذا سلالي به صبيب
غريبة هذه الحياةُ ... وكل ما في الورى غريب

يا هند إني شقيت رشدي ... سبحانك الله في رشادي
أمسح عينك وهو عندي ... أهتز في الليل من رقادي
يا حبها ما لقيت عندي ... لها ولا خُلقتُ في ودادي
أدعوك عنداً وأي عند ... أدعو ولا سامع مجيب
غريبة هذه الحياةُ ... وكل ما في الورى غريب

نحن ضيوفٌ على الزمن ... منزلنا [illegible]
وما لنا فيه من أمل ... ولا لنا [illegible]
من عيشنا كلهُ السكن ... وقومنا كلهُ [illegible]
وعمرنا مرَّ ما بنا ... مستقرة ما له طبيب
غريبة هذه الحياة ... وكل ما في الورى غريب

(الإسكندرية) — خليل شيبوب

العودة...

للأستاذ العوضي الوكيل

عودي إلى حيثما أن تعودي ... وأن تسعديني بعيش جديد
عودي تأوه [illegible] ... ربيعٌ تحوّل وامحى الورود
عودي مشرقةً في الصباح ... ورائعةً كمعاني القصيد
وفاتنةً كسنا الخيال ... وآخذةً بمشاعر الشهيد
عودي عند طرف الصيف ... وبعثه على الشوق الصعيد
عودي [illegible] ... يفرّ به بعد طول الشرود
[illegible] ... نبيل لها بعدُ مسيل الخلود
كأن النوى [illegible] ... بصحراء ما بها من وجود!

عودي [illegible] عودة ... تجيء بشعري معاني الخلود
فكم [illegible] ... وأحيي روحي منه الوجيد
ألم لأقضي في الغروب ... تحيي به كعجاب الوجود
فأحسب [illegible] ... وراء تجيء هل من جديد؟

عودي [illegible] عودة ... تضاعف إحساس قلبٍ رشيد
يحلق [illegible] ... ويحطها في الأسفار [illegible]
ويحسب [illegible] ... ودمع [illegible] الشريد
ويهيل من شاء [illegible] ... ولا من دواء كمثل الورود!

عودي بأحسن [illegible] ... [illegible]
ألا فاجعلي الأماني القصيرة (؟) ... تشغله بعد يأس شديد
وهديه [illegible] ولا تبخلي ... على ذلك الطامع المستزيد!

([illegible]) — العوضي الوكيل

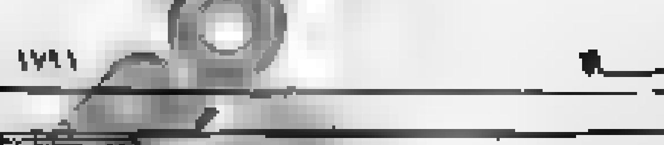

رسالة الفن

دراسات في الفن

الحــــرب والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

الشعوب المحاربة بطبعها هي الشعوب التي تسكن الصحاري والبوادي، وما يشبه الصحاري والبوادي من الأرض القاسية على أبنائها التي لا تجود عليهم برزق كاف أو رزق منتظم، فيحملهم الفقر على هجرة أرضهم والإغارة على أرض غيرهم لينهبوها ويعودوا إلى أرضهم، أو ليغتصبوها ويستوطنوها بدلاً من أهلها. فإن اطمأنوا في أرضهم الجديدة، فإنهم على صدر الأرض كالعون على جسمهم واحملوا في طبعها فلا يبقى لهم من نزوعهم إلى الحرب إلا ما يصحب به

أما وهم على طبعهم الميال إلى الحرب فإن فنونهم تتكون مما يلائم حياتهم، وهم في حياتهم رحالة، فقراء، مقاتلون؛ وفقرهم الدائم الذي يضطرهم إلى الهجرات المتتابعة لا يعين على تقدم الفنون التي تحتاج إلى أدوات ثقيلة، وإلى سكنات تمكنه. ولهذا لم يكن عند البدو تماثيل ولا صور، ولهذا لم يكن عند العرب موسيقى مما يستلزم حمله الأدوات الثقيلة التي تزحم المحارب في الحروب ولهذا لم يكد يكون عند الشعوب المحاربة من الفنون إلا الشعر والغناء والرقص

أما فقرهم فيصبغ روح الفن نفسها، فهو يخلق فيهم حباً للمال كما يخلق فيهم زهداً فيه، فهم يحبونه لأنه دليل على البطولة الواضحة المحصول عليه لأنه لا يستخلص إلا بالحرب والمجاهدة؛ وهم يزهدون فيه لأنه ليس دليلاً على شيء من هذا، فهو يبذل الكريم ماله للمحتاج حتى يفتقر فلا يأسف على حياته ولا يمكنه أن يطل

صبر عليه إلا إذا أراد أن يبرهن بأنه وأن يهضم النفس منه حتى لتستشعر الفن، أو إذا كان هذا الفقر نتيجة سكارة تكون للإنسان يد في صنعها كالعدوان أو الحرب

ورأيهم في القناعة يشارك هذا الفقر في صبغة روح الفن كذلك، فهو يخلق لهم مثلاً عليا من البطولة، والشجاعة والكرم والسماحة، والمروءة، والنجدة، والغرام الكبير صاحب التضحية مهما عظم وصعب، واحترام المستجير المستغيث، واحترام المرأة المحترمة، إلى غير ذلك من أخلاق الفتوة والفروسية

ومن أثر ما تخلقه الطبيعة في نفوس هؤلاء المحاربين: ضعف الإيمان بالغد والقدرة، وبالإسراع عند العودة إلى الصحاب، وهوان شأن هذه الحياة نفسها؛ فيخلق هذا في نفوسهم إلى جانب خلقهم الأصيل، روحاً من المرح والمجون والاستخفاف التي يشبه الطيش أحياناً، فتضيف أثراً في الحرب، ونشوة لهم بين الخمر والحرب

ويظهر هذا في الشعر، كما يظهر في الغناء، وكما يظهر في الرقص. أما الشعر، فيكاد لا تخلو قصيدة جاهلية مما يدل على طبيعة العرب الأولى من ذكر النساء والخمر والصيد... من أساليب التمام في الفخر وشفاء للثأر، ودلائل البطولة، وأيام النصر

وأما الغناء فلم تجد به الطبيعة على العرب إلا تختص به أفراد من خوارج دواتهم. وذلك أن الطبيعة في بلاد العرب تكاد تكون ساكتة لا تملأ الآذان إلا بحث الإصغاء إلى الصمت، وذلك على خلاف أوطان الفنون التي تشرف الصخور من بعض أطرافها، والبحور أصوات، والتي تجري على الجنات الصغار في بعض شعابها، وفي هذه الجنات مياه وأطيار وأشجار وعيون، وكل هذه أصوات، والتي قد تهب منها على هذه الجنات نسائم، وقد تهب رياح، والنسائم همسات، والزوابع صرخات؛ وقد سطع

الترك من شعور الحماسة عند غناء أبرز مما تمثله العرب ، فكان لغنائهم ألوان للأفراد ، وألوان للجماعات ، وألوان أخرى تنشئ الهياج والأحزان ، وألوان طابعها في التعبير عن أحاسيسهم وما في أنفسهم من الحماسة والصبر والبطولة .. وإلى جانب هذه ، فإن في غناء التركمان ما يقوم دليلاً على حبهم النساء والخمر والصيد

وأما الرقص فيه هنا كله أيضاً ، فهو رقص الخناجر والسيوف ، وهو ليس إلا تمثيلاً للحرب ، فيه من عنفها وحدتها كل عنفها وحدتها ، لا يخفضها شيء إلا ما يذكره المحاربون دائماً بهم في « أوقات الفراغ » من جمال النساء ، وحلاوة الخمر ، وبهجة الصيد

فالراقص العربي والراقص التركمانى يكران ويفران ، ويضربان ويطعنان ، ويكلمهما مع هذا يتثنيان ويحطمان رشاقة وتلطفاً لإرضاء المرأة ، كما يرقصان للمولة وربما يرقصان ثم يترنحان سكراً أو تمثيلاً للسكر ، كما يهرولان ويتمايلان عبثاً ومرحاً وعبثاً

هذه هي فنون الحرب في الشعوب المطبوعة على الحرب وهي منطلقة بخطرها في بوادي الأرض

وعند ما تستقر هذه الشعوب تبدأ فيها فنون الاستقرار ، فينشأ الرسم والنحت والخط والعمارة والتمثيل - ولعل أقرب مثل لهذه الشعوب هو الشعب التركي ، فإنه لم تنشأ عنده هذه الفنون الأخرى إلا بعد ما استقر في أوربا ، أما قبل ذلك فقد كان الشعب كله جيشاً ، والجيش لا يجوز أن يستقر في مكان ما ولم يظهر النحت في الحضارة التركية الشاهانية لأنها كانت حضارة إسلامية ، ولأن المسلمين ظلوا زمناً طويلاً وهم يكرهون النحت لصلته القديمة بالوثنية ومذاهبها التي أقام العرب عليها الأصنام يمحوها عما كان لما كانت هذه الدعوات التي كانت تطوف حولهم

فالنحت ليس من فنون المحاربين ، ولذلك فإننا لا نراه عند التركمان الذين لم يتسرب إليهم منذ تسرب إلى العرب من رشح المدنية

وعند ما تحارب الشعوب المستقرة بعضها بعضاً ، أو عند ما تهدد هذه الشعوب نار الثائرين عليها ، تكف العمارة ، ويكف النحت ، وقد كان الرسم أن يكف أيضاً ولولا أن الطباعة تمده بالاحتمال التي يلائم الحرب ، وقد كان التمثيل أن يكف كذلك ولولا أنه ينقلب دعايات حربية . أما الشعر والغناء والرقص فهي فنون الحرب التي تستطيع مصاحبتها ومسايرتها في كل حين .

والعمارة تكف لأن الحرب تهدم القائم للنزيه مما مضى ، ومع هذا لا يشجع على البناء الجديد ما دام البناء معرضاً للهدم ، والنحت يكف لأن صاحبه لن يجد عنده ما يشغل الناس بالحرب عن تمثاله ليقرأ السلام على تمثاله ، والرسم ليس من فنون الحرب الطبيعية لاستغراقه الشكل والأدوات الدقيقة ، وكذلك التمثيل ، لأن التمثيل يزيد على الرسم امتناعاً في الحرب لأنه يستلزم جمعه كثيراً من الضوء والاستسلام إلى حوادث الزمان ليستطيع منها موضوعات ، والضوء في الحرب منعدم ، ولا حوادث في الحرب إلا هذه الكأس ذات اللون الواحد والطابع الواحد ، وهي كما يحسه الأفراد المحاربون إحساساً لا يمتاز عليه إحساس الفنانين امتيازاً كبيراً ، وهي مما يعبر عنه الناس في كل ساعة بأقوالهم وأسئلتهم هم في غنى عن ترجمته وترجيعه في رحب الفن

ولكن الرسم أتيحت الطباعة فمكنته من الحياة في الحرب ، والتمثيل استخدمته الدعاية فأصاب وإنه القدرة على بعثها

والرسم والتمثيل هنا ، وهما لا يستطيعان متى تيقظا أن يستمدا على مواضع الحياة ومؤثراتها فلا بد أن يخضعا لما تخضع له فنون الحرب من هذه المواضع وهذه المؤثرات ولا بد أن تحببا إليهما ما تحتاجه الحرب في الأحياء من الحماسة والشعور بالبطولة والفتوة وسائر مشاعر الحرب ، كما يجب أن يشيع فيها الميل إلى النساء والخمر والصيد ، هذا الموكب من الأحاسيس هو الذي تحتمله النفس في الحرب

والعالم اليوم في حرب ، فهل ستنطبع الفنون بهذا الطابع الذي طبعها به الحرب ؟

قد كان العالم في حرب منذ ربع قرن ، ولقد حدث أن تأثرت الفنون بالحرب ، فتوقفت العمارة والنحت ، وانتعش الشعر بروح الحماسة التي استطاعت عشرة آلاف أن تصل حتى إلى مصر وإلى أمير شعراء العرب المرحوم أحمد شوقي بك فقال

بني مصر مكانكمو تهيا ... فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حليا ... ألم تك تاج أولكم مليا ؟

... ومع أن الشعب لم يكن يفهم هذا الكلام « النحوي » فقد أسمعه في غير مناسبة فرد من أفراده كان شيخاً يقرأ القرآن في المقابر ، وكان فقيراً يستعين على الحياة في محنته بجمع الصدقات وطلابها ، وكان يقف في المراحيض حيث كان يستطيع أن يجد من لا يتكبرون على الاستماع إليه وهو المرحوم الشيخ سيد درويش الذي غنى هذا النشيد بين عشرات الألحان للأنهية الأخرى

وكما انتعش الشعر بهذه الروح الحماسية ، سواء منه العربي والمصري الدارج ، فقد انتعش الغناء بها في العالم كله وفي مصر أيضاً بفضل سيد درويش كذلك ، ولم يبرأ الغناء في العالم كله ، ومصر خصوصاً في العالم ، من الإسراف في ذكر النساء والخمر والعبث

أما الرقص فقد جن جنونه في الدنيا ، وكتب الراقصون من الفالس والتانجو والفوكس تروت ، وعرف بهم الفارسون وأمثالهم من الرقصات الجنونية المكهربة التي انتشرت في العالم على أثر هدأة الحرب ، والتي أخذها العالم من السود الذين اقتبسوها من زملائهم المحاربين الزنوج الذين كانوا يحشرون من المستعمرات ، فرأوا فيها ما كانت ترتاح إليه أعصابهم من المرح والقلق . وقد عبد هذه الرقصات الشعواء عند الناس حال النشاط الخارق وثورة الأعصاب التي استولت عليهم في الحرب

أما الرسم فقد صحبته الحرب ، فكان من أقوى وسائل الدعاية فيها ، وازدهر منه الكاريكاتير الذي يختص بسخرية الخصوم بالخصوص ، والذي صبح بشكل خيال يحلق إليه الرسام

ومع هذا لم يخل رسم الحرب من النساء والخمر والعبث ، فقد انتشرت في الحرب الماضية اللاهية صور النساء العاريات ، والرجال المراة ، كما راجت تلك الصور وغيرها من النكات

وكذلك السينما فقد احتضنت هذه الدعاية جانباً كما احتضن منه الجمهور جانباً ، فشارلي شابلن ، ودوجلاس ، وكيتون ، والبرت وغيرهم ، كلهم من مواليد الحرب ، وقد كانوا جميعاً في خيالهم يؤدون وحي الدعاية لأوطانهم وجيوشهم ، كما كانوا جميعاً يروحون عن الناس بتهريجهم . وإنما كانوا قد عملوا شيئاً بعد الحرب نبت طابع الحرب فاستمر فيه إلى مدى بعيد ، فالعالم لم يستطع أن يتحول بشعوره عن حالة الحرب إلا بعد وقت طويل من خروجها

والذي يتتبع روايات شارلي شابلن يرى أنها أخذت تتخلص شيئاً فشيئاً من التهريج للنفس العرب ، وتذهب شيئاً فشيئاً إلى نقد الحياة الإنسانية في جوهر نفسها وفي مظاهر أسبابها حتى كانت روايته الأخيرة « العصر الحديث » نقداً عاماً للإنسانية عامة

ولكن شارلي لا بد أن يعود إلى فن الحرب منذ اليوم ، بل لقد أعلن العالم روايته « الديكتاتورية » التي سيقارع بها أدلف هتلر والتي أعتقد أن أثرها في الجيل سيكون أعظم بكثير من حملة تجردها جيوش كثيرة عليه . إن هذه الرواية ستكون حملة يقودها شارلي شعبة القائل الذي تكاد تشتمل أفراد الإنسانية جميعاً

وكذلك من يتابع روايات نجيب الريحاني يرى أنه كان في أيام الحرب دعاية وبهجة وتهريجاً وعبثاً موسيقياً اقتسمته ثلاث رحلات فيه : هي رحلة نجيب الريحاني ، ورحلة بديع خيري ، ورحلة سيد درويش . ثم أخذ مسرح الريحاني بعد ذلك يهدأ قليلاً قليلاً ، حتى مثل الريحاني في السنوات الأخيرة كوميديات تكاد تكون دراميات من كثرة ما فيها من الجد إلى جانب الهزل ، ومن وضوح مقاصد الخلق التي كانت تتطلع إليه . ثم كان للريحاني أخيراً رجعاً مصرياً اجتماعياً مصمماً ، هو وشريكه بديع

وأجد الحق مجبراً على أن أشهد بما في أن مسرح الريحاني هو المسرح الذي تمثلت فيه الحياة الطبيعية في مصر أكثر من غيرها

ولا بد أن يتغير الريحاني في الحرب . ولكنه في هذه المرة لا بد أن يرتقي عما كان عليه في الحرب السابقة ، ولا بد أن يتخذ الدعاية والتهريج الأسلحة بين عدو من موسيقى ذكريا أحمد ومن الجد ، وإن له في شارلي شابلن أستاذه أو زميله الكبير أسوة

فإذا كان حال الفنون في الحرب العالمية الماضية هو هذا الحال الذي رأيناه فسيكون إذن حال الفنون هو هذا الحال نفسه في هذه الحرب العالمية القائمة إذا طال أمدها ، وعكف مؤرخوها من الفوضى ، وسيكون هذا هو الحال في فنون الدنيا كلها ، فإذا لم يظهر مثل هذه الفنون في مصر فإن مصر ليست خالية من الفنانين

وكل هؤلاء الذين يلوذون بحق ودعي - عليهم أن يجربوا في الفنادق وعلى أفواههم الكلمات - هذا هو الحال التي إذا كانوا يحسون أثر الحرب

فإن لم يكونوا يحسون الحرب ؟

- فقد يحسون القيامة .. صبراً إلى يوم يبعثون !

[illegible]

تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله

لحظات الإلهام
في تاريخ العلوم
تأليف مريون فلورنس لانسنج

٢ - عصر النار

منذ عصور طويلة أدرك الإنسان وجوده في هذه الدنيا، ومع أنها وطنه ووطن أبنائه وأحفاده إلى مدى أجيال لا عداد لها، فإنه كان غريباً فيها، وكان عليه أن يتعرف إلى كل شيء.

وكل طفل يولد في هذه الدنيا يولد غريباً، حتى في داره. فلا بد أن يتعرف في بطء إلى الحجرة التي جيء فيها، ثم إلى الطريق الذي يسكنه، وإلى أبيه، وأمه، وإخوته، وأخواته؛ ويتبين فيما بعد أنه يستطيع المشي، وأنه يستطيع الكلام!

وفي يوم ما ينتقل من هذا العالم الصغير عالم الدار إلى المدرسة فيجد فيها أوسع من التي عرفها من قبل، وربما سافر بعد ذلك فعرف من دنياه أكثر فأكثر.

ومهما يؤد المرء من عمل فإن غيره قد هيأ له سبيله وسهل عليه تناوله، فقد يستخدم الصغير في السن ويريد أن يشيد لنفسه منزلاً فإنه لا يحتاج إلى تعلم صناعة البناء، لأن بين تلك الصناعة صنعة مهيأة لما يلزم عليه اختياره، وليس على من يريد التحصيل بالمدرسة أن يخترعها، بل يجد الإخصائيين يهيئون الأسلاك في منزله. وتنقل إليه الصحف واللاسلكية والصور المتحركة أخبار العالم، وتخبره الكتب عن جغرافيته وتاريخه، وتنبئه بالعالم بسائر الوسائل العلمية.

ومن بواعث السرور لنا نحن الذين وجدنا حياتنا ممهدة ميسرة هيئة أن نتعرف إلى الرجال والنساء الذين هيأوا لنا العالم هذه التهيئة

إنهم أناس عاشوا في هذه الدنيا قبل أن نوجد فيها، وعاشوا فيها في عصور بعيدة مختلفة. وليس في وسعنا أن نعرف شيئاً عن فريق منهم إلا بواسطة ما تركوه لنا من الأشياء كالأسلحة الحجرية والنقوش المرسومة على الكهوف ومعابد الآلهة. ومن هؤلاء الرجال فريق آخر عاش في عصر الأقاصيص والسير حين كانت أعمال الإنسان تنقل أخبارها إلى مسامع الأرض بأحاديث التائهين الذين لا يعرفون الكتابة.

ومنهم فريق ثالث عاش في بداية العصر التاريخي، وفريق عاش في القرون الوسطى، وآخر عاش في بضع المئين الأخيرة من السنين، ولا يزال فريق غير هؤلاء يعيش بين ظهرانينا إلى الآن.

لم يصل إلى الناس أي جزء من المعرفة إلا بواسطة استكشافه على يد إنسان. وقد كانت الأرض التي وجد الإنسان الأسبق نفسه فوق ظهرها حافلة بالكنوز كما هي اليوم، ولكنه لم يستطع استكشاف كنوزها لنفسه فلم تفض إليه بأسرارها؛ وكان عليه أن يتعلم إيقاد النار وإذابة الحديد الراشح بالصخور. وكان عليه أن يعرف مقاييس الزمن وأن يستخدم البوصلة في تسيير السفن؛ وكان البخار والكهرباء ينتظران استكشافهما على يده، والفحم والنفط لا يزالان مدفونين في باطن الأرض قبل أن يستخدمهما في إدارة الآلات.

وكان إنسان العصور السابقة يستطيع بكل هذه العناصر أن يأتي بالعجائب ولكن كان لا بد له قبل ذلك أن يستكشفها، وأن يعرف مزاياها.

وبسبب الحذق الذي أبداه الإنسان في أعماله أصبح اليوم غير غريب عن دنياه، وليس ذلك فقط، ولكنه أصبح السيد المتصرف في الدنيا.

لقد اجتاب على مدى قرون طريقاً طويلاً عجيباً فأصبح هذا الطريق يهديه إلى النصر

وكما أنه لا بد أن يوجد دائماً رجل مشبوب بالخاطر متنبه من شأنه أن يضيف جزءاً من المعرفة إلى كنوز المعرفة وإلى تقدم الإنسان، فكذلك توجد دائماً لحظة في حياة كل رجل من هؤلاء الرجال هي التي يتبين فيها حقيقة جديدة تدفع إلى عمل شيء عمله ويجعل جيله أحكم أو أرغد أو أتقى أو أسعد. هذه هي اللحظات التي تدور حولها قصصنا هذه.

إن العلم معرفة من المعارف الإنسانية وقد عمت المعرفة الإنسانية بما في الأنفس من ثمرات وآية جولة جوانبه، ومثل اللحظات العظيمة في حياة العلم على مدى العصور كمثل لحظات الإلهام والتبصر في حياة الفرد، وفي هذه اللحظات يظهر الإنسان وهو الخالق الذي سيره الروح والعقل يظهر الانتصار على دنيا المادة.

سر صنع النار

كما يرويه أهل الجزر في المحيط الهادي

منذ أجيال طويلة، كان أبناء الفناء لا يعرفون حديث الخلد بسكنى الأرض، ولم يكن أحد منهم ليعرف سر صناعة النار، ولم يكن يعرف ذلك السر إلا آلهة العالم السفلي.

وكانوا يرون حراسهم دائبين خشية أن يعلم الإنسان ذلك السر، فيصبح من محكه في مستواهم. وقد كان موطن النار في العالم السفلي كما يعرف ذلك كل من رأى دخانها المتصاعد من فوهات البراكين. ولكن كان من الصعب معرفة الطريق إلى ذلك العالم، لأن الآلهة كانوا كثيراً ما يصدون على أبوابها.

وحدث مرة أن أقام بين الفانين في العالم العلوي شاب اسمه ماوي؛ ومع أنه فتى كسائر من على ظهر الأرض، فإن أبويه كانا يعيشان في العالم السفلي بين آلهته، وكانا يرتحلان إلى الأرض للقيام بمهام الآلهة.

وكانت أم ماوي واسمها «هينا» تحبه، إذا أتت زيارته أبت أن تؤاكله، وكانت في رحلتها وعيشها تحمل سلة أتت بها من العالم السفلي، وهي تتناول الطعام على انفراد مما في تلك السلة. وفي أثناء يومها يوماً نظر ماوي إلى ما في السلة، وأخذ منها طعاماً، فذاقه، فوجده أفضل من كل ما ذاقه إلى الآن. ومع أنه كان من نوع سائر الطعام، فإن به شيئاً يجعله أفضل منه.

وعلم ماوي شيئاً من السر وعرف أن الآلهة يطبخون الطعام على النار حتى ينضجوها، فأصر على أن يعرف الطريقة التي تجعل الطعام من الجودة كما رآه. وأصر على مرافقة أمه سراً عند عودتها، وعلى أن تنتظر بالعصاب إلى العالم السفلي بحصل تحت القبة السفلية.

وانتظر ماوي أثر أمه وأفلت من الحراس عند الأبواب الأولى. أما عند بعض الأبواب الداخلية فقد كان عليه أن ينتظر طويلاً حتى ينعس الحراس ليتمكن من الدخول. ثم اضطر إلى الكلام لكنه وصل بعد مخاطرات كثيرة إلى منزل أمه وقال لها: إنه غير راغب في العودة إلى العالم الأرضي حتى يعرف صناعة النار.

قالت الأم: «ولكني لا أعلم هذا السر ولا يعلمه أحد غير إله النار وهو لا يفشيه. ومتى احتجت إلى نار جديدة فإني أذهب إلى أبيك «…» وهو يذهب إلى إله النار فيطلب إليه منحه جزءاً من لهب المحرق»

قال ماوي: «إذن سأذهب إلى إله النار وأطلب إليه سيعيني سرها»

فلما رأت أمه كل ذلك في عزمه اقتبست أبيها من إله النار لعله نشيتها أن يصاحب ابنها الذي في العالم السفلي. ولكن ماوي أصر على الذهاب وسأل عن موطن إله النار فدلته أمه على الطريق. وكان اسم مسكنه «بيت شجر الورد»

وقالت له حين هم بالذهاب: «احترس يا ماوي فإن إله النار قوي جداً وقد يشتد به الغضب»

وذهب ماوي إلى بيت إله النار وعرفه الحال عندما رأى كثرة الدخان المتصاعد فوق سطحه.

وكان إله النار مشغولاً بطبخ طعامه، ولكنه وقف وسأل ماوي عما يريد.

قال ماوي: «أريد جذوة من النار». فكان جواب إله النار – وهو يعود إلى الطبخ –: «لن ينال أحد الفانين جذوة من النار»

قال ماوي: «إن الفانين في حاجة إلى النار، وإنه قطع كل هذه المسافة أملاً في الحصول عليها» فقال الإله وقد ولاه ظهره: «لقد علم الفانون ما فيه الكفاية، ولو عرفوا النار أيضاً لصاروا آلهة»..

وعاد ماوى حزيناً لأنه رأى إله النار لن يعلمه هذا السر ولكنه عزم على البقاء مختبئاً بالقرب من منزل إله النار ليرى من سيكون في وسعه أن يعرف بنفسه سرها . ومع أنه طلب جذوة من النار — كما أمرته أمه أن أخذ يعمل فإنه أدرك أثناء نظره إليها أن جذوة في مكمنه لأنه لا يستطيع أن يصطحبها مشتعلة أثناء رحلته إلى السماء

وحبا ماوى بين أشجار الورد وراقب إله النار وهو يصيح غضباً وجاء أسفه ملفقاً وهو يتكلم بيأس ويعود إلى بيت أمه في ظلال الفوهة المظلمة التي كان إله النار يرسل منها دخان ناره إلى العالم (حيث لا يزال الناس يرونه إلى هذا اليوم) — من خلال هذه الفوهة انصب وابل من المطر ، وكانت نار هذا الإله تحت هذه الفوهة مباشرة . وكان انهمار الماء شديداً لم يعد الإله يرسه حتى لا لأحد جذوة منها فأصبحت النار بعيدة أن تعد متسعاً من الوقت للاشتعال

وكان إله النار في البداية عند الغضب لم يستطع أن يعمل شيئاً سوى أنه سب المطر الذي أطفأ ناره قبل أن ينضج طعامه أو يكاد . ثم التفت ليستوثق من أن أحداً ليس عند النهر . ولكنه لم ير ماوى الذي كان على شجرة مشرفة على المنزل ، ثم دخل حجرة أخرى وأخذ لبيب ، وأخذ من بعض أركانها قدراً من ألياف نخيل من الشكاكاو وأخذ قدراً من ركن آخر مجموعة أو ستة من فروع الورد . وكان في وسط الغرفة كتلة صغيرة من حطب صلب وصلب مجوف

وكان ماوى يراقب باهتمام ما يفعله إله النار فوجده يشق فرعاً جافاً من فروع الورد وسنه فتلاً محكماً وعمك بقوة أطرافه المفتوحة وحكه بباع المجوف التي بالكتلة الخشبية

وكان في أثناء ذلك ينشد

شجر الورد يا شجر	أعطني منك ما استتر
جذوة منك تختفي	خلف غصن من الحجر
أعطني منك جذوة	حية تبعث الشرر

وفي هذه الأثناء رأى ماوى الدخان وقد بدأ يتصاعد من الفرع المثقوب في التجويف ، ثم زاد تصاعد الدخان ، فلما رأى الإله تصاعد الدخان ألقى في النار بألياف الشكاكاو . ودهش ماوى إذ رأى ناراً محرقة ساطعة

لم يصبح ماوى وقته سدى بل أسرع الهوينى إلى العالم وأخذ ألياف الشكاكاو وفروع الورد وكتلة من الخشب الصلب وأخذ يجرب العمل بذلك ليعرف هل يستطيع الحصول على النار

وقد استغرقت منه التجربة وقتاً طويلاً لأن صنع النار ليس بالعمل السهل . وستعرف ذلك إذا حاولته . ولكنه استفاد من تجاربه عليه كيف يمسك ورقة الورد الجافة وكيف يفتلها وكيف يشتد في حكها كما ينبغي

ولما وثق ماوى من أن النار سكنت في شجر الورد وأن في وسع أي إنسان أن يحصل على جذواتها — ذهب إلى رؤساء القبيلة فأخبرهم بذلك فجاءوا إليه جماعة وراقبوا صنعه النار

ومع أن بعضهم خافوا أن يحل بهم غضب الآلهة لأنهم علموا هذا السر غير المباح فقد حملهم أجر هؤلاء الزعماء على حصولهم على هذه القوة

بعد ذلك علم الناس أن النار مكنونة في الخشب ، وأنه يخرج منه طوع الإرادة ، وأن أحدهم يستطيع أن يصنع النار كلما أراد فيصبح طعامه بيده نفسه

وكان يوماً عظيماً في عمر الإنسان ذلك اليوم الذي عرف فيه كيف يصنع النار

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

لغة الشفرة وأثرها في الحروب الحديثة

[عن « ميدلاند الكرونكل »]

من الرسائل الهامة في أيام الحروب فن كتابة الرسائل السرية وقد ألف مستر فلتشر برات كتاباً جديداً بين فيه أصول هذا الفن منذ نشأ إلى أن رقى وعم استعماله بين سائر الأمم

ويعرف مستر برات في كتابه سالف الذكر « إن سائر اللغات المكتوبة « شفرة » وليس لرموزها معنى في ذاتها ، إلا أنه سيكون لها معنى حينما تترجم بطريقة يعرف سرها الكاتب والقارئ ؛ وإذا كان هذا قد غاب عن أذهان الناس ، فذلك لأننا نتعلم القراءة ونحن في أول مراحل الحياة »

ولكي نفهم ذلك تمام الفهم ، يجب أن نرجع بأذهاننا إلى العصور الوسطى ، فقد كان الذين يعرفون القراءة ندرة في تلك العصور ؛ فإذا تسلم أحدهم رسالة ، ذهب بها إلى شخص يعرف القراءة ليحل رموزها ، كما نفعل حينما ترد علينا رسالة مكتوبة بالشفرة في هذه الأيام

وكان طبيعياً بعد انتشار القراءة أن تظهر الحاجة إلى لغة الشفرة . أما لغة الأسرار الحربية في العصر الحديث فقد ظهرت الحاجة إليها متأخرة ، ولم يصل فن الكتابة السرية إلى الدرجة القصوى من الأهمية إلا بعد نشوب الحرب العظمى . حتى أن كبار الضباط البريطانيين في حرب البوير كانوا يجدون صعوبة في تبادل الرسائل باللغة اللاتينية التي تعد شفرة بالنسبة للبوير

واتخذ من اللغة اللاتينية وبدأت محاولات كثيرة لوضع لغة سرية للميدان منذ سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٤ بدأ في حيث البساطة وسرعة التفاهم ، وقد قامت كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا بجهودها في هذا الشأن

فلما أعلنت الحرب العظمى في ذلك اليوم من شهر أغسطس أذاعت ألمانيا في جميع أعمالها كلمة (ولد اليوم مولود) وكانت هذه الكلمة هي الرمز الذي وضعته لكلمة الحرب ، ومنذ ذلك اليوم والنصر والهزيمة معلقان بمعنى كلمة تسمع من وراء الحدود لمعرفة شيء من تلك الرموز

ومما يرويه مستر برات على سبيل المثال أن « فون كلوك » كان يقود جيشاً ألمانياً في مساء ٢ من سبتمبر ١٩١٤ ، فأصدرت إليه تعليمات بالتقدم ليحول وجهته بعيداً عن باريس ، متجهاً إلى جنوب شرقي فرنسا ، فلم تصل إليه هذه الرسالة ، ولكنها وصلت إلى الفرنسيين ، حيث استطاعوا حل رموزها ، وقد أمر الجنرال جوفر بتغيير الخطة التي كان قد وضعها ، وتقدم الجيش الفرنسي من باريس إلى المارن حيث تم له النصر على الألمان

إن فن الشفرة على جانب عظيم من الخطورة ، وهو الشغل الأول من اهتمام الدول وقت الحروب . فالنصر والهزيمة للأعداء حيث تكون أسرار الشفرة في طي الكتمان ، وفناء الأمم وضياع العروش والممالك ، حيث تفشى هذه الأسرار

ستالين يحول الاتجاه نحو آسيا

[عن مجلة « باريد »]

لم توضح المشكلات الخطة التي وضعها ستالين ووضعها لروسيا إلى الآن ولكنها قد تتبين بالحركات والأعمال ونستطيع أن نحكم بناء على ما نراه من حركات ستالين ، أنه يصور روسيا دائماً كإمبراطورية شرقية عظيمة ، يرجع معظمها من آسيا

وكثيراً ما يعتقد في نفسه أنه مبعوث لبناء إمبراطورية أسيوية كبرى ، فيمد الحبال إلى الأصقاع المهجورة في سيبريا ، وأواسط آسيا ؛ وقد سار بخطى واسعة لتحقيق أمله هذا في عشر السنوات الأخيرة

وقد يرى ستالين أنه سيخلق جيل جديد من الشرقيين ، يجمع بين العنصر الأسيوي والعنصر الأوربي على عموم روسيا وسياسة روسيا الخارجية كسياسة أمريكا كلاهما مرتبط

مجرى الحوادث في أوربا وآسيا معاً . إلا أن في الوقت الذي نرى فيه سياسة أمريكا تتحول شيئاً فشيئاً على يد الرئيس روزفلت من الناحية الأسيوية إلى الناحية الأوربية ، نرى مقاصد روسيا تتجه على النقيض من الناحية الأوربية إلى الناحية الأسيوية

إن نظرة واحدة إلى مطالبه في أوربا تجعلنا نستشعر ستالين في أعماقه نحو آسيا، أو على الأقل اتجاهه إلى ذلك الجزء من آسيا الذي يقع على تخوم روسيا ؛ إذ أن المساحة الشاسعة التي ستقتسمها روسيا الأسيوية ، وما تحوي من الموارد الطبيعية لم يعرف تقديرها بعد

إن مطامع ستالين وعبقريته القوية لا تنصب إلى الاستيلاء على روسيا الأسيوية فحسب ، ولكنها تمتد إلى الأصقاع والأقاليم المتفرقة في أواسط آسيا ، خارج تخوم روسيا الحالية ، حتى يكون للأجيال القادمة أرض جديدة يستثمرونها بغير ثمن ، بعيداً عن منازعات الدول

وعلاوة على هذا يرى رجال السياسة الروسية بأن روسيا السوفيتية لا تميل إلى التوسع ، لأنها من الأمم الراضية القانعة . وهذا قول قد يبدو صحيحاً إذا أريد به أوربا ، فحكومة السوفييت ستعود قليلة الاهتمام باسترداد أملاكها المغتصبة في أوربا، وإن كثيراً ما نجد في ظروف قد تكون مجهدة من الإنصاف . فإذا اتجهنا إلى آسيا وجدنا الوضع يختلف كل الاختلاف

فستالين لا ينوي استرداد الأراضي التي كانت يوماً ما في حوزة روسيا في الشرق الأقصى فحسب ، ولكنه يعمل للاستيلاء على المواطن الهامة بعيداً عن الحدود الروسية الحالية أو تخومها السابقة

وقد أعلن أن الجيش الأحمر على استعداد لحماية أراضي منغوليا من أي اعتداء ، والسوفييت يحتلون تلك البلاد منذ ١٩٢٤ ، كما تحتل اليابان منشوريا منذ ١٩٣٦ على حد سواء

دخل الدكتاتوريين

[عن « ذي برسبان تلغراف »]

كان يتقاضى هتلر وهو مستشار الريخ ٤٠٠٠٠ جنيه في العام منذ آل الأمر إليه في ألمانيا تنازل عن هذا المبلغ وقرر أن يكتفي بما ينال من أرباح كتابه « كفاحي »

أما ثروة الدكتاتور الألماني فهي في حيز المكتوم ، إلا أنه مما لا شك فيه أن مجموع ما حصله من كتابه لا يقل عن مليون جنيه بحال من الأحوال

ونال — حتى في ألمانيا الحديثة — يعود على صاحبه بالمال ، فمن الطبيعي أن تبذل المجهودات اللازمة لتنمية الثروة التي جمعها هتلر من حقوق طبع هذا الكتاب ومضاعفتها

وإذا عرفنا أن الذين يديرون أمر هذه الثروة ، يعتبرون في عالم الاقتصاد عرفة الأموال والظروف الاقتصادية مثل غيرهم ، تبين لنا مقدار ما يستفيدونه من استغلال هذه الثروة

ولم يستطع دكتاتور مدى التاريخ أن يجمع ثروة من مثل هذا المورد العجيب ، فقد كانوا يحصلون المال من الأبواب التي يتحكمون في مصالحها ، وقد يبذل هتلر كثيراً من نقوده في نشر كتابه وترويجه . ومن الطرق التي يتبعها في ذلك — على سبيل المثال — أن كتاب كفاحي وإن كان القانون لا يحتم أن يباع منه نسخة معروضة ، إذا وجدت مثل هذه النسخة منه عند بائع الكتب ، تعرضه لتهمة اليهودية بغير تردد

ولا يجهل أحد القانون الذي صدر في ألمانيا بإلزام كل شخص يريد الزواج باقتناء نسخة من كتاب « كفاحي » ، ولكن الذي لا يعرفه الأكثرون أن هذه النسخة يجب أن تدفع ثمنها الحكومة.

وبهذه الوسائل تمشي الدعاية والمنفعة جنباً إلى جنب ، حتى لا يكلف الفوهرر وحده بعيداً وحداً على حسابه بطريق مباشرة يتقاضاه سنوياً يتراوح بين ١٠٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠٠ بطريق غير مباشرة

على أن للفوهرر امتيازات أخرى غير محدودة ؛ فمن البديهي أن كل ما يحتاجه أو يستعمله في حياته الخاصة تلتزم بدفعه الحكومة

أما موسوليني فيتقاضى من الحكومة ١٥ جنيهاً في السنة ، ولكنه يربح من الصحافة أضعاف هذا المبلغ ؛ فهو يستغل باسمه صحيفة « بوبولو دي إيطاليا » وقد أصبح كل إيطالي يقرأ هذه الصحيفة معتقداً بأنها صحيفة الدوتشي . وتقوم الحكومة بدفع مصاريفه الخاصة — كهتلر — فهو لا يحتاج إلى إنفاق شيء من ماله الخاص

ولعل أفقر الدكتاتوريين هو ستالين . ويقال إنه يتقاضى ٨ جنيهاً في الشهر . أما المبلغ الحقيقي الذي يتقاضاه فمن المحتمل أن يكون ٥٠٠ جنيه على وجه التقريب

على أنه ليس لديه ما ينفق فيه هذا المبلغ ، فالحكومة تقوم بدفع الثمن لكل ما يحتاج إليه

جواب عن أسئلة الأستاذ الطنطاوي

جاءنا من علامة حضرموت ومفتيها الأستاذ عبد الرحمن بن عبيد الله هذا الجواب عن سؤال الأستاذ (الطنطاوي) المنشور في العدد ٣٦٩ وقد أملاه على أحد تلاميذه قال:

يتقاضى الكلام من أوجه في الجواب عن هذا السؤال ملء حسان التصانيف، والأسفار والتآليف الضخام، حتى تبرد القلوب وتطمئن النفوس بسماح صدر الإسلام وشمله للمولد وقبول مبادئه للمصالح العامة إلى الأبد، وحتى تتأكد بأن الفقه الشامل مبني على الأسس الثابتة من الكتاب والسنة. وهذه من عفو الخاطر ولسان البديهة ما يكون لمعة مقنعة وحجة للسائل إلى أن تسنح الفرصة للإقامة بما يشفي أوامه بالأدلة الكافية والبراهين القاطعة

أما أولاً فلأن في الاستصناع والتوكيل في الرؤية والقسم ما تتسع به الطرق في التعارف بين التجار

وأما ثانياً فلأن مقابل الأصح في المنهاج صحة بيع الغائب وإن لم يره البائع ولا المشتري، وبه يقول الأئمة الثلاثة. وقد جاء في فتاوى ابن حجر وأبي مخرمة أنه متى أمر السلطان باتباع مذهب معتبر في قضية وجب اتباعه فيها في الحكومة إلا أن حصر أمرها بالسوق بذلك ويتحل الإشكال

وأما ثالثاً فلأن الإمام النووي اختار انعقاد العقود بالمعاطاة، وتسامح في القول بها الإمام الغزالي وهو ممن لا يجهل مكانه من التصلب والورع في الدين. وقال في التحفة: وعلى الأصح لا مطالبة بالمعاطاة في الآخرة فرضاً (?)

وأما رابعاً فلأنه يسن للمقترض أن يزيد في الدفع على ما اقترضه لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحسنكم قضاء. وإذا انضم إلى ذلك الأمر من السلطان صارت الزيادة (?) واجباً كما بينت ذلك في كتابي (صوب الركام) في إشكال البنك المصري وأمثاله مع بعض الفتاوى الراسخة التي يتسع في معاملاته ويثق في مكاسبه بفسحة (?) عما حرمه الله وأنزل عليه تحريمه من الربا

وأما خامساً فلأن القول بالمصالح المرسلة يمهد السبيل لكل مصلحة، ويفتح الباب لكل منفعة

وأول من فتحه على مصراعيه الخليفة الثاني رضوان الله عليه أوليس هو القائل: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحرمهما. وجاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة، ثم قال عمر إن الناس قد استعجلوا ما كانوا فيه على أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم

وقد أجمع الفقهاء الأربعة على نفوذ الثلاث باللفظ الواحد، وإنما أمضاه عمر لما ظهر له في إمضائه من المصلحة كما قاله النووي وصحبه السبكي. فهو إذن ضرب من القول بالمصالح الذي عليه الأكثر من المالكية، وبه يقول كثير من الشافعية، منهم علامة اليمن ابن زياد. وتوسع به الحبر العدل شيخ مشايخنا الإمام عبد الرحمن ابن سليمان الأهدل، حتى لقد نقل عن العلامة المشيري الحكم بالدية في القسامة التي تخشى فيها الفتنة من الحكم بالنصوص الفقهية، نظراً إلى المآل وترجيح [illegible]، ولم أر من أوسع القواعد لدى فقهاء الشافعية وأصولهم أنه إذا ضاق الأمر اتسع

وأن الفقه ليس إلا النظر السليم للوازم تقريب الإسلام الضامن لمصالح الأمم على ممر الأيام. وما هذه إلا برهان (?) من جمود بعض منتحليه فيظن به ما هو منه براء، وبينه وبينه سهل وعرة وأرض عراء، هذا ما تسنح، والدهر عهد النصب والرزية والتنقص (?)، لأنه كما ترى بلا إعمال روية ولا إتعاب خاطر ولا مراجعة صحيفة، ومن ورائه تفصيل، وأنا به بعد هذه العجالة كفيل، إن شاء الله تعالى.

(حضرموت)

عبد الرحمن عبيد الله

مفتي حضرموت

إلى الدكتور زكي مبارك

هل تسمح لي يا دكتور أن أسألك عن بعض جمل جاءت في مقالك الأخير ؟

إنك تقول : « ... فكل ما نقرؤه في الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالسذاجة والجهل والطيش والغفلة وسوء الفهم وشناعة التصور وجمود العقل وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات المعيبة وضعت لغرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية ، لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة ، عقيدة التوحيد ؟

« وكان من حق رجال الدين أن يصنعوا في تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون لأنهم كانوا يريدون رمياً في دماغ ... »

وقد عرض لي عند قراءتها إشكالات

١ — أن التاريخ هو العلم الذي يحدثنا بأخبار من مضى ، وكتبه هي مادة هذا العلم ، فإذا كان في كتب التاريخ وصف العرب بمثل الذي تقول أو بعضه أو ما يشبهه ، فإنه يبقى صحيحاً معتبراً حتى يجيء من ينقضه بالأدلة العلمية المستندة إلى النص الصحيح . أما حكمك عليه بالوضع بلا دليل فلا يصنع في رده شيئاً ، فهل لك عليه من دليل ؟

٢ — وقولك لما رويته الكتب الدينية ، أو بعضهم من كلامك أنه رويته ، وحكمك عليه بالوضع أشد ؛ لأن هذه الكتب الدينية ، من دواوين الحديث أو مجموعات التفسير أو تصانيف الأئمة ، حجة المسلمين في دينهم ، ومصدر يأخذون منه شريعتهم ، فإذا صح تكذيب شيء منها بلا دليل صارت كلها عرضة للتكذيب ، وبطل الدين ... وإذا كانت مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين ، فإنها تفتح الباب إلى ما ليس بالهين ويكون منه في الناس فتنة — أعيذ الدكتور زكي مبارك أن يكون صاحب الذي سيحمل وزرها ووزر من عمل بها

٣ — ما الدليل على أن الرواة اختلقوا الأخبار لتحقير الوثنية أو أنهم تعمدوا هي رواية أمثالها ؟

٤ — ليس في الإسلام طبقة خاصة تعرف رجال الدين ، وإنما فيه العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين ، وعلماؤهم طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين ومقلديهم ، فأي أولئك الذين يحكم عليهم الدكتور بوضع هذه الأخبار في تحقير الوثنية ونسبتها ؟ وهل من الممكن أن الصحابة والتابعين الذين عاشوا فيهم النبي ، الكثيرون ممن شرك الجاهلية وشيع أحوالها ؟

٥ — وما معنى قول الدكتور بأن ما جاء في الكتب التاريخية والدينية من الأخبار الموضوعة (وضعه) رجال أرادوا بها تحقير الوثنية لتقوم على أنقاضها عقيدة التوحيد ، مع أن المعروف الثابت أن الوثنية هدمت منذ هدم الله أصنامها ، وعفت آثارها ، وقامت عقيدة التوحيد من انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ورسخت دعائمها ؟

هذا وليتني الدكتور أن ... بجواب ... فإني ... جوابه عليه

علي الطنطاوي

حول نعيم الجنة

رأيت في العدد (٣٦٦) من الرسالة رد أستاذنا الدكتور زكي مبارك على ... ، ذكر الدكتور ما يفيد أن هناك من يرى أن الجنة رمز وتعبير ، ولكن لما كانت اللذات الأخروية هي لذات لا تدرك إلا بالعقل المحض ، فقد قال مثل العلامة الأصفهاني : إنه لما أراد الله أن يقرب معرفة تلك اللذات من أفهام الناس شبهها ومثلها لهم بأنواع ما عرفوها بحواسهم ، فقال تعالى : « مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » ليس المشار عليها مما عرفوه من طيب الطعام ؛ وقال : « مثل الجنة التي وعد المتقون » ولم يقل الجنة ينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتخييل ؛ وأن الإنسان إن اجتهد ما اجتهد أن يطلع على تلك السعادة فلا سبيل له إليها إلا على أحد وجهين : أحدهما أن يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك . والثاني أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأعراض النفسانية فيطلع من وراء ستر رقيق على ما أعد له[1]

ولكنا لا نستطيع الأخذ بنظرية التصوير هذه ، لتبين وجود جنة بها أشياء مادية ، وخرج منها أبوانا آدم وحواء لأكلهما من الشجرة المحرمة ، ولا نريد أن نخوض في الخلاف الذي ذكره ابن القيم الجوزية في الجنة التي سبق لآدم السكنى فيها هل كانت جنة الخلد أم جنة أخرى[2] لأنه على أي حال يجب استبعاد النظرية

(١) راجع ص ٥٩ — ٦٢ من كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للأصفهاني

(٢) راجع حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٩ — ٢١

التصوير مقارب للكثير من النصوص. إنه لم يبق إلا قول الدكتور زكي مبارك: « إن الإنسان مكون من جسد وروح ، وهو كذلك في الحياة الأخروية » . ولا أدري لماذا نسيت أستاذنا الدكتور يذكر هذا الشيء البديهي ، ولكني أطمئن دكتورنا على أن الثواب والعقاب سيكونان للروح مع البدن. أذكر خلاصة ما ذكره الغزالي من أدلة على هذا من أن الأعمال والتدابير والآثار كلها تصدر من الجسد والنفس ، وأن الطاعة والمعصية صدرتا منهما جميعاً ، وأن الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية إنما صدر من الجسد بواسطة الروح فيجب أن يكون العقاب والثواب لهما[١] وأن كلاً منهما محتاج لصاحبه ، ولولا الروح لكان القالب جماداً ساكناً ، ولولا القالب لما كان للروح سكن ، فكل واحد فاعل وعامل من وجه فيكون الخطاب والثواب والعقاب لهما جميعاً ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه : لم تزل الخصومة قائمة إلى يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فيقول الجسد : أي رب خلقتني كالخشبة ولم تجعل لي يداً أبطش بها ولا رجلاً أمشي بها ولا عيناً أبصر بها حتى دخل هذا علي كالشهاب ، فبه نطق لساني ، وسمعت أذني وأبصرت عيني وبطشت يدي ، فأحل عليه العذاب ونجني من النار . فتقول الروح : يا رب خلقتني كالريح ولم تجعل لي يداً ورجلاً وعيناً وأذناً إلا بحركته ، ولم أسكن إلا بسكونه ، فما ذنبي وما جرى ؟ أي رب أحل عليه العذاب ونجني .
قال : فيضرب الله تعالى لهما مثلاً كالأعمى والمقعد يصطحبان ، أما الأعمى فلا يبصر ، والمقعد لا يقدر على المشي ، فدخلا إلى بستان فيه ثمار وطلبا حيلة ، فقال الأعمى : أنا لا أبصر فأنت ترى الثمر ، وقال المقعد : بل أنت فإني لا أقدر على المشي ، ثم تعاشرا وتناصحا وقالا : هذا أمر لا يتم بأحدنا دون الآخر ، يا أعمى ارفعني حتى أتناول الثمار وأقطف الحب ، فهذا وأنا هذا الحب وأكلاه . وقال المقعد : لولا أنت يا أعمى ما أكلت . وقال الأعمى : ولا أنت يا مقعد لما أكلت . ونحن لم ننكر قط الروح واعتماده كما قلت في كلمتي الأولى في العدد ٣١٥ : « إن الإسلام دين روحانيات ومعنويات ، وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالجسمانيات والماديات ، بل هو يعنى بها وينظمها التنظيم الذي يكفل بأن يرقى بالإنسان إلى الروحانيات ، وأنه إن أراد يمنعها اللذة الجسمية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هي في دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكثر مما تتصل بالروحانيات والمعنويات » ، فكيف يصح

الاعتدال ؟ نسي دكتورنا أن النعيم يستلزم الجسم والروح جميعاً إلا أننا على ذلك بل على أن العذاب سيكون حسياً أم روحياً ؟ أو آخر على حسب الله ، سيجعل أهل الجنة أن روحية أم حسية ؟

على أنه يطربني أن أرى أستاذنا الدكتور زكي مبارك يجنح نزعة روحية من غير أن يشعر ، إذ يقول في كلمته في العدد ٣١٩ : « سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم رضوان الله أطيب نعيمهم في الجنة من ثمرات وطيبات » . وإني كنت لا أفهم كيف يرى هؤلاء نعيمهم أن الرضى بالنعيم أطيب لهم في الجنة من ثمرات مهما كانت درجة الرضى عنه . وقد أخرج من هذا عن الدكتور في العدد ٣١٨ في الرد على الأستاذ الغمراوي : « إن السعادة الصحيحة هي رؤية الله في صحبة المشكورين » فإني أرى أنه يعدل قد وضح عنه كثيراً عن رأي حسية لأهل الجنة ، ولولا ذكره ما ذكر من هذا لقلت فيه الأستاذ الغمراوي مناقشة عنيفة في كلتين ، فشكر أستاذنا الدكتور زكي كله يعيد الله تعالى فيها على سنة الإسلام .

على أن وجود الأشياء الحسية في الجنة لا يعني أن النعيم سيكون حسياً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب ملاحظة تغير ما في طبيعة الإنسان في الدنيا عنها في الآخرة لوجود قوى حسية لازمة لتهيئته وعدم إمكان حصول هذا في الآخرة ، على أن أصحاب الجنة لم يصلوا إليها إلا لأنهم صفوا خصائص الروح وهذبوا كثيراً كل حسب مرتبته فيها ، فلا يعقل أن يكون نعيمهم لهذه الروحية في العالم الثاني أقل من نعيم لها في عالمهم الدنيوي . ثم إن العفو مكنه ، وجو الجنة جو روحي لا يمكن أن يجد إنسان إلى الخروج عنه ؛ على أن المحسوسات في بعض الجنات سيلذ بها بعض الرغبة فيها ، على أن تكون ثانوية وتابعة ، وعلى أن تتجه نحو الفكرة الروحية . وقد دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى — كما في الحديث القدسي — : « تريدون شيئاً أزيدكم ؟ » فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » .
ويكفي أستاذنا الدكتور زكي مبارك من علامات روحية النعيم في الجنة أن أصحاب الجنة سيكونون ولا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

محمود علي قراعة

---

(١) ص ٦٠ و ٦١ من [illegible] الغزالي

المغرب الأقصى وفكرة الخلافة

قرأت متأخراً في العدد الممتاز من مجلة «الهلال» الأخير مقالاً للأستاذ عبد القادر حمزة باشا عن الخلافة الإسلامية وعدم إمكان قيامها في الوقت الحاضر، جاء فيه ما يلي:

«ولنا فضل إنه من الميسور أن تقوم الخلافة بين الأمم الإسلامية المستقلة، وأن مصر أولى هذه الأمم بتلك الإمامة لأنها تمثل العالم الإسلامي؛ إذا قيل هذا، فيجب ألا ينسى أن هناك من يعارض في الخلافة، ولا يعترف بها كتركيا والمغرب الأقصى وغيرهما، وما من فائدة في قيام نظام لا يعترف به الجميع»

أريد أن أسأل حضرة الكاتب عمن أخبره بأن المغرب يعترض على فكرة الخلافة

فإذا كان هذا النبأ وصله من طريق الصحف الاستعمارية، أو من تصريحات الرجال الرسميين، وهو لن يصله إلا من هذين الطريقين، فأريد أن أبين لسعادته: إن القول في مثل هذا الأمر ليس هو من حق هؤلاء ولا من حق أولئك؛ القول الفيصل في هذه إنما هو لإرادة الشعب المغربي، والشعب المغربي لن يعارض مطلقاً في كل فكرة يستمد منها الإسلام والعرب القوة والمجد، كفكرة الخلافة الإسلامية، أو الوحدة العربية

وإذا كانت وضعية المغرب لا تسمح له في الوقت الحاضر أن يساهم في مثل هذه الأعمال الكبيرة، فهو يرجو أن تتحقق لأنه يعلم أن مثل هذه المشروعات العظمى ستعود عليه وعلى باقي الأقطار العربية التي تحت الاستعمار بأكبر النفع، وستزيح عن كاهلها كثيراً من القيود والسدود

على أن موضوع كلام الكاتب إنما كان في الأمم المستقلة، والمغرب ليس كذلك، فهل نسي سعادته أن المغرب تحت حماية فرنسا؟ وما وجه قران المغرب بتركيا؟ إن المغرب يختلف تمام الاختلاف من حيث الأوضاع والنظم عن تركيا. والمغرب متمسك بدينه بأيد من حديد، ويريد اقتفاء قواعد الإسلام حذواً حذو، كما سنها الرسول، وكما نزل بها القرآن

وأخيراً فأقول: إن الحركة القومية بالمغرب التي يترأسها الزعيم الأكبر محمد بن الحسن الوزاني — أطلق الله سراحه — كانت صرحت في جريدتها «الشعب»: أن من الأسس التي ترتكز عليها «القومية المغربية»: «الاستقلال والحب والرابطة العربية والجامعة الإسلامية»، وهي ما كانت لتقول مثل هذا الكلام لو لم تكن شاعرة بما يختلج في ضمائر الشعب المغربي من حب الوحدة الإسلامية، والتضحية بكل غال في سبيلها

وهل كتب علينا الشقاء إلى يوم كتب على الخلافة الإسلامية بالعدم!

«فاس» «أبو الوفاء»

حول معنى بيت

ذكر الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى في العدد (٣٣٢) من مجلة «الرسالة» الغراء أن هذا البيت المنسوب إلى سعدى في قصة سعد وسعاد

قد كتب نفسه صوماً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن

لا يحتمل ما فهمته فيه من حمل كلمة «كتب» على ظاهرها، وإنما هي جمع كتاب بمعنى مكتوب، والمكتوب هو المفروض، فيكون المعنى له مفروضات من الفرائض، وإذا كان هذا هو معنى البيت فإنه لا يكون فيه دلالة على أن قصة سعد وسعاد موضوعة

وإني أرى أن هذا المعنى الذي ذكره الأستاذ يزيد في ضعف هذا البيت وسخافته ويجعله متهافت اللفظ والمعنى، وتهافته اللفظي ظاهر لا حاجة إليه، وأما تهافته المعنوي فلأن الصوفي لا يمتاز عن غيره بمفروضات مكتوبة يقوم بها، لأن المكتوبات واجبة على سائر الناس، وإنما يمتاز الصوفي بالخلوة ومداومة العبادة وغير ذلك مما تخترعه المتصوفة. وقد فهم الأستاذ أحمد عيسى الفرائض في البيت على ظاهرها لا على المعنى الذي فهمته فيه، مع أن الفرائض هي الأوراد ونحوها مما يفرضه الصوفي على نفسه، وهو إطلاق سائغ لا شيء فيه، ومعنى البيت عليه: له كتب من كتب الأوراد ونحوها

وأرى أيضاً أن البيت يدل على أن القصة موضوعة ولو حمل على المعنى الذي ذكره الأستاذ أحمد عيسى، لأن ظاهر التصوف الذي يظهر أنه لم يكن حدث في ذلك العصر، وقد بنيت وضع القصة على هذا، كما بنيته على أنه لم يكن في ذلك العصر كتب معروفة، وكل منهما كاف في الدلالة على وضعها، وكذلك سخافة البيت وركاكته، وما كان للأستاذ أحمد عيسى أن يهتم بعد هذا

«عبد المتعال الصعيدي»

من المسارح

النهضة المسرحية فى مصر

وصف الفرقة القومية منها ورواجها ومالها

النقاد وفرقة رمسيس

أحس يوسف وهبي حقاً بما ادعى لنفسه من صفة المؤلف فوق ما حظى به فى الواقع من صفة الممثل . وقد كان من حسن حظه أن ظلت حقيقة رواية (المجنون) – التى افتتح بها مسرحه – خافية على الجميع من جمهور ونقاد أعواماً طويلة حتى عرضت رواية (وثيقة الطلاق) التى ظهر فيها جون باريمور فى دور المجنون ، وكاترين هيبورن لأول مرة فى دور ابنته ، وحينئذ فقط عرف أن (مجنون) يوسف ليس إلا مجنون (وثيقة الطلاق)

على أن يوسف كان قد زعم الكثير من هذه الصفة التى ادعاها لنفسه ، والتى جعلته فى نظر قومه مؤلفاً وممثلاً فى عصر من نبه المؤلف ، ومع أن (المجنون) لم تكن الرواية القوية بالمعنى المفهوم إلا أنها كانت شيئاً جديداً وغريباً ، وكما استرعى يوسف الأنظار فى مسرح [illegible] كذلك كان شأنه فى دور المجنون ، وهو ينجح فى هذه الأدوار الشاذة التى تتطلب غرابة فى الأسلوب وشذوذاً فى الطباع .

وليس من غرضنا أن نتحدث عن رواية المجنون أو عن غيرها من الروايات حديثاً مستفيضاً ، وإنما أردنا بالحديث عنها أن نطلع القارئ على جانب من جوانب شخصية يوسف ، وعلى سبب من الأسباب التى جعلت النقاد يهاجمونه بشدة ويصبون النقمة عليه ، ذلك أنهم استبعدوا أن يكون يوسف مؤلفاً ، والروايات أجنبية على الخصوص ، ومع أنهم لم يستطيعوا فى الوقت المناسب استكشاف حقيقة (المجنون) ، إلا أن غريزتهم السليمة حملتهم على إنكار ما ادعاه يوسف لنفسه ، وعلى إعلان القلق ورفض النهضة المسرحية منذ البداية

ومن بعد المجنون أخرج (الشياطين السود) ، وعلى ما أذكر حضر هذه الرواية بعض الوزراء والعظماء ، ولما كانت النهاية فيها محزنة ، فقد خطر ليوسف أن يقوم بتعديلها وجعلها نهاية أمريكية ، حتى لا يحمل الحزن على تعكير صفو العظماء . وأما فى الليلة التالية ، وفيما تلاها من ليال ، فقد عاد يوسف إلى النهاية المحزنة .

وهذه الحادثة أيضاً ترفع الستار عن جانب من جوانب هذه الشخصية العجيبة ، وتلقى ضوءاً على سبب آخر من الأسباب التى ألبت النقاد على يوسف ، وأعطتهم سلاحاً لحربه . وفى الواقع مضى يوسف فى المسرحية خانس ، ومهما يكن من شأن النجاح الذى ناله وحظيت به فرقة رمسيس ، فقد كانت هذه الدعاوى العديدة شديدة الوطأة على ذلك البنيان الحديث ، ولم يقدر يوسف رغم ذلك كله أن يعبأ به ، وسائل على النقاد ، وشمخ بأنفه ، وصعر خده للصحافة ، واعتبر نفسه قوة هائلة لا تتأثر بحملات كان يراها ظالمة تقوم بها جماعة من الحاقدين فى زعمه . ولم يرد الإفادة من هذه الأغلاط التى ارتكب ، أو العدول عن الخطة العرجاء التى سار عليها ، وقد كان مدار النجاح ، وإقبال الجماهير على مسرحه دليلاً عنده على أن حملات النقاد لا أثر لها حتى لو كانت على حق ، فالحق عنده هو الواقع . ولعل الفرقة القومية لم تأخذ نصيبها من الموعظة بعد ذلك ، ولعلها إن غفلت أو تناست يوماً تذكر أنا نبهناها إليه وحذرناها منه

كان من أغلاط يوسف إذن أن ادعى لنفسه ما ليس له ، وأن قام عامداً بتحويل الروايات التى أخرجها فى مسرحه لتوافق طبائعه

وما به خضوعاً لأهواء الجماهير أو مقاومة حتى ولو كان ذلك حرباً على الصحفية وكلاً للفن، ثم استمراره من بعد ذلك بالنقد والنقاد ودعم خطورة هذه الأخطاء وغيرها فقد كانت حملات النقاد في بدايتها كأنها إعلانات مضخمة من فرقة رمسيس ودعاية لا أجر عنها، ويجب أسلفنا الشعر عمم فيه أثر النقد بسبب إقبال الجماهير على مسرح رمسيس فإن يوسف أصلها الفهم كذلك فما كثر من أغلاطه وأصر عليها وزاد في استهتاره بالنقاد

وحينئذ شحذ هؤلاء أسلحة جديدة وخطوا في حياة الممثل والمديد الخاصة وأمعنوا في حملاتهم حتى خرج الأمر من حدوده والخصوص من أطوارها. وسرعان ما تحت الصلة الوثيقة التي كانت، والتي يجب أن تكون، بين الزعيم والمترجم والمخرج والممثل من جهة، والناقد من جهة أخرى، وأصبح بعض الصحف ميداناً للسب وهذا القول على حين كان يوسف غاضباً في صحيفته وفي ندواته — غير حاسب العواقب حساباً — حتى يصل به الأمر إلى رمي في حرمان الناقد من النقد الذي يوجه إليه انتقاماً منه أي انتقام. ولم يكن غريباً بعد أن تسمع بالكثير من المشاحنات تنمو إلى الأسى والأسف حتى انقطعت الصلة تماماً بين فرقة رمسيس والنقاد، أو قل أصبحت هي الصلة بين المتحاربين في ميدان القتال

(للكلام بقية)

السينما والحــرب

السينما كالصحافة تجد من واجبها أن تسجل الأحداث التي تقع على النحو الذي تراه كفيلاً بجذب الأنظار، وأصحاب الشأن في عالم السينما يرقبون الحوادث الطارئة ويأخذون منها ما ينفعهم، فإذا وقع حادث في الأوساط الاجتماعية أو الفنية أو الاقتصادية أو غير ذلك فإنهم يسرعون لتسجيله ويسرع الجمهور بالإقبال عليه والحروب بلا ريب أعظم الحوادث التي تقع وأوسعها مدى وأفدحها أثراً، ولهذا طلبت السينما تسجل أحداثها وتستغل وقائعها أعظم استغلال. ومن رأى (كل شيء هادئ في الميدان الغربي) يعرف إلى أي مدى تفيد السينما من الحروب. ولقد رأينا كيف كانت السينما إبان الحرب الكبرى وسيلة فعالة من وسائل الدعاية، وقد استطاع الحلفاء في تصوير أعدائهم أبشع تصوير وأقدرها من ذلك كثيراً، وإلى جانب هذا الاستغلال تعد السينما للحكومة وسيلة من وسائل التسرية عن الجنود في الميدان؛ وكم شريط كابد ممثلو الصحفيين بتعب وافر من هذا الواجب وقابل الجنود بحماس الشوق وفي أفواههم بسمات استطاع شارلي أن يطبعها على شفاههم رغم الموت

وفي الأعوام الأخيرة شغلت الحرب أذهان الجماهير، ومن ثم بدأت مدينة السينما في إخراج روايات عن الحرب، وحينئذ وجدت مصاعب كثيرة، فالروح نفسه وتصوير الحروب واصطراع المبادئ قد يرضي قوماً لكنه يغضب آخرين، ومعنى ذلك أن الرواية السينمائية التي ترضي الجبهة الديمقراطية تغضب بها الجبهة الفاشية أو النازية. والنتيجة أن الرواية السينمائية تخسر ميادين تدع عنها، وهذا ما حدث لرواية (كل شيء هادئ في الميدان الغربي) التي تناهض فكرة الحروب. فقد قوطعت ومنعت في البلاد التي تعيش على فكرة الحرب وتنشئ أبناءها جنوداً منذ طفولتهم. وكانت ألمانيا أشد البلاد حرباً لها رغم أن مؤلفها ألماني!

بيد أن مدينة السينما وجدت حلاً للمشكلة، ومن رأى روايتي «حصار» و«آخر قطار من مدريد» عرف كيف وفقت إلى هذا الحل العجيب. وسبيل ذلك أن يقص الرواية تصب على الحياد لا هي مع هؤلاء ولا هي مع هؤلاء، إنما هي مجرد استغلال لحوادث الحروب، مثل (آخر قطار من مدريد) التي طغت عليها هذه الفكرة أتم طغيان فكانت سلسلة من الحوادث الغريبة والوقائع العجيبة التي لا تقع إلا في الحروب. وأما (حصار) فكانت مناهضة لفكرة الحرب من الوجهة الإنسانية البحتة في الميدان الأسباني حيث يقتل الأخ أخاه، وانتهاء المعركة التي أخرجت الرواية لم تدع اللاعب غير الفريقين بعضهما من بعض إلا بضر يسير وكل ما رمت إليه هو استصراخ الضمير الإنساني أن يقف عند الحاجز البشري

واليوم والعالم يخوض غمار حرب ضروس، يبقى للسينما أن تتوانى عن القيام بواجبها ويقيننا أنها ستكون وسيلة فعالة من وسائل الدعاية، وكذلك من وسائل التسلية والترفيه عن المقاتلين وغير المقاتلين في هذه الأيام العصيبة التي يجتازها العالم

(فهمي الصغير)

أخبار سينمائية

(لوسيل بول) وقد اشتركت في تمثيل رواية «باب المسرح» مع كاترين هيبورن وجنجر روجرز . وقد اغتصبت ماضيها شركة ركو راديو واقترحت أن تعمل معها واحداً من صانعي سعدت طلبى

جنجر روجرز وكانت تعرف باسم ريتا فرجسون، أما اليوم فإنها أصبحت حرة تعمل مع من تشاء وكانت تجربتها الأولى في رواية (سأعيش بنفسي) مع جورج برنت ، وفي هذه الرواية لم ترقص سوى رقصة واحدة

كلارك جابل

هل تعرف كيف أصبح كلارك جابل فلاحاً ؟ إليك القصة طريفة ..

لقد أهدت إليه زوجته كارول لومبارد حصاناً فاشترى عربة وأهدت إليه آخر فاشترى حظيرة وأهداه صديق كلباً فاشترى بقرة وهكذا أصبح كلارك جابل فلاحاً يفلح الأرض ويعتني بالبقرة ويربي الفراريج

فريد ماك موراي

يحب فريد ماك موراي صيد السمك حتى أنه ينتهز فرصة الفراغ من العمل في رواية (هل من ضرورة للأزواج) التي يظهر فيها مع مادلين كارول ويمضي وقته في صيد السمك . وهو ماهر جداً في الصيد حتى أنه يعود دائماً بسلال الرماس دونها ما سأله أحد في ذلك قال إنه يلقي بالسمك إلى البحر مرة أخرى رحمة به وشفقة عليه !

كاي فرانسيس وقد سطع نجمها في رواية (القمر الوحيد) مع وليم باول ثم في (ثورة في حديقة) مع هربرت مارشال وقد ظلت مدة النهاية تعمل في شركة وارنر ولم تنتقل إلى غيرها من الشركات ، وأخيراً أعلنت أنها آثرت الزواج واعتزال الأعمال الفنية ، وحتى الآن لم تنفذ عزيمتها

(آنا نيجل) كاتب آخر رواية لها (مس كافل) وستخرج هذه الرواية في وقتها وسوف تكون دعاية سيئة ضد الألمان ، ويذكر القراء أن الحلفاء استغلوا في الحرب العظمى حادثة « مس كافل » أعظم استغلال وأكسبوا عطف العالم بأجمعه

7e Année No. 324

Lundi 18-9-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

حربان عظيمان
تثيرهما ألمانيا على نمط واحد
للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

شهدت الحرب العظمى — أو التي كنا نظنها العظمى — وهي التي نشبت في سنة ١٩١٤، وها أنذا أشهد حرباً عظمى أخرى بعد خمس وعشرين سنة؛ فأنا في هذه من المخضرمين. ويقول [illegible] أن [illegible] الحربية من ألمانيا القيصرية؛ لم تتغير روحها ولا رجالها ولا وسائلها ولا أساليبها، مثل البوربون — ملوك فرنسا الذين عصفت بهم ثورتها — لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً. وعجيب أن يكون هذا هو طراز الحكام في بلد من أرقى بلاد العالم وشعب من خير الشعوب ثقافة وأدباً وفناً وعلماً وفلسفة. ولا بد — كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد — أن يكون في هذا الشعب عيب يسمح بأن يكون منه طراز حكامه الذي لا يكاد يختلف.

وقد عانت ألمانيا أقسى ما يمكن أن تعانيه أمة من جراء ما حملت من تبعة الحرب الماضية السابقة وبقيت عشرين سنة تنوء تحت هذا العبء وتجاهد أن تطرحه، فكان المنتظر أن تتقي أن تحمل عبئاً آخر مثله، فإن العنف إلى الحرب لا يمكن أن يجرم العطف أو يمحو ما في قلوب الناس من الرحمة، ولكن حكام ألمانيا في هذا الزمان لا يحسنون النظر إلى العواقب بل يقسرون

على إثرة حرب طالبه بعد أن أعطوه عهدهم له غير عابئين برأي العالم أو مبالين بما يجره عليهم من السخط والنقمة. وما من شك في أن آخر هتلر تخلى بهذا عن «عهد وميثاق لوكارنو» كما يقول رجال القانون، ومطامعه كلها معروفة من كتابه «كفاحي». وخلاصته أن يعد لبلاده أقصى ما يستطيع من قوة ثم يتجه إلى الشرق فيبسط سلطانه عليه، حتى إذا تم له ذلك ارتد إلى الغرب فرد عليه عله وأمثاله. ومع أن هذا معروف ولا خفاء فيه فإنه يصعب على بريطانيا وفرنسا ماذا يمنعها من شرق أوربا ولماذا تحاولان صده عن غايته فيه كأنهما لا تعلمان أنه منقلب عليهما بعد أن يفرغ من هذا الشرق.

وكما تحمس الجمهور بتشجيع ألمانيا على الصرب في سنة ١٩١٤ تجنى هتلر في هذه الأيام على بولندة. فقد اتهمت النمسا الصرب بأن ولي عهدها قتل في سراجيفو بتدبير الصربيين وإن كان قد قتل في أرض نمسوية وبأيدي رجال نمسويين. ولم يظهر أي دليل على وجود أية صلة بين الصرب وهذه الجريمة؛ ولكن الكونت برختولد رئيس وزارة النمسا كان غبياً قصير النظر، وكان همه أن يسحق الصرب، وقد عضده تيزا رئيس وزارة المجر وحضر الامبراطور أيضاً ولكن الامبراطور كان متحمساً وكان زمامه في يد وزيره الأحمق، فكانت الحرب التي أودت بالنمسا وأذلت ألمانيا

واليوم يقف هتلر هذا الموقف الطائش فيتجنى على بولندة ويرميها بتهديده لأنها لا تذعن لمشيئته ولا تهدي إليه دانتزج والممر البولندي والأرض التي فيها من الألمان عدد قليل أو كثير والفرنسيون يقولون في بعض أمثالهم: «إن هذا الحيوان خطر لأنه يدافع عن نفسه حين يهاجم»، وكذلك يقول هتلر عن بولندة فذنبها أنها لا تريد أن تختنق

وقد رسم هتلر خطته بحيث إذا قامت الحرب فخطته سيجفريد يصون حدوده ويحمي ألمانيا من الغرب ويتقي به أن يصيبه في هذا الخط أقل ضرر يمكن الدفاع عنه، ثم يرتد بمعظم قوته على الشرق فيكتسحه في أوجز وقت، ويروع العالم بسرعة القضاء على الأمم في أيام معدودات، وبعد أن يفعل ذلك يرتد على حصون الفرنسيين ويفتح لنفسه الطريق إلى كل سوق ويكفل لبلاده كل ما هي في حاجة إليه من أقوات وبترول وخامات وغير ذلك، وبهذا يحبط الحصر الذي تحسب أن تضربه بريطانيا عليه أو يرتد إلى الخط سيجفريد بقواته الأخرى ويقول لفرنسا وبريطانيا: «الآن نستطيع أن نظل نعمل بضعة قرون

إذا شئنا، أفلا تزورون أن الصلح يجر على الساحل بالأمس الواقع أجدى من هذه الحرب المتلفة»

وكذلك كان القيصر غليوم يعتمد على الحرب «البرق» أو «الخاطفة»، وكان همه يوم نشوب الحرب أن يحمل جيشه على جناحي قدامة ويطير به إلى باريس ويستولي عليها قبل أن تكون الحرب قد انتهت. واليوم يقلد هتلر سلفه ويريد عليه الهجوم على بولندة على حين غرة وفي مأموله أن يقضي على [illegible] وعلى وجودها قبل أن تستطيع أن تجمع جيشها كله وتقدم به إلى ميادين القتال. فنصر «البرق» هو الذي عليه معول هتلر الآن كما كان عليه معول القيصر غليوم، وكما أخطأ حساب القيصر عندئذ الآن حساب خلفه هتلر، فإن وقائع [illegible] «بين حين وانتهت»، ولا عبرة بالاستيلاء على بلد هنا وبلد هناك فما دام الجيش المدافع سليماً فالحرب دائرة والهاجم لم ينتصر، وإنما يكون النصر بالقضاء على القوة المدافعة لا بأخذ البلدان

وخط سيجفريد قوي متين ولكنه أنشئ على عجل — في أقل من سنتين — وقد ظهرت فيه مواطن ضعف غير مأمونة، والجيش الفرنسي يختبره الآن ويلمس هذه المواطن الضعيفة فيه ويعمل عليها، ويضطر ألمانيا إلى إرسال النجدات إليه «على حساب بولندة» وجولان وورود هذه النجدات يخفف الضغط الواقع على بولندة فتطول مقاومتها على خلاف ما حسب هتلر. ويجب أن يدخل في حسابه أيضاً أن الجيش الألماني ليس كما يقولون فقد كان جيش القيصر خيراً منه، ذلك أنه هو أيضاً أنشئ على عجل بعد أن ظلت ألمانيا عشرين سنة محرومة من جيش بالمعنى الصحيح بمقتضى معاهدة فرساي. ومن السهل أن تعد ملايين الرجال كما فعل هتلر ولكنه ليس من السهل أن تخرج العدد الكافي من الضباط الأكفاء في هذا العصر لهؤلاء الملايين من الجنود في أربع سنوات. فالجيش الألماني لا ينقصه الشجاعة في الجنود ولا في العدد ولكن ينقصه الضباط الأكفاء من الطراز الحديث بسبب هذه الفترة «الفرجة» في تكوينهم

وقد كنا نظن من الواضح أن من العبث في هذا الزمان أن نسيطر أمة على العالم على نحو ما كان يحدث في العصور الماضية؛ فليس من الممكن في هذا الزمن أن تكون في العالم أمة واحدة لها شأن كما كان الحال في أيام الرومان والعرب وغيرهم، فما بين أكثر الأمم تفاوت كبير إلا من حيث اختلاف الخصائص القومية؛ أما في العلوم والمعارف والقدرة على الابتكار والاختراع وما إلى ذلك

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ١٥ -

كنت حدثت القراء من سلف أني لم أعتب على الأستاذ أحمد أمين إلا بعد أن صح عندي أنه يسيء إلى نفسه وإلى الأدب العربي إساءة خطرة تستوجب المسارعة إلى حربه بعنف عساه يثوب إلى رشده فيرجع إلى الصواب

وفي مطلع حديث اليوم أذيع مشكلة تحدث بها إلى تلاميذه في كلية الآداب وكان لها صدى، هو حيرة بعض الشبان الذين كانوا يثقون برجاحة العقل عند ذلك الأستاذ المفضال

وما الذي حدّث به تلاميذه في تلك المشكلة؟

حدثهم أن من رأيه ألا يدرس الأدب العربي في المدارس الثانوية ولا المدارس العالية، وأن من الواجب أن يختص بدرس الأدب العربي نفر من المتخصصين في دراسة الآداب (!) إلخ

هذا كلام نقله إليّ كثير من طلبة كلية الآداب، فهل هو صحيح؟

يجب على الأستاذ أحمد أمين أن يسارع إلى تكذيب هذا الكلام، إن كان من المفتريات، ويجب عليه أن يحدد الغرض منه إن كانت نسبته إليه صحيحة، لأنا نحب ألا يعرّض من نكرمه لأخطار الإشاعات والأقاويل

والواقع أن الكلام المنسوب إلى الأستاذ أحمد أمين يتفق في روحه مع الآراء التي أذاعها في الأسابيع الأخيرة، فهو يقول صراحة بأن الأدب العربي في أعصر أصوله أدب معدة لا أدب أرواح، وأنه لم يصور البلاد العربية والإسلامية، ولم يصف ما وقع فيها من أحداث اجتماعية، ولم يشهد بأن أهله أحسوا الطبيعة وتأثروا بألوان الوجود

ومن الواضح أن الرجل يحترس في مقالاته أكثر مما يحترس في محاضراته، فما كتبه أحمد أمين في مجلة الثقافة ليس إلا صورة مهذبة لما أذاعه في كلية الآداب

نحن إذن أمام فتنة جديدة، هي فتنة القول بأن الأدب العربي لا يصلح لتربية الأذواق في الجيل الجديد. وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحمد أمين، فقد نجمت قرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون أن يوهموا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم وحاضرهم لم يبق لها مكان، وأن المصلحة تقضي بأن يوضع الأدب القديم في المتاحف، وألا يدرسه غير المتخصصين على نحو ما يصنع الأوربيون في الآداب اليونانية واللاتينية، ثم تُقبل كل أمة على لهجتها المحلية فتصطفيها لغة التخاطب والتأليف، وبذلك تكون اللغة الفصيحة أثراً أو عدّة لماضي الشعوب العربية، كما صارت اللاتينية أثراً أو عدّة لماضي الشعوب اللاتينية. وقد صرح بذلك المسيو ماسنيون في خطبة ألقاها في بيروت سنة ١٩٣١ ونقدتُها بمقال طويل أرسلته إلى جريدة «البلاغ» من باريس

وعلى أن الفتنة التي أذاعها المستعمرون والمبشرون كانت فتنة مؤقتة هدّامة تُزعزع الضمائر والقلوب، وقد أصبح بها من

فالطبيعة وحدها أو مقاومة. وقد رأينا الألمان في الحرب العظمى الماضية يعالجون غلاءه بالشراب المسمى أو القناة أو الكاكاو وما أشبه ذلك، ورأينا العلماء يسرعون إلى اختراع الكماليات الواقية ثم يصنعون هذه الفاوت ويطلقونها على الألمان، وبذلك يضيعون عليهم هذه المزية. وأمثلة ذلك كثيرة وكلها شواهد على أن الذي يكون سلاحاً للتقدم ولا يضير بما كان في الحرب الماضية التي كان الظن أن مردها مستقبل [illegible]

ولعل هذه أول حرب تقدم أمة على إثارتها وهي جائعة، أو على الأقل وهي تعاني نقصاً شديداً في الأقوات والمواد الأخرى التي لا غنى عنها لا في سلم ولا في حرب. فلا عجب إذا كانت بريطانيا وفرنسا تشنان على ألمانيا حرباً اقتصادية فإنهما تعملان ما تستطيعان وتعرفان ما تكابده ألمانيا وما تخشى أن يؤدي وضعها إلى مطالبة وتوفيق في سرعة القضاء على ولعنة وهو مضطر جداً أعلم أنه يخطئ. فالعجب لألمانيا التي تحمل جنودها كلها وتسعرها رحماً بحساب قد يطول أو يقصر. على أن هذه مقاصة فذة في تاريخ الأمم

إبراهيم عبد القادر المازني

اصطدم في الأعوام الماضية ، فكانت الفاصلة بين الفصيحة والعامية من المشكلات التي تقام لها المناظرات في بعض المعاهد والأندية الأدبية . وقد وصل صدى هذه المشكلة إلى المجمع اللغوي بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة اللهجات المحلية ، وفريق يقول بأن الأصلح إنفاق المال في إحياء الأدب القديم ، وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمي والدكتور طه حسين

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء اللهجات المحلية ، فهو يدرس في صفحات مجلة الراديو المصري ألفاظ اللهجة المصرية باهتمام يدل على تأصل تلك الفتنة في نفسه الراقية ؛

فهل تكون مقالاته في مجلة الراديو المصري نواة لمحاضراته في الأدب العربي المصري بكلية الآداب في الأعوام المقبلات ؟

نحن نعرف أن الغرض من إنشاء كرسي للأدب المصري بكلية الآداب هو درس الآثار الأدبية العظيمة التي أبدعها المصريون باللغة الفصيحة منذ فتح العرب مصر إلى اليوم لأن مصر عرفت مزايا كثيرة بين الأمم العربية ، فأعظم مكتبة عربية في العالم هي دار الكتب المصرية ، وأعظم جامعة عربية في العالم هي الجامعة المصرية ، وأعظم معهد إسلامي في العالم هو الأزهر الشريف ، وأعظم صحافة عربية في العالم هي الصحافة المصرية ، وأعظم معجم عربي وهو لسان العرب ألف في القاهرة ، وأعظم كتاب في السيرة النبوية وهو سيرة ابن هشام ألف في مصر ، وأعظم كتاب في تاريخ الإنشاء وهو صبح الأعشى ألفه أديب مصري هو القلقشندي ، وأعظم موسوعة عربية وهي نهاية الأرب ألفها أديب مصري هو النويري ، وأعظم شارح لمذاهب التصوف ، وهو الشعراني ، مصري من أبناء المنوفية . ومصر كانت الملاذ لعلماء العرب بعد أن اعتدى التتار الهمجيون على بغداد ؛ ومصر كانت ملجأ لأحرار المفكرين من العرب حين اضطهدهم الأتراك في سورية ولبنان ؛ ومصر كانت ولا تزال صلة الوصل بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ؛ وبفضل سواعد المصريين انهزم الصليبيون ؛ وبفضل مصر حفظت مآثر العبقرية في الشرق رغم أعوان المستعمرين في تقويض دعائم الحضارة العربية

فما الذي سيصنع أحمد أمين حين يحاضر في الأدب المصري بكلية الآداب ؟

أتراه يفهم الغرض الأصيل من الأدب المصري فيشرح آثار الفحول من أكابر المصريين في خدمة الأدب واللغة والتاريخ والتشريع ؟ أم تراه يجعل مادة الدرس من الكلام عن أحاديث الحاجة مدلوحة والنفس مشحوت ؟

إن كلية الآداب لن تعيش منجاة من رقابة النقد الأدبي ، ولن يصل أحمد أمين بكلامه أو فكره دون أن تصل إلى من يهمهم معرفة جوهر الرسالة الأدبية التي تدعيها كلية الآداب . ولن يرتفع في أرجاء تلك الكلية صوت ينطق بالحق أو بالباطل إلا وجدته أصداء في عقول الشبان الأذكياء الذين توجهت عزائمهم وقلوبهم إلى أن يكونوا أبطال الفكر العربي الصحيح في العصر الحديث !

وإني أوقن بأن أصدقاءنا من أساتذة كلية الآداب يعرفون جيداً أن الأمة تنتظر أن يكون ذلك المعهد العظيم أهلاً في كل وقت للأمانة الصعبة التي عهدت به إليه ، فلا يكون مسرحاً للآراء المتحيزة التي يذيعها بعض الناس في إحدى المجلات

لقد رجونا ألف مرة أن تكون كلية الآداب بالقاهرة هي المدرسة التي تستضيء بها العقول في الشرق ، وقد استطاعت تلك الكلية بفضل المصريين من أساتذتها وخريجيها أن تزعم لواء الدراسات الأدبية والفلسفية ، فمن الخيانة لسمعتها الطيبة أن تسمح لمن يعتنقون عقيدة سخيفة في صميم الأدب والتاريخ

* * *

أقول هذا وقد كتب إليّ أحد المصريين في تلك المشكلة خطاباً يقول فيه : إن اللغة العربية ليست لغة المصريين . ولو شئت لصرحت باسم صاحب ذلك الخطاب ، ولكنه صديق عزيز لا أحب أن أعرضه للاتهام بسبب الخطأ الذي وقع فيه أستاذه أحمد أمين

وإنما يعجبني شخص هذا الرأي لأنه على ضعفه يرفع رأسه من وقت إلى وقت ، ويتخيل الناس أنه قادر على الحياة وأنه يستطيع أن يمشي على رجلين أو على أربع ، وأنه حقيق بأن تُنصب له الموازين !

وهذه الشبهة لها صورة من صور الحق

فاللغة العربية ليست لغة مصرية ، وإنما هي في الأصل لغة أجنبية جلبت إلينا العقيدة الإسلامية

هذه الشبهة تحمل وجهاً جميلاً من وجوه الحق ، ولكنها تذكر بحكاية اللص الذي رأى صاحب الدار يجول في أرجاء داره فصاح : من الذي هناك ؟ !

أيها القراء

اسمعوا النصائح الآتية ، ثم كذبوني إن استطعتم ، ولن تستطيعوا أبداً . أنتم تعرفون أن أهل مصر تكلموا اللغة العربية نحو ثلاثة عشر قرناً ، فهل تعرفون أن للمصريين تكلموا لغة واحدة ثلاثة عشر قرناً قبل أن يتكلموا اللغة العربية ؟

هل يستطيع رجل من علماء الآثار المصرية أن يثبت أن أهل مصر كانت لهم لغة واحدة في أي عهد من العهود قبل أن يعرفوا اللغة العربية ؟

إن التاريخ يؤكد أن المصريين قبل الإسلام كانت لهم لغة في الشمال ولغة في الجنوب ، ويؤكد أنهم عرفوا لغة ثالثة هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة رسمية في بعض العهود ، وربما استطاع التاريخ أن يعرف أن مصر كان فيها ثلاث لغات : لغة لأهل مصر الوسطى ولغة لأهل الجنوب ولغة لأهل الشمال

وقد يستطيع التاريخ أن يؤكد أن بعض الأقاليم المصرية عرفت اللغة العربية قبل الإسلام ، والتشابه بين اللغة المصرية واللغة العربية أثبته كثير من الباحثين ومنهم المرحوم أحمد بك كمال

وأعود إلى الغرض فأقول

إن اللغة التي تسود سيادة تامة في قطر من الأقطار ثلاثة عشر قرناً لا تكون لغة أجنبية وإنما تكون لغة قومية ، وسيأتي يوم نسمي فيه اللغة العربية باسم آخر هو اللغة المصرية ، لأن العرب الأصليين في حواضرهم وبواديهم لا يعرفون اللغة الفصيحة كما يعرفها المصريون ، ولولا مصر لانقرضت لغة العرب منذ أجيال طوال

يا بني آدم من أهل مصر ، اسمعوا وعوا

إن مصر — حكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين — هي البلد الوحيد الذي انفرد بحماية القديمة لتحمل عنها اللغة العربية ، وهذا حظ لم تظفر بمثله أمة عربية . فالأقطار الشامية تحيا فيها اللغة السريانية واللغة العبرانية ، والبلاد العراقية تحيا فيها اللغة البابلية واللغة الكردية ، وبعض أهل يعرف أهل تلك البلاد ، والجزيرة العربية تحيا فيها لهجات مختلفات ، والبلاد المغربية فيها ما تعرفون من لغات متنافرة بعضها قديم وبعضها حديث ، والرجل العربي قد يحتاج في تلك البلاد إلى ترجمان

وقد ضعفت صور الظلمات بلغة القرآن في كثير من البلاد العربية ، فاضطرت بغداد وكانت عروس العروبة إلى أن تتكلم اللغة الفارسية بضعة قرون ، ثم قهرها الظلم بعد ذلك على أن تتكلم اللغة التركية ، وما أخبر قليل ، والشام في مختلف أطواره عرض كارهاً لأمثال ذلك المطلوب . ومع هذا لطف الله بمصر فظلت موئل اللغة العربية ، وكانت المساجد في القاهرة وفي سائر الحواضر المصرية مدارس جامعة لنشر علوم اللغة والدين ، وما يزال الناس يذكرون كيف حفظ الأزهر الشريف عظائف الفُرس والهنود والمراكشيين والتونسيين والمغاربة والأندلسيين في ميادين المعقول والمنقول

فالذين يحسبون أن اللغة العربية في مصر لغة أجنبية هم قوم مغرضون يتأولون الأكاذيب . وكيف تكون لغة أجنبية وقد سكنت في دمائنا وأرواحنا نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكانت الدرع التي تصد ما يوجه إلينا من سهام ونبال ؟

إن اللغة العربية في مصر أرسخ من اللغة الفرنسية في فرنسا ومن اللغة الإنجليزية في إنجلترا ومن اللغة الألمانية في ألمانيا ، لأن تلك اللغات يعرفون أن لغاتهم لم تعش في بلادها رُبع المدة التي عاشتها اللغة العربية في بلاده ، والفرق بيننا وبينهم أنهم سموا من الساكنين وانتقلنا نحن من الساكنين

وهل يستطيع شاعر مثل فكتور هوجو أن يجد في أجداده من تكلم اللغة الفرنسية كما يجد حافظ إبراهيم من أجداده من تكلم اللغة العربية ؟

وأين كانت اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية في الوقت الذي ظهرت فيه أشعار أبي تمام والبحتري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي باللغة العربية ؟

وهل في الدنيا لغة عاصرت القرآن وبقيت محفوظة لأهلها على نحو ما يصنع القرآن في جميع البيئات العربية؟

إن مصر هي التي حفظت لغة القرآن بلا جدال ولا نزاع، فمن العار أن يوجد في أبنائها من يقول إنها لغة أجنبية

ومن أعجب العجب أن تعطينا الأمم العربية هذا الفضل، ثم نتنكر نحن لهذا الفضل

من أعجب العجب أن تذكر الأمم العربية جهادنا في خدمة اللغة العربية، ثم يكون فينا من يقول بأن اللغة العربية في مصر لغة أجنبية

فما هي لغتنا إذن؟

إن اللغات المصرية القديمة لن تعود أبداً، وقد أنفقنا في سبيلها ملايين الأنفس والأموال، فهل تريدون أن نتكلم بعض اللغات الأوروبية، وهي أجنبية أجنبية أجنبية؟

وهل يصير إلى هذا الرأي غير عقول جهول لا يعرف ما تعتز به الأمم من القوميات اللغوية؟

إن مصر ستحتفل بعد قليل بالعيد الألفي للقاهرة، فهل تستطيع مدينة في الشرق أن تقول إنها أدت للمدنية العربية والإسلامية ما أدت القاهرة؟

هل تستطيع مكة وهي مهد اللغة العربية أن تقول إنها تنافس القاهرة في ماضيها البعيد والقريب؟

وهل طبع المصحف في مكة بمثل ما طبع في القاهرة؟

وهل أذيعت تفاسير القرآن في أي بلد عربي بمثل ما أذيعت في القاهرة؟

وهل نشرت عيون المؤلفات العربية إلا بفضل مطابع القاهرة؟

وهل عرف التسامح في درس المذاهب الإسلامية كما عرف في القاهرة؟

احفظوا نعمة الله عليكم، يا أهل مصر، وكونوا عند ظن الأمم العربية بوطنكم المحبوب

* * *

ونعرض أن العامية هي لغة المصريين وأنها ترجع إلى عهد سبق الإسلام هو عهد الهكسوس كما قال بعض المبشرين، فما معنى أن تكون تلك العامية أصيلة؟ أليست لهجة فقيرة ضعيفة المفردات لا تتسع لغير الأسلوب وهو يتطلب حظاً أكيداً في الإفصاح؟

أنا لا أنفي هذه اللغة العامية، ولكني أسميها لغة التخاطب، ويسمى أمثالها في أوربا La langue parlée وهي لغة تخاطب، وليست لغة إنشاء.

ومن حدثكم أن أمثال الإنجليز والفرنسيس والطليان والألمان يتكلمون كما يكتبون فاعرفوا أنه ناقل جهول

وكيف صح تلك الدعوى العريضة وقد عرف كل من عاش في البلاد الأوربية أن العوام هم فئة سهلة، فهي لا تحتاج إلى لغة من يعيشون في الكتب العلمية والأدبية؟

فإن كان في ريب من ذلك فليشهد بعض الأفلام الفرنسية التي تمثل لصحب الضياع والجهل أو تصور مناحي التعبير عند أهل الشمال أو أهل الجنوب، فإنه عند ذلك سيعرف أن لغة التخاطب تختلف قليلاً أو كثيراً عن لغة الخطابة ولغة الإنشاء

إننا نعرف أن العصر العباسي كان عصر ازدهار اللغة العربية في العصور الماضية، فهل تظنون أن عامة الناس في البصرة والكوفة وبغداد كانوا يتكلمون كما يتكلم المبرد والجاحظ ومسلم بن الوليد؟

إن في أدباء فرنسا لهذا العهد من يشكك في قدرة جمهور الأدباء على التعبير الأصيل باللغة الفرنسية، ولأحد مؤلفيهم كتاب سماه: Comment on massacre le français

فهل يكون معنى ذلك أن اللغة الفرنسية صعبت أصولها على أدباء باريس وليون؟

أم يكون معناه أن الثورة على اللغة تثور في صدور الأدباء من حين إلى حين بسبب التسامح الذي يصنعونه في تعابير بعض الكتاب كما فعل عبد القاهر الجرجاني في مقدمة دلائل الإعجاز حين رأى ما يشبه ذلك عند كتاب القرن الخامس؟

إن الناس عندنا لا يفرقون بين الحالات التي يختلف فيها بعض الكتاب عن بعض، وهم يظنون أن كل إنشاء يخالف إنشاء الجاحظ أو ابن العميد هو من شواهد انحطاط اللغة العربية؟ وهم يتوهمون أننا تفردنا بين الأمم بالحيرة بين لغتين: إحداهما لغة التخاطب والثانية لغة الإنشاء

ولو كان ذلك المتحرج في كلية الآداب عند تخرّج في قسم اللغة العربية لا في قسم التاريخ لعرف أن الجاحظ نص في غير موضع على أن هناك مواطن لا يجوز فيها التعبير بغير اللغة العامية ، وهذا يشهد بأن حياة اللغة العامية ليست خطراً على اللغة الفصيحة بالإهلاك ، فالبليغ يوجب أن يكون لكل مقام مقال وإلا تحدث العوام كما تحدث الخواص

وهل كان أهل مكة والمدينة يتكلمون في بيوتهم بنفس الأسلوب المعروف في القرآن والحديث ؟

إن القرآن نزل على العرب بلسان عربي مبين ، ومع ذلك لا يمكن القول بأن العرب لذلك العهد كانوا يعبرون عن دقائق أنفسهم في شؤونهم اليومية والمنزلية بنفس الأسلوب الذي عبّر به القرآن عن الشؤون الدينية والتشريعية

فكيف يُطلب منا أن نتكلم كما تكلم شعراؤنا وخطباؤنا في جميع الشؤون ، وإلا قيل إننا نخرج على اللغة العربية ؟

وهل يطلب من تجار الغورية بالقاهرة أو تجار الشورجة في بغداد أو تجار الحميدية في دمشق أن يتكلموا كما يتكلم علماء مصر والشام والعراق ؟

وهل يتكلم سكان حارة بلْفيل في باريس كما يتكلم أساتذة السوربون ؟

أنا أعرف أن أستاذنا بروكلمان يوصي بأن نستمع إلى محاورات العوام في القهوات ، ونشرح هذه الوصية بدرس آخر ، فمن كان يريد النص على أن لغة التخاطب فيها مرونة قد لا توجد في لغة الإنشاء ، وأن من الممكن أن ننتفع بتلك المرونة في بعض النعوت لأن انصراف العوام عن الزخرف والتنميق أعطى لغتهم خصائص من السهولة والوضوح ، وهما من أهم عناصر البيان

وأؤكد للقراء أن الفرنسي الذي ينتقل من الشمال إلى الجنوب قد يجد من اختلاف الألفاظ والتعابير ما لا يجده العربي حين ينتقل من مصر إلى العراق

فكيف يجوز لبعض الناس أن يوهم القراء بأن العرب تبلبلت ألسنتهم وأن التفاهم بين خواصهم وعوامهم صار من المعضلات ؟

إنه لا مفر من الاعتراف بأن اللغات العامية هنا تكون في كل أرض ، لأنها لغات بسيطة سهلة تؤدي الأغراض اليومية في المعاملات ، ولو فرضنا اللغة الفصيحة على جميع الناس لكان ذلك ضرباً من الإرهاق

ولا خطر على العرب من أن يكون لهم لهجات عامية تقرب أو تبعد وفقاً لظروف معروفة ، ولكن الخطر كل الخطر هو في حمل الصحف الحلية أسلوباً ... العلماء ليستطيع أصحاب السلطة الأدبية ما يمكنها من الاتصال من اللغة الفصيحة بعد جيل أو جيلين ، كما يصنع الأستاذ فلان الذي يعدّ نفسه ليكون «أصمعي» النهضة المصرية في هذا الزمان ؟

وماذا يقول فلان وفلان وفلان إذا حدثتهم بأن اللهجات العامية في البلاد العربية أصبحت تقترب من اللغة الفصيحة بسرعة عجيبة لم تكن تخطر في البال بسبب انتشار الصحافة والتأليف ؟

إن العوام في جميع البلاد العربية يقرأون الجرائد والمجلات ويفهمون مغازيها ومراميها بلا صعوبة ، ويشهد ذلك بمعرفة أصحاب المجلات المصرية الذين يشهدون بأن قراءهم في خارج مصر يعدّون بالألوف

فهل يمر ذلك بلا تأثير في تطور اللهجات المحلية ؟

سرّحوا قليلاً أيها المصريون لتدركوا فضل اللغة الفصيحة في نشر معارفكم بأقطار الشرق ، ولتروا كيف يعزّ الرجل المصري حين يرى له إخواناً يعطفون عليه في أقطار تفصله عنه البحور والصحارى والجبال

إنهم لا تعرفون قيمة الحرص على وحدة اللغة العربية ، ولا تدركون قيمة النعمة التي خصكم بها الله حين جعلكم حفظة التراث العربي ، ولو عرفتم ذلك لاستطعتم حمل الثناء على من يشدّون أزركم من أهل الشرق ، ويذكّرونكم في كل يوم بأنهم إخوانكم الأقربون وإن بعُدت الدار وشطّ المزار

إن الأديب الذي طوّحت به محنة لسمعته يحس أن اللغة الفصيحة التي رفعته مكاناً علياً بين زملائه هي نعمة على عاطفة الجماهير بلغة مصونة من اللحن والتحريف ، فإن أصرّ على معاداة اللغة الفصيحة فليجرّب حظه بطريقة عملية ، ثم لينظر كيف يجد الأرض تحت قدميه

أما بعد فهل يخشى صديقنا الأستاذ أحمد أمين ؟

هل يدرك أن شباب اليوم يعانون أزمة خطرة بسبب المآسي التي يصنعها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وأن واجب الأساتذة بكلية الآداب هو حماية أولئك الشبان من تلك السموم القواتل ؟ هل يعرف أن قدرتنا على مقاومة أعدائنا بسيطرة

لشبها المصيصة سيطرة قاهرة حسب أنف حسب لحضر السحاب العقيد وتتحوب من انتقاص «الرومانس» وإنها لتلك أغلب مصنها الأدبية على الناشئ ميمرل ؟

من حق السيد فلان أن يتحذلق كيف شاء فيدعي أن الأدب العربي لا يستحق الدرس في المدارس الثانوية والعالية، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن اللغة العربية لغة أجنبية، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن المصريين ليسوا من العرب؟ من حق هؤلاء أن يجولوا ما يشاءون ما دام القانون لا يحرم الاعتداء على اللغة كما يحرم الاعتداء على الدين. ولكننا نذكرهم أن سيف القلم أمضى من سيف القانون

«العذيب — مصرون» — زكي مبارك

ومشقيات

ليلة على سفح قاسيون!

للأستاذ علي الطنطاوي

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية ... سقى زمانك هطال من الديم
لم أقض فيك لبانات ظفرت بها ... فهل من اليوم إلا ذكره الندم!
«الشريف»

يا ليلة ما كان أجملها وأقصرها ... وكذلك تكون ليالي الأنس فإنهن قصيرات الأعمار!

ليلة ستمر الليالي ولا تمحو من نفسي ذكراها ولا أستطيع أن أنساها

ليلة... سكرت فيها بلا كأس ولا قدح... لقد علمتني السكر فما أسكر الليالي الأخرى ذكراك... ولكن علة السرور لا يكون فيها إلا وحي الألم..

صدق شوقي: إن ذكرى العاطف للناسية تؤلمنا!

* * *

تلك هي ليلتنا على سفح قاسيون، في قهوة «[illegible] آنا» نظم فيها شمل الأصحاب والأحباب، عقده الطفل المحبوب «إبراهيم الروان» فاجتمع الشمل وتم الأنس وألفت حلقته بين العلم والأدب والشعر والفن والنكتة والغناء، وجمعت القهوة بين العراق والشام، ودمشق وبيروت، فكان في المجلس كرام أهل كل بلد وكبار أهل كل فن.. وشارك الطبيعة الناس في فرحة الشتاء، فتربعت على بعلة الأصيل المفروشة بحرير الذهب، وتعجبت أشجار الغوطة دلالاً، وصمت الأوراق وزينة الفضاء، وكان مشهد لا يبعد عنه الوصف، لأن مثله لا يرى إلا في دمشق أو في جنان الخلد، ودمشق جنة المتمتع

وصمت الأستاذ البيطار، وطارح الأستاذ الأثري الشوكي الأشعار، ثم سمع المجلس الأستاذ سعدي ياسين خطيب بيروت ... لأحمد عال لقائل، وطفق يلقي النكتة إثر النكتة والنادرة تلو النادرة، ونحن نمسك خواصرنا، ونضرب من الضحك أرجلنا ونمسح دموعنا، وهو لا يضحك ولا يبتسم، ففكرت كم يضيع بيننا من الآثار التي لو دونت كما يدون الغربيون لكانت لنا ثروة هائلة. وحسبك من قولنا أن ما رواه صاحبنا تلك الليلة ولو دون لملأ كتاباً كبيراً.. حتى إذا انطفأ مصباح الشفق، ولبست عروس الطبيعة ثوبها الأسود، ووجب حق الله علينا، قمنا إلى الصلاة، فأذن مؤذن منا، ثم فرغ من الصلاة حتى أذن مؤذن آخر أن حي على الطعام..

ولما فرغنا وامتلأت بطوننا، حسبت نفسي سيغفو، وأن القوم قد طعموا فلا بد أن ينتشروا، فإذا المجلس يهدأ، وإذا الشيخ سعدي يتقدم للقصف، ويتحدث عن الغناء والطرب، فما ظننت والله إلا أنه سيغني. ولقد سمعته حين أذن فسمعت صوتاً حلواً ونبرة عذبة، ولكني وجدته يشير إلى شاب ما تمتع تلك الليلة ولا تكلم بكلمة، فظننته يمزح وعلت إحدى عيناه والله! غير أنه ألح في إطراء الشاب وشاركه في ذلك من اعتمد دونه وأطرى في حكمه فتشككت ولم أستبق أن يكون في دمشق مغن مجود لا أعرفه، على وثوقي بأهل هذا الفن وعلى صلتي بالأديب الموسيقي الأستاذ حسني كنعان ولي أهل الموسيقى.. وكان أشد ما أخشى منه أن يردد علينا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ويعصبها علينا ليلة طرب، وتمتيعاً ... ولم يجاوز أغانينا العربية إلى أشياء لا نعلمها ولا نحبها، ولا يدعي حبها إلا قوم يزعمون الطرب منها حتى يقال إنهم متمدنون وإن لم يموسيق أذنه بصراً، ولست بحمد الله من هؤلاء..

* * *

وما لبث الشاب أن غنى، فإذا صوت عجيب، والله أن يكون في علم الأستاذ محمد السيد المويلحي لأسمعه قراء الرسالة كما يسمعه ...

فأشبهه بـ « الكونترالتو » التي لا أعرف أهو شيء مأكول أم ملبوس ، وبـ « المِيزو سوبرانو » التي لا أدري أهو حيوان أم نبات أم جماد أم هو اسم شيطان من شياطين الموسيقى ؟ ولكني واحسرتاه جاهل بهذا الفن ، وليس عندي في دمشق موسيقي آخر يجيده ، كهؤلاء النابغين المشهورين المشاركين في الرسالة !

أيصح أن أسميه كما أعرف ؟

بدأ بـ « ياليل » بصوت ناعم حلو ، فأطربني صوته ، وأعجبني سمته ، ونهاني عليه إلا سحوقه وصوته ؛ وصحت وآهاً على طروب ، وصفقت ، فقال لي القوم : انتظر إنك لم تسمع شيئاً ، وتكلمت بعد هو بجوار النسمة حورة ، جاء له صوت قوي ضخم ولكنه واهي كصوت عبد الوهاب ، وإن كان له قوة صوت صالح عبد الحي أو الشيخ صبحي الإمام في الشام ، ثم يعلو به ويعلو ، حتى يرجع ارتفاعاً صاخباً ، وهو لا يزال على جموده وحركته ، فبالغت في الإعجاب وعرفني الطرب ، فقالوا انتظر ، إن بعد هذا شيئاً ، فسكت أنتظر وما أظن أن بعد هذا شيئاً يكون ، فإذا الشاب (جلدي الطرف) يصعد من هذا النبذ إلى ما هو أعلى وأرفع ، وإذا له صوت صبي ترخيه وحدته وصفاؤه ، فاستخفني والله الطرب ، حتى هممت لولا الحياء أن أقوم فألثمه وأقبله ، وتركنا في هذا الأفق السامي ، وهبط بأهله من آفاقه إلى القرار ، ثم صاول آهته واحتبس حتى لقد حسبنا أنه يقضي نحبه - ثم سكت سكتة ، فلا والله ما ظننا إلا أن قد ذهب بنا وأودت بنا ، وكربت في حوستنا عواصف من العواطف المجيدة ، والذكر الكامنة لا يعلمها إلا الله ، وكانت لحظة صمت وخشوع ، أحسست فيها ما يفعل الوسمي … ثم انتبه القوم فراحوا المكان بالتصفيق والهتاف .

ثم عاد يناجي هذا الليل الأصم (ياليل — ياليل) والليل يصغي ويطرب ، ولكنه لا يفهم فيجيب … ياليل … ياليل ! كم ذا مهجور يناجيك وأنت صامت (ياليل — ياليل) يا ملجأ البائسين ، يا سمير العاشقين ، يا حبيب الشعراء الحالمين ، يا عدو الريض الثائر طرباً (ياليل) كم يخفي ظلامك من مشاهد البؤس ومظاهر النعيم (ياليل) كم ضم حشاؤك من آلام وآمال ، كم تشهد من أفراح وأتراح (ياليل) كم يمشي بجانبك سعيد جذلان ، وكم يمر بجنبك شقي حرمان[1] (ياليل … ياليل) كم يلف جو بيتك من ساهر راقب النجم يرقب حبيباً لن يعود ، أو يناجي ميتاً لا يسمع ، أو يعثر على مريض (يشتكي) أو يشكو والحياة لا تسمع شكاة (ياليل) يا أرض الفرحة ، يا أرض المراحة ، يا ري الآلام !

• • •

امتلأت نفسي شجناً ، وشُغفت بهذه (الليال وليال والليالي) وملك نفسي شعور أحسبه مثل كلا عهد الصبا بالسحر الصبا … وعهد الشباب بقلب الأنسام فيلاعب القلوب والسامعين … ثم كر كرة فجاء بجمل متقطعة متقطعة … وأتى بجمود يخرج النفوس ويكاد ، واستحسن القوم كلهم أن يرددوا كلمات منه بصوت منخفض يخالطه صوته العجيب العالي فيتكون منه اتساق (آرموني) موسيقي عجيب ، وعاد المرح إلى المجلس ، وسقط الوقار عن أوجه أهله ، فصحت أن موسيقانا ليست كلها بكاء وأنيناً ونكبها للرقص المطرب ، وكان الشيخ سعدي لا يدع سكتة بين مقطعين إلا أحكم الري وقدم بنكتة من نكته التي لا يجد مثيلها ، وراح المجلس بأهله من الضحك والغناء ، حتى لقد حسبت الدنيا ترقص معنا ثم حط الغناء على أنشودتنا الشعبية الخالدة (يا ميجنا — يا ميجنا) تلك التي تصور جانباً النفس الشامية ، وتمثل صورها طبيعة بلادنا وجمال ديارنا ، وهي وحي عبقريتنا الشعبية وجمال الأفكار ، وعادتنا الفريدة ؛ فهي تزجل أبداً ارتجالاً وتسعد لها المجالس ، ويقوم الشاعران يتقارضان المدح أو الهجاء ، وأهل المجلس يرددون اللازمة … (لميجنا) أنشودتنا الأولى التي لا يعرف أحد من نظم أول مقطع منها ولا من ينظم آخر مقطع … ثم أحدث في الأغاني البديعة … (هيهات يا بو الزلف) :

من نحوها لي أرض الدير … من نحوها لي أرض الخير

والسمر الى يمتشا … إلفى وعشقه بالسير

ولف كل ما في ودي … لي أكتب ع جناح الطير

وإن كان ما في حبر … بدموع عيني

تلك الأغاني التي ولدت في أودية الشام الخضراء في سفح النيرب لا يعلم بها إلا أهلها والله العالم بكل شيء ، ودروب التي لا يسلكها إلا أهلها والنور .

فيا أيها المتطاولون عليكم بالله ، لا تعدوا هذه صورة وعصبوه وجدان ، بل تفضلوا إنا أردنا أن تشاهدوا الجمال جمال الفطرة ، واهبطوا أودية ، وارتقوا ذرى ، واركبوا الصعب ، وسيروا على الأقدام ، ولكن لا … لا يأتي المتطاولون بالله عليكم ،

---

(١) حزين من الهوى الفسيح

انسوا ما قلت لكم ، ودعوا الجبل على صدره ، أتركوه يعيش على حمله الثاقل ، وقدره الشديد . لا تمدوا إليه الحضارة التي أنسلت ... وسوبر و ...

هذه الحضارة ، ويل لنا من هذه الحضارة !

لقد سلبتنا كل شيء ، أفلا تسلبنا موسيقانا ؟ إنا لا نجد ساعة الضيق إلا أغانينا وأنغامنا ، نبث فيها آلامنا ونستوحيها الأمل ، ونمسح بها دموعنا . أتريدون ألا يبقى لنا ورد نلجأ إليه ساعة الضيق ؟

إن الموسيقى غذاء الروح ، فشأنكم فخذوا أوربة في كل شيء ، لكن دعوا لنا غذاء أرواحنا . أتحسبون ألا غذاء لأرواحنا إلا هذه ... تحرك بي ندوى وتموت !

هذه صرخة قلوبنا ، فهل يصل إليها هؤلاء الذين وهبهم الله نعمة الفن ليحفظوا علينا فننا ، فصحوا يصيحون بهذه ... فننا ؟ هل يصغي عبد الوهاب لهذه الصرخة ؟

إني والله لأسمع من الأغاني القوم من أهل أوربة ، فلا أحس طرباً ولا أرى فيه إلا اختلاطاً في الأنغام من ...

سمعنا ... وبيروت ومصر : تكلم الشيخ عثمان ... ويصل مني من شاء ما شاء . ثم أسمع عبد الوهاب فأعجب ، ولكني لا أطرب ، فإذا سمعت صبا الكردي في الشام أو ... في ... عرفت ما هو الطرب

هكذا أنا ، وهكذا الناس ، فلا تقولوا لنا أنغامنا

وضرب الشعب في كل فن من الغناء ، ثم غنى في أبيات ابن مصعب العدل

عجبت ... يبقى وبينها	هذا ... ما بيننا ...
يا حبها ... كل ليلة	... الأيام موعدك الحشر
... بلغت في ...	... ليس ...
وإني ... ذكراك ...	كما ... العصفور ... القطر
... حتى ... لا يعرف الهوى	... حتى ... ليس له صبر
أما والذي أبكى وأضحك والذي	أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى

أليفين منها لا يروعهما الذعر

فتنقل إلى عالم السماء التي صورها أبو الفرج ، وقل من الطرب ، عرفت أن لقد كان حقاً ما ذكر الأصبهاني وأن المرء قد يمزق ثوبه من الطرب ، أو يحرق لحيته بالسراج ويتلقى النار

... أولاد ... ومن ... السعادة ... ولا به يسل !

ولكن هذا يمنع الشاب الجاهل ، وماذا يمنع ... وهو مضطر إلى العمل في سوق الحياة ... ؟ أليس حراماً أن يمضي هذا النبوغ في دكان ؟ أليس حراماً أن يمضي ... يمشي متنقلاً بين القرى يراقب إصلاح الطرق ... وهو من أقدر من أمسك بمضراب العود ؟ أليس حراماً أن ... يكون علي الكردي شيخ الفن القديم في الشام دلال بيوت ؟ أليس حراماً أن يشتغل ... أهل الفن في البلاد كلها بإصلاح أنابيب المياه في البيوت وهو في الثمانين من عمره ؟

وفي بغداد ألم ... الشيخ ... في دار ... الكتب ؟ وفي مصر ، أما فيها كثير من أهل الفن لا يعبأ بهم أحد ؟

ولكن لا بأس

لقد هدتك بعد الموت مندبي ... وفي حياتي ما زودتني زادي

لا بأس أن يموت الفنان جوعاً ، فسينصب له بعد موته تمثال ، ورحمك الله يا سيد درويش

دمشق ... علي الطنطاوي

حديث فى القرن التاسع عشر

للأستاذ حلمى هنداوى

انتحى بى محدثى — وهو شيخ وقور[1] — وقال لى: من أحدثك حديثاً عجباً؟

قلت: هات!

قال:

كنت فى نهاية القرن التاسع عشر فى وظيفة إفتاء بالأسطول العثمانى، وأزمعتُ أن أركب البحر من الدار البيضاء إلى شاطئ الغرب لشاغل عنّ لى، على باخرة يونانية صغيرة، فلما سكن على الروع كنت فى غربة موحشة، لأنى غريب لا يميل صحبه إلى صحبتى، ولا يعطف ذو قلب على رقى. ووجدته جلس بإزائى على المائدة رجل قد تجاوز الأربعين، وتشكو ملامح الأسفار على وجهه، وقد استبد الشيب بأكثر مساحة رأسه. أما صحته، فلا يزال فى صمود، يمشى فلا ينحنى، ويتكلم فلا يتلعثم. بادرنى قائلاً بالألمانية:

— هل تحسن الألمانية؟

— لا

سكت ريثما فرغت جملة من الطعام وعاد سائلاً:

— هل تحسن الفرنسية؟

— لا

— هل تحسن الإنجليزية؟

— لا

ثم قال بلسان عربى فصيح طلق كأنه أحد البدو:

— وهل تحسن اللغة العربية؟

— أنا ابنها!

— ما اسمك، وما وظيفتك، ومن أين، وإلى أين؟

أجبته عن سؤاله، وعجبت من أمر هذا الرجل الذى كان يعنى به لما سمعوه من رغبته أن يسائلنى بالعربية. وقدم إلى نفسه بأنه مستشرق ألمانى من هامبورج، قضى فى الشرق زمناً طويلاً يلم به الأخلاق، ويدرس العادات. وكانت صحبتنا خلال هذه الأيام السعيدة صحبة متينة وثيقة، تجاذبنا فيها ما مختلف ألوانه من الأحاديث. وقبل أن ينحدر إلى بلده قال لى:

— والآن أريد أن أسألك عن مسألتين، وسأكون رجلاً لا أحب النقاش للجدل، والجدل القائم على المكابرة.

قال:

— إنى أحب إلى الله أن يميتنى على دين عمر بن الخطاب!

قلت له:

— هذا... إن الدين دين محمد، فكيف تنسبه إلى عمر؟!

قال:

— نعم، إن الدين دين محمد، ولكنى أدعو الله أن يميتنى على دين عمر. إن محمداً جاء بالدين ودعا إليه، وأبو بكر شد أزره، وثبت أصوله، وجاء عمر ينشره ويؤيده وينفذه. ومات عمر والمسلمون من بعده لا يزالون يتخبطون فى فتنة عمياء، عميت أوائلها، ولا تعرف خواتمها! المسلمون اليوم على دين غير دين عمر، وماذا [illegible] يعرفون من هذا الدين إلا رسومه؟ دين عمر يأمر بالصلاح وهم فاسدون، ودين عمر يأمر بالأمانة وهم خائنون، ويأمر بالصدق وهم كاذبون، ويأمر بالوفاء وهم غادرون.

سمعتُ هذا من محدثى، ووقفت لنفسى خاطرة أحببت أن أوضحها، وأحببت أن ألفت إليها أنظار المصلحين من رجال الدين: إن الأخلاق التى حث عليها الدين تنحصر فى نوعين: الأخلاق الحسية، والأخلاق المعنوية. أما الأولى فهى متناول الناس ويعمل من الرجل الذى يتمسك بها رجلاً كاملاً محترماً. وإلى هذا النوع من الأخلاق يعنى المصلحون، وعلى محاربته يعكفون، على أن المصلحين فى الحقيقة لم يجدوا فى هذه الحركة الأسهل من الفن، لأن بعضهم يشرب الخمر أو يعصى أو يعاصى. وإنا نرى أكثر الأمم المتسلطة عيب غاربه فى عرضه وعصبه وقدرها لم يضرها ذلك شيئاً. أما الجانب الأكثر خطراً فى الأخلاق، فهو الجانب المعنوى الذى تقاس به حيوية الأمم. ولعل هذا الجانب هو ما قصد إليه المستشرق، لأنه وجد أخلاقنا المعنوية، ومقاييسنا الروحية غريبة جداً. فالتاجر مثلاً يرى الخيانة والحيلة، ووقعتها ربح بالمكسب، [illegible] قبل أن يتصدق به. ومثل هذا الجانب هو ما ينبغى للمصلحين أن يصلحوه؛ وقد عرف رجال الدين كيف عد الرسول (ص) السكر والشرك الأكبر والرياء

(1) وهو الأستاذ الطرابلسى الشيخ على شيخ العرب

في الأخلاق باشراك الأسمر ومن ... الذي لا يذكر ذلك الأعرابي الذي قدم على الرسول والرذائل حشو ثيابه، فقال له: إنه لا يستطيع أن يقعد عن الخمر، وعن النساء، وعن القمار. فما منعه الرسول الحكيم إلا من الناحية الخلقية التي تقوي الشخصية ومن النفس. قال له:

— لا تكذب، وافعل بعد هذا كل شيء.

فكان الأعرابي بعد وبين ترك كل رذيلة

وهذا هو روعة الفهم وروعة الحكمة!

ولكن كيف يعيش مسلمون يجاهرون بالأخلاق الحسنة على حساب الأخلاق المستورة!

التفت المستشرق إلى صدقي وسأله عن المسألة الثانية:

— وما هو الفارق بين الشرقيين والغربيين؟

فاعتذر صاحبي بأنه لا يعرف الغرب معرفة صحيحة، كما اعتذر الشيخ محمد عبده حين سأله الفيلسوف سبنسر عن أخلاق الأعاجم فأجاب المستشرق:

— إن الشرقي كفرد له عيبه وطيبة قلبه، بعكس الغربي الذي تسلب ذاتيته، وسلطت عليه نفسه. ويمكن الشرقي حين يجتمع ويتكتل مع غيره لا يخلق إلا كتلة فاسدة متصدعة، يسودها الطمع، وتعلوها الأنانية. بعكس الكتلة الغربية التي يسودها النظام، وتذوب فيها المصالح الفردية. ولعلك ترجع سر نجاح الحياة الغربية، وفشل الجمعية الشرقية.

ولقد أصاب المستشرق المنصف إلى حد بعيد، لأن تربية الشرقي تربية ذاتية أنانية تدور حول نفسه، لا تعمل للغير ولا تطلب الإحسان في العمل إلا إذا عملت لنفسها. بينما تربية الغربي تكاد تصبح تربية جماعية جمعية، كأنما أدركت هذه التربية قول الرسول (ص): يد الله مع الجماعة

ولكن ما عسى يقول هذا المستشرق لو عرف أن الشرق الذي كان يعرفه قد مات، وأن الشرق اليوم قد أضاع طيبة القلب وأمانة النفس كفرد، وقد أصبح لا يصلح للحياة كفرد في نفسه ولا في مجتمعه!

وهنا افترقنا

* * *

لكن القدر شاء لنا اجتماعاً ثانياً بعد أربعة أعوام في مدينة المستشرق — هامبورج — فاستقبل المستشرق صاحبنا وأهله في مشهورة، لأنه عرض له عليه من المصاعب ... وفي اليوم الثاني عرج به إلى العاصمة، وقدمه إلى رئيسها، وهو شيخ متكبر، لكنه حلو اللسان.

قال الرئيس لصدقي بالعربية:

— كيف رأيت بلادنا؟

البلاد جميلة!

جميلة ... الظواهر جميلة في انتظام، أما البواطن ففي انقلاب! ولكن إذا حكم الإنسان العقل أدرك الأمور بحقائقها

فالتفت صدقي إلى الرئيس وقال:

— على ذكر العقل والحركة الصفائية، أود أن أذكر هذه النصوص من كتاب مخطوط رأيته في مكتبة ... أسوس ... وهو في التصوف، واسمه «نور الأبصار» لمؤلفه الشيخ ... الدين الجابلي من منطقة الألبان (صدر في سنة ١١٦٠ هـ) قال عن الشيخ العارف الأكبر السيد محيي الدين بن عربي: «ما عرف رجل عرف الله من طريق العقل مثل أفلاطون ... وأفلاطون فيلسوف يوناني تفتحت له الحكمة، وارتعش عن صبه ... وقد أوصى بأن ينقش على قبره: «الحكمة سر العالم الأعلى، من عرفها فقد حاز القرب إلى بارئه، من حدد نظر، ومن نظر عرف، ومن عرف عمل، ومن عمل افتتح دعته وعقله، ومن افتتح دعته وعقله صدقت نفسه، ومن صدقت نفسه وصل إلى خالقه دون واسطة!»

وهنا طلب الرئيس إلى صدقي اسم الكتاب واسم مصنفه ومكانه، وطلب إلى أستاذ في العاصمة أن يسافر لتوه إلى ... المدينة — لاستنساخ الكتاب. ويعرف صدقي إلى ... وبعد شهرين علمت من قيم المكتبة أن أستاذاً ألمانياً نقل الكتاب، وأعطى القيم مكافأة حسنة.

خليل الفراري

يا رســـول الله !

للأستاذ جليــل

إن الدهر قد جار على قوم عرب ! ! !

روى المسعودي في (التنبيه والإشراف) أخبار طائفة من الأفدية بين العرب والروم ، منها خبر هذا الفداء .

« الفداء الأول فداء أبي سليم ، كان أول فداء جرى في أيام ولد العباس في خلافة الرشيد باللامس[1] من ساحل البحر الرومي على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس[2] سنة ١٨٩ — والملك على الروم نقفور — وذلك على يد القاسم بن الرشيد وبأمره ، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين من أعمال حلب [illegible] حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولي له بناء طرسوس في سنة ١٧١ للهجرة ، وسالم البرنسي مولى بني العباس في ثلاثين ألفاً من المرتزقة ، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار نحو من خمسمئة ألف ، (وقيل أكثر من ذلك) بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل ، وضاق بهم الفضاء ، وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزي ، ومعهم أسرى المسلمين ، وكان عدة من فودي به من المسلمين في اثني عشر يوماً — ثلاثة آلاف وسبع مئة [illegible] (وقيل أكثر من ذلك) والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التي وقع الفداء فيها وبعدها »

وذكر المسعودي في ذلك الكتاب هذا الخبر

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية حتى ملك نقفور[3] ، فكتب (ملك الروم) ، وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب

وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) تفسير ذلك عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت — يعني سنة ٣٤٥ — تسمي العرب ساراقينوس »

* * *

قرأت ما روى المؤرخ المسعودي فرددت

تذكرتُ والذكرى تهيج لذي الهوى
ومن حاجة المحزون أن يتذكرا[1] !

وخط القلم هذا المكتوب [illegible] أنت وجيرانك الروم [illegible] بضعة قرون — تتغاورون وتتداركون وتتناحرون ؛ تسمع أجدادنا وبعوثنا : (الصوائف ، والشواتي ، والربيعيات) تدوسهم وتداسهم وتصيب

[illegible] الروم من ذاك الغراب حوار[2]

أجبت بني الأصفر للمراس كأنهم

[illegible] وجه العرب[3]

أنت [illegible] الحياة [illegible] الروم [illegible] فتى الوغى [illegible] القفول[4]

وكيف ترجى الروم والروس هدمها

وذا الطعن آساس لها ودعائم[5]

ونطلع على روحنا والعواصم[6] بنود الروم[7] يقاتلون [illegible]

كنا نحارب ، وكنا نهادن ، ونفادي أسرانا عندهم ، ويفادون أسراهم عندنا [illegible]

وكان [illegible] الألقاب ، فكنا نقول لسوى الفرس[8] يا أعلاج [illegible]

ويعيرون [illegible] سراقينوس

فنا [illegible] وهنا وهلكوا وهلكنا أقل قبيل كنا عديداً .

(١) البيت لحسين بن مطير في الجمهرة وقبلها [illegible]

[illegible]

(٢) أبو عبادة في أبي سعيد الثغري (جورجر) [illegible]

[illegible]

(٣) أبو تمام في المعتصم في فتح عمورية [illegible] يوم [illegible] عمورية [illegible]

[illegible] قال المسعودي : خرج المعتصم إلى أرض الروم غازياً ففتح أنقرة وعمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ .

(٤) ، (٥) المتنبي في سيف الدولة

(٦) العواصم : [illegible] وبلاد [illegible]

(٧) البنود أعلام الروم تحت كل بند عشرة آلاف

(٨) [illegible] الروم [illegible] (الأصمعي)

(١) اللامس : قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس ، كان فيها الفداء بين المسلمين والروم ، يقدم الروم في البحر فيكونون في سفنهم والمسلمون في البر ، ويقع الفداء (معجم البلدان)

(٢) طرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون ، [illegible] (معجم البلدان)

(٣) في تاريخ الطبري : الروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان ، وفي التنبيه والإشراف قيل إنه من ولد جبلة [illegible] دخلوا في أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعلمناه وحدثناه وحدثه [illegible] كما حدثنا سوء [illegible] — وعرفناه ، وإن شئت قلت : [illegible] حقاً آخر ، وما كان يدعي الناس ، ووصفته هو الروم و [illegible] ساع [illegible] وقد كانا [illegible] شر [illegible]

حبر [illegible] عن [illegible] وما كان [illegible]

حرب [illegible] حضارة في مصر ، [illegible] الشعب [illegible] ، ومالاً هو والإثم على علينا في هذا الوقت ، [illegible] الظلم حقاً هولنا [illegible] أبي وجدي [illegible] !

[illegible] ولا كرم [illegible] في الربع [illegible] كل [illegible] مصر أو حنيف ! [illegible] في البلاد تشريداً

ومصر [illegible] (الكتاب) النبي [illegible] أكبر ، الله أكبر — وهي التي [illegible] لسانه ؛ فحسبي الأعجم مثل الناطقين

ألا إن العربيين [illegible] [2] — [illegible]

أن نقول مع الروم « [illegible] » [illegible]

* * *

يا محمد ! يا محمد !

لقد [illegible] في هذا الزمان الإفرنجي والترك حتى [illegible] ضربت عليه [illegible] — [illegible] جهول — وكان [illegible] والزمنا [illegible] [1] و [illegible] على [illegible] من أجل ذلك — [illegible] الساعين

فإن لم [illegible] إلى عربيه ([illegible]) [illegible] شيء من [illegible] — [illegible] أساعك ، [illegible] ([illegible]) [illegible] في [illegible]

[illegible] رسول الله ! يا أبا بكر الصديق ! يا عمر الفاروق ! يا ذا النورين ! يا أبا الحسنين ! إن [illegible] على قوم [illegible] !

([illegible])

(1) [illegible] والسواد [illegible] الأول [illegible] الرسالة ، رسالة [illegible] والصدق [illegible] الناس [illegible] La civilisation des Arabes [illegible] في [illegible] الصفحة ٦٢٢

Au point de vue intellectuel et moral ils ont civilisé l'Europe

(2) [illegible] الأزهري [illegible]

[illegible] أن يكرم أو [illegible] ولا [illegible] الزمخشري [illegible] الأزهري

(1) [illegible] في الرأي والقوى [illegible] الأساس [illegible]

إلى صديقي...

حول زيارة لضريح ابن عربي

للأستاذ صديق شيبوب

هنيئاً لك يا أخي تنقلك بين مصايف لبنان المرتفعة منها والمنخفضة، بين الجبال الشاهقة والأودية السحيقة، بعيداً عما تعانيه من حر مضن ورطوبة خانقة ونزلة واحدة. وسألتك بعد أن تم تجوالك في لبنان ألا تنسى أن تزور دمشق لأنه لا بد لكل من يصطاف بلبنان من أن يحظى بزيارة الفيحاء، أو كما قال شاعرها العراقي

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

ولدمشق سحر خاص تتميز به عن غيرها من البلدان العربية الكبرى. ولا أحدثك عن الحدائق الغناء التي تحيط بها، وعن صحة من مصحات الجنان، ولا عن الآثار البديعة القائمة فيها وبعضها من الروعة بمكان، فإنك ستزورها وستشهد هذا جميعه وتعجب به.

وزائرو دمشق يكتفون عادة من آثارها بالجامع الأموي ودار المجمع العلمي والمكتبة وبعض القصور القديمة وبعض المصانع الوطنية؛ وقليل منهم من يفكر في زيارة ضريح الشيخ محيي الدين ابن عربي، أو يخطر بباله أن «بحر المعارف الإلهية، ومرجع العلوم الربانية، الشيخ الأكبر، والقطب الأفخر» كما يلقبه الشيخ عبد الغني النابلسي، مدفون فيها.

ولقد زرت دمشق أكثر من مرة، وكنت في كل مرة أتردد على الأماكن التي تعود الناس زيارتها. ولم أخط مرة إلى ضريح «الشيخ الأكبر» كما يلقب علماء الصوفية ابن العربي بالرغم من أني ركبت أكثر من مرة (تراماً) يعرف محطة باسم «الشيخ محيي الدين» في غدوي ورواحي إلى حي الصالحية حيث كنت أقيم.

ولم يخطر ببالي في زياراتي الأولى أن أسأل عن هو محيي الدين هذا. ولا أخفي عنك أني لو سألت يومئذ عنه وقيل لي إنه ابن العربي لما نبه في ذهني خاطراً بعيداً ولا بعث في نفسي شوقاً شديداً إلى زيارة ضريحه، لأني لم أكن أعرف عنه شيئاً سوى أنه إمام من أئمة الصوفية وأنه صاحب هذه الأبيات الجميلة التي كنت أحفظها من غير أن ألتفت إلى معناها الصوفي وهي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لنيران ومعبد طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه، فالحب ديني وإيماني

ولم أكن أعرف أن ابن العربي، كما وصفه الشيخ صفي الدين بن أبي منصور في سائر صوفية وقته، فقال إنه «الشيخ الإمام المحقق، رأس أجلاء العارفين والمقربين، صاحب الإشارات الملكوتية، والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية، والفتح الموثق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، والمحل الأرفع من مراتب القرب في منازل الأنس، والورود العذب في مناهل الوصل، والطول الأعلى في معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية، والباع الطويل في التصرف في أحكام الولاية، وهو أحد أركان هذا الطريق».

أو كما وصفه الذهبي: «وله توسع في الكلام، وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق في التصوف وتآليف جمة في العرفان ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس. ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته».

أو كما وصفه الصفدي: «كان ابن العربي ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، خاض بحار تلك العبارات، وتحقق بمحيا تلك الإشارات، وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والإقدام، ومواقف النهاية في مزالق الأقدام».

أو كما قال أيضاً: «وكان جيد الحفظ والتحصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق».

أجل لم أكن أعرف هذا جميعه عن ابن العربي، بل لم أكن أعرف كثيراً أو قليلاً عن أئمة المتصوفين لأني وصلت إلى دراسة

التصوف متأخراً ... بل إنني لم أكن أتذوق كما يجب أشعار ابن الفارض لأني لم أكن أتطلع إلى كل معانيها الصوفية

وأذكر اليوم في شيء من الذكرى أن كبيرة أديبات الغربيات زارت منذ سنين ضريح ابن الفارض بالقاهرة بسفح المقطم، وكما قال حينئذ الشيخ على قراءته للدروس، والقراءة تصحيح الدرس، ثم كتبت عنه مقالاً كله إطراء وثناء، وكان أن التقيت بعد ذلك بالإسكندرية حيث كانت تصطاف وقلت لها: إني لا أشاطرها إعجابها، فأجابتني بأنه يجب أن نتناول فهم شعر ابن الفارض من الناحية الصوفية قبل أن نبحث عنه كشاعر

ولعل هذا كان أول حافز لي لدرس الصوفية على نحو المتهدي

ولا شك أن لابن الفارض مكانة خاصة في شعرنا العربي لأنه يكاد يكون الوحيد الذي مزج شعر الصوفية بالشعر الذي عاه شعراء الفرس والترك الصوفيون المتصوفون أمثال العطار وجلال الدين الرومي وسعدي وحافظ . ولا يدانيه في هذا الباب محيي الدين بن العربي ، وإن يكن قد قصر عنه . فابن الفارض إذن فارس هذه الحلبة في لغتنا العربية وطالب الفرد ، وقد قال فيه نيكلسون : « إن أشعار ابن الفارض غاية في اللطف » ، ولا أذكر الآن من قال في وصف ديوانه إنه معجزة في عالم الأدب »

والصوفية في شعر ابن الفارض متناسبة من حيث الوضوح والغموض ، ولعل « خمريته » تحتل وسطاً بين شعره الغنائي الغزلي وبين « التائية الكبرى » المعروفة بنظم السلوك

ونحن نروي لك الدلالة على كشف معاني هذه القصيدة الأخيرة ما ذكروا من أن أحدهم قصد ابن الفارض يستأذنه في شرحها ، فسأله عن مقدار الشرح ، فقال إنه سيقع في مجلدين ، فضحك الشاعر الصوفي وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين تفسيراً لكل بيت منها »

على أن المقريزي ذكر في ترجمة عمر بن الفارض أن محيي الدين ابن العربي بعث إليه في شرح التائية الكبرى فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » إشارة إلى كتاب ابن العربي « الفتوحات المكية » الذي جمع فيه شتات العلوم الصوفية في خمسائة وستين باباً

وبين ابن العربي وابن الفارض بعض التشابه فكلاهما شاعر متصوف ، وكلاهما من رجال القرن السابع للهجرة ، أي القرن الثالث عشر للمسيح ، فقد توفي ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وتوفي ابن العربي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) . وكان ابن الفارض يصاحب صورة فتاة وحبيبة يتوجه بها في أشعاره ، وكان ابن العربي يعتقد أن ما يكتبه يتحول إليه بطريق الوحي في حالة الغيبوبة والمجاهدة ، وكلاهما من أئمة الصوفية ، ولكن يبدو أن فلسفة بعض التصوف عند ابن الفارض لأنه رمز إليها في صور شعرية ، نجدها واضحة عند ابن العربي لأنه يعرضها بنثره ؟ وكان ابن الفارض ينظم غزلاً يرمز به إلى الله في غير حبيب محبوب ، ويكثر فيه من أنواع البديع بينما نجد ابن العربي ينظم شعره من غير أن يتعمد أنواع البديع في فتاة مكية

أما من حيث المؤثرات الطبيعية فلعل الفرق ناتج عن المحيط الذي نشأ فيه كل واحد من الشاعرين ، فقد ولد ابن الفارض في القاهرة ونشأ في محيط شرقي فاكتسب شعره المميزات التي كانت بارزة في بيئته بين معاصريه . أما ابن العربي فقد ولد بمرسية (في ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ هـ أي ٢٨ يوليو سنة ١١٦٥ م) ونشأ وتأدب في بلاد الأندلس بين أشبيلية وسبتة ، وقد استقر في الأولى ما يقرب من الثلاثين عاماً ، ولم يخرج إلى المشرق إلا عندما شارف الأربعين سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ — ١٢٠٢) فاكتسب شعره مميزات مواطنيه ، وكانوا أقل عناية بالمحسنات اللفظية من شعراء مصر والشام والعراق

أما معشوقته ففتاة مكية تسمى « نظاماً » وتعرف بلقب « عين الشمس » ، وكان والدها من علماء فارس الذين نزحوا من بلادهم وأقاموا في مكة . وكانت لما عرفها ابن العربي في الرابعة عشرة من عمرها على كثير من العلم والمعرفة ، بينة الخطابة ، جيدة الكلام ، بارعة الجمال . وقد قابلها أثناء إقامته بمكة عام ٥٩٨ أي عقب رحلته من بلاد الأندلس . ثم نأى عن مكة زمناً حتى إذا عاد إليها سنة ٦١١ نظم فيها بعض القصائد يصف جمال الفتاة وعلمها الواسع ويذكر ما كان بينه وبينها من حب . ثم رأى بعد ذلك

أن يتبع هذا الديوان العجيب بشرح مطول

* * *

بعد بدا هذا جانب من ضريح ابن العربي وزيارته

وهنا يجب أن أذكر شيخنا التفتازاني رحمه الله سألني مرة أين قبر ابن العربي؟ فقال بأسلوبه العذب الذي تذكره: كيف لا تعرف ضريح ابن العربي؟ وكيف تزور دمشق ولا تزوره! إنه فيها بحي «الصالحية» وتصل إليه خطوط ترام معروف باسمه «الشيخ محيي الدين». ألم تقرأ في الشعراني قوله: «وقبر ابن عربي[1] في الشام، وعليه بيت عليه قبة عظيمة وتكية وفيها طعام وخيرات» قلت: ولكني أعرف أنه توفي بدمشق وسكنه نقل إلى جبل قاسيون ودفن بسفحه. قال: وقاسيون هو الجبل المطل على دمشق والذي بنيت في سفحه في شكل مدرج الأبنية الجديدة والحي الذي يعرفونه اليوم باسم المهاجرين

ولكني لم أزر دمشق بعد ذلك إلا مرة في صيف سنة ١٩٣٥، وأقمت فيها أياماً ضيفاً على أحد أقاربي، ولما كان يقيم بالصالحية، وهي في أول طريق الجبل قبل المهاجرين، كنا نركب الترام في الغدو والرواح. وهناك خطان أحدهما يعرف باسم «المهاجرين»، والآخر باسم «الشيخ محيي الدين». والحق أني كنت نسيت ابن العربي ووصية الشيخ التفتازاني وسألني المسئول مرة صاحب قريبي عمن يكون الشيخ محيي الدين هذا فقال: إنه عالم صوفي يعرف بابن العربي، وأن له ضريحاً ومسجداً في آخر خط الترام فدعوته باسمه. وهنا تذكرت الماضي وقلت: أجل يجب أن نزوره

وبعد ظهر ذلك اليوم أقلتنا عربة تصعد بنا الجبل حتى وصلنا إلى حيث المسجد بعد أن جزنا حياً وسوقاً تخصص أبنيتهما قدماً وقدماً يبدو أكثرها قديم. وكان جماعة من الفقراء يزدحمون بباب المسجد، وهم يتحدثون للطالب استعطافه وهو واسع تتوسطه بركة ماء كبيرة، وفي آخر المسجد إلى الشمال يقع الضريح، وهي غرفة حسنة الاتساع [illegible] من الشعر المنقوش على رخام قائم في حائطه. وحاولت أن أقرأ بعض الشعر فوجدته باللغة التركية. ولم أستطع الإطالة [illegible] بقيته تقدم إلينا شيخ وقال: قد أزف صلاة العصر [illegible] ثم كانت [illegible] بعد ذلك

ولا أذكر الآن كيف تخلصت من الشيخ ودعوته إلى الصلاة، ولكني وصحبي وقفنا أننا في موقف حرج لأني أحمل مثلاً بكون عمور، لو عرف أننا مسيحيان. وأشرت إلى صاحبي أن من الخير أن نشكر للشيخ على أن نعود في فرصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه، وخرجنا، ولم تتح لي فرصة أخرى للعودة

* * *

كانت العربة تهبط من الجبل، ونحن نستشرف ذروة الغصون المنبسطة، وأرى دمشق ببساتينها اللامعة ومآذنها العالية تحفها الأشجار الباسقة وتكتنفها الرياض والبساتين، ويتجلى هنا المنظر في الأفق الحاني والطبيعة الساحرة والمدينة المنبسطة، وكيف لا أزل عند تأثير زيارة الضريح أفكر في الأندلسي الذي طاف البلاد العربية فكان في كل مكان يحله كأنه بين أهله وإخوانه يتقرب إليه الناس ويجري مثله الحكام والأمراء يبسطوها على الفقراء والمعوزين. أليس هذا الملك الذي قال في أبياته التي ذكرها.

وهذا الجمال الذي نشرف عليه ونستمتع في هذه المناظر الخلابة، أليس من صنع الله، وما دام من صنعه فهل هو قائم فيه حقاً. وهل صحيح ما قاله ابن العربي «سبحان من خلق الأشياء وهو عينها» أو ما نظمه شعراً

يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه ... فيك فأنت الضيق الواسع

وذكرت هذه النزعة الشمولية التي نادى بها العربي والقائمة على مذهب وحدة الوجود. ولا عجب فقد كنت «مسافراً» على حد تعبير ابن العربي الذي قال إن «السفر» عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى. ولا شيء أدعى إلى هذا التوجه مثل التأمل بجمال الطبيعة

(1) كانوا في المغرب يلقبون الشيخ محيي الدين بابن «العربي» لأنه كان من أصل عربي ثم يلقب في سائر العالم، وحتى ما ترجم إلى المشرق غيروه فيه إلى «ابن عربي» من غير أداة التعريف، تمييزاً له عن القاضي أبي بكر بن العربي

وقد بحث نكلسن كيف عدّ ابن العربي من أشياع نظرية وحدة الوجود التي تتجه بصاحبها إلى عبادة الخالق والشعور بالافتقار إليه تعالى، وهو عبادة الصوفي الحق وافتقار المؤمن. وبحث كيف أنه بالرغم من تصوره الدين الإسلامي المبني على وحدة الأديان لأنها جميعاً تدعو إلى عبادة الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع الموجودات

والحق أنني اليوم وأنا أكتب إليك بين جدران مصرفي أجد من الصعب أن أذكر كل هذه الخواطر التي مرت بذهني بينما كنت أصعد من جبل «قاسيون» إلى دمشق.

***

وبعد فإني أرجو ألا تجد في هذه الرسالة صورة كاملة لابن العربي، ولكنها خواطر جالت بفكري عندما أردت أن أسوقها إليك بمناسبة زيارة ضريحه. وأنت تعلم أني لم أحدثك عن حياته وآرائه ومؤلفاته وما قام حول مذهبه من جدل حمل بعضهم على رميه بالكفر وما كان من أثره بين أهل الشرق والغرب وبحسبك ما وجده المستشرق الإسباني «ميجيل آسين» من شبه بينه وبين «دانتي» فألف كتاباً برهن فيه أن الشاعر الإيطالي أخذ كثيراً من التصوف العربي وتأثر به في نظم قصيدته الخالدة «الكوميديا الإلهية» أو كما قال الباحث الإنكليزي «ألفريد جيوم» إن ابن العربي كان من الذين «أخرجوا للناس النماذج للنسخة الأولى لكوميديا الإلهية»

على أنني لا أريد أن أختم رسالتي إليك قبل أن أروي لك قصة ذات دلالة كبيرة على طريقة هؤلاء الصوفيين ومشاربهم الفكرية والتأملية. فقد روي أن ابن العربي اجتمع بالشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام. فقيل لابن العربي ما تقول في السهروردي؟ فقال: «مملوء سنة من قرنه إلى قدمه» وقيل للسهروردي ما تقول في الشيخ محيي الدين؟ فأجاب: «بحر حقائق»

ولعلك ستكون بعدي أكثر توفيقاً مني عند زيارة ضريح ابن العربي وأعمق شعوراً بما يطوف بك من جلال

(الإسكندرية) صبري شريف

بطاقة ..

للدكتور محمد ناجي

بطاقة تحمل على صدرها اسم صاحبها مجرداً من كل لقب، وخلواً من أي عنوان أو رقم تليفون؛ وكأني به لا يحمل لقباً، ولا يعرف لنفسه عنواناً، ولا يملك رقم تليفون، ولم يبق له شيء إلا بسمة عريضة في بطاقته

مرت تلك البطاقة على ناظري، ثم جالت بخاطري، حتى شغلتني عن أمري، فعجبت لها أيما عجب

بطاقة فريدة في طابعها، عجيبة في شرعها، جليلة في لفظها، غريبة في معناها، ومثالية في تعبيرها، ولم أدر ما خطبها ومن يكون صاحبها؟

إنها تخالف بطاقات العصر في كل واد والعصر في واد. بطاقات العصر تحمل من الألقاب والعنوانات والأرقام ما ليس له عد ولا حد، كأن الشيطان أوحى بها، حتى لا تدع موضعاً لنقش جديد أو زيادة لمستزيد ..

فمن يكون هذا الذي يخالف العصر في بطاقته، ويعد أبا العجب في زمانه؟ إنه محمد طلعت حرب، ذلك الرجل المتواضع حتى في بطاقته، ولو شاء أن يسطر اسمه وألقابه وعنواناته وتليفوناته لكانت بطاقته كتاباً

إن بطاقته تحمل في نفسها أعجب الإعلان عن النفس، إنها لمسكنة باتة، تسيطر على الحس والنظر والفؤاد، إذ هي في كل قلب مستقر وفي كل واد أثر. هذه هي البطاقة التي ترث الزمن وتحدث المصري ما لم يكن يعلم، إنها تذكرة القبر، وإنها لإحدى العبر، فطوبى لمن قرأ وادكر، وعجب لمن عمي عنه واعتبر.

محمد ناجي

عضو الكونجرس الطبي العام

عقيدة الزعامة في النازية

للدكتور جواد علي

لا تفهم وجهة نظر الوطنية الاشتراكية للعالم إلا إذا اطلع المرء على عقيدة الزعامة Führerschaft التي هي الأصل الأول من أصول المذهب النازي والعمود الذي ترتكز عليه جميع معالم الحرب ونظرياته، فلا تتساهل المؤسسات المختصة أبداً أمام التساهل بهذه العقيدة أو التكاسل بها، ولذلك سخرت جميع ما تملك من وسائل في سبيل تأييدها وحمل الناس على الاعتقاد بها. وطهرت السياسة والعلم والفن والصناعة — على حد تعبير الوطنية الاشتراكية — من جميع الأدران التي رأتها تصطدم مع هذا الإيمان العالي، ولم تتساهل حتى مع أكبر الأساتذة الذين لم تجد منهم ميلاً أو تأييداً في القول أو العمل.

وعقيدة الزعامة هذه تنحصر في زعامتين: الزعامة الفردية، والزعامة العنصرية، أو الأممية. ومن عرفت هاتين الزعامتين اتضح له سبب تهجم هتلر على الماركسية والماسونية واليهودية، وكل فكرة أو نظرية عالمية أممية. أما الزعامة الفردية فمستندة إلى قاعدة أن الأفراد ليسوا في الاستعداد على حد سواء، وكذلك في المؤهلات العقلية والإنتاجية؛ فهنالك درجات كل درجة أرقى من التي تحتها؛ وهكذا ترتقي الدرجات حتى نصل إلى درجة زعيم موهوب Führer، وهو زعيم الزعماء، يدين كل فرد بالنظر إلى من هو أدنى منه عقلاً أو جسماً أو أضعف منه إرادة وعزم بمقتضى الطاعة. وعلى حسب هذه الدرجات تتوزع كذلك المسئولية والوظيفة والواجب. وهذه المواهب والقابليات موهوبة فطرية لا تكتسب بعلم ولا يحصل عليها بتهذيب أو تدريب Angeboren[1]. والزعيم الأكبر الذي يتولى قيادة الشعب العامة هو الذي يكيف الشعب حسب إرادته وروحه Geist und Wille ويضع الخطط العامة. ولا بد لهذا الزعيم من مؤهلات روحية تميزه عن أفراد شعبه، وتزوده بقوة ممتازة من أهم صفاتها الإرادة والشجاعة والخيال والتفكير والطاعة والقدرة السامية والتهذيب والإنتاج[1].

هذه الصفات كما ذكرنا فطرية غريزية في الشخص يتمتع بها منذ ولادته حتى وإن لم تظهر عليه المؤهلات، ولكن شعوب هذه المؤهلات وجمع ووضع من الاعتقاد لا بد من الحاجة إلى تجربة الأفراد شخصياً، الطبقة الصالحة منها للقيادة التي تمتاز بصفات جسمية كالطول والقوام والاتزان وحدة النظر مع الهدوء وتحمل المشقات، ولا يسمح كذلك بزواج الأفراد إلا بعد الفحص الطبي والتحقق من سلامة الزوج والزوجة من الأمراض الجسمية أو العصبية أو الاعتيادية كالإدمان على الشرب والمخدرات وغيرها. وهنالك مدارس خاصة بالزعامة يقصدها من يريد الاعتراف في سلك الزعماء على حالات ودرجات في أنظمة شديدة، ومن هذه الطبقة تنشأ طبقة خاصة هي طبقة الأشراف، أشراف المستقبل الذين يؤسسون الجيل الجديد على طريقة فرسان الجرمان القدماء[2].

أما الزعامة العنصرية أو الأممية فتنحصر في أن الأمم ليست متساوية كذلك في القابليات والإنتاج، وهي نظرية كذلك كالتي في الأفراد، والشعوب الآرية في نظر الوطنية الاشتراكية هي الشعوب المنتجة وحدها، وكل حضارة في العالم أو مدنية هي من صنعة هذه الشعوب، وهذا ما يدعو طبعاً إلى قلب التاريخ ظهراً على عقب وإلى كتابة تاريخ عالمي جديد. فهنالك حرب النظرية المادية في التاريخ وهي نظرية كارل ماركس Karl Marx وزميله أنكلز Fr. Engels و A. Bebel ببل وهي النظرية المعروفة بـ Ökonomische Materialismus القائلة بأن التاريخ أو التطور البشري صنعة من نتائج التطور الاقتصادي، وكذلك نظرية Oswald Spengler القائلة على وجود حضارات بشرية مختلفة، فهنالك حضارة بابلية وهنالك حضارة مصرية، وهنالك حضارة صينية، وهنالك حضارة عربية، كما أن هنالك حضارة ألمانية أو حضارة انكليزية، ولكل حضارة من هذه الحضارات مدنية خاصة (انظر كتابه المشهور سقوط الغرب) وكذلك نظريات المذاهب الأخرى الذين يرون

(١) انظر لزيادة الاطلاع كتاب كفاحي Mein Kampf ص ٥٠٠ وكذلك ص ٦٦٩ ص ٨٥ وغيرها Hitlers Wollen, Werner Siebarth ص ٤٦١ و ٤٦٣ Dietrich Klagges, Geschichts Unterricht ص ٤٤٧ A. Rosenberg, Der Mythus ١٩٣٠ في كتب كثيرة

(٢) انظر ما في كتب Walter Darré في كتاب Neuadel aus Blut und Boden حول الأرستقراطية الجديدة ... [illegible]

(١) انظر كتاب Helmut Nicolai, Der Staat im Nationalsozialistischen Weltbild ص ٣٢

العالم ككتلة واحدة والمبادئ التي نشأت من الثورة الفرنسية.

إن فكرة الزعامة العنصرية هذه ليست فكرة هتلر يدعي أنه هو الذي ابتدعها وكوّنها، بل هي فكرة عالمية قديمة كانت لدى اليونان إذ كانوا يحتقرون الشعوب الأخرى ولا يعترفون لها بالإنتاج؛ وكانت كذلك عند الرومان والعرب، وظهرت في العصر الإسلامي باسم الشعوبية وهي حركة كانت ضد العرب؛ وكانت لدى الأمم الأخرى، والحركة المعادية للسامية قديمة أيضاً حتى أن لوثر المصلح الديني العظيم في ألمانيا كان من الذين يكرهون اليهود. ولكن تلك الفكرة لم تطبع بالطابع العلمي وتصبح عقيدة كما أصبحت في ألمانيا اليوم. وأشهر الذين نادوا بالزعامة العنصرية قبل هتلر العالم الألماني Klemm (١٨٠٢ – ١٨٦٧) الذي بحث عن الشعوب الناشئة وانشطارها على الفكرة الآرية واعتقد بأن الشعوب الآرية هي الشعوب النشطة وحدها. وكذلك الفرنسي الشهير Graf Gobineau كونت كوبينو (١٨١٦ – ١٨٨٢) في كتابه Essai sur l'inégalité des races humaines وقد وصل إلى نتيجة تفوّق العنصر الجرماني على جميع العناصر؛ ثم الكاتب الفيلسوف الشهير هوستن شامبرلن Houston Stewart Chamberlin (١٨٥٥ – ١٩٢٨) في كتابه Grundlagen des 19 Jahrhunderts وهو إنكليزي الأصل ألماني الثقافة صديق الموسيقي الشهير ريشارد واكنر المعروف بكرهه اليهود أيضاً. وكان شامبرلن هذا يكره اليهود وحاول في كتابه هذا أن يثبت من جديد أن العنصر السامي هو عنصر غير منتج. ولأفكاره أعظم أثر في شخصية هتلر وآرائه. وقد دوّن آراءه وصاغ كثيراً من أهم الكتب التي كوّنت الوطنية الاشتراكية حسب كتاب كفاحي Mein Kampf ويرى من خلال دراسته للعبقرية [illegible] أن الشعب الجرماني وحده له حق القيادة والزعامة إذ هو الشعب المنتج على الإطلاق، وأن اليهودية والشعوب السامية لم تنتج شيئاً وما أنتجته هو نتيجة العقلية الآرية فقط.

كانت فكرة العنصرية قد وضعت منذ عهد بسمارك إذ أطلقت لليهود لأسباب سياسية الحرية المدنية وسمح لهم بالتوظف في الدولة من دون قيد ولا شرط، فازداد بذلك العداء ووضعت الفكرة العنصرية ولا سيما بعد الحرب العظمى، وظهر بعض الكتاب الذين شنوا الغارة على اليهود كالأستاذ أدولف بارتلز المشهور بكتابه «تاريخ الأدب الألماني» على الطريقة العنصرية، والبروفسور هوبرت شيلن والبروفسور Prof. Ludwig Schemann كثير والبروفسور Prof. Hans Günther وغيرهم، وأصدروا في قضية العنصر من جميع أوجهها فصيّروا للموضوع قواعد وأسساً وأصولاً، وقد ساعدتهم الوطنية الاشتراكية [illegible] وأسست معاهد للعنصرية في الجامعات والمستشفيات وجميع المؤسسات العلمية. وظهر في علم الدروس الجامعية فرع خاص يسمى باسم مبحث الأجناس Rassenkunde. وقد كتبت التاريخ والسياسة والعلم والفن والرأي العام على هذا الأساس، إذ يرى هتلر أن مصدر كل بلاء نزل على ألمانيا هو إهمالها العنصرية وتساهلها مع اليهود الذين أضروا بالأخلاق والتقاليد الجرمانية الموروثة، وكذلك المسيحية اليهودية التي لا تمثل إلا أخلاق اليهود. وهذه كانت نظرية الفيلسوف نيتشه الذي كان يصف الأخلاق المسيحية بأخلاق العبيد، وكذلك شامبرلن وغيرهما. لذلك أكره هتلر جميع العلماء والمؤسسات العلمية على تبني هذه النظرية، وقاوم كل نظرية تدعو إلى الأممية وإلى المساواة بين الشعوب. ومثله في ذلك عقيدة الزعامة حيث صوّر الشعوب كالهرم تماماً، قاعدته متسعة يسكن في أسفله الشعوب الزنجية والأقوام الابتدائية، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة حيث هناك الشعوب الجرمانية الألمان والسكاندنافيين والهولنديين، وفي قمة هذا الهرم تماماً تكون ألمانيا.
(أنظر كتاب Dietrich Klagges Geschichts Unterricht ص ١٤٠) وهكذا طبق هتلر عقيدة الزعامة الفردية على الزعامة الأممية، فكما أن هتلر هو زعيم الألمان الذي يجب أن يطاع لما له من مواهب الزعامة الموهوبة الفطرية[1] فكذلك يريد أن يجعل شعبه في قمة الزعامة الأممية التي لا يرتقي إلى مصافه شعب.

وكان من الطبيعي أن يصاب العلم والفن من جراء هذه النظرية بمصاعب شتى ولا سيما العلوم العقلية كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم التربية والسياسة والاقتصاد وخصوصاً التاريخ الذي يعتني به هتلر عناية خاصة، وخصص له عدة صحائف في كتابه كفاحي لأنه يرى في التاريخ خير درس وعبرة للأفراد والشعوب على الطريقة التاريخية القديمة التي تنسب إلى المؤرخ اليوناني توكيديدس Thukydides (٤٦٠ – ٤٠٠ ق.م) والمعروفة في التاريخ باسم Pragmatische Geschichte أو التاريخ [illegible] ويرى أن الطريقة العلمية في مثل

---

(1) ذكر هينز Heinz Hur في كتاب Die [illegible] ص 453 وما بعدها بعض الصفات التي كانت لهتلر منذ أيام صباه [illegible] البصر في [illegible] صور هتلر [illegible]

حسب الموضوعات حرة وآراء الأساتذة مختلفة متباينة تنكر التحيز والتعصب ، لذلك كانت مهمة الباحث في مثل هذه الموضوعات صعبة جداً والأبحاث المنطقية لذلك كانت إحجام الكثيرين منهم عن التأليف وبيان آرائهم بصراحة ، وإجهاد الفكر لإيجاد براهين جديدة تحقق نظرية الزعامة وتقلب العلم رأساً على عقب . ولو تصور القارئ مثلاً أن علم التاريخ حسب هذه النظرية يجب أن يقلب رأساً على عقب تماماً عرف صعوبة المهمة الشاقة وتطلع العلماء الأحداث إلى أمثال هذه الآراء . فالنظرية النازية الحديثة في التاريخ ترى أنه من الكفر الاعتناء منذ اليوم بالتاريخ القديم لممالك الشرق الأدنى كالمصريين والبابليين والآشوريين ؛ بل ترى في ذلك الخطأ الفادح لأن من عقيدتها أن الحضارة الجرمانية أساس حضارتهم ، ومن الغرابة أن يعد الشعوب الشرقية حضارتها مستندة ذلك على حفريات الحضارة ، وتوسع المكان الذي جرى ولا يزال يجري إلى الآن ، وعلى حفريات تقوم بها الإرساليات الألمانية ثم تحكم هي بنفسها على تقدير أعمار المكتشفات الأثرية وقدمها . ولا شك أن ذلك مما يسخر منه علماء الأقطار الأوربية الأخرى ولا يجدون به ، وكذلك علماء ألمانيا أنفسهم ؛ ولكن السياسة طبعاً هي التي تتغلب الآن على العلم[1]

يقسم علماء التاريخ اليوم في ألمانيا العالم إلى قسمين : شعوب سياسية تمشي التاريخ وتكونه وهي الشعوب الجرمانية طبعاً ، وشعوب غير سياسية وهي التي لا تلعب دوراً في التاريخ ولا في السياسة بل يلعب بها وهي الشعوب الشرقية والزنجية وغيرها[2] ويصرح هتلر بهذه الفكرة في كتابه كفاحي ، ويرى فضلاً عن ذلك أن التاريخ هو محصول الأفراد لا الشعوب ، أي أن الزعماء هم الذين يكونون التاريخ لا الجماعة ، إذ الجماعة تساق وتقاد ولا تستطيع[3] ومن أجل ذلك أسس بكتابة تاريخ جديد ، وضعاً مرعياً ما يستهدفه إليه من العنصرية ميداناً للجرمان وللشعوب الأوربية السياسية المكونة للتاريخ ، وتخص الشعوب التي لم تلعب دوراً في السياسة فصولاً صغيرة جداً ، وكل ما وجد عندهم من حضارة ينسب إلى الآرية كما عمل المؤرخ روزنبرك في كتابه « خرافة القرن العشرين » Der Mythus des 20 Jahrhunderts في الفصل الذي كتبه عن الحضارة العربية الإسلامية .

وكان من جراء هذه النظرة تبديل الكتب التاريخية ومناهج البحث ووضع قواعد ثابتة للتاريخ ومن النظم النازية ، ولقد أعلن الوزير الألماني ديترش كلاكس في كتابه تعليم التاريخ Geschichts Unterricht ما يأتي :

إن الحياة كفاح ، والشعوب ليست بشيء أبداً دون وعي ، والشعب هو مجتمع الفرد ، والوطنيون يرتبط بعضهم ببعض في السراء والضراء على قاعدة التضحية والهم ، وكل هذا من شأنه العقل يموت الفرد ويبقى الشعب ، ولكن الشعب يجب أن يكون عالماً سياسياً كما أن الدولة يجب أن تكون قوية ذات عنصر واحد ولكي تصل هذه الشعوب تحتاج إلى قوى وجهاد وأسلحة وعتاد إذ هو سنة لا تعتبر الأمم ، وبين هذه الأمم اختلاف في العقل والجسم ، وفي مقدمة هذه الأمم الأمة الألمانية ؛ لذلك فإن كل من ينادي بالأخوة والتطور البشري وبحقوق الشعوب يجب عقابه عقاب مجرم كذاب ، إذ أن الطبيعة البشرية تناقض ذلك . والشعب السعيد هو الذي يخضع لزعيم مطاع . والعنصرية هي مفتاح تاريخ العالم (أنظر ص ١٤١ – ١٤٣)

هذه هي نظرية الوطنية الاشتراكية وعقيدتها التي تتمسك بها وكل ما يتعارض مع هذه العقيدة ينظر إليه نظر المحتقر إلى الكفر والإلحاد ؛ لذلك فالماسونية والشيوعية والديمقراطية والأديان العالمية التي تساوي بين الشعوب والأفكار الأممية كلها آراء فاسدة تتعارض حسب نظرها مع الطبيعة البشرية والتاريخ . هذه هي فلسفة النازية ؛ من أدرك شكل هذا الهرم الذي يجثو الوطنيون عرف المذهب تماماً وأدرك سبب كره هتلر للسامية المذكورة وسر حسبه هتلر وقسوة العالم الخارجي ضد الحرب المعلنة على ألمانيا من الباحث على حزب الألمانية الوطنية هذه

مراد علي

مدرس بجامعة هامبورج بألمانيا

---

(1) لمعرفة التفاصيل أنظر كتاب Geschichte Unterricht لمؤلفه Dietrich Klagges

(2) أنظر كذلك على الخصوص كتاب كفاحي وكتاب خرافة القرن العشرين لروزنبرك وكتاب تاريخ هتلر لمؤلفه Werner Siebarth

(3) أنظر كتاب أدولف هتلر مربي الأمة لمؤلفه هوبر Höper

من عبر السراب

أنا... وأنت!...

[لم يبق لي بعد اليوم في الدنيا أمل ، فقد لاحت
في أفقك خاطفة من وجه [illegible] يا قبل الصبح]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

عرفت طفلاً في سحر الزمان
لا يهدأ !
وعشقنا حين [illegible] طوفان
[illegible] !
وطفرنا نمشي بوادي الحنان
[illegible] !
أوراقنا في [illegible]
[illegible] !
يا رب أب بشريد الحنان
طيف الأمل !

* * *

تيهان من [illegible] الحنين
كأس الصبا
ملأ صدى [illegible] ونجوى السنين
عود الصبا
وحين لاح الشط عبر [illegible]
[illegible] !
[illegible] الأسى والجنوب
[illegible] !
ولم [illegible] وخطه [illegible]
[illegible] !

* * *

[illegible] في [illegible]
[illegible] الرياح !
بات [illegible]
قبل الصباح !

وخطم [illegible] بنا [illegible]
فوق المراح !
لقد [illegible] نحنا [illegible]
[illegible] !
[illegible] أنا [illegible] أهواك
[illegible] النواح !

(القاهرة) محمود حسن إسماعيل

أنشودة وفاء النيل

للأستاذ محمد فتح الباب

البحر زاد ثم السداد
والخير عاد كل البلاد
إلى الحصاد البحر زاد

* * *

مصر يا مصر [illegible] [illegible] بالرقص
أنت يا كل [illegible] [illegible] يوم [illegible]
[illegible] اليوم وامرحي [illegible]

البحر زاد

مصر [illegible] الأمم [illegible] النيل والهرم
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الأمس والطرب
[illegible] الأحب [illegible] [illegible]

البحر زاد

[illegible] والنيل من [illegible] الوفاء
[illegible] في [illegible] كالحور في جنة السماء
[illegible] [illegible] الخير
[illegible] مثل الزهير
[illegible] كالسهل
كما [illegible] [illegible]

البحر زاد

يا نيل من عهد الأجيال [illegible] الطويل
[illegible] العقول [illegible] لنا [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] له [illegible]

يدنو إلى الشمس كالخليل يرنو إلى الحق في الرحيل
يطمو على شامخات الجبل كأنما على صخرة [illegible]

البحر راوٍ

يا نيل أسلوبك الحكيم يسمو على الغرب والكلام
يقسمك الصبح النسيم يا نيل [illegible] كل عام
فإنما جنة النعيم لولاك لم يصبها غمام
وحي [illegible] كالنعيم وانتشر على [illegible] السلام

البحر راوٍ

آمنت بالله والكتاب وأنت في [illegible]
الحب بالله في الترائب [illegible]
أحلى من الشهد والرضاب وطيب من [illegible]
[illegible] في الترائب يصبو من أكرم الزهر
أنى [illegible] الخضاب [illegible] المطر
آمنت [illegible] والكتاب النيل [illegible]

(القناطر الخيرية) [illegible] فتحي [illegible]

ظمئت...

للأستاذ صالح حامد العمري

ظمئت إلى الجدول [illegible] يجري [illegible] كالتوابع المحتبين
عليها الطير [illegible] على [illegible] في [illegible]
ظمئت إلى الخمائل [illegible] [illegible]
بها الأزهار [illegible] [illegible] الشعاع [illegible]
ظمئت إلى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
ظمئت إلى [illegible] حياة روحي [illegible]
ومن [illegible] معاني الحسن فيه فكاد [illegible] من لطف [illegible]
ومن في كل لحظ منه سر أموت به وأحيا [illegible]
ومن هو من مزايا الحسن كون [illegible] من كل لون [illegible]
ظمئت إلى الجمال بكل معنى [illegible] من كل بهجة [illegible]
ظمئت وما لظمئي [illegible] [illegible]
أما من [illegible] أشكو إليه؟ [illegible] بين [illegible]
فكم [illegible] على [illegible] فؤادي كأني [illegible] سراب [illegible]

(حضرموت — سيئون) صالح حامد العمري

وحي الرملة

لا تقولي نسيت...

[إلى [illegible] في أحضان [illegible] ... [illegible]]

للأديب عبد الحليم عيسى

مرح [illegible] قصائد قبل أن تهب الليالي لحونه
[illegible] على [illegible] عليه [illegible]
[illegible] لأنغامه [illegible] إذا شفت الليالي شجونه
أنشدته على [illegible] [illegible] حياتي [illegible]
لا تقولي نسيت يا أحب روحي أنت [illegible]
كيف [illegible] [illegible] على [illegible] الأمينة؟
والهوى [illegible] كتمته [illegible] المكنونة
[illegible] البحر [illegible] على [illegible] [illegible] أمواجه [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] والنور [illegible] كالطيور [illegible]
[illegible] إلى [illegible] و[illegible] [illegible]

[illegible] أنت في [illegible]
[illegible]
أنت في قلبي [illegible] من [illegible]
[illegible] على وجهك [illegible]
[illegible] مع الأطيار [illegible]
[illegible] على [illegible] وأمني

[illegible] الهوى [illegible] [illegible] في [illegible]
وعلى وجهك الجميل [illegible] [illegible]
بعثت الأحلام تسري مع [illegible] [illegible]
ثم [illegible] من [illegible] [illegible] وأطوي عن [illegible]
[illegible] الحبيب [illegible] [illegible] أنت [illegible]
[illegible] قبل أن ينفح الصباح [illegible]

لا تقولي [illegible] يا أحب روحي أنت [illegible]
[illegible] أن تموت [illegible] [illegible] وردي [illegible]
[illegible] حكاية [illegible] [illegible] الغرام [illegible]

(قنا [illegible]) عبد الحليم عيسى

دراسات في الفن :

«ضيعت مستقبل حياتي !»

ولد ... ، سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، مات

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

مات ولم يمكث في الأرض إلا واحداً وثلاثين عاماً ولكنه قضاها كلها حياة ، بل لقد كان يسير عامله في الظلام لياليَ وأياماً فأمسكته الحياة أحست منه الروح والجسد فانطفأ وهو في أشد [illegible] وسط همه

١ — بين الأسرة والبحر

ماض وطفولته ... والمرضاة ... والمرزوقة

كان هكذا منذ عرفته الحياة ، وظل هكذا إلى أن عبر الحياة طفلاً ، فقيراً ، ... لم يحمل إلا ... في القلب والفن

وطفولته ... فقد عرف منذ أحب ، وقد أحب منذ أحس ، وقد أحس منذ أحست أمه أن ... في ... « كوم الدكة » يرتع ويلعب مع الصبيان والبنات فكان يجمعهم ويقوم بينهم على حصير يقرأ القرآن ويرتل الأغاني ، فإذا أسمعوه الإنشاد أخلص لهم الإنشاد ولم يكن أحد من هذا الجمع ... يدري من كان يمل هذه ... إلا هو وتلك الصبية الطاهرة التي كانت ... لم يكن ... من آيات الصدق ومن ... الذكاء

وكان إذا ... وأهلها ، ومر إلى شاطئ البحر يمكث عند صخرة من صخور « السلسلة » ... الموج ... إذا هدأ ، ... إذا ... ، ... إذا تصارعت به الأمواج ، ويسرح بالطرف إلى الآفاق التي من بعدها آفاق ، كأنه يستخرج الغيب من ورائها أو يستشفه لعله يرى في ... الصورتين اللتين كان يحب أن يرسمها . . . فكان يرى ما يشاء ، أو لا يكاد يرى شيئاً ولكنه كان يسمع ، وكان إذا عاد إلى ... سمع .

وكان يكره أن يعود من رحلته إلى البحر خالي اليد ، فكان يحمل « إليها » من البحر محارة أو صدفة يرفعها إليها في ... كأنما يؤكد لها أنه ... ولا ... غاب . وكانت هي ... منه هديته ... ولا ... كانت ... ، ثم كانت ...

٢ — الطعنة الأولى

وفي يوم طار إليه بخبرة ... ، فإذا هي ... ، بل ... إليه ... من محارة وصدفة ... إليه ... وهي تقول : « ... أبي من قبول هدايا الصبيان ! ... »

ولم يكن يرى أبي ... إليها من أبناء ... سبباً ... من ثروة ، ... ولكن الذي أدى ... أدرك للمرة الأولى أن هناك فرقاً بين الأغنياء والفقراء ، وأن هذا الفرق ... دون غيره من الفروق

... ، وحمل ... ودخل المسجد ... ثم دخل المسجد ... وصلى صلاة ... على ...

٣ — الشيخ

... من كثرة ... للمسجد ولياً من أولياء الله ، وقد كان ولياً من أولياء الله ... في كتاب الله ... عمامة وجبة وقفطاناً ، وأرسلوه إلى معهد الإسكندرية وعرفته « كوم الدكة » منذ ذلك الحين باسم الشيخ ... لأنه كان

صبوراً ، وكان عجباً في عاطفته وحبه وسخطه

ولم يغلب هو على هذه «الشيخوخة» التي لاحقته ، وإنما كان بعد مباغتة ولهواً عجيبين ، فقد يسرف في الحفظ والتجويد والقراءة والغناء ... وظل في «شيخوخته» هذه طفلاً كما كان صبي حوبة خفيف والتقلب ويقوم بينهم على حجر أو كرسي عرجون من خشب يقلب الدين ، ويرد الحسين !

٤ — بعض الجيران

وقد كان على أهل الحي أن يطلبوه في أمر حسم وما تم ، ولكنهم كانوا يطلبون عبثاً كلما أحسوا أن يقصروه أمراً ! أما هو فكانوا يتجاهلون حوله كلما قرأ أو غنى في الطريق ، أو في المقهى ، أو في المسجد أو على الربوة ... يسمعونه ويحيونه ، ويحسدون القراء والمغنين ، ولكنهم لم يكونوا يملكون أن يسايروه ، لأنه لم يكن ينطلق إلا بإرادته ، ويرجى من سماعه ، فإذا أكره على الصمت ثقل الشعور على نفسه وعلى نفوس مستمعيه

وهذا كان إذا أراد أن يرتزق يقضي الجيران مع القصص والمناجاة ... وأعجب ما كان منه أنه كان ينطلق فجأة بالغناء أنيناً وشكاة ، أو بهجة واستبشاراً ، وكان من ملازمة من يحمل منه حمله راضياً مسروراً

٥ — في الروح والمال

وعشق وترهّب ، وكاد يلقيان ، وقد كان يحبها وكانت تستمع إليه ... ولكنه كان قد طوى نفسه على عزيمة مسكنه ألا يحس للحب ، وأن يسم أحد له

وروحت في ... ونهار هو ...

صمم «كوم الدكة» إلى حي الرحيم ... وأمسى النساء ، وانكب على الخمر واعترفت بفضل الموت فلم يبدله في الحياة رجاء

وقيل إنه أحب ، وما أحب وإنما كان يبحث عن حب ولم يكن المحروق القلب ليحب بعد ما أكلت كبده النار

ومن أعماق هذه الأقذار كان يتعالى صوت السيمي بألحان من وحي الطهر والنعمة . كان يرسلها مع الصبح وصحبات الجسم المتأجج بين جنبيه فكان منها طهير نفسه ونفوس هؤلاء الذين كانوا يترددون في المدينة حوله ، ويترددون عنه كأنه أنثوه أو الصلاة .

٦ — وطني الروح

وإلى جانب هذه ... وإلى جانب هذا البؤس ، كانت عروبته وكانت ثورته واندفاعه في هذه الأمور المستمر وروح الشيخ الحجازي

وكان قد عاد من الشام بعد رحلة بالعمه اصطحب بها عقلاً موزوناً أراد أن يتحف به أهل وطنه ولكنهما أصبحا معاً

وكان السيمي قد جرب نفسه مرة في القاهرة في مسرح الشيخ سلامة حجازي فثار عليه الجمهور وأرغمه على أن يتوارى خلف الستار قبل أن يتم غناءه فواساه الشيخ سلامة بأن خرج للناس وقال لهم : أحسنوا الاستماع إليه فهو الذي سيخلفني

ولكن الناس لم يحسنوا الاستماع إليه لأن غناءه لم يكن يشبه ما اعتادوه ، وإنما كانت روح طائفة هبت من الشمال

وكان كل فصل من لاقاه يزيده إيماناً بنفسه وبقدرته حتى واتاه الفشل الأخير ، إذ طلى «...» مسرح «جورج أبيض» فاحتك جورج أبيض وبين سيد درويش

وعرفه الشيخ نجيب الريحاني ، فأفسح له مسرحه مسرحاً يلقي من فوقه ما شاء من آيات فنه

وأخذ يحدث بعمله يمعه ، ويمعد ، ويصعد ... حتى جاء وقت لم يبق فيه مصري ظمئ إلا كان من غناء سيد درويش

كان ربحه يصل أحياناً إلى ألف جنيه في الشهر ، وفي هذه الأحيان كان يفترض القروش والملاليم

قل إنه مجنون ... قل إنه سفيه ... قل ما شئت ! أما هو فكان محروماً من ثروة لا يمكن أن تشترى بالمال وكان هو يحاول أن يستعيض عنه بما يشترى بالمال

٧ — شاعر

ولم يكن سيد مغنياً فقط ، وإنما كان شاعراً أيضاً وما كان في وسعه إلا أن يكون كذلك فإن الفن يبعثه على الغناء إحساس كان يخالطه ولم يكن يستطيع أن يعبر عنه إلا بالغناء ، ولم يكن يستطيع أن ينتظر معه أن يبحث عن شاعر من الشعراء أو نظام من النظامين ليقول له إني أحسست الحب على وجه من الوجوه ، أو أحسست اللوعة على نحو من الأنحاء ، فصوّر لي هذا الإحساس بالكلام لأغنيه ... لم يكن يطيق أن ينتظر كل هذا الانتظار وإنما كان يغني ما يجد عنده من يحس أية عاطفة أو أية نزعة هو سكران مرح ... وقد حدث له صاحبه مرحاً ،

وذهب إليها فصدمه ما لم يتوقعه منها ، وفي معركة بينه وبين عذاله ، تبرأ حاله بينه وبينهم أصدقاؤه ، وأبعدوه عن الموقعة ، ثم بدأوا يلومونه على سكره وعربدته فقال :

وأنا مالي هي اللي قالت لي روح اسكر وصالح البيل

وهو جالس عند صديق له صائغ وهبط عليها فانتقدته مسرعة في الطريق والتيرج ، ووراه تمسكا بسوء قصدته وطلب منه « غنوة » في أمره إلى إنشاده

الأساليه في ضربك يهوي وأنا قلبي يتفنن معاه

ويصطدم بذات العار والسعي فيقاوم آل السلام وشبابه وأعصابه ريح وأحاسيسه مضطرب في مرحه وما نقضي ليلة أو ليلتان حتى تسمع البلد كلها تغني من غنى سيد

يزورني كل سنة مرة حرام تنسوني بالمرة

ويناسب إحدى صويحباته فيكيدها بهذا

يوم تركتك كان لي في جمال الأنس جانب

والتقيت الجد حولي بعد ما كان حظي ذهب

ولم يكن سيد يعبأ بأن يكون كلامه موزوناً أو مستوفياً لشروط الشعر وشروط صحته فما كان يعرب إلا أنه يغني ، وكان غناؤه صحيحاً

٨ — تعليم

وعلى الرغم من الجهد المنظم الذي أتيح له ، فقد كان يرى نفسه جاهلاً بالفن وأصوله ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يتعلم الموسيقى على أحد ، فقد خرج إلى الحياة وألقى نفسه يغني ، ثم عرف أن للغناء قواعد وأصولاً ، فراح يحصل منها ما يتاح له ، ولكنه لم يقنع بأن يروي غلته من علومها وفنونها ، فكانت أمنيته الكبرى أن يتيسر له السفر إلى إيطاليا ليتعلم الموسيقى

ولست أدري ما الذي كان يريد أن يتعلم سيد ؟

وربما كان يريد أن يدرس أسلوب الغرب في صناعة الموسيقى ، أما الفن ، فأنا مؤمن بأن سيداً لم يكتسب جزءاً أسود من نسبته المصرية ، فلو قد كان إيطالياً ، أو من شعب متقدم ، لكنا نسمع اليوم ألحانه من طريق السينما ، ولعلنا نقرأ أنها مسروقة من الغرب !

وهنا في مصر يقارن بين ألحانه وبين المعهد الملكي للموسيقى الشرقية ... لأن هذا المعهد لا يعترف بموسيقى المسرح ، أو لأن حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا الموظف في وزارة الأوقاف ومدير معهد الموسيقى والمنسوب له قال على صفحة جريدة في حوش

نعيد ، والذي يسمع له إنسان لحناً أو أحد ..... قال له الأستاذ محمود عثمان إن أعمال سيد درويش « قطش »

والحق أنه صرع بين دونين تقويل ، دور القاهرة القديمة ، ودور الإسكندرية الحديث . أما دور القاهرة فيمثله مصطفى بك رضا وأمثاله محمد عثمان ، وألحان القاهرة كما يعرف الجمهور هي هذه الألحان المبارة الناعمة الناعسة ، التي كان يقصد بها قصداً أن تغنى في الأفراح والليالي الملاح التي يحييها الكبراء والباشاوات ، وقد كان محمد عثمان أبرز الشيخ في هذا الفرع ، وكانت موسيقاه الشهورة هي التي تعجبه في عصر النوم والسهر

أما دور الإسكندرية فمر .... دور نهاية القاهرة في موسيقى سيد ، هو عصر الحياة الصحية ، وعصر العواطف الملحة التي تتعب سيد درويش في مصر ، والتي أحدهما عنه من بعده زكريا أحمد هو ومحمد عبد الوهاب فأعرض بها إلى معاهد الموسيقى الغربية لأنه حسبها تقليداً واضحاً كما قرأ في المجلات ، وهي بعد ذلك أساس المذهب الحديث الذي يقلده ملحنو اليوم

واليوم يدور الدور هو سالي التقراني بك الإسكندراني ووكيله هو صاحب العزة الصهيوري بك الإسكندراني

ألا نستطيع أن نأمل في رجعة موسيقى سيد درويش على أيديهما ؟ إننا نرجو هذا ما دام هو دور من يصحح عن ، وإلى غير هذا الدور

فريد أحمد سليم

لحظات الإلهام
في تاريخ العلم
تأليف مريون فلورنس لانسنج

---

٣ – عصر النار

في الأيام الخالية وكان قلبي لا يزال في شبابه كان – كما علمنا – يعيش ولد شرقي من شعب اسمه « توبال قايين » وهو حفيد ذلك الرجل الذي عاش على الأرض أكثر مما عمر أي رجل آخر وهو متوشالح

ذهب توبال قايين إلى الجبال ليكون صيد مملكته لأنه أوتي رجلا … وأوتي … مرة . وكان يستطيع بقوته أن يرمي … المتنوع من الحجر المنحوت أي وحش … وكان كذلك حاد البصر سريع الحركة في وسعه أن يرى أي حيوان يختبئ في الغابة ويتبعه في سرعة مطاردا إياه حتى يضرب

وقد عرف توبال قايين سر النار وصنع النار وكان ذلك السر محمولا من بيته منذ أجيال وكان رجل من أهل الشمال قد نقله سرعا ، وكان هذا الرجل وبنيه قد … من البرق الذي يصيب الشجر فاحتفظوا بذلك القبس حتى عرفوا في النهاية كيف يصنعونها بأنفسهم ، وذلك باستخراج روح النار الكامنة في أخشاب الغابة التي يقيمون بها . وكان توبال قايين يصنع النار ما يصنع ساحر ماهر في الليلة الباردة … استخراج اللهب الأحمر من الخشب وشدته … الذي يجمعه أثناء النهار ، وقد وجد أن الوحوش المفترسة تخشى من روح النار فتهرب وأن الوحوش لا تزعج … ما دامت النار بالقرب منه توقد

وفي يوم شديد البرد جمع توبال قايين مقدارا عظيما من الصخور الحالكة وخشب الجبال وسلط عليها الروح الحمراء لما كان لأنه كان شديد التألم من البرد فقد كان طول هذا اليوم في الجبال يطارد نمرا عظيما ، وكانت الريح تهب … باردة فاستشعر البرد حتى كاد يسري في عظامه

فجلس من أجل ذلك بجانب النار ، ولما تأمل في نورها رأى منظرا أعجب من كل ما رآه من قبل : رأى صخرة كانت في وسط الأخشاب ، قد تحول لونها إلى الاحمرار ، وبدأت … مذوب . وكانت كلما اشتدت حرارة النار خرج من الصخرة … سائل ذائب كالماء الملوث بالطين حين يمتزج بالخشب ، ثم التمعت أجزاؤه ، وتحولت إلى ما يشبه حية صفراء هاربة من النار التي أخرجت من الصخر هذه المادة الغريبة

إشعال النار بغير لهب كما كان يصنعها … من عهد بعيد

ولم يعرف توبال قايين ما هو هذا السائل ، ولكن هذه أول مرة رأى فيها الحديد أي إنسان على الأرض ، فإن هذا السائل الناري لما جرى واستقر أصبح معدنا نفيسا كان من قبل مختبئا في الخام الصخري

وانقضت أسابيع وشهور بعد رؤيته هذا السائل المنبعث من الصخرة ، وقد قضى هذه المدة في جمع الصخور الغريبة مما رآه من جوانب الجبل ، وكان يصنع لها نارا ليرى هل هذه الصخور ستذوب أيضا ؟ فوجد أن بعض الأحجار أخرج سائلا لامعا مترجرجا تحول بعد إلى معدن أزرق هو الذي نعرفه باسم النحاس

وكان يجري تجربته في كل قطعة من الحجر التي يجربها أولا

وراقب ما يصير إليه أمرها حين تبرد ليعرف إلى أي شكل تصير.

وفي أحد الأيام حاول أن يصوغ المعدن في أثناء حرارته وبريقه، فطاوعه المعدن وتمكن من طرقه وتحديد طرفه كالسنان الذي يصنعه من الحجر.

وعند خروجه للصيد المرة الثانية رأى وحشاً يقبل نحو كهف في الجبل الذي يقيم فيه فرماه بسنانه المعدني الجديد وأصابه فالسنان في جبهته وقتله في الحال.

وكان هذا أول سلاح معدني صنع في العالم؛ ورأى توبال قابيل أن في وسعه صنع أسلحة أخرى من هذه المادة الجديدة التي يمكن طرقها عند الحاجة أكثر مما تطرق الأحجار والفؤوس التي يقضي في نحتها ساعات طويلة متعبة.

ولم يقل شيئاً عن هذا السر للصيادين الآخرين الذين كانوا يأتون أحياناً إلى موطنه في الجبال ولا لسكان الوادي؛ ولكن الجميع دهشوا من وفرة قوته ومن حدة الصيد لأنه كان يأتي بصيد أكثر مما يأتي به أي اثنين مجتمعين في هذه المهنة الجبلية. وكان أخشى على سكان الوادي من اثنين كذلك حمايته إياهم من [illegible] الوحوش الضارية؛ ولكنه أفضى إلى جده متوشالح باكتشافه الغريب وأراه كل أنواع الأسنة والأسلحة الجديدة والآلات المدببة التي صنعها وصاغها بإحمائها وسكبها في حفر وأخاديد في الصخر أثناء خروجها حارة من النار وتركها حتى تبرد فتتجمد ويمكن بعد ذلك طرقها.

وكان متوشالح في نهاية حياته عندما أطلعه توبال؛ ولكن حكمته كانت تزداد على مدى الأيام. وكان ثاقب الفكر سريع الخاطر فكشف للأسمر فائدة القطع الغريبة من الحديد الأسود التي جاء بها توبال قابيل والقطع اللامعة من النحاس ووازن بين تقليبها في يده وحاول اختبارها بكل الأساليب، وأخبر توبال أن هذا سر عجيب جداً مكتوم عن سائر العالم وأنه يجب أن يدرس هذه الصخور وأن يستمر في العمل بها وأن يصنع كل الذي يستطيع صنعه وأن يستعد لإشراك إخوانه الصيادين جميعاً وأهل قراه في هذه المعرفة ونشرها في أرجاء العالم.

وعاد توبال قابيل إلى الجبال وأنشأ لنفسه مكاناً للنار أو فرناً ليصنع فيه مزيج النار ويستعين به في صنعته، وأرسل كل الصيادين يأتوا إليه بالأحجار من النوع الذي يحتاج، وصنع قوالب من الطين يصب فيها المعادن الحارة، وليتمكن من إدخال الهواء تحت القدر صنع نوعاً من المنافيخ؛ وصنع أسلحة لكل الصيادين والذين يتولون حراسة أهل الوادي.

وكان الرجال يأتون من الأماكن البعيدة ومن الأماكن القريبة ليتعلموا من توبال قابيل فن صنع المعادن. وعلمهم جميعهم كل ما عرفه من الأسرار وكل الفنون التي كان يستنبطها من يوم إلى يوم.

وكان الذي فعله حسنة لكل الناس لأنه كيف يمكن أن ينتفع أهل الأرض وأن يتقدموا أمام يستركوا لمصلحة الجميع ما يكتشفه أي رجل أو في نفسه [illegible]؟

ثم كيف تعلم صنع الحديد ولم يكتف بأن يصنع الأسلحة للحرب بل صنع [illegible] معقوفاً يستطيع الإنسان أن يحفر به الأرض اللينة من أن يلقي بها البذور، وأن يصنع [illegible] طويلاً وهو الذي نسميه الآن باسم المحراث، وبه استطاع أن يخط على الأرض خطوطاً طويلة يزرع فيها الحب.

وصنع آلات أخرى كثيرة، واشتهر أمره في جهات بعيدة من واديه، ومن الوديان المجاورة للجبال التي يقيم فيها، لأنه ذاع صيته عبر الأنهار على حدود البحر الكبير، وذاع اسم توبال قابيل صانع كل سلاح قاطع أو مسنن يعده حادة؛ وأستاذ كل رجل يعمل في النحاس أو الحديد أو أية مادة تسيل من الصخور. وكذلك ذُكر في الكتب القديمة كما يستطيع أن يتبين من يريد.

وكذلك أصبح عصر النار عصراً للمعدن أيضاً. ولا نزال نعيش في هذا العصر إلى اليوم.

ومهما تكن المرجعة فإن [illegible] الناس من النار المرة الأولى، فإن من المهم أنهم عرفوه قبل أن يكون للعالم تاريخ مكتوب وأنهم عرفوا أيضاً سر المعدن المخبوء في الأرض.

ولا نعرف كيف يصنعه، وكيف يصوغه بواسطة النار قبل ذلك فقد بدأ يسير في طريق المدنية، وسنظل متتبعين رحلته في هذا الطريق على مدى القرون.

(يتبع)

ع

من هنا ومن هناك

ألمانيا بعد سقوط هتلر

[عن « [illegible] » الإنجليزية]

لا يستطيع الباحث المتعمق في هذه الأيام أن يحكم إن كان ذلك النظام الذي أقامه هتلر سينهار بقيام حرب عالمية، أو أن سيتركه الفناء تحت تأثير عوامل وأزمات داخلية، يثيرها تدهور الحالة المالية والاقتصادية بها. ومهما تكن الأحوال فإن الدوائر السياسية المطلعة في أوربا، أصبحت تعتقد أن سقوط النظام الهتلري سيكون في خلال سنة ١٩٤٠ . وإذا كان الأمر كذلك فيحق للإنسان أن يسأل كيف تكون ألمانيا بعد هتلر؟

لقد أجابت الدعاية الألمانية على هذا السؤال، ونشرت ما شاء لها الهوى من الأقاويل بين العامة والخاصة مدللة أن سقوط هتلر معناه قيام البلشفية في ألمانيا. وهنا خطر يجر إلى جانبه كل الأخطار. وقد تمسك بعض الناس بالنظام القائم في ألمانيا الآن باعتباره أخف الضررين. على أن الدوائر الاقتصادية المطلعة والأوساط العليمة تقرر أن نظام ستالين ونظام هتلر لا يختلفان. والنازية لا تجد لها سنداً في خارج ألمانيا إلا في بعض الدوائر التي ترى أن البلشفية تعم ألمانيا بعد هتلر، ومن ثم يختل النظام وتنهار المدنية في غرب أوربا تحت تأثير هذه الفكرة الخاطئة. ولكن هل في الحق أن ألمانيا مهددة بخطر الاشتراكية؟

إننا نستطيع أن نقرر في غير تردد أن ألمانيا على وجه العموم أبعد اتصالاً بالماركسية من أي دولة من دول أوربا. وإن كان بعض قصيري النظر يعتقدون أن الماركسية قد تنتشر في ألمانيا كرد فعل للنظام النازي.

إن ألمانيا ولا شك ستكون عرضة لانقلاب قوي شديد كرد فعل للنظام الذي تحكم به الآن منذ سنة الطغمة، ولكن هذا الانقلاب سينحصر ولا شك ناحية مناهضته لهذا النظام ولكن الاشتراكية ليست الناحية المناقضة للنازية بحال من الأحوال. إن الشباب التي تحترم [illegible] لا تخضع لدكتاتورية البلشفية الحمراء. فالآن يعرفون ما هو الضغط على حرية الفكر والاعتقاد تحت ظل الحكومة الآرية، ويعرفون من أعماق نفوسهم صراع الحرية ومصادرة المعابد والأديرة في ظل نظام عهد الطغيان.

فماذا يكون، إذن، بعد سقوط هتلر؟ ستكون هناك أمة ألمانية يستمتع شعبها بحريته وحقوقه الاجتماعية، ويستمتع [illegible] الأوربية. وسيكون من أفرادها العمال والفلاحون والأعيان والموظفون والضباط وأساتذة الجامعات.

ستكون ألمانيا بعد هتلر أمة يسوسها صفوة من رجال الجيش والعمال والفلاحين والمدنيين، وفي مقدمة هؤلاء جميعاً الشعب الخاص.

ستكون بين الشباب التي تحترم الفاشية والنازية

وستكون [illegible] حرة [illegible] مسئولاً في أوربا [illegible]

أين يسكن هتلر؟

[عن مجلة « [illegible] »]

منذ اثنى عشر عاماً كتب هتلر مؤلفاً عن الأعمال التي يقوم بها وكيف ينبغي له أن يقوم بها، واسم هذا الكتاب « كفاحي » بيع منه ١٠٠٠٠٠٠ نسخة بلغت أرباحها مبلغاً كبيراً من الجنيهات. وقد بنى هتلر من هذه الأموال بيت كنه الفخم، وراعى فيه كل ما يناسب من الأبهة والعظمة.

ومن المأثور عن هتلر أنه قال في حديث له: « ليس من العار أن يجتنب الأحياء [illegible] ما دامت ألمانيا تعاني ما تعاني من الشقاء ». ولكن هتلر لم يأكل الخشب ولم يسكن في بيوت من الخشب بل في القصور الفاخرة على قمم الجبال، وساد لنفسه [illegible] بأفخر الرياش.

ومن غريب ما جاء على لسانه وهو يفتتح دار المستشارية الجديدة منذ أسابيع: « إنني ما زلت كما كنت فيما مضى ولا أريد

أن أكون غير ذلك. إنه منزل يماثل بالضبط المنزل الذي كنت أسكنه من قبل وسيظل كذلك »

إنه في هذا يتكلم عن مسكنه الخاص في ميونيخ ، ولكنه لا يقول شيئاً عن القصر الذي بناه فوق قمة جبال حيث يخلو إلى نفسه

على إحدى قمم جبال الألب البافارية على بعد بضعة أميال من كنا تسميه الحصن تتبع قرية ومستعمرات أجنبية ، وعلى جانب من الجبل بني قصر وجوف — مسكن هتلر — الصوب وقد كان هذا القصر مسكناً جبلياً بسيطاً فأعاد بناءه هتلر على طراز لا يعرفه أصحاب الملايين. وهو يقضي في هذا المنزل معظم آخر الأسبوع في غالب الأحيان ، فينتقل بالطيارة من برلين إلى ميونيخ ومن ميونيخ تنقله سيارة سوداء سريعة السير إلى مسكنه الصغير

ويقوم على حراسة هذا القصر قوة كبيرة وأسلحة ومعدات عظيمة لا تقوم مثلها على حراسة بنك انجلترا ، وهو محاط في الليل والنهار بحصار شديد من الجند الأشداء

وقد أقيم في الصخرة الصماء التي شيد عليها هذا القصر حصن حصين تحيط به قوة من المدفعية المضادة للطيارات تحميه وقت الهجوم . على أنه محاط بأبواب عظيمة من الفولاذ تحمل عصوراً من الأحجار ولا يمكن لأي زائر أن يقترب من هذه الأبواب دون إذن كتابي من البوليس السري

ولا يسمح لصحيفة ألمانية أن تذكر ما طرأ على هذا القصر من التجديد فهو لا يزال في نظر الألمانيين ذلك الكوخ الحقير الصغير

ويقال إن حجرة الجلوس في هذا القصر هي أكبر الحجر التي رأتها العيون . وهي تحتوي على نافذة واحدة وهذه النافذة مصنوعة من الزجاج ارتفاعها عشرة أقدام وطولها ٢٨ قدماً ولعلها أوسع نافذة في العالم . ومن هذه النافذة يطل هتلر ومن عسى أن يكون معه من الضيوف على مناظر جبال الألب الخلابة

ولعل أكبر متعة يستمتع بها هتلر في هذا الموضع ، هي أن يجلس إلى هذه النافذة ويمتع النظر بما حوله من الوديان الفسيحة الخلابة ، بينما يعزف أحد أصدقائه بعض مقطوعات من موسيقى فاجنر على البيانو على بضعة أمتار

المجمع والدكتور أحمد بك عيسى

كتبت في العدد الأسبق من الرسالة كلمة عن المجمع اللغوي قلت فيها – اعتماداً على ما رواه لي الدكتور أحمد بك عيسى – أن المجمع أهمل كتابه « المحكم في أصول الكلمات العامية » ونام عليه عهدا

وقد بين لي صديقي الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري (مراقب المجمع) أن اللوم في غير محله، وأن لجنة المعجمات العامية راجعت الكتاب وهذبته، وأن الدكتور عيسى بك نفسه حضر بعض اجتماعاتها، ووافق على ما اقترحته من زيادة « في مصر » على اسم الكتاب

ورأيت لدى الأستاذ البشري كتابين بعث بهما رئيس المجمع إلى وزارة المعارف يطلب في أولهما من الوزارة طبع الكتاب لتعم فائدته، ويطلب في الثاني توزيعه على مكتبات المدارس

ويتضح من هذا أن المجمع لم يقصر ولم يهمل، وإذا كان لم يطبع الكتاب فذلك لأن المجمع لا مال له لطبع الكتب، ومطبوعاته هي تتولاها وزارة المعارف

ومن الإنصاف للمجمع أن أعلن هذه الحقائق التي عرضها الأستاذ البشري باطلاعي عليها، ومن واجبي أن أشكر المجمع وأن أعتذر للمجمع وإن كان الذنب لغيري

إبراهيم عبد القادر المازني

تصحيحا [illegible]

يكثر استشهاد الخطباء والكتاب بقول شوقي

في الحرم تطّني التقى … ويدين صاحبي الصدور

وكذلك ينطقون « تطني » بالنون المعجمة في الصدر والعجز وهو صحيح في الصدر وتحريف في العجز، والصواب:

في الحرم تطّنين التقى … لا ولا تطّني الصدور

فقرأ « بطني » في صدر البيت بالنون المهملة من البطن وقرأ « بطني » في عجز البيت بالنون المعجمة من البطن وهو خطأ

ومعنى البيت أن العلماء قد يتضررون ويتركهم لا يتناصحون ونوقن لا يريد غير ذلك، وإنما أكثر البيت عرفاً ولم يفطن من يستشهدون به إلى ما وقع فيه من تحريف

والقصيدة التي منها « يا جارة الوادي » مطلعها هذا البيت

شيعت أحلامي بطرف باك … ولمحت من طرق الملاح شباكي

والناس يقرأون « لمحت »، وهو كذلك في طبعة الثاني من الشوقيات، وقد شرح في حياة شوقي وبقيها بعض المؤلفين في نسخة الديوان بدون تصحيح، وأسندها بعض الأدباء في طبعة الأولى بدون تصحيح

وكلمت « منها تحريف »، والصواب « لمست » باللام ويعني من اللمس وهو الشيء، وما أحسب شوقي يريد غير ذلك

فأرجو القراء أن يصححوا هذين البيتين إن كانوا نسخهم عند التصحيح.

زكي مبارك

سؤال عن الربا

ذكرني السؤال الذي وجهه الأستاذ علي الطنطاوي إلى (المفكرين) من علماء المسلمين بسؤال كنت بعثت به إلى فقيه الإسلام المرحوم الأستاذ الإمام رشيد رضا في موضوع الربا بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ، وقد أجابني بجواب مختصر أحالني فيه [illegible] كتابه على محل لتحرير فإذا كان في الرسالة الغراء متسع لنشر هذا السؤال، تعضيداً لسؤال الأستاذ علي الطنطاوي فها هو ذا:

حضرة الأستاذ العلامة ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد دعت [illegible] منه سورة حالة ضعف الاقتصادية التي أوصى فيها سراً ثم [illegible])

فرأى المخلصون من رجال الاقتصاد أن خير وسيلة لإنقاذ الفلاحين من هذا الشقاء، وتخليصهم الحذر من شره اليهود، هي إنشاء بنك زراعي عربي بأموال العرب يعقد قروضاً زراعية للفلاحين ربما تطول إلى وقت طويل، ويقدم إليهم آلات زراعية حديثة، إلى غير ذلك من الوسائل التي تخلصهم من ظلم المرابين، وتوسع عليهم، وتعلمهم العمل والتثمير حسب الأصول الحديثة، فتجلب الخير والمنفعة، وتحميهم من جميع أنواع الشرور

والمسؤول عنه الآن: هل يكون وجهاً للحنيف في هذه المعاملة الاجتماعية كشأنه في سائر المعاملات فتحاً سهلاً يتمشى مع المصلحة، وينطبق على ما تقتضيه ظلم العصر الحاضر، فيجد الناظر فيه رأياً لا يخالف القرآن الكريم، ولا يصادم السنة الشريفة، يجيز أمثال هذه المعاملات (المصرفية) من هذه قروض ربا قليل لا يضر بمصلحة الأمة ومجموع الشعب، لا سيما أنه يؤخذ من ظاهر بعض الآيات، ويؤخذ من حالة العرب قبل الإسلام في معاملاتهم الربا، أن المقصود المنهي الربا الفاحش الذي يؤدي إلى خراب بيت المدين كما حصل ويحصل مع كثير ممن تعاملوا بربا قليل وعجزوا عن دفعه وخسروا ثروتهم الأولى من أصله والفرع، وهذا الربا الفاحش هو ربا الجاهلية (وربا الجاهلية موضوع) وهو (الأضعاف المضاعفة) وبه يحصل التقاطع والتباغض بين الناس. أما الربا القليل فقد يكون من أسباب الوحدة بين المتعاملين

ثم ألا يجد الناظر في الدين حرجاً بناء على هذا — إن صح — أن يحمل الآيات الشريفة المحرمة للربا على الربا المعهود (أي ربا الجاهلية، وهو الربا الفاحش) ويحمل الأحاديث على هذا المعنى ويرى المشكلة في عدم التشديد حث الناس على التعامل بالقروض الضئيلة تبعدها عن شبهة الربا، فيكون ذلك أدنى إلى الكتاب والتصرف؟ وإذا أتى نص حديث — والنص من الراوي — بهذا المعنى، أفلا نتركه؟ بل لا يصح أن نقف أمام حديث الآحاد في وجه المنفعة والعمران وتقدم المسلمين؟ والعمران وتقدم المسلمين ومصالحهم يغلب على الظن أنها مقصد من مقاصد الدين حتى يكون الدين كله لله

أفلا يجد الناظر في الدين رأياً كذلك؟ فإن كان فأرجو أن تفصلوا فيه وأسبابه وأدلته، وإن لم يكن هناك ما يساعد على هذا الرأي فأرجو بيان ذلك مع حكمه أيضاً وعلى منافاة إجماع فيكون سرقته كفراً على تحريم الربا مطلقاً قليله وكثيره؟ أم لا يكفر المتأول، ومن يأخذ بالظاهر؟ أفتونا

وهذا جواب الإمام رشيد رضا رحمه الله عليه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فمن الأوراق التي أكلف أن أجيب عن الأسئلة التي تأتيني من أنحاء العالم ومكتوبة خاصة مع أن ما ينشر منها في المنار لإفادة الجميع قد عجزت عن الإجابة عنه كله. ومن المعلوم مشكل مصر في البنوك كلها مبنية على الربا وأن الربا محرم ولكن في بعض أحكامه وشروطه ما لبس كبير. وسننشر في المنار بحثاً طويلاً سيصدر بعد إتمامه في كتاب مستقل والسلام

[illegible]

ولم أطلع على ما نشر في المنار، كما لم أعلم أتم البحث وصدر في كتاب مستقل أم لا؟

فهل من يستطيع الحصول على المنار أن يرشدنا إلى ذلك.

(سائل)

كلمة أخيرة في نعيم الآخرة

أطال الأستاذ محمود علي قراعة في الاستشهاد بأقوال بعض الفلاسفة والصوفية وفلاسفة الأخلاق، وملأ أربع صفحات من الرسالة الغراء (العدد ٣٢٦) ليثبت أن لذة الروح أرقى من لذة الجسم حتى يتسنى أن يثبت أن نعيم الآخرة روحي. وأنا لا أنكر أن لذة الروح أرقى من لذة الجسم، ولا أحتاج فيه إلى دليل من كلام أحد، وأرى الأمر أهون من أن نخوض فيه هذا الاستطراد ما دام الله تعالى لم يكلفنا — بعد الإيمان بالآخرة والجزاء فيها — أن نعرف نوع هذا الجزاء أهو حسي أم روحي

على أن جميع ما أتى به الأستاذ — ومثله معه، وإن كان من وجه طيباً — لا يجدي شيئاً في تأييد دعواه. وأنا أورد أمثلة واضحة جلية أعجب كيف يكابر فيها ومن يستند إلى هذه الأمور الصعاب

١ — إن جميع النعم الحسية التي ذكرت في القرآن الكريم كالأكواب والمشروبات والأزواج[1] ورؤية الله تعالى، هي

(١) مسألة الزوجات التي ذكرها الأستاذ قراعة، ونقل فيها أقوالاً من رد الحدادي العدد ٣١٥ وأشار إليها في العدد ٣٢٦ من الرسالة، لم تذكر في القرآن الكريم بصورة ... مع أصحاب الأقوال المعتبرة ... بل صريح القرآن أن هؤلاء الزوجات المنعمة (بحور مطهرة وأبكار ... الكواعب والأتراب ... الآيات) فيقتصر على ما ورد في كتاب الله ولا نخوض في الأمور الغيبية.

حسية حقيقة لا مجازاً ؛ وإن كان على غير ما نحسه في الدنيا؛ فالتفاح والرمان مثلاً هو تفاح ورمان ، وإن كان من الجودة بحيث لا يقدر

٢ — أجسامنا في الآخرة — كما كان رأيي في إحداهما — هي أجسامنا وإن كانت على نشأة أخرى كما تقتضي إرادة ربنا تعالى

٣ — ما دامت النعم الحسية لا تثير أجسامنا هناك ، وما دامت الأجسام لا تثير أرواحنا هناك ، فإدراك الأجسام لتلك النعم إدراك حسي ، وإن كانت حسيته بحسب قابلية الجسم في ذلك الوقت

فإذا سلم هذا — وهو مسلم — نبرهن على دعوانا بقياس منطقي اقتراني من الضرب الأول من الشكل الأول ، نؤلف مقدمته من هذه المسلمات ، فنقول

النعم في الآخرة تدرك بالحواس الجسمية ، وكل ما يدرك بالحواس الجسمية فهو حسي ، فالنعم في الآخرة حسية . ونتيجة هذا القياس لا تنقض حتى تنقض المقدمات ، وهيهات

وبعد فلا أظن الأستاذ [illegible] بعد هذا أننا ننكر أن النعيم الحسي لا يتصل بالروح ، ولكن اتصاله بالروح لا يمنع أنه نعيم حسي . والسلام على الأستاذ ورحمة الله

([illegible]) [illegible] محمد [illegible]

حول الوحدة الإسلامية والوحدة العربية

كتب إلي فلسطيني فاضل يلومني في بعض فقرات من كلمتي المنشورة في الرسالة الغراء عدد (٣٣٦) فقال : « إن قولك : (بعض المسيحيين في فلسطين في جانب [illegible] تعصباً شديداً [illegible] المتعصب المستعمر) يخالفه الواقع » وقال الفاضل : « وإن كانت تركيا [illegible] لم تتحرك من أجل فلسطين [illegible] إلا لأننا لا نعرف وحدة إسلامية اليوم ولا نشعر بها » وقال أيضاً « إن المصريين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقليات بأنها من صميم الأمة » ثم يختم كتابه إلي بقوله : « ولعل رسالتي تخفف من غلوائك في هذه الدعوة البريطانية »

فأود قبل كل شيء أن ألفت نظر الفاضل إلى أني لم أرم إلى المسيحي السوري أو العراقي مثلاً بل حمل السلاح للدفاع عن القضية العربية في فلسطين ، وإنما قلت إن مسيحيي فلسطين يتآمرون مع المسلمين ويحاربون معهم العدو ، وهم والمسلمون في القعود عن أرضهم وفي حماية أهليهم . ولعل الفاضل يعلم أن كثيراً من المسيحيين العرب وقفوا أقلامهم وألسنتهم للدفاع عن فلسطين المجاهدة كالأساتذة الشعراء [illegible] والشاعر القروي [illegible] والكتاب [illegible] وكرم ملحم كرم وأمين الريحاني ، وهم [illegible] في سورية وفي مصر وفي العراق [illegible] القضية الفلسطينية [illegible] لا تنكر ولا تجحد

وأحب أن أسأل الفاضل في قوله : « إن تركيا لم تتحرك من أجل مساعدة فلسطين إلا لأننا لا نعرف الوحدة الإسلامية » هل يريد الفاضل بالوحدة أن تقوم تركيا وإيران الدولتان المستقلتان القويتان مع العرب المسلمين المشتركين في كل [illegible] من قبل الدول الأجنبية ؟ وهل هذا ممكن ؟ ثم ألم يفكر في إمكان [illegible] للمسلمين العرب [illegible] أو بإحداها على بعض العرب وهم كثيرو العدد ووافرو الثقافة أن يتصوروا تحت لواء دولة صغيرة؟ ثم هل يقبل الأتراك هذه الحالة وهم يعرفون من العرب [illegible] ؟ [illegible] أفلا نعتقد أن العرب لا تكون [illegible] في الدنيا في جانب تلك الدول القوية التي تخشى صولة العرب وحكمها ؟ وهل من المنطق أو المعقول أن يكون العرب تبعاً لهم وأنى يذهب بقوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم » وقد قال بعض جهابذة المفسرين المراد بقوله تعالى « منكم » تخصيص الأمة العربية

أما قوله « إن المصريين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقلية بأنها من صميم الأمة إلا إذا كانت [illegible] » فمرده أن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى درجة من القوة ، إلا إذا وضعت بعضها في جانب وبعضها في جانب آخر

وكنت أحب ألا يفهم الفاضل عكس ما أردته منه قال : « ولعل رسالتي تخفف من غلوائك في هذه الدعوة البريطانية »

ولو كان الفاضل يعلم أني كتبت ولا أزال [illegible] من مؤسسي [illegible] الإسلامية في فلسطين المقدسة وأني [illegible] مقالات وألفت [illegible] في سبيل هذه القضية الشريفة وأني [illegible] من أجل هذا الواجب ، أقول لو علم الفاضل شيئاً من هذا لكتب بلسان العقل لا بوحي العاطفة

فليطمئن الفلسطيني الفاضل وليعلم أننا أشد منه غيرة على الإسلام [illegible]

[illegible] ([illegible]) أحمد [illegible]

جيرون وربوة في كتاب هبة الأيام

أورد البديعي في كتابه « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » قصيدة للعميد الأصبهاني يجاوب بها أبا الفتح البستي في الصفحة ٢٧٧ وهي قصيدة طويلة مطلعها :

بأبي مشتعل النا ... ـر في صفحته شذره

ومن أبياتها :

ما ثملين من ... دجلة جيرون و « ربوه »

هكذا أورده ناشر الكتاب الأستاذ الفاضل محمود مصطفى وعلق عليه بقوله : « لعل جيرونا وربوة اسما نهرين بدمشق » وهذا عدم تمحيص من الأستاذ الفاضل

فإن ربوة تعريف ظاهر لا يخفى على أديب باحث في اللغة العربية ، ولا يوجد نهر أو موضع بدمشق بهذا الاسم ... وإنما هي ربوة وهو موضع بديع ... قال ياقوت في معجم البلدان : ربوة بضم أوله وفتحه وكسره ... إلى أن قال : ربوة دمشق في لحف جبل على فرسخ منها موضع ليس في الدنيا أنزه منه لأنه في لحف جبل تحته نهر بردى وهو مشرف على نهر بردى وهو مسجد على حجر وفي وسطه نهر الخ اه وقيل : إنها دمشق نفسها ، ويكنى المعروف إلى اليوم هو المكان المشرف على الجبل وقد ... أمير الشعراء المرحوم شوقي بك في قصيدة « قم ناج جلق » فقال :

وربوة الواد في جلباب راقصة ... الساق كاسية والنحر عريان

والطير تصدح من خلف العيون بها ... وللعيون كما للطير ألحان

وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً ... أفوافه فهو أصباغ وألوان

أما جيرون فقد قيل إنها دمشق نفسها ، وقيل إنها حصن بدمشق أو بناء عظيم لبعض الكواكب الخ . قال في معجم البلدان هذا توهم . والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون وفيه فوارة ينزل عنها ماء ... كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح الخ

وجاء في الصفحة ٢٨٠ من القصيدة نفسها

وهو في الشعر وفي النا ... ـم كحسان وعروه

فعلق عليه الأستاذ بقوله « حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله واسمه مشهور ، وعروة من ... كثيرون ، فمنهم عروة بن حزام ومن شعره قوله في عفراء :

متى تكشفا عني القميص تبينا ... بي الضر من عفراء يا فتيان

إذا تريا لحماً قليلاً وأعظماً ... بلين وقلباً دائم الخفقان

... الحمامة ... ... عيناي الخ

ومنهم عروة بن الورد الذي يسمى عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم

مع أن المراد هنا عروة بن الزبير بن العوام أحد فقهاء المدينة السبعة العالم المشهور ، والمحدث الكبير تلميذ خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها المتخرج في مدرستها وهو مشهور غني عن التعريف .

وبيت الشاهد يقول : وهو في الشعر كحسان ، وفي العلم كعروة ؛ وهذا في التقديم يا سيدي الأستاذ لبس ونظر ... ، وهذا الذي جعلنا نعلق هذا التعليق ، والمعروف أن عروة بن حزام وعروة بن الورد وغيرهما من شعراء العرب لم يشتهر أحدهم بالعلم

وإني للأستاذ محمود مصطفى لشاكر على مجهوده في هذا الكتاب وعلى إخراجه في هذا الثوب القشيب ، وأرجو أن يتقبل مني هذا التعليق بقبول حسن

إبراهيم يس القطان

الشطر المسروق

سيدي صاحب الرسالة

لقد قرأت في العدد (٣٢٠) من الرسالة الغراء قصيدة للأستاذ « العوضي الوكيل » فأعجبت بما فيها من المعاني الشيقة والخيالات الرائعة ولكن استوقف نظري هذا الشطر

« أواه لو سمع المحبوب أواه »

فرجعت بالذكرى إلى الماضي فقد كرت بي ... منذ أربع سنوات في قصيدة للأستاذ « محمود غنيم » في العدد الممتاز من الرسالة من السنة الثالثة ص (٥٩١) تحت عنوان (عيد الإسلام — وقفة على طلل) وها هو ذا البيت بأكمله :

« لي فيك يا ليل آهات أرددها ... أواه لو أجدت المحزون أواه »

فرأيت الأستاذ (العوضي الوكيل) لم يغير في الشطر غير كلمة (أجدت) وأبدلها بكلمة (سمع)

محمد إبراهيم مخلوف

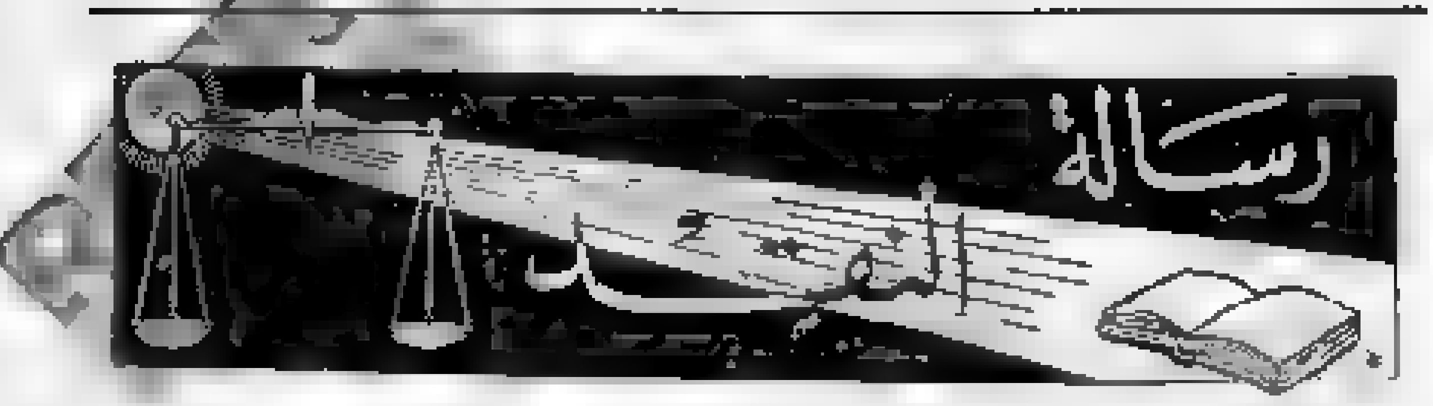

نظرات في كتاب

« بعث الشعر الجاهلي »

تأليف الدكتور مهدي البصير

للأديب خليل أحمد جلو

٢

لاشك أن ما روى الدكتور عن حياة امرئ القيس منسجم مطرد، وهو حجة دامغة مفحمة، لو أن ما كتبه (وهو عين ما يدرسه طلاب الصف الثالث الثانوي)، هو كل ما روى في الكتب وسُتنتج منه المحاكمة، ولو أنه صحيح ثابت، ولكنه [illegible]، وحين نعلم أن الرواة اختلفوا في اسمه وكنيته ولقبه، فهو حندج وهو قيس، واسم أبيه عمرو واسم أبيه حجر، واسم أمه فاطمة واسم أمه تملك، وكنيته أبو وهب وكنيته أبو الحارث، وأنه لم يكن له ولد ذكر، وأنه بنت بناته جميعاً، وأن له بنتاً يقال لها هند، وأنها لم تكن بنته، وإنما كانت بنت أبيه، وأنه يعرف بالملك الضليل، وأنه يعرف بذي القروح

لكان عليك يا دكتور أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه «منسجماً مطرداً»، وما تستطيع أن تسميه حقاً، وما يشبه الحق ليجوز لك أن تسلم بوجود امرئ القيس وأن تقول: «إن ما روي عنه «لم يكن أكثره» من أكاذيب القصاص»

أليس جديراً بكتاب يسمى «بعث الشعر الجاهلي» أن يعرض ما ذكرت، وزيادة عليه مما يجيء منه رائحة الأساطير والأكاذيب، ثم يعرض هذا للبحث والتحليل، والاستقراء والاستنتاج، والتعقل والمحاكمة، ليستخرج منه الرأي حقاً يستطيع بعده أن يقول: قد بعثت امرأ القيس حقاً! ولكن الدكتور [illegible] في مختلف الآراء المتضاربة والاختلافات المتناقضة، وما جرت [illegible] أن يتطلع ويطلع، وابتعد عن كل آفة وثبت [illegible]، فهو يعتقد اعتقاداً مطلقاً، ويسكر [illegible] في التصديق، ويروي ما [illegible]، ويعقل [illegible]، [illegible] شرط الباحث العلمي

إذا أردت أن أنتهي من نقد طريقته [illegible] في البحث فاسمح لي بأن أحدثك ما قرأت من رجائه على صفحة [illegible] وما هو رجاؤه؟ لا يتجاوز [illegible]، و ص ١٠ «أن القصيدة رويت في القرن الثاني، وأن أكثر الرواة وأعظمهم كالمفضل الضبي وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي [illegible]» فيظهر من هذا أن الدكتور مطمئن إلى ما رواه هؤلاء كل الاطمئنان، ولم [illegible] في الإطالة، فقد جاء بالبرهان الناصع والدليل القاطع

هل يستطيع الدكتور أن يقول إن كل ما رواه هؤلاء صحيح سالم من التجريح؟

لا شك أن هؤلاء [illegible] ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية، والعجب أنهم قد كذبوا أيضاً وانتحلوا، فأبو عمرو بن العلاء يعترف بأنه وضع على الأعشى بيتاً هو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويعترف الأصمعي بشيء من ذلك، ويقول اللاحقي إن سيبويه سأله عن إعمال العرب «فَعِلاً» فوضع له هذا البيت:

حذرٌ أموراً لا تضير وآمنٌ ... ما ليس ينجيه من الأقدار

وهل من صحة المسألة التي أريد حسم النقل إلا ما يروى عمن عاشوا في القرن الثاني مهما اجتهدوا في [illegible]؟

وإذا سلمنا جدلاً أن القصيدة من ناحية السند صحيحة، أليس عسيراً أن يحتمي بصحة متنها؟ إنه لم يتكلف مثل ذلك في جميع ما روي من المعلقات

يا دكتور إن أكاذيب كثيرة حلت على الجاهليين ونسبت أحاديث خرافية لا تمت إليهم في عهد الإسلام، وأضيفت مقادير وافرة من الأباطيل إلى تاريخ كل شعب وكل جيل، ومن شأنك أن تجهل الانتحالات التي دعا إليها تضارب المصالح والأهواء وتعصب طوائف الأفراد والجماعات، مما يجب ألا تراها علة السكوت والتسليم، فلا عجب أنك حين برأت بعض الرواة من الاختلاق والكذب عز عليك أن تقول بكلام المنصر الغالب «إننا لنعرج [illegible] هذه القصيدة (ص ١٩)، فإن الباحث المنصف من شأنه أن يحتاط ويتحرى في كل ما روي، وليس من الصحيح أن يقول إن فلاناً مشهور بالصدق فيجب أن نأخذ عنه كل شيء على علاته مطمئنين راضين

هل تعرف شيئاً عن «مدرسة الرأي» التي ظهرت في القرن الأول والثاني للهجرة التي كانت تشترط فيما يؤخذ به من حديث شروطاً لا يسلم معها إلا القليل، حتى قال قوم برأي عدم الأخذ بالحديث بتاتاً؟

أليس جديراً بك يا دكتور أن تقف موقف «اللاأدريين» الذين شكوا في هذه الأحاديث ولم يكن بينهم وبين قائلها صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين؟ أتذكر أنك في القرن الرابع عشر للهجرة، وأن الذي رووه شعر وليس حديثاً لا يختلقه إلا من عرض نفسه لغضب الله وناره.

يقول الدكتور (ص ٩٢) «إن أحاول في هذا العصر أن أنفي جاهلية المعلقات أو ـ المطولات السبع ـ وهل تم لنا القول بأن هذه القصائد السبع جاهلية حقاً، فإنه يكون قد أنقذ بعد صحاب الشعر الجاهلي من الجحود والإنكار، ذلك لأن هذه المطولات أقوى وأجمل وأصح ما وصل لنا من الشعر الجاهلي على الإطلاق»

إن الدكتور يريد أن يثبت «بالجملة»

هل تعلم ما هو السلاح الذي دفع به عن المعلقات حتى وصل إلى «أن القصائد السبع جاهلية حقاً»؟ إنك لا تعلم حتى أقول لك: إنه اقتصر على تبرئة حماد الراوية من موقف لا [illegible]

ولنذكر كيف برأه ودافع عنه دفاع المحامي البارع المرتهن والمدافع المتحمس؟

إنه يقرر (ص ٩٣) «إن حماداً يستطيع أن يحفظ القصيدة أو الأبيات القليلة من الشعر المتين وأن يدسها في شعر أحد الجاهليين بحيث يخفى على أهل العلم حقاً وأحسن رواية من غيره من الرواة، ولكنه لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية» ثم يقول إن شاعرية حماد لا تساعده «على وضع الشعر البديع وإضافته إلى فحول الشعراء»

لا شك عندي في أن أصدق الرسالة بما روي عن حماد ولا يؤثر عنه من شعر جيد متين، ومن في الشعر عريق، وضعافة في الانتحال [illegible]، ووليد الشعراء يصدر عنه أعظم شاعر حقاً؟

ويكفي أن أذكر أن أهل الكوفة مجمعون على أن أستاذهم في الرواية حماد، وهو أعلمهم بأيام العرب، وأنه شاعر مجيد يصل من التجويد والقدرة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما روى وما نحل

ويقول المفضل الضبي ـ والدكتور يثق به كل الثقة ـ إن حماداً قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً، فلما سئل عن ذلك: أخطأ أم لحن؟ قال: ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟

وحدثنا ابن سلام ـ والدكتور لا يشك في روايته أيضاً ـ أن حماداً دخل على بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري فقال له بلال: ما أطرفتني شيئاً؟ فعاد إليه حماد فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مدح أبي موسى. قال بلال: ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروي شعر الحطيئة؟! والرواة أنفسهم مختلفون في قائله، فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها فعلاً

وكان يونس بن حبيب يقول: العجب لمن يروي عن حماد، كان يكسر ويلحن ويكذب

وثمت كتب عن الرواة للمهدي فأمر حاجبه فأعلن في الناس أن يبطل رواية حماد

هل صحيح يا دكتور ما تقوله من أنك قد درست [illegible] حماد من الشعر، هل أخذ به، أو هل أنه عول على بعض

الشعراء الجاهليين أو المخضرمين، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً؛ وأن هذا لا يستطيع أن يكون قصيدة واحدة ذات صبغة أدبية وقيمة فنية، وأنه لم يدرس في الشعر غير البيت أو الأبيات القلائل!

وما لنا والإطالة؟ هل يشك أحد – غير الدكتور مهدي البصير – في أن حماداً كان يسرف في الرواية والتكثر منها، وأنه في ذلك أسطاراً لا يكاد يصدقها أحد؟ ألم يكن يسأل عن شيء إلا عرفه؟ ألم يزعم للوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروي من كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة طويلة لم يعرفهم من الشعر، فلوات واستحلفه الوليد حتى ضجر فوكل به من أتم استماعه ثم أجازه.

لا غلو عند حديثكم به أني أريد أو أحاول أن أبدي رأياً في الشعر الجاهلي، وإنما كل ما قصدت فيه أن أبين لكم أن الكتاب الذي بحث الشعر الجاهلي، كما يخيل إلى صاحبه، رديء عاجز أو ضئيل، وأنه خال من النص، وهو سطحي كما يقولون. أو هو وإن شرح معاني المعلقات على أنها آلهت مرسلات أكثر منه محاولة بحث الشعر الجاهلي، وهو قائم على الإبهام والتضليل لم يؤت بحثاً من الأدب، وعلى النحلة والاختلاق. والباحث يخيل للقراء أو على يخيل إليه أنه قد ناقد الأدب والأدباء الماضيين مع أنه لم يحط من ذلك بشيء، وإنما عرف صاحبه بعض الحيل، وبحثاً عابراً اختطفه من الكتب اختطافاً. وآية ذلك أنه في بحثه الجديد الذي سماه «بحث الشعر الجاهلي» لم يكشف للناس عن شيء جديد في أمر هؤلاء الشعراء الجاهليين وشعرهم، وبقي على هؤلاء عند من قرأه كما كانوا، بل بعدوا سنةً وأربعاً

هذا النحو من البحث السطحي شر؛ لأنه قاصر وعقيم، ولأنه لم يأت بالثمرة المطلوبة أو ما يشبهها، ولأنه لا يمت إلى العلم بصلة، ولأنه لا يصلح إلا للمتوسطين من الدارسين.

لقد حدثتك عن الوجه الأول والثاني، وقد كنت أود أن أنسى الوجه الثالث وهو ما اشترى من الأحكام الخاطئة والتعميمات السقيمة والآراء القاصرة ما جعلنا نتذكره ونشعر بضرورة المعاداة والإصلاح والجهاد في سبيل الأدب والأدباء

يشرح الدكتور معنى البيت

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

قائلا: إن الشاعر «يعني أنه يعرف ماضي الحياة وحاضرها لأنه رآهما، ولكنه يجهل مستقبلها» (ص ...) وهو معنى الشرح يكون مقبول لا يختلف فيه اثنان، ولكن ما يدعو إلى التفكير والتروي ما يستنتجه الدكتور من قول الشاعر «ولكنني عن علم ما في غد عم» إذ يزعم «أنه لا يؤمن بالبعث» وعلى أن هذا الادعاء باطل؟ فإن الرواة يحدثون أنه عاش حتى أدرك الإسلام وأوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما. وقد رووا له أشعاراً كثيرة فيها أصول دينية. وذكر أبو عبيدة عن قتيبة ابن شبيب بن العوام بن زهير عن أبيه الذي أدركوا بجيراً وكعباً ابني زهير قال: كان أبي من مترهبة العرب وكان يقول: ولولا أن تفندوني لسجدت للذي يحيي هذه بعد الموت. قال: ثم إن زهيراً رأى قبل موته بسنة في نومه كأنه رفع إلى السماء حتى كاد يمس السماء بيده ثم انقطع به الحبال، فدعا بنيه فقال: يا بني، رأيت كذا وكذا وإنه سيكون بعدي أمر يعلو من اتبعه ويفلح، فخذوا بحظكم منه، ثم لم يعش إلا يسيراً حتى هلك فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولست أقول إن هذه الروايات منسقة مجموعة على زهير ولا أتقدها جانباً، ولنرجع إلى الشاعر نفسه نسأله عن رأيه في البعث فيجيب بدون تردد:

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

فاتق الله يا دكتور في دين الناس، ولا تسلك غوامض الشك. بل الشاعر يريد أن يقول في بيته الذي أخذته عليه: وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وأنت لا تعلم الغيب.

من المضحك يا دكتور! لولا أنك كنت تلبس العمة وتتشدق بالفقه، وكنت شيخاً في الظاهر والباطن، كما هو معروف عنك قبل أن تقصد باريس، لاتهمتك بنكران الحساب ورأيتك زنديقاً!
أليس أنت الذي تقول في قصيدة وجدانية قلتها في نهر التيمس (ص ١٥٦):

لا تحسبن لناس ... ولا لآت حسابا

من يدري؟ لعل الدكتور قد زاغ قلبه حين أحس بجلال طبيعة فرنسا وحين تعاظم جلال الله أمام جلال نهر التيمس!؟ سبحانك يا رب!

(يتبع) الأعظمية
خليل أحمد جلو

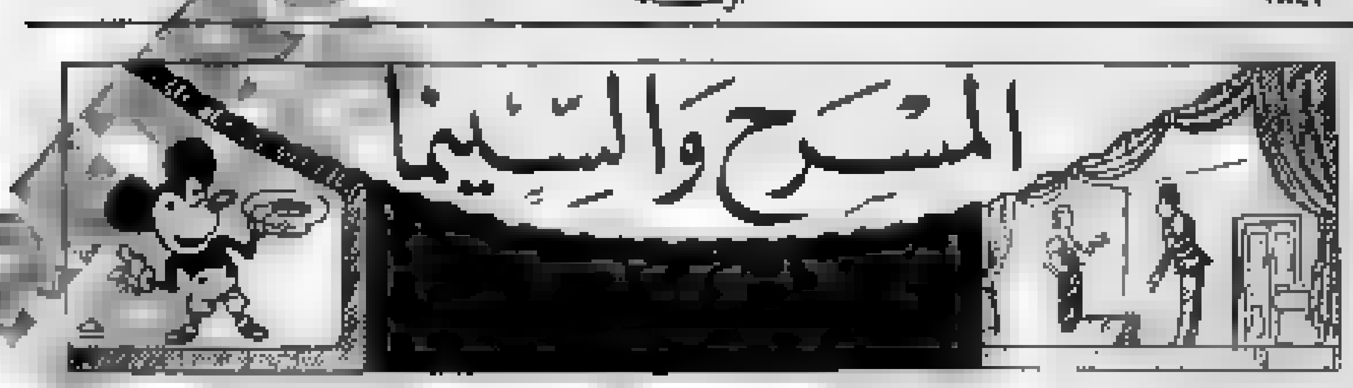

من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

وبعض الفرق القومية من روادها حاليا

غادة الكاميليا

لا يعدو الحقيقة من يعزو إلى رواية غادة الكاميليا ما أفاده المسرح المصري أصحاب ما أفاده من رواية بل من روايات عديدة عرضها ؛ وإن النهضة المسرحية تدين لها بالشيء الكثير . ويمكن أن ينسب جزء كبير من النجاح الذي لاقته فرقة رمسيس إلى هذه الرواية التي هزت الجماهير وعبثت بأفئدتهم . وكما كانت (أوديب) الرواية التي جعلت لجورج أبيض شأناً أي شأن ؛ وكما كانت (الموت المدني) الرواية التي نال بها عبد الرحمن رشدي تقدير الجماهير ، كذلك كانت (غادة الكاميليا) الرواية التي بلغت بها فرقة رمسيس أوج المجد ، وجذبت النظارة لاعتبارات كثيرة بعضها ، وإن كان شأن يوسف وهبي فيها غير ذي خطر إلى جانب السيدة روز اليوسف التي تلعب بدور الفتاة العاشقة فوفقت فيه أعظم توفيق ووضعت اسمها في ثبت الخالدين . إلا أن يوسف استطاع أن يجد منها كما يجد الأذكياء من توافه الأمور . وهكذا جعل من دور (أرمان) شيئاً يذكر وبطلاً يشار إليه بالبنان . بيد أن النقاد كانوا له بالمرصاد ، وكان لأزمة – أزمة يوسف لا أزمة أرمان – قصص وحكايات كانت موضع تندر النقاد وسخريتهم في غير طائل ، فقد ارتفع شأن فرقة رمسيس أيما ارتفاع ، وصار جمهور الخاصة ينظر إلى الفرقة بعين الاعتبار ، وصار جمهورها وشاطئها ، وبذلك أصبح مسرح رمسيس وصالة التدخين التي جعلها يوسف إلى جانب المسرح منتدى الطبقة الراقية في مصر ، ومكان اجتماعهم المفضل في الليالي الساهرة ، وكانت الفرقة تخرج كل أسبوع رواية ، وكان لكل يوم من أيام الأسبوع طبقة خاصة أو طائفة خاصة من الناس ، كما هو الشأن في بعض دور السينما اليوم

وهكذا في أسابيع معدودة احتلت فرقة رمسيس مكاناً سامياً وصار اسمها وأسماء أبطالها على كل لسان

والتاريخ يسجل هنا أسماء هؤلاء الممثلات والممثلين الذين رفع بهم ستار رمسيس في عام ١٩٢٣ وهم

يوسف وهبي – عزيز عيد – حسين رياض – أحمد علام – مختار عثمان – إستفان روستي – أدمون تويما – حسن البارودي – علي هلال – أحمد عسكر – عبد العزيز عيبوب – فريد صادق – صادق فارس – محمد إبراهيم – حسن شلبي

ثم السيدات روز اليوسف – زينب صدقي – فاطمة رشدي – سرينا إبراهيم – ماري صدقي – نعمت كامل

وكان مخرج الفرقة هو عزيز عيد ، وحسن شلبي ملقنها ، وكان أحمد عسكر أحد الممثلين ، بيد أنه أصبح بعد قليل المحامي الأكبر للفرقة ومندوبها للمسرح في كل مكان يحتل من الفرقة المكان الذي يحتله اليوم من الفرقة القومية ، وهو جدير بالمكان الذي يشغله ما دام يقوم بمجهوده فيه ! وكان علي هلال (ريجيسير) الفرقة ؛ أما أدمون تويما فلم يكن طوال عمره الممثل الذي يعتمد عليه ، بيد أنه كان دائماً البطل الذي يعمل من وراء ستار كما هو شأنه اليوم في الفرقة القومية أيضاً ، فهو الفنان صاحب الكلمة يعشقون المسرح ويستطيع أن ينسبه في مصاف المخرجين وإن تكن ثقافته ومهارته ودرايته فنون يفضلهم بكثير .

(للكلام بقية)

ملاحظات

[illegible]

من المفارقات العجيبة التي لا تحدث في غير مصر أن اللوم يقع شديداً على الحكومة لأنها تبقى أكثر البعثة يعملون ما داموا في بعثتها فإذا عادوا أهملتهم كل الإهمال ولم تستفد منهم وكأنما أرسلتهم لغير غرض وبلا أدنى تفكير في مصيرهم

بيد أن الفرقة القومية، وهي تابعة للحكومة تقريباً، قد خالفت هذه القاعدة العجيبة وبعثت ببعوثها في الخارج وزودت بعثاتها بعد عودتهم على أن أهملتهم لم يذكر بعدها عنه وأنكر فضلها وآثر التمرد والعصيان. فقد بقيت شهور على أحد المبعوثين راضياً بالعصيان قبل أن يمتطي ظهر الباخرة وظل رافعاً الراية الحمراء من وصل وحتى استقال أو أحيل ساخطاً متبرماً في غير داع للسخط أو التبرم إلا أنه شعر بنفسه وعدم قدرته على الاضطلاع بالمهمة التي بعث من أجلها

ومنذ أسابيع عاد آخر بعد أن قضى أزيد الحمراء من رحيله وأعلن في غير حياء أن حرفته ستقيل وحده ومساواته بكل المتخرجين

فما الذي عاد آخرهم فقد تخرج المعهد وراح يعمل أو يحتقر أن يعمل في هدوء راضياً قانعاً بنصيبه المتواضع وإنها لمحنة

ترى هل يعرف المتمردون أنهم يجرمون في حق الفن وفي حق أنفسهم وأن عقابهم يجب أن يكون شديداً؟!

إن الفرقة القومية لم تبذل في سبيلهم هذه الآلاف من أجل أن يتمردوا ويتقصروا عليها! إنها لسرقة علنية، فإما أن يكلف هؤلاء برد الآلاف التي صرفت عليهم، وإما أن يعتذروا أو يصححوا وجه عيوبهم

اختيار الروايات في الفرقة القومية

تحدثنا في عدد مضى عن السياسة العجيبة التي تسير عليها الفرقة القومية في اختيار الروايات، وذكرنا قصة (حصون الشرق) التي رفضت و(الخطاب) التي قبلت

وقد ضاق المقام عن إيراد بعض الأمثلة التي وعدنا بها القراء الكرام، واليوم نعود إلى مواصلة الكلام

ونبدأ الحديث عن اختيار الروايات، إلى الحديث عن لجنة القراءة التي تختار هذه الروايات، أو التي يحولون إليها عشرات منها

منذ عامين تقدم الأستاذ حسين عفيف بروايته إلى الفرقة القومية، وعرضت الرواية على لجنة القراءة فقبلت، وعرفت صاحبها، وصرفت إدارة الفرقة عنها وسرقته

ثم تبين بعد ذلك أن الرواية لم تعرض على الرقابة في وزارة الداخلية، فأرسلت إليه ترفض إجازة تمثيلها، لأن بها أموراً تخدش الشرف والعرف العام

ومن العجيب أن يكون هذا رأي موظف في الدرجة الثامنة أو السابعة، على حين أن في لجنة القراءة شيوخاً محنكين وعلماء جهابذة، ورجالاً في الأدب والفن والأخلاق، ومن العجيب أيضاً أن ينتصر رأي هذا الموظف ولا تقول اللجنة كلمة

ولنا أن نتساءل إذن من وقع هذه اللطمة على لجنة القراءة؟

على أن هذه اللجنة تتساهل ما جرى لها. فقد ترجم بعضهم رواية (البيت المهدم) لأميل زولا، وعرضت على اللجنة فرفضتها وترجم آخر الرواية بعينها، بيد أنه كان ماكراً خبيثاً فأبدل اسم جوزيف بمحمد، وغير اسم ماري بزينب! أما اسم الرواية فقد جعله (الأخرى) وزعم أنها من تأليفه

وعرضت الرواية في نفس الوقت على اللجنة الموقرة، فحسبت صاحبها الحق، ولم تفطن إلى أن هذه من تلك

فما عرضت الرواية على الفرنسي ... العصيبة غير نادمين؟

وبعد فقد أدى إهمال اللجنة إلى خسارة أكثر من مائة جنيه أو يزيد، وفي نفس الوقت كان دليلاً قاطعاً على أنها لا تصلح للمهمة التي وكلت إليها! وهل بعد ذلك من دليل!

(... العصفور)

أخبار سينمائية

«جوان [illegible]» زوجة [illegible] وإحدى كاتبات هوليود وبطلة عدة روايات موسيقية ناجحة ومن أظرف رواياتها (الملك والراقصة) التي عرضت منذ عامين في دار سينما ستوديو مصر وكان يقوم بدور البطولة أمامها الممثل البارع «[illegible]» بطل [illegible].

[illegible]

يظهر [illegible] الممثل الإنجليزي البارع [illegible] أو [illegible] هو الذي [illegible] كانت أول رواياته في هوليود (الشيطان في الأحمر) مع «[illegible]» وكان يقوم فيها بدور ضابط بحري في [illegible] يحكى أن [illegible] دوره [illegible] ([illegible]) في رواية «الثورة على السفينة [illegible]» ثم دوره في رواية «سفينة [illegible]» وأخيراً [illegible] في رواية «خان جامايكا» [illegible] إلى البحر مرة أخرى!

السيدة [illegible] أمير» كما سنراها في الفلم المصري «[illegible]» الذي سيظهر في الموسم السينمائي الجديد وهي [illegible] أول من ظهرت على الشاشة من الممثلات المصريات، وكان لها فضل إدخال الفن السينمائي في مصر، وهي إلى جانب ذلك ممثلة مسرحية [illegible]

[illegible]

[illegible] الآن في شركة [illegible] رواية «[illegible]» لقصة [illegible] «[illegible]»

الطفل [illegible]

يتمرن الآن الطفل [illegible] على [illegible] ليقوم بدوره في رواية «[illegible]» وقد أمكنه أثناء مدة التمرين أن يسرق [illegible] أشياء ثمينة من رجال الأستديو [illegible] إلى [illegible] عليه [illegible] أول [illegible] على [illegible] لأنه [illegible]

«[illegible]» [illegible] وقد [illegible] في [illegible] كل [illegible] [illegible] وذلك [illegible] المذكورة في رواية (الاستعداد) مع [illegible] فنجحت فيه نجاحاً [illegible] إلى مرتبة النجوم ثم [illegible] من بعد ذلك

«[illegible]» وقد [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] النجوم، وهي [illegible] الشبه إلى [illegible] أورين كثيرة الشبه به وقد [illegible] من [illegible] والأفلام [illegible] الأضواء [illegible] كي [illegible] الأمثلة [illegible]

7me Année No. 325

Lundi 25-9-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع [illegible] رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٥ «القاهرة في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

سيجفريد في الأدب
للأستاذ عباس محمود العقاد

أصبح خط سيجفريد مشهوراً في الحروب الأخيرة، وقد كان معروفاً في الحرب الماضية على غير الوصف الذي اشتهر به الآن، لأنهم كانوا يطلقونه يومئذ على مواقع الجيوش الألمانية خلف «السوم» ما بين سان كنتان ولاون، ولم تكن فيه حصون ولا أنفاق ولا مكامن كالتي جرى بها في هذه الحروب على كلمة خط «ماجينو» المعروف.

وليس للتسمية مصدر من التاريخ ولا من فنون الحرب، وإنما مصدرها كله أساطير وأناشيد وخيال.

فهذه أسطورة شمالية قديمة نقلها الألمان عن أمم «الاسكندناف» ما بين أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، وجاء «فاجنر» فأدار عليها بعض رواياته الموسيقية ومنها واحدة هي البطل سيجفريد سليل ملوك البلاد الواطئة وسيد الأرباب المقربين من قبل ذلك.

وقد سمي الخط بهذا الاسم لأن مملكة سيجفريد ووطنه كانت بين البلاد الواطئة ووادي الرين حيث يقوم الخط الآن وهناك مشابه تجمع بين البطل والخط في عالم الأساطير

الفهـــــرس

١٣ ، ٣٦

فقد كان سيجفريد يملك طيلسان الإخفاء فيلبسه فيصبح في مرة اثني عشر بطلاً ولا تراه عين ناظر من أبناء الفناء

وكان جلده منيعاً على طعن الحراب والسيوف ، لأنه قتل التنين الهادي فتناثر الرذاذ وسبح في دمه فنشأ له جلد خشن يحكي في صلابته القرون التي كانت على التنين

وكان « سيف صاعقة » يصنعه من سيف أبيه المكسور ، يقصم كل شيء ، ولا يعصمه شيء من الأشياء .

لكن الأسطورة لا تقف عند هذه الشارة بل تعدو صفات أخرى لسيجفريد لست مما يرتضيه هتلر وأعوانه

فقد كان الشخص مثالاً للبطل المحبوب من مولده إلى مماته

مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه بعد ولادته بقليل ، ورباه قزم خبيث كان هو أول الناقمين له المتربصين مرآه

وسبح في دم التنين فسقطت بين كتفيه ورقة من شجر الزيزفون فحالت بين الدم وجلده فبقي موضعها مقتلاً يضرب منه ضربة خصمه . وقد طعنه منافس له في هذا الموضع وهو يميل إلى نبع يشرب منه ، فقضى عليه !

فهل في خط سيجفريد موضع مثل موضع هذه الورقة ؟

وهل يهتدي إليه خصم فيقصد به ويقضي على البطل المنيع من كل مكان ، إلا من ذلك المكان !

وهل يلازم الشخص هذا الخط كما لازمه في الأساطير ؟

لقد وصف برنارد شو سيجفريد كما مثلته الأساطير وكما مثله « فاجنر » في روايته فقال في كتابه « الفاجنري الكامل »

« كان لا يعرف قانوناً ولا شريعة غير هواه ، وكان يمقت القزم المسخ الذي رباه ، ويشعر من الغيظ كلما تقاضاه حق الوفاء . وكان على جملة خلواً بالمرة من الأخلاق ومن قيود العرف والآداب »

أليست هذه هي النازية بعينها ، أو الآرية كما يصفها فلاسفة هتلر المتحمسين للأوامر العسكرية ؟

أليس سيجفريد الحديث شبيهاً بسيجفريد القديم ؟

* * *

على أننا لا ننسى نصيب سيجفريد من الفكاهة وقد أخذت نصيبه من القصص والخيال

فالإنجليز يقولون فيما شاع من « نكات » الحرب أن خط سيجفريد « إرساتز » Ersatz كما [illegible] الألمان

وما « إرساتز » هذه يا ترى ؟

كلمة تحتاج إلى تفسير في عرفنا الدارج . وأقرب تفسير لها في هذه الحرب أنها تقابل كلمة « التقليد » أو المصطنع الذي نعنيه حين نقول في معرض التهكم : « هذا إنسان تقليد » أو نعنيها حين نقول في معرض الذم : « هذه وجاهة صناعية »

ويروي « عشاق » الإخبار والعهدة عليهم أن رجلاً ألمانياً ضاقت به الدنيا فعمد إلى قتل نفسه ، واستعجل الموت شنقاً فاشترى حبلاً ووضع فيه عنقه وضرب الكرسي الذي يقف عليه بقدمه ولكن الحبل كان « إرساتز » فانقطع ولم يصبه شيء .

وفكر في السم فذهب إلى صيدلية فاشترى مقداراً من السم يكفي لقتل خمسة وتجرعه مرة واحدة ثم انتظر فإذا هو كأصح ما كان ، لأن السم كان أيضاً « إرساتز » فأخذ من حيث أريد به الإضرار ، وانقلب إلى نوع من الدواء .

واشترى مسدساً وقرطاساً وصاصاً فوجده بعد التجربة « إرساتز » لا ينطلق ولا تنفجر فيه [illegible]

قال الرجل : لقد كتبت لي الحياة إذن ، ولم أخلق للموت ، وفي العمر بقية لا محالة

ومضى وهو يجري أن يستمتع بالحياة جهد ما وسعته الحيلة من طعام وشراب وسرور

وعرج في طريقه إلى مطعم كبير غاص بأصناف كثيرة وطعام مختلفة وأكواب مترعة ، ومشاهد شتى ، وأفرط ما شاء ، وهو يحسب أنه قد امتلأ بالغذاء

ولكن ذلك كله كان أيضاً « إرساتز »

فمات !

* * *

قال المتحذلقون : وأين بين سيجفريد وما هو من المشابهة تنظير ما بين رجل الكيمياء ورجل الفكر والشعر ، أو نظير ما بين الخبز « التقليد » والخبز الصحيح ، أو نظير ما بين « البطولة » الكاذبة والبطولة الصادقة في نية الآكلين !

عباس محمود العقاد

التاريخ السياسي

قنبلة سياسية

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ انفجرت قنبلة سياسية في برلين سمع دويها في جميع أنحاء العالم. هذه الأعجوبة الغريبة وما لم يكن يخطر بالخاطر من حوادث، أخذ يرمي إلى تفكير تحريكاتها غير مبينة ولا خافية، وكانت تلك القنبلة إعلان اتفاق ألمانيا وروسيا على توقيع ميثاق عدم الاعتداء بينهما.

دهش العالم بهذا النبأ واستغرب وقوعه، لما بين ألمانيا وروسيا من عداء مستحكم، ولما ظهر من مظاهر في البلاد السوفيتية كان يدل على عقيدتها عن ستار مكافحة الشيوعية. ومما زاد الصدمة شدة وخطورة، انقطاع الأمل في انضمام الروسيا إلى «جبهة السلام» بحيث أصبح إيقاف الحرب دون الغور عنه حدها، ولقي صلاحه عرب أوروبا من اعتقادهم على أن العالم أمسى يقف بجانب مهاوي الحرب. فمن ذا الذي دفع الروسيا إلى ألمانيا تحت ستار ميثاق عدم الاعتداء؟ فكيف تم عقد الميثاق؟ وما هي محتوياته؟ وما هي العوامل التي حدت بألمانيا إلى مصادقة عدوها اللدود روسيا؟ وما الذي دفع السوفييت إلى عقد المعاهدة مع «عدوة الشيوعية»؟ وما هي نتائج هذا الانقلاب الخطير في السياسة الدولية؟

لم تصب الدول الديمقراطية في اختيار موضوع الهدف الذي كانت ترمي إليه من تهدئة الخواطر وتحصين السلام بإجابة الهر هتلر ما دعاه «آخر مطالبه في أوروبا». وحسب ذلك صدوداً يصد عزم ألمانيا، وعزمه على استعمال التهديد والقوة بنيه مطلباً بعد آخر. فالدول الديمقراطية لم تنل السلام في ميونخ، بل حصلت على ذاك الاتفاق مشاكل ومصاعب جساماً؛ كنا قد وضحنا بعضها حيث على صفحات «الرسالة» الغراء. وما الميثاق الألماني — الروسي الذي هز أركان العالم ودفع بأعظم أممه في حرب ضروس، إلا نتيجة طبيعية لتسليم الدول الديمقراطية في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨. وهذا الميثاق الذي نظر إليه العالم نظرة الدهشة والغرابة لم يكن ابن ساعته، بل كان نتيجة مفاوضات بين برلين وموسكو بدأت بعد استقالة الرفيق ليتفينوف من وزارة الخارجية الروسية وأدت إلى توقيع الاتفاق الألماني الروسي الاقتصادي في برلين في التاسع عشر من أغسطس هذا العام، ثم إلى توقيع ميثاق عدم الاعتداء الذي نحن بصدده.

ولما تم التفاهم والاتفاق بين الدولتين ولم يبق عليهما غير وضع الوثائق، أعلن النبأ في برلين في ٢٢ أغسطس. وفي صباح اليوم التالي سافر الهر فون ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا إلى موسكو بطريق الجو يصحبه اثنان وثلاثون من كبار الموظفين في وزارة الخارجية الألمانية. وعلى أثر وصوله العاصمة السوفيتية بساعتين اجتمع بالرفيق مولوتوف رئيس وزارة الروسيا ووزير خارجيتها. وفي مساء اليوم نفسه وقع الوزيران ميثاق عدم الاعتداء بين الدولتين، وكان التوقيع بحضور الرفيق ستالين رئيس الدولة السوفيتية. وفي ظهر ٢٤ أغسطس عاد الهر ريبنتروب إلى العاصمة الألمانية.

* * *

لم يكن ميثاق موسكو مثيل الأخرى، كمواثيق عدم الاعتداء التي تعاقدت بها بعض الدول ويراد بسهولة والتخلص منها في أي وقت أريد، كما أنه لم يكن تجديداً لميثاق «رابالو» الذي عقد عام ١٩٢٢ وجدد عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٣، بل كان ميثاقاً أقرب إلى معاهدة حربية منه إلى ميثاق عدم اعتداء. فبهذا الميثاق تتعهد كل من ألمانيا وروسيا بعدم الاعتداء إحداهما على الأخرى منفردة أو مشتركة، كما أن ألمانيا أزالت عنها خطر اشتراك الروس في أي حركة ترمي إلى محاربتها مباشرة أو بصورة غير مباشرة. وبذلك أزالت ألمانيا مفعول المعاهدة الفرنسية الروسية عام ١٩٣٥، تلك المعاهدة التي اعتبرت ثأر هتلر، ودعته «إلى حمل كل ما في وسعه لحل طوقها على ألمانيا» هو بنفسه. وقد تمكنت ألمانيا في هذا الميثاق أيضاً من منع كل مساعدة روسية للدولة التي يكون معها الرايخ مشتبكاً في حرب، وحصلت لنفسها المساعدة الروسية الواسعة في الحرب وفي السلم. وفي الوقت نفسه فصمت السوفييت جبهة مقاومة الشيوعية، وباعدت ما بين ألمانيا واليابان.

ومما هو جدير بالذكر أن الروسيا لم تضمن ميثاق موسكو تلك التي كانت حريصة عليها في المواثيق السابقة، والتي تخولها حق نقض الميثاق عند اعتداء المتعاقد معها على دولة ثالثة.

ومن الأكيد مباحثات الهر ريبنتروب مع الرفيق مولوتوف

لم تكن قاصرة على مضمون ميثاق عدم الاعتداء بل تمتد إلى تحديد منطقة نفوذ كل من الدولتين في أوربا وآسيا . وتقول الدوائر السياسية في بعض العواصم إن الدولتين اقتسمتا بولندة ، وتعهدت ألمانيا بالتنازل عن مطامعها في التوسع في أوكرانيا ، كما أن الروسيا تتعهد بالضغط على رومانيا وعلى تركيا لحملهما على الوقوف موقف الحياد حين نشوب الحرب

فميثاق موسكو لم يكن بعامل جديد في توطيد السلام، بل كان عاملاً مشجعاً لهتلر على المضي في إشعال نيران الحرب ، باعتدائه العسكري على بولندا تلك البلاد التي كانت صديقته بالأمس والتي عقدت معه ميثاق عدم الاعتداء منذ عشر سنوات .

* * *

إن التقرب بين برلين وموسكو من الأحداث الدولية الخطيرة، وهذا الحادث أعجب ما في برلين تحقيقاً منه في موسكو . أما العوامل التي دعت الروس إلى قبول فكرة التقرب من ألمانيا فقد ترجع بواعثها منذ مؤتمر ميونيخ في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨

أصرت ألمانيا في أزمة سبتمبر من العام الماضي على إبعاد السوفييت من المجتمع السياسي الأوربي، ورفضت حينئذ التفاوض مع ممثل روسيا بتاتاً ، وآثرت فشل المفاوضات ونشوب الحرب على أن تكون في مؤتمر يكون السوفييت أحد أعضائه . ولما رأت بريطانيا وفرنسا أن هتلر جاد في ذلك ، وأن إصرارها على وجوب اشتراك السوفييت في مؤتمر ميونيخ قد يؤدي إلى الحرب ، رضختا مرغمتين على إرادة دكتاتور ألمانيا ، وحققتا ما طلبه حفظاً للسلام

رأت الروسيا في مؤتمر ميونيخ ضربة لنفوذها السياسي في أوربا ، وصفعة في جبينها ، صرفتها عنها وأخذت تتحين الفرص للتعويض عما أصابها من مؤتمر ميونيخ من جحود وإعراض

لم يحافظ هتلر على اتفاق ميونيخ الذي ما تم إلا لإرضائه ، ولم يمض نصف عام على تصريحاته الرسمية الصريحة القائلة بأن ليس له مطالب إقليمية في أوربا بعد السوديت ، بل برهن على أن لا قيمة لتوقيعاته ولا أقواله بضمه بلاد التشيك والسلوفاك وميمل إلى الريخ .

منذ أيقنت بريطانيا وفرنسا بأن لا فائدة ترجى من سياسة مهادنة الدكتاتور ، إذ أن زعيم النازي يعتبر الهيبة الديمقراطية والإنسانية ضعفاً ، ويتخذ من حسن النية عاملاً مشجعاً على الاعتداء على الدول المجاورة للوصول إلى هدفه في السيادة على أوربا أولاً وعلى العالم أخيراً . أمام هذه الفلسفة الألمانية التي لا تعرف حداً لمطامعها عزمت بريطانيا وفرنسا على إيقاف الدكتاتور ، وضمنتا سلامة بولندة ورومانيا ضد الاعتداء . وكان هذا الضمان واسع المدى حتى أنه ترك لبولندة الحكم فيما إذا كان استقلالها ومصالحها الحيوية في خطر . وعملتا على إيجاد « جبهة سلام » قوية لا يستطيع الدكتاتور أن يجد أمامها منفذاً . وكانت الغاية من هذه الجبهة المحافظة على السلام والتركيز لهتلر أن بريطانيا وحليفتها عازمتان على إيقاف اعتداءاته عند حد نهائياً لا محيد عنه

ومن الطبيعي أن تفكر بريطانيا وفرنسا في ضم روسيا إلى « جبهة السلام » إذ أن الروسيا حليفة فرنسا ، والمناوئة لدعوة الشيوعية اللدود . يضاف إلى ذلك أن روسيا لها مكانتها في أوربا الشرقية . بدأت المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، والروس من جهة أخرى . غير أن هذه المفاوضات تعثرت وطالت لأسباب لا مجال لبحثها هنا . وقد أصرت روسيا على دخول الجيوش الروسية في بلاد البلطيق حين وقوع الاعتداء عليها وإلا كانت عدة الروس في الأبواب الحربية . غير أن السوفييت رأت في رفض ولذلك عدم ثقة بها وبجيشها

هذه الأسباب وغيرها أثرت في الحكومة السوفيتية وجعلتها تنشد سلامة بلادها من طريق غير طريق التحالف مع بريطانيا وفرنسا ، أي عن طريق التفاهم مع عدوها اللدود الذي يهدد بلادها ويؤلب عليها الدول تحت لواء « ميثاق مكافحة الشيوعية » وبذلك تكون روسيا قد خرجت من العزلة المعنوية التي فرضها عليها مؤتمر ميونيخ ، وأزالت خطر مطامع هتلر بالتقرب منه

أما من الناحية الألمانية فقد رأى هتلر وجد بريطانيا وفرنسا عازمتين على وقف عدوانه ، وأن سياسته أصبحت في النجاح شيئاً مشكوكاً . ورأى في جبهتهما جبهة حصار بلاده ، إذ تمت بدخول الروسيا فيها حيل بينه وبين ما يطمع من تحقيق مشروعاته في السيطرة على أوربا ... أمام هذا الخطر ، وأمام الصعوبات

السعدية من سياسية واقتصادية . ورأى الهر هتلر أن يخرج من المأزق بعمل يمده بتحقيق أطماعه من جهة ، ويضعف القوى المقاومة لتلك المطامع من جهة ثانية . فتقدم إلى حكومة السوفيت وعرض عليها المصافاة والصداقة . فصادف ذلك هوى في نفسها ولم تتردد في قبول ما عرض عليها . وبذلك تم ما عرف « ميثاق عدم الاعتداء » بين موسكو وبرلين

* * *

وكان لهذا الميثاق نتائج هامة عبر الحرب التي تدور رحاها الآن في أوربا ، في ميادين القتال الثلاثة : البر والبحر والجو

كسب الهر هتلر ... في توحيد ... وفي ... خلفه ، ولأصدقائه على مبدأ « عدو الشيوعية » ولم يخل كتاب هتلر « كفاحي » ولا أي خطبة من خطبه من التنديد بالشيوعية وذكر أخطارها . وكان هذا السلاح الذي استعمله الفوهرر مفيداً وساعداً على الوصول إلى ما وصل إليه من توحيد الصفوف في ألمانيا ... وأصدقائه ... على ميثاق « مكافحة الشيوعية » . ولكن تغيير هتلر لاتجاه سياسته الخارجية تغييراً كلياً أدهش الشعب الألماني وجعله يرى في تصرفاته ... ما يناقض المبادئ التي كان يحمله على الإيمان بها

وكان لتغيير سياسة هتلر الخارجية أسوأ الأثر في اليابان فأحدث فيها موجة سخط شديد للألمان كان من نتيجتها استقالة الوزارة في طوكيو وتغير سياسة اليابان الخارجية ، وبدا التقرب بين اليابان وصديقتها القديمة بريطانيا العظمى

أما في إيطاليا فلم تكن الحكومة والشعب راضيين عما قام به الهر هتلر . وليس ذلك بغريب ، لأن للحكومة الإيطالية كرامة عزيزة عليها . وهذه الكرامة تحول بين ألمانيا وبين عزمها في أن تكون إيطاليا أداة لتحقيق مطامعها ، حتى على حسابها . ولإزالة هذا التأثير السيء ، حاول الهر هتلر إقناع أصدقائه بأن « ميثاق عدم الاعتداء » بين ألمانيا وروسيا لا تأثير له مطلقاً على نصوص « ميثاق مكافحة الشيوعية » فكان ذلك مزلة ... في وسط مأساة مؤلمة

وكما أن ميثاق موسكو أثر في وضعية ألمانيا الدولية ، فقد أثر أيضاً في وضع الروسيا ومبادئ الشيوعية ... من موسكو ... على الأحزاب الشيوعية في البلدان الأخرى تعاليمها وروحها ... هذه الأحزاب آخذة في الانتشار ... إلى الصراع ... بين الشيوعية والاشتراكية من جهة ، والنازية والفاشية من جهة ثانية . ولما رأت الأحزاب الشيوعية في الدول المختلفة أن موسكو مصدر الشيوعية قد حالفت أكبر عدو لها ... في حسن نية السوفيت ، ونقص لديها التشجيع لها والدعوة إليها . وخير مثال لذلك موقف الحزب الشيوعي في فرنسا ، وما أصبحت له من ... على الأحداث الخطيرة ...

على أن أهم نتيجة كانت للتقرب بين موسكو وبرلين ، هو نشوب الحرب الحالية باعتداء هتلر ... على بولندا واقتحامه بلادها دون داع ولا مبرر إلا طمعه في بسط سيادته عليها وعلى أوربا أولاً والعالم أخيراً . ذلك الاعتداء الذي قام به زعيم ألمانيا رغم العهود ... الجبارة التي بذلت من كل جانب لصون السلام والإبقاء على المدنية ... من تلك العهود ، وماذا كان رد هتلر عليها وما هي الفصول التي مثلتها الدبلوماسية الألمانية لتبرر تعديها على بولندا ؟ هذا ما سنعرضه في مقال آخر

يوسف هيكل

جنـــــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

١٦

كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شرع في الرد على الأستاذ أحمد أمين، فقلت في نفسي: يحسن ترك المسائل التي تصدى لها الدكتور عزام حتى لا يكون في هذه المقالات حديث معاد. وهل كان الغرض من هذه المقالات إيذاء الأستاذ أحمد أمين بالدس حتى نعيد القول فيما نقده الدكتور عزام؟ إن الغرض هو التنبيه على أغلاط الأستاذ أحمد أمين حتى لا يخفى ما من شأنه أن يضلل الناشئة من طلبة الآداب في مختلف المعاهد العالية، وقد حقق الدكتور عزام بعض تلك الأغراض.

كنت استحدثت نفسي حين قرأت ما كتب الدكتور عبد الوهاب عزام في كشف أغلاط الأستاذ أحمد أمين

ولكني رجعت عن هذه النية بعد حين رأيت أن في مسالكي في النقد ما يغاير مسالك الدكتور عزام ويجعل القراء في أمان من حديث معاد.

زعم الأستاذ أحمد أمين أن علماء العرب قد رفعوا من قيمة كل شيء جاهلي وغلوا في تقديره، فالماء المقبور في مستنقع جاهلي خير من دجلة والفرات والنيل وكل أنهار الدنيا، والجرادتان اللتان غنتا للشيان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء، وحرب كعبة الشمال في الشعر أقوى حرب عرفه التاريخ، وأيام العرب في جاهليتها ووقائعها الحربية لا يعادلها أي يوم من أيام المسلمين، وجبلا طيء خير جبال الدنيا، وحاتم الطائي لا يساوي كرمه كرم، حتى الرذائل لا يصح أن يساوى بجاهليهم فيها، فليس أغدر من غادر، ولا أشأم من البسوس، ولا أسرق من شنظير»

أترون ما الذي قال الدكتور عزام في نقد هذا الكلام الأجوف؟

قال إنه يقوم على أساس المبالغة والإغراق.

وهذا نقد جارح لأن أحمد أمين أستاذ من أساتذة الجامعة المصرية، والإغراق له عواقب سود. وما الذي يبقى لأساتذة الجامعة إن صرفوا عن التحقيق في شرح المقاصد والأغراض؟

وهنالك كلمة طواها الدكتور عزام وهي كلمة «الافتراء»: فقد افترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون أن أي يوم من أيام المسلمين يعادل أي يوم من أيام الجاهلية، ونحن نتحداه أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأي في أي كتاب من كتب الأدب أو التاريخ. نتحداه، ونتحداه، فلينطق إن كان من كلامه على يقين.

ومن شغل المؤلفون بتدوين أخبار الحروب في جاهليتهم كما شغلوا بتدوين أخبار الغزوات والفتوحات!

وما هو النص الذي يشهد بأن الماء المقبور في مستنقع جاهلي كان عندهم خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا؟

وما هي العبارة التي تنص على أن جبلي طيء كانا عندهم خير جبال الأرض؟

وإذا كانت الجرادتان اللتان غنتا للشيان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء، فكيف استجاز أدباء العرب أن يشغلوا أنفسهم بتدوين أخبار الأغاني والمغنين في عصر بني أمية وعهد بني العباس؟

إن أحمد أمين قد يستطيع النهوض من كبواته الكثيرة، ولكنه لن ينهض أبداً من هذه الكبوة، وستظل شاهداً على أنه يكيل الأدب والتاريخ بمكيال، مع أنه بحكم منصبه مسئول عن تحرير(؟) دقائق الفروق بين الألفاظ والمعاني.

* * *

أترون أني نقدت هذه الفقرة(؟) كما نقدها الدكتور عزام حين قال: إن كلام الأستاذ أحمد أمين في هذه النقطة يقوم على أساس المبالغة والتهويل؟

هيهات، هيهات!!

سأقول إن كلام أحمد أمين صدق في صدق، وسأرجوه أن يتحمل الصدمة برباطة جأش.

أي ظن أن العرب يرون الماء المقبور في مستنقع جاهلي خيراً من دجلة والفرات والنيل؟

وهو كذلك

ولكني ما رأيتك بنا صارحتك بأن كلامك هذا هو المحنة عينها ؟

ألم تقل بأن العرب لم يحسوا الطبيعة في بلادهم ؟

فكيف يصح هذا وكان الرجل منهم يحن بعد رحيله إلى الماء الذي عبته أنت على أولئك الرجال

المسألة تحتمل وجهين : الوجه الأول أن يكون العرب في كلامك هم أهل الجاهلية ، والثاني أن يكون العرب في كلامك هم المسلمين(١)

ولا يصح الوجه الثاني لأن العرب بعد الإسلام تغنوا بأنهار مصر والشام والعراق والأندلس غناء يشهد بأنهم كانوا أشد الفتون بأمواه تلك البلاد حتى صح لشاعر من أهل دمشق أن يفضل بعذوبة ماء الفرات فيقول

أسُكَيْنُ ما ماء الفرات وطيبُه | مني على ظمأ وفقد شراب
بألذَّ منك وإن نأيتِ وقلما | ترعى النساء أمانة الغُيَّب

وحسان في جاهليته حن إلى بردى يصفق بالرحيق ، وأتيح لبعض المسلمين أن يقول بأن دمشق أجمل بقاع الأرض ، فكيف يجوز مع هذا أن يحكموا بأن الماء العذب في المنتجع الجاهلي أطيب من سائر المياه في الأرض ؟

وأتيح لأحد شعراء الأندلس ، وهو ابن خفاجة أن يحكم بأن الأندلس هي جنة الخلد ، وبذلك سهم المرزوق من الدنيا ، فهل يصح في ذهن ابن خفاجة أن تكون المنتجعات الجاهلية أطيب من المياه الأندلسية وهي تجري في رحاب الرياض والبساتين ؟

وتحدث النويري والعمري عما عرف العرب من بحار وأنهار وغدران حديثاً يشهد بأن العرب بعد إسلامهم فتنوا بما رأوا من طيبات الوجود كل الفتون

يبقى الوجه الأول وهو أن يكون العرب في كلام أحمد أمين هم أهل الجاهلية

وأعترف بأن الجاهليين فضلوا مياههم على سائر مياه الأرض

ولكن هل يدرك أحمد أمين سر هذا التفضيل ؟

(١) المسلمين في هذه العبارة أصح من المسلمون ، لأن الضمير في مثل هذه العبارة ضمير فصل لا محل له من الإعراب على أرجح الأقوال

إن العربي في جاهليته كان يرى ماءه خير المياه ، لأن كلمة الماء عند أهل الجاهلية ترادف كلمة الوطن ، ومن حق كل إنسان أن يرى وطنه خير الأوطان

وأتحدى الأستاذ الناقد فأقول إن الكتب المؤلفة في مياه العرب لم يكن يراد بها وصف تلك المياه من وجهة طبيعية كأن يقال هذا ماء عذب وذلك ماء أجاج ، وإنما كان يراد بالحديث عن « مياه العرب » وصف المواطن التي تجمع بها العرب أيام الجاهلية ، مع دراسة لطبائع السكان في تلك البقاع ، والتعريف بعوالم العصبية

وقد صح للشاعر المصري أن يفضل زرود على بلاده فيقول

وقائلة ماذا دعا أبي ابن أختنا | ألا خبّروه عنه حيثُمُ وجدا
رعاكم سقاكم الله هل في بلادكم | أخو كرم يرعى لذي حسب عهدا
من الذي خلفتموه بأرضكم | فتى ملأ الأحشاء فراقه وجدا
أسادتكم نسيه أزرود صحا | ألا فابعثوا بشرى بمعهد أزرودا
فدتهن نفسي لو سمعن بما أرى | وفي كل جيد من مهدي عقدا

وقد صح لشاعر البدوي أن يفضل ماء « الوشل » على جميع المياه فيقول

اقرأ على (الوشل) السلام وقل له | كل المشارب مذ هجرت ذميم
سقياً لظلك بالعشيّ وبالضحى | وبرود مائك والمياه حميم
لو كنت أملك منع مائك لم يذق | ما في قلاتك ما حييت لئيم(٢)

وهذه الأبيات مبلغ الصدق من العاطفة الوطنية ، وفيها تعرف صبوة البدوي

وقد أعرض العرب بعد الإسلام فقدسوا ما عرفوا من المياه والأنهار فزعموا أن النيل ينبع من الجنة ، ولهم في ذلك أساطير يعرفها قراء كتب الأدب والتاريخ . وأرجو أن تذكر ما عرفناه آنفاً عن الأسطورة التي تقول بأن في جوفها عيناً تنبع من الفردوس

وما فتح العرب بلداً إلا رأوه خير البلاد : فمصر عند أهلها أطيب البلاد ، وهي كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء قصم الله ظهره ، والعراق عند أهله أجمل بقاع الأرض وفي دجلة تجري عرائس الشعر وتسيطر العيون السود ، والشام عند أهله جنة

(٢) الحديث عن الوشل في الجبل

الأرض وبين عرصاته يقوم الناس يوم الحساب، وعصائب فارس كانت في أقصى عمرانه ملاعب الأقضة والقلوب، وتونس والجزائر ومراكش كانت مراكز الجيش المرابط الذي سدّ الغارات الأوربية حيناً من الزمان

ولو أردنا أن نستقصي أشعار العرب في وصف ما عرف الشعوب من البلاد لجمعنا من ذلك مجلدات ضخاماً تصور غرام العرب بما شهدوا من أطايب الوجود

فمن أين عرف أحمد أمين أن ماء المطر في مستنقع حاهل كان عند العرب خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا؟

من أي سفر مسطور عرف ذلك الحكم الطاغي الآثم؟

إن أحمد أمين يجرح في موطن لا يعبر فيه المزح، وكان يخطر أن يتناول الناقدون كلامه وأحكامه بالتجريح والترصيد لأنفع ما تورط فيه من مبالغة وإغراق، فليلق جزاء ما صنع، وكفى بنفسه من الظالمين

ثم ماذا؟

ثم سوق القول في أيام الجاهلية التي تعد بها أحمد أمين

إن أيام الجاهلية كان لها في الواقع صدى رنان في أسماع العرب بعد الإسلام، وقد شُغل بها كثير من المؤرخين، ولكن هل يعرف لأي غاية شُغل العرب بذلك التاريخ؟

إن وقائع العرب في الجاهلية لها ألوان مختلفات، فبعضها يصور ما كان بين قبائل العرب من نزاع وشقاق بسبب منافع المعاش أو مطالب المجد، وبعضها يصوّر مقاومة العرب لطغيان الأحباش والفرس والروم

أما التاريخ الذي يصور ما كان بين القبائل من حروب فكان الحرص عليه يرجع إلى غاية سياسية، ولتلك الغاية صورة هي استبقاء الأرومات العربية في الخصومات حول المناصب الرئيسية بعد أن مكّن لهم الإسلام من نواصي المجد والمعاش، وكذلك كانت القبائل تحيي وقائع الماضية لتأخذ منها وقوداً لأتون المنازعات حول الرياسة والملك ... ولا يعاب على أمة أن تحيي ماضيها لتنتفع به في إذكاء العزائم والقلوب

وأما التاريخ الذي يصور وقائع العرب مع الأحباش والفرس والروم فكانت له جهة موجبة، هي تكذيب ما ادعاه الشعوبيون من أن العرب لم تكن لهم ذاتية قبل الإسلام وأنهم لم يعرفوا طعم المجد إلا بفضل الدين الحنيف

وما كان يؤذي العرب أن يعرفوا منة الإسلام عليهم، ولكنهم كانوا يكرهون أشد الكره أن يقال إنهم كانوا في عصور الجاهلية أذلاء

ومن هنا أخذوا يعدون ويهيجون في عدّ أيامهم الغُرّ حين أتيح لأسلافهم أن ينتصروا في بعض الوقائع التي خاضوها ضد أعدائهم الأشداء

وهذا يفسر إكثارهم من الافتنان في أخبار يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس انتصاراً أشعرهم عزة في نفوسهم وعزائمهم من صلابة ومتانة وحيوية ... ويوم ذي قار في الجاهلية كان له فضل في إذكاء حب العرب يوم القادسية، وهو اليوم الذي عرف فيه العرب أنهم قادرون على امتلاك ناصية الشرق

وقد ظل يوم ذي قار يذكر في الأشعار بعد الإسلام بأجيال طوال، وأظنه سيذكر بعد هذه الأيام، فإن وقائع التاريخ لا تنسى ... والأمجاد الحقيقية تتوارثها الشعوب من زمان إلى زمان

فإن زعم أحمد أمين أن دخول كتيبة النعمان في النصر كانت عند العرب أقوى حجة على عظمة التاريخ فليعرف إذن أن تلك الكتيبة تستحق ذلك التهويل لأنها كانت نواة الجيش الذي به غلبت «هضب الأعاجم» أو

به أعربت عن ذات أنفسها العرب

● ● ●

وليس يهمني بعد ذلك أن أتعقب قول أحمد أمين إن العرب يرون فضائل الجاهليين خير الفضائل ورذائلهم شر الرذائل، لأن هذا الكلام لا يحتاج إلى نقض من أوهن من بيت العنكبوت

ولو صح أن العرب كانوا يرون أنفسهم أكرم الناس جيباً ويعتقدون أن صدوراً أعقل الناس جيباً لما كان في ذلك بأس من الوجهة القومية، لأن تجسيم العصبية وتصحيحها من الأمور التي تمارسها الشعوب في جميع البلاد. وهل يعتقد أحمد أمين مقتنعاً أن العرب كانوا يرجون القول بأن حاتماً أكرم من جميع الناس في سائر بقاع الأرض، وأن ملوكاً أعقل من كان ومن سيكون في الشرق والغرب؟ ذلك غير معقول

لا يهمني أن أحصي هذا التخالف في كلام أحمد أمين من إسراف في التوهم والتخمين، وإنما يهمني أن أشرح مسألة تقدمها الدكتور هيكل بصورة تنافر الصورة التي عرضها تخالف وترفق مراعاة لمزاج الأستاذ أحمد أمين الذي يتأذى من مساءلة الأحياء ويتمرد في مجالسه من أصبحوا في ضيافة التاريخ

إن أحمد أمين حكم بأن العرب في جاهليتهم انتزعوا صور التعبيرات والتشبيهات والمجازات والاستعارات من البيئة التي عاشوا فيها، فلا يجوز لنا نحن أن نجاريهم في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم لأننا نواجه بيئة غير بيئتهم

وهذا الحكم صحيح، ولكن يجب أن يفهم أحمد أمين الحقيقة الآتية

في اللغة العربية تعابير كثيرة نشأت في الأصل مصبوغة بالصبغة البدوية، ولكنها صارت على الزمن ميراثاً حلالاً يتملكه أبناء العرب من جيل إلى جيل، وقد نُسي منشؤها الأول أو كاد بحيث لا يخطر للكاتب أو القارئ أنها منقولة عن صورة بدوية

فالذي يقول: «دون ذلك خرط القتاد» لا يتصور الخرط ولا القتاد حين ينطق بهذا التعبير. والذي يقول: «هذه مشكلة أعقد من ذنب الضب» لا يتصور العُقد في ذيل ذلك الحيوان، وإنما يأخذ هذا التعبير قوته من الصورة المرسومة في أذهان من تداولوه على اختلاف الأحوال، وذلك معروف في اللغات الأجنبية ففيها تعابير مجهولة الأصول وهي تؤدي المراد منها بلا عناء

وهنا يزعم أحمد أمين أن الشاميين والعراقيين لم يروا الضب ولم يعرفوا عنه شيئاً!

وأعتقد أن الصواب غير ما قال، فالشاميون والعراقيون يعرفون الصحراء وما فيها من ضباب ويرابيع

واستنكر أحمد أمين أن يقول المصريون والعراقيون والشاميون «عيون المها وجيد الغزلان»، وتعجب من أن يقول ابن الجهم

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[1]

ثم قال: وأين المها في بغداد أيام علي بن الجهم وأين المها في مصر والأندلس؟

وأنا لم أزر الأندلس حتى أعرف أينكر كلام أحمد أمين أو لا يكون فيها غير الظباء الإنسية، وإنما أستطيع أن أحدث أحمد أمين بأنه ينكر الواقع المحسوس حين يقول إن أهل بغداد لا يرون الظباء، فقد رأيتها بعيني تباع وتشرى في شارع الرشيد ولا يزال البغداديون يذهبون لصيد الغزال في نواحٍ كثيرة من سامراء. وحدثني السيد حسين الشبيبي الذي عاد بالخروج لصيد الغزال ثم اختص بشواهد على النوب

ومن تقاليد أهل بغداد أن يربوا الظباء في دورهم كالذي رأيت في دار الشاعر جلبي الشيخلي، فرأيت له وجهه الأصبح في حبي وتحيته

ومن أطعمة أهل بغداد لحم الغزال، وقد أكلته بشهية في دور ظلماء غمرها الحب!

والمصريون يرون الغزلان حين يشاءون، فما أسرع أن تخرج وتطلب الغزلان من بلاد النخيل

والشاميون يعرفون الغزلان معرفة أكيدة لأنها تجاورهم في الصحراء الشامية

والمصريون هم يعرفون الظباء، وهي كثيرة في حدائق الصحراء الغربية، وهم يطاردونها من وقت إلى وقت، وقد حدثنا الأستاذ محمد طه بأنه اشترك في مطاردة غزال، وذلك إحدى الأعاجيب عند كتاب أحسبهم من طراز الأستاذ أحمد أمين

وكلمة «طراز» تدخل في الموضوع، فهي في الأصل عَلَم الثوب، كما يعبر صاحب القاموس، ثم نُسي ذلك الأصل وصار الغرض هو المماثلة في الشاكلة والخصال

ومن حقنا أن نقول: إن أحمد أمين ينسج على منوال طه حسين في نكران الحقائق

وليس لأحد أن يعترض بأن الغزال لا تراه العيون إلا في قليل من الأحايين، لأنك حين تمر بمثل هذه العبارة لا تفكر في ثوب ولا منوال، وإنما تسوق التعبير حيث وقع في كلام الأسلاف وتفهم المراد منه بلا عناء

---

[1] المها واحدتها مهاة، وهي البقرة الوحشية، وقد يراد بها المقلة وهي كلمة من أكثر أمثلة التصرف، والعرب يسمون الشمس مهاة لا يعرفها قراؤه

وفى اللغة العربية عبارات لا يكاد يفهم الفرنسي منها بالتحديد، ولكنها فى غاية من الإبداع

ومن شواهد ذلك ما وقع بين الأستاذ محمد الههياوي والدكتور هيكل باشا فى مجلس النواب. فقد هجم الأستاذ محمد الههياوي على إحدى كليات الجامعة المصرية هجوماً عنيفاً، فقال الدكتور هيكل باشا: هذا كلام ملقى على عواهنه.

ومن المؤكد أن أكثر النواب لم يفهموا المراد بالعواهن، ولكن هذه العبارة وقعت منهم موقع القبول، لأنها عبارة تقال فى ذلك المقام بالتحديد، وهى فى معناها لا تخرج عن الذوق

واعترض الأستاذ أحمد أمين على قولهم: «فلان يعرف من أين تؤكل الكتف» وعدها عبارة بدوية لا يجوز لمصرى أن يكتبها فى مقال أو ينطق بها فى حديث

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين يظن أن أهل الحضر لا يأكلون الحملان إلا مقطعة بأيدى القصابين فهو لذلك يرى أنهم لا يحتاجون إلى الاحتراس عند أكل الكتف

فليعرف (إن شاء) أن الناس لا يزالون يدركون هذه العبارة فى أصلها الأصيل، وقد رأيت الرجل البدوى المصرى عبد الستار بك الباسل يعلم أحد ضيوفه بتسليط يده الكتف عليه، وهو تيار قد يسلط مرة على الأستاذ أحمد أمين فيعرف من أين تؤكل الكتف!

من حق أحمد أمين أن يرى الناس جميعاً متخلفين فى الأخيلة والتعابير، لأنه من أبعد الناس عن مواجهة الحياة، وأكاد أجزم بأنه لا يساير الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية إلا من طريق القراءة أو السماع، وإلا فمتى رآه مرة يشهد رواية سينمائية أو يشهد حفلة من حفلات التمثيل؟

وأنا أذكر أنى مضطر أن أقسو على الأستاذ أحمد أمين، فهذا الرجل على فضله قليل الخبرة بألوان الوجود، وقد تقع منه أحياناً هفوات تضحك القراء. أليس هو الذى يقترح أن «تموت الشراب وتحيى الزبيب، وتموت المشكاة وتحيى الفانوس، وتموت القواميس وتحيى القتاتين، وتموت خرافى وتحيى ما يدل على الوطن»؟

ذلك كلامه بحروفه وهو شاهد على الخطل فى الآراء الشائكة أو المتنافرة، حيث القديم يخفى المحدث، ومن كلامه نفهم أن «المشكاة» نوع من الفاكهة، فمن أين جاء بهذا الحكم؟

فمن يصدق أن المشكاة من الفاكهة قبل أن يحدثكم بذلك الأستاذ أحمد أمين؟

إن المشكاة معروفة لأهل الشام والعراق، ومعروفة لبعض أهل مصر ممن لهم اتصال بالأسر السورية واللبنانية والفلسطينية، وقد عرفتها فى القاهرة قبل أن أعرفها فى بغداد، فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يطلب من المجمع؟ تلك والله إحدى الغرائب!

***

أما بعد، فقد كنت أرجو أن يعرض الأستاذ أحمد أمين بضاعته الأدبية فلا يعرضها عرض الوراق، وكنت أتمنى أن يكشف عن الصخرة من معنى الأمة العربية، ولكنه أراد أن يمضى فى العناد وفى المعاجة إلى آخر الشوط فزعم أن شعراء العرب وكتابهم لم يعرفوا الثورة على الظالم، ولم يعرفوا تحليل النفس والأغراض فى الشعر والإنشاء

وذلك كله على وزعم، وسنحاسبه أشد الحساب، عساه ينتهى عن اللجاجة والعناد

وإنى لواثق بأنه سيعرف هذه البحوث التى تكشف له آفاقاً من الطرائف الأدبية، وتعيده إلى فهم ما خفى عليه من مكانة العرب فى التشريع

(للحديث شجون) زكي مبارك

صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة*

للأستاذ إدريس الكتاني

كان فتى شهماً ذاكي العين، توّاقاً في ميعة الشباب، أرسله والده الزعيم من ساحة الفروسية والرماية إلى معهد العلم والثقافة، ليربي الفكر الناشئ، والعقل الفطري، وسمو النفس المتكبرة، جميل الحمد، وطريق الحياة.

سار الفتى يقطع الفيافي والقفار على متن الأفراس العربية إلى حيث العاصمة العلمية «القرويين» بفاس، ليكون طالباً من طلابها، يسعى إلى مدارسها، ويقتبس من شعب أنوارها، ويعمر فكره بهدي مصابيحها.

قال الراوي: وكان في المدرسة التي حط الفتى رحله بها شيخ واحد، قالوا: إنه من الأبطال(١)، فكان يقوم بخدمة طلبة العلم هناك، ويشرف من جانب موائدهم وصلات مآكلهم. واتفق ذات يوم أن أقام فريق من الطلبة مأدبة لعموم من بالمدرسة من الطلاب، فكان من المقرر أن يحضر الشيخ المذكور مأدبتهم، كرائد مطوف أو كخادم أمين.

ونصبت موائد الطعام، فكان الشيخ يتوسط واحدة منها، وعلى جفنة من الثريد أرسل الزاهد نظرة، فما وقعت إلا على وجه ذلك الفتى الناعم، وهو يتناول حديث المعد بجانبه الطالب، وأرسل الشيخ نظرات متتالية كأنها كانت شعاعاً كشافاً أرسله إلى مجهول من الغيب بعيد.

قال الراوي: وأخذ الارتياب يتخلل نفوس الحاضرين من الطلاب في أمر الشيخ الزاهد، وراقبوا نظراته حتى مضت كثير من الكلام، وكان الشيخ البري يصغي في الصمت، ثم قطع هذه الحيرة واحد من أولئك كان له في الشيخ ود وفي الصدق، إذ صاح به قائلاً: هل من سر وراء هذه النظرات يا سيدي؟ ورفع الشيخ بصره ببطء، يتفرس في هذا الفتى مما علي إلقاءه كل يتلقاه من السماء، وقال في شيء من التأسف والعناية: لقد أُلهمت الساعة أن هذا الطالب سيكون بعد حين ملكاً على المغرب من أقصاه لأقصاه، وسيؤسس دولة لها سلطان وأعوان، ووثبات حاسمات!

ضج الطلبة وضحكوا لهذا الخبر الساخر، وتعالت أصواتهم من هنا ومن هناك يستعجلون الشيخ التعجب من رواية المدرسة. أما الشيخ فكان يتكلم في هدوء ووداعة مؤمناً بقوله معتقداً كذا منه، كأنما يخبر عن شيء يدركه بالساعة من غير أن يكون للعقل فيه نقاش. وكان الفتى مأخوذاً بشيء من البهتة والاستغراب كأنما يحاول ألا يصدق هذا الخبر الذي ما مر له بخاطر من قبل؛ ولكن نفسه كانت تميل إلى تصديقه مفتتنة بصلاح الشيخ وصفوه، فذكر أنه لا شيء يدعوه إلى اختلاق خبر كهذا، وحدثته نفسه أن يقطع هذا الحديث على الأفواه، فصاح في الطلبة يقول: إن صدق الشيخ في دعواه، فسأبني لكم مدرسة تحوي مثيل(٢) روعة وجمالاً، وسأعطيكم هبات وعطايا لا ينضب معينها، وسأخص لكم من ذلك بنفقة تكفي يوم دفاعها على كراهتكم في ربيع كل عام! وكان الفتى الغائب أراد بهذا كبح الغيرة التي رأى ملامحها تتسرب إلى نفوس بعض الطلبة، وفي الناس من تركبه الغيرة بمجرد الوهم والخيال.

كان هذا الطالب من أسرة شريفة نبيلة، ورثت المجد منذ أمد بعيد، وأقامت في جنوب المغرب ببلاد سجلماسة، وكان جده الرشيد بن الشريف بن علي، وأبوه هذا كان له وقته مقام محمود ومركز محترم بين أهالي البلاد، يفضل انتسابه للبيت النبوي ودعوته الخالصة للإصلاح والإرشاد.

قال الراوي: ومضت الأزمن سطور من التاريخ متواصلة، وتبدل في الأحوال الاجتماعية مشاكل، وتهدد السياسة والمخططات سالاً

(*) أنظر العدد ٦٢٩ من «الرسالة»

(١) الأبطال قوم من الصالحين لا يظهر الدهر منهم إلا واحد ... الزاهد بعينه

(٢) الإشارة هنا إلى المدرسة التي تم بناؤها، وكان موضعها مكان البناء المعروف الآن من حارة الشراطين بفاس

وطرائق ، ولم يشعر القوم حتى كان الجالس على عرش المغرب والمسيطر على دولته هو الرشيد ، ذلك الفتى الذي كان طالباً في جامعة القرويين وعاً له الشيخ الصالح بالملك وهو في مطلع الشباب

* * *

ثم منح السلطان مولاي الرشيد وعداً كان قطعه على نفسه للطلاب ، وهو حول مائدة العشاء ، يوم كان طالباً علوياً لا أقل ولا أكثر . فلقد وفى بوعده خير وفاء ، ولم تُنسه مشاغل الملك حياة الجامعة وملاعب الصبا .

فأما المدرسة ، فالتاريخ نفسه يؤكد بناء الرشيد للمدرسة التي تحمل اسم الشراطين ، والتي تدعى اليوم بمدرسة الشراطين ، وكان الشروع في بنائها عام ١٠٨١ ، إلا أنها لم تتم إلا في عهد أخيه إسماعيل من بعده سنة ١٠٨٨[1] ؛ وهذه المدرسة — كباقي المدارس الأخرى — كانت في القديم لدراسة العلم وسكنى طلابه في آن معاً ، أما اليوم فهي للسكنى فقط

وقد جعل الرشيد لمدرسته هذه طبقات ثلاثاً تشتمل على ٢٣٢ بيتاً وعلى قبة للصلاة ، وكان قد صرف في عنايته بها ما جاءت آية من آيات الفن المغربي الجميل الذي ورثه المغرب عن ماورث من الفردوس المفقود

وأجمعت الأساطير وغير الأساطير على أن الرشيد هو أول من ابتكر « سلطنة الطلبة » بالمغرب وجعلها سنّة تأتيه بمراسم ومن كبس

هذه الأطروفة التي قصصتها ستتدرج التاريخ إلى شيء من المعاني التاريخية ، وقد كان حدثني بها واحد من شيوخ الطامين في السن قائلاً إنه رواها عن بعض شيوخه القدماء ، وهي تختلف رغم ذلك أسطورة تمتُّ في الأصل إلى عقلية الشعب وتختلف بسبب من الأسباب ، ولكيلا أكون متجنياً على رواة هذه القصة أو على القصة نفسها أراني مضطراً لأن أبين مجرى التاريخ من حولها .

* * *

غلبت دولة العلويين الأولى يوم يحكم دولة السعديين التي تمكنت أحكامها واختلف عراها بعد وفاة المنصور السعدي وتنازع أولاده من بعده على الملك ، وتطاحنهم عليه ، وكان طبيعياً أن ينقسم المغرب بين هؤلاء وغيرهم من الزعماء والرؤساء على شكل مقاطعات مستقلة محكوم بما شاءوا وكيف شاءوا من غير أن يكونوا مسؤولين أمام سلطان أعلى

وعلى هذا النحو عمد أهل سجلماسة — قاعدة الصحراء — إلى مولاي الشريف بن علي (والد الرشيد) ، وحسبهم أنه كان للأسرة محل عظيم في قلوب هؤلاء — فطلبوا إليه أن يتولى أمورهم بكل حزم وعزم ، وبايعوه ملكاً على الصحراء عام ١٠٤٩ فسرى مأمنهم العتب عن ملامح وجه حبيب للعندى عليه ؛ وكان الباعث لهم على هذا هو محمد الحاج الدلائي واستيلاؤه على فاس ومكناس وجبل فزاز ، ووصوله لنهر ملوية حيث امتدت أطماعه إلى بلاد الصحراء ، والسلطان عبد الملك بن زيدان عاجز لا يملك على أمره ولا يقوى على شيء من حوادث البلاد فارغ أو هو كالفارغ ، إذ لا يستطيع القضاء على كل مناوئيه بالقوة وهي منه براء

والشريف بن علي هذا يعتبر أول ملوك الدولة العلوية وأبيه وجمع مناصب . أما الرشيد فكانت ولادته سنة ١٠٤٠ أي قبل بيعة أهل الصحراء لوالده بعام فقط ، ثم وقعت حوادث بين الشريف بن علي وبين أبي حسون السملالي الذي كان مستولياً على سوس وبرتقعة أدت إلى أسر الشريف وجعله سجيناً بسوس سنة ١٠٥٥ ؛ ولكن سرعان ما بلغ الخبر إلى ولده البطل المقدام محمد ، فنهض هذا وتقدم إلى شيعته من أهل سجلماسة يستحثهم على إنقاذ والده والدفاع عن كرامتهم المهانة ، ولم يلبث أن جمع جموعاً غفيرة ، تلاها بعد ذلك إلى معارك كثيرة ، كان له النصر في أغلبها ؛ ثم اجتمعت كلمة أهل الصحراء على مبايعته ، فبايعوه بسجلماسة سنة ١٠٥٠

وحدث في سنة ١٠٦٩ أن مات الشريف بن علي ، وكان ابنه الرشيد وقتئذ شاباً مترعرعاً يبلغ من العمر ٢٩ سنة ، فخرج هذا من سجلماسة فاراً بنفسه إلى تدغة خوفاً من أخيه محمد الذي أصبح ينظر إليه بعين مرتابة ، خشية أن يطمع في السلطان

(١) الدرر الفاخرة ص ١٣ الطبعة المالكية للمؤرخ ابن زيدان

أو يصبح شريكاً له في الأمر . والحق أنه كان في نفس الرشيد ما كان يحرقه أخوه محمد ويخشاه ؛ فسبه أن خرج الرشيد من حكومة أخيه وهو يجمع الخروج عليه ، ويقوم بدعاوة واسعة لنفسه في طول البلاد وعرضها ، متنقلاً بين الحواضر والبوادي ، وأخوه في كل ذلك يراقبه من كثب لا يستطيع أن يناله بسوء وهو عنه بعيد

فلما أحس الرشيد من نفسه القدرة على الحرب وشعر بتمكن مركزه من الناس ، قام في سنة ١٠٧٥ بانتفاضته ودعا لنفسه ، فاجتمع عليه عرب المعقل وأحلافهم من بني ... وبايعوه ثم دخلوا مدينة وجدة . فلما وصلت هذه الأنباء إلى أخيه محمد وقع الشر بينه ، فخرج إليه من سجلماسة بجيش من العرب والبربر وقصده بأنجاد فخرج الرشيد لملاقاته ، والتقى الجمعان في حرب ضروس كان محمد أول ضحاياها بعد أن دخل المعركة في جيشه . وخرج الرشيد منتصراً من المعركة فحمل جثة أخيه إلى سجلماسة لتدفن

ثم سار الرشيد إلى سجلماسة عاصمة أخيه محمد ستة أشهر حتى غلب عليها ، فدخلها ووطد الأمر بها ، ثم رجع ثم جاء ... وطارت أنباء انتصاراته إلى فاس فرغب أهلها في ... ولكنهم امتنعوا عنه أمداً . وفي عام ١٠٧٧ زحف إلى فاس فاتحاً ودخلها منتصراً بعد أن حاصرها ، ثم عقدت له البيعة من رجال الحل والعقد بها[1]

وبدخول الرشيد إلى فاس ومبايعة أهلها له أصبح السلطان الرسمي للبلاد المغربية وكل من عداه من رؤساء الجماعات المستبدين هم ثوار في اعتبار الشريعة والأعراف . لهذا كان لزاماً على الرشيد أن يتتبع أعقاب الثائرين ويقضي على كل بؤرة من بؤر الاستبداد فيقطعها . وقد فعل الرشيد كل هذا حتى أصبح سيد البلاد المطلق لا ينازعه في سلطانه ثائر أو أمير

ثم بعد أن ساد نفوذ الرشيد في عموم البلاد المغربية بلاستثناء بعض الشواطئ[2] أخذ يهتم بالإصلاح الداخلي

(١) الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبي القاسم الزياني المخطوط (٢) كان الإنجليز وقتئذ مستولين على طنجة، والبرتغال على المزوجة والجديدة، والأسبان على سبتة ومليلة وأصيلا. وأخذت هذه الشواطئ بعد السلطان المولى إسماعيل أخو الرشيد

فعمر المساجد وبنى الجسور ومهد الطرق وأنشأ مسجد الأشياخ كان إذا دخل بلداً ساعد حواضرها ومدارسها وسأل عن عالميها ومن يعمرها ، وكان إلى هذا محباً للعلم مولعاً بمجالسهم ، محسناً إليهم ، يفيض عليهم من عطاياه ، وسمع منهم ... وفي أيامه كثر العلم ، وانصرف العلماء والأدباء على الدرس[3]

وأخيراً ، وبعد كل هذا ، كان الرشيد يركض ذات يوم في بستان ... ، وأبت ثقته بقوته إلا أن يركب فرساً جموحاً ، فطار الفرس به بين الأشجار الباسقة وإذا بغصن من شجرة قد شج رأسه فخر إلى الأرض صريعاً . وشاهد الناس مصرع هذا الملك العظيم ... في ١١ من ذي الحجة سنة ١٠٨٢ هـ ، ودفن بمراكش إلى أن نقل منها إلى فاس ودفن بروضة أبي الحسن علي ابن حرزهم بوصية منه بذلك[4]

(فاس — المغرب) ... إدريس الكتاني

ملاحظة: ... في المقال الأول المنشور في العدد ... من الرسالة ...

(٣) ... (٤) ...

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

استطلاع علمي

فن التصوير الجوى

أهم أدوات الحرب الحديثة

« لمندوب الرسالة »

[illegible] أن يصور [illegible] الأشياء [illegible] وعلى صورة [illegible] يسهل على [illegible] الفرنسي [illegible] الاستكشاف.

[illegible] التصوير الجوى [illegible] سنة ١٩٣٣ [illegible] وقد [illegible] طرق التصوير الجوى ومدى نفعه في الأعمال العسكرية والمدنية ، وما يحتاج إليه من مهرة وأدوات.

ميزة عسكرية

من [illegible] في سلاح الطيران الحربى [illegible] التصوير ، وهو لا [illegible] خطورة [illegible] منطقة تشكل [illegible] الأرض و [illegible] ومساحات [illegible] ومسالك الأرض وطرقها يسهل على القواد العسكريين

نرى هنا مصورا يلتقط صورة الجو على [illegible] ويمسك آلة تصوير يلتقط بها صور المناظر ثابتة من الطائرة

كشف طريقها ومعرفة اتجاهاتها ، كما يسهل معرفة استعدادات معاون العدو وتعيين مواقع مدافعه وعدده ، فيتيسر للقواد نوالها بقذائف الاستكشاف ومن طريق الجوس [illegible] وقد للعملة إحدى عمليات الاستكشاف في الحرب.

ولهذا كان من أهم المعايير التي تتخذها الحكومات [illegible] القانون الدولي منع التحليق أو التصوير فوق المناطق العسكرية، وأبيح له حق [illegible] الطائرات التي تخالف هذه القاعدة كما أبيح حق إسقاطها بإطلاق النار عليها [illegible] عملا عدائيا في القاعدة العامة.

مراية وبصاص

وتختلف أنواع التصوير والطائرات [illegible] في [illegible] الحرب بعامل إلى ذلك ما تستوجبه من [illegible] بين الطيار والمصور ، فالتصوير من الجو نوعان: الأول [illegible] الآلى [illegible] الطائرة على مواقع [illegible] لذلك فإذا أراد الطيار تصوير منطقة معينة يجب عليه أن يسير بسرعة ثابتة وعلى ارتفاع ثابت حتى تكون المساحات الظاهرة في الصورة واحدة في الصورة؛ لأنه كلما بعدت آلة التصوير عن هذا الجسم صارت أقل من مساحة الصورة ، وبالتالي تزيد مساحة سطح الأرض التي تلتقطها الآلة ، وعندئذ يتعسر تحديد أبعاد الأشكال فتظهر في الصورة مساحة كبيرة أو صغيرة تبعا لارتفاع الطائرة وهبوطها.

بعد أن التقطت الطائرة شريطا طويلا من الصور للأرض هنا [illegible] التصوير [illegible] الصورة [illegible] لتكون النتيجة خريطة كاملة [illegible] الصورة [illegible] جميع دقائقها

ويختلف عدد صور شريط تصوير هذه الآلة باختلاف الأغراض المطلوبة منه فأحيانا يكون ٢٠ صورة وأحيانا ٥٠ وأحيانا ١٢٥ صورة . ولا يحتاج المصور إلى تكرار الصعود إلى

منه بجمع التقاط الصور عند تصوير كل منظر فإن الآلة تسجل للناظر بطريقة آلية كل منطقة من الأرض إلى أن ينتهي من رحلته أو يقف المصور الآلة

وطريقة التصوير الجوي الأخرى هي المعروفة بالتصوير اليدوي إذ يمسك المصور بآلته ويلتقط الصور التي يريدها. وفي كلتا الحالتين يحتاج المصور إلى طيار ماهر حتى لا تهتز الآلة، وغالباً يكون ارتفاع الطائرة مقدار ثلاثة آلاف قدم. وقد يزيد هذا البعد كثيراً عن عين آلة التصوير، ولكن عدساتها رغم أنها عدسات عادية وليست مقربة تستطيع التقاط جميع تفاصيل الأرض ودقائقها وظواهرها من ... السحابات الهوائية التي قد تحجب وضوح الرؤية

تأثير الصور

فإذا انتهى المصور من التقاط الصور التي يريدها هبط الطائر إلى الأرض وبدأت عملية ثانية لا تقل دقة عن سابقتها إذ يبدأ العامل بتحميض شريط الصور السالبة. ومن المسائل التي تجب مراعاتها أن يكون هذا التحميض متساوياً لجميع أجزاء الشريط، ثم تبدأ عملية الطبع وهي أكثر دقة من أية عملية أخرى، إذ يجب أن يحافظ العامل في طبع الصور الموجبة على أن يكون كلها من لون أسود واحد، فلا تظهر إحداها ضعيفة اللون والأخرى قوية، حتى إذا جمعت الصور بعضها إلى بعض ظهرت كأنها صورة واحدة

وتحتاج هذه العملية إلى كثير من الخبرة فتوزيع كمية الضوء على الأرض لا يكون بنسبة واحدة؛ ففي مناطق يكثر الظلال، وفي مناطق أخرى يكون سطح الأرض مكشوفاً لضوء الشمس. وهذا يؤثر على تشبع الصورة السلبية بالضوء فيظهر بعضها أسود والآخر أقل سواداً تبعاً لكمية الضوء التي تعرضت لها الصورة والتي لا يستطيع المصور ضبطها

وتجمع الصور الموجبة وتلصق بعضها إلى بعض بحيث تكمل الصورة التي تليها حتى إذا تمت المجموعة ظهرت صفحة الأرض واضحة لمئات الأميال. وقد تمكن قسم التصوير بسلاح الطيران الجوي المصري من تصوير جميع مناطق القطر المصري فيمكنه أن يقدم لمصالح المساحة ولأصحاب الأطيان الخاصة صورة أي بلد فيظهر عليها ما في تلك البلد من مزروعات ومنشآت وما فيها من طرق مائية أو برية أو جسور

تحليل الصور

ويسهل على الإخصائيين في التصوير تحليل الصور كما يسهل على الكيميائيين تحليل المواد. فبعد أن ينتهي العمل من طبع الصورة فإنها تحلل بأن توضع تحت مجهر خاص يكشف الصورة فما يرى شيئاً مبهماً بالعين المجردة قد يكشف عن خندق مسلح وما يظهر نقطة سوداء على الصورة قد يظهر مدفعاً بالتحليل الفني وأمام العين العسكرية والخبرة الحربية

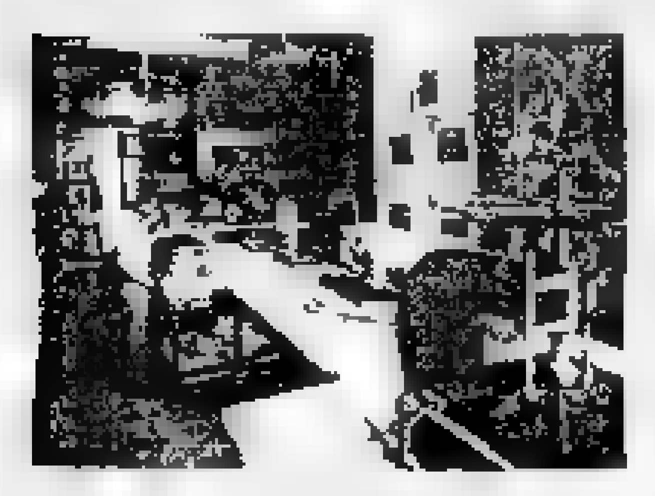

موظفو قسم التصوير الجوي وطلبته وهم يراجعون الصور التي التقطها المصور بسلاح الطيران المصري

ويتدرب كثير من رجال الطيران على فنون التصوير الجوي ومنهم من يتخصص فيه. ومن الضروري أن يلم كل طيار بمبادئه الأولية حتى يدرك مدى المعونة التي يقدمها المصور إذا اشتغل أحدهما مع الآخر وحتى يدرك أهمية المناطق التي يمر بها أثناء تنقله في الجو من جهة إلى أخرى

ولا تقتصر فائدة التصوير الجوي على الفوائد العسكرية بل تتعدى إلى الفائدة العلمية؛ فالمصور الجوي يستطيع أن يحصل على صورة دقيقة للشواطئ الساحلية أو النهرية ويضبط مواقعها ومسافاتها بالضبط. وقد أتيحت لي الفرصة فشاهدت مجموعة القاهرة التي التقطها سلاح الطيران البريطاني فرأيت فيها شوارع المدينة في أتم وضوح كما شاهدت جزر النيل وجسوره وقناطره ظاهرة بكل تفصيل

١٠٠ صورة في صورة

وفي آخر مرة زرت فيها قسم التصوير الجوي شاهدت العمال يصنعون صورة لفرع رشيد يبلغ طولها بعد لصق أجزاء الصور ما لا يقل عن عشرين متراً، كان التقاطها وطبعها القسم ٣٠٠ جنيه؛ إذ تتكون

أحد الفنيين يركب صورة التقطها لعدة القناطر

الصورة من ٤٠٠٠ جزء كان التقاطها بمعرفة سلاح الطيران الجوي البريطاني يكلف الحكومة المصرية أربعة آلاف جنيه

وقد أنشئ قسم التصوير الجوي المصري سنة ١٩٣٣ حين ضم ثلاثة أفراد مصريين وضابطاً إنجليزياً، ثم ازداد عدد العمال تبعاً لنمو الجيش وحاجة سلاح الطيران، فاشترى من آلات التصوير وأجهزته أدقها، وعين من الإخصائيين المهرة الذين مدوا عمله الفني ومرسوه في بعثات أرسلت إلى البلاد الإنجليزية حتى أصبح استعداد القسم يضاهي أحسن الأقسام في البلاد الأوربية

في استطاعة قسمنا المصري أن يطبع من فيلم شريطه مكون من ٦٠ صورة في مدة ٢٤ ساعة بأي مقياس مطلوب رغم ما في هذه العملية من صعوبات فنية. وقد أثبت رجال القسم جدارتهم وسرعتهم في مناسبات كثيرة في الحفلات العسكرية الرسمية المختلفة، فأمكن تحميض الصور وطبعها ثم إهداؤها للزائرين في مدة نصف ساعة. وعند زيارة سمو الأمير محمد رضا ولي عهد إيران الكلية الحربية صنعت لسموه صور زيارته الكلية قبل أن يغادرها رغم بعد المسافة بين الكلية وبين مطار ألماظة مركز القسم

معامل متنقلة

وأعد القسم عدته حتى لا يقتصر نشاطه على جهة واحدة، فجهز سيارات خاصة بجميع الأجهزة اللازمة حتى تكون كل سيارة معملاً يستطيع تحميض الصور وطبعها وتكبيرها في أي زمان ومكان، وفي مختلف الظروف والأحوال. وخصص لكل سيارة عمالها كما وزع بعض رجاله في المناطق التي تحتاج القوات العسكرية إلى وجودهم فيها.

ومنذ سنة ١٩٣٣ وقسم التصوير الجوي يؤدي مهمتين: أولاهما العمل الفني المطلوب، والثانية تعليم الجنود والضباط. وهو من هذه الناحية معمل ومدرسة يقضي فيه الطالب ثمانية أشهر يتلقى فيها جميع الفنون التي يحتاج إليها المصور الماهر من نظريات علم التصوير وتركيب خواص التحميض والطبع ثم التكبير وتبسيط الصور وعيوبها وتأثير الحرارة على الأفلام والأحماض

ومنها المجهود المشكور الذي يبذل لقسمنا المصري أن يصل بعمله في طريقة جديدة في طبع الصور ذات الألوان المتعددة وهي طريقة صعبة وتكاد تكون سهلة من الطرق المتبعة في البلاد الأخرى وتحتاج إلى خبرة ودقة كبيرتين، فمن وسع قسم التصوير أن يقدم لك صورة أي منظر طبيعي أو صناعي بألوانه الأصلية مهما تباينت ألوانه. وهو يقدم للصحافيين الأجانب أحسن مناظر مصر الطبيعية بألوانها الأصلية، فأضاف إلى مهمته العسكرية مهمة جديدة هي الدعاية لمصر بتقديم صورة ناطقة عن الحياة وسحر الطبيعة فيها

بعض العمال يعرضون الصور التي التقطها سلاح الطيران المصري

فريد الشتري

كان ما كان ! . . .

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ى لم تُحد عنه الطيوف بصحبى [illegible] ى هذا الليل الوسنان ، حملاً تمشى حننّاً إلى أيام الطفولة اللاهية ، ومن بع العيش الرتيب ! [illegible] ثم ترقص حولى ، فاغرة من معانى السرور ، رانية فى حنانها المستور [illegible] دعتنى إلى إحساس جنى ، أستشف من خلال الحقب الركّب بالصمم ، تلك الليالى الحبيبة ، التى فارقتها منذ بعيد . . وأضحت — وا رحمتا لها — حلماً ، لا تستقر بصحبتى و حبيبها ، ولا الأم الرؤوم تنأى منها الوليد [illegible] !

لقد رأيت الآن . . ذلك الطفل الذى درج بالأمس على قبلات الأهل ، وبجب الجيران ، وتخلقه ، وقد حبت بين النعم الناعمة واللعب الرنّان [illegible] وقفت أمه تنظر إليه ضاحكة حدل ! ترى به سبة للنفس ورهبة الشغب ، ثم تراه [illegible] يرنح فوق الأرائك مع أخيه ، فى مرحه ولعبه ، وقد رق الليل ، وانتشر الظلام ، ودنو إليه يرمى حديثاً فى صمته ، كأن قد محيه من جلوته الصغيرة تحت شجرة الليمون فى النهار . . . ثم يسمع إلى أبيه يهمس فى أذن أمه أن لا ستاودعه دار الشيخ غداً [illegible] ، فلا يجهم الطفل عنه ، ولا يحاول الفهم ، على الرغم من حبه للاستطلاع ، ورغبته فى الكلام . . فقد كان فى كرته الصغيرة ، وفى أحبته ، يطيب ، غنى عن السؤال ، وغنى عن الكلام .

ويتهادى الصبح لمحاً كنابة تخوب ، وينتشر النور ويتقشع الظلام ، فإذا كانت تطفل الندائه ، مادى الأب ابنه ، يرفعه إلى الدكان [illegible] ويسرع الأم خلفه الرداء الفاخر والحذاء اللامع لقد حسب أنقذه ، وظن أن الرداء يخزى فوق القمصون الحريرى . . ومن الحذاء سيحبس فى التراب الأحمر الناعم ولكن الأب يمسك بيد ابنه ويمضى . . . وقد أطرق الولد يفكر فى النجيمات التى بحجب أرجوحة له ، والفراشات التى سيطاردها فى كل مكان والعصافير التى سيعمر ليقيص عليها . . فتطل منه . . والأزاهير التى يحملها إلى جارته الصغيرة إذا رجع إلى الدار مع المساء [illegible] ثم

حدثت نفسه عن رفاقه الصغار كيف الدق [illegible] فيجتمعون [illegible] عيش سنّى وهو كبير ! ولابس أن [illegible] ورقى سنه كان يتقوّمه لهم عليهم إذا رآهم فى الزقاق عند العشاء . ولكن الأب [illegible] لا يلحت إلى تزوّد الطفل ، مسرعاً فى مشيه ، موصياً و [illegible] والطفل يعمر ورده كمصور جذلان ، ثم يصعد زقاقاً مظلماً من تلك الأزقة التى تنبعث منها رائحة العفن وصدى الغبار . فينقبض صدر الطفل . فقد حدثوه أن الشيخ كامل ، وهو مصدر التقوى والدمعة والصلاح — كما حدثه أبوه — ومصدر الخبث والشر والسحر — كما حدثه رفيقه — يقطن بهذا الزقاق . فيبكى الطفل بصوت عز ، ويحاول الفرار ، ولكن الأب يمسك بيد ابنه بقوة ويدفعه ويعربه بالقسوة إذا بلغ البستان ، ويقحمه لينفض عنيدى لينقطع من البكاء . حتى إذا بلغ نهاية الزقاق ، عرج به في طريق بنا مظلماً ، وبقيت الطفل ما يجرى لم يجره أبوه وهو الذى يحبه ، ولم يدفعه وهو الذى يؤثره فى صمته ! ويصح الباب شيخ هرم ، كأن كلّ شكله فى خاطره بعد ذلك اليوم قف شعر رأسه ، وانتفض جسمه من الاشمئزاز [illegible] فقد بقى فى ذاكرته ، أنه كان دميم الخلقة ، ممسوخ الوجه أحمره ، معوج العارضين ، لم يبق الأسى من لحيته الا شعرات لا لون لها ينبت هنا وهناك [illegible] ويذكر كما عاش أو يتكلم [illegible] ويبقى فى ذاكرته أيضاً أنه كان أدرد ، إلا من بضعة أسنان ملأت بصفراء تنشرت فى فمه الذى يحسبه مغارة الجن ومأوى الشيطان . أما عيناه فكانتا مائلتين صغيرتين [illegible] القى على موضعهما لم يخفف النظارات ، وهو يذكر أيضاً تلك السبحة الطويلة التى علقها فى عنقه [illegible] وعصى جاءها الكبيرة [illegible] وعمامته الصغيرة ، وتلك العصا التى طال عودها وسحبت تصعيدها [illegible] ويبادره الأب بالسلام ، فيهش الشيخ ويبش ، ثم يرحب ويقول : ما شاء الله . ما شاء الله [illegible] ثم يربت على كتف الطفل مسروراً كأنما وما وجد لم يهم الطفل لما مس وإن كانت أطربته فأمست لها ويدخل الأب ويتبعه الطفل ذاهلاً مضطرب حزين [illegible] وأصبحنا الإيحاء ! ! ! ولكن الأب يختال عليه وعلمه الشيخ ليطعمه من عله إمارات [illegible] ويدخل الطفل فتتنازعه الرهبة من [illegible] والرغبة فى شعر الشيخ ، ويرى من ورائه ساحة عريضة مظلمة سوداء [illegible] إلى جهتها

رفقائه الصغار ؟ وقد جلس أحدهم فوق قمته من الحصير البالي ، وقد كانت أمرهه وأضحكته ، منحنياً إلى الأمام وإلى الوراء ، ووقف كأن يصلق ماهي له ؟ واعتى كأنه يبكي بكاء كبكاء الكلاب ! فتستولي البكاء على الطفل ويتقبض صدره ، ويرفع رأساً ليرى أمه ، فإذا بأبيه قد مر ، ويبدأ الشيخ يلحق به ليرجعه ولي يده بعض «سكرات» يدفعها إلى فمه الصغير ويكفي الطفل عتاب الشيخ على ذلك من الغضب لقد جال بصره في هذه الغرفة المقفرة ، ورأى أشياء أنكرها ، ولم يكن له بها عهد من قبل شعر بها الظلام الذي رفرف فوق الغرفة فيحسب كالقبر الذي تسمع فيه أمه ما رث من الأثاث ، ورأى هذه العناكب التي انتشرت في أعلى الجدران كأنما تريد أن تزين الغرفة كما تزين أمه الجدران بأوراق الشجر وأزاهير البستان ، ورأى الحصير البالي قد يسر الخشب وقد نخره السوس ، وحدق بتلك الكثبة المستديرة المتطايرة كبيدبة خلفه التي ود لو يجعلها تصبح حديثاً ماما عنه ذلك ، فسأل ، ثم علمها الشيخ ولم يهدد بها الصبيان ؟

عندئذ ناقت نفس الطفل فاستعبر باكياً ويقوم الشيخ يبحث عن الطفل حوله .. ويكفكف دمعه ، والصبيان يرمقونه دهشين ، يحسدونه على ما يلقى من عطف ، وما يظهره الشيخ من لطف ، على حين يضربهم ضرباً يوجعهم جميعاً . ولكن الطفل لا يهدأ ؛ بل يزيد بكاء وصراخاً ، شأن الأطفال كلهم ، فينادي الشيخ زوجته « الشيخة صفية » ، التي علم الطفل أنه يجمع الشيخ إليها يوماً في الأسبوع ، ليقرأ معها « الورد » ، ويقرب البخور ، ويرى لزوجته والسادة أبناء صحابة « الشاذلي » ونقرباً من الرسول ... وما يكاد يراها الطفل حتى يتولى عنها ! يالتلك النمرات الطويلة التي تبيت على شفتيها البلهاء ، ويذكر نوق فمها أرجعته ، على الرغم من مداعبتها له ، وصلاتها على النبي ، وقبلاتها التي تسمر منها جبينه .. فيعود إلى حجرة الشيخ يسأله عن أبيه ، فإذا به يجده يصرخ بريق له ، ثم يحمله إلى الأرض ثم يمد إلى تلك الخشبة المستديرة ، فيجعل رجل الطفل بين الحبل والخشب ، ويعلق الخشبة مع ... فيضربه بقضيب من جريد أخضر رطب موجعات فيصيح ... الشيخ ، ويصم أذنيه لكيلا يسمع الرجاء ولكن الشيخ لا يلتفت إليه ، فهو لا يسمع ... عنه بعد الضربات !

و ترى الدمع في عيني الطفل ... في وجهه الصغير صبب متأوهاً « ... » ؟

فيمسك الشيخ الطفل بعد هذا الضرب فترمقه نظراته ويلجأ إلى البكاء .. ويصرخ ويصيح .. ويتنادي أمه وأباه ، ويضرب وجهه بكفيه والأرض بقدميه ، فيحوقل الشيخ ويرجع ويترك الصبي يرمق الطفل ، والطفل يبكي ويصيح .. فيمضي الشيخ يأتي « بسكاكر » الحلوى ، فيضع الطفل حداً من البكاء ، وينظر إلى رفاقه ويقول

« راح ... هيت ... جاءوا يهرب قبل أن يجي ... على الباب ... أليس هو ... عمي ... في الزقاق ... موموا موموا » ولكن الصبيان الذين ألفوا ذلك وعادوا الضرب أنكروا مقالة الطفل .. فلم ينتظرهم بل تأبط حذاءه .. وقام يمشي نحو باب الدار .. ثم فتح الباب وخرج إلى الزقاق ينشد الصعداء

* * *

ويعود إلى الدار فاتفاق الظلام .. فيستعيد أبوه من الشيطان عند ما يراه ، وتشهق أمه من العجب فتسأله كيف فرّ من الكتّاب ولكنه يطأطئ رأسه ويسرع مهرولاً ، ثم يتسلق خشب العريشة ، وينادي ابنه جاره الصغير ، فيسأله

— أتلعبين بالمحل يا حسنا .. لقد هربت من الكتاب أما الأب فيبتسم ويثور وأما الأم فتضحك وتقول ، دعه ... يا ابنه صغير

* * *

وصحت في الفراش ، وفي العين دمعه ، وفي الصدر آهة ، وفي النفس آلام

«دمشق» صدوح الغريب المسيب

رد على نقد

الجبر والاختيار

للأديب السيد محمد العزاوي

طالعت في العدد الأول لعدد الرسالة – ٣٣٢ – ما عقب به علي الأديب الفاضل داود حمدان من ملاحظات قيمة على مقالي الأول في الجبر والاختيار ، وعنت لي ملاحظات على رده سيتسع صدره لها دون شك ، والله المستعان

أما اعتراضه على أن المسلمين لم يقل منهم أحد بأن « الإنسان أفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب » فواضح أن أحداً لم يقل ذلك وما هو بقائل ، ولكني أردت أن أذكر هذه القضية الدينية ، بصرف النظر عن أن المتكلمين تكلموا في الطرف الثاني أو لم يتكلموا . وهذا أسلوب واضح أن يذكر الكاتب هذه القضية على السواء في ذلك المعقول وغير المعقول المتكلم والمتحمل ، ما تكلم فيه وما لم يتكلم فيه . ومنه فهم أني أريد أن المتكلمين قد تكلموا في هذا الوجه ما داموا قد تكلموا في الوجه الآخر ، وبنى على هذا ما بنى اعتراضه عليه

أما دعواه إلى أن المسلمين قد أجمعوا على أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ففيه نظر ؛ إذ قد اختلفت وجهات النظر بين الفرق اختلافاً لم يجعل وجهاً لادعائه بأن فرقة واحدة من القدرية هي التي قالت : « إن الله لا يعلم الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها ، وإنما يأتنفها حالاً حالاً ويعرفها » . وقد ذهب إلى ذلك مفكرون عدة سأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية قال : « لا يجوز أن (الله) يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان أو لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ؛ وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم . وإذ ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى ، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ، وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به لا البارئ تعالى فتعين أنه لا محل له ، فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة[1] »

وهشام بن الحكم قال بأن (الله سبحانه) لم يزل عالماً بنفسه ، وبعض الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم لأنه صفة والصفة لا توصف[1]

وهشام بن عمرو الفوطي كان يقول بأن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء وهي بعد أن تعدم من وجود تسمى أشياء ، ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها فإنها لا تسمى أشياء[2]

فأي هذه الفرق – على قلة ما أحصيت منها – يريد أن تكون الفرقة من القدرية ؟ الجهمية أو الهشامية أو الفوطية ، وغيرها كثير ؟ ثم ألا يكفي كل هذا لأن أصحح هذا القول مقابلاً لقول سائر المسلمين ، أو على الأقل لأن أدعي أن هذا كان منكراً عند رجال الدين والمتكلمين ؟ أم أن تكفير الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة لهذه الفرق يخرج بهذا التكفير من أن يكون « إسلامياً » . إن لم يكن المفكرون فيه فلا أقل من أن يكون بالموضوع الذي دار حوله هذا التكفير ؟ صحيح أن النزاع في مسألة علم الله بما يحدث أو ائتنافه له هذا الحل وجوه قد اندمج في « النزاع في أنه كما أن للعالم منا علماً هو عرض قائم به زائد عليه حادث ، فهل لصانع العالم علم هو صفة أزلية قائمة به زائدة عليه ، وكذا جميع الصفات[3] » ونشب الخلاف بين الفرق في الأمر ، وأصبح سبق علم الله أو ائتنافه جزءاً من حدود هذه القضية . واختلف القول فيه إلى ما قد عرفت من رأيه ، ويتضح منه أن المسلمين لم تجتمع كلمتهم على ما أورده الأديب الفاضل . ولنفرض جدلاً بأن طائفة واحدة من القدرية قالت بأن الله لم يتقدم علمه بالأشياء ، أليس من الحق أن أذكر ذلك حتى يبين أقصى مدى بلغه الفكر ، وأوسع ما [illegible] هذه الدعوى ؟

أما اعتراضه على [illegible] في نفي الصفات عن الله ففيه نظر كذلك ؛ فقد طلب الأديب الفاضل أن أصحح قول المعتزلة حتى لا أوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير جيد ، ولم يكن المقام مستلزماً أن أفصل قول المعتزلة أو غيرهم فإني كنت أردت أن أبين تشعب الجبرية والجهمية في حصر الجبرية [illegible] دون القارئ حتى يستطيع بعد ذلك أن أحمله على رأي أبي الهذيل

على أن الجهمية وافقت المعتزلة في نفي الصفات الأزلية فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته[4] وزاد عليهم (على المعتزلة)

(١) الشهرستاني ج ١ على هامش الملل والنحل لابن حزم ص ٩١

(١) الشهرستاني ج ١ على هامش الملل والنحل لابن حزم ص ٩٤
(٢) الشهرستاني ج ١ ص ١١ (٣) العقائد النسفية وحواشيه ص ٤٥ (٤) فجر الإسلام ص ٣٠٣

الأشياء ، فمن قوله لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً ، فنفى كونه حياً عالماً ، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً(١)

فنفي الجهمية الصفات ناشئ من أن التشبيه بالخلق مستحيل على الله فوجب أن يؤول ما ورد في القرآن بهذا المعنى ، ويؤخذ على غير ظاهره . فالحياة والعلم الإلهيين — في رأي الجهمية — ليسا حياة وعلماً حقيقيين وإلا كان ذلك ضرباً من التشبيه ينبغي نفيه — والقائل [illegible] يجعل الأسماء والصفات سبيلاً يستلزم من القول بالتشبيه .

ومن معتزلة الصفات ناشئ من أنهم لو أثبتوا الصفات ، لوجب أن [illegible] قديمة به زائدة عليه ويلزم منه التكثر في ذاته ، وتعدد في القدماء والواجبات ، ومن المستحيل تعدد الواجب القديم . وإن أنها صفات حادثة فهي عرض يحل في ذاته ، والعرض قابل للتغير والزوال ، وحلول في ذات الله تغير . فالتغير يؤدي إلى الحدوث . وإن كانت صفات قديمة أزلية ، فإما أن تكون خارجة من ذاته فتعدد القدماء » وأنكر الفلاسفة والمعتزلة وزعموا أن صفاته عين ذاته بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، وبالمقدورات قادراً(٢) ونحو هذا الكلام ذهبت المعتزلة ، والفلاسفة إلى نفي الصفات ، والكرامية إلى نفي قدمها ، والأشاعرة إلى نفي غيريتها وعينيتها(٣) » .

فالفرقتان كما ترى من المعطلة ، قد اتحدتا في النتيجة ، وإن اختلفتا في الأسباب . وقد كانت مشاركتهما في هذا الأصل داعياً إلى تلقيب المعتزلة بالجهمية « لا لأنهم وافقوا الجهمية في القدر ... ولكن لأن المعتزلة والقدرية جهمية في نفي الصفات عن الله ، [illegible] ، وقد ألف البخاري والإمام أحمد كتابين في الرد على الجهمية وعنيا بهما المعتزلة(٤) » .

هل رأيت إلى هذه المشاركات التي حملت أن تدعى المعتزلة بالجهمية ؟ ذلك معناه أن الجهمية إن كانت من هذه « الطوائف الملحدة » كانت مضطراً إلى أن تعترف بأن المعتزلة من هذه الطوائف الملحدة كذلك . وهذا ما لا يسلم به الأديب الفاضل ، ولم يقل به أحد .

هذا ما أحببت أن أوجهه إلى الأديب الفاضل إليه ، وأرجو أن يقابله بقبول حسن . [illegible] أولاً من كل شيء وبعد كل شيء أشكر له صنيعه هذا شكراً جزيلاً .

[illegible] محمد [illegible]

(١) الملل والنحل ج ١ ص [illegible] (٢) التعاليق [illegible] ص ٤

(٣) المواقف (شرح [illegible]) ص ٤٩ (٤) [illegible] ص ٢١٣

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٠٥ – ولكن لا أستطيع أن أتكلم

في (العقد) : قال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله في فضله وكرمه وعدله كلف ما لا يطيقه ، ثم يعذبهم عليه ؟ قال هشام : قد والله فعل ، ولكن لا أستطيع أن أتكلم(١)

٣٠٦ – [illegible]

في (الموشح) : قالت امرأة(٢) لكثير عزة : أأنت كثير عزة ؟ قال : نعم . قالت : [illegible] أتعرف بامرأة(٣) ؟! قال : وما يعيرون من ذلك ؟ فوالله لقد رفع الله به ذكري ، ونشر به شعري ، وأجرى [illegible] . قالت : أفلست القائل :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها(٤)

بأطيب من أردان عزة موهناً
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها(٥)

قال : نعم ، قالت : فض الله فاك ! أرأيت [illegible] لو أن ميمونة الزنجية(٦) بخرت بمندل رطب ، أما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال سيدك

(١) في (أمالي المرتضى) [illegible]

(٢) هي [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible] (الأساس) [illegible]

(٦) الزنج : بفتح الزاي وكسرها

ألم ترياني كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تطيب[1]

فاستعرب كثير وهو يقول

أهل أنحلج لا يُخيل سبيله ... وأهل [illegible] ذوو الأحلام[2]

٥٠٤ — [illegible] على [illegible]

في (طوق الحمامة) لابن حزم: كان لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع قرطبة (أيام الحكم المستنصر بالله) جارية يحبها حباً شديداً، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به — وكان عظيم اللحية —: إن لحيتك أستبشع عظمها فإن حذفت منها كان ما تريده. فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت، ثم دعا بجماعة شهود، وأشهدهم على عتقها ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به. وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر: أعرض عليها أن أخطبها أنا، ففعل، فأجابت إليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه، ورضي (سعيد) بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده.

٥٠٥ — لا يحتاجون إلى هذا منك

صلى الأعمش[3] في مسجد قوم فأطال بهم الإمام، فلما فرغ قال له: يا هذا، لا تطل صلاتك؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف.

قال الإمام: «وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين[4]».

فقال له الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك، بأنهم لا يحتاجون إلى هذا منك.

٥٠٦ — فبم تدخل الجنة إذن؟

في (تاريخ بغداد): قال بشير[5] بن الخصاصية: أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبايعه، فقلت: علام تبايعني يا رسول الله؟ فمد يده ثم قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وتصلي الصلوات الخمس المكتوبة لوقتها، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله.

فقلت: يا رسول الله، كلاً أطيق إلا اثنتين: أما الزكاة فما لي إلا حمولة[1] أهلي وما يعيشون به، وأما الجهاد فإني رجل جبان فأخاف أن تجشع[2] نفسي فأبوء بغضب[3] من الله.

فقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يده، ثم قال: يا بشير، لا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذن؟

قلت: يا رسول الله، ابسط يدك أبايعك، فبايعته عليهن.

٥٠٧ — [illegible]

في (سمط اللآلي): أهدى شاعر [illegible] إلى [illegible]، وكتب مع الهدية:

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

٥٠٨ — لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ

في (مفاتيح الغيب) للرازي: (أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين) كان الملقب بالرشيد[4] الكاتب يقول: لو قيل أتدعون بعلاً وتدعون أحسن الخالقين، أوهم أنه أحسن لأنه كان قد يحصل فيه رعاية معنى التجنيس. وجوابه أن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليف بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران، توفي في سنة ١٤٨

(٤) (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) [illegible]

(٥) [illegible]

---

(١) الحمولة: كل ما احتمل عليه الحي من بعير أو حمار أو غيره سواء كانت عليه الأثقال أو لم تكن [illegible]

(٢) تجشع: تجزع [illegible] والجشع أسوأ الحرص

(٣) باء فلان بذنب [illegible]

(٤) الرشيد أبو رشيد الدين عمر (الوطواط) [illegible] والنقس حبر [illegible]

حينما تهجعين يا ملاكي ...

« مجرى حبيبي خاوتي به
هذا التعب والملال ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

حينما تهجعين في مهاد الظلا ... م وهو السحر مسبل جفونك
حين تسيبين قلبك للأحلا ... م والعمر ذاهل في سكونك
حينما تطرحين شعرك في الديـ ... ـباج طفلاً معذباً من شجونك
حينما تمسحين عينيك بالنو ... م على جدول دافق من حنينك
حينما يمسح الهدوء حيالك ... في ندى دافئ من جبينك
حينما يسبل الإله على وجـــهك سراً يصون طهر جبينك
حينما تسجد الملائك حولـــيك حياء وهيبة من فتونك
حينما تسهر الغيوب لترعى ... صلوات النجوم حول عيونك
حينما تنصتين همساً من الأنـــس وتصغين للهوى في سكونك
حينما تسبحين خلف السحـــر وتجرى بطرفك حول يمينك
حينما تسبحين في كونك الحا ... لم روحي تصلى في سبيلك
حين يا نبعة الحب تنفيـــن وأصحو عيانه في حنينك

لو تحسين خافقي في دجى الليـــل وشكوى جراحه في سكونك
ورأيت الفناء طيراً شقياً ... أفسح الروح منه من سكونك
شاردة في رؤاك لا يعرف الظـــل ولا يعي حائراً من سكونك

(القاهرة) — محمود حسن إسماعيل

أنا ...

للأستاذ فؤاد بليبل

أنا من؟ أنا ؟ ! ... يا ليتها ... شعرى من أنا سمع الشفاه
بل زهرة فواحة ... عصفت بها أيدي القضاء
رعشة الصباح مشعثة ... وذوت يوم بابه المساء
وكلي ليتها كل الشبا ... ب عشاء حتى الفناء

* * *

بالأمس كانت تنشد العصـــفور في ذاك الفضاء
يشدو الطيــور أرغفه ... ويهتف بالغناء
بت سنة لم تدر ما ... معنى الكآبة والشقاء
واليوم ذبلت يا لتعس مصيرها ! عدوى البكاء
هي حولها عبث القــدير فلا حراك ولا رواء
ذوت كل أكمامها ... عطشاً وبعثرها الهواء

(دار الأهرام) — فؤاد بليبل

النهر المتجمد

للأستاذ ميخائيل نعيمة

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟

بالأمس كنت مرنماً بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور

بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق

بالأمس كنت إذا أتيتك باكياً سليتني
واليوم صرت إذا أتيتك ضاحكاً أبكيتني

بالأمس كنت إذا سمعت تنهدي وتوجعي
تبكي ، وها أبكي أنا وحدي ولا تبكي معي

ما هذه الأكفان ؟ أم هذي قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟

ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرت به ريح الشمال

والحور يندب فوق رأسك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه

تأبيه أسراب من الغير ... يك تشق في النغب
فكأنها ترى شباباً من ... حيـــاتك قد مضى

وكأنها بحنينها عند الصـــباح وفي المســـاء
جوى يشيّع جسمك الصـــافي إلى دار الفنـــاء

تبكي مصرعه الفتا ... وتعـــود أيام الربيع
فتعيد جسمك من بلى ... في ملكته يد الصقيع

وتكسّرٌ موجاتك الخضـ ... ـراء نحو الصخـــر
حُلل بأسرار الهوى ... سكرى كأنوار الزهر

وتعود تبسم إذ بلا ... ـطت موجاتك الصافي النسيم
وتعود تسجع في صبـــ ... ـاك أنغم الطير الهيم

والبدر يسقط من سما ... ء عليك سحراً من خيال
والشمس تسمو بالأزاهر ... متضاحكات البارقين

والحور يبسم ما اعتراه ... من العذاب والوصب
ويعود ينشد أغنيـــه ... ويعيش عمرَ الفنن

وتعـــود للحسناء بعـــد الشيب أيام الشباب
[illegible] ... [illegible] النصب

قد كنت لي يا نهر قلبي صاحباً مثل الروح
حرٌّ كقلبك فيه آه ووآه وآمال تموج

قد كان يسعى عمره ... يمضي ولا يشكو الملل
والهمومَ قد جفت كروبه ... حيث فيه أمواج الأمل

فتعاودت الأيام فيه ... صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة ... نعيمها وشقاؤها

سيظن فيه فتى الربيع ... مع الخريف أو الشتاء
صبابة نوم الباقين ... في وحشة أبناء الفناء

نبعة صوصاء الحب ... فقال [illegible]
ومعنا جدواً لا يجن ... ولا عيـــل [illegible]

ومعنا حربياً بين ثغر ... بل كل نسلاً منهم
ومعون بين الناس له ... رأ [illegible] منهم

يا نهر، فأقلني، أراه ... ، كما أراك مضحكاً
والقرن حث [illegible] ... شط من عصابك، وهو لا

[illegible]

ابنتي كوثر

للأديب محمود الهامي

أشكو إلى شمسي وأرنو لها ... إنا عن دنيا مكورة
صغيرة لم يسر في حسنها ... لوم ولم يطغ به مسكر
فتاة الدل إذا ضحكت ... بعث للفل من ثغرها نثر
سمح من الإشفاق يروي صداي ... نفسي بأمواج الأسى تزخر
وطائر في الصبح تغريده ... لا العود يشأوه ولا المزهر
يشدو فيشدو القلب في إثره ... أغاني صفو طيبها يسحر
هذا كله لي في العمر من فرحة ... هي عمري الفرح الأكبر

تكل آمالي وأحلامها ... عطف بها ذاهب يسمو
وتال، وأقل تال في ذهنها ... من دنية تلهو بها، أحقر
يا ويح من يعتق به إنه ... يكل حزن صامت يصبر

تحنو علي وهي في حجرها ... قلب ونظر الأسى يقطر
تخشى عليها يمضي ما رأته ... من قسوة الدهر وما يسر
والدهر لا يرحم أبنـــاءه ! ... ويل من في صحوه يعثر
كم هدّ من ذكي أشم الذرى ... وراح من أسد الشرى يسخر

يا بسمة الفجر ولألاءها ... وحسنة تجري بها الكوثر
إني لأرجو أن تكوني غداً ... صبغة رهو بعث النسير
وأنه للحسنة لا تنثني ... لا يبرى الختل ولا يسحر
من الهوان عند ذكر الحمى ... والرأي غلوائي بها يسحر

محمود الهامي

رسالة الفن

دراسات في الفن

خمسة أيام طاهرة
بين الفن والإسكندرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

بيني ما بين القاهرة بين أحمد الله لأني جئت. واستغفرك اللهم إذ تعتب غير ما كان من بنوتك. فقد رأيت القاهرة لوثتني وحسبت أنها خلقتني، وقد جئت إلى الإسكندرية التي ولدتني وحسبت أنها خلقتني. وعاشت أيامي في القاهرة راضياً، وعاشت أيامي ... تجتمع بين يديك يوماً أو أياماً كما شئت فلا تحرمني من الإسكندرية بيوت كما حرمتها لأستاذي أحمد الشايب

يارب

محبة الإسكندرية! ولست أدري إذا كنت أحب لأنها بلدي ، أو أني أحبها لأنها الإسكندرية . ولكني أشعر وأومن بأنها أقرب إليك

وشتان ما بينها وبين القاهرة

* * *

عندما يريد أهل الإسكندرية أن يصفوا واحداً منهم أو من غيرهم يعجبون به «صايع» وهو عندهم من لا يعمل عملاً شريفاً يأكل منه

وعندما يريد أهل القاهرة أن يصفوا واحداً منهم أو من غيرهم ويحتقروه ، يصفونه بأنه «وجيه» ويحسبون عليه ربتة «البيكوية» من عندهم . والوجيه في القاهرة هو من لا يعمل عملاً مطلقاً ويأكل ويشرب من حيث يرزقه الله ، و«البيه» منها هو هذا الوجيه نفسه ، أو ذلك الموظف في الحكومة الذي يعمل في الملازمة حيث ويرجع ثانية من حيث يرزقه الله

وأهل الإسكندرية لا يصفون إنساناً بأنه «صايع» ويصلون بهذا الوصف من الحق إلا إذا كان ماهراً ، وفي الشباب شطارة ، والشطارة سكة ، والسكة ضرورة ، فالصعلوك من الحق في الإسكندرية ضرورة لابد منها

وأهل القاهرة قد يصفون حين يصفون إنساناً بأنه «وجيه أو بيك» ، ولكنهم غالباً ما يصفون بهذين الوصفين أناساً ليسوا أهلاً لما يصفون به من الحق ، ويحسبهم من هذه رعاية موضوعهم ، وهذه ما بين الإحساس يعود على الذي أسنده ووصفه بغير الحق ، فالصعلوك من الحق في القاهرة ...

والذي يتجول في أحياء الإسكندرية لا في القاهرة المصطافة المتهتكة عند الشاطئ ، لا يكاد يسمع كلمة «صايع» تردد مع حطام . فالطلاب من الرزق في الإسكندرية كثير بحكم أنها بلد صيد وبيع وشراء وكفاح ، ولكن هذا الطلاب صريح مكشوف لأنه عام ورحيم مع الأجيال ، والطلاب لا يمكن أن ينمو وأن يتضخم وأن يظل مع نموه وتضخمه مكتوماً مستوراً ، فإذا انكشف لم يكن غير معركة ، والناس لا يستطيعون أن يشاركوا فيها دهوراً فهم يتحولون من المعارك أحياناً إلى اللعب والتهريج ، فإذا كثر بينهم وصف من الأوصاف ، كان ذلك دليلاً على أن هذا الوصف هو أبلغ اللعب عندهم ، وأبلغ اللعب يكون بحث الشتوم بأصح النعوت في رأي الجمهور وأكره ما يكرهون ، «فالصياعة» هي من أكره ما يكره أهل الإسكندرية وعندها هو أصعب ما يعرفونه ، وهو أن يكون الإنسان عملاً

والعمل في الإسكندرية بطولة لأن الناس محتاجون إليه فهم

ينظرون فنونهم منفعة ، ملحوظون عليه في فنه وإساءة وإجادة ، فإنه إذا لم يكن الفاصل قوياً حر في الميدان . وهذه البطولة لها قيود لكن لا بد منها لأهل المجتمع ، فإنها لو تحررت سعى إليها كل إنسان بطريقته هو فلسفاح سعى النفس الحرام ، ولأكلوا جهود غيرهم . وكل مجتمع تكونه الطبيعة يضع قوانينه وقيوده بنفسه لأنها من أسباب حياته ، ويحرص كل الحرص على صيانتها ، ويثور كل الثورة على من يهم بخدشها . وقيود البطولة في الإسكندرية هي الفترة الصريحة في العمل الجد .

فإذا انتقلنا إلى القاهرة وجدنا رتبة « البك » ، والوصف بالوجاهة ينعم بها على كل من هب ودب حتى محق . ومعنى هذا أن أهل القاهرة جميعاً يحبون أن يكونوا « بكوات » ووجهاء هكذا ويأكلون ويشربون من حيث يعلم الله ولا يعلم الناس ، وهم في هذا كما يكره أهل الإسكندرية أن يكون الواحد منهم هكذا .

وهذه حال تستلزم أن تخرج قوانين الطبيعة قوانين تصونها ، كما أنها تستلزم أن يكافح الخوارج من أهلها ، وأن يقاوم الخارج عليها الذي يهم بخدشها ، والقانون الذي تفرضه الطبيعة في هذه الحال هو قانون « الستر » ما دام الناس لا يريدون أن يعرف غير الله من أين يأكلون ويشربون . و « الستر » و « التستر » و « التساتر » جميعاً تخفي وراءها ما لا يعلمه أيضاً إلا الله . وقد سمى الناس هذه الكذب والغش .

وأهل القاهرة يسترون هذا التلوث الخلقي لأنهم يسترون كل شيء ، حتى أنفسهم يسترونها عن عيونهم .

فالكذب إن حدث في الإسكندرية عرفه أصحابه ، وإن كان في القاهرة حاباه أهلها . وهكذا يجري الكذب في القاهرة حتى يتغلغل في حياتها إلى أن يركب الفن .. الفن المطلق من الله إذا انبعث في الإسكندرية صدع بخطة الإسكندرية ، فإذا انبعث في القاهرة صدع بستره القاهرة .

وقد يصبر أهل الإسكندرية على صدع في غير الفن ، ولكن هذا الذي يغلب عليهم الوقت الذي يطلبون فيه متعتهم الروحية التي يتشوقونها بعملهم ويكدحون طول النهار لها ، هذا الذي يصرفه أهل الإسكندرية ضرباً بالأيدي وبالأرجل وبالكراسي وبالصفير الشديد وهم يصيحون : « هاتوا فلوسنا » .

ومع هذا التعب في طلب الحق يفترق أهل الإسكندرية عنا مجيباً هو أنهم يقبلون بكل ما يجيء من القاهرة ويقولون أكان فناً أم غير فن ، لا يفحصون فنونهم عليه ، ولا يحاولون التفرس فيه واكتناهه ، لا لشيء إلا أنه من العاصمة وأنهم لا يلحقون بالعاصمة إلا أخيراً ، فلا يمكن أن يتصوروها أقل منهم فراسة وصدق نظر ! ولا غرابة كانت القاهرة العاصمة ، ليس من شك في أن الله جرى القاهرة سراً يسترها ، إذ سيل لأهل الإسكندرية أن ما استحقت أن تكون العاصمة إلا لأنها جديرة بأن تكونها ، ولولا هذه العقيدة لأصبحت الإسكندرية على القاهرة .

صحيح ! هذا هو إحساس الإسكندرية وسكانها ، وهذه الثقة المتناهية بالقاهرة هي وحدها التي تروج بضاعتها في الإسكندرية وغير الفن . فإن لم يكن هذا فكيف ذاع صيت ... في الإسكندرية حتى اعترفت به ، وكيف هتف الإسكندرية وكبرت للأستاذ عبد اللطيف البنا عندما استقبلته كما تستقبل الحفلات من القاهرة ؟ .. القاهرة العاصمة .

والفن عند أهل الإسكندرية قد يسرع إلى أن يكون حرفة لأنه موهبة ، والمواهب عند العاملين رأس مال . ولا يمكن أن يحترف الفن في الإسكندرية إلا الفنان الصادق ، ومتى ظهر صدقه في فنه وتمكنه منه ، أقبل عليه الناس وشجعوه ، ويكفي إلى أن يظهر هذا الصدق ، وتعود رضاء أهل الإسكندرية ، ثم يكون له بعد ذلك جمهوره الذي يمون فن الإسكندرية الأصيل من تقدم الناس الصريح الذي لا يمكن التسبب عليه إلا بعد من قولهم ، وأكثر الناس تمرساً بهذا النقد وهذا التهجم هم أصحاب الفنون الجميلة ، التي لا يأكل الناس ولا يشربونها ، فإن لم تكن فنونهم إلهاماً من الله هبط على الجمهور من خلال أرواحهم ، فإن كل ما فيه من صنعة يتعرض للنقد ، والصنعة يتسع المجال في نقدها للقائلين والمتأملين ، ما دام الأمر في النقد راجعاً إلى المنطق والحجج والبراهين والكلام ، وما دام الأمر في هذا كله راجعاً إلى وجهات النظر الفردية .. على العكس من إلهام الله وهو الحق الذي لا جدال فيه . والفن الملهم هو باعث الحق في النفس ، والناس إذا أحسوا الحق لم ينكروه إلا كما ينكر المحروق مس النار .

ومع أن الفن للفن هو ما يسرع إلى أن يكون حرفة في الإسكندرية لإسراع الناس بها إلى العمل والإنتاج بحكم الطبيعة، فإنه لم يكن إلى اليوم فيها تجارة مثلما أصبح في القاهرة في أيدي إخواننا السوريين الذين تأصلت فيهم طبيعة التجارة منذ كان أجدادهم الفينيقيون يجوبون أوروبا في العالم القديم ووجدوا في القاهرة التجارة ميدانهم .. فأهل الإسكندرية صيادون يجبون ما يجود الله به عليهم من صيد أو من رزق، ولكنهم لا يستطيعون تعيين السمك ولا يستطيعون تعيين الفن، كما أنهم لا يعرفون الإعلان عن صيده إلا بعرضه، كما أنهم لا يعرفون مواسمه ولا ينظمونه، فالطبيعة هي التي توقته لهم وتنوعه، فأيام السعد لها سمك ولها فن، وأيام النحس لها سمك آخر ولها فن آخر، وما أكثر تقلبات البحر الذي يجود بالسمك! وما أكثر تقلبات الحياة التي تجود بالفن! وما أكثر تلون الظروف التي تجود بها بين السمك والفن.

أما القاهرة فكان من نتائج الاتجار بالفن فيها أن أصبح له أسواق منها شارع عماد الدين، كما أن المعروضات فيه أنواع منها شرع الموسيقى، والأصوات يتسلل إليها المعاصرة، ومنها دخل السمسرة وحل الزيف والتهريج الفنان لا صلة له بالفن وإن كانت له صلة بما هو دونه.

هذا هو ما يختص بظهور الفن في كل من الإسكندرية والقاهرة. فما هي طبيعته في الإسكندرية، وما هي طبيعته في القاهرة؟

طبع الفن في الإسكندرية يشبه طبعها، وطبع الفن في القاهرة يشبه طبعها، وأصدق الفن في الإسكندرية ما كان صدقاً، وأصدق الفن في القاهرة ما كان غشاً وكذباً!

الإسكندرية تنشر البحر في كتب الصخر ... وكل منها مكشوف وقضاياه. والقاهرة يحتضنها حول أسواره ما كان خالطتها صحراوية حالمة، وينكشف عنها هذا الزحم الثقيل الجاثم على صدرها وجبهتها.. فربما كانت تسمع وترى ومن!..

لقد طبع البحر الإسكندرية وأهلها وفنها. فالأدب فيها قد يغلب عليه أن يكون إعصاراً، فإن رق فهو إخلاص البحر واستسلامه على جبروته وعظمته، وللموسيقى فيها صفاء وصدق ما صفا، أو ثورة.. والرسم فيها هو هذا التصوير الذي تعرف البحر وطيبه وعمقه، والصيد ومراكبه وروحه، إلى غير ذلك مما في نشاط الإسكندرية، ونوعها ما تعرفه من غيرها.

وفي الإسكندرية فيه مسحة روح أوروبا أنقى لا تكاد تغفل منها، وذلك لاختلاط المصريين فيها بالأجانب اختلاطاً لا يشبه اختلاطهم بهم في القاهرة، فالأجانب في القاهرة يكادون يحصرون في أحياء خاصة بهم بيوتهم ومتاجرهم وملاهيهم، أما في الإسكندرية فهم منتشرون في أحياء جنباً لجنب مع الوطنيين، ويعاشرونهم كأنهم منهم، ولذا لا يشعر الأجنبي في الإسكندرية الغربة، كما أن الوطني لا يشعر فيها بمزاحمة الأجنبي. وهذا راجع إلى أن الإسكندرية تسع سكانها جميعاً بحسنها، وأنها تمدهم جميعاً بنوع واحد من الحياة يتعودون فيه مكانها. وقد يعجب القارئ إذا عرف أني حدث روسيا يلعن روسيا آخر ويلعن الثورة التي قذفت به في مصر، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا من وطني يغار على بلده ولا يريد أن يهان فيها إلا من هو جدير بالحياة فيها، ولا يحابي في هذا من كان من وطنه الأول أو من كان من أهل البلاد نفسها. والأجانب في الإسكندرية كثيرون، وهم كما يطبعون أرواحهم بطوابع سكانها، وإحساساتهم، فيأخذ منهم الوطنيون أنواعاً من أساليب التعبير الفني، كما يأخذون منهم أشياء زحفت منهم على المصريين وجعلت منهم.

هذا هو فن الإسكندرية

وأما فن القاهرة فأستره إرضاء القاهرة

عزيز أحمد فهمي

الكتاب الذي ...

الأستاذ النشاشيبي

وكتاب

الإسلام الصحيح

يطلب من مكتبة ...

ومن ... المكتبات ...

فلنستمر

خواطر الحرب — صوت الحرب يخنق سبيل الحروف ودوي المدافع — استكناه الذرة وطبيعة الإلكترونات — حتى نفكر في ميدان التجارب — نسبية ميكانيكا — إرهاصات العلم

للدكتور محمد محمود غالى

كنا نتابع قصة الخليقة ونذكر عمل الإنسان، ونستعرض الخطوات الكبرى التي تمت في السنوات الخمسين الأخيرة، وبدأنا هذا العمل في يناير الماضي بدء العام السابع للرسالة، وما نعد أنفسنا إلا في منتصف الطريق، مهمتنا أن نعرض على القارئ صوراً من المراحل المختلفة التي قطعتها العلوم، تلك المراحل التي فتحت مجال البحث وحددت حواشيه وحدوده، وانتهت به إلى النتيجة التي جعلت من الإنسان على مر الأيام موجوداً أرقى وشأناً أكبر. وقد تابع مقالاتنا عدد غير قليل من القراء ما زالت ترد رسائلهم من كل صوب.

وبينما نحن نتابع عملنا هذا العام يأبى إلا أن يغير مجرى الحياة الفكرية فيه، ويحولها من طريقها إلى آخر تكتنفه الآلام والمصائب، من اطمئنان وسلام، إلى حرب واصطدام، وما أكثر ما يُروّعنا فيها أن نخشى ويلاتها على اللاجئين من الأبرياء، وأن تهدم أسس الحضارة وتُدك صروح المدنية، ولكن هذا الشعور في هذه الأيام لم يكن يُقعدني عن مهمتي في الكتابة ويصدني عن عزمي في التأليف، فهذه النفوس الواجفة من شبح حرب مروعة، والأفكار المضطربة من صراع عنيف في حاجة من وقت إلى آخر أن نرفه عنها، ونسمو إلى تهذيبها ونبث روح السكينة فيها. لذلك أصررت على ذاتي أن أستمر في مهمتي العلمية حتى أساهم في الساعات التي أكتب كل أسبوع لقراء الرسالة في دفع كابوس الحرب الجاثم على العالم في هذه الآونة.

* * *

لعل القارئ يشعر معي أن هذه الحرب تعصف بأسبابها الآن في أنحاء العالم نرى لزاماً علينا إيصاد الأذهان عنها، وأن فكرة تعمل في طياتها الدمار والخراب وتغيير معالم الحضارة والعمران تسري الآن سريان النار في الهشيم، نرى لزاماً علينا أن نحصنها بكل عناية وأن نحميها بكل قوة.

إن الظلام حالك مظلم، والنجوم منتشرة في السماء وعلاه، والمشتري والمريخ يطلان علينا من عليا السماء، وكأن ما بينهما من علاقات فرضية تشاهد مأساة الإنسان التي بدأت تعرض دورها في كل الكواكب تصحب له ولا تقف على الأرض منها ألا يثنى الطمع وشره عجب! ألا لأن بعض شروط من معاهدة وضعها نفر من الساسة منذ عشرين عاماً ولا يريد هذا النفر تغييرها، ولأن غيره لا يروق بعض الزعماء تقع شعوب الأرض في حرب ضروس! ألا تنظر أخبراً من الأرض في عصر آخر تقضي الأمم بخصام وتأبى التفاهم وتعمل الحروب وسائل التهلكة وتُسخّر العلم عند الفشل في حل إشكالها، وتُساق إلى حيث لا تعرف المصير!

ولو أنه يتأتى من عهد أنه يصح في العالم حكم حيرى في الطمع، أو أننا مسوقون حقاً إلى عهد أسمى يتحول فيه الإنسان عهداً أرقى في الحضارة وأسمى في العدالة وأعظم في التقدم، عهداً لم يعهده من قبل، فرجاؤنا أن تغلب كل الغيوم على الصلاح وطرح الراحة، ويتطلب من كل إنسان أن ينقلب مجاهداً بين المجاهدين

أما والبشر يتقاتلون لغير غاية معلومة، أو مأرب معقول، فكل ما نتمناه أن تنحصر المكارثة وألا تطول هذه المحنة، وأن يتغلب حكم العقل على الهوى ويسود السلام مرفرفاً على الربوع والأمصار من جديد، وترى العلماء يتفرغون لاكتشافاتهم العلمية المجيدة، ومباحثهم الإنسانية وتسخير المختبرات لخير البشر ووسيلة للتعمير لا التخريب

هذا السلام كان الإنسان طرّاً، القليل قبل الغني، الضعيف قبل القوي، من أمنيتنا وله نعمل من قلوبنا، وها نحن أولاء نرقب موعده هذا السالم [illegible] ونتم القراء منه السلام حسب القسم الإنساني من هذا النشر، أما القسم العملي الذي يشغل الآن محل الحرب ويتسع إلى فريق من بني الإنسان فهو ما سيأخذ به العلماء في التوجيه

ورأينا وعدنا نعود الآن إلى الكتابة في الموضوعات التي سردنا فيها شرحاً فليس أحب إلى نفوسنا من المضي في سرد قصص العلم والعلماء دون تحيط بكل ما وصل إليه الإنسان الذكر من اكتشافات واختراع، ذلك لأن أسعد الساعات عندنا هي تلك التي نسطر فيها مفاخر الإنسان العاقل المفكر، وأعمال الرجل المكتشف العالم فيها بالتقاء خطوة أخرى إلى الأمام ونحن فيها كما يخلق بنا أن نخصها باسم العالم الذي هو بطلها فنسميها قصة « مليكان » A. Millikan

* * *

تكلمنا في مقالنا السابق عن الألكترون أصغر جزيء في الكهرباء أو وحدة الكهرباء السالبة ورفيقه البروتون الوحدة الموجبة، وهما النقيضان اللذان يلعبان دوراً هاماً في معرفة الكهربائية هي يتصلان اتصالاً وثيقاً عرفت في المادة وكل ما هو كائن، فالألكترون هما الجوهر الفرد نعرفه في المادة على أشكالها الثلاثة الغازية والسائلة والصلبة، فذرة غاز الهيدروجين وهو أخف ما نعرفه من العناصر تحوي نواة وسطى كالشمس يدور حولها إلكترون واحد ونعرف به عن سائر العناصر وذرة الماء مكونة من ذرتين من الهيدروجين السابق الذكر وذرة واحدة من غاز الأكسجين، وهذه الذرة الأخيرة مكونة من نواة وسطى يدور حولها ثمانية إلكترونات وهو الأمر أن العناصر والأولى العنصر السلب النبع الذي كان حجر الزاوية في اكتشاف عنصر [illegible] العجيب تتركب من عدة نوى يدور حول كل منها عدد معين من الألكترونات، ويبلغ مجموع إلكترونات هذه الذرة [illegible] وتسعين إلكتروناً أي أكثر من نصف ما يدور حول شمسنا من كواكب وأقمار[1]، فهي مهما تكن من الصغر عالم حقيقي يعد من الشموس وعدد من السيارات التي تجري في أفلاكها وكذلك عالمنا الشمسي، وما اختلاف العناصر إلا في اختلاف عدد الألكترونات التي تدور حول شموسها، واختلاف المسافات التي تبعد بها هذه الألكترونات عن الشموس، فحيث يتم هدم النواة وسطى، وطرد بعض الألكترونات المحيطة بها تحولاً في المادة وانتقالاً من عنصر إلى عنصر آخر يتعين بالعدد الجديد من هذه الألكترونات السابحة، وهذا ما استطاعه العلماء أخيراً بتحطيمهم « رذرفورد » الشهير ... في إنجلترا، والدوق موريس دي بروي في فرنسا، وبرايش في ألمانيا، والعالم الشاب فرمي في إيطاليا ... وهو ما سنبسط فيه عندما نتكلم عن التفتت الذري تحت تأثير الإشعاع

وإذا كان هذا الألكترون أصغر ما نعرفه من مادة ما وجود مادي، فهو أصغر ما نعرفه مما له وجود كهربائي، فهو المكون الأول للكهرباء، بل وجميع الألكترونات هي التي تحدث كل الظواهر الكهربائية التي أتم ما يعرفه الشخص غير المشتغل بهذه العلوم ظواهر الألكترونات المهاجرة التي عرفنا أنها مكون الأساس في من الراديو بل الأساس في كل الكهرباء اللاسلكية منها، والسلكية، والتي يهاجر منها عند المخاطبات التلفونية أو الإذاعة اللاسلكية ملايين الملايين في كل واحد من عشرة آلاف من الثانية، حتماً تشترى من التاجر بعضة أمتار من

(1) تدور حول الشمس تسعة سيارات هي السيارات أو الكواكب ومن جانب قرب إلى الشمس عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتون ولمعه عن عدد [illegible] الكويكب ٢٨ قرأ سبيل أن نعمله عند ما يتم كل سيار من أقمار في مقال لنا بالرسالة — « أرض غير الأرض بحياة وسكان » عدد ٢٩٣ — ٦ فبراير سنة ٩٣٩ ص ٢٢٦

السلك لتوصيل جرس كهربائي في مكتبك، فإنك تشتري طريقاً مائلاً تعبره بلايين الملايين من الجسيمات الصغيرة التي أطلقنا عليها الإلكترونات، وهي التي عمل العالم مليكان بجرأة أحدها والتي تسري في السلك من طرف إلى طرف. وعندما تشتري من التاجر ذاته مصباحاً — أي مصباحاً للراديو — من هذه المصابيح الخاصة التي منها الثلاثي الأقطاب « تريود Triode » أو خماسي الأقطاب بنتود Pentode والتي تسمى الصمامات الحديثة في تقديمها إليك حل مصباح بالي، فإنك تشتري في الواقع مكاناً صالحاً لإحداث هذه الإلكترونات التي تهاجر بين الكاثود Cathode القطب السالب والأنود Anode القطب الموجب بعدد لا يمكن أن يتصوره العقل

* * *

ترى كيف يمكن العثور على جسيم مادي يطلق به أحد هذه الموجودات الدقيقة التي تعد أصغر ما نعرفه من الكون[1]؟ كيف يتسنى لنا أن نستوثق من ذلك! بل كيف يتسنى لنا أن نزن ونفحص الجسم الحامل لأحد هذه الإلكترونات فوق إرادتنا؟ وكيف نعلم عن اليقين أنه حمل إلكتروناً حقيقياً كما نعلم أن سيارة تنساب في الشارع بسرعة معينة تحمل السائق ولا تحمل غيره من الركاب؟

لقد أمكن للأستاذ الكبير مليكان Robert Andrews Millikan أن يقوم بتجارب دقيقة حصل منها على إلكترون حر واحد، وتبقى في نص العلماء مسألة هل الذي حصل عليه مليكان في تجاربه هو إلكترون حر واحد. وسأشرح للقراء تجربة مليكان وهي جهة أحاول تبسيطها للقارئ رغم صعوبتها. وأمامي الآن المذكرات الصحيحة التي نشرها الأستاذ مليكان، وأولها نشرة التي قدمها لمؤتمر عقد في وينبيج Winnipeg في أغسطس سنة ١٩٠٩ أي منذ ثلاثين عاماً، والمذكرة الإضافية التي ظهرت خلاصتها في المجلة الطبيعية Physical Review في نفس السنة، ثم نشره التي ظهرت في السنة التي تليها في المجلة الفلسفية Philosophical Magazine، كذلك أمامي كتاب « الإلكترون[1] L'Electron ». ولقد قابلنا هذا العالم في سنة ١٩٢٨ عندما أتيحت لنا فرصة الاشتغال بالأبحاث الطبيعية في معامل البحث العمومي بباريس، وعندئذ أعيد مطالعته كما أعيد مراجعة الكتاب المتقدم نستطيع أن نحدث قراء (الرسالة) عن علم، ونصف تجارب مليكان بأمانة، تلك التجارب التي مهدت لها أعمال كثير من الباحثين أمثال تونسند Townsend[2] وولسون T. R. Wilson[3] وتومسون[4] J. J. Thomson وهم من أعلام معمل كافندش الشهير الذي يكون جزءاً من جامعة كمبردج المعروفة

وغني عن البيان أننا سوف لا ننقل للقارئ خلاصة هذه النشرات العديدة التي تروى في تاريخ العلم والتي عدها الكثير من العارفين خطوة موفقة من أكبر مفاخر العلم الحديث، فليس المجال هنا أن نلخص مسائل علمية بهذه الطول في غاصيتها من الموضوعات الفنية التي لا تروى غير المتخصص، وإنما غايتنا أن نعرض على القارئ صورة سهلة واضحة هي تلك التي تبقى في الذهن بعد طول المطالعة وتمثل حقيقة هذه الأسطورة التي تعد من أعظم ما نعرفه في العلم التجريبي وتوضح هذه الفكرة التي حاولنا إيجادها في يوم لا زال عهدنا به قريباً

* * *

وموعدي إذن مع القارئ الأسبوع القادم إذ احتاج إلى بضعة أيام مراجعة أعمال هي عندي مثل الإنسان الراقي لا أحمل

(١) لاحظنا أن ذرة الهيدروجين تكبر الإلكترون حوالي ألفي مرة، ولأنها مع ذلك من الصغر بحيث لو كرة من النحاس قطرها حوالي ٢ سم، ثم تكبر ذرة الهيدروجين بقدر ما تكبر الكرة الأرضية عن الكرة النحاسية الصغيرة

(٢) المجلة الفلسفية (Phil. mag.) فبراير سنة ١٩١١ ص ...

(١) كتاب الإلكترون L'Electron تأليف مليكان، وجد القارئ النسخة الإنجليزية في معظم المكاتب الأوروبية والترجمة الفرنسية في مجموعة أميل بوريل Emile Borel الطابع فيليكس ألكان Felix Alcan وموجودة في مكاتب باريس والمكاتب المصرية والعمومية

(٢) مذكرات الجمعية الفلسفية بكمبردج في ٨ فبراير سنة ١٨٩٧ ونشرت الجمعية الفلسفية Proceedings المجلد ٩ سنة ١٨٩٧ ص ٢٤٤

(٣) محاضر الجمعية الفلسفية بكمبردج Proc. Camb. Phil. Soc المجلد التاسع سنة ١٨٩٧ ص ٣٣٣

(٤) المجلة الفلسفية Phil. mag المجلد ٤٦ سنة ١٨٩٨ ص ٥٢٨

الإنسان المتوحش. ولشد ما يلذ على النفس ويروّح من الأعصاب عندما تنصرف بالكتب إلى أعمال هؤلاء الأعلام، وثمة فرق كبير بين ما ينتشر في أعماقنا حيال مجهوداتهم وبين ما نلحظه في مجهودات هؤلاء المتقاتلين، مهما كان السبب الذي يتذرعون من أجله. ما أكثر مصائب الحوادث هذه الأيام! كل أسبوع تدخل فيه أمة في الحرب، ويخيل إليّ أن سبعة أيام [illegible] فترة طويلة في هذا الزمن الكثير المفاجآت، فإذا لم يأتنا من هنا طرف جديد!؟ وإنما ظل السلام مخيّماً على ربوع مصر والبلاد الشرقية ناشراً لواءه على ذلك السكون الرائع في هذه الحرب الهادئة بين الشعبين، وإنما ظل النيل السعيد [illegible] من هذا السكون، وظلت الصور حية كعهدنا بها، وظلت الشمس تشرق على الربوع وتطلب لنا رؤية أطفالنا هانئين مرحين، ولم تلجئنا الظروف إلى أن نبعث بهم إلى الريف البعيد — فإلى نشيط أوقات فراغي هذا الأسبوع لقارئ الرسالة وأحدثه في المرة القادمة عن [illegible] وعن هذه الأسطورة العلمية، وبذلك [illegible] هؤلاء العلماء الذين نهتم بهم ويشهد من ذكرهم.

عندما يطالع العقل العمل الذي قام به هؤلاء الأعلام ويطالع بعد ذلك أخبار الفواجع التي تنشرها الجرائد وتبثها إلينا محطات الإذاعة المختلفة أشعر براحة في الأولى واشمئزاز في الثانية.

فإلى اللقاء في هذه الأيام العصيبة تقص لك عنها أحب صورها [illegible] إيماننا وإيمانك بمستقبل الإنسانية ومبادئ السلام والعدل. ومتى [illegible] الأيام، فإني [illegible]، وأظل أكتب إليك

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

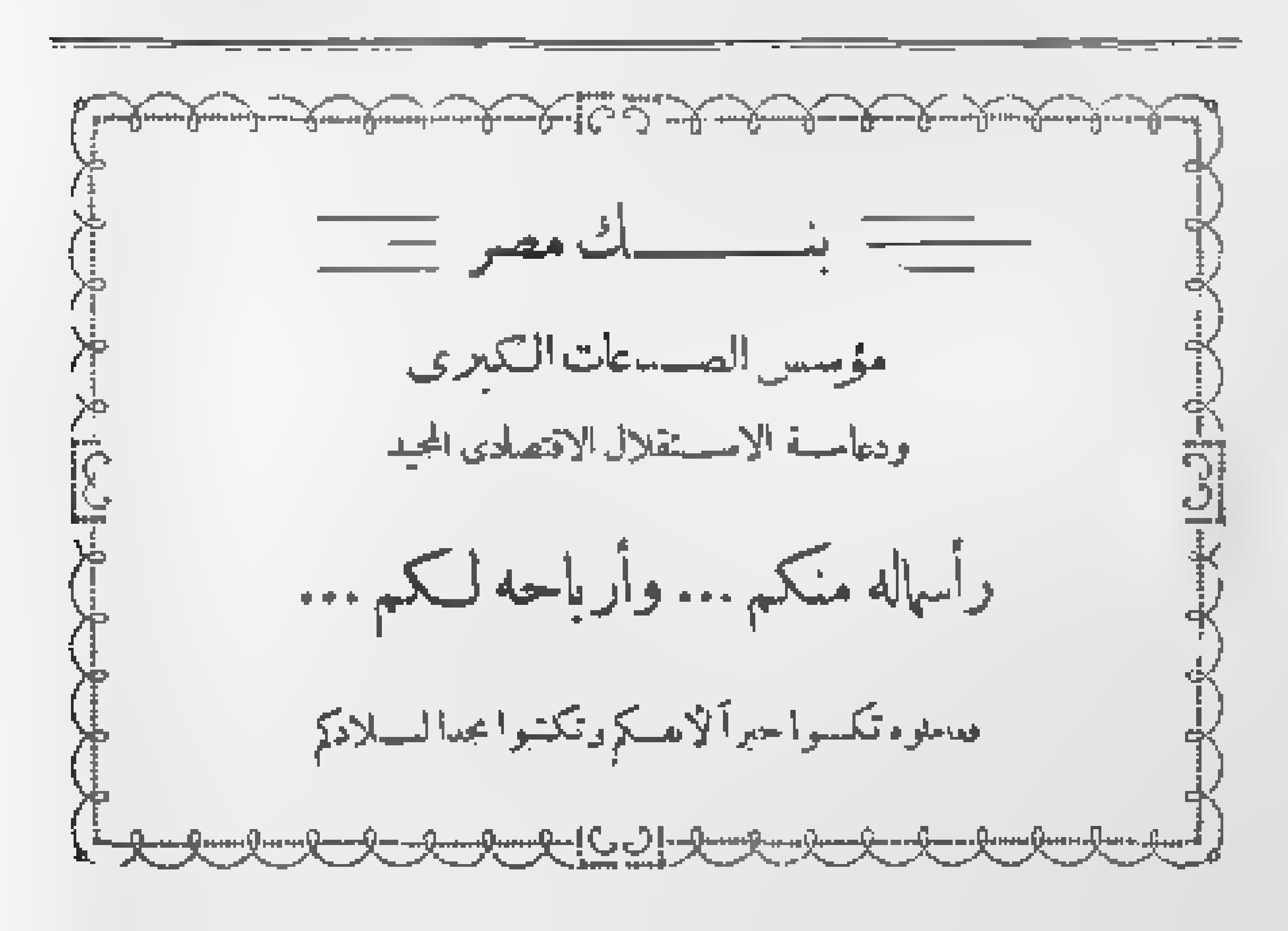

من هنا ومن هناك

حلم ألمانيا

[عن « هاربر مجازين »]

قال هتلر في بعض أحاديثه : « إن حربنا القادمة ستكون كالنور ينتشر في الظلام » . وقال جورنج وهو منظم الطيران الألماني في أزمة سبتمبر للصحفيين : « أنتم معشر الألمان تعرفون أن قوة الطيران الألماني التي لا نظير لها كانت على أتم استعداد . وكل واحدة كانت كافية لإشعال طوفان من النيران يبلغ حصونهم ، وما هي إلا ضربة مفاجئة ، ولكنها ضربة قاضية لا تبقي منهم باقية »

ولا شك أن ألمانيا وضعت آمالاً كبيرة في طيرانها ، وتعرف كثيراً شرها الحربية . وقد آن ذلك للغرور أن يلعب دوراً خطيراً في وضعها ، على يد الرايخ

فقد وضع النازي كل همهم في كسب حرب سريعة خاطفة بواسطة الطيارات والمصفحات الحربية (الدبابات) والغواصات

ويطلب مطالبون النصر للمحور في تلك الحرب السريعة وستبدأ هذه الحرب - كما يؤملون - بهجوم جوي عنيف تشترك فيه جميع قوات الطيران الألماني والإيطالي والياباني - إذ ينصب - على مواطن البحرية البريطانية والفرنسية في مختلف جهاتها ، حتى يقضي ذلك على السلاح الذي يجعل الدولتين البحريتين السلطة والنفوذ في العالم . وفي أثناء هذه الغارة الجوية تنتشر الغواصات الألمانية في كل مكان ، ويحصل الهجوم على المطارات البريطانية والفرنسية ومراكز القوة ، ومصانع الأسلحة ، والمواطن الآهلة بالسكان . ويتبع ذلك الغزو من طريق الجو ، بهجوم عنيف على الأراضي الفرنسية من الناحية الغربية في كل موضع وكل مكان .

ولكن هل من الممكن أن يهزم أسطول حربي عظيم بواسطة الطيارات ؟ لقد برهنت التجارب الحديثة على أن المدافع المضادة للطيارات تقوم بعملها في مطاردة الطيارات على أكمل وجه . وقد أرسلت انجلترا حديثاً طرازاً حربياً للمساعدة في مكافحة الطيارات وليس لهذه الطيارات القوية على ... هل أن الأسطول البريطاني عجز بقوة من سلاح الطيران مدة الحرب في كل وقت . هل من المعقول أن تغرق جميع السفن البريطانية والفرنسية في غزوة خاطفة تعقد آمال ألمانيا ومن يحالفها من ذلك الوهم السخيف الذي يجرهم إلى اليأس ؟

إن قوة البحرية الألمانية ضعيفة جداً بالنسبة للقوتين الإنجليزية والفرنسية . وقد دلت مثل هذه التجربة على أنها كانت واهمة ، وأن القوة البحرية ما زالت تلعب دورها التقليدي في الحروب ، وأن مركزها البحري سينتهي إلى اليأس الحق

لقد مر ... تلك الغزوة الجوية في ... ١٦ مارس ١٩٣٨ عند ما استمرت قوة الطيران الإيطالية المرابطة في ما جورقة تلقي عليها وابلاً من القذائف ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وكانت طياراتها تحمل أثقل أنواع القذائف وتلقي بها على تلك المدينة التي يسكنها مليونان من الأنفس ، فماذا كان تأثيرها ؟ لقد قتل في تلك الغارة ثلاثة أنفس ، ولم تنقطع حركة العمل بالمدينة ، بل لقد ظلت دور السينما مفتوحة الأبواب للرائدين .

حلم ألمانيا بحرب جوية سريعة حلم خلاب ولكنه بعيد عن التحقيق

النازي ووظيفة المرأة

[عن مجلة « تاهين » استوكهلم]

قبل أن يستولي النازي على زمام الأمور في ألمانيا كان زعماؤه ... الآن ، وقد ذكر بعضهم على سبيل المثال « كنبو جوبلز » : « إن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل ، وعليها وأعمالها حمل الأطفال والعناية بزوجها وبيتها » . وذكر « ألفرد روزنبرج » في الكتاب الذي أخرجه تحت عنوان (خرافة القرن العشرين) حديثاً عن المرأة قال فيه : « إن تحرير المرأة في الدولة يعمل في حياته أسباب سقوطها ، وكما أن اليهود في أنحاء العالم يدعون إلى المساواة ، ولا ... في ... إلا ...

منفعة لأنفسهم ، فالمرأة التي تطالب بالحرية لا تطلب المساواة في الحقوق كما قد يتراءى ، ولكنها تنشد الصعود على جثة الرجل

وفي اجتماع النازي عام ١٩٣٤ قال هتلر نفسه في حديث موجه إلى النساء والفتيات من حزبه : « إن الرجل عالمه الدولة والكفاح ؛ أما المرأة فعالمها بيتها وأسرتها وأطفالها »

إلا أن هذه الكلمات وما تبعها من الأعمال لم يكن المقصود بها طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة كما قد يبدو ، ولكنها كانت موجهة مخصوصة لمحاربة البطالة ، إذ ما كادت تنصرم تلك الأيام حتى تغيرت الفكرة من الناحيتين النظرية والعملية فلم نعد نسمع أو نقرأ في ألمانيا كلمة واحدة عن الأمومة وطبيعة المرأة

لقد كانت النساء يفصلن من أعمالهن طوائف في المدة من سنة ١٩٣١ — ١٩٣٥ بغير رحمة ولا شفقة ، والآن أصبحنا نراهن يسقن إلى تلك الأعمال بالطريقة نفسها . فالنظرية الشائعة في ألمانيا الآن هي نظرية الحرب وحاجة الحرب ، سواء كانت طبيعة المرأة تدعوها إلى ملازمة البيت أولا ، فإن النظام القائم يدعو النساء إلى أن يحللن محل الرجال في أعمالهم التي تقتضي استخدامهم في الأعمال الحربية ، سواء أكانوا مطلوبين للخدمة العسكرية أو للعمل في صناعة السلاح تلك الزيادة التي لا تقف عند حد

وفي ألمانيا الآن كثير من النساء يشتغلن بالأعمال الزراعية الشاقة ، حيث يسقن إليها مضطرات بين الضعف والفقر تحت أحكام قانون الرق . ومما يدعو إلى العجب أن بعض هؤلاء النسوة كن يطردن من أعمالهن التي يكسبن منها الرزق بحجة أنهن يدعين بدعوى المرأة ، هن في عهد هؤلاء الذين يدفعونهن إلى الأعمال الشاقة بغير عذر ولا رحمة

كل هذا يحدث في ألمانيا باسم الحرب والتأهب لها . فالنساء والرجال في ألمانيا ينقلون قسراً وشدة ، ويفصلون من أعمالهم ووظائفهم التي سموها وأحرزوها بحسب السن والنجاح ؛ ليلحقوا ببعض الأعمال الخاصة بالتسليح والتأهب الحربي ولا عبرة بما يقال عن إرهاق المرأة وتحميلها ما لا تطيق

وكما قالت جريدة « أنجريف » في يونية سنة ١٩٣٨ ، وعلى لسان محررها الدكتور جوبلز : « يجب أن تشتغل النساء الآن مع الرجال في أعمالهم ، فجسم المرأة مطالب بأن يؤدي القوة العمل التي يؤديه جسم الرجل » . ولا فرق بين الرجل والمرأة في ألمانيا إلا في أن المرأة تتقاضى ٤٠ ٪ من الأجر الذي يتقاضاه الرجل .

الساعة الرهيبة في آسيا

[عن مقال بقلم [illegible]]

نحن نخسر كثيراً من المواقع الحربية — ولكننا ولا شك سنكسب الحرب . هذه كلمة قالها أحد ضباط الصين في العام الحاضر ؛ وهي كما نعلم كلمة كثيرة التفاؤل ، ولكننا نعيش اليوم في عالم عجب ، فالنصر اليوم لا يعني النجاح ، والتقهقر لا يعني الهزيمة وقد يكون اللاشيء معناه الكثرة وكل شيء قد لا يدل على شيء ؛ فالكلمات تفقد معناها على مر السنين والأيام ، حيث تتركها مشوهة مجروحة

ونحن في الصين بعد أن خسرنا عدة مواقع ما زلنا نحس الانتصار على مقربة منا كأننا لم نصادف في هذه الحرب غير النجاح

ولكن هل يبقى العالم مشدوه الجبين أمام هذه الحالة التي تعانيها الصين منذ سنين ؟ هل ينتظر حتى يفنى أبطال الصين على بكرة أبيهم في ميدان الحروب ثم يفتح عينيه فيرى العالم كله على أبواب خطر جسيم ؟ لقد أفنت الحرب ملايين من أبناء الصين ولم يفطن أحد إلى تلك المأساة التي يعيشوا في سبيلها

فالحرب اليابانية كما هي اليوم ليست إلا منافسة كبيرة بين اليابان التي تعد نفسها دولة أوربية وبين القارة الغربية

وقد كان في وسع أوربا أن تمنع تلك الحرب الآسيوية التي تنذرها بأشد الأخطار منذ اللحظة التي نشبت فيها بدلاً من تشجيعها وتقديم الوقود لإشعال نيرانها

لقد كان هذا في الإمكان بل لقد كان أمراً سهل الوقوع ؛ فكلمة واحدة كانت كافية لإنهاء كل شيء . ولكن أوربا لم تدرك عواقب أنه متى أذنت الساعة الرهيبة فقد فقدت مراكزها في آسيا

إن الصين لا تستطيع أن تميز بين المبادئ المتقاتلين في أوربا ، ولكنها تستطيع أن تقول اليوم إن أوربا إذا فقدت مراكزها في آسيا لن تستطيع أن تستعيدها مرة أخرى

إن الصين تكافح في حرب غير متكافئة . وهي وإن كانت لا تزال متمسكة بجامعتها القومية ، فقد فقدت كثيراً من مدنها الجميلة ، تلك المدن التي تدين لأوربا في أعظمها ومظاهرها في أيدي الأعداء

إننا ما زلنا نؤمل في أوربا أن تفطن إلى حقيقة الوضع وهي تستطيع أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ الشرق مما يعانيه

إلى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

السلام عليك ورحمة الله ، وليس يعيب الرجل أن يروي خبراً عمن يظن به الثقة إذ الخبر غير صحيح ؛ ولا يعيبه أن يبني بناءه على هذا الخبر ويلوم ، وأن يشتد في النقد والملام ؛ وليس يعيب الرجل الفاضل أن يسرع إلى بيان الحق حين عرفه ، بل الذي يعيبه ويضع من قدره ألا يفعل ؛ وهذه الخلة مع الأسف الخلق شائعة في كثير من كتابنا ، تأبى عليهم كبرياؤهم وتعاظمهم أن يرجعوا عما صدر منهم ولو إلى الحق الصريح

ولولا ما أعرف ما أعرف من نزاهة قصدك وسعة صدرك وتمكنك من نفسك وصدقك مع الحق ، لما حدثتك في شأن ما كتبت من كتاب حضرة الدكتور أحمد عيسى بك ، ولا أخذتك على ما هو مسطر في الوثائق الرسمية

فالحمد لله الذي لم يخيب ظني ولم يخيب رجائي

وإني أدعو الله مخلصاً أن يكثر بين خدمة من أمثالك ، ولا أقول إني أسأل الله شططاً ، وأستغفر الله ، فإني مؤمن بأن الله على كل شيء قدير

والسلام عليك ولك الشكر أبلغ الشكر لك

عبد العزيز البشري

لكل سؤال ما شئت جواب

١ — اهتم الأستاذ محمود علي قراعة بشرح آراء العلماء في نعيم الجنة ولم يعنه أن يحاول إقناع الأستاذين داود حمدان ومحمد علي حسنين بأن نعيم الجنة تغلب عليه النزعة الروحية

وقد كان الأستاذ قراعة في غنى عن البحث ، فقد رجع بالفعل عن رأيه الأول الذي صرح فيه بأن نعيم الجنة روحي صرف وأن ما جاء في القرآن من أوصاف النعيم المحسوس ليس إلا رموزاً وإشارات

ونحن لم ننكر أن الجنة فيها نعيم روحي بجانب النعيم الحسي ، وإنما أنكرنا أن تؤول نصوص القرآن تأويلاً تنكره أصول الشرع الشريف

والآن وقد اعترف الأستاذ صراحة بأن القرآن يشهد حقاً بأن المؤمنين سيكون لهم في الجنة « أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » الآن وقد اعترف بذلك هل يسمح لنا بأن نحكم على الآثار التي حدثت عن هذه الطيبات بعد من إنكار النعيم الذي ينكره الأستاذ أحمد أمين ؟

٢ — يخاف الأستاذ الطنطاوي ويخالفنا في مجاولتنا التي هي أشبع ؛ ويشاء له أدبه أن يقول إننا غير متمكنين من علوم الدين ، كأنه صغير من علماء العصر والأوان ، ويقول إنه يدعو الطلبة ... شيخ عبد الله وتوجيه صريح من علوم الدين أصحاب ما يعرف الذين يدعوهم الفكر المنسوب إلى محاولتنا في شؤون الدين وهم لا يعرفون من أصوله بعض ما نعرف

٣ — قدم إلينا الأستاذ علي الطنطاوي أربعة أسئلة وهو منتظر الأجوبة

وكنت أحب أن أسارع إلى إجابته ، ولكني رأيت أن الأسئلة التي ساقها قد تعرض القراء لفتنة شديدة إن استمعت الإجابة بلا تروٍّ وبلا رعاية للمأثور من الأفكار الدينية

وهو بعد قال : إن مسألة اليوم مسألة لا تمس جوهر الدين ؛ فيترك هذه القضية إلى اليوم الذي نعرض فيه لشؤون تمس جوهر الدين

وأنا لا أقول أن تسمع قولي ، ولكني لا أمل من التأسي بالحكمة التي تقول : أترك الشر ما تركك

وهل فكرت أنا من صف رجال الدين حتى تتطوع لتحريكهم يا سيد طنطاوي ؟

على أني أقول بصراحة إني أسمع كل شيء في القرآن مهما تقدم العهد عليه. ومن حقي شرعاً أن أنظر في القرآن نفسه دون اعتماد على أقوال المفسرين، لأني مسئول رأساً أمام الله لا أمام الناس. وليس لأحد أن يطالبني بأن أومن كما آمن [illegible] ومن صحبنا لله الحق إلا مواجهة السائد من بصيرة ويقين؟ إني راضٍ عن طريقي في درس الشؤون الدينية، والاحتكام في فهم الكتاب والسنة إلى المنطق والعقل، فليقل من شاء ما شاء، والله أعصم من كيد الكائدين

زكي مبارك

عود إلى اقتباس الكاتب

يذكر قارئ هذا الباب من الرسالة أني أخذت على الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم اقتباسه بعض ما جرى على قلمي في حديث الأربعاء مسخاً ونسخاً (راجع الرسالة رقم ٣٦٢ ص ١٢٧٩) وقد عزّ على المقتبس أن ينكر ذلك، فقال يعتذر: «إني حين أكتب بالعربية فأنا أكثر تصفحاً للكتب الأجنبية، ومن هنا بعض ما يجيء على قلمي من التعابير الخاصة لكتاب اليوم مستعاراً للنص الذي في دمشق...» (الرسالة رقم ٣٦٣ ص ١٣٣٦)

والحق أن الأستاذ أدهم يختلس للمعنى فضلاً عن اللفظ. ومن مختلساته الأخيرة أنه أغار على نقدي لكتاب صديقي محمود تيمور وعنوانه «فرعون الصغير» فقد كتبت في مقتطف يوليه الأخير (ص ٢٥٢ أول باب المكتبة) «في فرعون الصغير تنعكس ظلال الواقعية بحيث لا تغلب على بعض القصص مدخلها ومخرجها. في القصة الأولى وعنوانها «فرعون الصغير» يشغل الخيال المكان الأول حتى إنه يرد القصة إلى لون معروف هو اللون التخييلي Romanesque، وفي قصة «الشيخ المجالد» يسطو اللون الباطني المستمد من علم النفس الفرويدي Freudisme على المجرى الواقعي للحوادث والأحوال» ثم كتبت: «وهذه المجموعة من الأقاصيص تأخذ طريقة الأستاذ محمود تيمور، على ما يبدو للناقد، في جهة جديدة. وذلك أن تيمور كان منصرفاً إلى الطريقة الواقعية»

وإليك الآن ما نشره الأستاذ أدهم في الرسالة (العدد ٣٦٩ ص ١٦٢١ و ١٦٢٢) «... وأقصوصة فرعون الصغير يغلب عليها اللون التخييلي Romanische من حيث يتيح [illegible] للأقصوصة لون الخيال. وفي الأقصوصة الثانية وهي «مريم» نجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصته على أساس من تحليل العواطف. ويغلب اللون الباطني، وإن كان خفياً في هذه الأقصوصة، فهو يعود إلى علم النفس الحديث، والتأثر الفرويدية Freudisme واضح فيها» (ص ١٦٢٢ ع ١ س ٩ — ١٢ ، ٢٠ — ٢٥). ثم كتب: «وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخييل من جهة والنفسية من جهة أخرى أخذت تطغى على الروح الواقعية، ويمكن القول أن موقف وجهة التطور عند تيمور بك طبيعي...» (ص ١٦٢٢ ع ٢ س ٣ — ٦)

ذلك ما جاء على قلمي في أول يونية وما جرى به قلم أدهم في الرابع عشر من أغسطس، والموازنة ميسورة للقارئ.

على أني أظن أن صنعة المقتبس حدثته بأن يحيد عن الأصل [illegible] ألا تراه ينسب «اللون الباطني» الذي أنسبه في قصة «الشيخ المجالد» إلى قصة «مريم»؟ ثم ألا تراه يؤثر الكلمة الألمانية Romanische بإزاء التعبير العربي «اللون التخييلي» في حين حملت إزاءه كلمة Romanesque؟ ولكن المقتبس أراد أن يستر طرفاً من اقتباسه فيأتي بشيء من عنده، شأنه مع حديثي في الرسالة، إذ كتب: «نوابغ النفس ودوافعها» وفي الأصل «النوازع والبواعث» فأجرى النوابغ مجرى النوازع (راجع الرسالة رقم ٣١٤ ص ١٦٧٢). وكما أنه مسخ هذا التعبير من قبل كذلك مسخ نقدي لفرعون الصغير.

وبيان ذلك أن قصة «مريم» لا شأن لها باللون الباطني. وأغرب من هذا استبدال الكلمة الألمانية Romanische بالكلمة الفرنسية Romanesque الواردة في نقدي. ذلك أن الكلمة التي تنظر إلى Romanesque في اللغة الألمانية هي Romanhaft. وأما *Romanische* التي أتى بها المقتبس فتدل على شيء آخر. وحسبك أن تعرف أنها تقع صفة للغات المتحدرة

من اللاتينية كالإيطالية والبرتغالية والرومانية ، وصفة لنمط العمارة في البلدان اللاتينية من القرن العاشر إلى الثاني عشر .

والآن دعني أقص عليك كيف ورد هذا القص هنا ، والقصة مضحكة ، والضحك في هذه الأيام السود من نعم الله

قرأ القصص في المقتطف كلمة Romanesque بإزاء هذا التعبير « اللون التصويري » ، فقال في نفسه : أعثر على التعبير العربي ، لأن العربية ليست لغتي الأصلية وفي ذلك معذرة ، ولكن أجهل الكلمة الفرنسية . وإذ القصص لا يعرف من الفرنسية إلا الشيء القليل كما يُنشر في الرسالة (رقم ٣١٤) والمقتطف (أغسطس ١٩٣٩) طلب معنى الكلمة الفرنسية في معجم العطري ، فلما رأى أن الكلمة بمعنى واحد من النعتين لأن أحدهما واحد منهما . ولكن كيف يأتي القصص بشيء من عنده وهذه الكلمتين واحد ؟ فتحول بعد إلى اللغة الإنكليزية وطلب في معجم من معاجمها ، فنظر إلى الكلمة الإنكليزية Romanesque فصحف به كلمة Romanische وذلك لأن Romanesque الإنكليزية تجمع بين معنى صفة نمط العمارة المذكور فوق هذا الكلام ، واللغات المتفرعة من اللاتينية

بشر فارس

بين الدكتورين بشر وأدهم

أرسل إلينا منذ أسبوعين الدكتور إسماعيل أدهم رداً مسهباً على الدكتور بشر فارس حمله فضل المقال فيما شجر بينهما من خلاف ، ولعلنا نستطيع أن ننشر شيئاً منه في العدد المقبل .

حول الشراة

جاء في الرسالة عدد ٣١٨ في (خليل مردم بك) للأستاذ [illegible] هذه الكلمة

« ولولا أن يتعصب أو أن يثور علينا صاحبنا الأستاذ أبو إسحق الطفيشي نزيل القاهرة ، وهو من علماء إخواننا الإباضية وفضلائهم ، لنشرنا عن (الشراة) فصولاً ، ولعرضنا (مقالاتهم) الخارجية بمقالات في (الرسالة الغراء) ملاحظات »

أيها الأستاذ الجليل [illegible] إني أربأ بك [illegible] ما تصفونه بما يصف أستاذ أو صاحب رحل يصح للمؤرخين والنقد [illegible] يستطيعون تسجيل شاعر على شاعر ناظم أو اعتقاد [illegible] إلى قوم من الأمة له عقيدة وصاحبه الديوان على [illegible] معتقد ؟ سامح الله الأستاذ زكي مبارك فقد رام جميع أصدقائه لقولة من جراها أو فكرة يعتقد صوابها ، فأراك كيف تنهد الصداقات وتتصادم مع الرجال بحسب الحقائق

أنا أعتقد أن الأستاذ أبا إسحق لن يعيبه ما تكتبه ، كما أعتقد أنه سيرد عليك إن تنكبت السبيل السوي

إن الأستاذ إبراهيم أطفيش كغيره من الإباضية لا يتعصبون لرجال أو طوائف على فلان وفلان ، وإنما يتعصبون للحق ويدورون مع إمام أو طائفة ، فإذا اتبعوا مذهباً أو أحبوا قول إمام فلأنهم درسوه فوجدوه صحيحاً فاتبعوه . ولو أنهم رأوا اليوم خلاف ما يصيرون إليه لتبعوه ورجعوا إلى الحق . ولا تخش أن تلاقي منهم عناداً ومكابرة ؛ وإنما متى بحثت بالحجة تجدهم لك أطوع من البنان

فأقدم أيها الأستاذ على عملك ، ولا تخش عتباً ، ما دمت مع الحقيقة والواقع

الشراة - يا أستاذ - طائفة من الناس عمروا العالم ودوخوا الدنيا وملأوا كتب التاريخ ولم تعرف حقيقة القوم منهم إلى اليوم . ولقد يسرنا جداً أن تكتب عنهم مقالات ملاحظات تظهر ما لهم من أمرهم وما من حكمهم وشيء من عقائدهم ، فتكون بذلك من المحسنين إلى التاريخ والحقيقة ، ومن المحسنين إلى الشراة وأتباع الشراة

ولقد يسرون - وهم في الأجداث - بما تكتبونه لأنكم تطلبون حقاً - وقد كان شعارهم طلب الحق ؛ فمن [illegible] أحد منهم إليهم [illegible] جيلاً تطوق به الأعناق إلى يوم يحاسب على الجليل و (لا حكم إلا لله) . وهل أجمل من إصدار حكمك [illegible] وعرضه (مقالات خارجية) منذ ثلاثة عشر قرناً ؟

أراني قد أطلت وعرفت [illegible] إلى [illegible] من [illegible] !

هل تسمحون أن أطلب إليكم بعد إذنكم ، فتطالعوا رغبة في معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أصحاب الحق مما يدل على عظم اطلاعكم وحسن تحقيقكم .. وتقبلوا خالص تحياتي

الزارة (عمون الجزائر) علي محمد الطرابلسي

برنامج وزير الشئون الاجتماعية

وافى حضرة صاحب المعالي الأستاذ عبد السلام الشاذلي باشا وزير الشئون الاجتماعية على وضع هذه الوزارة ، وهي مذيع نصه الكامل ميزاً بين الأهالي الذين بين يدي برنامج الرسالة وهو :

١ — وضع تشريع لإنشاء البغاء ومحاربة الدعارة السرية

٢ — العمل على إنقاذ الفلاح وإسعافه من طريق التعاون الإجباري وإنشاء بنك التعاون المركزي

٣ — وضع تشريع لحماية الطفولة المشردة يراعى فيه سلب الولاية من الآباء غير الصالحين الإشراف على أولادهم

٤ — وضع تشريع لتحديد النسل وذلك بوضع رقابة تامة على الحالة الصحية للأزواج قبل عقد الزواج ليمكن العمل على إعداد جيل قوي شديد

٥ — وضع تشريع لمنع الأطفال والشباب إلى سن معينة من التردد على السينما إلا في حالة عرض أفلام تعليمية تهذيبية أو أفلام خلقية مما يؤثر تأثيراً حسناً في الأخلاق ومنعهم من ارتياد محلات الخمور وصالات الملاهي وأمكنة القمار وتعاطيها

٦ — وضع تشريع لمقاومة التسول والقضاء على أسبابه

٧ — الانتفاع الكامل بالإذاعة والعناية بنشرها في القرى لكي تتصل الحكومة بالفلاحين اتصالاً مباشراً وذلك بأن يخصص لهم برنامج خاص يبدأ بالقرآن الكريم ثم يسمع صحية ودينية وأخلاقية واجتماعية ، وكذلك بعض أسباب التسلية التي تسري عنهم وتتفق مع حالهم

٨ — العمل على توحيد موارد الإحسان جمعها وتوجيهها الوجهة النافعة ، وتنظيم الجمعيات الخيرية والاجتماعية بما يكفل إنعاشها وتقدمها وتوجيهها الوجهات التي تحقق حاجة البلاد الاجتماعية

٩ — محاربة البطالة وتوجيه الشباب إلى العمل الحر وتحسين حالة العمال وتنظيم شؤونهم ورفع مستوى معيشتهم

١٠ — بحث حالة المسجونين وتوجيه تعليمهم توجيهاً اجتماعياً صحيحاً ، واستخدام المسجونين في أعمال التعمير كإصلاح الأراضي الحكومية والعمل على عدم عودتهم للإجرام وذلك بمعاونتهم بعد انتهاء مدة العقوبة على كسب عيشهم من طريق شريف

١١ — توجيه الشعب توجيهاً يخدم وحدة البلاد وتمكين روح الإخلاص والتضحية للوطن والعرش والعمل على سلامة الأخلاق وتقوية الروح القومية وروح التعاون والاتحاد بين طبقات الشعب بوسائل الدعاية المختلفة كالصحافة والخطابة والتمثيل والسينما

١٢ — الأخذ بالروح الصحيحة لتعاليم الإسلامية للوصول إلى مقاومة فوضى العلاقات الزوجية وما يترتب على هذه الفوضى من تفكك روابط الأسرة وانهيار العائلة

١٣ — تشجيع النشاط الرياضي للشعب وتنظيم أوقات الفراغ واستثمارها

١٤ — توجيه رئيس الآداب للعمل على صيانة الآداب العامة ومحاربة البدع السيئة والمنكرات في غير تعسف ولا جمود وزيادة قوته ليستطيع مواجهة هذه الأعمال

١٥ — بحث توحيد الزي وتحسينه بما يلائم أحوالنا وعاداتنا وجو بلادنا

لا تقولي شبت

في قصيدتي « لا تقولي شبت » التي نشرت في رسالة الأسبوع الفائت ورد هذا البيت

من به آه من الأنس طرود ... إنما شيب الليالي شعره !

والبيت يا سيدي ليس لي إلا تضمينه ، بل هو لصديقنا شاعر الشباب الأستاذ محمد حسن إسماعيل ... وقد نسيت أن أنوه عليه ، فلذلك وجب التنبيه

عبد العليم عيسى

سؤال ؟

إلى (الأستاذ ...) اللغوي الكبير ***

تحية طيبة؛ وبعد فهذا سؤال في لغتي عويص سألنيه صديقي فحرت في الجواب عنه بعد أن بحثت ما لدي من المعاجم؛ فلم يسعني إلا أن أتقدم إليكم بالإجابة عنه وهو:

سمى العرب فاقد البصر أعمى، وفاقد السمع أصم، وفاقد الشم أخشم. فماذا يسمى فاقد الذوق؟

أرجو الجواب على صفحات رسالتنا الغراء ولكم الشكر

ع . م . ع

كتاب البستان

أصدر الناشر المعروف (مكميلان) طبع كتاب البستان لأديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة الحجة محمد إسعاف النشاشيبي بك، ورأينا أن نعرف قراء الرسالة بمقدمته ليعرفوا طريقته فيه والغاية منه. على أن من قرأ مقالات النشاشيبي لا ينكر قصده وفضله، ومن تتبع نقل الأديب النشاشيبي لا يجهل ذوقه وحسه

***

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد

ما الكبير بأحوج بالعناية بشأنه من الصغير. وليس كاتب ما أحوج إلى كتب في العلم والأدب يعتمد فيها العلماء من البادئ بل التالي في هذا الأمر هو الأول، (والأهم مقدم) وإن على الذي يلقنه في بدء تعليمه الأول. وقد فعل أولئك عربيون من عرب العصر القديم و[illegible] هذه العصور، فخصوا تلك الطائفة من الطلاب بكتب جمة محكمة، ونشروها في التهذيب ترائع بعد تنشئ الطالب في طريق مستد صالح[1]. وإني لما تقربت إلى صديق بتأليف مجموعتي (مجموعة النشاشيبي) لكي يروج نشء العرب، ويستقيم بها الناشئون من الطالبين، رأيت أن أخص (تلاميذ المدارس الأولية والابتدائية) أقوالاً مدبجة عربية غير منقولة عن لغة غريبة، وهي دون البحر [illegible] السوائق،

(1) في الأساس: من المجاز طريق [illegible]

ومن في جاليوس مستعمل الروس[1] [illegible] إليهم منالها، وتسهل لهم معانيها، ولا يلزم [illegible] والكلام يلزم (...) كما يلزم المرء، واللؤم شر الأخلاق، واللئيم شر الناس، ولا خير في قول لم يكرم [illegible] ومن اجتاحه حكمة الحكم. وقد [illegible] ولم يسلك النهج إلا الأقل. وعلى أن [illegible] الصغير [illegible] إليه فلا يجهد جرم الاستظهار [illegible] ولا يدعه ما لا سمعه إلا من بعد سنين. وقد (القاضي أبو بكر بن العربي) الذي [illegible] في (كتابه رحلته) سنة التعليم في تدريس الصغير (الكتاب) [illegible] على [illegible] الأمر الجلي [illegible] وهدى إلى [illegible] وهم في ضلال بعيد[2]

محمد إسعاف النشاشيبي

(1) في المصباح: [illegible] رابية [illegible] البالغة [illegible]

(2) اقتبس [illegible] من مؤلفات [illegible] وجوامع كثيرة، [illegible] في التفسير والضبط والتحقيق إلى كتب اللغة والأدب والشروح [illegible] المشهورة [illegible]

من المسرح

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها ونوابغ رجالها

رواية الذبائح

كانت رواية غادة الكاميليا حجراً وركناً في المسرح المصري وبسببها انجذبت الأنظار إلى فرقة رمسيس، وارتفع قدرها وكثر عائدها، فازداد النشاط فيها وعظم الإنتاج.

ولا نعرض للعدد الوفير من الروايات التي أخرجتها، فهذا ليس سبيلنا، وإنما يمكن أن نضع أمام نظر القارئ أسماء بعض هذه الروايات.

غادة الكاميليا، المجنون، كرسي الاعتراف، الاستعباد، الذبائح، ماتش، الحسر، راسبوتين، توسكا، الصحراء، ميدور، إنتقام المهراجا، القضية المشهورة، ملك الحديد، النسر الصغير، الوارثان الشرعيان، اللص، في سبيل التاج، عطيل، يوليوس قيصر، الأرملة الحمراء، ملك الصعاليك، الشرك، البرنس جان، ميرون، لوكاندة الأنس، حانة مكسيم، الراهبة، الملكة الفاتنة، الفريسة.

وليست هذه الروايات إلا قليلاً من كثير أخرجته الفرقة في أعوامها الأولى التي تعد بحق عهداً منقطع النظير في تاريخ المسرح المصري.

وكما كانت (غادة الكاميليا) سبباً من أسباب اهتمام الجمهور بالمسرح كذلك كانت رواية (الذبائح)، بيد أنه كان لهذه أثر يخالف ذلك، ونتائج خطيرة غيرت من اتجاه سير النهضة وقلبتها رأساً على عقب.

لم تكن الذبائح رواية عادية، بل كانت حدثاً في تاريخ التأليف المسرحي؛ فاللغة التي كتبت بها غريبة كل الغرابة، هي لغة عربية صيغت في ألفاظ ومعان غربية، أو دخلت عليها ألفاظ ومعان رقيقة من مستوردها المنطق وصحتها الشاذة، وهي بعد ذلك ذات رنين عجيب، أحياناً تراها كأنها موج المتلاطم، وأحياناً تسمعها كأنها سجع حمام، وأحياناً أخرى تنظرها فتكاد تحسبها حكم وأمثال الحكيم سليمان أو غيره من الحكماء، ثم لا ترى بعد هذا أنك في جو مصري، ولا تشعر أنك في حياة الشرق، بل أنت في دنيا غريبة وحياة غريبة، وبين أشخاص غرباء، كأنهم خارجون من القبور، أو آتون من بعيد حيث الظلام الدامس بين الأرجاء، والغموض يعم الأجسام ويلابس الأشياء، ثم غموض آخر يسود في الظاهر لكنهم ليسوا من أهل هذه الدنيا، بعضهم من سكان المريخ وبعضهم من سكان غير المريخ من هذه العوالم التي تجري في نظامها التام مع أرضنا سابحة هذه العوالم بلا منازع.

لم يكن غريباً أن يكون لهؤلاء الأشخاص أثر في الجمهور، ولم يكن غريباً أن يفتتن بهذه الرواية الناس، وأن يترنم بعضهم بألفاظها الغريبة في مجتمعاتهم، حتى في الطرقات كان البعض ينادي أمينة رزق ويخرج مناجياً بطل الرواية بتلك اللهجة الغريبة التي تقرع الأسماع.

وكما أثرت الذبائح في عقول الجمهور، كذلك أثرت في عقول أصحاب المسرح وسدنة النهضة فيه، وبدأ يوسف وهبي ينسج على منوالها، فكتب (الصحراء)، بيد أنه حاول إضفاء حقيقية مكتبه جملة عربية ليدخل في روع الناس أنه غير مقلد على حين أن كل شيء فيها قد تم من تأثر صاحبها بالذبائح وأسلوب وأشخاصها وما فيها من بكاء وعويل.

(للكلام بقية)

ملاحظات

اختيار الروايات في الفرقة القومية

نعود إلى هذا الموضوع بمناسبة رواية (محمد علي الكبير) التي قبلتها لجنة القراءة وقبض أصحابها ثمنها رغم ما تعاب به الرواية لعيوب فنية وموضوعية لا حصر لها، فالرواية عبارة عن عرض لقصة سيرة منشئ مصر الحديثة، وهو عرض غير جدير بذلك البطل الذي أظهره المؤلفان بمظهر السماح الذي يجتذب إليه أعداءه ليقضوا عليه، هذا إلى أنها من الوجهة المسرحية لا قيمة لها.

وهنيئاً للمؤلفين ما قبضا من ثمن!

خطوة مباركة

علمنا من مصدر ثقة أن لجنة من ممثلي ومخرجي الفرقة القومية قد عهد إليها مهمة قراءة بعض الروايات التي تقدم للفرقة وانتخاب ما يصلح منها لعرضه على اللجنة الرئيسية. وهذه بلا شك تعد خطوة مباركة لما سيعود منها من نتائج حاسمة في اختيار الروايات التي يعهد بها لمقدمة الفن ونشر الألفاظ في هذه الفرقة. ونحن نرحب بهذا العمل ونرجو أن يصبح رسمياً على أن يضم إلى هذه اللجنة المجهودة فريق من النقاد للانتفاع بخبرتهم ودرايتهم بشئون المسرح.

سراج منير

وقد انتهى إلينا أن الأستاذ فتوح نشاطي توسط في الصلح بين الأستاذ سراج منير وإدارة الفرقة القومية، فعاد سراج إلى عمله كمخرج وبدأ فعلاً في إخراج (مصرع كليوباترة)، ونحن نحمد هذه الروح التعاونية بين أفراد الفرقة ونتمنى دوامها.

الفرقة الموسيقية

يقولون إن هناك فكرة لتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التي تعمل مع الفرقة القومية.

وبهذه المناسبة نذكر أن عدد أفراد هذه الفرقة ٥١ عازفاً، وهم يكلفون الفرقة القومية ألفاً من الجنيهات كل عام.

وفي الواقع أن الفرقة القومية ليست في حاجة إلى فرقة موسيقية تجهد للمصلحة لأنها لا تخرج روايات أوبرا أو أوبريت

مصر الخالدة

قدم الأستاذ فتوح نشاطي إلى إدارة الفرقة القومية رواية (مصر الخالدة)، وهي مأساة فرعونية أعاد فيها الحضارة المصرية القديمة.

الإخراج في الفرقة القومية

بعد السعي في إخراج الروايات وتوزيع الأدوار على الممثلين الآن عهد إلى الأستاذ فتوح نشاطي إخراج الروايات الآتية:

(ماريا)، وهي درامة إسبانية عنيفة تصور رجلين يتنازعان حب امرأة.

(الأمل)، وهي رواية مقتبسة من الأستاذين سليمان نجيب وعبد الوارث عسر، وهي عبارة عن تصوير للجيل الحاضر الذي يريد أن يشق طريقه إلى الحياة بصدق وعزم، دون أن يأبه للتقاليد الموروثة.

وعهد إلى الأستاذ عمر جميعي بإخراج ([illegible]).

كما عهد إلى الأستاذ سراج منير بإخراج (مصرع كليوباترة).

وبهذه المناسبة نذكر أن الروايات الثلاث (ماريا) و(مصرع كليوباترة) و(الأمل) قد وزعت أدوارها [illegible]

[illegible]

كتب أحد المخرجين كلمة يتهكم بها على السيدة فاطمة رشدي في يوم ما بعد حيث هبطت إلى مستوى الصالات فقال: إن موليير حين طرد من فرقة الكوميدي فرانسيز افتتح مقهى أمام المسرح وكان الممثلون يأتون إليه جماعات ووحداناً يتناولون فيه قهوتهم وطعامهم، فلما سويت الأمور بينه وبين إدارة الفرقة بعد سنوات عاد إليها ولم يكن قد تأثر بإدارة المقهى.

والحقيقة والتاريخ تقول: إن موليير مات قبل إنشاء فرقة الكوميدي فرانسيز ببضعة أعوام قيل إنها خمسة، وأن موليير لم يفتتح مقهى وإنما كان صاحب مسرح اسمه (مسرح موليير).

ولسنا نعيب على مخرجنا الجهل، وإنما نعيب عليه التبجح في إيراد هذه الوقائع وهذا الجهل الذي لا يأتيه الباطل!

([illegible])

أخبار سينمائية

* شارلز بوير وجريتا جاربو في رواية (ماري والوسكا) التي قام فيها شارل بوير (بالمليون) وجريتا جاربو (بصديقته) وقد لم يسع النقاد أن شهدوا بتفوق شارل على جريتا في هذه الرواية والصحيح أن شخصية نابليون كانت أقوى من شخصية ماري والوسكا وبهذا طغت شخصية شارل على شخصية جريتا

كارول لومبارد

يجزم أصدقاء وصديقات كارول لومبارد بأنها ستعتزل السينما لتكون زوجة لكلارك جابل

ومع أن الحياة الزوجية جميلة إلا أنها تتطلب كثيراً ومن ممثلة عظيمة مثل كارول لومبارد في إمكانها أن تستغني عن … … … … إذ … … السينما فكيف ترضى كارول عن هجرها لهذه الشهرة فقد جربت كثيرات هجر هذه التجربة بعد الفشل الذريع

* نلسون إدي وجانيت ماكدونالد نجمة شركة مترو جولدوين ماير وهي من الممثلات … ظهرت معه في روايات موسيقية كثيرة آخرها (روزالي) التي عرضت في بداية الموسم الماضي وشهرتها (زوج الربيع) التي ما زالت تعرض حتى الآن في دور السينما …

جمال الساق

جمال الساق في عالم هوليود من شروط الجمال الأولى والمقاييس لجمال الساق يجب أن تكون كما يأتي:

الكاحل ثماني بوصات ونصف - سمانة الرجل اثنتا عشرة بوصة ونصف - الفخذ تسع عشرة بوصة ونصف

ومعروف أن سر جمال السيقان هو في الرياضة والمشي العادي والسير … جمال السوق في هوليود هي كلوديت كولبير … … … … … …

* كريستاين … نجمة مترو جولدوين ماير وكانت يوماً ما النجمة الأولى في هوليود وما زالت تحتفظ ببعض مكانتها فيها وتظهر في روايات قوية

ولكن بعد في الطليعة بين نجمات الوجه في مدينة السينما

* ماري جوري … التي مالت عدداً … عن طريق التدريب على … التمثيل فقد تسارعت إليها الشركات السينمائية بعد أن أصبحت ملكة الجمال في أمريكا، واستطاع … أن يقتنص ويعطيها دوراً في رواية (… …)

7me Année No. 326

Lundi 2-10-1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع [illegible] رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٦ — « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » — السنة السابعة

الفهـــــرس

قالوا استقال طلعت حرب!

قلنا وكيف يستقيل طلعت حرب من عمل هو فكرته وكنهه وطريقته ونابه ورمزه؟ إن في الاستقالة معنى التفريق بين العامل والعمل، ينتسب إليه ما دامت يده فيه، فإذا خلاه بسبب من الأسباب أصبح غريباً عنه؛ ولكن طلعت حرب معناه بنك مصر وشركات مصر و[illegible] مصر، فلا تفريق بينه وبين هذه الأسماء ساوتها في الدلالة لا في الذهن ولا في الخارج. فالتعبير بالاستقالة عن راحته الضرورية بعد الجهاد الطويل والجهد الثقيل والحركة الدائبة تعبير مجازي لوجه الصواب في اللغة وفي الواقع.

إن طلعت حرب موجود في مؤسساته وجود الروح في الجسم العامل، لا ينفك عنها ما دامت قائمة؛ ويحملها الثابت بآثاره ومظاهره ونتائجها تماثيل خالدة للزعيم الوطني العبقري الموهوب. وإذا صح للتاريخ أن يجادل في أقدار العظماء وآثار الزعماء الذين برزوا في ميادين النهضة المصرية الحديثة، فإن فضل طلعت حرب وأثر طلعت حرب لا يمكن أن يكونا في يوم من الأيام مثار جدل ولا موضع شك. وإذا جاز للتاريخ أن يعزو نجاحه السياسي إلى أسباب خارجية أهمها اضطراب العالم واصطراع القوى، فإنه لا يستطيع أن يعزو نجاحه الاقتصادي إلا إلى عوامل داخلية أولها وأهمها كفاية طلعت حرب، وجهاد طلعت حرب!

وقد كان هذا النجاح الاقتصادي الماثل في بنك مصر وشركات مصر هو وحده الحجة الناهضة على رشد هذه الأمة الكريمة وصحتها من محنتها الأولى، ودحض عن كفايتها التهم، وجلا عن همتها الشكوك، وجدد من مستقبلها الرجاء؛ لأنه نسيج من الضرورة والقدرة والنظام والثقة لا يقوم على الهوى، ولا يعتمد على الطيش، ولا يجرؤ على الفساد، ولا يقدم على الضعف، ولا يبلغ شيئاً وراء الزعامة الزائفة. ثم انتشر هذا النور الاقتصادي وانبسط فضاؤه وانفسح مداه حتى أصبح بهجة جاذبية تجذب مرافق البلد من كل نوع، وتلونت قلوب الناس من كل جهة؛ أشرقت على البر فتفتحت له أبواب العمل، وعلى الفقر فمهدت له سبل الكسب؛ وعلى الأدب فاستقلت الأمة في أعمال المال، ونشرت الثقافة بالطباعة والإذاعة والتمثيل؛ وعلى الأخلاق فأحيت في الرجال الثقة وبثت في الشباب الرجولة؛ وعلى الاجتماع فوقت الأمة شر البطالة المجرمة والأزمة المستحكمة باستخدامها الألوف من الموظفين والصناع والعمال في شركات البنك وفروعه؛ وعلى القومية فألف الروح المصرية بأساليب الأعمال التي تقوم على وحدة المال وتوزيع العمل وتساند القوى وتضامن الجماعة؛ وعلى السياسة فكشفت عما ستر النفوذ المالي الأجنبي عن طريقه له في ميادينه القوية المحصنة؛ وعلى الإسلام فأعان على إقامة ركن من أركانه، وكشف الغمة عن مراحل الحج ومرافقه (?)؛ وعلى وحدة العرب فوصلها بأسباب الصلة، ووثقها بسلاسل الذهب والاقتصاد. اليوم وقبل اليوم كان دستور الحياة وعدة القوي له وقانون الجهاد فيه، فلا تدع إلا أثراً في كل شيء، وعملاً في كل حركة، ونجاحاً في كل ثورة، وصلاحاً في كل جهة.

* * *

ذلك هو معنى الاستقلال الاقتصادي الذي يحق أن نعيشه اليوم طلعت لنا حربيه والشعب كله على صندوق داره يعتقد له العصمة ويعرف له الجميل، ويخلص له الشكر، ويختلف في كل شيء إلا في عصمته. وتلك منزلة من منازل الله وتقدير الوطن لا يبلغها إلا الأفذاذ المخلصون الذين شغلهم حب الخير ففكروا وأنشأوا، ثم آمنوا وعملوا، ثم استمسكوا بروح الله وهوى الأمة على ضعف القلوب وإلحاح المكايد، حتى تحطمت الأسنان على الفولاذ، واستقام سهم الإخلاص على الطريقة فتكاثرت (?) الصمود الصابر الثائر الذي ينفي الغوغاء من جوانب الشعب، ويطلب الشكر من أصحاب الثقة، ويعطي النجاح اليمين (?) أحاديث الحق، ويرجع في معترك الشبه والظنون عند الصرح البادخ فيكون ناهض الصنيع ومنار المتخلف وبناء المشيد.

فليت شعري هل تلك الأحوال القاصرة أن نوليها من أداء الواجب الوطني نحو الرجل العظيم؟ أنا لا أريد أن نقدم إليه ثروة ولا تجارة ولا عقاراً؛ إنما أقترح أن تحتفل له الأمة يوماً من أيامها الغر الحوافل، تفد عليه فيه طوائفها المختلفة من زراع وصناع وتجار وموظفين وطلبة، فيقدمون إليه شكران الوطن منظوماً في عقود الزهر وقصائد الشعر، ومصوغاً في الأكاليل والأوسمة وحماسة الخطابة (?)، لتشعر هذا المجاهد البطل، وهو يقضي جبار المعارك الطالعة في جبهة التتويج (?)، ويمسح أذى السنين الناصبة عن جبينه المجهود، أن الأمة التي شغل بهمها فكره، وقضى في خدمتها عمره، وأفنى في سبيلها قواه، لم تفرط في جانبه، ولم تقصر في واجبه، ولم تنسها عن شكر أياديه حوادث الخطوب الزواحم.

ذلك الشكر الوطني الذي أفاضته مصر في رأيها خير ما يقدم اليوم إلى رجل مثل طلعت حرب عمر بالحق حتى تحرق به؛ ونسمه عبد حتى عرض عن منه؛ ووصية سلطان على وعد فيه؛ لا يجد جليسه إلا في عصمة الحر من فؤاد شاعر، وكلمة الإخلاص من لسان شاكر.

* * *

أما بيان حافظ عفيفي عن ما أسس وشيد طلعت حرب فذلك هو من فضل الله وأمانة القدر؛ لأنه بإجماع الرأي أجدر من في مصر بخلافة الزعيم العظيم، وما رأينا الناس يختلفون بينهم بعد طلعت حرب إلا فيه، لاعتقادهم أنه كذلك رجل إنشاء وعمل، وصاحب رأي وعزيمة، وموصول بصلاح وصحة، ولم يتول عملاً من الأعمال إلا وضع فيه النظام والدقة والثقة والنزاهة. وكذلك عودنا الله الكنانة أن يلطف بها في القضاء، ويخلف عليها في القدر!

أحمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

- ١٧ -

أراد صاحبنا أن يقسم الأدب إلى قسمين: أدب ذوقيّ وأدب عقليّ، ثم بنى على هذا التقسيم أحكاماً جوهرية، كما فعل في كل ما يتناول من الشؤون الأدبية

ومن الذي صدّق أن التشبيهات تُعاب متى صحّ أنها صور تركيبية، وصحّ أن الأمم لا تهتم بالتشبيهات إلا في جانب الفطرة؟

إن أحمد أمين أسرف في تحقير التشبيه أقبح إسراف، ونسى أنه عمليةٌ عقلية تشهد بقوة الذكاء، ودقة الملاحظة، والقدرة على ضمّ الصور بعضها إلى بعض

ولو جارينا أحمد أمين في أحكامه الجائرة لأخرجنا من جمال التصوير في قول ابن المعتز:

لا مثلُ منزلة الدويرة منزلٌ ... يا دارُ جادكِ وابلٌ وسقاكِ
بؤساً لدهرٍ غيّرتكِ صروفُه ... لم يمحُ من قلبي الهوى ومحاكِ
لم يحلُ للعينين بعدكِ منظرٌ ... ذُمَّ المنازلُ كلُّهنَّ سواكِ
أيُّ المعاهد منكِ أندبُ طيبَه ... ممساكِ بالآصال أم مغداكِ
أم بردُ ظلكِ ذي الغصون وذي الجنى
أم أرضكِ الميثاء أم ريّاكِ
فكأنما سُطِعت مجامرُ عنبرٍ ... أو فُتَّ فأرُ المسك فوق ثراكِ
وكأنما حصباءُ أرضكِ جوهرٌ ... وكأنَّ ماءَ الورد دمعُ نداكِ
وكأنما أيدي الربيع ضحيّةً ... نشرت ثيابَ الوشي فوق رُباكِ
وكأن درعاً مُفرَغاً من فضةٍ ... ماءُ الغدير جرت عليه صَباكِ

وقد أشرنا من قبل إلى أن أحمد أمين يرى التشابيه ضرباً من الألاعيب، وليس من الكثير عليه أن يرى ذلك فقد رأيتم مما سلف وستعرفون فيما بعد أن الرجل طريقة في الفهم تخالف طريقة أهل الأدب

وأدع هذا الموضوع لتشهدوا الآن كيف [illegible] أمام خطله ويتناسى مكانته الأدبية

قال أحمد أمين إن الأدب العربي جنح إلى التركيز وفرّ من التحليل، وكان دليل ذلك عنده «أن علماء البلاغة العربية عُنوا بالإيجاز أكثر من عنايتهم بالإطناب، وأعجبوا بجوامع الكلم أكثر من إعجابهم بالكلام الطويل المبسط، بل إن بعضهم كأبي هلال العسكري فهم أن الإطناب بتكرير المعاني وطول الألفاظ، وقال: "إن كتب الفتوح وما يجري مجراها مما يقرأ على عوامّ الناس ينبغي أن تكون مطوّلة مُطنَباً فيها" فكأنه يريد أن يجعل الإطناب أدب العامة، والإيجاز أدب الخاصة»

هذا كلام أحمد أمين، وهو يدل على أنه لم يفهم كلام أبي هلال ولم يفهم البيان

إن كلام أبي هلال معناه أن الكلام له مقامات، فمتى خاطبت رجلاً ذكياً فأوجز، لأن الإطناب في مخاطبة الأذكياء يعدّ من التطويل وهو مملول، وإن خاطبت جمهوراً فأطنبْ، لأن الجمهور مكوَّن من عناصر كثيرة تتفاوت في الفهم والذهن والإدراك والحزم، فوجب أن تطنب حين تخاطب الجماهير لتصل إلى إفهامهم ما تقصد إليه من المعاني والأغراض

ذلك معنى كلام أبي هلال، فهو لا يريد أن يقول بأن الأدب يكون أدب خاصة عند الإيجاز وأدب عامة عند الإطناب، وإنما يريد أن يحدد واجب الشاعر والكاتب والخطيب، ودليل ذلك أن علماء البلاغة يجمعون على أن الإيجاز في مخاطبة العامة خطأ، والإطناب في مخاطبة الخاصة عيب

وعلى هذا يكون شرف البيان موقوفاً على فهم مقتضيات الأحوال، فالأديب الذي يوجز حين يخاطب الخاصة ليس أعلى منزلة من الأديب الذي يطنب حين يخاطب العامة، كما يتوهم أحمد أمين الذي يكيل المعاني الأدبية بأوسع مكاييل، مع أنها لا توزن إلا بأدق الموازين

فمن أين فهم أحمد أمين أن الإطناب يراد للهرب من

المبتذلات حتى يحكم بعدمه في الأدب التحليلي الذي يستوفي عناصر الموضوعات ؟

* * *

وعاب أحمد أمين على العرب أن يجمعوا مجاميع الحكم والأمثال وعدّ ذلك نتيجة حتمية للأدب التركيبي ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على الآداب الأجنبية لعرف أن الاهتمام بجمع الحكم والأمثال هو من الأغراض التي يهتم بها أكثر الشعوب

ويقول أحمد أمين إن « الخطب والكتب في كثير من الأحيان عبارة عن جمل قصيرة من كل منها حكمة ، كالذي نلاحظه في كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ، وكخطبة زياد وخطبة الحجاج ، ولو حاول الأديب التحليلي كل جملة من هذه الجمل لصاغ منها صفحات »

فهل يدرك الأستاذ أحمد أمين وجوه الخطأ في كلامه هذا ؟

إن خطاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري من أنفس الخطابات في تحديد أصول القضاء ، فهل كنت تنتظر أن يؤلف عمر بن الخطاب كتاباً في مجلد أو مجلدين يشرح فيهما لأبي موسى فروع القضاء ؟

وما الذي يعيب على خطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أتعيب عليهما الإيجاز ؟ وما الموجب للإطناب وقد وضعت الخطبتان في وعيد من عصوهما ومن خرج عن الصواب ، وتناقلتها أحاديث الناس من جيل إلى جيل ؟

ما رأيك في المستر تشمبرلن وقد ألقى خطبتين وجه إحداهما إلى مواطنيه الإنجليز ، ووجه الثانية إلى أعدائه الألمان ؟

ألا ترى أن هاتين الخطبتين أوجز من خطبتي زياد والحجاج ؟

هما أوجز بلا جدال

فهل سمعت أن ناقداً أدبياً في فرنسا أو إنجلترا عاب على المستر تشمبرلن أنه أوجز ولم يطنب ؟ هل سمعت ؟ هل سمعت ؟

واأسفاه !

إن المستر تشمبرلن خطيب أمة تفهم أغراض الرجال ، فقد أمن الإنجليز سوء فهمهم عنه حين رأوه يبكي جهوده الضائعة في الدعوة إلى السلام

وكان العرب أمة تفهم أغراض الرجال إلى عهد الحجاج ؛ فقد كان مالك بن دينار يظهر تعصبه على الحجاج كما أمن الإنجليز سوء فهمهم على تشمبرلن . كان مالك بن دينار يقول : ما سمعت الحجاج يشكو أهل العراق إلا رحمته منهم

إن أحمد أمين يحاول أن كل جملة من كتاب عمر بن الخطاب وخطبة زياد وخطبة الحجاج يصاغ منها عند التحليل صفحات ، ويعد ذلك شاهداً على ميل العرب إلى الأدب التحليلي ، فما الذي يقوله أحمد أمين في خطاب تشمبرلن إلى الألمان ؟

إن خطاب تشمبرلن قد يصاغ منه عند التحليل مجلدات لا صفحات ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا الخطاب شاهد على أن الإنجليز لا يحسنون تحليل المعاني والأغراض

إن المستر تشمبرلن يفهم ما كان يفهمه زياد والحجاج

هو يعلم أن أهل العصر لن ينسوا الحكمة التي تبقى في الأذهان والقلوب ، ويدرك أن التهديد الذي يصاغ بالتلخيص في جملة أو جملتين ، والسخرية التي يصوغها في كلمة أو كلمتين ، أبقى أثراً من الكلام الطويل المبسوط الذي يصاغ في صفحات

أيعرف أحمد أمين ما الذي سطره الفرنسيون على مدخل البانثيون ؟

سطروا هذه العبارة الوجيزة Vaincre ou mourir

وهي عبارة تُشرح في مجلدات لا صفحات

أيعرف أحمد أمين الجملة المسطورة على باب قصر العيني ؟

هي الجملة الوجيزة الألفاظ الكثيرة المعاني ، الجملة التي تقول :

« العدل أساس الملك »

وهي أنفع من ألف كتاب في شرح معاني العدل وأثره في حياطة الملك

أيذكر أحمد أمين الآية المكتوبة في جميع المحاكم المصرية فوق منصة القضاء ؟

في كلام القرآن المجيد :

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

هل يعد ذلك الإيجاز من الخطأ ؟ أم يراه غاية في تذكير الناس بأصول الحقائق ؟

يجب أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن العرب لم يستهجنوا الإطناب ولم يعدوه من الفضول حتى يحكم بأنهم يرونه من أدب العوام لا أدب الخواص ، فالإطناب أسلوب من البيان يقصد إليه الشاعر والكاتب والخطيب حين يدعو المقام إليه ، وهو أسلوب شريف لم يحتقره أحد من أهل البلاغة كما يوهم أحمد أمين

وهل كان سائر الكتب على نمط كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ؟

أين هو من الكتب المطولة التي كان يبعث بها علي بن أبي طالب إلى عماله في الأقاليم البعيدة ، والأقطار القصية[1] ؟ وأين هو من كتب العهود التي صارت بعد ذلك من تقاليد الحكومة الإسلامية ؟

وهل كانت سائر الخطب كخطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أين هو من الخطباء المطيلين الذين تحدث عنهم الجاحظ في البيان والتبيين ؟

أين خطب سحبان التي كان يهدر بها من الظهر إلى الأصيل ؟

أين أحاديث صعصعة بن صوحان ؟

أين محاورة الهدى لأهل بيته ، وهي من أنفس الآثار الأدبية ؟

ويحدث أحمد أمين عن الإيجاز الذي التزمه مؤرخو العرب في كتب التراجم ويعده من عيوب السليقة العربية ، فهل كان ينتظر أن تساق تلك التراجم على نحو ما نصنع اليوم ، وعلى نحو ما يصنع الأوربيون ؟

كان هذا ممكناً لو أن المؤرخ العربي كان يقصر جهده على الترجمة لرجلين أو عشرة رجال ، ولكن هذا كان من المستحيل على من يترجمون لمئات أو ألوف

وما الذي قرأ أحمد أمين من كتب التراجم ؟

هل عرف كتب الطبقات ، طبقات النحويين واللغويين والفقهاء والصوفية ؟

إن كان عرف تلك الكتب فليحدثني كيف كان يمكن لرجل مثل السبكي أن يصنع أكثر مما صنع في طبقات الشافعية ؟ وليحدثني كيف كان يمكن لأبي الفرج أن يصنع أكثر مما صنع في كتاب الأغاني ؟ وليحدثني كيف كان يمكن لياقوت أن يصنع أكثر مما صنع في كتاب إرشاد الأريب ؟ وليحدثني كيف كان يمكن للمقري أن يصنع أكثر مما صنع في نفح الطيب ؟

لو أن هؤلاء الرجال ترجموا الشعراء والكتاب والعلماء والمؤلفين على نحو ما نصنع اليوم لاحتاجوا عمراً لا يسعد به أحد الدهر ، لأنه كان يستحيل عليهم أن يحدثوا عن جميع تلك الطوائف ، وكانت همتهم تنصرف عند الترجمة لعدد كبير من أصحاب المواهب في الأقطار العربية والإسلامية

فالذي يستفيد أحمد أمين حين يعيب من أخبار أولئك الرجال ، وهو من فضلاتهم يعيش ؟

هل يعرف كم ألوفاً من الأدباء والمؤرخين نفعوا بجهود مؤلف الأغاني ؟

هل يعرف أن ابن خلكان الذي احتقره وازدراه أدى مهمة يعجز عنها الأكثرون ؟

إن أحمد أمين يعيش في عصر المطبعة ، والسبيل أمامه ممهدة لنشر ما يشاء ، فما الذي صنع ، وما الذي صنع زملاؤه في الترجمة لأعلام العصر الحديث ؟

ليت دنيانا الحاضرة تعرف رجلاً مثل ياقوت يترجم لأقطاب الفكر والبيان في مصر والمغرب واليمن والحجاز والشام والعراق !

ليت ثم ليت ! فأحمد أمين نفسه لا يعرف شيئاً من التيارات الفكرية في البلاد العربية والإسلامية بعد العهد ، وهو محتاج إلى ثعالبي جديد يعرّف الناس بفضلاء عصره كما صنع أبو منصور حين ترجم لأقطاب القرن الرابع

فهذه الغطرسة على أسلافكم يا أبناء آخر الزمان ؟

وبأي حق تتجنون على رجال أدّوا واجبهم أحسن أداء وهم في قلة من أسباب الرزق ؟

إن أحمد أمين لم ير بلداً غير مصر إلا وهو مكفيّ المؤونة

(١) قد يقال إن كتب علي بن أبي طالب وعهوده إلى عماله قد تعرض الأدباء في نسبتها إليه ، ونقول إنها تدل على تصور العرب لما كان يصدر من الخلفاء من كتب وعهود ، فهي على فرض وضعها تؤيد حجتنا

بالموال لحكومة العصر ... فهل يعرف كيف كان يصنع رجل مثل ياقوت وهو يطوف بالمغرب والمشرق وفي ظهره حقيبة يحمل فيها ما يحتاج به ويعيش ؟

وأبو هلال الذي يستشهد أحمد أمين بكلامه في الإيجاز والإطناب !

أبو هلال هذا الجبر فيه صورة العشق التي عرضها أحمد أمين ، فقد قست عليه الأقدار حتى اضطرته ، وهو من نوابغ الأدباء والعلماء إلى كسب قوته من مزاولة التجارة بالأسواق ، وهو الذي يقول

جلوسي في سوق أبيع وأشتري دليلٌ على أن الأنام قرودُ

ولو اضطر أحمد أمين — لا قدر الله ولا سمح — إلى كسب رزقه من مزاولة التجارة في الأسواق لنضب معين فكره وشُغل عن صنع الكلام في أدب المعدة وأدب الروح !

أحب أن أعرف ما هي الغاية من تحقير ماضي الأمة العربية ؟

أحب أن أعرف لأي غرض نص أحمد أمين نفسه بالنص على أن عبد الحميد الكاتب فارسي الأصل ؟

هل يريد القول بأن الأدب الجميل وصل إلى العرب من أولاد الفرس أعداء الأرومة العربية ؟

وهو كذلك !

ولكن ما رأيك إذا حدثتك بأن الحضارة العربية هي صاحبة الفضل في عبد الحميد وابن المقفع وسائر من نبغوا في الممالك الإسلامية وهم من أصول أجنبية ؟

إنك ترى أن أعظم ما بقي من آثار ابن المقفع هو الحكم الموجزة في الأدب الصغير والأدب الكبير ، وهي حكم يحمد فيها الإيجاز ، فهل يعد الإيجاز من عيوب تلك الحكم الخالدة بحجة أن الإطناب من خصائص البلاغة العربية ؟

اتق الله في نفسك ، أيها الصديق ، فللناس أذواق وعقول

وقولك إنك لا تعرف في العربية غير شاعر واحد هو ابن الرومي وكاتب واحد هو ابن خلدون ... وسترى في الأسبوع المقبل كيف نخطئ في تحرير هذا الموضوع الطريف .

« المصيف شبرا » زكي مبارك

هل آن للأزهر أن ينهض ؟

للأستاذ محمد يوسف موسى

سمعت بعض أصدقاء الرسالة القراء الذين ... منذ عام ، ورأيت من أحدهم كله من إهداء الأستاذ الكبير الشيخ الطنطاوي علماء الأزهر مساعدته في تأليف كتب في الدين الإسلامي ، يفيد منه العامة والخاصة والعرب والعجم والمسلم وغير المسلم ، ولكن هذا الاستنجاد لم يجد له صدى فضاع صرخة في واد كأن لم يكن .

ليعذرني الأستاذ إذا قلت إني لم أتوجه بشيء من سبيل إلا إليه أحمد على نفسه وأمثاله من الكتاب الذين يجب عليهم أن يعملوا بعض جهودهم على الدين ونشره ، ويحتسبوا الأجر في ذلك عند الله . أقول ذلك وأنا واثق من أني لست مصيباً في أوائل هذا العام للتصدي إلى مثل ما يعمر به الآن لو وجدت غير التشيع وأمثال هذه الكتب ... منك ، الله قد وعد بأنه سيظهر الإسلام على الدين كله ، وهو ليس في حاجة إلى مثل جهودك وجهودنا ! ولكن القراء الأمر على حقيقته

ورأيت في صيف العام الماضي مرة سائحة عمرية بمدينة « ليون » ، وتأملت عن وجه الروابط التي في العاطفة ونشأته في ليون ، ولأسبابها عاطفته ، أعجبها من قبلي بعض ما يجب على المسلم من الصلاة وتلاوة القرآن ؛ فكانت أحدثها في أوقات الفراغ كثيراً عن الإسلام وما فيه من آداب عامة ، وشرائع في مختلف مناحي الحياة تصلح للناس جميعاً . وبلغ بهم الأمر أن كانوا يطلبون مني تفسير بعض الآيات التي تشتمل على تلك الآداب والتشريعات ، والآيات التي تقص أخبار عيسى عليه السلام وأمه العذراء

وحدثني أن ذلك كان يسرني ، وكنت أحيل على عقيدة جدتي . ثم عدلت فأعطيتهم القرآن مترجماً بالفرنسية ترجمة مناسبة تقريباً .

ولما حان موعد سفري إلى مصر رجوني أن أرسل إليهم كتاباً بالفرنسية جامعاً لأصول الدين التي قام عليها، ومبادئه التي يدعو إليها ... هنا وقف حمار الشيخ! إذ تذكرت وأنا خجل بأن مثل هذا الكتاب لم يوضع بعد في اللغة العربية، بل إن أحداً لم يفكر في مثل هذا العمل

وأخيراً رجعت للوطن بعد أن وعدتهم ببذل الجهد في تحقيق ما يرجون ... من وضع كتاب كهذا يترجم لتلك اللغة ويوزع في مشارق الأرض ومغاربها بالمجان — لما في ذلك من خدمة عامة وتعريف بالإسلام لدى أقوام لا يعرفون عنه شيئاً، أو لا يعرفون إلا ما يشيعه عنه جماعة ... وشوهوا الإسلام بها كثيراً

إلا أني بكل أسف، كما أشرت أولاً، لم أجد هنا مساعداً أو مشجعاً؛ فقد تحدثت في ذلك إلى كثير من إخواني الناشئين المدرسين بالكليات — لأني كان لي ملء الثقة في غيرتهم على الدين ونشاطهم في العلم — فكان الإعراض والتسويف مما جعلني أسوف في الأمر من يوم لآخر حتى انقضى العام الدراسي أو كاد. ويعلم الله أن من بين هؤلاء الإخوان من إذا كلفه أحد الناشرين بعمل مثله أو أشق منه نظير مبلغ معدود لشكر الله على هذا الرزق الذي سيق إليه، ولأجهد من نفسه فوق طاقته حتى ينجز له ما طلب ويتقاضى أجره

أخيراً جاء أوان السفر هذا العام فسافرت وتركت بين العائلة ... فكان من أول ما سئلت عنه أمر الكتاب الموعود.

يا لله، فما كان أشد خجلي وأعظم حيرتي! وبعد لأي وجهد اعتذرت بأن مثل هذا العمل، لخطره ومسئوليته، يتطلب الأناة وطول الوقت حتى يخرج كاملاً بالقدر المستطاع

فهل يرضي السادة شيوخي وإخواني هذا التقصير في أداء واجب ديني يقوم به كثير منه وأشق حساب وصحب رجال الأديان الأخرى، بينما تمضي أوقاتنا في قال وقيل وأخبار العلاوات والدرجات والسعي لها بمختلف الوسائل!

يعلم الله أنه لا يخطر في بال شخص أحد ينتسب بالانتساب للأزهر — فلست إلا واحداً منهم يحز في نفسي ما يحزنهم — وإنما هو أمس أحرجني وأخجلني وآلمني ... ، وإنما هو إحساس خفي يحس ما فيه من عيوب ... الإحساس بالنقص أو التفريط ... على أن ... الطابق مستوراً ... إلى بعض القادرين من كثير من علمائنا ورجال الدين في أوربا ... الكثير من ناحية الثقافة الواسعة الكاملة، وصفاء السعي في طلب العلم وخدمة الدين بدافع من أنفسهم وتربيتهم التي ... حتى ليصح أن ... الكثير منهم ... كنا استعرناه ... من وسائل مشرفة ...

وبعد، فيا أيها — وقد عني بالأزهر والدراسة ... التي ... كل وقت حتى ... — أحد يدي للأستاذ ... شاكراً له غيرته التي دفعته للتفكير فيما دعا إليه، وآملاً حضرته بمساعدة ... في ... أستطيع إقناعهم ... من زملائي، والله يهدي السبيل

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

بالمكتبة

للعالم ... [illegible]

... [illegible]

بحث قانوني مقارن

القتل الخطأ

في الشريعة الإسلامية وفي القانون المصري الحديث

للأستاذ أحمد عمار قطب

من أمد غير طويل ارتفعت صيحات متفرقة تنادي بوجوب بسط القوانين الشرعية على البلاد. ولقد وجدت هذه الدعوة صدى حسناً في نفوس بعض الناس. ولما كان من الثابت علمياً أن السواد الأعظم من الجمهور لا يعرف عن القوانين الشرعية إلا فكرة ضئيلة مشوهة رأيت من اللازم والواجب على رجل القانون أن يتيح لتلك النفوس فرصة تعرف مدى القوانين الشرعية من صلاح وعدالة وقدرة مع مقارنة هذه القوانين بالقانون المصري الحديث.

ولقد عرفت القوانين مختلفة الأسس التي يظهر بها الفرق جلياً بين الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة، ولأنها من جهة أخرى أمس القوانين بالحياة البشرية. وسأحاول أن أعالج جريمة القتل بنوعيها سواء الجريمة العمدية أو غير العمدية.

فلنبدأ الآن بجريمة القتل خطأ في الشريعة الإسلامية ثم في القانون الحديث حتى يتسنى لنا أن نحصر أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين التشريعين.

في الشريعة الإسلامية

أحكام هذه الجريمة مستمدة من الآية الكريمة: «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصّدقوا. فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً».

أجملت هذه الآية الكريمة أحكام القتل الخطأ. وبالاستعانة بالسنة النبوية وبأقوال الفقهاء نستطيع أن نفصل هذا الإجمال.

«وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ» والخطأ هنا هو عكس العمد أو عدم القصد. وعدم القصد هو مناط الإباحة، فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه «ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به» ولكن لما نتج عن هذا الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله.

ولقد عدّد الفقهاء صور الخطأ وأوجهه فقالوا: إن وجوه الخطأ لا تحصى ويربطها جميعاً عدم القصد، مثل أن يرمي صفوف المشركين فيصيب مسلماً، أو يرمي بين يديه من يستحق القتل من زانٍ أو محارب أو مرتد فطالبه فيقتل غيره فظنه هو فقتله فذلك خطأ.

وعقوبة هذه الجريمة تختلف باختلاف الشخص الذي وقعت عليه، فإن كان المجني عليه مؤمناً من قوم مؤمنين فله حكم خاص؛ وإن كان مؤمناً منتمياً إلى الأعداء ومقيماً معهم فله حكم آخر؛ وإن كان من قوم معاهدين فله حكم مخالف لما سبق.

فإن كان المقتول خطأ مؤمناً من قوم مؤمنين فقد قالت في حكمه الآية الكريمة: «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله».

وبناء على ذلك يلتزم القاتل بتحرير رقبة مؤمنة وبتسليم دية إلى أهل القتيل. وعلّة إلزام القاتل بتحرير رقبة مؤمنة هو أنه لما تسبب بإهماله ورعونته في قتل نفس مؤمنة كانت عبداً لله تعين عليه إقامة نفس أخرى مقامها، ولا يمكنه ذلك بالإحياء فلا مناص إذن من العتق. ولا يخفى ما في هذا العمل من حض خاص على إزالة الرق.

وهذا العتق من قبيل الكفارة التي ترفع من الذنب عقوبة الآخرة.

ولقد اشترط الفقهاء في هذه الرقبة المؤمنة أن تكون رقبة قد عقلت الإيمان، لأن الغرض هو تعويض إنسان العبادة بدل الإنسان المقتول، فلا يصح إذن إعتاق المجنون جنوناً مطبقاً ومن كان في حكمه.

والعقوبة الثانية هي دفع دية إلى أهل القتيل عوضاً من دمه، ولقد ذكر القرآن الدية إجمالاً ولكن السنة فصلت هذا الإجمال

إذ ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدية مائة من الإبل.

ولقد توسع الفقهاء بعد ذلك فقالوا إن الدية قد لا تجمع من الإبل، بل قد تستبدل بها، فهي عند أهل الذهب ألف دينار، وعند أهل الفضة اثنا عشر ألف درهم، وعند أهل الشاء ألفا شاة، وعند أهل الحلل مائتا حلة.

على أن دفع هذه الدية حق خالص لورثة القتيل إن شاءوا تنازلوا عنه، وإن شاءوا احتفظوا به؛ أما الكفارة، وهي إعتاق الرقبة المؤمنة، فلا تسقط بإبراء الورثة لأنها حق لله تعالى.

أما إن كان المقتول مؤمناً منتمياً إلى الأعداء، وكان القاتل يعتقد أنه كافر، فقد جاء حكمه في الآية «فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة» أي أن العقوبة هنا قاصرة على الكفارة، وهي تحرير الرقبة المؤمنة، فلا يلزم القاتل بدفع دية إلى أهل القتيل، وسبب ذلك وجهين أحدهما أن أولياء القتيل أعداء للمسلمين فلا يصح أن ندفع إليهم فيتقووا بها، والثاني أن حرمة هذا الذي آمن ولم يهاجر قليلة فلا دية له لقوله تعالى «والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا».

والحالة الثالثة تتحقق عندما يكون المقتول خطأ من قوم معاهدين أو ذميين، وفي هذه الحالة يجب تحرير الرقبة المؤمنة وتسليم الدية إلى أهله. ونلاحظ أن هذه الحالة لا تفترق عن الحالة الأولى، وسبب الإلزام بدفع الدية هو أنه ما دام المقتول من قوم معاهدين فهم إذن أولى بديته.

ثم قالت الآية في آخر الأمر «فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين» أي من لم يجد الرقبة، ولا اتسع ماله لشرائها، فصيام شهرين متتابعين بدلاً من هذا الواجب.

هذه هي أحكام القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية وقد أوردتها بإيجاز بعيداً عن التفصيلات الفقهية.

في القانون المصري

أما أحكام القانون المصري بالنسبة لهذه الجريمة، فقد وردت في المادة ٢٣٨ من قانون العقوبات الجديد ونصها «من قتل نفساً خطأ أو تسبب في قتلها بغير قصد ولا تعمد بأن كان ذلك ناشئاً عن رعونة، أو عدم احتياط وتحرز، أو عن إهمال وتفريط، أو عن عدم انتباه وتوق، أو عن عدم مراعاة واتباع اللوائح، يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه».

هذه المادة تنص على أن هذه الجريمة تحتاج لتكوينها إلى الأركان الثلاثة الآتية:

الركن الأول يتلخص في ضرورة صدور خطأ من الجاني، والخطأ هو عصب الباب، إذ بدونه لا يكون هناك محل لتوقيع العقوبة... ويعتبر الخطأ موجوداً كلما ترتب على عمل إرادي نتائج لم يردها الفاعل مباشرة، ولا بطريق غير مباشر، ولكنه كان في وسعه تجنبها.

ولقد عددت المادة أنواع الخطأ وحصرت هذه الأنواع في الصور الخمس الآتية: وهي الرعونة وعدم الاحتياط والتحرز والإهمال أو التفريط وعدم الانتباه أو التوقي وعدم مراعاة اللوائح.

ومما هو جدير بالملاحظة أن عبارات القانون واسعة يندرج تحتها كل أنواع الخطأ.

والركن الثاني ضرورة وجود رابطة سببية بين الخطأ والنتيجة؛ وبتعبير آخر ألا يكون من الممكن تصور وقوع الجريمة بدون وجود الخطأ. فإن كان الموت مستقلاً عن الخطأ فلا محل للعقاب. وبتعبير أكثر دقة يجب أن يكون الخطأ من أسباب وقوع الجريمة.

وقد يحدث في الحياة العملية أن يساهم المجني عليه بخطأ في إحداث الجريمة، وفي هذه الحالة لا ترتفع مسئولية الجاني بل تظل موجودة، وإنما تخف مسئوليته بقدر خطأ المجني عليه وأثره في إحداث النتيجة.

أما الركن الثالث فهو ضرورة وقوع الموت، وإلا فلا عقاب مهما كان الخطأ في ذاته. وهذا الشرط بديهي لأن الجريمة لا تتم بدونه، إلا أن الخطأ قد يكون في ذاته جريمة يعاقب عليها القانون.

هذه هي الأركان التي تتكون منها الجريمة، ويعاقب مرتكبها بعقاب واحد من العقوبتين الواردتين بالمادة وهما الحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وإما غرامة لا تزيد على مائتي جنيه.

ولقد كانت هذه العقوبة في القانون القديم أخف وطأة منها في القانون الحالي، لأن العمل أظهر أن العقوبة المنصوص عليها في القانون القديم وهي الحبس مدة لا تزيد على سنتين أو غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً لا تكفي في الأحوال التي يكون

صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة

للأستاذ إدريس الكتاني

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وعلى ضوء ما تقدم من حياة السلطان الرشيد نستطيع الآن أن نقول: إن الرشيد كان والده ملكاً على الصحراء بعد أن توفاه هو بعام فقط. ثم ولي أخوه عبد الملك يوم أن كان هو لا يتجاوز من العمر خمس سنين، فقد نشأ الرشيد بين أحضان الملكين والده وأخيه؛ ثم إن السن التي يمكن أن يكون الرشيد طالباً [illegible] من بلده بمشرف الأيام، لا تقل مطلقاً عن خمسة عشر عاماً إن لم تكن [illegible]. والرشيد في مثل هذه السن كانت دولة أخيه [illegible] في القوة والانتشار، لكنها لم تبلغ [illegible] على أن الرشيد سافر إلى جامعة القرويين طالباً، سافر على أنه ابن ملك وأخو ملك، لا على أنه طالب عادي كما في القصة الأخرى

الأكبر، فإذا ذكرنا أيضاً أن الخصومة المستحكمة بين السلطان عبد [illegible] ملك الصحراء وولاة فاس قد تكون [illegible] وذهاب الرشيد إلى فاس تأكد لدينا بطلان تلك النسبة. أضف إلى هذا أن كل من أرخوا للرشيد لم يذكروا أنه دخل فاس إلا بعد أن [illegible]

* * *

وهذه أسطورة أخرى لا تقل في التشويه [illegible] عن صاحبتها. فتحدث الأقوام التي دأب على تلفيقها الجهل فتهدم قصة من الخيال لتكون تاريخاً لسلطنة الطلبة. ولماذا يجب على هؤلاء الأقوام جهالتهم وقد سكت حضرات المؤرخين عموماً عن صفحة ناصعة من التاريخ للعرف الشعري، وهم يعشقون شعورهم [illegible] تلك السلطنة التي تعمل في حوانيتها بين الفرص وشرب القناة، وكان حقيقاً بهم أن يكتبوا تاريخ (سلطنة الطلبة) بإسهاب ويبدعوا في وصف تلك القصائد والمناظر أبدع الوصف، وحتى الشعراء – وهذا هو الغريب – كان لهم [illegible] غامض أمام هذه السلطنة، [illegible] أدري أكان ذلك من عدم تقديرهم شعراءها السابق أم أن شعورهم كان قد انحط في عهدي القرنين المتأخرين فلم نجد منهم من يذكرنا بمثل أبي تمام وأبي العلاء والمتنبي من شعراء القديم، أو بمثل شوقي وحافظ وإقبال من متأخري الشعراء، وإذا كان هناك شعراء [illegible] تكل أمانة على أوراق الشعر ومواهبه، ولم تخرج [illegible] شعر عن حدود المديح وأمور تافهة، وأحسب من هنا جانب العلة الأولى أيضاً، فكان معروفاً ألا يهتم شعراؤنا – ساعتهم الشعر – بسلطنة الطلبة وما تحويه من معاني الشعر والخيال. وأي علم ذلك [illegible] والفكر [illegible] والقلب الشاعر، وهم إنما [illegible] إلى الشعر من باب الأوزان والقوافي؟

قال رواة الأسطورة الشعبية: بعد ما أصيبت الدولة السعدية بالانحلال والاضمحلال بعد وفاة المنصور السعدي، نشأ في كل مقاطعة من أرض المغرب رؤساء وزعماء يحاولون حكم مقاطعاتهم مستقلين تمام الاستقلال عن باقي المقاطعات الأخرى، فكان من [illegible] مدينة [illegible] على مقاطعتها [illegible] يدعى ابن مشعل، وكان [illegible] فارع أهلها في تقديم [illegible] إليه عند رأس كل سنة. وليس هذا هو الغريب إنما الغريب أن تكون

[illegible] جميعاً أو التي يصعب [illegible] عليهم

فهذه جريمة القتل العمد التي تعاقب عليه [الشريعة] الإسلامية، وفي القانون المصري الذي هو صورة للقانون الفرنسي. ويبدو لنا أن الشريعة الإسلامية تقترب من القانون الحديث في بعض الأحوال وتبتعد عنه في غيرها، فهي تشبهه في الوجهة العامة من حيث القواعد [illegible] وصوره وأوجهه، ولكنها تختلف عنه اختلافاً بيناً في العقوبة. وعندي أن أساس هذا الاختلاف هو تغير الأوضاع الاجتماعية، فعقوبة [illegible] أساسها نظام اجتماعي يسود فيه الرق.

ولكني أعتقد أنه بقليل من الاجتهاد نستطيع التوفيق بين القانون والشريعة فنطور القانون إلى أن يوافق الأسس الشرعية التي لا تقبل التغيير، ونطور بعض الأحكام الشرعية التي روعي في وضعها ظروف الزمان والمكان.

أحمد كمال [illegible]

* * *

المراجع: تفسير القرطبي – كتاب المغني [illegible] – كتاب المبسوط للسرخسي – كتاب [illegible] للأستاذ السيد مصطفى السيد

هذه الهدية عبارة عن أجمل فتاة فى أكبر أسرة حتى تقدم إلى ابن مشعل تشكو واحدة من جواريه وحشمه فى قصر إمارته ، كدليل على إخلاص الفاسيين له ، وخضوعهم لسلطانه

يا لها من حيلة ! ما أشد سخافتها وبلاهتها عند من يعرفون التاريخ عموماً وأهل فاس على الخصوص ! أيبلغ الجرأة بيهودى حقير إلى أن يصير حاكماً على بلد إسلامى ، ثم يتجاوز هذه الجرأة فيحكم شعباً عريقاً فى الإسلام عن أن يجود له أحد ويسوق فتاته إلى عار الفسق والهوان ؟

عندما تسيل آخر قطرة من الدم العربى الطاهر الذى يغلى على وجه البسيطة فى الشوارع والقلوب ، عند ذلك يصح أن يكون اليهود حكاماً على العرب ، أمراء على أرض العرب

إيه يا فلسطين ، عشت للعرب وعاش العرب لفلسطين

ومضت الأسطورة فقالت : ثم طالبت أسرة اليهودى أن تجمع له شاباً عربياً صميماً يدعى الرشيد بن الشريف فأخذته النخوة العربية وسرت فى أعصابه روح من الشهامة والإباء ، وكان طالباً من طلبة جامعة القرويين

فماذا فعل الرشيد يا ترى ؟ لقد جمع حوله أربعين شاباً من صناديد الطلاب ، ثم تم الاتفاق بينه وبين الفاسيين على أن تكون الهدية التى تقدم لليهودى على أن يكون هو هذه الفتاة العذراء التى ستهدى هذه المرة ، وأن يكون أصحابه الأربعون فى مكان (حورة)[1] العروس ، والمراد أن يندس هؤلاء الشبان داخل القبب التى ستكون فى صحبة العروس ، وأن يكونوا عوناً لزعيمهم على ما يريد .

وتم كل شىء ، فأصبح زعيم الطلبة الرشيد بن الشريف كأسمح الفتيات ، وركب أبطاله الأربعون وأخفوا سلاحهم من الجمال فوق الأجنحة والقبب وسار موكب الفتاة من فاس إلى حواضر تازة من غير أن يكون فيه ما يبعث على الارتياب والظنون

ولو كان لابن مشعل قليل من دهاء الزباء لأنشد مثل ما أنشدت هى فى قصتها الشهيرة إذ قالت

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا

ولو أن ابن مشعل قال هذا لأجابه الرشيد فى نفسه

بل الرجال قبضاً قعودا

ثم قالت الأسطورة : ووصل الركب إلى دار ابن مشعل من غير أن يحوم حوله ريب أو شكوك ، فاستقبله اليهودى بسرور ظاهر ، ولهفة للتعجيل ، وأمر فى الحال بإغلاق أبواب الدار ؛ إذ كان قد استعجل لقاء الفتاة التى لم يجد شبيهها فى بنات إسرائيل ، ولكنها لم تستجز إلا لقاء حتفه ؛ فلقد حدث ما لم يكن فى الحسبان من قبل ، فما شعر المسكين إلا أن رأى جيشاً من الأبطال الفاسيين فى سلاحهم قد أحاطوا به إحاطة [illegible] !

ثم سالت الدماء فى ساحة دار ابن مشعل ، حتى لم يبق بها دم حى

وفى صباح اليوم التالى أجمعت كلمة الطلبة الأربعين على مبايعة زعيمهم الرشيد فبايعوه على سنة الله ورسوله ملكاً على المملكة المغربية

وأراد الرشيد أن يكافئ رجاله الأشداء على ما قاموا به من أعمال جسام ، فأقام لهم سلطنة صورية مؤقتة ، وجعلها إرثاً مشاعاً بين جميع طلاب الجامعة القروية — هذا الفاسيين — يتبوأون عرشها أسبوعاً واحداً فى العام كله

* * *

تلك هى الأسطورة التى تسير على أفواه رواة التاريخ المغربى ؛ ولسنا نحتاج إلى تفنيدها من الوجهة التاريخية بعد ما ذكرناه من حياة السلطان الرشيد وكيفية جلوسه على عرش الملك الشرفى المتحد

وبرغم ما فى هذه الأسطورة من التزيد والتلفيق فإنها تستند فى أصل وضعها إلى شىء من الحقائق التاريخية التى أشار إليها بعض الثقات من المؤرخين ، فإنه قال ما معناه : وعد السلطان الرشيد يوم كان جهيداً بالجلوس على عرش المغرب ويعمل على إنعام الشعب أنه سيجلس معه على العرش على رئيس يدعى الشيخ اللواتى ، وبينما هو فى سياحته إذ رأى رجلاً يصطاد فى هيئة الملوك وحوله

---

(1) « الحورة » مصطلح اصطلاحى عبارة عن أمتعة الخيل التى تصحب العروس ليلة زفافها وتجرى الخيل بها وتضعها داخل البيت ، ويحمل كل ذلك العروس جميعاً حتى على الجمال ونحوها [illegible]

حاشيته من المماليك والفرسان فسأل عنه قيل هو ابن مشعل من يهود تازة وقد جاءها وتجبر . فتبسم الرشيد سروراً وجعل السكين في فمه (وذلك علامة تأكيد الاستخفاف والاستعداد في أحد الثأر ونحوه) واستقبل الشيخ الوالي ، فلما رآه عن بعد إليه قائلاً : هيهات يا سيدنا حسبي ومالي طوع يديك . فأخبره الرشيد بما رأى ورجاه أن يؤلف له كتيبة من إخوانه الأشداء يفتك بهذا اليهودي الذي يستحيل نفسه إلى المسلمين وهو تحت حكمهم دون رحمتهم . فجرد له الشيخ الوالي جيشاً من عرب البوادي تولى عدده عشر الحماة وواعد الرشيد مع جيشه الصغير على أن يجتمعوا به متفرقين متنكرين في أسعار الظلام

وسار الرشيد إلى دار ابن مشعل التي بعدها عن تازة بضعة أميال ، واستضافه اليهودي فأضافه ، وعند ما جن الليل ، وهجع الناس كان رجال الرشيد قد أحاطوا بالدار وهم تحت السلاح ، وحينئذ سل الرشيد من مصحبه ، واحتال في دخول بيت ابن مشعل بعقب ما في صحب ثم أشار لأصحابه فتسلقوا الأسوار وهجموا من كل جانب ، ولم يشعر ساكن القصر حتى وجدوا أنفسهم مقتولين في الأسحار لا يستطيعون خلاصاً مما وقعوا فيه

وهكذا جمع الرشيد في هذه الزاوية وأصاف إلى نفسه ما وجده من الأموال والذخائر فاشتد بها ساعده وقوي عوده[1]

ومع هذا التاريخ عند هذا الحد فلا يذكر شيئاً عن سلطنة الطلبة . غير أننا نستطيع على أن نتم القصة بما رواه أحد العلماء استطراداً إذ قال : إن مولاي الرشيد هو الذي سن نزهة الطلبة التي جرى بها العمل كل سنة بفاس وهي أكبر أيام الربيع وذلك أنه لما فتك بابن مشعل واحتوى على ما كان لديه من الذخائر جعل لمن كان في صحبته من الطلبة نزهة فاخرة ، وقد كانوا نحو الخمسمائة ومن يومئذ اتخذت عادة مستمرة بعد حياته وبعد موته[2]

هذا هو التاريخ المفصل « لسلطنة الطلبة » ، وهو تاريخ عريق عرفت عادته وتجملت أطواره منذ نشأته الأولى حتى الآن ، ومن عجيب الصدف أن يقرأه المغربيون — والقارئة منهم — في آن

---

(١) مختصر الكتاب « أعلى القرن الحادي والثاني» للقادري النسخة الخطية المكتبية (٢) الدرر الفاخرة في مآثر العلويين بفاس الزاهية ، وهو نقلاً عن كتاب نشر المثاني في شرح لقصيدة ابن الوزان

وحد الأول منه . وهل أتى للتاريخ أن أمر من أمر سلاطين الطلبة الذين ... الطلاب كانوا يجهلون تمام الجهل تاريخ ... وعوائدهم وما ... آخر سلاطينهم — كما سأل أنا كثير من ... لعرب نبي للمس على من حرمتهم ، الأمر بما لا يحصي حقيقة والتاريخ . ويحسن أن معناه لتلك التعريج إنما كان ... لم إلى الروح الشريف الذي كان السلف في خلوته على عرش تلك السلطنة

ولكن هل كان يعرف هذا الجيل العجيب ؟

حسبي أن أمسك الآن . وهل كان يحق من كل هذا إلا أن أقف نظر أبناء عروبتنا وحثولتنا في أقطار العروبة والإسلام إلى هذه النقطة الواضحة من دعائم الإسلامية ليطلعوا على صفحة من تاريخ هذه البلاد والطريف ؟

فيا شباب العرب مدوا سواعدكم لتمحيص مجد العرب

واذكروا دائماً أن لكم مجداً عربياً طالما سدتم عنه وبه أمة تريد أن تعيش تحيي مجد الإسلام والعرب

عاش العرب ، وعاش الإسلام

(فاس) إدريس الكتاني

من الأدب الفرنسي

امرأة نوح ...

للأستاذ ناجي الطنطاوي

تناول الكاتب الكبير «جان دوروا» في هدأة من الليل، في غرفة مكتبه المنعزلة، الكتاب الذي وضع على يده وفتحه، فأخذت نظراته تجوب الصفحة

« ... عندئذ أمطر الله من السماء على سدوم وعمورة الكبريت والنيران ...

ولكن امرأة نوح نظرت خلفها، فانقلبت في الحال تمثالاً من الحجر .. »

فقرأه، ثم أغلق الكتاب المقدس

لقد كان هذا مع خياله الواسع، نقطة ابتداء كافية جداً لقصة وضعها. لم يبق إلا أن يسبكها في قالب جديد. ولفت نظره، في جريدة بجانبه، هذا العنوان الضخم

« انتحار شاب في مطعم ليلي »

فقرأه وابتسم .. لقد تم له ما يريد، وتألفت القصة. ليس هناك حاجة إلى النظر في بقية الجريدة. لقد كان بطله ماثلاً أمامه، يراه بوضوح: فتى ممشوق القد، في العشرين من سنه، أحرقته نار حب ملتهب، ولم يكن لديه الشجاعة الكافية للفرار منه. وما الفائدة من الاطلاع على التفاصيل التي توصل إليها محرر الصحيفة؟ لقد كانت عناصر الموضوع وخصائصه التي تبعث فيه الحياة، كانت تختمر لديه منذ أمد: الأناقة، والفتى الصحيح. وأخيراً الحكم الذي نجده في كل قصة (سرور المؤلف ذاته)

كان جان دوروا يحس أنه فاتن في هذه الملاعب. ولكن كان يخيل إليه أن الكتاب ومخلوقاته تأتيه هذه المرة بأسرع وأحسن من كل يوم

واقتضى مصيره حاجة ... تسيل الكلمات بهذه السهولة على ريشته هذا المساء؟

وتذكر أن هذه الكلمات ذاتها خرجت من بين شفتيه قبل الآن، ومنذ وقت قريب... على أن مأساة كانت تخرج كلماته، واحد يتفق، كالسهم، من أوراقه المنتشرة على المكتب ..

وكان يتمتم: «مستحيل، ليس من الممكن أن يكون (هو) هذا الشخص»

و(هو) كان ولده الذي ... موريس لا يعرف ... أخبر أصدقائه عنه، شاب حدث، ... في حياته، أخلص له، هو «جان دوروا» الأديب الأناني

لقد كان يذكر كيف تألم عنده، وكيف أخذ يملأ قلبه وعقله من عقله وقلبه

أجل، لم يكن حادثة حب مكروه التي ... موريس في السنة الماضية إلا له هو، جان دوروا، ولولاه ما ...

ولكن ما كان أشد المأساة التي بعث هذا النصر!

لقد علق موريس امرأة حضرة، فأحبها بشكل مزعج، بحيث أصبح من الضروري أن يتدخل جان دوروا، بنفسه في الأمر

أين كانت ستقوده هذه العلاقة بعد تبديد ثروته القليلة؟ إلى الفقر؟ إلى السرقة؟ إلى الجريمة؟ ربما

لقد قال له وهو يعظه: «انفصل عن هذه المرأة، وغيّر هذه الحياة. سافر دون أن تلتفت وراءك، وإلا خاب ظنك»

هذا ... القراءة ذاتها

وكانت تضطرب في يده إشارة تلغرافية من ... (المدينة الصغيرة)

«غريب جداً ... سأعود ... أصبحت ... موريس»

لقد ... هذه الإشارة حين تلقاها، الأمس، وأخيراً، لا مناص من الحزم ... ساعده

وها هي ذي إشارة أخرى بين يديه

«شكراً ... سأكون في ... أطاعتك ... ورائي ...؟»

وكان جان دوروا يلتهم خبر الجريدة بنظراته ... ما كان أروع هذه التفاصيل

«بعد أن تعشى في المكان المذكور مع امرأة ... مريبة، وبعد أن ... صاحبته في الصباح الباكر، طلب الفتى غرفة خاصة وأخذ يحتسي ... وحيداً أكواب الشمبانيا وبعد نصف ساعة كانوا يخرجون به ميتاً وقد انفجرت ... ورأسه. والتحقيق الأول يحمل على الظن بأن الفتى ... من المتسكعين. ومع ذلك لم يتمكن من معرفة شخصيته»

وكان صوت من ... جان دوروا: أليس هناك أي شك؟

هذا الشاب المخبول هو موريس ... موريس البرير ! وليس لي إلا أن أسمو ، لا أدرى أين ، فتعرف على حقيقته ! !

وكان جان قد وقف

وطرق الباب في تلك اللحظة طرقة رهيبة وطائل

أليس هذا هو الخبر المشؤوم ينتظره إليه ؟ وفكر

ومع ذلك كان يتردد ويده على الباب

وسكن الطارق طويلاً

— أبي البرير ، أبي البرير ! هذا أنا ! هذا ، كان يصيح به صوت حزين عليه

وفتح الباب سريعاً

وبدا موريس جميلاً كالشبح

— أنت ؟ أنت ؟ أهذا أنت ؟

— ولم الدهشة ؟ ألم أعرف بصوتي ؟

— و .. ففتحت ، من الدهشة ؟

— ومن أين وأنى إذن أتيتم ؟

ومد له « جان » ذراعيه ، فاندفع بينهما

ثم قال موريس

— ما أشد سروري برؤيتك ... كم تغيرت ، طويل ... البرير ؟ لم أكد أعرفك ، حتى أحيائي حولها

وكان سكون ... كان « جان بورو » يتفرس ابنه بنظراته كما لو كان يحاول الوصول إلى أعماق فكره ... ثم صاح به وقد اصطكت أسنانه

... ماذا حدث ؟

فأجابه موريس مازحاً

لأني عاشق

أتجرؤ ؟

— ولم لا ، يا أبي البرير ؟ فكرت فيها فوجدتها ساحرة ولا أدرى في حقيقة ما الذي يمنعني من زواجها

— هم ؟ .

وكان جان بورو قد رفع قبضته ... وصاح به

— أنت مجنون

— أوه ، ما هذا الذي تقول ؟

— ما أقول ؟ ستعود إلى المصر حالاً دون أن ترى « كريستيان » المرأة السوء هذه

فانفجر موريس ضاحكاً

ولكنني لا أتكلم عن كريستيان ... ، فتجوزتها بعد زمن ... أريد أن أتزوج فتاة — فتاة حقاً — لا أنها مالكة مع أسرتها ، وقد عدت إلى باريس

ولم يعد جان يصغي إلى ما يقول ، بل كان يمسح ...

وقال موريس

— ما أسعدك الآن ؟ لقد كتب عليك عمك ما أعنى ، فأنت يا أخي لا تنقطع عن العمل ، أليس كذلك ؟ لقد قرأت هناك مؤلفك الأخير ... بمن تشتغل الآن ؟

ورمى جان بورو بصره من الورق على ما كان يكتب ، ولكنه لم يجب العجب ، وصاح موريس

يا سلام ... هذه ، هذه القصة القديمة ! سمعت عنها ... من الحاضر بجوار الحياة ، أحب دائماً رموز الكتاب المقدس أما هذه القصة فلن ... عليها بعد

فأجاب جان بحرارة

... ، لا نستطيع أن نعمم ، ولكن نحتمل ما نصبر ... كم يسرني هذه المرة ألا نعمم !

ترجمة

« دمشق » ... القطاري

في الأدب الإنجليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٣ – السبيل إلى فهم فلسفته

يشعر الكثيرون — ومن بينهم كبار النقاد ومشهورو الكتاب — بصعوبة في فهم لورنس وفلسفته ، وما ذلك إلا لأن سلاحهم هو العقل وحده ، وعمدتهم هو المنطق والقوانين العقلية . فأول ما يجب أن يعرفه دارس لورنس هو أن هذا الكاتب ليس مما يسهل فهمه بالعقل ، وإنما إلى جانب ذلك يجب أن يستعين القارئ بخياله وتجاربه وشعوره الخاص . فلورنس قبل أن يصل إلى آرائه وقبل أن يستخلص فلسفته لم يلجأ إلى العقل أو التفكير بل كان هديه الغرائز الطبيعية ووحيه الرغبات الجسمية . والحقيقة أن لورنس رحل بحثه في دمائه ، وفلسفته تختلف عن فلسفة كل من سبقه من الكتاب والشعراء ، فهي ليست نتاجاً ناشئاً عن العقل والتفكير ، وإنما هي تجربة أو سلسلة من التجارب أحسها صاحبها في دمه ثم نقلها إلينا في صورة كتب . وواجبنا نحن عند دراستها أن نرد هذه الكتب إلى أصلها فنحسها كتجربة تجري في دمائنا ، كما كانت الحال مع صاحبها في أول الأمر ، فنحن إذ نقرأ لورنس إنما نصحبه في رحلة طويلة في عالم مجهول عنيف .

وربما كانت كتب لورنس هي عبارة عن قصة روح تجول في العالم الإنساني تجرد ما في المجتمع من عيوب ، وتحذر الناس من تيار المدنية الحديثة التي قد يجرفهم إلى هاوية لا مهرب لها ولا قرار ، وواجبنا عند دراسة لورنس أن نعرف تجربته التي على ضوئها وصل هو إلى آرائه وأفكاره التي ضمنها كتبه . ويجب أن نذكر دائماً أن لورنس كان فناناً قبل أن يكون كاتباً ، حتى نفهم أن تجربته وضعها ما كانت تشكيله ، فقصد إلى توضيحها والتعمق فيها ، بل والتفاني في وصفها أحياناً . ومن ثم كانت شخصيات رواياته حقيقية وغير حقيقية ، فهي حقيقية لأنها منقولة من الحياة وأصلها في الحياة ، وغير حقيقية لأنها تأتي من الأعمال ما قد يختلف عما تأتيه مثيلاتها في الحياة . وقد كانت هذه الظاهرة أو هذا التناقض سبباً في فشل كثير من محاولات دراسة لورنس ، لأنهم لم يحسبوا لهذه النقطة حساباً .

ويختلف لورنس من جهة عن كتاب عصره في توجيه اهتمامه إلى اللاشعور أكثر منه إلى الشعور . ومن هنا كان الاختلاف البين بين شخصيات رواياته وبين شخصيات الروايات الأخرى . فالأولى تمضي مدفوعة بقوانين أعمق من قوانين شخصيات الروايات الثانية ، فهي أكثر خضوعاً لقانون اللاشعور من الأخرى ، وكان هذا الاختلاف مبعث صعوبة كبيرة في فهم ما يرمي إليه لورنس في بعض كتبه . ولم يغب عن الكاتب مبلغ ما سوف يلاقيه قراؤه من العناء في فهم هذه الكتب فعمد إلى بسط آرائه وشرحها بطريقة مباشرة لا رموز فيها ولا أحاجي في بعض كتبه التي من أهمها كتاباه عن تحليل اللاشعور ، وكتابه الذي يحتوي على مقالات متنوعة ، وأخيراً كتابه الذي طبع بعد وفاته واسمه «أبوكاليبس» .

ومن أكبر المصاعب التي صادفت لورنس أنه لم يعتبر بدي نفسه وبعث رسالته في قوم عبدوا العقل ونصبوه إلهاً عليهم ، وكان لزاماً عليه أن يأتي بالمعجزات قبل أن يستطيع تحويل الناس عن معتقدهم إلى ما يعتقده هو . ورأى لورنس هذه الصعوبة ، ولكنه كان لا يعرف اليأس معنى ، ولا كان العنت يعرف له طريقاً ، رغم أنه كان يصدم المرة بعد المرة ، وما ذلك إلا لأنه كان واثقاً من صدق رسالته ، ومن الفوز في النهاية . لقد شعر في داخليته بهذا الصراع العنيف بين الجسم والعقل ، كل يريد أن يبسط سلطانه ويسيطر على الآخر . وهذا هو السبب في أن القارئ المدقق يجد دائماً في كل شخصية من شخصيات روايات لورنس تيارين من الحياة : تيار الحياة العقلية وتيار الحياة الجسمية ، بمعنى أن لورنس كان يرى في كل شخصية قوتين : قوة العقل التي تحاول أن تجعل كل شيء يبدو صحيحاً ، حتى ولو عاد على صاحبه الضرر ، والقوة الثانية هي قوة الجسم الغريزية ، وهذه لا تخدع ولا تنخدع وإن يعود على صاحبها الضرر بنتيجته ، وبالعكس تعمل على ما فيه مصلحة صاحبها لا يؤثر فيها مؤثر ولا يثنيها عن طريقها مغر من المغريات الخادعة . ولقد لاحظ لورنس على حياتنا الحديثة أننا بدأنا نضرب بقوة الجسم وبقدرته عرض الحائط ، وبذلك مهدنا السبيل لسيادة العقل وسيطرته علينا . ومن ثم كان الصراع العنيف الذي يجري في داخل شخصيات لورنس التي ترى إلى

كسر قيود العقل والتحرر من ربقة استبداده ، حتى نرتفع إلى الاستماع إلى رغبات الجسم ثم العمل على تحقيقها ، وبهذه الطريقة نستطيع الحياة الصحيحة الحقة . ويرى لورنس أن رغبات الجسم لا تكذب قط ، فالجسم هو الذي يشعر بالجوع والعطش ، وهو الذي يشعر بالفرح والحزن ، وهو الذي يشعر بالحب والكره ، وهو الذي يشعر بالعطف والنفور ، وهو الذي يشعر بالعجز والصد وما إلى ذلك من العواطف التي مرجعها الجسم وحده ؛ وأما العقل فلا تعدو وظيفته تسجيل هذه العواطف والاعتراف بها.

وإن حياة الجسم لتظل طبيعية حتى يتدخل فيها العقل ، فيحدث الانقسام ويبدأ التضارب بين الخير والشر ، وهذا أساس شقاء البشر ؛ وهذا الانقسام هو نتيجة لرغبة العقل في تقييد الجسم وسلبه من حريته ، فهو لا يريد أن يتركه يشعر كما يشاء أو يطلب ما يريد ، ثم لا يقتصر الأمر على ذلك ؛ بل يحاول العقل أن يملي على الجسم طائفة من العواطف يحتج له بأنها الخير ، ويحرم عليه طائفة أخرى على اعتبار أنها الشر ، وبمعنى آخر يحاول العقل أن يبسط عليه سيطرته ثم يتحكم فينا بعد ذلك فيفرض علينا ما يجب أن نشعر به وما لا يجب أن نشعر به ؛ ثم بعد ذلك يفرض علينا كيف نشعر بهذه العواطف التي اختارها لنا ويستمر العقل على ممتلكه هذه كل أمر من الجسم خضوعاً وخنوعاً ، حتى يأتي الوقت الذي تموت فيه كل مشاعر الجسم وعواطفه ، ولا يبقى سوى هذه العواطف المصطنعة المتكلفة التي فرضها لنا العقل وخدع بها الجسم . وقد مثل لورنس شخصية الرجل الحديث في روايته القصيرة « عشيق لادي تشاترلي » تحت اسم كليفورد الذي يخضع إلى العواطف المنظمة التي فرضها لنا العقل ، ويخضع كذلك إلى مستلزمات العواطف الحادثة الطبيعية التي لم تشارك العقل بالتهذيب والتشذيب.

ويرى لورنس من كتاباته سواء في ذلك رواياته الطويلة أو قصصه القصيرة ، أو مسرحياته الأربع ، أو كتب أسفاره ، أو مجموعة أشعاره ، إلى فك قيود الجسم وتخليصه من الأغلال التي أصبح يرسف فيها منذ أمد طويل . ويرى لورنس أن الوسيلة الوحيدة الموصلة إلى هذه الغاية لا تكون إلا بترك الجسم يستمع إلى أحلامه ، ويسعد رغباته دون أن يكون عليه من العقل رقيب أو حاسب ؛ وبمعنى آخر يريد لورنس أن يوقظ الجسم من سباته العميق ، أو يبعثه من رمسه بعد أن دفنته المدنية الحديثة ووريته التراب من الأمس القصير للحياة [illegible] امرأة وقد استلقت عارية ، لتهب جسمها للشمس ، [illegible] رغبة جسمها في ذلك ، وبذلك تتغلغل الشمس في [illegible] المرأة بالحياة قد دبت فيه ، ونمت ، وقد [illegible] ثم تسأل المرأة نفسها : لم يطلب جسمها الشمس ، ولم رغب [illegible] لأن هذه الأسئلة هي من صنع العقل وابتكاره . [illegible] تفكر المرأة في الشمس ولا في أسئلته أو منطقه ، وإنما حصرت كل تفكيرها في جسمها ، فعمدت إلى إعطائه ما يطلبه حتى إذا تمت شعرت كأن ينبوع الحياة قد تفجر من جسمها من جديد ، بعد أن جف ماؤه أو كاد . ولقد ضرب لنا لورنس بهذه المرأة مثلاً لعقيدته ومذهبه ، فهو يرى أن من قد أطلق للعقل أعنته لا يستطيع ، ورجوعه إلى مكانه ما كان له أن يرجع إليه . لقد أولوه أذناً صاغية ، وكان من أثر ذلك أن تحكم فيهم العقل وسيطر عليهم ، وكل ذلك على حساب الجسم ، وكانت النتيجة المحتمة أن بات الناس يعيشون ، وهاهم بأحيائهم على قيم العقل حائلة وأجبرهم على الاستمرار فيها دون تغيير أو تبديل ، وهذه أبعد ما تكون عن الحياة الصحيحة . ونحن نشاهد أثر ذلك في مثل كثير من الزيجات في عصرنا هذا ، لأن حياتنا في الحقيقة إنما هي وليدة العقل لا دخل للجسم فيه ، وأما الزواج الحقيقي فأساسه الجسم وعلاقاته الرغبات الجسية ، ولذلك نجد أن زواج العقل الحديث مآله إلى فشل ثم إلى طلاق.

ونحن لا ننكر أن كثيراً من علماء علم النفس أمثال يونغ Jung وفرويد Freud وغيرهم بحثوا في باب اللاشعور قبل لورنس وعاونوا عليه ، ولكنهم اتبعوا في ذلك الطريقة العقلية التي تعتمد قبل كل شيء على العقل ، وقد حذا حذوهم بعض الكتاب العصريين أمثال أندريه جيد André Gide وألدس هكسلي Huxley [illegible] دنيا دون أن يلمسوه ، فكتبوا في اللاشعور ، ولكن كان رائدهم في ذلك العقل والتفكير ، حتى غدت تجاربهم العقلية أسطراً مقيدة عقيمة ، ولذلك فشلوا حيث نجح لورنس لأنه لم يعتمد على غير تجاربه الخاصة التي دفعها إلى جسمانية صريحة أنكرت المجتمع وأغضبته عليه.

حتى في مثل شخصية روايته ، لم يستطع سوى عواطفه وحواسه . وكان هذا سبباً في تحير كثير من الكتاب الناقدين

عن فهم لورنس وإدراك فلسفته ، ويحكم به بعضهم في الإعراض عنه بسبب الجنس وخوفه عليهم في مضار التجربة والتيه . فنرى صديق Murry صديق لورنس الحميم أثناء حياته وعدوه اللدود بعد مماته يقول في كتابه السخي (ذكريات عن لورنس) « إن للورنس من التجارب ما لا طاقة لنا على فهمه أو إدراكه ولم يكن أصدقاؤه ليستطيعوا أن يجاروه أو يسيروا معه جنباً إلى جنب نظراً لأن ما يراه هو سهلاً بسيطاً يبدو على أفهام الكثيرين ويصعب فهمه » . ثم يقول هكسلي في أحد كتبه عن لورنس « إن حدة الإحساس للورنس صادرة عن اشتراكه وإيمانه في مشاعره الإنسانية ترى منه الإحساس كل ما هو جديد عليه . وذلك لأن لورنس يعيش في عالم غير عالمنا ، ويرى ما لا نرى ، ويستطيع أن يرى ما يستعصي علينا من استجلائه . والحياة في نظر لورنس ما هي إلا دور تناسخ طويل يشعر فيه الإنسان وكأنه قد خلق من جديد في كل يوم وفي كل لحظة ... ولورنس يعرف كل شيء عن كل شيء ، فهو يعرف الشجرة وكنهها ، والزهرة وأصلها ، والقمر وما يحيط به من إبهام وغموض ، وفي مقدوره أن يتقمص جسم أي حيوان ثم يحدثنا بإسهاب وتطويل كيف يشعر هذا الحيوان وكيف يحس وكيف يفكر »

وهناك نقطة أخرى يجد كثير من القراء في فهمها ، لأنها غير مألوفة لديهم ، وهي أن شخصيات روايات لورنس سهلة الانتقال من النقيض إلى النقيض في أقصر وقت ، من اليأس إلى الأمل ، ومن الحزن إلى السرور ، أو من الغضب إلى الرضا ، ومن الانفعال إلى الهدوء . وهذه الظاهرة وإن كنا لا نلحظها في حياتنا العادية إلا أنها موجودة حقاً بين الشعراء والفنانين . ولما كان لورنس نفسه شاعراً فناناً فقد عمد إلى خلع بعض مواهبه على شخصيات رواياته بأن جعل عندهم هذه الحساسية المرهفة . ولورنس ليس من أولئك الذين يرون حداً فاصلاً بين الحقيقة والخيال ، بل يراهما متداخلين تداخلاً تاماً ، وهذا ما نرى تصويره في رواياته نقلاً عن الحياة . في رواياته « [illegible] » و « قوس قزح » و « [illegible] النساء » لا يكاد القارئ يميز الخط الذي يفصل بين حلم وحقيقته ولا يسهل عليه أن يتعرف من أين يبدأ الحقيقة ومن أين يبدأ الحلم وأين ينتهي كل منهما . وهذا الأمر لم يكن غير مألوف في روايات كتاب العصر الحالي إلا أنه موجود حقاً في الوجود ، ولورنس إنما يكتب عن الحياة كما يراها هو لا كما يحب الناس على أن تكون .

وثمة صعوبة أخرى ستعترض بعض قراء لورنس بسبب غموض معانيه أحياناً ، ألا وهي اللغة التي يستعملها في نقل فلسفته غير المألوفة لنا . فلورنس وهو يترجم تجاربه في صورة كتاب يحاول جهد طاقته أن يشرك القارئ في نفس التجربة التي مر بها هو ويشعره بها كأنها تجربته الخاصة ، ويعرفه إلى ذلك عن طريقها في لغة نقية والتعبير عنها تماماً . فهو يحاول التعبير كي يحوي من الكلمات ما يناسب كل إحساس جسماني ، كما يحاول في الوقت نفسه أن يختار العبارات التي توافق كل ميل ينعكس بانعكاس هذه الإحساسات الجسمانية . وقد وفق لورنس في محاولاته هذه كل التوفيق . وهذه في مصاف كبار الفنانين وقدمهم ولم يكن جهد لورنس بالسهلة اليسيرة ، ويكفيه ما لاقى ليأسر أو يسحر ، ولم تذهب مجهوداته الجبارة هباء عند ما اخترع الكلمات التي تعبر أصدق التعبير عن الإحساسات الجسمانية والعواطف العميقة التي تصحبها بل عمد أيضاً إلى خلق لغة خاصة للأشياء وهذه وإن بدت غريبة غير مألوفة لدى القارئ عند أول وهلة إلا أنها لو درست وأعطيت حقها من الدراسة لوجد أنه بغيرها لا يمكن التعبير عما أراد لورنس التعبير عنه . ونقطة أخرى يجب أن نلفت نظر دارسي لورنس إليها وهي عدم إلمام موضوع لغته بصلته في أن هناك بعض كلمات يجب أن تفهم كما فهمها لورنس نفسه لا كما أجمع الناس على فهمها ، ومن أمثال هذه الكلمات . « الظلام » و « الكبرياء » و « الرجل » و « المثل الأعلى » و « الغريزة » فهذه الكلمات وأمثالها استعملها لورنس وقصد بها غير ما اتفق الناس عليه .

ويبوء بالفشل كل من يحاول أن يستخلص من كتابات لورنس وفلسفته طريقة ثابتة للحياة على اعتبار أنها المثل الأعلى ، وذلك لأن لورنس كان عدو الاستقرار والجمود ، وكان يعتقد أن كل محاولة لخلق طريقة يحتذي الإنسان على منوالها طول حياته هي خطأ كل الخطأ ، بل هي الموت بعينه وإنما هي ضيقة أخرى . فلزام على الإنسان أن يتغير ويتحول حسب مقتضيات الأحوال لا أن يمشي على وتيرة واحدة . ويقول لورنس في أحد كتبه « لا يجب أن نبقي الوسائل العقلية ثابتة دون تغيير . بل يجب أن تتبدل وتتحول وتذوب كما تذبل الزهور تماماً ، فهي تنمو أغصان

من ذكريات الحرب الماضية

أخي ...

للأستاذ ميخائيل نعيمه

أخي ، إن ضجّ بعد الحر ب غربيٌّ بأعماله
وقدّس ذكر من ماتوا وعظّم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامٍ
لنبكي حظّ موتانا

أخي ، إن عاد بعد الحر ب جنديٌّ لأوطانه
وألقى جسمه المنهو ك في أحضان خلّانه
فلا تطلب إذا ما عد ت للأوطان خلّانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

أخي ، إن عاد يحرث أر ضه الفلاح أو يزرع
ويبني بعد طول الهجـ ـر كوخاً هدّه المدفع
فقد جفّت سواقينا وهدّ الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعدا ء غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

أخي ، قد تمّ ما لو لم نشأه نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاء ولو أردنا نحن ما عمّا
فلا تندب فأذن الغيـ ـر لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خند قاً بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

أخي ، من نحن؟ لا وطنٌ ولا أهلٌ ولا جارُ
إذا نمنا إذا قمنا ردانا الخزيُ والعارُ
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقاً آخرْ
نواري فيه أحيانا

منها في شيء؟ وإن مقاومة ناموس الحياة هو الشر بعينه فإذا أصر الإنسان عليه، عبثاً ورجا كان من نصيبه يجب أن يعترف بأنها تطلب منه اليوم غير ما تطلب بالأمس، وأنها في الغد ستكون مختلفة عما كانت عليه اليوم، فعليه إذن أن يعمل لتشكل حسب ليونتها وإلا هدم وحياته ومقتضياتها، وإلا فهو ميت حي، لأن سر الحياة هو الطاعة، طاعة الدوافع التي يشعر بها فينا ثم العمل على تحقيقها. ويعتقد لورنس أنه ليس بين الحياة والموت وسط وما على الإنسان إلا أن يختار بينهما، وهو بكتاباته يرمي إلى إرشاد الناس كيف يعيشون عيشة هي الحياة حسب

وبرغم أن المعجبين بلورنس وأتباع مدرسته يزدادون يوماً بعد يوم إلا أنه لا بد أن يمضي قرن من الزمان قبل أن يتبوأ لورنس مكانته التي يليق به بين كتاب العصر الحديث كما حدث للشاعر الإنجليزي وليم بليك من قبل

(يتبع)

عبد الحليم حسن
خريج جامعة أكسفورد (إنجلترا)

وحدة العمر

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

تعالَيْ قد عرفتُ حدود نفسي وأدركتُ السعادة ملء كأسي
تعالَيْ إليّ واملئي رحب حسّي فإني اليوم لست خيال أمسي!

تعالَيْ قد عصفتُ بالكؤوسُ ومالت من معاطفها الرؤوسُ
وشاعتْ في ملامحي النفوسُ تعالَيْ إنّ شمسكِ الشموسُ!

تعالَيْ إنّ بسمتكِ الشروقُ وشعّ من خواطرك البروقُ
فقد سكِرَ الظلامُ فما يفيقُ وطال على منابعك الطريقُ!

تعالَيْ ، تعالَيْ أحييني حياتك تعالَيْ ، تعالَيْ صوّري لي حياتك
تعالَيْ ، تعالَيْ أعرّف صفاتك فإني اليوم طلّابٌ إن أتاك!

تعال تحيرني أحمت ترنّي ! | تعال ترقبني بجانب سجنٍ
وترع عن تسابيها الصدّ | تعال فاتَ أسرارُ التمنِّ

تعالَ ، تعال حيّرني بنورك | وأشعلني لأشرح في سرورك
تعالَ إليَّ كحيّرني وبارك | فؤاداً ظلّ يغني في حبورك !

تعالَ فاتحِ الأيامَ فينا | يحول أن يحول الظُّهرُ إنّا
وعشْ في اجتذاب النفس وفي | فما أقسى الحياةَ ، فيعيش إنما !

تعالَ فهذه كأسُ الليالي | يحوم على حوافها خيال
وعشها يَدُ بحرى مآل | فتعيش ، وأيُّ عمرٍ أمال

تعال فهذه اليد كم أشارتْ | وجاءت في الظلام وما توارت
وأزجت النفوس وما استطارت | يداً أقوى عصفها ... نجارتْ

يد الأقدار ترجي حوانا | وتشهر في سكينتي السهام
وعلاً وحب إحساس رحما | تعال خلُوّل الحب سلاما

سلامٌ سكوتي وأطلُ أرنو | إلى الأمس البعيد وأنت تدنو
وورد الفجر يضربني ويحنو | على صباحهُ ، وسناك يبدو

ستعطف الحياةُ أمام عيني | تمرُّ طيوفها وتغيب عني
وشيء في خواطر من تمنٍّ | وأحلام تلوحُ بكل لون

وما أنا غيرُ طيف من رؤاها | تأخّر خطوه حتى رآها
وبعرف سحرها ومدى هواها | ونفرحه وسكينة غناها

تعالَ فربما جاوبتُ داري | فتحدثني الحياةُ إلى جواري
فلتشي بين أضواء النهار | إلى ليلي ، وسر أني انتظاري

تعال وفيَّ أحلامٌ وروح | تعال وفيَّ أطيافٌ وروحُ
تعال وفيَّ أصواتٌ تلوح | تعال وفيَّ أعطارٌ تفوحُ !

تعال فقد يلذُّ صدوءُ نفسي | وأطمع أن أعيش بعيد حسي
عسى أن تذهب تلوح بأسي | ويرجع حاضري يشفي وأنسي

حسن كامل الصيرفي

انسائح الشادي

للأستاذ فؤاد بليبل

كيفَ الشروح عند أثرت وحشي
أيُّ الذي أشعلك منى أفرس

يا باكياً في الدرج يندبُ حظه | دع عنك عن اليأس والجزع عنى
قلبي كقلبك موجعٌ متألم | أعجب بعني السحاب الموجع
لك دهرك يا أكثم أسوة | فاسمع الي من الاراكة واسمع
كيف البكاء ودمعٌ شيد الأسى | لا أنت في شعر ولا في بلقع
ورعى على الغصن النضير مرجّعاً

في كل موطن وروض ممرع
سلام سكي بوفي أسواك الربى | بين الطيور ودورها الأربع
وأمامك الفن الفسيح وعونك الله

روض الفقيد وصاحبه الأسى
وحيالك الآمال ملأى بالمنى | وعماك الأمن الرحيب الرحب
انك تحت فيء دوح لو أرادته | لأجيل من عمرك ودال تعجّب
ما عن العمر العمر مكانه | غصون ثمر الشرفات حط الوضع
سنحت بك الحب فانك ماثل | وعجبت لي فايست لصرعي
أشعلك أنكفد شعب بورية | عذبتها بفؤادك المتقطع
وسقيتها الشوق فأصبحت | بين الورود وبينها لم تشبع
وسبحت كالأسراب عن عجب | في الروض المتلألئ تترعرع
وكأنما العرش يماثل حسنها | قبس تشيته يد يفيض ويرجع
والحسن كان ولا تزال وسيمه | سرك القلوب ومنة المتطلع
ولامست من الأكف وقدست

يا منبع سحري وأمر مطمع
وسفرت ثنا رأتك وساقي | تمشي صحائف وأذنت بتسمع
فالقلب لها طيرٌ امين فليس في | أكنافه غير أدنى مطمع
وأريها يحسنان تكون قليلة | فالورد مثل الروض بالعقر والقطع
وامالاً صيد الشعر أطالها ولا

تلك في وجودك كالتراب الأسفع

دراسات في الفن

كنت أحسبك رجلاً!

بهما ووهبت سيرة قصيرة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

كان لاستربوس طفلتان ، وكان شكل وجهه شبيها بالحياء في الحب ، وكان هو يحبهما معاً ، ويزعم أنه كان يود بكاملها سعادته وإخلاصه ، لو أنهما كانتا جسمه واحدة ، فقد كانت كل واحدة منهما تشكل أختها ، ولم يكن يجب إحداها إلا أنها استقلت عن الأخرى بجسد وحدها

ولكنها حكمة الله التي شاءت أن تتبعثر اثنتين زوجته منهما واحدة ، وشالت عنه وحدتها بعد ماظلت تحوم حوله حتى لم تهمل فيه حيلة من حيل الإغراء التي تحتال بها النساء على الرجال ، ولم تستتر فيه حسنة من حسناتها ، وقد كانت كلها حسنات مما تخلب الألباب ، ولم تحتجب فيه ريحاً تألف به روحها ، بل كانت تحرق فيه روحها تتعالى أمامه متقابه ، أحبها سهوره إذا احترقت وتورت ، ولم تدع فيه عرقاً من عروق الأنوثة التي حببت الطبيعة بأنواعها وأشدها وأحكمها إلا سحبت فيه تحقيقه حبها .. فاستطاعت أن تصل منه إلى شيء أكثر من أن أحبها كما كان يحبها ، وما كان هذا الذي تقصده ، وإنما كانت تريد أن تأخذه أحد أشياء التي تعرض الرجل الذي تعرضهم قد تحرت وسائلها في تمكينها من شخص يئس وحسب إخلاصه

يكفيك أنك كنت أول ناشئ ... دون الطيور لسربها المتصوع

يكفيك أنك قد نفضت ترابه ... وركت سيابها عبرك واتضح

ذكرها صادقة الطيور صبية ... واشتد سرحها في مكان أرفع

في موسم أهوى الفساد هيامه ... ذا روعة عمر ذلك الموسم

وإنا هتفت ولم تجد لك مهملاً ... عذب للبلبل كما نعاب الأسمع

تطير الصادح على القصي أو من به

مرا أين القصير غير صدوع

لكومة خير من ورودك موردا ... ولع المكروب بذاك المنصع

من كان لا يرضى الطبيعة مشربا ... عهد يخشى كدر المستنقع

* * *

وسيلة أعت على جارح ... راحت تصب عتابها في مسمعي

قالت: (وما كذبت) أراك تسلوتنا ... وودت تباطنني فقلت لها ارجعي

مستقربت عنا رأيه وما كنا ... إلا أطلعتها على ما دعي

قالت أتذكر حين كنت مشبب ... نتذكر عهد ودادك المتصدع

ورود حتم أن تصبر صدودنا ... فلام حنت إليك أحب أفلا تعي!

صاحبها ... كان ذلك والهوى ... عن درب الطير حيث صبيع

أمرك في شاعر متعبد ... الحسن ... بعد ... موجع

أهوى ، ثم أهوى الجمال بعينها ... بالطير لا أهواء غير مبرقع

أهوى الجمال عميقه وبعيده ... عن كل شائنة وكل مقنع

ولقد أحب الشيء مع أني به ... كلف شديد ... للترع

وأعوذ عنه برغم ... شهود ... ذكرا علقت بمنى وزرعي

كم سهل عثمته متعرقا ... سقط القلوب به لم أعرع

قد كان حسنك مثل كل مسعى ... واليوم بت وقد ... عمري

مودى إلى ما كتبه من صفر ... أو قاوكيني لا مني مصعي

ودي التصنع بالغرام فإنما ... عن يبال بالهوى المتصنع

يا جني وصلاً خفت بمنع ... لو ترى ... طلت يجزع

أو كنت مولعة وأنت كما أرى ... ... خشب بموقع

« عمر الأميري » ... فؤاد بليبل

وجبره ، وقالت له وهي تودعه منشجة في عنقها « كنت أحسبك رجلاً ! » فلب وهي تظن أنها صدمته بها ، وتركته ومضت ، وهي تحسب أن أشد النساء عداوة له أوشكت أن تحب استراوس وأن تهيم به ، لطرحها منه وجه وراء الأنوثة أن يطلب هذا الذي كان يحسبه رجلاً فخيبته غير رجل !

ولو علمت هذه الصغيرة أنها حين رأت استراوس في صورة غير صورة الرجل ، رأت منه جوهر نفسه ، بين تركته ولا غرته ما دامت تحبه ، ولبدأت صالح الحب على أساس جديد غير ذلك الأساس الذي يقوم عليه الحب بين المرأة والرجل ، فقد كان استراوس غير رجل حقاً ، ولكنه في كونه امرأة كان لا يزال يحب امرأة ، ويستمر لها ، ويفرح كلما حن إليه أنه قد يمضي الحياة من غير امرأة .

وكانت زوجته تعرف فيه هذا ، وإن لم تكن تري شيئاً وراءه ، مكانت هذه الذي يعيب ها من خلال ... ووجب عليها ... منه ، وتمسكت فيه حتى كانت النظرة اللاذعة سبب تطل على أشد ثورات ... قطعتها وحمد أعصابها

فماذا كان استراوس ؟

كان إنساناً كجميع الناس ، ولكنه كان إلى جانب هذا قليل الصلة بالحب لأنه كان سعيد الصلة بما في أعماقه ، وكان قليل الحيلة في اصطناع حركات الناس وسكناتهم لأنه كان شديد الخبرة بدخائل نفوسهم ، شديد الرحمة لضعاف هذه النفوس وبخاصة ، شديد الموازنة بين ما يراه وبين ما يترجع إليه من الكمال ، شديد النقد لما يبدو له من النقص والعيب ، والذي يتعهد هذا النقاد إلى ما تسره حدة الحب لا يمكن أن يشبه الرجال الذين يمشون على سطحها ، والذين يعيشون على وجهها حيث الهموم والتاسية ، وإنما له كيان آخر ، حلالة وآيات ... وقد كان استراوس فناناً ، وكان فنه يستدعيه إلى الأعماق ، وكانت عاشقته التي نفرت منه تريد منه إلى الأعماق أحياناً ... ولكنها كانت تنسى إذ ذاك أنه رجل وأنها أنثى ، فإذا ما كرب هذا طرف إلى السطح وتريده أن يسعى إليها طفراً ... ولكنه كان يظل حيث هو ويناديها إليه فلم تكن تستطيع أن تعود إليه إلا إذا نسيت أنها الأنثى التي تريده .

هل لم يكن ميسوراً أن تخرج إلى عناوينه وتصرفه في ثوب من الأنوثة تحبه ؟ لقد كانت تستطيع لو أنها نظرت إلى أزيائه

الأنوثة في الصور والملكوت كما كانت تطلع الفتيات في ... في الصور والملكوت لا يعنى الناس إلا بالمظاهر ولا يهمهم إلا ... ، ولا يمكن أن تتبادل العواطف إلا من قريب لا من بعيد من الحاجة ، ونداء من الروح لا نداء من ... ذلك أن العواطف قصدت الروح لا البدن ، وهم أقرب الناس إلى الأطفال ، بل إنهم الأطفال يتمون في طفولتهم ، ويكبرون في صغرهم ، ولولا هذا لخرجوا من هذه الصور والملكوت إلى حيث يستطيعون أن يسايروا الرجال في حياة الدعة على وجه الأرض ، والتي يتراءى الناس فيها جنادل من الأباطيل والأكاذيب والحيل والمتاعب

إنهم مجبورون ، والله مع المالحزن هذا الجبر ، وهو سر شهيم منه ... أخرى هي هذه ... التي لا يجاهد في سبيل ... إلا أنقى الناس ، والتي تقتضيه الطبيعة كل الاقتصاد في ... عناصرها في النفوس ، والتي ... هؤلاء الأطفال الكبار المتحيرون من معاني الوجود ما يعيب عن إدراك الكبار الرجال الذين ليسوا أطفالاً

ولم تكن الأنوثة الصغيرة تعلم هذا ، ولا كانت تعرفه ، وإنما كانت تسحرها أفاق استراوس وألحانه ، وكانت تردها كالطيب ... إليه ... حينئذ بأن روحه من روحها ، وأن روحها من روحه ، فإذا ... عليه بأنوثتها وأنه كالمسحور أو المسلوب لا يحل ، فإذا ظل هكذا ويتكرر أدركت أنه غير رجل ، ولكنها وجدت أن هذا الإدراك يجب أن يكون ... الحالة ... صاحبه ، وما فكرت في هذه الحالة الشاذة ولا في طريق علاجها ، ولم تذكر أنها أحدثت له لحناً ساقه هو ليتخرج به من حنة من حللها ، ولم يكن هذا اللحن إلا آهة كل آهة منه تحكي مشعوره على رجل جنيه من النظرة الأولى التي تلقاها منه ، فالسرور المنجب بنفسه آهة فيها المسحوره بوجوده ، والعالم المتناهي من الوجود آهة مرسلة ... كأنما تسحبه إلى الملكوت الأعلى ، والسجين القاعد على روحه آهة دامعة كأنما هي الرهيب المتمرد ... آخر به ... ، والمتشم الأعمق الأبيق آهة مرسلة مخترقة كأنها خرجة وجلة ... ولم تذكر أن هذه الآهات حدثت في اللحن وتكاثرت بألوانها وللالتها حتى لم يعد من المعقول أن يقال بعدها إن استراوس بعيد عن نفس المرأة وعصبه ، جاهل

طريقة تفكيرها، فضلا عن أحكامها و « حيثيات » هذه الأحكام

وقد كان هذا الفهم وحده يكفي لكي تعلم البارونة الصغيرة أن استراوس الذي يجمع إلى الحس في الطبيعة كما يجمع أصواتها ويحللها من هنا وهناك أنغامه المعجزة ... بصير أيضاً بالنفوس وما فيها سواء منها نفوس النساء ونفوس الرجال، والبصير بالشيء لا يعجز عن مثله، ما دامت فيه القوة التي تمكنه من مثله وقد كان استراوس في أزمته الزوجية هذه ... قلباً له حسد الإنسان الرجل النزاع إلى جسد الأنثى . فما الذي منعه منها ؟ أمانة الزوجية ؟

قد يكون هذا، ولكنه بعيد لأن حياة استراوس مع البارونة الصغيرة لم يحدث فيها ما يدل على أنه سيستمر الأمر الذي رغبت فيها — وهي أثوثة الناثور والكهوف — يحاول أسيره فيستعصى بهذه الأمانة بل الذي حدث هو عكس هذا فقد ضم استراوس عاطفته عنه لتنصب من أعماله في ثورة من ثورات فيها على أنها ذات مسحة فضاء، ولم يكن في هذا كاذباً ولا عاملا، بل كان صادقاً لأنه لم يسمع منها إلا أنه كما قال هو لم تكن الأمانة الزوجية هي التي حالت دون استراوس وعشيقته، وإنما هذه الشخصية نفسها هي التي انطوت على حبها، وانطوت على نفسها، وانطوت على حبيبها، وكان بينهما ألا تلتوى

وقد يتساءل سائل عن هذه التي تطلبه من السكينة العصرية ما هو ؟ أكانا يريدان أن تخرج على طبيعة المرأة أكثر مما خرجت فسعى إليها استراوس بالذي دعت به أسماء فرعون إليها سيدنا يوسف الجميل ؟

ونحن نقول لا ونقول إن الحب لا ينتج إلا من صراع في الغزل، والصراع في الغزل إذا انتهى إلى حب هو واحد من حبين في حب كل من العاشقين : إما حب العنو، وإما حب الإعجاب، ولم يكن لاستراوس منه يحرك به غير عزة الفن، وكان منه الوصيف، هو أن البارونة الصغيرة كوشته بأعماق ذاته لم يكن هذا بد من أن يحبه، إذا فتح ألحانها ألحانه حببه ويستعودون منه عشقاً وشهداً لها، وإذا كانت ألحانه ألحاناً حنا عليها، واحتضنها وراح يسقيها ما هو ظمآن إليه، وربما كما ترى الساحبة أمر حبها، ولكن البارونة الصغيرة لم تسمع شيئاً من هذه، وما كشف بأن شيئاً فكك بين حبها ممه هو، ولم يكن قد غشيها

قد كان عليه أن يرد تشبب من عيون فاتنة في شعر يهيما حشدت فلم تتصد إلى جانب صفاته وشهرته

ربما كانت تنتظر أن يصور لها « لحناً » بل ربما تكون قد استفادته في التلحين بأساليب الموج الملتوي حين عرفت البارونة أنها لم يلحن لها، ولذلك لم يطلب منها أن تعرج الأعماق ذلك أنه حين أراد أن يلحن لحناً، ومن كان يرد أن يلحن لم تكن قوة تستطيع أن تحبس صوته ... فلماذا لم يسمعها، أو لماذا حتى أن يدعوها إلى شيء قد يكون فيه سحره ... أو عند كل يرجعها فيحررها من طلب إذا أجابته فإنما تجيبه لرضائه هو لا لإرضاء نفسها

وأغلب الظن أنها كانت عاجزة لأنها كانت تريده وأغلب الظن أنها كانت تستطيع أن تطاوله، وأنها انطلقت في الحياة كما كان هو منطلقاً فيها، فإنها ركبا يوماً عربة معاً، وسرعت بهما العربة في أحراش وغاباته، وأنواع حقول الجوز التي كان يجر العربة — وكانت حقول منتظمة على ضرب متسق — وواعت الشعر في عرس الطير وفي تسبيحه وفي سمر الجوزي الذي كان سمعه، فأنشد الطير، وأنشداها، وأنشد الجوزي، وكان من نشيدهم جميعاً عن العالم الكبير الذي لا يمكن أن يقال إلا أن الطبيعة والجوز والسير والعاشقين والجوزي، اشتركوا جميعاً في توصيله من الحب إلى هذا الكون

وعلى هذا فقد كانت البارونة من معدن استراوس كانت هي الأنثى غير الأنثى لهذا الرجل غير الرجل . ولكننا لا ندري كيف أنكرت منه شروده في رجولة الطبع، ولم تذكر أنها حين أنشدت من العالم الكبير وهي في العربة ألفت نفسها مطوية بين ذراعيها المتصدين اللذين كانا يهصرانها هصراً ؟

كان عليها أن تتحرك إذن أن له لوناً من الأنوثة غناها عقليه، ومعه هذا اللون الشائع في أعماق الطبيعة والذي قامت في نفسها حين كانت تتشدو مع الطير ومع الطبيعة ومعه

كان عليها أن تتحرك هذا، ولكنها لم تحركه فأي شيء دفعها ؟

دفعها هذه « الإتيكيت » التي نشأت عليه في القصور، ودفعتها هذه التقاليد التي علمتها أن تغلب الطعام إذا جاءت بالحديث من لوحة ريفية تفقد مصورها في رسم نشاطها وكرامتها ... فإذا سمع استراوس كلامها هذا نظر هو أيضاً إلى الصورة، وتفحص فيها الفتح والكثرى ولم يسمع منه ذلك شيئاً ... انتهاها ...

صناعة كنظر في صدق عجيب إلى جمال التمثال والكبرياء كأنما هي سجية فيه حقاً . . . فكيف لا يصدق اسبريوس إيحاءها الرسم وكيف يرى أنها جامدة

لا بد أن يشعر وأن يحس ؟ أليس هو الحساس الموهوب أكثر من البشر ؟ أليس هو الناقد الحريص النافذ إلى ما وراء المادة والحجب ؟ نعم إنه كذلك حقاً .. ولكنه يلقى هذا السلاح بين يدي محبوبته ، فهو يصدق كل ما تقول . . . ويحول عينيه إليه شاحب ، ويسرح في نهاية هي للسترة في ... وهو بين يديها ، وهي التي تعوده إلى هذه الروعة القاتمة ...

ولم تكن زوجته هكذا من قبل ما كانت تعرف من جمال فنه وروعته ، حتى لم تشاركه الفن ، ولم تشركه بالنقد ، وإنما تعطف عليه بإخلاصها وعطفها ورعايتها ، وصمتت فيه طموحه وحيرته في الحياة خارج ميدان الفن ، ولقد أرشدت هذه الزوجة البارة بحرية زوجها إلى هذا الطلع في نفسه يوم أرادت العجوزة أن تأخذه منه فقالت لها : لا تأخذه مني ... فهو لا يعرف من أموره أمراً ، ولا يمكنه أن يدرك شأناً من شئونه إلا بي ...

كان هذا سبيل زوجة اسبريوس ، وكان هذا السبيل هو الصدق وكان هذا الصدق نتيجة ما كان بينها وبينه من صراع في الحب والطب ، فقد جرب من الفن كل السحر أمامه ، وعجز هو عن إدراك ما كان في نفسها من قوة الروح ... وحسب كل السحر فيما قالته عنها وشأنها

فهكذا كانت هاتان العاشقتان وحدهما

أما زوجة اسبريوس فما كانت تستطيع أن تتمكن كل تمكن مثل ما تمكنت البارونة من ... هذا الفن ، فالفن موهبة وأما البارونة فقد كانت تستطيع أن تتعلم من زوج اسبريوس طريقة رؤيته وسيرته ، ولذا تحتاج إلى شيء من هذا ولم تكن تحتاج لأنها أخصب الفن

ولكن كانت الزوجة

(عرب) ... فهمي

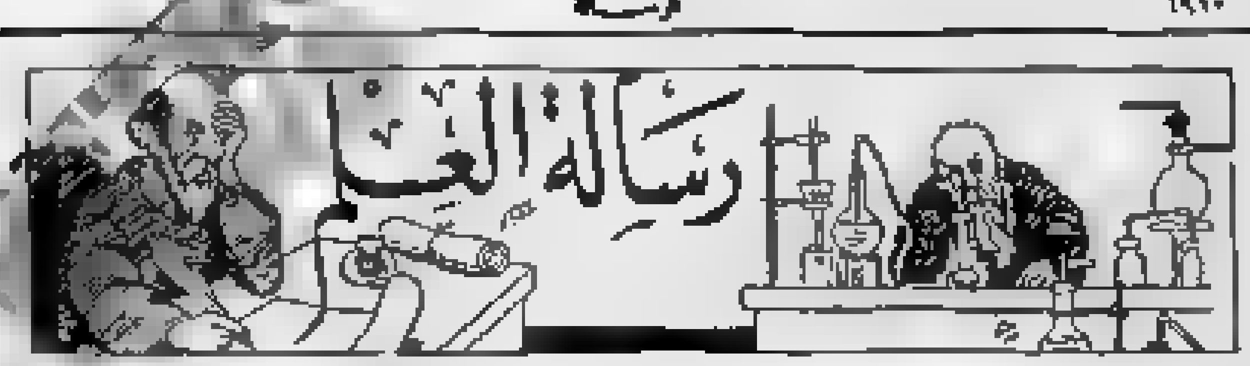

أندروز مليكان والألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

الرياضى هلبرت يجد لفكرة والطبيعى مليكان فى سنة ... كيف حصل مليكان على حبات صغيرة جداً من الزيت ... وصف جهاز مليكان — كيف شاهد مليكان حبة الصبغ فى حركة يبلغ ارتفاعها ١٦ مليمترا — كيف عثر على حل مسألة الجسيمات ... من الألكترونات

منذ أربعين سنة وفى سنة ١٨٩٩ قام الفكر أحد الذى بجامعة جوتنجن وبولسون الممثل ، الرياضى هلبرت Hilbert إلى فكرة جديدة ولم يطرقها أحد من قبل ، ذلك أنه كوّن نوعاً جديداً من التفكير الهندسى خلق بنا أن نسميه هندسة هلبرت تختلف فى طريقتها عن الهندسة التى صاغها منذ أقليدس Euclide وتختلف عن هندستى ريمان Reimann ولوباتشفسكى Lobatchevski الحديثتين

هذا العالم الألمانى هلبرت الذى ما زال فى اعتقادى حياً بين سكان الأرض فى جوتنجن Goettingen من أعمال ألمانيا لم تعصمه قنابل المحاربين ، ولم يبحث عنه ... ، ويبلغ من العمر اليوم ٧٨ سنة وجد أسلوباً جديداً لتأسيس الهندسة الأقليدية التى تلقاها كل منا فى المدارس ، وغير الهندسة الأقليدية التى لم يطلها إلا نفر قليل بعد التخرج فى الجامعات ، كما أثبت عدم تعارض الفروض فيها ، ذلك أنه استعمل بيناء على الجديد ثلاثة عناصر Elements هى النقطة والخط والمستوى ، وخمسة معانٍ Notions أو كما سمى الخمسة appartenance ويعبر عنها اصطلاحياً بموجودة على Situé sur والترتيب Ordonnance والتساوى Egalité والتوازى Parallélisme والاستمرار Continuité ، ونستطيع باستعمال هذه المعانى الخمسة فقط أن نقيم هندسة الكاملة ، ويخرج من هذه « العناصر » الثلاثة ، و« المعانى » الخمسة هندسة صحيحة نستطيع فهمها والاقتناع بوجودها ، وقد شرحها فى مصر فى العام الماضى كل الأعضاء الذين حضروا مؤتمر الرواق الرياضى الطبيعى [1] والذى نمى بعضهم عنه خلال الحرب القائمة ، وهم من أصدقائنا الحبيبين ، ونأسف لهذه الحوادث التى ترجع الإنسان إلى الهمجية ، عندما حاول صديق الدكتور جاتينو Cattegno أن يتابع عرض هندسة هلبرت بين إخوانه من المصريين والأجانب الطبيعيين والرياضيين المقيمين بمصر ، وهى رياضة صعبة نوعاً ما ، ويكفى لإدراك صعوبتها أن نسلم منذ الآن بأنه فى حاجة ... عند الرياضة أن نبين إمكان وضع نقطة على خط مستقيم ، وذلك لنستعرض بعض الوقت لإثبات ذلك الذى نظنه بديهياً

ليست هندسة هلبرت الحديثة التى مازالت بعيدة قليلاً من الطبيعيين محل فى هذه الكلمة ، وأعتقد أنها سوف لا تكون موضوع كلمة لى فى « الرسالة » فى الأعداد القادمة ... فموضوعها صعب على القارئ ، وإنها أصعب عليه ، إذا ذكرتها وأنا فى طريق شرح أعمال مليكان — رجل التجارب والمعمل — لأضع أمام القارئ مثالاً للتباين بين النظريات يخضع للمنطق والخيال فى أقصى

(١) سنتكلم عن هذا الرواق ومن أعضائه كما سنتكلم عن جماعة تبسيط العلوم فى عدد الأسبوع القادم فى الرسالة

جزء منها، وبين العلوم التجريبية بنسبها المحسوس وذلك هذه في أقصى حدودها، فيصدر ما في بوتقته هذه من الشروق الكثير من الطلبة من خيال وصورة تصدر ما في تجربة «مليكان» من تحقيق تجريبي ومحاولة تحقيق بعد كل البعد عن التخيل المطلق

فنحن إذن في قصة مليكان ما يدعو لإثبات مسائل تلتبس علينا مع المدهشات التي يقصها الفن، إنما هي في الواقع سلسلة لمشاهدات دقيقة وتجارب طبيعية، ولو صح لنا أن نتساءل عن تعريف ما نسميه تجارب طبيعية صحيحة «لقلت إنها تلك التي تؤيد النتائج ذاتها إذا تكررت هذه التجارب مرات ...»

وتعتبر تجربة مليكان التي قام بها سنة ١٩٠٩ في قياس شحنة الألكترون أشهر ما عرفه أو شبهه من الموجودات، وإثبات وجوده بحجم فرد مستقل بعد أن كرر في الكون الذي نشعر وجوداً فيه. ومن العدل أن نذكر أنه قد سبقت تجارب مليكان أبحاث علماء عديدين كان لهم الفضل الأول في تهيئة السبيل للقيام بهذه التجربة التي تعد من أهم مفاخر العلم التجريبي في القرن الذي نعيش فيه، وإذا لم نأت في هذا المقال على أسماء هؤلاء جميعاً، فإن توسند Townsend من رجال معامل كافندش Cavendishe بكامبردج، هو في الواقع أول من قام بتجارب عرضها قياس شحنة الألكترون التي يرمز لها العلماء عادة بالحرف e

وسنود الآن أن نشرح عمل مليكان، ولتسهيل الموضوع على القارئ نعمد إلى تقسيم هذه إلى قسمين: فالقسم الأول هو الذي نذكره اليوم ونصف فيه الجهاز الذي استعمله والتجربة التي قام بها هذا العالم لقياس شحنة الألكترون بملاحظة حبيبات صغيرة لا تحمل أحياناً إلا إلكتروناً واحداً، ولا نعرض في هذا القسم لنتائج هذه التجربة ولا نذكر كيف استنبط مليكان من تجربته شحنة الألكترون ووحدة الكهرباء وأصغر الحبيبات التي نعرفها في الوجود، وفي القسم الثاني وهو برنامج الأسبوع القادم نذكر الطريقة التي حسب بها مليكان شحنة الألكترون ومن

كيف من عملية القائم السيرك الأعظم المسيطر على بعضها كما في التنبيه الابتدائي سيأتي مليكان من تجربة وسيلة لإثبات وجود الألكترون وحساب شحنته وكيف عين إلكتروناً واحداً يمس هذه الحبيبات أثناء تجاربه الدقيقة

* * *

والآن معاً نشرح الرسم الأول ونفسر وسائل الجهاز التي أوجدها مليكان واستعان بها للوصول لغايته

يستعمل مليكان لمعرفة شحنة الحبيبات الصغيرة الخفيفة الحاملة للكهرباء والتي نسميها «الشوارد» أو «Ions» وشحنة الألكترون بخاخة أي «نفاخة»(١) أو Pulvérisateur ينفخ غيوماً من الزيت في غرفة عليا يرمز لها بالحرف غ كما يرى القارئ في الشكل

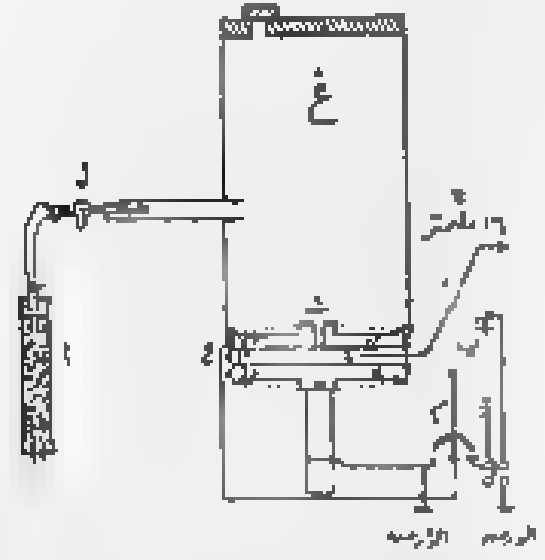

كيف صور العالم مليكان الألكترونات مرة واحدة! فحصل على أصغر الموجودات، وقاس شحنته الكهربائية

وبين الجدارين إطلاقة، وبصورة أدق فتحة صغيرة جداً تسمح بمرور على عطف منفوخه، وينتشر هنا الرذاذ المتجمع من الزيت الذي يبلغ قطر معظمه ... من المليمتر في الغرفة المتقدمة ويبدأ تساقطه غيوماً

(١) النفخ يبخ ويجمع استعمال اسم الفاعل باخ أو ضبة أو منفاخ من غير علمي كتعبير عن عملية كهذه يمكن استعمال رشاشة أو نفاخة لكلمة Pulvérisateur أو Vaporisateur

كالسحب التي نشاهدها في السماء صباحاً حول الجبل أو الأراضي الزراعية. ويحدث من جراء هذه العملية الأولى أنه يتصاعد من وقت إلى آخر صعود واحدة من هذه الحبيبات الزئبقية الصغيرة من الثقب الصغير الموجود في مركز قرص من النحاس قطره ٢٢ سنتيمترا موجود في أسفل هذه الغرفة، ويكون إحدى كفتي مكثف كهربائي يتكون من كفتين بينهما الهواء، كفة منه (ح) هي هذا القرص والثانية كفة سفلى (ك) وهذه الكفة الثانية مثبتة بالكفة الأولى بواسطة ثلاثة أعمدة من الإبونيت (د) وهو مادة عازلة كهربائياً، وهذه الكفة بعيدة على بعد ١٦ مليمتراً من الأخرى. وفي هذه الغرفة الثانية المحصورة بين كفتي المكثف والتي لا يرتفع سقفها عن أرضها إلا بمقدار ١٦ مليمتراً، شاهد مليكان هذه الحبيبات الصغيرة من الزئبق التي يتصادف مرورها من الثقب، والتي أثبت هذا العالم كما سيرى القارئ في القسم القادم أن بعضها كان يحمل شحنة كهربائية. وبعدها تتصل هاتان الكفتان بمفتاح (م) يتصل ببطارية كهربائية (ب) تبلغ القوة الدافعة الكهربائية بين طرفيها عشرة آلاف فولت وذلك لإيجاد مجال كهربائي قوي ومتغير بين الكفتين

ويُتمم هذا الجهاز أجهزة ضوئية أخرى تتكون من حزمة من الضوء ضئيلة تمرّ من نافذة أو الأخرى من ثقوب موجودة الواحدة منها تجاه الأخرى وتمر في حلقات من الأبونيت (ع) موضوعة في اتجاه أفقي واحد. وتمس هذه الحزمة الضوئية الحبيبات أو رذاذ الزئبق التي يتصادف مروره من الثقب (ث)، هذا الرذاذ الذي يصبح بمروره من هذا الباب عرضة للمشاهدة والاختبار

وقد أمكن لمليكان أن يرى هذه الجواهر من ثقب تلك... بواسطة الميكروسكوب الذي يلعب في هذه التجربة دور الألترا ميكروسكوب، ووضع جهازه بحيث يقع الضوء على هذه الحبيبات من جهة ويراها هو من جهة أخرى عمودية عليها، وهي الطريقة ذاتها التي نرى بها الكواكب السيارة في الليل إذ يقع عليها ضوء الشمس من جهة تختلف عن التي نراها منها،

بل هي الطريقة التي نرى بها حبيبات من التراب تسبح في الهواء صيفاً والذي نشاهده دائماً طوال النهار حينما تدخل أشعة الشمس من جهة غير الجهة التي نشاهد بها هذه الحبيبات الترابية التي تبدو لنا في هذا الوضع مضيئة كأنها أخذت أشعة الشمس الساقطة عليها، وهكذا كانت تظهر النقط الصغيرة التي يتصادف مرورها من الثقب (ث) كما يظهر نجم ساطع في ظلام الليل الحالك

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الحبيبات التي تمر من الثقب مكهربة، وقد حدث التكهرب من احتكاكها ببعضها بعض عند خروجها من الرشاشة التي حولت السائل بفعل الهواء إلى رذاذ أو ربما عند تلقي أثناء احتكاكها بذرات الهواء المنتشر في الغرفة، وثمة طريقة أخرى لكهربة هذا الرذاذ عند اقتضاء الحال وذلك بتسليط أشعة راديومية عليه بتقريب عنصر الراديوم المعروف من الجهاز. يحدث تصادم الحبيبات الراديومية المنبعثة من الراديوم المشع بهذا الرذاذ الزئبقي فتعلق به حبيبات كهربائية سالبة كالإلكترونات أو حبيبات كهربائية موجبة كالبروتونات

وتتلخص التجربة في نشر رذاذ الزئبق في الغرفة العليا، ثم انتظار مرور أفراد من هذا الرذاذ في الغرفة الثانية أي بين كفتي المكثف، ثم في كهربة الكفتين باستعمال المفتاح م كهربة موجبة في إحدى الكفتين سالبة في الأخرى، وذلك باستعمال البطارية السابقة الذكر، بحيث أنه بإدارة المفتاح إلى الجهة اليسرى مثلاً تتصل الكفتان وينعدم المجال الكهربائي، وبإدارته إلى الجهة اليمنى يتولد مجال كهربائي مختلف. ومن المقاومات الكهربائية التي في طريقه تتم إدارة الراسم

وتتضح الكهربة أو الشحنات الكهربائية الموجودة على هذا الرذاذ من أنه عندما يوصل المفتاح الكهربائي، ويعمل فرقاً في الضغط الكهربائي بين الكفتين، أي عندما يعمد إلى إيجاد مجال كهربائي قوي — في الاتجاه المناسب — تنجذب هذه الحبيبات بسرعة نحو القرص ... تلك شحنتها الكهربائية

على أنه إذا أعدمنا المجال الكهربائي بتوصيل الكفتين، فإن هذه الحبيبات من الرذاذ الزئبقي تهبط وتعود رأسية تحت

من هنا ومن هناك

دانزج موطن النزاع

[ملخصة عن « جاري ميدي »]

لم يكن يخطر ببال أحد في السنين الأخيرة أن مدينة دانزج التي كانت موضع نزاع الدول في غابر الأزمان، ستحتل المكان الأول في سياسة أوربا السياسية اليوم

وتعد دانزج من أقدم مدن العالم، فقد ظهرت في عالم الوجود منذ ألف سنة وكانت في العصور الوسطى تدعى «مملكة البلطيق» نظراً لمركزها الممتاز على شاطئ هذا البحر

وقد حورب في سبيلها الأمم الأوربية وبخاصة الدنمركية والبولونية، والبراندنبرجية، والبروسيون منذ القرن الثاني عشر إلى اليوم

فاحتلها الفرسان التوتون في بداية القرن الرابع عشر، ولكن سرعان ما نفض أهلها احتلالهم لها وصارت إلى أيدي البولونيين في سنة ١٤٥٤، فتركوا لها الحرية في الاحتفاظ بقوانينها القديمة وجعلوا لها حقاً في سك العملة باسمها فاعتبرت « مدينة حرة » تحت حماية بولندا. ولم تقع في أيدي بروسيا إلا سنة ١٧٩٣،

وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ فتحها جيش فرنسي تحت قيادة « مارشال لفيفر » وظلت دانزج مدينة حرة في أيدي الفرنسيين إلى سنة ١٨١٣

ولكن الجيوش الروسية احتلت دانزج للمرة الثانية بعد موقعة (واترلو) لا لتكون تابعة لها إلى الأبد، فقد انتزعتها معاهدة فرساي من الريخ وجعلت دانزج (مدينة حرة) للمرة الثالثة - تحت إشراف عصبة الأمم — وأعطيت بولندا الحق في استغلال ميناها، ومنحت كذلك الحق في تمثيلها من الناحية السياسية

فدانزج لم تكن ملكاً للألمان إلا بعد سنة ١٨١٥ إلى سنة ١٩١٨ أي مدة من الزمن. وقد ظل العنصر البولوني يعرف عليها منذ سنة ١٤٥٤ إلى سنة ١٧٩٣ أي ثلاثة قرون على التقريب

وقد أصبحت دانزج إلى جانب حكوماتها حرة وسياستها التي تمر بثلاثة وخمسين ميلاً مربعاً، وسكانها الآن يقدر عددهم بمائة ألف نسمة، ويتكون أغلبهم من [illegible] فكانت هذه

=

تأثير جاذبية الأرض حتى تقترب اقتراباً شديداً من الكفة الخ؛ وهكذا كلما أعدنا اتصال الكهرباء على هذه الدوائر المصورة تبدأ جاذبيتها من جديد وترجع إلى سطح الغرفة [illegible] وبهذه الطريقة أمكن الحصول على حركة مستمرة صعوداً وهبوطاً لرقائق الذهب بين الكفتين، وفي الغرفة الضيقة الثانية [illegible] للمشاهدة

وقد أمكن لمليكان أكثر من ذلك، إذ تمكن من جعل حركة هذه النقطة المائية من الزيت التي يريد أن يوقفها في غرفة هذا الجهاز، هذه النقطة من الرقائق الواقفة بين قوة عالمين: المجال الأرضي الذي يجذبها إلى أسفل كما يجذبنا معشر البشر والمجال الكهربائي الذي يجذبنا إلى أعلى، بأن يساوي بين قوة المجالين المتعارضين، وذلك بجعل قوة المجال الكهربائي معادلة لقوة المجال الأرضي. عند ذلك تقف النقطة المائية ويلزم الشخص بين الكفتين. وعند ذلك يمكن ملاحظة القوى الكهربائية اللازمة لإيقافها ولها علاقة كما سيرى القارئ بما يحمله هذا الجسيم من الالكترونات

وسيرى القارئ أن هذا كان كافياً لمليكان لحساب شحنة الالكترون ولأن يثبت أن في كثير من تجاربه وجدت قطرات زيتية كانت تحمل الكتروناً واحداً

أحمد محمود قابل
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم الطبيعية — ليسانس العلوم الحرة — دبلوم [illegible]

المدينة الحرة الوحيدة لتلك المملكة العظيمة حتى سنة ١٩٢٨ ؛ وقد تزايدت الحركة بجانبها على أيدي البولونيين فوصلت إلى ثمانية ملايين طن سنة ١٩٣٠ بعد أن كانت لا تزيد على مليونين قبل الحرب. فقد أنفقت بولندا مائة مليون من الفرنكات لإنشاء هذا الميناء، وأنشأت قاعدة هامة للملاحة والتجارة في جدينيا على مقربة منه. ومن المعلوم أن ثلث تجارة بولندا التي يقدر عدد سكانها بـ ٣٥٠٠٠٠٠٠ نفس تمر من ثغر الميناء ، وأن ثغر بولندا ليس له قاعدة غيرها وتقع دانزج على مصب نهر الفستولا ويقسم النهر منطقة ممتازة في بولندا ، فإذا ضمت دانزج إلى الريخ أصبحت المواصلات مهددة ببولندا تحت رحمة ألمانيا

فالفوهرر كما يظهر لا يريد أن يضم دولة ألمانيا إلى الريخ ، ولكنه يريد أن يعزل بولندا عن البحر ، ويطوقها من البحر والبر حتى تضطر سياسياً واقتصادياً إلى الانضمام إلى الريخ، وهذه كارثة تحسبها الآن بولندا أكثر ما تخاف من قوة وترى حماية اللاجئين من أبنائها لتلك تنحاز ودونها

الفاشية في الشرق

[عن مقال بقلم [illegible] عباس أحمد]

نظرة بسيطة إلى خريطة العالم تدل على مبلغ اهتمام الدول النازية والفاشية واليابانية بالهند. فالهند هي أقوى دعائم الإمبراطورية البريطانية في الشرق ، وهي بكثرة سكانها ، وأعمالها التجارية والصناعية ومركزها الحربي وحدودها المتاخمة لأفغانستان وإيران والصين وروسيا السوفيتية ، تعد عاملاً حربياً في السياسة الدولية. فالهند الحرة تقلب الديمقراطية ، وتحسب حسابها إذا صادفت مؤيدة لعدوها ، وهي عدو تخشى بأسه ، إذا سارت تحت النفوذ النازي سواء من الوجهة السياسية أو الفكرية

ولقد رأت الدعاية الفاشية في بث روح العداء نحو بريطانيا والشعب تلك الحركة الوطنية وأملها أن تجتذب إليها الشعب ، ومسلمي الهنود . وهذه الحركة حديثة عهد حديثة . فمن المعروف أن رجال السياسة الألمانية كانوا على اتصال دائم ببعض الهنود الثائرين في منفاهم في أوربا إبان الحرب العظمى . وكان على ألمانيا وانسا امبراطورية ألمانية عند من ولي الهند يتحكم ؛ يتصل بهم سبيل الأمن ، فذهبت إلى مديد الساعين هؤلاء في منفاهم ، وهؤلاء جميعهم يشرون الدعوة إلى الطاعة عن طريق السادة الألمان

ولكن وجهة نظر الزعماء الهنود تغيرت في السنين الأخيرة تغيراً ظاهراً نحو الدول الحرة

ولم يغب عن البال الحماس الذي كان يقابل به زعماء تلك الدول منذ بضع سنوات ، حين كان الشباب يعرضون أعلامهم بأسماء هتلر وموسوليني ودي فاليرا وغيرهم من الزعماء . وكان الهنود الذين يدرسون على نفقتهم بألمانيا يلتحقون بالاشتراكية الوطنية ، وكنا في الهند نحيي اليابان ونعطف عليهم ، ونقابل بالزهو والإعجاب كل انتصار لهم على الروس ، كأنه أسيوية تنتصر على أمة أوربية

ثم كاد يظهر الصدق الدكتاتوري على حقيقته ، وتنكشف بعض أسبابه بظهور أعمالهم ، حتى شعرت الآمال وأخذ الهنود يتعجبون منهم ويشعرون بالاستياء عند ذكرهم ؛ فاضطهاد ألمانيا لليهود ذلك الاضطهاد الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم ، وقتل الاشتراكيين في إيطاليا وغزو الحبشة العزلاء ، كان لها أسوأ الأثر في نفوس الهنود الذين أعلنوا سخطهم على هذه الأعمال بواسطة المجلس الوطني

فالدعاية النازية والفاشية قد أخفقتا كل الإخفاق في اجتذاب نفوس الهنود الذين أعلنوا رأيهم بلسان المجلس الوطني

إلا أن بعض النفوس المولعة بالأسرار والأعاجيب ، من الهندوس والمسلمين ، قد تأثرت إلى حد ما بتلك الدعاية التي تحسب فلسفة هتلر إلى الهندوس في صحابة البوذي ، وتنظر إلى ألمانيا من ناحية الحياة الحربية التي يحيا بها سكانها ، وتحرك عوامل العصبية في نفوس المسلمين — الذين يميلون بطبيعتهم إلى العرب — بإثارة مشكلة فلسطين . ومهما يبلغ تأثير هذه الدعاية من القدرة على التضليل ، فمن يزيل من النفوس أثر تلك الأعمال التي تقضي على آمال المدنية في العصر الحديث

كيف يجف بحر الروم

[ملخصة عن « دي أمريكان ويكلي »]

وضع مهندس ألماني مشروعاً عجيباً لتخفيض مياه بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) بسياسة تقضي بإقامة سد عظيم على بوغاز جبل طارق المعروف بالشاطئين

وقال إن إيطاليا التي تطالب مزيداً من الأرض، سوف يصيبها من هذا المشروع ما يزيد من الأرض الواسعة، لا عن الدول الأخرى التي تقاسم في ذلك كل المنافع، وسكنى من البحر. ومن المعلوم أن إيطاليا تريد أراضي مناسبة لمستعمراتها، وهذا أيسر من السبل أن تحصل عليه إذا نفذ هذا المشروع

ولكن ماذا عسى أن تقول فرنسا واليونان ومصر عن هذا المشروع؟ إنه ولا شك ستستفيد أصقاعاً فسيحة من الأرض الخصبة، وستكون فيها فرصة عظيمة لاستغلال القوى الآتية في مختلف الصناعات

ولعل بريطانيا وغيرها من الدول التي تعول على الملاحة في هذا البحر هي وحدها التي تخشى الخسارة من تنفيذ هذا المشروع. ولكن هذه الدول قد لا تتأثر بتنفيذه إذا أنشئت القنوات والخلجان التي تسهل لسفن السير وتجعل حركة الملاحة متيسرة على الدوام

ومما يجعل هذا المشروع سهل التنفيذ أن مياه البحر الأبيض المتوسط بطبيعتها تسير نحو النقصان، لأن الأنهار العظيمة التي تصب فيه، وهي نهر البو الإيطالي ونهر الرون الفرنسي ونهر النيل المصري وبعض الأنهار الصغيرة — هي قليلة لا تعوض المياه التي يفقدها هذا البحر بالتبخر. ولا بد من وصول فيض من مياه إليه من طريق البحر الأسود وبوغاز جبل طارق الذي تصل منه مياه المحيط الأطلنطي

فإذا وضع سد محكم على بوغاز جبل طارق، ووضع سد آخر على باب البحر الأسود بوغاز الدردنيل، فإن مستوى مياه البحر الأبيض يهبط بالتدريج، إذ أن مقدار المياه التي يفقدها بالتبخر سيزيد على المقدار الذي يصب فيه

وإذا كان المشروع يرمي إلى تخفيض مياه هذا البحر بسياسة تتم بحسب، فمن المقرر بعد أن يتم هذا التخفيض أن يسمح لمياه البحر الأسود، ومياه المحيط الأطلنطي أن تصب فيه بمقادير معينة تمنع خطر التبخر من تخفيض هذه المياه

فالمشروع كما هو ظاهر لا يستدعي غير التنفيذ، وهو من المشروعات التي تحير العلم وتقضي على كثير من [illegible] على هذا البحر

أما الاعتراض الذي وجه إليه فهو احتمال سطح الأرض بعد أخذ هذه المقادير العظيمة من المياه، وتعرضها للزلازل والبراكين التي تقتلع صخور هذا البحر بعد زوال ذلك الثقل العظيم عنه، وقد يعود ما كان أولاً ويكون معرضاً إلى الانفجار من جديد

لذلك كان علماء طبقات الأرض وحدهم دون سائر العلماء هم الذين يعارضون في تنفيذ هذا المشروع، ويرفضون موضوع التحذير من الأخطار فيه، ومما يقولونه فيه أن الزلازل قد تكون من القوة بحيث تحطم السدود والقناطر المراد وضعها بحيث لا يمكن إصلاحها وبذلك تتدفق المياه إلى البحر

الجوائز الأدبية في فرنسا

[عن مجلة الأدب والفنون]

في فرنسا كثير من الجوائز الأدبية التي ما زالت أكبر مشجع للأدباء على الإنتاج، فهناك جوائز المجمع العلمي الفرنسي وجوائز الجامع الأدبية، وجائزة «فيمينا» وجائزة النقد، وجائزة «الحرائر» الأدبية، وغيرها من الجوائز الفرعية

وقد نال الجائزة الكبرى للآداب هذا العام الكاتب جاك ولاعبر، تقديراً لإنتاجه الجيد. ونال جائزة الرواية الكاتب «أنطوان سانت اكسوبيري» من أجل كتابه القيم «أرض الرجال» الذي يعد من الكتب الرائعة وإن كان لا يعد رواية حقاً. ونال جائزة «لويس بريو» الكاتب شوفاليه [illegible] بل

أما جائزة «فيمينا» فلم تعط — كما علمنا — لأحد بعد، وقد ضم إلى لجنة هذه الجائزة التي تضم كبار الأدباء [illegible] كثيراً من الكتب والروايات. ويحاولون إعطاء الجائزة الكاتب «ماريوس ريشار» مؤلف رواية «[illegible]» لأن له كثيراً من الأنصار، وربما «رايموند [illegible]» مؤلف «سمك التونة»، و«كريستيان ميغره» الذي سحر ألوفاً كثيرين بروايته المشهورة «ما يرقون رجالاً»

وفي الجوائز جائزة أدبية قيمتها ١٠ آلاف فرنك، وستعطى في نهاية هذا العام لأعظم كتاب يستهوي الجمهور سواء أكان

على هامش خطاب رئيس الوزراء

صاحب هذه المجلة وكاتب هذا المقال أرجفنا بالوظائف عندنا في مصر ، أحدهما سخط الموظف شيء حسن ، والآخر « الخير والنماء » . وفي الخطاب الرسمي الذي ألقاه رئيس الوزراء في التاسع عشر من هذا الشهر ما نصه :

« وكم رأينا بعض الموظفين من ضجيج مكاتب وحركات لا خير من ورائها ولا بركة . وكم شاهدنا القادرين من أهل الفن والمعرفة يُقصون عن العمل في غير أمره . في حين يشغل بعض المراكز الكبيرة ويتقاضى المرتبات الضخمة من يكون من الوظائف عظيمها وصغيرها دون أن يستطيع الاضطلاع بشيء من الاضطلاع »

ثم « ستفتح على الشباب .. وليعلم الشعب أن الباب مفتوح أمامه ، وأن الحكومة تريد أن تشجع الكفايات والروح الفتية حيثما وجدت ، وليس كل شاب فتياً ، وعند بعض الكهول شباب متوقد »

هذا كلام يطرب له من يريد التقدم لهذا البلد . فالموظف للتصرف والناس للتطبيق . أصابنا كما عندنا بعض مهديين كريمين . فلا نشأ الناس للقناعة خاضعة لحكومة القناعة مع قصر النظر في ذلك ، فانهدمت الروح الوثابة والطموح العالية . وعلى هذا جرت الأمور في حظ لا نجد حركة حيث هي .

الموظف خادم الأمة ، منها يتلقى راتبه ولأجلها تنشأ وظيفته . وجاء الوظائف بالقياس إلى جلال الخدمة لا بالنسبة إلى مبلغ الراتب . وإذا شغل الوظيفة من لا يستحقها فذلك مسبة لأهل الأمة وعدوان على حقها . وعلى هذا فلتقرير الوظيفة من حسنه للأمة أهم ، و « المصرية » أهم ، والتهاون بالمصلحة العامة أهم . عن وزارة المعارف مثلاً من بحسن وظيفته على تحرير كتاب من كتبه . وفي كلية الآداب من يحوي مادة ومنهاً للمصري أحق بتدريسها ، ومعهد الموسيقى يكلفنا مالاً كثيراً ولا يصنع شيئاً

هب وفي حسبان بعض المشرفين أن القدرة لا تواتيك إلا إذا ابيضت عيناك وعداك وجهك وارتعشت يداك وتحنت ركبتاك وأمالت السنين صاحبها على شفير القبر والإملاق كلفته

وأكبر الظن أن الشيوخ في هذا البلد يحسدون الشباب بعض الحسد أو كله . ذلك لأن الشبان المتعلمين ولا سيما الذين تخرجوا في جامعات أوربية ربما أخذوا من العلم والخبرة ما فات الشيوخ . ودليل ذلك مثلاً أن الجامعة الأولى كانت تمنع مجل

موضوعه في الأدب أو التاريخ أو الاقتصاد السياسي أو علم الآثار أو علم الاجتماع . ويعطي هذه الجائزة المجاورين والمرشحين منهم .

أما جائزة السنة وقيمتها ٦ آلاف فرنك ، فقد نالها هذا العام « موريس شاربانتييه » التلميذ الكبير الراحل في « مدرسة المعلمين العليا » وقد نالت هذه الجائزة الرسمية العام وجورج شاربانتييه هذا الرجل مرشحي الأدب ، وهو في إنتاجه الأدبي يعنى بإنكلترا ورومانسها فقد أصدر عن شعراء إنكلترا « صديقتنا إنجلترا » و « الشعر الإنكليزي » ، ثم أصدر « تطور الشعر الغنائي في فرنسا بين ١٨٣٠ – ١٩٣٠ » ثم « الشعر الرمزي » ، إلى جانب دراسات كثيرة مقدمة كتبها عن « تيودور دانفيل » و « جان جاك روسو » و « ألفرد دموسيه » و « بودلير » و « فولتير » .

فهل ننظر عندنا جوائز كهذه لتشجيع الأدباء ... ؟ أظنني أن هذه الطرق لا يعرفها إلا قليل الأدباء والمستعدين منهم !

رجاله كافة. وأما الإنتاج الأدبي فقد أدرك أن هذه الإجازات ليست كل شيء، ذلك أن في مصر من يحملها وليست له القدرة ولا المقدرة! ثم الإجازة شهادة، والقدرة هي وراء الشهادة، القدرة في الاطلاع الواسع والتأليف الرفيع والإنتاج المتصل في العلم وطلبه قبل أوانها أخرى

تلك حقائق عرفت إليها الوزارة الحديثة وأعلنها رئيس الوزراء ونحن نرقب ما يكون … في وضع الشيء موضعه، فتسند الوظيفة إلى من تكفله خدمة الأمة وراعته الإخلاص وقصده التقدم؛ ويحتل المنصب سواء رفع أو وضع صاحب الكفاية والكفاءة دون النظر المقصر؛ ويبتعد من الأجانب من في الصريح منهم؛ ونمحو للمعاهد والمصانع التي لا تثمر أو تصلح من الأساس بغير تلطف ولا ترحم

* * *

على أن رئيس الوزراء قال: «كنت أود ألا يفوتنا الاتصال بالكتاب والمفكرين، فإنه يسرنا أن نحصل على تحسين رقابة الأمة في مختلف صورها».

وفي هذا دلالة على أن الحكم في مصر بعيد عن الاستبداد بالرأي وأن الحكم من مته وحده. ومن المستحسن أن يحمل الحاكم نظر المفكرين، فهم الذين يؤدبون الأمة ويهدون الأذهان عن طريق الكتابة والقلم العالي. وعسى أن تنفسح المجلات الراقية - وفي مقدمتها الرسالة - لاشتراك أهل الرأي والخبرة من الكتاب، فهذه الصحف اليومية مشغولة عن المطالب الفكرية بنشر الأخبار الحية عن القطر والمجامع ومعبرها ثم بمرحليات السياسة الخارجية ونشر الحرب القائمة في أوربا … لا تسمح بها إلى الثقافة المطلقة وتذهب بسلطان الفكر

وباشتراك أهل الرأي والخبرة من الكتاب عسى الله أن تتعدى حظوة الثقافة إلى جوانب نشاط الأمة كلها حتى القطاع الوطني يجد ظل الحكم الذي يسير ويرعى من قبل. وأما الشئون الاجتماعية فهي محور نظره، ذلك أن الحياة الاجتماعية تحكم جميع ألوان نشاط الأمة. وفي الغد القريب - إن شاء ربك - حديث يجري على قلم الكاتب في وزارة الشئون الاجتماعية

(الإسكندرية) نجيب فارس

وفاة الأستاذ سجموند فرويد

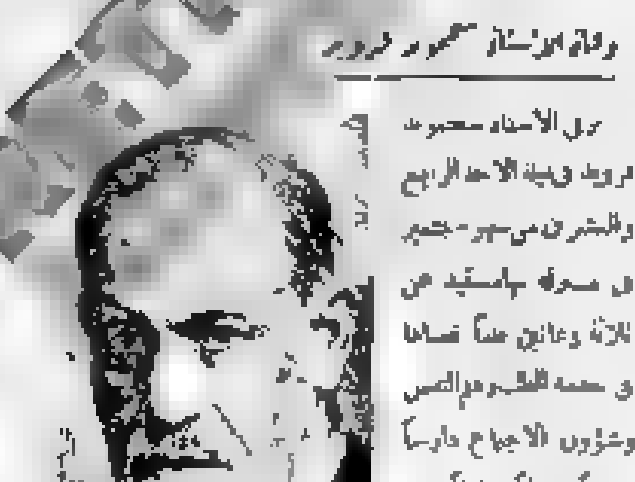

توفي الأستاذ سجموند فرويد في ليلة الأحد الرابع والعشرين من سبتمبر في منزله بهامستيد عن ثلاثة وثمانين عاماً قضاها في خدمة العلم وعلم النفس وشؤون الاجتماع دارساً وباحثاً ومعلماً ومؤلفاً حتى ترك للعلم والعالم ثروة من نتاج الفكر العبقري الخالد كان لها الأثر الخطير في توجيه علم النفس إلى وجهة جديدة

ولد هذا العلامة الكبير بمدينة فريبرج المورافية في اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٨٥٦ ثم تلقى ثقافته العامة في فينا ورحل بعد ذلك إلى باريس فدرس نظريات الدكتور شاركوت في الأعصاب وخواصها وأمراضها، ثم عاد إلى فينا فتولى التدريس في جامعتها وسمت به كفايته حتى عين بها أستاذاً لأمراض الأعصاب وعلاجها سنة ١٩٠٣، وفي خلال ذلك توفر على البحث والتأليف فلفت إليه أنظار العلماء بأصالة فكره وتفوق ذهنه وطرافة رأيه، ونال الدكتوراه الفخرية في سنة ١٩٠٩ من جامعة كلارك ووستر بأمريكا، ثم عين في السنة التي بعدها عضواً أجنبياً في الجمعية الملكية ببريطانيا، وظل في وطنه يخدم العلم والتعلم وهو موفور النشاط موضع للمكانة حتى سحب … فاضطهدته النازية لأنه يهودي فهاجر بزوجته وأولاده إلى لندن فعاش بها إلى أن توفاه الله

كان فرويد بطلاً من أبطال العلم جاهد فيه وصابر حتى انتصر ونجح، فهو صاحب مذهب جديد في علم النفس عرض أسسه الحديثة وقلب أوضاعه القديمة، ولقي في سبيل تأييده ونشره ما يلقاه المجددون من عنت أهل الخصومة … ورماه الناس بالدجل والشعوذة حين قرر أن الأمراض العصبية تشفى بالتحليل النفسي؛ ولكنه يئس خصومه بعد فهم الحقائق وبإقدامهم بالتجربة حتى انتهى إليه … فاعتنقوا مذهبه وأقاموا على …

وخلاصة مذهب فرويد في علم النفس أن الغريزة الجنسية هي علة الاضطرابات العصبية، وأن ما يختزنه العقل الباطن في جميع مراحل العمر هو الذي يؤثر فينا ويسيرنا عمياناً؛ والعقل الباطن إنما يمثل رغبات النفس الخفية؛ أما العقل الواعي فيمثل رغباتها المرعية التي أقرتها البيئة وارتضتها التقاليد؛ وذلك الصراع الذي ينشأ بين رغبات العقل الباطن ورغبات العقل الظاهر هو الذي ينتهي أحياناً إلى الاضطرابات العصبية. فهو يحملنا على إطلاق الغرائز المكبوتة يحفزنا في وجوب إرضاء المستوى النفسي. لذلك أخذ فرويد يعالج الأمراض العصبية بالكشف عن مخزون العقل الباطن وهو ما يسميه بالتحليل النفسي. ويقول فرويد إن الأحلام هي تعبير عن رغبات العقل الباطن فلا تنبئ عن المستقبل ولا صلة لها به. وله في تفسير الأحلام كتاب ضخم يؤيد به هذه النظرية عن طريق التحليل العلمي والمنهج القويم.

وقد انبسط سلطان المذهب الفرويدي على الأدب والفن والصحافة والتشريع، وأحدث موجة من التفكير في أحوال الإنسان الداخلية سيكون لها الأثر البالغ في توجيه حياته وتقدير عمله.

خطبة عصرية من طراز جديد

ألقى خطيب الكتاب الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف خطبة الجمعة الأولى من شعبان في مسجد يحيى باشا الذي صلى به صاحب الجلالة الفاروق المعظم، فكانت الخطبة في إنشائها وإلقائها وموضوعها حدثاً جديداً في منبر سحبان الذي مسخته الرجعية حتى انقلب بيانه لغواً على الألسنة، كما انقلب سيفه خشباً في الأيدي. وطرافة هذه الخطبة أنها تحركت بحركة الدنيا ومسايرة لشكل العصر ومطابقة لشكل حالة؛ فقد عالج فيها الخطيب أعراض الحرب الناشئة من الغلاء والتعطل والأثرة والادخار والاحتكار بآيات من كلام الله وحديث الرسول كأنما نزل به الوحي أمس. ولقد كان أثر هذه الخطبة عميقاً في نفوس من سمعوها في المسجد أو في المذياع حتى كتب إلينا كثير منهم يطلب إلى وزارة الأوقاف أو وزارة الشؤون الاجتماعية أن تجمع أمثال هذه الخطبة مما يمس الناس كل يوم من أمور العيش ومشاكل الحياة ثم توزعها على الخطباء في المدن والأقاليم، علماً بأن في ذلك توجيهاً لنظام الجماعة بقانون الله، وتحقيقاً لغرض الشارع من سن هذه الخطبة.

ماذا تركت روما وماذا تركت أثينا؟

أشار صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا في كلمته التي ألقاها إلى ما جناه الخلاف على الذهب الأسود، وإلى ما جناه التزاحم على الحضارة الرومانية، وناشد أبناء مصر أن يستضيئوا بأخبار الدول السالفة، فيجتنبوا الحسد والأحقاد ويلجأوا إلى الحق المعبود.

ولقد ذكرت بمناسبة إشارته إلى روما وأثينا في كلمته ما كان لوزارة المعارف منذ أعوام من مبادرة في ترجمة كتب مختارة من روائع الأدب الغربي منها كتابان: «تركة روما» و«تركة أثينا».

ومع أن البلاد الآن في عهد الوزارة الثالثة فإني أعتقد أن كثيرين من الأدباء قد أقاموا شهوراً تلك الكتب، وأن محاولات بذلت لترجمة عدد من الكتب لحساب من بين الكتب المقررة. فهلا أعادت وزارة المعارف النظر في أمر الإبقاء على هذه البداءة، أو هلا نفد من بعث وقته وظروفه إلى ترجمتها فيرى صاحبه إلى جوائز الوزارة؟!...

عبد اللطيف النشار

المصعدة في اللغة

في مقتطف يرويه أحد العلامة الأب الكرملي على صاحب كتاب «مباحث عربية» إنه يخطئه في المصعدة بدلاً من المصعد إذ قال إنه لم يرد في كلام فصيح. وذكر كاتب جليل — في الرسالة رقم ٣١٧ (البريد الأدبي) أن المصعدة وردت في «أساس البلاغة» هكذا: «المصعدة شيء كالسرير له أربع قوائم يصعد عليه...». وقد راجعت صفحة في «أساس البلاغة» فلم أعثر على هذا النص، فهل هو في مادة أخرى؟ عسى أن يرشدنا الكاتب الفاضل إلى مظنة النص موجوداً.

رد على (الشاعر الكناني)

حضرة الفاضل الأستاذ محرر «الرسالة»

تحية وسلاماً.. وبعد، فقرأت في عدد «الرسالة» الأخير الكلمة التي تهجم فيها الدكتور بشر فارس من جديد عليّ، والرد على تهجمه أن كتاب «مفرق الطريق» للأستاذ محمود بك تيمور وصلني صبيحة ١٥ يونية سنة ١٩٣٩، والكتاب يحمل إهداء تيمور بك، والتاريخ ١٤ يونية مرقوم تحت التوقيع. وكتبت

ألقى في الأسبوع الثالث من شهر يونية، وقرأتها على الأستاذ صديق شيبوب في حينها، وبعثت بها إلى «الرسالة» بتاريخ ٢٧ يونية — أي قبل صدور منتصف يونية بأيام —

على أن ألكسندر تأخر نشرها للعدد الصادر في ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩، ذلك على ما يبدو لي راجع إلى تقديم بعض كلمات أرسلتها للرسالة، وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها في وقتها، من ذلك كلمتي عن المرحوم فليكس فارس، وردودي على الدكتور بشر فارس، وردي على الدكتور غلاب والأستاذ المنبدي

وأظن أن في هذا البيان ما يقطع كل مظنة للاختلاس

«الإسكندرية» إسماعيل أحمد أدهم

مهرجان للأدب في السودان

صمم شباب السودان على أن يجعلوا من عيد الفطر المبارك عيداً قومياً آخر، فقرروا أن يقام في أيامه الثلاثة مهرجان للأدب في واد مدني بالجمعية الأدبية

وفي هذا المهرجان ستعرض جهود السودان للعلم، وما له من حظ في العلم والأدب. وسيكون المعرض شاملاً لمختلف نواحي العلوم والفنون والآداب من أبحاث علمية وأدبية واجتماعية وتاريخية

وهذه فرصة سانحة لتقوية الصلات الثقافية بين مصر والسودان، يحسن بأهل الشعبين انتهازها حتى يكون لنا من العيد أعياد. فهلا يبادر الكتاب والأدباء لزيارة السودان في رحلة سنوية ليروا آثار النهضة الأدبية؟ وعلى أرباب الصحف ومحرريها التي لا تخلو منها دار سودانية عبء كبير في هذا الصدد. وسيجد هؤلاء فيه ضرورة للكتابة عن ناحية مجهولة في السودان الذي لا يعرفه وأسماءه إلا القلة من أبناء مصر. وما أسعد قلوب السودانيين جميعاً إذا ساهمت مصر بكتابها ومفكريها في ذلك المهرجان، فمروا بينهم يجيء الحكيم والعقاد والزيات وزكي مبارك والمازني ومكرم أباظة وطه حسين وإبراهيم المصري.

والسودان على هؤلاء جميعاً دين يجب أن يؤدوه، فهو يدرس أدبهم، ويقرأ كتبهم، ويعيش معهم دافعاً روحه وعقله، وهو لا يرجو إلا أن يتعهدوه بهذه المناسبة ليعرفوه ويعرفوه ويتفهموه ويلمسوا بجهوده الشتوي الجليل

هذا، ومن لم يستطع الحضور، فلا أقل من أن يرسل كلمته إلى السودان على عنوان سكرتير المهرجان أحمد محمد خير المحامي بواد مدني

سكرتير المهرجان

حول رواية محمد علي الكبير

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

قرأت في بريد الرسالة الفني كلمة عن رواية «محمد علي الكبير» هنا، مما على بعض تمثيلها من الفرقة القومية وعزا عدم إخراجها إلى أسباب غير صحيحة

والواقع أن الرواية مأخوذة عن قصة «حبة الملوك» للأستاذ محمد فريد أبو حديد، وقد فازت بجائزة ممتازة في مباراة التأليف المسرحي عام ١٩٣٦ بين ما يربو على مائة رواية تؤلف للمسرح المصري

وقد نشرت «الرسالة» مقتطفاً عنها في العدد الخاص بعيد مصر بمناسبة تولي صاحب الجلالة الملك سلطاته الدستورية وجاء أن ظهور محمد علي باشا في صورة السفاح كما يزعم البعض، بأن أحسن من أن أظهر مثل مصر ملحدة في هذه الصورة وستعرض الرواية في الوقت المناسب، وسيراها رواد المسرح والنقاد ويصدرون حكمهم على موضوعها وقيمتها

أما السبب الصحيح في تأجيل تمثيلها فهو اشتمالها على مواقف حربية بين محمد علي والإنجليز، وقد ورد فيها انتصاره عليهم في موقعة رشيد، فرأوا من المناسب ألا تمثل في الظروف الدولية الحاضرة

أما المكافأة فلم تمنحها الفرقة، وإنما فازت بجائزة من وزارة المعارف، لأن شرط مباراة التأليف كان وضعته وزارة المعارف لا الفرقة. هذا، وقد صرفت الجائزة من هبة المرحوم طلعت حرب التي رصدها تشجيعاً للتأليف المسرحي

يوسف تادرس

حول الفن والحرية أيضاً

تتبعت الدوائر الفنية والأدبية في مصر باهتمام شديد كل ما كتب حول جماعة الفن والحرية في مجلة «الرسالة» الغراء. ولقد ضمت هذه الجماعة مجموعة من الشباب المصري المثقف تلمس فيهم كل إخلاص وحب للوطن العزيز. ولا شك في أن كل ما كتب

التربية النظامية

لصاحب العزة القائمقام علي حلمي بك

مدير شرطة مديرية البحيرة

بقلم الأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل سعادة المؤلف بإهداء هذا الكتاب القيم إليّ، وهو الكتاب الأول من نوعه باللغة العربية فيما أعلم، بحثت فيه أوضاع الحياة الشخصية والاجتماعية بوضوح وتفصيل وضبط وبيان رصين على الأسلوب العسكري.

وقبل أن أتحدث عن الكتاب يسرني أن أتحدث قليلاً عن مؤلفه، فهو مثال للرجل العسكري الكامل الذي يعنى بشخصيته وخلقه في الفضائل العسكرية التي يقوم بناؤه عليها ما لم يجد إليها الاعتزاز بها والحرص على إحيائها في نفوس الشعب الفتوة والتعلم فإنها فضائل عالية المعنى والنفس لأنها في الجسم والفكر والروح.

وقد تقلب سعادته في كثير من المناصب في الجيش والشرطة منذ سنة ١٩١٦ إلى الآن، وكان محباً ولوعاً بدرس شئون الحياة النظامية التي يعرفها ويحبه في القرى والمدن والبيت والشارع. وقد رحل إلى كثير من ممالك الشرق والغرب، فسافر إلى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين كما في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه «وقد عنيت في أثناء هذه الرحلات بالبحث في كل ما يتصل بالتربية النظامية وأنظمة

في «الرسالة» ما هو إلا كلمات سطحية من أعراض الجماعة لم توف حظها من البحث حتى تطمئن نفسي إليها حتى إني لم أكد أدرك ما يريده أعضاء الجماعة من حركتهم الجديدة.

بقي سؤال، وهو أني أسأل أصحاب جماعة «الفن والحرية»: هل تؤمن بما عندك حق تصبح من أعراضها الحقيقية، وتوضح بكل جلاء ما ينتجه أعضاؤها من الفنانين أو الأدباء — من فنون حديثة سواء في الرسم أو في الأدب أو في الشعر. ومقال الأستاذ «كامل التلمساني» الذي نشر بالعدد «٣٢١» ودافع فيه عن فنه وفن زملائه «فتحي البكري» و«كامل ...» والأستاذ «حسين يوسف أمين» و«أنور ...» ثم الأستاذ «يوسف العفيفي» و«فؤاد كامل» لم يوضح فيه بشكل قاطع وغير قابل للشك ماهية مذهبهم هذا! بل تركت مقالة خالياً من أي نتيجة حاسمة نطمئن لها. ثم جاء بعد مقال للأستاذ «رمسيس يونان» نشر بالعدد «٣٢٢» عرض فيه عرضاً عاماً شاملاً ... الحركة «السيريالزم»، وبعض أساليبها في التعبير.

وفي هذا المقال أيضاً لم يخرج القارئ منه بنتيجة حاسمة.

وأذكر أيضاً كلمة جاءت في صفحة «البريد الأدبي» في أحد أعداد «الرسالة» الغراء كتبها الأستاذ «أنور كامل»، وهي لا تقل في غموضها وشذوذها عما كتب من قبل.

أليست مشكلة إذن أن تشرح جماعة «الفن والحرية» مذهبها وهي أعجز في صراحة كلمة دون مواربة أو إبهام؟

وبعد، فإني أرى أن أعضاء هذه الجماعة تتزعم حركة جبارة في مضمار النهضة الفنية في جديد، ومذهب جديد يجب حقاً أن يدرسه مصر رأساً.

ولكن لا بد من الصبح ولا بد من بيان كامل تقدمه جماعة «الفن والحرية» تبين لنا ماهية هذه الحركة ... جديدة في الفنون وتترك آثارها في مستقبل مصر الفني والأدبي والمعنوي، على أن يكون بياناً مبنياً على أسس متينة من البحث العلمي أو الفني.

معترض على الجميع — [illegible] عبد الله [illegible]

[illegible]

البوليس والإدارة والنظم النقابية والاجتماعية وكل ما يتصل بالأمن وشئونه وكذا السجون والإصلاحيات ومعسكر الفرق فيهم والبلديات والمجالس المحلية

« وفي الدول التي زرتها بحثت أيضاً في الوسائل التي جعلت حكوماتها وطوائفها تغرس روح النظام في أبنائها وإذكاء الروح الحربية والقومية فيهم، وما تقوم به الشباب لترقية الحياة الاجتماعية وخاصة عامة الشعب

« كذلك حضرت المؤتمر الرياضي العسكري السنوي بمدينة « نورمبرج » بصفتي الشخصية بدعوة من القائد العام للبوليس الألماني مدة أسبوع في سبتمبر ١٩٣٧ ... وقد شاهدت ودرست معهم أنظمة المعسكرات والتشكيلات الرياضية والعسكرية لتدريب الشباب والشعب »

وكان يلقي الجمهور عقب عودته من كل رحلة بمحاضرات يلقيها في الأندية والمعاهد وقاعات الجمعيات المختلفة وفي محطة الإذاعة اللاسلكية. وهو من المؤمنين بنقل الجماهير من حياة الفوضى إلى حياة النظام عن طريق التمهيد بالدعوة والإرشاد والإذاعة قبل الحمل بالقوانين. وهو الآن يؤسس في الجيش « الرابطة » ويقوم بجهد كبير من المتحمسين على تنظيمه. ونرجو الله أن ينفع به دائماً

أما الكتاب فلم يترك ناحية من النواحي التي تجب مرضى أو نقص أو قصور في حياتنا المصرية إلا عالجها واقترح لها وأرشد إلى خير الطرق لتنظيمها أو تكميلها مسترشداً بما في البلاد الغربية. فهو كتاب « فن الحياة » و« إصلاحها » في البيت والشارع والمدرسة والملعب والقرية والمدينة على خير أساليبها وأغاليطها

تحدث عن النظام ومصاعب الأمم، وتنظيم الاقتصاد في الشرق والغرب، ووسائل مكافحة القاذورات الحربية وحماية الأهلين منها، والقرية المصرية والإصلاح الاجتماعي، وسلامة الدولة، والبوليس والجمهور، ومقاومة الجرائم، وبعض النظم الأوربية للعناية بالعادات وتقاليدها، والتربية البدنية، والتدريب العسكري، ومعاصر الجيش المصري، والروح القومية. ذلك عرض لأمهات مسائل الكتاب يضاف إليها مسائل عدة يطول بنا الحديث إذا ذكرنا عنواناتها

وهو يقع في ٣٥٥ صفحة على كثير من الصور الفوتوغرافية. ولو أن مثل هذا الكتاب وزع على طلاب المدارس الثانوية والمعاهد الدينية الطالبة لكان أفضل بكثير من الكتب التي تتحدث في موضوعات لا تتصل بصميم التربية والسلوك في الحياة، وإنما تتحدث بمقالات كلها « رص » أدبي أو علمي يحشو الأذهان بالعروض والأرقام وأوزان الشعر والجبل والرقعة الجبلية فلا يشكل الحياة الفردية والاجتماعية وأساليب معالجتها [illegible]

لقد آن أوان للطرف أن يبني النفس المصرية من جديد وأن يجعل منها الأول التربية والإشراف على الناشئين وتعويدهم التدرع بالثقة ونبذ الخبيث والزور والكذب والاعتصام بالأخلاق والتعاون والتآزر، وأن يعمل ويكد في أن يخرج الطالب من المرحلة الثانوية وهو راشد يتصرف تصرف الرجولة قبل أن يكون حاملاً علم الأولين والآخرين

ونريد أن ننبه وزارة المعارف لكل طالب من طلابها جاء للفوضى والحركات الشاذة في نفوسهم ولن نتمكن من ذلك إلا إذا [illegible] عن التمهيد [illegible] حب الانتصار لحياة النظام والتنسيق [illegible] أنه من الواجب عليهم أن يجندوا أنفسهم دائماً لحرب الفوضى في بيوتهم ومجتمعاتهم وألا يقتصروا أمام [illegible] آبائهم وأمهاتهم والكتب الموضوعة في هذا [illegible] والتدريب الطويل [illegible] إلى ذلك

الإسكندرية — عبد المنعم [illegible]

عبث الأقدار

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأديب محمد جمال الدين درويش

القاص نجيب محفوظ شاب حديث عهد بالقصة، ولكن أعده في الصف الأول من المبرزين فيها وخاصة في القصة القصيرة والأقاصيص. وفي مجلة الرواية [illegible] مذ قريب، وكنا نتطلع إلى [illegible] إنتاجاً [illegible] وتستبشر بمستقبله في عالم القصة

وهو يمتاز بروحه الخاص، وطريقته التي اكتسبها من القاص الكبير محمود بك تيمور في كتابة الأقاصيص، ومقدرته الفنية في كتابتها. وهو يجيد ما يتناوله، وما سطرته الأيام والحوادث في سجل المحيط المصري مادة لأقاصيصه، وقد نرى [illegible] الأقدار مطبوعة بالطابع المحلي — فنحس [illegible] أنه قد أظهر خوفو فرعون مصر وباني الأهرام كأنه يعيش معنا [illegible] بمتع الحياة، والأهرام نلاحظ ونشاهد طريقة بنائها وتجميع العمال [illegible]. والحق أن القصة [illegible] من الحوادث في عهد باني الهرم [illegible] بأسلوب سهل [illegible]

فصل المقال

فيما ورد من مناقشة حول «مباحث عربية»

للدكتور إسمعيل أحمد أدهم

أخذ علي [illegible] كتاب «مباحث عربية» أني [illegible] في بحثه عن «المسلمين في فنلندة» ، وقف عند سرد الأحوال التي جمعها ولم يتجاوزها إلى التمحيص. والحق أن هذا البحث لا يعدو كونه استطلاعاً صحفياً ، ومن هنا جاء ما فيه من الضعف. فالدكتور بشر يرى أن المسلمين الذين اكتشف وجودهم في فنلندة أصلهم من «الترك – التتر» والنازحين أصلاً مما وراء جبال أورال ، وحضر إلى فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى في روسيا

وقد لاحظت أنا أن المسلمين من «الترك – التتر» ينتشرون في شمال وشرق أوربا ، فمنهم جموع في [illegible] وفي [illegible] وفي استونيا وفي ليتوانيا وفي [illegible] وقد بحث فيهم المستشرقون الروس والبولونيون كثيراً – خصوصاً [illegible] الأخيرين وكان من الروس المستشرق [illegible] ، وهو من شيوخ الاستشراق في أوربا ؛ فقد كتب بحثاً ممتعاً عن «الأتراك في أوربا الشمالية» نشر في مجلة الشرق [illegible] الروسية م ٨ ج ٤ ص ٣١١ – ٣٣٦ كذلك كتب بحثاً فيه الأستاذ [illegible] كريمسكي ، وهو من أعلام الاستشراق في روسيا الآن في نفس المرجع م ١٠ ج ٢ ص ١٠١ – ١٤٥ وهو عن «بقايا جموع التتر القديمة في دويلات البلطيق» ؛ وبناء على هذه المعرفة نظرت في المراجع التركية التي تحت يدي ، فوجدت أن جمعاً من الأتراك المسلمين ، وصلوا إلى فنلندة في القرن السادس عشر ، واستقروا في بلاد (فنلندة) ؛ ومن هنا جاء تساؤلي : هل تأكد الدكتور بشر فارس من المعلومات التي تلقيها إليه من الأشخاص الذين ادعوا في فنلندة من جمهور «الترك – التتر» فيه من أصلهم ؟

وقد عمد الدكتور بشر إلى المغالطة في رده فقال إنه تحدث إلى هؤلاء المسلمين ، وأنهم خبروه بما دوّن. وأنا وإن كنت لا أحب أن أشكك رواية الدكتور بشر وأتهمه في كلامه ، إلا أن الذي أحب أن أقوله إنهم قد يكونون خبروه أن أصولهم من وراء جبال أورال ، وأخطأ هو فهم كلامهم فظن أن هذا يعني أنهم حضروا إلى فنلندة بعد الانقلاب السوفيتي من وراء جبال أورال !.

٢ – قال الدكتور بشر إن بعض هؤلاء الأتراك «التتر» يسمون مدينة توركو Turku من أعمال فنلندة [illegible] وقد علقت على هذا الكلام في ردي [illegible] «إن تسمية هذه المدينة بلفظة ترك» ، لأن المشابهة قوية بين اسم المدينة واسم الأتراك ، مما يدل على أن المدينة تشتق اسمها من جموع الترك – التتر –

المكلفة بحفظه [illegible] على [illegible] بساطة كأن [illegible] وقد [illegible] في كتابه من روعة الجمل والعبارات كأنها [illegible] والعواطف تشوق القارئ إلى [illegible] كسرعة السينما حادثة في إثر أخرى [illegible] لا يلقيها من يده إلا بعد أن ينتهي من قراءتها [illegible] أن الأستاذ نجيب عرضها بأسلوب الرومانتيكي أو صاغها بريشة الرسام أو كونها بعدسة المصور

وعلى رغم طول القصة تمكن الأستاذ نجيب من السيطرة على أعصابه ووجدانه حتى أخرج هذه الأفكار كما هي الآن محبوكة كما ينبغي في القصة ... وإذا عرفنا أن هذه أول قصة يكتبها [illegible] بعض هنات ومآخذ في القصة ، ولكن أحسبه على سوء طبعها وحشوها بالغلطات المطبعية وهي تقع في ١٩٠ صفحة من القطع الكبير

وآمل أن تجد هذه الأقصوصة من الرواج ما هي أهل له وهي جديرة بالعناية والاعتبار

محمد جمال الدين [illegible]

التي رُتّبا في زمن من الأزمان. جاء الدكتور بشر في ردّه يقول: إن مدينة بورگو كانت ماضية قبله في المائة الرابعة عشر للمسيح، وبذلك يثبت تأثير جماعة الترك الذين نزلوا موضع جلاء الغنزا في القرن السادس عشر

والمغالطة واضحة، لأننا لم نقل في ردّنا إن هنالك صلة بين نزول الجموع التركية في القرن السادس عشر وبين تسمية المدينة باسم بورگو، ذلك أننا نعرف أن التسمية أقدم عهداً من ذلك التاريخ، والبينة الدليل

قلنا: « ومسألة أخرى في هذا البحث: فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك نزلوا الماصمة ثم عديهي تجري وبورگو، وهو لم يذكر لنا شيئاً من المدينة الثانية، وهل هنالك صلة بين اسمها وبلفظه « بورك » ؟

فأين هذه الملاحظة من ردّ صاحبنا القائم على المغالطة والإبهام والتهويل ؟

٣ — نعرف من كتب الأثنوغرافيا أن الفنلنديين يردّون إلى أصلين: الأول Tavastians والآخر Karelians وفي الشمال من فنلنده نزل بعض الجموع الذين يردّون إلى قبائل Lapps وهم فئة ضئيلة في فنلنده اليوم. ويرى النورديون في دول البلطيق من القرن الخامس عشر الصفات الأثنوغرافية للجموع الأولى وهي: بعض الجموع من « الترك » إلى دول البلطيق واستقرارهم فيها، وكان من الرحلتين المعروفتين العظيمتين اللتين عرفتا روسيا عام ١٢٣٧ وعام ١٢٣٩، إذ نزل شواطئ البلطيق جماعات من « الترك — التتر » الذين دفعتهم أمامها الموجة المغولية. ثم جاء من الشرق ومن الجنوب عبر بحر البلطيق عن طريق بولندة جموع من الأتراك الشامانيين، وإن بعضهم بولنده واستقر فيها والبعض الآخر ركب البحر إلى الشمال واستقر في استونيا وليتوانيا ولاتفيا وفنلندة. وكان مجيء هذه الجموع على دفعات. ولا شك أن بعض هؤلاء كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أسروا في الحروب التي شنها الأتراك على أواسط أوروبا وعلى جنوب بولنده (الحوادث في مجرى التاريخ — ج ٣ المقدمة ص LXXV وما بعدها وكذا يرد في بحثه السابق الذكر)

ومن هنا يتبين مبلغ بعد الدكتور بشر من الحقيقة. هذا على أن أصل اشتقاق مدينة Borgo الفنلندية يعود إلى مادة « برك » كما تحقق هذا بنا من مراجعة مادة (برك) من أعمال معهد التاريخ التركي (السلسلة الأولى العدد ١ ج ١ ص ١٧ ...)

٤ — قلنا إن الدكتور بشر فارس لم يتمسك بحقيقة آية ذلك عندنا أنه يقول: إن لغة الفنلنديين قريبة من التركية وحروف هجائهم من الحروف اللاتينية التركية التي وضعت بأمر أتاتورك (ص ٣٢) وهو يستدل به على أنهم سرحوا قومهم من روسية السوفيتية (ص ٣٣) لأننا نعرف أن هنالك صورتين من الهجاء اللاتيني للغة التركية: الأول يستخدمه أتراك الاتحاد السوفيتي والثاني تستخدمه أتراك الجمهورية التركية. وهذا الفرق من الفروق التي يجب معرفتها بعضها عن بعض. وقلنا في ردنا عليه « وفي إمكان الباحث مراجعة هذه الفروق أن يدلي برأي يحقق في الموضوع » فرد الدكتور بشر بكلمات قال: « وإني أعجب عليه عدم التثبت في بحثه لأنه لم يذكر أن الحروف التي يستخدمها هؤلاء المسلمون في فنلندة، ليست هي تلك الحروف التي وضعها أتراك الاتحاد السوفيتي » وأين هذا الكلام من كلامي ؟!

إن السوفيتيين استعملوا الهجاء اللاتيني في ٣ نوفمبر عام ١٩٢٩ (أنظر Armstrong في Gray Wolf ص ٢٨٨ سطر ٢٤ من Appendix) وأتراك الاتحاد السوفيتي اتخذوا الهجاء اللاتيني في مؤتمر باكو عام ١٩٢٤، ثم حدث بعض الخلاف سوى في مؤتمر تفليس عام ١٩٢٨ وصدق كمال أتاتورك على الهجاء اللاتيني الفرنسي في وضعه الهجاء اللاتيني التركي، وفي نظر نظام أتراك الاتحاد السوفيتي

ولا أرى أبعد رأي الآن أنه كان في مستطاع الدكتور بشر أن يرجع لنظام الهجاء اللاتيني لهؤلاء المسلمين، ويقارنه بما يقابله عند أتراك الاتحاد السوفيتي ثم أتراك الجمهورية التركية وبذلك يدلي برأي صائب في الموضوع. أما القول بأنهم أجبروا بذلك، فهو من اجتلاب القول، فضلاً عن أنه موضع نظر حتى يمكن الجزم في نظام أحرف الهجاء اللاتيني التي يستعملونها في الكتابة

وإذا كان هذا الدكتور بشر فارس عاجز من كتابيه هيئت إلى مرحلة منها، وأنا مستعين بأن أتطلع السلك في هذه المسألة بحكم معرفتي بهذه المناطق قضيتها تقتضي في بيان ركن والاتحاد السوفيتي ردحاً من الزمان

بقيت بعض ملاحظات على المقالة التي دار حولها النقاش من بحث الدكتور بشر فارس، من ذلك أنه استدل من أن لغة

الحكم على هؤلاء المسلمين المنتسبين إلى الترك بأنهم صدروا موطناً عن روسية الجنوبية (ص ٢٣ من كتابه) ولست أعرف ما موضع روسية الجنوبية في هذا التعبير؛ لأن هؤلاء إن كانوا من الترك الصادرين مما وراء جبال أورال فلا صلة لهم إذن بروسية الجنوبية (القرم وقزان وأستراخان)؛ وإن كانوا من الجنوب من روسية فلا معنى للقول بأنهم من الترك الصادرين مما وراء جبال أورال. والذي عندي أن هذا الخلط نتيجة تفسيرات شخصية من الدكتور بشر لم يصدقه بأنهم من وراء جبال أورال؛ وإنما الدكتور بشر قد استخدمه حطاً، فبدأ أن «الترك — الذي هو أصلهم من هذا الناطق» وكل هذا يشق الأمر في اصطلاح الدكتور بشر ... التعبير في أصل النبأ! أما القول بصدورهم عن روسيا الجنوبية .. فهو الأصل الذي يكشف عن فكرة الاستنتاج في قول بشر أنهم من «الأتراك — الخ» الصادرين من وراء جبال أورال ...!

٥ — قلنا في نقدنا لكتاب مباحث عربية «إن استعمال لفظ (السلوك) لأحد مشتقات المصدر الفرنسي وهو moralité وإعطاء «الأخلاقيات» معنى آخر لنفس المصدر (وهو morale) أمر أدعى في اللبس والاختلاط»، فكتب الدكتور بشر «ويبدو أن الناقد لم يدرك الفرق بين اللفظين الفرنسيين morale et moralité، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية الأخلاقية، والثاني بحث في الأخلاق». والمغالطة في رد صاحبنا الدكتور بشر واضحة، لأن الأصل في نقدنا أن استعمال لفظ السلوك والأخلاقيات لمعنيين هما morale et moralité من مصدر واحد هو mores في اللاتينية يوقع في اللبس. واللازم أن يشتق من اللغة العربية التي تقابل mores مصدران ينظران إلى اللفظين الفرنسيين والأول يأتي عندي آداباً والآخر أدبيات، فإن الأول مفهوم السلوك conduite من حيث هو قاعدة (أو منهج) règle وإن الآخر مفهوم السلوك conduite من حيث هو مبدأ (Principe) وبين الاثنين من الفرق ما لاحظه الدكتور بشر كرسى.

٦ — قلت: «إن في تعبير الدكتور بشر أن اللفظة الترادف متقاربة متجاورة تارة، متشابهة أخرى «تصوراً» لا تستقيم معه الحقيقة إلا إذا أخذ منها لفظة المتجاورة بالتشابه لأنه أدل على المعنى

وأكثر اتساقاً في الحقيقة من حيث [illegible] مصيره بعيد ارتجاعاً synonyme وواضح أن [illegible]:

١ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (مترادفة).

٢ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى متشابه (أو متقارب).

وبذا يكون معنى synonyme يؤديه في العربية المصطلح كل من لفظي الترادف أو التشابه (التقارب) وذلك حسب مدلوله. والتعبير الذي استعمل فيه الدكتور بشر لفظة متجاورة سياقها فيه التقارب أو التشابه. والدكتور بشر يريد هذا؛ لأن التباين يقابله الترادف من الجهة الأخرى ويقع بينهما التشابه والتقارب. وهذه مسألة لا تحتاج إلى ذلك العلم العميق بمفردات اللغة كما يهول صاحبنا في رده. ولنبحث معاً التشابه نظيره synonyme مرجعاً بدليل حصوره في العلم بالغة. لأن التشابه والتباينة من الألفاظ التي تنظر إلى synonyme وليست اللفظة الإفرنجية معناها قاصراً على الترادفة عربياً

ونحن إن كنا وقفنا في ردنا عليه عند التشابهة (الوجه الثاني من مقابل اللفظة) فذلك لأنها هي المقصودة في العبارة، والسياقة حتى عليها دوماً دام الأمر كذلك فأي ضرورة تبحث إلى الكلام عن الترادف أو المترادفة من الألفاظ؟

على أن محاولة بشر تخريج الموضوع حوله أنه يعني المتقاربات المتجاورة voisines في الإفرنجية فلا معنى لها ولا محل؛ لأن المعاني لا تتجاور ولكن تتشابه (أو تتقارب) وتتباين وتترادف لأن التجاور يغلب عليه جانب الحس والتقارب يغلب عليه جانب المعنوي. أما أن المتجاورة من نحو نظر إلى voisines فرنسياً فليس ذلك بدليل يلزم أن يكون التعبير فيه لفظ التجاور، لأن التعبير في العربية وليس في اللغة الفرنسية، ولكل لغة أحكامها وأصولها. وأظن أنني بسبب ذلك البحث الذي يحلل الدكتور بشر فرنسياً في هذا، صير أمري هنا في هذا تحكم كره اللغة العربية، ولكن قل هي المشكلة أنفسدت عليه النشر

(له بقية) إسماعيل أحمد أدهم

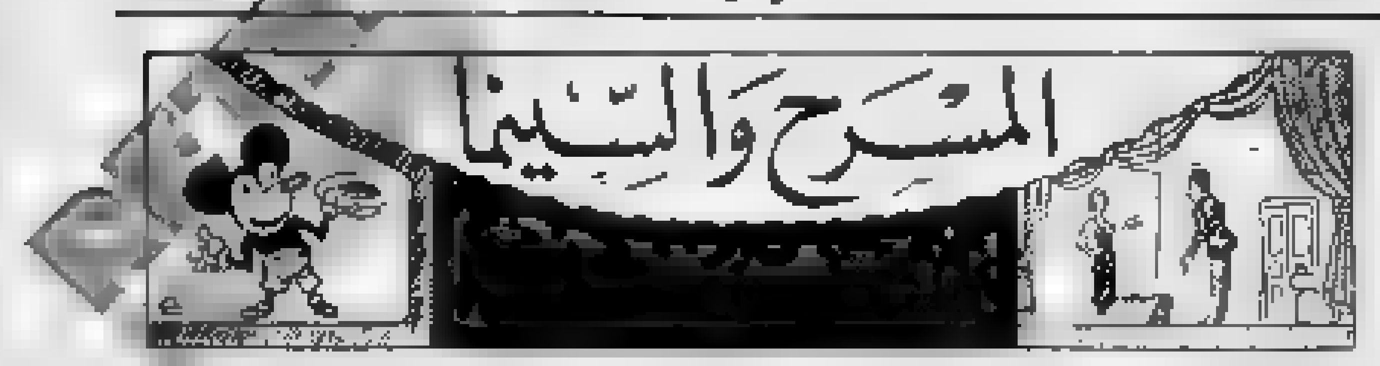

من المسرح

النهضة المسرحية في مصر

وموقف الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

أولاد الفقراء

قلنا إن رواية (الذبائح) التي وضعها المرحوم أنطون يزبك كانت ذات أثر سيئ في النهضة المسرحية. ولقد شجع على محاولات يوسف وهبي فوضع (الصحراء) ثم وضع (أولاد الذوات) ثم (أولاد الفقراء) وقد نجحت هذه الروايات نجاحاً استطاع لمسرح رمسيس جمهوراً بجمهور فأصبح ووطده من طبقة العامة الذين افتتنوا بيوسف وبرواياته التي كتبت باللغة العامية التي يفهمونها والقصة المبتذلة التي يتكلمون بها. ولقد عاد الأذى المسرحية أن تسمع إلى الألفاظ الكثيرة الساقطة التي ترد على لسان الممثلين والممثلات فيصير أصحابها مسرح رمسيس الذي أصبح أعدداً شيئاً مع شدة الإقبال عليه من طبقة معينة من الجمهور كانت تأتي لتشاهد (أولاد الفقراء) وتسعى وتتأثر بالمآسي والفجائع التي يشهدها يوسف وهبي جبا. ولم يكن يوسف يعرف مظهر السوء الذي ينصب إليه، وحركته أنانية المؤلف التي حملته يعتقد ويجاهر بأن الكتاب التي يكتبها لا يجوز التعديل فيه كما لا يجوز التعديل في القرآن. ولهذا فقد استمر يوسف في نهجه حتى وصل به الحال إلى أسوأ ما يصل إليه فنان.

سوف نتحول إلى يوسف وقد أراد أن ينتقم من النقاد وأن يضم إلى جانبهم بعض الشخصيات المسرحية البارزة، فقد قبل تمثيل رواية (الوحوش) للأستاذ محمود كامل ورواية (عبث القدر) للأستاذ عبد الرحمن رشدي. وليس هذا أول التحدي من هاتين الروايتين، وربما يمكن أن نحول إلى الأستاذ محمود كامل وضع (الوحوش) في سن الشباب قبل أن ينال الحقوق ومن، وأن الأستاذ عبد الرحمن رشدي وضع (عبث القدر) وهو ليس بالمؤلف وما هو إلا ممثل فقط. ولقد سقطت الروايتان سقوطاً شائناً. ومن العجيب أنهما لم تنسبا إلى اسمي مؤلفيهما بقدر ما أساءتا إلى مسرح رمسيس. وهكذا أراد يوسف أن يطعن الآخرين فطعن نفسه.

ثم دبت الشحناء بين أفراد فرقة رمسيس وطلب الصفاء عن الوجه ونشأت الظروف أن تنقسم الفرقة إلى شطرين شطر يذهب مع فاطمة رشدي وعزيز عيد وشطر بقي، فشاءت الظروف أن يجمع هذا بعض المسرح انتعاشاً مؤقتاً حسب الناس الشعبية بيد أنه كان انتعاشاً مؤقتاً وعلى غير أساس، ومن ثم فقد سقطت فرقة فاطمة رشدي مع الزمن والمهاد بعيان فرقة رمسيس من بعدها خصوصاً وقد احتفظت لنفسها خطة جديدة بهذه الروايات التي كتبت بلغة عامية.

ولا نجهل فقد انحدرت النهضة المسرحية على يد من ساقوها وأشرفوا عليها فارتفعت صيحات النقاد من كل جانب بطلب إنشاء فرقة حكومية، وأخيراً استجابت الحكومة للنداء وأنشأت لا فرقة (اتحاد الممثلين) التي منيت بفشل ذريع، فاضطرت أمام هذه الحالة إلى إنشاء (الفرقة القومية المصرية). ومن طريف ما يذكر أن الأستاذ يوسف وهبي وقد عرض عليه أن ينضم إلى الفرقة طلب أن يسمح له بتمثيل بعض رواياته من أمثال أولاد الذوات وأولاد الفقراء حتى يمكن أن تأتي بإيراد يعوض الخسائر التي ستمنى بها من تمثيل الروايات التالية فلم تشأ الفرقة بإخراجها لإبعاد فن التمثيل عما وصل إليه بسبب يوسف وهبي ورواياته الشعبية.

ومع أن مدير الفرقة رفض أن يجيب يوسف وهبي إلى طلبه الغريب فإنه سمح بعد أن تخرج الفرقة القومية روايات وإن تكن باللغة العربية إلا أنها أكثر ابتذالاً من رواية أولاد الفقراء.

(للكلام بقية)

ملاحظـــات

روايات قديمة

قلنا إن من أسباب نجاح فرقة رمسيس في عصرها الذهبي أنها أخرجت للناس روايات حديثة قوية ولم تعمد إلى إعادة إخراج بعض الروايات القديمة إلا بعد أن استتب لها الأمر ورأت أن في إخراج هذه الروايات ما يبرهن على كمال استعدادها ونضوجها ثم إنها كانت تخرج في موسمها الواحد حوالي عشرين رواية لا يكون من بينها أكثر من رواية واحدة قديمة

أما الفرقة القومية فإنها لشدة فقرها الفني - فليرحم الله واسعه الفراغ من الترجمة القوية - لا تجد أمامها سوى الروايات القديمة التي سبق إخراجها ولاقت النجاح، فهي تعيد إخراجها مطمئنة إلى أنها لن تسقط على الأقل!

وها هي ذي ستفتتح موسمها برواية (مصرع كليوباترة) وهي رواية قديمة وستتبعها برواية (لويس الحادي عشر) وهي رواية قديمة أيضاً

وسوف ترى الفرقة أنها بهذه الأعمال التي تصدر عن غير بصيرة ستفقد الثقة الباقية فيها

أما ما يقال من أن بعض هذه الروايات القديمة يعاد إخراجها من أجل بعض الممثلين الذين لا يصلحون إلا لها، فإنه مع صحة هذا القول لا يصح أن يحل المشكل من أجل البعض. وعلى أي حال فإن رواية الافتتاح يجب أن تكون جديدة، وقد كان من الكياسة أن يؤجل إخراج هذه الروايات القديمة إلى ما بعد إخراج بضع روايات جديدة

عدد أفراد الفرقة القومية

نبهنا في العدد الماضي على الإشاعة القائلة بتسريح أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التي تعمل مع الفرقة القومية؟ وذلك للتوفير بضع مئات من الجنيهات تصرف في وجوهها المختلفة خصوصاً وأن الفرقة ليست في حاجة إلى هذا العدد الكبير من الموسيقيين حتى ليست فرقة أوبرا أو أوبريت

قلنا هنا في الأسبوع الماضي إننا بالإشاعة نحذر في هذا الأسبوع إلى أن التوفير سيشمل أيضاً بعض الممثلين

وإذا كنا نسمح مع الناصحين بتسريح أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية، أو الاستغناء عن هذه الفرقة نهائياً والاستعاضة عنها بجهاز يذيع الأسطوانات، فإننا نحتج إلى جانب ذلك برفت عدد أفراد الفرقة القومية، وهم العناصر القوية الخارجة منها، أما التوفير فعنده إنصافها والعطف عليها.

ولنسأل مدير الفرقة الأستاذ أحمد عسكر عن عدد أفراد فرقة رمسيس أيام كان يعمل بها؛ وعن المجهودات التي كان يبذلها الأستاذ يوسف وهبي لضم العناصر القوية التي كانت تعمل خارج الفرقة، وهذا حال فرقة رمسيس بعد أن انفصمت عنها وخرج منها بعض أبطالها وأعلامها!

الأستاذ سليمان نجيب

يبذل الأستاذ سليمان نجيب مدير الأوبرا أقصى جهده في مساعدة الفرقة القومية مساعدة جدية يشكر عليها، وقد بلغنا أخيراً أنه استمع إلى رأي المخرجين فخرج بتغطية حفرة الفراغ الكبير لعد الفرقة الموسيقية يتصل بذلك ومع بعض صفوف أخرى للمشاهدين، وكذلك سيسمح للممثلين بالتقدم إلى مقدمة المسرح ولم يكن يسمح لهم بذلك من قبل بسبب الاحتياط لمناظر الحرائق؛ وبهذا كله ينعدم الفراغ الكبير الذي كان يخلق جواً من البرود يؤثر تأثيراً سيئاً في المشاهد المتتبع. وقد كان من أسباب نجاح الروايات في مسرح رمسيس (ريتس الآن) أن هذا الفاصل غير موجود

مأساة الفرقة القومية

مأساة الفرقة القومية في سكرتيرها السابق ما زالت عالقة في الأذهان، وقد خرج منها على أي حال فليس من سبب يدعونا إلى التحدث عن هذه المأساة أو ذكر تفاصيلها من جديد. وإنما غايتنا من التذكير بها أن نوجه النظر إلى وجوب صيانة الشؤون المالية للفرقة صيانة دقيقة وحصر الشؤون في شخص معين يكون مسئولاً عنها. وها نحن أولاء في بداية الموسم وستكثر المصروفات وتصرف النقود فإذا سار الأمر فوضى فإنه يخشى أن تتكرر المأساة وهي كفيلة بالقضاء على الفرقة

([illegible] البصير)

7ème Année No. 327

Lundi 9-10-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع عبد العزيز رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٧ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

جريمة النازية على الإنسانية

أ أمة العقل وناصرة النفس!

إن أمام التاريخ اليوم رجفة من رجفات الهول والطغيان لم يحمل مثلها الإنسان منذ دحا الله هذه الأرض. فهل يستطيع مهما سبر أغوار النفس، وكشف أسرار المجتمع، ووسع أطوار الحوادث، أن يقول فيها أكثر مما يقول في العواصف والزلازل والبراكين والأوبئة؟

هل يستطيع التاريخ بسعته وحذقه أن يصور للأجيال كيف تمكن حفنة نفر من عباد القوة المسرفة، لا أم لهم ولا [illegible]، أن يسيطروا على الشعب الألماني العظيم وهو آية النبوغ البشري في العلم والأدب والفلسفة والفن، فيجعلوه عسكرياً [illegible]، ويحشدوه قطيعاً جراراً من أجلاف [illegible] العالم كله بعدوانه وسلبه بالحديد والنار، أو بالخرج والجمجمة

لو كان هذا النازي المفترى قائماً في سلطانه وطغيانه على مبدأ من مبادئ الخير، أو مذهب من مذاهب الإصلاح، لالتمسنا لخضوع الشعب الألماني له واضطراب العالم الإنساني منه مساغاً في العقل أو مثلاً من التاريخ؛ ولكنه سلالة من سلالات الهمجية المتعصبة والأثرة والغرور [illegible] بفكر [illegible] وعقل [illegible] وضمير [illegible]، فطلب الفوضى رسالة من رسالات الله أوحاها إليه

في كتاب (كفاحه)، وأوحى أتباعه عليه بقوة سلاحه! يعني تريد أن يمسخ كل كتاب غير كتاب هتلر، وتمحو كل سيادة غير سيادة النازي، وتمحق كل عنصر غير عنصر الجرمان. وإذا كان في الساميين وهم في رأيه حثالة البشر رسالات ورسل، فكيف لا يكون في الآريين وهم سلالة الأجناس رسالة ورسول؟

وكذلك عرفنا في الناس الذين اصطفى من الساميين موسى وعيسى ومحمداً ليبشروا برسالات الهدى والحق والخير، فألفوا بوافر القلوب بالحب، وأقاموا قواعد المجتمع على العدل، وخصوا مذاهب العقل بالإحسان، وكتبوا وثائق العهود بالذمة، وجعلوا الناس كلهم سواسية في حق الحياة، لا يعلو جنس على جنس، ولا يبغي قوم على قوم. فمن عسى أن يرى فيه الإله الذي اصطفى من الآريين هتلر وجورنج وهس وروزنبرج ليهدموا أسس السلام، ويهدموا مصادر الدين، ويحطموا روائع الإنسان، ويستبدلوا بشرائع الله وقوانين الضمير سياسة لا تعرف، ولا ترعى عهداً ولا وعداً، ولا تبقي على مبدأ؟

* * *

« ساد الصمت وحان حين النطق »

أبعد أن سلخنا على طول القرون بعدي لله في الغرائز والأخلاق والقوانين ونظم مفازات الحرب، ومذاهب الديمقراطية، وبحث الإنسانية، يمكن أن تقوم في العالم اليوم دولة عرضة الوسيلة والغاية كدولة النازيين تحتقر أجناس الناس، وتنكر حقوق الشعوب، وتزدري قواعد السلوك، وتستعمل في سبيل السيطرة والتغلب الغدر والمكر والكذب ولص السياسة ونقض العهود وإنكار الذمم؟

يسري هذا الهول أعصاب أوربا وكشف وجوه ووجوهن، وقد رأوا زعيمهم الأديب التعس يقول بلسان دولته ولا يصدق، ويعاهد فيخلف ويعد ولا يفي، ويعمل من شعبه الصبور العامل عدواً للسلام يبعث الرعب في كل قلب، والشقاء في كل منزل، ثم يدفع به للدوس على الشعوب بحطام برودها وقودها بين مطارقه الحديدية ومناجله بعد أن ألهبها بالحقد والأطماع الفاحشة.

لقد قلنا في كلمة سابقة: « إن هذا الرجل العجيب استطاع في ست سنين ونصف أن يبني من الحديد والنار والسم والغاز والمرآة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساي كورقة من حطب، وتتهاوى من الجوع، وتهان من الأحزاب والشيع؛ أحبها على هيكلها فلا يعد الإنشاد إلا سوره، ولا سبب إلا ... وبمستكم بما نفخ فيها من روح الكفاح، ووضع في أيديها من قوة السلاح، عقله على العدول بمئات الألوف، وتقضي على أوربا بالسلام أو الحرب. فكان ذلك منه حتى غير وزن، ولا حرب ممكنة حربٌ أن يجمع في آخر خطابه الشاعري الشهير ... حقيقاً بأن أطلب إلى التاريخ أن يدوّن في الأدب حصر أسماء ما يسمح الإنصاف بتقبله من رجل؟ » ثم قلت ذلك أيام كان هذا الرجل الشاذ قائماً على محنة الفهمين يحترم قرابين للنفس ومحكمة للقائد البصير. وما كنا نتوقع أن يطغى الله بمصحف الإنسان الفرد على هذا النحو يسقط والطمأنة المدخل، فيغرر رأسه الغرور، ويذهب بنفسه الشذوذ، حتى لم يعد تنشغل له إلا ما ... ولا تعوزه مرحلة تمضي عليه.

هذا هو هتلر الذي ابتلي به شباب الأمم الأسى يأخذه اليوم بجماع السلطان، وبعزم القوة، ونحن نعدّه عدواً مضيعاً والعالم في سعير الحرب، ثم يبعث في عروق نظام الشعوب في الأوراق والأعلاق والأشياء ... ويتحدث!

هذا عسى أن يكون مصير الشعوب الصغيرة التي تحلف على ضعفها أن تتنزل في حمى الشرف والعدل والسلام، إنما تلك هذه الطغيان النازي الذي يريد أن يحكم العالم على أساس الاستعباد للضعيف، ويستعبد قوى الناس والطبيعة بسيادة عنصر واحد وإرادة رجل واحد؟

إن ميراث الإنسانية الحديثة الضخم من أخلاق وثقافة ونظم هو اليوم في حمى الدول الديمقراطية الحرة تدافع عنه وتطالبه وتمسك به الأرض أن يغرقه ويضيعه. وليس للأمم الصغيرة سبيل للحياة الحرة إلا أن تساهم في هذا الدفاع بإخلاص وقوة؛ فإن محاربة النازي هي قضية الفكر، والعجز في كسب النصرة هو هدم الفضائل الاجتماعية التي نبعت في أصول الدين ونمت في ظلال الديمقراطية. أما إذا شاء القدر — ومعاذ الله أن يشاء — أن تتحكم قوى الطغيان في مصير الإنسانية فيذهب بالإخاء أثرة جنس، وبالمساواة سيادة شعب، وبالحرية استبداد فرد، فقل إنها دورة للتاريخ جديدة، نرجو ألا يكون لنا فيها وجود!

أحمد حسن الزيات

أين الـدكتور؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

دخل الألمان الحرب الماضية وهم يحملون أمامهم كلمة «الكلتور» التي شاعت على ألسنة الناس من ذلك الحين كما شاعت ترجمتها في اللغات الأخرى، وحسبك كلمة الثقافة في اللغة العربية

وكانت دعواهم أنهم يحاربون بالكلتور الجرماني أو الثقافة الجرمانية كما يحاربون بقوة السلاح وقوة السياسة، لأنهم اعتقدوا أنهم أصحاب أشرف الثقافات وأحقها بالنصر والغلبة على شعوب الأمم وأجوائها

فأين «الكلتور» في الحرب الحاضرة؟

إن النازيين لا يذكرونه على ألسنتهم ولو على سبيل الادعاء الذي يعوزه البرهان، لأنهم يبعدون عنه وهو بعيد عنهم. فليس في حركتهم ثقافة، وليس لها من [illegible] ولا غرابة فيه، وكل ما على صفحة حربهم كالطلاء الأحمر على الوجه الشاحب الهزيل، لا هو من الصحة ولا من الجمال

ونقرأ في الصحف الخارجية — كما جاء في صحيفة أوربا الفرنسية — بأن الروايات التي يؤلفها الكتاب النازيون لا تترجم إلى لغة من اللغات الأجنبية، وأن الأدب الألماني عند القوم في العالم جماعة من الكتاب المهاجرين المطرودين من حظيرة هتلر؛ فكل ما يعرفه العالم من الأدب الألماني الحديث هو من قرائح هؤلاء الكتاب المطرودين!

ورأى الإيطاليين — وهم إخوان المحور — لا يختلف عن رأى الأمم الأخرى في الأدب المصنوع بين النازيين، فقد ترجم إلى اللغة الإيطالية في سنة ١٩٣٧ خمسة وسبعون كتاباً معظمها من تأليف كتاب المنفى، ولم تظهر قط رواية نازية على مسارح العالم بعد سنة ١٩٣٣ وهي السنة التي قبض فيها هتلر على زمام السلطان! وهي مسألة مالية فوق مسألة الأدب يقدرون ما ضاع من جرائها على حوالة الربح بخمسة ملايين من الماركات

وقد بلغت ثروة الصور المتحركة النازية خلال السنة الماضية خمسة ملايين ما لبثت أن هبطت إلى ثلاثة ملايين في السنة الحاضرة، وبلغت الأشرطة الكبيرة في سنة ١٩٣٢ وهي من سنوات الأزمة والكساد مائة واثنين وثلاثين أخرجت كلها في شركات الألمان، ثم رقمت تهبط حتى انحدرت إلى مائة وتسعين في سنة [illegible] على الرغم من ضم النمسا وبلاد السوديت

أما ما أنتجته ألمانيا النازية من الأشرطة في المسرح فقد بلغ تسعة وستين في سنة ١٩٣٣ وهبط في السنة التالية إلى أربعة وعشرين

* * *

هذا كساد في الملكات والقرائح شعر به هتلر ونبه إليه في المؤتمر الأكبر فقال إن حركة النازية لا تزال في انتظار العبقريات التي تكشف لها معانيها وأهدافها

وشعر به القائمون على التربية الوطنية فحملوه على قاعدتهم للشيوخ الملاحظات العسكرية والأساليب الجديدة في إعدادهم في كتائبهم ونوعهم إلا جموداً على جمود

قال أستاذ رياضيات زميل أمريكي: ما الحيلة في هذا الجيل الناشئ الذي لا يحسن غير السير في المواكب وشق الحناجر بالهتاف والتصايح بالتنوير والتشريد! لقد رحل عن التاريخ صدراً ولاته ومسحوا شجراته وجعلوه قصيدة من قصائد الإطراء للنازيين وأشباه النازيين، وقد علومهم الجغرافيا على النحو الذي طاب لهم ووافق دعواهم وأملى لهم في سياستهم، وقد جعلوا أبطال الدنيا بأسرها من سلالة حالية أو آرية كما يعولون. فأما الرياضيات فمن لنا بتدريسها على هذا النحو المنكوس؟ ومن لنا بتعليم الشبان الجبر والفلك والرياضيات العليا والمعاني العسيرة، وهم بين موكب يمشون فيه أو نشيد أو مظاهرة في عرض الطريق؟ كل درس يحتمل التهريب والاصطباغ بالصبغة السياسية إلا العلوم والرياضيات ... فلم يبق أمامنا إلا إسقاط الدرجات كرة بعد كرة حتى هبط مقياس النجاح إلى ما دون مقياس الرسوب، ولولا هذا لانتهينا الرؤساء بالمصير وقالوا إلى الآن من عجزنا عن التعليم لا من عجز هؤلاء الأولاد الناشئين عن الإصغاء وإنعام النظر في حقائق العلوم

ولقد يعتصم النازيون بهذه الناحية الوحيدة لو كان عطلهم كله محصوراً على حدود التأليف وقلة النبوغ في الأدب والفن وما إليهما من مجالات العبقرية وحدود التعبير

لكن المصيبة التي لا يستطيع النازيون تجاهلها ولا استصغارها بحال أن كساد العقول يغلب عليهم في مجال «العسكرية»

أو عاقل المضروب القتال ، وهم لا شيء في سياسة الأمة ولا في سياسة العالم إن لم ينفعوا في حروب الجنود وتحضير السلاح

فلا غنى للمراتب العسكرية العصرية عن الفنون ومن الرياضيات وعن البراعة في تركيب الآلات وتدبير الحركات

وقد أشار إلى هذا النقص في المقال النازي الأخير كاتب عربي من أصحاب المراجع الوثيقة بها في مسائل الحرب الماضية والمقبلة العصرية تشكل حرب حقيقة ؛ نعني به الدكتور إيفان لاجوس Ivan Lajos مؤلف كتاب « فرص ألمانيا في الحرب » [illegible] الآراء التي أوصى بها رجال ألمانيا المؤثرون في هذه الأمور ، فإذا هم يجسرون على التشكي من قصور التعليم واستحالة الإعداد على من يتدربون الأساليب النازية المستحدثة ، ويرجعون بعد ذلك إلى الاضطراب والتقلب وتعقيد الخطط وضياع الثقافة من دقائق الأحوال

* * *

فالثقافة الرفيعة بلاء لا تنحصر أضراره في الأدب والتأليف ، ولا يزال يسري في كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوية في الطبيعة ، وهي القوى التي يحسب أنها أبعد ما تكون عن الثقافة والتثقيف

وإذا كان في الحرب ما نحمد الله عليه فلنحمد الله نحن المصريين بل نحن الشرقيين أجمعين أن كشف ستر النازية قبل أن تنخدع الأسماع والأبصار بطلاسم [illegible] من الفصاحة والرنين والطلاوة ، فقد بلغ من خداعها أن هنا أناساً من ساستنا يدعوننا إلى اقتباسها والأخذ بها [illegible] في تقييد الحرية الفردية وتطبيق « النظام العسكري » عليها ، [illegible] التحول إلى وحدة التربية النازية وحملاتها على العقول وإفسادها ينابيع التفكير والتثقيف ، وقد أتى حين على ألمانيا ومن سايرها فيه [illegible] مبادئ النظم والعلم والتربية فإذا هم [illegible] المراجعون حتى العامة في بداية الطريق !!

وسنحمد الله حمداً مضاعفاً متى تكشفت الحقائق كلها من مسائل الحرب ووضعت في جميع الموازين على أساليب الطغيان وذوي « النظام » المزعوم ، ولا نتجاوز الشك في مصير أناس يدرسون مجرى الحياة الإنسانية ويحصون ما ازدانت به من شرف وجمال [illegible] سيتعلمون لا محالة كما تعلم أسلاف لهم علوا على الدهر بسلاح الحديد وسلاح الدكتاتور ، وإن هؤلاء [illegible] لأبعد من سابقيهم في السلاحين !

عباس محمود العقاد

أسمار وأحاديث

في منزل الدكتور طه حسين

للدكتور زكي مبارك

في ختام الصيف كنت على موعد مع الأستاذ الكبير الدكتور طه بك حسين لأقدم إليه نسخة من كتاب « ليلى المريضة في العراق » ولأقرأ معه صفحات من ذلك الكتاب ، ولكني حين وصلت في الموعد المحدد لم أجده في البيت ، فتركت الكتاب عند [illegible] هناك وانصرفت

ولم يعرفني من إخلاف الدكتور طه حسين إلا لطف [illegible] قضيتها في منزل الأستاذة أم كلثوم [illegible] الدكتور طه بجميع [illegible]

وفي اليوم التالي سألت عنه بالتليفون لأعرف كيف أخلف الموعد ، فاعتذر بلطف وأكد أنه نسي ذلك الموعد كل النسيان ، ودعاني إلى تحديد موعد ، فقلت : إني ذاهب [illegible] للاشتراك في تأبين الملك غازي ، وسأحرص على التشرف بمقابلتك حين أعود

وكنت أحب أن آنس بلقائه بعد أن رجعت من بغداد ، ولكني خشيت أن يكون أخلف الموعد الأول عن عمد ، لأن أولاد الحلال لا يدرون [illegible] يصلحون [illegible] ما بيني وبينه من صلات

ثم سافر الدكتور طه إلى فرنسا ، ونشرت الأخبار بأنه سيحضر في المصيف في العام المقبل [illegible] المشكلات الجامعية ويؤلف كتاباً في تاريخ الشعر العربي

وكنت في تلك الفترة [illegible] على الأستاذ أحمد أمين ؛ [illegible] فهمت منه [illegible] الدكتور طه حسين بدون موجب ، وكذلك استوحشت من [illegible] حين عرفت أنه رجع من فرنسا

ثم عنت فرصة أن أزور الرحاب في صحبة الدكتور طه ، راجياً أن يكون في تأدية هذه الصحبة تمهيد [illegible] التي خلقتها [illegible] الأقاويل والأراجيف

كان ذلك في مساء اليوم الثالث عشر من شعبان ، والقمر يقدّم إلى الوجود أقباساً من الرعي والحنان ، وقد كثر القلوب الحوامد يلتمسها الجيل في معركة القسوة والقنوط ! مررت من السيارة عند جسر فؤاد لأمتع الطرف والروح بمشاهدة النيل ، وهو يواجه القمر في أيام الطغيان ، ولأستقبل الزمالك وأصحب ومقروح ؟ قد كان زادها المتاح إلا تناثر أكباد وقلوب

وأمضيت أجتاز الزمالك من شجرة إلى شجرة إلى أن طلب منزل الدكتور طه حسين وكنت أرجو أن أحدثه وحده ، لأني وصلت بعد الساعة التاسعة ، وهو عنده وقت هدوء ؛ ولكن يظهر أن جماعة من السمر دعاهم المجلس فكان منهم في أسر من أهل الفضل ؛ الأساتذة شفيق غربال ، وعبد الوهاب خلاف ، ومنصور فهمي وعلي عبد الرازق ، وسيد نصير ، وأمين الخولي ، وتوفيق الحكيم ، وعبد الوهاب عزام ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الحميد العبادي

سألت عن الدكتور طه حسين عن صحته ، وسألته عن باريس وعن المؤتمر ، فأجاب إجابات موجزة دلت على أنه يريد أن يكلم من أصدقاء مهل أدب الحرب بعض أصدقائي هناك ؟ لا عدة الله ولا تنح

وبعد لحظة حضر الأستاذ أحمد أمين فتهيب واقتأ مصافحته ، وسكنه بوى وجهه وتعاطى وجودي ورأيت الفم لا يتسع لمباهجه على حبيع ، فتكلف الابتسام وأنا سعيد

وخطر في البال أن حضوري قد يكدر الصفو . ورأيت من الخير أن أنصرف ، ثم تذكرت أنني أحق الناس بوده الدكتور طه حسين ، وإن حالت بيننا المصاعب حيناً من الزمان فقد كنت صديقه الحق من أن يعرف أصدقاء اليوم كنت صديقه الحميم في ظروف لا يسأل فيها الشقي عن التعيس ، فكيف أخرج من منزله بسبب أستاذ صديق مثل أحمد أمين ؟

يجب أن أمضي السهرة كاملة ، وعلى من يؤذيه حضوري أن يتفضل بالانصراف !

وبعد أن دارت المحاورة على الزائرين شرع الأستاذ أمين الخولي في الحديث

أمين الخولي — يا زكي ، ما تتركه أبداً أخلاق التروية ؟

طه حسين — وما أخلاق التروية ؟

أمين الخولي — هي المتاعب والشجاعة والصبر

طه حسين — وزكي مبارك متاعب ؟ قل كلاماً غير هذا يا أمين ، فما عرف الناس زكياً إلا مثال اللطف والأدب والتواضع

الدكتور زكي صحبة رجل لطيف ! ومن أكاد لعلمه أن يسطر غير الناس قد ضجروا من الهدوء والسكون فسلطوا عليهم القذائف النقدية ليحفظوا سنة الحركة والجدل والنضال

علي عبد الرازق — يظهر أنك راض عن الدكتور زكي مبارك

طه حسين — وهل أملك غير ذلك ؟

زكي مبارك — ذلك كله النصح يا سيدي الدكتور ، إني وأنت ما أوجه كله النصح

طه حسين — لا ، يا زكي ، يحتج الله !

زكي مبارك — يظهر يا سيدي الدكتور أنك متعب

طه حسين — لست متعباً ، ولكني أحب أن أتحرج من بعض ما أمر أراه

عبد الوهاب خلاف — لعل الدكتور يشير إلى مقالاته في مهاجمة الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا أحتج على إثارة هذا الموضوع في هذا المجلس

خلاف — المجلس سمر ، ونحن نحاول مصالحة القلوب

أحمد أمين — أنا أحتمل كل شيء إلا التعرض لشبابي

طه حسين — وهل تعرض زكي مبارك لشبابك بشيء ؟ إن هذا لو صح لكان خروجاً على شريعة النبل

أحمد أمين — لقد تعرض لشبابي بأشياء

إبراهيم مصطفى — إن الدكتور زكي لم يتعرض لشبابك يا حضرة الأستاذ

زكي مبارك — أنتم محبوسون في شجون من الأحاديث لا عهد لي بها قبل اليوم ، فقد كنت أعرف أن الأستاذ أحمد أمين فوق النقد ، ولا كنت أظن أن التعرض لتفنيد آرائه يعد خروجاً على قدسية الشباب ! فهل يعتقد الأستاذ أني تجنيت عليك ؟

أحمد أمين — ليس لي معك كلام ، ولا أقبل الدخول معك في نقاش ، وأنت حرّ فيما تسطر من زور وبهتان

زكي مبارك — زور وبهتان ! وهل من اللائق أن تنطق بهذه الكلمات في هذا المجلس ؟

منصور فهمي — لاحظ يا زكي أنك جرّحت الأستاذ أحمد أمين وأن من حقه أن يمتن غضبه عليك . والنفس الإنسانية مدينة للرضا والغضب ، والفرح والترح ، والرجاء والقنوط . فالأستاذ أحمد أمين بشر سيغضب حتماً من الحروب الأدبية

زكي مبارك — وكيف يكون الحال لو استبحتُ من التشهير ما استبيح ؟

أحمد أمين — وهل تورعت عن شيء ؟ إن مقالاتك هي الشاهد عليّ على مبلغ أدبك !

زكي مبارك — وأنا راضٍ عما كتبت فيك ، وما كتبت إلا الحق والصدق ، وأنا أنتظر أن يغضب الله عليك ويجازيك على سوء ما صنعت في تحقير ماضي الأدب العربي

طه حسين — إيه الحكاية ؟

أحمد أمين — الحكاية أن زكي مبارك يقول إن طه حسين جاهل، وإن أحمد أمين جهول!

طه حسين — خبر أسود !

سعيد لطفي — أنا كنت أظن أن المسألة مزاح في مزاح وأين نشر الدكتور زكي هذا الكلام المزعج ؟!

أحمد أمين — نشره في مجلة الرسالة وعنه الرواية . الرسالة التي تخلب عقلي

زكي مبارك — والرسالة التي سويته بيديك !

طه حسين — لقد قرأت المقالة الأولى على السفر ، وأوصيت الأستاذ عبده حسام بحفظ المجموعة لأقرأها يوم أعود ، وسأقرأها في هذه الأيام ، فإن رأيت فيها أني جاهل وأن أحمد أمين جهول فستكون وحدك يا زكي في الحرب

أحمد أمين — وما ذنب لطفي باشا حتى يتعرض له زكي مبارك بسوء ؟

إبراهيم مصطفى — لقد قرأت تلك المقالات جميعاً

طه حسين — وقرأتها بالقراءات المتتبع ؟

إبراهيم مصطفى — أريد أن أقول إني قرأتها بعناية ولم أجد فيها أية إساءة لسعادة لطفي باشا

علي عبد الرازق — لطفي باشا لا يصح أن يكون في بال الناقدين والباحثين

زكي مبارك — ومن أجل هذا لم ينله سوء فيما كتبت

سعيد لطفي — هذه أساليب غريبة في الجد والهزل

طه حسين — عجيباً عجباً ! فما كنت يا زكي أتصور أن الخلود لا يكون إلا من نصيب من يتعرض لهم في مقالاته ومؤلفاته بالتجريح أو التجهيل . وأشهد أنه من محاسن منصور يوم قال إنه لا يهجم عليّ إلا وهو يعتقد أن الهجوم مفيد ، ومفيد !

أحمد أمين — وأنا لا أريد منه هجوماً ولا حواراً !

زكي مبارك — ولكني لن أتركك بسلام أو تكف شرك عن الأدب العربي

أحمد أمين — وما شأنك بالأدب العربي ؟ وما هي خدماتك لهذا الأدب الذي تقول إنك تغار عليه كما تغار على عرضك ؟

زكي مبارك — يكفي أني من تلامذة طه حسين

طه حسين — العفو ! العفو ! إني والله راضٍ بأن تكون من أساتذة طه حسين !

زكي مبارك — يا سيدي الدكتور

طه حسين — قتلتني حين تقول « سيدي الدكتور » وأنت ترى أني جاهل وأن أحمد أمين جهول

علي عبد الرازق — لم أشهد في حياتي أروع من هذا الحوار ، وهو يستحق التسجيل

إبراهيم مصطفى — بشرط ألا يذكر فيه اسمي

علي عبد الرازق — وما المانع من أن يذكر اسمك في هذا الحوار ؟

إبراهيم مصطفى — لا أعرف ما المانع ! إن هذا الحديث سيسجل في صحيفة زكي مبارك الذي ابتدع من الأسمار والأحاديث

علي عبد الرازق — وهل تخشى أن يتزيد عليك ؟

إبراهيم مصطفى — أنا لا أخاف التزيد ولا أخاف الافتراء ، لأني أعرف تكذيب المفترين ، وأستطيع دحض الأباطيل . ولو كان زكي مبارك يفتري على الناس لكان أمره أخف وأسهل ، ولكنه مع الأسف يبرع في تصوير الصدق

منصور فهمي — وما الخطر من تصوير الصدق ؟

إبراهيم مصطفى — الخطر عظيم جداً ، وإليك توضيح هذه

للصحة. زكي مبارك يحرص على أن يصورك في أحسن أحوالك، وأحسن أحوال الرجل حال الصلاة. فهل تعرف كيف يصورك وأنت في صلاتك؟ يصورك وأنت راكع أو ساجد. فهل يرضيك أن تصوَّر في حال الركوع أو السجود؟

توفيق الحكيم — هذه أسئلة إحراجية، وهي تشهد بروعة ذكائك، يا أستاذ إبراهيم

إبراهيم مصطفى — العفو، يا أستاذ توفيق، فتلك وثبة من الخيال سخر بها الحوار الغريب

أحمد أمين — أرجو أن تعفوني من هذه الدعابات، فلولا مراعاة المقام لانصرفت

طه حسين — أتذكر يا أستاذ أن الدكتور زكي لم يصفح عما كتب عنه؟ ألم تر كيف جعله منفياً وهو يجمع في هذا المجلس؟

زكي مبارك — لم أتهم سيدي الدكتور بالجمود المطلق، معاذ الله، وإنما اتهمته بالجمود بالقياس إلى المسيو دروز والمسيو لا كروا، وقد عرف صداقة كلية الآداب في باريس

أمين الخولي — كلام طيب، يا فتوة العروبة، فلا مانع عند الدكتور طه من أن يكون في باريس من هو أعلم منه، فقد تخرج في مدينة النور وهو يثني على أساتذتها في كل حين، ولكنك اتهمت الأستاذ أحمد أمين بالماشية الفكرية، فما هو المخرج من هذا الاتهام الفظيع؟

زكي مبارك — لم أتهم الأستاذ أحمد أمين بالماشية المطلقة، ولكن بالقياس إلى الشيخ حروش

طه حسين — ومن الشيخ حروش؟

زكي مبارك — الشيخ حروش عالم علامة لا يقاس إليه الأستاذ أحمد أمين

علي عبد الرازق — ألم أقل لكم إن هذا الحوار يتعصى التسوية؟

عبد الوهاب خلاف — هذا الحوار يضيع في تهنئة أصحاب الأستاذ أحمد أمين، وقد بدأ بيسر، ولكن المهم هو الاستفادة من هذا المجلس في تنوير المذهب الأدبي للدكتور زكي مبارك، فهو أكثر رجالنا حظاً في إحداث المعارك الأدبية، ولا أدري كيف يرجع سخاً من المعركة...

توفيق الحكيم — كيف تنتظر أن يتحدث هادئ [illegible]

طه حسين — كان يصرخ ويريع، كالذي [illegible]

زكي مبارك

[illegible] كما تكلم ثم لا [illegible] حالاً حلوة [illegible]

أحمد أمين — أي حال وأي حلوة؟ أليست هذه الكلام على عدل يا أيها الجمع؟

عبد الوهاب خلاف — أرجو أن تسمعوا مني كلامي، إن زكي مبارك أكثر أدبائنا حظاً في إحداث المعارك الأدبية، ولكنه لا يوجه نشاطه إلى ما يفيد

زكي مبارك — وهل تعيّر أيها الشيخ؟

عبد الوهاب خلاف — أشير بأن تحوِّل مجهودك يوم كنت تؤلف في النثر الفني والتصوف الإسلامي، فتوجه مجادلاتك ومصاولاتك إلى القدماء

طه حسين — الأمل بعيد في توجيه الدكتور زكي إلى ما يفيد وينفع

زكي مبارك — يا سيدي الدكتور

طه حسين — فلتتفق يا أخي بعبارة «سيدي الدكتور» وقد تحررت من أمرك، فأنت في المجلس رجل لطيف، ولكنك حين تخلو إلى نفسك تنقلب إلى شيطان مريد

أمين الخولي — دافع عن نفسك يا زكي، فإني أخشى أن يهزم فتوة العروبة

زكي مبارك — إن كله يا سيدي الدكتور، ولا أؤاخذني حرص على هذه العبارة، فقد صرت دروسك منذ سنين ولا أستطيع نسيان فضلك

طه حسين — ألم أقل لكم إن زكي مبارك رجل Original

زكي مبارك — أشكر لك هذا اللقب يا سيدي الدكتور، ثم أعود إلى تقليب معك سيدي الفكر والاعتماد

عبد الوهاب عزام — أيوه، يا زكي، هات ما عندك هات

زكي مبارك — أتذكرون المناوشة التي تمت بين الدكتور طه والدكتور منصور فهمي على صفحات الأهرام في سنة ١٩٢٦؟

منصور فهمي — أية مناوشة؟ ذكرني فقد نسيت

زكي مبارك — كنت يا سيدي الدكتور أثنيت على أسلوب

المنفلوطي ، فهيج أستاذنا الدكتور طه وماج ، ودعانا إلى أن نسمي الجمل جملاً والأديب أديباً ، أو كما قال ، ومعنى ذلك أن المنفلوطي ليس بكاتب ولا أديب

طه حسين — ثم ؟

زكي مبارك — ثم جاء الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين الذي أنكر أن يكون المنفلوطي كاتباً أو أديباً فاعترف بأن الأستاذ أحمد أمين كاتب وأديب وصرح بأن يدرس أسلوبه على طلبة السنة الأولى بكلية الآداب

طه حسين — ما هذا التشنيع ؟

زكي مبارك — أنا لم أتقن التشنيع أبداً ، ولكني أؤكد أن أسلوب أحمد أمين يدرس في كلية الآداب

طه حسين — هذا مستحيل

أحمد أمين — الكلية تدرس أساليب المعاصرين جميعاً

زكي مبارك — وأنت كاتب ولك أسلوب ؟

منصور فهمي — أحرص عليك من الخروج على أدب الخطاب

أحمد أمين — يشكركم معتقدي حين قلت إن زكي مبارك لا يقصد البحث عند العالم المسلم وإنما يقصد قصد المصارع الغالب

زكي مبارك — وأنت عالم يا أستاذ ؟ وهل يكال العلم أيضاً بمكيال ؟

أحمد أمين — العلم كله عندك ، ونحن تلاميذه مبتدئون !

علي عبد الرازق — هذه الطرائف لا يستحق التسجيل

عبد الحميد العبادي — هو على كل حال صورة من صور التاريخ !

توفيق الحكيم — أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه ! فقد كنت أحب أن تكون بين الأدباء صداقات عظيمة كالتي يعرفها الأدباء العظماء في باريس ولندن وبرلين

عبد الوهاب عزام — وكالتي شهدناه بين زكي مبارك وأحمد أمين !

طه حسين — إني أخشى لا يصح القول بأن الثقة يتعمد ما من الأصدقاء

شفيق غربال — أحمد أن الدكتور زكي مبارك طيب القلب . وقد قرأت مقالاته عن الأستاذ أحمد أمين بوضوح ، ووجدت فيها كثيراً من الفوائد الأدبية ولو أنه وقف من بعض العبارات التي جرت مجرى السخرية من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أي ملام

توفيق الحكيم — وهذه المقالات صورة أخرى غير الفوائد الأدبية ، فقد جمعت بين الجو الأدبي عندنا وحنيني إلى مصادقة الصديق في أوربا ، ولم أرجع إلا بعد أن غلب أني تعب ! ثم كانت حسرتي شديدة حين رأيت أن زكي مبارك لا يزال يمضي ويعيد في شرح هفوات أحمد أمين ولولا طرب لرجعت من حيث أتيت ، فمن أين يجد زكي مبارك كل هذا الكلام الطويل العريض ؟

شفيق غربال — المسؤول عن هذه المتاعب هو الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا المسؤول ؟

شفيق غربال — هذا أكيد ، أنت المسؤول ، لأنك مصيف في مصيفك طول الصيف ، وبقيت الجمال للدكتور زكي مبارك ، والذي يحترم الوجود الذي لا يشكر عيب الاشتغال

طه حسين — هل أفهم من هذا أن الجو الأدبي عرف الحياة في هذا الصيف ؟

زكي مبارك — يكفي يا سيدي الدكتور أن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين نقل مكتبته إلى الإسكندرية في هذا الصيف ليجد الشواهد تحت يده وهو يرد علي

أحمد أمين — أنا رددت عليك ؟ وهل قلت كلاماً يرد عليه !

زكي مبارك — الله يعلم كيف ضعف قلبك وعقلك ، وكيف قدرتك على مواجهة الزوابع الأدبية ، والعواصف النفسية وهل تستطيع يا أستاذ أن تقول إنك تجهل صولتي الأدبية ؟

أحمد أمين — إن مقالاتك في الهجوم علي وصلت القراء في صفك وأوجبت

شفيق غربال — حسب قولهم هذا حسب أن مقالات الدكتور زكي مبارك في الهجوم على الأستاذ أحمد أمين دلت على اطلاع

ثائر ومفكر عنيف ، وعجب من يعجب أنه لم يعرف عنه زكي مبارك إلا بفضل هذه المقالات

منصور فهمي — وعندما يخرج جانباً من عقليته الجميع ، فالجمهور يعرف زكي مبارك الناقد ولا يعرف زكي مبارك المؤلف ، لأنه ينقد وهو ثائر ويؤلف وهو هادئ .

طه حسين — زكي مبارك يصطنع الثورة في كل شيء حتى التأليف ، ولكن ثورته في مؤلفاته لا تلفت نظر الجمهور لأنها في الأدب متصلة بالقدماء ، والهجوم على القدماء لا يثير تطلع الناس إلا حين يمس المعاصرين من قرب أو من بعد ، كالذي وقع يوم ظهر كتاب الشعر الجاهلي

زكي مبارك — ومن أجل هذا حرص سيدي الدكتور على أن يغلظ بعض الألفاظ ليوجه الأنظار إلى كتابه النفيس ،

طه حسين — وبعد ذلك ، يا دكتور زكي ؟

زكي مبارك — لا تغضب ولا تعتب ، ولكني أحب أن أعرف كيف تكون الصراحة حلالاً في وقت وحراماً في وقت ؟ وكيف يحل لسيدي الدكتور ما يحرم على سائر الناس ؟

طه حسين — يظهر أنك تحب أن تتمتع بالحرية الكاملة في حياتك الكتابية ، ويظهر مع الأسف أنك لم تعرف بعد أسرار الفكر في هذه البلاد ، فقد تعمدت عليه حلالاً لك حين تشاء ، وإني أرجو أن يعد اليوم الذي ترجع فيه عن شططك وجموحك ، اليوم الذي تيأس فيه من إنصاف الناس كما يئست من إنصاف الناس

منصور فهمي — ولكن ما الموجب للتعرض لما يمس الصلة ؟

طه حسين — اسأل نفسك يا منصور عما حدث مع العقاد كرجع

منصور فهمي — كان ذلك في عهد الشباب

طه حسين — وكان من حاكي عهد الشباب ، وإن لم يمض عليه غير عشر سنين ، والحسرة تلذع قلبي كلما تذكرت أني لا أملك مكايدة الجماهير من جديد . وهل تكايد الجماهير إلا خصال ما يثور في دماك من ثورة وطغيان ؟

عبد الواحد خلاف — ومعنى ذلك أن الدكتور زكي مبارك يكايد جماهير الأدباء لأنه لا يزال في عنفوان الشباب !

طه حسين — الحق أني أرجو أن زكي مبارك مازال على فطنة المكلفين ، يحكم النص على الأصل ، فقد شهدت مناقشة رسالة الأستاذ علي عبد الرازق في الأزهر سنة ١٩٢٥

زكي مبارك — وأنا شهدت مناقشاتك يا سيدي الدكتور في دروس الشيخ محمد المهدي في الجامعة المصرية سنة ١٩١٣

أحمد أمين — ومع هذه السن العالية لا يزال زكي مبارك يمعن في الغزل والتشبيب كأنه في سن العشرين

شفيق غربال — هذه الدعابة تدل على أن الأستاذ أحمد أمين صعب جهمة وطالب

طه حسين — نحن نرجو أن نكشف زكي مبارك عن العنوان بعد هذا العبث !

زكي مبارك — هل عبثنا حقيقة ؟

أحمد أمين — لن نتعاون أبداً بعد الذي كان

زكي مبارك — يظهر أنك مسرور بالهجوم عليك ، وسأجيب عنك فأسكت عنك بعد ثلاث أو أربع مقالات .

مساء الخير ، يا سيدي الدكتور ، والحمد لله الذي أرجعك إلى خير وعافية

(سيد المقدمة) زكي مبارك

من تاريخنا العلمي

طالب علم ...

للأستاذ علي الطنطاوي

قال (عمر بن سعيد):

— ويلك اتق الله يا أبا فلان. إنك توشك أن تقتل هذا الرجل الصالح وتبوء بإثمه. ويلك اتق الله، لا تطرحه من (فندقك) فإنه غريب نائي الدار، قطع سهوباً وبحاراً، وجاب ما بين المشرقين

قال: أبقيّ بن مخلد[1] جاب ما بين المشرقين؟

قال: نعم، وهل تراني جئت عنه؟ إنه صاحبي إليك، وما سألتك حاجة قبلها، أفلا تقضيها لي؟ إنه شيخ جليل القدر يحمل الحديث ويروي السنن، أفتدعه يموت على قارعة الطريق؟

قال: وما أصنع به أنا؟ لقد آويته في فندقي حين أتاني، لا آخذ منه مالاً ولا أرزؤه شيئاً ولا أعصي له أمراً، أفيكون جزائي أن أصحب عنه نفسي حتى يموت، فيخرج من فندقي محمولاً إلى القبر فيتسامع الناس بالفندق فيتحامونه فأفلس؟

إنه مريض أنهكته الأوجاع وأضعفته الحمى، ولقد أعيا مقارعي الأطباء، وما أراه إلا ميتاً الليلة أو غداة الغد.. فدعوني وأقصوني عنه، ليس لي به حاجة. قبحها الله ساعة أكرهته فيها عن البيت، ولقد كانت ساعة ما حضرها ملك —

قال: اربع على نفسك أيها الرجل فإنك في سعة لو صحت تدبرها، تلتمس الليل من عند الله حتماً. إنك لا تدري أيُّ خير ساقه الله إليك، وأي أجر كتبه لك، فأتم قصتك في صنعته، وارجُ وجه الله، أطمع لك بالجنة

قال: إني والله لو طمعت بمثلها لما أتيت على الجوع منها. إنك لا تعرف هذا الشيخ أي رجل هو؟ أأقول لك، إنه لم يبت عندي ليلة واحدة حتى خرج تلقاء القبلة وسرق عرقة

وركوة وعصا تسأل الناس؟ ما لك تسأل عن هذا الرجل؟ أتهزأ بي يا ابن سعيد؟

قال: لا، ولكنك لا تدري ما شأن هذا الرجل

قال: وهل له بعدُ شأناً؟

قال: وأي شأن! هذا رجل خرج من الأندلس وربوعها، وعيونها وأنهارها، ومكانة له فيها سامية، وجاهاً له عريضاً، ودار أهلاً منه وصحباً، وعشيرة كبيرة، وأموالاً كثيرة، وذهب يخوض الفجاج والبحار، ويجوب السباسب والقفار، يقصد بغداد، لا طمعاً بمال يناله، أو ملك يغتصبه، أو صديق يزوره، أو امرأة يخطبها، أو لذة يطلبها. ولكن رغبة في العلم وحباً للحديث، وشوقاً إلى لقاء أبي عبد الله

فما سمع الفندقي اسم أبي عبد الله انتبه وتبدلت حاله، وطفت على وجهه سمات من الحب العظيم، والإجلال الكبير، الذي يحفظ عليه قلبه هذا الإمام، وقال بلهجة أخرى، وشيء من التعجب: قد ذاب حباً حتى هو على من ترى في محبته لأبي عبد الله

أتقول إن الرجل قدم من الأندلس ليلقى أحمد بن حنبل؟

من شرف في الدنيا والآخرة! وهل لقيه؟ ألا تخبرني كيف لقيه؟

قال: إنه نزل حيث نزل في هذا الفندق ما أتى فيه ساعة، وذهب يطلب أبا عبد الله، وكان ذلك أيام المحنة والناس لا يجرؤون على ذكر اسمه، وأبو عبد الله محصور لا يلقاه أحد إلا أخذته عيون السلطان حاله أدنى شديد ... فما علم الرجل بذلك لقي من الغم ما الله عالم به، ثم استعد جامع في الرصافة يسمع من المحدثين فما زال يمر بالحلق حتى انتهى إلى حلقة نبيلة، فوقف عليها، وكنت أول من رأى رثة الغريب، فسألت عنه أوسع هيئته؟ فسألني: من هذا الشيخ؟

قلت: يحيى بن معين، وكان يعرفه، ومن لا يعرف يحيى ابن معين؟ فوقف ساعة، ثم لمح فرجة قد انفرجت فقام فيها، وكان الشيخ يكشف عن الرجال[1] فيقوي ويضعف، ويزكي ويجرح، فقال

(١) انظر الصفحة (٢٩) من مختصر طبقات الحنابلة طبع دمشق

(١) أي رجال الحديث، وأوثقهم في الرجال.

— يا أبا زكريا – رحمك الله – رجل غريب نائي الدار، أردت السؤال، فلا تستخفني

فقال الشيخ: قل

فجعل يسأل عن بعض من لقي من أهل الحديث — وكان قد لقي منهم خلقاً كثيراً — فبعضاً زكّى وبعضاً جرّح، فسأله عن هشام بن عمار وكان قد أكثر الأخذ عنه، فقال الشيخ

— أبو الوليد هشام بن عمار صاحب صلاة دمشق، ثقة وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر ما ضره شيئاً لخيره وفضله

فصاح أهل الحلقة.

— حسبك رحمك الله حسبك، لغيرك سؤال

فقال وهو واقف على قدم

— أكشفك عن رجل واحد: أحمد بن حنبل؟

فما قالها حتى بهت الناس وبهت الشيخ كآبة، ونظر إليه متعجباً كأنه يقول له: أمثل أحمد يسأل أحد؟ ومن يجرؤ على ذكره؟ وكان الشيخ قد خالطه شيء من الفرح، ثم غلب عليه رثاؤه لما به من بأس السلطان وغضبه، وقال للسائل

— من أين أنت أيها الرجل؟ عمّن تكشف عن أحمد ابن حنبل؟

وسكت الشيخ لحظة ثم قال بجرأة عجب لها الناس وبقوا شاخصين، ينظرون إلى الشيخ يخافون أن تتخطفه جلاوزة السلطان

قال الشيخ

— ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم

* * *

ثم إن الرجل ذهب يستهدي الناس إلى دار أبي عبد الله فمنهم من يعرض عنه خشية أن يكون عيناً للسلطان، ومنهم من يجوز فيمشي معه خطوات ... حتى انتهى إلى الدار

فقال الأعجب من صحب الفندق كل سائل، وسأله

— أتعرف أنه زاره في منزله أم عنده؟

قال محمد بن سعيد: نعم. فقرع عليه الباب فلما فتح له قال: أنا رجل غريب أتيتك من مكان سحيق

قال أبو عبد الله: مرحباً بك، أين بلدك؟

قال: الأندلس

قال: أفريقية؟

قال: لا، أبعد من ذلك، أركب البحر من إفريقية إلى بلدي

قال: لا جرم إنه بعيد، فما حاجتك؟

قال: أسمع منك، وأروي عنك

قال: ولكني كما رأيت وعلمت، لا ألقى أحداً، ولا يلقون أحداً يلقاني، ولست آمن عليك الأذى إذا أنت أتيتني

قال: ما كنت لأبالي في سبيل الأخذ عنك أذى ولا عذاباً

قال: فهم متروكوك!

قال: أحتال بحيلة، آتيك بزيّ السؤال فأصيح بالأجر رحمك الله، فتخرج لي وتحدثني

قال: على ألا تظهر في الحلق فيعرفوك

قال: على ألا أظهر

فكان يفعل ذلك، ويكتب ثم يخرج يسأل الناس

فعاد الفندقي يسأل متثبتاً، وقد كبر الرجل في عينيه حتى كأن الذي تحويه غرفته ملك أو ورع، وهو يسأل متثبتاً.

— إنك صرت من (أصحاب) أحمد بن حنبل

قال: نعم، ولبث على ذلك حتى رفع الله المحنة وولي الأمر (المتوكل) فأحيا المذهب الحق، مذهب أهل السنة، وأمات البدعة، وجزى الله أحمد بما صبر، فكان كما عرفت وأعرف إمام الأمة، وأيد الله به الدين كما أيده بأبي بكر يوم الردة، فصار يعرف هذا الرجل حقه ويقول لأصحابه: (هذا يقع عليه اسم طالب العلم)

قال الفندقي

— جزاك الله يا ابن سعيد خيراً، فقد عرفتني حقه، فهلمّ بنا إليه

* * *

كان بقيّ بن مخلد الأندلسي وحيداً في غرفته، يتقلب من الألم، ويتلوى من الحمى، قد طحطحه المرض، وهدّته الأوجاع، فأنحف بدنه إلا هيكلاً كالقناة الجوفاء يتردد فيها الهواء، ولمّا يشكو من حلقه إلى أحد، والتشكي إنما هو لأحد سيمسي كل ذلك

ولم يكن في البيت إلا ما يستطيع عليه وسادة أتى عليه رأسه، وكتبه مبثوثة من حوله ما عداها، إذا أدركه انتباه نظر

عبأ ، فإذا هب عنه من الوحيج عقله ركبها في مكانها ، عدا وعلا عليه ألفيه ، فرأ في صحيفة في يده ... فلبثا ساعة يؤنسانه فما شعر إلا بجثته تخو حتى حسبها قد استقرت في الفندق ، فنظرا من الشباك عبر الرحبة والطرق التي تؤدي إليها ما هب موطئ قدم خلا من إنسان . فاضطرب الرجل وجعل يسأل : أي ماذا جرى ؟

فما أحس إلا الناس يقولون : لقد أتى ... هو في الطريق

فأيس أنه خليفة ، ولكنه رأى موكب الخليفة غير مرة فما رأى مثل اليوم ... ودنا من شيخ واقف في أطراف الناس فسأله من القادم ، وأين يذهب ؟

فقال : إنه أبو عبد الله الذي لا يمشي إلى الخليفة ، قدم ليعود مريضاً في هذا الفندق ... صاحب الفندق

— أبو عبد الله قادم إلى فندق ، أبو عبد الله ! وطفق يصيح ويثب لا يدري ما يصنع وماذا يقول ، وما يجده أحد لأن الناس يشرئبون إلى الطريق ينظرون ، وقد استقدم ... بين رائز في دكانه ، ولا تاجر في سوقه ، ولا طالب علم في حلقته ، ولم يدر ويجلبه ...

ودخل الفندق على نفسه ، فإذا هذا البحر ينشق قدرة الله ، وإذا خلق يسكبون حتى كأن على رءوسهم الطير ، ويدنو الإمام ومن حوله طلبة العلم قد احتشدوا من جهات بغداد كلها ... بغداد العظيمة التي يسكنها مليونان وبأيديهم قراطيسهم وأقلامهم يكتبون كل كلمة يقولها ، فأتى الإمام إلى الغرفة ، فوقف على الريض فقال :

— يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله أعلاك الله إلى العافية ، ومسح عنك بيمينه الشافية

فتناقل القوم ما قال مكبرين

* * *

ومرت أعوام بعد ذلك وأعوام ، والناس يذكرون هذا اليوم المشهود ... أن الفندق صار منذ ذلك اليوم محط رحال العلماء والكبراء ، ودرّت على صاحبه أخلاف الرزق ، وأما بقي فقد شفاه الله وعاد إلى الأندلس ملازماً عيناً

علي الطنطاوي

ســـاراكينوس

SARACENUS

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

جاء في العدد ٣٢١ من عدد الرسالة الماضية ، كلمة بعنوان « يا رسول الله » ، (للأستاذ خليل) يرى فيه نقله ... أسهلها بأنه من آياته ، وبينة من بيانه ، وذلك قوله :

« إن العرب قد سجر على قوم عرب ... ! »

ثم نقل عن (التنبيه والإشراف) للمسعودي عند كلامه :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من ... فلان ملك النصرانية ، فغير ذلك نقفور ، وكتب (ملك الروم) وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب ، وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) فغير ذلك ... عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب ... والروم إلى هذا الوقت (يعني سنة ٣٤٥) تسمى العرب (ساراقينوس ...) » اهـ

وأستاذنا خليل ، وهو « صاحب ... » ، وصاحب بيان « كان حقاً عليه أن يقف ... أمام هذه (الكلمة) فيبحث عن مساكنه ويرجعها إلى ساحتها ، أو يلقي عنها في نصابها ! إذ هذه ... ويرده في كل ما يراه فيه الباري في شيء « بحائله » ...!

ولكنه لم يحمل على تركيب ينحو في عبارة المسعودي فلحة للوضع ، مسيرة الضمير ، ملحقة بذلك التفسير الذي يغلب على الظن أن المسعودي فسره تفسيراً عامياً بقوله « عبيد سارة » أخذاً من المقطع الأول « سارا » من كلمة « ساراقينوس » ، والدليل على بطلان هذه الكلام من المسعودي ، وإن كنت لا أستبعد أن لوجود « سار » أو « سارة » في بنية هذه (الكلمة) من أمر قوله « وقال » أي نقفور « تسميتهم عبيد سارة كذب » لأن ملكاً من ملوك هذه العصر لا يمكن بحال من الأحوال أن يجعل من نفسه مدافعاً عن العرب ، أو يعني بمثل هذا التحليل وغاية ما في الأمر أن خيال المسعودي أو آراء معاصريه في وجود « سارة » في هذه الكلمة يجاهر إلى ذهن « المؤرخ » الأسطورة الخرافية

العامية التي « نحطأ » من نفر الإخباريين أبناء هاجر المنسوبة « لسارة » الزوجة الشرعية لإبراهيم الخليل. وعدا ما وقع فيه المسعودي ، فلا يُسلَّم له بهذا ، إلا إذا جاء نص من اللاتينية أو الإغريقية يحول إلى « كينوس » بمعنى « عبد » حينئذ يمكن أن نركن إلى هذا الرأي مستيقنين.

ويرى الأستاذ الجليل ، من الأقوال الآتية في أصل هذه الكلمة وما قاله المؤرخون ، قدامى ومحدثون ، ما يجعله ينقل من أهمية رواية المسعودي التي إذا صح أنه لم يخترعها من خياله ، فقد أمكن حينئذ أنه استقاها من طريق . . . (سراكينوس) والشك في هذه معلومة.

هذه الكلمة قد سجلها التاريخ في مطاويه منذ عهد بعيد جداً ، فالعرب لا تعرفها مطلقاً ، إذ لم تشتهر في تواريخهم ، وما ورد في تعابيرهم ولا تراجمهم. غير أن كان المسعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فلا شك أنه حفظها عنه عرضاً ، واقتبسها اقتباساً من أحاديث الروم. ومعنى هذا أنها غير مشهورة عن العرب ، ولا جارية على ألسنتهم حتى يجهلونها كل الجهل جهلهم بأصلها !

وهي مدونة في كل اللغات الأوربية بهذا المفهوم العام إلا في المعاجم الثاني منها ، فإنه يختلف اختلافاً بسيطاً بحسب اختلاف الشكل والمعنى.

أما التوصل إلى حقيقتها والتعرف على كنه مصدرها في مجرى التاريخ فهذا لا يكون إلا بالوقوف على ما كتبه مؤرخو أمم البحر المتوسط الإغريق والرومان ، فلهاتين الأمتين صلات وثيقة وتجارة جارية . أجل ، فقد عرفت الأمتان منذ أمد « سارا كينوس » ووردت في تواريخهما مرتبطة بحياتهم السياسية على حدود الممالك الإغريقية والرومية في مصر وفلسطين وما وراء بلاد الأنباط. وكانت قوافل التجارة من عرب الجنوب تشق مرورها بالأحمال ، محملة الأعطار والبهار والأطياب فيتسلمها أيدي هؤلاء. فالسرا كينوس تتوزع في عصور أوربا ومعابدها من طريق الإغريق والرومان . .

وإذا كانت هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور في دائرة ضيقة من التعريف ، لا تطلق على الشعب العربي كله

وإنما كانت خاصة بقبيل معين يسكن على الشاطئ من خليج العقبة في جزء الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق « سارا كينوس »[1] Sarakeni

وأول من ذكر هذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي ديوسكوريدس Dioscurids of Anazarbos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عندما وصف صمغ « الفلفل » فقال : إنه صنف من « شجرة سراكينية »

وذكر المؤرخ الروماني بليبوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للإغريقي السابق الذكر ، هؤلاء « السراكين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثائرة في صميم الصحراء ، والتي تتاخم بلاد الأنباط »

وجاء على أثر هؤلاء المؤرخ بطليموس ، في منتصف القرن الثاني الميلادي ، فذكر بلاد « السراكين » Sarakene ، فقال « إنها تقع في بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea وعين مكانها بقوله إنها تقع في غرب الجبال السوداء التي تمتد بناء على موازاة من خليج فاران[2] إلى أرض اليهودية . . »

ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد وناقض قوله ، فقال في موضع آخر من مؤلفه : إن « السراكين » شعب يقيم في داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Felix يقصد بذلك بلاد اليمن وزاد على ذلك فقال : إن « السكينيتس » Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، والقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السرا كينوس » والثموديون[3] !

وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أصلها كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة في السكنى بين « السراكينوس » و « العاديين » مثلاً ، فأولئك - كما عرفنا - مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم في جبال حضرموت والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس !

ولعل بطليموس قاس هذا قياس المستقل لا قياس مسافة بالنسبة لجهله بأبعاد الجزيرة. وأنه نوه إلى « السرا كينوس » على مقربة من « قوم عاد » كما ذكرنا في بلاد العرب السعيدة »

(1) Enciclopedia Italiana, Art. Saraceno

(2) خليج فاران ، هو خليج العقبة ، وأرض فاران هي الصحراء خلف العقبة

(3) Encyclopedia of Islam, Art. Saracens

بعد أن أقروا في بلاد العرب الصحرية ، فلا يبعد أنهم كانوا يحسبون كل ما هو خلف بلاد الأنباط من بلاد ، هو من بلاد العرب السحيقة ، إذ هم يتصورون أبراجها وراء هذه الحدود ، والسراكينوس كانوا هذه ما يهاجمون هذه الولايات من حين ما يختفون في أحراش هذه الصحراء صوب الجنوب

مع كل ما سبق ، إذا جئنا نطلب هذه الكلمة في الأسفار اليهودية والسريانية لم نعثر منها على ما يشفي غلة الباحث الصادي مع أن الكنائس السريانية قد تركت في هذا الجيل فخلفت لنا أسفاراً عديدة جداً تعنى بأخبار القديسين — وخاصة ما يتصل منهم من ناحية المعيشة ، كما يتضح ذلك في « كتاب حمرين » الذي نقله من نص سرياني الأستاذ (زكسل موروج) المدرس بجامعة لند Lund من أعمال السويد . أما « السراكينوس » فلم يرد لهم ذكر يذكر في هذه الأسفار السريانية ، ما خلا رسالة وضعها رجل أصله سرياني في خلال القرن الثالث للميلاد عنوانها Keisba de namose d'aturvata ذكر فيها الطائيين Tayoye و « السراكينوس » Sarakoye بقوله : « إنهما قبيلتان عظيمتان من أمم القبائل العربية الرحالة »[1]

ويستمر الحال على منوال تلك الأسفار الماضية والسراكينوس لا يعرفون إلا في تلك الطوائف الصغيرة التي تظهر أحياناً سيرة من وراء الحدود الشعبية ، حتى نهض العرب نهضتهم المشهورة ، حاملين الرسالة الإسلامية ، فبعثت طلائع جيوشهم من وراء التخوم الشعبية تتحرك شمالاً ويساراً على حفافي البحر المتوسط ؛ فتصدت لها بوجه المسكة الرومانية ، وارتعدت لها فرائص القياصرة ، وسرى اسم « السراكينوس » بين أمم البحر المتوسط مسير الشمس ، فأصبحت هذه الكلمة من هذا الحدث التاريخي العظيم قد أحدث لها معنى واسعاً من ذي قبل ، فكانت تعني الشعب العربي كله

من هنا نرى أن الكلمة قد تقمصت شكلاً آخر أو معنى مطوراً إلى طور ثان ، وسنراها كذلك قد دخلت في طور ثالث ؛ وذلك أن العرب عندما استتب جيشهم على ممالك الروم في مصر والشام ، وشاع من أمرهم أنهم يحملون ديناً جديداً إلى العالم ، أطلق هذا مصطلح الكنيسة الشرقية في ناحية بيزنطية

(١) Encyclopaedia of Islam

فأرسلت وسطها إلى الكنائس الغربية عنواناً لـ « المسلمين » ، وأن شيئاً جديداً قد صار يهدد الكنائس !!

ولما دوخ هرقل سورية وداهمه الأجير المشهور ، وأصبحت جحافل ابن العاص تقول الزوعيف لمصر ، كان اسم « السرازين » قد ملأ النفوس رعباً وعادلك الترجمة أسطورة ، حتى أصبحت هذه الكلمة من مرادفات الهول والرعب ؛ ومن ذلك الوقت عُرف المسلمون بـ « السرازين » وإن كانوا هم العرب في حقيقة الأمر والواقع !

ومن البيزنطيون على وجه أخص يطلقون هذا الاسم على المسلمين إلى أواخر القرون الوسطى حتى سقوط الخلافة في بغداد . يؤكد لنا هذا خبر ابن بطوطة عند ما وصل القسطنطينية حيث سموها باسم « سراكينو » Saracino أي مسلم

ولما انتشر العرب في أسبانيا كانت كل الأمم الأوربية قد سمعت بـ « السرازين » ورأت هذه اللفظة متغلغلة في آداب هذه الأمم ، فاستعملها الفرنسيون في شعرهم الحماسي Epique باسم « السرازين » Sarrazin أي البشرة السمراء (كما يقولون !) يعنون بذلك العرب أسباباً نظراً للوهم الصحراوي الأسمر

ثم أخذت طريقها بعد ذلك إلى إيطاليا ، فتسللت إلى شعر النهضة الإيطالية باسم « سراتشيني » Saracini ، وفي أثناء الحروب الصليبية كان المسيحيون يطلقونها أيضاً على المسلمين أجمعين ، وقد ذكرها الشاعر الإيطالي (دانتي) في (جحيمه) بقوله[1] : e non Con Saracin nè Con Judei :

ومعلوم من التاريخ أن غزوات العرب قد وصلت إلى معابر جبال الألب ومناطق سويسرة بعد أن استولوا على جزء عظيم من جنوب وشمال إيطاليا . وفي استطاعتنا أن نقول إنه لا يوجد اليوم جزء من أجزاء العالم يرد فيه ذكر (السرازين) في حكايات أقرب إلى أن تكون من نسج خيالات القصصيين الموهومين بأسطار الخرافة ، كبلاد سويسرة . ففي جبال هذه البلاد عن (السرازين) آثارهم وقلاعهم وحصونهم ، وما زالت حتى هذه الساعة متصلة بأسمائهم ، وفي مهاوي هذه الشعاب البعيدة عن العالم تقوم كنائس وأديرة ما فتئ رهبانها يذكرون أخبار (السرازين) في عبارات مربكة بالخرافة والتاريخ

(١) Dante, Inf. Canto, XXVII, 87 وعن النطق ... للمسلمين ولا مع اليهود .. (في كلام له ما فيه)

هذه قصة «السراكينوس» شرحناها من منبعها إلى مصبها بحسب ما توفر لنا من البحث والزمن ، ويرى القارئ من هذا التفصيل السابق أن هذه الكلمة قد أصبح أمرها معروفاً من حيث خروج العرب من جزيرتهم ، وأنها لا تطلق إلا عليهم ، ولكن المشكل الخطير هو

من هم هؤلاء «السراكينوس» حقاً ؟

ومن أين اشتق هذا الاسم ؟

سؤالان لم يجزم بجوابهما حتى الآن ؛ فقد ذهب المؤرخون في مأخذ هذا اللفظ مذاهب شتى ، كلها من قبيل الظنون والرجوم ، فغالبها ضعيف ، وأكثرها مطعون ، وللمؤرخين أقوال في هذه «اللفظة» نلخصها فيما يلي :

١ — في العصور القديمة كانت تطلق على قبيل معينة كما بينا ، ولكن في العصور المتأخرة ذهب المؤرخون مذاهب شتى ، فيرى بعضهم أنها

٢ — تصحيف «شرقيين» العربية ، ويدللون على رأيهم هذا بأن حرف «الشين» العربي لا يوجد في الإغريقية ولا الرومانية(١)

٣ — «سراقين» أي «اللصوص» ، ويقصد بهم سكان الصحراء .

٤ — «سرا كن» أصلها «صحراء ساكن» أي سكان الصحراء .

وبعد فهذه أقوال المؤرخين في هذه اللفظة الغريبة ، منها ضعيف ، ومنها قوي ، وكلها — في رأينا — لا تغني من الحق شيئاً ؛ على أنه إذا صح لنا الاختيار من هذه الأقوال فأقوى الآراء منها القول بأنها تصحيف «شرقيين» ؛ فالكلمة إذن عربية أصيلة ، أطلقها الأنباط ، وهم عرب ، على القبائل التي تجاورهم من جهة الشرق ، فسمع منهم الإغريق والرومان هذا اللفظ فأخذوه إلى تسميتهم بتلك الشعوب ، وقد كانت لهم منتشرة في جهة الأرجاء كما هو معروف . وكلمة «الشرقي» و«الشرقيين» لها أصل في لغتنا اليوم ؛ فالمغربيون يطلقون على كل من يفد من جهة الشرق «شرقيين» وأهل الحجاز يسمون أهل نجد «شروقاً» فليس بعجيب إذن أن يسمي الأنباط العرب في الشرق الشرقيين !

ولكن مع كل هذا التسهيل ، في النفس شيء من «تسوية» في «سراكينوس» وأن هذا التركيب لا بد وأن يحمل وجهاً آخر في تحليل هذه اللفظة ، وخاصة إذا أخذنا بأقوال مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع أن «السارازين» ينسبون إلى الإسماعيليين الذين كانوا يقيمون في صحراء تلوش في مقاطعة فاران حيث يقوم جبل «حوريب» في شرق البحر الأحمر . وفي النفس شيء — أيضاً — من هذا إذا علمنا أن «هاجريين» أصله هاجر ، قد اشتهر في الأدب اللاتيني في القرون الوسطى كمرادف «السرازين» من لغة الفئات السامية ، وللمتبحرين في الإغريقية واللاتينية ، كسيدنا العلامة الكرملي ، أن يقولوا كلمتهم في هذا الشأن ، فيهدوا الحق إلى صاحبه ، والسيف إلى قرابه ؟!

أما بعد هذا كله فإني أختم هذا البحث بما يعترف به كل أحد المؤرخين الأوربيين ، وذلك أن «السراكينوس» القدماء لا تزال سلالتهم موجودة اليوم ممثلة في قبيلة «السواركة» القبيلة البدوية المصرية التي تسكن إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة .

وحسبنا أن نقول إن هذا التحقيق أن هذه علية من بلاء البحث وقيمته العلمية في اللفظ ! وكم حدث الدعاية مستشرقين في الغرب وثقة في الإسلام . فالسواركة هؤلاء وجدوا في عصر متأخر يرجعون في نسبهم إلى سيدنا عكاشة الصحابي المشهور(١)

وفوق كل ذي علم عليم

(القاهرة) أحمد عبد الله [illegible]

(١) Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, vol. I, P. 167

(١) راجع المصادر في كتابي «تاريخ سيناء القديم» لنعوم شقير و«تاريخ بئر السبع وقبائلها» لعارف العارف

بين سيد الشعراء وسيد رجال المال

للأستاذ صالح جودت

في ليلة مشهودة في التاريخ ، هي عشية الخميس الموافق اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ ، احتشد نفر من سراة القوم في دار الأوبرا « السلطانية » ، ليحضروا تأسيس أول جمعية من جمعيات النهضة الاستقلالية المصرية ، هي « بنك مصر »

وفي تلك الليلة التاريخية ، وقف مؤسس هذه النهضة ، محمد طلعت حرب ، يقول بصوت تخالطه الرعشة

سادتي ،

ما كاد يخطر ببالي تأسيس البنك حتى وجهت إليه الاعتراضات الآتية

أولاً - إننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فاتهمتنا بالتعصب والتأخر في المدنية

ثانياً - أنه ليس في مصر من يصلح لأعمال البنوك

ثالثاً - إن الأمة ، مع كل التطبيل والزمر الذي أحاطنا بالمشروع ، لم يمكن أن تجمع منه سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات من أصحاء كبيرين ، كأنما كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية

وماذا يريدون أن يفعل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذي لا يقل ريعه عن أجرة الفعل وحيوية بعض الموظفين

* * *

دعونا نتحدث عن هذا الحديث قليلاً ، لنشرح ما نعود إليه

كان طلعت حرب - أول ما كان - أديباً يحسن القسم ، ويحسن فنه المقال نثراً للقلال ، والكتاب إثر الكتاب ، يدافع به في مجال الكتاب القصص ، والمعاجم ، والأديب الموهوب ، عن كيان المجتمع وحرمة التقاليد ، والمحافظة على تراثنا الإسلامي من الضيعة والضياع ...

وكانت جهوده الاقتصادية آنذاك تقوم في ركن هادئ من حياته العملية جبارة

وهكذا - في أمس الأدب القصصي ، والفن الرصين ، ارتبط روح طلعت الأديب ، بروح شوقي الشاعر ، وأدرك كل منهما

وأعن التقليد في صاحبه ، ثم مرت الأيام ففرقت بين الرجلين ، وإذا بالروحين الحبيبين ، روح الأديب وروح الشاعر ، لا يرتبطان من الأيام إلا استعداداً . فكلما مست يد طلعت حرب ، عرفت يد شوقي ، وكلما تحدث طلعت حرب ، غنى شاعره شوقي

طلعت حرب يحتفظ بآثار صاحبه الشاعر في أعز ركن من بيته ، ثم نراه في الحفلة التي أقامها التجار لتكريم الزعيم الخالد الأكبر سعد زغلول في فندق سميراميس يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢١ ، يلقي في حضرة الكريم بحرارة

وأخيراً يتغنى شاعرنا شوقي

صح الصباح وبُشّر الـ	أبنـــاء بالمستقبل
واستأنف العصر عنايـ	تهُ وسجل حق عل
هل ربّ الفتح وجهة	والظفر معك طرسـل
أتراك حكت ثنتك المسـ	ـرة رحمة وتقبّل

أما رأيته يقول « شاعرنا شوقي » ؟ أو لم يكن شوقي شاعر بنك مصر الذي صحبه في شعره من يوم تأسيسه ، وسجل حركاته وبركاته وشركاته ؟

أليس هو القائل للأبيات المشهورة في تأسيس بنك مصر ، والتي مطلعها

هب بالبلاد وانظر دولة المال	وبذكر رجالة أدارها بإجلال
وادخل وكان القوال في حجر بيه	لا في حوانيت وسم المال البالي
ما كل طرح المجرى بين ذهب	في الصين أزين من مصاحب بلالي

أو ليس هو قائل القافية العصماء في الاحتفال بوضع الحجر الأول ، أساس بنك مصر ، التي مطلعها

يا روحُ بالحولات أو تتنادى	وتذكرها وتعطيها القيانا
وتحسدها وترى وقت السمحا	ولا حربٌ للوظف وعماد
ساعة الله لا تمد حبسـاً لأ	من الأحلام واشترت الأعالي

أو ليس هو صاحب البيت الخالد في حفلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر ، التي مطلعها

بعد الكرى وصحا من الأحلام	شرقٌ تنبّه بعد طول مقام
أثب سلامه وأقبل صحوه	إلا خشاً فترة وسلام

والآن ، آن أن نستجمع آثار هذه الصلة بين سيد الشعراء وسيد رجال المال ، لنرى كيف عكست صورها الحية على روحيهما في تلك الليلة المشهودة ، ليلة تأسيس بنك مصر في اليوم السابع من مايو سنة ١٩٢٠ ، حين وقف طلعت يرد ما يثيرون حوله من اعتراضات ، فراعنا كل الروعة أن نجد هذه الاعتراضات

موجودة كما في قصيدة شوقي التي قالها في حفل افتتاح الشركة ، ومن ذلك أن يحدث هذا الانتعاش بتباشير أماني الأمة فرح الصادقين

الاعتراض الأول ، أننا أردنا بنك مصر ورأس ماله مصرياً ، فأصبحنا معتمدين وتأخرنا في المدنية . وفي ذلك يقول شوقي إن الدنيا للمال ، ولا حياة لأمة بغير المال

والمال ، مذ كان ، تمثال يطاف به ... والناس مذ خلقوا عُبّاد تمثال

إذا جفاه الفتور نام الدارعين بها ... أو الأنام فهم فيها كأطلال

والاعتراض الثاني ، أنه ليس في مصر من يصلح لأعمال البنوك ، وفي ذلك يقول شوقي إننا قد حطمنا ... ووردنا حلائل الأعمال ، فعلينا أن نسد الفراغ ، فيومئذ لن يعيب على المصري شيء ، ويومئذ يصبح للمصري شكل جميل ، ونصيب من العلم والمال

إن طال حظك لن تجد عهداً ... حفظاً من العلم أو سعداً من المال

العلم والمال يبني الناس ملكهم ... لم يُبنَ ملكٌ على جهل وإقلال

والاعتراض الثالث ، أن الأمة مع كل الجهد والزمن الذي أعطاه المشروع لم يمكن أن تجمع منه سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات

وعندئذ يهيب شوقي بأبناء مصر أن يبوا لهم عن الدعي ، ومصر الوطن ، إذ يقول

شركات مصر ، عهداً كم لها بحلب ... بعد السماء ، شركات مصير كأطلال

بني المسلمين من شُجّ الأمور لكم ... فاصبروا إلى المال لا تلووا على الآل

ويحثهم على النجح المنتظر من وراء هذه الدار فيقول

دار بها ... فيها والشكر ... أو دعم حتى أرساها إقلال

آمال مصر إليها طالما طمحت ... هل يبخلون على مصر بآمال ؟

فاسعوا على وكتاب الله واعتصموا ... بما حبا الله من حظ وإقبال

* * *

يقول الأديب الكبير «دوريان» إن الرجال معجبون ، ولا يجب من عدم إلا ورقة تصب رؤوس التلاميذ في المدرس

ونحن نجد طلعت حرب ... من عظماء الرجال ، وهو بإخراجه لنا بنك مصر ومؤسساته على أثبت الدعائم ، قد دك عن القلوب ، إلى ما شاء الله

صالح جودت

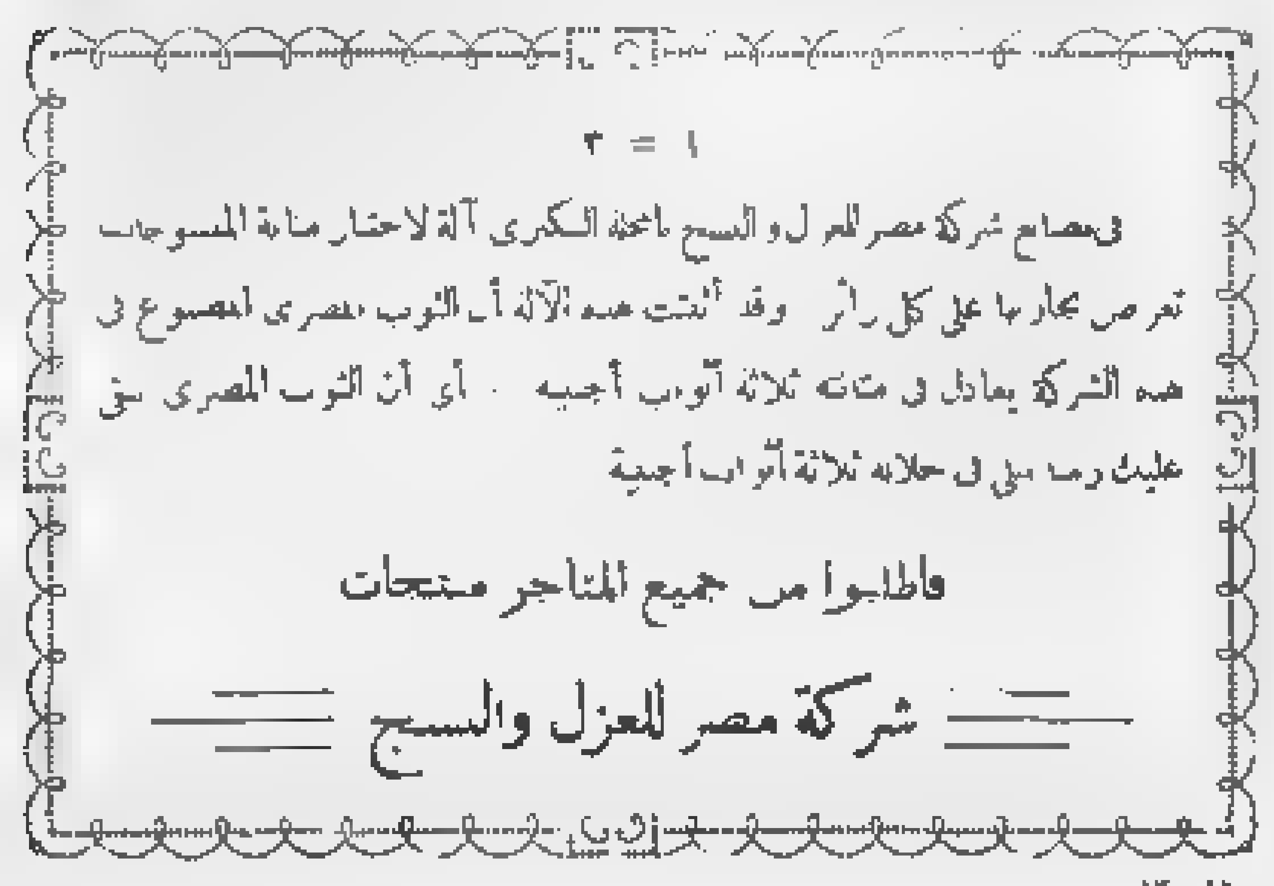

من وحي الحرب

وداع ...

للأستاذ محمود الخفيف

أفاقتْ على صيحةٍ روحُه … فَدى سكرةِ الوصل أحلامُه
وطاف بها أسدُ العاشقين … يُحدِّد في الصمت آلامَه
وكان [illegible] واهتدى … [illegible] اللائح [illegible]

* * *

سماواتُ عيونٍ [illegible] … [illegible] الشاعر
تألّق [illegible] … ومن [illegible] الأمل الباسم
[illegible] بالحب [illegible] … على [illegible] المنى الحالم

* * *

أفي وقفةٍ [illegible] … وفي [illegible] الرحمة؟
[illegible] … [illegible] القلوب [illegible]؟
إذا أوحش [illegible] … [illegible] الروعة الخاطفة

* * *

مقامٌ على الهول [illegible] … وما كان [illegible]
لا [illegible] تجمع الشائب … [illegible]
[illegible] في الشموس … [illegible]
وأكثر ما كان لون السحاب … [illegible]

* * *

وذي ليالي الهوى [illegible] … [illegible]
فلانوا بالأدمع [illegible] … [illegible]
[illegible] في موقفٍ … [illegible] الأنس [illegible]!

* * *

[illegible] لا [illegible] … [illegible] في موعدٍ [illegible]
[illegible] … [illegible]؟
هنا [illegible] في [illegible] … [illegible] الأسى [illegible]

* * *

فلا [illegible] في [illegible] … [illegible] الأسى [illegible] والمنى
[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible] اليوم [illegible]
إن [illegible] … [illegible]

* * *

[illegible] ولا [illegible] … [illegible]؟
[illegible] … [illegible] والسحر [illegible]؟
إلى حيث لا [illegible] … سوى [illegible] الليالي الطوال؟
[illegible] … [illegible] الرحال؟

* * *

[illegible] … [illegible]
[illegible] الأسى … وكم [illegible] الوجد [illegible]
[illegible] في الخطوب … [illegible]

* * *

[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible] البكا [illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible] السحر أو [illegible]

* * *

ألا كم أراعَ هذا التوأمَ … تمشّى من الموتِ فيه الوجى
ويرجعُ نفسي برغمِ الشباب … تدبُّ على مثلِ هذا الحدب
فما الله يُذهبُ عنها الأسى … ويذرأ منها تباريحَ النفس

* * *

تحدّثها أحيانًا لها … لذي البين عن هجرها شاعري
يحدّثني أنه راحلٌ … وأنّ بكاها بلا طائلِ
ووددتُ لو أنّي [illegible] … وكيف بعدي الراحلُ [illegible]

* * *

أميلُ بطرفي إلى وجهه … [illegible] الأحظ في أمرهِ
فمال النصيحة في طرفهِ … وصوتُ البكاء على [illegible]
يُريها التجلّدَ في [illegible] … فتكشفُ [illegible] عن سرّهِ
وأنّ له [illegible] في موقفٍ … [illegible] الذي فيه من [illegible]

* * *

تجلّد لأمي [illegible] … [illegible]
فالموتُ أهونُ من أن تحسّ … [illegible] في قلبه
وليس يهيبُ الردى قلبُه … إذا [illegible]
هو الحبُّ حتى لدى الموت يحيى … [illegible] الرحال [illegible]

* * *

تسائل عنه عن [illegible] … له أوبةٌ بعد هذا النوى؟
ولكنه من يطيع الخيال … فكم فيه [illegible] الهوى
وهل [illegible] … [illegible] أو [illegible] الهوى؟

* * *

عجبتُ [illegible] … ولاح [illegible] في [illegible]
أذلك [illegible] كرام الجماد … إذ الروح [illegible] من [illegible]؟
أم [illegible] … [illegible]؟
[illegible] … [illegible]

* * *

[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible] الرحبُ [illegible] … وأطلعت الأرضُ في [illegible]
وأوحش كلُّ مكانٍ [illegible] … [illegible] الزاهر

* * *

[illegible] ولي [illegible] … [illegible]
[illegible] رأى الأيام … [illegible]
[illegible] … سوى الموت [illegible]

* * *

[illegible] إلى الروح [illegible] … وإن كان [illegible]
[illegible] على [illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]

* * *

وكشف [illegible] … [illegible] حليف ولا [illegible]
[illegible] … كما طاف بالطلل [illegible]
[illegible] … سوى [illegible] الناعس

* * *

[illegible] إذا [illegible] … على شخصه [illegible] النوح
[illegible] … سوى الدمع [illegible]
[illegible] … بأصحابها لا [illegible] النوح

* * *

[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]
ويجتن حينا إذا أبصرت … [illegible]
[illegible] في [illegible] … [illegible] من [illegible]

* * *

وعصي الليالي [illegible] … ولا [illegible] عن روحه [illegible]
[illegible] … سوى [illegible]
[illegible] … [illegible]

* * *

[illegible] … [illegible] وكيف [illegible]
وكيف [illegible] … [illegible] الأرض [illegible]
وكيف [illegible] … [illegible] على الأرض أطواقها
وكيف [illegible] … [illegible] الحرب أبطالها

* * *

[illegible] الليل [illegible] … [illegible] على الأفق [illegible]
[illegible] … [illegible] الأنجم
[illegible] كل ما [illegible] … إلى [illegible]

* * *

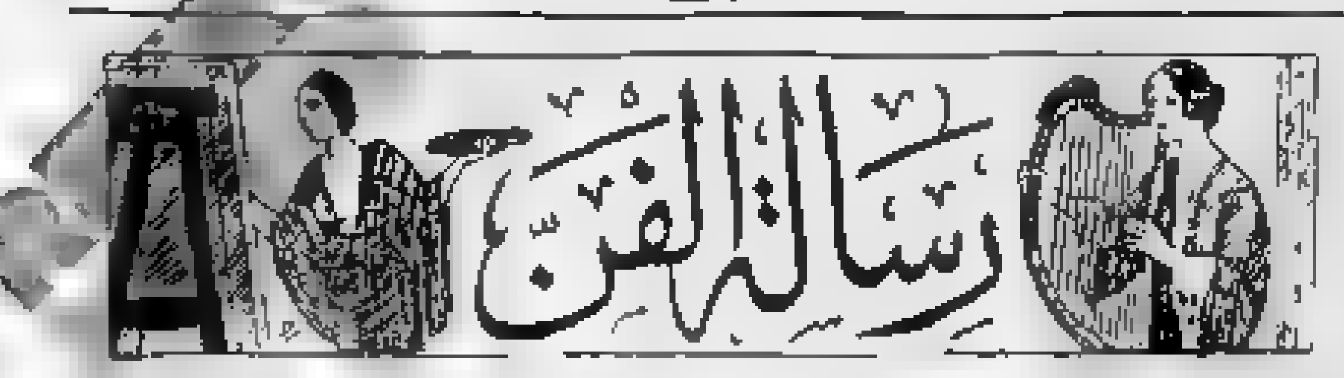

دراسات في الفن

الفن بين «الأميات» و«الأميين»

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

لي صديقة صغيرة غاية ما تريده مني هو أن تسخر بي وأن تحطم كل رأي أبديه وإن كان إيماناً بها وتعريضاً لي حتى أنسى أنها [illegible] حتى [illegible] أحلى كلامي [illegible] وقد يكون [illegible] الرأي كنت قد أبديته [illegible] حتى [illegible] الضحية [illegible] « [illegible] سعيد » قالت : « وكيف عرفت ؟ » [illegible] وليس [illegible] وهل كنت من أولياء الله الصالحين حتى تدعوه إلى إسعاد غيرك ... ؟ أفلا عرفت [illegible] نفسك أولاً ؟ [illegible]

شاهد في بسمته الزاهي ... يبسم [illegible] تقول الأخت
ويسمع ثم الذي تلوت ... به القلوب أحلامها [illegible]
يطولون [illegible] عظاماً ... [illegible] ؟

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

* * *

ولكنه [illegible] ... على [illegible] أزاحه
[illegible] ... [illegible] إصاحه
[illegible] الموت في [illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible] بسخطه ونقمته ؟

[illegible] صديقتي للفكرة التي [illegible] أمس [illegible] العدد الأخير من الرسالة [illegible] حتى [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] كنت [illegible] ؟

— [illegible] أهذا كلام [illegible] من [illegible] وصاحبته ؟

ولماذا كنت تريدني أن أقول ؟ أ أكتبه في ورقة حتى [illegible]

— [illegible] جداً [illegible] الذي قال لك [illegible] ؟

— هي التي [illegible] وأرجو ألا تسأليني [illegible] ولا أن [illegible] لم [illegible] من هذا [illegible] الذي [illegible]

— [illegible] لا يكون في [illegible] ؟ [illegible] ؟

ربما يكون [illegible] ولكنه لم [illegible] التي [illegible] ! [illegible] لا [illegible] بعد ذلك [illegible] كانت [illegible] وليس هو الذي [illegible]

— بل إنه هو الذي [illegible] ولم [illegible] الرجولة ، ولم [illegible] بالإرادة [illegible]

— [illegible] الرجولة [illegible] ؟

— [illegible] أيضاً « [illegible] » ؟

— [illegible] الله [illegible] أريد أن [illegible] منك [illegible] حتى لا [illegible] للعاصفة

— عزة الرجولة هي قوة الأسر التي خص الله بها الرجل ليتسلط بها على المرأة

— وما المرأة؟

— والمرأة أيضاً تريدان تسلط على عديد من ضحاياها؟

— إذا كان لها حق؟

— وامصيبتاه! أسود من الليل! المرأة هي شريكة الرجل في حياته

— أي حق؟ إلا حق الضعف؟

— هو القدرة على النسل. وليس رجل قادراً عليه بغير امرأة. كان سراوس قادراً عليه بغير امرأة. وليس اسمه [illegible] وحده الذي استطاعه، وإنما استطاعه مثله كثيرون غيره

— هذا هراء. وإذا كان هناك من أعقب من غير شريك، فإنه مريم العذراء - ولم تكن رجلاً

— وكانت آيتها أنه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً. لم يجد كتاباً، ولم يجد وحياً، ولم يجد آية أخرى

— ماذا تعني؟

— أعني أنها رضي الله عنها كانت هبة آل عمران للتعبير الرحمي، وأنها أتته ونطلب [illegible]، فأعطاها ما تطلبه كل امرأة من هذه الدنيا وهو الرزق، فيسره لها من حكمته وكرمه، ثم نفخ فيها من روحه، فكانت هذه هي معجزة المرأة الكبرى أن ينفخ فيها من روح الله. ومع هذا الجلال فإنها [illegible] لم تعقب من روحه ذكراً، وإنما أعقبت المسيح الإنسان (ص) وهو كله الله!

— العجيب! [illegible]! ولا [illegible] آية رجل، وأنه أعقب ديناً جل من [illegible]

— ومن ربها؟

— ومن أنكرت أنه هذا؟ والمسيح [illegible] منها؟

— الدين من الله

— وكل شيء من الله، سواء أكان ديناً أم كان عقلاً، أم كان فناً

— تريد أن تسمي الفنون أيضاً لله؟ حرام عليك

— حرمت عليك عيشك. أليست الفنون هبة من الله ومتعاً؟ هل يستطيع كل إنسان أن يكون فناناً إلا من حباه الله القدرة على ذلك، ومن أخذ نفسه عليه [illegible] الله وعد [illegible] الفن أن يعطيه حتى يرضى

وقد أتته مريم (رضي الله عنها) فأعطاها رزقاً، وأتاه المسيح فأعطاه ديناً، ويأتيه الذين يعطيهم فنوناً [illegible] بالإيمان!

— ما أكثر الذي تسمعه، وما أقل ما تقول فيه

— ليست مسألة الفنون يا مولاي شيئاً يهم الحس [illegible] إنها كالحب تماماً [illegible] هل عرفت ما معنى [illegible]؟ كما تحرك الإبرة، وكما [illegible] الدار. وكل ما في الأمر أنها [illegible] فهل عرفت ما هي الروح؟

— [illegible] أصدقك

— ولا [illegible]؟

— القرآن [illegible]، فهل عندك أنت [illegible] منه؟ [illegible] الأزهر الشريف [illegible] ذلك

[illegible] أن [illegible] إذ [illegible] عن الناس [illegible]، فمن أجل هذا أن أسرع [illegible] المستضعف [illegible] ومكث والتمسه على كل من [illegible] التي [illegible] الرحمن الذي هو [illegible]. أليس كذلك؟ [illegible] السلاح [illegible]

— إذن فقد [illegible]

— كما [illegible] مع سراوس

— لكنها لم [illegible] كان في [illegible] أسمع من سراوس في رجولته [illegible] وكان عليه أن يتطهر [illegible] ليدركها وليطاول [illegible]

— أما كان سراوس متطهراً؟ هذا الذي لم [illegible] الأديان مثله [illegible] الأرواح من [illegible]؟

— [illegible] الكلام الفارغ الذي لا معنى له. أنا لا أعرف إلا أن الله خلق الناس ذكراً وأنثى. وكل منهما في حاجة إلى

صاحبه ، وعلى الرجل أن يطلب الأنثى وليس عيبا أن تطلبه ، بل إن عليها أن تتريث وأن تمتنع ، وأن تنتظر حتى تتأكد أنه يريدها حقا ، كما قلت لك إن في المرأة عزة ، فإن للأنوثة كرامة ، وكرامة الأنوثة تقتضي هذا التريث وهذا التمنع حتى لا تجيء يوم يعيرها فيه الرجل بأنها هي التي خطبته ، أو أنها هي التي ألقت نفسها بين يديه

— ليس هذا كرامة كما تقولين ، وإنما هو تملق

— بل إنه كرامة

— كان يمكن أن يكون كرامة لو أنه كان ممكنا أن تعيش المرأة من غير رجل ، ولكن ما دامت هي تحتاج إليه حاجة الأرض [illegible] والخبز والماء والهواء ، وغير ذلك [illegible] ليس شيئا من الإباء [illegible] حسبه في الرجل [illegible] بعد هذه الصفة [illegible] شيئا

— يبدو أنه صناعة ، وليست طبيعة

— فليكن

— فليكن ! والآن قل لي كيف تحسب النزعة [illegible] في الرجل

— كما كنت في حياة [illegible] ، وكما أستخلص من الحياة الفضائل ، ومن هذه الفضائل تلك الكرامة التي تحدثين عنها والتي يجدر أن تقصيها على الأنوثة

— ولكن هذه الكرامة التي تحدثت عنها خاصة بالأنوثة وحدها ولا يمكن أن تجتمع في الرجل مع ثورة الطلب التي تلتهب به الرغبة ، والتي تدفعه وتحدوه إلى التسلط على المرأة .. لا يمكن أن تحدث هذه التي تقوله إلا إذا كان الرجل « كالأميبة » يشق جسمه شقين ، ثم يشق كل شق منهما شقين ، فلا ذكر ولا أنثى ، ولا زواج ، ولا تناسل [illegible] فهل في الرجال « أميبيون » يا سيدتي ؟

— نعم يا آنستي نعم [illegible] كما أن في النساء « أميبيات » !

— ومن هؤلاء ؟

— هم الشواذ بلغة العلم [illegible] هم الرجال [illegible]

الذين [illegible] من الرجال الكثير [illegible] ويقتحمن في أنفسهن ، ثم [illegible] على أنفسهن [illegible] من البنين والبنات [illegible] أني لا أذكر [illegible] قليل الاطلاع على التاريخ ، ولكنك تستطيعين أن تسألي عنه [illegible] من بنات جنسك المثقفات [illegible] تسألي الآنسة [illegible] تسألي الآنسة .. لا

— من هي الآنسة « لا » هذه ؟ إنجليزية هي ؟

— عجائب ، ألا تعرفينها ؟ أستاذتك التي لم تقرئي [illegible] للموضوع [illegible] ، إلا أنكما [illegible] إلا من بعيد

— وهل تعمل [illegible] هكذا ؟!

— لأنها « أميبة » ، ولكنها مثقفة .. وأنت « أميبة » مثلها ولكنك مغرورة !

— لا تقل هذا [illegible] إني أموت إذن [illegible] حقا

— وهل في [illegible] ما جرح ؟ [illegible] ، وهو من عند الله [illegible] ولا [illegible] مثل [illegible] !

— آه منك [illegible] لقد [illegible] بنا إلى موضوع لم يكن يخطر لي مطلقا أن أندفع إليه [illegible] فأنت لا تمتنع من [illegible] إلى آخره [illegible] هل يصح [illegible] بين « الأميبة » و « الأميب » كما يصلح بين المرأة والرجل ؟

— إما أن يصح [illegible] وإما أن تستحيل [illegible] ولا وسط بين الحالتين [illegible] والفرض الواحد في هذا الموضوع بمثابة حجاب ، فهو موضوع لم يطرقه إلى اليوم أحد

— يا لك من [illegible] ! [illegible] واحدة !

وعلى أي حال فإني أرجو منك الآن « [illegible] »

[illegible] ولكن بعد أن [illegible] عن [illegible] (الأحمر) الذي [illegible] على الناس وعلى نفسك

— [illegible] ! هل أكلت اليوم [illegible] في كلامك [illegible] بها الآذان والأفئدة !

— بما أكلت الصابر والزعيم والتار ... وتعيشين أنت في آخر الزمن لتدرك الحضارة التي عند الأنثى الصحن والرحمة، لك الله دماً

— هل هذا الكلام موجه لي أنا ؟

— لك أنت ، لكأنك ، لكن أنت ، لي أنا ، ك عي ... ألا تعطين عليه الصبر ؟

— لا ريب أنك مغرور ؟

— ولم لا ؟ ربما كانت البروة تقول هذا عن استراوس ! أما هو فلا ريب أنه قال هذا عنها

— ما بها كانت تحبون ؟

— الاثنان معاً

— هكذا ؟

— لأنهما افترقا ، ولم يكن يستطيع لها غيره ، ولم تكن يستطيع له غيرها [illegible] لو أنك قرأت مقال الأسبوع الماضي عن أصحابك ، فقد كانت « أنيثة » لا يصحبها كل رجل ، وكانت فيها قوة الإبداع الفني والانشقاق على نفسها ، وإن كانت لم تعرف بقلبها أنها امرأة .

— هذا الغرور بكيانك

— [illegible] . وأستغفر الله وأمسح الأرض بوجهي ورأسي بين يدي جلاله وعزته ، وأعود فأقول إنهما كانا يعيشان لو أنهما ولما نفسيهما كما أراد الله لهما ... ألم تقل إنهما كانا « آنسين » كل منهما يسمو على نفسه غيرة ، أو لم أقل لك إن من « الأنثيين » من يصلح « للأنثيات » كل الصلاح ، فقد كان هذان من هؤلاء

— كيف ؟

— الرجل يا آنسة ابن رجل وامرأة فيه من الرجولة والأنوثة ، وهو لم يكن رجلاً إلا لأنه ورث من أبيه أكثر مما ورث من أمه ، فلو تعادل الذي ورثه منهما كان خنثى ، وكذلك المرأة ، وفي الرجال من تطغى رجولتهم فيستحق في اللغة من صفاتهم وهؤلاء « ... » أكثر منهم أنثى ، [illegible] ... ، والتاريخ يروي أنه كان يصحب [illegible] ،

ورجل مثل هذا لا تشبعه امرأة إلا إذا [illegible] أنوثتها في المرأة من حبيبه من أبيها ، وهذه الصفة [illegible] أم الأدب يستقيم أقل هذه الأيام بأنهم أصحاب [illegible]

أما الرجل الذي لا تزيد رجولته على ستين في المائة مثلاً [illegible] من أمه ، لما بها من ريبة على ذلك من الأنوثة وهذا [illegible] ويتقاربان

— وكيف نعرف هؤلاء الرجال [illegible] من يحبون الأنثى ؟

— [illegible] من ملامح [illegible] الأسماء طراوة الصوت ، ودلال المشية ، واستدارة الأكتاف [illegible] لأنه ... والنساء الأنيثات فيهن من ملامح الرجال [illegible] الساقين ، وخشونة الأعضاء [illegible]

ومن لا يتجاذب « الأنثيان » ولا يتنافران
فقد ما اشتد الأنوثة في الرجل ، أو الرجولة في [illegible]
أو لا يستتبان معاً [illegible] عندئذ متنافران

— [illegible] أنت ؟

— فكري رأسك هذه قليلاً ... ولا تقولي « ماذا وكيف » على أن تسألي لا تعجبين ؟

لقد ذهب [illegible] وعطة أنت و [illegible]
أما أنا فقد [illegible] وأما ستراوس فقد [illegible] [illegible]

[illegible] محمد [illegible]

مجلدات الرسالة

تباع مجلدات الرسالة بالأثمان الآتية

السنة الأولى في مجلد واحد [illegible] قرشاً ، و [illegible] قرشاً كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

لحظات الإلهام

في تاريخ العلم

تأليف مريون فلورنس لانسنج

---

٤ — الاستكشافات الخمسة

من الطين إلى الخبز

الطعام من حاجات الإنسان اليومية، وقد كان على إنسان الكهف كما علينا الآن، أن يستبقي الحياة بالاستمرار على تناول الطعام

وكثير من القصص الممتع في حياة الإنسان يدور حول هذه المسألة الكبرى: مسألة الطعام وهي التي شغلت الجنس الإنساني كله إلى اليوم. فبعض القصص يتصل بالمخاطرة وبعضه بالاستكشاف والبعض بتاريخ الشعوب المتحضرة

وكان الإنسان في البداية دائم الحركة بحثاً عن الطعام فهو يأكل الثمرات والفواكه والحشائش والحبوب وجذور النبات؛ فإذا ما خلا ذلك من حقل ذهب إلى حقل آخر يلتمس فيه طعاماً جديداً، ويمكث كذلك حيناً في مكان من أماكن الصيد ثم يتركه إلى مكان آخر

ثم جاء اليوم العجيب الذي علم فيه الإنسان أنه متى غرس بذره فإنه سيحصل حصاداً. وقد كان ولا ريب بالناس في هذا العهد القديم بعض رجال من كل شعب من الشعوب مهمتهم أن يرقبوا صعود الشمس، وظهور القمر وحساب فترات المطر، وملاحظة ما سيكون من أمرها، هل يجيء أم لا يجيء منها شيء؟

وحدث أحد رجال الآثار عن كيفية الاهتداء إلى الحياة على حركة النضج فقال إنهم في البداية كانوا يأكلون الثمر كله في أماكن سقيمة بالقرب من المكان الذي يجمع فيه، ولكن لوحظ أن عدداً كبيراً من أشجار الفاكهة كان ينبت حول هذه الأماكن التي يأكلونها فيها فقرروا أن يحملوا الفواكه إلى أماكن أبعد من الأولى ليأكلوها بها. وكانوا في كل عام بعد ذلك يرون أن أشجار الفاكهة تنبت حيث يسقط النوى أو البذور فحملوا البذور والنوى إلى مسافة أبعد ودفنوها في أماكن مختارة إلى أن صار لهم في النهاية بساتين في أنحاء الإقليم الذي يقيمون به

ولما استكشف سر زرع الغراس وزرع الحبوب استطاع الإنسان أن يكف عن التجوال صعوداً وهبوطاً على سطح الأرض وأن يقر في مكان يستثمر به الأرض طلباً للقوت. وقد عرفت كل القبائل ذلك في أوقات طالت أو قصرت فاستقرت بأماكن حضرتها

وساعدت الطعوم الإنسانية هي السبب في صناعة الأواني فمنها أوعية للماء وأخرى للطبخ وأوعية لحفظ الطعام بين وجبة ووجبة، وأخيراً أوعية ليتناول منها الطعام

وما أعجب الحالة التي يقدم بها له الطعام تقدماً بالتبديل من الأوعية الشبيهة المصنوعة من طين الأرض إلى الأواني الصينية التي تكاد تكون شفافة تماماً

وكانت كل أسرة تأكل على مائدة واحدة وكل طعامها واحداً في الغالب، ثم صار لكل فرد طعامه الخاص. وفي نفس الوقت كان التقدم مستمراً في ناحية أخرى بفضل مجاعة العالم إلى الطعام فإن الإنسان كان يجوب الأرض براً وبحراً فاستطاع نقل الطعام من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب حول الكرة

الأرضية. ولكن الطعام الذي حمل كل هذه المتاعب البعيدة أو التي تحفظ مدة طويلة يجب ألا يكون في درجة من النضوج لا تسمح بالنقل الآمن إليه إلى الفم. ويجب أن تستبقى فيه حلاوته وسلامته وجدته، فجاءت علبة الصفيح المختومة ملائمة لهذه الحاجة، وبواسطتها أصبح عهد استكشاف الطعام تاماً

كان على الإنسان في البداية أن يكتفي من الطعام بما تلقاه [illegible]، ومن ثم [illegible] الهجرات المنظمة ثم تعلم صنع الطعام في موطنه، وبذلك [illegible] البيوت المتصلة. والآن يستطيع أن ينقل الطعام إلى حيث شاء؛ فأصبحت له الحرية [illegible] في الانتقال، وقد [illegible] هذه الأساطير في كل الصورة. ففي البدء كان عليه أن يتحرك ثم كان له أن يستقر، والآن له أن يتحرك وأن يأخذ معه مخزن الأطعمة أو يستقر ويستدعي إلى مائدته الطعام من أنحاء العالم

وفي هذه الرسم اللاتي [illegible]، وفي [illegible] صنع الأواني وتأثيره على الطبخ، وفي [illegible] الكيمياء وتأثيرها على اختيار نوع الطعام وطرائق تناوله، وفي هذه العالم الفرنسي الذي سنتحدث عنه وعمله على مائدة؛ في هذه القصص سنرى تطور هذه الأشياء

الأقاصيص كثيرة في كل قبيلة على سطح الأرض عن الأيام الأولى من عهد علم الإنسان، على هذه [illegible] العجيبة من الطرائف وما في بعضها من الكنوز التي تنتظر المستكشف. ومجموعة من مثل هذه الأقاصيص توضح لنا كيف [illegible] أنفاسها من الأرض

لا بد أن يكون أقدم الناس في عهد سكنى الكهوف قد لاحظوا أن بعض أنواع من الأرض [illegible] صلبة وأن بعضها [illegible] والبعض [illegible]. ومن جهة ما في كل إقليم لا بد أن يكون قبيلة وربما كانت إحداها عند شاطئ نهر أو جانب الغدير أو [illegible] على مقربة من السكن. وقد لاحظ الناس ذلك النوع الخاص من الأرض الذي تنطبع عليه آثار الأقدام [illegible] عندما تظهر الشمس

لسنا ندري من الذي [illegible] هذا الاستكشاف فقد يكون رجلاً أو امرأة أو طفلاً ممن يلعبون بصحفة من الطين كما في عادة الأطفال من عهد لا تعيه الذاكرة [illegible] أو وضع هذا المستكشف [illegible] على [illegible] مصنوعة من الخشب أو كتلة [illegible] ثم أدرك أنه حين تجف الطين [illegible] بعد كما كان بل أصبحت صلبة متماسكة [illegible] على الشكل الذي وضع عليه وهي عجينة

ومهما يكن السبيل الذي أمكن الوصول منه إلى هذا الاستكشاف فإن كل قبيلة [illegible] قد [illegible] أواني بسيطة الشكل من فخار مصنوع من الطين، [illegible] وهو تكييف الطين بأشكال يمكن [illegible]، أو صنع أشياء جميلة منه، هو أقدم الفنون وأوسعها انتشاراً

* * *

إن هذه [illegible] المرء معرفة [illegible] الأرض العجيبة التي حازها [illegible]، وقصة [illegible] أساليب استعمالها — إن هذه القصة تتكون من قصص [illegible] لاستكشافات موفقة وصل إليها العالم في عصور مختلفة من التاريخ على أيدي أعضاء في كل قبيلة

وقد كان إنجاز [illegible] الكشوف الخمسة أسرع في بعض القبائل من بعضها، فعرف الاستكشاف المعروف في بعض القبائل مائة عام أو [illegible] بل قد يبلغ الفرق آلافاً من الأعوام

لكن كلا من هذه الاستكشافات قد وصلت إليه قبيلة [illegible] على يد [illegible] منتج من رجالها قبل أن تصبح [illegible] من الأعمال العامة

أما الاستكشاف الأول فهو أن بعض تراب الأرض صلصال حقيقي [illegible] عند [illegible] ليعاني صلابة شديدة وأنه إذا وضعت عليه علامة عند [illegible] فإنها تبقى بعد جفافه

وأما الاستكشاف الثاني، فهو أنه من الممكن صنع طين [illegible] طبقات من هذا الصلصال [illegible] فوق [illegible]، وتركها في الشمس حتى تجمد

وقد كان صنع الأوعية في حقبة عظيمة حقاً من حياة الناس [illegible] لم يدركوا ذلك في البداية، [illegible] الإناء الذي [illegible] باليد يحتفظ بشكله عند وضعه فوق النار، أو عند وضعه في حفرة ساخنة هو الوسيلة الوحيدة لجعل الطبخ الحقيقي في حيز الإمكان، ولم يبق بعد [illegible] من ضرورة لإنضاج اللحم [illegible] على [illegible] فوق النار، ولا [illegible] بإحراقه في فرن، ولم يبق من ضرورة كذلك [illegible] الحبوب، وصنع [illegible] (ملاعق) [illegible] ليسهل

الخلاص. إن سحر النار قد أمكن الانتفاع به في تهيئة الطعام، لما أصبح من الممكن صنع طبق أو وعاء يوضع الطعام فيه على النار فلا يحترق.

وأما الاستكشاف الثالث فلا شك أنه معرفة أنه يمكن استخراج مادة أصلب وأمتن من الصلصال بإضافة الرمل أو مادة أخرى إليه. ... بصنع الصلصال وحده تصنع الأطباق، فهو يصنع خليطاً ... هو أتم من ذلك ... بصنع صنع الطوب الذي بنى به القارئ. وهل تذكر أنك قرأت في قصة موسى شكوى الشعب اليهودي من أنه لا يستطيع صنع الطوب خالياً من التبن؟

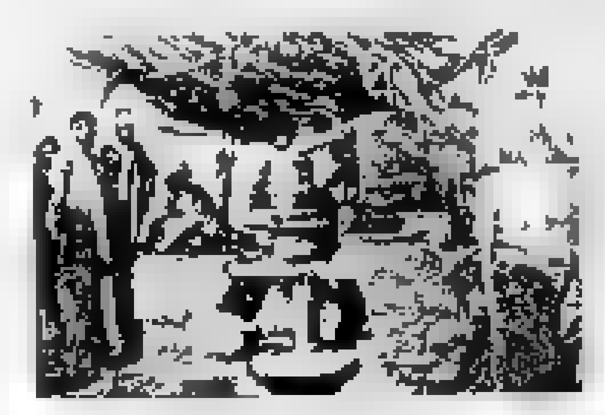

صناعة الصلصال
أحد صناع الأواني في معبد مصري في العهد القديم

إن الفن يؤدي في ترتيب الطوب ما تؤديه الرمال في مصر وفي المكسيك وفي الأنحاء الجنوبية من الولايات المتحدة وفي كل المناطق الحارة التي يكثر فيها الصلصال بين الأكواخ من الطوب النيء أي الذي تجففه الشمس.

وقد كان أول ما صنع من الطوب جديراً بالملاحظة والاهتمام في حياة الإنسان. وذلك لأنه جعل في حيز الإمكان بناء بيوت يسكنها.

وبعد أن شاع استعمال النار حدث بطريق المصادفة أن طيناً سيء الصنع أو قطعة من الطوب قد ترك أو ركب بالقرب من النار، فوجد في اليوم التالي أصلب وأمتن من الصلصال الذي يجفف في الشمس.

ووجد قوياً صلباً كأنه قطعة من الصخر فلا يتفتت بالماء ولا المصطبة. فكان صنع الصلصال في النار هو الاستكشاف الرابع في تاريخ الفخار. وقد مضى زمن طويل قبل أن يجيد الناس شيئاً آخر غير صنع أطباقهم بواسطة النار.

صنعوا «الفخار» وهي أواني تصنع في العادة على شكل مقدار ... الطين وهم يصنعون فيها ثقوباً صغيرة في سطحه، ومن ... عند ... وعند ... ثم يأتحرو بمقدار القوارير ... السكانية ... كل نوع من أنواع الزرع والمواد المختلفة التي يجب أن يصنعها ذلك الفنان كل جنس من الصلصال.

ويكون سر إحراق الصلصال هو الأساس لصنع كل ما يتعلق بالفخار والطوب، كما في ذلك ما يصنع اليوم من أواني الصيني ومن الأوعية الحلية السكرية ومن الأحجار التي تشاد بها مباني العصر، وألف من آخر ما أشتمل عليه مدنيتنا الحاضرة.

أما الاستكشاف الخامس فقد جاء في عهد متأخر عن هذه: جاء في العهد الذي نقل فيه الإنسان إلى العقل وإلى الصنع شيئاً من صنعه.

وقد كان صانعو الصلصال في أقدم العصور يحاولون على ... أن يقوا الأواني ... ولو لم يكن ذلك إلا ما أثر الإبهام على هذه الأواني.

وكان المصريون والبابليون واليونانيون يحلون أوانيهم والطوب الذي يصنعونه والتماثيل بألوان لامعة مستخرجة من أكسيد ... والنحاس الأحمر الصحيح.

وكان اليونان يستعملون دهاناً صلباً يطلون به الأواني الحمراء باللونين الأسود والأحمر، ويكون الفخار الرقيق اللامع الذي يكاد يكون معدناً لم يكن من صنع شعب من هذه الشعوب، فإن صناع الأواني في الصين قد بدءوا تجاربهم بإحراق الصلصال في «الفخار» حين كان معاصروهم المجاورون من الشعوب الأخرى لا يزالون يصنعون الأواني من الطين المجفف في الشمس. وكان الصيني بالفخار أمراً معروفاً في الصين قبل ألفي عام من بدء التاريخ المسيحي، وفي القرن السابع المسيحي تعلم الصينيون أن يضيفوا إلى نوع خاص من الصلصال اسمه «كاولين» نوعاً آخر من ... الرمل اسمه ... فيستخرج من جهة ...

أدق . واسم « كولين » مأخوذ من اسم جبل في الصين (كاو - لين) أي القمة العالية . وقد استخرجوا لأول مرة من ذلك الجبل ذلك الصلصال العجيب ، وهو غير قابل للذوبان مهما اشتدت حرارة النار . والجزء منه كما جاء في التعبير الصيني : يصنع عظام الأواني

وأما السليكا فإنه يشبه اللحم ، أي أنه قابل للذوبان على درجة عالية من الحرارة . ومتى ذاب تكون منه زجاج شفاف جميلاً

وبالجمع في مزج هاتين المادتين أمكن صنع الأواني الصينية التي لا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم . وقد ظل سرها نحو ألف عام غير معروف في الغرب حتى تحول الصينيون في هذه الصناعة . وسنذكر الآن ... الكيمياء ... المشار والمسحوق « البودرة »

وقبل أن نسرد هذه القصة الأخيرة من الصين نرى أن نعير نظرة إلى فن آخر يقرب من هذا الفن وهو صناعة الزجاج وهي كما رواها « بلايني » أحد الكتاب الرومانيين الذين عاشوا في القرن الأول بعد المسيح . وهذه القصة عن مستكشف استكشفه بمحض

كانت سفينة تجارية رومانية تعبر البحر الأبيض المتوسط وعليها حمولة من النطرون وهو نوع من الصودا ، يشبه الماء ... وكان الأقدمون يستعملونه في الاستحمام وغسل الأقمشة

وفي أثناء سير السفينة هبت ريح ضد اتجاهها فألجأتهم إلى شاطئ رملي ... قرب مصب نهر في سوريا ، فأوقد البحارة ناراً على الرمال ليصنعوا طعامهم

ولما لم يجدوا صخوراً استعملوا قطعاً من النطرون على الأواني فأدهشهم أن يروا سائلاً من الزجاج الذائب يجري في معسكرهم بين النار وبين الماء . وكان هؤلاء البحارة قد عسكروا على موضع من الرمال كثيرة الزجاج بمادة معدنية مما يستعمل في صنع الزجاج ، فصهرت حرارة النار هذا المزيج من تلك المادة ومن النطرون بحوب . وكانت النتيجة مدهشة ، وطالما أن بعض هؤلاء الملاحين قد أخذوا إلى وطنهم بعض تلك الرمال مع ما كان تحمله السفينة من البضائع

هذه قصة واحدة عن صنع الزجاج من بين قصص كثيرة يمكن أن تروى ... وهي تريك أن طرق الاكتشاف والاختراع في أماكن مختلفة من الأرض كان يستكشفها فريق من الناس ... منهم هناك ، ولو أنهم كانوا على اتصال ببعضهم ببعض ... الشعوب اليوم ، ولو أن أحدهم كان ما عثر عليه في سره ... للدهشة أوسع انتشاراً ولقرب من موضعها بعض ... من الصين

ويكفي أن نذكر في تلك الأيام قد عرفت آلة الطباعة فكان شأن المعرفة ليس بالأمر السهل ، وكانت الشعوب المتعرفة تفصل بعضها عن بعض مجاهلات لا يعبرها إلا القليل ذات الشر ع ، وكانت الصحارى والجبال لا تعبرها القوافل ... ، وكانت تلك الأيام أيضاً تختص بها بعض الشعوب ... وكان من الطبيعي حدوث استكشاف علمي عظيم في أحد البلدان ويبقى سراً مكتوماً عن البلدان الأخرى حيناً

وكذلك كان الأمر في صنع الصيني

(يتبع) ع . ج

من هنا ومن هناك

ألمانيا وإيطاليا عند مصري ظريف

[عن مجلة « موند »]

قد يخطر على بال الكثيرين ممن يتتبعون الحركة الفاشية في أوروبا، أن الشعب الإيطالي والشعب الألماني متشابهان من وجه الشبه، في الميول والعواطف، وأن مظاهر الحياة العامة متفقة في الوطنين المتحدين.

والحقيقة أن الصلة بين جماعة النازي في ألمانيا، وجماعة الفاشست في إيطاليا، صلة بين الحكومتين فحسب من حيث وجهة النظر الخارجية، أو ما يسمى محور برلين روما.

وقد كتب الأديب مراد مومجهاي في مجلة « كالمبان » عموم مقالاً في هذا الموضوع قال فيه إنه زار البلدين في الأيام الأخيرة، وعرف أحوالهما عن كثب، ويستطيع أن يقرر أن الشعب الإيطالي ليست له ميول متجهة نحو ألمانيا، وقد سمع كثيراً من النقد اللاذع ضد ألمانيا على ألسنة بعض الإيطاليين الذين لم يرتاحوا إلى تقييد إيطاليا به.

وقد راعه ما رآه من الفرق الشاسع بين مظاهر الحياة في كل من البلدين الدكتاتوريين. فقد دب الفساد إلى كل شيء في ألمانيا، فالطعام لا يخلو من الغش، والنقص يتزايد في كمية السلع المعروضة في الأسواق. أما في إيطاليا فالأمر على خلاف ذلك، ولم تستطيع أن تجد فيها ما تريد بغير مشقة. وفي ألمانيا تنتشر الجاسوسية في كل مكان فلا تخطو خطوة أو تتكلم كلمة إلا وجدت من يرقب عليك كل خطوة ويحصي كل كلمة فلا يمكنك أن تعيش ساعة بعيداً عن الشكوك التي تحيط بك من كل جانب. أما في إيطاليا فحرية الكلام مكفولة وسياحة بصفة عامة. وقد تمر ببعض شوارع ألمانيا فلا تجد غير ذوي الملابس الحربية ومناظر الجنود تملأ الرحب. وكذلك في إيطاليا لا يروعك سوى أسراب السيدات الأنيقات يخرجن إليك من كل صوب، والأطفال يخرجون مع أهاليهم بغير رقيب أو حسيب.

ويقول الدكتور مراد مومجهاي: لقد وجدت الحالة في ألمانيا على وجه العموم سيئة لا تطاق، ولقد اعتدت زيارة ألمانيا منذ خمس عشرة سنة وكنت أزورها أكثر من مرة في العام الواحد، ولي فيها أصدقاء كثيرون، ولكن منذ الآن فإني لا أستطيع أن أتحمل. لقد غابت مظاهر الحياة عن الوجوه، واختفت الابتسامة التي كانت تشرق على أفواه بعض السائرين في الطريق، ووصلت ملابس المرأة الألمانية إلى درجة بعيدة من البساطة، كما أن أثواب الزينة والحلي قد أدركها الفقر الشديد. ويقول مراد مومجهاي: إنه يسهل على الملاحظ الذي يتردد عليها أن يرى أن صناعة إصلاح الشعر ومواد التجميل على وجه العموم قد أدركها الكساد في ألمانيا. وقد أصبحت مظاهر الابتهاج في برلين أقل مما في المدن الصغيرة، إذ أن طرد اليهود والضغط على حرياتهم قد حرم هذه المدينة وغيرها من المدن الكبيرة مظاهر الأبهة والعظمة وعناصر الثقافة الممتعة، فما لا شك فيه أن عنصر اليهود كان له أثر عظيم في حياة ألمانيا التجارية والاجتماعية والثقافية.

أما في إيطاليا فإن القوانين التي شرعت لاضطهاد اليهود ليس لها أثر في الحياة العامة. وقد تجد كثيراً من الإيطاليين يترددون على أصدقائهم اليهود يبادلونهم الوفاء والإخلاص دون خوف من الحكومة أو عقاب.

الموظفون يسخرون في مصانع الحكومة

[ملخصة عن « لاوبل هبدومادير »]

لعل أهم مظاهر التغيير في ألمانيا اليوم، هو تحويل عدد كبير من الأعمال، إلى عمال في مصانع الحكومة، ومما يستفاد من تقرير حديث عن حالة العمال الألمانية، أن عدد المشتغلين بالمصنوعات اليدوية ممن زيد سنهم على الستين، قد زاد في الأيام الأخيرة فأصبح ٢٨٣٠٠٠ بعد أن كان لا يزيد على ٢٤٧٠٠٠

في السنين الماضية وقد وجد بين هؤلاء العمال نحو ستين ألف عامل تزيد سنهم على الستين، ويدل هذه الأرقام على أن الرجل في ألمانيا مطالب بأن يشتغل ويكدح، ولو تقدمت به السن وأنهكته السنون.

وقد أخذت الحكومة في الأيام الأخيرة تستدرج أصحاب الحوانيت الصغيرة من العمال إلى مصانعها حيث تستخدمهم في شتى الأعمال التي تطلبها حكومة النازي، وصدر مرسوم بإباحة إغلاق الحوانيت الصغيرة، إذا كان أصحابها قادرين على العمل في مصانع الحكومة، ويسري هذا القانون على أصحاب الحوانيت الذين يعجزون عن دفع الضرائب.

وقد تبين أن عدد المتاجر الصغيرة في ألمانيا قد نقص من ٠٠٠ر٣٣ سنة ١٩٣٤ إلى ٠٠٠ر٢ سنة ١٩٣٨ وفي مايو سنة ١٩٣٩ أعلنت الحكومة أنه من المحتمل إغلاق عدد يتراوح من ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ من المتاجر والحوانيت الأخرى على التدريج.

ومما لاحظه البنك الأهلي الألماني في أحد تقاريره الثانية أن ٦٧٠٠٠٠ ممن حشدوا مللأً للعمل بالمصانع.

وجاء في تقرير للدكتور ... وهو من كبار موظفي الحكومة، أن الملايين من العمال الذين تحتاجهم ألمانيا لمصانعها تستطيع أن تجمعهم بشتى الطرق، ولو أدى الأمر إلى حشد ... والتحدي إلى المصانع، ووضعهم في الأعمال التي يجيدونها.

ويقول هذا الموظف: لا حرج على الحكومة في إرسال الموظفين والنساء والخدم إلى المصانع وإصدار قانون التسخير إذا احتاج الأمر.

وتقول صحيفة ألمانية: إن النساء في مصانع الحكومة يشعرن بشيء من الرهبة والخوف ومن يشتغلن تحت الرقابة الشديدة فتضطرب أعصابهن في كثير من الأحيان، وإن لم يرغبن في أدائها على أكمل الوجوه.

فما هو السبب الذي يؤدي إلى اضطراب المرأة هذا الاضطراب ومن يعينه على ...؟ إن مظاهر الخوف التي تحيط بها تدعوها إلى ذلك الارتباك، فهي معرضة لأشد التهم وأقسى العقوبات على الدوام وإن كانت تعمل ما في وسعها للقيام بعملها خير قيام. ويلاقي ... الألمانية صعوبة لا يستهان بها مع العمال وإن كانوا من خيرة الرجال الإخصائيين، فهم يقصدون الإبطاء في إنجاز أعمالهم التي تتطلب السرعة والإتقان، وعلى أن يروها ... الكافية، بل إنهم مساقون إلى العمل في تلك المصانع تحت حكم الإرهاب.

الطعام والخرافة

[عن ...]

لم يخل عصر من الخرافات الشائعة حول الطعام الذي يأكله الناس، فقد كانوا في القرون الوسطى مثلاً، يتوجسون من تناول الفاكهة الطازجة، وكان أكثر الناس في ذلك العهد يعتقدون أنها تسبب الحميات. ومما روي أن جالينوس كان يعتقد أن أباه لم يعمر طويلاً لأنه كان يتعاطى تناول الفاكهة، وقيل عنه كان أول داع إلى انتشار هذه الفكرة. ومما جعل هذا الرأي يزداد رسوخاً في أذهان الناس على مر الأجيال ازدياد عدد من يموتون بالحمى والتيفوس في أشهر الصيف. وقد مضت قرون عديدة قبل أن يستطيع الناس أن يعرفوا أن هذه الأمراض تنتقل إلى الإنسان مع الماء الذي يشربه. وكانوا يحرصون على العصمة التي تنال به الخضروات، فكان طعامهم مقصوراً على الكرنب والبصل والفجل والخس وبعض الألبان. ومن ثم كان الأغنياء يترفعون عن تناول الزبد، ويعدونه من طعام الفقراء.

وكانوا في تلك العصور يستقبلون الفاكهة الجديدة بحذر شديد، فلما ظهرت الطماطم في القرن التاسع عشر، كانوا يصفونها على الأقل لأجل تزيينه ... حتى بدأت تظهر في الأسواق ... وأخذ بعض الناس يقبلون على شرائها، شاع بين الناس أنها تسبب مرض السرطان فكفوا عن أكلها، ومازالت هذه الفكرة المضحكة متسلطة على أذهان العامة والخاصة إلى عهد قريب.

أما الخرافات حول الطعام في العصر الحديث، فأكثرها يدور حول الرشاقة، ومحاولة تخفيض الوزن. ومما لا شك فيه أن زيادة السمن تأتي من تناول كمية من الطعام تزيد على حاجة الجسم؛ فالرجل الذي يتناول مقداراً كبيراً من الطعام يزيد على المقدار الذي يستهلكه جسمه لا بد أن يزيد وزنه، ولا شيء يمنع جسمه من التضخم، إلا التمرينات الرياضية التي تعادل هذه الزيادة في الطعام. ومن الخطأ الفاضح ما يتحدثون به عن صلاحية بعض الأطعمة لإزالة السمن أو المساعدة على الرشاقة، فلا يوجد طعام قابل للهضم والتغذية يؤدي إلى تخفيف الوزن. وإن كان بعض الأطعمة أقل من البعض في التغذية.

ومن الخرافات الشائعة التي اعتقدها الكثيرون أن الخبز المحمص أقل من الخبز العادي في ... وهذا مخالف للواقع كل المخالفة إذ أن تحميص الخبز لا ينقص منه شيئاً غير الماء ويبقى الخبز كما هو

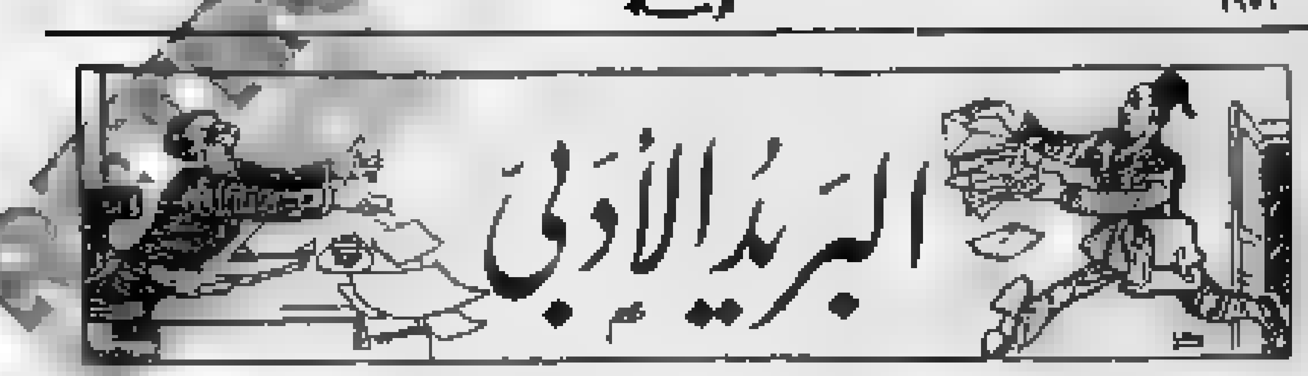

على هامش خطاب رئيس الوزراء

إدارة الدعاية في وزارة الشؤون الاجتماعية

جاء في الصحف أن إدارة الدعاية أنشئت في وزارة الشؤون الاجتماعية، وأنها تشرف على الفرقة القومية والمسارح المختلفة، وعلى دور السينما وقاعات الغناء، وعلى برامج الإذاعة، وعلى قيام المهرجانات الشعبية، وأن مدير هذه الإدارة هو الأستاذ توفيق الحكيم.

هذه إدارة جديدة نشأةً، ومهمتها مهمة، ومديرها معروف؛ أما مهمتها فصيانة الدولة عما يضر بها، والأمة عن بعضها. وأما مديرها فهو الشيخ الذي جمع الاجتهاد والروية، فنال سهماً وافراً من الثقافة العامة بما شهدوا في إقامتهم بأوربة، وما عرفوا من طريق القراءة الطيبة. وعلى هذا، فإن هذه الإدارة تواجه ما جاء في خطاب رئيس الوزراء من العمل في تقويم سلوك الأمة، والاعتماد على أهل الرأي والخبرة ممن سلموا من الغرض والنقائص.

* * *

في رأيي أن إدارة الدعاية يحق بها أن تُعنى بأمور أربعة: الأول، تنشيط الهمم وبث العزة القومية في الأنفس. والثاني، تهذيب الشعب من جانب التسلية. والثالث، بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها. والرابع، خدمة الفن الخالص.

أما الأمر الأول فيتطلب، أول ما يتطلب، معاودة طرائق الف... السعيد بالأمس، فقد أجمع الكتاب أن الفلاحين المصريين يعيشون في أي وضع حتى إذا ... بالحرم، فيضرب المثل في ... النفس والقوة في محنة الأحداث ... من الفلاحة،

وبالشعب حاجة إلى ما ينشطه ويحميه، فإنه أصبح مسئولاً عن حرمة الأرض التي يضرب فيها بعد أن كان في غيره مشكلاً كل الإشكال. فلتضرب إدارة الدعاية في أماكن الفلاحين ... النشيد، ويأمر بإقامة ... والغلى والترويح والتسلية. وإذا ... فلتفتش الإدارة عن الناظم الذي لم يأكل حقه ... مصنوع أو شعور مقيم.

والعزة القومية تُبث في الأنفس من طريق المهرجانات والأعلام التاريخية خاصة، إذ تجري حوادثها في عهد السلطان الواسع والدولة المتمكنة، ومن طريق المحاضرات التوجيهية، ثم من طريق المهرجانات، حيث تنشر الأعلام وتعزف الأناشيد ويهتف ... وذلك لتنصب الحماسة! وقد شهدت نوعاً من هذه في حفل ... التاريخ.

وأما تهذيب الشعب من جانب التسلية فبتنظيم المحاضرات السهلة الجذابة، وموضوعها ما يدور حول الصحة والأخلاقيات والوطنية، وبتقديم مسرحيات مؤدبة بالغة الغاية على أن تكون غير مرذولة.

وأما بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها فالقصد منه وضع الشيء موضعه، فلا يهجم على ... أو ... ولا يحصل ... على ذلك بغير حق، ولا يعد ... ولا يعلق على ... المختلفة التي لا وزن لها، ولا تسري مسرحية ثم لا ... ولا ... لأنه ... الصمت إلخ من حق الكتاب كلها أن ... تستشر ... هذا قليل من كثير.

بقي خدمة الفن الخالص. فإذا قلت إن الفن الخالص ... (أرستقراطي) فلا خير فيه للأمة، قلت إن في الأمة عامة من أهل الثقافة العالية فلا بد لهم من غذاء، بل الأمة محتاجة

أن يقال إن بين كتاب مصر من هو متعصب لفن الإنشاء الرفيع ومن الموسيقيين من يكره الأنغام المطروقة والجمل الموروثة المألوفة ، ومن الراقصين أو الراقصات من يأنف من تكلف رفع الساق وخفض الردف ، فإذا كان الأمر كذلك ويستطيع يفضل أهل الفن الخالص كما شاء ، على وجه العموم ؟ وهل يجوز لمصر أن يحرم منها ؟

هذا ونحن في الفن المصور والنحت مما أستطيع إثارة الحماسة من أجله على رحب ! وفي مصر فئة من المصورين والنحاتين لم أن يظفروا بالتقدير والرعاية ، فمعارضهم لا يقصد الناس إليها كثيراً ، ومن واجب الصحف توجيه همتكم أن ترشد الناس إلى تلك الصور والتماثيل

ومن مأمول أن يفلت هذا الفن مطلقاً (وكذلك الفن المسرحي) من القيود المختلفة ويتحرر من سطوة الأوضاع التقليدية أو المذاهب السياسية حتى لا يحول مراقبه عن يد ألمانية حيث النازية تنكب على كثير من ألوان الفنون المستحدثة باسم ... وفساد

(الإسكندرية) بشر فارس

حول رواية محمد علي الكبير

حضرة الأستاذ الزيات

قرأت في العدد الأخير من (الرسالة) كلمة بإمضاء الأستاذ يوسف تادرس خاصة برواية (محمد علي الكبير) يرد بها على نقد الرسالة الفني .

وليس يعنيني من هذه المناقشة إلا أمر واحد ، وهو أن الأستاذ يوسف تادرس يتحدث عن الرواية كأنه من وضعه وهو يقول عن نفسه :

« وجعلنا أن أصور محمد علي باشا في صورة المصلح الخ »

ثم قال

« وإني أعتقد من أن أصور منشئ مصر الحديثة في هذه الصورة » الخ

والذي يفهم من هذا أن الأستاذ له يد في تصوير أشخاص الرواية

وتقريراً للحقيقة ، وحفاظاً لحق الأدب في هذه الرواية فرد الذكرى أرجو أن يظهر أن حضرة ... تادرس ليس له من هذه الرواية إلا أنه اشترك في وضع ... على أساس الرواية الذهبية التي سبق لي أن اقتبستها ... « ابنة المملوك » ، وليس أرجو بأن ينسب ما تصوير لشخص آخر سواه ، أكان ذلك التصوير حسناً أم سيئاً

وأما من حيث المكافأة المالية فإني أرجو أن ينظر أني لم أنل منها شيئاً ... حصل ... بصدور رأي حضرة ... « ... كامل » الذي يظهر أنه ... الاستيلاء على هذه المكافأة ، وقد كان الأستاذ يوسف أفندي تادرس قد حصل على تلك المكافأة ، فليس لي غير ذلك

ولعل في ذلك الأمر موضعاً للتأمل في تصرف الأدباء في مصر

ولك تحياتي الخالصة   محمد فريد أبو حديد

بين الدكتور بشر وأدهم

أعلم شيئاً في الجدل القائم بين الصديقين الدكتور بشر فارس وإسماعيل أدهم ، وهو جدل طال عهده بين أخذ ورد ، وهجوم ودفاع ، وتشعب ... وتفرعه . وكانت مناوشته الأخيرة أن كتب بشر فارس أن أدهم اقتبس منه بعض نقده كتاب « فرعون الصغير » للأستاذ محمود تيمور بك

وقد رد إسماعيل أدهم بأنه كتب مقاله وأرسله إلى « الرسالة » بعد منتصف شهر مايو أي قبل أن يظهر نقد بشر فارس في « المقتطف » أول يونيه ، وأنه أطلعني على هذا النقد في حينه ، وأن صاحب « الرسالة » أخبر بذلك

وعلي أن أذكر أن إسماعيل أدهم أطلعني على ما كتبه ... مقالة في كتاب « فرعون الصغير » وقال لي إنه سيرسله في الغد إلى « الرسالة » ولكني لا أذكر اليوم شيئاً من هذا الرد وهو كان يحسن ما يقول إسماعيل أدهم أنه لم يقتبسه من بشر فارس أو لا

ومن الممكن الفصل في هذا الخلاف عند صاحب « الرسالة » فإن الأستاذ الكبير لا بد ذاكر متى وصلته مقالة إسماعيل أدهم وكيف تأخر نشرها

وبعد فإني لم أكتب كلمتي هذه لأنتصر لهذا أو ذاك من المتناظرين ، فكل واحد منهما صديق ، الصداقة التي يرجوها .

ولكني أقصد إلى أن هذا الحفل قد طال أمده وتشعبت نواحيه وتعددت أساليب الخصوم فيه حتى لم يبق منها رجاء لمستزيد ، وحتى وقف جمهرة القراء على آراء الفريقين وصاحبيهما ، ولعل الأستاذ جليل صاحب « الرسالة » لا يعدم أسلوباً من أساليبه الحسنة لإنهاء ذلك بعد أن يجمع شكل من المتناظرين حججه في إجمال آرائه في أسطر معدودة ، والجمهور بعد ذلك أن يحكم لهذا أو ذاك أو يسكت عنهما

وأنا واثق أن سيجد أمرس هذا الاقتراح أصدق من رأى أصدقاء الأديبين الفاضلين الدكتورين بشر فارس وإسماعيل أدهم والمعجبين بأصحاب النية وهم كثيرون

(الإسكندرية) محمد ... ...

« الرسالة » نحول أن نصيحتها مؤيدة . ... كانت ... الأستاذ أمين ... من المصحين ... أحمد ... وحكم ...

حكومة قاسية ؟

حمر ، ثم حمر ، حكومة قاسية ، قاسية ، قاسية

ولكن من الذي يقول بهذا ؟ إليكم البيان

لما أعلنت الحرب ، تسابق المتجرون في مصر إلى رفع الأسعار ، أسعار الأشياء المعاشية ... فلم يؤذني ذلك ، لأني قضيت دهري في الحدود التي صرح بها الشاعر إذ يقول

سمت أرباع خفض لا أبالي أنا المطوي لقلب معتق

فأنا أحتقر الضرورات المادية للعيش ، وأكتفي بالقليل حين لا أجد غير القليل ، وأتأسى بالتعبير الذي كنت أحفظه يوم كان يكرره المعاق في عربي ، التعبير الذي يقول On s'en passe

فقد وطنت نفسي على الأزمة التي تقضي بها جرائم الحرب ، وقلت : سأحيا في ظلك صبراً وأنا لا أدري !

ولكن هنالك أشياء لا أستغني عنها أبداً ، وهذه الأشياء هي ورق الطباعة الذي يحتاج إليه المؤلفون في كل وقت ، وقد صرت مؤلفاً من حيث لا أحتسب ، وتطلب القراء فأوحوا إلى في أنفسهم معرفة وجب أن أحسب لرضاهم ألف حساب !

وهل كنت أول مؤلف صدقه القراء ؟

أليس في مصر نحو عشرين أو ثلاثين مؤلفاً يجعلون أرزاقهم وأوراق أحلامهم فيما يشترون من الورق وما يقدمون إلى المطابع ؟

أليس في مصر عدة مجلات أدبية وعلمية أصحابها من أبنائهم يعيشون بالقراء ؟

قامت الحرب ، ولي في المطابع ثلاثة مؤلفات ، منها كتاب نفد طبعه منذ أشهر طوال ، وهو يطلب كل يوم ... الكتاب مرارة في قلبي ، لأنه من محصول ... في سنوات ، هو كتاب « عبقرية الشريف الرضي » الذي أعلن من طبعته الثانية بعناية في مجلة « الرسالة » لأني ... وهي ، وهو يعاني من قسوة تجار الورق أصناف ما أعاني ...

وأصرح الحق فأقول : شرعت في طبع ذلك الكتاب مطلع الصيف ، ثم ضاق صدري بما أريد ، فاحتجت لأصحاب المطابع بأني أحب أن أقضي الصيف في شغل ألطف من الطبع والتصحيح وهو مشاهدة اللؤلؤ المنثور فوق شواطئ الإسكندرية وشواطئ بور سعيد وشواطئ دمياط

وهل يحظر على رجل في مثل حالي أن يستقبل مؤلفاته ليمتع عينيه بمشاهدة اللآلئ ؟ ولكن لابد مما ليس منه بد

الحرب أعلنت ، ويجب أن أفرغ من طبع ذلك المؤلف قبل أن يغيب الورق من المطبوعات

الورق ! الورق !

ثلاثة أمثال أسعاره ... تبعت ... وأصحاب الورق ... بالمسألة الصحية ... شرعت في طبعه من ذلك المؤلف ، وانتظرت حتى تنقضي الحرب ، ولكن الحكومة — الحكومة الحازمة التي رتبت الرجو الحازم على ... — ... سعيرة لأكثر الأشياء ، ومنها الورق

وعندئذ أسرعت لأشتري ما أحتاج إليه لإنجاز ذلك المؤلف ... التسعيرة ... التسعيرة إلا تجار الورق

فهل يعرف القراء ما الذي رأيت في عيون تجار الورق ؟

رأيت في عيونهم كلها صفحة بأحرف من اللهب ... رأيهم جميعاً يقولون : هذه حكومة قاسية لأنها صدتنا عن إرهاق من يشتغلون بالصحافة والتأليف !

وأنا أشهد علانية بأن الرئيس علي ماهر باشا رجل قاس لأنه صد عن ... المحرومين من تجار الورق ... من ... النعيم ... الأمن الخطير الذي ... علي ماهر ... ثم ...

متذكراً أنك أنقذتنا من ظلم تجار الرقيق، ومذكراً أنهم سيرجعون إلى غيّهم بعد قليل إن أمنوا سطوة الحزم والعدل

وستكون أول من أهدى إليه تلك الوثائق التي انتزعتُ بها من تجار الرقيق بفضل حزمك ورجولتك، وعند الله الجزاء

نظير عزائم الرجال | زكي مبارك

عثرة اللسان

قرأت في (الرسالة الغراء) سؤال السيد الفاضل (ع. م. ح) وقد وجدت في (اللسان) والتاج هذه: «لسان حصر لا يجد طعم الطعام»، وجاء في جمهرة ابن دريد: «يقال رجل حصر اللسان كما يقال حصر الأسد أي لا يجد طعم الطعام»، وفي (الإفصاح): «لسان حصر: لا يجد طعم الطعام». وابن سيده لم يذكر في المخصص في باب أدواء اللسان لا حصر ولا غيره، وقد نقل صاحب الإفصاح مؤلف الإفصاح إلى المجموع من المخصص أشياء من غيره كما نص عليه في خاتمته، ومن أراد ذكر فيعيّن معنى اللفظة التي نقلا عنها لأحل تعيينها

(طنطا) | أزهري

كتاب (التعليم والمتعطلون في مصر) شكر وتقدير

أهدى الأستاذ الجليل عبد الحميد فهمي مطر كتابه النفيس (التعليم والمتعطلون في مصر) إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا فتفضل رفعته بإرسال هذا الكتاب إليه

حضرة الأستاذ الفاضل عبد الحميد فهمي مطر

تلقيت شاكراً مؤلفكم القيم (التعليم والمتعطلون في مصر) ويسرني أن أبعث إليكم بعظيم الشكر على جميل هذا الإهداء، مقدراً أحسن التقدير ما أبديتم من عناية بهذا الموضوع الخطير، وما بذلتم من جهد في تقديم هذه الدراسة النافعة

وتقبلوا أزكى التحيات أطيب التحيات

(علي ماهر)

معهد اللغات الشرقية في كلية الآداب

نشرت الوقائع المصرية مرسوماً بقانون هذا نصه بعد الديباجة

مادة (١) ينشأ في كلية الآداب معهد يسمى «معهد اللغات الشرقية وآدابها» يكون الغرض منه التخصص في اللغات السامية ولغات الأمم الإسلامية والمخطوطات العربية القديمة والحديثة

مادة (٢) يشمل المعهد الفروع الثلاثة الآتية:

١ — فرع اللغات السامية

٢ — فرع لغات الأمم الإسلامية

٣ — فرع المخطوطات العربية

مادة (٣) تدرس في فرع اللغات السامية المواد الآتية: الأكادية، السريانية، الآرامية، العبرية، الحبشية، علم اللغات والنحو المقارن

وتدرس في فرع لغات الأمم الإسلامية اللغات الآتية: الفارسية، التركية، والأردية (الهندستانية) وما يتصل بها من اللغات الشرقية القديمة والحديثة غير السامية

وتدرس في فرع المخطوطات العربية المخطوطات العربية القديمة والحديثة في مختلف الأقطار والأقاليم

ويشمل المرسوم بعد ذلك على شروط القبول ورسم القيد وأمور أخرى خاصة بهذا المعهد

جائزة طلعت حرب باشا المصرية

لما عاد سعادة طلعت حرب باشا من أوربا في السنة الماضية معافى رأى بعض إخوانه من مديري البنك وشركاته أن يظهروا سرورهم بشفائه وأن يغتنموا هذه الفرصة لتقديرهم لما قام به من خدمة مصر الاقتصادية الصناعية، فاكتتب كل منهم بعشرين جنيهاً مصرياً، وقرروا أن يشتري بالمبلغ مائة سهم من أسهم بنك مصر تخصص ريعه سنوياً لجائزتين: إحداها للمتفوق في التعليم التجاري، والثانية للمتفوق في التعليم الصناعي، وتسمى كل منهما باسم حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا. وقد أرسل سعادته منذ يومين إلى صاحب المعالي وزير المعارف العمومية الخطاب الآتي:

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية

أتشرف بأن أخبر معاليكم أنه بمناسبة إبلال حضرة صاحب السعادة طلعت حرب باشا في السنة الماضية من المرض الخطير الذي كان قد ألم به في أوربا، اجتمع بعض إخوانه من مديري البنك والشركات المتصلة به، واكتتبوا فيما بينهم بمبلغ اشتروا به مائة سهم

من أسهم بنك مصر وخصصوا ريعها ليصرف جائزتين سنويتين؛ إحداهما للمتفوق في العلم التجاري والثانية للمتفوق في القسم الصناعي ويطلق عليها جائزة محمد طلعت حرب باشا

وبناء على هذا فقد أودعت في بنك مصر ثلاثة أسهم المذكورة تحت تصرف معاليكم ليصرف كوبونها لوزارة المعارف سنوياً

حول مقال

سيدي الأستاذ الزيات

أشكركم كثيراً لنشركم مقال «ابن حوقل» في العدد ٣٢٣ من الرسالة. وقد وقفتُ بعد إرسال المقال المذكور إليكم على كتاب «المكتبة العربية الصقلية» الذي اعتنى بجمعه ونشره المستشرق الإيطالي أماري Amari في ليبسك سنة ١٨٥٧ بعنوان Biblioteca Arabo-Sicula فوجدته قد نشر في الصفحة (٤ - ١١) من هذه المجموعة جانباً من كتاب «المسالك والممالك» لابن حوقل بعنوان وصف جزيرة صقلية

إن ما نُشر في هذه المجموعة الصقلية يعتبر إحدى النصوص الباقية التي سردناها في مقالنا السابق بكتاب المسالك والممالك

(بغداد) ميخائيل عواد

إلى رجال الأدب والتاريخ

في العدد ٣٢٣ من الرسالة الزهراء وفي مقال صديقي العزيز الدكتور زكي مبارك «جناية أحمد أمين على الأدب العربي» ورد ذكر الشيخ محمد صائم الدهر الذي طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب يحطم ما تركه المصريون القدماء من الأصنام والأوثان وجدع أنف أبي الهول الخ

وقد أثار هذا الاسم حواراً طريفاً وحديثاً لم ينقطع عند طائفة من الأدباء، فنحن نرجو من رجال الأدب والتاريخ من يذكر طرفاً موجزاً عن تاريخ هذا الشيخ وعصره ويكون في ذلك الإيضاح فائدة وعملاً مشكوراً

أم درمان (السودان) حسن عباس البدري

حول نقد كتاب

سيدي الأستاذ الجليل الزيات

قرأت في عددين سبقا من (الرسالة) الغراء، كلمة للأديب البغدادي حسين أحمد أمين يقصد بها كتاب «بحث النثر الجاهلي» للدكتور مهدي البصير. وقد عهدت إلى أحد الأدباء بنسخة من هذا الكتاب في وسط تموز الماضي، وكتب إليه عقب ذلك مؤلفه يسره أن أكتب عنه ما يعن لي من بحوث وملاحظات، فكتبت عنه كلمة طويلة حسبما أخذته على الكتاب ثم بعثت بنسخة منها أواخر تموز الماضي إلى مجلة «القبس» البغدادية. ومن غريب المصادفات أن أجد مقالة الأديب جاءت مشابهة لمقالي في موضوعها وجوهرها، لا في أسلوبها ومظهرها

وقد شاءت الظروف أن تنقطع مجلة «القبس» عن الظهور عقيب وصول المقال إليها؛ لأنها كانت تصدر نصف شهرية وأراد القائمون على أمرها أن تصدر أسبوعية من أول شهر «أيلول». والآن لم يصدر العدد الأسبوعي الأول من «القبس» حتى أصبحت في شك من مقالي المذكور قد نشر أم لا، وخشية من أن يتهمني الأديب (حلو) أو سواه بأني سرقت مقاله أو عرفته ونسبته لنفسي، أسرع بنشر هذه الكلمة والوقت لا يزال فسيحاً؛ وسندي في ذلك كتاب بعث به إلي الأستاذ صبري التكريتي محرر (القبس) يطلب مني أن أكون محرراً دائماً بها، ويخبرني بوصول مقالي عن كتاب البصير إليه، وهذا الكتاب بتاريخ ٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ م

ولعل صاحب (الرسالة) الغراء لا يضن على هذه الكلمة بالنشر؛ ولكم شكر وتحيات وسلام

«البصرة» محمد عزت الشرباصي

نظرات في كتاب

« بعث الشعر الجاهلي »

تأليف الدكتور مهدي البصير

بقلم الأديب خليل أحمد [illegible]

٣

لقد هدأت الثورة وعقدت العزم على محاسبة الدكتور مهدي البصير حساباً عسيراً لا رحمة فيه ولا شفقة . . ولكن الأستاذ الأديب شفيق [illegible] إلى [illegible] باب [illegible] يكون حسابي يسيراً لينا . . وسأفعل إن شاء الله

ولا يحسب القارئ أني سأحيد عن [illegible] و [illegible] فيها رأفة أو هوادة . . ولكني سأبذل قصارى جهدي وأحرص كل الحرص على أن يكون النقد نزيهاً صادقاً كما عودت وألفت وأبتعد عن هوى الأمور ، [illegible] على [illegible] إنسان [illegible]

لقد أجمع [illegible] على أن [illegible] الذي [illegible] من [illegible] ، ولكنه [illegible] على الدكتور البصير لا [illegible] فكان علي أن أعتبه وأسمح له أن [illegible] حادثة [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ، وكان علي أن أرعى الحق وأظهر الباطل في سبيل ما أحب وأعتقد ، وليس ذلك في [illegible] ولا [illegible] وهو أستاذ في الدار التي تخرجت فيها

لقد أخطأ هؤلاء الأصحاب [illegible] عن الصواب [illegible]

[illegible] نقد [illegible] لأستاذه [illegible] بالجميل لا [illegible] في [illegible]

والدكتور [illegible] سورة [illegible] [illegible] أن [illegible] هذا النقد [illegible]

أما [illegible] للمؤلف [illegible] في [illegible] الأبيات [illegible] الملاءمة [illegible] في [illegible] البيتين الأولين من معلقة امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

[illegible] التي لا يصل إليه سوى كبار الشعراء » ص ٣٥)

[illegible] في [illegible] هذين البيتين [illegible] فلا أجد أن فيه جمالاً [illegible] ولا سحراً [illegible] ولا [illegible] الشعراء أن [illegible] وأي [illegible] [illegible] حبيبة الشاعر؟ وهل [illegible] في شيء [illegible] إلى [illegible] أبي نواس [illegible] « الجانب الشرقي » [illegible] على [illegible] دجلة [illegible] للشاعر والشعراء؟ كلا! إن هذا الضرب من الكلام أقرب إلى كلام العوام [illegible] شيئاً [illegible] إنما [illegible] محدود [illegible] [illegible] حين [illegible] الشمس للغروب ويتحرك النسيم العليل

وهل فطن الدكتور للأخطاء التي ارتكبها الشاعر في تركيب هذين البيتين فأثرت على معناها وقللت من جمالها؟

* * *

ورحم الله الباقلاني فقد قال: إن امرأ القيس في مطلع قصيدته المعلقة كأنه دلال يبيع دراً تلاه إلى الدر المزوقة كبا، والتي يجمعها من الثياب كبا وكبا ممروحة البيع

وغفر الله للأستاذ إبراهيم شوكت قوله: إن امرأ القيس واضع أساس علم الجغرافية عند العرب، فهو يعرف الشمال والجنوب ويحسن التحديد

وبارك الله في الدكتور زكي مبارك فإنه يستحسن هذا النوع من الكلام ويأتي بمثله مع الأدب وشيعته

وأحدثكم بعد هذا عن ادعاء الدكتور مضطرب مختلط إذ يقول (ص ١١): «إن شعر امرئ القيس لا يثبت شيئاً ولا ينفي شيئاً... وإن مؤرخي العرب لم ينتفعوا بشعره يوماً ما على شيء من حياة الشاعر أو نوعه». وفي هذا القول من الخطأ والزلل ما يثير الضحك والاستغراب، إذ يستخلص منه أن قصائد الشاعر لا تمثل شيئاً ولا تدل على شيء، فهي إذاً لغو وسخف لا يمكن أن يستنبط منه صورة حياة الشاعر، وأنه انتحال واختلاق بحث عنه طويلاً؛ وإن ما نسب له من شعر موضوع منتحل من غير أناس لم يحسنوا التقليد ولم يجروا على الإبهام، وإن «هذا شك، حتى لا يشك المؤلف (ص ١٣) في أنه ناشئة عنه ولا في أنها من شعر امرئ القيس ذاته» نسبت له

فلاحظ هنا ارتباك المؤلف وخبطه ومناقضته لنفسه، فبينا يقرر حقيقة وجود امرئ القيس إذا هو ينفيه من حيث لا يشعر، وبينا يعترف بأن شعره المنسوب إليه لم ينظمه سواه إذا به ينكره عقلاً

والذي ساقه إلى هذه الورطة الغارقة التي يدحض بها استخلاص الدكتور طه حسين من قصائد الشاعر ما يستدل به على إنكار نوعه

وزعم بهذه الغارقة أن ما أثر من امرئ القيس من شعر لا يصح الاعتماد عليه بمعرفة حياته، وأنه يجب أن يرجع إلى المصادر التي يروي عنها مؤرخو العرب ويستقي منها ما يمكن أن يقال عن الشاعر

لقد بينت سابقاً أن الدكتور النصير يثق كل الثقة بما يرويه المؤرخون ويتناوله القدماء بلا جدال ولا مناقشة، ثم ها يورد برهاناً آخر على حسن ثقته وعظيم تمسكه بهم، حين أنه يأبى على الناس أن يركنوا في استطلاعهم على تاريخ امرئ القيس إلى شعره ويفرض عليهم أن يلتفتوا إلى ما قاله القدماء بلا شك ولا ارتياب

أسمح لك يا دكتور مرة أخرى ألا تثق في أقوال القدماء كل الثقة، وأن تستمع القائل الأصيل فهو أصدق وأحق أن نرجع إليه، وألا تتهم مؤرخي العرب بأنهم لم يستدلوا يوماً ما على شيء من حياة الشاعر أو نوعه، فليس من المنتظر أن يصدر منك هذا القول الغريب

هل ننكر أن الشعر بصورة عامة يمثل حياة صاحبه وآراءه مبدأً، وعاداته وأخلاقه وتقاليده وميوله

إن الأستاذ الناقد يستطيع أن يجلو صورة صادقة عن الزوزني رحمه في شعره، وإن الأدباء اليوم لا يكتبون عن شاعر كان حتى يستوعبوا شعره أو أدبه درساً وتمحيصاً

لقد أنكر ... إن شعر امرئ القيس لا يمكن الاعتماد عليه ولا يدل على شيء من تاريخ صاحبه وهو الذي ... أن (صاحبك) لا تمثل سوى حياة قائله

ولا أدري كيف جوز لنفسه أن يقول إن المؤرخين لم يستدلوا من شعره على حياته! ألا والله لو سألت أقل الناس ثقافة أن يترجم لك هذين البيتين

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

لاستدل لك بهما على حياة عريضة لامرئ القيس، ولأنبأك بقتل أبيه واغتصاب ملكه ورحلته إلى قيصر بواسطة واستنجاده به على أعدائه، ولأنبأك بأن الشاعر قال هذين البيتين وهو في الطريق حين جزع صاحبه وتوجع

(يتبع)

عقيل أحمد مهد

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين

7me Année No. 328 — Lundi 16-10-1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

من مشكلات الأسرة العربية

بين الدين والحب

لقيته بعد أسبوع من عودتي إلى (رياض) رائق الشباب رائع الصورة لطيف الشعور كما عهدته. وكان هذا اللقاء الجميل مفاجأة سارة من مفاجآت [illegible] [illegible] كيف [illegible] ولا [illegible]

[illegible] الشاب [illegible] من أسرة لبنانية [illegible] [illegible] في أحد المعاهد [illegible] بالقاهرة [illegible] بعد أن تخرج فيه [illegible] إلى العراق [illegible] [illegible] [illegible] فلما رأيته بالإسكندرية في هذه الساعة [illegible] أمام عيني [illegible] من الماضي القريب [illegible] في [illegible]

— متى قدمت مصر يا عبد [illegible] وكيف [illegible] على هذه [illegible]؟

— قدمت منذ ثلاثة أسابيع [illegible] أنك هنا [illegible] عنك في كل [illegible] وفي كل شاطئ [illegible] [illegible] لم يعد لي في الإسكندرية عمل ولا أمل إلا في [illegible] أن [illegible] أريد أن أسألك عن أمر [illegible]

— خير إن شاء الله!

[illegible] الشاب وهو يحاول أن يكظم شيئاً في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]:

— أريد أن تدلني على كتاب في الإنجليزية يبين روح الإسلام وحقيقة عقيدته وأصول أحكامه بطريقة يفهمها الرجل العصري المثقف

— هل وقعت — معاذ الله — في أزمة من أزمات الشك؟

— كلا، وأحمد الله على قوة الإيمان وثبات العقيدة. [illegible] يتعلق الأمر بإنسان أحب إلى من نفسي، تمنعه من دينه حجب التعليم الأجنبي وغشاوة البيئة. ولقد وقع في يدي اليوم كتاب في العربية عنوانه: « لماذا أنا مسلم » فراقني أسلوبه وأرضاني منهجه، ولكن صاحبي على مصريته لا يعرف العربية ولا يثق بما كتب بها.

ألا تستطيع أن تقصه إلى ما يعينك على إقناعه وإرجاعه؟

فطرب الفتى وكسر من طرفه، ثم ما لبث أن عض على شفته وأرسل نفسه وحرك عطفه وقال:

— على أنس الآن عنك وقد كنت لي في مشكلات الشباب والجنس السر المصدق والناصح المخلص؟ إن الأمر يتصل بفتاة تعمر به حوريتها منذ سبع سنين، وهي طبيب من الأطباء الموظفين الناشئين تعرفه كما أعرفه. وأبوها إيطالي مولود في الإسلام فلا محرم الإرث كما يقال؛ والفتاة بارعة الجمال رضية الأخلاق رقيقة القلب صبيحة السمت! تلقت دروسها الابتدائية في مدرسة أمريكية بالقاهرة، والثانوية في مدرسة إنجليزية بلندن، فهي في كمال الجسم والعقل والروح مثال المرأة الحديثة الكاملة. لقيت أسرتها أول مرة في إحدى ضواحي لبنان فألف بيننا تقارب الشعور وتقارب الثقافة، وعطف الألفة بيني وبين الفتاة حكم الطبيعة والسن؛ وتأثير الجو والرفقة؛ فما كنا نفترق في اليوم والليل إلا ساعات النوم القليلة. وكان أبواها يسعدان هذا الهوى الوليد بإطلاق الحرية وإيجاد الفرص واعتقاد الثقة؛ ثم عدنا إلى القاهرة معاً حتى كان هذا الحب دائماً جباراً يحجب بصري وقلبي كل صعب.

ثم مضت على وجودنا في حبنا كل يوم في النهار أو في الليل فنقضي أوقات المرح في النهر، أو في الحديقة أو في الكشك أو في الملعب! وفي كل لحظة حر أو لفتة حال يكشف كلانا في الآخر دليلاً جديداً على أنه عروس أحلامه وموعود حبه.

كانت تسافر أوائل الصيف إلى لندن فيكون بيننا بريد دائم بالفكر المستمر والحنين الثائر والكتابة المتصلة، فلا يدع فكره يشبهه الخيال أو الشرود، ولا كلمه يصحب الملل أو التقلب، إلا جاوزتاها بالتذكر أو التذكر أو الحنين أو الكتابة في النوم أو في اليقظة. ثم تعود أواخر الربيع إلى القاهرة فيعود أنسنا باللقاء، وسرورنا بالحديث، وصحبتنا بالرياضة [illegible] ولا نلتقي في الحديقة والساحة إلا أتتهدته [illegible] من أحيب الحب، أو ساعة من ساعات السعادة.

ثم رحلت إلى شنلو [illegible] في نفس رغبة شديدة [illegible] بيت وتكوين أسرة، فخطبتها إلى أبويها في ختام هذا العام وسكنا رأيهما على إعلان الخطبة في الصيف متى عادت من بلادها وعادت هي من لندن.

جاء الصيف ثم جاءت وعادت، وزرت على عطف أبويها في مصيفهما الزمن نزول الماء الموثوق على جناح أبويه بعد غيبة طويلة، ولكني رأيت الوجوه غير الوجوه! فلا الفتنة تجري في عين الأم كما عهدت، ولا السرور يجري على ثغر الفتاة كما عهدت. فما سألت السيدة عن سر هذه الهموم قالت لي ادخل على ميمي الغرفة فلديك نجد عنده الجواب.

دخلت على ميمي فوجدتها جاثية بجانب السرير تصرع وتبكي. ثم أخذت ابن حنوت بجانبها مغرورق العين مشتت الفؤاد، وأسحبت نفسي من كرسي وسألت عما بها، فقالت وهي تشيع البكاء:

— مستحيل! مستحيل! لقد أحببتك حتى لم يعدل هواي إلا إياك ولا فكر إلا فيك، ولكني لا أستطيع الزواج منك لأني مسيحية متعصبة وأنت مسلم محافظ، ولا سبيل إلى أن نتزوج كما تزوج أبي وأمي: هذه أب مسيحي، وأنا أحتقر دينك [illegible] احترمتك، وأستبعد عيبك بقدر ما أحببتك.

ومتى درست النصرانية يا ميمي وأنا وأبواك لا نعرفك إلا مسلمة؟

— درست من عهد رحلت إلى لندن ومكثت الأمس بيني وبين الله حتى أجبرتني أن يحطمك ثم أحدد [illegible] بعلاقه.

— وهل درست الإسلام يا ميمي قبل أن ترتدي عنه؟

— درسته على الرهبان في مصر وفي أوربا وعلمت منه ما أشهر على وجدانك من ثماره.

— لقد درسته على خصومه ومنكريه، فكيف يصح في عقلك أن يكون كلام الخصم على الخصم حجة؟

— وهل من كنت تريد أن أدرسه؟ أهل أبي وما عهدته مرة يذكر الله، ولا رأيته يوماً يدخل المسجد! أم أهل أمي وقد كانت

أحمد حسن الزيات

[البقية في صفحة ١٩٩٨]

بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

قرأت وسمعت — إلى الآن — آراء وملاحظات كثيرة حول المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية، وأحسب أنك — مثلي — سمعت أسئلة متنوعة حول هذه القضية مثل:

لماذا نهتم بالوحدة العربية ونهمل الوحدة الإسلامية؟

ألا ترى أن تحقيق الوحدة الإسلامية أحرى من تحقيق الوحدة العربية؟

وأن القوة التي تحصل من اتحاد المسلمين تكون أعظم من التي تحصل من اتحاد العرب؟

ألا نسلم بأن الشعور الديني في الشرق أقوى بكثير من الشعور القومي؟ فلماذا نريد أن نهمل مستغلين ذلك الشعور القوي، ونصرف جهودنا في سبيل تقوية هذا الشعور الضعيف؟

هل نعتقد أن اختلاف اللغات يحول دون اتحاد المسلمين؟ ألا نلاحظ أن « مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس مختلفي اللغات والأجناس والعادات والتقاليد ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يجتمعوا ويتقاربوا ويجتمعوا على خطة واحدة وهدف واحد »؟ ألا نعرف أن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو الياباني أو الأندونيسي أخ له كأخيه المسلم الذي يعيش معه جنباً إلى جنب؟ فلم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية؟

يقول البعض « إن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها، وإن تحقيقها أسهل من تحقيق أية وحدة أخرى » فما رأيك في هذا القول؟

ويدعي البعض « أن فكرة الوحدة العربية صنيعة انكليزية يقصد من ورائها الحيلولة دون توسع فكرة الوحدة الإسلامية، وذلك لتفصل العرب عن سائر أقطار العالم الإسلامي فتسهل إدامة السيطرة عليها » فماذا تقول في هذا الادعاء؟

لقد سمعت وقرأت — ولا أزال أسمع وأقرأ — أسئلة كثيرة من هذا القبيل خلال محاضرات عمومية، وضمن رسائل خصوصية، أو في كتب مفتوحة.

وأرى أن أخصص هذه الكلمة لمناقشة المسائل المتفرعة منها مناقشة وافية، لأشرح رأيي فيها بصورة كافية.

١ — أعتقد أن النقطة الأساسية التي يجب درسها وتمحيصها عند التفكير في « المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية » تتلخص فيما يلي:

هل « الوحدة الإسلامية » من الآمال المعقولة التي يمكن تحقيقها أم هي من الأحلام الطوباوية التي لا إمكان لتحقيقها؟

وعلى فرض الشق الأول: هل تحقيقها أسهل أم أصعب من تحقيق الوحدة العربية؟

وهل يوجد شيء من التنافر بين هاتين الوحدتين؟

وهل من سبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، دون تحقيق الوحدة العربية؟

عندما نقدم على إعمال الفكر وإمعان النظر في حل هذه المسائل يجب علينا — قبل كل شيء — أن نحدد ماهية كل من الوحدة الإسلامية والوحدة العربية بوضوح تام، ونعين مدى شمول كل واحد من هذين التعبيرين بصراحة كاملة.

من الأمور التي لا تحتاج إلى شرح أن الوحدة العربية ترمي إلى إيجاد وحدة سياسية من الأقطار العربية المختلفة التي يتكلم أهلوها باللغة العربية. وأن الوحدة الإسلامية تتطلب — بطبيعة الحال — إيجاد وحدة سياسية من البلاد الإسلامية المختلفة التي يدين أهلوها بالديانة الإسلامية بالرغم من اختلاف لغاتهم وأجناسهم.

ومن المعلوم أن العالم الإسلامي يشمل الأقطار العربية وتركيا وإيران والأفغان وتركستان، مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس، وأفريقية الشمالية مع قسم من أفريقية الوسطى، بقطع النظر عن بعض الكتل المنتشرة في أوربا وآسيا في ألبانيا ويوغوسلافيا وبولونيا والصين واليابان.

ولا حاجة للبيان أن الأقطار العربية تشغل القسم المركزي من هذا العالم الفسيح.

إن كل من يضع هذه الملاحظات الواضحة نصب عينيه، ويتصور خريطة العالم الإسلامي، ويلاحظ موقع العالم العربي منها، يضطر إلى التسليم بأن الوحدة العربية أسهل بكثير من الوحدة الإسلامية

ومثل هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق على فرض إمكان تحققها إلا بالوحدة العربية.

إذ لا يمكن لأي عاقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل وحيدر آباد وبخارا وكشغر وفاس وتيكو ... دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس. لا يمكن لأي عاقل كان أن يقول بإمكان اتحاد الترك والعرب والفرس والملايو والزنوج دون اتحاد العرب أنفسهم.

ولو كان العالم العربي أوسع وأشمل من العالم الإسلامي - بعكس ما هو الواقع الآن - لأمكننا أن نتصور وحدة إسلامية دون وحدة عربية. ولجاز أن يقال إن تحقيق الوحدة الإسلامية أسهل من تحقيق الوحدة العربية. غير أنه لما كان الأمر بعكس ذلك تماماً، فلا مجال لمثل هذه الأقوال والتصورات في المنطق بوجه من الوجوه.

إن هذه حقيقة يجب ألا تغرب عن أذهاننا عندما نفكر ونتكلم في أمر الوحدة الإسلامية والوحدة العربية.

إن فكرة الوحدة الإسلامية أوسع وأشمل من مفهوم الوحدة العربية؛ فمن الإمكان أن نقول بالوحدة العربية دون أن نقول بالوحدة الإسلامية؛ وليس من الممكن أن نقول بالوحدة الإسلامية دون أن نقول بالوحدة العربية.

ولهذا السبب يحق لنا أن ندعي أن كل من يعارض الوحدة العربية يكون قد عارض الوحدة الإسلامية أيضاً؛ وأما من عارض الوحدة العربية باسم الوحدة الإسلامية، أو لمصلحة الوحدة الإسلامية، فيكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة.

٢ - بعد تثبيت هذه الحقيقة - التي لا يجوز مطلقاً الاختلاف فيها - يجدر بنا أن نلتفت إلى حقيقة ثانية لا تقل أهمية عنها.

يجب علينا ألا ننسى أن المقصود من كلمة الوحدة في هذا المقام هو الوحدة السياسية. كما يجب علينا أن نلاحظ على الدوام أن مفهوم «الوحدة الإسلامية» يختلف عن مفهوم «الأخوة الإسلامية» اختلافاً كبيراً.

فإن الاتحاد شيء، والتضامن شيء آخر، والاتحاد السياسي شيء، والاتفاق على مبدأ من المبادئ [illegible] المبادئ شيء آخر.

فالدعوة إلى الوحدة الإسلامية تختلف من حيث الأساس عن الدعوة إلى إصلاح أحوال الإسلام كما تختلف عن الدعوة إلى [illegible] التضامن والتقارب والتصافي بين المسلمين.

ولذلك نستطيع أن نقول: إن من يتكلم عن مبدأ الأخوة الإسلامية، ومن يبحث عن فوائد التضامن بين المسلمين، لا يكون قد برهن على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية.

وبعكس ذلك، من لا يسلم بإمكان تحقيق الوحدة الإسلامية لا يكون قد أنكر مبدأ الأخوة الإسلامية، ولا عارض مساعي التقريب والتضامن بين المسلمين.

فكل ما يقال عن مبدأ الأخوة الإسلامية لا يكون دليلاً كافياً على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية.

وأما الاستشهاد على إمكان الوحدة الإسلامية بالمسيحية أو الاشتراكية أو الشيوعية فليس موافقاً للعقل والمنطق بوجه من الوجوه، لأن المسيحيين لم يؤلفوا وحدة سياسية، والأحزاب الاشتراكية في الممالك الأوربية المختلفة لم تتحد لتكوين دولة واحدة! حتى الشيوعية نفسها لم تكوّن دولة جديدة، بل قامت مقام الدولة الروسية القيصرية.

فيجب علينا أن نميز بين مسألة الأخوة الإسلامية ومسألة الوحدة الإسلامية تمييزاً صريحاً، وأن نفكر في إمكان أو عدم إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية - بمعناها السياسي - تفكيراً مباشراً.

٣ - إذا ألقينا نظرة عامة على التاريخ، واستعرضنا تأثيرات الأديان في تكوين الوحدات السياسية، نجد أن الأديان العالمية لم تتمكن من توحيد الشعوب التي تتكلم بلغات مختلفة إلا في القرون الوسطى، وذلك في ساحات محدودة ولمدة قصيرة من الزمن.

فإن الوحدة السياسية التي حاولت تكوينها الكنيسة المسيحية لم تستطع أن تجمع العالم الأرثوذكسي بالعالم الكاثوليكي في وقت من الأوقات .. كما أن الوحدة السياسية التي تمت تكوينها الجزئي في العالم الكاثوليكي نفسه لم تعمر مدة طويلة

وكذلك كان الأمر في العالم الإسلامي ، فإن الوحدة السياسية التي وجدت في صدر الإسلام لم تعمر على تقلبات الأيام مدة طويلة؛ والخلافة (العباسية) حسب ما نستطيع أن تجمع كل المسلمين تحت رايتها السياسية ، حتى عند بلوغها أوج قوتها وذروة عظمتها ؛ كما أن البلاد التي كانت تخضع لسلطان هذه الخلافة لم تحافظ على وحدتها السياسية بصورة فعلية مدة طويلة ، ولم يمض وقت طويل على تأسيس الخلافة المذكورة حتى أصبحت سلطتها على بعض الأقطار صورية أكثر منها مادية ، ثم شرعت الحياة تدب في أطراف الأقطار المذكورة ، وتحولها إلى وحدات سياسية جديدة مستقل بعضها عن بعض بصورة فعلية

ومما يجدر بالانتباه في هذا الصدد أن انتشار الدين الإسلامي في بعض الأقطار تم بعد أن فقدت الخلافة الإسلامية وحدتها الفعلية وقوتها الحقيقية ، حتى أن هذا الانتشار جرى في بعض الأقطار بصورة مستقلة عن تأثير السلطات السياسية ، وذلك على أيدي فئة من التجار والشيوخ والدراويش ؛ فالعالم الإسلامي بصورته الواسعة الحالية ، لم يكوّن وحدة سياسية ، في وقت من الأوقات

فالوحدة السياسية التي لم تتحقق في القرون الماضية — في عهود بساطة الحياة الاجتماعية وسذاجة العلائق السياسية ، وفي أدوار سيطرة التقاليد الدينية على كل ناحية من نواحي الأعمال والأفكار — ليس من الممكن أن تتحقق في هذه القرون بعد أن تعقدت الحياة الاجتماعية وتأصلت المشاكل السياسية ، وخرجت العلوم والصناعات من سيطرة التقاليد والمعتقدات

٤ — إني أعرف أن ما قررته هنا لا يروق الكثيرين من علماء الإسلام. أعرف أن الدلائل التاريخية التي ذكرتها آنفاً لا تستطيع أن تؤثر في معتقد الكثيرين من رجال الدين؛ وذلك لأنهم قد تعودوا التكلم في هذه المسائل دون تذكر الحقائق التاريخية وملاحظة الوقائع الاجتماعية ، كما أنهم لم يألفوا التمييز بين مدلول « الأخوة الدينية » ومدلول « الرابطة السياسية » بل إنهم تعودوا على المزج بين مبدأ الأخوة الإسلامية بمعناها الأخلاقي ، وبين فكرة الوحدة الإسلامية بمعناها السياسي

أنا لا أرى حاجة للسعي وراء إقناع هؤلاء بخطأ تفكيرهم في هذا الأمر ؛ غير أني أرى من الضروري أن أطلب إليهم ألا يقفوا معاكسين للعقل والمنطق في هذا السبيل . لهم أن يحافظوا على اعتقادهم في إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية ، ولو في مستقبل بعيد جداً؛ ولكن يجب عليهم كذلك أن يعترفوا في الوقت نفسه بضرورة السعي إلى الوحدة العربية على الأقل ، كمرحلة من مراحل تحقيق الوحدة الإسلامية التي يعتقدون بها . فعليهم — على كل حال — ألا يعارضوا السعي الذي يبذل في سبيل تحقيق الوحدة العربية ، بحجة منافاتها للوحدة الإسلامية التي يدعون إليها

فإني أكرر هنا ما كتبته آنفاً « أن من يعارض الوحدة العربية بحجة الوحدة الإسلامية يكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة » وأقول بلا تردد إن مخالفة المنطق إلى هذا الحد ، لا يمكن أن تتأتى إلا من الخداع أو الانخداع

خداع بعض الشعوبيين الذين لا يرتاحون إلى نهوض الأمة العربية فيسعون إلى تهييج الشعور الديني ضد فكرة الوحدة العربية

وانخداع بعض السذج الذين يميلون إلى تصديق كل ما يقال لهم مقروناً باسم الدين دون أن ينتبهوا إلى ما قد يكون وراء هذه الأقوال من الدسائس الخفية

فأرى من واجبي أن أوجه أنظار جميع المسلمين العرب إلى هذه الأمور المهمة ، وأطلب إليهم ألا ينخدعوا بدسائس الشعوبيين في هذا الباب

• من أغرب وأسخف الآراء التي أبديت حول قضية الوحدة العربية والوحدة الإسلامية هو الرأي القائل بأن فكرة الوحدة العربية من المخترعات الإنكليزية التي خلقت لضرب « الوحدة الإسلامية » وذلك لفصل مصر عن سائر الأقطار الإسلامية ، تسهيلاً لدوام السيطرة عليها

أنا لا أستطيع أن أتصور رأياً أكثر بعداً عن حقائق التاريخ والسياسة وأشد مخالفة لأحكام المنطق والعقل من هذا الادعاء الغريب

إن التفاصيل التي ذكرتها آنفاً عن علاقة الوحدة الإسلامية بالوحدة العربية يكفي لإظهار بطلان هذه الدعوى من حيث الأساس

مع هذا أرى أن أضيف إلى تلك التفاصيل بعض الملاحظات لزيادة الإيضاح والإقناع

إن كل من يمعن النظر في مكاتبات الشريف حسين للإنكليز ، وكل من يلاحظ اتجاهات السياسة البريطانية في عدن والملحقات وفي فلسطين وفي جزيرة العرب ، يفهم بداهة أن الإنكليز لم يشجعوا فكرة الوحدة العربية تشجيعاً حقيقياً يكون منطبقاً على الواقع صريحاً

لا ينكر أن الإنكليز ساوروا الحركة العربية وساندوها أكثر من سائر الدول ، وما ذلك إلا لأنهم أكثر صبوة في السياسة وأسرع فهماً لنفسيات الأمم وحقائق الاجتماع. إنهم عرفوا القوة الكامنة في الفكرة العربية قبل غيرهم ، فرأوا أن يسايروها بعض المسايرة ويساندوها بعض المساندة عوضاً عن محاربتها مباشرة ، ليبعدوا شرورها عنهم ويجعلوها أكثر ملاءمة لمصالحهم

وأما قضية « حكم الهند » فيجب أولاً ألا يعزب عن البال أنها ليست مسألة إسلامية بحتة ـ لأن المسلمين في الهند لا يؤلفون أكثرية السكان ، كما أن في الخلاف القائم بين المسلمين والهندوس مجالاً واسعاً لتسهيل سيطرة الإنكليز على تلك البلاد ومما لا شك فيه أن حكم الإنكليز لا يتم في الهند نفسها ، بل يتطلب السيطرة على طرق المواصلات الجوية والبحرية التي تربطها ببريطانيا أيضاً ؛ ومن المعلوم أن قنال السويس وعقبة الميانه وسكك مصر ومطارات العراق ، من جملة وسائل هذه السيطرة ، فهل يعقل أن يخشى الإنكليز — نظراً من صميم سياستهم — من قيام دولة إسلامية كبيرة تستطيع أن تسيطر على الهند ، أكثر مما يخشون من قيام دولة عربية قوية تستطيع أن تسد طرق المواصلات المذكورة ؟

يجب أن نعرف جيداً أن السياسة الإنكليزية سياسة عملية تتكيف مع الظروف وتنتهز الفرص على الدوام. ويجب ألا ننسى أن بريطانيا العظمى هي التي أنقذت الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية من استيلاء الروس عدة مرات ، وهي التي كانت أوقفت الجيوش المصرية في قلب الأناضول ، لتخلص مقر الخلافة الإسلامية من استيلاء تلك الجيوش الظافرة. وهي التي حالت دون اتحاد مصر مع سورية في عهد محمد علي الكبير

فكل من يتهم فكرة الوحدة العربية بكونها صنيعة إنكليزية يكون قد اتهمها تهمة باطلة ، ووقع في أخطاء ما بعدها أخطاء

يجب أن نعلم حق العلم أن فكرة الوحدة العربية فكرة طبيعية لم يوجدها موجد ، إنما هي نتيجة طبيعية لوجود الأمة العربية نفسها ، هي قوة اجتماعية تستمد نشاطها من حياة اللغة العربية وتاريخ الأمة العربية واتصال البلاد العربية. فلا يستطيع أحد أن يدعي بصورة منطقية أن الإنكليز هم الذين خلقوا فكرة الوحدة العربية إلا إذا استطاع أن يبرهن على أن الإنكليز هم الذين خلقوا اللغة العربية ، أو أوجدوا تاريخ الأمة العربية ، وكونوا جغرافية البلاد العربية

إن فكرة الوحدة العربية من النوازع الطبيعية التي تنبثق من أغوار الطبيعة الاجتماعية لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يخلقها الأفراد أو تستطيع أن تخلقها الدول ...

إنها ظلت كامنة — شأن الكثير من القوى الطبيعية والاجتماعية — مدة من الزمن لأسباب وعوامل كثيرة كثيرة لا مجال لشرحها هنا ؛ غير أن كل شيء يدل على أن دور كمونها قد انقضى ، وأن تيارها أخذ يظهر للعيان ويتدفق شيئاً فشيئاً ولا شك في أن تيار هذه الفكرة سيزداد تدفقاً في جميع النفوس العربية بسرعة متزايدة ويبدأ هائلاً. وسوف لا يلبث أن يسير جميع البلاد العربية ويدفعها إلى مجدها الماضي وعصرها الأول ، بل إلى ما هو أعظم من ذلك وأسمى منه

هذا يجب أن يكون إيمان كل مستنير من الناطقين بالضاد

(بغداد) أبو خلدون

ترانكاو

إن الأسواق السكنية في الأقاليم الحارة هي مما ألفنا في أفريقيا ، إن كل ما ينظر إلى الشاكلات التي يتخذها الإنسان هناك أو ينظر إلى الطين أنفسهم هؤلاء يأتون هنا من الجهات المجاورة بشكل الشاكلات التي مصدرها المنطقة الحارة فيجب ... جذور الهندي من القطن وأثر الهند وشكلا أمريكا وفي البلد من جهة الأمازون والسكر الأحمر السكر كما هو المتوحش من مليزيا

إن ربما يجب مثلاً صورة ترانكاو خاصة طائفة صغيرة من عرب الأعماق الليبي يظهر جمع من سكان البلاد ... بجلبة تختفي من الحر في لباسهم الطويلة البيضاء

فمنهم من يرعى الأبقار أو مواشي المسك وجميعهم يجلسون في ناحية من أكبر الحواشي التي القصر فيها وهم بالقرب في الظل ... وشكلهم ... وسكن ... لا ... من ... والأشجار ... من حيوان ... من ذلك وأشد ... وهو ...

[illegible]

مدينة كبيرة ترانكاو ... التي ... جميع أهل البلاد ... من السكنى ... في سبيل ... وهو ... فيها ... ولم يلق أحد جميع السكان ... بالقرب ... واحد أو ... من السكنى يوما ... أو ... ولا ... إلى ما يقارب ...

[illegible]

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

١٨

رمى الأستاذ أحمد أمين الأدب العربي فقال إنه يرى من الإسراف أن يستثني أديبين اثنين ، كان أدبهما أدباً عجيباً واضحاً ، وهما ابن الرومي وابن خلدون

وكذلك انتهت دنيا الأدب العربي ، الأدب الذي لم يصحب غير شاعر واحد وكاتب واحد في أمد طويل دام نحو خمسة عشر قرناً ، وسادت في تكوينه أمم أسيويه وأفريقيه وأوربيه ، واستطاع أن يؤثر في الآداب اللاتينية والعبرية والفارسية والتركية والهندية ، وصارت له في أكثر الجامعات الأوربية كرسي خاص

أحمد أمين يستثني ابن الرومي من بين الشعراء ، ويستثني ابن خلدون من بين الكتاب لسبب آخر غير الإنصاف ؟ فقد سمع من العقاد وسمع كتاباً عن ابن الرومي ، وسمع أن طه حسين وضع كتاباً عن ابن خلدون ، ومن الواجب عليه أن يعجب بالشاعر الذي أعجب به العقاد ، والكاتب الذي أعجب به طه حسين

وكيف أثمر الأدب العربي في تلك الآماد الطوال فلم يجيء منه غير أديبين أولهما شاعر ، وثانيهما كاتب ؟

إن أحمد أمين لو حكم بأن مدينة واحدة مثل القاهرة أو دمشق أو بغداد لم تنجب في جيل واحد غير أديبين اثنين لكان من المسرفين ، فكيف وهو يكيل الأحكام الأدبية بأوسع المكاييل فيحكم بأن الأدب العربي في جميع عصوره ، وهو أنتظم من أمم شرقيه وغربية لم ينجب غير أديبين اثنين ؟

ثم يعود إلى نقد الأدب الذي يقوم على التحليل والاستقصاء

إن قال ذلك فنحن ندعوه إلى دراسة الأدب العربي من جديد . فالطريقة التحليلية عرفها شعراء العرب منذ أقدم العهود وعليه أن يرجع إلى معلقة طرفة ، ومعلقة لبيد ، وعينية أبي سويد ، ورائية كثير ، ولامية الكميت ، ورائية دعبل ، ودالية مسلم ابن الوليد

والواقع أن الشعر العربي تغلب عليه النزعة التحليلية في أكثر ما تعرض له من مقاصد وأغراض ، وانظروا كيف يقول [illegible] ابن حيوس في تذكرة النهي عن العتاب

أقلل عتابك فالبقاء قليل   والدهر يعدل مرة ويميل

لم أبك من زمن ذممت صروفه   إلا بكيت عليه حين يزول

ولكل نائبة ألمّت مدة   ولكل حال أقبلت تحويل

والمنتمون إلى الإخاء جماعة   إن حُصّلوا أفناهم التحصيل

فلئن سبقت لتبكينّ بحسرة   وليكثرنّ عليّ منك عويل

ولتُفجعنّ بمخلص لك وامق   حبل الوفاء بحبله موصول

ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين

من لا يشاكله لديّ خليل

وليذهبنّ بهاء كل مروءة   وليفقدنّ جمالها المأمول

وأراك تكلف بالعتاب وودّنا   باقٍ عليه من الوفاء دليل

ولعل أيام الحياة قصيرة   فعلام يكثر عتبنا ويطول

فالشاعر في هذه القصيدة يحلل ويعلل ويتناول موضوعه تناول من يدرك ما فيه من كليات وجزئيات ، وما زال ينتقل من العموم إلى الخصوص حتى وصل في تصوير معناه إلى ما يريد

وانظر كيف يقول الشريف الرضي في استبقاء الصديق

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه

أبى بعد طول الغمز أن يتقوّما

تقبّلت منه ظاهراً متبلّجاً   وأدمج دوني باطناً متجهّما

فأبدى كروض الحزن رفّت فروعه

وأضمر كالليل الخداريّ مظلما

ولو أنني كشّفته عن ضميره   أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

فلا باسطاً بالسوء إن بان لي يداً   ولا فاغراً بالذم إن رابني فما

كعضو رمت فيه الليالي بفادح   ومن حمل العضو الأليم تألما

إذا أمر الطب اللبيب بقطعه   أقول عسى ضنّاً به ولعلما

صبرت على إيلامه خوف نقصه   ومن لام من لا يرعوي كان ألوما

هي الكفّ مضٌّ تركها بعد دائها

وإن قُطعت شانت ذراعاً ومعصما

أراك على قلبي وإن كنت عاصياً   أعزّ من القلب المطيع وأكرما

حملتك حمل العين لجّ بها القذى   فلا تنجلي يوماً ولا تبلغ العمى

ودع المرء مطوياً على ما ذممته … ولا تنشر الداء العضال فتندما

فإن الصمت لم يؤلمك إلا تصنعه … على مضض لم تبق لحماً ولا دماً

ومن لم يوطّن للصغير من الأذى … تعرّض أن يلقى أجلّ وأعظما

فهل رأيتم في هذا القصيد الجليل ؟

ألا ترون الشاعر ينقل الفكرة من وضع إلى وضع ، ويصنع بها ما يصنع المصور الذي يراعي دقائق الظلال .. وهو يصنع اللوحة الفنية ؟

إن الشاعر في هذه القصيدة أمامه غرض واضح الرسوم ، وهو يحلّل ويمثّل ليصل إلى أبعد ما يريد من الاستقصاء !

أليس هذا هو التحليل الذي ينشده أحمد أمين ؟

وما رأيكم في قول الطغرائي وهو يحاور الحمامة الباكية

أبكيةٌ صدحت شجواً على فنن … فأشعلت ما خبا من نار أشجاني

ناحت وما فقدت إلفاً ولا فجعت … فذكّرتني أوطاري وأوطاني

طليقةٌ من إسار الهمّ ناعمةٌ … أضحت تجدد وجد الموثق العاني

تشبهت بي في وجدي وفي طربي … هيهات ما نحن في الحالين سيّان

ما في حشاها ولا في جفنها أثرٌ … من نار قلبي ولا من ماء أجفاني

يا ربة البانة الغناء تحضنها … خضراء تلتف أغصاناً بأغصان

إن كان نوحك إسعاداً لمغترب … ناء عن الأهل ممنوٍّ بهجران

فقارضيني إذا ما اعتادني طربٌ … وجداً بوجد وسلواناً بسلوان

أو لا فصبرك حتى تسمعي بعنى … شجوٍ سال وبادي كلم أحزاني

ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذت … مني الهموم ولا تدرين ما شاني

كِلي إلى السرب يستادي على ثقة … جمعاً كشملي ولا نابا كإخواني

فهل ترون هذه القصيدة من « الأدب التركيبي » ، وهو لفظ تخيل اصطنعه أحمد أمين ؟

أم ترونها قصيدة تقوم على تحليل المعاني ليحس منها الشاعر صورة صورة ؟

وانظروا قول ديك الجن وقد قتل معشوقته بيديه

يا طلعةً طلع الحِمام عليها … وجنى لها ثمر الردى بيديها

حكّمت سيفي في مجال خناقها … ومدامعي تجري على خديها

روّيت من دمها الثرى ولطالما … روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

وحق نعليها وما وطئ الثرى … شيء أعزّ عليّ من نعليها

ما كان قتليها لأني لم أكن … أبكي إذا سقط الذباب عليها

سكن يخفق في الوجود بجنبه … وأحسّ حين نظر العيون إليه

فقد شرح الشاعر فكرته أتم الشرح ، وصور أدق التصوير .

وهل وصلت إلى أحمد أمين أخبار تلك القصيدة التي بعث بها العباس بن الأحنف إلى حجاج البيت الحرام وقد توقع أن يموت بعيد الدار

انظروا إلى ذلك العليل ، وقد عز الماء ، وتعذر الشفاء ، وكلما عصر الماء في فيه مجّه ، كما يصنع الطفل الرضيع . وقد ذهب الملك بمال نظراته ، وهرب بسمائه ، وإن نودي لم يجب نداء الأنين . انظروا إليه وقد تمنى جرعة من جرعات زمزم يحملها إليه الحجاج في رحلته ، ولو أمكن أن يخص النظرة لرجاهم أن يحملوا إليه نظرة ، ولو حبيبة « المكي » في ذلك الحين لرجاهم أن يعتقدوا أنه نفحة من نفحات الطبيب ، ولو عرف المصورون حينئذ لسألهم أن يصوروا شيئاً في الصحو والأصيل . انظروا إليه وهو يرجو أن يصلوا قبل أن ينقضي أجله ، فذكروا أن تلك الجرعة الهنية إنما هي جرعة من زمزم . انظروا إليه وقد أوصاهم أن يرشوا الماء على وجهه ، فإن سالوه ميتاً فليرشوه على قبره .

انظروا كيف يقول

أزوّار بيت الله مرّوا بيثرب … لحاجة متبول الفؤاد كئيب

وقولوا لهم يا أهل يثرب أسعدوا … على جلَبٍ للحادثات جليب

فإنا تركنا بالعراق أخا هوى … تنشّب رهناً في حبال شعوب

به سقمٌ أعيا المداوين علمه … سوى ظنهم من مخطئٍ ومصيب

إذا ما عصرنا الماء في فيه مجّه … وإن نحن نادينا فغير مجيب

خذوا لي منها جرعة في زجاجة … ألا إنها لو صادفت لطبيبي

وسيروا فإن أدركتمُ بي حُشاشةً … لها في نواحي الصدر وجس دبيب

فرشوا على وجهي أفق من بليتي … يثبكمْ ذو العرش خير مثيب

فإن قال أهلي ما الذي جئتم به … وقد يحسن التعليل كل أريب

فقولوا لهم جئناه عن ماء زمزم … لنسقيه من مائه بذنوب

وإن أنتمُ جئتم وقد حيل بينكم … وبيني بيوم للمنون عصيب

وصرت من الدنيا إلى قعر حفرة … حليف صفيح مطبق وكثيب

فرشوا على قبري من الماء واندبوا … قتيل كعاب لا قتيل حروب

هذا الشاعر قد قص قصة حزنه بأسلوب تحليلي رائع لا أدري كيف ينكره أحمد أمين

وما رأيكم فيما قاله كثير في السخرية من حسود النعمة

ألا إنما يبكي عصا سروالة | إذا حركوها بالأكف تلين
تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن | عليك شجا في الحلق حين تبين
وإن هي أعطتك الليان فإنها | لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها

فليس لمخضوب البنان يمين

وما حاجتنا إلى تحليل هذا الشعر وقد وفاه في غيب وحده من يقول

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها | سجية نفس، كل غانية هند

* * *

أين أحمد أمين يحتقر شعراء عصرنا، فهل أنكر حديث أبي العتاهية في الزهديات، وحديث أبي نواس في الخمريات، وحديث الشريف الرضي في الحجازيات، وحديث الكميت في الهاشميات، وحديث الأبيوردي في النجديات، وحديث البحتري في طيف الخيال، وحديث العباس بن الأحنف في الشكوى؟

وهل عنده علم بوصف الربيع في شعر أبي تمام؟ وهل سمع بأشعار ابن زيدون في الحنين؟ وهل قرأ قصائد ابن خفاجة وابن حمديس؟ وهل قسم الله عليه فنظر بكاء الرندي يوم سقوط الأندلس؟ وهل قرأ تائية ابن الفارض؟ وهل اهتدى إلى حائية ابن النحاس التي يقول:

كم أداوي القلب قلت حيلتي | كلما داويت جرحا سال جرح

وهل عرف مصير أشعار بديع الزمان التي يقول

رأيت الناس حذاقا | إلى جانب حذاقهم
فيترك مع الذنب | ويبكون مع الراعي

وهل قرأ قصيدة أبي تمام يوم فتح عمورية؟ وهل عرف روميات أبي فراس؟ وهل شهد موكب المعاني في مقصورة ابن دريد؟ وهل درس رائية أبي صخر وعينية أبي ذؤيب؟

أحب أن أعرف أين مكانك بين أدباء اللغة العربية، يا صديقي؟

أحب أن أعرف أتجد في دعواك أم تكون من المازحين؟

أقسم بالله وبالشرف أني لن أعجب من غفلة الأستاذ أحمد أمين عن ذخائر الأدب العربي، فمع أنه أستاذ مسئول يستطيع أن يتسع في الأدب في أكبر معهد من معاهدنا الأدبية

ويزيد في الأسف أنه لم يكن كذلك فيما كنا نعرف من شمائله الذاتية، فقد استطاع أن يظفر بثقة ناس من كبار الأدباء أمثال العبد وهيكل وطه حسين والمازني والعقاد والزيات والعشري، وصحبنا عليه في شباب تزن أقدار الرجال، فمن أين وصل إليه مرض الحذلقة الذي كاد يصيبه إلى أدعياء الأدب والبيان؟

أتريدون الحق؟

الحق أن أحمد أمين لم يوفق في الإجادة إلا في الموضوعات التي تتوقف على تسجيل سلوك هذه البلاد من جهل

فكتاب «الأخلاق» له مصدر معروف؛ يعرفه أصله وتفصيله وأصوله وفروعه تلخيص لأي كتاب أوروبي في الأخلاق، ولو عنت لمقت الأئمة والبراهين

وفجر الإسلام وضحى الإسلام لهما أصول من أبحاث المستشرقين في المدنية الإسلامية، ويعرف وجهات الدكتور طه حسين منذ كشف أسرارها عن أشياء، وفيهما سرقات من مخشون الجاهلية وغيرها، ولو شئت قلت إنه يسرق بعض آراء الأستاذ فلان، وهو يعرف من أعني، وسيعرف كيف يجازيه بعد حين

أين أحمد أمين «الأديب» الذي يتقل من العقل والروح فهل قرأتم له مقالة واحدة تشهد بأن له مواهب فيها أصالة وحس؟

وكيف يصح ذلك، وهو يرى أن الأدب العربي لم يشبع فيه غير شاعر واحد؟

ومن هو ذلك الشاعر؟

هو ابن الرومي، وإنما نص عليه بالذات، ليصح له اتهام الأرومة العربية بالعقم والإجداب؛ فقد كان المازني كتب منذ أعوام أبحاثا عن ابن الرومي، وقرر في تلك الأبحاث أن ابن الرومي ورث طريقة التحليل عن أجداده الأيدميين من اليونان

وفات صديقنا الدكتور المازني، الأديب العظيم، حين أعجبه من أبي أحمد هذا الرأي، وإنما يحق لي أن أسأل: هل كان ابن الرومي أول شاعر عرف له أسلاف من اليونان؟

ومن هو الجد اليوناني لطرفة بن العبد، وقد وصف ناقته

في تشبيهه ومجازه هو طبيعة في التخييل والاستهواء؟

ومن هو المثل اليوناني لشعر عمر بن أبي ربيعة وأشعاره تقوم على أساس من الحوار والتمثيل والقصص؟

ومن هو المثل اليوناني للشاعر لبيد وفي معلقته تمثيل دقيق؟

ومن هو المثل اليوناني للشريف الرضي وفي حجازياته أوصاف وتمثيلات لم يصل إلى مثلها سدنة الخيال في اليونانية؟

وما رأي الأستاذ أحمد أمين في أبي العلاء صاحب اللزوميات وصاحب رسالة الغفران؟

ألا يرى أن أبا العلاء كان من الشعراء الذين يجيدون تمثيل المعاني؟

إن أبا العلاء قضى الشطر الأكبر من عمره، وهو يحاور نفسه ودنياه، وقد وصل في التمثيل والاستعراض إلى أبعد الحدود، رغم المآخذ الفنية التي قيدتها عليه في كتاب «...» وفي «...» فهو حقاً لا يقل عظمة في تمثيلاته وتصويراته عن أكبر شاعر يبرع في الحوار والتمثيل

أفلا يتفضل الأستاذ أحمد أمين فيعترف بمكان أبي العلاء بين أقطاب الشعر والفكر ثم يضيفه إلى ابن الرومي وابن خلدون؟

يظهر أن الأستاذ أحمد أمين نسي أن أبا العلاء شغل الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين، فنشر الأول كتاباً عن أبي العلاء ونشر الثاني كتابين!

يظهر أنه نسي ذلك، وما أنساه إلا الشيطان، ولولا ذلك لاعترف بمكانة أبي العلاء، رعايةً للعقاد وطه حسين، إن عزّت عليه رعاية حقي

* * *

وأرجع فأقول: إن من الحيف على شعراء العرب أن نقول بحرمانهم من القدرة القصصية، فهم في أغلب الأحوال يشعرون بحضور المعاني، ويُشعرون السامع والقارئ بأنهم يحاورون العواطف والقلوب والعقول، وإليكم قول تميم بن جميل وهو رهن الموت من خوف الموت بحضرة المعتصم

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيث ما أتلفتُ
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأيُّ امرئ مما قضى الله يُفلتُ
وأيُّ امرئ يُدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ
يعز على الأوس بن تغلب موقف ... يُسلُّ عليَّ السيف فيه وأسكتُ
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقتُ
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأني أراهم حين أُنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوّتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة ... أذود الردى عنهم وإن مت موّتوا
فكم قائل لا يُبعد الله داره ... وآخر جذلان يُسرُّ ويشمتُ

أليس هذا الشعر قائماً على الحوار والتمثيل؟؟

وما رأيكم في قول ابن الزيات، وقد ماتت زوجته وتركت له طفلاً يؤرقه بكاؤه في غياهب الليل

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بُعيد الكرى عيناه تنسكبانِ
رأى كل أمٍّ وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيانِ
وبات وحيداً في الفراش تحثه ... بلابل قلب دائم الخفقانِ
ألا إن سجلاً واحداً قد أرقتهُ ... من الدمع أو سجلين قد شفياني
فلا تلحياني إن بكيتُ فإنما ... أداوي بهذا الدمع ما تريانِ
وإن مكاناً في الثرى خُطَّ لحدهُ ... لمن كان في قلبي بكل مكانِ
أحقُّ مكان بالزيارة والهوى ... فهل أنتما إن عُجتُ منتظرانِ
فهبني عزمتُ الصبر عنها لأنني ... جليدٌ فمن بالصبر لابن ثمانِ
ضعيف القُوى لا يعرف الأجر حسبةً ... ولا يأتسي بالناس في الحدثانِ
ألا من أمنّيه المنى وأعدّهُ ... لعثرة أيامي وصرف زماني
ألا من إذا ما جئتُ أكرم مجلسي ... وإن غبتُ عنه حاطني ورعاني
فلم أر كالأقدار كيف يصبنني ... ولا مثل هذا الدهر كيف رماني

هذه قصة تمثيلية رائعة، وقد يلاحظ بعض القراء أن الصورة الشعرية في هذه القصيدة متنافرة الأجزاء، ولكن لا بأس، هذه القصيدة قد ضاعت أصولها مع الأسف، ولم يبق منها غير هذه الأبيات وهي مما تخيّره ابن رشيق. وقد تعبتُ في البحث عن أصل هذه القصيدة وسألت الأستاذ الشيخ محمد الخضري بك مهذب الأغاني فلم أصل إلى ما أريد، ولكن هذه القطعة الباقية من تلك القصيدة تشهد بقدرة ابن الزيات على تمثيل المعاني والأغراض

* * *

أما بعد فأنتم تعرفون أن توضيح الواضحات من المشكلات، فالعرب في أكثر أشعارهم قد تفوقوا في عرض المعاني والمناظر والمشاهد، ولهم في تصوير الطبائع والشمائل قدرة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر أو حقود

وليس من الحتم أن يملكوا جميعاً مسالك ابن الرومي أو أبي العلاء ، فلكل شاعر مذهب في الأوصاف والتعابير ، واختلافهم في مذاهبهم ومناحيهم ومشاربهم هو الشاهد على ما يملكون من الأصالة والذاتية

وما كان ابن الرومي أكبر شاعر عرفه العرب ، كما وهم أحمد أمين ، وقد صارحت الأستاذ العقاد بأني أرى الشريف الرضي أشعر من ابن الرومي فلم ينكر ذلك ، ولكني لا أنكر أن ميزة ابن الرومي هي التفوق في وصف الـ Caractères

وهذا معنى ما عرف به ابن الرومي من الحرص على درس أخلاق الناس ، وهي ميزة شاركه فيها أبو العلاء

وقد كان ابن الرومي قد أطمع في عصره بجائز ظني هو مع ذلك لم يصل في شعره إلى الرنة الموسيقية التي كان يتفرد بها البحتري ، ولم يصل في الفلسفة إلى مرتبة أبي تمام ومسلم بن الوليد ، ولم يحمس الناس أحياناً على نحو ما صنع المتنبي في مدائحه أو في ديوان أبي نواس

ومن هذا يفهم أن الشعراء رجالا … أن ابن أبي ربيعة في بابه أشعر من ابن الرومي في بابه ، وابن الرومي في بابه أشعر من ابن أبي ربيعة في بابه ، والناقد البصير الفطن هو الذي يضع الشعر بابه واحداً يحكم على الشعراء

ومحاسن الأدب العربي ترجع إلى هذا التنوع الطريف ، فليس عندنا شاعر يغني عن شاعر ، والأدباء إخوة مختلفون في المذاهب والأغراض ، ومن اختلاف الألوان التي فيهم تتم الصورة الكاملة للعبقرية العربية

ثم ماذا ؟ ثم يقول أحمد أمين إن الأدب العربي ليس فيه إلا كاتب واحد عميد القصص هو ابن خلدون

* * *

وسنرى في المقال المقبل … مع … والنحويين ، … أو … أو في … ، والله المستعان على … الفكر في أهل هذا الزمان

« للحديث شجون » زكي مبارك

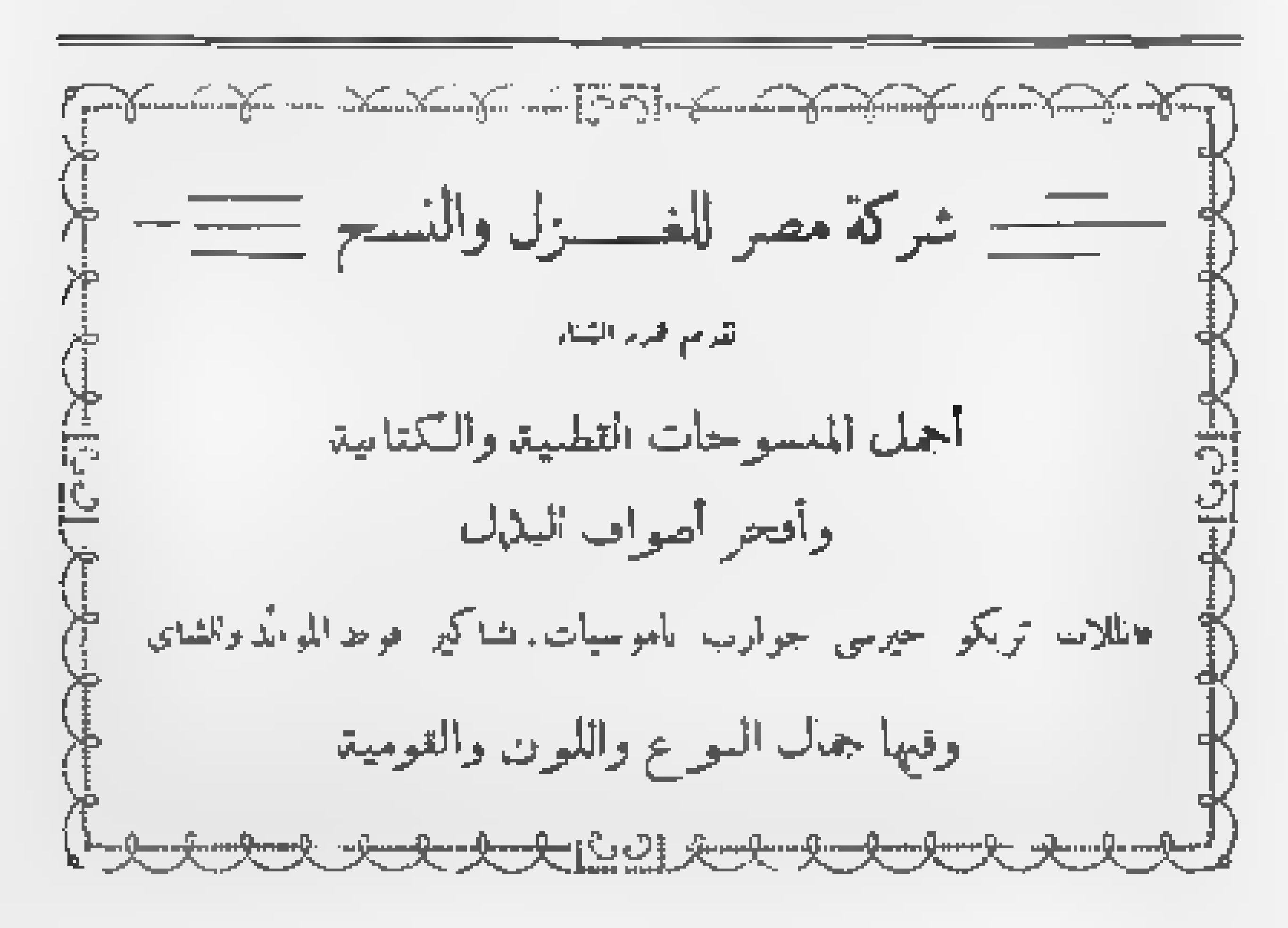

التعليم والإنتاج

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

ها قد انتهت العطلة الصيفية بخيرها أو آذنت بالانتهاء، ودب في المعاهد التعليمية نشاطها وعادت إليها حركتها السنوية العادية، حركة القبول والرفض وتوجيه آمال الطلاب. وهي حركة تشمل عدداً كبيراً من أبناء هذه البلاد وتشغل بال أولياء الأمور كما هو الحال في مثل هذه الأيام من كل عام. وهي حركة إن نمت عن شيء فهي تنم عن إقبال شباب الأمة فتيانها وفتياتها على معاهدها سعياً وراء العلم والتعلم. وهي لا شك بشير الخير والبركة لو سار التعليم عندنا سيره عند غيرنا، ولو اتجهت معاهده في توجيه أبنائها الاتجاه الصحيح الذي يدفع بالشباب إلى السبيل المستقيم سبيل الإنتاج، لأن هذه الأمم وغيرها تقوم على الإنتاج؛ والفرد غير المنتج يكون حياته عديمة القيمة. فإلى أي حد يا ترى أصبح تعليمنا منتجاً؟ وإلى أي مدى يا ترى تعد مدارسنا أبناءها ليكونوا مواطنين منتجين؟ وكم في المائة منهم يجدون أبواب الإنتاج العمل بعد تخرجهم في معاهدهم؟ وهل تستطيع سلطات التعليم عندنا أن تعرف عدد خريجيها في كل عام، وعدد من يخرجون منهم في سلك الإنتاج والمنتجين، وعدد من أصبحوا منهم في عداد الموظفين، وعدد من عوّلوا على أنفسهم وصاروا في عداد العاطلين؟

هذه أسئلة كانت تؤرقني أثناء البحث الذي أجريته خاصاً بموضوع «التعليم والمتعطلون في مصر» ولم أستطع أن أجد لها حلاً وافياً لأني سألت كثيراً من المعاهد في ذلك، فلم يرد على البعض ورد البعض الآخر رداً مقتضباً عديم القيمة. ولكن مدرسة واحدة هي مدرسة التجارة المتوسطة بالإسكندرية ردت علىّ رداً وافياً بإحصائية كاملة عن حالة خريجيها من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٧، أوردتها بصفحة ٣٥٠ من مؤلفي السابق الذكر. ويتبين منها أن عدد خريجي هذه المدرسة بين السنين السابق الذكر هو ٧٩٨ منهم ٣٠١ موظفون في الحكومة أي بنسبة ٣٧٫٧ في المائة ومنهم ٩٨ موظفون في الشركات والمصارف أي بنسبة ١٢٫٣ في المائة ومنهم ١٦٥ متعطلون لا عمل لهم أي بنسبة ٢٠٫٧ في المائة ومنهم ٣٧ هاجروا حرة أي بنسبة ٤٫٦ في المائة ومنهم ٢٣ زاولوا أعمالاً حرة أي بنسبة ٢٫٩ في المائة. وقد بلغت نسبة المتعطلين في العام الأخير عام ١٩٣٧ [illegible] كبيراً [illegible] ومنهم ٧٦ من هذه متخرجاً أي بنسبة ٩٫٥ في المائة مما يدعو إلى الأسف الكبير. ومما يدعو إلى الأسف الأكثر أن [illegible] في المائة فقط من المتخرجين [illegible] أبواب الإنتاج الحقيقي بمزاولة الأعمال الحرة.

ولقد كان من السهل علينا الحصول على نتيجة ناجحة في هذا الموضوع لو أن كل معهد من معاهدنا احتفظ بسجل خاص بخريجيه يمكنه من عمل مثل الإحصائية السابقة وتقديمها لكل باحث في هذا الموضوع الهام الذي له شأن كبير في توجيه التعليم ورسم سياسته. وأعتقد أن وزارة المعارف لا بد أن تعنى بهذه الناحية في عهدها الجديد المبشر بالخير. على أنه قد استحدثت في مصر الآن حركة قوية عمرت معظم معاهدنا، وأصابت لب شبابها؛ ووجهت الكثيرين منهم وجهة جديدة، هي الانخراط في سلك ضباط الجيش العامل والمرابط، أو في زمرة عماله؛ وهي حركة تبشر بالخير، وتنم عن صدق الوطنية وحرارتها، وتقابل من جميع المصريين بالصدر والإعجاب. ولكنها حركة مؤقتة أوجدتها ظروف المعاهدة وظروف الحرب الحاضرة. وليس من الممكن أن تستنفد الكلية الحربية كل خريجي مدارسنا الثانوية، ولا أن تستنفد معسكرات [illegible] ومصانعه كل خريجي مدارسنا الصناعية. وإذا كانت الكلية الحربية قد استوعبت عدداً كبيراً من هؤلاء، وإذا كانت المدارس الحربية الملحقة بها قد أخذت عدداً آخر كبيراً من أولئك، فإنها في الوقت نفسه قد رفضت منهم العدد الأكبر وردتهم عنها رداً خيب آمالهم وآمال أهليهم في توجيه عمل يضمن لهم العيش في المستقبل. ولا شك أنها سترد عنها في السنين المقبلة عدداً كبيراً من هؤلاء الطلاب أكثر بكثير ممن ردتهم هذا العام، لأن استيعابها العدد الكبير منهم الآن راجع كما أسلفنا لظروف الحرب وظروف تنشئة الجيش العامل والمرابط وتكوينهما وتسليحهما؛ وهي ظروف طارئة لا تلبث أن تزول، وبزوالها يعود الآلاف من خريجي المدارس والمعاهد [illegible]، وكما [illegible] في تقرير، كأشخاص التعليم لا يرجى منهم للإنتاج خير. ولذا أصبح واجباً علينا أن نفكر جدياً في ربط معاهدنا بحياة العامة حياة العمل والإنتاج ربطاً محكماً، كما فعلت قبلنا أمم وكما يعمل

الآن الأمر الجلل . على أننا مستقبلون عند العام الدراسي الجديد بخطوة طيبة خطتها وزارة المعارف نحو الإصلاح المنشود ، وهي خطوة لمسنا في تقريرنا المذكورة إلى الوزارة بسرور ، نعيبها منذ أكثر من عشر سنوات كما ندعو بتضييق الخطوات التقليدية المتزمتين والسير كالإبرة في تدريجها تدريجاً إلى

تلك هي إنشاء المناطق التعليمية المحددة وهي خطوة مهمة عندنا من أنباء المركزية الخانقة وعيوبها والتكدس في نظر من يكون له أثر فعال في إصلاح معاهد التعليم وربطها بالحياة العامة حياة الإنتاج إلا إننا نخشى من أمر آخر أشد ثقلاً على المعاهد من المركزية حسب ، لأنه يقيدها بأثقل القيود ، ويبعث قواها في مجهودات غير منتجة ويضطرها إلى التزام طريق خاص يبعدها كل البعد عن الاتصال الفعلي بعناصر الإنتاج في الحياة العامة

ذلك هو الامتحانات وأمثالها وإذا كان المتخصصون علماء التربية الحديثة أمثال دكرولي ومنتسوري وديوي الخ يقررون أن للمعهد يجب عليه ألا يتصل فقط بعناصر الإنتاج المحيطة به ، بل عليه فوق ذلك أن يكون في نفسه مصدراً للإنتاج على نطاق صغير أو كبير حسب ظروفه — فكيف يمكن لمعهد من المعاهد يضع نصب عينيه إعداد تلاميذه للامتحان في مسائل خاصة امتحاناً بعد عمر طويل الفاصل في مستقبل تلميذه ؟ كيف يمكن لمثل هذا المعهد أن يحيد قيد أنملة عن المنهج المقرر لذلك الامتحان أو أن يفكر لحظة في غير مسائل الامتحان الذي وضع الناجح فيه على الرأس ، لأنه يسد الفاصل بين العلم والجهل وبين الذكاء والغباء كما يجرى أنصار القديم ؟ وكيف يمكن لناظر أو مدرس أن يفكر في غير الامتحان أو أن يعمل لغير الامتحان وهو المسئول عن نتيجته ومن ورائه المفتش يسأل ويعاقب اللوم كل من يخرج عن المنهج المقرر في أمرها مهما كان ذلك الأمر هاماً ومهما كان متعلقاً بحياة الطالب ومستقبله ؟!

لهذا كله لا أشك في أن الامتحانات بعد تعقيد الأمر كرة أصبحت بصورتها الحاضرة هي العقبة الكأداء التي تعوق المدارس عن القيام بواجبها لتحقيق تلك الغاية ، فهي علاوة على تثقيلها كاهل المدرس والمدرسين والنظار والطلاب وحرمانها إياهم من الاتصال المباشر بالإنتاج الحقيقي وعرضها ذاتيته وأغراضه تبقيهم مقيدين محبوطاً لكفاءة كما يتبين من ذلك التجارب والإحصاءات وكما يبرز ذلك أكثر الفتك ، ثم هي فوق ذلك تحرم المدرس من

التلاميذ بقدر ... الطريقة ... تستعمل ... مديرة ... الخاصة التي يتبعها الآن ... أكبر ... في ... في البلاد الأخرى ، كما أنها تعمل على تعمية عيون أولياء الطلبة وإهمال الجسم الآخر ... أهمية كبرى في حياته ... العمل المدرسي علاوة على ما تبعه من مرض عصبي ... وإفساد الأخلاق وقد كتب في مصادرها فصلاً مطولاً في دروس والتعليم والتعليم في مصر « من صفحة 98 إلى صفحة 113 » جاء عنها بأن ... « إذا كان أظهر عيوب السلطة التعليمية المركزة للأعمال الفنية والإدارية عندنا هو المركزية فإن أظهر عيوب الأعمال المدرسية هو الامتحانات » وقد جاء فيه « وإذا كان علماء التربية في البلاد ذات التعليم العالي التي ترسخ تقاليدها ومدارسها ... قد أجمعوا على أن الامتحانات ... صحيحاً حقيقياً ... مدارسنا لا تزال إلى اليوم معيار النجاح فيها هو الشهادة الوحيدة التي ترمي إليها ، وأصبحت الشهادة في نظر الجميع هي الحاجة ذات البيض الذهبي التي تدر على صاحبها الذهب والفضة ... التي ... من ورائها ... الخ »

وبعد ، فقد وضح الآن أنه لا سبيل إلى حل المشاكل كرة ... في سبيل إصلاح معاهد التعليم وربطها بحياة الإنتاج ... بالحياة العملية إلا بالتخلص من شر الامتحانات ... أو تعديلها تعديلاً كبيراً يخفف من شرها ويفسح ... العمل ... وإن مصر كلها تضع آمالها في إصلاح حال التعليم ... في ذلك العالم الذي ... الكبير ... الثورة المصرية ... وراعته ... حديثاً ، ذلك العلم ... على ... وزيره التربية والتعليم الذي ... جراءة ... ساكنين الله ... في الإصلاح ... أن يوفقه لخير العلم والتعليم ، ولخير مصر والمصريين

عبد ... سعيد ...

في الأدب الإنكليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٤ – الإباحية في الأدب

ينقسم الإنسان الحديث إلى إحدى طوائف ثلاث : فهو إما رجل يخشى جسمه ولا يعترف بوجوده فيحاول أن ينكره كله ويفكر في سماء الروحية دون غيرها ، وهو لذلك يحارب كل ما يمت إلى الجسم بصلة وينكر على نفسه كل رغبة جنسية مهما كان مصدرها أو موضوعها . وقد يتصور أمثال هذا الشخص من يصب جسمه عليه في آخر الأمر ومن ضرباته القاسية التي يكيلها له دون ما هوادة أو رحمة . وليس أدل على هذا من الأخبار التي كثيراً ما نسمعها عن أساتذة كبار أو مدرسين يتعثرون على السلالم مع تهافت الفتيات ممن يجلسن في مدارسهم أو يقصدن كنائسهم . وليس أمر هؤلاء بغريب ولا تعليل ما حاق بهم بعسير ، فهم تنكروا لأجسامهم وكبتوا رغباتها ، فكانت نتيجة ذلك أن تعطل تفكيرهم واختل ميزان عقلهم ، فأتوا من الأعمال ما لا ينطبق على العقل في شيء .

وهناك رجل آخر هو على النقيض من الرجل الأول ، أرخى لجسمه العنان وعاش من أجل متعة جسمه لا غير ، فهو يرى في جسمه وسيلة إلى اللذة فأسرف في الانغماس فيها ، لا يفرق حينه بين يقظة وبين أن يتناول كأساً من الكوكتيل أو غيره مما يشبهه أحسن وقت له .

وأخيراً يأتي النوع الثالث من الرجال وهم الأصحاء كثيرو العدد . ويمتاز هذا الرجل بعقل ناضج لا يهمه إلا كل ناضج ، فهو رجل يقرأ بفرح الكتب التي تبحث في العلاقة الجنسية ، ولكن رائده في ذلك ليس تمهيد مسعاه أو الإفادة مما جاء بها ، وإنما رائده التفتيش عن كل جديد طريف ، لأنه يجد في قراءته لذة لا تعادلها لذة أخرى . ويجد هذا الشخص ميلاً إلى الاستماع إلى القصص التي تعالج هذا الموضوع وكذا النكات والفكاهات ، مكانهم يعملون من أجل [illegible] ويرونها موسيقى الغزل والحب . وهؤلاء وأمثالهم يريد لورنس أن يكونوا من بين قرائه .

ومن غريب الأمر أن يتكلم هؤلاء المؤلفون عن لورنس ككاتب إباحي متطرف في القول ، لا يزال عدد كبير منهم [illegible] كتبه ومن لم يقرأ . ولا يصب لورنس كل اللوم على هؤلاء الناس ، بل هو يوجه بعض لومه على القرن السابق الذي لا تزال تعاليمه مسيطرة على عقول الناس في العصر الحالي ، ذلك العالم الذي أكل عليها الدهر وشرب ، والذي ظهر سلطانها وكان يجب أن يبطل العمل بها . وليس أدل على تأخر جيل من خضوعه لقيود الجيل السالف واستسلامه لتعاليمه . وما ينطبق هنا على [illegible] فهو ينطبق على القرن العشرين الذي ما زال يرسف في أغلال القرن التاسع عشر على الأقل من الوجهة الاجتماعية . من عصياننا لا نزال نحرص على التمسك بقيود أخلاقنا ، وحتى في الأفلام التي نشاهدها ، وفي الكتب التي نقرؤها ، وفي الأحاديث التي نستمع إليها ، ما زالت هذه التقاليد تتحكم في سلطانها علينا . فنحن مثلاً لا نزال نعتقد أن الجنس والعلاقة الجنسية هي من الموضوعات المحرمة التي لا يصح الخوض في بحثها ، أو الإشارة إليها إلا مضطرين ، أو من طرف خفي . فالوالدان إذ يتحدثان إلى طفلتهما لا يزالان يلقنانها أنها يجب أن تكون في نقاوة الزهرة وطهر الملائكة ، وهم إذ يشبهونها بالزهرة فإنما يقصدون أنها يجب أن تتخذ الزهرة مثلها الأعلى ! ووجه الشبه الذي يبحث عنه في اعتقادهم خلو كل منهما من الرغبة الجنسية . وأمثال هؤلاء القوم مخطئون في تشبيههم ، فلا الزهرة خالية من الرغبة الجنسية ، ولا الفتاة مستطيعة أن تكون في غنى عن هذه الرغبة . والحقيقة أن للزهرة جنساً ، وأن لها رغبة جنسية ، وليس من العدل في شيء أن تحرم الفتاة مما لم تحرم منه الزهرة ، بعد أن شبهنا الواحدة بالأخرى .

ومع ذلك لا يفتأ الوالدان يكرران على مسمع الفتاة أمثال هذه الترهات حتى يأتي الوقت الذي ينضج فيه الجنس الآخر ، وتنظر إليه نظرتها إلى عدو لدود ، وتكتب بعد أن تنمو وتكبر وتصل إلى العمر الذي تبحث فيه عمن سيكون شريك حياتها ، تصطدم بالفكرة الخاطئة التي غرسها في نفسها والداها ، فيحدث عندها [illegible] وصراع يقضي عليها فيتعبها ويفسد حياتها .

وليس في استطاعة أحد تعريف الإباحية أو تحديدها ، بل هي في الحقيقة أمر نسبي كغيره من الأشياء النسبية ، فما يعده شخص إباحياً ، قد يعده شخص آخر غير ذلك ، وما كان إباحياً في عصر من العصور قد لا يكون كذلك في عصر آخر وهكذا. فمثلاً كان الإنجليز في عصر كرومويل يعدون رواية « هاملت » إباحية لا يستسيغها ذوقهم ولا تقبلها مبادئهم الأخلاقية

وها هي أولاء في العصر الحالي تعد من بين أهم روايات شكسبير وأقواها ، بل ومن أهم روائع الأدب العالمي . وعلى العكس من ذلك ، يعد بعض الناس في عصرنا هذا روايات أريستوفانيس إباحية تخدش عواطفنا الخلقية وتهتكها ، ولكن هذا لم يمنع الإغريق من أن ينظروا إلى أريستوفانيس نظرة الصحة والاحترام ويضعوه في مصاف كتاب الدرجة الأولى

وإذا سألنا أنفسنا عن السر في اختلاف حكم شخص عن حكم شخص آخر أو حكم جيل عن حكم جيل آخر لما أعيانا السؤال أو استعصى علينا الجواب . وتفسير ذلك أنه ما من كتاب إلا وفيه معنيان : المعنى الإجمالي ، أو المعنى الشمس وهو ما اتفق الناس عليه ؛ والمعنى الخاص ، أو المعنى الفردي وهو المعنى الذي يفهمه كل قارئ على حدة حسب تفكيره وخياله وتجاربه . وليس في مقدور كل شخص أن يكوّن هذا المعنى الفردي لأنه يتطلب من صاحبه أن يكون نصيبه من الذوق السليم ، وأن يكون خياله خصباً ، وأن تكون تجاربه واسعة . وإن كتب لورنس هي من النوع الذي يجب أن يعتمد القارئ فيه على المعنى الفردي ، وإلا فمن أحرى به أن يسبر غورها أو يفهم فلسفتها أو يحيط معرفةً بها . وإن أمثال هذا القارئ قليلون ، ولهذا السبب كان عدد من يفهمون لورنس على حقيقته قليلاً ؛ ولكن الغالبية من قرائه يستسهلون قراءة لورنس عن طريق المعنى الشمسي الذي هو أبعد ما يكون عما قصده الكاتب ، وهم لهذا السبب ينعتونه بأنه كاتب إباحي أو متطرف في التحرر . ولو أن أحدهم كلف نفسه مشقة سؤال نفسه « هل ما أقرأ يصطدم ومبادئ الخلق الصحيحة » لسهل الجواب عليه . ولكن قليل هم من يفعلون ذلك ، بل يلجأ الكثير منهم إلى تلك القواعد

والقوانين الخلقية التي ورثها من أسلافه جيلاً بعد جيل ، وطبقها على ما يقرأ ؛ وإذ ذاك يرمي صاحب الكتاب بالتحلل والخروج على القوانين الأخلاقية . والحقيقة الواقعة هي أن ما يقرأه يجرح الشعور لأنه لم يألف رؤية أمثال هذه الكتب من قبل ، وأنها غير معروضة علناً وطالما فكر فيها ؛ فهي معروفة غير مألوفة له ، فهي إذن لا تجرحه ولا تتعارض ومبادئه الأخلاقية

ويعتبر الناس أن كل ما يثير الرغبة الجنسية إباحي ، وهم ولا شك مراءون منافقون يخدعون حقائق الغير بعد أن خدعوا في حقيقة أنفسهم . ومن غريب الأمر أنهم يعرفون أن الكون لا تقوم له قائمة من غير الجنس والعلاقة الجنسية ، وهم يعرفون تماماً أن هذه العلاقة كانت وما زالت وسوف تكون أساس الحياة في هذا العالم ، وأنه لا مفر لنا مما يثير فينا الرغبة الجنسية ، وإلا انهار الكون وتقوض بناؤه . وفوق ذلك فهم يعتبرون بعض القصائد الشعرية واللوحات الفنية والقطع الموسيقية والروايات والقصص من روائع الفن أو الأدب ، وهي كلها معتمدة على بعض مواضع إثارة الرغبة الجنسية . ومع كل هذا لا يزال الاعتقاد سائداً بينهم أن الكلام في هذا الموضوع هو من المحرمات التي لا يجوز الخوض فيها . وهم يقصدون بالكلام في هذا الموضوع الكلام الجهري فقط ، إذ أنهم لا يأنفون من خوض غمار هذا الموضوع ما دام الستر رائدهم وما داموا بعيدين عن أعين النقاد

والحقيقة التي لا شك فيها أنه ليس هناك أي ضرر من معالجة الكتب لموضوع العلاقة الجنسية ، ما دامت لا تقصد من ذلك سوى منفعة الفرد وخدمته ، عن طريق تنوير ذهنه وإرشاده إلى طريق الحياة السوي الصحيح . وأما ما يجب محاربته بشدة فهو تلك الكتب التي تنشر سراً بين الناس انتشار الأمراض الخبيثة ، والتي تمس العلاقة الجنسية وتسيء إليها كل الإساءة ، والتي لا يبغي أصحابها من ورائها سوى مقتضيات اللذة السطحية . وإن سبب انتشار أمثال هذه الكتب انتشاراً مريباً وإقبال الناس على اقتنائها وتهافتهم على قراءتها هو ذلك الناموس الذي أحاط الناس جيلاً بعد جيل بالعلاقة الجنسية ... هذا الاصطلاح الذي لا طائل منه والذي يدفع الفرد والشباب والكهول إلى أن يحتال

بكتاب من هذا النوع فإنه يقصد منه إلى ما حرم من مجامعة حية سليمة . وإن انتشار هذه الكتب لهو أشد ضرراً وأسوأ نتيجة من قراءة الكتب الصريحة ، وشتان بين الأثر الذي تتركه أمثال هذه الكتب ، وبين الأثر الذي تتركه قصص بوكاتشيو مثلاً ، مع أن الناس اصطلحوا وضعها في مرتبة واحدة

ولكن النزعة الجنسية التي لا تجد الناس منها تعطف من الفرد تعسفاً من رغباتها . فإذا ما حجب له هذا التنفس الطبيعي والتعبير عن نوم لا يفرقون بين الغث والسمين ، عمد إلى وسيلة أخرى ينفس بها عن رغباته دون أن يعرف الناس منه شيئاً

والسينما لعلها خير أقرب مثالاً من العقدة التي به ومكبوت ومنسية في [illegible] . أما طريقة الآن الوحيدة التي لا يعرض فيه نقد ناقد أو تهكم متهكم . وقد تتأثر الناس في الصور السينمائية بكل ما فيه من قوة لأنها في نظره صرخات النفس المكبوتة [illegible] السافل ، هي التي تقتل في الإنسان الحديث حيويته وتركه [illegible] أن أعاد نفسي في [illegible] ثوب العار والدنس الذي لا يجتنبه منه قط . وإذا تلمس أثر العقدة الجنسية في كتاب العصر الحديث ، فكما أنه في [illegible] ليس هنالك [illegible] كذلك في كتابات هذا العصر نرى أن موضوع الكتابة والكاتب [illegible] واحد ، حتى أن الكاتب يعمد إلى شخصيته أو نفسه فيحللها تحليلاً دقيقاً ويبني على هذا التحليل كتابه . ومن أمثال هذه الكتب كتاب « يوليسيس » لجيمس جويس

وقد عمد الناس في العصر الحالي إلى العصر البديع الذي يسمح عن إحاطة العلاقة الجنسية بجو من الغموض والإبهام ، وأدركوا عظم الفادحة التي قد تجرهم إليها جهل هذه الغموض ، ولكنهم للأسف [illegible] في تقديس [illegible] . وفي محاولاتهم لحل هذه الغموض تجاوزوا [illegible] وأعدموا الرهبة الجنسية ، فظهرت كتب عديدة تحاول أن توضح كل شيء في العلاقة الجنسية فكان من جراء ذلك أن زالت عنها كل قدسية . ومن أمثال هذه كتب ماري ستوبس Marie Stopes وذهب فريق آخر إلى الكشف عن هذه الغموض بأن [illegible] في هذه العلاقة وأسرفوا فيها ، وهؤلاء هم البوهيميون الذين كان من جراء مسالكهم في هذه العلاقة أن فقدوا كل شيء

فيها ، غير مدركين أن العلاقة الجنسية هي ينبوع مقدس ينبعث منه الماء بقوة آلهية ، حتى إذا ما حاول الإنسان أن يكتشف السر من هذه القوة [illegible] هذا الينبوع ثم جف

فلورنس الذي يرى أنه هو الذي يبلغ الكتاب [illegible] الموضوع في شيء من [illegible] لا يحاول كل شيء [illegible] حتى لا تفقد هذه العلاقة قدسيتها . وكذلك يريد لورنس أن يعلم الناس أن هذه العلاقة شيء مقدس لا حرج فيه ولا عار ، فهو يريد أن يرفع من شأنها ويحبب الناس أن يتقمصوا التقديس اللائق بها ، وفوق ذلك يريد لورنس أن يحول الإنسان [illegible] دون حياء أو مواربة

ولورنس يكتب الآن لأقلية من القراء المفكرين [illegible] إلا أن الوقت سوف يأتي عندما يؤمن الناس به جميعاً ويدافعون عن آرائه ومبادئه ويعملون بها [illegible] ، وهم إن فعلوا ذلك فسوف يحيون حياة جديدة كلها هناء وكلها سعادة ورفاهية

(يتبع) [illegible]

[illegible] بانجلترا

على هامش الحرب

ثغـــر لا يبتسم

للأستاذ محمود غنيم

وقف الشاعر على شاطئ البحر وراءه ظلام شارع الإسكندرية ... يغني أسى مأتم السكون وشدة وحشة الأيام

الشط داجٍ والسكون مخيمُ ... ما بال ثغر الثغر لا يتبسمُ
يهدي به طلقاً يشوّق الوجه إذ ... وجهُ الطبيعة عابسٌ متجهمُ
سعد الظلام السحرَ حتى أوشكت ... في الليل تخشى أن تطل الأنجمُ
فكأنما أرواحنا [illegible] ... مأتم في مصر [illegible] مأتم
السحر يشرق الظلامُ [illegible] ... من [illegible] يطلع [illegible]
لا نور في الآفاق إلا أن ترى ... [illegible] قد طار [illegible]
أو حرة الشمس التي بسماحة ... فكأن ماء البحر [illegible] دم
أو [illegible] مصباح [illegible] ... [illegible] من النار [illegible]
[illegible] خلف السم أو ... كلا! يوم [illegible] سهم
ولقد نظرت إلى المنار فإنني ... طرق وهل نلقيه [illegible]
قد عطّل المصطاف من [illegible] ... وانقض من [illegible] الأوان المرسم
أبوت [illegible] وأعطش ليله ... لا راقص فيه ولا [illegible]
قد كان يحيي الليل فيه معشرٌ ... [illegible] عند الغروب [illegible]
أن الأنام على ملاعب [illegible] ... وكأنهن [illegible] نجوم
حيث من الأرجاء كان مرابطاً ... ما باله من غير حرب [illegible]
يدعى عروس البحر أم [illegible] ... ما [illegible] لبس كما أتوهم
ما [illegible] في حرب إلا أنها ... [illegible] من هول الحروب [illegible]
لكنما [illegible] ... طاقات أعواد للدموع [illegible]
كم كنت [illegible] عندها ... [illegible] في الخيال وأحلم
دنيا يعيش بها السرور [illegible] ... [illegible] بالسعادة [illegible]
البحر كم أصطاف فيه [illegible] ... واليوم ما بالي [illegible]
[illegible] ... [illegible]
الله [illegible] كارها ... [illegible] أسى [illegible]

(الإسكندرية) — محمود غنيم

الخـــير والشر

للأستاذ ميخائيل نعيمة

بحثت في حتى ، وما البحث ... سحت ... [illegible]
يقول : إني [illegible] ... ولا [illegible] إن كانت [illegible]
أبين [illegible] وأين استوى ... سر [illegible] وسر [illegible]
أم نسمع من جوهر واحد؟ ... إن بعض الناس [illegible]

* * *

فأطرق ابن الخلود مستوجماً ... في [illegible] ذكرى زمان [illegible]
واغرورقت عيناه [illegible] ... [illegible] ابن [illegible]
وقال [illegible] ... من [illegible] أخي [illegible]
وعشق الإنسان [illegible] إلى ... [illegible]

ميخائيل نعيمة

في الهيـــكل

للأستاذ إبراهيم العريض

[illegible] يسكر النسيم إذا ... [illegible] في [illegible] انفراد
[illegible] في حياة كعادتي ... [illegible] المستقر في بحر ولو
كل ذكر من جانبيه [illegible] ... قائم فيه الطبيعة [illegible]
حيث يتعب [illegible] الأفق ... كالثريا تحت الشعاع [illegible]
سال الشمس في الرمال [illegible] ... [illegible] الوهاد
[illegible] على كل [illegible] ... [illegible] على كل [illegible]
كل [illegible] الرياح [illegible] ... [illegible] في المهاد
وعلى [illegible] كرم ... لاح في [illegible] من الأوراد
[illegible] ... [illegible] الأعواد
[illegible] كالسحاب [illegible] ... [illegible] على الغصون [illegible]
[illegible] ... بين أوراق [illegible]
[illegible] بالنفس إلا ... [illegible] في الغلاء
[illegible] في البال [illegible] ... والبالي لا [illegible]
[illegible] النفس [illegible] ... من حياتي [illegible]
[illegible] الكروم [illegible] ... أحمر [illegible] الأوراد
ومشهودها [illegible] ... في [illegible] سالكاً بين الأعماد

(البحرين) — إبراهيم العريض

حياتي

للأستاذ العوضي الوكيل

كأنّ حياتي كوكبٌ أنت نورُه ... ودهرٌ وصِباكِ السنيُّ منيرُه

حياتي بحياتكِ روحٌ من الهوى ... تهدهدُ في الدنيا وتعلو هديرُه

وتسكب في البرعم منّي نسمةً ... من القلب أرعدت به شعورُه

تمورُ شعاب الأرض وتروق الضحى

وتسرى بها والليلُ حولي شعورُه

حياتي بستانٌ تطاولَ عهدُه ... وأنتِ في حسّي عشُّ طيورُه

وروض الأحلام يسانيه زهرةً ... وفي اللحن تو... ويا نضيرُه

فكم ظاهرٍ عبر العيون تكنّه ... وكم مستكنٍّ في الدموع تثيرُه

(القاهرة) — العوضي الوكيل

تعالَيْ ...!

للأستاذ صالح الحامد العلوي

تعالَيْ يا ابنة الفجر ... أحسُّ النور في صدري

وبثّي نشوة الحبّ ... ب والأفراح في نفسي!

فإنكِ عنديَ الحبّ ... وكلٌّ عندها النزري

وما في الكون من سحر ... ومن عطر ومن شعر

سأنساه إذا ما جئـ ... ـتِ من سحر ولا عطر

فتسلي في جمالك حسـ ... ـنَ أجيال من الأسر!

سقي زهرة الحبّ!

أديري السحر في قلبي

وأحيي ميت الأحلا

م والآمال في جدبي

* * *

نمرّ على بحـ...ـر ... ونسمع راعة الطير

ونعبر حول الأوطا ... ب بالنغمات والأسر

في خضرة وفي صحو ... ك ماء العشب يجري

وفي الكفين كأسٌ لـ ... هوى عبر الشرس!

وقد يتعب ذاك الملـ ... ـك من ... أو ...

وقد تشعد تلك الأ ... رض من ... أو ...

تعالَيْ يا ابنة الحبّ!

لندركْ سعوة الحبّ

وكلٌّ مهجةٌ تهوى

وكأسٌ فتنةٌ تسبي!

(حضرموت - سيئون) — صالح الحامد العلوي

هذيان ...

للأديب عبد العليم عيسى

مدمعي لا تسحب الـ ... ـآسي شكاتي وعنائي

وسواء سار في الـ ... ـرو أم المظلمات

أنا وحدي في سبيلي ... مشتتُ الهدى حصاتي

لا أبالي تحت الأ ... ـجب حول والصلة

تركا تسل التراب ... وعلى السرب وآمانيه الكعبي

فليلم من شاء إني ... راسخ كالطود ...

ساخر من كل ماض ... من دنياي وآت

* * *

قطّروا الأمواه المر ... ـر وصبوا بالنشيد

وأنا وحدي تطرّبه ... ـت الشمس السعيد

لست بالباكي على الـ ... ـراب المقبور الليد

لا ولا الهاتف المشتا ... ق إلى الطفل الوليد

في ديبهم جانب ... صدى المعجب ... وكتاب

فإذا أرحض الأ ... ـنام المرح الرغيد

وهو في موضي وهم ... من تلألأت العبيد

* * *

أتركوني أنشد الأ ... ـحان سكران طروبا

أتركوني أوقظ الأطـ ... ـيار والزهر الحبيبا

لا تسيروا حولي ودعـ ... ـني وكفي ودع الندوبا

فأنا عيناي في الد ... ـنيا وإن كنت كئيبا

أتسلّى عن عنائي ... مغمدي للمطالب ... مثل مسحور الروائي

وسواء سكنت الدنيا ... من عدوّاً أو حبيبا

فأنا لا أعرف الدنيا ... من وإن كنت غريبا

(منهد) — عبد العليم عيسى

دراسات في الفن

شيء ليس في الكتب ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

وجاءتني منه أخرى صديقتي التي تحدثت إليك في الأسبوع الماضي وكانت كعادتها غاضبة، وستكتب في هذه المرة كلامًا حسبته هنا حكايته من قبل أن رأيك، وقد رأيت من قبل أن أراها فلم أسبه إليها إلا بعد أن ذكرتني وهي تقول:

— أهكذا يكتب الناس في الصحف السيارة ما يدور بينهم وبين صديقاتهم من أحاديث، حتى إذا قرأها من يعرفونهم ويعرفونهن وقفوا على ناحية من تفكير فتاة تحب أن يعرف الناس عنها أنها مقطوعة الصلة بالرجال وأحوال الرجال وعروض الرجال؟ .. أم أنت آليت على نفسك عقوبة المرسلين؟ حقًا إنك قليل الذوق!

— عفوك يا آنستي عفوك، فما أقصد إلى شيء من هذا، وإنما أردت أن أعرض لك بالتفسير كما سألتني عن الصوت ... ثم أنتهز هذه الفرصة لأسألك ما هو الذوق؟ هذا الذي تقولين إني محروم منه قليل

— هو صيحة جديدة ترحب بأمثالك في الرسالة ... سأشكوك للأستاذ الزيات!

— ليس للأستاذ الزيات سلطان في هذا ... فأجيبي وقولي ما هو الذوق؟ أم أنت تقولين ما لا تعرفين؟

— لا أعرف ... فما هو الذوق يا مولاي؟ ...

— وأنا أيضًا لا أعرف

— إذن فيم كانت هذه الأستاذية المفروضة في سؤالك؟

كانت في السؤال يا آنستي ... أما تعرفين أني أستاذ في الجهل، والسؤال حالته عجز عن المعرفة؟ وهلا تحبين أن نعرف الذوق معًا؟

— أتعرّف الذوق معك أنت؟ وهل أنت تريد أن تعرف الذوق ...؟

— نعمة الله أرحب ... وإني أراك لا تعرفينه فقد وقفت عن معرفته، ثم لا نعرفه معًا ... إنه شيء ليس في الكتب! ولولا أنك مني

— يا عزيزتي لقد ... من هنا يبدأ ... أنت تصفين إنسانًا بأنه ذو ذوق، فيه الإنسان شيء لا يؤكل ولا يشرب حتى يعرف له طعم فكيف سولت لك نفسك هذا التلطف؟

— وأنا مالي! أتريد أن تحاسبني على اللغة أيضًا؟ هم الناس يقولون هذا عنه ما يريدون أن يصفوا إنسانًا بأنه ... بأنه مهذب!

— إذن فأنت مخطئة في هذا ... وستعرفين أيضًا أن كل من يصف الإنسان بالذوق مخطئ في وصفه ... ونمضي إلى أن نلتقي بأول من وصف إنسانًا بهذا الوصف ... ونسأله كيف سولت له نفسه هذا التعبير؟

— سيقول إنه تشبيه

— ونحن أيضًا نقول إنه تشبيه ... ولكن كيف نشاهد التشبيه في وجهه، وكيف كانت عنده هذه العلاقة بين الإنسان وبين الزاد، وهي طعم من الطعوم لا يمكن أن يصل إلى الذهن إلا في أعصاب الجهاز الهضمي؟

— الجهاز الهضمي وما شأنه به؟

— ليس الزاد يصل إلى الإنسان إلا من هذا الطريق ... من الجهاز الهضمي وحده على [illegible] في [illegible] الذوق من هنا وصفه بقدر حقيقة الأولى، وهي أن أول من وصف إنسانًا بأنه [illegible] لا بد أن يكون أعصاب جهازه الهضمي قد أحست الزيرة

منه حلواً ... وعلى هذا القياس يكون أدنى من وصف إنساناً بأنه حلو قد أحست أعصاب جهازه الحسي فيه بطعم السكر حلواً وهكذا ...

— إذا وجدت إنساناً مثلك يوافقك على هذا الكلام ، فأنا أتأمل أن أقوم لك بمعنى الحياة حاجة ، وعليَّ ... إن هذا الذي تقول لا يصح إلا حيث ... حيث يأكل الناس بعضهم بعضاً فيتذوق بعضهم مرارة ... أو حلاوته !

— ومن لا يصح الذي تقولين ؛ إلا إذا كان عقل الإنسان آلة مضطربة لا نظام لها ولا قانون ، ولكني أتمثل نظاماً وقانوناً أجدر ... علماء النفس ... فإذا ... آلة ... ؟

— لأنك تريد أن تخرج منه إلى شيء مضحك !

— ليس ذنبي ، ولا ذنب ما أقوله أنك تضحكين ، أسكتي ! ونحن ... والله المعين

— أتسمعك ... فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أعود فأصحح ما قلت لأنه كلام سخيف

— لعلك تريد أن تعرض نفسك على طبيب حكيم ، أما قلت لك إن الذي تقوله ليس شيئاً غير كلام المجانين

— لا ، لا ... إنه كلام معقول مضبوط ، وكل ما في الأمر أنه سخيف ، فلو أننا رأيناه من الجانب الصالح ... ومن يدري ربما أصبح حقيقة علمية ...

— ها أنا ذي صامتة . وإني لا أسألك ... وإني أسألك التلطف فيه

— المعروف أن الجهاز العصبي لا يرسل إلى المخ إشاراته إلا بعد أن تؤثر فيه مؤثرات كيميائية ... أليس كذلك ؟

— إنه كذلك

— ونحن نريد الآن أن نعرف : ألا يمكن أن يرسل الجهاز العصبي إلى المخ إشاراته بغير وجود هذه المؤثرات الكيميائية ؟

— يمكن هذا ... عند ما يتذكر الإنسان طعماً من الطعوم

— ليس هذا التذكر إلا استعادة ... تلقائية تحدث في المخ وتستحضر بها صورة لحالة كانت ... من وجودها ولكنه على أي حال ... دليلاً أو قرينة على أنه من الممكن أن يتصور ... أو أن يدرك طعماً من الطعوم بدون حاجة إلى المؤثر الكيميائي

— حسن ... وهل تحسب أن ... مؤثراً آخر غير هذا المؤثر الكيميائي ؟

— ولم لا ؟ ألا يمكن أن يكون هناك مؤثر كهربائي مثلاً ؟

— وبعد أن ... إذا ... إنساناً ... مثلاً ، يجري منه تيار كهربائي فيصل هذا التيار إلى أعصابك أولاً ، ثم ... أسنانك ... ثم ... إلى ... وفي أثناء هذه ... أعصاب الجهاز العصبي إشارات إلى المخ ... على أن هذا الإنسان حلو ؟!

— لست أريد أن أقرر هذا بالضبط ، وإنما أريد أن أقرر شيئاً بسيطاً هو أني لا أرى ما يمنع من ... هذا الذي تقولين ، وعندي مشاهدات ... ليس من ... أن ... أو أن ...

وما هي مشاهداتك هذه ؟

— سأذكرها لك ، ولكني أرجوك ألا تشمئزي منها فأنا لا يعرف الاشمئزاز ولا التقزز ... لا تؤاخذيني ... ألم تحس يوماً من إنسان رذل ؟ أو في موقف رذل ؟ ثم ... ألم تحس بما لك يوماً استحلاء حلاوة ... طفل أو طفلة ... أو موقف ... أجيبي

— ما هذا ؟ للقرف ؟

— هذا ... أجيبي ألم يحدث لك شيء من هذا ؟ أما أنا فقد حدث لي كثيراً ، كما أني أعرف ناساً كثيرين حدث لهم مثل هذا ، وإني أعفيك من الإجابة عن هذا السؤال ... الموانع التي ... من الاشمئزاز ... وأسألك لماذا يحدث للناس ... هذا الذي ذكرته ؟ هل هو تأثير كيميائي أيضاً ؟

— لا أظن !

— إذن هو غير التأثير الكيميائي ، وأنا أقول إنه تأثير كهربائي ، صحيح أني لا أستطيع أن أثبت هذا إثباتاً علمياً يقوم على أساس من التجربة الدقيقة — ولكن ...

ولكن هذا الكلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا أثبته وأنا لا يهمني كثيراً ولا قليلاً أن تقوم له قائمة ، فلا أنا متعصب له ولا أنا حريص عليه ... بل إني أحب أن أعرضه

لأنك مكان شيئاً آخر أحبه أكثر مما أحب الكهرباء، وهو الزوج

— ولماذا لا تقصد إلى ذلك رأساً ما دام هذا هو غرضك؟

— لأن الحديث عن الكهرباء في هذا الزمن أيسر قبولاً عند الناس من الحديث عن الزوج، وقد يجد من يقتنع به في سهولة بل إنه قد يجد من يحاول إثباته ... وربما وجد من يثبته

— هأنت تخادع عاطفتك وتملقه

— بل إني أستدرجه ... دعني من هذا، ولنعد بنا إلى ما كنا فيه.

— وفي أي شيء كنا؟

— كنا نتحدث في «كهربائية» الناس

— يا له من موضوع!

إنه لا يزال أشتات موضوع ولا يجتمع .. والآن نريد أن نعرف .. ألا تختلف الكهرباء في المعادن والعناصر؟

— إنها تختلف .. فنحن إذا دلكنا الكهرمان بالصوف أو الحرير انبعث منه الكهرباء، ولكنا لا نبعث منه إذا دلكناه بالقطن مثلاً

— دعني [illegible] في هذا ما يشبه ذلك السر الذي يوحي بين ناس وناس، ويفتر [illegible] بين ناس [illegible] يكون في هذا أيضاً سر الإذن الذي أباح به الإسلام للرجل أن يتزوج من أربع نساء

— إن هذه فكرة عجيبة أريد لها توضيحاً

— ألا تستطيعين أنت أن تمضي وحدك إلى هذا التوضيح؟ الرجل كالكهرمان، والنساء كالصوف والقطن، ويمكن أربع والصوف والقطن أمثال

— ولكن النبي محمداً تزوج أكثر من أربع

— إن النبي محمداً الذي كانت كل كلمة من كلماته برهاناً، والذي كان كل عمل من أعماله حكمة .. وهو قد أحب خديجة حياً، وأحب عائشة حباً، وأحب زينب بنت جحش حباً، وهكذا

— ألا ترى أننا قد ابتعدنا عن كل هذا .. عد بنا إلى الكهرباء

لا أريد أن أمضي عبثاً بعد هذا [illegible] إلا أنه قد أصبح من السهل على هذه الأساس الذي وضعناه أن نعرف السبب في اتفاق مشارب الناس وفي اختلافها [illegible] والاتفاق هو الذي يحشد بعض الجماهير وراء بعض المتحدثين إذا تحدث الجماهير في الشئون فإنما تتوجها إلى ما تحبه وترتاح إلى الإحساس به، وتنأى بها عما تكرهه وتنفر من الإحساس به. وهذا هو ما يسمونه الهوى!

— ولكن علماء النفس [illegible] هذا [illegible] أن [illegible] أب، ورجالو إلى الناس أمزجة، وقسموا أمزجة الناس إلى [illegible] الصفراوي، والسوداوي، والدموي، والعصبي [illegible] وأرجعوا منشأ هذه الأمزجة إلى إفرازات تفرزها غدد [illegible] في الأجسام وقد أطلعهم علماء الطب والتشريح على منشئهم هذا [illegible] وأنت تلقي كلاماً على عواهنه وتريد مني أن أصدقك وأن أعرض عن كلامهم من غير برهان عرفته!

لا يا آنستي [illegible] أنا لم أطالبك بشيء من هذا ولكني أذكرك بما يكون قد غاب عن ذاكرتك، وهو أن الفلاسفة الأقدمين قد قسموا أمزجة الناس إلى طبائع أربع تبعاً للعناصر، إلى من الناس من هو مائي، ومنهم الهوائي، ومنهم الترابي، ومنهم الناري [illegible] وقد اندثر تقسيم الفلاسفة القدماء ولم يعد أحد يأخذ به وحل محله كلام أطبائك وعلماء نفسك

ولعلك تريد أن تعود إلى مذهب حضرتك هذا هو الذي سيحل محل مذهب الأطباء وعلماء النفس؟

— السؤ! ولكني أعود إلى السؤال الأول الذي بدأنا به هذا الحديث والذي جرنا إلى هذه الشجرة الرزكة [illegible] كيف وصف الراصد الأول إنساناً بأنه حلو أو أنه عن بما هو لم يذق منه طعماً؟

إنه تشبيه

— لقد أجبت في مدى الأمس فهل تريدين أن نعود؟

عزيز أحمد فهمي

لحظات الإلهام

في تاريخ العلم

تأليف مريون فلورنس لانسنج

---

٥ الشعر المستعار والمسحوق

في صباح يوم من ... عام ١٧٠٨ حدث شاغب في بلاط سكسونيا الملكي ؛ فإن الأمير أغسطس الملقب بالقوي قد غضب، وكان أغسطس متى غضب لا يكتم غضبه بل يترك كل من يتصل بهم يحسون سوء صاحبه سواء في ذلك الخادم الذي يحمل إليه الطعام، والسائس الذي يمسك بزمام جواده. ولم يكن يجد أحداً من أهل عهده أجسر من أن يتحدى اهتياجه ، فلا شيء أقل من أن يثير كل هذا الغضب [illegible] في هذه الحالة

قال « أوبو » خادم المائدة همساً « لأوارتش » الوصيف - « متى حدثت هذه الحالة ؟ » ، وقد ألح عليه هذا السؤال عندما رأى أغسطس بالمائدة التي أمامه ومشى مسرعاً من حجرة الطعام ، وهو يصرخ بأن اللحم الذي أكل منه والذي كان مسروراً منه جداً لا يصلح إلا للخنازير في الإصطبل ، وقال إن كل شيء كان جميلاً بعد ما جاء من بوهيميا في مسك الأمس

قال أوارتش : « ربما كان ذلك لأمر من أمور الدولة ؛ فقد قيل إنه سيكون ملكاً على بولونيا إذا سارت الأمور بين النبلاء على ما هي عليه الآن »

فطلع الحاجب الذي كان مصغياً إليه بجرأة : « لقد ذهب في هذا الصباح إلى المصنع »

قال أوارتش : « هذا إذن هو السر ، فإن هذا المكان مسحور وريحه لا تؤدي إلى خير »

فقال الحاجب مستغرباً : « ما الذي يسحره هناك ؟ إني أراهم يحملون إليه زجاجات عجيبة الأشكال وقناني [illegible] ، ولكن أحداً لم يسأل متى يكون إخراج هذه الأشياء ، ولم يحاول أحد منا [illegible] من الأبواب المفتوحة ليرى ماذا يحدث بداخله »

قال أوارتش همساً : « لا ترفع صوتك يا بني ، وكف عن التطواف حول السلم للذهاب إلى [illegible] ، هذا إن كنت تحرص على [illegible] هنا ، والأفضل أن نبقى هنا صامتين ، وأولئك كذلك ما دامت قوى الظلام تعمل »

فقال أوبو وهو يبتسم للحاجب المرح : « كلا ، لا تقل ذلك ، فلا وجه لإرسال شاب قوي الروح إلى الشيطان ليطالبه بأن يجدد بؤسه وهو يخلق [illegible] من أي [illegible] ليس من أصدقاء الظلام ، فلن يلقي عليك سحره يا بني ، ولكن [illegible] وبالوق أغسطس ، وهما لا يحبان الفضول ولا يحبان [illegible] من الفضوليين »

قال الصبي وقد بدا عليه الاهتياج الشديد : « ولكنهم يقولون إنه [illegible] وهو ساحر ، وإنه كان يحصل على [illegible] في [illegible] ولم يكن أستاذه أقل من الراهب اليوناني لاسكاريس [illegible] »

فقال أوارتش : « أرأيت خادم معرفتك يا أوبو ؟ لقد [illegible] رأس الصبي بالأقاصيص حتى الآن ، وهو يعرف [illegible] فنون الكيمياء [illegible] في [illegible] تتكلم عنها إذا شئت ، وإني [illegible] من [illegible] الجرأة على الكلام [illegible] لا آمن أن [illegible] ، دع الحديث [illegible] »

ومشى أوارتش غاضباً ، فقال الصبي : « ولكن يا أوبو ... »

يا أوتو فريس أصري، فأنت سر أي حدث العهد بقسمة القصر، وأنت هل مكنتك سيد العهد بهذه الفلسفة!

قال أوتو: «نعم يا بني، لقد كنت هنا لما جاء بوتجر، وكان عمري إذ ذاك سبعة عشر عاماً، وكان بوتجر نفسه أسيراً تحت رعاية النبيل أفسطس»!

فقال الصبي: «ولكن لماذا كان فراره ومتى جاء؟!»

قال: «لقد فر من برلين، وكان يباع في شوارعها عجيبة كيميائية، وأستاذه لاسكاريس عثر في أثناء الرحلة على ... حملها في سطر، ويقولون إنهما تمكنا من الوصول إلى حجر الفلاسفة نفسه، وإن الملك الطامع الذي يعملان تحت حمايته أراد أن يصحبهما حتى أن يصبا سر استكشافهما إلى سوء»

قال الصاحب وقد حلق في دهشة أمام أوتو: «حجر الفلاسفة! أهذا هو الذي يحول كل معدن خسيس إلى ذهب؟»

فقال أوتو: «نعم هو هذا الحجر، وهذا سر مولانا أفسطس من إيواء كيميائي لكي يكشف عن هذا السر في يوم من الأيام»

قال: «وهل عرفه؟» فقال: «لا. وأظن أن هذا هو السبب في تعيين مولانا أفسطس منصباً من المصنع. لقد حمل أفسطس كل ما في وسعه أن يصنعه، وطلبوه من ألا يستطيع غلام في سنه السادس عشر أن يصل وحده إلى هذا السر استخدم العمر والمتر قرون تحت لهوس الحاكم، وهو أستاذ في الكيمياء وفي كافة العلوم. واشتغل الرجلان معاً عدة أيام ولكنهما لم يخرجا من العمل إلا بصنع أوان من الخزف الأحمر؛ ولم يكن هذا هو كل ما يصبو إليه على الأقل كل طموحه. ولكن شكل هذه الأواني جميلا ولم ير أن الذي يبني الزهرة هو لون أطباقه. وكان السيد معجباً بهذه الأطباق حتى إنه أرسلها إلى ليبزج حيث أحدثت وصورها حركة غير عادية كما علمت. ولكن الذي يبحث عن السحر الذي يمكن بواسطته تحويل كل المعادن الخسيسة إلى ذهب، لكن هذا الذي يبحث عن السحر فلا يعد إلا أطباقاً حمراء. والناس كلهم يعلمون أن الطعام طعام سواء أكل في أطباق من الخشب، أو أطباق من الخزف العادي، أو في تلك الأطباق الجميلة الحمراء. فلا السحر إذاً يعنيه»

قال الصبي: «ولكن أين هو المر بوتجر؟ إني لم أره»

فأجابه: «لقد مات منذ شهور، ومن أقول لك ... السوء على المر بوتجر ألا يطلع على السر سريعاً ... ما يبدو من ظواهر الضجر على عيني مولانا. ولكن ... الصبي، فيجب أن تؤدي أعمالك الآن لأني قد خصصت بعض النساء بعمل ... ولكنني لا أحب أن يرعبك الصديقين أوترش الذي ظل كما يظن الكثيرون في هذا القصر أن أمير الشياطين مقيم في القصر، وأنه يأتي متى استدعاه جوهانا بوتجر»

ذهب أوتو ولكن صاحب ذلك اليوم لم تنته؛ ثم فتح الباب على الأثر، ودخل أستاذ الكيمياء المر بوتجر الذي قلما يخرج من المعمل، وكان في هذه الساعة مهتاجاً كما كان أفسطس منذ ساعة مضت.

مشى مقطوب الحاجبين وهو يحرك شعره المستعار الذي ذر فوقه مسحوق، ولكن قد اعتاد أن يضعه فوق رأسه السطل الصيني فيكسبه هيبة، ولدى سحوب صرخ ذلك الوصيف الذي يجر الصاحي صرف هذا الشعر

فقال الحاجب في احتدام: «من لي أيها السيد أن أسمعه إليه إذا كان المسحوق الذي وضعه نقياً جيداً»

صاح الكيميائي: «نقي جيداً! أين هو الذي وضع هذا المسحوق؟ أين هو المسحوق؟ من أين أتى به؟ يجب أن أحصل على مقدار منه في الحال»

ثم خرج من الردهة وفي يده شعره المستعار، وشعر رأسه مشوش. فقال الصبي وهو ينظر إلى بعضه بإشارة الغضب أثناء تعنيفه: لست أعرف أيهما أهم أوترش أو أوتو؟ لقد بدا لي المر بوتجر في هذه اللحظة كأنه مجنون، وكأن صوت الكلام طارده.

على أنه أصبح لنا أن نعلم السر، ونحن نعلم في المعمل التي جاءت به هذه الأعمال الناجحة فعرف أن المر بوتجر لم يخرج كالمجنون ليبحث عن الوصيف الذي ذر المسحوق على شعره المستعار لأنه جعل ذلك على صورة لم يرغب بل لأنه سر من هذا المسحوق إلى درجة غير عادية، وكان يريد جزءاً من هذا المسحوق الذي وجده وهو لا ينتظر ذلك فوق شعره المستعار، أكثر مما أراد أي شيء آخر منذ عهد طويل

وكان أوغسطس مصيباً في ثقته في بطموحه التي تناولها وسكنه
يسم ماله ، يحفل الناس ولا يعلم ماذا يحدث به إلا عن طريق
الإشاعة. وقد كان بوتجر وزميله والتر فون تشرنهوس كسائر
الكيميائيين في عهدهما يبحثان عن حجر الفلاسفة الذي يحول كل
المعادن إلى ذهب . ولكن أغسطس كان يبحث عن أكثر من
هذه الخرافة ، وقد اتضح فيما بعد أنها خرافة ، كان الرجل عجيباً
كما كان رجل ثقافة. ومع أن عصره كان عصر استكشاف
وسياحة ، فقد كان اهتمامه شديداً بمعرفة ما تصنعه الشعوب
الأخرى في مصانعها الصغيرة وفي متاجرها ، وقد جمع في العهد الأول
من حياته صنعة وفنوناً من كل الممالك الأوربية ، ومن البلاد
المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . وكان همه في العهد الأخير
جمع المصنوعات الصينية والجوهريات ، وكان له من ذلك مجموعة
عجيبة ، وكلها تحويه أو أطباق منها لا تزال موجودة في هذا
اليوم في متاحف سكسونيا بين أنفس التحف من كنوزها

وحوالي الوقت الذي جاء فيه إليه بوتجر منقباً حاجته ، كان
اهتمامه بالغاً بهذه الأواني الصينية التي جاء بها تجار الأثاث إلى
أوربا من البلاد النائية في الصين واليابان !

كان في أوربا في سنة ١٧٠٠ أوان من فخار مطلي بالأملاح
وكان منظرها ساذجاً ، وكذلك كان ثمة أوان تسمى بالقصدير ،
وكان الأغنياء خاصة يستعملون نوعاً من الأواني مطلي بطبقة من
المينا ، ولكن كل هذه الأنواع كانت من نوع الأواني ذات
القشرة التي نستعمل اليوم ، فإذا ذهبت القشرة بمضي الزمن
وكثرة الاستعمال ، فإن الطبقة تنقشر من تحتها ، وهي فضلاً عن
شكلها الذي ذات مسام ، وإذا وضعت عليها نقطة من الماء تحتويه
على شيء من الدهن في الموضع الذي تقشرت منه المينا ، فإن هذه
النقطة تتسع حول الخزف ، وتترك أثراً قبيح الشكل

وكانت مصانع الأطباق الواردة من الصين صافية جميلة يستطيع
المرء أن يضع واحدها بين عينيه وبين النور ، فيتبين أنها مصنوعة
من معدن واحد ، وهي فضلاً عن ذلك رقيقة جميلة

وكانت هذه المصانع كنزاً في نظر رجل مثل أغسطس
مشغوف بجمع التحف ، فكان يشتريها بأي ثمن ويحرص على حيازة
وطلب صاحبها . وقد بلغ من شغفه بها أنه عقد اتفاق الفرس

حتى طائفة من جنوده طوال القامة مقابل كذا وكذا الفرس
السكسوني في مقابل مائة قطعة من هذه الأطباق الصينية كان
الملك البروسي قد جمعها

وكان أغسطس قائماً في البداية بجمع الأواني من الصين ،
ولكن في الوقت الذي أخذ فيه بوتجر يعمل في قصره طمع
الناخب السكسوني في أن يصنع تحت رعايته مثل التي يقتنيه

ويسأل : عن السبب الذي من أجله يصنع الصينيون أواني
جميلة ، بينما المهرة من الصناع ومن الكيميائيين الأوربيين لا يصنعون
الأواني إلا من الطين مطلية أو مغطاة بالمينا .

وعهد بعلاج هذه المشكلة إلى كيميائيه الصغير فكانت النتيجة
ظهور الفخار الأحمر في أسواق ليبزج سنة ١٧٠٧ ؛ وكان هذا
الفخار يصنع من الصلصال الذي وجده فون تشرنهوس قرب
مدينة درسدن

وكان هذا الفخار الذي يصنع في ألمانيا فخاراً جميلاً ولكنه
لا يزال بعيداً عن الأواني البيضاء التي تكاد تكون شفافة والتي
تصنع في الصين . وقد مل بوتجر من مطالب سيده الأمير بعد
أن صنع الفخار الأحمر ، وحاول الفرار من سكسونيا وإنشاء
مصنع تحت رعاية سيد أقل سيطرة من أغسطس . ولكن هذا
الأخير جاء به إلى القصر القديم الذي يعمل فيه وسجنه في مصنعه
وإن كان بوتجر وأوركني لا يستطيع ذلك . وقد فرض عليه
أن يبقى سجيناً حتى يصنع مثل الأواني الصينية التي تصنع
في الصين

كانت هذه هي الحالة إلى اليوم الذي نتحدث عنه ، ومع
أن الكيميائيين قد أطالوا البحث فإنهم لم يستطيعوا أن يجدوا أي
صلصال يمكن صنع الفخار الأبيض منه

وفي الصباح الذي ذكرناه وضع الكيميائي على رأسه شعره
المستعار وهو ذاهل الذهن وسائر على عمله ، ولكنه شعر بثقل
واكتئاب . وأخيراً خطر بباله أن الشعر المستعار أثقل من العادة
فخلعه ليرى سبب ثقله فوجد أن المسحوق الأبيض الذي ذر على
الشعر المستعار مسحوق لم ير مثله من قبل ؛ وقد وضع خطأ بدل
المسحوق العادي

ولما عثر بوتجر على الرصيف الذي وضع هذا المسحوق سأله من

سره وأخبره الخادم المذكور أنه لم يكن من قبيل المصادفة حدث هذا الشيء وأخبره أن رجلاً اسمه شنور وجد عجيناً يستخرج منه هذا المسحوق القريب من مدينة «أوه» وباع له حرجاً استخرجه منه وقال هذا الخادم إنه وجده أصفى بياضاً وأبقى من الشعر المستعار لأنه سيبقى مدة أطول

وحين بوتجر هذا المسحوق كما لا بد أن يكون قد تبادر إلى ذهنك وستنتج أنه هو على الأرجح الكاولين الذي طال البحث عنه والذي كان السياح الأولون من الصين يتحدثون عنه

وعلى أثر هذا الاستكشاف ذهب بوتجر إلى ذلك الأمير وأشعره باسم أمير سكسونيا، وتمكن من صنع عجينة من صلصال كالتي يصنعها الصينيون

وفي سنة ١٧١٠ لم يكن في سوق ليبزج تلك الأطباق التي صنع من الفخار الأحمر فقط بل وجد إلى جانبها ... من فخار أبيض صنعه بوتجر وبريك بوتجر تحت رعاية أغسطس الأول أمير سكسونيا

في العام التالي صار يصنع الفخار المعروف باسم «مسين» في حصن «مسين» القريب من درسدن، وحدثت صناعة الفخار السكسوني وهو النوع المشهور الذي يصنع في درسدن

ولم يستفد بوتجر المسكين إلا قليلاً من استكشافه هذا فإن أغسطس الذي أصبح في ذلك الحين ملكاً على بولونيا، كان حريصاً على سر صناعة الصيني مثل حرصه على أمواله ومثل حرص الصينيين على سر صناعته أو يزيد

وكان العمال الذين يشتغلون في هذه الصناعة يحبسون في الحصن ويجبرون على أن يقسموا على الاحتفاظ بسر صناعتهم إلى أن تطوى عليهم القبور، وكان بوتجر نفسه في حكم السجين وكان مع إشرافه على مصنعه يتابع دراسته لسر استخراج الذهب مع متابعته صنع الفخار

وفي عام ١٧١٦ حذق صنع الفخار فأصبحت الأطباق من الوجهة الفنية في مرتبة الأشكال التي يأتيها الصينيون في هذه الصناعة ومات في سنة ١٧١٩ وهو في الرابعة والثلاثين من العمر ولا يزال إلى اليوم في معارض درسدن قطع من صنعه الكثيرة وهي ثمرة مهارته المجيدة إلى جانب مصنوعاته الحربية، وهي الشكوك فيه أنه تبين أهمية استكشافه لعموم الأوربيين في العالم الغربي بأسره.

لقد رأى القرن الثامن عشر بوساطة هذا الاستكشاف ... دار بوتجر صنعه للحصول على صنف أبيض شبيه بالصيني فالنوع الذي أنتجه من الصيني نموذج لشكل ... من أوانينا اليوم من الخزف

ووجدت معادن الكاولين «صلصال الخزف» في ليموجيس في فرنسا، فقد حدث بطريق المصادفة أن امرأة وجدت جذور بعض النباتات المزروعة في حديقتها وقد علق بها مسحوق أبيض، وحدثت صناعة الصيني بعد ذلك في تلك الجهة ولا تزال موجودة بها إلى اليوم

وبعد ظهور معدن الزركون بدأ تدرج التطور الذي حدث في نظام طعامنا لأن الأطباق الخشبية والأطباق المصنوعة من الصيني أو الشعر وكل تلك الأطباق الكبيرة التي كانوا يصبون فيها أنصبتهم قد زالت وحل محلها الأطباق الصغيرة التي يختص كل فرد بصحن منها

وكانت نتيجة ذلك كله أن كيميائياً بحث عن ذهب صالح لأنه وجد صنع الفخار أفضل من الذهب

(يتبع) ع

من هنا ومن هناك

كيف تحارب ألمانيا

[عن مجلة «[illegible]»]

من الوسائل الفعالة في الحروب الحديثة إلقاء القنابل على مصانع الأعداء. فبهذه الوسيلة نستطيع أن نحد من مواردهم ونضعف مقدرتهم على الاستمرار فيها. وقد حشد الألمانيون المصانع كل ما بقي لديهم من الرجال للعمل في صنع الذخائر، فإذا هوجمت تلك المصانع فقدت ألمانيا عدداً من الرجال. وقد أعلن مسيو بيير كوت في مجلس النواب الفرنسي في ٢٠ من يناير سنة ١٩٣٩ أن ألمانيا قد حشدت في مصانعها من الرجال ما يربو على الخمسة والستين، بينما تستخدم فرنسا وسبع عشرة من العمال الأمريكيين في مصانعها بإزاء كل جندي فرنسي في خط القتال.

إن الفوز في الحروب الحديثة قد يكون في المصانع كما يكون في ميادين القتال. فتعطيل حركة المصانع أو إيقاع الاضطراب في داخلها، وإيقاف الإمدادات التي تعول عليها الجيوش في ميدان القتال من أسلحة وأغذية وملابس يعد من العوامل الفعالة في الحروب، وهو عند العارفين بمثابة النصر في معركة من معارك القتال.

والمواد التي يحتاجها الجنود والمصانع لها الرتبة الأولى في الحروب. فالأمة التي تفقدها لا تستطيع أن تحارب وقد يكون جيشها عرضة للاختناق. وقد بدأت ألمانيا تسعى للبحث عن أجل البلدان، وأصبحت المواد التي تسعى إليها لتجيش من الحديد والنحاس والقطن والنفط والذهب محفوظة جميعاً. ومما لا شك فيه أن ألمانيا الآن في حاجة ماسة إلى النفط بكافة أنواعه. وقد كانت ألمانيا تعول على الولايات المتحدة في إمدادها بما تحتاجه من ذلك، إلا أن موقف أمريكا بالنسبة لألمانيا اليوم سيحرمها مما كانت تستمده من هذه المواد.

فألمانيا وحالتها هذه تدخل الحرب وهي في حالة اقتصادية لا تحتمل ضرباً. ولعل أي غارة جوية شديدة بعد ما تحتوي عليه الثروة الآن قد يعرضها لتحطيم شديد، وهنا يكون للطائرات الفضل الأكبر في كسب الحرب. فالغارات الجوية على المخازن والمزارع والمطاحن التي تعول عليها ألمانيا كل التعويل ستضعها في أحرج المواقف.

إن اختيار مواقع الغارات خير من إلقاء مقذوفاتها بغير حساب؛ فهو لا يعرضنا لسخط الرأي العام، أو يجعلنا سبباً في غضب الأمم المحايدة. وليس في العالم قوة تستطيع أن تعطل في كل الأماكن دفعة واحدة، فلتوجه قواتنا جميعها إلى الأماكن التي تستحق التوجيه، ولتزودها بكل ما تستطيع من القذائف التي يمكن حملها على متن الطائرات.

إحصاء المسلمين في العالم

[عن مجلة «العصبة»]

كتب الأمير أمين أرسلان النبذة التالية في «الوحدة» الأرجنتينية عربتها مجلة العصبة فيما يلي:

«قلما يتفق المؤرخون والكتّاب على تحديد عدد المسلمين في العالم. وعدد التباين عائد إلى سبب جوهري وهو أن كثيراً من الأقطار الآهلة بأتباع محمد يتعذر فيها إجراء إحصاء رسمي؛ ولكن ذلك لا يمنع من تحديد عدد المسلمين بأرقام تقرب من الحقيقة.

من المعلوم أن المسلمين ليسوا كلهم عرباً أقحاحاً، وأنهم يختلفون جنساً ووطناً ولغة؛ ففي الصين مثلاً ثلاثون مليون مسلم وهم لا يمتون إلى العرب بصلة غير صلة الدين.

جاء في إحصاء الحكومة الإنكليزية أن عدد المسلمين في الهند بعد الحرب العالمية ٧٨ مليوناً، واليوم، أي بعد عشرين سنة، يجب أن يكون قد ارتفع عددهم إلى ٨٥ مليوناً»

وعند إحصاء رسمي عدد المسلمين في المستعمرات الهولندية بستة وخمسين مليوناً، وعشرون في جزر الفيلبين حيث يُدعون مغاربة. وليس يُعرف تماماً عدد المسلمين في الهند الصينية وفي كمبودج وأنام وسيام وغيرها

وفي روسيا يبلغ المسلمون عشرين مليوناً وفي الأفغان عشرة ملايين

ويبلغ عدد سكان إيران ١٤ مليوناً، وتركيا بناء على الإحصاء الأخير ١٧ مليوناً، وسوريا ولبنان ٣ ملايين، والعراق ٤ ملايين، ومملكة ابن السعود بين ٤ و٥ ملايين، وفلسطين وشرق الأردن ١٫٢٠٠٫٠٠٠، وعدن والبلاد المحمية كحضرموت، وعمان مليوناً، وجزيرة البحرين والكويت ٣٠٠ ألف

وفي يوجوسلافيا ١٫٥٠٠٫٠٠٠ من المسلمين، وفي ألبانيا مليون، وفي اليونان مائة ألف وقد كانوا قبل مبادلة السكان خمسمائة ألف. وفي بلغاريا ٨٠٠ ألف، وفي رومانيا ٢٠٠ ألف، وفي بولونيا ١٢ ألفاً، وفي المجر ألف. فمجموع المسلمين في أوربا نحو ثلاثة ملايين

أما عدد المسلمين في أفريقية، فيمكن تقديره بين ٩٠ ومائة مليون منتشرين في كل أنحاء القارة السوداء؛ ففي مصر والسودان ويوغندا ٢٧ مليوناً، وفي الحبشة والصومال ٥ ملايين، وفي جزيرة زنجبار بين ٥ و٦ ملايين، وفي المستعمرات البرتغالية مليونين، وفي رأس الرجاء الصالح والترنسفال بين ١٠٠ و٥٠٠ ألف، وفي مستعمرة كونغو البلجيكية ١٥٠ ألفاً، وفي أواسط أفريقية وشواطئها الغربية يبلغ عدد المسلمين بناء على تقدير الإرساليات التبشيرية المسيحية ٤٨ مليوناً. ومما يذكر في هذا الصدد أن تلك الإرساليات من كاثوليكية وإنجيلية لم تستطع على رغم جهدها الكبير أن تُدخل في المسيحية إلا ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس في حين أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام يجاوز ٣٦ مليوناً

ومراكش ٦ ملايين، والجزائر ٦ ملايين و٥٠٠ ألف، وتونس ٢٫٥٠٠٫٠٠٠، وطرابلس وبرقة ٨٠٠ ألف، فيكون عدد المسلمين في هذه البلدان الثلاثة بين ١٦ و١٧ مليوناً

وفي أمريكا يعيش نحو مائتي ألف مسلم وفي الأرجنتين وحدها ستون ألفاً. فيؤخذ مما تقدم أن عدد المسلمين في العالم، بناء على الإحصاءات الرسمية وعلى تقدير الجغرافيين والرحل والبحاث المسلمة، يتراوح بين ٣٥٠ و٣٦٠ مليوناً، ولا ٢٥٠ مليوناً كما يزعم البعض

الحب وعلم الحياة

[عن مقال للكاتب «جوليان هكسلي»]

يستطيع عالم الحياة أن يعرض علينا طائفة من الأمثلة في أنواع القردة وسائر الطيور وسائر الحيوانات، ولكنه مع ذلك حين يواجهه في آخر الأمر الحب وكل ما يستطيع أن يبديه في تلك الحيوانات العليا، تجعل الإنسان صورة بسيطة للعادة الأولية التي تسمى الحب. فالإنسان من هذه الناحية كغيرها من النواحي يمتاز عن سائر المخلوقات، وهذا الامتياز الخاص في الإنسان يرجع إلى تركيبه العقلي بلا شك. فليس الإنسان مقيداً بغرائز معينة تلازمه على الدوام، أو بقيود عنيفة تتسلط على فكره وشعوره وتصرفه في سائر أعماله؛ فالعواطف على اختلافها، والإلهام والتفكير والتجريب تتكون حينما تتجلى في الإنسان حالة فكرية أكثر تشعباً وأشد اختلافاً مما في الحيوانات الدنيا

وليس للإنسان فضلاً عن ذلك فصول معينة ينقطع فيها إنتاجه كالحيوان ويعبر عن مواصلة الحب. والإنسان بطبعه معرض للاضطرابات النفسية على الدوام وله مقدرة على كبح هوى النفس. ولما للحيوان في حياته الخاصة المحصورة بين غريزة وأخرى، ولن يكون عرضة للتأثر بالتهيجات والإحساسات المضطربة التي تشغل نفس الإنسان

والصحيح أن الإنسان بعواطفه وميوله في جميع التجارب ورغباته في نفس الإنسان، إلا أن هذا قد يؤدي في بعض الأحيان إلى اضطراب العواطف واختلاف الأهواء والأغراض. فالذين لا يستطيعون أن يتغلبوا على أهوائهم يعيشون عيشة ليس فيها راحة ولا استقرار، والذين يقدرون على كبح جماح النفس وإبعادها عن العوامل المتباينة المتناقضة التي تتجاذبها يحيون الحياة الإنسانية الصحيحة الهادئة. وللجسم ولا شك شأنه في إخضاع تلك الأهواء للعقل والمنطق وإيقافها عند حدها. ومما لا ريب فيه أن الغرائز الجنسية هي من أقوى ما يضغط على نفس الإنسان إلا أنها تقابل بالكبت الشديد في حياته الاجتماعية

لذلك كان الحب من الظواهر العجيبة عند الإنسان، فهو يجمع بين أسمى العواطف وأحط الغرائز، وهو يبعث النفس من [illegible] ويهبط بها إلى أسفل الأغلال، وهو يجمع بين الثورة والهدوء

ولا عجب من القول أن الحب عاطفة وأهواء لا يدركها الحصر، والحب أنواع متعددة بتعدد [illegible]، إلا أن تلك الأنواع

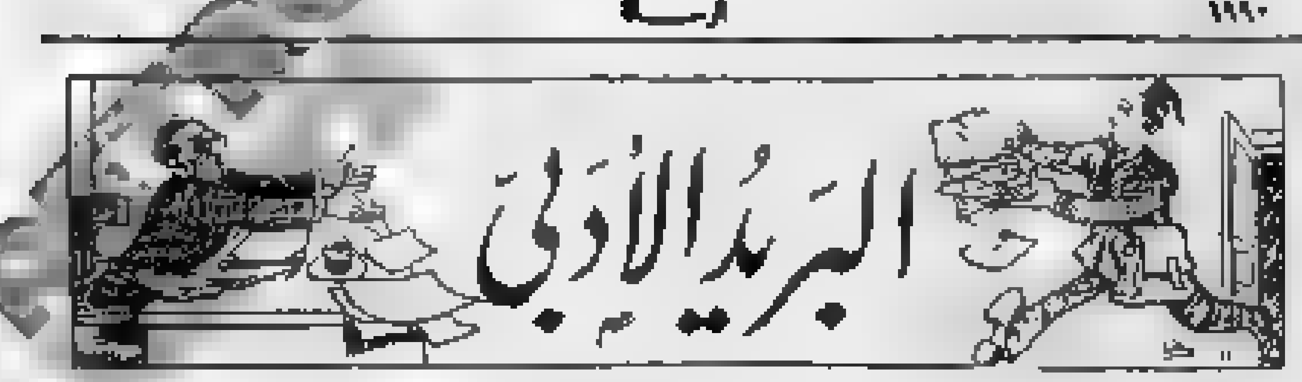

مسألة

في العدد ٢١ من «الثقافة» مقال بارع الفحص، عذب الأسلوب، عنوانه «مسألة» بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري وقد جاء في خاتمة هذا المقال — عند الكلام على أسماء العلوم والفنون من الفرنجة — ما نصه: «في العلوم والفنون والمستحدث من مختلف الأشياء، والنبت والأزهار مئات الآلاف من الأسماء والصيغ والمصطلحات ... كله على أشد الظهور على سائر اللغة، وأين ... ما يجوز في صيغ العربية على ألسنة فصحاء العرب، وأقلام بلغاء الكتاب وما يتحدث به العامة ... ويجري في مقاولاتهم ومحاوراتهم وما يتسع به رسائلهم — كل ذلك لا يزيد على بضعة آلاف

وكيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذلك؟ بل كيف له بأن يستوي بعضه ويحصي ما يختلق الفرنج لها من كيان؟

هذه هي المسألة كما يقول شكسبير، فليت شعري ماذا يكون المصير، فعلم الغيب بما هو جوهر به القدير» اهـ

وإذا أذن لي الأستاذ البشري في أن أرى رأياً فأحاول التعليق على مقاله، قلت: إننا ناقلون إلى لغتنا كثيراً من مصطلحات العلوم والفنون، وعند الطارئ المستحدث إنما يجيء به التداول ويسيغه ويهذبه؛ فلا نسأل إذن «كيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذلك؟» بل نسأل: كيف لهذا بأن يقوم بغير ذلك؟

إن اللغة التي تعجز عن سد حاجة التعبير وتبقى على عجزها معرضة للموت أو السقوط عند أهلها الناشئة. فها نحن أولاء مضطرون على تلقي العلوم والفنون من الفرنجة بل التأليف فيها لنعلم أو نتعلم؛ فكيف يكون التأليف بالعربية ومصطلحات مختلفة مهجورة؟ هذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل ولا بسط على أن نستحدث في التعبير والأداء جميعاً وإما أن نعدل عن العربية إلى لغة أعجمية، وفي الحال الأولى حياة اللغة ونشاط، وفي الثانية خمول وجمود — الحياة أو الموت. وليس من المعقول أن ندع اللغة تموت، وذلك لأسباب عمرانية وسياسية وتاريخية لا أعرض لها هنا، وليس ثمة ما يسوغ الإهابة بالعربية مبالغة في التعقيد ... يحمل أوساطها وأفرادها على بعض كنوزها التي جهلها أو نحبها

وإغناء اللغة جديراً بأن يصلح من أنه يحييها ... وبيان ذلك أن الصيغ والألفاظ الطارئة، سواء استخرجناها من بطون كتبنا أو وضعناها وضعاً، لا بد لها من أن تمر في ملاحظة من صيغ وألفاظ ملتبسة. وفي العربية التي تجري على ألسنة فصحاء الخطباء، وأقلام بلغاء الكتاب، ما لا حيرة فيه على ما يرد الأداء غيماً أو يحيله حشواً؟ وكم يرد الأداء ... الصيغ المعروفة من زمان قديم حتى إنه أصبحت قوتها بل [illegible]

وإن خلفت ... شيء من النشاط.

وتظل النفس الإنسانية ناقصة ما لم يكملها الحب، فهو أقوى العواطف على تحويل الفكر من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضوج؛ فهو يعد الإنسان بشتى الوسائل التي تطلق الروح من قيود الطفولة. وقد يكون الحب فوق ذلك وسيلة عند كثير من الناس لاكتشاف خبايا النفس، ومعرفة أسرارها.

إذا نظرنا إلى الحب من الناحية الحيوية أمكننا أن نقرر أن الحب فن، وأن النجاح في هذا الفن يحتاج إلى تفكير وتدبير كالموسيقى والشعر والرياضة وغيرها من الفنون.

ولا نريد بالحب هنا ما يكون علاقته بالجسد فحسب، فنحن هنا نقصد الحب في سائر ألوانه ... كان بعيداً عن حدود الجسم فمن الواجب النظر إليه على ضوء العقل والتفكير. ولا يقلل من قيمة الحب أن ينظر إليه كناحية من نواحي الحياة التي ... العمر وتعشق الفكر، كما أن التحصيل العلمي لا يقلل من الحال التي يتسم بها الشباب. فمن الواجب إذن أن ننظر إلى الحب كناحية وضاءة من نواحي النفس الإنسانية التي تشمل الجوانب النفسية الأخرى.

وقد بيّن ذلك الأستاذ أحمد أمين في كلامه على جناية الأدب الجاهلي ... وما جعل للأدباء حشواً تلك الترادفات والتراوحات التي جلّ بمعجم أسماء اللغة ... ولو عنوا أن يعنوا اللغة ببعض الألفاظ المعبرة والصيغ المشتقة بعضها! ولكنه كان جيل من الناس ضاق أفق تفكيرهم فانفسحت صفحة شعرهم فملئوا أطرافها بالترديد والتكرار ... كأن كثرة المترادفات وتجمّع المترادفات وتشغل مكانها صيغ وألفاظ لا عن عمد، ذلك خير للغة وعدد للمتكلمين بها

ومن هنا يتبين أن ذلك الطارئ لا يطلق « أشد الضيمان على سائر اللغة » بها منحصر، بل قل إنه طارئ له من جانب المبنى والمعنى. أما المبنى فقد تقدم القول فيه. وأما المعنى فتلك الصور التي تحملها الألفاظ والصيغ الدالة على المعنى المقصود، يحسن الجد بهم قول مبهم. ولذلك تلمس ذلك في الشعر الحديث في أوربة ولا سيما في فرنسة وعند جماعة منهم في النثر الرفيع هنالك: متكثراً ما يستعمل الشعراء (شعراء ما وراء الواقعية مثلاً) والكتاب (Valéry و Fargue في فرنسة مثلاً) صيغ العلوم والفنون، طلباً للافتنان في الصور

هذا من جهة الأدب العربي. بقي أن أقول إن اللغة لا تنحصر في الإنشاء الأدبي. فمنه الإنشاء العلمي، وهذا يجري إلى جانب الإنشاء الأدبي، فهما في صعيد وذلك في صعيد، فلا علاقة للأصوات ... وفي تاريخ آدابها ما يؤيد هذا! فقد كتب الفلاسفة والرياضيون والطبيعيون وغيرهم ما شاءوا أن يكتبوا، فعل على ما كتبوا في مزج الشعراء وفي ... الكتاب؟ وكان طالب العلم الجديد يحصّل العلوم والفنون، فإذا خلص بعد ذلك عمد إلى أسلوب الفلاسفة، وإذا تأدّب نحا نحو المترسّلين

تلك حقيقة ... وإنما أقرأ مقال الأستاذ الفاضل عبد العزيز العقري ... وقد سأل سؤالاً فلعله يقبل محاولة سعيي، وله مني التحية الخالصة

بشر فارس

التمسرة

للتمسئة وتفسيرها في (أساس البلاغة) للأستاذ الجليل جار الله في مادة (ف ح ج) في الجزء الثاني في الصفحة (١٠٤) في الطبعة سنة ١٣٢٢ وفي الجزء الثاني من ذلك الكتاب في الصفحة (١٨٦) في الطبعة سنة ١٣٤١

وقد جاء جمع الكلمة في (المفضليات) الصفحة ١٤٣ من شرح الإمام الأنباري في بيت من قصيدة لزرد أخي الشمّاخ، قال:

وعندي بكم مستنفر متأثراً من الصعر الأسباب ... وقانت

وتمسئة الأعراب في الظباء أو ... عن كتفته ... في القصر دني الأسماء، ومن البداوة السكينة[1] ... ذات الفتق والترب. والاسم فيهم واحد وإن اختلف ... عثار، وعثر، وعثار

(م. م.)

حبّ الأسنان

حضرة الفاضل الجليل صاحب الرسالة

اطلعنا على ما جاء بالرسالة في العدد رقم ٣٢٧ خاصاً بالنص الذي ورد في « الإفصاح »: « وهو لسان حَبِر لا يجد طعم الطعام ». وقد رجعنا إلى الأصول التي لدينا، فوجدنا النص منقولاً عن « اللسان » كما وجده حضرة الأخ (أزهري) (لسان حبر لا يجد طعم الطعام) أما ما جاء في الإفصاح خطأ مطبعي جاء عنه النظر في أثناء الطبع، ويسرنا أن نعلن شكرنا لحضرة اليماني (أزهري) على عنايته بالتمحيص الذي أدى إلى الكشف عن السهو، وهدى إلى الصواب، ونسأل الله أن يوفقه هو وأمثاله الأفاضل إلى خدمة العلم وإعلاء شأنه

صاحبا الإفصاح

حسين يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي

هل على القاتل خطأ من إثم؟

جاء في مقال « القتل خطأ » بقلم الأستاذ أحمد مختار عطية المنشور في العدد ٣٢٦ من الرسالة: « فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به)، ولكن لما نتج عن هذه الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله »

والذي يؤخذ على العبارة السابقة تحميل القاتل خطأ إثماً، وقد أتى الكاتب في هذا من قبل ما رتّب على قتل الخطأ من الكفارة والدية مما أحدث شبهة أنه مثل إثماً وجرماً، والواقع أن ما يرتكبه الإنسان من خطأ وعدم قصد لا إثم فيه ولا يؤاخذ به؛ حكماً مطلقاً لا شذوذ فيه، أسس عليه علماء الفقه وحجت عليه كلهم، وقد دل على هذا الأصل من أصول الدين أدلة كثيرة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: « إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجة في كتاب

(١) لفظ سكين وسكينة، شهوها الفقيرة، قال:

للناس بحر عميق ... والبعد منهم سكينة
وقد نصحتك فانظر ... لنفسك ... السكينة

الطلاق وغيره . قال المُناوى فى شأن هذا الحديث : « حديث جليل ينبغى أن يعد نصف الإسلام ، لأن الفعل إما أن يصدر عن قصد واختيار ، أولا . فالثانى ما يقع عن خطأ أو إكراه أو نسيان وهذا القسم معفوٌّ عنه اتفاقاً » فإن قال قائل : فما بال هذا القاتل ولا إثم عليه يكلَّف التكفير عن خطئه ودفع الدية ؟ فالجواب أن دفع الدية عن القتل من قبيل دفع قيم المتلفات أو من قبيل دفع بدل المحل أى عوض الإتلاف وهو الضمان وهذا لا يستلزم الإثم ، ألا ترى أن الصبى لو أتلف شيئاً قوِّم بثمنه وغرم ، مع عدم الإثم بعد . وأما الكفارة فللزجر وليحتاط المكلف حتى لا يقع فى مثل الخطأ بعدُ ولا ما قد يجر إليه . ويقول صاحب شرح مسلم الثبوت فى ص ١٦٥ ج ١ : « ولما كان — وجه قتل الخطأ — نوع جناية ، والقتل من أعظم الكبائر لم يُهدر الخطأ فيه بل وجبت الكفارة »

بقى أن فى آخر الآية الكريمة الخاصة بقتل الخطأ ، يشعر ظاهره بأنه إثم يتوب عنه « توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً » والتوبة إنما تكون من ذنب ، وقد عرض من ذلك المفسرون وقالوا فى الجواب عنه إن التعبير بهذا التنبيه أن مثل هذا الفعل يصدر عن نوع من التقصير وإن لم يبلغ بصاحبه درجة المعصية ، فقد شرعت الكفارة عن أثر هذا التقصير والتوبة منه ، والتسبيح يأتى من وقع منه هذا الفعل الشنيع ينبغى له أن يستشعر الندم والأسف والانصراف إعظاماً لما فعل ، والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد التواب

مدرس بكلية اللغة

الأدب المصرى الحديث

أستاذى وصديقى الدكتور زكى مبارك

ليست ملقى بك ولا خشية منى لأدبك ولا رغبتى فى عطفك هى التى قد دلَّ كلى عندك ! وإنما هو صوت القلب والضمير يدعونى إلى مصارحتك بأن مقالاتك الرائعة « حملة أحمد أمين على الأدب العربى » قد أوجدت بالجو الأدبى حياة جديدة ، وبعثت فيه روحاً قوية بعد شهور عدة وعادت حركة بالأدب المصرى خاصة والعربى عامة ، حتى أن نرى أن الأدب العربى قد أخذ طريقه نحو الأبحاث !

ولا تقل يا « سيدى الدكتور » — أو لا يظن أحد — أنى أصدر بذلك عن معاداتى لآراء الأستاذ أحمد أمين ، أو أريد الحط عليه أو النيل من مكانته المرموقة فى العلم والأدب ؛ فقد تذكر أنى فى آخر رسالة منى إليك — ولم يمض عليها أسبوع — صرحت لك بأنى أخالفك فى كثير من آرائك ، وأنى أحب الأستاذ الأمين كما أحبك ، وأنى كتبت إليه أستمد منك وأستفتيه فى معارضتك هذه لا مساجلة فى مقالاته لم يرض عنها عشاق الأدب والقراء من الرد على ما وجهته إليه من انتقادات وملاحظات ؛ وما أريد منك إلا أن تسمع دائماً الثناء والإشادة من مستفيد الأدب من الموائد ، وتجد الطريقة تمضى لتحقيق الخير

ولقد طلبت عليها أخيراً — الرسالة ٣٣٧ — طرفة من أخبارك وأحاديثك بأدهشتنا بعد أن أخبرتنا أنك ستقطع سلسلة مقالات النقد المشكورة بعد ثلاث أو أربع مقالات . . !

ولمَ تقطعها يا سيدى وما كتبتَ إلا خالصة لوجه الأدب والعربية ؟ ألأنك أردت أن تعيب على الأستاذ أحمد أمين بحرم الألاف القراء وأهل الأدب من هذه الثمرات الناضجات التى أنتظر منها أن تصير كتاباً صحيحاً يكون بحثاً جديداً فى الأدب العربى الذى لم يعرف النقد الصحيح إلا فى فترات معدودات لا تسمن ولا تغنى ؟

لا تفعل يا سيدى ، فإنى أخاف أن يصير الناس انعطافك تقصيراً ، وأن يؤوله بتأويلاته وأن يذهب عنك بسببه أتباع وأنصار يربطون بالأستاذ الأمين صلة ، وقد شركك فى سبيل معاليه الأدبية يوماً ، وإنى لأحمل له كل تقدير وإجلال ، ولكنى على الرغم من ذلك لم أستطع إلا توجيه العتاب الشديد إليه لوضعه اللوم المنصب على عزيمتك . « لن تصدق أبداً بعد الذى كان » ! . .

إنها الكلمة كبيرة ما كنت أنتظرها ولا ينتظرها غيرى ممن كان شهوراً له عمره وسطره ، وحلقه وبيانه

أين نحن إذن من أدباء أوربا وكتابها ؟ أين منا تلك الصداقة المتينة التى تضم الأدباء هناك تحت لوائها ، لا يزعزعها الخلاف فى رأى ، أو تشارع على فكرة ، أو نزول إلى ميدان تدور رحاه ؟

إنى لأقول كما قال الحكيم : « أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه ، فقد كنت أحب أن نكون بين الأمم سباقين متقدمة ، كالتى يعرفها الأدباء الفضلاء فى باريس ولندن وبرلين ؟

أحد أمرين : إما أن تكون مقالات الدكتور مبارك على حق وإما أن تكون على باطل . والأستاذ « الأمين » فى كلتا الحالتين صاحب علم ؛ لأنه يجب عليه الرجوع إن كانت الأولى ، ويجب أن يبين الصحيح من نفسه وآرائه إن كانت الثانية ، وهو لم يفعل من ذلك شيئاً . وليس الدكتور سواك بالشخصية الأدبية العربية ، حتى تخوله إلى الأستاذ الأمين تنازل عنها لقاء حظوظها ومنح كالدكتور فى جولاته وصولاته وطريقته الأدبية المجيدة ؟

أي صديقي الدكتور ... قد انتهى فصل الصيف وجاء حد الشتاء، فلا تكسل ولا تنم، وواصل بحوثك فإنها تهدينا إلى حقائق كثيرا ما كنا في غفلة عنها، وسنتناول آراءك بجديد من الأفكار والأبحاث لم نرها من قبل. على أنني أرجو أن تتحاشى ما يسيء إليه ذلك من عبارات تنال من شخصية الأستاذ الأمين وتجرح شعوره، كيلا يكون لأحد من الناس عليك حجة، وفي بحثك كله مع كلمة الإعجاب والتأييد. وما أحسن الأستاذ السعيد شفيق جبريل إذ يقول عنك: «ولو أنه ترفق في بعض العبارات التي جرت على ... من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أي ملامة» يجب أن يكون منك يا دكتور ... إذ يقول: دفاعه عن الناس ... الأمثال العليا والأدب الحي،

مع أن صدورك خلت من هذه العبارات الجارحة لانصرفها القارئ عن الكاتب، بل حرصها على أنه مسئول أدبيا يجعله كله الأدب الخصب، والتفكير الخالص، والإنتاج الممتع!

فيحمل الأدب يا دكتور فوق الأهواء وفوق الأشخاص ودون الصداقات وفوق كل شيء، فتحمده عن الجميع.

وقد كنت عازما أن أبلغك كلمتي السابقة في إحدى رسائلنا، ولكني خشيت أن تأتيك من طريق الرسالة كي يطالعها معك القراء فيشهدوا أني أعبر عن شعورهم وأترجم عما يجول بخواطرهم، وإنها لي شوق ملح إلى ما يسيل به قلمك الساحر من سلاسل!

... الأستاذ الأمين ... من المطلع الصحيحة، ولا ريب أنه ... رأيه وخطئه، وما أكثر ما يصحح الأيام!

محمد محمد الشرباصي

عهد جديد للرعاية في وزارة الشؤون الاجتماعية

في الساعة السادسة من مساء الثلاثاء الماضي اجتمع معالي الأستاذ وزير الحكم ... في وزارة الشؤون الاجتماعية بنخبة من مندوبي الصحف العربية والإفرنجية ... ليعرض لهم مهمة هذه الوزارة وأن ... وقد رحب بهم حضرة ... ثم قال لهم:

كلفني الوزير ... أن أجتمع بكم لنتحدث معا في شؤون وزارة هي أقرب الوزارات إليكم وأوضحها اتصالا بكم وبالشعب التي ... هذا أنها وزارة الشؤون الاجتماعية ... ما يدل عليه اسمها ... وزارة شؤون ... الشعب التي لا ينبغي منذ اليوم أن ... من ... فهو ... الدولة. فقد رأينا جميعا أن الجيوش قد تحطم ولكن الشعوب لا تحطم

وهنا ... من السبيل التي تسلكها الوزارة للنهوض بالشعب وإنشائه نشأة جديدة ... بالطرق التي ... كثيرة ... أول الأمر في إنالة كل فرد من أفراد الشعب على ... مستوى حياة ... وتحسين ... وروحيا وخلقيا. إن الفرد خلية حية في جسم المجتمع ومصلح منه ... مفاتيح تلك الآلة الهائلة التي تتحرك وتدور. وإن في فساد بعض ... وعطب بعض المفاتيح اختلال ... واختلال الآلة كلها ... عن ... أحد ...

... أعمال وزارة شؤون الشعب على ... تعاصب ... إدارات ... من جهات متعددة ... التعاون والعلاج ... الاختصاص ... التي ... العلاج ... الأكثر من الشعب ... من العسر والرخاء؛ وإدارة ... الاجتماعية تتجه إلى علاج الأمراض المتوطنة والسارية المتفشية في الشعب بأسره مثل ... ومكافحة الأمراض ... والعمل على نشر النظافة ومبادئ الصحة في أنحاء البلاد؛ ومصلحة العمل ... إلى الأخذ بيد العامل ومؤازرته في مطالبه العادلة والارتفاع بمستوى معيشته، ومكافحة البطالة، وتدبير ... للتعطلين؛ ثم إدارة ... التي يجب أن ... الأذهان ... الأفكار ... القادرين ... لتنفيذ كل ... من وجوه الإصلاح.

ثم قال: لقد ... وزارة الشؤون الاجتماعية في ... التي ... في ... إدارة ... هذه الإدارة ... الناس، ... أن ... الإصلاح الاجتماعي بأوسع معانيه، وأعيد ... هذا البيان في صورة ... فأقول: إن ... تنقيص ... والأقاليم في ... السادرة الأجسام، كان ينبغي أن يكمل ... ومن مراقبة أخرى ... من ... وأشد ... الشعب ... التي تتسرب إليه من خلال ما يعرض عليه من ... ودور ... ودور ... وإذاعات ... إلى إدارة ... من ... الرقابة والتوجيه لكل ما يعرض على الشعب من مشاهد وما يلقى في أندية ... من محاضرات ... حالا ... كل ما ... القلق ... الانهيار الروحي والانحطاط المعنوي في ... هذا الشعب ...

فصل المقال

فيما دار من نقاش حول «مباحث عربية»

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

٢

أما عن التلبيس في سوق الروايات والشواهد في كتاب «مباحث عربية» فإليك بعضاً من ذلك:

١ – أسند الدكتور بشر فارس ص ٦٠ من كتابه «مباحث عربية» ثلاث روايات جملة إلى ١٦ مرجعاً منها أربعة مراجع مخطوطة، ويقصد من ذلك الوصول إلى إثبات أن «المروءة» بمعنى الناهض على الخير لفظ للروءة غير ممكن. ويصل إلى هذا بعد ما ساق الدكتور بشر هذه الروايات جنباً إلى جنب، وأسندها جملة إلى مصادرها بالجملة المصحف؛ حتى لا ينظر القارئ مصادر كل رواية ويقدر معانيها في مكانها ووجه صيغتها من الكلام لأن في ذلك خطر كل الخطر على البحث إذ يثبت أن الروايات تأتي في كلها لفظة «المروءة» من أصل واحد يحصي مدلول السيادة من جهة ويحصي السجايا الرفيعة التي يقوم بها شخص السيد. وبيان ذلك:

(أ) يقول الثوري: «المروءة بذل الندى، وكف الأذى، وترك الهوى، والزهد في الدنيا، وطاعة المولى». وهذه الرواية بهذا الإطلاق يتفق مع مدلول المروءة مع المدلول المتقبل للفظة وهذا ما يريد أن يصل إليه الدكتور بشر، وهذا هو التلبيس لأن هذه الرواية لم أستند إلى مصدرها، وهو مخطوط كتاب «الفتوة» للأردبيلي (أيا صوفيا ٢٠٤٩) – وهو مخطوط في التصوف كما وصف ذلك الأستاذ F. Taeschner في بحثه المنشور باسم Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals والمنشور بمجلة Der Islam التي تصدر عن هامبورج ١٩٣٤ م ج ٢٤ ص ٥٨ – فتظهر أن لفظة المروءة في هذه الرواية تأخذ معناها من وجهة المتصوفة، وفي ذلك الوقت يتفق معنى اللفظة في الرواية مع مدلول الكلمة الناهض على الخير.

هذا ولقد سبق أحد الزملاء إلى أن هذا المخطوط الذي وردت فيه الرواية، نشره الدكتور بشر في مقتطف أبريل سنة ١٩٣٩ والعجيب أن يخون في التفسير «فيحمل الفتوة على كلام الأردبيلي في التصوف، وكذلك المروءة التي هي شعبة من شعبها في كتاب الأردبيلي!»

(ب) يقول معاوية: «المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر

ولسوف تتحطم ما علق من وسائل في ... الفضائل وتعم الروح القومي النبيل، وفي جانب الشرق الشام تشيع في الصحيح والمريض من المشاكل ويسود الناس حب الجمال وعند ذلك ترى النفوس والعقول ويهم الشعب لخروج ما يصبو إليه من مرتبة عالية بين الشعوب الراقية المجيدة.

إن هذه الثورة لا يمكن أن يقوم موظفوها وحدهم بكل السير. هنالك دعامة قوية من الدعائم التي ترتكز عليها دائماً أعمال الإصلاح، هذه الدعامة القوية هي المتطوع. ... نحن في حاجة إلى تجنيد أكبر عدد من المتطوعين للإصلاح

محمد عرفان

اضطررنا لقطع سلسلة البحث في تاريخ عرابي نظراً للظروف الحاضرة، وسنعود إلى وصلها في الوقت المناسب.

وابتداء من العدد القادم سندرس شخصية مازيني أحد أبطال الحرية في التاريخ الحديث

الخفيف

السيرة » لهذه الرواية وهو أنها تحمل في طياتها إشارة إلى سخاء السيد وإغداقها سماحة الملك ، فهذا أبين ما يشير ، فارس يستدل على أن مدلول لفظة المروءة غير مقصور على الخير ، وهو في الرغبة نفسه يذكر ص ٦٧ في حاشية ، في الحاشي رقم ٣٤ هذه الرواية ، والتي تحمل الإشارة إلى أن الرواية معناها سماحة الملك !

(ﻫ) يقول عمر بن الخطاب : « تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة » ، ويقول مسلمة بن عبد الملك : « مروءتان ظاهرتان الرياسة والفصاحة » . والدكتور بشر لا ينكر في الرواية الثانية أن لفظة المروءة تنزع إلى السيادة ، مع أنه يحس من الفصاحة وإذن فهذه الرواية الأولى وتسمح في إشارتها إلى السيادة وسجايا السيد ، من حيث أن العرب كانت ترى معرفة العربية سبيل الفصاحة والفصاحة من أسباب الكمال والكمال من سجايا السيد .

(و) في عام ١٩٣٢ أخرج الأستاذ بشر فارس كتاباً بالفرنسية سماه « العرض عند عرب الجاهلية » وتقدم به لينال إجازة الدكتوراه من جامعة باريس ، وموضوع هذه الأطروحة أن « أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى العرض » (أنظر L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam باريس ١٩٣٢ ص ٣٢ وما بعدها) ولما كان جولد تسيهر Goldziher أحد شيوخ الاستشراق قد كتب في كتابه Muhammedanische Studien طبع Halle سنة ١٨٨٩ ج ١ ص ١ - ٤٠ فصلاً كاملاً عن المروءة ذهب فيه إلى أن « المروءة كانت تقابل عبارة الفضيلة Virtus عند عرب الجاهلية » وهو رأي على نقيض من الرأي الذي ذهب إليه الدكتور بشر ، فقد اضطر صاحبنا بشر أن يرد عام ١٩٣٢ ليناقش رأي جولد تسيهر لأنه صاحب رأي خاص في الموضوع فكتب مادة « مروءة » في مكتبة دائرة المعارف الإسلامية ، ثم وسع بالمادة فكان منها موضوع مبحث المروءة من كتاب « مباحث عربية » وهو يشغل الصفحات من ٥٧ - ٧٤ ، وهو إلى هذا الحد يرتكب وزراً ، ويكون موضع المؤاخذة منه من جهة محاولة إيهام القارئ أن بحثه في المروءة ليس عن فكرة سابقة a priori ، وإنما هو نتيجة التدبر والتدرج من المقدمات للنظر (كما يقول ص ٧٣ من كتابه) ، وهو لكي يصل الغرض يوهم القارئ — والإيهام ليس بالشيء الهين — ثم يعمد طرق ملتوية لتضليل القارئ حتى لا يكشف كيف يبين بالمراتب بعد إصرار منحرفة عن حقيقتها التي تتصل من أغراضه النتيجة المقصودة . وقد سبقت الإشارة إلى طرق الالتواء في بحثه ، والبحث طرقاً أخرى .

(١) إن كتاب المروءة واضحة التي ما عثرنا على لا يكاد يجمع بعضها على بعض ، ولا أحسنا أقوالاً فيها بل خاصة . وبهذه الجملة يتمم البحث الدكتور بشر فارس والذي عندي أن اختلاف التعريف إنما جاء من صدوره بقصد بيان كيفية المروءة ، فهو لا يقع على معنى مدلول لفظة المروءة . يدل ذلك أن لفظة الرجولة تعدها مثلاً واحداً للمعنى ، ومدلولها معنى على الخير ، ولكن كل إنسان حسب طبيعته وصلاحه ونظره بمعنى اللفظة إنما يقع على كيفية من جهة الصفات لا على مدلولها الذي يدل على المعنى . ومن المهم في هذا المعنى تحقيق Hellé ملاحظة هذه الاختيارات والآن على ضوء هذا الكلام ننظر في مبحث الدكتور بشر فارس

أولاً : يأخذ الدكتور بشر قول أبي حاتم البستي « اختلف الناس في كيفية المروءة » (روضة العقلاء ص ٢٠٧) دليلاً على تضارب التعريفات والأقوال حول لفظة المروءة . والرواية لا يقع على المدلول لأن كلام أبي حاتم البستي يقع على الصفات لا على المعنى ، والمعنى اختلاف الناس في كيفية المروءة لا في مدلولها .

ثانياً : يعكس الدكتور بشر من سؤال معاوية « ما تعدون المروءة ؟ » على أن معنى المروءة (أو معناها) أشكل على السائل . والاستدلال خطأ ، لأن السؤال يقع على ما كان يعدونه ، وعد الشيء مربوط بكيفيته (أو صفاته) ، فالسؤال يعد المروءة مثلاً « ترك الهوى والزهد في الدنيا وطاعة المولى » ، ويعد الدنيا بعدها « كثرة المال والولد » فهذه الدلالات لفظة المروءة تقع على الكيفية منها لا المدلول .

ثالثاً : يرى الدكتور بشر أن المروءة تفيد معنى السيادة « إلا ما ملخصه » إلى الاستناد إلى مشتقات مادة (م ر ء) ولا سيما الشاعر منها في الآرامية لا يصح إفادة المروءة السيادة مطلقاً ، لأن لفظة مرء عربياً وهي المثلة الناظرة إلى المعنى الأرامي إنما مفادها الإنسان . وهذا يمنع أن تكون المروءة أخذت السيادة من الأصل » هنا وهو يمنع القول ، بأن يلي المروءة وقع في كذب المقصود من عيون الأخبار لابن قتيبة ، بأن العصر

الدكتور لم يثبت غير قول واحد صرح فيه الراوي بلفظ السيادة

والرد عليه أن الدكتور بشر ذكر في موضع آخر من كتابه أن المروءة صرح مقرونة بالسؤدد من كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب (رقم ٤٠٩ مخطوط ليدن ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ع ٢٩٧ من الرسالة) والدكتور بشر يقول في تتمة هذا المخطوط. (وفي الصدر الأول شرحت وأقوال في المروءة على أنها نوع من أنواع السيادة وشرط من أشراطها) الرسالة العدد ٢٩٧ ص ٢٣٣. أما من جهة هذه الروايات من الجاهلية أو عدم ثبوتها، فلا يؤثر على القضية في شيء، لأنه جلها أتى من صدر الإسلام، والعربية لم تتغير كثيراً حتى للاصطلاح بأنها ليست من الجاهلية. وإذن يبقى معنا لفظة المروءة ملازمة مترادفة السيادة في الجاهلية وصدر الإسلام، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ بطرق ملتوية الدكتور بشر في مباحثه العربية

رابعاً: يذكر الدكتور بشر فارس أن المروءة أدب النفس — وأكبر الظن عنده — أنها صفة، أو ما صفت محاسن معنى الإنسان، ثم — من طريق التعميم والمجاز — محاسن خلقه » وهو في رأيه هذا لا يذكر السبب الذي جعله يميل مع هذا الظن. فضلاً عن أنه لا يستند في ظنه هذا إلى أكثر من نص مخطوط تحت رقم ٢٠٤٩ بأيا صوفيا، يشير فيه المؤلف المجهول المروءة من جهة الطعم والشراب، وإذا فحص القارئ لوقته الطبع ... أنها أسماء الأخلاق والأفعال التي تعنيها النصوص السابقة، من هنا يكون اسماً للأعمال المستحسنة كالإنسانية، ... رأى من الكتاب أحد رأيين كلاهما أنه يجعل المروءة من لدنه فيجعلها اسماً للمحاسن التي يختص بها الرجل فيكون كالرجولة، ولست أدري ما الذي يجعل الدكتور بشر يميل مع الرأي الأول؟! وليس في بحثه ما يرجح الرأي الذي أخذ به إلا قوله بل أكبر الظن!!

خامساً: يرى الدكتور بشر أن الأقوال والروايات التي ورد فيها لفظة المروءة بمعنى جانبان متضادان كلاهما معقود على الآخر الأول حسي والآخر معنوي، وعنده غلب على ذلك؛ وهو مذهب إلى «أن الجانب الحسي يتحصر من زمن الجاهلية وأما الجانب المعنوي فيصدره الإسلام» (ص ٣٣ من مباحث عربية) غير أنه لا يثبت على هذا الرأي صريحاً فلا يلبث أن ينقضه بقوله «وكل أعني والمعنوي أخذ بجانبي المروءة أيام الجاهلية» (ص ٣٤ من مباحث عربية)! وهو بهذا يطلع بمذهب المتوكل على الماضية. وفي هذا التضارب والتناقض ما فيه مما لا يحتاج إلى بيان

سادساً: يعتمد الدكتور بشر على رواية الأغاني بأن ابن مرداس كان معوزاً فقصد إلى عبد الله بن عباس يستوهبه ورغب إليه أن يعينه على مروءته، فرده ابن عباس لامتهانه يده في صبوته، فيصل إلى أن المروءة كانت تجيء معنوية في العصر الإسلامي وحسية في الجاهلية! وهو يبني على هذه النتيجة قوله «إن ابن عباس نظر إلى المروءة بعين المسلم فرجعها من الله وأرجعها صرة الخلق والنفس. وإن ابن مرداس نظر إليها بعين الجاهلي فرأى فيها إعانة له حتى لا يشتغل بخدمة غيره»

والرد أن الرواية لا تسعف الدكتور بشر بالنتيجة التي أراد أن يصل إليها، لأنه لا يتحصل منها أن ابن عباس نظر إلى المروءة بعين المسلم، وإنما الصحيح أن يقال إنه نظر إليها من طبيعته، كذلك لم ينظر إليها ابن مرداس بعين الجاهلي، وإنما الصحيح أنه نظر إليها من طبيعته، والفرق بين النظرتين، كالفرق بين الشخصين، وهذا الاختلاف في النظر يرجع إلى اختلاف النفوس لا إلى اختلاف الزمن، ومن أمثال الذين ينظرون نظرة ابن مرداس للمروءة كثيرون في كل زمان ومكان.

سابعاً — مضى الدكتور بشر في بحثه، وكأنه يجمع روايات مختلفة من أزمان مختلفة، وأعطى المروءة معاني مختلفة، لكل معنى منها عصر، وانتهى ببحثه إلى أنه لم يعثر على مرة العصبية على هذه الكلمة إلا في العصور المتأخرة. والرأي الصحيح في الموضوع أن الروايات التي أتى بها الدكتور بشر من عصور مختلفة وكل منها تقع على ناحية خاصة من معاني المروءة، وهذه الفروع مرتبطة بالناحية الكلية (جذور) الكلمة. ولهذا من هنا لا نأمن كثيراً على التطور التاريخي. والأصل في البحث الفكري لتاريخ لفظة أن يكون الباحث صاحب نظرة فلسفية تتمثل في معطيات الماضي وتستمد من طبيعة الأشياء الشائعة في العصر صورة تنعكس في ذهنها يحكم على أساسها الباحث الروايات التي عرضت له، ويكشف عن مصدر تأثرها بحالات العصر، وهل هي راجعة لاختلاف النفوس والطباع أم إلى اختلاف الزمن، وذلك لا يتأتى إلا عن طريق النفوذ من مادة الرواية وهو ... النظر إلى روحها وهو ما وراء اللفظ.

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

من التاريخ :

النهضة المسرحية في مصر

وتعقيب الفرقة القومية ماضيها ومرجعها حالها

الفصل الأخير :

كانت هزيمة المسرح على يد سلامة وأمثاله هزيمة منكرة ، هبطت بهم إلى الحضيض ، ورجعت به إلى الوراء عشرات السنين ، ولم يبق بد من أن يعهد بالمسرح إلى غير هؤلاء الأبطال الذين نصبوا أنفسهم سادة في مملكته . كان لا بد من إنقاذ المسرح وأهله بأية وسيلة من الوسائل ، ولقد وجدت الوسيلة واقتنعت الحكومة بها فأنشأت هذه الفرقة التي ما تزال قائمة بيننا ، وعهدت بها إلى رجل لا ننكر عليه أنه أديب وشاعر ، بيد أننا ننكر صلته بالمسرح ، تلك الصلة التي تجعل منه خبيراً يستطيع النهوض بهذه المهمة الخطيرة ، هذا إلى أنه رجل مشغول بغير المسرح من الشئون ، فلم يكن الاختيار موفقاً على أي حال ، فالمسرح يريد رجالاً من رجاله الذين عاشوا في أحضانه ، والذين تشبعت نفوسهم بحب المسرح

وهكذا أعوزهم موجهاً من أصحاب الأمر وأشدهم تمرساً وخبرة ، أما الشعراء ، وأما أصحاب الكتابة في الأدب والفكاهة التي تزخر بها هذه الكتابات والمحاولات لهذه المهمة ، وقد تزاحمهم مشاغل وسائل أخرى غير سياسته والتحكم في شئونه

على أن مدير الفرقة ليس وحده المسئول عن هذه الفرقة ، بل إلى جانبه لجنة عهد إليها باختيار الروايات ، فإذا اختيرت فهي مسئولة عن عملها ، وليس فيها إلا رجل واحد يصلح لهذه المهمة ، وإنما تطلب فنياً ... إنها لجنة تتكون من أعضاء من ذوي الكفايات الأدبية والعلمية ، ولكنهم كما هو الحال مع المدير ، ليست لهم صلة بالمسرح تجعلهم أحق الناس بهذه المهمة ، بل من هذه الكفايات ضروب التي لم تجعلهم آخر من يصلح لها ، ذلك لأن المسرح فن ، وإن كان يعتمد على غيره من الفنون ، إلا أن من يصلحون له يجب أن يكونوا من طراز خاص ، فالمسرح يعتمد على الكتاب والأدباء والموسيقيين وغيرهم ، بيد أن أحداً من هؤلاء قد لا يصلح لمهمة تجديده وسياسة شئونه ، وقد يصلح لها ممثل أو مخرج أو مؤلف مسرحي أو ناقد ، وقد يكون هؤلاء أقل ثقافة وعلماً من أولئك الجهابذة العلماء ، بيد أن روحهم الفنية الملهمة تمرطهم بسياج من القوة ، وتمنحهم إحساساً فنياً صحيحاً ، وتجعلهم من أصلح الناس لتوجيه هذه الشئون

قلنا إذن : إن مدير الفرقة لا يصلح لمهمته ، لأنه غريب عنها ، ولو أنه أديب وشاعر . وقلنا : إن لجنة القراءة ليس فيها إلا رجل واحد صالح ، على أنه مشغول هو أيضاً بما هو من المهام ما هو في نظره أجل وأخطر من المسرح ، ومن ثم فقد ساءت إدارة الفرقة ، وساء اختيار الروايات ؛ وفي حين الرغبة ترى جماعة الممثلين والمخرجين ، وقد اطمأنوا إلى أرزاقهم ، قد ركنوا إلى الخمول والتخاذل ، ولم يعد يشغلهم إلا قبض المرتب في أول الشهر ، وإلا الإشاعات التي تدور حول الفرقة وتثار هنا وهناك ، وإلا الدس إلى هذه والتقرب إلى ذاك ... أما إجادة العمل فهي

ظهرت عقلية الدكتور بشر فارس في أجلى مظاهرها وبين لك كيف أن هذه المسألة مسألة إلى أخطاء في البحث لا يقع فيها من له دربة بسيطة بالبحث العلمي المنتظم . والواقع أن بحث الدكتور بشر في الروح سخيف لا يثبت على نقد ، ولا يمكنه أن يواجه مواجهة علمية صحيحة ، فضلاً عما فيه من تحريف وتبديل للمصادر الأولى والرقعات حتى لا يخضعه للنطاق ، وستجد في متقلب والتغيير ما في تراجع من اضطراب وما في البحث من تقطع ، وما في حقائقه من انفصام .

إسماعيل أحمد أدهم

بين الدين والحب

[بقية المنشور على صفحة ١٩٦٤]

مسيحية لا تؤمن فأصبحت مسلمة لا معتقد ! وهل كان في مقدوري أن أغالب الفطرة وفي نفسي إلى الله شوق نازع لا أملك الصبر عليه حتى رأيت السبيل إليه ؟

— أنا كنتم بأن أعلنك ما تعلمين من حقيقة الإسلام ، فإن أنت وجدت ورضيت ، وإلا رجع الأمر بيني وبينك إلى الصداقة ، فإنك لا تتزوجين مسلماً وأنا لا أتزوجك مسيحية

وأخذت منذ ذلك اليوم أشرح لها مبادئ الإسلام على قدر ما يستطيع ... في الجامعة الأمريكية ؛ فكانت ... لا أفهم ... ولكنها كانت ... مما أعلم من مسائل الأدب وأصول الأخلاق ثم أصبحت ... إلى الإسلام فأجمعنا على أن أتقدم إليها كتاباً عن الدين الإسلامي في الأصغر ، وأن تؤجل البت في أمر الخطبة إلى مثل هذا الشهر من قابل . فهل يستطيع ... أستاذي أن يدلني على كتاب في هذا الموضوع يحمل ... حقاً لا ريب فيه ؟ ... والأمر ... لساني ... كتاب روح الإسلام للأستاذ ... فلعلك تجده في مكتبات الإسكندرية ... أن ... أكتب لك الفصل الأخير من هذه الرواية ... الزيات

* * *

تصويب : جاء في الناحية ... والصواب ...

... في الفصل الأخير إن لم يكن لا عمل لها من شكرهم !

هل نجد ما نقوله بعد ذلك إلا أن نكون مكررين لما قيل ... وكتب في الصحف وتحدث به الناس !

يكفي أن نضرب مثلاً لشعور الفرقة بضعفه ... وقد ... له فرصة تقدم ... أمام ملوك البلاد لم تجد ما تقدمه سوى رواية (...) وهي ... من الأدب الغربي ... !

وثمة مثل آخر ، ... الفرقة ... تتقدم على ... في استمرار صرف الإعانة التي أوشكت أن ... ليساعدوا الفرقة الكبرى التي وقفت في إخراج (...) ... ، ولولا ... من أجل ... الإعانة ... منها الفرقة !

ماذا نقول أيضاً ، وهل ... هذه الكلمة الفصل الأخير في مأساة الفرقة القومية أم أنه ما زال هناك فصول كثيرة ... كثيراً من الضحك وكثيراً من الرثاء ! (الكواكب)

ملاحظات

في الصالات

ليس من شأن هذه الصحيفة أن تتحدث عن الصالات وما فيها ، ولكنها تجد لزاماً على أنفسنا أن نحرص على كرامة الفن الذي تخدمه الصالات ... والجو الذي تخلقه ... الذي تدعو إليه ، ... الصالات عندما ... منه ... الأذواق ... التي لا حصر لها ولا حد

ولكن في الأيام الأخيرة ... الصالات ... المسرح وأبطاله ... في ... على المسرح ويأسهم منه

وهو ... الذي يشتغل الآن ... : إنه ... سبيلاً آخر ... للمسرح في صالات ... حيث ... الناس عن ... وتقول فاطمة رشدي ... على ... في المسرح والتي ستنال بها مكانة في الصالات ! ... فقد رأيناه في دور ... فيه بلا جدال ولكن هذا ... على الفن في هذه الأوساط ... إن من الواجب أن يكون كل شيء في الصالات من الوجهة ... صحيحاً إلى حد كبير ، ولكن هذا لن ... من جوهر الأمر شيئاً ... على فاطمة رشدي التي كانت ... للمسرح يوماً وهي ... بين طائفة من ... وخلاعة الصالات

الرءوس الناقصة

بعث الأستاذ ... إلى مدير الفرقة عن الإصلاحات الكبيرة التي ... على ... هذا العام ، وطلب ... أن تصنع رءوس من خشب على قدر رءوس الممثلات والممثلين كي ... الشعور ... اللازمة دون حاجة إلى ... للممثل في كل مرة

ونظر إليه المدير ... وقال

— ... ذلك إلى ... يا أستاذ ... ، ... رءوس ... ورءوس ... !

ثم ... المدير ... بكلمة الحجاج المشهورة :

« إني لأرى رءوساً قد أينعت »

ولو نظر المدير إلى المرآة لرأى ... أحد الرءوس ... التي حان قطافها (...)

7me Année No. 329 — Lundi 23-10-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة «القاهرة في يوم الإثنين ٦ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩» العـــدد ٣٢٩

الفهـــــرس

وزارة الشئون الاجتماعية

ما أظن أحداً من أحد المصلحين تلمحت نفسه لإنشاء هذه الوزارة بمثلما تلمحت له نفس الرسالة؛ ذلك لأن صاحبها هو الذي [illegible] الرسالة، ومطلبها هو الذي صدر عنه الرسالة؛ ودعوتها هي التي تضمنه إليها الرسالة مكاتب كانت لتحقيق آمالها بالتنفيذ، وتحقيق مباديها بالعمل. ومن ذا الذي لا يبتهج صدره إذا رأى مولوده قد صار رجلاً، وخياله قد أصبح حقيقة!

لقد عالجت الرسالة مشكلة الفقر على وجوهها الشتى في بضع عشرة مقالة خرجت منها على أن الحرمان كان في الأكثر الأغلب علة ما يكابد المجتمع من جرائم القتل والسرقة، ورذائل البغاء والتشرد؛ على أن أولي الأمر ما عنوا بما عنى به الله من تنظيم الإحسان وجباية الزكاة لما وجدنا في البيوت جائعاً ولا في الطرقات سائلاً ولا في السجون قاتلاً ولا في المواخير ساقطة. ولكنا تركنا الموضوع قانطين من رجعة المتوب، لأننا وجدنا علاج الأمر فيه لا يعدو البكاء والاستبكاء ما دام الحكم في يد الأقوياء، والتشريع لألسنة الأغنياء، والقلب والسير لكتاب النصوص واصطناع المخلص. [illegible] الله حكومة الناهضة لأن تحقق أحلام المصلحين وآلام الفقراء وأماني الرحمن وزارة [illegible] كل [illegible] وتضاعف كل مكتوب [illegible]، وتقطع كل [illegible] [illegible] منازع

الإصلاح وعرفت وجوه الحق . ثم كان من مصادفات الأمور ودواعي الثقة أن ولي هذه الوزارة رجل من رجال الجد والعزيمة لم يصبه الله بداء الكلام، ولم يشغله بحرفة السياسة، فاختار لشوره ومعونته وأمره طائفة من أهل الرأي ودعاة الإصلاح أمثال الأساتذة عبد المنعم رياض و[illegible] الحكيم و[illegible] الشافعي ، ثم مضى بهم في طريقه المرسومة إلى غايته اللازمة يقظ القلب نافذ الهمة لا يُثني وجهه ملال ، ولا يقطع سبيله عقبة

* * *

أجل، إن اختيار الشاذلي باشا لوزارة الشئون الاجتماعية سبب من أسباب النجاح فيها والثقة بها لما في ذلك سلف ، فمن عهد الناس بهذا الرجل سوى أنه رجل عسكري الإرادة ، وهم لا ينفكون يذكرون أنه أشجع المصريين عن الوطن ، وعدوّ الأجانب [illegible] الدولة بأمر صغير واحد حرص عليه وألح فيه ، هو أن يعزف أصحاب المسارح والسينما السلام الملكي في ختام كل حفلة . ولكنك لا تعلم أن وزارة هذا الرجل السكوت [illegible] قد أحدثت في هذه الأيام بسرعة في نسج الكلام وقطع الوعود ووضع الشروط وتقديم الاقتراحات وتأليف اللجان ، ما ذكّرنا ذلك وزارةَ المعارف في عهد من العهود إذ كانت تؤلف كل ساعة لجنة وتضع كل يوم مشروعاً ، وتسن كل أسبوع قانوناً ، ثم ينتهي الأمر بأكثر أولئك إلى ما انتهى إليه المشاريع النظرية على وجه الدهر الآسن !

قد أكرهتنا حكوماتنا المتعاقبة على أن نفهم أن تأجيل الموضوع للبحث معناه إهماله ، وتحويل المشروع إلى لجنة معناه إقفاله . فهل يجوز أن نخشى مثل ذلك من هذه الوزارة الوليدة وهي لم تُبتلَ بعدُ بجمود الموظفين الآخرين وروتين الوزارات الأخريات ؟

إن العزم الجديد في هذه الوزارة ، والروح المتوثب في هذا الوزير ، يُخشى عليهما نكسة من جهة التفريط والنكول ، ولكنهما يوجبان الحيطة من جهة الإفراط والتهور . وكفى بهذه الخشية باعثاً على كتابة هذه الكلمة

* * *

إن وزارة الشئون الاجتماعية [illegible] عدو الشعب ! وهي بحكم وجودها وطبيعة عملها وزارة الجمهور كله ، فهي مسؤولة إذن عن جميع سبيل الشعب في محاربة الفقر بالأداة والمكافحة بين مساعدة الوجود والطبيعة مدعاة إلى الفشل ، ومقاومة للثورة بالدال عليه للفقر ، ووسيلة التنجح في هداية الشعب المالية والتدرج . والله حسب حكمته لم يشأ أن يبيد الروح ويحرم الحر ويحظر الرأي جملة وحدة ؛ وإنما استدرج للغرائز والأهواء إلى حدود الظروف عبثاً مشفقاً حتى الطمأنت إليه ووثقت به

ما الوزارة في حقيقتها إلا منهاج الإصلاح من آخر متجدد أن يعرض له ... بتعيين أسرة أو بالتسعير ، كأن تقيد الزواج وتحدد المهر وتحرم على بعض الناس بعض الطعام ؟ إن ذلك وإن كان له أثره في صلاح المجتمع لا يصح أن يكون أول ما يعمل . وربما كانت هذه الأمور التي تذكرها أعراض لبعض الأدواء الاجتماعية تزول بزوالها . أما الرأي الذي نأمن معه من الملامة والفوضى والتشتت فهو أن تحرر دستورها الإصلاحي تحت ثلاثة عناوين هي الفقر والجهل والمرض ، فهي مجامع الشر الذي يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر ! ثم تحاول بجهودها المتصل في شتى الميادين أن تحصر الأمية وتقتل الجوع وتحسب أصول العلة ، حتى إذا وجدت أمامها بعد ذلك شعباً صحيح الجسم نير الفهم ممكن الطاعة ، استطاعت أن تأخذه بوسائل الكمال كتوحيد الأزياء ورقابة الغناء وتهذيب التقاليد وتنظيم الأسرة وتعاون الجماعة . على أن ذلك كله يكتسبه الشعب من ذات نفسه متى أدواه عنه الضروري من غذاء النفس والروح والبدن . وعسى ألا يمنع في ذلك من هذا الإجمال أني أخلط بين اختصاص هذه الوزارة واختصاص وزارات المعارف والأوقاف والصحة ، فإن وزارة الشئون الاجتماعية بحكم اختصاصها الشامل لحياة الجماعة في المدينة والقرية لا بد أن تتصل بالثقافة والصلاح والإحسان من جوانبها العامة ؛ ولكنها لا تعلّم كالأستاذ ولا تعالج كالطبيب ولا تحصي كالراتب ، وسنرى في الأعداد التالية كيف تستمر عملها في كل فرع منها ، حتى تستكمل الكلام في هذه العناوين الثلاثة : الجهل والفقر والمرض

احمد حسن الزيات

كيف يعظون

للأستاذ عباس محمود العقاد

أتم الحوادث المتلاحقة في قيام العظات البليغة من يحسن استخراجها من حوادثها ثم يحسن التمثيل بين مقدماتها وعواقبها والحروب أبلغ العظات

لأنها تقص النفوس فيما بين الشكوك وتقذف بين دعائم الإيمان فهي في حاجة إلى اليقين والاستقرار

ولأنها ترين على القلوب بالهموم وتلمع فيها الأحزان فهي في حاجة إلى الترفيه والتأسية والعزاء

ولأنها تكتظ بالشواهد والمثل وأسباب التغيير ومعالم العبرة فهي في حاجة إلى من يحسن التفسير والاعتبار

* * *

ورأيت مثلين من أمثلة العظات العصرية هذه الأيام يعتاق إلى كتابة هذا المقال: أحدهما مسيحي والآخر إسرائيلي، وكلاهما من مبتكرات الوعظ « المتقن التجاري » الحديث

جاء المثل الأول في مقال بصحيفة « المانشستر جارديان » الأسبوعية لواعظ يصف تجاربه في الحرب الماضية قال:

كثيراً ما وعظت في أثناء فترات القتال بالمدافع فكانوا يفهمون وعظي وإن كرهوه

ويحكي في بعض الأيام أنه رجلاً غاضباً عنيفاً وإن كان مؤدباً في حركته يقول لي: ما هذا الأمر؟ تتحدث عن الله فتقول إنه الصحة والرحمة وهذه حروب النكبة تسحق الناس!

فقلت له: إنك لأنت القادر على الاختيار [illegible] حياتك في مكان الغبر فإذا [illegible] كنت مباهاً بالدين؟ [illegible] لا أحسبك كنت تنجب من الخطيئة لأنك مجد بهدم مكونات النفس الإنسانية يختارها نفساً مصيرها محكمة ذات حرية ومشيئة [illegible] فإن لم [illegible] هو فهذا أنت صانع!

قال: على أية حال كنت لا أرى إنساناً يأثم في حياته بجريرة غير جريرته [illegible]

فأجبته قائلاً: آه! يا لها من حياة عقيمة تلك التي تريدها فإذا شئت أن نصنع بالأمهات مثلاً؟ أتريد من الأم إذا دعيت أباها إلى الحرب أو دعيت ابنها إلى الصدر أن تمضي في طريقها ضاحكة راضية وهي تقول: لا يعنيني؟ ألست [illegible]؟

« إن الحب التي تريدها لتكون [illegible] والأحباب والأصدقاء والمقدسين والأبطال والشهداء »

* * *

هذا هو المثل المسيحي وله شروحه وتعقيباته عند من يتناول مسألة الاختيار ومسألة الشر الدنيوي في الفلسفة الحديثة

ولكنه كلام يقال للرجل العصري فإذا هو أقرب إلى فهمه والإصغاء إليه من كلام لا يقوم على فكر ولا على حجة وإنما يقوم على إلزام كإلزام الآلات ويكرر كتكرير الببغاوات

* * *

أما المثل الإسرائيلي فقد قرأته في رسالة يحرره كاتبها وقد عرض حوادث العام أمامه ثم هو يقول: إن الله يعلق القصاص العاجل كل يد تبطش ابتلاء بإسرائيل، ويكتب النصر والقوة لكل يد يطلقها بحماية الرحمة والمودة. ثم يرى أنه شاعت فيه المذابح والمظالم للإسرائيليين إلا أصيب بثورة أو سيق إلى حرب أو هزيمة مريعة

فهذه روسيا كانت أسبق الأمم إلى ظلم اليهود فابتلاها الله بالثورة البلشفية

وهذه أسبانيا سفكت فيها المظالم عليهم فابتلاها الله بالحرب الأهلية

وهذه بولونيا نفسها لم تخل في بعض عهودها من ظلمهم ومطاردتهم، فشاءت الأقدار أن تكون [illegible]

وهذه ألمانيا النازية تساق إلى حرب [illegible] تهدمها من أركانها

« حرب رب جبار لا يغفي الثأر ولا يصبر على الأشرار »

وهذا الكلام أيضاً قريب إلى عقل الرجل العصري الذي يفكر تفكير الساعة وينظر بعين التاريخ، وإن كان قائله يجعل الأمر موضع المقدمة موضع النتيجة ويضع النتيجة موضع المقدمة. وفي الحقيقة أن الاضطراب هو السبب المؤدي إلى ظلم « الأقليات » ومنهم اليهود، وليس ظلم الأقليات عامة أو اليهود خاصة هو السبب المؤدي إلى وقوع الاضطراب. فروسيا وأسبانيا وبولونيا وألمانيا كانت فيها الفوضى الاجتماعية والقلاقل السياسية سابقة للحروب والفتن التي تقع بين عناصر الكثرة وعناصر القلة فيها، وقد حدث أن بلاداً وقعت فيها المظالم والفتن وليس فيها يهود مضطهدون كما حدث في بلاد الترك

والعين، فتلبة الأولى هي الاضطراب والحالة الثانية هي الاضطهاد، وهذا هو موضع الخطأ في تفسير إرادة الله كما رآها واعظ إسرائيل

إلا أن الكلام كما أسلفنا كلام عالٍ في العظات النصرية لإقناع السامعين المصريين، وهو بعيد من كل كلام لا ينظر فيه إلى الواقع ولا ينظر إلى التاريخ

* * *

قرأت حديث القلبين في شهر رمضان

وشهر رمضان عندنا هو شهر العظات وشهر السهرات في جامع التركي والفردوس

وقد سمعت بعضها وقرأت بعضها وقد كتبت بعضها عن كان بثّ في السنوات الماضية

فيطيب لي أن أقول إنه يقصم من الحاكة إلى الإنكار، وأنه يخرج من حظائر الموت إلى ميادين الحياة، وأنها تخاطب الناس بخطاب الإقناع بعد أن خاطبتهم طويلاً بخطاب الإرغام والإرهاب

فإذا اقترحت على هذه الزمرة سبيلها عدا (١) أن تلتمس الآفاق الواسعة وتتعمق في أغوار النفس الإنسانية و (٢) أن تربط بين موضوعاتها وتكبيرات بالحوادث المعاصرة و (٣) أن تعمم الإقناع في خطاب العقل البشري فلا تقصره على من يؤمن بالقرآن والسنة ومسلمين، بل تجعله بحثاً حقيقاً بالبحث والنظر في رأي كل صاحب عقل وتفكير

وهل أصيب أمنية أخرى؟

يقول أناس إن الخطيب لا يلزم أن يخلو من عيوبه، وإن واصف الدواء لا يلزم أن يتناول من دوائه، وإن الأب الذي يحرم على ولده الطعام لا يحرم أن يأكل من طعام الأطفال، ولكن الواعظ لا يكون واعظاً إلا إذا عمل بما يأمر به الناس

ويقول آخرون: بل حكم الواعظ في ذلك حكم الطبيب واصف الدواء ومقدم الطعام بعينه، فليس الواجب عليه أن يعمل بكل ما يقول، وإنما الواجب عليه أن يهدي كلاً من سامعيه إلى ما يحسن به عمله وتصلح له هدايته

وأياً كان مقطع الرأي في اختلاف الواجبات أو اتفاقها بين الناس هناك واجب مشترك متفق عليه بين جميع الواعظين والمعلمين، وهو الإيمان بالواجب والإيمان بالأمانة والإخلاص في أدائه.

عباس محمود العقاد

جناية أحمد أمين على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ١٩ -

رأينا في المقال السالف كيف أخطأ الأستاذ أحمد أمين حين زعم أن الأدب العربي على اختلاف عصوره ليس فيه إلا شاعر واحد يهمه تحليل النفس

فهل عافاه الله من الخطأ حين زعم أن الأدب العربي لم يعرف غير كاتب واحد يهتم باستقصاء الأغراض؟

إن الله سلط ابن خلدون فشغل به قلب الدكتور طه حسين فشغر مركزه في صدر الأستاذ أحمد أمين، فأعجب الظن أن أحمد أمين لم يكن عنده مانع من القول بأن الأدب العربي في جميع العصور وفي جميع الأقطار لم يخلق فيه كاتب يعرف كيف يشرّح النفس والأغراض على نحو ما يصنع الكتّاب في هذه الأيام!

ولعلي قد نجد الدكتور طه حسين حين يعود إلى أيام الصيف من يعرض الأستاذ أحمد أمين للمتاعب، فلو أن الدكتور طه بقي في مصر لكان من الجائز أن يعين إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون، وعندئذ كان يصح للأستاذ أحمد أمين أن يتعسف فيقول إنه لا يعرف في الأدب العربي غير كاتبين اثنين! وكان من الجائز أيضاً أن يطلع الدكتور طه إعجابه بكاتب ثالث فيقول الأستاذ أحمد أمين إنه لا يعرف في الأدب العربي غير ثلاثة من الكتّاب!

فهل نرجو أن يتلطف الدكتور طه حسين فيعلن أنه لا يعقل ألا يقع في الأدب العربي غير كاتب واحد في ذلك الأمد الطويل الذي سيطر فيه على أقطار أسيوية وإفريقية وأوربية؟

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة، وهي حق، لصرفت عنوانها إلى روح الأستاذ أحمد أمين فأدمع بحق على الأدب العربي

بما هو أهله ، ولكان من الممكن أن يصرح بأن الأدب العربي يبيع فيه من الكتاب عشرات أو مئات

ولكن الدكتور طه يعرض بأصدقائه أشد التعريض ، ويحرص على سنة ما يقعون فيه من أوهام وأباطيل ، ويدفعهم إلى الجمود في جهة وسوسة ، فكيف ننتظر أن يقول في الأدب العربي كلاماً فيه تشجيع وحلالاً معنى على مواجهة رجل يستبيح في النقص من أدب العرب مالا يباح ؟

لقد قضيت أعواماً طوالاً في محاربة الدكتور طه حسين ، واستطعت أن أعدل مسالكه الأدبية بعض التعديل ، فهل أستطيع اليوم أن أحوّله من مواقف الشكوك على أغلاط بعض زملائه الأعزاء ؟

إن الدكتور طه هو المسئول عن أحمد أمين ، فهو الذي قال « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديته إليها » ومعنى ذلك أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون في صدره

كنت أحسب أن الدكتور طه على خطأ يوم ظن أنه استكشف « الأديب » المدفون في صدر أحمد أمين ، ولكني رأيت ألا أسارع إلى مخالفة الدكتور طه ، فقد تأتي الأيام بسرعة الدكتور طه إلى الصواب ، فهل رده إلى الصواب ؟

لقد حدثتكم من قبل أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً محسناً للوظيفة لا يرى ما عداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين : كن أديباً ، فكان

واليوم أحدثكم أني أخطأت ، والصواب أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإن قال له طه حسين : كن أديباً ، فلم يكن !

يا دكتور طه

هل يصدق القول بأن اللغة العربية لم يكن فيها كاتب يحلل المعاني غير ابن خلدون ؟

أحب أن أسايرك الحديث ، فقد صرت من ساحة أحمد أمين

ما رأيك في الرعيل الأول من الكتّاب بعد عصر النبوة ؟

ما رأيك في خطب علي وخطبه فيما أضيف من نهج إلى الكتب ؟

ألا ترى فيه تحليل المعاني وتحرير الأغراض ؟

وما رأيك في طريقة عبد الله بن المقفع وهو يقرر الأحكام أو يكتب العهود ؟

إن كتاب كليلة ودمنة هندي الأصل ، فليس لابن المقفع غير الترجمة والتهذيب ، ولست من القائلين بأن كتاب كليلة ودمنة من إنشاء ابن المقفع ، ولكن ما رأيك في مقدمة ذلك الكتاب ، وهي يقيناً من إنشاء ابن المقفع ؟

أليست تلك المقدمة شاهداً على أن ابن المقفع يجيد الاستيعاب والاستقصاء ؟

وما رأيك في الكتاب الذين عرفتهم اللغة العربية بعد ذلك ؟

هل يستطيع إنسان أن يقدم ابن خلدون على الجاحظ إلا وهو محروم من نعمة الفهم والذوق ؟

إن الجاحظ كان يستوعب جميع المعارف في عصره ، وكاد يتمثل جميع الأحياء والأموات بأعيانهم وأشخاصهم من دقائق الأشياء . والذي يقرأ رسائل الجاحظ ومؤلفاته يشهد المعارك والمساجلات بين أصحاب المذاهب والآراء ، ويرى كيف تصطرع الطبائع والنحائز والخصال

فهل يجوز القول بأن اللغة التي عرفت أدب الجاحظ ليس فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

وما رأيك في ابن قتيبة ؟

هل تذكر مقدمة كتابه « أدب الكاتب » ؟

إن « أدب الكاتب » هو في الأغلب دراسات لغوية وصرفية ولكن ما رأيك في مقدمة ذلك الكتاب ؟

أليست آية في التحليل والتشريح ؟

وبين الجاحظ وابن قتيبة عرف الأدب العربي « مساورات الصدى لأهل بيته » وأذكر أنك حدثتني في صحة هذه المنشورات وصح عندك أنها من الأدب المنحول ، وكانت حجتك أنها لم تذكر

في غير كتاب العقد الفريد . وقد صح وثبت عن تتبع المصادر التي وردت فيها إشارة إلى تلك المحاورات ، فهل تظن أنها من بعض ما اخترع كاتب الأغاني ؟

فالمهم ، يا سيدي الدكتور ، أن ننص على أنها صيغت في القرن الرابع ، ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون مشرقية أو مغربية ، كما لا يهمنا أن تكون من نتاج القرن الثاني أو الثالث ، فما يعنينا في هذا المقام إلا أن نتخذها شاهداً على أن من كتّاب العرب من أجادوا التحليل والتشريح قبل ابن خلدون بأجيال طوال

ومن المؤكد أن محاورات المهدي لأهل بيته ليست أول وآخر ما عرف العرب من هذا الطراز ، ففي أشياء كثيرة مثل « حديث السقيفة » الذي صنعه شيخنا التوحيدي والذي نقده ابن أبي الحديد

ولولا خوف الفتنة لأشرت إلى قصة وجيهة كثر فيها التحوير والتبديل ، وهي من الشواهد على أن العرب تنبهوا من وقت مبكر إلى تحليل المعاني وتشريح الأغراض

وما رأيك في أبي حيان التوحيدي ؟

ألا ترى أن أعماله في القرن الرابع تذكّر بأعمال الجاحظ في القرن الثالث ؟

كان الجاحظ يُعنى بالعلماء والفقهاء والأدباء ، وكذلك كان التوحيدي يُعنى من معاصريه بألوان كثيرة من صور الفكر والبيان

ومن المؤكد أن التوحيدي أكتب من ابن خلدون وأسبق إلى تشريح الآراء والأهواء

ومن المؤكد أيضاً أن التوحيدي لا يقل عن أعظم كاتب عرفته اللغات الأجنبية ، ومقالاته في الأسمار تذكّر بمقالات أناطول فرانس

وهل يذكر الدكتور رسالة الطير والحيوان بين رسائل إخوان الصفاء ؟

لقد دلنا ابن أبي الحديد على واضع « حديث السقيفة » فمتى نعرف الكاتب المجهول الذي وضع « محاورات المهدي لأهل بيته » ؟ ومتى نعرف الكاتب المجهول الذي وضع « رسالة الطير والحيوان » ؟

قد نتعزى حين نيأس من معرفة المهندس الذي وضع تصميم الأهرام ، والمهندس الذي وضع تصميم إيوان كسرى ، والمهندس الذي وضع تصميم قصر الحمراء ، ولكنا لن نتعزى أبداً عن اليأس من معرفة الكاتب الذي وضع « رسالة الطير والحيوان » لأنه عندنا أعظم كاتب عرفته الآداب العالمية بعد أفلاطون

هل يذكر الدكتور مقالاً نشرته في جريدة كوكب الشرق؟

لقد صارحني الدكتور طه حسين بأن الفصل الذي كتبت عن « رسالة الطير والحيوان » في كتاب النثر الفني غير كاف ، وقد أجبت بأنه فصل من كتاب ، وتحليل هذه الرسالة يحتاج إلى كتاب خاص

فكيف يقال إن اللغة العربية لم يجتمع فيها كاتب غير ابن خلدون وفيها « إخوان الصفاء » الذين صوروا عصرهم وزمانهم أعظم تصوير ؟

لقد أشرت من قبل إلى الخصيصة التي امتاز بها أولئك القوم ، وهي نكران الذات ، وإلا فمن الذي يصدق من أهل عصرنا أن جماعة من أهل البصرة أو غير أهل البصرة يحجبون هوياتهم عن عين التاريخ مع تلك القدرة الباهرة على شرح المعاني والأقاويل ؟

وما رأي الدكتور في ابن شُهيد صاحب « التوابع والزوابع » ؟

ألا يستحق هذا الكاتب المبدع بأن يضاف إلى من يجيدون تحليل المعاني واستقصاء الأغراض ؟

إن ابن شهيد في تلك الرسالة شرح المعاني الصعبة بمقارعة الفحول ، ودخل في مطالب لا يهتدي إلى مسالكها غير المزوّد بأسرار الضمائر والقلوب ، فكيف يُجهل ويعرف ابن خلدون ؟

وما رأيك في التنوخي صاحب « نشوار المحاضرة » ؟

ألا يذكرك هذا الكاتب بكتّاب «الصور» من أعلام الفرنسيين والإنجليز والألمان!

لو كان التوحيدي في أمة غير الأمة التي ضيع فيها ديوان ابن سماجة صرية واحدة في مدى أربعين سنة لجاز أن يخطر في بال الذي قال إن اللغة العربية لم تعرف كاتباً غير ابن خلدون!

وما رأيك في ابن مسكويه صاحب «تجارب الأمم»؟

ألم يهتد ابن مسكويه إلى فلسفة التاريخ قبل ابن خلدون بأزمان؟

وما رأيك في الجرجاني صاحب «دلائل الإعجاز»؟

هل ترضى أن نوازن بين الجرجاني وبين لانسون؟

إن الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز أروع وأعظم من لانسون في كتابه L'Art d'écrire ولكن لانسون وجد رجالاً يعرفون قيمته الأدبية، أما الجرجاني فله أخلاف يجهلونه ويذكرون ابن خلدون

وهل يمكن لرجل فيه بقية من الفهم والعقل أن يتناسى العظمة الفكرية عند أمثال عبد القاهر الجرجاني؟ ومن قبل جرجاني عبد القاهر كان أستاذه أبو الحسن الجرجاني الذي فصّل ما بين المتنبي وخصومه أعظم تفصيل، والذي أدخل في الأحكام الأدبية روحاً من عقل القضاء.

ومن قبل هؤلاء نشأ أحمد بن يوسف المصري الذي برع في تسجيل ما عرف من معاصريه من محاسن وعيوب، والذي وصل إلى الغاية في شرح أهواء النفوس

وهل ترى أن يقف الأدب عند الرسائل والمؤلفات التي غلب عليها الصبغة الاصطلاحية؟

إن ميدان الأدب أوسع من ذلك، فإليه تضاف أعمال المؤلفين في التصوف والأخلاق

إن صح هذا — وهو صحيح — فهل أستطيع أن أعرف رأيك في الغزالي؟

أنا أعتقد أن الغزالي من فحول الكتّاب في اللغة العربية، وأومن بأنه من المبتكرين في تحليل النوازع النفسية والعقلية، وفي كتاب «الإحياء» فصول تشهد بأنه من أئمة الفكر والبيان

اقرأ — إن شئت — بعض ما كتب في الرياء تجد أنه من الأعاجيب في التنبيه على الخفي من سرائر النفوس، وقد تعرف — وأنت تعرف — أنه في بابه أعظم من ابن خلدون وأقدر على التحليل والتشريح

لك في عادة غريبة بأنه لا يسرك أن أثني على الناس.

لقد ذهب الناس يا سيدي الدكتور

أليس من الغريب أن يحتاج الأدب العربي إلى من يحميه من غطرسة بعض الأساتذة بكلية الآداب!

إن الأستاذ الذي لم يعرف في اللغة العربية كاتباً غير ابن خلدون لم يطلع أبداً على كتاب الفتوحات المكية، مع أنه كان يطلع على ذلك الكتاب يعرف أن هناك كاتباً خلاقاً هو ابن عربي الذي حلق بآفاق عجزت عنها أكثر الأدباء في هذا الجيل

وهو أيضاً لم يطلع على مؤلفات الشعراني التي صورت المجتمع المصري في القرن العاشر تصويراً يعجز عن مثله اليوم، وأكاد أجزم بأن الصحف المصرية على اختلاف ألوانها ونزعاتها لا تصور من صور مصر في العصر الحاضر ما أعطته مؤلفات الشعراني من صور مصر في القرن العاشر

وما كان الغزالي ولا ابن عربي ولا الشعراني إلا تلاميذ لأساتذة مجهولين وضعوا الأسس لحياة الفكر والتأليف في مختلف الأقطار العربية والإسلامية

هل تذكر المقريزي يا دكتور؟

أنظر خطط المقريزي، وتذكر العصر الذي عاش فيه المؤلف ثم وازن بينه وبين أي باحث من نوعه عاش في الأقطار الأوربية، فإن صنعت فسترى أن أسلافنا كانوا من أئمة الابتكار والإبداع

فبأي حق يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون؟

إن ابن خلدون ممتاز في الترتيب والتبويب، وهذه هي الصفة

التي يعتبها أحمد أمين ، فأين هو من القلقشندي الذي بوّب « صبح الأعشى » تبويباً معدوم النظير ؟

وأين هو من السخاوي الذي صوّر القرن التاسع كأنك تراه ؟

وأين هو من الحركات العقلية المثبّتة في ذخائر التفكير العربي والإسلامي ؟

الأدب ، يا دكتور ، له فنون تتجاوز ما أسلفنا من الفنون ، فأين مكانك من الكتّاب الذين شغلوا أنفسهم بتشريح المعاني النحوية والصرفية ؟

إن سيبويه ألف « الكتاب » في القرن الثامن الميلادي ، فهل تعرف أن الأمصار الأوربية كان فيها مؤلف يشرّح أصول النحو والصرف كما صنع سيبويه في ذلك العهد ؟

وهل يمكن أن يقال إن ابن خلدون كان في التشريعات السياسية والاجتماعية أمهر من سيبويه في التشريعات النحوية والصرفية ؟

وهل يمكن القول بأن جوهر العقل عند سيبويه أقل قيمة من جوهر العقل عند ابن خلدون ؟

إن الأستاذ أحمد أمين لا يرى غير ظواهر الأشياء، ولو كان عميق الفكر لعرف أن رجلاً مثل ابن هشام الأنصاري خليق بأن يوضع في أول صف من صفوف الباحثين الذين يحسنون تشريح المعاني ، فهذا الرجل عرض مسائل النحو في صور فلسفية ، وبذل في ذلك جهداً يشهد بأنه في غاية من قوة الفهم والعقل ، وقد استطاع أن يجمع الفلسفة في مذاهب البصرة والكوفة وبغداد ، ومجموعة المحاولات التي بذلها في تكييف المشكلات النحوية والصرفية أقوى من مجموعة المحاولات التي بذلها ابن خلدون في تكييف السياسة والاجتماع

إن فقهاء التشريع الإسلامي كان فيهم فحول من الوجهة الأدبية ، ويكفي أن من يجهل أن البويطي صاحب كتاب الأم كان من أقطاب البيان ؟

* * *

أو من سبق أن البويطي عرض أخلاف ما بين الشافعية والحنفية عرضاً هو الغاية في حسن التصوير وجودة البيان وسداد الآراء !

ومع ذلك نجد من يقول بأن اللغة العربية لا تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

* * *

أما بعد فالذي بقي لأحمد أمين وقد عرفت أوهامه كل معرّف ؟ بقي أن يبين أن أغلاطه ليست أغلاط الرجل المجتهد — والمجتهد يخطئ حيناً ويصيب حيناً — وإنما أغلاطه مسروقة سرقة صريحة من بعض أدباء هذا الجيل

فكيف سرق أحمد أمين تلك الأغلاط ؟ وكيف خفيت سرقاته على الناس ؟

سنكشف تلك السرقات في مقال أو مقالين ، ثم نتركه في سلام ليتعرف الصيام من أطايب رمضان ، إن لم يجد ما يوجب أن يفطر يوم العيد على حديث ذي شجون

زكي مبارك

على ذكر تقرير هرالد

موقف العلم من الكمال الإنساني

للأستاذ توفيق الطويل

١ — العلم وتطوره خلال شتى العصور

نشأ العلم صبياً في أحضان المعرفة الدينية عند قدماء المصريين والهنود ومن إليهم من شعوب الشرق القديم، وكان أداة لخدمة الحياة العملية، وتحقيق النفع من مطالبها، ووسيلة لخدمة العقيدة الدينية وتوكيد سلطانها في قلوب الناس؛ ثم أقبل عصر الفلسفة اليونانية فأخذ أهله لإنقاذه من عبث الحياة العملية وسلطان العقيدة الدينية معاً، ووصلوا إلى البحث المجرد الذي لا يهدف منه إلى غاية إلا المعرفة نفسها وحدها. ثم أقبلت العصور الوسطى وقد تمكن الدين المسيحي من قلوب الناس، وهيمن على عقولهم، فهبط العلم من سمائه وأدركته العبودية من جديد، إذ سخره أهله لخدمة الدين وتمكين حوزته، وأرغم العلم على الخضوع لهذا الاستعباد حتى ثورة أصحاب النهضة على سلطان الكنيسة، وتولوا الإصلاح والتجديد. وفي مطلع القرن السادس عشر، وأوربا في غليان فكري أثار لوناً من الشك الهدام، أخذ الناس اليقين في مجال العلم، والاطمئنان في ميدان العمل، وحطم وحدة أوربا وزكى ... وأحقاداً، وأطل برأسه الاتجاه الحاضر دعاة الشك اليائس: أجريبا وسانشيه ومونتاني. بيد أن الناس قد ... دعوتهم وتطلعوا إلى اليقين والاطمئنان، فاستجاب لهم الرب في دعوة جديدة ظهرت في أواخر القرن السادس عشر لمقاومة هذا الشك الهدام، تولاها ثلاثة من أعلام الفكر هم: شارون وديكارت وبيكون، فدعا الأول إلى الاطمئنان عن طريق الإيمان الديني، ولكن روح العصر لا يلائم دعوته — ودعا الثاني إلى احترام العقل واعتباره أصدق معين تستمد منه المعرفة الصحيحة فكان أبا الفلسفة الحديثة، ونادى بيكون بالإيمان بالعلم عن طريق التجربة، وحدد للبحث طريقته ورسم له منهجه، وأطلق ميدان العلم وفتح له مسرحاً لا يحتمل الاتساع فكان أبا العلوم الطبيعية الحديثة، وعلى يديه خرج العلم من أحشاء المعرفة البشرية، واستقل عن الدين والفلسفة والأدب، وعرفت شخصيته وحده له وجهة ثابتة. ذلك أن بيكون أعلن احتقار العلم الذي يحرص لخدمة العمل أو خدمة الدين، وأكد الدعوة إلى ربط الأبحاث العلمية بحياة الناس وقصرها على ما يحقق لهم ... ونفعه.

فكان ميلاد العلم يلتمس شيئاً من بعض الوجوه ... واستمر يتكون في النجاح من العلم حتى كمل له الاستقلال عن سائر ألوان المعرفة، وسقط في كافة عيب الأغراض الدينية، ولكنه لم يكفل له حرية مطلقة موفورة، فأرغم ... أسرى وسخره لخدمة الحياة العملية وتوفير السعادة للناس، وهكذا بدأ العلم في عصوره الحديثة مستقل الشخصية ... محدود ... يتهكم بالفلسفة ويسخر من أهلها، ويسخر من الفلسفة الدينية ويقيم حدود الفاصلة بينه وبينها؛ ولكنه مع هذا الاعتزاز الذي لازمه الغرور قد شعر بعد بأنه ليس سيد نفسه، إنه مسخر لخدمة الإنسان، وتحقيق رغباته بتحصيل ... فلما شب العلم بعد هذا وسنح ... إلى رشده، تكشفت عن الطعن في الفلسفة، وتقبل منها النصح بعد أن أرشدته إلى الكثير من أخطائه، وأخذ جاهداً يتحرر من ظل الأغراض التي رسمها له أبوه، وأصبح النصح في مسعاه، ويحظى بحرية كاملة غير منقوصة، وأصبح بحرص لذاته يقطع النظر عن كل ما يه سلطاناً ما يبلغ موضوعه إلا إذا اقترب الأبحاث العلمية نفسها غايته. إنه قد تحرر من ظل الحياة العملية ومستقبل العقائد الدينية والسياسية الأغراض القومية — أو هكذا زعم أصحابه ومحاوروه — وأصبح يجاهر الأدب والفن والفلسفة بأنه سيد نفسه، لا يخضع للعاطفة، ولا يخدم الهوى، ومنهجه موضوعي قائم على معرفة الشيء من حيث هو شيء، دون نظر إلى علاقته بخير المجتمع وصالح الإنسان. وقد أدى هذا بتوابعه إلى أن يكون بمنجاة من التأثر بالزمان والمكان وما يلابسهما من ظروف، أما الفلسفة والأدب فإن أحكامها شديدة الإضافة إلى ذات صاحبها متأثرة بعواطفه وتتفاعل مع بيئتها وظروفها.

ووجه الخلاف بين هذا المنهج العلمي الحديث، والمنهج الذي رسمه بيكون قائم في النفع وحدها. فكان بيكون لا يخدم العلم إلا بقدر ما يحققه للإنسان من سيادة، وما يوفره للمجتمع من نفع وهناء، فسود العلم حرمته التي كانت له أيام اليونان، وأصبح يجاهر على لسان المجمع البريطاني لتقدم العلوم سنة ١٩١٠ بأن العلم يطلب لذاته أولاً. قال رئيس المجمع في خلاصته: إن أسمى العلم حق قدره، وإن أكبر شأنه للمجتمع الإنساني، ويكفي أنه إن أتى الغاية إذا انتصر الظفر بما سمح الأرض من ثراء، وما تنطوي عليه كواكب السماء وجواهر اللغة من قوة،

فليس تحوّل اهتمامهم إلى أنهم يرصدون الثروة المادية فوق الثروة الخلقية ؟ وأنهم يستثمرون العلم مساعدة عند ما يستخدمونه في قصر الوصول إلى منفعة الأمة ، ولكن هذا كله لا ينبغي أن يمنعنا من مغالطة أخطر من شأن المبادئ الأدبية ، فإن هذا الاتجاه قد ولّد الرأي الفاسد القائل بأن القوة تخول صاحبها امتلاك ما يشاء (لعله يقصد ألمانيا التي أشعلت الحرب الكبرى قبل خطابه ببضعة شهور) ثم قال المجمع في الجلسة التي عقدها بعد ذلك بعشر سنوات : إن القائلين بأن غاية العلم هي التسلط على قوى الطبيعة لمنفعة الإنسان – وهي دعوى يكررونها – يبالغون في الاعتقاد بصحة ما يزعمون ، فإن كانت المنفعة أكبر الأسباب التي حثت العلماء على مواصلة أبحاثهم ، ولكن أول غرض يرمي إليه العلم إنما هو الكشف عن قوى الطبيعة وسبر ما بينها من صلات ، ووصفها حتى يتألف من مجموعها نظام معقول . ذلك هو أول أغراض العلم ؛ أما المنفعة المادية فتصحب الكاشف بعد حين ورود ذلك ، ومهما يصبح الاشتغال بالعلم لذة صعب تكاد تلحقه بالفنون الجميلة !

والعلماء الذين يبحثون مناهج العلم البحت يشعرون بالرابطة التي تصل بين العلم والفن ، ومسائل الطبيعة موضوع بحثهما معاً غير مادة إلا الخيال يجلوها ، إلى التحليل الجبري للنظر نفسه بالصفة الوصفية دون التوضيح للتحقيق ، وهذا شبيه بعمل الفنان لا يرى في حلمه إلا أرقاماً وعلامات ، ولكنه مشغول عند الخلق بمرجعين صبغة هذه الأرقام والعلامات إلى معنى الذي تخفيه ورموزه ، حتى كسبه العلامات بوصفه إلى الأنغام المعبرة ، والأمر الذي تحقّق من سوى مصدرها . ثم يعود ويعرض المجمع اهتمام العلماء بالعلوم الطبيعية إلى ما تنطوي عليه مباحثها من جهة وجدته ، لا إلى ما ينتظر من ورائها من نفع مادي ، وإن كان عميق هذا النفع أمراً أكيداً .

بهذه الروح « الفنية » يتحدث العلماء المحدثون عن العلم وغاياته . كان يكون في مستهل العصور الحديثة يتهكم العلماء الذين يقضون الوقت الطويل في المباحث النظرية التي لا ترمي إلى منفعة الإنسان ، فأصبح العلماء في آخر القرن الماضي يتحدثون عن علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الأدبية ، ويشاركون في جانب الفنون ، ويقولون إنما تمتاز العلوم الأدبية إذ انحصرت في دراسة الإنسان وأعماله ، وأهملت ظواهر الطبيعة وقواها ؛ ثم تلوم أحياناً إذا انحصرت علومنا الطبيعية في النظر إلى الطبيعة ولم تتجاوزها إلى الإنسان وأعماله . ثم تطورت هذه الروح في القرن العشرين

حتى أصبح العلماء يفكرون في العلاقة بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، ويتحدثون عن الخيال الذي تكشفه المركبات العلمية في أبحاثهم عن ظواهر الطبيعة ، ويتكلمون عن أثر هذا الخيال في نفس العالم وتشجيعه على مواصلة البحث ، وإن لم يفكر هؤلاء العلماء في بحوثهم في نفع إنسان لم يقصدوا إليه ، ولم يصيبوا إلى تحقيقه تلك أحسن وجهات النظر في فهم العلم الطبيعي وتحديد غايته من بين

٧ – حالة العلم في الحرب والسلم

تحول الغرض بهذه الرحلات التي قد تترتب على بعض مبتكراته ومخترعاته ، إلى لم يمنع من القصد لطر الذي وضع به صيحات الناس إبان الحروب وبعد أن تخمد نارها ، فإن الحرب إذا اندلع لهيبها قصر العلم غايته على تقديم الوسائل لها ، وغض بلاده بكل جهوده ، وتحول العلماء من جدران معاملهم إلى جنود يقاتلون ؛ يطلبون المجد سابقين في إنقاذ الوطن ، أو يحرقون الوسع محدثين لتحطيم أعدائه ، ولهذا انصب السخط على العلم دون حساب ، وأحس أهله في فترة مضت – خروج من كرهم ؛ فأخذوا يلتمسون لأنفسهم الأعذار . وشرع المجمع البريطاني بحجة أعلنها سنة ١٨٩٩ ، ثم كرر إعلانها سنة ١٩٢٥ فقال : إن المتقدم بعض حفظ حياة الأفراد ، أن العالم ذاته يجاهد لحفظ حياة النوع البشري عن إيقاف الحرب بما يخترع من آلات التخريب وأدوات التدمير ، والظفر في الحرب يكسب السلم الذي يعود طرفه المشكرة ويتقاسم النشر الذي يعود على شعب الأمم ويبشر بالطمأنينة والحماية في بقاع الأرض طراً ! وهذا العصر يكاد لا يعرف من الصحة التي تترع بها الحروب يوم طمع في إصلاح العالم وتوحيد حكمه . وقد وجد الحلفاء صدى في الحرب الماضية ، ويكاد اليوم في الحرب الراهنة التي ترى إلى القضاء على الشعوب التي أنهكت أعصاب العالم وعصفت بقوته ، مما تظهره من شهوات الوعود والحقد المعهود . فكان رجال العلم حين أخلصوا لأنفسهم الأعذر عن تسخير علمهم لأغراض قوى عمل ، قد تحولوا إلى رجال سياسة ! وقد كان في وسعهم أن يحولوا إلى الحروب إذا اشتعل لهيبها ، فتعبث الأوضاع وتضطرب النظامية وأصبح من واجب العلم أن يحمي هذه الأوطان . المتوالية في أعرق البلاد ، وما الحرية والديمقراطية ، يكاد الإنسان يستعمل آلة في يد الوطن إذا حاق به خطر ، فهل نحكم على العلم بخروجه عن حريته ، وتسخيره خدمة لغير من هو بحق وجه الدفاع والدفاع عن الوطن ؟

ويرى أن العلم قد تحرر من كل الأغراض فما وقل مختاراً لا نهاية لما يترتب عليه في أيام السلم كذلك، وصحة التمييز أن مخترعاته قد ترتب على بعضها دواء للبشر شراً وأذى، وقد طالبوه بتحقيق آمال من الجنة الموعودة ويحاسبونه على عجزه عن تحقيقها! قال الرئيس روزفلت: إن العلم قد نجح في تحقيق الإصلاح العاجل ووعد الفردوس الأرضي للناس. إنه أقامه في عالم المادة وحرراً من خوف الخرافة والرعب، ولكنه فشل في تنوير الطبيعة البشرية وتخليصها من أدران الأحقاد والضغائن، وبذلك ظل الناس عبيداً لأنفسهم. ورد عليه المصلح البريطاني قائلاً: لماذا تلقى على عاتق العلم تبعة الفشل الذي انتهت إليه آمال لم يعد العلم بتحقيقها؟ إن العلم لا يدعي إصلاح الطبيعة البشرية، وقد يكون في مقدوره أن يسير البحث ويرد في منفعة الإنسان ويوسع من وعي مداركه ولكنه غير مسئول عن أسباب سوء استعمال آثاره. مع العلم قد يطيل حياة الناس، ويكفل لهم الصحة والرفاهية، ولكنه غير مسئول عن كيف تقضى الحياة التي يسهم في إطالتها وقد يكفل للأشرار القوة كما يكفلها للأخيار ولكن ذلك لا يبرر المطالبة بإغلاق المستشفيات حتى لا يفيد منها دعاة الشر والإجرام

ويرى مع أنصفت أن العلم وإن كان قد بدأ في العصور الحديثة موصول الرابطة بمصالح الإنسان، إلا أنه مشغول بطرق ... أنواع من كافة حصة المجتمع وأسرع حركة وسياسة ... و ... فقد أصبح بحثاً موضوعياً يستهدف على الحمل بجمال الطبيعة واكتشاف القوى الخفية فيها وفهم ظواهرها. أما النهضة الأخيرة حديثاً ... من علمين تاريخ العلم لصالح المجتمع واعتبر المحدثون ... العلم المتقع للمادى مصدراً للعمل والهاماً لقسمته، بالإضافة إلى ما بدأ من تقسيم حركته من اعتقاد فكرى ... تاريخ الفكر منذ القدم المصرى. ويدعم العلم في عهده الأخير لا يتصل بالمشاكل الإنسانية اتصالاً مباشراً، وهو يعتمد في تقدم الناس على ما تقدم من حضارات، غير مستعد لأعمال الغيات التي يلقيها على عاتقه خصومه؛ فليس من حقه أن يتولى بالقوم كما يطالب إليه أمثال خصومه ومطالبه. وإن كان لا بد من الحديث عن موقف العلم من المشاكل الإنسانية لمعرفة ما حققه من خير وما جره من ويلات ... ومن أن نتحدث عن الشرق أى مباحثه كما صوره فرنسيس بيكون في دعوته الإنسان والكلام عن بيكون ... رسالة العلم ... يذكرنا بحياة روسو ورسالته الداعية على الدعوة إلى الطبيعة والبيئة على منتصف الإقدام والفطرة البسيطة؟ وذلك ما نخصص لمناقشته مقالنا القادم

الطريفى

الحد الفاصل
بين أدب الروح وأدب المعدة
للأستاذ محمود علي قراعة

قرأت لأستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد ٢٢٥ كلمة ذكر في آخرها آية كريمة وسألنا هل نعدها أدب معدة أم أدب روح وهو بذلك يحاول أن يجعلنا في الميدان الذي دخل فيه متحدياً كل فكرة روحية ، متهكماً على كل نزعة صادقة ، متعمداً متلقياً إلى مكانته الأدبية وبيانه وما أوتي من قوة عجيبة على الدفاع عن الفكرة الخاسرة . وهو بذلك يقف دائماً معبراً بكل فكرة حسية وبعض معنى موهوم ، الصدى لكثير من الشوقيات وإن كان فيه الخيال كثيراً ما يحرفه ويخرجه عن الطيبات إلى المشتهيات والرومانسيات من غير أن يشعر . وطبيعي أن الدكتور زكي ... مشكلة لأنه خليط لم يخرج بعد صحيحاً من القوى النفسية المختلفة ، فتارة نراه مظهر كله والإخلاص كله والوفاء كله ، وتارة نجده يميل كل الميل إلى الخروج عما يتصل بالروح إلى الميول إلى ما يرتقه بكل أرض وبكل نزع حسي . وفي طرحه أمثلة متناقضة لكل ما يحكي صورة من الميل إلى أحد هذين الجانبين ، فتارة نراه صوفياً معروفاً ، وأخرى نلفيه ساخراً بالحياة وما فيها . ولكن إذا كان أستاذنا الدكتور يرى بنفسه الحق في أن يتمسك كما يشاء وأن ينضم إلى الجانب الذي يريد ، فلا أدري لماذا نراه متهكماً على كل فكرة روحية ومحارباً لكل الناحين إليها ؟! كثيراً ما رددت في الرسالة كلمة أدب الروح وأدب المعدة لا لأن الاصطلاح في ... من لأن استاذنا أحمد أمين ... عنوان لأدب ... ولأستاذنا الدكتور الحرية في أن يواصل حملاته على صديقه أو أن يتعصب لأنه حر ... وأن يجمع رجاله وأعوانه في أن النفس تحكى من غير معصومة كما فعل صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام ! ولكن الذي لا نقره ولا نستطيع السكوت عنه أن نغفل مناقشته ما يرد في حملاته عما عسى أن يعني الأدب في ذاته من قريب أو بعيد . فأستاذنا أحمد أمين يعني بأدب الروح الأدب الذي

يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان ويطهرها ويرقيها ويقربها ... وفي رأيي أن القرآن أدب روح لأنه يسمو بالإنسان عن ... ويأخذ بيده إلى السماء فيصعد إلى الأرض وما فيها ... الحق حقاً والباطل باطلاً . ولكن أستاذنا الدكتور زكي يأبى عليه رحمته بنفسه إلا أن يعارض ... ورأى أن أقرب مثل يؤيد وجهة نظره أن يذكر ما في القرآن من آيات يذكر وجود أشياء حسية في الجنة ، مع أنه كان يجب على أستاذنا الدكتور أن يرى أن أقل ما يحكي تصويره في عالم سيتجرد من البؤس والشر والظلم ، وإن تهيئ طبيعته الظهور لحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما يدخل تحت كل منها من فضائل إنسانية ، أن يعم الناس فيه بالاتحاد والصفاء فتجتمع أرواحهم في وحدة ... وصداقة أخوية ، ومن ... الأشياء المادية التي سيوجد هناك إلى الخلع بفكرة الروحية ، فما وجد من جمال صور من حور وولدان ، ترجع به إلى فكرة تقديس خالق هذه الصور ، وما وجد من قصور وأنهار وما كهة ترجع به إلى النشوة الروحية من وجود هذه الأشياء ، وأن تبعد عن هذه حيز الجنة من ... بالصور الحسية الاستغراق الحسي أو بما هنالك من مأكول ومشروب وحلي وحلل ، وبها تسمو الفكرة الروحية في درجتها العليا وتصل بالحسيات في درجتها الثانوية ، بل وتسمو بها إلى مصافها الأسمى القريب من الروح ونحن بذلك نسمو باللذة المادية عن تصورها في عالمها من غير مكدرات تحسب بحسب الحسي فإنما الروحي إذا أكبر جزئياته روحية ولو تدبر الدكتور قوله تعالى في سورة السجدة « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وقوله ... في الحديث القدسي عن ربه تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لوصل إلى أن المذكور في القرآن في سورتي الرحمن والواقعة وغيرهما وفي الأحاديث الصحيحة لا يعدو أن المذكور مذكور على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل لما سيوجد ، ولعرف أننا وقد تعمدنا الأخذ بالنظرية التصويرية مخالفين لكثير من النصوص وما تحتمله من مراتب مثل ... ، لا نجد أمامنا إلا ... أصدق ، إما أن نأخذ بالنظرية الحسية أي بتغليب الجانب الحسي عن الروحية ، وإما أن نأخذ بالنظرية الروحية التي تغلب المادة الروحية على الحسية

فلو أخذنا نحسب شيئاً ، لقرنّا به ووصفناها بجنة الحب المتواضعة فأخرجناها من جوها الذي يجب أن يكون فيه لتتلاءم مع تعرض أصحابها ، والله لم يكن بد من أن نأخذه بوجهه لطلقت منا . ومن ذلك ذكر القرآن الكريم الأشياء المادية حتى على فرض الأخذ بالنظرية الحسية إطلاقاً لا يعيد أن القرآن أدب معدة وهو عمله بما يعد أن الجنة جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى وبذل وكثيرة إذا شاء . قول الله تعالى « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً » وقوله تعالى « فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقوله « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » وقوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » وقوله حكاية عن أولي الألباب من عباده المؤمنين « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[1] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها[2] » وقوله « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » وقوله « إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق » وقوله « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين[1] »

هذه الآيات الكريمة وأمثالها التي كثر ذكرها في القرآن الكريم أكبر دليل على أن القرآن روحي لأنه جعل الجنة (حتى لو أخذناها بمعنى الحسي إطلاقاً) جزاء المجاهدين والصالحين والمتقين والمؤمنين والمستغفرين ؛ أي جزاء من سمت روحه بالإيمان وزكى نفسه بالتقوى وكان روحانياً بالجهاد والصبر والصلاح

ويرى أستاذنا أحمد أمين أن باب الحماسة في ديوان الحماسة مثلاً أدب روح لأنه صادر عن شعور قوي ، وباعث لشعور قوي ، ودافع لصاحبه عند الشاعر وما فيه من تعرض أبيه ، في غير خضوع ولا استجداء ، ولم يعترض أستاذنا الدكتور زكي مبارك على هذا لأنه لا يستطيع مهما كان صبوراً للحقيقة أن يقول غير هذا ؛ ذلك بجانب بيانه زكي مبارك قد أغفل ذكر الحماسة وتخلص إلى ذكر الغزل والحب . فأستاذنا أحمد أمين يرى أن غزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف ، أدب روح ؛ لأنه يصهر النفس ويطهرها ويحس من آلامها وآمالها شيئاً تنبعث للعطف والرحمة والعطف على الناس وعلى الإنسانية كلها . وقال إن الغزل الفاجر أدب معدة وإن تبدل خلقه واصطبغ بشيء من إعمال الفكر ، فرأى أستاذنا الدكتور زكي مبارك في العدد ٣٢٢ من الرسالة يعارض هذه الفكرة بقوله « ... لا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحي وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسية ، ومن قال بغير ذلك فهو رجل ضعيف لا يدرك عرض الصلات بين الرجال والنساء » ويقرر أن رجال الأخلاق لم يستنكروا الشهوات إلا بسبب الإسراف ، وأن الشهوات في حد ذاتها معنى من دلائل العافية ، وأن صحة النفس لا يتم لها وجود إلا حين تصدر من رجال موهوبين يحبون الشهوات ، وأن الشهوة الحسية صلة تحرق الرجل في المواهب العالية ، وهذه تبين سيمتعاً من أستاذنا الدكتور الذي يعبر في كل كتاباته عن ميله للحسيات

(١) والقول وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من عشرين الجنة على تفسير ابن القيم الجوزية في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٦٣

(٢) والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها

(١) فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم

وهو مهما يسمى أدب المعدة ؛ لأنه يصور الحب الفاسد ويمثل أدب الروح ؛ لأنه يمثل الحب الروحي الذي يجمع بين قلبين ؛ ولكن الغريب مع هذا أن نجد لأستاذنا الدكتور بعض كتابات تمس أعصاب أدب الروح مثلاً وقد فتحت الآن كتابه «ذكريات باريس» فقد صادفتني ص ١٣ وصف يقول وصفاً ممتعاً «عن فتاة ناهد حسناء رشيقة القد ، مشربة الخدين ، في عينيها النجلاوين مثال خطير من سحر هاروت وماروت ... وفي صوتها نغمة موسيقية ... ولأعطافها رقة جذابة تفيض بالكبرياء .. وفي خطراتها تكسر وتثن ... وقد رمى بزرع في الذكاء والحب والوجد بين عشاق من الشباب القلوب» فهذا الوصف من أدب الروح لأنه يعطي القارئ "فكرة روحية عن حسناء زكي مبارك الجميلة" وكذلك أعد من أدب الروح مقالة «حب الأمير في باريس ص ١٥ وما بعدها» لأنه وإن حدث مما في حدائق باريس من عناق متبادل ومداعبات فوق المقاعد وتحت الأشجار الوارفة ، فقد كتب مقالة تبرر «أن الشاب الذي يحمله جنون الشباب على عشق الزواحف الشقراء ثم يحمل صحبة حب في وهج الأحياء ، إنما يخدع نفسه بجوه ولهب حمره ، وإن كان قد أبى عليه جده التصيات إلا أن يجعل جزءاً منه أدب معدة بتصويره وجود حب صريح غير الهوى العذري المعروف عند العرب» وهو الذي يجري بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة فترضى ضمير منهى ويقع حولها في الأوساط المعروفة بالاستقامة وحسن السمعة .. ويستهوي جميع القلوب والأنام ويمكنه مع ذلك يجري فيه الأرق ويسيل من أجله الدمع ، وتضرب فيه حكايات الوشاة والعذال ، ويكتب من أجله الرسل ، ويحوي له المكاتبات ...» ويمثل الحد الفاصل بين الحب الروحي والحب الفاسد هو أن المعدة في الحب الروحي تسل بين روحين وقلبين ، كما رأينا في رفائيل لامرتين وتعريب أستاذنا أحمد حسن الزيات ؛ ففي ص ٨٢ تستنكر جوليا أن تجنح بالحب إلى اللذة الحسية الرخيصة ، أو تصل إلى الشهوة الدنسة الحقيرة لأنه إن ذلك يفقد كبرياءه وعلاءه وبقاءه ، ويجيبها رفائيل في ص ٢٠٢ بأن طهر الحب القدسية قد أبى على هذه الشهوات الغالطة والتربص الصادقة حولها إلى حب صاف كقلبها عن حلها. وإذا لا أدرى كيف يستنكر أستاذنا الدكتور أن يسمى ما يتصل بالروح كرواية رفائيل أدب الروح ، وما يتصل بالجسد أدب معدة ، لأنه يتصل بالمعدة ، وكيف أجاز لنفسه أن يقول أن القائلين بروحانية الأدب قد حاولوا من الشعوب أن لا ترى المرأة لا تلهم الرجل إلا بالشباب حسياً ، أو يحس أحد إلا إذا كانت الصلة بينه وبينها بهيمية ، ومتى أدب إذا كانت روحانية لا تلهم على رأى الدكتور وفي هذا ما فيه من الغرور بالصلات وما فيه من الإلغاء للشعور الفني والقرب من البهيمية التي لا يجمعها من الفحل إلا علاقة التلقيح

ويقول أستاذنا أحمد أمين في أدب الطبيعة أدب روح ؛ لأنه شعور بالجمال مجرداً من الرغبة وتقدير للحسن مجرداً من الأثرة ، ومزيج من شعور بجمال وجلال يحدد من تعلق الإنسان ، ويمثل هذا الأدب إنما يرجع لنبل عرضه . وظاهر أن عرض التغزل في الطبيعة التي خلقها الله ، هو التفكير في خلق الله ، وفي تقديس ما أوجده الله لنا من أشياء حسية تدل في خالقها ، وتكون صنعه على جميل قدرته وعظم قوته ، أى أن أستاذنا أحمد أمين يرى أدب الروح هو كل أدب انبعث من عواطف نبيلة ويرجع إلى أعمال نبيلة ، ولا أظن أستاذنا الدكتور زكي مبارك يعترض اعتراضاً جدياً على هذه التسمية

أما أدب المعدة فيرى أستاذنا أحمد أمين أنه ذلك الأدب الذي يدور حول ملء المعدة واستمرار الأكل وتحصيل القوت ، ومثل ذلك بغزل الشعراء ومقالات الكتاب التي دافعها الأول ملء الأمعدة والاستيلاء على الأجرة ، وأدب المديح ؛ وظاهر أن معنى هذه التسمية صفة الأدب التي يكون دافعه استمرار عطف من يصدق عليه المادح للأكل أو يغنيه من عطائه ، وقاعدة الأدب التي يكون دافعه الأول لأديب الأدب في ذاته أو الرغبة في البحث في ذاتها أو الاطلاع على فكرة جديدة ، بل لأنه مسوق إلى أن يكتب موضوعاً معيناً وإلى أن يصوغ فكرة معينة في أسلوب معين في نظير كذا من الأجر ليقتات كذا من مشتهيات ، وكذلك النثر الرديء أو الوصف للمكشوف بما يثير الغرائز ويحرك الشهوات ، فلا ريب في أنه وضيع لا تشاكله التسمية ، وعلى ذلك يمكن أن يجعل النثر من أدب الروح بما أمر عنه من تحريك الشهوات وكان القصد منه الحديث عن صلة

استطلاع صحفي

٥٠ قرناً في المتحف الحربي

جولة بين آثار الماضي والحاضر

(لمندوب الرسالة)

حين الحرب من أشرف كل الميادين ، ولكن مختلف الناس في مصر حرموه وشرودها فإنهم يظنون أن وجوب الاطلاع على تاريخه رسالة جندها وعتادها . ومصر أمة قديمة لها تاريخها الرائع الذي صحب المدنية من نشأتها إلى الآن ، والمطلع على تاريخها يجد فيه تطور الأسلحة وأدوات القتال من القطع الصخري إلى المدفع الحديث ، فلا عجب إذن أن نجد متحفاً حربياً لمصر أولاها بهذا الحق .

وقد شرعت وزارة الدفاع الوطني في تكوين نواة هذا المتحف ووصلت إلى غاية طيبة ، وأتيح لي أن أمر بردهات المتحف ومر في ظنه ذكرياته . ومالك الصورة التي ... ما رأيت رأياً أن أجاد في طريق الماضي الذي ... بعد أن يتم ... الخطيب عبد الرحمن زكي أفندي ... من برنامجه ، ووجدت أن ... لأن أعرض أمجاده وحروبه

خمسون قرناً من الزمان

بعد خطوت إلى نفسك وطلبت إليك الاستجابة فاستعرض في خيالك تاريخ مصر الحربي منذ فجر التاريخ إلى الآن فتصور كيف كان المصريون يكافح بعضهم بعضاً في عصور ما قبل التاريخ ، ثم كيف كانوا يصدون الغزاة ... في عصر الأسر الفرعونية وفي عصور الفرس ... وفي العصور الإسلامية ، واستمر في وصل حلقات التاريخ من عصر المماليك إلى الآن ؛ ولا يفوتك أن تستعرض الأسلحة التي استعملوها والملابس التي ارتدوها والأسلاب التي غنموها والقلاع التي حصنوها والوقائع الحربية التي اشتركوا فيها ... صور أبطال هذه المعارك .

ونحن بعد هذا كم ستكون هذه الصور واضحة ، وهذا معرض من تاريخ مصر ومن صور أبطال مصر . لقد حسبت من ... أن حباً كاملة ... بل إني أكثر الشعوب وضوحاً لدى كان يتعصب كثير من المتعصبين ، حتى الفترة الحالية مع أني أعيش بينهم وأخالط العسكريين وأزور معاهدهم كل يوم ... في كل يوم أرى جديداً ... الطويل ... تربية النشء وبث الروح القومية أدرك حاجتنا الماسة إلى متحف يضم تلك الذكريات العظيمة يشاهد النشء تحتمس أو رمسيس أو صلاح الدين أو إبراهيم ... من كرامة بلادهم . هل تظن أن من يشاهد ... ؟ محال ! فالذكرى تنفع المؤمنين

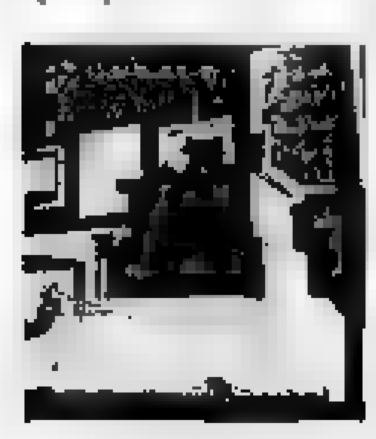

فتح رمسيس الثالث
هكذا كانوا ... على ...

مشروع ...

وإذا كانت مصر قد عاشت تلك السنين الطويلة بدون متحف حربي ... أنشئ ... أهمها ما هو معروض الآن في المتحف الحربي في قصر عابدين . وقد تنبهت وزارة الدفاع الوطني ... إلى أهمية هذا المشروع فقررت إنشاء متحف حربي ... لإدارته لجنة من كبار ضباط

فنية روحية أو مصوراً صورة حسية ... أو ... الروح ، ويمكننا أن نرى من الكتاب من يكتب كل يوم مقالاً ويتقاضى عنه أجراً ، ويمكنه بأن أن يوضع في الفكر ، أو ... ورأى ألا أن ... ضميره ... فلا يمكننا إلا أن نسمي ... أدب روح لأنه من الروح وإلى الروح ، وكذلك يمكن أن يكون المدح ... من مادح لا يرى ... إلا تقرير الحقيقة ، أدب روح لأنه يصنع لنا صورة حقيقية تسمو الروح . وبعد فهذا ما رأيته حداً فاصلاً بين أدب الروح وأدب المعدة ، أرجو أن يعده أستاذنا الدكتور زكي مبارك وأن نكون به من أنصار أدب الروح ، والسلام

الجيش المصري ومحاربه حضرة النقيب عبد الرحمن زكي أفندي أمينها »

وسيرى زائر المتحف من الحجرة الأولى في وضع رسوم الإنشاء نموذج الأماكن التي توجد بها آثار حربية مصرية سواء كانت هذه الأماكن معاهد عامة أو منازل خاصة، ويهتم من مواطنين الذين شاركوا في حروب السودان وأهل أحياء العائلة المالكة يحتفظون بمجموعة قيمة من الأسلحة وخصوصاً من عهد محمد علي إلى الآن. وسيكون منظم المتحف على أحدث طراز سافر أمينه إلى بلاد أوربا حيث شاهد هناك أحدث الطرق لعرض الآثار وأروع الوسائل لعرضها على أنظار الجمهور حتى تؤدي الغاية المقصودة منها سواء كانت قومية أو علمية

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يتخيل صور مصر الحربية خلال خمسين قرناً فلذا قرنا بين إنسان يتخيل صورة وبين آخر يحاول أن يخلق صورة واضحة تستعينا أن تدرك صعوبة العمل وما يحتاج إليه من مجهود. فإنشاء النموذج الواحد يستلزم الرجوع إلى عشرات المؤلفات والصور. فهذا هو مثلاً نموذج القلعة بنيت في عصر ومنشئ الذي يتطلب مناوءة رجوه القلعة خصيصه ومعرفة محيطها والطريقة التي بنيها المصريون الأقدمون في حروبهم والأسلحة التي استخدموها لمقاتلة مهاجميهم حتى تتكون لدينا صورة صحيحة عن استعداد القلعة وشكلها وهذا يستلزم منا أن ندرس عشرات المراجع لكي تكون عنه صحيح

فالآثار التي تركها الأقدمون قد خضعت بكثرتها لعاديات الزمن وتوالي الحروب بين غزو وفتح، فهذه القلعة التي رأيناها في عهد مصر احتاجت من منشئ إلى عدة سنين استطاع أن يدرس غيره وحيرة منه فالعبرة في المتاحف أن تكون معروضاتها صوره تاريخية صحيحة وبيئة يسهل على القاصد دراسته وإتيان حقه

مرآة صادقة

ويتكون المتحف الحربي الحالي من ثلاثة طوابق. يشغل الطابق السفلي منه وهو « البدروم » مصنع أحد صب التماثيل وأعمال النجارة وعمل الأدراج الزجاجية التي تحفظ المعروضات وتشمل في هذا المصنع فنانون مصريون موسوعو الحياة العسكرية حرموا دقائق تفاصيل وجه الجندي المصري إذا احتبك في ساحة القتال أو جلس في مكانه عند الشعور المصري، ويستمد نظر بري الزمان وأمام وجوه أصابعهم الآن لتحصيل نماذج للجندي المصري الحديث مصبوا أجسامًا من « الجبس » وطوعها بالأصابع وأحسنها حتى الميدان أو النسر مثلاً. فلا تكاد تراها حتى تشعر بأنك أمام جندي أو ضابط مصري في وقفة عسكرية لا أثر فيها للتكلفة. وإني لأصدقك من نفسي كلما تذكرت المرة الأولى التي شاهدت فيها هذه التماثيل إذ ما كدت أبصر الحجرة يتصفح ولدى من فيها حتى رفعت يدي بالتحية ولا سيما عندما وجدت ضابطين واقفين قبالة بعضهما كأنهما يتحادثان

ويصيب أحد العجب إذا عرفت أن هذه النماذج لا تصنع واحداً واحداً بل تصنع بالعشرات؛ فما هي أجزاء نماذج حديثة تلت حتى نرسل إليك هذه الصور المتهللة. وتتكون هذه العملية من عدة مراحل، فتصب أولاً أجزاء التماثيل على

هذه تماثيل الضباط والجنود وهم يرتدون الملابس العسكرية

على جدران المتحف
عدة أنواع من الأسلحة والرايات كانت تحمل تاريخ للرايات وقوادها والبلاد التي حاربت فيها

إلى الأمام
جندي مصري رافعاً ذراعه إلى الأمام ويهتف « بحياة الوطن »

مرفوعة فترى الساق وحدها والصدر منفصلاً عن الظهر، ثم الرأس موضوعاً في مكان آخر

ويتناول الفنان ... من هذه الأجزاء تماثيله الكاملة ويصنع ... عليها من ألوانه وعلى تسطيح وجوهها من ... رفع الأقدام أو توسع ... وعلى هذه الحركة الدقيقة الأستاذ محمد نجيب ...

... الحسن
من ... حرب السودان ...
...

صنع في مصر

وأول ما يواجهك عند دخولك المتحف مجموعة من «السمات» مصفوفة على الحائط وكتب عليها «صنع في مصر» وهي دليل حي على ازدهار صناعة الأسلحة في بلادنا في عهد محمد علي فقد وصلت إلى الدرجة التي شاهدت ... جنود مصر في ذلك الوقت ... الأسلحة والذخيرة التي كانوا يحملونها ... وقد ... غرف المتحف بالصور المختلفة التي تبين ملابس الجنود وأزياءهم

ويحرص المتحف على أن يقدم للزائر صورة واضحة عن المعارك التي اشتركت فيها جيوش مصر، وعلقت في ... لوحات كثيرة وصفت عليها خرائط تلك المعارك، تصور مواقف الجنود ونظامهم وكيف سارت المعركة، وأكثر هذه الرسوم هدايا قدمها أصحاب السمو الملكي ... ومن رجال مصر ... المتحف حتى يحتفظ بروائعه

مدافع محمد علي
... من عهد محمد علي ...

تاريخ الطب

ويضم الطابق الأعلى ... على أدوات التاريخ المختلفة ... في مصر ... قبل التاريخ إلى الآن ... مجموعة من الأسلحة والطبول التي استخدمتها الجيوش المصرية أثناء حروب السودان، ومنها طبل استولت عليه الحملة ... المذكورة يوم ٢٧ ... أثناء ... سنة ١٩.. وتذكرك الصورة ... وصورة صنع التمثال هذا الطبل ... حتى تشعر بأنك أمام عازف سوداني

ويحتفظ المتحف بمجموعة كبيرة من الصور ... التصوير التي لا سبيل إلى إثبات صورها الفوتوغرافية كالعصر الإسلامي وعصر محمد علي وعصر إسماعيل ...

وتبدأ صور ... الألوان ... في العصر الحديث ... بآلة التصوير ... في عهد ... الحالي، ومن شاهدها ... فكرة كاملة عن الجيش المصري في الوقت الحاضر ويضاف إلى ذلك مجموعة ... الجيش ... المصري، وتنظم هذه الصور بطريقة فنية دقيقة تيسر للناظر الحصول على معلومات ...

الزمن خير كفيل

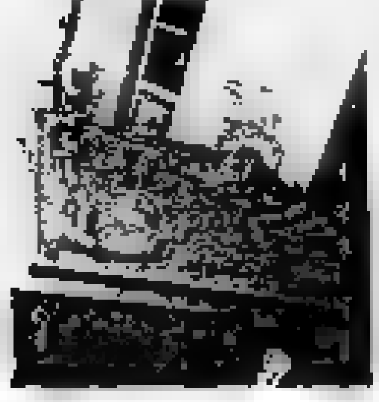

مدفع حربي قديم
لا يقتصر اهتمام المتحف ... حربي حديث ...

ومن ... المتحف ... المدافع التي أمكن للمتحف ... من عهد محمد علي، وهي مجموعة ... تقدم في القتال الحربي في ذلك الوقت ... صنع في مصر ... حتى الآن في حالة جيدة يسهل معها استخدامها. ويوجد في أنحاء القطر المصري كثير من هذه المدافع وخصوصاً في الإسكندرية في القلاع القديمة، ولكن نقلها وتنظيفها يحتاج إلى زمن طويل ومتاعب كثيرة ولهذا يقتني المتحف عدداً منها

ويستند المتحف في تنظيمه ... على الهدايا التي يقدمها الناس أياً كانت جنسياتهم ... وعلى ... التي ... عظماء، ولكن ... الأيدي العاملة ... في سبيل افتتاح المتحف للجمهور ... ورغم النشاط ... كثرة ... لا تستطيع أن ... إتمامها ... القليل من الزمن ... ولهذه الأسباب ... تحتاج إلى ... السنين لتظهر أمام الجمهور في ثوب لائق (...)

حـــواء

للأستاذ علي أحمد باكثير

قلبي يحن إلى عهودك ... وإلى رسائلك أو صدودك

إلى [illegible] ... فيه العمر على عهودك

فيه شكاياتي [illegible] ... [illegible] وآلامي [illegible]

[illegible] ... من غير [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] المرآة [illegible] ... [illegible] قلبي ما به !

حتى إذا ما [illegible] ... [illegible] من ثناياك العذاب

[illegible] على [illegible] ... [illegible] العسل الذهبي

[illegible] ... بين [illegible]

[illegible] إلى الحب [illegible] ... [illegible] بسم !

[illegible] الأم [illegible] ... [illegible]

[illegible] على ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] من [illegible] !

[illegible] ... [illegible] الدقيقة

[illegible] ... [illegible] الحقيقة

أو كالوجود [illegible] ... [illegible] أسراره

[illegible] ... [illegible] أستاره

[illegible] ... [illegible] في الكون [illegible]

[illegible] ... [illegible]

يا [illegible] كنت [illegible] ... [illegible] وكنت [illegible] !

والأم [illegible] ... [illegible] الوجود [illegible]

ما [illegible] ... [illegible]

[illegible] من [illegible] ... [illegible] لم يخلق [illegible] !

يا ليت شعري هل [illegible] ... [illegible] ما [illegible] آدم

[illegible] ... [illegible]

[illegible] إليك [illegible] ... وما [illegible]

[illegible] على ... [illegible]

أخرجت آدم من [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] والله

[illegible] في الدنيا [illegible] ... [illegible] الأم [illegible]

[illegible] ... [illegible] في الدنيا [illegible]

ما بال [illegible] الجديد [illegible] في [illegible] ؟

[illegible] إذ ... أخرجته من [illegible]

قد كان [illegible] ... مولاه [illegible]

[illegible] ... [illegible] مولاه [illegible]

أعطته من [illegible] في الدنيا [illegible]

[illegible] في [illegible] العهد [illegible] !

كيف [illegible] ... [illegible] !

[illegible] ... [illegible] على [illegible]

[illegible] ... [illegible] وجه [illegible] ؟

[illegible] ... في [illegible] من [illegible] ؟

[illegible] ... [illegible] كيف يكون ذلك ؟

[illegible] ... [illegible] !

حواء [illegible] ... [illegible] وحدي ؟

وعلام يا حواء [illegible] ... [illegible] ؟

لم [illegible] ... [illegible] آدم [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] يا حواء [illegible] ... [illegible] منك

[illegible] منه [illegible] ... [illegible] منك

[illegible] الحياة [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

أم [illegible] أن [illegible] ... [illegible] ؟!

[illegible] الأولى [illegible] ... [illegible] يا حواء [illegible] ؟!

علي أحمد باكثير

إلى نجمتي النائية

للأستاذ صالح الحامد العلوي

حنانك ! يا نجمتي الزاهرة … ويا روعة القلب والباصرة

ومن أنت ومن عرفت النوى … على البعد نائية آسرة

ومن [illegible] … من الحب مرهفة [illegible]

ومن هي من حسنها [illegible] … [illegible] القدرة الباهرة

وروح [illegible] … [illegible] مع النسمة العاطرة

ومن صاغها الله لي [illegible] … من الله ساحرة [illegible]

عرفت بها كيف حسن الجنان … ومن [illegible] في الآخرة

ولي الله وحيها كالجمال … [illegible] في الورى [illegible]

ومنا من الشعر مكحولة … عليها معاني الهوى [illegible]

[illegible] أرى بيت أبي الحزن … وحينا أرى [illegible] الغاصرة

معان من الشعر لا ينتهى … إليه [illegible] الأعين الساحرة

ألا حبذا [illegible] للمنتهى … وقد [illegible] الزاهرة

وتجوالنا بين تلك الربى … وطوراً على الضفة الساحرة

وذاك الزاح ، وطول المزاح … و[illegible] العبد [illegible]

عتب وعطف بيث المقول … و[illegible] للموجة [illegible]

[illegible] بين [illegible] … من [illegible]

كأنا [illegible] الشباب … [illegible] لم [illegible] الطاهرة

شريط [illegible] لا [illegible] … [illegible] به الذاكرة

[illegible] من الهو [illegible] … يماثل [illegible] آسرة

متى [illegible] ترى [illegible] ؟ … على [illegible] القادرة !

(حضرموت — سيوون) صالح الحامد العلوي

إليها يوم تسألى ...!

للأديب محمود السيد شعبان

بشرك في يد السنا … يتمشى على الخصب

[illegible] ما له من [illegible] ؟ !

أنت [illegible] الهوى … قبلة [illegible]

[illegible] في فؤادي … من صبابته [illegible]

وأناجي فيه [illegible] … [illegible]

أنت [illegible] حياتي … [illegible]

أنت في موكب [illegible] … لو [illegible]

[illegible] الحسن … [illegible] بالشمس

أنت سر الجمال في … باطن الكون قد حوى

أنت حر الوجود من … كل شيء هوى [illegible]

[illegible] الشعر ! [illegible] … [illegible] الهوى [illegible]

[illegible] إليك [illegible] … [illegible] سوى [illegible]

[illegible] من الحلم … [illegible] الأرب !

[illegible] الحب … [illegible] والأمل

[illegible] النور [illegible] … ما [illegible] من [illegible]

[illegible] في [illegible] الصبا … [illegible] الحب

و[illegible] الروح [illegible] … [illegible] على [illegible]

[illegible] [illegible] … وأحسن [illegible] !

[illegible] أين … [illegible] بك [illegible]

[illegible] الحزن [illegible] … [illegible] !

[illegible] الهوى … [illegible] القدر !

[illegible] … [illegible] إلا من البشر !

إيه يا قلب [illegible] … [illegible] بالأمل

[illegible] الحسن والسنا … [illegible] !

[illegible] الهوى [illegible] … [illegible]

وأطير [illegible] … [illegible] ومستحيى

[illegible] في هيكل [illegible] … [illegible] !

[illegible] بحسن … [illegible] الحب بالأبد ! !

[illegible] النفس [illegible] … [illegible] بين [illegible]

[illegible] … أنا يا [illegible] جسد

[illegible] ! [illegible] … [illegible] كل [illegible]

لا [illegible] ؟ … كيف [illegible] ؟

يا [illegible] أين [illegible] … [illegible] !

لا [illegible] الهوى … [illegible] لا يرى البشر !

[illegible] يا [illegible] … كل [illegible]

[illegible] الشعر [illegible] … [illegible] !

دراسات في الفن

عن فن الصوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ليس الصوم تجويع البطن وحرمانه من مشتهياته، وإنما الصوم زهد في حطام البدن يقصد قتله، ويقصد لأثره [illegible] فهو انتصار القدر على قانون الحاجة والضعف، وهو بعد ذلك يبعث في الصائم إيماناً بإمكان التدرج بالطبع في مدارج الرقي، وإغراء بالرغبة إلى حياة الإرادة والعقل. وفي ذلك ترجع بالنفس للصائم إلى درجة من الصفاء الروحي لا تتاح لغير الصائم من الخلائق التي تساق لقوانين المادة وتخضع لمطالب الأجسام فلا تملك لها رداً إلا إذا أجبرت في ذلك إجباراً وأرغمت عليه قهراً. فهي في كل من الحالين مسوقة مسيرة مقهورة، بأسباب الأصل ودواعيه، إلى أحوال وأوضاع لا دخل لإرادتها في إحداثها ولا ترتيب،

ولا توجيهها [illegible] إلى ما في الصوم من شعور التفرد، وتقريب الوحدانية، واستشعار الغنى [illegible] فكأنما في الصائم الزهد ومثل من حياة البشرية أحسن صورة كأنه تجمع ونفسه مما عداه، وأدرك أنه وحده، وأن كل ما حوله راجع إلى أن يقوم بذاته، وأن تمضي هذه الحياة على نفسه غير لا مطالبه – إلا قليلاً – في لقمة من الطعام أو جرعة من الماء.

ومع الإحساس بهذا الاستقلال عن مادة الحياة يبعث الصوم في نفس الصائم إحساساً آخر من الشيوع يشبه ذلك الإحساس الذي يشعر به الملهم الأكول [illegible] المستغرق في طلب الآداب، ولكن شعور الصائم لا يدفعه إلى التأديب، فهو منقطع عنها بجهده، وإنما هو يدفعه إلى ما يتصاعد ويبتهج به [illegible] المادة، فهو [illegible] يخطر عليه ما يبدي [illegible]، وكأن الملهم الأكول المستغرق في طلب اللذات يشعر بأنه مرتبط بالعقل لأن [illegible] العقل [illegible]، ولأن [illegible]، ولأن قربه بالنفس، ولأن [illegible] في شأن ما أو في عدم شئون، فإن الأمر الصائم يرى في الصوم غير ما يراه ذلك الذي يفكر ببطنه وجلده وسائر

أيها الشعر [illegible] أنت من وحي [illegible]!
[illegible] في [illegible] [illegible] الدمع وما [illegible]!
أيها الشعر [illegible]! [illegible] روحي [illegible]
وسكب الطهر في [illegible]! [illegible] بعض [illegible]
[illegible] [illegible]! [illegible] صوت الأبد
في دنيا خواطري ومصابيح [illegible]!
أيها الشعر [illegible] في [illegible] كأس الأكبر
[illegible] [illegible] [illegible] على قدر
[illegible] [illegible] [illegible] الشعر من [illegible]
وكأني [illegible] (؟) [illegible] في [illegible]،

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البشر!
إنه [illegible] – [illegible] [illegible] للكون [illegible]
أيها الشعر [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] إلى [illegible] سوف آتيك [illegible]!
أنت يا شعر [illegible] [illegible] [illegible]
لا [illegible] إلى الأسى! [illegible] ودي من الألم،
و[illegible] النور [illegible] من أنشودة [illegible]!
[illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible]!

(القاهرة) [illegible] السيد [illegible]

جوارح بدنه ، ويرتبط إليه رباط آخر معنوي ، فهو عقله وحسه القوة الهيكل مع حيلة القلب ، واستسلام النفس مع عاوم العقل ، فإذا آلمه ما يؤلمه بقسم منه عند الفزع واستصرخ من يكيف بعضها إلى بعض عبرة خلاله إلى مجر القوة ما لم يشدها المكر ، وهذه الاستسلام ما لم تحركه اليقظة . وهكذا يصبح النحل الحيوان الواحد ذا طائفتين اثنتين مختلفتين من الدلائل والمعاني يحرك طائفة منه إنسان رعد في اللحم وسام منها ، ويحرك الطائفة الأخرى إنسان رعد في عرق الأنف وسام عنه

ولعل النحل وحده هو ما يراه الإنسان ويتصل به في هذه الحياة ، وإنما هو رمز كائنات كثيرة ومخلوقات عدة يتصل بها حيناً ومن وحدته ، وإنما حدث النحل مثلاً لأن له قصة طويلة قديمة مع البشر ، فكما أنه من ولده آخرون ، وكما استحسنه ممن عهده آخرون

ولست أريد أن أنحاز إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، فلكل سجل رأي ولكل لشكل رأي رجعي ، وإنما أريد أن ألفت القارئ من إلى صلاح النحل عند البشر للإغاثة والعبادة معاً ، لا لشيء إلا لأن فريقاً من الناس رأوه زادا ، وفريقاً آخر رأوه رأيا ، وهؤلاء مضوا في رأيهم حتى نهايته ، وهؤلاء أيضاً مضوا في رأيهم حتى نهايته ، فكانت نهاية أصحاب الرأي الأول أن أكلوه ، وكانت نهاية أصحاب الرأي الثاني أن قالوا إنه الله . وهكذا كل ما في الحياة تستطيع الإنسان أن يأكله ، ويستطيع أن يرى فيه الله ، أو أن يصل من سبيله إلى الله . . أو عدمه

ولندع النحل إلى غيره من الدلائل والآيات التي [illegible] أن الناس دائماً يقسمون أعلم مظاهر الحياة إلى قسمين واتجهين ، قسم رعد في كل شيء ما عدا الملموس المحسوس الذي له أثر محسوس مخصوص ، وقسم آخر رعد في هذا الملموس المحسوس نفسه فلا يصيب منه إلا بقدر ما يمسك عليه الرمق ويحفظ عليه الحياة . وهناك — إلى جانب هذين الفريقين من الناس — قسم ثالث يتراوح بينهما فيسير مع كل فريق جولة ، فهو يهوى المادة ساعات يصحبها مع نفسه ثم يعود إلى الناس فينقل إليهم ما رأى وما سمع وما أحس وما علم . وهؤلاء هم أهل الفن الذي يرجعهم من فنونهم ، والذين يقول عنهم أهل الأرض إنهم أصحاب خيال وإنهم في خيالهم يسبحون بعيدين عن حقيقة الحياة ، لا لشيء إلا أن أهل الأرض يعتبرون الحياة هي هذه الأطباق وحدها ،

ثم يتطلعون منها عالم الانطلاق عبر خيال [illegible]

ولست أريد أن أظل مع هؤلاء التراوحين [illegible] وإنما أتركهم إلى أولئك الذين آثروا الأنقى من أرواحهم ، لا سجينة تلك الكثيفة من أغلب الأجساد والأجاج ، أولئك يحيون ، وإن لهم دنيا خاصة غريبة كدنيا السموات والأرض ، بل إنها أوسع من السموات والأرض ، وهم يكشفون عوالمها يوماً بعد يوم ، ويعرفون أطرافها ما صفت أرواحهم ، وما تخلص قلوبهم بالتفكير في أسرار الوجود ، فهم في حياة أساسية في هذه الدنيا ولكن مهادها ووديانها الغيب ، وهم يعبرون سلالات وثيقة تربطهم بكل ما في الكون من حقائق وموجودات ، بل إنهم يحسون أن لهم منابع روحية ومواقف معنوية يستقون بها في الحقائق والمعرفة ، كتلك المنابع التي يرجوها النهم الأكول في لحم النحل وجلده وقرنيه وحوافره ، وهم يسعون وراء هذه الذي يستطيعون من الكسب كلما حصلوا منه ربحاً استزادوا الربح بالجهد والعرق ، فلو هي أرباح فوق أرباح ، ولهم بالنعيم النعيم منهم له ثروة تحبب من للمكسب وللتركة ، فلو أرادوا أن يتصل معه ولحركه وأن يخرج منها من دائرة التحصيل والإفادة ، إلى دائرة البذل والإنتاج كان الشيء الذي يصنعه خرقاً لا يستقيم مع طبائع الحياة التي عرفها أهل المادة من الناس ، ولا يستقيم مع طبيعة الوجود السامية التي لا تعلو إليها إلا أعمر الناس الذين لا تربيون دون عثراتهم إلى ما أباحه الله للسابقين عليه من خلقه المتماديين في التقدم إليه والارتقاء إلى رضاه ومرضاته . ويقول الخاطر عندما نرى أعمال هؤلاء إنها سحر ، أو إنهم أصحاب معجزات

وهذه الأعمال الإيجابية التي يقوم بها هذا الفريق من الناس تختلف وكذلك مظاهرها وآثارها باختلاف اتجاهاتهم وما يتخصصون فيه من العلم ، وليس تخصصهم في العلم شيئاً غريباً ، فهؤلاء يتخصصون هم أيضاً في دراسة نواحيها . . فلكل منهم ناحية فمنهم مهندسون ، ومنهم أطباء ، ومنهم من يتفقون حياتهم في دراسة القوانين التي كشف الناس بها الحياة ، كذلك أولئك منهم من يتجه إلى خدمة هذه الحياة فيبعد عن شذوذها ما يسأله الله إياه ، ومنهم من يشتغل في نفوس الناس ، ومنهم من يدخل في نفوس الناس ونفوسهم . . بل نجد منهم من يتجه إلى المادة

نفسها مسيرة بها الروح غريبة تعشق البحر ويطلب السما إلى جنة والجبل إلى شطآن !

ويضطرب الناس ويرتبكون حيال هؤلاء الأنبياء فيقولون إن محمداً صلوات الله عليه وسلامه كان شاعراً .. لأنهم كانوا يسمعونه يقول كلاماً لا يشبه كلام الناس ، وفيه ملامح من كلام الشعراء ، من هذا البعد عن مادة الأرض والنشوة العلياء ، ومن هذا النور الذي أمده الله إليه من نور السماء .. وما كان محمد شاعراً ، وما كان الشعر لينتهي إلى درجة ما أنهى به إلى الناس ، وما كان كلامه قط من ضروب الأخيلة ، وإنما هو أروع ما ألهمه الله لإنسان من علم حق ومن حكمة خالدة تصحب إلى أمد الأزل ، وتظل إلى أبعد الأبد سبحان من أوحاه ! وسبحان من جاد على البشر بمثله .. هو الله

لم يكن محمد شاعراً ، فالشاعر كما رأيناه يتأرجح بين حياة الأرض وحياة السماء ، ويتجاذب بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، ولا يقر له قرار إلا بين الناس ، ولا يعيش منهم إلا حياة مضطربة حائرة لا يطيق استقامتها ، يعيشها ويشعرونه بالحاجة البديهية إلى ما فوق الأرض من راحة .. أما محمد ، وأمثال محمد من الأنبياء ، ما هم قد اشتروا الآخرة بالدنيا ، وليس لهم في الدنيا مطمع ، فقد أخذوا عنها بعيداً ، وهم يبحثون بعد ذلك ما ظاهرهم إلى ما وراء هذه الحياة .. وهم يؤمنون بأن هناك شيئاً بعد هذه الحياة ، لأنه قد كان هناك شيء قبل هذه الحياة ، وليس في هذا الطور ما يدل على أنه الحلقة الأخيرة من حلقات التطور والارتقاء

وهنا قد يسألنا سائل .. كيف قال محمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وما دامت طبيعة الحياة قد استدعت بعث الرسل والأنبياء من قبل ، وما دامت دائبة مما يدل على أنها قد كشف عن سرها وتحوت إلى رجع جديد !

وجوابنا على هذا أن محمداً صلى الله عليه وسلم وضع أمام عيون الناس القواعد الخالدة لهذه الحياة .. القواعد التي تتغير الدنيا ولا تتغير هي ، والتي تتطور الحياة وترتقي وتتسع هي على التطور والارتقاء ، لأنها من الثابتات ، ولأنها الحقائق الثابتة التي يقوم عليها التغيير والتبديل ، ولأنها المحاور التي يدور حولها التطور والارتقاء

فقد جاء في دين محمد أن الإسلام هو دين الفطرة ، فإذا عرفنا ... نحن مطورون صابرنا طريقنا فإننا مسلمون ... وهذا معناه لا يمكن أن يزول ، وإننا نحترم كل من يطوره ويصيبه ... مطرسا أن يتطور وأن يزول .. وقد جاء في دين محمد بين آيات القرآن : « أحلت لكم الطيبات وحرمت عليكم الخبائث » ، فإذا عرفنا ما هي الطيبات التي تحل ، وما هي الخبائث التي تضر أو تؤذي أحداً ما يضع وتركنا ما يضر فإننا مسلمون سالمون .. وهذا معناه أنه لا كاشف يشيع ... ، وعلينا نحن ألا نقاومه ونعرفه ونرى ... كي ... ، وإلا فالله في أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث .. وقد جاء أيضاً في دين محمد بين آيات القرآن كذلك « وما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فمن أنفسكم » ومعنى هذا أننا إذا أصابنا الخير فمن الله وأطعنا أمره ، وهو يأمرنا بالمزاحمة ... والنواميس الطبيعية التي أوصلتنا اليوم إلى هذا الطور من أطوار الحياة والتي تسير بنا منذ اليوم إلى أطوار وأطوار فإننا إذن مسلمون سالمون ، فإذا حدث أن أصبنا بعد ذلك فاتكلنا وجنت لنا الأهواء أن في الرضا شراً أو ضعفاً أو عجزاً وحرك أن نكسب لأنفسنا ما يثقل علينا وما لا نحتمله ونضحه وما ... بحق سريعة ، فإننا حينئذ مضطرون قد وضعنا أنفسنا حيث لا يمكنك أن نظل طويلاً .. فلا يجب إذن ... علينا أن نعرف ماذا كنا .. وماذا نحن .. وماذا سنكون حتى لا نخطئ الطريق إلى ما نحن سائرون إليه .. ولنعلم أن علينا اليوم من عوامل الماضي ما لا يصلح للمستقبل .. وعلينا ما علينا أن نقاومه وأن نتخلص منه .. وقد قيل إننا كنا في الماضي قردة .. فعلينا أن نتخلص إذن من أوجه الشبه بيننا وبين القرود .. ولا نخشى من ... تطورنا

هذه هي بعض مظاهر التطور والصلاح الدائم في الإسلام ، وهذه هي حكمة الصعوبات التي وصل إليها محمد تبارك من هداه ! فلا عجب — على هذا — أن يقول إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، لأن أحداً لن يجيء بعده ليخلص البشر بوجوه أحق من هذا الخلاص ولا أشكل إصابة منه .. وما أروعها حقيقة ، وما أعجبها مقالة !

فهل يعرف أحد إلا نحن سائرون ! إننا سائرون إلى حياة

لحظات الإلهام في تاريخ العلم

بقلم مريون فلورنس لانسنج

ثناء على علبة الصفيح

الصفيح جسم متواضع للأسماع، فتمحى علبة الصفيح بعد فتحها ونلقي بها دون أي احترام ودون أن يكون في أنفسنا أي موضع للشكر على الخدمة التي أدتها. ولكن نابليون بسبب سعيه للحصول على طريقة تؤدي إلى حد قليل مثل الخدمة التي تؤديها اليوم علبة الصفيح، قد عرض هو والحكومة الفرنسية في سنة ١٧٩٥ أو ما حولها جائزة قدرها ١٢٠٠٠ فرنك لمن يخترع وسيلة يمكن حفظ الطعام فيها من التلف في زمن الحرب إلى جانب مواعيد الغراس والحصاد التي عرفها آباؤنا الأولون كان منه نعمة عظيمة على الإنسان. ولكنه من جهة أخرى يفرض عليه واجبات معينة ويلزمه عناية خاصة، فالرجل الذي يعيش في المناطق المعتدلة لا يستطيع أن يحصل غذاءه مبسوطاً على الدوام على الرغم من كل جهوده الزراعية

يجب أن يكون لديه مدخر كل يوم ولكن الثمار والمحاصيل لا تخرجها الأرض دائماً بل في مواعيد معينة. وكما تختزن السنجاب الفستق في تجويف جذع الشجرة انتظاراً للوقت الذي تخلو فيه الفروع من ثمرها فكذلك يجب أن يختزن الإنسان من نتاج الموسم ما يكفي احتياجاته حتى حلول الموسم الجديد

وكان تجفيف الطعام من أقدم الوسائل للاحتفاظ به. وقد وجد الفريق الأول من المستعمرين الأمريكيين هنود الغرب يتبعون نظاماً لتجفيف القمح والسمك والفواكه واللحوم فحفظها من العطب مدة طويلة. وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام في تمليحه. ولكن هذه الوسيلة لا تمكن مزاولتها إلا في الأجواء التي يمكن فيها ترك الطعام في الماء البارد والثلج أو في أعماق الأرض

ووجدت وسيلة أخرى لحفظ الطعام سابقة للوسيلة الأخيرة وهي حفظه بواسطة الحرارة. ووجد الطهاة في العصور القديمة أن اللحم المطبوخ يبقى مدة أطول من اللحم النيء فوصلوا بهذا الاستكشاف إلى أول حلقة من سلسلة الاستكشافات التي انتهت اليوم إلى حفظ المأكولات في علب الصفيح

إن سر نجاح الحفظ في تلك العلب هو أن الطعام يحجب عن التعرض للهواء حجباً تاماً محكماً. وفكرة منع الطعام عن الهواء سبقت الاستكشاف الحديث فقد وجدت في جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط آثار قصر قديم يرجع عهده إلى ١٦٥٠ أو ١٧٠٠ سنة قبل المسيح وقد وجدت في حجرات واسعة تحت أرضه أوعية كبيرة من الطين تختزن فيها الطعام وتمنع عنه الهواء

خالصة من هذه الأحداث التي يسببها التعطل ... إننا صائرون إلى الله، وإن في نفوسنا ما يسير بنا إلى هذه، ويدعونا أن نشرعه ونلتمس سبيله

نفوسنا خلقت من العراك، فما تنفك منها الخصال الراهنة وأعراض ما هو منحدر من حياة الغابة كلها، كما يجب أن يسيرنا إلى حياة التحرر. وكان سبيلاً لإرادة الإنسان القادر بقوة الله — على تنقية نفسه وترقيتها وما تحرره منها وتنطلق إلى الله؛ فيعين عون الإنسان على توحيده، وعلى شيوع نعمه في نفوس خلائقه، والإخاء مع الكائنات في صلاة خاشعة لفاطر السموات والأرض للمهيمن العلام الأول والآخر

عزت أحمد [illegible]

ولكن الذكاء والنجاح اللذين ظهرا في حفظ الطعام بعد الصحيح لم يلوحا قبل الحروب النابليونية في فرنسا حتى رأت الحكومة – والحكومات بطبعها دائماً تبذل الأموال للاختراعات المشكوك في نفعها للجماهير – أنه من المجدي بذل جائزة للوسيلة الناجعة في حفظ المأكولات للجنود

وكان مبلغ اثني عشر ألف فرنك مبلغاً عظيماً في ذلك العهد من القرن الثامن عشر، وقد تسابق صناع الحلوى وصناع الجبنة وأصحاب مصانع الفطير وكلهم يحرصون على هذه الجائزة وبعد هذا بعد اثني عشر أو خمسة عشر عاماً رجل اسمه فرانسوا إبرت وهو صانع حلوى، وقد قضى كل حياته في حل هذه المسألة

وربما كان ما يشاع عن جهود إبرت هو الذي حمل الجمهور ومستشاريه على التفكير في جائزة للمشروع الذي يمكن به النجاح في حفظ الطعام، وعلى كل حال فقد عرضت الجائزة واستمر إبرت يزاول عمله في صبر حتى كان عام ١٨١٠ فحكم بالقليل على نجاحه ونال جائزته

وحتى مع حصوله عليها فقد أنفقها كلها على اختراعه بحثاً عن أساليب أحسن من التي عالجها من قبل، إلى أن مات في فاقة وهو يشكو قلة التشجيع بعد بضع سنين، وذلك على الرغم من كل ما يبدو من أن مبلغ الاثني عشر ألف فرنك مبلغ كبير

ومن حسن حظنا نحن الذين انتفعنا بنجاحه أن الحكومة الفرنسية نشرت له في الوقت الذي عرضت فيه الجائزة كتاباً يوضح على وجه التفصيل تجاريبه ونتائجها، فأمكن بذلك أن نعرف من تجاريبه أكثر مما نعرف في العادة عن التجاريب السابقة

وتبين أنها تجاريب مماثلة تمام المماثلة للمشاريع العظيمة التي اتسعت في القرن العشرين لحفظ البضائع وإرسالها إلى أرجاء الأرض وحفظها في حالة صالحة عدة أشهر أو سنين

لم يكن لدى معاصري إبرت علب ملائمة ليضع فيها بضاعته. فكان يضع كل أنواع مصنوعاته في علب من الزجاج أو الفخار ثم يحكم سدادها ويضع العلب في ماء يكاد يغطيها ثم يضع الوعاء الكبير الذي به الماء وفيه العلب فوق النار حتى يسخن إلى أن يصل إلى درجة الغليان، ويتركها بعد ذلك في هذا الوعاء أوقاتاً تختلف قلة وكثرة ثم يسد الزجاجات ويختبر في أكثر تجاربه

وربما ظننت أنه ليس في هذا ما هو جديد أو غريب يستحق أن ينال الرجل بسببه جائزة بل يصنع هذا في كل مطبخ أيام الخريف عند ظهور الفواكه الطيبة لتحفظ في الشتاء، والواقع أنه ليس في هذا الأمر ما يعد اليوم جديداً ولا غريباً وإنما ذلك لأن الفكرة شاعت وأصبحت مفهومة. ولكننا الآن في القرن العشرين وهذا العالم الفرنسي كان يشتغل في معمله سنة ١٨٠٠ وبسبب جهده وصبره في العمل أصبح استكشافه سهلاً وصار يؤدى في مطابخنا كأنه أمر طبيعي. وكانت التجاريب متعبة، ووقتها طويلاً لأنه كان لا بد من تجريب درجات مختلفة للحرارة وأساليب متباينة للصنع، وكان لا بد كذلك من بقاء الزجاجات مغلقة عدة أشهر أو عدة سنين ليتضح مبلغ النجاح في كل تجربة. وقد قضى إبرت اثني عشر عاماً حتى عرف خير الوسائل لمعالجة المواد التي يضعها كل عام في الزجاجة ليكون قد استخرج منه من الهواء في سبيل صحته وصلاحيته عند وضعه فيه

وقد رأى إبرت أن نجاح تجاريبه يتوقف على إخراج الهواء إخراجاً تاماً، وقد رأى كما كان يرى العلماء في عصره أن الهواء يحدث عطباً في الفواكه والخضر وكانت وسائله صحيحة، ولكن مضى خمسون عاماً أخرى قبل أن يستكشف العالم الفرنسي الشهير لويس باستور ذلك الاستكشاف الكبير لعصره وهو أن الفساد لا يحدثه الهواء بل الميكروبات التي تعيش في الهواء.

كان إبرت يجري تجاريبه على الطريقة الصحيحة الوحيدة ولكنه كان مخطئاً في تفسيرها وكانت النتيجة واضحة لأن التجربة تحفظ الطعام

ولكن العالم الكبير باستور بشرحه القانون المسيطر على الباكتريا والميكروبات قد أحدث ثورة في علوم الطب وفتح عهداً جديداً في حفظ الطعام بطريقة علمية محدودة، وهذه الطريقة كان إبرت هو المبتكر لها

ولعله ليس في تاريخ الإنسانية يوم أعظم من اليوم الذي تبين فيه باستور أن التغيرات التي تطرأ على المواد النباتية عند تعرضها للهواء إنما هي نتيجة لعمل أحياء ميكروبية صغيرة، فإذا ما أزيلت هذه الأحياء بواسطة الحرارة وأزيل الهواء في الوقت نفسه بقي

الطعام لا يفسد إلا بعد ما يتعرض للهواء مرة أخرى فيتعرض لهذه الأحياء. وقد نال باستور جائزة على استكشافه هذا في فرنسا سنة ١٨٦٠ على أننا لم نعرف إلا الآن فقط فهم صناعة التبريد التي أصبحت مستكشف للعثور في العقاقير الإنسانية وفي معاقب الحياة بتطهير اللبن وتعقيم الأدوات الجراحية. ومن الممتع أن نلاحظ أن الأرجح أن بحثا في وقت واحد حول هذا يساعد أحدهما على نجاح الآخر، ففي الوقت الذي كان فيه إبيرت جاداً في صنع أدوات من الزجاج والفخار كان في انكلترا ميكانيكي اسمه بطرس دوراند يصنع أول ما عرف من علب الصفيح، وقد عرض علبه الأولى في سنة ١٨٠٧ وكانت عملاً غير متقن فهي ثقيلة الوزن مصنوعة باليد، ولكن لها غطاء محكم صحيح الشكل ولكنها كانت على كل حال علبة من الصفيح

واحتكر رجل انكليزي طريقة إبيرت بعد عام من ظهورها في فرنسا، وأنشأ أول مصنع لتحفيظ الأطعمة في العلب بانكلترا وكانت شركة أمريكية هي التي تقوم بهذا العمل، وربما كانت الحكومة في احتكار انكلترا الصناعة هي نشوء صناعة الصفيح فيها، وسرعان ما انتقلت الصناعة إلى الولايات المتحدة

وفي سنة ١٨٩١ أنشأ إزرا داجيت وتوماس كنست في نيويورك صناعة لحفظ سمك السلمون ورقوت البحر والسكاكر في علب الصفيح، وكلا الرجلين نشأ في انكلترا

وفي العام التالي أنشأ رجلان آخران هما ... وليم أندروود في بوسطن صناعة لحفظ الفواكه في العلب الصفيح وقد استعملا في إعلاناتهما كلمة هي التي اشتقت منها الكلمة الإنكليزية «...» وأصبحت صناعة العلب من الصناعات الكبرى في الولايات المتحدة

وليس كثيراً على اختراع العلب الصفيح من أجل أهمية هذه الصناعة من الوجهة التجارية وإن كانت العلبة ومحتوياتها جديرين بوضعهما في قائمة الاستكشافات الهامة، بل لأن أثرها في حياة الإنسان أثر بعيد عميق الغور

كان الإنسان من عهد قديم يعتمد على الأطعمة المحلية والموسمية وكانت حركاته محدودة من أجل هذا السبب. كان لا يستطيع الإقامة إلا في المناطق التي توجد بها بصفة مستمرة أنواع حاجاته المختلفة من الطعام اللازم لصحته. وكان لا يستطيع السفر والاستكشاف إلا إلى المدى الذي يؤمن له ما يلزمه من الطعام

وكان لا يمكن أن تتسع المدن إلا إلى الحد الذي تتوافر له طاقة الأراضي الزراعية المحيطة بها على إخراج ... وقد توافرت الآن كل هذه الشروط وكان لها أثر كبير في حياة الإنسان

ولكن العلم الذي أذاعه باستور والتجارب العملية التي أجراها أبيرت وحذق الميكانيكي الناشئ الآن ... كل ذلك معاً قد أدى إلى إنتاج مقادير عظيمة من علب الصفيح رخيصة التي تتسع لمقادير هائلة من الأطعمة فأصبحت حركة الإنسان ممتدة بعيدة المدى

كان نابليون يرى أنه سوف يستطيع التغلب على العالم في صورة نهائية وأن يتولى إمبراطورية لو وثق من أن جيشه يستطيع الحصول على الغذاء وهو في ميادين بعيدة عن وطنه

وكانت رحلات كولومبس محدودة بمقدار الطعام الذي يستطيع حمله في سفينته وكان المستكشفون في رحلاتهم الأولى يخفقون لأن رجالهم كانوا يمرضون إذ لم يحصلوا على طعام طازج

اقرأ سير الرحلات الأولى تر أن الرجال كانوا يموتون بداء الأسقربوط ولكن المستكشفين العصريين بيري وامندسون وسكوت قد استطاعوا تحقيق حلم الإنسانية بعد قرون في الوصول إلى القطبين لأنهم كانوا يحملون أطعمة محفوظة في علب محفوظة تكفيهم إلى نهاية الرحلة

وقد قيل إن حفظ الأطعمة في العلب هو أكبر الاختراعات أهمية بعد اختراع البخار من حيث تمكين الناس من إنشاء المدن الكبيرة وتسهيل المواصلات إلى أبعد مناطقها المختلفة بتزويد السفن بالطعام المحفوظ

فهل تشترك معنا في الثناء على خادم الإنسانية المتواضع علبة الصفيح! (يتبع)

ع

من هنا ومن هناك

البترول يكسب الحرب

[عن «وورلد دايجست»]

سوف يكون البترول العامل الأول في كسب الحرب فالبترول علة الطائرات وتسيير المدرعات ونقل الدبابات وحركة السيارات وتسيير الغواصات

ومن المعروف أن البترول هو أهم عوامل الحرب العظمى حينما تتحد وتوحدها من حيث البترول . وقد أصبح للإمبراطورية البريطانية مراكز ذات أهمية كبيرة للبترول تمتد إلى عواصم الإمبراطورية ومواصلاتها المختلفة في جميع أنحاء العالم ، حتى أصبح عددها الآن يفوق عدد مراكز الفحم التي للإمبراطورية

وتسيطر بريطانيا الآن على أكبر مقدار من البترول الذي يستخرجه العالم وقد بلغ ما تستهلكه من هذه المادة في الأغراض التجارية أيام السلم نحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢ طن ، وهي لا تجد صعوبة في الحصول على هذا المقدار

ويبلغ ما تستهلكه ألمانيا وقت السلم ٠٠٠ر٠٠٠ر٧ طن في العام ، وهي تستطيع أن تستخرج ثلث هذا المقدار ، فإذا أضيف إليه ما يستخرج من النمسا وما تستطيع أن تحصل عليه بالطرق الصناعية وجد أن هذا جميعه لا يكفي لتقديم ما تتطلبه في أوقات الحرب بحال من الأحوال. فكل ما تستطيع ألمانيا الحصول عليه من هذه المادة الأساسية في حياة الأمم ، لا يتجاوز ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ تدخل في ذلك البترول الصناعي والبنزين وغاز السيارات وستورد ألمانيا باقي حاجتها من أمريكا وجزائر الهند الهولاندية ورومانيا

ومن الواجب في هذا الصدد ألا نبالغ في تقدير البترول التي تستخرجه رومانيا ، فليس له في الضخامة الأهمية التي يتصورها رجل الشارع فكل ما تستخرجه رومانيا لا يزيد على ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ طن من البترول الخام ، وهذا القدر لا يكفي حاجات ألمانيا أيام الحرب ، هذا إذا استطاعت الاستيلاء على منابع البترول في رومانيا ، والإشراف عليه جميعه وقد أخفقت في هذه المحاولة إبان الحرب العظمى . ويجب أن نذكر هنا أن البترول الذي يصدر من رومانيا إلى ألمانيا ، يجب أن يتخذ طريق الدانوب أو طريق البحر مارًا بمضيق جبل طارق ، وكلا الطريقين تحت إشراف الدوريات البريطانية وإذا كانت بريطانيا تستورد حاجتها من البترول من طريق البحر ، فليس في ذلك أي خطر ما دامت تسيطر على البحار فقد أصبح طريق البحر الأبيض المتوسط معرضاً للأخطار أيام الحرب ، فأمامها أكثر من طريق واحد لتوصيل البترول إليها مثل الطرق التي تحمل على الاعتماد على الإمبراطورية البريطانية أن يعرض العدو أن الحرب لا يمكن أن تستمر بغير بترول ، ولكنها تنتهي لأجل المقرر

الصحافة السرية في ألمانيا

[عن P. T. O.]

تنتشر الصحافة السرية في ألمانيا بطريقة منظمة محكمة تيسر للملايين من الألمان الاطلاع على آراء كتابها الأحرار داخل بلادها وخارجها وقد وصفت مستر ... كل المجهودات التي بذلت لوقف تيار هذه الصحف التي تنتشر بين الجنود وفي المصانع والبيوت في أنحاء ومناطق مختلفة وقد حاول هتلر منذ ست سنوات أن يكتشف طريقة لوقف هذه الحملة الشديدة بسبب كثرة النظام التي يقوم بها بعض أبناء الشباب لإنقاذ ملايين الملايين الذين لم يحسنوا بعد تلقيهم ورؤوسهم بمطالع النشرة الصحفية ، فتحجب جهوده في مهب الرياح. وقد عجز التدبير المحكم لنشر هذه الآراء المعادية للحزب النازي ، و يبحث لها أصواتاً وأنصاراً ممن يلبسون اللباس النازي ويسيرون في صفوف الزوابع وتنتشر الصحافة السرية في المصانع والمعامل العسكرية وبين جنود الجيش ، ويطلب المشتركون على ناشريها أن يطلعوا على ما في ذلك من الخطر على الحياة

وكثيراً ما توجد هذه الصحف في علب الشاي والبسكويت وغيرها من هذه الأنواع المبيعة من الكتب وأشباهها ، وتدمج مقالاتها المطبوعة ... من أمثال ... ... وهي تدل بذلك كله على ما تتمتع به تلك الصحف في الأمم الديمقراطية لنقل الانقلاب وتقلب الآراء ...

الأحزاب حتى مهد لها كيان النظام السياسي القائم ، إلا أنها عند مواجهة الأخطار تتحد جميعاً وتتعاون للخلاص من المآزق والكربات . وقد علق الحكومات الديمقراطية أن هذه الروح السائدة في بلادهم تجد ما يشبهها في بلاد تحكم بالعنف والقوة مثل بلادنا ، ولكن الأمر على النقيض من ذلك ، فروح الكراهية والانعكاس والتطاحن لا تظهر عندنا في وقت السلم ، فإذا دعا الداعي للحرب أظهرت الأكثرية ما وراءها ، وظهرت قوة الشعب

ومن المعلوم أن أوكان حرب الجيش الألماني قد حذر النازي من الأرخاء في حرب طويلة إذ أن حرباً كهذه ستؤدي إلى هزيمة لا شك فيها . وقد أرسل إليها ماسا عظيم يطلب الاستعانة بالمساعدة الشعبية ، على تحذير الشعب الألماني من الدخول في هذه الحرب وقد بين هذا الضابط في كتابه . . إن مركز ألمانيا الجغرافي في وسط أوروبا وقرب مصانعها من الجهة الحربية ، وعدم إمكان تجهيز جبهة الحرب طويلة . ومن السهل على المحارب الوصول إلى أقصى ناحية من ألمانيا في ساعة من الزمان . وعلى هذا التحذير لم يعمل حتى الرسمية ولم يشعر الشعب الألماني بحقيقة الخطر الذي يحدق به من كل أسبوع تحت تأثير الطريق أمامه في ظلام الغيب

هل تستطيع اليابان أن تحكم الصين

[عن « أمريكان مركوري »]

يلوح أن الصعاب الشديدة التي صادفت اليابان والأهوال الطائلة التي ينتظر في حرب الصينية ستعين كاملتين . قد دعت كل أنواع الإزعاج . وقد تقتضي تلك الانتصارات المزعومة في هذه الحرب الطاحنة دون أن تفيء على الأمة اليابانية ما تؤمله من النصر . وذلك أن اليابانيين لم يدركوا حقيقة النوع من الضعف السياسي الذي يمكنهم من حكم البلاد بغير العنف والإكراه ، مما لا بد منه لكل أمة تريد التوسع والاستعمار

وهل استعانة في مورموسا وكوريا ومانشوكو على أن الاستعمار الياباني لم يكن إلا نوعاً من الحرب المتواصلة التي ... بين الحاكم والمحكوم ، وليس فيه ما يدل على الاستقرار والهدوء والتمكن من الاستيلاء على ناصية الأمور

وهل الميول العسكرية التي ساقت الجيش إلى الاستعمار بحكم الرغبة في السيطرة والقوة هي نفسها التي دعت بقيمة هذا الاستعمار ، فإن حكم الجيش لتلك البلاد المقهورة هو الذي جعل اليابان عاجزة عن توحيد مراكزها بها

وقد أحدث اليابان تفكير تفكيراً جدياً في تلك الفكرة التي كانت ترمي إلى فتح الصين والاستيلاء على جميع أرضها دفعة واحدة ، ورأت لها ألا تعتقد اعتقاداً مع المتقين من أن تحكم الأقاليم الشمالية وتترك لها ناحية البلاد . ويمكن اعتباراً كهذا ليس من شأنه أن يوطد دعائم السلام بين الأمتين ، فمن المحقق أنه سيكون خائباً هدنة مؤقتة ، إذ أن السلطة العسكرية في الصين ستبذل كل قواها لإستعادة ... من أمر الأقاليم . وسوف تظل المشكلات السياسية والاقتصادية الحربية المعقدة تقلق اليابان

وكل ما ترجوه اليابان الآن أن تستطيع استغلال الأقاليم التي استولت عليها في الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فإذا استطاعت اليابان أن تصل إلى أغراضها ، وأمكنها أن تعد جيشها الذي يحتل تلك البلاد بما يرجوه من ثمرة انتصاره عليها ، لم يكن من الصعب عليه أن يتحين الفرص للاستيلاء على مواطن أخرى ، فإذا ... ذلك الأمر في الناحية الاقتصادية ، فلا شك ستصبح كارثة على اليابان . وقد ظهر أن المقدرة على الاستقرار وتسوية الأمور هي الشيء الذي ينقص اليابان في جميع محاولاتها التي قامت بها منذ الأزمة الحربية

مما لا شك فيه أن اليابان قد كسبت الحرب من الناحية الحربية ، فقد استولت جيوشها بسهولة على الشواطئ الصينية وامتلكت كثيراً من المدن الصينية الكبرى

إلا أن السلطة اليابانية ونفوذ حكومتها عليها يتعدى المناطق التي تحتلها بنادق الجيش . وما زالت اليابان تلاقي أشد الصعوبات في البلاد التي تحوطها من داخل بلاد الصين ؛ فالصينيون يقطعون عليهم خطوط المواصلات كلما تقدموا خطوة إلى الأمام ويحرمون اليابان ويصدون الأطعمة وكل ما تحويه تلك البلاد من الخيرات

ويقول الصينيون إنهم يعملون بالسكون لأجل الزمان !

ويحصون الأيام ويعدون الزمن لإتمام الهزيمة بهؤلاء المغيرين فإذا فرضنا أن اليابان لم تهزم وقدرنا أن الحرب الحربية ستستمر على حساب تلك البلاد ، طيب اليابان بالأمة الأزمة للاستعمار التي استمر بعدها الأمر الآخر ... كما يظهر شيء من أحلام اليابانيين

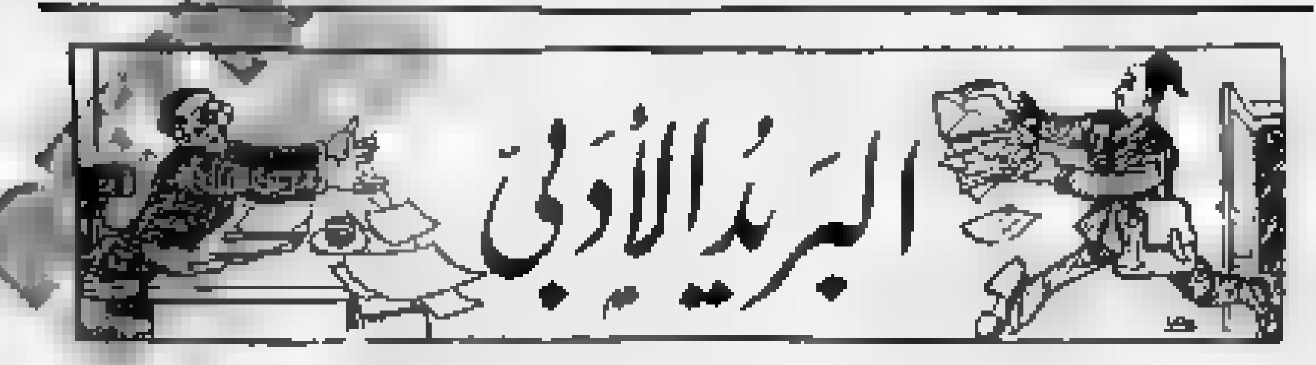

أخبار «الورقة» النقدية سنة ٦٩٣

قال ابن الفوطي في كتابه (الحوادث الجامعة):

«في سنة (٦٩٣) وصل صدر الدين صاحب ديوان الممالك إلى تبريز ومعه (الجاو) وهو كاغد عليه ختم السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم. وأمر الناس أن يتعاملوا به. وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع، فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر، فاضطربت أحوالهم اضطراباً أضر بهم وبتجارهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء، واستعملت المواد من كل نوع، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت (الجاو) ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما وأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان. ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير (تكازي بن أرغون آقا) فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا الأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز. فلما أنهي ذلك إلى السلطان (كيخاتو) أمر بإبطاله، فأبطل قبل وصول كيخاتو إلى بغداد، وكفى الله العالم شره».

* * *

فالناس ... في القديم والحديث لا تخفى عندهم في شأن السكة monnaie هذه خليقة ... ولا حيل حكومات وسلاطين، فهم لا يعرفون إلا هذا الأصفر، الأحمر الرزين(2)

أكرم به أصفر راقت صفرته!
وحببت إلى الأنام غرته!
كأنما من القلوب نقرته(3)!

(1) كل ما ... من الحلي والآلي والثياب ... ولقيطة الرجل ... إذا صار ... (اللسان)

(2) ... ورزن ...

(3) حريري (النقرة) في الشرح الكبير ... النقرة ... من الذهب والفضة ... في الذهب ... (اللسان) النقرة من الذهب والفضة القطعة المذابة.

وهم لا يؤمنون إلا بذا ورأوه صورة(1)، أو سيغني أعينهم أبا إسحاق بأنه يسبح لله في تطوافه من عالم الفولاذ في معمل قوي مبيح كالذي شاهده العلامة الأستاذ (محمد طلعت حرب باشا) من هذه الصكوك وهو مكبل ... لا من هزة المتكلم أنه سحر الكتابة ... أحد الأماثل من الأقوام(2)

وأن يحسب ذلك (الورقة) ذات الخطوط والسمة الآلية علامة لتكبير الإسلام ... ولم تجعل ...

(...)

وفاة المستشرق فنسنك

تعزي الرسالة أن تنقل إلى قرائها خبر وفاة المستشرق الكبير فنسنك Wensinck، وقد توفاه الله بعد أسابيع من رحلة صالحة إلى مصر، فأقام بها نحو شهر اجتمع فيه بكبار علمائنا وكتابنا، حتى إذا انتقل إلى «ليدن» في هولندة عرته حمى خبيثة ثم واظبت فغلبت عليه حتى كان قضاء الله.

للمستشرق فنسنك علم من أعلام الاستشراق، وكان أستاذ اللغات السامية في جامعة ليدن، وتوفر على دراسة أصول الدين الإسلامي فألف كتاباً نفيساً عنوانه «العقيدة الإسلامية» The Moslem Creed وأردفه بمقال نشره سنة ١٩٣٦ في مجلة ... عنوانه: «الأدلة على وجود الله في أصول ...

(1) في التكملة: ... صورة أي عياناً ... من ...
القراءة ... كان ... ملك بها

(2) شوقي، وهي هنا الذهب

هل كانت هذه الورقة ... إلا ...

ولقد قرأت ... في الجزء (٣٢٦) من الرسالة (طلعت حرب) ... إلا ... أن ... ولا ... ولا ...

الدين الإسلامي » وتجد وصف هذا المقال في « مجلة الدراسات الإسلامية » باريس ١٩٣٥ ج ٤ ص ٣٣٦ . وكان فنسنك إلى جانب التعليم والتأليف ، محرر دائرة المعارف الإسلامية الصادرة في ليدن ، يوزع العمل ويراجع المقالات ويخرج الدائرة ، وكان يعينه على هذا سعة اطلاعه على مسائل الإسلام وشؤون العرب ثم تمكنه من لغته الهولندية والفرنسية والإنجليزية والألمانية فضلاً عن اللغات القديمة من سامية وغير سامية .

على أن أهم ما صنعه فنسنك كان من وراء جمعه لأحاديث الرسول ، فكان فنسنك رحمه الله الجامع المجيد للحديث الصحيح ، ووضع أول ما وضع « مفتاح كنوز السنة » الذي نقله الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي إلى العربية سنة ١٩٣٣ ، ولم يكن ذلك الكتاب سوى مدخل إلى سفر أكبر حجماً وأتم نفعاً . وقد أخذ فنسنك يخرج الثاني منذ سنة ١٩٣٦ ، وهو معجم مفصل لمفردات الأحاديث النبوية في الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، واسمه في العربية « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » . وظل فنسنك طيلة يخرج أقسامه وهم يتعاونون ، حتى جاء يوم قبل عهد قليل ، فنعي فنسنك في دوائر الفضل ، والذي نعلمه أن مسعاه في مصر خاب ؛ والسفر لم يتم خروجه وإن كانت مواده كلها مهيأة للطبع (خرج ١١ جزء)

إن فنسنك خدم الإسلام والعربية بكتاباته النفيسة التي لا يقدر قدرها ، وحسبه شهادة السيد محمد رشيد رضا في الكتاب الأول قال : « عنَّ لي كتاب يهدي هو (يعني الكتاب) أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة ، ووفر علي ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها » .

هذا ومما لا يصح عدم ذكره أن تأثيراً مريباً كان على المستشرق فنسنك يوم عُيّن عضواً من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي والقصة مشهورة ، والقائمون أحياء .

لقد فقد العلم من وهب حياته على العلم خدمة للباحثين وتقريب مصادر الإسلام إلى أهله ، وسيأتي يوم يعرف فيه الأحسن قدره مع أهل المنصفين (...)

في منزل الدكتور طه حسين

كتب إلينا صديقنا الأستاذ الكبير محمد عبد الرحمن حقي هذه الكلمة :

اطلعت على مقال للأستاذ زكي مبارك منشور في العدد الأخير من الرسالة عن اجتماع مزعوم بمنزل حضرة الدكتور طه حسين بك حضره جماعة من الأدباء والعلماء ، ووردت فيه أسماء ... المقال أنه حضرت هي ومن سمع بحوارنا كالأستاذ أحمد أمين والأستاذ العبادي والأستاذ عزام والأستاذ إبراهيم مصطفى . وهذا الاجتماع من نسج خيال الكاتب ولا حقيقة له .

محمد عبد الواحد خلاف

حول ابن بطوطة وابن تيمية

أورد الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام في الرسالة الغراء (العدد ٣٢٢) في مقالته « عودة إلى الشيخ الطائفي » قولاً لهذا الشيخ الجليل رأيته لا يتفق وحقيقته التاريخية وهو « أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية » .

قال الشيخ الطائفي ذلك في معرض نقض رواية ابن بطوطة عن ابن تيمية ، وخلاصتها أن الرحالة المغربي حضر الإمام الحراني يعظ الناس في المسجد بدمشق ويقول مشبهاً في نزول الله تعالى إلى السماء : « ينزل كنزولي هذا » ونزل ابن تيمية درجة من المنبر .

إنني لا أريد أن أبحث في مطابقة هذا القول المعزو إلى الشيخ الإمام لمذهبه واجتهاده وفلسفته الدينية كما يمكن استخلاصه من مآثره في العقائد والفقه ، فمن هو أجدر مني بهذا البحث وأولى بالخوض فيه ، هو أحد البقية الباقية من السلف الصالح الأستاذ الشيخ بهجة البيطار ، فله باع طويل واختصاص في كل ما له صلة بمذهب الإمام ابن تيمية ، وقد كتب في هذه المسألة .

ولكني أود أن ألفت النظر إلى أمرين رئيسيين في هذا الموضوع : الأول أن ابن بطوطة أدرك ابن تيمية ، والثاني : الشك في صحة رواية ابن بطوطة .

أما إدراك ابن بطوطة لابن تيمية فأمر يكاد لا يحتاج إلى دليل ، وحسبنا أن نعلم أن ابن بطوطة ولد سنة (٧٠٣) هـ وتوفي سنة (٧٧٩) هـ ، وأنه جاء إلى دمشق كما ذكر في رحلته (طبع المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠ سنة ٧٢٦) هـ وهي السنة التي سجن فيها ابن تيمية سجنته الأخيرة في القلعة إلى أن مات ، وكانت وفاته رحمه الله عام (٧٢٨) ثمان وعشرين وسبعمائة كما هو ثابت في جميع تراجم ابن تيمية نذكر منها « العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية » للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد

ابن عبد الهادي » (مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ص ٣٦٩) وكما هو بارز حتى الآن منقوشاً على قبره خلف بناء الجامعة السورية في مقبرة الصوفية المعروفة التي لم يبق منها غير ضريحه.

أما الشك في صحة رواية ابن بطوطة فمصدره ما يأتي:

ذكر ابن بطوطة في رحلته (المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠) أنه وصل إلى دمشق « يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة » ثم سرد بعد ذلك (ص ٥٨) روايته التي نحن بصددها، وأضاف « إن ملك الأمراء سيف الدين تنكز كتب إلى السلطان الملك الناصر في أمر ابن تيمية » بأمور منكرة « وورد أمر السلطان من القاهرة » بسجنه بالقلعة فسجن حتى مات » في حين أن سائر الثقات والمصادر ومنها « العقود الدرية » (ص ٣٢٩) و « دائرة المعارف » التي اعتمدت تحقيقي على ترجمته وكتب معتمدة تجمع على أنه سجن يوم الاثنين السادس من شعبان عام ست وعشرين وسبعمائة، أي إنما سجن الإمام تقي الدين للمرة الأخيرة التي مات فيها.

ينتج مما تقدم أن ابن بطوطة، إذ حطّ رحاله بالشرابشية (المدرسة المالكية) في دمشق، كان شيخ الإسلام رهين سجن القلعة يقضي أيامه ولياليه في التأليف والعبادة.

فلا بدّ لنا بعد هذا من التشكيك بصحة رواية الرحالة المغربي مما يجب عليه حفظاً لابن عبد الهادي، وسائر المؤرخين والمؤلفين (كابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والصفدي في طبقاته، وابن الوردي في تاريخه) الذين استندت إلى أقوالهم دائرة المعارف الإسلامية، وهذا بعيد عن المعقول.

وخلاصة القول: إن ابن بطوطة قد أدرك ابن تيمية، ولكنه لم يره ويسمعه.

« دمشق » محمد حسني البرازي

إلى الدكتور زكي مبارك

١ - وجهتم أنظار المعنيين بالبحوث الأدبية والتاريخية إلى عرض ما بقي في أذهان العرب من أساطير الأولين لعلهم يعرفون شيئاً من رسوم الوثنية العربية التي حاربها القرآن؛ فليسمح لي هنا في معرض تنبيهكم على أن وثنية العرب بمعنى (أرضية وسماوية) فأقول: روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اللات والعزى ومناة وسواها أسماء رجال صالحين كانوا في زمن إبراهيم أو نوح عليهما السلام؛ وأن العرب قد أقاموا لهم بعد الرحيل صوراً وتماثيل تعبيراً على ما يكنونه نحوهم من صدق الولاء وخالص الوداد (أنظر تفسير النسفي — سورة النجم) وفي رواية أخرى عن ابن عباس (أن اللات كان رجلاً يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه. تفسير الخازن — سورة النجم) والمستطيعون ممن أرادوا المزيد في هذا البحث أن يرجعوا إلى كتاب « التوسل والوسيلة » تأليف ابن تيمية طبعة المنار.

٢ - أوردتم في سياقكم على صفحة (ابن الأحنف) من (دائرة المعارف الإسلامية) قصة ذكرتموها كذلك في كتابكم (مدامع العشاق) مفادها أن العباس بن الأحنف مات هو وإبراهيم الموصلي والكسائي في يوم واحد وأن الرشيد أوعز للمأمون للصلاة عليهم، فصفوا بين يديه ثم سأل عنهم المأمون واحداً واحداً وأمر بتقديم العباس فصلى عليه، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: يا سيدي كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر؟ فأنشده المأمون هذين البيتين:

سماك لي قوم وقالوا إنها ... هي التي تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال المأمون: أتحفظهما؟ فقال: نعم. قال: أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة؟ فقال: بلى يا سيدي) اهـ والقصة ظاهرة الوضع لأن العباس بن الأحنف قد مات سنة ١٩٢ للهجرة والكسائي توفي سنة ١٨٩، وإبراهيم الموصلي توفي سنة ١٨٨، فكيف يمكن أن يقال إنهم ماتوا في يوم واحد؟ قد يحتج الدكتور مبارك بأن هنالك رواية تدعي أن الكسائي قد مات سنة ١٩٢ وهو العام الذي مات فيه العباس، ولكن ما عسى أن يقول في إبراهيم الموصلي وقد أجمع الرواة على أن وفاته كانت سنة ١٨٨؟ وقد يحتج أيضاً بأنه قال عند إيراده القصة (ذكروا أن العباس والكسائي وإبراهيم الخ) وأنه عقب عليها بقوله: (فإذا صحت هذه الرواية الخ) وأن هذا وحده يبعد شككه في صحة هذه الرواية، ولكنه — من قبل ذلك — شك في سند الرواية إلى المأمون، بيد أن الأسانيد التاريخية تدعو لتفنيد هذه القصة بتكذيب على أنهم رووا أن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة مات والكسائي في يوم واحد وأن الرشيد

على طلبها وبكى قائلاً (اليوم ضعت الفتنة والسحر)

ما أجدرنا بأن نمحص هذه الروايات التي تزخر بها كتب الأدب تمحيصاً جدياً لنقدم للأدب العربي صحيحاً ما يجب له منها من خدمات ما كنا لنعترض على هذه القصة لولا أن ناقلها هو الدكتور زكي مبارك. (طرابلس) محمد علي الطاهر (?)

غلطة

كتبت في العدد ٣٢٥ من الرسالة كيف عدا أدهم على الإخوة في ما يكتبه الكتّاب في مصر. وقد وقفت القارئ على فرط تقدم الشعر، إذ جوّز بعض النقد الذي عمله بكتاب «فرعون الصغير» لصديقي محمود تيمور ونشره في منتصف أول يونية ثم نص النقد الذي عمله أدهم لهذا الكتاب نفسه ونشره في ١٤ أغسطس في الرسالة. وهكذا مكّنت القارئ من مقارنة النصّين. وقد شرحت فوق هذا كيف استعمل الشعر كلمة ألمانية romanische جاءت في نقده بكلمة فرنسية romanesque كانت قد وردت في نقدي، وذلك رغبةً في التضليل؛ فجاء الاستعمال خطأ من حيث معنى الكلمتين، فدلّ ذلك مرة أخرى على أن أدهم لا يعرف كيف يعبر بل لا يفقه ما يكتب؛ أو دل على أن معرفته بالألمانية لا تزيد على معرفته بالفرنسية؛ وقد بيّنت من قبل (الرسالة ٣١٤) ذلك مثلاً (?). ولما علم أدهم تلك الغلطة [illegible] عمل (?) [illegible] (الرسالة ٣٢٦) ما يجعل ذلك الخطأ صواباً، وأدهم على كل يتحيل عذراً (?)

فلبس أدهم عمر (?) يستغيث بشهادة صديقه الإسكندري سامي شيبوب — وهو الناقد الأدبي لصحيفة «البصير» — فقال إنه قرأ نقده عليه قبل أن يبعث به إلى الرسالة في ٢٧ يونية فتلقى الأستاذ شيبوب استغاثة صديقه باعتزاز. ألا ترى كيف يفتتح شهادته (الرسالة ٣٢٧) «أعلم أنني في حِل القائم بين فلان وفلان»، والمبرور داود (?) رحمه الله عمراً بأن «علم في الأمس [illegible] نفسه فيه شأنه بلا روية وتأمله (?) وأناته (?)». ويحكي مثل أدهم يجمل التدبر والاستقصاء. وقد زاد الأستاذ شيبوب أنه «لا يذكر شيئاً» من نقد أدهم في كتاب فرعون الصغير؛ وعلى هذا فشهادته لا تجدي على أدهم شيئاً، إذ هي سالبة كما يقال في لغة القضاء. ثم إن شيبوباً خرج من عهدة الشهادة

بأن سأل صاحب الرسالة أن ينشر (?) كيف أخر النشر بعد أن قدمه (?) وبعث نبهاني (?) فاتهم صاحب الرسالة بسوء النية. قال أدهم في رده إني أخبر بنشر نقده حين [illegible] الأستاذ على أنه [illegible] في ٢٧ يونيه (وأرجع إلى تقديم نص كلمات أرسلها إلى الرسالة (بعد أن رسل به إلى) وكأن لتناسب تطلب نشرها في وقتها. والواقع أن الرسالة لم تنشر شيئاً لأدهم في عدد ١٠ يونية (رقم ٣٦١) ولا في عدد ٢٤ يونية (رقم ٣٦٦) وأما عدد ٣ يونية (رقم ٣٦٣) فليس فيه لأدهم سوى كلمة في البريد الأدبي. والرسالة نشرت لأدهم في آخر كلمة في البريد الأدبي ومقالاً في باب النقد (راجع عدد ٣٢٩). أضف إلى كل هذا أن مكانة الأستاذ تيمور عند صاحب الرسالة لا تسوغ مثل ذلك التأخير.

وكيفما كانت الحال فإن الحكم بالسوابق كما يقال في لغة القضاء، وأدهم عودنا غير مرة أن يعدو على جهاد غيره (?) زكي مبارك ورجل (?) (أطلب الرسالة ٣١٤ ص ١٣٨٠) وعلى من يعلم الله.

وإن قيل [illegible] بالسرقات الأدبية ولا [illegible] قلت إنه يحق لنا أن نتعصب للعرب الصحيح ولا سيما للسكارى (?) منهم؛ وذلك إنما نريد أن نقيم للإنشاء بالعربية دولة. والإنشاء إذ رمي بالاستيحاء [illegible] بالسطو والالتقاط ثم التهويل [illegible] ولن [illegible] «التلفيق» «والتكلف» ب . ف

عطر الورد (?) ..

في العدد (٣٢٥) من الرسالة الغراء وجّه الأستاذ «علي مصطفى (?) الطرابلسي» كلمة تحدث فيها عن جماعة «الشعراء» إلى (أستاذنا جليل! وكاتب حر مبدع، سباق خالد وصاحب آيات بينات، وبديع بعاطفة واضحة، يتم فيه الخلق الكريم من رسوخ كعبه في الأدب، وعلو مكانته بين الكتاب، وكمال اتصاله بروح العربية، وبعد اطلاعه وإحاطته بفنونها وآدابها؛ ومع ذلك فهو لا يتباهى بعمله، ولا يفاخر بأدبه، ويرغب عن شهرة اسمه، تراه يخفي شخصيته ويتحلل إمضاءه، وهو تحت الشمس ولا يحجب ضوء النهار!

وقد قال الأستاذ الطرابلسي في ختام كلمته يخاطب الأستاذ الجليل: «فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم، فطالما

رغبت في مسرقتكم، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر، معتمدين على عظيم اطلاعكم وحسن تحقيقكم؟!

وقد كنت أظن لدى الأمس أن (أستاذنا الجليل) سيبادر (فسح الله في مدته) وهو من هو، كي يعرف أهل العربية قاطبة من هو (ابن جلا وطلاع الثنايا)! ولكن الأيام مضت مني والأستاذ الجليل لا يجيب وهو يعلم أنه مجيب سؤال سائل؟ وكأنه في ظل متوارٍ حبيب إلى نفسه، لا يود أن يتجاوزه إلى عالم الشخصيين المتوطنين للدعوى المظلمة والسعي إلى الظل والزور والادعاء والأدعياء! إنها الشمس تستحي أن تقول للنجوم وما حولها من كواكب: أنا الشمس...!

وأنا أرجو ... إذ أتقدم بمحاولة الإعلان عن هذه الشخصية الفذة — ألا أكون متجنياً على أحد الأستاذين السائل أو المسئول فإنني في رغبة جامحة إلى الإشادة بفضل تلك الشخصية الفذة والشخصية الثابتة شخصية (الأستاذ الجليل)، وأقرر أنني أعتمد في هذا اعتماداً على الترجيح لا على اليقين وعلى ما استطعت أن أجده من المشابهة والتماثل بين ما كتب (الأستاذ الجليل) مذيلاً باسمه الحقيقي، وما كتب مذيلاً بما اختصر من إمضائه.

وما كنت — مع الأستاذ الطرابلسي ومع القراء — معرفة الشخصية سواء كنت موفقاً أم مخطئاً؛ لأنني إذا وفقت فيها، وإلا فسيبادر (الأستاذ الجليل) أو بعض صحابته بتصحيح الخطأ — وتلك فريضة إسلامية، و(الأستاذ الجليل) من أصدق المجاهدين للإسلام، وعلى ذلك حق معروف!

إنني أرجح اعتماداً على ما قدمت أن ما ينشر في الرسالة المحبوبة بإمضاء «* * *» أو «م» أو «القارئ» هو حضرة صاحب العزة «أديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة الحجة محمد إسعاف النشاشيبي بك» صاحب «نقل الأديب» و«الإسلام الصحيح» وغيرهما من الكتب الخالدة والمقالات البحرية الفريدة وكل ذلك سيحكم

وأذكر الأستاذ الطرابلسي بقول القائل: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»!

(البيلان) أحمد محمد الشرباصي

المصطلحات العسكرية وترجمتها إلى اللغة العربية

قررت وزارة الدفاع إجراء مسابقة في ترجمة المصطلحات العسكرية الخاصة بالأقسام الميكانيكية والطيارات وغيرها إلى اللغة العربية. ويبلغ عدد الكلمات التي يراد ترجمتها حوالي خمسة عشر ألف كلمة.

وسيمنح الفائز في ترجمة هذه المصطلحات مكافأة مالية

تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة

أعدت وزارة الشئون الاجتماعية مشروعاً يرمي إلى تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة اللاسلكية وذلك بتنظيم محاضرات دينية واجتماعية وقصصية تتناول شئون الأسرة وتعالج أمراض المجتمع وتقويم أخلاق الشعب على أن تذاع إلى جانبها أناشيد وأغانٍ وموسيقى تعاون على تقريب المعاني الإصلاحية التي ترمي إليها الوزارة — من أذهان الشعب وتساعد على رفع مستوى تفكيره.

وقد استقر الرأي على افتتاح موسم هذه الإذاعة في شهر رمضان

وعلمنا أن الوزارة تقوم الآن باختيار المحاضرين والمحاضرات من بين المشتغلين بمسائل الإصلاح الاجتماعي

حول قصيدة

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

بعد التحية قرأت بالعدد (٣٤٧) من الرسالة الغراء الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ قصيدة رائعة للشاعر المعروف محمود الخفيف عنوانها «وداع» وقد أعجبت بحسن ديباجتها أيما إعجاب ولكني عند — قرأت

إذا لم يستجب اللسان ... وما عنّ في موقف مثله

وماذا عسى أن يقول ... وهل عاش نفسي له

عند ما قرأت هذين البيتين لاحظت أن القافي مكسور فتصورت أن كلمة قد سقطت في الطبع وأن الأستاذ الشاعر كان يريد أن يقول:

وماذا عسى أن يقول وهل ... تأسى القول نفسي له

أرجو أن يتفضل سيدي الأستاذ فيدلي إليّ برأيه وأكون له شاكراً

(أبو صير) محمد حسين

(الرسالة) صحة البيت هكذا:

وما عسى أن يقول لها وهل على عيشي عتب

وقد سقطت كلمة «لها» في الطبع

رجاء إلى الكتاب

لاحظت في أكثر المقالات المنشورة في الرسالة أن الكاتب عندما يريد أن يشير إلى كلمة أو جملة تحتاج إلى إيضاح أكثر يشير إليها بالرقم ١، ٢، ٣ إلى آخره، كما هو متبع عادة، ويكتب ذلك مفسراً بقوله: «اقرأ صفحة كذا من كتاب تحصيل طبقات الحنابلة» أو «راجع أخبارهم من كتاب مبدأ القديم وتاريخ ... ونحوها إلى غير ذلك ...» وقد مثلنا لما جاء بالعدد الأخير فقط، ومثل ذلك في الأعداد الماضية

وإني أرى أن يكتب الكاتب هذه الكلمة أو الجملة في سطر أو سطرين وإن أمكن في أعلى الصفحة كما نرى في كثير من المقالات لأن من قراء الرسالة كثيرين من الطلبة والموظفين لا يحصلون على تلك الكتب التي يشير إليها كاتب المقال كتاباً واحداً. والكاتب بطبيعته يطلع على ذلك الكتاب الذي يشير إليه وجد ما يشير إليه عند كتابة صفحة الكتاب ورقم السطر فقد كان يسيراً لو كتب ما وجده عن القارئ أن يطلع عليه ولو موجزاً!

أحمد حلمي العباسي

جريدة الشورى

سألنا بعض القراء عن جريدة الشورى التي كان يصدرها صديقنا الأستاذ محمد علي الطاهر باسم الشباب ثم باسم العلم ولماذا لا تصدر الآن؟ ونحن نجيب على ذلك بأن الجريدة توقفت عن الصدور بسبب الأحوال الحاضرة وسيعيد الأستاذ الطاهر إصدار جريدته بعد الحرب إن شاء الله

تحت راية الإسلام

لفاضل مسيحي

بقلم الأستاذ عز الدين التنوخي

«تحت راية الإسلام»، كتاب جديد يبحث في سيرة النبي العربي وحقيقة الإسلام، ويدرأ عنهما شبهات المبشرين ومطاعن المستشرقين، ألفه الأستاذ خليل جمعة الطوال (١) العربي المسيحي الكاثوليكي من أدباء شرق الأردن أو مشارف الشام؛ ولو كان المؤلف عربياً وأرثوذكسياً لما عجب العجب، ولكنه يؤلف «تحت راية الإسلام» وهو كاثوليكي وبابوي متحمس!

وكثيراً ما كنت أجادل بعض إخواني من دعاة الجامعتين العربية والإسلامية، وأكثر من الاحتجاج برأيي القائل بأنه لا فرق بين العربي الأرثوذكسي وأخيه الكاثوليكي إذا ما نفخ فيهما روح العروبة منذ الصبى، لا فرق بهذا الشرط بينهما في الإخلاص لدين العروبة، وبالتالي للأمة العربية ودولها العربية ولولا مدارس التبشير الأجنبية، وما تبثه في بلادنا الشامية من روح التعصب، وما تنشره في صفوف المدارس من التعاليم السياسية المسمومة، لولا ذلك لكانت تسري روح شباب الشام واحدة، على الرغم من اختلاف الأديان، ولما كان للأقليات من نواب في مجلسنا النيابي، ولما وجد المستعمرون مجالا لهم في بلادنا العربية. ولو كانت الروح القومية واحدة رأينا العربي المسلم يدرس إلى جانب العربي الأرثوذكسي والكاثوليكي على مقعد واحد في مدرسة واحدة

ومن دعاة الجامعة الإسلامية من يوجس في نفسه شراً من الجامعة العربية، وكأنه يحسب أن الإغراق في الإيمان بالقومية، والمبالغة في التمسك بحبل العروبة يؤدي إلى حل عقدة العقيدة، ومن عضد الجامعة الإسلامية، ومن دعاة الجامعة العربية من يخال أن الجامعتين متضادتان، وأنه قد تضعف الوطنية الصحيحة والقومية الصادقة في أحد من دعاة الجامعة الإسلامية، وكلا الفريقين مخطئ في رأيه، مخطئ في حكمه؛ ذلك لأن العربي المسلم قد يشاطر الباقي والمسيحي الآلام عقيدته وحضارته وجهاده بالمثل الإسلامي الأعلى، ويحب لهم من الخير والاستقلال ويحب لنفسه الكمال ما يحب لنفسه، ولكن حبه الخير لأخيه في الإيمان لا ينافي حبه الخير والسعادة لأخيه في الأوطان.

ولا ضير على الإسلام ولا ضرار في انتشار دين العروبة في البلدان العربية، فكثيراً ما عرفت بين نصارى العرب أو عرب النصارى من شبان يدينون بدين العروبة، ويجاهدون في سبيله حق الجهاد، ومنهم من هو أكثر خيراً للعروبة وأقل ضرراً للإسلام من بعض ملاحدة المسلمين

ذلك لأن منهم من كانت عروبته الصادقة تحطم قيود عقيدته التقليدية، وتحمله على درس القرآن وسيرة النبي العربي، فيجاهر بدرسه الحر وبحثه المستقل مما يرد على كثير من أباطيل المستشرقين وأكاذيب المبشرين

ولو سردت أسماء إخواني في العروبة في لبنان وفلسطين والشام والعراق ومصر وأمريكا وعرضت لذكر آرائهم لضاق بي نطاق البحث؛ وحسبي أن أذكر من هؤلاء الأدباء النجباء في أرومتهم والعرب الأقحاح في عروبتهم الأستاذ خليل جمعة الطوال مؤلف «تحت راية الإسلام» (١)

لقد عرفت قبل اليوم هذا المؤلف معرفة روحية بمعرفة ما كان يكتبه في مجلة الرسالة من الأبحاث الممتعة الشيقة، وعرفته في الشعب اليوم عربياً مشهوداً له في بلاده بحسن النسب العربي، والاعتزاز بالنبي العربي، الذي أحيا أمته وجمع بعد تفرق كلمتها، وسما بها من أحضان الجاهلية الضالة، وأخرجها

(١) ولا يجهل قراء الرسالة الزاهرة أنه من الذين يؤمنون بالإسلام فيها

(١) من أمثال الأستاذ خليل اسكندر قبرصي الفلسطيني مؤلف «دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام»

من الثنية الضيقة الخانقة إلى الشبيبة الفسيحة الآفاق ، فجعلها أمة واحدة تعمل بهداها كتاب القرآن ، ويسر لها كتاب مدون الأكوان ، فهبت بالأول الأمم إلى سمو الإنسانية ، ولحقت بالثاني مدارك حياتها الحيوية ، فعاشت بالإسلام بسعادة الدارين معاً

لمشيع لا توجيه إليك كما المؤلف في مطلع كتابه إذ يقول :

« لقد نشأت بتأثير تربيتي المسيحية الكاثوليكية عدواً من الإسلام كارهاً له ولأهله ، لا أقرأ له نصاً ، ولا أقرأ من سنة ، وغاية ما كنت أعرفه عنه أنه شريعة قاسية تنطوي على عيوب كثيرة ، أقلها جملة من الفرائض التي تمسك الناس بالرهب والسلب ، ثم حشتها شعوب بدائية وأمم [illegible] لا تحظ بشيء من الثقافة والمدنية ، وبت أرى على الآن أي يوم في تلك الصورة المشوهة التي كنت أعرفها عن الإسلام ، لأني لم أكون لنفسي رأياً ، ولا بنيتها على ما قد أفضى إليه اجتهادي في دراسة حقيقة الإسلام ، أو اقتنعت به بعد إنعام النظر وإعمال الفكر في كتابه ، ولكني ورثت هذه حقائق وراثة تقليدية .. »

ورأى صديقاً ، مسلماً يبتاع نسخة من التوراة والإنجيل ويدرسهما قائلاً : « من الناس من يكره شيئاً ويحب آخر دون أن يكون له في كلا الحالين أمر أو رأي ، ويكاد يتقيد في جميع سلوكه بظروف حياته وبيئته وتقاليدها ، ويسرني أني لست من ذلك الطراز ، ولذلك اشتريت هذه الكتب لأحب ما أحب أو أرفضه عن علم واقتناع لا عن جهل وتعصب »

ورأى أن حالة صديقه المسلم تنطبق عليه ، ولكنه وجد الجرأة جديرة به أن يقول مثلها إن كان منصفاً وعاقلاً حراً . قال المؤلف : « ثم تقربت فإذا [illegible] أكره دين العرب المسلم وأحرمه وأعاديه لا لعلة إلا لما كان من إسلامه الذي كنت أشعر بكراهته قد خلقت على ودي ، إلا أنني على كل حال لا أكاد أعرف عنه إلا اسمه ، فعزمت لذلك على دراسته أملاً أن أحب على هدى أو سلام »

« وفي ذات يوم عرجت على إحدى المكتبات العربية وابتعت نسخة من القرآن العربي المبين ، وأخرى من سيرة ابن هشام مطبوعتين [illegible] في ورقة ، وتسللت من عنده كاللص ، واضعاً إياهما بين ملابسي ، ومراعياً كل الحرص على ألا يطلع عليهما أحد من أهلي وأمي ، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية كانت سوى ذلك تحرم على المسيحيين مطالعة جميع الكتب الدينية غير الكاثوليكية ولو كانت مسيحية ، فكيف الكتب الإسلامية ؟ »

لا المؤلف القرآن باستقلال فكر واستمع نظر ، وقرأ معه سيرة ابن هشام فرأى ما رأى من شبهة [illegible] المتقين من النسر ، وشاهد ما شاهد من مخترعات [illegible] المعينين من [illegible] أكثر [illegible] ، وكان كما قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [illegible] من [illegible] الحق [illegible] عليه أن يراه مسيحوماً » ، وفضله أكبه [illegible] ، والعسر [illegible] كتابه هذا « تحت راية الإسلام »

بل إنه يخطر له أن يؤدي ويظل في حربه عسكرية فقد قال المسيحيون[1] عنه : « زنديق مارق من الدين وكافر يجب حرمانه » وأعجب المسلمون « بل هو دجال متعصب يخون هذا الغرض بعد حتى إذا ظفر به نكص على عقبيه » ، ولكنه ظلم كثيراً من المسيحيين والمسلمين بقوله هذا ، لأن المسيحي العاقل الفاضل يعذره ولا يكفره ، إذ لا يجتمع عقل سليم وتعصب ذميم ، والتعصب يحول بين المرء والصواب في كل زمان ومكان . وأما المسلم الذي يعرف ما لقيه المؤلف في سبيل عقيدته الحرة من ضروب الأذى ، فإنه لا يقول لمثل خليل جمعة الطوال متعصب دجال ؛

إن دين الله السماوي واحد ، وكالمطر حين ينزل من السماء واحد ، وعصارته الكيميائية واحدة ، وإذا ما بعدت النصرانية عاصرة من الإسلام بكثير مما دخلها من التزييفات الكنسية ، كما أن الماء [illegible] صافياً [illegible] ، وكلما ازداد اتصالاً بالأرض [illegible] حسب على صفائه بمقدار ذلك ونماؤه ، والمؤلف مع اعتقاده بمحاسن الإسلام وسمو دعوته العامة لا يزال يعتقد بالنصرانية الأولى ولا يرى تناقضاً في الدينين ، لأن الإسلام كما قال السيد جمال الدين الأفغاني نصرانية وزيادة ، ولذلك يقول في كتابه (تحت راية الإسلام) ما نصه : « إن اعتقادي المسيحية في منطقي لا يمنعني ألبتة من أن أعتقدها في منطق غيري » ، ويقول في موطن آخر معترفاً بأن محمداً لم يرسل إلا رحمة للعالمين [illegible] النصرانية [illegible] وكل البشرية الناقصة ، وحب الإنسانية [illegible] ، فمن لم يحمده من طريق الدين الذي أظهره ، أحمده من طريق الأدب الذي ظهر به ، ومن لم يحمده من طريق الإسلام الذي وضع مبادئه ، حمده من طريق التحضير العربي المجيد الذي أعلى مكانه ، ورفع [illegible] في كل [illegible] » .

فالأستاذ خليل جمعة الطوال الذي شرح الله للإسلام صدره لا يزال في قومه الناس هنا من يكتم إيمانه ، وإن صدق حبه النبي محمد وأحب [illegible] ، وبين الناس في كتابه حسن دعوته وفضله

« دمشق » [illegible] الشرقي

(1) ما بين القوسين من كلام المؤلف

7me Année No 330

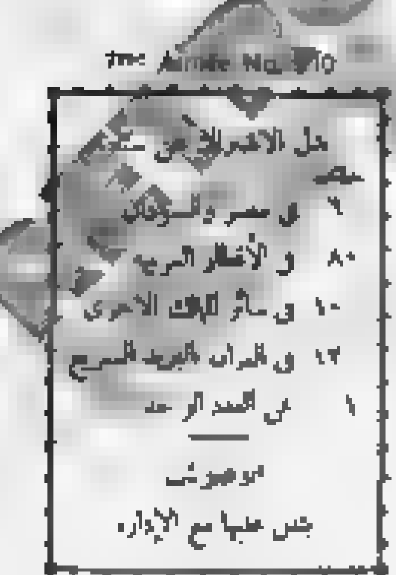

ثمن الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

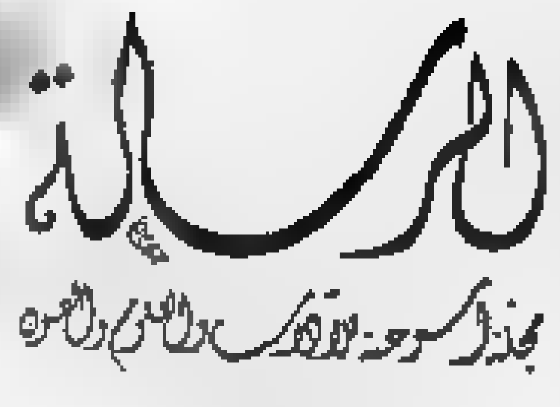

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 30 - 10 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة — العدد ٣٣٠ — «القاهرة في يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٩»

الفهرس

صفحة

وزارة الشئون الاجتماعية

الجهل ...

١

ذلك هو العنوان الأول من العناوين الثلاثة التي اقترحنا في العدد الماضي من الرسالة أن يتألف منها الدستور الإصلاحي لوزارة الشئون الاجتماعية؛ وهي الجهل والفقر والمرض ... وهي كما يظهر لأول نظرة علة العلل في اضطراب الأسرة وفساد البيئة، وفساد المجتمع ... ومن الرأي العام ... هذه الوزارة بالعمل إلى أن تمحو الأمية وتصلح الحالة ... أن تقوي ضعيفهم، وتكسب فقيرا، وتشبع جائعهم؛ وإذن ... من الإصلاح ... كل امرئ على نفسه في تدبير عيشه من طريق الكفاية فلا يكون فقر؛ وفي علاج بدنه من طريق الوقاية فلا يكون مرض؛ وفي تهذيب خلقه من طريق الهداية فلا يكون شر ... ذلك إلى أن الشعب متى أدرك القدر المشترك من المعرفة قوي عقله فيصل ... ويصح رأيه فينتخب ... ؟ ... المعرفة تكثر فروع الإنتاج، وبحرية الرأي تثبت أصول الديمقراطية.

ولكن كيف تستطيع وزارة الشئون الاجتماعية أن تساهم في نشر المعرفة ... على مدى قريب منها وزارة المعارف ...

الصحية وحصتنا الضخمة ومدارسنا المختلفة الدرجات والثقافات، ورجالنا المتصدين للألقاب والشهادات؟ فهل يسوغ في العقل أن تمر بهذه الوزارة النبيلة الفتية في مصر ست عشرة سنة ويبقى من لا يعرف حروف الهجاء ولا يدرى أن الأموات هم أم الأحياء؟

الواقع الذى يعترف به التقرير الرسمى أن التعليم الحكومى والأهلى، والديني والمدنى، والوطنى والأجنبي، لم يستطع أن ينزل بالأمية في مصر — وهو مطلق عشرين وخمس ثلاث قرات — إلا عن ٧٠ ٪ من الذكور و ٩٠ ٪ من الإناث. ومن الأمية لا بحث لهم! ولكني أسلم بأن هؤلاء غدوا من نظرائهم أولئك بإدراك معنى الإنسانية على نحو معقول، فأين من ذلك معنى الثقافة ومن سواد الأمة ومعنى الدولة ومعنى الإنتاج؟ إن تثقيف وزارة المعارف لا يشمل كل الصغار لأن قانون التعليم الإجبارى لم يشرع، ولا يشمل كل الكبار لأن قانون التربية لا يجيز؛ فلا يبقى إلا الذين أفلتوا من التقييد أو شردوا من الطريق إلا وزارة الشؤون الاجتماعية! فهى وحدها التى تستطيع أن تسير الزرع والصناع والعمال والخدام والباعة من كل سن وفى كل مكان وعلى أى حالة.

* * *

أما كيف تنهض وزارتنا الفتية بإزاء هذه الخطة فسبيله التعهد بإنشاء المدارس الشعبية الليلية في معاهد المدن وساحات القرى، وحشد العامة إليها عن طريق الإغراء المادي والإكراه غير المباشر، كأن يرصد للمتمرنين والمتفوقين جوائز مالية، وأن يشترط على طلاب الرخص لعمل أو الصنعة أن يلموا بالقراءة والكتابة؛ ولسنا بصدد التفصيل فذلك عمل له وقته وأهله.

هذه المعاهد الليلية المبثوثة في أرجاء الوادى وأحيائه وأريافه ستكون — فضلاً عن محو الأمية — أداة مضمونة لنشر الإصلاح الاجتماعى في جهات الشعب وطبقاته المختلفة، فإن الوزارة تستطيع أن تعمل من كل فرد يتعلم فيه وقارئاً الأصوب وتعليمه وتهذيبها الذين يعاشرون بالمعاشرة فيها على تقوية الشعور وتهذيب العادات وتنظيم المعيشة وتدبير الصحة. وسيكون كل معهد من هذه المعاهد الشعبية وحدة اجتماعية يشرق منه النور والخير، في كل بيت وفى كل أسرة. فإذا كانت الوزارة تنشئ ثم تحسن وزنه، فلا عجب من أن نسمع من يجنى الرابطة والخلق القاصر فقد تقدر بمثل

الأمية في قليل من الزمن بكثير من الجهد! وإذا محت الأمية فقد أمحينا في الشعب خرد الجهل وموات الحس وسقم الضمير، وستحول الوزارة من أنها إلى تلال وأرض وقتل الضرورة التي تقضي على ما تبقى من رجال الدواوين وما عمل من ملل الوزارة؛ وجزاؤها أن الوزارة التى لا تقوم على العمل لا تنتج غير الأقوال. وربما كان ذلك علة ما نرى من نزوع هذه الوزارة في مناهجها الإصلاحية إلى الوسائل الكلامية حتى حدثت نفسها أن تنشئ لها مجلة تحمل ما علا من المقالات والمناقشات والقصائد والحكم والأمثال تكون كمجلة (المعارف) و (رسول الفلاح) و (المجلة الزراعية) و (الصناعة والتجارة) آلة فرعية لاستهلاك الورق والحبر في غير وجه ولا جدوى!

يا معالى الوزير، إن من الإنشاء مستقيم فلا يحتاج إلى إصلاح، وإن سيل الكلام دافق فلا يفتقر إلى رافد، وإن ميادين الناشئة مكتظة بالمجلات فلا تتسع إلى واحدة، وإن ما عند كثير من محترفى البلاغة لا يختلف عما عند الناس. فإذا ترك النظر في العمل وسعى للجهد والمال والوقت في استثمار الصحف وسيلان القلم! إن الذين يستطيعون أن يقرأوا المجلة الجديدة لا يستفيدون منها، والذين يحتاجون أن يقرأوها لا يستطيعون لأميتهم أن يستفيدوا منها. فأوسع القارئ قبل أن توسع المجلة! وإعداد القارئ هو الميدان الأول لجهاد الوزارة؛ فإذا انتصرت فيه فقد مكنت النصر للوزارة في سائر الميادين.

على أن تثقيف الشعب عن طريق التعليم في هذه المدارس الشعبية لا يكلف الحكومة أكثر مما يكلفها القرش الفوضوي أو تجمع تنظيمه العربية، والخير الذى تصيبه الأمة من وراء هذه الكتاتيب المتواضعة لا يجوز أن يوازن به عمل لا يزال صلاحه في ذاته أمراً مشكوكاً فيه!

* * *

هذا بعض ما يحسن تحت عنوان (الجليل) أجعله في هذه الأسطر لمعالى الوزير في سبيل التفكير فيه، ومن طلعنا أننا سنجد في حوليا غده أبوابا للعمل ووسائل للإصلاح تغني عن المشروعات المعسرة التي تقلعها من الخيالى، والموسوعات الرعية التى نابعة من الصحف.

أحمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ٢٠ —

من كلام الحكماء: «نعوذ بالله من الحديث المعاد»

وإنما استعاذ الحكماء من الحديث المعاد لأنه شاهدٌ على انعدام القدرة على الابتكار والابتداع والخلق والإنشاء، ولأنه يدل على استهانة المتكلم بأقدار من يخاطب من الرجال، ولأنه يشهد بأن صاحبه قد لا يعي ما يقول

وصديقنا القديم الأستاذ أحمد أمين مُوكَلٌ بالحديث المعاد ينقله من جيل إلى جيل ومن جيل إلى جيل، وقد صح به كله أحد النقاد القدماء في سعيد بن حميد

«لو قيل لكلام سعيد وشعره: ارجع إلى أهلك لما بقي معه منه شيء»

وكذلك نقول في كلام أحمد أمين، فلو دعونا مقالاته ومؤلفاته إلى الرجوع إلى أهلها لما بقي منه شيء!

وما ظنكم برجل يتوهم أن القراء في الأقطار العربية هم جميعاً أبناء الأمس، وما فيهم قارئٌ واحد سمع من أخبار الأدب والمجتمع غير ما يحدث به أحمد أمين؟

وإليكم هذا الشاهد

كان المرحوم الشيخ محمد المهدي يلقي محاضرة منذ خمس وعشرين سنة عن تطور المجتمع المصري، وقد نص في تلك المحاضرة على الخطأ الذي ارتكبته مصر حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين: شعبة دينية وشعبة مدنية، وقال: إن هذا يعرِّض مصر لشهود الصراع بين طائفتين تختلف مذاهبهم أشد الاختلاف

وقد حضرتُ هذه المحاضرة وحضرها الأستاذ أحمد أمين، فهل تعرفون ما الذي وقع؟

وقع أن الأستاذ أحمد أمين فهم أن الشيخ المهدي مات منذ أكثر من عشر سنين، وأن الذين حضروا تلك المحاضرة معه منذ خمس وعشرين سنة قد أنستهم الأيام ما تحمل تلك المحاضرة من آراء

وكذلك أمسك القلم والدواة والقرطاس ليحدث قراء (الثقافة) بأن مصر ارتكبت جرماً عظيماً حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين: شعبة دينية وشعبة مدنية، وأن هذا عرَّض المجتمع المصري لشهود الصراع بين طائفتين تختلف مذاهبهم أشد الاختلاف

وكيف قال هذا الكلام؟ قاله وهو يوهم القراء أنه من المبتكرات في عالم الاجتماع!

ولم يكن الشيخ المهدي أول من قال ذلك الكلام الذي سرقه أحمد أمين، فقد سبقه المغفور له علي باشا مبارك إلى هذه الفكرة منذ أكثر من سبعين سنة، وعلى أساس هذه الفكرة أنشأ مدرسة دار العلوم ليخلق جيلاً يجمع بين الثقافة الدينية والمدنية ويكون أساساً لتطور العقول

وهذه الفكرة عرض لها الكُتّاب بالنقد والشرح مرات كثيرة في مدى أعوام طوال، وعرض لها المنفلوطي في (النظرات) ببعض التفصيل، وإن كان ساقها في سياق آخر هو التفاخر بين الأزهريين وأبناء الثقافة المدنية

من حق أحمد أمين أن يلخص كلام من سبقوه ليطلع عليه شبان هذا الجيل

ولكن هل راعى الأمانة العلمية وهو أستاذ محترم؟

هل رجع كل كلام إلى قائله كما يصنع أساتذة الجامعات؟

لم يصنع شيئاً من ذلك، وإنما أسهب ما أسهب، ثم واجه القراء وهو مزهوٌّ مختال، كأنه صار بالفعل من أهل الابتكار في المبادئ الأدبية والاجتماعية!

* * *

قد يقال: وأين هذا الكلام من الموضوع الأصيل؟

وأجيب بأني أريد أن أبين أن أغلاط أحمد أمين لم تكن أغلاط الرجل المجتهد، وإنما هي أغلاط مفهومة معروفة ليس فيها من جديد غير عرضها بحبر جديد في ورق جديد!

وإليكم بيان الحديث

بنى أحمد أمين حربه للفكر المتكرر وقال: إن الأدب الجاهلي جنى على الأدب العربي حين فرض عليه ما عرف به الجاهليون من ألفاظ وأخيلة وتشابيه وتقاليد وأوزان

وهذه الفكرة خطأ في خطأ، وهي نقلها عن بعض الكتاب الذين تكلموا في النقد الأدبي بلا زاد من المعارف الأدبية، وبلا سناد من فهم التطور الذي شهده العرب في ميدان المذاهب الأدبية

وتاريخ الأدب في مصر وفي غير مصر أنه صريح في كل وثب لقادة الأدباء، فكل عاقل يجزم أن من حقه أن يقرأ الشعر والنثر ويرى الخبير بأسرار المذاهب الشعرية والنثرية، وأن يوازن بين الشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين بعد أن تتيح له المقادير أن يفرق بين المنظوم والمنثور، وبين الخطاب والكتاب، وبين الألف والباء

وهل كان من الصحيح أن الأدب الجاهلي جنى على الأدب العربي في العصور الإسلامية؟

إن العرب عقلوا من تبعة الأدب الجاهلي منذ أول يوم وجهوا فيه إلى الاتصال بغيرهم من الممالك والشعوب

ويقول المتحذلقون في الأدب إن أبا نواس كان أول من ثار على التقاليد الجاهلية، وهذا غير صحيح، وإن سار مع الفكرة الشائعة عند بعض أساتذة كلية الآداب

والصحيح أن الثورة على التقاليد الجاهلية في الأشعار والرسائل سبقت عهد أبي نواس ومن بعده، ولهذه الثورة شواهد في العصر الأموي [illegible] ذلك أو حين يتطلع الأستاذ أحمد أمين الذي خرج [illegible] والذي [illegible] على الأستاذ [illegible]

تلك نبذة عن أحمد أمين غلب الاطلاع على تاريخ الأدب العربي، فلو كان من المطلعين لعرف أن العرب بعد الإسلام أعلنوا ثورتهم على التقاليد الجاهلية، وصرحوا بأن الأدب يتأثر بالزمان والمكان، وأن أخيلة سكان الحواضر يجب أن تختلف عن أخيلة سكان البوادي، وأن من يعيش في مصر له أذواق تخالف أذواق من يعيش في الحجاز أو العراق أو الشام أو المغرب أو فارس أو الهند

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن من العرب في القرن الثالث من صرح بأحكام يعجز عن التصريح بها من يعيشون في هذه الأيام

هل نسيت أن هناك من كتاب القرن الثالث من قال بأنه لا يجوز أن يحاكي القرآن في جميع التعابير؟

وهل في الدنيا جرأة أعظم من جرأة [illegible] يقولون في زمن شباب الإسلام [illegible] من بعض التقاليد [illegible]

وهل يجوز القول بأن من جاز عندهم الخروج عن الأساليب القرآنية يصعب عليهم الثورة على التقاليد الجاهلية؟

أنظروا كيف يقول ابن المدبر في «الرسالة العذراء»:

«واعلم أنه لا يجوز في الرسائل ما أتى في آي القرآن من الإيصال والحذف، ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص، لأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه. والرسائل إنما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب. وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس، فإنه إن ذهب إلى مثل قوله تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) ومثل قوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) احتاج أن يبين أن معناه (واسأل أهل القرية وأهل العير) و(بل مكركم بالليل والنهار) ومثله في القرآن كثير»(1)

فما معنى هذا الكلام؟

معناه أن العرب فهموا أن القرآن وهو تنزيل من حكيم حميد راعى مقتضى العصر الذي نزل فيه فخاطب الناس بما يفهمون، وأنه حين يتغير الناس بتغير الزمن لا يجب أن نخاطبهم بالأسلوب الذي استجازه القرآن، لأنه نزل على قوم يدركون الحذف والإيصال ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص

فهل يصح أن يكون الأدب الجاهلي أقدس عندهم من القرآن؟

وهل يجوز اتهام العقلية العربية بالجمود والخمود لتصح أوهام أحمد أمين؟

أنا أتحدى أي باحث أن يثبت أن العرب لم يدركوا ما يوجبه اختلاف الزمان والمكان في تلوين الصور والأفكار والأساليب

أتحدى أي باحث أن يقيم الدليل على أن العرب التزموا محاكاة التعابير القرآنية والنبوية

وكيف فات أحمد أمين أن العرب لم يلتزموا وحدة الوزن والقافية على نحو ما التزم الجاهليون؟

ألم تصل إليه أخبار التجديد والتنويع في القوافي والأوزان عند أهل المشرق وأهل المغرب؟

ألم تصل إليه أخبار الموشحات والأزجال؟

---

(1) الرسالة العذراء ص ١٨ طبعة زكي مبارك

ألم يسمع بما دخل في الشعر العربي من الأخيلة الفارسية والمصرية والأندلسية ؟

ألم يحدثه أحد بأن الذوق الأدبي عند مهيار الديلمي يخالف الذوق الأدبي عند الشريف الرضي ؟

ألم يعلم بأن عمارة اليمني له مذاهب في القول تخالف مذاهب ابن عنين ؟

ألم يقرأ ما كتب أبو الحسن الجرجاني في اختلاف الأذواق باختلاف الوجوه والطباع ؟

ألم تحدثه كتب الفقه بأن الشافعي تغيرت مذاهبه التشريعية بالتردد بين الحجاز ومصر والعراق ؟

ألم يسمع بأن علماء البلاغة في مصر لهم مسالك تخالف مسالك أمثالهم في فارس ؟

ألم يصل إليه القول بأن كتاب الإحياء له ألوان مختلفات بسبب تنقل المؤلف من أرض إلى أرض ؟

ألم يشهد تطور الأسلوب عند ابن عربي في الفتوحات المكية بسبب اختلاف موطن التأليف ؟

ألم ير بأن شعراء اليتيمة تختلف أذواقهم باختلاف البلاد ؟

ألم يدرك أن أشعار البهاء زهير لها معان غير معاني أشعار ابن زيدون ؟ ألم يحس الخشونة والنعومة في شعر ابن الجهم بين البادية وبغداد ؟

وهل بقي أحمد أمين على حال واحد حتى يبقى الناس جميعاً على حال واحد ؟

إن أحمد أمين القاضي الشرعي كانت له مسالك في الحكم على الأشياء تخالف مسالك أحمد أمين الأستاذ في كلية الآداب

فكيف يقال إن الشاعر الذي يعيش في الأندلس أو في فارس لا يزال خاضعاً لأذواق أسلافه القدماء في الحجاز أو العراق ؟

إن أذواق أهل العلم في البلد الواحد تختلف باختلاف المعهد الذي يتخرجون فيه ، مع وحدة الزمان ، ومع تقارب المشارب والميول . فالمتخرج في الأزهر غير المتخرج في دار العلوم وغير المتخرج في كلية الآداب . وقد كان معروفاً عند أهل مصر أن المتخرج في الأزهر غير المتخرج في الجامع الأحمدي مع التقارب الشديد فيما يتصل بما هنالك من المعارف الدينية واللغوية . وأهل فرنسا يعرفون أن المتخرج في جامعة باريس غير المتخرج في جامعة ليون .

وإنما كان الأمر كذلك لأن اختلاف العقل يؤدي إلى اختلاف الأذواق حتى صح القول بأن الأدب الإنجليزي في انجلترا يبعد بعض البعد أو كل البعد عن الأدب الإنجليزي في أمريكا ، وكذلك يقال في الأدب الفرنسي حين يصدر من أرض فرنسا أو بلجيكا أو سويسرا

فكيف يمكن أن يحرم العرب الخروج عن هذا القانون الذي فرضته طبيعة الوجود على سائر الناس

وهل يجوز في ذهن عاقل أن تكون جيمية ابن الرومي نسخة ثانية من جيمية الشاعر لوصف القاهرة ؟

وهل يصح أن تكون دالية حافظ ابراهيم في رثاء محمد عبده صورة من دالية دعبل في التوجع لأهل البيت بحجة الاتفاق في الوزن والقافية ؟

إن أحمد أمين ينظر في ديوان جعفر وديوان إسماعيل صبري وسائر ما نشأ منهم في العراق والأوطان فيحكم بأن الشعر لم ينتقل من حال إلى حال ، وإن اختلفت الأماكن والأجيال

ولو نظر غيره هذه النظرة لقلنا إنه يحكم أحكاماً حاسمة ، ودعوناه إلى الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية

من واجب أحمد أمين أن يفهم أن أساتذة الجامعات لا يصح لهم الوقوف عند ظواهر الأشياء ، فأقل صفة لرجل الجامعة أن يكون في إحساسه كالشاعر الذي قال :

أسمع في قلبي دبيب المنى ... وألمح الشبهة في خاطري

وأحمد أمين أستاذ في كلية الآداب ، وهي كلية على جانب عظيم من الكبرياء ، ومن دأبها الاعتراف بأن معهد يشاركها في هذه البلاد ، ولا تنظر إلى سائر المعاهد الأدبية إلا بعين الاستخفاف

والعزة التي صارت إليها كلية الآداب بفضل جهود أساتذتها الكبار من المصريين والأجانب توجب على الأستاذ أحمد أمين أن ينظر في كل كلمة يكتبها خمسين مرة قبل أن يعرضها على الناس

فأين كان حرصه على مكانة تلك الكلية يوم زعم أن الأدب العربي لم يتطور قط ، وأن الأدب الجاهلي ظل يستمر حينه من عصر إلى عصر حتى جنى مواهب أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ؟

* * *

وهنا يتسع الجدال لعرض سرقة جديدة من سرقات أحمد أمين فهل يعرف هذا الباحث الكبير من أين أخذ القول بأنه يجب أن نضع القتبة مكان الفرس ؟

لقد سرني هذه الفكرة من باحث لا أتعرض باسمه إلا وأنا كاره لأني أغضبه أشد الغضب وقد أرجع إليه بعد أيام أو بعد أسابيع

هذا الباحث هو الدكتور طه حسين الذي عرف الجمهود بالأستاذ أحمد أمين

ولكن متى قال الدكتور طه هذا الكلام ؟

إن أحمد أمين يظن أن ذاكرة الناس ضعفت كل الضعف ، وأنه لم يبق في مصر أو غير مصر من يذكر مقالة نشرت منذ عام أو عامين ، فكيف يذكرون مقالة نشرت منذ أكثر من عشر سنين ؟

فما هي تلك المقالة ؟

هي مقالة الدكتور طه حسين في نقد بائية شوقي في يوم (سقاريا) التي عارض بها بائية أبي تمام في يوم (عمورية) ، ومطلع بائية شوقي ذات المطلع

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وقد نص الدكتور طه في تلك المقالة على أن شوقي استعمل في وصف حرب الترك اليونانية ألفاظاً وتعابير كانت تصلح للحروب القديمة ، ولكنها غريبة عند القارئين في العصر الحديث

أنكر الدكتور على شوقي أن يقول في خطاب مصطفى كمال

تغشّيهم مُرّة الأفواج مسرعة

يمشي أسد الشرى في البيض واليلب

وأن يقول في صنع الجنود الأتراك

وخاطبي سيوف الهند الحسام والمكاتيب أطراف القنا السلب

وكان حجة الدكتور طه أن « أسد الشرى » عبارة عتيقة لا يصح أن تقال للترك ، وأن « البيض واليلب وأطراف القنا السلب » صارت أثراً من آثار الأدوات الحربية في هذه الأيام

وقد نافس شوقي بهذا النقد أشد التنافس لأنه في ظاهره لا يخلو من وجه، ودعاني إلى الرد على الدكتور طه حسين ولكني اعتذرت لأسباب أدبية لا يتسع لشرحها المقام ، ولعلي كنت أحرص على مجاملة الدكتور طه في ذلك الحين

ومقالة الدكتور طه في نقد بائية شوقي مشهورة جداً ، ولكن عند من ؟

عند الذين كانوا يتابعون الحياة الأدبية أيام الفتنة بين السعديين والدستوريين والاتحاديين ، وهي مقالة نشرت في جريدة يومية كانت قبلة الجمهور وهي جريدة الأهرام ، ولكنها كانت

على كل حال مما يطلع عليه الأستاذ أحمد أمين

فهل يظن أحمد أمين هذا ذاكرة الرجال ؟

هل يزعم أن النقد الأدبي قد انعدم في مصر وأنه لا يوجد في هذه البلاد من يذكر تطور الآراء النقدية من حال إلى أحوال ؟

يجب أن يعرف جيداً أننا سنحصي عليه كلمات قليلة ، وسنردها بعد كل خطرة إلى مصادرها وما جمع ، فلا يغتر ولا يختال بترديد الحديث المعاد ، فهل يقرأ هذا الكلام بعض من كتبهم أن يهجم على الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الذين فتنتهم صداقة أحمد أمين لم يكونوا يعرفون أنه ينهب آراء المعاصرين ومن المعاصرين بلا حسيب ولا رقيب ، ولم يكن يدور في خواطرهم أن هذا الرجل له سطوات على الكتب والمقالات يأخذ منها ما يشاء بلا رفق ولا استبقاء

قد يقال : وما خطر هذه السرقات ؟ وما العيب في أن يسرق أحمد أمين كلام طه حسين ؟

والجواب يجلّ الناس عن السرقات بشرح تطور الأفكار الأدبية ، وذلك مما يعني بالتعيين

وسيري في المقال المقبل سرقات أعجب وأغرب ، ومن الله وحده ننتظر حسن الجزاء على هذا الجهاد

زكي مبارك

على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الإنساني

للأستاذ توفيق الطويل

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

منها في معرض الكلام إلى أن العلم قد استهدف الأغراض في أكثر مراحل حياته ، فعاش في خدمة الإنسان على مطالب حياته المادية ، أو يستجيب لنداء عقيدته الدينية ، وأقام على هذا الاستعباد طول عمره ، إذا استثنيت مرحلتين من حياته تحرر فيهما من ذل الأغراض : عهد اليونان ، والفترة الأخيرة من عصرنا الحديث . وقد أشرنا مع أسفنا إلى الروابط التي أحدث بفضلها المحدثون من العلماء بين العلوم الطبيعية والفنون الحية [illegible] فكان علينا إذا رجعنا في الحديث عن صلة العلم بالكمال الإنساني أن نتناوله عند « بيكون » أبي العلم الحديث ، ورب الدعوة إلى تسخيره لصالح الإنسان

٢ — الكمال عند بيكون

تمرد رجال النهضة على العصور الوسطى ، وأخيرا يحدثون — من قبلها — حركة الإصلاح الديني ، وحطموا بها الكنيسة وسلطانها الذي هيمن به على قلوب الناس وعقولهم أجيالاً طوالاً وسار في موكبهم جوردانو [illegible] العلم الطبيعي يتقدمهم رجال الفلك ، من كوبرنيكوس وتيخو براهي وغاليليو وكبلر ، وشغلوا الناس في عهد الاكتشاف ، ومكنتهم الآلات التي اخترعوها من الكشف عن كثير من أخطائهم ، وبذلك هتكوا حجبهم ، وحطموا معاقلهم وأطلقوا طلاب العلم أحراراً كبار الناس ، ومهدت هذه الحركات لظهور « بيكون » في أواخر القرن السادس عشر ، فتقدم بعقله الواسع وقلمه السيال ، للانضمام إلى موكب الثائرين ، وساهم بأوفر نصيب في تحطيم الفلسفة القديمة التي شاعت عند المدرسيين ، وهدم القياس الذي استمدوه من أرسطو ليحل مكانه منطقاً قائماً على الاستقراء ، فوضع بذلك أساس المنهج التجريبي ، ودعا العلم في عصره الحديث إلى جانب [illegible] ثم إلى تطهير العقل من الأوهام التي تعرقل [illegible] بالإكثار من جمع المشاهدات وإعداد لوائح لكل منها ، وربطها بعضها ببعض ، واستنباط العلل الكامنة وراءها ، وتسجيل النتائج التي يهتدي إليها العلماء لخدمة المجتمع ، وتوفير أسباب الكمال لأفراده . وهو يربط بذلك بين العلم والكمال الإنساني وصور هذه الفكرة في كتاب صاغه هذا الإنكليزي من الأرض [illegible] مدينة ملحوظاً ذلك هو New Atlantis الذي صور فيه مجتمعاً مثالياً — على نمط جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابي — وتوافرت في مجتمعه أسباب الكمال ، وتهيأت لأفراده ألوان النعيم . وأظهر ما في هذا المجتمع الذي يعنينا في مقالنا « بيت سليمان » وهو يشبه المؤسسات العلمية التي تقام في عصرنا الحاضر للسهر على تقدم العلم وإنهاضه ، وقد حصر الغرض الذي يرمي إليه هذا البيت بالكشف عن أسباب الظواهر والاهتداء إلى علل الأشياء ، والتمكين لسلطان الإنسان حتى يتيسر له القيام بكل عمل ممكن ، ووضع تحت تصرفه أدوات للعمل لإجراء التجارب في مختلف فروع العلم من طب وطبيعة وصناعة وزراعة . وأقيمت المراصد ورتبت للظواهر الجوية ، وعمرت البرك والحدائق لتربية الأسماك وسائر الأحياء المائية . ولما كان بيكون شديد الشغف بالإكثار من جمع المشاهدات والإسراف في عمل التجارب رغبة في تمكين البحث ، وعدم التسرع في استنباط القوانين العامة من الجزئيات القليلة ، فقد رأى أن يرفد بيت سليمان نفر من العلماء بين الحين والحين ، يجوبون البلاد الأجنبية ، ويرتادون الآفاق النائية في طلب المشاهدات ، وجمع الكتب وكتابة التقارير عما يصادفهم من ضروب الظواهر ، وبذلك يرقى العلم وييسر لأصحابه أن يبصروا الطبيعة على وجهها الصحيح لا اقتصار على [illegible] وبذلك تبسط سلطانهم على ظواهرها ، واستغلال مواردها في الانتفاع بها والإفادة من مواردها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وبذلك يرقى المجتمع وينهض أفراده . وقد جرت هذه العصور إلى أن يشكل حكم الاحتساب إلى العلماء والفلاسفة الذين لا يجمعون بالاطلاع على ما عرفوه بطون الكتب ، ودعا أولي جهودهم سطر الطبيعة يستنطقوا منها المشاهدات وذلك لاستغلال

يصحبهم لها في رغبة المجتمع والعمل على تطويره إلى الكمال

تلك صورة مصغرة لهذا المجتمع المثالي الذي يتحقق فيه الكمال الإنساني كما رآه «بيكون». ولم يكن هذا التصور غريباً على العصر الذي دوّنت فيه هذه الصحيفة، فقد شخصت فيه أنظار أهل العلم والأدب وطمحت إلى الطبيعة، وراح كل يسير حسب طريقته في حدود منهجه، واعتصم العلم بالسيطرة على طبيعتها أملاً في استغلال مواردها واتقاء شرورها، وملء الحياة الإنسانية بالخير والهناءة. وقد تساءل «كامبانيلا» — معاصر «بيكون» — في مدينته المثالية عن موقف الإنسان المجدد من الدين، وانتهى إلى القول بأن مخترعات العلم الحديث ستغير العالم وتنعمهم، وتنجيهم من الرجس والعبء، وتملكهم مفاتيح الطبيعة، وتملأ حياتهم بالسعادة.

تلك هي النزعة التي شاعت في أوربا أواخر عصر النهضة، وهي قائمة على الأمل الباسم في قدرة العلم على تحقيق السعادة للناس. وقد مكّن لهذه النزعة «بيكون» في مستهل القرن السابع عشر، ودفعها إلى العصور الحديثة، فانطلقت لأنها تمس حقيقة حتى حاجت في العلم آمال الناس، وتحرر العقل من كل الأمراض — على نحو ما عرضنا في مقالنا السالف.

والآن وبعد أن قطع العلم هذه المراحل الطويلة في تحقيق الغاية التي كان يرجوها «بيكون» وأشياعه، يحق لنا وقد اتسعت آفاق العلم واتسع العلم يقدم لنا [illegible] أن نتساءل عن مدى ما حققه العلم من الكمال، ومبلغ ما أسبغه على الناس من نعم. وليس هذا السؤال بجديد في تاريخ الفكر، فكثيراً ما تردد في أبحاث الأدباء والفلاسفة، واختلفت في الإجابة عنه وجهات النظر. ولقد ذهب بعض الذين تعرضوا للبحث في هذا الموضوع إلى الشك في العلم وما يترتب عليه من ألوان الحضارة والمدنية، والدعوة إلى العيش على مقتضى الإلهام الطبيعي السعيد، وقد تزعم هذه النزعة في القرن الثامن عشر «جان جاك روسو»، ولم يقتصر هجومه على العلوم الطبيعية وحدها، وإنما تجاوز آثارها إلى الشك في العلم بأوسع معانيه، فشملت ثورته الأدب والفنون كذلك، فلنعرض … في إيجاز — هذه الثورة التي كان يرى فيها تحقيقاً لسعادة الناس، ونعرض بين آرائه وآراء «بيكون» صورة صحيحة للتقابل.

١ — السعادة عند روسو

مات لويس الرابع عشر فانتهت معه الملكية المطلقة القاهرة في فرنسا، واستأنف من كان بالأمس … ؛ فأطلقوا ألسنتهم من عقالها، واستعاد الكتّاب والشعراء حريتهم، وتأهبوا للتطلع … الإيمان الديني الذي جاهد أسلافهم لتدعيمه … إلى الشك الذي … وشاعت اللادينية في فرنسا، وكانت تعاني من حروب أنقضت ظهرها، ومآزق أحرجت صدرها، ورزحت فيه من كيانها مظهر غرور الملك، واستعر سلطان الكنيسة، ومال المفكرون إلى تمجيد العقل، يسلطون الحرية على كل قديم. وفي هذا الجو نشأ «جان جاك روسو» شريداً تائهاً، مسرفاً في حياته، لا يحسن عشرة الناس ولا يألف المجتمع، يعشق الطبيعة ويجد في رحابها مسرحاً لخياله المرتقب. لم يوهب العقل الثاقب المنظم، ولكنه أوتي القدرة على التعبير المؤثر بالقوة والحرارة والإيمان، فتصب عنه ثورة الإلحاد بالشك في العقل والمدنية وتمجيد القلب والفطرة، بعد أن أسس «بركلي» في نصرة الإيمان الديني بإنكار المادة، والاقتصار على الاعتراف بوجود العقل — أو الروح — وتهيأت له فرصة الإعلان عن رأيه، حين طرحت أكاديمية «ديجون» على الكتاب مسابقة عن أثر العلوم والفنون في صلاح الأخلاق أو فسادها، فتقدم «روسو» للاشتراك فيها، وقد وطن العزم على الطعن في العلوم والفنون، وبيان ما يترتب على انتشارها من سيئ الآثار، وإليك بعد ذلك أيها القارئ الكريم خلاصة رأيه.

تحدث «روسو» عن الرجل البدائي الذي يعيش في أحضان الطبيعة، … ، قانعاً بحياته، مسترسلاً على فطرته وطبيعته، ثم قرنه برجل المدنية المغرور بعلمه، المزهوّ بحضارته، الغارق في حياته المترفة، وانتهى من هذه المقارنة بترجيح الأول على الثاني، مؤيداً رأيه بأمثلة من تاريخ المصريين واليونان وغيرهم. فمصر المجيدة التي كانت مدرسة الدنيا بأسرها، ما كادت تصبح أم العلوم والفنون، حتى أغار عليها … ، وأصابها اليونان والرومان والعرب والأتراك على التوالي، … إلى الهوان على … من علم وفن. وكذلك يقال في غيرها من كبرى الأمم، والتاريخ شاهد

عقل عن عقل ما تشاء ، فتى نشأت الفلسفة تحورت الأخلاق ، وأتى على الفم احتفاق الترف ، وليس الرجل المفكر إلا حيواناً فسد مزاجه منافياً للطبيعة ، فالتفكر وكل ما أحدثه من ثروة نفسية واستعداد ، تمرد على نظام الفطرة ووحي الطبيعة ؛ ومن هنا نشأ شقاء بني الإنسان . فالإنسان الأول حرٌّ بطبيعته ، طيب بفطرته ، تابع ما وجد اللقمة التي يسد بها رمقه ، والمغارة التي يستتر بها بدنه ، والمرأة التي يقضي معها حاجته ، وحتى تنقضي حاجته ، عند انطفاء رغبته ، فإذا وضعت المرأة حملت طفلها بالرعاية كما تفعل أنثى الحيوان التي لا تعرف إلا بحكم الطبيعة الرحيمة ، فإذا شب الوليد في ظل هذه الرعاية الطبيعية استقل بحياته ، شأنه شأن سائر أنواع الحيوان ، وعاش متساوياً مع رفاقه يتبادلون الحب والوئام والإخاء ، لا يعرف أحد على أحد فضل جاه ولا مال ، وهكذا كانوا سعداء ، ثم تمردوا على نظام الطبيعة ، وخضعوا لإملاء العقل ، فأبعدتهم المدنية بعلومها وفنونها ، وسرعان ما طاردت النعيم الذي عاشوا في رحابه ، وسلبتهم باسم النظام ما كانوا يتمتعون به من ألوان الحرية ، وميزت بعضهم على بعض فخلقت منهم أغنياء وفقراء ، وسادة وعبيداً ، فكان هذا مبعث الشقاء وأصل الشرور .

ولقد كانت الإنسانية تنجو من جرائم المدنية وحروبها الطاحنة التي ارتكبت في سالف أيامها من جراء الملكية ، لو أن أول من أحاط قطعة أرض وقال : هذه ملكي — قد وجد رجلاً شهماً يتقدم إلى هذه الأرض فيحطم السياج الذي أحاط بها ، أو يردم الخندق الذي احتفر حولها ، ويصيح في قومه : أيها الناس حذار أن تصدقوا هذا الكذاب الأشر .

وما من دواء لهذا الداء إلا الرجوع إلى أحضان الطبيعة ، ورياضة القلب والإحساس على الفطرة وإهمال العقل وما يترتب عليه من ألوان العلوم ومظاهر المدنية والحضارة .

تلك صورة مختصرة للكمال الذي يحلم به « روسو » في القرن الثامن عشر ، وهي على خلاف ملحوظ مع الكمال الذي يحلم به « بيكون » في القرن السابع عشر . ويعنينا من هذا أن « روسو » يهاجم العقل وكل ما يترتب عليه من علم ومدنية ، ويرجو لو عاد الناس إلى حضن الطبيعة ، وعاشوا سعداء بما هم عليه من قناعة وجهالة . أما « بيكون » فيرى الكمال ماثلاً في إنسان قد ملكته قوى العقل وعاونه العلم على إخضاع الأرض والفضاء لسلطانه ، فأخضعه مستغلاً له لمصلحة المجتمع الإنساني وتحقيق السعادة لأبنائه ، في مدنية العقل الناجح في إخضاع الطبيعة للإنسان ، بكمال الكمال عند بيكون ، فأي المذهبين أبعد غلطاً أو أدنى إلى الصواب ؟

• **مناقشة روسو وبيكون**

يحق أن نعترف إنصافاً لروسو بأن آراءه قد صادفت هوى في نفوس قرائه ، وأنها نفذت إلى قلوب الكثيرين منهم وهيمنت على عواطفهم ، وكان لها أبلغ الأثر في قيام الثورة الفرنسية بعد ذلك ، وكان من آثارها أن تحرر الأدب من العقل وتحيز به نحو العاطفة ، وحمل السيدات في صالونات الأدب يسرفن في الغرام ظهوراً بما يدل على الشعور الرقيق والقلب الرحيم ، دون العقل الراجح والتفكير المتزن ، وربما كان هذا أثرها في انتعاش الشعور الديني عند الفرد .

ولكن آراء « روسو » مع هذا حافلة بالأخطاء — فما يطرح — والمثل الأعلى الذي ينشده عسير التحقيق ، وقد تحقق لو أقام الناس عليه طويلاً ، وعادوا إلى الهمجية رعاة أو كالرعاة ، فإن العقل من شأنه التفكير المتواصل ، وليس في وسع قوة في الأرض أن تمنع عقول الناس ، وتحرم نعمة التفكير دواماً ، وذلك وحده كفيل بتحقيق التطور الذي يرفع الإنسان من حالة الفطرة إلى مستوى المدنية ، وروسو يقاوم أموراً يتصل بعضها بما يترتب على الفرد من آثار ، يطلب محو الملكية ، والتزام القناعة ، وعدم التقيد بالحياة الزوجية بعينها ، ويزعم أن الناس بطبيعتهم أحرار أطهار ، وبنى على هذا الأساس الخاطئ تجاربه التي لا تزال اليوم بطلابها — كالعقد الاجتماعي مثلاً — تلك كلها أحلام عسيرة التحقيق ، وقد حلم ببعضها أفلاطون في جمهوريته ، وحسبنا أن نكشف عن ضعف نظره إلى علاقة الرجل بزوجته ، بتجربة روسيا كما نذكرها الآن ، فقد قال إن تجربة أجريت على طائفة من القردة لتبين معرفة نظام الزواج الراقي ومدى سلطانه على الطبيعة البشرية — كما أذكر الآن من أمر هذه التجربة — فحبست القردة ذكوراً وإناثاً ، وأتيح لها أن تعيش في مكان واحد ، فلوحظ بعد فترة من الزمن أن كل فرد قد اختار له أنثى بعينها ولزم عشرتها ،

ووقف القرود صفاً إزاء كل قرد يفكر في الاعتداء عليها ، وكذلك كان موقف الإناث من ذكورها مع فوارق بسيطة ، فانتهى الحال إلى ما يشبه النظام الذي شرعته الأديان وأقرته المذاهب .

وإذا صح هذا مع الحيوانات التي ذكرناها فأجدر به أن يكون صحيحاً مع بني الإنسان . ومثل هذا يقال في حب الأثرة التي خلعها على « روسو » وذلك – كما يلوح – أظهر الفوارق بينه وبين « بيكون » فإن الكمال الذي يحلم به « بيكون » سهل التحصيل ، وليس فيه مقاومة لغرائز الناس أو ما جرت عليها من آثار . .

ثم أي سعادة تلك التي يحاول أن يبشر بها الرجل المتوحش الذي يعيش على إملاء الطبيعة ووحي الفطرة ؟ إن « روسو » يعنى بما يتمتع به هذا الرجل من ألوان الحرية وسعة الطمأنينة ، ويبني على التحرر من القيود التي يكبل بها [illegible] النظام والمدنية ولكنه نسي أن هذا المتوحش يعيش في أسر دين ، تستعبده الأوهام ، وتعبده الخرافات ، ويرهبه الخوف من كل شيء حتى من نفسه ، ثم لا يشعر بعد هذا بالسعادة التي يحلم بها « روسو » حتى إذا عاش في حريتها ، ذلك لأن الشعور بالسعادة يتوفر لأصحابه إذا صحوا شعورين . أولهما سلبي وهو انتفاء الشعور بالشقاء وثانيهما إيجابي وهو الشعور بالسعادة . أما الحالة الوسطى التي يعيش فيها الرجل المتوحش ، فينتفي معها الشعور بالشقاء والسعادة معاً ، فإنها ليست من السعادة في كثير ولا قليل ، ومن هنا يظهر بطلان السعادة التي يبشر بها « روسو » ويعبر عنها « المتنبي » بقوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ذلك وجه الخطأ في مذهب [illegible] وما يترتب عليه من آثار أدبية ، والدعوة إلى الطبيعة وتوهم السعادة في ظلها . وقد وقع روسو في هذا الخطأ لأنه عاش في بيئة أنهكتها الأمراض والفتن ، بالإضافة إلى نشأته في عشرة الناس ، وعدم ملاءمة طبيعته للمجتمعات ، ولهذا أصاب في الحزم على أخطاء بيئته ، ولكنه أمعن في علاجها إمعاناً بيناً . ولعل « فولتير » كان على حق حين قال عندما قرأ كتابه : « لو أن الناس أصغوا لآرائه ، لسرهم أن يمشوا على أربع . . . . »

ولقد عاش بيكون في بيئة هادئة يسودها الاستقرار ، فرسم عالماً يشخص الهوى الذي يقتضيه ملائمه ، وقد يجد ما [illegible]

بيكون في تشخيص الهواء أو [illegible] وسكانها لا تعرف إلا الاعتراف بوجوده ، وقد [illegible] ثلاثة عشر عاماً ، وحققت الأيام الكثير من آماله ، فصحب العلم نجاحاً في أكثر الميادين ، وعرف الإنسان كيف يعالج الطبيعة ويتصل إلى معرفة أسرارها ويعرف السبل الكامنة وراء غوامضها والطرق التي تمكنه من استغلالها على كل وجه والانتفاع بها إلى أقصى حد ، فسخرها على ظهر الأرض وفي أعماق البحار وفي أجواز السماء ، وكاد يمحو المكان والزمان محواً على غير [illegible] . . . إنه يتحدث اليوم في مصر إلى صديق في أمريكا ، ويستطيع أن يشهد الحديث وهو جالس إلى مكتبه مع أصدقائه أو عملائه في أقصى بقاع الأرض طراً ، وذلك من السيادة الواضحة على الزمان والمكان .

ولكن هل حقق هذا كله شيئاً من سعادة الناس ؟ لقد أسفر عمل العلم عن اختراع الغازات السامة والقنابل المحرقة والمدافع العصرية والمواصلات المترفة ، وسائر وسائل التدمير والتخريب ، مما يسمع الناس صدى التهديد به في أيامنا الراهنة ، فتشهد قوائم ويهلك أصحابها وهم يبحثون عن حرية القتال . والظاهر أن « بيكون » لم يقدر هذه النتيجة الرهيبة ، فقد نسي من مظاهر التقدم في مدينته المثالية ، أن يتجنب الحروب ويتقي شرورها ، وذلك بألا ينتج إلا ما يستهلكه ، ولا يستهلك إلا ما ينتجه .

على أن هذه النتيجة التي انتهينا إليها من النظر في الأثر الذي يترتب على الدعوة إلى تقدم العلم ، قد رد عليها دعاته فقالوا إن العلم الذي اخترع ما [illegible] في غير صالح الإنسان هو نفسه الذي اخترع ما يقي الإنسان هذا الشر الطارئ . اخترع الغازات السامة وعلم الناس الأقنعة الواقية . اخترع الطائرات الحربية [illegible] وأعد المدافع المضادة لمقاومتها . ولكن أغنى للمجتمع [illegible] جديداً تولى وحده مقاومته ووقاية الناس من شروره ..

ولكن أصحيح أن المجتمع الإنساني قد أمن بهذا شر المخترعات الحديثة ؟ أصحيح أن الناس لا يجدون من يومهم في تحصينهم الطائرات الحربية بعد اليوم حصونه ؟ ذلك ما نجيب عنه وحسبنا

الحروب في وقتنا الحاضر؛ على أنا نقول إنصافاً للعلم وأهله إن ما نتصوره ضاراً بالمجتمع الإنساني قد يكون كثير النفع من نواح أخرى؛ وما نراه في الحروب عدواناً وحشياً يقضي فيه قضاء على النفوس البريئة والأموال الطائلة وحضارة الأجيال الماضية، قد يعتبر شراً لا بد منه تقتضيه حياتنا ومثلنا العليا ومن المفكرين الذين [illegible] المجتمع في تطوره إلى الكمال و[illegible] إلى الاستقلال من أمة [illegible] والسلام الدائم [illegible] من أجله [illegible] إلى [illegible] القوي على الضعيف عند بعض المفكرين [illegible] القوة أو [illegible] في الدين، وذلك بالإضافة إلى أن القتال في أصله غريزة لم [illegible] العلم وإنما اقتصر على [illegible] أثرها، فإن كان أثر العلم في وحشية الحروب [illegible] عنه بعض الفكر، فهو [illegible] عند غيرهم من المفكرين، لأنه يعجل بنهاية الحرب وينقذ الناس من شر أهوالها، بالإضافة إلى الويلات التي يكسبها الناس من وراء الحروب

على أن من الحق أن يحصر العلم [illegible] عدد الإصابات التي [illegible] ويكون يوم [illegible] مصالح الإنسان [illegible] العلم من [illegible] خطيرة يوم [illegible] من [illegible] كل البشر كما أسلفنا في مقالنا السالف

على أن من الخير أن نقرر في الصراحة [illegible] كمال الإنسان [illegible] لا [illegible] في آثار العلم والمدنية، ولا تقوم في أحضان الطبيعة والفطرة، ولكنها تسير في قلب الإنسان يحملها معه [illegible] ولا يستطيع أن يفارقها أو [illegible] بها [illegible] الزمان والمكان، وهي [illegible] عنه دائماً إن كان [illegible] طبيعي [illegible] أو أصغر منه [illegible] في [illegible] إلى الحياة، فمن الناس من [illegible] الفترة التي [illegible] من [illegible] الذي [illegible] شعوره بالسعادة، ومنهم من [illegible] من مباهج الحياة وأنواعها أسباب [illegible] والسعادة هي [illegible] أكثر الأسباب [illegible] لا [illegible] حياتهم على [illegible] يرد الشعور بالسعادة [illegible] على [illegible]

[illegible] لطفي

من بغداد ... إلى كركوك

وداع بغداد !

للأستاذ علي الطنطاوي

الوداع يا بغداد

يا بلد المنصور والرشيد، والمأمون وأحمد، والكرخي والجنيد، وأبي نواس والعباس، ومخارق وإسحق، ومطيع وحماد ...

يا منزل القراء والعلماء، والمحدثين والفقهاء، والزهاد والأتقياء، والمغنين والشعراء، والمجان والظرفاء ..

يا مثابة العلم والحق، والهوى والفسوق، والجد والهزل، والفضل والجهل — يا دنيا فيها من كل شيء

الوداع يا دار السلام، ويا موئل العربية، ويا قبة الإسلام

يا بلداً أحببته قبل أن أراه، وأحببته بعد ما رأيته

لقد عشت فيك زماناً من [illegible]، [illegible] منه على [illegible] الماضي يؤذن بالفراق، ولم أجد منه في يدي إلا قبض الذكرى

وهل تخلف الأحلام إلا الأسى والآلام ؟

ويكفي على ذلك [illegible] ... فالوداع يا بغداد وأهلي [illegible] الزمان !

* * *

ودعتها والصباح، [illegible] إلى المحطة تسلك إليها شوارع ذات سعة وجمال، [illegible] ([illegible]) يا ليالي الحب كلها أنس وحلاوة، ولكن [illegible] وحشة الوحشة وصباح الفراق ومأتم الوداع، فأيقنت أني مفارق بغداد عن قليل، وأني سأمضي فلا أرى رياضها ولا أرباضها، ولا أبصر دجلتها ولا نخيلها، [illegible] الأول (وإن من الأنوار ما لا يبلى جدته ولا يخفي رماده)

أقول لصاحبي والعيس تهوي ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
شهور (ينقضين) وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل ... وأطيب ما يكون من النهار

وجعلت أذكر كم ودعت من أحباب، وكم فارقت من منازل، وكم تنقلت على هذا [illegible] في أرض الله الواسعة التي لا [illegible] ذكرى، ولا رفيق بائس، [illegible] حتى تطرحني النوى في آخر، كنبتة لا تكاد ترسخ في تربة حتى تقتلع جذورها حتى تقلع وتحمل إلى تربة أخرى ... [illegible] بغداد يوم لم يكن فيه جاءها أحد من أصحابي [illegible] وحيداً مستوحشاً، لم أصحب منها إلا المسجد، وما كان لمسلم أن يرى نفسه غريباً في بلد فيه مسجد، ولكن العاطفة [illegible]، فما ألفتها وصارت بلدي، وتعلقت في قلبي بمكان [illegible]

رحلنا كارهين لها فلما ... ألفناها خرجنا (مكرهينا)

ومكتوب في أمري متى أني رحل، ومتى أحل حقائبي ؟

وهل كتب عليّ أن أطوف أبداً في البلاد، وأعيش غريباً وحيداً بعيداً عن أهلي وكتبي وصحبي ؟ وجاءت في رأسي الخواطر السود وساحت حتى [illegible] رأيت الشوارع [illegible] حمراء [illegible]، ورأيت شعاع القمر [illegible] أظلم خابيا

ومن حولي [illegible] تطواف، وأقبل مثلي كل [illegible] في [illegible] صورة، ولاذ فيها صديق، وفارق أهلاً إليه أحبة، وصحباً منه كراماً، وكان [illegible]

* * *

وصفّر القطار وسار، وطفقت [illegible] لصديق الأثيرين أحمد [illegible] حتى [illegible] عن الظلام، فنظرت حولي فإذا أنا وحيد في الغرفة [illegible]، لا أنيس ولا جليس، [illegible] فكري راجعاً إلى بغداد ..

بغداد، يا مهد الحب، [illegible] على جسرك الذي تحرسه (العيون) [illegible] ذات الأجنحة البيض التي [illegible] قلوب راكبيها، [illegible] في [illegible]

فتشوا كم تحت الثرى من بقايا القلوب التي حطمتها سهام (العيون) [illegible] الجبار الذي [illegible] على الجسر [illegible] في الرصافة [illegible] في الكرخ، ثم لم يعد لأنه من أبناء الخلود

سلوا أرض بغداد [illegible] من شهداء الغرام ؟

— [illegible] بغداد، أين [illegible] التي [illegible] وأضحكت وأبكت وأماتت وأحيت ؟ هل أحست [illegible] التي لا تموت ؟

سلوا الجسر يا (جسر بغداد) أين ما بقي من حديثك قد ملأ كتب الأدب، حتى لم يعرف الناس عوناً للعواطف والأفكار والشعر أكبر من جسر بغداد، فأين سار أحبابك !

كم صحبت رواعيك في مشيقين صبا سهما بحده الحب ! وكم تركت حبيباً ينتظر فلا رجع بعد الانتظار إلا بالخيبة والأسى ! وكم صفت على بالي مسكوده ، وأخرجت من مسكوده الناس ، فأريت الأول من مشاهد الحب ما هون عليه ما هو فيه ، وذهب الثاني بوحاً ومكعاً ! وكم وعيت من أسرار الحب والبغض والفرح والحزن ، والغنى والفقر ، والعزة والذل ، وكل ما تحوي الحياة وتشمل النفس من ألوان ! كم رأيت من حصاد الأدمغة وثمرات القلوب ! كم سمعت نجيب أقدم حديقة كانت تضحك لها الدنيا إذا قال لأنه ينطق بلسان محمد ، وقد كانت تجمع له الأمم إذ سار لأنه يؤرخ بسيف محمد !

(عصر غازي) الجديد والمثال العظيم ، أصبحت بأمس ذلك العصر الذي كان مثلاً من العوالم ؟ والذي كان سر الأدب ومعقب رماحها ؟ وكان المجد إذا جد الجد ، والفرد إذا حاز طرف الجيد من أسلسه ، وجمع المجد من أطرافه ؟

* * *

وهذه الشرفة للتحية الثالثة في (سوق الغزل) تنظر بعيني أم ثكلى ... سلوها أين مسجدها الذي كان يبنى على سمته بالصحن ، حين تفد الصفوف إلى الشارع ثم تتتالى حتى يبلغ النهر[1] ؟ أين أولئك العلماء الذين أوسعوا الدنيا علماً ، وملأوا آفاق الأرض نوراً وهدى ؟ أين صوالح الخلفاء حيث

الخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلمع والأسنة تزهر

وشيعهم في رحاب بيت الله

خشية خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يتكبر

أين فرسان المنابر وأبطالها ؟ أين جيوش العرب وجلالها ؟ أين ... أين ... ؟

يا أسفي ! لقد سرق المسجد ، وهدم القبر ، وضاع المراب ، ولم تحفظ الحضارة يا بغداد مآثرك ومصانعك ، ولا أوعت الأرض ذكريات مجدك ، ولا أبقى الجو رجع صيحاتك ... أفلا حطت قلوب أقسم أصحابها أنهم ذاكرو عهدك وأنهم مستعيدو مجدك !

فأين مسجد سيدنا الجامع يا مديرية الأوقاف ؟ أين المسجد يا مديرية الآثار ؟ أين المسجد يا من هدم المسجد يوماً ودكه كيف ترك الشرفة منتحبة عليه تبكي ؟

أين الدوحة الظلامية يا من أقام على أنقاضها سوق الشورجة

(1) كما قاله المؤرخ

الشهير فيه البيض والثوم ... وقد كانت يجتمع فيها جيوش العلماء ومضارب ... وطلابهم ؟

لا تعرى يا بغداد واصبري على كل شيء ، وعودي إلى القلب إيمان ، وفي الفم لسان ، وفي اليد سنان .

* * *

وتلفت ورائي فإذا بغداد قد اختفت وراء الأفق ... وغابت مضارب الأعظمية التي تحادي النهر ... فتكشف كنز قصص ، ثم تختفي في خلال النخيل كشاعر منفرد بيأس ، أو محب معزول يداعب طيف الحبيب ، ويناجي خيال الرسائل التي تأرج له سورها والنهر يطلع عليها مرة بجمجمة البيضاء المشرقة التي تشبه أمنية يعب حلم ، ثم يحجبه عنها النخيل ، ويحجزه الظلام كما تحجز الحياة بواقعها الأحلام وتطمس صور الأماني ... وغابت شوارع الصالحية ذات الفتنة والدلال وغابت الكاذي الرشيقة ، وغابت القباب ... ويعيب ... والمآذن !

هذه المآذن التي طالما تأسيت منه ، وطالما كانت تم كالأوصف به محدراً في أعماق نفسي ومحته في حوزة الذكرى وظل منت ، هو حيا كاملاً بعيره معه ويحجبه صورة وبيته بيت من الشعر ... جيمت محياه الآلاء

غابت بغداد ، السلام على بغداد ، واشهدوا أنه ما بعد دمشق بلد أحب إلي من بغداد ، ولا بعد الفيحاء مدينة أوقع في قلبي من الزوراء ، ولا بعد الغوطة شجر أجمل في عيني من النخيل ، ولا بعد بردى نهر أعز على نفسي من دجلة

أستغفر الله ... إلا حرم الله ومدينة نبيه ، فهما والله أحب البلاد إلي ، وما زالت الفيحاء في قلبي ، وشجرها أبهى الشجر في بصري .

السلام عليك يا بغداد وقد قذفتني عنك إلى كركوك ، وعلى ساكنيك السلام ...

(... كركوك) علي الطنطاوي

هل يقرأ القائد هتلر

الدم والحديد

رواية في فصل واحد

تأليف جول بروشهان وروبرت ماير

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

أشخاص الرواية
(الإمبراطور غليوم الثاني – العالم ... ومخترع ... من ... الحربية)
المكان: (قاعة العرش)
الزمن: وقت ... عيد ميلاد الإمبراطور غليوم سنة ... الحرب العظمى.

الإمبراطور — (يجلس فيقبل العرش)

العالم — (يدخل حاملاً ... في ... ويتقدم وينحني) كلمه

مولاي إن الهدية ... لدى

الإمبراطور — إن وقتي محدود وجيش الهند في انتظاري

العالم — (متقدماً إلى حجرة الاستقبال) مولاي! إن الهدية التي أقدمها إلى جلالتكم بمناسبة عيد ميلادكم الإمبراطوري هي أنمى الهدايا لأنه من أمن في الإمكان إبادة مليون من الجنود المتوجهين إلى صفوف جيشكم، وتمنى أن تكشف الأفلام عن موت عجيبة

الإمبراطور — (في اهتمام) هذا كلام ...

العالم — (وقد لاحظ أن الإمبراطور ... حركة ... الاستعداد للاصغاء) إني سأحدثكم يا مولاي أني لم أعثر من العناصر الإشعاعية إلا على ... بعمله بغير صعوبة وقد ... مني في أمس اليوم أن ... إلى الجنود السابقين ... الحرب وقد ...

الإمبراطور (وقد بدا عليه الاهتمام) — كيف ذلك؟

العالم — بعد تجاريب متعددة أصبح في وسعنا أن نأتي بأي جندي كائناً ما كان موجهة إصابته شديدة إلى الصفوف أقوى مما كان ... لا إنساناً صحيحاً سريع التنبيه المعتاد، بل آلة موجهة ...

الإمبراطور — (ضاحكاً) كلام حماسي ولكنه غير مقنع، ... الدين

العالم (إلى ... في ... والإخلاص) ... مولاي هذا ... جئت من

الإمبراطور (مقاطعاً) — ماذا! بموجودج!

العالم — نعم يا مولاي بموجودج من آلي في حجرة الانتظار

الإمبراطور (متعجلاً) — ... ، ...

العالم — مولاي ، أستميح عفوكم فإن منظره غير سار

الإمبراطور — عذراً كل ما يؤدي إلى الاحتفاظ بالقوة جميل

العالم (وقد بدت عليه الابتهاج) — هل لي ... ؟

الإمبراطور — أسرع !

العالم (يفتح الباب ويخرج ومعه جندي بهيئة عسكرية) — انتباه ! إلى الأمام !

(وهنا يدخل ... جديد يتحرك ، ويحمل الجندي رقم ٢٤٦ كأنما تحركه آلة ميكانيكية فلا ... ولا ... ويتلفتون ، حتى إذا ما صار في وسط القاعة ناداه العالم أن يقف جانباً)

العالم — لقد صنعناه ٢٤٦ مرة ومن أجل ذلك أطلقنا عليه هذا الرقم

(ويمشي العالم والجندي ... بالأمبراطور ...)

الإمبراطور — هذه أحسن مشية عسكرية

العالم — هذه أول ميزة له

(ثم يلتفت ... ويعرض ... يضع فيه ... الحديدية ورأسه ... ورأسه ... الذي يظهر ... من ... وكذلك ... التي ... فيكون ... ويرى الإمبراطور ذلك ...)

الإمبراطور — هذا بديع في منتهى الإحكام

العالم — ولكني كنت ... كثيراً ... الآن يتلون ... وخلال ... دون أن يختفي ... في الميدان إن ... فلا ... ولا اضطراب

(ثم يلتفت العالم إلى الجندي الرقم ويأمره)

انتباه !

احمل السلاح !

سر إلى الأمام !

صوب إلى الهدف !

أطلق النار !

(ويقوم الجندي الرقم بكل ما يؤمر به والإمبراطور ينظر إليه وقد ... عليه ملامح الدهشة)

الإمبراطور — هذا فوق ما كنا نحلم به

العالم — بهذه التجربة أصبح في وسعنا يا مولاي أن نمد إلى الميدان جميع العميان ومكسوري الأيدي والأرجل ومفقودي السمع

الإمبراطور — هذا مورد عظيم للمدنية

العالم — هذه يا مولاي جواب ... المستشفيات

الإمبراطور — أنت عبقري ... يا ... إن ... هو أمل الدولة

العالم — أتأذن يا مولاي بامتحان ... ؟

الإمبراطور — بكل سرور

(ويقف العالم خلف الجندي ، ويطلق ... طلقات ... ويسأل الأمبراطور

العالم — هل سمعتم جلالتكم شيئاً ؟

الإمبراطور — كلا

الجندي الرقم — سمعت ثلاث طلقات نارية

(ثم يمضي العالم إلى المنضدة التي عليها ... أوراقه ، ويستخرج منها بطاقة ... عليها كتابة ... ويسأل الأمبراطور ... عنه هل يستطيع قراءتها فيجيب الأمبراطور أنه لا يستطيع

ويعرض العالم البطاقة على الجندي الرقم حتى ... يقرأ الجندي ... الإرادة ... هو الله

ويعرض العالم البطاقة على الأمبراطور فيقرأها ويقول ... ويعود العالم إلى مكان ... فيضع ... البطاقة ويلتفت إلى الأمبراطور ويقول)

العالم — ... خير ما أداه العلم : هذه أشعة ... الإنسان ... لا ... ولا ... كما يرى جلالتكم بد من الخشب ، ورجل من ... ودماغ من ... ومفاصل من الألومنيوم ، وعين تلسكوبيه ، وأذن من ... الراديو

(ويلتفت العالم إلى الجندي ويسأله)

العالم — ماذا تسمع الآن ؟

الجندي — صوت ... عال

الإمبراطور — هذا مستحيل فإني لا أسمع شيئاً ... النافذة

(ويفتح العالم النافذة ... فالإمبراطور يسمع صوتاً ... من ...)

الإمبراطور — ... هذا هو ... الكمال التام

العالم — هذه ... على ... إن الجندي الذي يسقط في الميدان ... على الأمة لا يصبح ... ولكن ... إلى الأعرج ... وإلى الأصم ... وإلى الأعمى تلسكوبين تحت حاجبيه

ويلتفت الأمبراطور إلى الجندي الرقم ويسأله : كم مدة خدمتك في ... ؟ !

فيتقدم الجندي ثم يرفع يده بالسلام

العالم — ... جلالة الأمبراطور

الجندي الرقم — ثمانية عشر عاماً يا مولاي

الأمبراطور — وهل أنت متزوج؟

الجندي — نعم يا مولاي

الأمبراطور — وهل لك أولاد؟

الجندي — سبعة يا مولاي

العالم (مستدركاً في الحديث) منهم خمسة ذكور يا مولاي

الجندي (في مرارة) — واحد مات وثلاثة في الميدان والأسر [illegible] مصيرهم

الأمبراطور — كم عمره؟

الجندي (وهو يبلع ريقه كالمعتاد) — سبعة عشر

الأمبراطور (إلى العالم) — ومتى يعود هذا الجندي إلى الصفوف؟

العالم — في غضون الغد يا مولاي

الأمبراطور — متى عاد إلى الصفوف فإني أحب أن أراه مرة أخرى وسأنعم عليه بالوسام الثالث الصليبي

العالم — أنتم ترون يا صاحب الجلالة أنه أصبح في وسعنا إرسال الجندي ومعه (قطع الغيار) أرجل من الصلب، وأيد من البرونز، وعصب من النيكل، ومفاصل من الألومنيوم وعيون وآذان كهربائية، عند أول إصابة تستبدل الأجزاء الهالكة الآدمية أجزاء قوية آلية. وهناك أصابع في حدود [illegible] وأكعب مستقلة من الأذرع، ويحتاج إلى دورة التكوين

الأمبراطور — وما وزن هذا الجندي؟

العالم — ١٧٥ كيلو يا مولاي!

الأمبراطور — وما وزن (قطع الغيار) التي أضيفت إليه؟

العالم — مائة وخمسة يا مولاي!

الأمبراطور (وهو يمسح جبينه بيده) — هذه أكثر من وزن جسمه

العالم — هذا صحيح يا مولاي ولكن غذاءه الآن أقل من نصف ما كان يحتاج إليه لأن الأجزاء الآلية في غير حاجة للغذاء.

الأمبراطور — لقد أهديت إلى أعظم ما وصلت إليه المدنية في [illegible]، ولكن حدثني عن العين العسكرية

العالم — هذه العين يا صاحب الجلالة فضلاً عن قوتها لها ميزة أخرى هي أنها ترى في الظلام

الأمبراطور (وقد بدا عليه أنه لم يصدق) يرى في الظلام؟

العالم — نعم يا مولاي، وفضلاً عن ذلك —

الإمبراطور (متلفتاً حوله) إن هذا الأسلوب [illegible] خطورة

العالم — هل جلالتكم تعترض على تجربته في الظلام؟

الإمبراطور (مترددا) — لا — وهذا [illegible] الساعة وأطفئ النور

العالم (للجندي ٤٠١) — انتصب إلى جلالة الأمبراطور وسأطفئ النور (ثم إلى الأمبراطور) وتفضل يا مولاي بإبداء أية حركة فإن الجندي سيصفها

(ويطفئ النور ليبدي الأمبراطور حركاته ويطلب إلى الجندي وصفها)

الجندي — إن جلالته رفع يديه إلى أعلى ثم ضمهما. إنه أحنى رأسه إلى الأمام. إنه يبتسم

الأمبراطور (غاضباً) — أسرع بإيقاد المصباح

العالم — هل اكتفيتم جلالتكم من التجربة؟

الأمبراطور (حالة عصبية) — هذه فوق المدارك الإنسانية

ويوقد النور فيقف الأمبراطور ويقول: هذه سعادة لا حد لها أهديتها إلي في عيد ميلادي يا أستاذ. هذا اختراع يعيد إلى جيشنا جدارته فوق كل جدارة (ثم ينزع وساماً من صدره ويضعه على صدر العالم ويقول): هذا وسام الجدارة المرصع. هذا شارة المجد الأعلى. هذا الوسام الذي لم يتقلده غير الأمبراطور أقدمه هدية إليك

العالم (ينحني شاكراً ويقبل يد الأمبراطور)

(في اللحظة التي يقبل فيها العالم يد الأمبراطور تقع عين الجندي على [illegible] قطعة خشب [illegible] أسنانه المعدنية [illegible] ويعود الأمبراطور إلى جلوسه)

الأمبراطور — إنني في دهشة من قوته ومن حدة بصره. إلى أي مدى يرى؟

العالم — في استطاعته يا صاحب الجلالة أن يرى العدو على بعد عشرين أو ثلاثين ميلاً وأن يعد ما لديه من المدافع والخيول والمدد

الأمبراطور (مسرعاً) — انتظر فإني سأقوم بتجربة أخرى. إني أحمل في جيبي نسخة دقيقة الحروف من الكتاب المقدس ولا يمكن قراءتها إلا بالميكروسكوب. فهل يرى هذا الجندي حروفه [illegible]؟

العالم — كلا يا صاحب الجلالة. هذه تجربة سهلة جداً

(ويقترب من الأمبراطور ويتناول منه الكتاب المقدس ثم يلتفت إلى الجندي رقم ٤٠١ ويقول)

انتصب

حسناً

(يلتفت الجندي [illegible])

العالم — (يفتح الكتاب المقدس حيث اتفق — إقرأ من هذه الصفحة

الجندي — إنجيل متى . الإصحاح الخامس . الآية الرابعة : طوبى للحزانى لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض

العالم (يلتفت إلى الإمبراطور)

الإمبراطور — حسب ، فإني أحفظ كثيراً من إنجيل متى

العالم — (يلتفت إلى الجندي) افتح هذه الصفحة واقرأ في أخرى

الجندي — أشعيا . الإصحاح الثالث . الآية الخامسة عشرة : ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين ؟ يقول السيد رب الجنود

الإمبراطور — كفى (ويمتد بظهره إلى الكرسي وقد بدا عليه الانفعال [illegible] وضع [illegible] مكانه [illegible])

(ويناول العالم الكتاب مرة إلى الإمبراطور فيتصفحه في [illegible] إن فيه شيطانية . إني أريد امتحانه في القراءة

العالم يشير إلى الصفحة التي عليه [illegible] أن يقرأها)

الإمبراطور — أسرع وسأطلب من شخص يحقق هذا الغرض

(وفي هذه الأثناء يظل الجندي واقفاً مكانه وقد بدت على عينيه [illegible] على مرة جديدة

العالم — حسبه يا مولاي

(ثم ينحني ويخرج . ويظل الإمبراطور متأملاً في دهشة ولا يرفع بصره عن الجندي [illegible] يبرز [illegible] من جيبه ويمسح في [illegible] وجهه [illegible] يبدو على الإمبراطور [illegible] ويشعر بأن [illegible] من هذا الجندي غير مأمون)

الإمبراطور — أين موطنك ؟

الجندي — في الجنوب يا صاحب الجلالة

الإمبراطور — منذ كم سنة حرفتك ؟

الجندي — (يبدو من غير إراحة حركة دالة على [illegible]) كيف وقد صار (يتجاهل الإمبراطور في أسبابه المدنية [illegible] ويخطئ الجندي إلى هذه اللاحظة !

الجندي — لقد كنت أسمع بالأب الروحي [illegible] الأصابع (يحني الإمبراطور رأسه [illegible] بل بأساس المعبود

الإمبراطور — ليس في الحرب [illegible] الرعود

الجندي — أستطيع يا صاحب الجلالة أن أسمع [illegible]

(ثم يقبل نحو الإمبراطور

(يلاحظ الإمبراطور [illegible] في [illegible] الجندي [illegible] بالغضب)

الإمبراطور — ألست تذكر أصل التعلم في [illegible] من الإصلاح [illegible]

الجندي — ماذا أقول ؟

الإمبراطور — لقد أصبحت إنساناً بعد أن [illegible] ما فقد منك

الجندي — نعم يا صاحب الجلالة الإمبراطور وسكن على [illegible]

الإمبراطور — أين [illegible] ؟

الجندي — أهلي يموتون جوعاً وزوجتي وحدها

الإمبراطور — إنك جندي غير [illegible] جيشاً وكونه ؟

الجندي — [illegible] يتحدى [illegible] الحرب [illegible] ؟

الإمبراطور (يتكئ إلى الكرسي [illegible]) — هذا [illegible] !

الجندي — [illegible] جيشك صاحب [illegible] الإسبانية

(ويخطو خطوتين في [illegible] نحو الإمبراطور)

الإمبراطور — [illegible] في [illegible] الإمبراطور [illegible] على [illegible]

الجندي — اجترأت؟ إن خوفي قد ذهب من جسدي [illegible] إلى جسدك أنت (وهو [illegible] كالإطار [illegible] النور)

الإمبراطور — [illegible] على نفسك، واطلب الصفح من إمبراطورك

الجندي — إن هذا الجسد الذي أصبح معظمه من الحديد لا يجثو أمام جسد معظمه من اللحم ... إني لا أركع إلا لله الذي أطلب منه أن يغفر لي ما اقترفت في حياتي الآن، بل لا ورد على [illegible] من [illegible] فالتي [illegible] هو [illegible] السوف [illegible] إن عيد ميلادك غداً هو عيد موتك وعيد مولد الحرية

(وينطفئ [illegible] النور [illegible] الظلام المسرح)

الإمبراطور (صارخاً) — النور! النور

الجندي — [illegible] في حاجة إلى نور

الإمبراطور (بعد [illegible]) — النور النور

الجندي — لقد جعلتني أعيش في الظلام فعش أنت الآن في الظلام

الإمبراطور — وهو يكاد [illegible] الرعب

الجندي — [illegible] تستطيع الإفلات [illegible] أني [illegible] رؤيتك في [illegible] الظلمة، وأستطيع [illegible] تعال إلى اليد الحديدية التي [illegible] بأنك ستصبح لي [illegible] واذهب إلى [illegible]

[illegible] صوت [illegible] ويسمع أصوات من [illegible] وصوت الأسنان [illegible] والأرجل [illegible] [illegible] الإمبراطور [illegible] على الأرض [illegible] الجندي في [illegible] المسرح [illegible]

(ويدخل [illegible] الذي كان مختبئاً [illegible])

الشاعر (مذعوراً) — ما هذا؟

الجندي — [illegible] صوت كالرعد)

(الدم والحديد!)

— ستار —

التاريخ في سير أبطاله

مازيـــني

[رسول الحرية إلى قومه، والمجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

لئن كان في المجاهدين رجل أعوزه في جهاده المرير كل سلاح فتسلح بإيمانه فحسب ومشى جهراً بكل قوة حتى تغلب بسلاح الإيمان وحده على جميع القوى التي غالبته، وأثبت في الجهاد أن المثل العليا في مختلف أوساطها هي خير عماد للبشرية إلى ما تنشده من كمال، فذلك الرجل هو يوسف مازيني رسول الحرية إلى قومه، والمجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء.

وما نجد في الذين خلوا من قبله من المجاهدين والزعماء من كان مثله في ذلك؛ فهذه جان دارك الفتاة الساذجة على ما تراءى لها من إيمان قد لبست دلاصها واعتلت صهوة جواد وأقبلت يحف بها الجند وتتقدمهم في صفوف الحروب؛ وهذا [illegible] الزعيم الشيخ قد خاض إلى النصر غمرات الحروب على رأس الأجناد البواسل من جنوده. ثم هذا كرومويل المجاهد [illegible] لم يجد بداً آخر الأمر من امتشاق الحسام ليصل به إلى ما لم تجده في الوصول إليه وسيلة من الوسائل.

لذلك كان مازيني جماعاً من الزعماء، وكانت كل كلمة [illegible] عهد جديد في كفاح الثائرين على أعدائهم، ثم كان حياته مثلاً [illegible] كما كان صبره على ما لقي من الأذى وحماسته [illegible] أحقاباً طويلة وحياً للمجاهدين من بعده يوحي بالمثابرة إلى نفوسهم ويربط على قلوبهم ويحبب إليهم التضحية والفداء؛ ومن هنا كان [illegible] مازيني في تاريخ الحرية، ثم من هنا كان أساس عظمته وسبب خلوده.

أما في الذين خلفوا من بعده فقد نستطيع أن نضع إلى جانب اسمه اسم [illegible] في مصر واسم غاندي في الهند؛ فلقد انتهج هذان البطلان منهجه مجاهدين أو غير مجاهدين، إذ كان سلاح كل منهما إيمانه فحسب، وكان ما تعرض له كلاهما من ألوان الخطوب بحيث يبوئهما بلا شك مكان كبار الأبطال، كما كانت قضية كل منهما قضيته وإن اختلفت الظروف وتباعدت الأيام.

* * *

ولد يوسف مازيني في جنوة في اليوم الثاني والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٠٥؛ وكان أبوه طبيباً يتمتع بقسط من الشهرة في تلك المدينة، وكان رجلاً رقيق الحاشية، عطوفاً حتى ليذهب [illegible] أحياناً إلى المرضى دون أجر، وإن كان يحتد في بعض الأحيان على أسرته [illegible] شيئاً من الغلظة والتحكم. وكانت أمه امرأة [illegible] ذكية الفؤاد، ولقد ورث الصبي [illegible] مما ورث من أمه فكان أكثر شبهاً بها منه بأبيه.

ونشأ [illegible] الأم [illegible]، فلقد كانت تعني أشد العناية بإعداد أبنائها الثلاثة لمصاعب الحياة يوم يواجهون الحياة؛ وترعرع الصبي في عصر كان يموج بجسيمات الأمور، عصر كانت البلاد فيه أشد ما تكون حاجة إلى أولي الفطنة والعزم من الرجال، وراح يستقبل الشباب في الوقت الذي كانت إيطاليا تستقبل فيه فترة من حياتها كانت كفترة الشباب من حياة الأفراد.

ولد مازيني بعد ثلاثة أعوام من تتويج ابن الثورة [illegible] امبراطوراً على فرنسا، وكانت لا تزال انتصاراته في إيطاليا تشغل أذهان أبنائها تلك الانتصارات التي وضع بها أساس [illegible]؛ وكانت نفوس الإيطاليين لا تزال [illegible] بما هبط عليهم من وراء الألب مع الفاتحين من مبادئ تلك الثورة التي اكتسحت [illegible]

عجيباً في توزع بني الإنسان؛ وأحس ذلك الشعب كما أحس غيره من الشعوب أنه تلقاء فجر عصر جديد يخالف ما سلف من العصور أشد المخالفة، وكانت ترف على جانبي ذلك الفجر أطياف جميلة بسامة وتنبعث كلمات من النور كأنما تهبط من عالم غير هذا العالم الذي ألف الظلام؛ ولقد شغلت هوام الناس بتلك الأطياف الساحرة التي سموها الحرية والديمقراطية والمساواة، وراحوا يمنون أنفسهم بالصبح الجميل بعد ليلهم الحالك الطويل.

ولكن الصبي لم يكد يناهز الخامسة من عمره حتى كان الإمبراطور في قبضة أولئك الذين كان زعيمهم بالأمس يعبده ذكر اسمه؛ وأرسل «الكورسيكي الصغير» كما يدعوه أعداؤه إلى جزيرة إلبه حيث يلاقي ذل الأسر؛ وشاعت في طول أوربا وعرضها أحاديث الرجعية وغلبة الشعوب وعظم الاستبداد وما يليه من السدود التي وضعها الحيل، وتكشف الفجر عن غيوم جديدة ازداد بها ظلامه وسحره؟

على أن الناس في إيطاليا وغير إيطاليا ما لبثوا أن أدركوا أنهم كانوا تلقاء فجر كاذب، فلقد رجع أرباب العروش وعصابات السياسة ينشدون الأغلال والسلاسل بدعوى القضاء على موسم الفوضى والضرب على أيدي الخارجين على حكامهم الشرعيين؛ وصمت الجميع، وعبست الوجوه الباسمة التي انبثقت من فرحها، ولكن لتستحيل ملامح تنضح بسخط مكبوت وحرج الصدور.

ويستمع الصبي إلى هذه الأنباء في بيته حيث كان يلتقي خلان أبيه، فلا يفهم منها إلا بمقدار ما يسع عقله الصغير؛ ولكنه كان صبياً يرى الخيال منذ حداثته، وعصر الطفولة هو عصر الخيال الخصيب، هو ذلك العصر الذي يخيل إلى كل طفل فيه أنه قادر على أن يكون بطلاً كمثل من يسمع سيرهم من الأبطال! ولكم تحرك خيال الصبي أكثر مما تحرك عقله، وسيظل لا ريب يتذكر الصور من ذلك الكورسيكي الإيطالي المولد الذي جاب البلاد غاصباً ودب بها فاتحاً ظافراً ليمضي آخر الأمر أسيراً في جزيرة إيطالية. وما الذي حرم ذلك الظافر وأزاله من عليائه؟ ذلك ما يتساءل عنه الصبي. ولماذا يعني أبوه بذكره أعداء الشعوب منه؟ ولكن عقله القوي لا يلبث أن يسعفه بالجواب، فهو وحلفاؤه انتصروا [illegible] على [illegible] كبير بأنهم تخيروه ويرموه؟ وهكذا

يجمع رغم أنفه أول درس من دروس الجهاد ويحفظ أول معنى من معاني القوة.

ويصور الصبي أحياناً بين ماضي ذلك الجبار وبين نكوبه، ولئن استطاع أن يدرك أنه يمضي لأنه كان مستبداً يفرض إرادته على الشعوب، فما يقوى عقله الصغير على جواب الذين يتحدثون والذين يتحدثون إليه أنه خطا بإيطاليا خطوات واسعة نحو الاتحاد فقضى على حكم البربون وحكم البابا، وأشاع في البلاد على تعدد حكوماتها شعور القومية والوحدة. لا يستطيع الصبي أن يفهم ذلك جلياً، ولكن كان خياله لا يتقاصر عن تصور الوحدة ولو في أبسط صورها؛ وإنه ليدين لهذا الخيال الكبير بما يعمر في هذه السن. ومن ذا يعلم من الخيال في غد يوم يكون شاباً مثقفاً أو كهلاً مجرباً؟ كلا، فسوف يكون الخيال من أعظم أسباب قوته ومن أشد دعائم إيمانه ومن أكبر مصائبه؛ وإن كان بعض دارسيه يعيبون عليه وينكرون إسرافه فيه، وقد أسموا الرأي فيه عنوان ضعفه؛ وكم كان الخيال من حسن على كثير غيره من العظماء!

ويجلس الساسة في فيينا وأخذوا يتحكمون في مصير الشعوب ويقسمون صفحتهم في إيطاليا كما قسموا في غيرها. فإذا سلطان النمسا يعرض على ولايتيه ويضم جنوة إلى بيمونت، وقد طالما نادى ساستها بالاستقلال، وتعود إلى البابا ولاياته وسلطته، ويقام في نابولي مملكة [illegible]، ويبقى مستبداً [illegible] مع رغم الرجعية العنيفة في ذلك العصر [illegible] على ألا يتم شيء دستوري إلا [illegible]. وهكذا يصبح ذلك السياسي الماكر في تقسيم إيطاليا [illegible] كلمة حتى [illegible]: «إن إيطاليا ليست سوى اسم جغرافي».

وتسير الرجعية في إيطاليا جميعاً وتطارد الحرية الشريدة أينما ظهر هيكلها المكدود أو لاح شبحها الغريب؛ وينتقل الصبي من طور الخيال الغالب إلى طور العمل المتيقظ في مثل ذلك العمر الصبي.

ولن يطل الصبي القراءة فيتناول أسفاراً قديمة من مكتبة الجيرونديين كان قد جمعها أبوه بين كتبه الطبية خلافة الزمن، ويقرأ ما شاء من مبين عذب يروي غليل نفسه ويهيج وجدانه ويثبت فؤاده؛ ويحرم عليه ولع الفلاسفة الكتب التي تحتوي الحكومة منها فلا يطلب إلا الكتب الكلاسيكية يكون هم فيها ما يسد

من الآراء الحرة، ولكنهم يتزاورون كرائح الأعراب والرومان يسمعون بالنظام الجمهوري ويطربون لما تقع عليه أعينهم من مبادئ الديمقراطية

ويستشرف الفتى السادسة عشرة من عمره فيهز نفسه من أعماقه أنباء تناقلتها الألسن عما انبعث من الرجعات في أنحاء إيطاليا، فإن الناس حين ساءوا بما لم يجدوا بداً من مكروه الجماعات السرية وكان من أشهر هذه الجماعات جماعة الكاربوناري، وما زالت هذه الجماعة تنمو وتنتشر حتى كان لها أعضاؤها في أكثر الولايات! وكان لهذه الجماعة بحكم تكوينها رموز يعرفها أعضاؤها، فاسمها معناه « موقدو الفحم »، ومن مبادئها « طرد الذئب من الغابة » ويعنون بذلك طرد الحكام الأجانب من البلاد، على أن غاية الجماعة كانت تنحصر في القضاء على الاستبداد وإحلال الحكم الدستوري محله

وما حل عام ١٨٢٠ حتى هبت الثورة في نابلي، وقد جاءت الأنباء إلى الكاربوناري هناك من ثورة في أسبانيا؛ واستطاع في بحر ثلاثة أن يجيب شعبه إلى الدستور؛ وحذا الكاربوناري في بيدمنت حذو إخوانهم في الجنوب، فأعلنت بيدمنت نجدتهم في صورة لم يجد ملكهم بداً من التنازل عن الحكم، فخشي من النمسا أن يجيب شعبه الدستور؛ واتسع نطاق الثورة حتى تعلقت لمبردیا بها وكانت تخضع مباشرة لحكم النمسا

ولكن النمسا ما لبثت أن ساقت جيوشها فقضت على الثورات وأرغمت الثوار على الفرار ومكثت على وقع سيوف بعدها، وأشهد موقف ساسة أوربا مصرة على مقاومة هذه الحركات، وأحس الناس أن القوة المادية يجب ألا تقضي على القوة المعنوية، وأن هذه الثورات إنما تستتر كما تستتر الجمرات تحت الرماد؛ وهل كانت الحرية إلا تلك النبتة التي لا تزداد مع العسف إلا توقداً واشتعالاً؟

وكان الصبي يمشي بصحبة أمه ذات يوم في أحد شوارع جنوة فوقفت عيناه على نفر من الفارين كانوا في طريقهم إلى أسبانيا ورأى معاني البأس تلوح في وجوههم الصفراء، كما رأى آثار الإعياء بادية في أجسامهم المكدودة، وكان بعضهم لا يجد ما يقتات به وقد مد يده يطلب عوناً

واستقر في خاطره هذا المنظر فما يبرحه قط، وعرف اليوم حياته وحقه معاً، وأخذه على من ألم صرفته عن كل شيء حتى ظنت أمه أنه تشكو علة لم يهتد أحد إليها؛ يفكر في أسباب هزيمتهم ويتتبع أنباءهم حتى اهتدى إلى الحكم فقال وهو لا يدري أنه كان يعبر عن الواقع: لقد كان من الممكن أن ينتصروا لو أن كل فرد قد أدى واجبه!

وتتصل حياته بالكاربوناري ويحدثهم فيما يلقف إليه من سواها، وكان يبدو في سن اليفاعة، سن الأحلام والآمال، سن التوثب والتطلع إلى المثل التي يبسطها الخيال ويفيض عليها من سحره ومن ظلمته، وهو ذلك الفتى الذي نشبه خياله حتى أشرف به على الرمس... انظر إليه كيف آلى على نفسه أن يلبس السواد منذ ذلك اليوم الذي رآه أسود في حياته، فلن يحل ثيابه السود حتى يحل جسده الكفن ويضمه سواد القبر

وهكذا ينضم الفتى إلى الكاربوناري بآماله وقلبه، ويتحرق شوقاً إلى اليوم الذي يشاهد فيه حين ينصرهم، ويستعذب معهم الألم في سبيل قضية الحرية والدستور

ويعود إلى كتبه بعد حين وقد انطوت نفسه على ما لن تطلع عليه عين اليوم؛ وكم وجه سواء من الطلبة ومجهولي عادي بسيط تقع عليه أعينهم فيرون فيه على بساطته ما لا يراه غيرهم، وتستشف نفوسهم من خلاله من المعاني ما لا تستشفه إلا كبار النفوس؛ وتلك صفة يمتاز بها النظراء أماماً من سائر الناس

وكان الصبي يدرس الطب بحسب رغبة أبيه، ولكنه أصيب بالإغماء مرة وهو يشهد عملية جراحية، فنال به ذلك الحادث عن الطب فاختار القانون؛ وكان يحس ميل عمري إلى القانون، فلعله كان يراه أقرب إلى ما وطد العزم عليه، وإن يكن قد أبغض طريقة تدريسه وبرم بالكتب التي تشرح قواعده

على أنه كان أكثر تزوداً من الشعر والتاريخ ليشبع خياله المشبوب بحال، وليروي روحه المتوثبة، ونفسه الحرية شراء. ولما أوفت به سنه على الشباب عرف بين أقرانه بفصاحة اللسان وسعة العقل وعظمة القلب وشدة الصمود وجموح الخيال

(يتبع) الخفيف

في الإعلام الفني وإسلامنا *

فلنغير ما بأنفسنا

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

قواعد الإسلام هي:

١ — الشهادة بأن لا إله إلا الله وحده ... وحده لا شريك له في أي ناحية من نواحي ألوهيته ، ومنها تفرده بالخلق فهو واهب الحياة ، وواهب الرزق ، وواهب الراحة في الحياة وفي الموت ، وما بعده . ومنها تفرده بالحكم فلا حكم إلا لقضائه وأمره وشرعه ... هي الشهادة لله ... وأعني أنه لا جدال في الله

٢ — الشهادة بأن محمداً رسول الله .. وهذه شهادة تقوم على ركنين : أولهما أن محمداً رسول ، وثانيهما أنه رسول الله

أما أنه رسول فحياته كلها تشهد بذلك ، فقد كان صاحب فكرة خاصة محدودة مسيطر عليه منذ يقظته إلى الكون وانتباهه إلى نفسه ، فلم يخرج عن حدود فكرته هذه لا في عمل ولا في قول ، ولا في جد ولا في هزل ... حتى لقد كان يمزح فلا يقول إلا حقاً وقد بدأ انطلاقه في انتباهه هذه منذ طفولته المبكرة فعرف عند الناس طفلاً بـ « الصادق الأمين » وليس للأطفال جرائم ولا زلات إلا الكذب وإهمال العهد في ما يقترفها فيهم كان الطفل الطاهر محمداً . ما أروع اسمه !

هو إذن رسول فكرة .. فأية فكرة كانت فكرته ؟ كانت الحق ، وكانت الفطرة ... والحق هو الله ... والفطرة هي الطبيعة التي أوجدها الله ، ومن قوانين هذه الطبيعة التطور والارتقاء بالمادة والروح

هو إذن رسول الله ، لا رسول الشيطان ، ولا رسولاً فكرة أخرى آثمة يبثها نزعة من نزعات نفس متسلطة ... فمن محمد ؟ إنه بشر لم يخرج عن طبع البشر ، فهل من طبع البشر أن يستطيع الاتصال بالله ؟ ... إنه يستطيع لو كانت في نفسه مؤهلات محمد ومواهبه ثم جمعها جهاد محمد ... فإذا لم يستطع نيلها قليلاً أو كثيراً حسب ما يستطيع ، ومن كل كثير هو خير لمن كان كريماً

٣ — الصلاة ... والصلاة حس وكلام ... قيام يقرأ الإنسان فيه من كلام الله ... كذلك يجب أن يهمس السر في الحياة وأن يذكر الله ... وعليه أن يذكر الله في عمله ، وفي قوله ، فالصلاة حس وكلام ... وركوع ... هو حفظ الاعتبار أمام رب العظيم العظيم حقاً ... الذي قبل وعمل ... وسجود لربنا الأعلى .. إليه وحده الملقى ، وبه وحده العزة ، وعنده وحده الأمان ، وبيده وحده الرجاء ... وهي الخاتمة الأخيرة المطمئنة التي يقرأ فيها النفس التحيات لله ، والسلام على النبي وعلى نفسه وعلى المؤمنين كذلك يجب أن يعمل الإنسان حين يطمئن وحده أو بين الناس أن يكون كلامه وعمله تحيات وسلاماً ... لله والنبي والمؤمنين ولنفسه ... فالصلاة بهذا التلخيص لما يجب أن تكون عليه الحياة ولو أن الناس ذكروا الله وسبحوه ، وعظموه وخشعوا ، وأسلموا شأنهم له وآمنوا به ، وكان الذي بينهم وبين الله والنبي والناس وأنفسهم تحيات وسلام ... لرأيتهم صاروا ... في الصلاة والصلاة ... حياتهم صلاة في صلاة ..

٤ — صيام ... والصيام زهد في حاجات البدن ، وهو دليل على إمكان الرقي وهو من ... التنعيم بالقلب ... وهو ... الذي نصره الإسلام

٥ — الزكاة ... والزكاة نزول عن جزء من ملك الإنسان

الناس ، فمن كان مشكلة مالاً فإن له نصيب منه يجب أن يؤديه للناس ، ومن كان مشكلة علم فإن عليه نصيباً منه يجب أن يؤديه للناس . ومن أحسن وتصدق فإن له في الصدقة متعة لمثالها ذلك أن الإحسان يبعث في النفس شعوراً بالراحة والغبطة ، فإذا أحب الإنسان الإحسان أحب هذا الشعور ، فازداد من أسبابه للإحسان وأوسعه واستغلاله حتى يقضي العمر في إحسان وإحسانه صورة واحدة وسيلة ما دام محسناً ... إن من الإحسان جزاء الإحسان ، وإن الذي عند الله خير وأبقى

٦ — حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً وقد يعرف … نحن إليه القلوب والأنظار والأسماع والحج … يجتمع فيه القادرون عند هذا البيت … من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ومن الجنوب ، فإذا كانت أمة في محنة حج القادرون من أهلها إلى البيت والتقوا هناك … يحكمون أمورهم … ، والإسلام أخوة ، والتعاون فيه واجب ، فالحج إلى البيت يشبه ما يريد الغرب أن يجمع رؤوسه في جنيف أو لوزان

هذه هي … الإسلام وهذه … وإن الإسلام لأجل وأجل من هذا الذي … وأعظم

هل في الغرب مسلمون كثيرون ؟

والواقع أننا في حاجة إلى صرخة جديدة تبعث الإسلام … في قلوب المسلمين الذين علم الإسلام في … ولا … لأنه لا يمكن أن … والطبيعة لا ترقية ، … ما كان … ، إنما أهم أهله … إليه ، حتى … عقيدة قليلاً قليلاً ، حتى … آخر الأمر به … ويطلق الشهادة بعد ذلك بلسانه

وها هو ذا … يقول إن الإسلام هو الدين الذي سيسود أوربا بعد مائة عام ، وهو لم يقل هذا إلا لأنه … اتجاه الحياة الأوربية إلى مبادئ الإسلام الحية … بها … كما … وحثة … وعلمائها ، … في ذلك … الطبيعة … بإرادة المسلمين ، ولا بجهاد … ، و … من الغرب … الناس بأنه قد … ، وهو يؤمن بالإسلام في … أوربا … من … يصل اليوم … ؟ …

جداً ، فما أكثرهم لم يتحرروا كما تحرر هو ، وأكثرهم لم يصقلوا إحساسهم كما صقل إحساسه هو ، وأكثرهم لم يطلقوا عقولهم من أغلال الريب كما أطلق عقله هو ، وأكثرهم يرجعون في ظلمة الباطل خارج الحدود التي رسمها الإسلام للحياة … ولا يدرك … وأمثالهم يحسبون أن الفن هو الحياة ، وأن الحياة حدوداً وضعها الإسلام فحصر في داخلها أصولها ، ثم ترك الخيار بعد ذلك لكل مسلم أن ينطلق داخل هذه الحدود ما حلا له الانطلاق ، وحدود الإسلام ليست قيوداً تشل الحركة ، ولا هي أغلال تمنع النهوض ، ولا هي مصائب تحجب من العيون النور ، ولا هي أحجار تثقل على النفس ، ولا هي جهالات تقف على العقل الاقتناع … ، وإنما هي حدود الطبيعة التي لا يمكن خرقها والتي لا يخرقها إلا من يظلم نفسه ، وهي ليست شيئاً إلا تحرير الإنسانية من كل عبودية فرض عليها إلا عبادة الله ومن كل تقليد أو نظام يراد به المساس بكرامة العقل أو كرامة الروح . وهي في ذلك كله تسير مع التطور إلى الارتقاء .

فعسينا أن نسير إلى هذا ومن الله العون

وعلى أهل الفن الإسلامي في هذا … فليس هم الموهوبين … من روح الله ، وعليهم زكاة الروح كما أدى غني زكاة المال … من آيات القرآن قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » … العيون حقيقة من حقائق الإسلام التي تحتمل الأكوان ، … بالأقدار وقد يكون عند من يسمعه ويفهمها أمراً بديهياً … كل عين ، ويعيه كل قلب ، ويعيه كل عقل حتى … تشبه قولنا « إننا بشر » و « الثلج يذوب في الماء » و « النار مصدر الحرارة » فكل هذه حقائق ليست في حاجة إلى الترديد لأنها معلومة متفق عليها لا ينكرها ولا يجحدها عقل إنسان . ولكن هذا لا يجب طبعاً … التفكير والدوام في الحق … ، وقد … أطول العمر … فإذا … قلنا … صحيح ، ولم … أكثر منها ، ثم … أو لم … ، ثم أطلقناه بعد ذلك في أنفسنا … في آذانهم حيناً … لا … ولا … أمر لأننا … إليه … ولا … بأنه منها … في أنفسنا ، … وبأنه …

نحتاج إليه ونطلبه ونأنس بأن نجده فهو حق ، والحق هو الله ، والله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ... ولكننا لا ندعو من الحق إلا قليلاً ، ندعوه عند مكروه أو نسيان ، ونغيب ما ندعوه في ساعات الأعياد ليتنا نذكره في غيرها وندعوه ، فنصبح بنا إلى جانب هذه الحضرة التي أتعب العالم بالأمس و « الرابط » حضارة أخرى نحييها نحن بالحب والرحمة .

فإن لا ندعوه ؟!

سبيلنا واسع وهو الإسلام ... ومعاذنا إليه المتفانون على السلف ، فهم الذين يأخذون شعورنا وهم أول ملاحظات الحياة فينا ، ولأنهم يحبون إلى طلبهم التحرر ، ولأنهم لا يطيقون القيود ولأنهم يحبون أن ينطلقوا في الحياة كل منهم وراء فكره ، ولأنهم يعادون أنفسهم الناس فيحترقون ويضيئون لغيرهم الطريق ، ولأن مآربهم في الحياة محبة وسلام ... فهل هناك حياة تعطي هذا كله في أروع الصور إلا حياة الإسلام ؟ فعليهم أن يناصروه ، وهي التي تبعث الفن ، وتحيي الدين ، وتعود إلى المبدأ ، وتسمو بمعنى وتنشر بين الناس أطيب ما عنته الإنسانية من أسعد الأحلام ...

وهم أقدر الناس على صنعه ما دام للفروض عندهم هو أنهم أشد الناس إحساساً ، وأسرعهم إدراكاً لحقائق الكون القريبة من الفطرة ، أو التي هي الفطرة نفسها ، ولهم نصيبها من إدراك الجماهير هذه الأشياء بأسلوب لا يصانعه في الطبيعة ، وهذه الوسائل أوصلهم إلى الناس أن يأخذوا من الأرض أكثر مما يحتمل طاقتهم يرجوا تحت أعباء ما حملوا ، وتحمّل عليهم أعباؤهم فيستلهم من كان حقاً أبيهم أن يعينوه ، وأن يحبوه ، وأن يعطوه من شئون أنفسهم ومن شئون هذه الخلائق التي تحيط بهم ، وما وراء هذه الموجودات جميعاً من نظام لا يختل ، ولا يمل

جماهير الناس لم تعد آذانهم تسمع أصوات قلوبهم وأنفسهم فيه حتى في هذه الساعات الناعمة بعيد للدمع ، وضوضاء الموسيقى ، وصفير القطر ، وأزيز الطيارات

جماهير الناس لم تعد أعينهم ترى ما في أحلامهم من نفوس أزواجهم وأولادهم ، فقد غلب كل شيء في هذه الحضارة بين سحائب الدخان الكثيف الذي تنفثه المصانع فتسمم الجو وتسوّده ظلاماً

جماهير الناس لم تعد تعرف أن تقف لترى ... التأمل عند أي ظاهرة من ظواهر الجمال ... فالناس اليوم مسرعون مستعجلون ، يجرون ويطيرون ويعدون على وجه الأرض كأن رمس الشيطان ... يمرون بآلاف من تجاليد الحق وملكته ، ولكنهم لا يلمحونها إلا كما يلمع البرق من ورق السحاب وبه الحجة تحت التراب ..

فأي شيء وراء هؤلاء ؟ وأي شيء يقصدون ؟ وأي شيء يبغون ؟ إنهم أشقى القرون وأتعس الأجيال !

وليس للمسلمين في هذه السوق ما لغيرهم من ربح اللذة ، فقد يكون في الساحة غرباء ... بل حاجة أن يكونوا منها إلا أعباء الفكرة ... وهم حتى في هذا متزحمون متأخرون وإن فاتت عليهم فاقة الناعمين ، فلا هم كسبوا الدنيا ولا هم ربحوا الدين ... فمن معدم من هذا غير الذي يلجهب في بعض النفوس ويضيع من خير الإسلام ، بسبب الإيمان ، وركب الرجاء ، وعطلة الأمر على يرحمه الله

وإن منا من تمر عليهم جماهيرنا ... ولكنهم مشغولون بما يقرأون من كتب الغرب التي أوجبت حضارة لذاته اللاهية ، عن آيات الله المبسوطة فيهم وفي القرآن ... وحتى هم إذا قرأوه لم يقرأوا منه إلا لفظه وأسرعوا في تلاوته كأنما هم يعدون أرقاماً ونهم آياته جمعت أسرار الحياة

محمد أحمد شرشي

الافصاح فى فقه اللغة

معجم عربي ... خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية رتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى ... أقره وزارة المعارف ، لا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير ، طبع دار الكتب

ثمنه ٥٠ قرشاً يطلب من مكتبة الرسالة
ومن المكتبات الكبرى ومن مؤلفيه
حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدي

لحظات الإلهام
في تاريخ العلم
بقلم ماريون فلورنس لانسنج

قصة العجلة

أخونا الثقل — الرفع والشد

كان الإنسان البدائي لا يضع على جسده ستراً سوى جلد حيوان، وكان إذا واجه صخرة أكبر من أن يستطيع حملها وإما حملاً عبئاً ينوء بحمله — هذه أول صورة تخيلها الرجل القديم أخذ يتحول عنه

ما أمثال وما أشبهها ما يحول الإنسان الأول عنه ما تصوره واقعاً بالمرء، وليس أمامه تاريخ بعيد منه وليس له إلا جسمه القوي وإلا مواهبه العقلية التي عليه أن يظفر بها الصيد ويقنصها له ! وكان لا بد له من صرعها لأنه إذا لم يحصل على الطعام والمأوى والصيد فإنه ميت لا محالة

إن لديها حلقة بالكثير التي هي وسائل صحته وراحته ولكن كيف يستطيع ذلك ؟ لم يكن لديه متاع تلك الكثير ولا لديه الرشد لما ورثناه، ولا مرانه في أن يكون بحثاً في الوصول إلى شيء ما، وبه الفراغ في معرفته — على الرغم من قلة التجربة — بحثاً وبحوثاً — في الوصول إلى أشياء يغني بها حاجاته

يقف الرجل البدائي أمام شيء أثقل مما يستطيع حمله كما صورناه في بدايته التالية وليس لديه من الآلات إلا أجزاء جسمه وليس يستطيع الصخر إلا إلى حيث تستطيع قدماه حمله ولا يحمل إلا ما تقوى قوائمه على رفعه ولا يجمع إلا ما يستطيع أمامه — هذه صخرة أمامه وها هو ذا لا يستطيع أن يحركها

وربما وجد هذا الإنسان القديم غصناً ساقطاً من شجرة، فوضع طرفه تحت تلك الصخرة، ودفعه فوجد الصخرة تتحرك ... إن حدث ذلك فإن دهشة ستغمره، وسيجرب غصناً قصيراً فلا يجد له فائدة وسيجرب غصناً أطول فيجد فائدته أكبر. وإذا صادف وجود صخرة أصغر من الأولى على مقربة منها ووضع الغصن فوقها ووضع طرفه تحت الصخرة الكبيرة فقد يجد أنه يستطيع رفع تلك الصخرة من موضعها بضغطات قليلة من جسمه على الطرف الآخر من الغصن دون أن يحشد عضلاته مشقة التعب والرفع

إن مثل ذلك جعله يخطو خطوة عظيمة في سبيل الابتعاد عن مستوى الحيوانات التي تعيش معه في نفس الغابة لأنه بإمكانه قد يكون قد عثر على قانون من قوانين الطبيعة هو نظرية الرافعة التي بواسطتها يمكن استخدام ثقل ضئيل لرفع ثقل أكبر بالضغط على الطرف الآخر

لم يكن يعرف في ذلك العهد أن هذا قانون من قوانين الطبيعة فقد مضت مئات كثيرة من السنين حتى ظهر العلامة اليوناني أرشميدس وبين هذه النظرية وما يمكن أن يترتب عليها من النتائج المدهشة فقال: «لا أريد إلا مكاناً آخر أضع عليه الرافعة فيصبح في وسعي تحريك هذه الدنيا»

وكانت لحظة عظيمة تلك التي عرف فيها أرشميدس قانون الروافع، ولكن لم يكن أكبر من هذه اللحظة تلك اللحظة الأخرى التي ... فيها الصياد القديم إلى شيء ... طاقة تصنع رافعة وهو يحمل كتفيها من الخشب ويحرك بها الثقل

كان هو الشيء بالرجل الذي رفع الصخور الضخمة وبنى بها أهرام مصر كما كان هو الشيء بمهندس القرن العشرين الذي رفع القوائم الحديدية إلى ناطحات السحاب

وإنما نجح ذلك الرجل لأنه لا يريد أن يفشل في واجب لم يستطع أداءه، وربما كان الصيد الذي أراد الصياد القديم أن يصل إلى كهفه مضروناً فيه حقه وحتى تفلتات من عنه، وربما

كان قد أخذه في تحريك هذا الصندوق عودان من الخشب وضعهما تحته فاستطاع بواسطتهما نقل الصندوق إلى مكان أبعد من الذي يستطيع نقله إليه لو حمله على ظهره

لكن هذه العمود كان في البداية شجرة طويلة غير منتظمة تتدحرج عليه على أرض غير ممهدة، فيتنقل الصندوق على عمودين من هذا النوع أشبه بمشي على جياد مُخشخشة. لكن صادف أن كان العمود تام الملاسة حسن الاستدارة، وكان وضعه تحت الصندوق بشكل حسن، فسهل تحريك الصندوق الذي كان تحريكه صعباً من قبل

في تلك العصور المظلمة التي نجهل حدوث هذه القصة فيها كانت توجد كتل من الخشب مستديرة وهي مقطوعة من جذوع الأشجار

وكان في ذلك العهد رجل أذكى من رفقته، فبعد أن حمل الأثقال على أشجار تتدحرج حتى كاد ظهره أن ينكسر، رأى أن يقصر اثنين من هاتين الكتل وأن يصل بينهما بعمود يمر وسط كل منهما لا يكون بحجم الشجرة التي تجر على الأرض

هذا هو أول نوع من أنواع العجلتين ومن العمود الواصل بينهما

وبهذه الوسيلة عرف الإنسان قانوناً آخر من قوانين الطبيعة هو نظرية الاحتكاك، والاحتكاك معناه مرور سطح على سطح وهذه النظرية تفيد الإنسان من عدة وجوه، وقد كنا نمر على الثلج بغير [illegible] «الباتيناج» لولا معرفتنا تلك النظرية

لكن إنسان ما قبل التاريخ كان يستخدم كل قوة ضد قوة الاحتكاك، فكان يوجد جيداً عجلات لجر الأثقال على الأرض، فما رفع الأثقال من الأرض استعمله كثيراً ووجد أنه أسهل من جرها على الأرض. [illegible] العجلتين المتصلتين وأصل بوضع [illegible] كثيرة، فقد أضاف قوة العجلة إلى قوته وجنى نظرية [illegible] أخرى رفع الثقل من الأرض حتى لا يجر جسماً مسطحاً على جسم مسطح

ونحن نجد [illegible] هذه النظريات من كتب الطبيعة بطريق المدرسة ولكن عرفها الرجل القديم لنا واحدة بعد واحدة، معانياً الكثير من التنقل في مجاهل التيه من النجاح وهو في أثناء ذلك يحتال على تخفيف مجهود القاسم الظهور والساعد القوي

إننا نجل الذين كان لهم من [illegible] ما ساعدهم على أن يخترعوا وأن يستنبطوا القوانين الطبيعية التي أقيم عليها بناء هذا العالم

فلا بدع أن نكرم ذلك المخترع المبكر الذي كان له [illegible] ما مكنه من صنع العجلة

أبونا النيل

«أقبل الفيضان! أقبل الفيضان! أبونا النيل جاء»

هكذا كان يقول الأطفال في مصر يوم يدرك كل منهم [illegible] ويذهب ليشهد النيل العظيم وقد بدأ يفيض ماؤه على جانبيه

وقد كانت أرض مصر مدة أشهر عشرة قبل الفيضان جافة بتأثير الشمس الاستوائية المحرقة وها هو ذا الصيف قد أقبل وارتفع ماء النهر المعهود جارياً على [illegible] ماء، وها هو ذا يترك مجراه ويصل إلى [illegible] كل بقعة من أرض البلاد فيهب الحياة، ويظل النيل [illegible] يوماً [illegible] على الناس ببركاته، وعندما يعود إلى مجراه الأمين بين شاطئيه الذي أنشأه بنفسه، تبقى ظاهرة بطبقة غنية من الطمي الأسود تستمد منها الحياة [illegible] الربيع وزهوره وحبوبه، [illegible] بها الناس إلى العام المقبل حيث يعود إليهم مرة أخرى [illegible] الثاني. أما في [illegible] الذي [illegible] في بلادهم [illegible] في الربيع والصيف والخريف، ويتساقط البرد في الشتاء، وفي [illegible] للماء غير منقطع، [illegible] الفيضان بالمعنى هو إخلال بنظام الطبيعة [illegible] لأنهم لا ينتظرون ولا يرجون الفجاءة التي تجلب [illegible] و[illegible] [illegible] ويتكلمون مما [illegible]

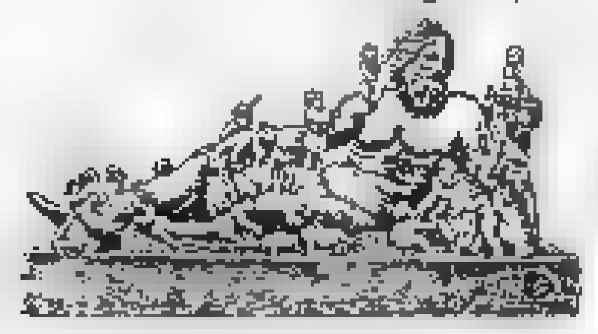

(أبونا النيل)

لكن أبانا النيل لم يكن بالضيف غير المرحب به على هذا الأخضر بالنسبة لأرض مصر التي تنتظره [illegible] في كل عام [illegible] أصبحت البلاد قفراً كالصحراء المجاورة لها. فلا عجب إذن في تقديس المصريين له وإكبارهم إياه أباً [illegible] ولا [illegible] يصورونه [illegible] الأرواح [illegible] تلعب في [illegible] وفي [illegible]

ولكن مع كثرة ما يجود به النيل فإنه سر جميع البلاد، ومع أن هذه الفيضانات محبوبة مهما طالت فإنه يظل كالنائم في عرائه الصيفي عشرة أشهر في كل عام. وعندما يطغى على الحقول يبدأ عمل الإنسان وقد كان عملاً عجيباً

هذا الماء الثائر الذي يأتي في وقت قصير يجب أن تحتفظ به، من أجل ذلك كان الأرقاء مضطرين بما يشبه أن يكونوا عبيداً حتى لا يضيع ماء الفيضان هدراً في الرمال. ويجب أن تحمل هذا الماء إلى الحقول والمدارس والمزارع التي تخرج من المنطقة التي يغشاها الفيضان. ومن أجل ذلك كان يكلف الأرقاء بحمل هذا الماء في أوان على رؤوسهم

وقد كان الجهد الإنساني رخيصاً في تلك الأيام وكان الملوك والنبلاء في مصر مئات وألوف من العبيد لا يعدونهم أفضل من [illegible]. ثم آلات إنسانية لم توجد إلا لتؤدي عملاً يراد له من [illegible]. وفي النقوش المصرية القديمة على الأحجار صفوف وصفوف من العبيد حاملين أواني الماء على رؤوسهم

لكن حتى الأرقاء ومن يعدهم إليهم ممن يسمون العبيد كانوا أهل ذكاء ولم يكونوا حيوانات تعمل بلا عقل ولا فكر ولا محاولة للتغيير. وفي يوم من الأيام حدث أن رجلاً ذكياً من بين الذين كان من واجبهم رفع الماء من المجرى المنخفض إلى الحقول العالية، حدث أن هذا الرجل علق دلوه بطرف عمود خشبي مستند وسطه إلى الجسر وعلق بالطرف الآخر من هذا العمود ثقلاً. تراه الآن يطبق نظرية الرافعة مرة أخرى، فيعلو الثقل في سهولة في الهواء ثم سكب في الموضع الذي أراد الرجل أن يرويه من ماء النهر

وقد كانت مصر موصولة الأجزاء على مدى طولها بفرع وقنوات [illegible] بواسطة الشادوف «الدلو والعمود»، ووضع هذه القنوات بعضها فوق بعض لرفع الماء من مستوى إلى مستوى آخر. ولكن كان لا يزال الرفع بواسطة رجال، وكانت كل القوة الدافعة التي يجب استخدامها من نشاط العضلات

ثم جاء رجل لعله أذكى وبه أصبح عبداً من غيره، فظل [illegible] أكمل من رفاقه، يراقب هذا العمود وهو يؤدي عمله بإحدى العربات المصرية وهي تسير بخفة بسبب عجلاتها الدائرة، فأخذ عجلة قديمة سقطت من إحدى العربات ووضعها في عمود فوق حوض الماء، ولف [illegible] وبعد ما ثبت أن الثقل يرتفع ويهبط في سهولة وأن المشقة قد قلت

كان الرجل يندفع إلى الأمام ثم إلى الوراء في أثناء أن يرفع الدلو ويغمسه في الماء، ويفكر في ذلك طول هذه المدة فوجد ذلك شيئاً متعباً تحول هذه الحركة، وهو فضلاً عن ذلك مضطر إلى الوقوف بين دفعة ودفعة

فلما عرف طريقة العجلة التي تدور دون أن تقف أو تعود إلى البدء، [illegible] هذه العجلة «الساقية» أضيف فصل آخر إلى قصة العضلات التي مكنت الإنسان بسبب ما نتج من سرعة الحركة من جر أثقاله ومن الاستقلال على عربته، ومن رفع الأثقال من الأرض. هذا فضلاً عن أن العجلة يمكن أن تدار سواء بواسطة الإنسان أو بواسطة حيوان يساعد الإنسان في هذه المهمة، ولكن في مصر كانت على الغالب تدار بواسطة الإنسان وحده لكثرة الرجال ورخص الجهد الإنساني

(يتبع) ع

Al Arab. 43

الكينا تفتح للصين عهداً جديداً مزدهراً

• [illegible] الإنسان في [illegible] كانت [illegible] شبه جزيرة [illegible] «[illegible]» الصين

• [illegible] أكثر من ألف سنة بسبب [illegible] «الملاريا» [illegible] الملاريا [illegible]

[illegible] في نطاق التاريخ القديم [illegible] ١٩٣٦ [illegible] في البرلمان [illegible] الملاريا [illegible] أرسلت [illegible] الملاريا [illegible] الكينا [illegible]

[illegible] الصين [illegible] الكينا [illegible] الملاريا [illegible] العلاج [illegible] الصحيح [illegible]

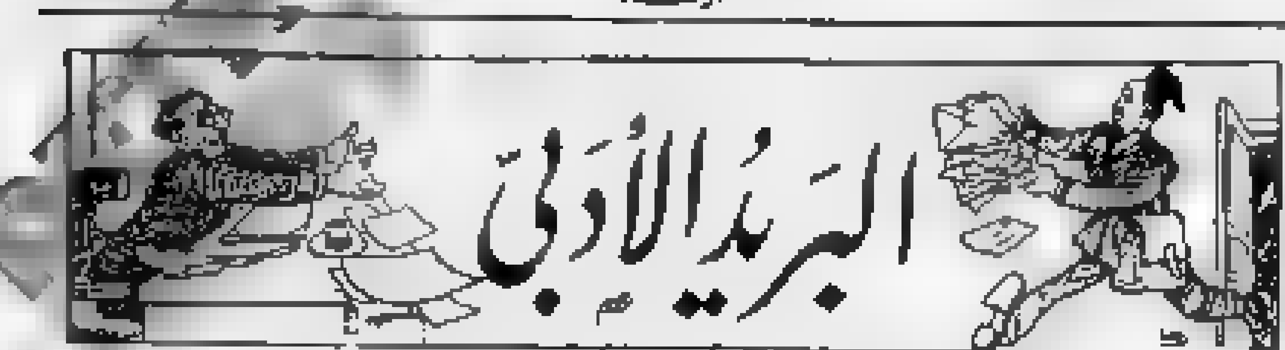

على مسرح الأوبرا

افتتحت الفرقة القومية موسمها على مسرح الأوبرا بمسرحية «مصرع كليوبترا» وهي فاتحة في أدبنا الشوقي، وميزة المسرحية أن موضوعها مصري وأن صاحبها وضع المسرحية شعراً. وكان على نظرنا في مبناها ومعناها أنها الأولى لا تخرج عن طرائق النظم المألوفة بمحاسنها ومساوئها، مع وجود تحرّي التعبير الفصيح، وطلب الحكم والأمثال على أسلوب المتنبي وغيره.

ذلك هو شوقي الذي لم يستطع إقدامه على ذلك أن ... الشعر الغنائي. وأما المتنبي فسرّه الذي المحسه وزينه التطريب، ثم بجودة الإيجاز في التفكير الشامل، والكشف عن مواطن النفس، وتشبيه الطبع الرصين على التصريح الذي لا يدع شيئاً فيه متحصل.

وقد أتى المثلون شعر شوقي كما كنا نلقي الشعر العربي في المدارس: تقطّع أقسام البيت وتفصل عند العروض ثم تسقط على الضرب والذي يحرك الست الوزن الذي عنيه صاحب القصيدة أو القصيدة ... في ذلك الأمر ما فيه من غرابة، فإن الشعر ... في أوربا (ومنها ما أخذ عن شكسبير) يلقى على المسرح كأنه نثر. وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بجملها وألفاظها لا بأعاجيلها، والضاحيين كلها الصامات والكشف في ضرب، وأما المعاني والألفاظ فأداؤه والذاتين والحصار، وكل ما يأخذ الطرب. كل ذلك مهملاً من أن تقطيع أقسام البيت، ووصفه مصراعين، والضغط على القافية الراجحة، يورث الملل ويمسك الأذن، وخير من هذا إنشاد البيت على حسب انسياب المعنى في مساقيه، مع التمهل عند الفصله أو السكت أو المفاظ الوقية، ومع مسايرة العروض والضرب، كأن القصيدة كلها بيت «مدور» على قول أهل العروض. ومما يذكر بعد هذا أن الممثلين لم يحسنوا الإنشاد، ولكن بين الإلقاء والتنغيم (ولا سيما السجع) مشابهة شديدة.

وكان التمثيل يجاري لون المسرحية نفسها، وهو اللون الإيجابي romantique (على حد تعبير القصصيين صاحب «الرسالة») بل كان يذهب وراءه على الغالب، بحركاته ومبالغته في الإشارة، والإفراط في التعبير عن الشعور. ولم يُمسك عن هذا إلا ثلاثة: محمود فهمي، وحسين رياض، وعباس فارس، إذ ظهروا الاعتدال في الأداء، فتمم أن الصدق فيما هو طبيعي.

وأما إخراج المسرحية فلا أكتمك أن المنظر الأول صدم عيني، فهو منظر «طيب» المسرحية القديمة. ويعلم الله كم مرة مثلت هذه المسرحية في دار الأوبرا الملكية، فكيف غاب عن المخرج أن الفن يتطلب مناظرها، بل كيف فات منه أنها يمكن المنظر واحداً منها في «مصرع كليوبترا» أول ما يقع المنظر وقد رجعت إلى نص شوقي، فقرأت «المنظر الأول — في مكتبة قصر كليوبترا — أشخاص جلوس إلى أعمالهم» والغريب أن الناظر لا يقع على المسرح كتاباً واحداً، وأن الأشخاص مكان يتسع إلى بعض حاجاتهم ردهة أو لا أبهاء. وحداون الإخراج ما أخذ أخرى أنه منذ واحد منها كانت الإشاعة تجري على نحو مصيره في حب الأمير وأكثر الطفل. فكانت شديدة جداً في مشاهد تتعلق ببعض الثقافة، في مشهد مصرع كليوبترا مثلاً حتى الفصل الثالث — وهو يفصل الستار عن مشهدين متجاورين أحدهما حجرة الكاهن في المعبد، والآخر جانب من خارج المعبد فيه شجر وبقعة — حتى هذا الفصل، على حسن توزيع منهجه لم يستطع أن يرمي إلى الناظر ما يتمناه المؤلف والمخرج جميعاً، وعلة ذلك اضطراب الإضاءة، فقد كان يرى أحد الجانبين يسطع قبل انطفاء نور الجانب الآخر أو بعده قليلاً، فلم يتمكن الناظر أن ينتقل في وجهة نفسه — من مشهد إلى مشهد — إلى المنظر إعطاء والإبهام قبل كل شيء.

وهذا الحديث يجرّ على الإخراج في الفرقة القومية، فهل أخفي عليك أني دهشت — وقد دهش غيري — أن الأستاذ زكي طليمات المخرج المصري لم يُدعَ منذ نشأته، بعد رحيل المخرج الفرنسي (فلاندر)، إلى الوقوف على شؤون الإخراج في الفرقة

وهل هنالك من يحب به من حيث الإخراج أولاً ما يجب ثم كيف يمكن ناشر أن « أهل الكهف » و « تاجر البندقية » خرجتا من يد ذلك الشباب ألطف إخراج ، ولكن الأولى بالإعانة ما تحوي الجمهور المصري ما فيها من فن دقيق ؟

فكم تهمل الكفايات — وما أقلها ! — في هذا البلد ؟ أو ليس مما يصدع نفس ما جاء في خطاب رئيس الوزراء « وكم ساعدنا المقتدرين من أهل الفن والحرفة يقصرون عن العمل مما هم أهل له » بشر فارس

حاشية — [illegible]

بيني وبين القراء

١ — اطلعت في العدد الأخير من الرسالة على كلمة لحضرة الأخ الكريم الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف يذكر فيها أن الحديث الذي جاء في مقال صاحب العزة الدكتور طه حسين بك لا حقيقة له وأن ذلك الاحتجاج من صنع الخيال

وقد دهشت من كلمة الأستاذ خلاف ، وبلغ مني العجب كل مبلغ ... ولولا الرغبة في حفظ حقوق الأخوة لنقلت إن كلام الأستاذ يحتاج إلى تصحيح ، وقدمت له الأدلة والأسانيد ، ولكن الأستاذ خلاف كما أعرفه يعجز عن المجادلات والمطولات ، ويكره ما يصحب النقد أحياناً من صخب وضجيج ... ومن حقه علينا وهو أخ كريم أن نجنبه مواطن الشغب والصيال

وما عز علينا جهد التوفيق ، فهو عندنا أهل التكريم والتبجيل ، وسنصدق ما يقال من خطاب يوم نلقى مرة أخرى في حضرة الدكتور طه حسين

٢ — قرأت « الحد الفاصل بين أدب الروح وأدب المعدة » لحضرة الأستاذ محمود علي قراعة ، وأنا أشكر لهذا الصديق الفاضل ما تجشم من المتاعب في شرح الفروق بين النوازع الحسية والعواطف الروحية ... ثم أعتب عليه ... فقد آذى أن عرف أن زكي مبارك « يتحدى كل فكرة روحية ، ويتهكم على كل نزعة خلقية » ومؤلفاتي ومقالاتي وشعري في الحياة تشهد بغير ذلك . وهذا التحدي الذي ينسبه إلي بعض القراء هو من الشواهد على نور الروح ، وإن كانت المنافع المادية مما يدخل في حسابي لما استوجبت الهجوم على فلان وفلان وفلان في سبيل الحق ، ولهم قدرة على الضر والنفع ، ولهم أسنة ، يتجنبون ويتوكرون ، ويحسب لهم طلاب المنافع ألف حساب

قد يكون المظاهر دخل في تكوين الصور التي يراها بعض الشيوخ . فقد أكثرت من الكلام في الفراديسيات والوجدانيات ، ولكن هذا الميل هو في جوهره من صميم الروحانية وسلفنا في التغني بالسماحة والملاحة والجمال ، تلك مع الله الذي خلق الوجود موسم فتنة ومطالع أقمار ومشارق شموس ، فإن كان هذا ينافي الوقار في نظر بعض الناس فهو عندي من أصدق الشواهد على الروحانية والتعقل ... ويرحم الله من يقول :

شاع في العالمين أني أديبٌ ... جامع للتقى كامل الآداب
فاسمعوا للجمال شعري وعذري ... نفس بالجمال من كل ذي
[illegible]
لو سمعوا ... سطور الشرق ... سبحوا للجمال في المحراب

ومن غرائب الدهر — والدهر غرائب — أن أضطر إلى الكلام عن نفسي وقد عرفت باهتمامي بالمعاني الروحية والذوقية صريحة من الشرائع ، ومن الأدب ما حملت من أزمات الأرواح والقلوب في الشرق والغرب ، ولم يكن خفق الأحاسيس في صحراء النفس أقل من خفق الأزاهير في حدائق الروح

الأستاذ محمود قراعة رجل فاضل ، والفضل يوجب عليه أن يعترف بأصل الخلاف بيني وبين الأستاذ أحمد أمين في الفصل بين أدب المعدة وأدب الروح ، فقد أنكرت عليه هذه التسمية مع تخصيص القرآن ، لأن القرآن يرى الشخصية الإنسانية مكونة من جسد وروح ، وقد وعد المؤمنين بأن سيكون لهم في الجنة طيبات من النعيم المحسوس

والفضل يوجب على الأستاذ قراعة أن يعترف بأني نقلته من حال إلى حال ، فقد صرح بأن ما ورد في القرآن من اللذات الحسية ليس إلا رموزاً وإشارات ، وأحسب أن بعض المفسرين يتهكم على حين أننا نقول بأن المؤمنين سيكون لهم في الجنة أطايب من أشهى الملذوذات !

وقد بينت في الكلمات الماضية أن هذه النزعة لم تصل إلى بعض المسلمين إلا من طريق النصرانية ، وقد اقتنع الأستاذ قراعة بهذا الرأي بعد أن ترسم لتوشنات موجهاً إليه بحث من مصر وبحث من فلسطين

أما ثناء الأستاذ محمود قراعة على الأستاذ أحمد أمين فهو مقبول ، وكذلك الله يقبل مبالغة ، وأجابه في عموم القيمة الصحيحة

للأدب العربي ، وصفه بالعمل لا بالقول من أسرار الروح !

إسمعوا كلمة الحق ، أيها الناس

إن الأستاذ أحمد أمين قال في أدب العرب كلاماً لم يقل مثله في سعة الروح بعد من الغربيين ، فكيف يكون صحيح أعلامه سرياً من العدوان على الأمين !

٣ — أما الأستاذ محمد علي مكاري فيرد عليه في العدد القادم وأن الفتنة التي ثارت بين الدكتور مندور والدكتور أدهم وشغب بها إلى أمس عدة صفحات فقد أكشف عنها كلمة عند أساليب زكي مبارك .

الأدب التحليلي والتركيبي

حضرة الأستاذ الفاضل محرر مجلة الرسالة

تحية وسلاماً ، وبعد فقد جدت لي بعض الملاحظات وأنا أقرأ ما كتبه الدكتور زكي مبارك أخيراً في الرد على الأستاذ أحمد أمين أجملها فيما يلي :

١ — يقول الدكتور زكي مبارك : (يصف العرب الأدب التحليلي عرفه شعراء العرب منذ أقدم العصور ، وعليه (يريد أحمد أمين) أن يرجع إلى معلقة طرفة ومعلقة لبيد وعينية ابن سويد —) والرأي عندي أن زكي مبارك أخطأ فهم المقصود من اصطلاح الأدب التحليلي ، وإلا لما أجاز لنفسه هذا القول فمعلقة طرفة ومعلقة لبيد ، ليستا من الأدب التحليلي في شيء لأن التحليل كما يعرفه ويعرفه كل الباحثين في فروع الآداب هو رد الأشياء إلى أصولها الأولى ، وبيان تفرعها من هذه الأصول ووجه هذا التفرع . ومعلقتا طرفة ولبيد ليستا من ذلك في شيء وإنما الصفة الغالبة عليهما صفة الوصف التشريحي ، فطرفة مثلاً يصف لك الجمل في معلقته بدقة تشريحية ، ويمكن عد هذا الوصف التشريحي وصفاً يعرض لك التفاصيل في دقة متناهية ، فهو يجهد بعد ذلك كل الجهد في أن يظهر لك الجمل في حالة شاخصة ذلك أن هذا الوصف التشريحي بصفته المجردة من الناحية من جهة ثم إدخال عنصر الخيال فيها من جهة أخرى . ومن هنا جاء المقصود من أن يطرق الشاعر الناحية التشبيهية في وصف الجمل . كذلك يمكننا أن نقرر هذا الكلام في شيء قليل من التعديل فيناسب المقام حين نعرض لمعلقة لبيد أو عينية ابن سويد ، أو غيرها من غرر زكي مبارك كنماذج للأدب العربي التي يجري فيها النهج التحليلي

٢ — ويضرب الدكتور زكي مبارك مثلاً لما يحسبه النزعة التحليلية من أكثر الشعر العربي فقال : إن قصيدة ابن ... في الشكوى من القلب فيها تحليل واستقصاء ، ثم انتقال من العموم إلى الخصوص ... فهي عنده تمثل التحليل النفسي . والذي عندي أن الدكتور زكي أخطأ فهم القصيدة ووعيها وخصائصها . فالقصيدة ليس فيها تحليل ، وإنما كل ما فيها وصف ساذج لحالات تتقوم بفكرة التنقل من القلب . كذلك قصيدة الطغرائي في الحماسة الباكية ، يمكن أن نقول عنها إنها وصفية سلمت سمة من التحليل . أما قصيدة الشريف الرضي فلا يبدو فيها من تسلسل الفكرة والتوسط بين الموصوفات التي تتنقل فيها القصيدة ، هي نتيجة ستكون طبيعية للآراء المتعبة على الشريف الرضي ، وليس من ذلك طبيعة التحليل في شيء .

٣ — ويتصور الدكتور زكي مبارك أن النزعة التشبيهية في الأدب تقوم على أساس الإبهام بصور للتأثير وإشعار السامع والقارئ بأن هناك هاوية فيها خوف والتعجب والتهويل . وهذا خطأ ، لأن القدرة على الوصف وإجراء الحوار شيء ، والقدرة على التحليل شيء آخر ، فقد يكون شاعر من الشعراء وصافاً ، ولكن ذلك لا يعني أنه صاحب تحليل يمكنه من رد الأشياء إلى أصولها الأولى . وإليك مثلاً لذلك مرثية ... في وصف حالته الشعورية وهو يرى منظر الموت أمام الخصم ، فهذه القصيدة — وقد ذكرها زكي مبارك — وصفية ، وهي بعد ذلك خالية من عنصر التحليل لحالات الشعورية التي كانت منتابة في ذلك الموقف والأحداث التي كان فيها ، ومنظر الموت أمامه

والذي عندي أن السبب في خطأ الدكتور زكي يرجع إلى أنه خلط الوصف من التحليل ، ويرى هذا الظن الخاطئ أنه قرأ لإسماعيل مظهر وللأستاذ ... أن ابن الرومي متفوق في الوصف ، ثم قرأ لهم أنه صاحب طريقة التحليل في الأدب العربي فاختلط في ذهنه هذا بذاك وكان منه الظن بأن الوصف هو التحليل

هذه ملاحظات وجدت من الخير أن أعقب بها على ما كتبه الدكتور زكي في هذا الموضوع ، وليس لي غير الرغبة في تبيين رأي تقدم لي في هذا الموضوع والسلام .

(الإسكندرية) إسماعيل أحمد أدهم

حول ابن تيمية وابن بطوطة

اطلعت في الرسالة الغراء على كلمة للأستاذ محمد حسني الرازي يأخذ فيها على الشيخ الخالدي ما نقله عنه من أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية ، وكان الشيخ قد ذكر هذا فيما كتبه به من قول ابن بطوطة إنه رأى ابن تيمية على منبر الجامع بدمشق يقول : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر

فأما إدراك ابن بطوطة لابن تيمية فلا شك فيه كما قال الأستاذ الرازي . وقد وقع السهو في وضع كلمة يدرك مكان كلمة يلق ، والكاتب الفاضل يوافق الشيخ الخالدي في هذا

وأنا مع إجلالي للأستاذين لا أجد ما يحملني على تكذيب ابن بطوطة في أمر يدعي أنه رآه وسمعه

عبد الوهاب عزام

رواية «[illegible] في الهند» — إلى ناقد الرسالة

سمعنا مساء السبت الماضي «٢٩ / ١٠ / ١٩٣٩» عن طريق الإذاعة اللاسلكية من مسرح «ريتا» بالإسكندرية ، رواية «[illegible] في الهند» تأليف الأديب محمد شكري ، وتمثيل الممثل القدير علي الكسار ، ويسوءني أن أقول : إن هذه الرواية ساقطة ، ومن أتمه من أن نشاهدها أو نذيع أو نسمع !

ولعلك يا أخي سمعتها أو شاهدتها فرأيت كيف بعدت غريبة في فكرتها وفي موضوعها وأسلوبها وأغانيها وفي حوارها ، ولولا وجود بعض المقتطفات [illegible] أن يطالب مساعدو الرواية [illegible] لم يسمعوا رواية [illegible] تهريجاً مجهولاً ، كالذي يقوم به «الحواة والقرود» في الأحياء الفقيرة من العاصمة والأقاليم [illegible] أو ملهين

لقد جلسنا إلى المذياع وابتدأت الرواية ، ورحنا نفتش عن فكرة تدور عليها ، أو معنى ترمي إليه ، فتتابعت الفصول والمناظر ، وأعلن المذيع انتهاء الرواية ، فدهشنا كما دهش الشاهدون بالمسرح ، لم نسمع منهم هتافاً ولا تحية ، ولو على سبيل المجاملة !

لم تخرج الرواية عن جملة من الأغاني العادية وضعها جملة من «النكات والقفشات» وبعض الأغاني كانت جديدة ، أو جميلة ، أو قوية ، ولكنها كانت قديمة ، مبتذلة ، ممجوجة ، وإن ظهرت في ألفاظ جديدة وشكل جديد ؛ والمعنى المكرر يسأم ولو عرض في آخر مكسواً بحلل غيره من أوله ... !!

قد يقول قائل : إن الفرقة فرقة هزلية ، والرواية رواية كوميدية مضحكة ، وعلى ذلك فلا يشترط أن تتضمن فكرة معينة أو ترمي إلى معنى ؛ ونقول : هذا خطأ ، فلابد من روح المسرح حتى في رسالته ، سواء كانت الرواية جدية أو مضحكة ، وسواء كانت من «الدرام» أو «الكوميدية» ، فإنا نستطيع — بل يجب — أن نوسع مدى هذا الفن ، فنؤلف من الفكرة ونعرض ما نشاء من مبادئ ، ونظهر ما نشاء من غرض

وقد تستطيع الرواية الهزلية بما لها من «القفشة» و«النكتة» المضحكة ، أن تؤثر في أفكارنا وفي عواطفنا وفي نفوسنا ، أكثر مما تؤثر الرواية الجدية ؛ فإن النفوس أميل إلى الضحك ، وأولع بالهزل ، ومن هذا السبيل نستطيع أن ندخل إلى النفوس ما نشاء من آراء ومبادئ . وقد يستطيع الممثل الهزلي بسخريته واستهزائه وتهكمه ، أن يقف منا موقف الحكيم الفيلسوف ، ويهدي الضال ويرشد الحائر ، ويقوي الضعيف ، ويحد من الطغيان !

لقد كانت رواية «[illegible] في الهند» التي نحن بسبيل نقدها ، تتحدث عن أن الهروب إنما هو [illegible] ، وأن [illegible] إلى الهجر فإنه لا يصح . ولكن هل أستطيع حقاً — أو يستطيع من سمع أو شاهد الرواية — أن أقرر إنني آمنت — بتأثير الرواية — بهذا المبدأ ؟ هل استطاعت الرواية حقاً أن تظهر هذا المبدأ الأخلاقي كأنه حقيقة ساطعة مقررة ؟ الجواب : كلا

إنما أكبر اللوم — كما أعتقد — يقع على مؤلف الرواية ، لأن الممثل يتمم خطأه ، ويحسنه بأسلوبه وطريقته ، ولو أن المؤلف أحكم التأليف لاستطاع أن يعيد للممثل الكبير مجده في الرواية الكاملة

يا حسرة على المسرح المصري ! لقد ظهر عدوه اللدود «السينما» ونجح [illegible] في كل مكان وكل ميدان ، وكنا نتوقع من المسرح أن يشمر عن ساعده ، ويحمل سلاحه لناحية هذا العدو الجديد ، لكي يثبت أنه جدير بالبقاء والحياة ، ولكنه — مع الأسف — رضي من الغنيمة بالإياب ، واستطاب الركود والخمول ، وما دليل على ذلك إلا إقدامه على تمثيل الروايات القديمة المكررة التي أكل عليها الدهر وشرب ، فإذا ما أقدم على التجديد والتأليف ، جاءنا بالمثل البارد الذي لا يشبع روحاً ولا يرضي فناً ، ولا ينال نظرة من إعجاب أو تقدير !

أحمد محمد الشرباصي

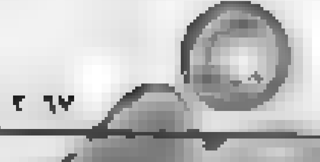

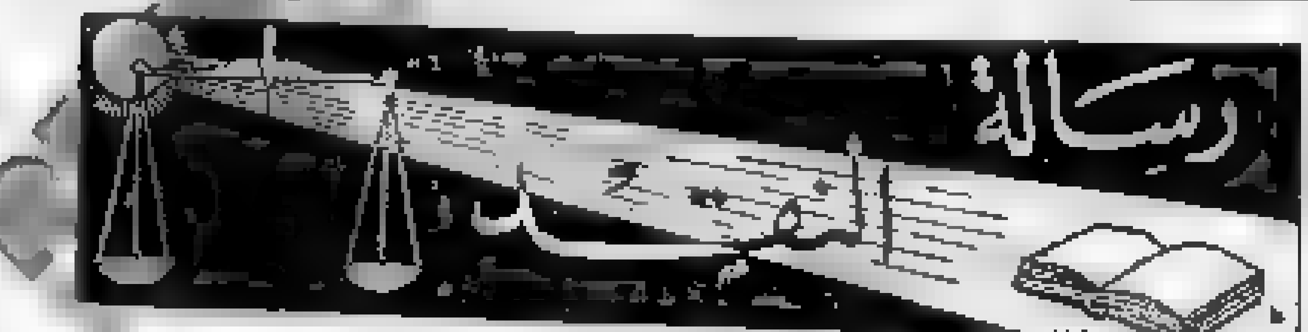

لا بد مما ليس منه بد

حول كتاب

بقلم الدكتور بشر فارس

قال لي ناس — وأهل النصفة كثير — رأيناك تشهر القلم في وجه بعضهم إزاء الخروج عن النسق ، إذ قلت (الرسالة ٣١٤) : « إن الجو في مصر أمسى شيئاً مفعماً بسَدَّته وبه حرّاسه ، مكتظ بأحداث القول الظني والكلام التحدّي واعتدال التحكم والتظاهر والنسب والمراءة » . ونصحت لمن يؤثر التطاول أن يطيل فروته ، ويصرف مواهب أصيحة ؛ إنما هو أفضل في الاشتغال بالعلم أو بالرد على من يوشر عليه ، لأن النقد لا يريد فيه إلا حدوداً في خدمة العلم وحده » . وهذا الناقد ينصبه كلامك فيكتب مقالة وثانياً وثالثاً ، وأنت معرض عنه وقد قلت كلمتك سارت . فهل أنت في مثلك أن تكشف عما يجب أن يكشف عنه ما دام القسطر يختص بطرق الناظر على يديه إلى محاكمة

قال لي ناس : حقت شهرت القلم من قبل السبب الذي تعرفونه ، فقد رأيت الرجل يلوي قلمه ويكابر . قلت في نفسي هذا الوادي لا أنزل فيه ولا تحمل للظن بالوثب في منحرفاته إن إسماعيل أدهم تخرّج في جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ على قول مجلة الحديث (حلب ١٩٣٨) ، وأنا في غير هذه الجامعة تخرجت ؛ وقد لقيت من أدهى أن الجرم طريق الحق كيفا دار وجهه انقطع ولا أدري كيف يكون المتلقين في جامعة موسكو . ثم إن المناظرة أرفق ظنيه . فعمد إلى محاكمة ، فسمي البرهان أن أدون ما برهنوسكم

* * *

فلك كلي في « الرسالة »[1] بعد نقد أدهم الأول لكتاب « مباحث عربية » ، ورد أدهم في الأعداد ٣١٧ و ٣٢٦ و ٣٢٨ وكتبت أنا وجري رد كيف يحاول أدهم التنصل في الصفحة ما حسب الرتبة

كنت قد كتبت إلى أدهم « نفثني الغرب » ، يد بحول « بشر الباحث يستبين » كلمة الصبو منافاً ! ريد صبوة من intuition في ص ٥٧ من مباحث عربية » . وردت « ... من الغريب أن أدهم كلمة intuition بين كلمة الصبوة في الصفحة المذكورة وقد أطلقت صاحب « الرسالة » ووحي تحرير للنعليق على ذلك ، إلى أن جاء أدهم بالكلمة العربية ، وكيف جعل « أستبر » ما يجهل عن أنا « مستبر » ؟

ثم كنت كتبت أن أدهم « رجل الصادر » وبيّن أنه يستشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم من الكتاب المقدس ، على حين أن « سفر دانيال » كله اثنا عشر إصحاحاً فقط . بيّنت كيف اقتبس أدهم ذلك المرجع الوهمي من كتاب « نقل الحضين » براو فرح . وكيف سقط هذا المرجع هناك من باب الغلط الطبعي — إذ الصواب الإصحاح الرابع — سقط عليه أدهم من غير تمحيص ولا رويّة . ثم إني أثبت دليلاً آخر على أن أدهم يستشهد ، عند الكلام على « أنساب العرب » ، الجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم وعيّن الصفحة ١٨٧ مع أن من يعرف صاحب الطبع يعرف أن « الفهرست » لم يخرج إلا في جزء واحد ، وأن الصفحة التي عينها الرجل لا أثر فيها لما استشهد به . وكان أدهم قد أخذ نص الاستشهاد إلى ابن حزم مسألته من ابن حزم هذا ومن كتابه ، ولابن حزم الشهور ستة وثلاثون مؤلفاً ! فاستخلصت من هذا أن أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يرجع للثقة ، وأنه مع « سفر دانيال » . هذا وأحسن من هو أرسخ منى في العلم قدماً أن ما استشهد به أدهم إنما هو وارد في الجزء الثالث من كتاب « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » للألوسي . فانظر كيف يكون الاضطراب في تناول المراجع

[1] ... الفصل الثالث من الكتاب الأول ... الفصل الأول من الملحقات — راجع أيضاً ...

كيف ذلك؟ فاسمع أدهم من الحجاج، أم على أبي التسليم؛ أحياء أم مكابرة؟

أما نقد أدهم الثاني فلا يُلتفت إليه؛ لأنه عناد ومغالطة وتعمّد، وعود إلى اختلاق القول وتهويل وتقدم من عوك. والله يعلم أني لست ممن يحيط الكلام ويرسل التهمة؛ فرجائي من القارئ أن يلمس بعض الأدلة:

– أما العناد فمن إصرار أدهم على أن المسلمين الذين [illegible] إليهم في فنلندة سنة ١٩٣٤ لم يرحلوا إليها عقب الثورة البلشفية في روسية؛ على حسب ما أثبتُّ نقلاً عن هؤلاء المسلمين أنفسهم واستناداً إلى بيان موظفي الحكومة الفنلندية. إن أدهم [illegible] على أن نظن أن أولئك المسلمين من سلالة طائفة من الترك [illegible] في «القرن السادس عشر للميلاد»، وحجته هنا أن مدينة «بوركو» الفنلندية [illegible] من هؤلاء الترك [illegible] على عهد [illegible] إلى مدينة «بوركو» [illegible] إلى الثالثة الرابعة عشرة، واستشهد [illegible] بدائرة المعارف البريطانية. ولكن أدهم لم [illegible] شهادة دائرة المعارف البريطانية — ولعل هذا مما لا يعرف عنه في جامعة موسكو — بل عاد إلى تشكيكه في تاريخ هجرة أولئك المسلمين، وقام يستند إلى كتب ألفها [illegible] من روسيه يبرهن على أن جماعة من الترك رحلوا إلى فنلندة قبل الثورة البلشفية، وأن أمرهم مشهور.

وحسبي اليوم أن أعرض رسالة بعث بها إليّ رأس المستشرقين في روسيه، وهو الأستاذ كراتشكوفسكي أستاذ العربية وآدابها في جامعة لننجراد (وهي غير جامعة موسكو، كما يعرف أدهم بعينه) ومن أعضاء الأكاديمية الروسية فيها؛ (وقد اطلع صاحب مجلة «الرسالة» ورئيس تحريرها المتفضل على تلك الرسالة) ونصها:

«سيدي الأستاذ الفاضل سلاماً واحتراماً وشكراً على ما أسعفتم [illegible] من رسالتكم القيمة عن أحوال المسلمين في فنلندا، وقد قرأتها بكل إمعان ولذة في مجلة الدراسات الإسلامية، ولكم الفضل في لفت أنظار العلماء إلى هذه الزاوية من العالم الإسلامي المعاصر» اهـ

وعلى هذا فقد شهد شاهد من أهله، وأي شاهد!

وهل ثمة حاجة بعد ذلك إلى أن أخبرك بأن «مجلة الدراسات الإسلامية» التي يحررها المستشرق ماسينيون في باريس نشرت حديثي عن أولئك المسلمين في «[illegible]»، نشرته بالفرنسية سنة ١٩٣٤ قبل أن أنقله إلى لغتنا في «مباحث عربية»؟ أو إلى أن أخبرك بأن للمستشرق جب Gibb من أساتذة [illegible]، [illegible]

بعث إليّ برسالة (اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحريرها المتفضل) يقول فيها إنه لم يلق شيئاً من أولئك المسلمين [illegible]

– وأما مغالطة أدهم، فقد جئنا من قبل [illegible] الكلام على ترجمة عنوان كتاب جعل اسمه أول الأمر «مجموعة محاضرات [illegible] في علم الاجتماع في السوربون»، حتى إذا [illegible] للمغالطة قال (الرسالة ٣١٧ وردي ٣٢٠) إن مترجماً للكتاب [illegible] اسم «قواعد منهج علم الاجتماع» تحت عنوان [illegible] «أصول السنة الاجتماعية» (وهي [illegible])، وقد حاول [illegible] أن يضم كل «مجموعة» [illegible] القوانين. ثم إنه [illegible] كان قد استند إلى ترجمة الكتاب الإنجليزية فكيف يناقش – أول [illegible] يناقش – في الأصل الفرنسي ويعين صفحات منه؟

– وأما تعمد أدهم في القول فيه [illegible] ما حاله أن يكتب في جانب الله. ووالله ما أدري ما الذي استدرج الرجل إلى التحمس للنقد اللغوي، وهو لا يزال يأخذ لغتنا [illegible] كما يقول (الرسالة ٣١٣ ص ٣٣٦)؛ وهو يريد الاعتذار من [illegible] سيبويه [illegible]: «إنني حين أكتب بالعربية فإنما أكتب بلغة غير لغتي الأصلية، ومن هنا يجيء ما يجيء على قلمي من التعابير المخالفة لكتاب اليوم استشراءً كما للمعنى الذي في ذهني». [illegible] ولا شك عندي أن القارئ [illegible] أدهم [illegible] واحتلال مواقع ألفاظه، وكثيراً ما [illegible]، وأنا أناظره حتى يحمده القارئ. وهيهات أن أحمل أدهم [illegible] في نقده الثاني مقتطفاً من آرائه اللغوية الأولى [illegible] فقد نصحت له من قبل أن يقرأ النوع السابع والثلاثين من «المزهر» للسيوطي حتى يتبيّن معنى «المترادف»، ونصحت له فوق ذلك أن يراجع [illegible] اللغة والمعاجم الفلسفية في العربية والفرنسية جميعاً ليعلم أن «الأخلاقيات»: (morale يعني éthique) شيء، و«السلوك»: (moralité) شيء آخر [illegible] وأنا لا أملك إلا النصيحة!

وحسبي اليوم أن أعرض للقارئ جانباً من نقد أدهم الثاني في باب اللغة: قال أدهم (الرسالة ٣٦٦ ص ١٩٢٤) — وهو على كل [illegible] «وليس [illegible] (يعني [illegible]) اللفظة المتشابهة [illegible] synonyme أمراً [illegible] (أصبح [illegible]) [illegible] في العربية لأن المتشابه [illegible] (!) من الألفاظ التي تنظر إلى synonyme» [illegible]

synonyms تعد مرادفة لكلمة « المترادف » عندنا . فأين كيف يكون الألفاظ المتشابهة والمتباينة مترادفاً إلى المترادفة ، وبين الثلث والمثلث ، بين الأبيض والأسود ؟ ثم قال أدهم (الرسالة ٣٣٦ ص ١٩٩٦) : « أما من حيث عدد الروايات (الخاصة بالروضة) من الجاهلية أو عدم حجيتها ، فلا يؤثر في ترجيح ... الأهمية في شيء ، لأن حقها أتى من صدر الإسلام ، والمرجح اعتناء (بريد تمييزاً قد ولد مستحدث بسبب أسلوب الرحل) فلا معنى للاحتجاج بأنها تعد (من الروايات) من الخاصة ، ولذلك بقي معنا لفظة الروضة لازمة معروفة العهد في الجاهلية وصدر الإسلام ، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ » طرق ملتوية الدكتور جبر في مباحثه العربية » . هذا ، وعلى الأستاذ الدكتور أدهم أن يرجع في « المصحف » لابن فارس بابا سماه مرتب التالي عنوانه « الأسباب الإسلامية » ليتبين له أن الفرسة التي لها أن « تندر » كإجون ، فانتقال أهله من جاهليته إلى الإسلام بوجه حلال أموال ، وأبطل أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بعد الأمر الأول » . فيرجع الأستاذ الدكتور أدهم ذلك الباب ، فهو إليه حاجة ، ويطمئن إلى أن ابن فارس لا « يوهم القارئ » بطرق ملتوية » مثل ابن فارس

— وما عود أدهم إلى اختلاق الكذب فحسبه أن الرجل قال (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) إن « الست » رسالة بالمرتب عنوانها « المرض عند عرب الجاهلية » وموضوعها أن أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى المرض ، ثم زاد « ولما كان للمستشرق جولدتسيهر Goldziher قد كتب فصلاً كاملاً عن الروضة ذهب فيه إلى أن الروضة كانت تنزل منزلة القصبة عند عرب الجاهلية فقد انبرى الدكتور بشر أن يعود ثم (بريد سنة ١٩٣٧) ليناقش رأي جولدتسيهر وكتب مادة مروءة في تكملة دائرة المعارف الإسلامية ثم توسع فيه فكان منها موضوع مبحث الروضة من كتاب مباحث عربية » اهـ

والرد على هذا أن كتابي « المرض عند عرب الجاهلية » مطبوع ومتداول ، وهو موجود في مصر ، في دار الكتب مثلاً وعند نفر من معارفنا وكتابنا . فمن ذا الذي يحول بيني وإثباتي في هذا الكتاب — وهو الرسالة التي نلت بها شهادة الدكتوراه من السوربون — رأى جولدتسيهر ومن تلا تلوه من المستشرقين ؟ إني لم أعول في مبحثي الذي نشرته في دائرة المعارف الإسلامية الخارجة في موضعه ولا في مبحثي المدرج في مباحث عربية مما جاء في كتاب المرض عند عرب الجاهلية . بل ما ذهبت إليه هنا هو

مذهب إليه هناك مع زيادة في سياقه لتصرفي وزيادة في نصوصها ، ولا عجب ولا تمويه إلا أنه وجدت مروءة ما فيه في كتاب المرض (ص ٣٠ — ٣٢) جاء في مباحث عربية (ص ... — ٧٤) ، وقد اطلع على ذلك صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف .

— ولما يهون أدهم جهلي عليه ما نقم بك من إغفاله المصادر ، وبعد قال من حيث متواضعاً (الرسالة ٣١١ ص ١٢٢٥) : « أعني أن الدكتور بشر فارس لا يفكر بعيب أننا أكثر المتكلمين في العربية استنفاداً للمصادر » ثم ومن أحسن ؟ بل أدهم صعد فيه ثانية على مبحثي في المروءة فاستغرق نقده ثلاث صفحات من الرسالة (٣٢٨) ولما رأيت ذلك قلت في نفسي : سيدل الناقد بدعم ما ذهب إليه بتصحيح النصوص التي استخرجتها ومن ثم يدله على لا لاثباته سواء تصريحاً أو تلميحاً ، أو سقط مبحثي بالطعن في المراجع التي عولت عليها وهي تقرب للثلاثة . ذلك ما يرجوه شخص من الناقد الثبت من أمره . فإذا أصاب في تلك الصفحات الثلاث ؟ جاء أدهم — وحياتك — بنصوص دون غيرها ، خرجها من مواضعها وقسم من سياقها وأخرى ، وعلقها بما لا تحتمل ثم استخلص من تلك النصوص أن أمعنت في البحث اللغوي فبسط بجملة ثم بالشي لم أن يلت نصي من عنده ولو نص واحد ! وأعجب من هذا أنه أثبت مختلف النصوص في نقده مغفلاً ما هو من مراجع الثبت في هوامش كتابي ، ألا من يجوز في ذا الذي يدعوه إلى أن تدون مثلاً : « كتب الأردبيلي مخطوط في أيا صوفيا رقم ٢٠١٩ وهو مخطوط في التصوف كما وصف ذلك الأستاذ ريتر في مجلته المعنون باسم (هنا المستشرق الألماني) ، والمنشور بمجلة Der Islam التي تصدر في هامبورج مجلد ٢٤ ص ٥٨ » ؟ ما يدعوه إلى مثل هذا العالم ، وكل ما دونه مثبت في مباحث عربية » (ص ٥٩ الحاشية) ؟ وعلى هذا ما دونه بشأن كتاب جولدتسيهر ، وكتاب المرض عند عرب الجاهلية (راجع « مباحث ... » ص ٧٣ ، ٧٤) . وخير للأستاذ أدهم أن يسأل عن الشاعر بعد اليوم بنظرنا معرفة ومعرفة بها . من ذلك العبرة التي صرفها ، وهو يصور « في ملتقى الحنين » ، ومراد مرجع ومن ذلك منها قوله (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) : « المعنى الحقيقي réelle » ، بأنه فتح بالسطو على التركيب العربي وحده (وهو في « مباحث عربية » ص ٦) ! ألا أين وسوسة الهوى مرة نزوا كله ترجمة réelle في سبها الأول ، حتى يؤسس في نقده وجه ورجة فيه من غير موضوعها ؟ أتيمه أن أدهم حسب الموصوف في طيات « مباحث عربية » ، وهي définition

(أي التجريب) جاءت القصة مبتورة ، ثم مضى [illegible] دكتورنا حتى [illegible] الإطلاق ... ولكني أستبعد كل عبد يأتي سكان خرج من خشبة المسطرح ... إلا أنها الموسوعات الملف الشجاء.

— وأما عبد الدايم من هو ؟ سيقت في النص قواصم في مقام [illegible] الكلام في مسرحي فخذه . ولكن كما أخطأ النقد لمستلزمًا من حمل ثم له قد ذهب في الحديج ، على ما ذهبت ، لأنه — هو المتخرج في موسكو بعد سنة ١٩١٨ — يريد أن يحملنا ونلب في أن مرأ من الناس بل من المسلمين عشر قرن أن يمروا من الثورة البلشفية (أو «الثورة الاشتراكية الكبرى» كما يسمونها : الرسالة ٩١١ ص ١٢٣٠)

وأوضح من هذا أن أدهم يخرج من نقد الفنان بهذه النتيجة :

« ظهرت عقلية الدكتور بشر الشكلية بأجلى مظاهرها وسجلت لنا كيف أن هذه الشكلية ساقته إلى أخطاء في البحث لا يقع فيها من له دراية بسيطة بالبحث العلمي المستقيم (يعني منه طبعًا) . والواقع أن بحث الدكتور بشر في المروءة سخيف لا يقف عند نقد ولا يمكن أن يواجه مواجهة علمية صحيحة » .

وهنا لا أحب أن أذكر أدهم بأن مبحث المروءة نشر من قبل بالفرنسية والإنجليزية والألمانية في دائرة المعارف الإسلامية بالخارجية في هولندة ولم يقتصر بحل هذه الحكم ... ثم لا أحب أن أستشهد بآراء من كتب عنه في « مباحث عربية » مثل العلامة الأب الكرملي ، والأديب المترسل الأستاذ المازني ، ومستشرقين من الجامعة المصرية وغيرهم . غير أن قال أدهم (وهو على كل قول قدير) إن هؤلاء وأمثالهم لا « دراية لهم بالبحث العلمي المستقيم » ... ثم لا أحب أن أطلعه على ما قاله المستشرق بروكلمن في الجزء الثاني من مكملة تاريخ الآداب العربية ؛ فلعله قال : إن بروكلمن لا يستطيع « مواجهة علمية صحيحة » !

بل ليأذن لي الأستاذ الدكتور أدهم أن أنقل اليوم حرفًا لحرف ما قاله في نقده الأول للكتاب :

« وفي هذا البحث (مبحث المروءة) يبرز الباحث (بشر فارس) رجلاً مدققًا حريص التوسع في بسطة علمية » . (الرسالة ٣٠٢ ص ١٢٧١)

ثم قال في نقده الأول : « هذا هو كتاب مباحث عربية وهو كتاب فريد في موضوعه وفي نهج بحثه وفي منحى تحقيقه ، يدل على أن صاحبه صاحب ذهنية مستقرة ، يعمد في موضوعات على أساس من الفحص للأصول والفروع مع دراية تامة بأساليب

النقد (شعوب ، مبايعة) والكاتب في أحدهما لم أجد لا يخلو من بعض البحوث ولا من الجهد العلمي [illegible] والواقع أن الدكتور بشر فارس من الطرازين الذي [illegible] (الشعر ...) ولا يكفي له غير هذا الجهد بل وكذلك [illegible] إسماعيل أحمد أدهم » (الرسالة ٣١٢ ص ١٢٧٥)

إن النصر في هذه الردة أن أدهم كتب نقده الثاني وهو حانق ، لأني بينت في المقتطف (أغسطس) والرسالة (٣١٥) كيف يختلق النقد اختلاقًا ويعول على المصادر ويتحدى في التأويل ويميل بمخبر إلى الاعتساف والتمحل ... ولم أجد بدًا حينئذ من تبيين كل هذا — على ما قال أدهم في خاتمة نقده — حتى يستقيم موازين النقد عندنا ويعين تشاجر على العلم من غير بابه . فما غير الأستاذ الدكتور أدهم من دفع فلسفة فرح إلى أن يحك ولله ، ويعلم شذ الحروب التي تأكل النفس !

وإن قال أدهم (وهو على كل قول قدير) : إني لا أن يتنكر رأيًا [illegible] مستدل به [illegible] [illegible] ، إني [illegible] في مصر ... حتى كل ... ، ... كانت تدور في السياسة في العربية الحديثة ، فذه شهادة أخرى عن عمل [illegible] به من « أعلى » ، وهي رسالة العربية بعث بها إلى الأستاذ كراتشكوفسكي ، وقد اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف : « سيدي المحرر الفاضل سلامًا واحترامًا وشكرًا لكم على إرسال كتابكم الجديد [illegible] [illegible] وجد مرآته في هذه الأيام المستقلة العربية ، واستفدت منه كثيرًا لا غرو عليكم أن في [illegible] يعني [illegible] على من لم يتقدم طريقًا علميًا صرفًا في البحث والاستقراء ، ومع ذلك في الكتاب دروس مهم وخطوة حديثة في سبيل ترقية العلم العربي الحديث ، حتى أن يتضح به أبناء العربية في كل أقطارها ... حتى هذه الرموز ، الرموز الأصولية رأيتها في مكانها وهي مدهشة مستحسنة ، ولا يقصر إلى كي والمستشرقين على كل من يعرف قيادة هاتين ... وفي الإجمال فقد خدمتم العلم والأدب بهذا الكتاب الجديد خدمة تذكر وتشكر ودمتم على مساعيكم الجيدة والنجاح حليفكم ... في الشرق والغرب . المخلص لكم أغناطيوس كراتشكوفسكي (الروسي) » — ألا حسبي صداقة « العقول السليمة » !

وبعد فهذه كلمة ثانية ، أرسمها مكرهًا ، ولكن رعاية للعلم الحق وإقامة النقد الصحيح ولن أعود إليه مع إسماعيل أحمد أدهم فإن تلك الشول من عاتكة عسى أجل شأنًا وأعم ...

ب . ف

7me Année No. 331

Lundi 6-11-1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٣١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

الفقـــر ...

— ٢ —

الفقر هو الشيطان الثاني في الدستور الإصلاحي لوزارة الشؤون الاجتماعية كما نقترح أن يكون. وإذا ذكر الفقر فقد ذكرت بهذه الحروف الثلاثة كل ما يقع في ذهن المرء وخياله وحسه من معاني البؤس والألم والأسى والجريمة والرذيلة والذلة والمسكنة والعداوة والانتقام والثورة. وأي مجتمع يتسنى له أن يطمئن أو يغتبط أو يسعد ما دامت هذه الآفات تعج فيه بالاختلال والانحلال والوهن؟ وأنت إذا تعمقت النظر تتأمل أحوال الناس وأحوال الشعوب وجدت تاريخ الحروب هو المشكلة الأزلية للحياة، والفقر هو المشكلة الأبدية في النظام؛ والجوع هو السبب القريب أو البعيد لكل ثورة في تاريخ الأمم وكل جريمة في حياة الأفراد. فهل في حدود الجائز إذن أن نطلب إلى وزارة الشؤون الاجتماعية أن تبيد الفقر وتقتل الجوع كما طلبنا إليها أن تمحو الأمية وتنسخ الجهالة؟ لا وا أسفاه! لأن الفقر أمر تقتضيه الفطرة وتوجبه الضرورة، ولكن شمول الفقر شيء تأباه الطبيعة ويأباه الضمير. وما دام الناس مختلفين في الكفا

والقوة، فلا بد أن يختلفوا كذلك في الجهود والثروة. والتفاوت في الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة سيبقى مصدراً في المعيشة ونظام مطرد في الحياة. إنما نطلب إلى وزارتنا للمصلحة أن تخفف من ويلات الفاقة وتكفكف من غوائل الجوع بتقريب المسافة بين الغنى والفقر، وتنظيم العلاقة بين القوة والضعف، حتى لا يتحول الفرق في تحسين حظوظ الأحياء عند تخصص في إقرار السلام في النفوس وإحكام النظام في المجتمع.

• • •

ولكن كيف تستطيع وزارة الشؤون الاجتماعية أن تخفف آلام هذه الفاقة المستعصية ما دامت لا تستطيع أن تحسم أسبابها بالطب الناجع؟ تستطيع ذلك من طريق الدين ومن طريق التشريع ومن طريق الإدارة. فأما ما تستطيعه من طريق الدين فجباية الزكاة وتنظيم الإحسان. وجباية الزكاة فريضة على الحكومة المسلمة، كما أن أداءها فريضة على الشعب المسلم. فلا يجوز للوزارة أن تكل أمرها لطريقة الضمير وهوى النفس، فإن طمع الناس في عاجل ثواب الدنيا أقوى من طمعهم في آجل ثواب الآخرة. ومن أجل أداء الزكاة كان ارتداد العرب عن الإسلام في عهد أبي بكر. إنما يجب أن تجبى الزكوات بالاضطرار كما تجبى ضرائب الأرض وعوائد التجارة، وأن تكون لوزارة الشؤون الاجتماعية مالية كما كان لوزارة المالية ميزانية. ولا بأس أن يترك للأحرار في الإحسان على أن يستعان على غرسه في القلوب وجمعه في الأيدي بفرقة من الرجال والنساء تدخل البيوت والمكاتب على الأغنياء والعيب من الأمراء والشركات فيذكرونهم بأن الله الذي خلقهم وخلق الفقراء قد جعل لجنة ما يصيبهم ويضمهم كله على أساس من المودة والرحمة. فإذا تم هذا الحساب الإلهي بالرحمة بالفقراء في العشر والعشر من قوله، ووضع الواجب العاقد قليلاً من جدواه، خطت الجماعة الإنسانية في طريقها غير ظالمة ولا وانية. فإذا ما جمعت الزكوات والصدقات من طريق الطوع والكره تعمل في (بيت المال) لا في (خزانة العامة)، ثم تدار على النظم الحديثة في التأميل والاستغلال، وتنفق في إنشاء الملاجئ[1] والملاجئ والمستشفيات، ويستعان بالمرتبات التي تجمع الإحسان من بيوت الأغنياء في توزيع المعونة على المتعففين المجهولين من بيوت الفقراء.

وأما ما تستطيعه الوزارة من طريق التشريع فسن القوانين لحماية العامل والفلاح من صاحب المال ومالك الأرض، وهذا كله ما يسبب الطبقة العاملة من الغبن والإجحاف إنما نشأ من إطلاق الحرية المطلقة لأصحاب الأموال الذين يستثمرونها في التجارة أو في الصناعة، ولأرباب الأطيان الذين يستغلونها بالتأجير أو بالزراعة.

هؤلاء وأولئك على ظلمهم يتحكمون في الأجر، ويستعبدون بالمستأجرين، ولا تحركهم منهم رحمة الغالب بالمغلوب ولا عناية الصانع بالآلة. صاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف؛ ولكن أصحاب الأموال والأطيان لا يكادون يتركون لعمالهم وفلاحيهم ما يمسك الروح ويستر البدن.

وإذا صادت الوزارة أن تخفف ما يعانيه العامل والصانع من أولي العمل، وما يقاسيه الأجير والزارع من ذوي الطين، تكشف لها أسطر المجتمع عن مآسٍ مروعة من الظلم والغبن والطمع والأثرة لا تستطيع منع عقبيه الحزين المخزي غير سلطان القانون.

ثم ما تستطيعه الوزارة من طريق الإدارة وهو يشمل ما لا ينحصر في سلطان الدين أو القانون بنص صريح، كمكافحة البطالة بتيسير سبل العمل للعامل، وتدبير رأس المال للصانع، وتيسير للناس والصانع والتاجر وللصادر والشركات يداً وأسناناً يسهل الوطنيون العاملون بها على الأجانب، وذلك مورد الرزق يكفي أن يعيش منه ألوف من الأسر المحرومة أمام حكومتنا المالية لاختلاف سياسة الكلام وحصوره الحكم من كل نفع.

• • •

بهذه الخطة الحكيمة تكافح الفقر بصوره من سلطان الدين وسطوة القانون وقوة الحكومة تستطيع الوزارة أن تنقذ من غوائله الطفولة المستهدفة والشبيبة المتمردة والشيخوخة العاجزة والأسر المنكوبة والكفايات المعطلة، وأن تطهر المجتمع مما يجره عليه بلاء هذه الأحوال من فساد الأخلاق وشلل القلوب واضطراب الأمن وقلة الإنتاج وكثرة الجرائم. ونجاحها في ذلك معناه بناء المجتمع المصري على أسس متينة من تقوى الله ورضوان الناس وتعاطف الطبقات وتعاون القوى وتضامن الأمة.

ا ح ز

(١) الملاجئ جمع ملجأ وهو مكان للفقراء يرتادونه ويطعمون، وهو بهذا المعنى مستعمل في العراق، والكلمة تستعمله هنا في معنى عام

الباحثون والساسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

المعروف عن رجال السياسة في أمم الغرب أنهم أوسع اطلاعاً وأكثر ثقافة من زملائهم في الأمم الشرقية، فمنهم الأدباء والناقدون، ومنهم المشتغلون بالفن أو بالعلم أو بالرياضة، وقل منهم من فاتت له مشاركة في موضوع من موضوعات الذوق أو التفكير.

لكن العجب منهم مع ذلك أنهم يعدون في [illegible] من أقل الناس اطلاعاً على الدراسات الخاصة في شؤون السياسة العصرية، في الشؤون التي هم مشتغلون بها [illegible]، كأنما يستنكف أحدهم أن يجد شيئاً في مسألة من المسائل هو أحرى أن [illegible] من عمل الأساتذة المعلمين!

ومن هنا يتعرضون للسهو والتقصير، وتتعرض أحكامهم على مسائل العالم لما يشبه الغفلة والإهمال.

* * *

مثل من الأمثلة الكثيرة على ذلك هذه المحالفة الشيوعية النازية التي وقعت عند الأكثرين موقع المفاجأة والغرابة ومن طليعتهم أصحاب الوزارة والسفارة.

ففي الوقت الذي كان فيه بعض السفراء والوزراء يدعون صدمة المفاجأة من جراء هذه المحالفة الغريبة كان قراء الكتب السياسية يتلقونها كما يتلقون أمراً منتظراً في التقدير بل مرجحاً أعظم الترجيح في حسبانهم.

ففي أوائل هذه السنة طبع كتاب الناقد السياسي والخبير الاقتصادي الدكتور بيتر دركر Peter Drucker الموسوم بنهاية الرجل الاقتصادي أو الرجل الذي يفرضه الشيوعيون والنازيون The End of Economic man فإذا المؤلف يقول عن المحالفة بين الروس والأمم الديمقراطية: «إنها قد أحدثت من الأضرار ما لم تحدثه غلطة سياسية في السنتين الأخيرتين. فلن تقع الآن حرب بين ألمانيا وروسيا ما لم تعترض في الطريق عارضة لا تخطر على البال... ومتى انتهت الحرب فلا بد من محالفة [illegible] هاتين الدولتين في وجه السلام الغربي [illegible] ولا ينبغي أن ينظر إلى الحرب بينهما إلا على اعتبار أنها [illegible] أو أمنية [illegible]. أما الواقع فهو أن الدولتين [illegible] متشابهتان في أساليب الحكومة وأحوال الاجتماع، ومن الحق أن تترقب هذه المحالفة [illegible] في التقاضي جميع الاعتبارات والتقديرات».

وفي قريب من الوقت الذي طبع فيه ذلك الكتاب كان كتاب آخر باسم «ترقب مفتاح أوروبا» يطبع لمؤلفه الدكتور ريموند لسلي بويل Raymond Leslie Buell [illegible] بين علماء الأمريكيين في هذه الشؤون، وكان مؤلفه يراجع آراء هتلر التي بسطها في كتابه «جهادي» عن المحالفة بين الروس والألمان ويرد عليها قائلاً:

«ومع هذا يحتمل أن تصبح الروسيا أقوى من أن [illegible] وأضعف من أن [illegible] اقتراحاً من النازيين بالاتفاق الشامل بين الفريقين. فحتى في [illegible] من فرنسا وبريطانيا العظمى، وفي [illegible] من تهديد اليابان لتخومها الشرقية، قد تؤثر محالفة ألمانيا على عداوتها، وقد تؤدي هذه المحالفة إلى بطلان [illegible] وتقديم الموارد الروسية إلى الألمان وإنقاذ السياسة [illegible]! ومن المرجح أن يبرم هذا الاتفاق [illegible] قبل موت ستالين، ويكون احتمالاً من [illegible] الاحتمالين [illegible] الحرب أو المحالفة [illegible] لا ينبغي أن يعزب عن البال... ولا يصعب علينا أن نتوقع اتفاقاً على تقسيم أوروبا [illegible] جميعاً بعد المحالفة».

* * *

وحوالي هذه [illegible] كانت صحيفة إنجليزية تصدر في فانكوفر اسمها شمس فانكوفر Vancouver Sun وهي [illegible] في كندا تنشر بحثاً سياسياً في هذا الموضوع تقول فيه بعد عرض المسألة من جميع جوانبها ما خلاصته: «إن ستالين وهتلر قد يطرحان عنهما خصومتهما القائمة في الوقت الحاضر ويعقدان على [illegible] تقسيم أوروبا من جديد. فالحكومة والأحوال في كلتا الأمتين الروسية والألمانية ليس بينهما كبير خلاف، ولن يسخط هتلر وأصحابه من [illegible] هذه الحقيقة: كلتاهما حكومة طغيان عسكري لا أثر فيها [illegible] الحرية، وقد [illegible] الشكاية التي تشيع

اليوم في الصحف الألمانية وخلاصتها أن صاحبًا يسأل صاحبه في محفل من المحافل: ما الفرق بين روسيا السوفيتية وألمانيا النازية؟ فيجيبه: الفرق في روسيا أبرد! ... »

* * *

كان الباحثون السياسيون يبحثون في أمثال هذه البحوث بين الترجيح تارة والتوكيد تارة أخرى والسفراء والوزراء يبحثون في وجوب هذه المحالفة بين الروسيا من جهة وبريطانيا العظمى وفرنسا من الجهة الأخرى، وكان منهم رجل حصيف مثل لويد جورج يكتب وينادي بأن هذه المحالفة ضرورة لا محيص عنها وباب لا باب غيره للنجاة من أخطار الفاشية والنازية، وكانت الإشاعات تتوالى بالتقدم في طريق الاتفاق والتعثر في التفصيلات التي لا خطر منها على المبادئ والأصول، وشاءت مضحكات القدر أن تقرأ أنباء هذه المباحثات وأنباء القدر الروسي في يوم واحد وعلى يد استفحال الخطب وجلاء المشكلة

* * *

ويسألني القارئ: وما رأيك في هذه المشكلة؟ أترى من الصواب أن تسند الوزارة والسفارة إلى الباحثين والدارسين والمراقبين من أصحاب الوزراء والسفراء؟

والجواب فأقول معاذ الله! إن الباحث باحث والوزير وزير، فإذا أصبح الباحث وزيرًا بطل بحثه ونقص من أحد طرفيه ولم يستوف العملين في آن

وإنما أقول بوجوب الانتفاع بهذه البحوث والدراسات في مذاكرة الوزراء والسفراء أو في بسط وجوه النظر في كل مسألة من مسائل السياسة والحكم عند ما يعرض عليهم الدارسون

فيشتمل كل مكتب من المكاتب المختصة بالسياسة الغربية أو السياسة العامة على قسم للقراءة والتلخيص والتبويب، ولا تنظر مسألة من المسائل إلا ومعها سجل الحقائق والمعلومات والآراء التي اهتدى إليها في تلك المسألة ذوو الخبرة والاختصاص

* * *

ولبيان الفرق بين قرار يتخذه عالم مطلع الدرس والمراجعة وقرار يتخذه وزير خاضع للقيود الحزبية والروتين الرسمي والتقاليد الحكومية نسأل:

هبوا وزراء فرنسا وبريطانيا العظمى اطلعوا جميعًا على كتب الباحثين وفصول الكتاب الثقات في وصف المحالفة النازية الشيوعية والتقريب بين المحالفة الأخرى وآمنوا أصدق الإيمان بما قرأوه فماذا عساهم كانوا صانعين؟

كانوا يحجمون عن مفاوضة الروسيا ويستغنون عن الوقت من غير جدوى طائل

وسوف نسأل: أتراهم يحسنون بذلك أم يخطئون؟؟

واعتقادنا نحن أنهم يخطئون غاية الإخطاء، لأن أنصار الروسيا بين الفرنسيين والإنجليز وأبناء الأمم أجمع ظالون بعد ذلك في ضلالهم القديم، ويزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أن ساسة فرنسا وبريطانيا هم الذين خذلوا الروسيا وقطعوا ما بينهم وبينها ويدفعونها كارهة إلى أحضان النازيين أعداء الديمقراطية، وأنهم بعد مسؤولون عن هذا الفشل وعما يضيع بسببه من الأرواح والأموال

ومتى شاعت هذه العقيدة بين الشعوب التي يؤخذ منها الجنود والعمال فالخطر عظيم، وتربية العقيدة بالحجج العملية والدروس النظرية عسير، وباب للمكابرة والمغالطة مفتوح لمن شاء على مصراعيه

أما اليوم فقد أخطأ الساسة في مفاوضة الشيوعيين وأصحاب القدر، فلا مكابرة ولا حاجة ولا خفاء بحقيقة الحديث بعد أن بلغ من وضوح الحقيقة أن تمسها كل يد وتبصرها كل عين

إن الدراسة حسنة واتباع الواقع حسن، وأحسن منهما واقع تهديه دراسة الدارسين

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ٣١ -

رأينا في المقال السالف سرقتين من سرقات الأستاذ أحمد «الأمين» كما كان يسميه أستاذه الشيخ المراغي قبل أن تنكشف تلك السرقات

والكشف عن سرقات صاحبنا لا بدّ منه من الابتداء حتى تعرف دعوة بعض الأصدقاء إلى مهادنته مراعاةً لأدب الصيام فأحمد أمين نفسه بحكم منصبه في كلية الآداب يعرف أن الكشف عن سرقات الشعراء والخطباء والكتّاب نوع من الرياضة الذهنية، وفنّ من فنون الأدب الرفيع

وأعترف بأن اهتمامي بكشف سرقات أحمد أمين لا يخلو من شيطنة، وفيه ضرب من المنافسة للدكتور طه حسين؛ فالدكتور طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهداه إليه، وأنا أيضاً أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها، مع الفرق بين الهدايتين

وأصرح بأن تشجيع القراء وحرصهم على أن تجمع هذه المقالات في كتاب يرجع إليه من يهمهم مساورة المتطرفين [illegible] من الحقائق الأدبية، ذلك التشجيع لا يهمني كثيراً وإن كان يدل على يقظة القراء ورغبتهم في محاسبة الكتّاب والباحثين

وإنما أنتظر أن أتلقى كلمة ثناء من الأستاذ أحمد أمين لأعرف أن الجهد في هذا الباب لا يضيع، فهو يعرف جيداً أني قدمت إليه خدمة عظيمة حين دللته على أن مصر لا تزال تخرج رجالاً يحاسبون من كان في مثل مركزه من التصدر لتدريس الأدب بكلية الآداب، وهل يظن الأستاذ أن تلك الكلية أن حديثه

الأوربيين معلقة من مناطق الزنج، وأنهم محبطة بمناسبة الأحلام؟ عجبت، ثم عجبت!!

ونرجع إلى السرقات فنقول

نقل الأستاذ أحمد أمين [illegible] على أن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم [illegible] الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان، وهذا يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال

وقد [illegible] هذا الرأي بمقال [illegible] نذكره اليوم لأنه نافع في الحديث المعاد، فهل يعرف القراء من أين أخذ الأستاذ أحمد أمين هذا الرأي؟ أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف

«وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه: إن العرب كسائر الأمم السامية ليس لها أساطير في شعرها ولا في عقائدها، وإن هذا يدل على ضيق الخيال فيهم؛ لأن الأساطير والخرافات إنما هي نتيجة سعة الخيال، ونتيجة الحيرة والبحث وحب الاطلاع .. وكل ذلك يظهر أثره في بلاغات الأمم من نظم ونثر، كما هو الحال عند الأمم الآرية كاليونان وغيرهم من الأمم الأوربية، [illegible] سعة الخيال، ولا يقصدون بالخيال ما نقصده نحن من المجاز والتشبيه، وإنما يقصدون سعة الخيال في تصور الحقائق وفي إدراك الموصوفات المختلفة، لأن أساطير اليونان كان منشؤها البحث عن الخالق وصوره فلم ترشدهم عقولهم إلا إلى ضرب من الخرافات كثيرة فيها وألفوا فيها الأسفار وصنعوا لها التماثيل، فاستدل الباحثون بذلك على قوة الذكاء وسعة الخيال وحب الجمال والاحتفال به، وربما كان هذا من الأسباب التي حملتهم على طول الكلام والميل إلى القصص في النثر والشعر، لأن هذا النوع من البلاغة ليس إلا ضرباً من سعة الخيال في التصور والفكر والتعبير ومن هنا يكون تعدد الأنواع في ضروب البلاغة نظماً ونثراً» (١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف في محاضرات ألقاها بالجامعة

---

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٠ و ٥١

العربية سنة ١٩١٨، ونشرها سنة ١٩٢١

فهل عرفتم من أين سرق الأستاذ أحمد أمين كلامه عن الفرق بين وثنية العرب ووثنية اليونان؟ هل عرفتم من أين سرق القول بأن الوثنية العربية لم تخلق التماثيل كما صنعت وثنية اليونان؟

هل عرفتم من أين سرق القول بأن المجاز والتشبيه لا يدلان على سعة الخيال؟ هل عرفتم من أين اغتصب القول بأن الجاهليين لم تتعدد عندهم ضروب البلاغة فلم يعرفوا الأقاصيص الشعرية والنثرية؟

إن الدكتور أحمد ضيف لم يحتكر هذا الكلام، ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتهب ما دونه الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته ودعا الناس إلى مناقشته في تلك «المبتكرات»!

فهل عرفت أنه طلب أنجع معاونة من الباحثين إلى مناقشته وهو يظن أن لن يسمع منهم غير الحمد والثناء؟

وضحك القراء بقول الأستاذ أحمد أمين إن العربي مفاصل وصف ما رآه، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى مثال في علة أسبوعية، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«كان العربي يصف في شعره ما يراه، ويتكلم عما يشعر به في نفسه من عواطف وميول، وقد يتكلم ويعبّر عما يجول بخاطره بنفس الشجاعة والإقدام اللذين كانا له في الحياة»(١)

فأين الذين فُتنوا بكلام الأستاذ أحمد أمين ليعرفوا أنه مسروق من كلام الدكتور أحمد ضيف؟

وهناك فرق بين العبارتين: عبارة الدكتور ضيف جاءت في تحليل مقبول لروح العربي فقد وصف ما رآه، أما أحمد أمين فاقتضب الكلام حتى لا ينتبه بعض القراء إلى أنه يخدع من تُسيرين صوره!

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٦

وقال الأستاذ أحمد أمين إن بلاد العرب كانت ... في الأدب جرداء لم توح إليهم الفن في وصف المناظر الطبيعية من رياض وبساتين، وجداول وأنهار، وجبال مكللة بالأشجار والأزهار

فهل يعرف القراء أنه سرق هذه الفكرة من قول الدكتور أحمد ضيف:

«إن طبيعة بلاد العرب الجافة ذات الشكل الواحد لم تلهم العربي ولم توح إليه من أنواع الجمال غير جمال التعبير عما يجول بخاطره واختيار مواطنه ... غاب عنه جمال الطبيعة من حقول وخمائل ومن جبال وتلال مكللة بالأشجار والأزهار، وتدرّ فيه جريان الماء وهدوء الجو، فلم ير إلا الصحراء المرفة ذات الفضاء اللانهائي، والشعر للسعد في ... على شكل واحد فأثر ذلك في خياله فجعله لا يعرف التصوير(٢)»

قد تقولون إن هذه أفكار تعد من البديهيات، فلا حرج على أحمد أمين أن ينقلها عن أحمد ضيف

وهذا حق، ولكن ما رأيكم فيمن ينقل البديهيات التي نُصّت صوابه على أنه من المبدع المبتكر الطريف، ثم يقول وهو مغرور مختال: هذه آراء نرحب بالبحث وندعو القراء إلى مناقشتها رغبةً في تخليص الأدب العربي من الأوهام والأساطير؟

وأراد الأستاذ أحمد أمين أن يأتي بالأعاجيب فقرر أن العرب لم يعرفوا الشعر القصصي ولا الشعر التمثيلي، وهي فكرة بسيطة لا تحتاج إلى دعوى الابتكار والإبداع ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف: «الشعر القصصي والشعر التمثيلي بالمعنى المعروف الآن عند الأدباء في ملاعب الأمم الأخرى لا وجود له عند العرب(٣)»

وما فهمنا ولا فهم أحد أن العرب كان عندهم شعر قصصي وشعر تمثيلي حتى نحتاج إلى مخالفة أحمد أمين

(٢) ص ٥٣

(٣) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٤٩

وعاب صاحبنا على الناس أن يظنوا أن العرب عرفوا كل شيء، ولامهم على الاحتشاد المطلق إلى المؤلفات القديمة مع أنها على سعتها مشوشة تتنافر بعض أجزائها مع بعض، وعجب من أن يوجد قوم يأنفون من الخروج على الأدب القديم

وهذا الكلام «المبتكر» مسروق من قول الدكتور أحمد ضيف في مطلع المحاضرة التي ألقاها بحضور الزعيم سعد زغلول في اليوم التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٨.

«دراسة الأدب العربي بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد. والأدب العربي على سعته وغناه مشوش تتنافر حواشيه لا يزال تابعاً في مثله الأولى من المبالغة والتعسف في التأليف والجمع، ولم نجرؤ بعدُ على تخليص أنفسنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها، ولا نزال نعدّ الخروج عن القديم خروجاً عليه ولا نزال نعتقد أن القدماء وصلوا إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشري من الذكاء والإتقان، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح»(١)

ومن ذلك ترون أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن من المبتكرين حين أراد أن يهديكم إلى النغمة التي شاعت منذ أزمان: النغمة التي توجب أن نحس أن مصادر الأدب العربي تحتاج إلى تهذيب وترتيب، والتي تحسب أن نظل مغلولين في أسر الأدب القديم، والتي أوهمت أن العرب لم يتركوا زيادة لمستزيد، وأنهم وصلوا إلى كل شيء، وأن نسيهم أحسن النقد

قد تعجبون من الأستاذ أحمد أمين بأنه يحادث ناساً يعيشون في سنة ١٩٣٩ لا في سنة ١٩١٨، ولكن لا تؤاخذوني؛ فقد ترجى أننا نتقدم في الدراسات الأدبية من يوم إلى يوم، وأن ما نُشر في سنة ١٩١٨ لا يجوز عرضه في سنة ١٩٣٩ خوفاً من أن يقال إن في أساليب المحاضرة للعرب من يروج الحديث المعاد من المبتكرات

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين أن الإعجاب المطلق بالأدب العربي يضرنا أكثر مما ينفع، وأن من واجبنا أن نوازن بين أدبنا وبين الآداب الأجنبية، وأن نترك أحكام النقل والتقليد

وهذا منقول من قول الدكتور ضيف

«كل حكم مبني على النقل أو التقليد لا قيمة له، ولا يفيد شيئاً ولا يصح الاعتماد عليه، فلا يصح أن نصدق قول من قال إن لغة العرب أحسن اللغات بدون أن نعرف شيئاً من اللغات الأجنبية ونوازن بينها وبين اللغة العربية. وإننا لنسيء إلى اللغة العربية وإلى الأدب العربي وإلى الأمة العربية أكثر من أن نحسن إليها بمثل هذه الأقوال التي لا يمكن أن يعتمد عليها إنسان مفكر، كما أنها لا تحرك العقول ولا تحملها على البحث»(١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف الذي نقله الأستاذ أحمد أمين بدون أن يشير إليه... فهل كان يظن أن في مصر من لا يزال يذكر كلاماً قيل في سنة ١٩١٨ ونشر في سنة ١٩٢١؟

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين بأنه يجب أن ننظر إلى الأدب العربي القديم كما ننظر إلى الآثار المودعة في المتحف، وندرسه كما ندرس الآداب اليونانية واللاتينية. وهذا هو كلام الدكتور ضيف إذ يقول

«من هذه الوجهة يجب أن ندرس اللغة العربية وآدابها كما يدرس الأوربيون الآن اللغة اللاتينية واليونانية لأنهما أصل مدنيتهم ومستودع سر مدنيتهم»(٢)

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب أن يكون لنا أدب مصري يصور المجتمع عندنا ويحدثنا عن المزارع في حقله والتاجر في متجره والعالم بين تلاميذه وكتبه والعابد في مسجده والقاضي في محكمته

وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف

«نريد أن يكون لنا أدب مصري يمثل حالتنا الاجتماعية، وحركاتنا الفكرية، والعصر الذي نعيش فيه، يمثل المزارع في حقله، والتاجر في حانوته، والأمير في قصره، والعالم بين

---

(١) ص ٣

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٣ (٢) ص ٩

تلاميذه وكتبه ، والشيخ في أهله ، والعابد في مسجده وصومعته ، والشاب في لهوه وعبثه ، أي يريد أن يكون لنا شخصية في آدابنا ولا يريد بذلك أن نهجر اللغة العربية وآدابها ، لأننا إن فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة وبلا أدب »

ومن هنا تعرفون كيف سرق أحمد أمين تلك « المبتكرات » التي دعا كم إلى تقديمها على جميع ترحوه لتعرفوا ما في كلامه من الخطأ والصواب

ويحدثكم أحمد أمين بأنه يجب تحرير الشعر من القوافي والأوزان حتى يتسع لشرح مختلف المقاصد والأغراض وهذا منقول عن قول الدكتور صبحي

« إن بلاغة العرب محصورة أو تكاد تكون محصورة في الشعر ، والشعر لا يحتمل سعة الاجتماع بسبب الخيال فيه ، ولأنه لا يسع جميع الأفكار ولا يقدر إظهار المعاني كما هي ، ولما فيه من القوانين التي يجب على الشاعر اتباعها ، وكثيراً ما تضطره إلى ذكر ما لا يلزم ، أو حذف ما يلزم ، ولأن الشعر رغم كل شيء مبناه الخيال والمبالغة والاستعارة والتشبيه والمجاز [1] »

* * *

أما بعد فهذه نموذج … من سرقات أحمد أمين في الآراء التي عدّها من « المبتكرات »

فهل أحدثتم منها عبرة ؟

هي أولاً شاهد على أن في أمتنا من يجب آراء معاصريه بلا رفق ولا …

وهي ثانياً مظهر من مظاهر الاستحواذ يلتفت النقد الأدبي لو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف أن في مصر رجالاً يسايرون الحياة الأدبية مسايرة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادره الظاهرة والخفية ليحسب حواشي السطو على آراء من سبقوه في القديم والحديث

وهي ثالثاً دليل جديد على صدق فاطر الأرض والسموات ، فالدكتور صبحي قد انسحب من ميدان الحياة الأدبية منذ أعوام طوال ، وهو موغل في إيثار العزلة والانزواء ، ولا … يحدث

(1) ص ٦٨

إلى أن … آراء يسرقها أحمد أمين أو غير أحمد أمين ولا … حين يسمع أنا نعرف تلك الآراء … ملابسات … في وضح النهار أو في ظلام الليل

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ستقرءون في المقال المقبل سرقات حديثة من سرقات الأستاذ الكبير أحمد أمين

وسترون أنه لن يصبر عليها بكلمة ثناء

ظلم أم صالح ! ظلم أم صالح !

فاجعل إنكاري على … أفصل من كشف سرقات الأدباء

« … شبجون » زكي مبارك

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة بثمن … الآتي

السنة الأولى في مجلد واحد … قرشاً … كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك … أجرة البريد … في … وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

رمضان

صديقي رمضان ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صديق عزيز، لقيته وأنا طفل في دمشق، ثم افتقدته وأنا شاب أذرع الأرض وأضرب في بلاد الله، فعرفت مقدمه وأحببته، وألفت نفسه وازداد حنيني إليه، فهل أنت يا صديقي رمضان؟

كنت أرقب قدومه، وأحسب له الأيام والليالي على مقدار ما يحسب طفل من الحساب، فإذا جاء فرحت به وضحكت له، لأني كنت أرى الدنيا تضحك له وتفرح بقدومه.

كنت أبصره في المدرسة، فالمدرسة في رمضان مسجد، ودروسها تلاوة وذكر، وأطوارها أخبية، ما فيهم مدرّس يقسو على طلاب، ولا طلاب يكرهون الدرس، لأن رمضان وصل النفوس بالله فأشرق عليها من الله النور فذاقت حلاوة الإيمان، ومن ذاق حلاوة الإيمان، لم يعرف اليأس ولا الشرّ ولا الشرور.

كنت أراه في الأسواق، فالأسواق تعرض بضاعة رمضان وتفيض عليها روح رمضان فتطهر النفس من غرور أهلها حيناً ويحوطها حرمة الله ووقاره، ويكف ألسنتهم عن الكذب لأنها جرت بذكر الله واستغفاره، وتعاف عليهم الدنيا حين أرادوا الله والدار الآخرة، فتجد الناس آمنين أن يغشهم تاجر، أو يخدعهم في مال أو متاع، ويمضي النهار كله على ذلك، فإذا كان الأصيل ودنا الغروب تجلى رمضان على الأسواق بوجهه فتجلت له وجوه الناس، وخفقت باسمه ألسن الباعة، فلا تسمع إلا أمثال قولهم «الصايم في البيت بركة» — «الله وبيك يا صايم» — «الله وبيك ومحمد نبيك»، ثم لا ترى إلا مسرعاً إلى داره حاملاً طبق «الفول المدمس» أو «المسبحة» أو سلال الفاكهة أو طبق «الطراوي[1]»، ثم لا تبصر إلا صياماً منتظرة في دمشق ذات المآذن منيرة، أو منتظراً المدفع، فإذا سمع صيحة المؤذن أو طلقة المدفع دخل داره، والأطفال يجتمعون في كل ركن ينتظرون، فإذا سمعوها صاحوا: أذن — أذن — أذن... ثم يطيروا إلى منازلهم كالنحل النافر.

وكنت أبصر رمضان يؤلف بين القلوب المتباينة، ويعقد الأخوة الإسلامية رابطة للمسلم أخي المسلم؛ فيتراحمون في كل صورة، ويتقابل الناس عند الغروب تقابل الأصدقاء على غير معرفة متقدمة بينهم، ويتحدثون ثم يتبادلون التمر والزبيب، ويقتسمون الفطور إن أدركه الغروب في الطريق، ثم يجد ما يفطر عليه: تمرة أو حبة من زبيب، يعطيه إياها، لفتة في معناها، ولكنها شيء عظيم يدل على عاطفة، تشير إلى معنى كبير.

وكنت أنظر إلى رمضان وقد سكنت الدنيا ساعة الإفطار، وأراح أهلها من التكالب على المال والازدحام على الشهوات، وضم الرجل إلى أهله، وجمع الأسرة على أحلى مائدة وأجمل مجلس وأمتع محادثة... فيا شوقاه إلى موائد رمضان وأنا الغريب الوحيد في مطعم لا أجد فيه صائماً ولا أسمع فيه أذاناً ولا أرى فيه خلالاً رمضان.

فإذا ذهبت ساعة الإفطار، بدأ رمضان يظهر في جلاله وجماله وعظمته المنيرة في المسجد الأموي أجل مساجد الأرض اليوم وأحسنها وأعظمها، وكنت أذهب إلى المسجد بعد المغرب وأنا طفل، ماراً حاضراً بالناس محتفاً يحس الغم كما كان حاضراً بهم محتفاً به النهار طوله، فأجول فيه مع صديقي سيد الأصدقاء خلال الحلقات تتجمع ما يجول المرسوق والزوائد، وأنبهه وأصبو نحو جماله، ومن فتح الله لهذا المسجد أن صلاة الجماعة لا تنقطع فيه خمس دقائق من الظهر إلى العشاء الآخرة في أيام السنة كلها وقد بقي ذلك إلى اليوم على ضعف الدين في النفوس وفساد الزمان... وإني لأنسى لا أنسى تلك الليالي المضيئة ولم يكن قد مدّ إليها الكهرباء، فكانت وقد صفت جنباتها وفي أكثر من ألف ثريا واحداً بعد واحد يحملها المسكيون[2] وهم يطوفون بها

---

(١) أقراص جافة رقيقة وكبيرة تصنع من مواد خاصة يرش عليها السمسم، ولا تصنع إلا في رمضان

(٢) المسكي خادم الأموي، وله شارة ورمز أصلها من خدمته، ومناصب منه للقرب بالمسجد

على سلالم منبرة من الخشب فيكون لذلك مشهد أثر في النفس واسع، ثم يكون العشاء وتقوم من بعده التراويح وهي في الأموي منظر ما رأيت أجلّ منه ولا أعظم إلا صلاة المغرب حول الكعبة في مسجد الله الحرام قبل ذلك يفوق الوصف، ولا يعرف قدره إلا العيان. وليس يقلّ من يصلي التراويح في الأموي عن خمسة آلاف أصلاً، وقد يبلغون في الليالي الأواخر الخمسة عشر والعشرين ألفاً، وهو عدد يكاد يحدث منه من يراه طرباً عجيباً ولكنه الواقع، من عرف ذلك المسجد ومن رأى الأموي من قبل، وحدّث عن الليالي الأواخر (في دمشق) ولا حرج، وبالغ ولا تخش كذباً، فإن الحقيقة أوسع من أن تسبقك مبالغته. ذلك من ليالي الوداع يجتمع فيها الناس صفوفاً حول القبة بعد التراويح، ويقوم المؤذنون والمنشدون ينشدون الأشعار في وداع رمضان بأشجى نغمة وأحرّها ثم يردد الناس كلهم بلحن أو دعته: عليك السلام! يا شهر الصيام عليك السلام ويعلو النحيب من البكاء حزناً على رمضان

* * *

ومسحّر رمضان! إنه السحر الحلال! إنه جنة النفس ونعيمها في هذه الدنيا، وإني لأقنع من جنات الفردوس أن تكون مثل سحور رمضان، فأين ذهب رمضان؟ وأنّى لي بأن تعود أيامي التي مضت لا تعود إليّ؟

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

إني لا أشتهي شيئاً إلا أن أعود طفلاً صغيراً لأستمتع بحرّ السحور في رمضان وأنسى همومه وأحزان نفسه. لم أعد أجد هذا النعيم، وما [illegible] أنا أحضرت الدنيا!

إني لأحسّ أنني في صدري من رمضان فلا أقبله لأني للسعد ولا في السوق ولا في القهوة، فهل مات رمضان؟

إنا لله وإنا إليه راجعون

لقد فقدت أخي قلبي يوم فقدت أمي، وأصبت راحته وروحي يوم افتقدت رمضان، فعلى قلبي وأمي ورمضان رحمة الله وسلامه!

«كركوك» علي الطنطاوي

على بحيرة [illegible]

الذئب والحمار

حوار في منظر واحد

للأستاذ عبد اللطيف النشار

[يزعم عند أبي [illegible] الأسابيع
من شوك [illegible]]

(الحمار [illegible] للسير [illegible] وحده)

أقبل الذئب وقال: يكفاح الذئب حيلة
رب أعمى رأى [illegible] مستحيلة
أدّعي أني صريع ظلّ أعمو [illegible]

(يخرج ويصل الذئب)

الذئب

إنّ عتبي منبهة الأصبع يا أولى حبيب
كيف تشكو أي داء وأنا خير طبيب
أدلي رجلك أشفيك من جرح الرعيب

(بخلاء [illegible] ويمد الحمار)

الحمار

لك شكري وثنائي وجزاك الله عني
قد أصيب الشوك رجلي فانزع الشوك من عني
وإذا لم تستطع قتلك يا ذئب مكاني

(يركله فيدميه [illegible])

الذئب (وهو يجري من الألم ويجمع نفسه)

هكذا أمضي حياتي هكذا يمشي المغرور
أنا قصاب فمالي أدّعي طب الحمير
تسرق الكذب على ما حل بي سوء المصير

(يجري)

الحمار:

أحمد الله على ما [illegible] من عمل بجاني
أحمد الله عقولاً [illegible] صاحب حياتي
[illegible] الله لي الشر بصبري وثباتي

عبد اللطيف النشار

التعليم والانتــــاج

للأستاذ محمد أحمد فهمي مطر

بينا في مقالنا السابق أهمية ربط معاهد التعليم بمصادر الإنتاج وضرورة اتصالها بها اتصالاً وثيقاً بحيث تخرج هذه المعاهد العمل المباشر بين تلك المصادر بمجرد انتهائهم من عهد الدراسة ومغادرتهم أسوارها إلى الحياة العامة

أما الإنتاج فهو في الحقيقة نوعان: إنتاج عقلي وإنتاج مادي. ولا شك في أن الإنتاج المادي، وهو أساس معاش ورفاهية الأفراد والأمم وثروتها وعصب الاقتصاد، يستمد قوته وحيويته من الإنتاج العقلي، إذ كلما كان الذهن نشيطاً وكانت الثقافة مرهفة استطاع العقل البشري أن يبتكر طرقاً جديدة مهمة في زيادة الإنتاج المادي وإيجاد الضروب المختلفة مما يؤدي طبيعياً إلى السعة بين الأفراد ورفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب. ولذلك يعد الإنتاج العقلي الأساس الذي ينبثق عنه عز الأمة وقوتها ورفاهيتها. وعلى هذا كان الشعب المصري من أحوج الشعوب الشرقية لكل عوامل النهضة إلى دراسة مبادئ العلوم الحديثة النظرية خلقاً من الناشئين بأسرهم لأن الإنتاج يتوجه بمجموعه في ذلك لما هو ظاهر من الارتباط الوثيق بين المدنية الحديثة وبين تلك العلوم العصرية، متطلبين بجانب ذلك أموراً حيوية أخرى لا غنى عنها في سبيل الحصول على الثمرة الحقيقية من التربية والتعليم في تلك المدارس، وهي أمور تعنى بها العناية كلها جميع المعاهد العلمية في مختلف الأمم المتمدنة. ويكفي لهذا العمل أثره الكبير فيما نلمسه من الفروق الكبيرة بين شبابنا وشبابهم، فبينما نجد الشاب منهم يتحمس في أعمال الإنتاج بمجرد انتهائه من دراسته، نجد الشاب المصري يسعى متجهاً إلى الوظيفة ويفضلها على أي عمل منتج آخر مستغنياً عن حب المغامرة في غدوه وطمأنينة مهما قلت موارده، وحب السلامة قد غلب عليه على حد قول الشاعر:

حب السلامة يثني هم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل

ومن ثم نرى الشعب المصري لا يجرؤ على المخاطرة في الأعمال الإنتاجية لأنه يصعب عليه وثقيل الصبر على ما يتطلبه من مجهودات، يحب أن يصل دائماً إلى نتيجة ناجحة سريعة حتى لا يصل إليها غيره في البلاد الأخرى إلا بعد الجهد والأناة والصبر وطول المراس، ولذا يتعجل الثروة قبل أوانها ويتعجل الحصول قبل أن يعين مصيره بصبره البطيء، ويمضي عليه الفرح فيصدق عليه المثل كأن قيل فيه «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». وقد نرى حياً شرعياً لكلاً بعض الأفراد على والديه ونحوه وما يجنونه إياه من مطالب الرزق في التقليل مما يصيبه من النكد وضيق الجبين، ويمكنه عدد في عددها نعماً في مرافق متعددة بل في كثير من المصالح التي تنقصها الرجولة وتنقصها الحماسة في طرق الحاضرة. وما ذلك إلا لأن النوعية لم تجد من الوقت ما يكفيها من العناية بمرض مشكلة الشباب المصري، وهي مشكلة لأنها خصصت كما ذكرنا في مقالنا السابق كل وقتها لحفظ الكتب المؤلفة في برامج الامتحان ليصل الطالب إلى الشهادة التي كانت ذات قيمة ومنعة في سوالف الأيام، وقد أصبحت اليوم في نظر عقلاء المجتمع لا قيمة لها في الحياة العملية العامة. وإذا كان الإنتاج العقلي كما قررنا هو الأساس الذي تبنى عليه قوة الإنتاج المادي فإن الأمم الحية لا تعنى بالإنتاج العقلي وحده مهملة في معاهدها كما عندنا نحن في مصر ضرورة الاتصال المباشر بمصادر الإنتاج المادي ولكن السياسة التي يسير عليها التعليم في تلك الأمم تقوم على قصر الإنتاج العقلي على قدر الإمكان في المتفوقين من أبنائها فلا يتاح لكل متوسط العقل أو ضعيفه أن يخترق الصفوف إلى معاهد التعليم العليا ما دام قادراً على دفع مصروفاته كما هو الحال عندنا. ولكن هؤلاء قبل أن يتزاحموا على أبواب المعاهد العليا زاحمهم عندنا اليوم، يوجهون توجيهاً صحيحاً إلى معاهد الإنتاج المادي لتتكون منهم طبقات الزراع والصناع والتجار المدربين من أن يكونوا عالة على معاهد الثقافة العليا فلا يكون المتفوقون منهم عالة على تلك المعاهد فقط بل عالة كذلك على الإنتاج العقلي نفسه. وبهذا تتكون طبقات الأمة عند تلك الأمم تكويناً صحيحاً، وتنحصر القيادة العقلية والعلمية في المتفوقين من ذوي العقول الناضجة والأفهام القوية. ولا توجد عندهم تلك الطبقة الزائفة التي تعمل شيئاً من شبه الزعامة اليوم مثلاً

على أن يصبحوا مكرهين كأبين العقول، والحضارة مع أنهم لم عنقوه لها ، تلك الثقافة الزائفة التي وصفها الأستاذ العقاد في إحدى مقالاته بالرسالة بقوله

« فالثقافة الزائفة بلاء لا تنحصر أضراره في الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسري في كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة الفكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية في لبابه وهي القوى التي يظن أنها أبعد ما تكون عن الثقافة والتعليم »

من أجل هذا كله لم نجد في إنتاجنا العلمي ما يقارن بما مع الأسف شيئاً عظيماً ، في ذلك دون الإنتاج الذي لا نعرف أبداً من مطبوعات العلمية إلا العدد القليل، وأقربها حديثاً كتاب ... وهي وإن كانت لا تزال كلمته إلا أننا كنا نأمل منه في وعاء ١٥ سنة مضت أن تثبت وجودها العلمي بين جمهور المتعلمين كما أثبته بين جمهورها الخاصة بها وإن كانت لها بحوث عديدة إلا أنها إلى الآن لم يحس الجمهور العام بوجودها لأنه لم يستفد من بحوثها إلا قليلاً ولأنه لم يحس بأثرها في حياته العامة . كم مما كان للمدارس العالية قديماً ، فالجمهور لم يستفد شيئاً محسوساً إلى اليوم من أبحاث وأساتذة ومدارسه الفنون من كلية الآداب مثلاً ، والجمهور لم يجد ما يذكر من كلية العلوم وكلية الزراعة ومصلحة الكيمياء في أمور تتصل بالصميم من حياته الإنتاجية كمسألة دودة القطن التي تقضي على ملايين الجنيهات من ثروته سنوياً ؛ لا ولا فيما هو أبسط من ذلك كالفوائد الصحية التي يمكن أن تجنى من مياه كالمياه المعدنية في حلوان الخ

فإذا انتقلنا خطوة أخرى إلى التعليم الفني الزراعي والصناعي والتجاري وهو التعليم المتصل اتصالاً مباشراً بالإنتاج المادي وجدنا حالة مع الأسف لا يسر أي مصري ولا يبعث لنفسك بالطمأنينة أو يذكر في ذلك الإنتاج؛ لأن جميع من تخرجوا لا يعنون بمصادر الإنتاج المادي ولا يحاولون الاتصال به . إنما همهم جميعاً الحصول على الوظيفة حتى ولو كانت وظيفة كتابية أو إدارية لا علاقة لها بتخصصهم . ولقد شرحت عيوب هذا النوع من التعليم في مؤلفي « التعليم والمتعطلون في مصر » من صفحة ٢٢٦ إلى صفحة ٢٥٣

... التعليم العام والإنتاج الفني يكاد يكون محصوراً بين رجاله أنفسهم ، لأن كل إنتاجهم محصور في هذه ... التعليم الوزارية ليس للابتكار أثر فيها لأن معظمها منقول عن الكتب الأجنبية تدرس فالكتب التي لا تربي الثقافة والتفكير ... لا يحبب الطالب في المطالعة بل يصرفه عنها ويكلفه حفظها عن ظهر قلب . ... في المدارس الأجنبية التي تخرج الطلبة لا عن وجوب ... وجود مؤلفاتها وإنما هو تعويد أبنائها القراءة وتحبيبهم في المطالعة وبعثهم على ... وكل المدرسة ... مكتبة ... عليهم ... من واجبه تعويدهم الاطلاع على الكتب المختلفة ، مما لا أثر له عندنا مع الأسف . ولعل سبباً من أسباب ذلك النقص يرجع إلى النظام الذي يعد من عيوبنا قديماً في مكافأة رجال التعليم وترقيتهم ، والذي ... أبنائه ... ولا يزال يأخذ به المفكرون منهم ، ذلك النظام الضيق الذي يقضي بقصر الترقية على ذوي المؤهلات التي حصل عليها الواحد منهم من غير نظر إلى ما ينتجه ثم المتخصصون ... صاحب المؤهلات الأوربية ثم ذوي المؤهلات المصرية مهما كان الأول عديم الإنتاج ومهما كان الثاني كثير الإنتاج لا لسبب إلا لأن الأول - كما يقولون - رجل انجلترا أو England man وهذا النظام - وهو نظام المؤهلات والشهادات يقضي على الإنتاج العلمي قضاء تاماً ، لأن الجميع يعرف أنه يكفي الواحد منهم أن يقضي ثلاث سنوات في انجلترا ليقفز ... في التعليم على زملائه بل على أساتذته أنفسهم مهما كانوا منتجين . وهذا لا يحمل رجل التعليم اليوم على أن يكون منتجاً (وقد يضر الإنتاج أحياناً) بقدر ما يحمله على أن يذهب إلى إحدى الكليات في أوربا ليقضي بها سنتين يعود بعدها في مقدمة الصفوف ... ويحمل ... الوصول إلى أعلى القمة

وإذا تأملنا في هذا العهد الجديد أن نقضي على هذا النظام المدرسي العتيق قضاء تاماً ، لأنه يجب حجر عثرة في سبيل النهوض بالإنتاج العلمي والعقل الذي يجب أن يكون هو الأداة الفعالة في سبيل النجاح والرقي

عبد الحميد فهمي مطر

صوت من ألف عام

للأستاذ محمد حسن الأعظمي

وهذا الصوت هو ديوان الأمير تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وهو كما يرى الأدباء أشعر شعراء مصر في العصر الفاطمي. ويكفينا القول بأن شاعرنا كان مرآة حياة عصره بما فيه، نشأ في وقت واحد مع القاهرة. وكان الشعر في مصر قبل ذلك في الضعف والقلة والضمور، إذ كان العصر العباسي الثاني ممثلاً في دويلات مختلفة شبه مستقلة، وكان الشعر فيها يصطحب شخصياً من أمراء العرب كدولة بني حمدان. إلا أن الحياة في مصر كانت متلاطمة مضطربة الأمواج بين أيدي ولاة مختلفة من الأتراك الذين لم يكن الشعر العربي يلقى حياته المعروفة عندهم لجهلهم باللغة والشعر. لهذا كان يلجأ الشعراء إلى غير مصر يلتمسون لأنفسهم الحياة والرزق في الشام وبغداد حيث كانت اللغة العربية تلتمس في ذلك العهد مهبطها ومثابتها في الدولة الحمدانية والبويهية. فإذا ما تهيأ للفاطميين أن يقيموا دولتهم السعيدة في وادي النيل فتحوا أمام دولة عربية هاشمية تعنى باللغة كما تعنى بكتابها وشعرائها، في عصر الفاطميين أخصب الميادين العربية وأفسح الميادين للشعراء يتبارون في عرض قصائدهم، وعرض قرائحهم، وأمكننا أن نسمع مائة شاعر في رثاء بعض الوزراء ينشدون جميعاً ويتبارون مغازلة جميعاً، فيتصلون من أعطية الفاطميين وسعة كرمهم ما يشجعهم على القول ويدفعهم إلى الإجادة. ولكن ماذا حدث بعد عصر المعز والعزيز وغيرهما من تميم وأخيه قد أصبحوا أو كادوا يجلسون على أن تميماً كان على عرش الإمارة في الشعر كما كان أبوه وأخوه على عرش الخلافة في مصر؟ أليس أن للسياسة محلاً كبيراً في السطو على تميم وحرمان أبناء العربية أجيالاً طوالاً من تذوق شعره؟ فقد كان شعر تميم ضحية غشيت ذلك الليث ... ، وفي خزانة القصر الفاطمي التي كانت حافلة بعشرات الألوف من المخطوطات الأدبية والنفائس العلمية والفلسفية، وهي ... من التاريخ أصابت ... الأحرف من الأحداث الجسام التي انتابت هذا القصر في كثير من جوانبه ... ، وكان الأمر بعد عصر ... في أيدي الجيوش السودانية والتركية من جهة والبربرية من جهة أخرى، وأصيب الملك كله بأزمة حادة ومحنة قاسية، فكان القصر والكتب نهباً. ثم جاء بعد ذلك العصر الذي غربت فيه شمس الدولة الفاطمية فمحى هذه العصور وأحرق أكثرها وعني النفيس من كتبها وجواهرها، وشاءت الأقدار أن تحفظ لنا ديوان ينقل من مصر مع من هاجر من أبناء هذه الأسرة وأشياعها الذين اعتصموا بجبال اليمن ولاذوا بحصون الطبيعة المنيعة من غوائل أعدائهم. أما أدباء العرب والمؤرخون فلم يعرفوا عن تميم بعد ذلك إلا شذرات متفرقة ومقطعات قليلة شابها كثير من التحريف والتصحيف.

إن البقية الباقية من أتباع الفاطميين لم يكونوا حرصاء على أنفسهم في جبال اليمن فأرادوا المحافظة بأرواحهم وما لدى أيديهم من الكتب إلى الهند ... ، فأقاموا بها ونشأوا لأنفسهم هذه الدعوة الروحية، وأقاموا هناك كلية عظيمة تدرس بها العلوم الفاطمية حيث يصل الطالب من أبنائها بعد إتمامه فيها دراسته إلى ما يصبو إليه نفوسهم من العرفان. وكان من حسن حظي أن أدرس بهذه الكلية، أو بعبارة أقرب إلى الموضوع أنه كان يتعين في هذه الكلية دراسة جميعها كما حاول قبلي الانتساب إلى كليات أخرى في مذاهب شتى لاستكمال الثقافة الإسلامية من نواحيها العديدة، ولاعتقادي أن الحكمة ضالة العاقل ينشدها في كل مكان ويبحث عن لآلئها في كل غور وصقع. وكان هذا الديوان ... في جملة من نفائس المكتبة وما أكثرها، فجمعته من سبع نسخ مختلفة كما نقلت غيره من الكتب الفاطمية المعروفة في جميع مكاتب العالم، ومنها مثلاً كتاب المجالس المؤيدية لداعي دعاة الفاطميين المؤيد الشيرازي الذي عاصر أبا العلاء المعري. وقد أردت قبل طبع الديوان جملة أن أعرض على قراء الرسالة الغراء نماذج يسيرة من هذا الديوان.

قال بدأ على عهد المعز لدين الله في تفضيله العباسيين على العلويين في قصيدته التي أولها: «أي ربع لآل هند ودعد»

يا بني هاشم ولسنا سواءً ... في صغار من العلا أو كبار
إن تحكُن نفسي حقٌّ فإنا ... قد سبقناكم لكل فخار
ليس عودكم كعودٍ ... هل تُقاس النجوم بالأقمار
من له الفضل والتقدم في الإسـ ... ـلام والناس شيعة الكفار
من له الصبر والمواساة والنصـ ... ـرة والحرب ترتمي بالشرار
من دعاه النبي وحدا وحقا ... أخا في الصفاء والإظهار
من له قال لا فتى كعلي ... لا ولا منصل سوى ذي الفقار
ومن بأعلى النبي آلأم ... جهلاء واسم الأعصار
أيحب الإله أم يحبين ... وأحبه صلاة الأطهار
يا بني عمنا ظلمتم وجرتم ... عن سبيل الإنصاف كل مطار
كيف تحوون بالأكف مكانا ... لم تنالوا رؤياه بالأبصار
من وفى الفراش يفديه ... أحمد وهو نحو يثرب سار
أبي كان العباس إذ ذاك في الـ ... ـحضرة أم في الفراش نحو الغار؟
ألكم مثل جده يا بني العبـ ... ـاس مأثوره من الآثار؟
ألكم حرمة بيم رسول (ص) الله ليست فيكم بحلت بوار؟
ولنا حرمة الولادة والأر ... حام والسبق والهدى والنصر
ولنا هجرة المهاجر قدما ... ولنا نصرة من الأنصار
ولنا الصوم والصلاة وبذل الـ ... ـعرف في عسرنا وفي الإعسار
ونحن أهل الكساء سادتنا الز ... وج أمين النبي المختار
نحن أهل التقى وأهل الوصا ... ة وأهل النوال والإيثار
هدموا حُجة الشرى فتوبا ... من بني بيت أحمد الأبرار
أو تطرحوا الإله في أي رأي ... يومكم والمسير على الكفار
أجعلتم سقي الحجيج كمن آمن (ص) بالله مؤمنا لا يجاري؟
أو جعلتم من هو صاحب في الحر ... ب كمن هو من بناة الشعر
كرموا الرمي في صرة الو ... غى لضرب الرؤوس تحت الغبار
حين ولى صحب النبي فرارا ... وهو يحمي النبي عند الفرار
وسلوا يوم خيبر وسلوه ... مكة من كرّه على الكفار
وسلوا يوم بدر من فارس الإسـلام فيه وطالب الأوتار
واسألوا كل غزوة لرسول (ص) الله عن أثر كل عسار
يا بني هاشم أليس علي ... كاشف الكرب والرزايا الكبار
هل ملككم ميراثا لو ... ث بني المصطفى بالاستظهار
يقرب فنحن أقرب للمر ... [illegible]
أم يورث ونحسبه فإنا ... نحن أهل الآل والأصهار
لا تنطو حبكم واسع الحق (ص) مقتص بكم لكل [illegible]
وأصيحوا لوصمة علا الأر ... ض عليكم بعمل [illegible]
تحت أعلامه من الفاطميـ ... ـن أسود ترى [illegible] الأظفار
فاصمدوا عن موارد الملك إنا ... نحن أهل الإيراد والإصدار
ولنا الفخر والسمو عليكم ... والمساعي وطيب كل نجار
يا بني فاطم إلى كم أفيكم ... بلساني ومنصلي وانتصاري

ورثى الأمير أهل بيت النبي

نام بعد ما الرأه مسهد ... فتسر طرفه القلبين مسهد
بيت توارى الغفلات صبيح ... وبت حول الخيط مزبد
نأوا ببعد ألقت مكائدها النوى ... وترت بهم دار وصبح وداد
وقد تؤمن الأحداث من حيث تتقى ... ويبعد عنه الأمس حيث تراد
أعلل من صحة الصبر مذهب ... ولسر غيري مالف ومسعد
تذكرت أسلاف كرام بكربلا ... هم الشهور للعالمين سعود
أصابهم من عبد شمس عداوة ... وعاجلهم بالنار كيد حساد
فكيف بلا الحسن عموا وصححوا ... وجاروا على آل النبي وزادوا
وقتلهم بيا عبيده وكلامهم ... تريد بأنواع الشقا ويدعوا
تفرقت بعد فالكرام ومكثر ... وكدودهم والحلم ليس يكاد
حكمت الأسياف فيهم وسلطت ... عليهم رماح النفاق حداد
فكم كربة في كربلاء شديدة ... دهاهم بها للناكثين كياد
فكم منهم كل أروع ماجد ... يميرون فرضا ليس فيه عداد
كأنهم لم يقدموا ولم يسادوا أمية ... وحادوا كما حادت ثمود وعاد
ألم تحظروا يا قوم رهط نبيكم ... أماكم يوم الشرور معاد
تداس بأقدام الشماتة جسومهم ... وتحرمهم جرد هناك جياد
فتيتهم بالقتل أمة جدهم ... سفاها وعن ماء الفرات تذاد
فأتوا عطاشا صابرين على الوغى ... ولم يجبنوا بل جاهدوا فأجادوا

ولم يعيه [illegible] الهدى لأنهم … [illegible]
ولكنهم ماتوا كراماً أعزة … ومات [illegible] قبل ثياب [illegible]
[illegible] بأعال كربلاء من معاقل … [illegible] الأرض ليس [illegible]
[illegible] بني الزهراء كل سميدع … جواد إذا أعيى الأنام جواد
[illegible] في ذلك [illegible] منهم … وجوه بها كان النجاح يفاد
[illegible] على قتل الحسين و[illegible] … وجرى [illegible] و[illegible]
وطفى على [illegible] وبأ [illegible] … إذ [illegible] للكتب [illegible]
ألا كبد [illegible] منهم صبابة … [illegible] حزناً أو يذوب فؤاد
ألا [illegible] ألا [illegible] … أكل قلوب العالمين [illegible]
[illegible] دماء الأزكين ولا أرى … دماء بني بنت النبي تقاد
[illegible] هم الهدى والفجر [illegible] … [illegible]
[illegible] في الإرغام [illegible] … [illegible] إلى أرض الشام [illegible]
[illegible] إلى [illegible] … [illegible]
كأنهم [illegible] … لأكرم من قد [illegible]
[illegible] على [illegible] … وقتل حسين والقلوب [illegible]
و[illegible] بالقصب [illegible] … لقد [illegible] أهل الشام و[illegible]
[illegible] من الإيمان والوحي والهدى … [illegible] في الإله [illegible]
[illegible] بل [illegible] … [illegible]
أمية [illegible] لأبناء هاشم … [illegible]
إلى كم [illegible] … [illegible] منكم و[illegible]
متى [illegible] أخي [illegible] كهاشم … لقد قل إنصاف وطال [illegible]
متى [illegible] … متى [illegible]
متى [illegible] منكم [illegible] … [illegible] الحق [illegible]
متى كان [illegible] منكم [illegible] … إذا [illegible] إيمان و[illegible]
متى أصبحت [illegible] كفاطمة [illegible]
متى [illegible] بالمسيح [illegible]

أآل رسول الله [illegible] وكدهم … [illegible] عليكم [illegible]
أليس رسول الله [illegible] … [illegible] وأرض [illegible]
بكم أم [illegible] جاء القرآن مبشراً … بكم أم [illegible] دين الإله يشيد
[illegible] بإسعادي [illegible] … [illegible] ليس [illegible]

ومن لم [illegible] عليكم … فلا [illegible] ملاذ
وأظلهم حتى [illegible] … على الأرض [illegible]
[illegible] … من [illegible]

وقال [illegible]

قال [illegible] … لا [illegible]
قالت [illegible] … [illegible] ولا [illegible]
[illegible] … [illegible] الهوى [illegible]
[illegible] … قالت [illegible]

وقال [illegible]

وما [illegible] دمع [illegible] … على [illegible]
[illegible] الدر [illegible] … [illegible]
إذا [illegible] دمع عيونهم … [illegible]

قال وقت الخروج من الشام سنة ٣٧١ هـ

قالوا الرحيل [illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible] البكا [illegible]
سبحان من [illegible] الهوى … بين الأحبة والبعاد
وأطار [illegible] … [illegible] السهاد
[illegible] من [illegible] العراق … [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] أمضى من شبا القضب
و[illegible] ليس [illegible] في [illegible]
[illegible] … ولا [illegible]
[illegible] … [illegible] من [illegible]
[illegible] … وأصبب [illegible]

وقال أيضاً :

[illegible] … [illegible]
مع [illegible] … ألم [illegible] ألم [illegible]

وقال

[illegible] … [illegible]
[illegible] … [illegible]

حُبُّ مجدي ... حمل الت ... ب وباه ... الإعجاب

فاسقنيها مدامة تصبغ الكا ... س كما يصبغ المدوه الشباب

ما ترى الليل كيف رق دجاه ... وبدا طيلسانه يستجاب

وكأن الصباح في الأفق باز ... والدجى بين مخلبيه غراب

وكأن السماء لجة بحر ... وكأن النجوم فيها حباب

وكأن الجوزاء سيف صقيل ... وكأن الدجى عليه قراب

وقال منزماً بعض الشعراء ، وذلك أنه ذكر أن الأمير ... على ما يأتي به من الشعر بعيره

يرى أناساً ما في طبعهم ... في كل ما قلت من الشعر

... تطاطاً سهمٌ عندهم ... فسوا بالمداوم قسمتي

لو لم يكونوا حسدوا لاستحسنوا ... أن يجعلوا الربح كالبدر

... سعوا شعري تمرة صغروا ... مابين النهر من البحر

من حقق الحق الا نفسه ... يجهله من حيث لا يدري

فناظروني فيه أو فاشعروا ... شعري إني أسكرهم أسري

أو لا تعرفوا حسد قائل ... مستحكم في القلب والصدر

وقال يصف جد لطيفة الدر ... الله القاطبي :

الحرب ثوب الزمان عندي ... وصرفه لعب الحباب

من قهوة مرة كيحت ... أسكر من أعصر الشباب

أرق من أدمع القصاني ... سكباً وأشهى من الضراب

صاح لها المزج حين شبت ... بطائر ... من ... حباب

كأنه في كئوسها صباحاً ... والليل غلائل الثياب

يحيى بها ساهر للتلاق ... لا يعرض الوصل بالعتاب

كأنها ورد وجنته ... وطيب ألفاظه العذاب

إلى مدى واحتى ودار ... ما زال يحنو من السحاب

يحسب أروع السجايا ... مقابل ما ... الحساب

ومن أحسن ما قيل في الأمير قول ابن رشيق

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الأمير تميم

محمد عبد المحسن ... مراعظي

لـــو...

للأستاذ إيليا أبو ماضي

لو أنني يا ... جداول ... هبط من ...

وصرت ... لك أو ... في جيدك الناصع أو أصبعك

أو ... في ... الإنشاد في ...

ولو أكون الأريج الذ ...

... الروض ...

وما ... في ...

ولم أمنح حتى ...

* * *

... وفي الورد ... الصبا ... وفي ... والجال

... وإنما ... جمالها أخشى عليها الزوال

... شاهدت ... الردى ... كأنا ... الظلال

ولاح لي في الورق الشاحب

متطرحاً في الأرض ...

... آمال وأحلام

أحلام ... أحلام ...

إيليا أبو ماضي

استطلاع صحفي

مدرسة الطيران الحربي

كيف تصبح طياراً حربياً؟

« لمندوب الرســالة »

[illegible]

« تكلمنا في مقال سابق عن مدرسة [illegible] الحربي [illegible] واليوم عن مدرسة الطيران الحربي حيث [illegible] ضباطنا الطيارون [illegible] [illegible] لقد أصبح الطيران [illegible] عماد الجيوش فهو الذي يؤدي مهمة استطلاع مواقع العدو ، وهو [illegible] [illegible] ويحمل [illegible] [illegible] أو القلاع الحربية وتحصيناته [illegible] ، فهو الذي [illegible] الانتصار »

قوة الأعصاب

على طرف مسطرة ممدودة في يد أحد الطلاب أوقف مسمار على سطحه المستوي . والمسطرة وذراع الطالب في مستوى كتفه يتعين أن [illegible] تلك [illegible] ثابتاً لأوامر الطبيب دون أن يهتز المسمار أو يسقط . فالطبيب يختبر قوة أعصاب الطالب ليعرف إن كان يصلح للدراسة في الطيران الحربي أو لا يصلح . وينتقل الطالب من اختبار إلى آخر ، فهنا يختبر الطبيب حدة بصره وسلامته من العيوب فيجرب جهازاً صغيراً من وجهه ليرى [illegible] البصر في العينين ، وهناك يجري حساسية أجزاء جسم [illegible] أحياناً [illegible] ويلاحظ الانفعالات المختلفة ، وهكذا يمر طالب الالتحاق بمدرسة الطيران الحربي من مرحلة إلى أخرى حتى يتأكد الطبيب أن جسمه من أصح الأجسام وأقواها ، لأن الطيار يتعرض لسقوط [illegible] تودي بحياته إذا كان جسمه لا يحتملها .

فإذا قبل الطالب في مدرسة الطيران الحربي ، فهو يمضي دراسة [illegible] الخبرة [illegible] النظريات [illegible] مع ملاحظة سرعة الخاطر وحضور البديهة . فالطيران الحربي في العصر [illegible] سواء كانت طبيعية أم صناعية ، فقد يتعطل الطيار [illegible] عليه في الجو إعصاراً ، وقد [illegible] أحد الأدوات [illegible] [illegible] ويصلح خلله وإلا [illegible] أو [illegible] إذ [illegible] حياته [illegible] [illegible] مع العدو هو أقوى من قوته أو [illegible] في هذه الحالة أن يتصرف ويحسن التصرف ، وعليه أن يناور ويحسن المناورة وإلا أفسد المهمة التي كلفه بها قائده وكلف جيشه وأمته خسائر مادية ومعنوية كبيرة .

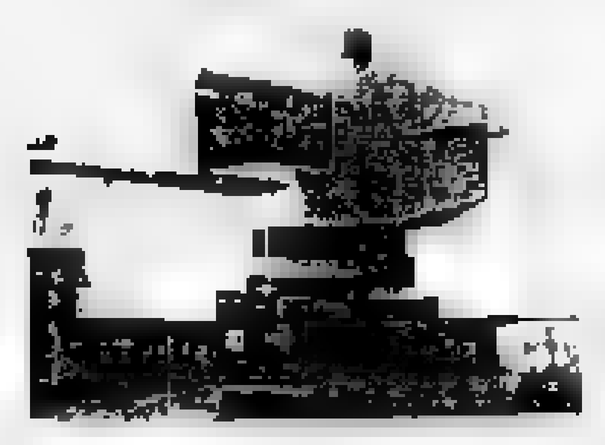

في هذه الطائرة [illegible] الطيار أول [illegible] على الطيران [illegible]

الطيران الثابت

يبدأ الطالب دراسته في مدرسة الطيران الحربي في حجرة [illegible] في أحد جوانبها جهاز صغير على شكل [illegible] الطائرة ، ورسم على حائط الغرفة الأرض [illegible] الطيران للطائرة . وفي جانب آخر يجلس [illegible] أمام جهاز لاسلكي [illegible] حركات الجهاز كي يصدر أوامره بالاتجاه إلى اليمين أو إلى اليسار والأمام .

ويدور هذا الجهاز بالكهرباء ، فيجلس الطالب على مقعده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الأدوات التي لا غنى عنها للطيار . ويصل الجهاز [illegible] ويتعرض [illegible] أخطاء [illegible] الطالب كيف يضبط جهازه .

في الوضع الصحيح بتحريك عصا القيادة في اتجاه يصحح اعتدال الريح، ويتناول الجهاز بجعل الجراب إلى اليمين فيصححه الطالب

المتدربون يختبرون حركات أحد الطائرات على منضدة
ويرى في الصورة المضلعة التي توضع عليها للتعليم بالصورة

وتعرف هذه المرحلة بالطيران الثابت، وفيها يتمرن الطالب لجميع حركات الطيران، ولكن جهازه لا يفارق الأرض، وإن صح له أن يدور إلى اليمين أو إلى اليسار. ويمكث الطالب على هذه الآلة عشر دقائق في اليوم لمدة ١٥ يوماً. ويستطيع الطالب المبتدئ أن يعرف كثيراً من أسرار الطيران دون أن يعرض حياته ومال الدولة للهلاك. أضف إلى ذلك أنه يكون بعيداً عن سوء الحركات مالكاً لأعصابه فيسهل عليه أن يفهم إرشادات مدربه بسهولة لا تتيسر له إذا استعمل طائرة حقيقية، ثم وجد نفسه لأول مرة معلقاً بين الأرض والسماء.

الطيران الأعمى

والأصل في هذا الجهاز أن يتمرن عليه الطيارون على ما يسمى بالطيران الأعمى، إذ يطير بطائرة مقفلة في الظلام ولا يرى أمامه إلا خريطة وأجهزة ليضبط بها الاتجاه الذي يجب أن يسير فيه. وهذا الطيران مهم جداً لمن يريد قطع مسافات طويلة في ارتفاعات كبيرة لا يمكنه معها رؤية تفاصيل الأرض، أو في مناطق متشابهة كالصحارى أو البحار والمحيطات. وفي مثل هذه الأحوال وحدها يعرف الطيار طريقه ويصل سالماً إلى هدفه.

ورأت إدارة المدرسة أن تستعمل هذا الجهاز العلمي للتحقق من صلاحية الطلبة وتجربتهم على الطيران، فإنه يدار بالكهرباء التي لا تكلف الدولة إلا نفقات زهيدة لا تذكر إلى جانب ما تستهلكه الطائرة الحقيقية من وقود وآلات. ويمر بهذا الجهاز كل طالب يتمرن على الطيران سواء كان ساقطاً أو صاعداً (صور)

والمعروف أن الطيارين لا يحتاجون إلى كثير من تنظيم الصفوف وتعلم اللياقة العسكرية وحركات الطريقة الأرضية ولكنه يجب على كل طيار أن يقضي أربعة أشهر يتمرن فيها على هذه الحركات لتكتسب عضلاته المرونة الرياضية ويتعود الحياة العسكرية، فإن أغلبها يقضي حياته كطيار

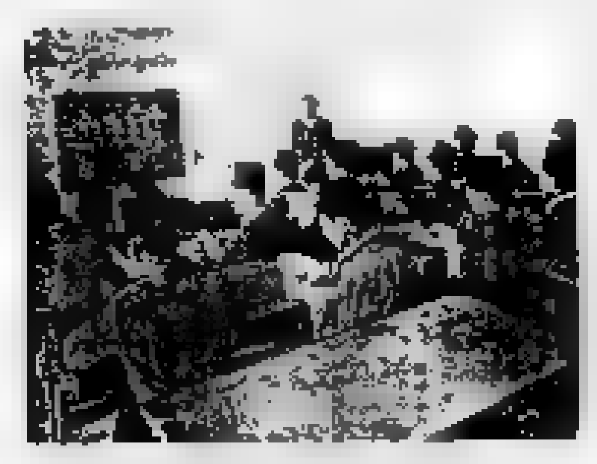

في الفصل: الأستاذ يلقي على طلبته درساً في العسكرية

بين طبقات الهواء

وبعد أن يتقن الطالب السيطرة على إدارة هذا الجهاز ينتقل إلى المرحلة التالية فيحلق بطائرة حقيقية في الهواء. وتحتوي طائرة التدريب هذه على مقعدين أحدهما خلف الآخر بجوار كل منهما مجموع أدوات القيادة والجهاز معد للتدريب بحيث إذا ضغط عليه انتقلت عصبة القيادة إلى أدواته. ويجلس الطالب في مقعد ويجلس

للتدريب في الثاني فإذا ارتفعت الطائرة في طبقات الهواء [illegible] للتدريب [illegible] منه [illegible] تبعاً [illegible] التي تلقاها عنه ما كان في مرحلة الطيران الثالث فإذا أخطأ صحح له أخطاءه.

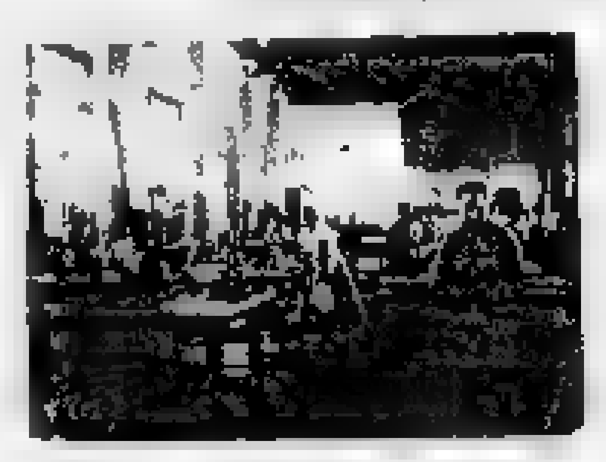

أجزاء الطائرة التي تصنع على يد طلبة في مصنع الميكانيكا

ويستمر هذا المران أشهراً ثلاثة يتلقى الطيار أثناءها فنون الطيران كالملاحة الجوية وصيانة الطائرة وفنون اللاسلكي واستعمال أسلحة القتال المختلفة. فإن المران العملي لا يستغرق كل وقت الطالب إذ هو لا يتجاوز الساعة في اليوم بينما يصرف باقي يومه في تلقي العلوم النظرية، ويتلقى طلبة الكلية الحربية بعض هذه العلوم عن المختصين بمدرسة الطيران.

ويتمرن الطالب أثناء مرانه على ثلاثة أنواع من الطائرات تختلف في الوزن والسرعة والمتانة، ولهذا قسم المران إلى ثلاث مراحل أولاها الطيران الابتدائي فيقود الطالب طائرة من طراز [illegible]، وفي الطيران المتوسط يكون طائرة من نوع الأفرو، وفي المرحلة الأخيرة المعروفة باسم الطيران العالي يقود طائرة من نوع الأفرو أكبر، وتختلف سرعة الهبوط على الأرض في كل من هذه الأنواع الثلاثة.

مدرسة حربية كاملة

فإذا نجح الطالب في اجتياز هذه الفترات الثلاث جاز له أن يقود أكبر الطائرات وأكثرها تعقيداً. وقد مكنت مدرسة الطيران الحربي من سد حاجات سلاح الطيران الحربي المصري

رغم حداثة عهدها إذ أنشئت سنة ١٩٣٨ [illegible] أول مدارس الطيران في مصر، فقد أنشأ سلاح [illegible] الطيران مدرسة في أول [illegible] سنة ١٩٢٩

ويعمل مدير المدرسة عبد الحميد الدميطي [illegible] المعهد والوصول حتى تؤدي المدرسة مهمتها بتخريج طيارين [illegible] مصريين للذود [illegible] على [illegible] بالدفاع عن مصر و[illegible]، ويعرفون أن الطيران أصبح من أشد وسائل القتال خطورة.

[illegible] والصناع

ويلحق بمدرسة الطيران الحربي جناح في الواقع يتكون من أربع مدارس [illegible] في [illegible] و[illegible] إدارة و[illegible] الطلبة [illegible] إلى مدرسة ميكانيكية يتمرن فيها [illegible] كيف يصلحون العطب الذي يحل بطائراتهم والعناية بها، فإن مهمة هؤلاء الأخيرين لا تقل خطورة عن مهمة قيادتها، فإن أقل خلل في جهاز الطائرة يعرضها للتلف كما يكلف الأمة فقد أرواح [illegible].

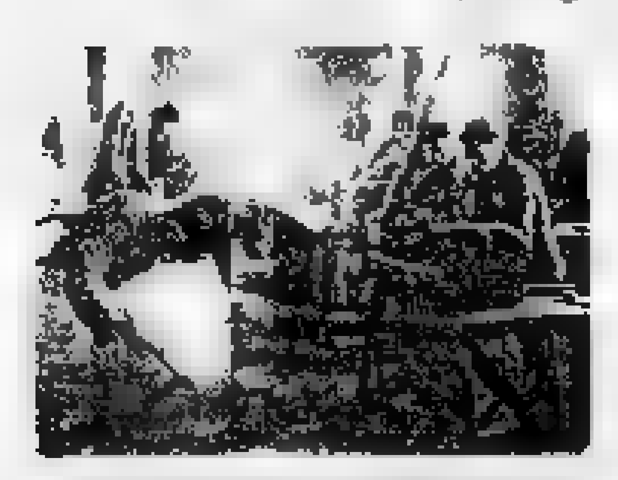

قسم من مدرسة الميكانيكا [illegible] الطلبة إصلاح الطائرات وصيانتها
في مصنع خاص [illegible] يشرف عليهم [illegible]

ولعلنا نجد المختصين من الطلبة بالدراسة في هذا المعهد حيث يفحصون أجزاء الطائرات على نماذج مكبرة [illegible] قطاعات تبين أجزاءها المختلفة حتى يشاهد الطالب [illegible] الداخلية في الطائرة وأثرها، [illegible] تشاهد حركاً

تظهر به عوارض الرعود وتبين تأثيره. وفي مكان آخر تشاهد نموذج جناح الطائرة وجزءها الخلفي وهو مكشوف يبين التركيبات الداخلية وقوة مقاومتها

ويتولى حرجيو هذا القسم الإشراف على صيانة الطائرات وإصلاحها، ولا يباح للطائرة أن تعبر حظيرتها إلا إذا رأى الضابط المختص أنها في حالة جيدة وأن جميع أجهزتها سليمة. وعدا ذلك يجري المسئولون فحص الطائرات كل مدة معينة. وأحياناً يكون هذا الفحص كاملاً، وأحياناً يكون سطحياً بحسب حالة الطائرة والمدة التي قضتها في الجو. فلكل طائرة كتاب خاص الذي يبين تاريخ حياتها حيث تقيد فيه عدد ساعات طيرانها في الجو والأماكن التي زارتها والأعمال التي أدتها

[illegible]

وتستلزم الدراسة الميكانيكية لأجزاء الطائرات معرفة عدة من شكلها تحتاج إلى صناع فهي تحتاج إلى [illegible] يتكون من المعادن وبعضها الآخر يتكون من الخشب [illegible] إلى ذلك ما يحتاجه سلاح الطيران من أثاث [illegible] وصناديق تحفظ فيها المعدات والأجهزة

ويتبع مدرسة الطيران الحربي مدرستي التصوير الجوي والمدفعية واللاسلكي. وقد تحدثنا من الأولى في مقال سابق وفي عدد تال نتحدث عن المدرستين الأخريين فهي كل هذه الفنون ضرورية للطيار حتى يكون قادراً على تأدية مهمته سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب

وفي مدرسة المدفعية يتعلم كيف يطلق القنابل ويستعمل معدات الحرب المختلفة، وفي مدرسة اللاسلكي يتعلم كيف يتلقى الأوامر من قيادته وهو طائر في الجو

فوزي الشتوي

التاريخ في سير أبطاله

مازيـــني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده حتى بلغ الأعياء]

للأستاذ محمود الخفيف

– ٢ –

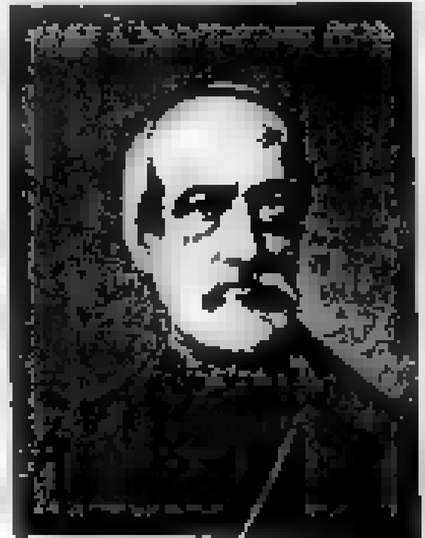

والتحق الفتى بالجامعة في جنوه حيث بدأت صورة سخطه في قراءة الآداب والقانون وهي موضوع للمرحمة كما يدخل في طاقة مواهبه ؟ وما كان اعتياده حب يمر أعلى الجامعة ، على أنه قصر همه فيها كانت توجهه تطلعاتها من الدروس والكتب فكان له وجهة غير التي عينت في المطالعة والبحث وكان ثقافته من نوع عتيد ، هو ذلك النوع الذي يعد الطلاب للإجازات التي تمنحها المؤسسات لأصحابها دلالة على أنهم درسوا هذه الدروس أو تلك في مستوى معين وعلى صورة معينة لا تكاد تختلف في طالب عنها في آخر

وما كان الفتى من سبيل سادتهم من الفتيان يتولون التوجيه التي يرسمها لهم غيرهم ، وإنما كان بطبعه ثائراً على كل قيد ، ما رأى شبح القواعد التي تحد من الحرية في شيء إلا نفر منه ثم عول على تحطيم تلك القيود ولو أصابه من وراء ذلك الإعنات والإحراج ؛ وكثيراً ما أدى ذلك إلى شكوى القائمين على شؤون الجامعة ، وأي سواهم من يحمل خلقه إباءه مثل هذا التمرد ؟ أما الذين عرفوه معرفة خبرة فكانوا يحسون في ذلك التمرد روحاً ثورية حرة لا يحسون نظيرها في أحد من سواه من الطلاب

وكانت الحكومة وقد هالها ما هب من ثورات تقاوم كل سير إلى الحرية ، وتضرب للمقاومة ؛ وكانت الجامعات من الأمكنة التي تنظر إليها بعين الخوف والحذر ، ففي هذه الأبنية يلتقي الشباب ، وفتنة الشباب في جماعات أمر لا يؤمن في طبيعته مع تلك المقاومة التي راحت تحكم الحكومة أصبعها في عيون البلاد وعروقها ؟ فللشباب أحلام وآمال لا تحد ، وفيهم حيوية ووثوب ، ثم هم يذودون عن الحرية ! ومن كان هذا شأنهم ، أو من كانت هذه طبيعتهم صعب على الآخرين أخذهم بالعنف ، بل ما يكون العنف إلا داعياً إلى العصيان فالتحدي فالثورة .

وكان حرياً على الأساتذة أن يحذروا الطلاب في نواحيهم ، أو أن يكونوا حيث يلقونه عليهم ما يحملهم إلى أن ينحصروا في الوجهة التي لا ترضاها الحكومات لهم ؛ وكانت إدارة الجامعة في جنوة لا تقبل من الطلاب غالباً إلا من تطمئن إلى سلوكه ومن يملك أمره قدراً معيناً من الثروة لتكون ثروته رهينة لدى الحكومة متى شاءت ؛ وحسبك أنها كانت تحرم على الطلاب أن يطلقوا شواربهم لأن الشوارب عندها كانت من علامات التمرد والنزوع إلى الأفكار الثورية ؛ ومن خالف ذلك حمل على رغمه إلى أقرب حلاق حيث يلقى على شاربه في غير رفق ، ولا ندري كم مرة حمل فيها مازيني على هذه الصورة المضحكة !

وكان له وهو لا يزال في الجامعة الزعامة على الطلاب جميعاً ، وفي ذلك ما يقيم البرهان المطلق على أن الزعيم الشعبي يولد وفيه صفات الزعامة ، فما يزال زعيماً في كل مراحل حياته حتى تنتهي إليه كبرى الزعامات فيصبح في أمته الرجل الذي يوجه الرجال أرادوا ذلك أو لم يريدوا

كان وسط إخوانه جاداً لا يعرف مظاهر الأمور ، محروماً جانبه من اللهو وإن كان يحب الدعابة البريئة ويحمل لها بعض رضاه ، بيد أنه كان لا بد من المرح مع صحبه الأدب الفني ،

الذي يعلن ولا يصنع ، والذي سجنت روحه دون أن يحتمل شخصه . وكان يميل إلى الموسيقى من عهد ويكبر على أنها شيء تسمو به النفس وتستيقظ فيه الروح ، أما أن تكون مسلاة أو مدعاة إلى المجون والعبث فذلك ما كان ينفر منه أشد النفور

وكان شخصه أبداً يوحي إلى من حوله معاني الاحترام ؛ صفاء وجهه ورقة تفكيره يعينان على التحدث أن يفكر فيما يقول ، وعزة نفسه ورغبته في الدنيا تحول بين الكلمة النابية على لسان غيره وبين الإفلات ؛ وإنه يحمي الضعيف وينتصر للمظلوم ، ويدافع عن الحق في كل ما يعرض له من الأمور ، ثم إنه يواسي البائس ويعزي المحزون ، ويجد التعبير عما تكنه يده من نقود وكتب وملابس ولسوف تكبر معه تلك الصفات وتنتقل من حول أصدقائه إلى مجال إيطاليا كلها يوم يسعى فيها من روحه يبعث في أوصالها الحياة والأمل

وكانت القراءة أحب هواية إلى نفسه منذ حداثته ، فكان يكب على كل ما يقع في يده من الكتب فيدرسها حتى يأتي عليها ، ثم أتيح وبعض خلانه من تأليف جماعة للقراءة والدرس وكانت الحكومة بعد ثورات سنة ١٨٢١ قد شددت الرقابة على الكتب فلا تسمح بنشر ما يدعو إلى المبادئ الثورية منها أو ما يرمي إلى مناقشة المبادئ ، كذلك شددت الحكومة الرقابة على الصحف الأجنبية فلا تأذن بدخول البلاد إلا لما لا تخشى من دعوته من أهل تلك الدول ؛ لذلك عملت الجماعة على تهريب الكتب والصحف المحرمة ، ولقد نجحت في ذلك نجاحاً مرضياً

وأقبل مازيني على كتب الأدب فراح يجلس مع شكسبير وجوته وبيرون وشلر ، وكان قد قرأ أعمال هؤلاء جميعاً وأعجب بها أيما إعجاب حتى لقد صار له السكان الأعلى في قلبه

كان مازيني يرى رسالة الأدب في العموم والشعر على الخصوص السمو بالنفوس وتطهيرها وبث الأمل فيها وتقويتها وشحذ العزائم واستنهاض الهمم ، وإشاعة روح المحبة والمودة بين الناس ، وكان يرى أن الشاعر الحق هو الذي يجمع بين الشعر وحكمته فيطرب النفوس ويطير بها إلى الأجواء العليا ثم يغذيها بمعاني الفضيلة ويبعثها على الجهاد والعمل ؛ أما الاقتصار على الحس والوصف دون أن يكون من وراء ذلك غاية من غاية أو عمل فذلك عنده ضرب من العبث

وقرأ مازيني فيما قرأ القصة المسرحية لمانزوني وكان يحب وصاحب روسو وكان يطمح نظرة من الرسي ... ما كيافلي وكان عنده في السياسة كدانتي في الأدب إذ كان الإيطاليا ومانزوني كان يرى كل منهما يعمل على أن يحطم جدرة بأن تخرج الشرائع الأشداد

وكان في إيطاليا يومئذ نزاع بين أنصار الأدب الإبداعي (الرومانتيك) وأنصار الأدب الاتباعي (الكلاسيك) ؛ فكان من الطبيعي أن يتابع مازيني الفريق الأول ، فينتصر لأدب الحرية والابتكار الذي يتحرر من القيود ويحارب الجمود ، ولكم كان ذلك معجباً بشاعر إنجلترا العظيم اللورد بيرون ، ذلك الذي كان يحمل شعره إلى أعماق نفسه لما كان فيه من تمرد وثورة ولما كان يوحي به من معاني العزم والجهاد والصبر على الشدائد؛ وكان اسم بيرون يومئذ يدوي في أنحاء أوروبا حتى لقد باتت كتبه تحت كل شاب في كل مكان

وكان مازيني يقول إنه لن يتحقق لإيطاليا من جديد كيان سياسي ما لم يتحقق لها أدب يدعو إلى الحرية والتقدم ، ومما ذكره في هذا الصدد قوله : « إن التشريع والأدب إنما هما يسيران أبداً في خطين متوازيين » وقوله : « إن بين تقدم الثقافة الفنية والحياة السياسية للأمة ارتباطاً وثيقاً » ، ويتحدث عن الأدب الإبداعي بقوله : « إن غرض الأدب الإبداعي هو أن يمد الإيطاليين بأدب حر أصيل ، لا بأدب كذلك الذي يكون كصوت الموسيقى العابرة يطرب الأذن ثم يموت ؛ أدب يترجم لهم عن نوازع نفوسهم وأفكارهم وحاجاتهم وحركتهم الاجتماعية »

وراح الشاب وهو في الثامنة والعشرين يكتب في الصحف وقد صرف عنه أول الأمر إلى الفقه ، إذ كان يرجو من ورائه أن يوجه أدب قومه إلى ما كان يريد ؛ وحيناً يكتب في صحيفة في جنوة وينشئها صحفي باسم الرقيب بعد عام ، فأنشأ صاحبها غيرها وكتب إليه مازيني ليراقبه بأعداد فصول منتظمة ولكن هذه الصحيفة حققت بيانها بعد عام آخر ، فعظم الأمر عند الشباب مثله ولكنه ما زاده إلا إيماناً بالحرية وصبابة

ونسي مازيني بعد حين ليبي القليل أن يتصل بأكبر صحف بلاده وكانت تسمى (أنتولوجيا) وقد أعجبت مواهبه كثيراً من أنصار الفكر ، فتجلى في هذه الصحيفة

وكان مازيني يجعل من الأدب يومئذ وسيلته إلى خدمة بلاده، وكانت تحدثه نفسه حتى في السرحات الأدبية بأن يرمي بها إلى الهدف الذي عينه، هدف القومية والحرية؛ ولكن سرعان ما أخذ يحس في نفسه منذ تلك الملحمة أن الأدب ليس كل شيء، فهو وسيلة سلبية، ولا سيما أن الرقابة تضيق عليه أشد التضييق

وكان ذلك الفتى يكرب نفسه إذ كان يدعه في حيرة من أمره ويدعه أحياناً بين اليأس والرجاء؛ فروحه الثورية كانت تستحثه [illegible] الوسيلة التي اتخذها وتدعوه إلى وسيلة غيرها، ولكنه كان لا يدري ما عسى أن تكون الوسيلة الجديدة [illegible] أليس [illegible] تقضي على كل ميل إلى المقاومة في كل جهة من جهات إيطاليا؟ ثم ألا يذكر ما حل بالثائرين قبل ذلك بنحو ثمانية أعوام؟ وها هو ذا [illegible] لا يزال يشهر سيف الرهبة فيخطف وهجه الأبصار ويلقي الرعب في الأفئدة

على أنه وإن عدم الوسيلة كان يرى الغاية واضحة أمامه أتم الوضوح؛ وما كانت تلك الغاية إلا تحرير إيطاليا من جديد على أساس قوي، فتصبح أمة واحدة تتمتع بالحرية وتسير [illegible] كما سوف أن [illegible] من [illegible] ومجدها! ولقد استقرت هذه الغاية في أعماق نفسه حتى أصبحت أعز عنده من حياته وما يهدأ ذلك الحس التي تجري في أعماق الرهبة حتى يؤدي رسالته أو يهلك دونها، مهما يرى أمامه من جبروت وبطش من بطش؛ ولكم [illegible] الأحرار [illegible] السلاسل والأغلال

وكان الفتى منذ حين قد اتصل بجماعة الكاربوناري وانضم إلى صفوفهم؛ وكانت تلك الجماعة لا تزال تضم إليها الأنصار في طول البلاد وعرضها، ولئن كان قد خفت [illegible] منذ ثورتها عام ١٨٢١، فلقد ظلت متماسكة، ولقد أحدثت [illegible] حتى لقد جاوزت حدود إيطاليا وصار لها مركز في القارة، وكان مركزها الرئيسي في باريس، حيث اتصل زعماؤها بالأحرار الثائرين على الملكية المتحجرة في فرنسا ملكية شارل العاشر، أو الكونت دارتوا ذلك الذي شهد [illegible] الثورة الكبرى ورأى مصرع لويس السادس عشر [illegible] بل [illegible]، حين استوى على العرش [illegible] التاج والصولجان

ولكن جماعة الكاربوناري كانت يعوزها [illegible] والقيادة الحكيمة، وذلك ما كان يألم له مازيني أشد الألم، وكذلك كان يألم مازيني من اعتماد الجماعة على فرنسا حسب ما كان يرى —

وما أجمل ما كان يرى — أن يكون الشعب [illegible] عنه فلا أمل [illegible] الوطنية والجهاد القوي [illegible] على الشعب [illegible] وثقته في نفسه أولاً، ولا ضير بعد ذلك أن يلتمس العون من غيره ولكنه إن اعتمد على غيره وكانت صورة الحرية [illegible] له من أجل إلا أن يجنيه ذلك الغير، وهذا أمر غير مضمون في كل وقت؛ وإذا كف ذلك الغير [illegible] إلى النفوس [illegible]

على أنه على الرغم من هذه كان يرى في الجماعة [illegible] الوحيدة التي [illegible] عنصر المقاومة والعداء، ولذلك لم يتردد أن ينضم إليها [illegible] وكان من نظام [illegible] ألا يعرف العضو رؤساءه، وإنما يعرف رجلاً أو رجلين؛ ولقد أخلص مازيني لمبادئ الجماعة [illegible] وحماسته إلى [illegible]، فأوفد [illegible] إلى بعض الجهات مبشراً للمبادئ عاملاً على ضم أعضاء جدد إلى الكاربوناري ..

ورجعت الرجعة في فرنسا وأطاحت بالملك المتجبر عام ١٨٣٠! ورأى الفتى الثانية الدليل العملي على أن قوة الشعوب [illegible] أمراً [illegible] أن [illegible]؛ وأن هذه الشعوب [illegible] إذا [illegible] إلا كالبحر [illegible] كل من [illegible]

وهبطت من [illegible] على [illegible] أنباء الثورة الجديدة في فرنسا [illegible] الأمل للأحرار [illegible] رجال الكاربوناري، وعند [illegible] أن قد جاء اليوم الموعود، ونشط مازيني ورفاقه يدعون لمبادئ الجماعة ويهيبون بالشعب أن ينتظروا أول صيحة

ولكن الحكومة ما لبثت أن ألقت القبض [illegible]، فلقد [illegible] من قبل عيونها بين صفوف هذه الجماعة واتهم مازيني بأنه كان يعرى [illegible] وألقي [illegible] في [illegible] في سافونا وهو [illegible] في الخامسة والعشرين فكان هذا أول [illegible] من الآلام في حياته التي سوف تكون مليئة بالآلام

[illegible] إلى [illegible] لم [illegible] إلا [illegible] واحد [illegible]؛ ولكن [illegible] بين الاعتقال في [illegible] إلى خارج إيطاليا [illegible] جبال الألب إلى فرنسا، وكان يريد الذهاب إلى باريس حيث [illegible] مبادئ الجماعة هناك، ولكنه [illegible] إلى [illegible] حيث انضم إلى [illegible] من الإيطاليين [illegible]

دراسات في الفن

معضلة

بين الفن والقانون

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

قابلني ، وكنت أنا في هذه الفترة المهموم صاحبي متعتعة سألني :

— إلى مقام الصديق توشك سكينة أن تحل به ويلزمه العيش أن يجد لها السبيل كي تحل به ؟

— أعوذ بالله ومن هذا بعث هذا ؟ أأعرفه ؟

— تعرفه ، ويعرفه الجميع ... هو محمود حسن إسماعيل الشاعر ، والموظف بوزارة المعارف

محمود إسماعيل ؟ وماذا جرى له ؟

— عينه اليسرى صحيحة ... على حب الوزارة ... وهو الآن يسألها يلوح ليشفع في الفرصة الأخيرة من فرص الكشف الطبي ، لتعتمد الوزارة عنه وتثبته في وظيفته

— وهل أصابها سوء وهو يسألها ؟

— يقول أنها تشكو

— وأي شيء في هذا ؟

— أن يعتبر الشعر على محمود !

— إنه ؟ ولماذا ؟

— لأن عينه اليسرى هي التي يرى بها الشعر ما دمت على هذه الحال

— أما قلت لي هذا من الأول ؟! حسبت ما يبهك جداً وملأ اسميهدني ؟

— لا بأس . أما يكفيك هذا ؟ كم هم الشعراء في مصر الذين يشبهون محموداً في مصر الآن ومن قبل

— يا سلام !! أإلى هذا الحد تنكره !

— هذا رأيي . وقد قلته له في وجهه ، وأنت تعرفين ما أقبح الناس ، وبدورها أسرح به الانتفاع ... وأنا كما عهدت أنا أهزأ في حزن ، وأسحب الصعداء

ولكني لا أرى محموداً كما تراه ...

— فليكن رأيك فيه ما يكون ولكن التاريخ سيشهد بأن الشعر العربي في مصر ظلت تكثر فيه التسابيح ، والأنغام ، والهياكل ، والطيارات ، والأشعة ، والضفادع ، والثيران ، والغربان ، والنخيل ، والسيول ، والزهور ، والأرواح ، والأطياف ، والمعارف ، والمزامير ، والنسيم ، والشاعل ، والسواقي ، والأكواخ ، و... و... و... من بعد اليوم المبارك ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨

وهل استمر محمود في هذا اليوم مستمسكاً من الشعر الذي استعمل هذه الألفاظ في الشعر ، وطراب الشعراء حول ما يحيط بها من المعاني ؟

— نعم . لقد فعل محمود هذا

— لو لم تكن سمعت معنى في البيت ! كيف حدث هذا يا أخي ؟

كان هذا اليوم المبارك هو ثالث أيام زفاف الفاروق ، وكان جلالته قد أسعد محموداً وأتحفه بالشرف الأسمى إذ دعاه إلى ميدان ليرتل بين يديه من أغاني الروح على أثر إجابته في حفل عقد فيه ، وكان هذا الحفل من حفلات الجمعية الخيرية الإسلامية ، وقد شهد هذه الدعوة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة القائمة ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، والحفل الأول الذي أظل محموداً ، كما شهدها حضرة صاحب المقام الرفيع

على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي سابقاً ، ورئيس الوزارة اليوم . وكانت هذه الدعوة في عهد المرحوم ، وقد تلاه محمود في ماهر ... إنه الشعر الذي طاب للملك ... والملك فارس ، والملك عبقري ، والملك ...

ما أروعك صديقاً !

— في اختيار أصدقائي لا في وصفهم بالباطل

— المحمود إذن له هيبة

— هيبة خطيرة ... ولو أن ملكاً في غير مصر فعل هذا الذي فعله الفاروق أعني الملك في شاعر بعثات الحكومة ، وهنا الشعب يتوسلان معاً الشاعر ، فالملك لا يأمر كل شاعر ، والملك لا يعمل ما يعمل عبثاً ، فهو يعرف أنه رأس الدولة ، انظري إليه من الذي أعلن عنه وصده من رجال المسرح بعد أن استعرضهم جميعاً .. أليس هو نجيب الريحاني ؟ ... ومن في رجال مسرحنا مثل نجيب الريحاني ؟ . . . وانظري . . . ألم يمن عليه الوهاب في القصر

— هي جلالته حتى جعله يكون ما في الملوك النبلاء من أدب ورقة

— إنك بدأت تقنعيني .. يخيل إلي أنه ليس في مصر من يحس ويشعر ويفهم مثل فاروق الأول ... وربما فؤاد الملك الذي احتل العرش بعد ما خبر الحياة مع الملوك وعرض ملياته في صحبه بين أفراد الشعوب ... عرف بعد ذلك كيف يملك وكيف يحكم وكيف يعد العرش من بعده ملكاً يشعل بالإدراك في ملابسه وقته ... ومحمود الشاعر الذي قدره الفاروق والذي جعله يجلس اليوم بشهيد من شعره ، تساومه الآن وزارة المعارف ووزارة المالية في وقته ، ولا بد أن يقتنع إذا أراد أن يبقى موظفاً فهل يصح أن يحدث هذا ؟ كلا فلا بد أن يبقى من الكشف العلمي

— ولكن أحداً لم يطلب منه أن يعدل عن شعره

— إنهم يعرضونه أن يلوى عينه اليسرى ... وقد قلت لك إن عينه اليسرى هذه هي التي يرى بها الشعر

— ولكن يجب أن أقول لك أنا إن هذا هو كلام المجانين

— أرجوك ألا تصدري حكماً على شيء قبل أن تفهميه وتعرفيه .. لقد عرض محمود عينه هذه على ثلاثة من أطباء العيون المتازين في مصر هم الدكتور محمد محجوب ... من الكثيرين أنه من أطباء العيون في مصر ، والدكتور ... وهو مدير مستشفى العيون بروض الفرج ... مدير ... والدكتور إبراهيم ... وهو مصور كلية الجراحين ... لا يستحضر ... وقد قرر هؤلاء الفحول الثلاثة أن عينه اليسرى هذه سليمة ، وأن أعصابها قوية ... حتى إنها ليست ضعيفة ، إذن فقد كان يجب عليها أن تصحح في الكشف الطبي

— هذا لو أنها كانت كعينيه العيون ... ولكنها ... يسكب من ورائه علامات الكشف الطبي

— وهل هي حوكمة وكتب آخر فليست مثل عيون الناس ؟

— إنني أعرف تصدقين النبي محمداً أو أنت مكذبته ؟

— معاذ الله أن أشك في نبوته

الحمد لله ... كان محمد رسول الله يقرون إنه كان يسمع الوحي ... وكان يوحي إليه في اللوحة الحربية ، وكان بصاحبه في مواقف مطرية حضروه وأنصاره فلا يسمع الوحي أحد غيره ... فهل كانت أذن محمد كما ذاق بعيد للناس ؟ أجيبي ؟

— كان محمد نبياً

— وكان بشراً مثلنا يقرأ القرآن ويقرؤه هو نفسه ... فتكذبين القرآن ؟

— حاشا لله

— إذن فهو لا يختلف في شيء من تكوين البشر .. ومع هذا فقد كان يسمع ما لم يكن يسمعه جيرانه والمتصلون به فلا بد إذن أن يكون من تكوين البشر خلاف معرفة نادرة يستعصي على الآلات وأجهزة الكشف العلمي ... .

— كأني أريد أن أوافقك وأن أقول إن هذا كلام معقول

— هو معقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... الرسول كان بشراً وكان يسمع ... ما لم يكن يسمعه الناس ... وكذلك كان موسى ... وكذلك في جهة أخرى كان بيتهوفن الموسيقي الأصم ... وكذلك كل موسيقي آخر يلتقط الأنغام من غير موهبة السمع فيهم واحدة وإن كانت تتشكل بأشكال مختلفة ... ومحمود حسن إسماعيل شاعر ، وله عين يرى بها ما لا يراه بقية الناس ... هذا أمر لا عجب فيه

— أو كان لديك دليل مادي غير هذه الاستنباطات

— الدليل موجود .. وهو في شعر محمود ... إنه يجدي تسيل في المسألة منه على الأقل كأنها صور مصورة . إنه يشبه حتى الصوت بالرنين .. إنه يرسم معانيه صوراً كل صورة منها يمكن أن توضع في إطار ... في صدره كما يمكن أن يرسم إلى رسوم .. فكيف يتاح له هذا إلا إذا كان يرى هذا الذي يصفه .. لا تقول إنه يتكلف هذا . فالمتكلف لا يستطيع أن يستمر وأن يتصعد وأن يجيء مثله بمثل محمود . إنه يرى هذه الأشياء حقاً ... اقرأ شعره

— فليكن هذا حقاً ... فكيف تحكم بأنه يرى هذه الأشياء بعينه البصرى لا الحق

— لأنه يستعمل عينه البصرى حين يكتب ... إنما أعرفه وقد رأيته كثيراً وهو يستمع في ... حياته ... كما رأيته كثيراً وهو يكتب ... ورأيته يستعمل عينه البصرى كلما كتب شعراً

— قد يكون هذا

— لا بل إنه يستعمل عينه البصرى ليسترجع هذه الصور التي يصفها ويراها في وضوح .. ويفتح عينه اليمنى على القلم والورق و« المسكين عرايك »

يا له من حرامه !

— إنها ليست حرامة .. وإنما هي رأي . ومع أنه رأيي فإني لا أريد أن أقطع به .. فإني كنت قد بحثت عنه بين أساتذتي الآن علماء ولا والحمد لله موجودون على قيد الحياة

وهم جميعاً طوع أمر وزارة المعارف . ووزير المعارف رجل من رجال التربية وعلم النفس هو عالم وبعد قبل أن يكون سياسياً ووزيراً ... ووكيل المعارف رجل من المجتهدين وممن لهم آراء صحيحة في فنه . وممن لن تغيب عنهم هذه التقدم الفرد — هو يرحب بالدراسات العلمية من غير شك — ... ... والأستاذ عبد السلام القبانى المتخصص في دراسات النفس وتجارب التربية موجود في معهد التربية للمعلمين وهو وكيله . والدكتور عبد العزيز القوصي أستاذ علم النفس بالمعهد موجود أيضاً وأظن أن الرسالة القيمة التي نال بها إجازة الدكتوراه في علم النفس على يد سبيرمان كبير الأساتذة الإنجليز كانت خاصة بالعين . والبصر . والنظر — وهؤلاء ووزيرة المعارف من أوله إلى آخره يحق عليها من علماء النفس الأخصائيين والأطباء والفلاسفة ... وهذه حالة شاذة أصبح أن ... فلماذا لا تبحث ؟ ... حين يقولون إنها عصبية . ويقول الأطباء إنها عوجة . وإنني لا أرى علامات المكتشف العلمي . وأكثر إنها ترى صوراً لا يراها الناس ويصفها محمود بالشعر . فكيف تحكم حكماً صحيحاً في هذه المسألة إلا بالدرس ... أليس الدرس هو الطريق الطبيعي الوحيد الذي يستطيع الإنسان به أن يصدر حكماً في مسألة من المسائل ؟ إذا سلكنا هذا الطريق الوحيد مع شاعر رضي عنه الملك ويتمد حيثما شعره . فمن من سلك طريق العلم والعقل والطبيعة ... إلى المسألة أحسن مما نحن فيه

— ولكن كيف تدرس هذه الحال ؟

— أنا لا أعرف كيف .. فلست دكتوراً في علم النفس . ولا أنا شيء ما . وإنما هذه فكرة خطرت ... أنا ذاهب إلى وزارة المعارف وهي إحدى في « تركية » . وقلت لها يا وزارة المعارف هذا هو الإنسان وأنوحليه في متوسطة من مدرستك الابتدائية . فهل وضعته الوزارة . أو قبلته قبل أن تخرجه من تركيه فعرفت إذا كان هو صبياً أو صبية ... وهل هو أو هي مستوف أو مستوفاة لشروط القبول في المدارس الابتدائية أو أنه غير ذلك . كذلك موقف الآن مع وزارة المعارف في شأن محمود إسماعيل ... أفلا يجب عليها أن تعرف ما هو ؟ قبل أن تعطيه أو تمنعه أو تطالبه بعقوبة فيه . أو

— وما وزارة المعارف وهذا كله ... إنها تريد موظفين يعيون عمله

— فلم يذهب عمرك ... إن في الموظفين من ليست لهم عيون عربية . ولا عيون ... عربية

— وماذا يضره لو أن عينه تموت ؟

إنها لن تموت يا إنسانة ... إنها محقوقة حكماً ... هذه هي قوتها ... فهل رضي مصر لو فشل محمود في تقوية عينه أن تكلفه وزارة المعارف فيسرح على الأبواب يقول « ... الحد رب متقهر » إن المسكين يضع على عينيه اليوم ثلاثة مناظير واحداً أمام وسيلته إلى تقوية عينه وهو ... أصبحنا ... إنها تموت

— وماذا تقول إنه يخدع نفسه ؟

— له شهر وأكثر وهو يجد الناظر الثلاثة ... وجد منتر لشمس ، وواحد مكبر للقوة حيث البصرى ، وواحد رجاج على البسرى ينكشف قرى ، وسواد على اليمنى ليتماس الرؤية عكسياً البسرى من التعب ... على النظر ... وقد عصب عينيه بهذه الناظم فد كف عن الشعر ... ألست معرفين « الرسالة » على الدوام ؟ ألم تلاحظ أنه احتجب منذ خمسة أو ستة أسابيع ؟ — لقد كان يكتب قصيدة للإذاعة فكتب منها سبعين بيتاً إلا سطراً واحداً وقف عن كتابته منذ ظلم عينيه بهذه الناظر ... إنه الآن لا يرى ما كان يراه من قبل وهو يعاني أزمة نفسية ثانية ، ولا عزاء له في هذا كله إلا أن يجد داعياً يعوضه ... إن عينيه تعوبه ، وهو يقولها كالعمر من رفيع من ... واسع ... في سبيل الوظيفة والمشروع التعس الطرق التقدم في القانون سيحتل محل شاعر شاب لا كل يكفيه ما يلاقيه الشباب من إنكار الشيوخ ... في هذا الزمن فكيف بتقدم ... ؟

— أكتب في هذا الموضوع ؟

— ومن أنا حتى أكتب فيسمع كلامي ؟

— إنك إنسان ... ولكن الكلام الذي تقوله مسموع ... والذي يدعم الأمر كلهم معلاً ... وأصحهم وهو وزير الثاني أعدهم ... بالعقل مهندس ... وحده مستطاع أن يكون وزيراً للحربية ثم وزيراً للمالية ... وهو مهندس ... ولم يستطع هذا إلا لأنه ... عقلاً ... ثق بأنه سيكون في صفك

— إنك تشجعني

أكتب واطلب من وزارة المعارف أن تؤلف لجنة من عطائف مدرسة هذا الموضوع

... من الله

* * *

وهأنذا كتبت ... فمن يكتب من معطي أنا !

عمر ...

من هنا ومن هناك

سويسرا تضرب المثل في التسلح

[عن «جازيت سويس»]

لعل ما تقوم به «سويسرا» في الأيام الأخيرة من الاستعداد الحربي وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل التسليح، يعد مثلاً بارزاً لكثير من الأمم التي تعتقد أنها في مأمن من الحوادث. فقد كانت سويسرا من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٠ تقتصد في نفقات التسليح كل الاقتصاد، حتى أنها لا تقرر لأجله في ميزانيتها إلا مبلغاً ضئيلاً لا يكفي لاشتراء بعض الآلات الحربية الضرورية؛ إذ أنها لم تكن تشعر في تلك السنين بأي تهديد. فسويسرا جارة فرنسا، وأمة كالأمة الفرنسية اشتهر أهلها بالرزانة والعمل وحب السلام، ولا يرضيها وجود الجيش الفرنسي عند حدودها.

وفي سنة ١٩٣١ والسنين التي تلتها أخذت سويسرا تعمل لزيادة التسليح ولا تدخر وسعاً في هذا السبيل، وذلك أن شبح الحرب كان قد أخذ يحلق في سماء القارة الأوربية. ولم تكن سويسرا حتى سنة ١٩٢٩ تنفق على التسليح أكثر من ١٦٪ من الميزانية العامة. ثم لم تمض عشر سنوات حتى وصلت هذه النسبة إلى ٢٢٪ ولكن هذه المقادير لم تكن تفي بحاجاتها إلى السلاح وما تتطلبه من الأموال الطائلة. فعقدت قرضاً فيما بين ١٩٢٩ — ١٩٣٠ لأجل الدفاع مبلغه ٤٨٠ مليوناً من الفرنكات السويسرية أو ما يوازي ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٣ من الجنيهات.

ولم تقف سويسرا في استعدادها الحربي عند هذا الحد، ففي سنة ١٩٣٦ فكرت هذه الأمة الوديعة في تنظيم جيشها، وتحديث عدده، وتعزيز جيشها، وزيادة مدة التدريب العسكري بين أبنائها. وإذ كانت سويسرا فيما مضى لم تفكر في إنشاء المصانع الحربية، فقد أصبح بها الآن عدد من المصانع الكبيرة المعدة لصنع الذخيرة في أنحاء البلاد المختلفة. أما قوى الطيران الدفاعية منها والهجومية، فقد أصبحت على تمام الاستعداد، وقد أقيمت استحكامات منيعة على طول حدود الرين والتحصينات الجبلية الأمامية. وتعد سويسرا الآن رابضاً حربياً حافلاً بحمايتها من الطوارئ الفادحة. ولكي تصل إلى هذه الغاية قررت سحب ٣٠ مليوناً أخرى من مال الاحتياطي للاستمرار في عمليات التحصين والتسليح حتى تصل في دفاعها إلى أقصى ما تصل إليه أمة في العالم.

سويسرا لن تفقد استقلالها، ولن تموت أبداً. وإذا كان الشعب السويسري لم يكن في تاريخه من الشعوب المتعطشة للحروب، فليس هو كذلك بالشعب الذي يضر بالسلم، وقد أصبحت العزلة بعد أن ظهرت نيات ألمانيا نحو الشعوب الضعيفة.

وقد تحدث إليّ في الأيام الأخيرة سويسري عظيم فقال: «إني أعجب إعجابك بألمانيا التي أنجبت كثيراً من العبقريات النادرة، وشاركت أمانيك في ذلك، فأنا من أبناء سويسرا الألمانية وقد نشأت في أحضان تلك البلاد الغنية بفلاسفتها وشعرائها وموسيقييها. ولكني لا أستطيع أن أؤمن أن ألمانيا الحقيقية هي ألمانيا الهتلرية. إن أمتي تنظر بعين القلق إلى أعمال ألمانيا وشعبها، لأنها ترى أن مثل تلك الأمة جديرة بأن تحب الحرب».

ومن خلال هذه الكلمات الرزينة نستطيع أن ننظر إلى سويسرة الخالدة الصبور.

الطيران في القرن الخامس عشر

[عن «لاتريبونا إيطاليا» روما]

أقيم في ميلانو في الأيام الأخيرة معرض لأعمال ليوناردو دافنشي العبقري المشهور.

ومما أثار الدهشة في نفوس الزائرين لهذا المعرض تلك الطائرة التي وضعها هذا الفنان العظيم قبل ظهور أول طائرة بخمسة قرون. فقد كان دافنشي يشتغل بالطيران، ويقضي كثيراً من وقته وتفكيره في تحقيقه سابقاً أساطير الإغريق.

ومما يروى أن عضواً من أعضاء الأكاديمية الفرنسية شرح هذا الاختراع الذي كان يدور برأس ليوناردو للملك لويس الثاني في كلام مسهب بفكرة الآلة الطائرة حتى انتزع شيئاً من اهتمامه ساخراً وقال: «إن ليوناردو محق فيما فعل لأن معاصريه الجاهلين لم يكن قد عرف في العصر الذي عاش فيه».

وقد جاء «أوتو ليليانتال» في العصر الحديث ودرس خواص الطير والقوة التي تساعدها على الصعود والتحليق في الهواء، وأثبت أن ما كان من الخيالات والأوهام الغابرة في العصور السابقة قد أصبح حقيقة علمية خاضعة للتنفيذ

ولم يكن ليوناردو في هذا الأمر صاحب طريقة لإدارة الطائرة غير الأجنحة التي تحركها القوة العضلية، إلا أنه وجد أخيراً أن هذه الطريقة لا تكفي لاستمرار سيرها، فوضع لها سيوراً من الخيوط تدار باليد أو بالقدم. وقد ظهرت طائرتان من هذا النوع الماضي كانتا موضع الدهشة والإعجاب

ومما فكر فيه هذا الفنان الأعلم مقياس قوة الهواء والرياح مصحوباً برغبته في دراسة الطيور. وأخذ يفكر في القوة التي تساعد على التحليق وسط الزوابع والأنواء. ومع أن الوسائل الحديثة، على أن النتائج التي وصل إليها كانت على جانب عظيم من الأهمية. وفي مقال كتبه عن تحليق الطيور، وضع ليوناردو فكرة العمود الآلي وسطحه المنحني، وأشار إلى كثير من الآراء الناجحة في فن الطيران، ومما لا شك فيه أن الآلة التي ابتدعها ليوناردو كانت مؤسسة على الطرق والقواعد المتبعة في الأيام الحديثة

ولعل ما شغل هذا الفنان العظيم بجهوده وأبحاثه الفنية النفيسة، هو الذي منعه عن إتمام مشروع الطيران، فلم يترك له الوقت الكافي للسير بالفكرة إلى النهاية، وإن كان الكثيرون من أصحاب الرأي والخبرة، يؤكدون صحة القواعد التي وضعها، ويعتقدون بأن التجارب التي أجريت عليها كانت ناجحة كل النجاح

تاريخ التقبيل

[عن P T Q]

القبلة هي إحدى الطرق الإنسانية التعبيرية التي اختص بها الحب فما هو تاريخ ظهورها بين بني الإنسان؟

المعروف عند عامة الناس أن التقبيل نشأ مع الشهوة الجنسية وهذا خالف الحقيقة، ومعنا على الاعتقاد بأن هذه العادة لم تكن من الغرائز الإنسانية الأولى أن كثيراً من الأمم لا يعرفها على وجه الإطلاق، وأن بعضها ينظر إليها بالمقت والاشمئزاز

ومن المحقق أن قبائل الإسكيمو والنوبا لا يعرفون التقبيل وقد مضت قرون عديدة قبل أن عرفت هذه العادة في الصين واليابان. أما في أيامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون بأساً من انتشاره بينهم، ولكن اليابانيين يحرمونه ويعاقبون على مرتكبه، حتى أنهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الأفلام الأوربية والأمريكية التي تعرض في بلادهم

وقد عرضت رسوم رودان في معرض طوكيو سنة ١٩٢١ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التي تمثل صورة القبلة فقد ألقى عليها غطاء كثيف. وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فأجابه رئيس البوليس بأن مجموعة رودان كان من الواجب أن توضع جميعها تحت غطاء من أجل صورة القبلة فالتقبيل عادة أوربية محرمة عند اليابانيين بأي شكل، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين أمم العالم لسحب جميع رسومه من المعرض إلى الخارج لأجل هذه الصورة

أما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وإن كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها، ومن القبل المشهورة قبلة «فلورنتين» ونسبت إلى «نابليون الأول»، وقد بيعت قبلة في إحدى المناسبات بمبلغ ١٢٠٠ جنيه، وكان ذلك في الغرب حوالي سنة ١٩١٥ في حفلة لإعانة الجرحى صاحبتها الممثلة المشهورة «مورتون» عن طريق المزايدة، فلما وصلت المبالغ المعروضة إلى ٨٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين ما عدا اثنين هما الثري الكبير ودوق أرمنت، وقد فاز الدوق في النهاية بهذه القبلة ومما يذكر في هذه المناسبة أن الدوق طلب إلى الممثلة أن تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلاً منه

وتعد القبلة في بعض أنحاء الولايات المتحدة عملاً منافياً للصحة، وتعريض صحة الإنسان للمرض جريمة يعاقب عليها القانون. أما اغتصاب القبلة من امرأة فإنه كانت هو عمل يعاقب عليه القانون في سائر الأحوال

وإذا كانت القبلة اليوم هي التعبير الصادق عن الحب، فقد كانت في الأزمنة الخالية نوعاً من التحية حسب ما شرع بالتقبيل للمصافحة، فقد ظل كذلك إلى القرن الخامس عشر، وكان يباح للضيف أن يقبل زوجة مضيفه، وكل فرد من أفراد عائلته

وكانوا في روما القديمة يعتبرون القبلة من أسباب التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظوراً على النساء ساعتئذ، ومن ثم كان يستحسن الرجل أن يقبل المرأة إذا كانت له بها أية علاقة، فيتأكد من أنها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام أحد علماء أمريكا في الأيام الأخيرة يحذر العالم من التقبيل، ويعلن أنه ينقص من أجل الإنسان، ولكن أحداً من الناس لم يصدقه أو يعمل لتحديد نصيبه من التقبيل

افتتاح
فصل الشتاء
معرض المبتكرات الحديثة
عند
شيكوريل

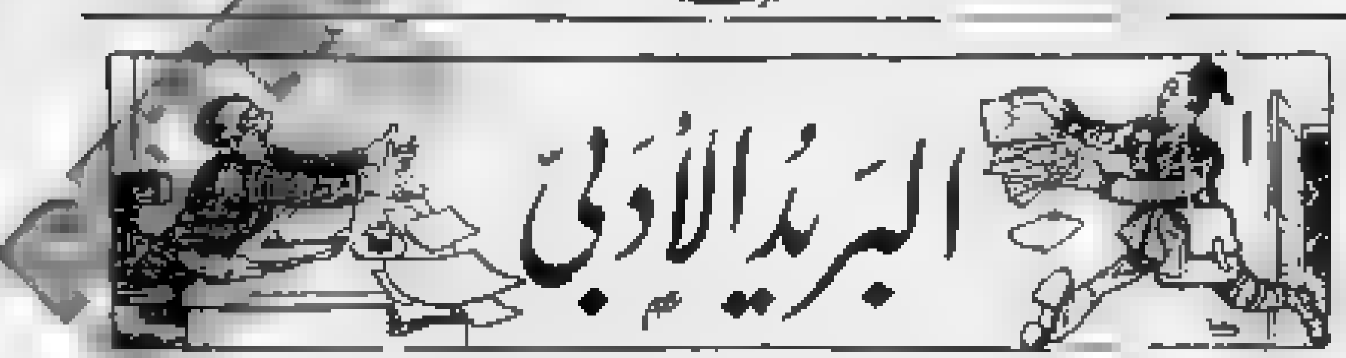

وراء الغيوب — قصة للأستاذ محمود تيمور نشرتها المكشوف

هذه القصة طريفة يقدم الأستاذ محمود تيمور في اللون الخيالي، وقد بدت بواكيره في قصته الساحرة «فرعون الصغير» على ما بعثت في متخلف طبقة الناس. وراء يتقدم منه مهملاً اللون الواقعي الذي عرف به زماناً. ويمكن إجماله بأنه إنما هو من ناحية الفكرة التي تسيّر القصة لا من جهة السياق، إذ لا يزال ملتزم تصوير الناشر والتحليل السريع وغير ذلك من أساليب الواقعية réalisme. واللون الخيالي romanesque بالفرنسية والإنجليزية (هنا أيضاً romance) و romanhaft بالألمانية — يجري إلى سرد الحوادث النوادر و«الناصيف» (كما تقول اليوم في مصر adventures) وإلى وصف المواقف التي تهيب النفس وإلى الكشف من آفاق مضطرب فيها الأسرار والألغاز، كل ذلك رغبة في الفرار [illegible] ونؤمن به، كل ذلك إرادة أن في النفس [illegible] من وراء حجب. هذه وجهة التصوفية والأسرية المتجددة وما يخرج من هذه ذلك العزيز من العالم المجهول لنا غير أن هذه تتمثل بما يجوب في النفس حية تبرز وتعرض صور [illegible] وانفعالات، ثم تستخرج ما وراء الحس وتدويه على القلب وترد على الوهم، وذلك من طريق الخيال، وما لم يصور من الأشكال والهيئات، ويحيط [illegible] ما يجري مجرى الموازنة البعيدة أو القريبة بين الحق والباطل.

وجملة القول أن التصوفية تتناول الخارجيات من عدات باتت وعوالم مستطحة وحوادث أخذنا، على حين أن الواقعية المتجددة تركز أرواحها في وادي الصراع وتسوغ ما في الذات المباشرة.

وقد عرف الأدب العربي اللون الخيالي، من حكايات جداتنا وفي «ألف ليلة وليلة» ما شاء من الجواهر والعجائب. وأما الأدب الإفرنجي فحديث عهد بخروج اللون الخيالي على يديه مناشئاً مشهوراً شرحت قلبه في أكثر الحالة بين الأوضاع على تباين في الأنحاء. ومن تيمور في «وراء المجهول» لا يرجع إلى الأدب العربي، ثم إنه ليس من بني (كبلنج) Kipling لأن هذا كان كاتب، وليس من بني (استراتي) P. Istrati لأن هذا صاحب عنف، وليس من بني (فورنيه) A. Fournier لأن الرجل شاعر في شيء وصاحب وسوسات، وليس من بني (ماك أورلان) P. M. Orlan لأن هذا خاض الحياة الشاقة. إن اللون الخيالي عند تيمور في «وراء المجهول» يقارب بعض الشيء ما نعرفه من بني القصصي الفرنسي P. Benoit مع اختيار ما غير الكاتب من الكتاب من حيث الأسلوب والتفكير.

وأسلوب تيمور في قصته الخيالية لا يبرح أسير الطريقة الواقعية كما تقدم؛ فلا اللفظ ينبو من موضعه للتصوير، ولا التعبير يميل إلى الإبهام، ولا العبارة تجري [illegible] بل كل ما يتصل بالأداء منسجم في الشكل الذي كتب عنه.

لا أدري ما الذي وقع لصديق تيمور حتى يجنح إلى ذلك التحويل ثم يريده إرادة! أي شيء ينفره من هذا العالم ثم يطير به إلى آفاق مجهول؟ هل خاب أمل من آماله؟ هل أحس بطلان دنيانا وصرف مبلغ [illegible] فأحبب إلى التشاؤم كما انجذب إليه (بيير لوتي) P. Loti من قبل؟ إن تعلق تيمور على الإنسانية ورفاهتها وسمعها كما هو جلي في قصصه الساجة. وبين هذا العطف على الناس وطلب الفرار منهم خطوة — ألا فليقل لنا يحيى أيها الصديق، فأنا على الفرار النفسي أقوى من واحد، وإن كان لكل منا جناحه!

ومنه مرجاني ممن تب به الأمس البعيد أن يقرأ «فرعون الصغير» لكي يطلق الذهن فيرى عظات حياة البطولة أو حياة المرابة، ثم يهبط إلى أرضه ويعاود أمنه دروبها الشائعة. وحسب تيمور أنه يستطيع بعمل تلك العظات النفيسة، حسبه! هل يستطيع ذلك غير صاحب الخيال عزيز المعاني يحيي النواحي؟

بشير فارس

التاريخ المزخرف والأشعار المسرحية

١ – أشكر لحضرة السيد محمد علي عكاري جهده في تقديم بعض الشواهد التي تؤيد القول بأن وثنية العرب كانت في الأصل على قواعد روحية ؛ وأرجو أن يجمع هذه المسألة في بحث يجليه جميع ما يستطيعه من البينات التي تجلو غوامض تلك الوثنية ويكون مفهوماً عنده وعند سائر الباحثين أن الوثنيات في جميع بقاع الأرض لم تكن إلا صوراً أو رموزاً لحقائق روحانية ومعنوية كانت في الأصل ديانات سليمة حين سيطرتها على الجماهير جسّموها بالصور والتماثيل . ومن هنا نستطيع حجة من قال إن وثنية العرب كانت « أرضية وضيعة » ومن أنه كان من هذه الحقيقة لنرى أن العرب لم يكونوا بدعاً بين الأمم حين عبّروا عن عقائدهم بمثل ما عبّر به الفرس والهنود واليونان والرومان والمصريون

وقد أوضح الله في القرآن حجة الداعين إلى عبادة الأوثان إذ حكى أنهم قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وهذه العبارة القرآنية تشهد بأن الأوثان كانت رموزاً لمعان روحية

وأنتقل بعد هذا إلى حكاية المأمون مع الموصلي والكسائي وابن الأعرابي وقد ماتوا في يوم واحد فأقول :

إني أوردت هذه القصة في كتاب « مدامع العشاق » نقلاً عن شرح شواهد المغني للشيخ محمد العدوي ، وهو لم يخترعها وإنما نقلها عن بعض المصادر الأدبية

وأنا لا أنكر أني أوردت هذه القصة بحسن ظن صيانةً للأمانة العلمية ، فأرجو أن يعرف القراء أنها تعدّ من التاريخ المزخرف L'Histoire romancée والتاريخ المزخرف يحبه الباحثون في الموضوعات التي تغلب فيها الصبغة الروائية على الصبغة التاريخية

والذي زخرف هذا التاريخ كان يقصد إلى تمجيد العباس بن الأحنف الذي كاد ينفرد بإجادة الغزل في الكتمان ، والذي أذاع معاني الصدق في الوجد في أيام كثرت فيها الاستهانة بشرف المعاني

ومن أجل ذلك رجعت إلى أكثر الأخبار الأدبية لأنها من التاريخ المزخرف الذي يعتمد على التصوير أكثر مما يعتمد على التحقيق ، وذلك التاريخ مقبول في الميادين الأدبية . والغرض منه معروف ، فلا نستغرب صدوره من الطيبين ، لأنه يشعر بأنهم كانوا من أهل البراعة والخيال

٢ – نشرت « الرسالة » كلمة لصديقنا الدكتور بشر فارس في نقد رواية « مصرع كليوبترا » التي مثلتها الفرقة القومية ، وفي ذلك النقد آراء تهب للقبول وللرفض ، ويكفي أن أنقل منه قوله :

« أبى المطران هذا شوقي كما كان يأبى الشعر العربي في المسرح ؟ تتقطع أوصال البيت ويتمهل هذه العروض ثم يسقط على الضرب ، والقوافي يحرك أسنتها الوزن الذي عليه تمت القطعة أو القصيدة . وفي ذلك الأمر ما فيه من حرج ؛ فإن الشعر المهذب عندنا في أوروبا – وهي نأخذ عنها التمثيل – يلقى على المسرح كأنه نثر ، وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بعناصر وأوصاف لا بتفاعيل والتفاعيل كأنها المصابيح والخشب في المسرح ، وأما المعاني والألفاظ فالآلة والتصوير والتزاويق وكل ما يعمد الطرف . كل ذلك فضلاً عن أن تقطيع أقسام البيت ، وضمه إلى مصراعين ، والعقد على القافية الرصينة يورث الملل ويسلك الأذن » . الخ

ذلك كلام الدكتور فارس ، وهو كلام رائق ، ولكنه غير صحيح

وما كنت أحب أن أخطّئ هذا الصديق لولا الخوف من أن يتأثر به النقاد والشعراء فيصد أخونا عن بشعر الأشعار المسرحية صداً لا يرجى بعده صلاح

هل أخذنا عن أوروبا فن التمثيل ؟

هذا حق ، ولكن لا يجب أن نأخذ عنها كل [illegible] في الإلقاء ، فإن الأداء الشعري غير الأداء بالنثر ، وليست الأشعار المسرحية إلا قصائد حتمت القوافي والأوزان ، وهي تعبيرات تقبل في المنظوم ولا تقبل في المنثور ، ومعنى ذلك أن مصرع المعنى في بيت من الشعر يجعل له صورة غير صورته في فقرة من النثر ، فحين أدّي الشعر كما يؤدّى النثر تعرّض للتفاهة والابتذال

ولو أن الدكتور فارس كان شهد إبراهيم الجزار — وهو أعظم خطيب الشعر المسرحي بمصر — إبراهيم الجزار — لعرف أن لإلقاء الشعر المسرحي أصولاً في الإلقاء تختلف في لغة العرب عن أمثالها في لغة الإنجليز والفرنسيس .

الوزن في الشعر يعين تصويراً وتوقيعاً ، كما يعلم الدكتور

طويل، وإنما هو عنصر أصيل لا تتم بدونه للشعر ميزاته، وليس بصحيح أن الأوربيين يُلقون الأشعار المسرحية كما يلقون القطع النثرية، وإن كانوا أقل مراعاة للأوزان عند الإنشاد، لأن نظمهم يختلف عن نظمنا بعض الاختلاف.

وخلاصة القول أن الممثلين لا يجوز لهم تحويل الشعر إلى نثر وإلا فسد الذوق واختلت الموازين وضاع جمال الفن في الشعر المسرحي أشنع ضياع

وإني لأرجو أن يراعي ممثلو الفرقة القومية أذواقنا حين ينشدون الشعر المسرحي مرة ثانية، فقد انزعج كثير من الناس حين رأوهم ينشدون بعض الأشعار بلا احتفال بأحكامه في الأوزان

من أزمة الموسيقى — زكي مبارك

وحدة الوجود والحلول

لأستاذنا الجليل أحمد أمين سابقة جميلة في اللغة العربية، حين انتخب الكثير من المصطلحات الفلسفية في اللغة الإفرنجية ووضع بإزائها كلماتها العربية [1] وليست كلمتنا هذه بيان هذه الفضيلة، فهي غنية عن البيان، ولكن لعناية هذه الكلمات استوقفتنا، وقد خيل إلينا أن أستاذنا الفاضل خانه تعبيره في كلمة «الحلول»، فقد وضعها بإزاء كلمة Pantheisme، وتحليل هذه الكلمة يرجعها إلى كلمتين يونانيتين Pantos بمعنى «كل» و Theos بمعنى «الله» فهي تعني مذهب أن كل شيء هو الله، أو أن الله هو كل شيء، وطبيعي أنه لا يستقيم مع هذه الكلمة المطلقة إلا أن يكون ثمة كائن واحد هو «الله» وسائر الصور الأرضية والسماوية صور تجلياته وشئون ظهور ذاته، كما يقول العلامة بهاء الدين العاملي في رسالته «الوحدة الوجودية». وكذلك سمى الفلاسفة هذا المذهب Pantheisme بوحدة الوجود، واستقامت هذه التسمية. أما «الحلول» الذي آثره الأستاذ فما زالوا يبرءون منه في كل مناسبة، أو يشبه عندهم ويمنع بطلبهم نوعاً من تصوف كل الاختلاف، فيبرءون من الحلول مثلاً في الصحو بعد المحو، ألا تسمع أحدهم

وداني وداني إذ تعنّت تعتب

(1) كتاب مبادئ الفلسفة ترجمة الأستاذ أحمد أمين

وطرّزت إياها، ورأي لم أزل كـ[illegible]

ولا فرق، بل ذاتي لذاتي أحبت

حتى حسبت من حولي أنا بدء وأول

— وحلف كما — [illegible]

وليس معي في الملك شيء سواي والـ

معية لم تخطر على ألمعيتي

وكذلك نجد عبد الغني النابلسي حتى من هذه الشبهة في كتابه إذ يقول

وإياك من قول بأن جسم الفتى	حدين به الكفار بين الورى
فإن يريه من حلول رمت به	فحلول شدت بالقلوب الخبيثة
وما بالحلال والاتحاد أدين في	حياتي وإن جانبتهما شر أمة

وقد وضع الفاضل في رسالته للأئمة الأكابر الفرق بين وحدة الوجود والحلول، ووضحها بحسم الشبهة بقوله: «فإن قيل لم تكفرون القائلين بالحلول والاتحاد وأنتم تقولون بوحدة الوجود؟ قلنا: لأنهم لا يلزمنا هذا ولا ذاك، إذ نقول: لا وجود لشيء غير الوجود وما سواه فهو مجاز محض، ومن أين الحلول والاتحاد؟ إذ لا غير ولا اثنينية فلا حلول ولا اتحاد»

فتعبير الأستاذ أحمد أمين [1] عن هذا المذهب بالحلول تعبير ناقص، وربما وضع كلمة الحلول بإزاء الكلمة الإفرنجية Incarnation

أبو عبادة

حول ابن تيمية وابن بطوطة

قرأت في الأعداد الثلاثة السالفة من (مجلة الرسالة الغراء) ما نقله الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن العلامة الخطفي وما رد به الأستاذ الدرديري وما استدركه عليه الدكتور عزام حول ما جاء في رحلة ابن بطوطة أنه شاهد ابن تيمية يقول وهو على منبر جامع دمشق: إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر

فرأيت ذلك كله مما يقرب أن هذا الخبر ذكره الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة) وابن فرحون في (الديباج المذهب) قال الحافظ: ذكروا أنه ذكر (أي ابن تيمية) حديث النزول فنزل

(1) وقد تابعه في هذا الأستاذ يوسف كرم في معجم الألفاظ الفلسفية الذي ألحقه بكتابه «تاريخ الفلسفة اليونانية»

من الخبر موجهين فقال (كترول هنا) فنسب إلى المخصم له

ووليت في حواشي (دفع شبه التشبيه لابن الجوزي) في الصفحة ٤٨ من مطبوعة دمشق يقول بعض علماء دمشق أنه رأى حاشية ابن تيمية في مخطوط قديم ونص رأيه (لا) قبل (كترون) أي (لا تكترول هنا) والله أعلم

محب الدين الخطيب

إلى الدكتور زكي مبارك

حضرة المحترم الفاضل الدكتور زكي مبارك

تحية طيبة وبعد فأراني بين عاملين متجاذبين إذ أكتب هذا لحضرتك: العامل الأول محرض، وإن كان أعظم، فما أعتقد في صفاتك الكريمة من نخوة، وما اشتهرت به شخصيتك من إقدام وشجاعة

والعامل الثاني يثبط همتي، ويقف موقف المترددة حائرة، خشية ما قد يصيبني ويصيب الموضوع الذي سأعرضه لك منك

وأخيراً رجحت عندي كفة الإقدام على ما اعترضت فقد نأمل في تحمد النخوة مع الحق ولا تتنافر شجاعة المصلحين وشارتهم كل في سبيله ما دامت ترمي إلى هدف سامٍ وتطمح إلى غاية نبيلة

وفي اعتقادي أن الأستاذ الفاضل أحمد أمين حينما عرض مقاله «جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي» لم يكن قصده من النقد والتوجيه إلا نبل الغاية، وحسن النية، وأعتقد أيضاً أن ثورة الدكتور مبارك التي تجلت في المقالات التي عنونت «جناية أحمد أمين على الأدب العربي» لم تكن إلا ثورة النقد والإصلاح من طريق آخر، وكلا الفريقين شريف الغاية موضوع الأدب العربي الذي ظل حظوه موزعة مآل هيأت له الظروف قلم هذين العالمين الفاضلين

والآن وقد أعجب بحضرة الدكتور حضرتي مقالاً تحت العنوان السالف الذكر، وما أتقدم إليك برجاء لم يحملني إليه إلا رغبتي الأكيدة في أن توجه جهودك الجبارة ونشاطك المعدوم النظير، إلى نوع آخر من الإصلاح حتى تجود بثمرات طيبة من تلك الحرب

وأحب أن أخبر حضرتك أني من المعجبين بكل ما يكتبه الأستاذ الفاضل أحمد أمين بأسلوبه السهل اللين، وأؤكد للدكتور الفاضل زكي مبارك أن الأستاذ أحمد أمين يعتبر ركناً كبيراً في الثقافة المصرية، وقد أبلى فيه بلاء حسناً، سواء وافقت على رأيي هذا أو لم توافق. وأقول إنه لا يخلو من عيوبه التي يؤخذ بها، أو أنكر عليه إنسان ما سعى إلى أنه، فليس من السهل مثل هذا النزاع الذي لا بد يحدثه هذا النقد وذاك الإنكار

هذا ورجائي أن تتفضل الرسالة الغراء بنشر خطابي هذا إلى الدكتور زكي مبارك، ولا إخاله إلا قابلاً كما هو معهود به محبة للحق، أمينة في خدمة الأدب والعلم والفن

رحمة الحكيم

حول «مجلس في منزل الدكتور طه حسين»

بعد أن وقف القراء على تكذيب الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف للحديث الذي رواه الدكتور زكي مبارك عن مجلس قال إنه كان في منزل الدكتور طه حسين، كتب إلينا كثير منهم يظهرون إعجابهم ببراعة الدكتور الفنية في إدارة الحوار وإجراء الكلام على ألسنة المجالسين بما يجب أن يصدر منهم لا كتبوا من علم ما كتبوا بهذا التنويه

قرية نموذجية في السودان

حضر الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد خريج دار العلوم والمبعوث حديثاً ليساهم في عماد الثقافة الحديثة في السودان الشقيق. والأستاذ عبد العزيز من القلائل الذين ذوي المزج بين الثقافتين الشرقية والغربية بالبصيرة النيرة والخلق السمح، وقد كتب إلى (الرسالة) كتاباً نقتطف منه هذه الجمل:

« ... بخت الرضا قرية نموذجية أسستها مصلحة المعارف السودانية سنة ١٩٣٤ لتكون مركزاً للتجارب في التربية والتعليم. وأنشئ بها ثلاث مدارس: مدرسة أولية، ومدرسة وسطى، وكلية للمعلمين. وقد روعي في تأسيس هذه القرية ومدارسها أن تكون ريفية محضة، وأن تكون القرية مستقلة في المعيشة بقدر الإمكان، ولذلك فقد بنيت بيوتها ومدارسها من الطين والطوب، وتضرب بها الآبار، وتضاء ليلاً بمصابيح البترول، وبها مكتبة ومسجد ومستشفى وحمام للسباحة وملاعب للرياضة البدنية. ويتبعها حقول وحدائق للتجارب الزراعية. وبها أبقار

وأغنام ومصانع للزبدة ولها مجزرة للماشية وحلاقين ومعمل للنسيج والتلاميذ والمدرسون والمشرفون يعيشون في هذه القرية التي لا يسكنها أجنبي. والعمل في هذه القرية وما يتبعها يستمر طول اليوم وهزيعاً من الليل في المزارع ومساعد الابتكار و... المعطرة ومحراب الزراعة الخ ونظام العمل هنا تعاوني، ويقوم الطلبة بمعظم الأعمال الزراعية والزرعية والتربية بالاشتراك، ويحضرون ... الأسبوعية و... الشهرية. والغاية هنا من التربية أن تكون عملية بسيطة وحقيقية تعد السوداني ليعيش في القرية السودانية ويعتمد على نفسه في أكثر ما يحتاج إليه

والدراسة تنقسم خمس شعب: شعبة للمواد الاجتماعية، وشعبة الرياضة، وشعبة الفنون الجميلة والأعمال اليدوية، وشعبة الزراعة، وشعبة اللغة العربية. ولكل من هذه الشعب رئيس إنجليزي إلا شعبة اللغة العربية فهي من نصيبي. ولكل رئيس مساعدان، ومهمة رئيس الشعبة الإشراف على كل عمل يتصل بمادته أو مواده، وهو مسئول عن المدرسين والكتب وطرق التدريس ونظام العمل في حصص مادته. وهو أيضاً مسئول عن وضع المنهج المناسب وتأليف الكتب. ومتى تم المنهج ووضعت الكتب جرب في مدرسة التجربة حتى إذا نجحت عمم في مدارس السودان جميعها. وقد ... منذ وصولي من الأساس. وأنا الآن أدرس منهج التعليم الأولي ومشغول بتحرير اللغة العربية في السنة الأولى الأولية وكتبها وطرق التدريس فيها تمهيداً للقيام بالتجارب في السنة الدراسية القادمة التي تبدأ هنا ابتداء من يناير. ورئيس هذا المعهد إنجليزي فاضل حازم له تجارب متعددة في الهند والسودان. ولذلك تجد دولاب العمل يسير بانتظام وتناسب في جميع أركان القرية وفي المعاهد

لقد أطلت عليك في وصف تربيتنا التعليمية، ولكني أرجو أن يكون إطالتي غير مملة؛ فأنت من أسرة المدرسين ويهمك أن تقرأ عن أحوال التعليم وأخبار أسرتك

العمل هنا كثير وكله على ... ، وأنا سعيد بعملي هنا وأحبه وأقبل عليه برغبة ولكن لا يترك لي إلا القليل للراحة والاستجمام. وأحاول أن أختلس سويعات في أوقات الراحة فأكتب شيئاً أو أعالج موضوعاً يصح أن ينشر.»

عبد العزيز أحمد عبد ...
رئيس شعبة اللغة العربية بمعهد بخت الرضا التربوية

تصويب

جاء في المقال الثاني من «موقف العلم من مشكل الأكوان» للأستاذ ... الطويل أن يكون قد مضى على ... ثلاثة عشر قرناً وثلاثة عشر جداً. والصواب للأخيرة وثلاثة عشر ...

أسرار البلاغة في علم البيان

أصدرت «دار المنار» في هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الإمام «عبد القاهر الجرجاني» مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل. والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف، وقد وضع في وقت تحكمت فيه دولة الألفاظ واستبدت على المعاني، وهو خير ما كتب في موضوعه عبارة وأسلوباً وإيضاحاً للمسائل وبسطاً للدلائل، وقد امتاز بإرجاع الاصطلاحات الفنية إلى علم النفس وتأثير الكلام البليغ في العقل والقلب. وقد تولى تصحيحه مولانا المنقول والمعقول المرحوم الشيخ «محمد عبده» والشيخ «محمد محمود الشنقيطي» وعلق حواشيه المرحوم «السيد محمد رشيد رضا». وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

الفرقة القومية تقدم رواية

امرأة تستجدي

أدار المؤلف موضوع الرواية حول شخصية بارزة في المجتمع لما حظها من الثقافة والعز والمكان الرفيع. فالبطل «شمس عمر» شخصية سياسية قد رشحه حزبه لعضوية مجلس النواب، وهو رجل مثقف مستنير الذهن واسع المدارك يعيش العرب حتى يخلق لامرأة تقع من نفسه موقعاً حسناً فيخصها حباً مشتعلاً. وإذ هو يستقبل الاستقبال سعادته يعرض له حادث يتغير وجه الأمر

لقد كان من رأيه أن ليس من حق الإنسان أن يقتص لنفسه، ليس له أن يقتل مهما يكن من أمر، بل يدع القضاء يأخذ له حقه، رعاية لنظام المجتمع وحماية له من الانهيار. وقد حاضر رأيه هذا في مسألة عرضت له إذ قتل رجل عشيق زوجته وهو مصمم أعلن بيد أنه لا يجد مناصاً من ارتكاب جريمة القتل بسبب لا يبيح مثل دمائه فعلاً من رجل! أتدري من قتل! إنه قتل زوج أخته الذي طلقها لينتشله من حبائل امرأة مستهترة ولينقذ شرف الأسرة وأمها التي لا تزيد على عشرين عاماً منحلة بالغرور

وإنك لترى أنه أقدم على ارتكاب جريمة القتل وهو في حالة كان يرى فيها نفسه أسعد رجل في الوجود، خطب المرأة التي يحبها وسيتزوج منها بعد أيام، وهو وشيك أن يبلغ قمة المجد، وغداً ربما يكون وزيراً أو رجلاً خطيراً في الدولة. هذا الرجل يقدم ويصر على قتل زوج أخته لأنه طلقها. ومن العجب أنه وقد أراد أن ينقذ شرف الأسرة وثروة الأسرة أنه سلم نفسه للعدالة حتى لا يتهم غيره بجريمته، وبذلك وقعت الكارثة الكبرى، وانتهت حياته وانهارت آماله وراحت الأسرة الفضيحة بزوجه وخسرت ماله وسمعته

فأي منطق كتب المؤلف هذه الرواية؟ لسنا ندري، ومن العبث أن ندري فقد يعجز العقل شيئاً كهذا إلا إذا كان البطل قد رُمي يوماً بجنون الجانين، وقد جعل هذا المنطق شخصيات الرواية شاذة مضطربة ليس في الحياة مثلها أو شبيه بها. وبعد فرجت الرواية شخصية غريبة، رغم جهد المخرج النابه الذي أخرج عيوبها من قبل فنجاح مستورها. وكيف يستسيغ هذه الأكذوبة لطريقة في الحب والحياة؟ وأنه على بعض هذا الجمهور في إخراج رواية مسرحية لا قاعدة لها كثير كما أقدم (الطب وهيبة) وغيرهما كما أخرج

ومع الأستاذ أحمد علام بدور البطل، ولذلك لترى موقفه وهو يحاول عبثاً أن يستر ضعف الشخصية التي يمثلها، وكذا وخذ في كثير من مواضعها كممثل

وهكذا كانت السيدة دولت أبيض التي حسنوا الترشح لدور امرأة، لا يعرف كونى أمرها على حين كان دورها ودورهن عند الفتاة في وقتها الماضية وحلال الفارق كونى أمس شخصية في الوجود

أما الآنسة فردوس حسن فقد كانت شخصيتها بعيدة عن منطق الرواية لا المخرج، وهي منها في الصميم، حيث صاحبها ووصفه روحاً وثقفت عن مساواتها في حدود شخصية المرأة التي جرحت مكرمات، وهكذا كان فيها سلح وشخصيتها صالحة

وكان حسين رياض بارعاً في دور الرجل المشهور السوري فيه وكان موقفه مع (شريف) الراقصة من أروع المواقف

أما الآنسة أمينة نور الدين فقد قامت بدور (شربات) الراقصة، ولقد حيت بها في الصورة المثل

وكان الأستاذ عباس فارس في دوره الصغير آية من آيات الإبداع والقوة حتى لقد جعلت تقصر الصنة وعمر بتقليل المثل، وكان أنور وجدي في دور الشاب المرح نابه في العرض، وكذلك كان حسن إسماعيل في دور (هاني) الذي يعتبر بداية حسنة لممثل شاب. وبعد فإن الرواية ساقطة من وجهة التأليف ناجحة إلى حد ما من وجهة الإخراج

زكريا عبد الصمد

7me Année No. 332

Lundi 13-11-1939

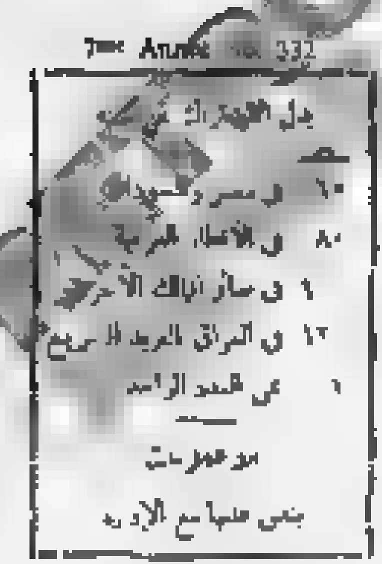

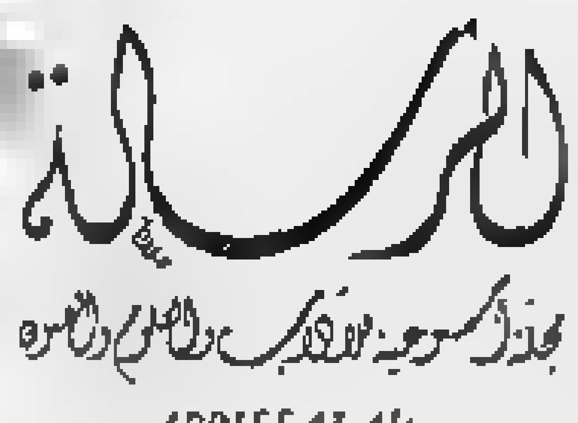

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة «القاهرة في يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٩» العـــدد ٣٣٢

الفهـــرس

وزارة الشئون الاجتماعية

المـــــرض ...

— ٣ —

بعد الجهل والفقر لابد أن يجيء المرض ... في الترتيب الطبيعي لهذه المشاكل الثلاث في دستور وزارة الشئون الاجتماعية.

وإذا كان الجهل يمنع أن يكون لنا رأي عام، والفقر يمنع أن يكون لنا خير مشترك، فإن المرض يمنع أن يكون لنا كيان صحيح. وإذا لم يكن للمجتمع رأي عام ولا خير مشترك ولا كيان صحيح، فسمه ما شئت إلا أن تسميه أمة.

وقبل المرض كان الشرط الملازم الذي يجمع الشقاء المصري من كل شقاء في العالم، وإن أردت تعرفه الاجتماعي كان ... والنوازل والحروب في تاريخ البلاد ... فقد كانت الأوبئة تفد إلى مصر ... فتجتاح ... السكان ... الأمر ... كالحصد ... لا ... ولا ... والعلة الأصيلة في ذلك أن أبناء النيل منذ خلقه الله يجري ... حسب ... والقذارة ... ثم ... الجسم والقول ... و... فإذا ... القوى ... وأحيا ... وإذا ... يداه

في أجواف المسرف وأطراف الترع ومنافع الأرض فيكونون مزارع حسبه طرائق الجيرة وسوس ملأ وقوائم الجهرب وديدان الأنكلستوما ، وبنو النيل الدائبون الصبرة لا يرتفع أيديهم من مائه ، في حال نضبه ووفائه ! فجرمهم منه لا يزال مشوباً بالقذر ، ووجودهم فيه لا يتعدى مهدداً بالعدم . فإذا أضفت إلى ذلك أن العمل يستوعب عضو الجسم وترك الوقاية ، وأن الفقر يستلزم سوء الغذاء ونقص العلاج ، فقد أحصيت لك أسباب الأمراض التي حصدت الكثرة الكاثرة منا مترددين بين الدور والقبور لا هم في الأحياء ولا هم في الموتى

* * *

إذا استطعت أن تقيم البناء من ماء الحجر ، وتنسج الرداء من ريب خيط ، استطعت أن تؤلف من مرازيل المرضى وسقاط الزمنى شعباً يحتل الأرض وجيشاً يحمي الوطن

سل من شئت من قرى الريف فأريك كومة مضغوطة من سباخ الأرض ، في مستنقع واسع من آسن الماء ، قد قامت عليه أبنية من الطين والقصب والخشب تجمعت على ظهورها الزجاجي والزبل ، وتكدست في جوانبها الناس والبهائم ، وطرحت على أبوابها ومصاطبها الرجال والأطفال وقد هدَّتهم العلل وبرتهم الأسقام حتى ليعجزون عن دفع الذباب عن وجوههم الساهمة الشاحبة . فإذا سألت هؤلاء : من يزكين الأحطر والعُشر والشلال والعتال[1] ويحمي والفرد من الذي يزرع الأرض ويجمع الزرع ، ويحصد الثمر ويصنع الحصيد ، ويحمل الملك ويرعى الماشية ؟ قالوا لك : يحمل ذلك كله قليل من الشبان الذين يداهمون المرض بالجهد ، وكثير من النساء اللاتي يغالبن الضعف بالصبر . وبما ترى وتسمع ينبغي لك أن تزرر[2] العبء الذي تحاول وزارة الشؤون الاجتماعية أن تضطلع به

* * *

ولكن هل من الحق أن يلقى عبء الصحة العامة على كاهل هذه الوزارة المنوطة بأمور المجتمع ؟ إذن فماذا تصنع وزارة الصحة ؟ والصواب أن الجهاد الصحي مفروض على الوزارتين جميعاً بنظام تقتضيه طبيعة كل منهما فلا يُنقص إحداهما ولا يحمل الأخرى . فكل ما يتصل بالوقاية والتعليم يرجع إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ، وكل ما يتصل بالطب والعلاج يعود إلى وزارة الصحة ! وقد يجوز لهذه بحكم خصوصيتها أن تصون وتقي ، ولكن لا يجوز لتلك بحكم عمومها أن تعالج وتطب

في الخطة الوقائية للنهوض بوزارة الشؤون مثلاً تخطيط القرية على نحو يكفل لها الشمس والهواء والظلال والقرى والراحة ، وفصلها عن الحظائر والزرائب عن المساكن ، وتجفيف البرك والمستنقعات ، وتطهير الماء الراكد من الطفيليات ، وإنشاء الملاجئ والمراحيض الصحية ، ورفع مستوى المعيشة القروية بتحسين الغذاء وتنقية الماء وتعميم النظافة ، وإرشاد الفلاحين من طريق الإذاعة والصحافة والوعظ إلى تجنب الوسائل في تقاء العدوى وتدبير الصحة

ذلك عملها في القرية ، وأما عملها في المدينة فمثله للمساكن الصحية للعمال ، ومراقبة المعامل والمصانع من حيث الصحة ، وملاحظة المطاعم والمشارب من حيث النظافة ، ومراقبة الطعام والشراب من حيث السلامة ، وحماية الطبقة العاملة من رهق العمل ، ووقاية النفوس الناشئة من سموم المخدرات ، وبث الروح الرياضية في كل طبقة ، وإنشاء الملاعب والمسابح والأندية في كل بيئة ، وإقامة المستعمرات الصيفية والقرى في كل مرحلة ، وصرف الهموم بإقامة المهرجانات الشعبية في كل مناسبة ، وتعميم الثقافة الصحية عن طريق التعليم والإذاعة والنشر

* * *

هذا بعض ما ينبغي أن تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية لمكافحة المرض . فإذا أضفناه إلى ما أجملناه قبلاً من الوسائل الفعالة في كفاح الجهل والفقر كان لنا من مجموع ذلك برنامج كامل شامل لا ينقصه غير التنفيذ . فليت شعري أتظل الوزارة واقفة من شؤونها الاجتماعية موقف المرقش من طلله[1] ، أم تجري على هذه الخطة الواضحة فتأتي كل أمر من وجهه وتعالج كل داء بدوائه ؟

احمد حسن الزيات

(١) الشلال : الصعلوك الذي لا مال له. الشلال والعتال جمعهما الشلال بالكسر

(٢) زرّ الشيء : وزنه ليعرف ثقله

(١) إشارة إلى قول القائل :
سكارى الطلول على مرقش كما مرق مرقش حاجبه

جنـــــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

(تتمة)

هل أستطيع أن أحدّث القراء عن بعض مكاره النقد الأدبي ؟

ليتني أعرف من أغراني بسلوك هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمصاعب والمتاعب !

كم تألمت وعانيت من مشكلات هذا الطريق الوعر الشائك ، فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص ؟

كان الأستاذ أحمد أمين أحد الأصدقاء الذين رأيت أن أتجنب الوقوف في طريقهم مهما كانت الأحوال ، وكانت حجتي بيني وبين نفسي أن هذا الرجل رقيق الإحساس ، أو ضعيف الأعصاب ، فلا يجوز أن أتعرض له بسوء

وما زلت أتذكر ما وقع في سنة ١٩٣٥

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب ، وأخرج الأستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الإسلام ، وقد سرق من الأستاذ إبراهيم مصطفى مسألة مهمة بتاريخ النحو وسرق من مسألة مهمة بتاريخ التشريع الإسلامي ، فصاح إبراهيم : أين هذا أخي له صبغ وتصفون صفحة ولي صفحة وصفحة فكيف يسرقها مني ؟ إنه لمتصاع !

جلست أنا وإبراهيم نتذاكر في غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتهينا من تذاكر إلى الضحك ، فقلت : ستأخذ لي وقتك يا إبراهيم !

فقال : عزّ عليّ أن يجرح الأستاذ أحمد أمين بسببي ، وهو صديق قديم ، ولم يسلب مني شيئاً قبل هذه المرة ، وأنت يا صديقي قد أوغلت في مجادلة طه حسين فلا تسحب إليه معاداة أحمد أمين !

وشاء القدر أن ألقى هذه القصة في ... في صيف سنة ١٩٣٨ فكان من أثر ذلك أن يوجه إليّ سؤال في جريدة « المكلام » عن بيان ما سرق من أحمد أمين

ورأيت أن أعتصم بالصمت فلا أجيب : لأني كنت قبل ذلك كله أتهيب ما قيل بجهود أحمد أمين في جريدة « الثقافة » ؛ ولأني كنت أستطيع اغتياب أعداء وطني في جرائد بغداد ، فقد كان أعداء لبنان يصولون بصور العروبة المصرية في العراق

ومنذ أشهر نشر الأستاذ أحمد أمين مقالته الأولى في جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي فلم أحفل بها لأني رأيتها من أحاديث الشباب ، ثم لقيني مصادفةً في « المترو » بعد ظهور مقالته الثانية فسألني عما أراه في الأفكار التي أوردها مقالتيه ، فقلت له : لم يعجبني غير هذه القاعدة التي تورده من كلام ابن قتيبة ، أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق ، فقال أنا أدعوك إلى مناقشة تلك الأفكار ، وأنا أرحّب بكل ما تردّ إليّ من تصحيح

فهل كان يدعوني إلى أن أساجله الحديث ؟

كانت الصداقة بيني وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود الثقة والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى مني غير ما يحب ، وكنت والله حلفاً بالتجاوز عن سيئاته لو لم يسرف في الإساءة إلى ماضي اللغة العربية في وقت يحرص فيه العرب على تعليم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة في العلوم والآداب والفنون ، وأنهم كانوا في عصرهم من أقطاب الزمن

وكذلك وقعت الواقعة وكان ما أراد القدر من الأوهام لتلقى القصة ما دفعت الصديقين

* * *

ولكن ما الذي جدّ حتى أنهض في مطلع المقال الثاني والعشرين ؟

أنا أريد أن يعرف القراء أني أشعر بالضجر حين أثبت في مقال اليوم أن أحمد أمين سرق بعض آرائي ، بعد أن أثبتّ ما سرق من الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين ، وما كان يعني أن أنبّه على ما سرق مني ، ولكن اعتزازه بآرائه « المبتكرة » أوجب الحدّ من جرأته الغاشمة في حرب تلك « المبتكرات »

وأدخل في صميم الموضوع فأقول :

نصّ الأستاذ أحمد أمين بالنص على أن الشعر العربي كان في أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح ، ووجهته في ذلك أن التكسب بالشعر كان عادة غالبة على أكثر الشعراء ، وقد طغت هذه المسألة وأخذ يذيعها في كل مكان حتى صح للأستاذ محمد الشناوي ملك أن يواجهني بهذه العبارة

« كيف صح على الأستاذ أحمد أمين أن يقول إن شعراء العرب كانوا يتجرون بأشعارهم ، وهو قول صحيح » ؟

فهل ابتكر الأستاذ أحمد أمين ذلك الرأي ؟

انظروا ما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٩٩

« لا أنكر أن كثيراً من الشعراء جعلوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش ، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الإسفاف ، وأصرح بأن من النقائص النفسية أن يصير الشعر مسخراً في سبيل المطامع الزائلة ، وأعترف بأن هذه النقيصة غضّت كثيراً من شعراء اللغة العربية ، ولكن من أسباب الغرابة أن هذه النقيصة لم ينفرد بها شعراء العرب فقد كان أكثر شعراء أوربا يمشون ملقاً على الملوك والأمراء ولم يعرف منهم باستقلال الشخصية إلا القليل ، ويمكن مع هذا أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوجهة الباقية لما كان فيهم من كرم الشمائل والخصال . والممدوحون قد يكذبون ، ولكنهم في كذبهم يصوّرون ما استطاع عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب . فشعر المكاذيب يغلب كذبه هذه حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الوجهة الاجتماعية صدق كل الصدق ، لأنه يصور ما ينبغي لممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال »

وهذا الفصل كان من البحوث التي راجعها الأستاذ المازني وكان نشر في جريدة البلاغ قبل أن يضم إلى الطبعة الثانية من كتاب البدائع

وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن يهب الشطر الأول من الفكرة ويغفل الشطر الأخير ، لأن الشطر الأخير فيه توجيه لمدائح الشعراء وهو حريص على طمس محاسن أولئك الشعراء

وعاب أحمد أمين على العرب أن يفتتحوا القصائد بالنسيب وأن ينقلوا هذه العادة من جيل إلى جيل ، في حين أن الشاعر قد لا يكون مشبوب العاطفة في كل حين

وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣١ وفيه أقول

« لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسيب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب . فمن محاسنها أنها تمهد للشاعر طريق الكلام ، وهي بذلك أشبه بالموسيقى تتقدم الغناء فتثير قلب المتلقي وترهف إحساسه للتلحين والتطريب . ومن معايبها أنها تفرض على الشاعر ما لا يتصل بإحساسه من المعاني التي تكون حدثت في صدره منذ أزمان على أن الشعراء الأقدمين قد التزموا هذه القاعدة حتى وصل بعضهم إلى الإسفاف ، وحسب القارئ أن أذكر له أن من الشعراء الناشئين من كان يفتتح قصائد الرثاء بالنسيب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيت من هذا النوع عشرين شاهداً هي في مذكراتي بمصر ، فليعذرني القارئ إن اكتفيت بالإشارة إليها في هذا الحديث »(١)

وصرح أحمد أمين بأن المعاني القديمة لم تصلح للتجديد ، وإنما صلح الشعراء بلا تجديد ولا تحسين . أفلا يصح القول بأنه سرق هذه الفكرة مما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٢٩

« إن شعراءنا يدورون حول الحسن فلا يرون منه غير ما كان يرى الأقدمون . فحيرة الشاعر اليوم هي حيرة أسلافه منذ قرون مع أن النفوس قد تغيرت [illegible] ، وهذا الحسن إن لم يتطلب [illegible] في [illegible] ، وقد جدّت للأرواح أزمات جديدة ومطالب جديدة لم يحسّ بها الأولون ، فليس من المغالاة في شيء أن نطالب الشعراء بأن [illegible] في شعر شوقي وأضرابه من المعاصرين أصبح أقرب ما يكون من وصف ما في نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والحيرة والابتهاج »

وأصر الأستاذ أحمد أمين على تأكيد القول بأن ترجمة القرآن روحية لا حسية . فقال بذلك ثناء الأستاذ فريد على ترجمة التي عدّ كلامه من المبتكرات ، مع يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامي » ج ٢ ص ٧

---

(١) البدائع ج [illegible] ص ٢٠

«وأقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن، ذلك الكتاب الذي أطال النزول في وصف الدنيا وذمها وثلب عناصرها، وسمى مآلها لهو ولعب، وأنها في تجاربها ليست إلا متاع الغرور. القرآن هو أقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس وإن جهلوا ذلك، ثم يعدّونه كتاب تشريع وهو كتاب تصوف. إن التشريع في القرآن ليس إلا مظهراً للعلاقات الدنيوية، والعلاقات الدنيوية في نظر القرآن هي عمدة الصلات الروحية: صلات الناس بالله الكبير المتعال، وكلُّ تشريع لا يُقرِّب المرء من ربه هو في نظر القرآن ذُخرٌ باطلٌ سخيف»

ومع ذلك يقال إن أحمد أمين يدعو إلى الروحانيات، وزكي مبارك يهدم الروحانيات!

يا ربِّ هل إلا بك النصر يُرتجى
عليهم؟ وهل إلا عليك المعوَّلُ؟

صبر لله ولكم، يا إخوان هذا الزمان

ويوصي أحمد أمين بقصر دراسة تاريخ الأدب على المعاهد العالية، والاكتفاء في المدارس الثانوية بنصوص مختارة من الأدب الحديث

فمن أين أخذ هذا الكلام وهو الذي اشترك مع لجنة مكونة من أشخاص معروفين في تأليف كتابين للمدارس الثانوية يحدّثان فيهما بالأدب الجاهلي والأدب الأموي، وهو مصرٌّ أشد الإصرار على حربه في هذه الأيام؟

أخذ هذا الكلام من قول صاحب رسالة «اللغة والدين والتقاليد» ص ٤٢ و ٤٣

«إن درس تاريخ الأدب بدعة نقلناها نقلاً عن أوربا، وهي مفهومة هناك، لأن الأدب الأوربي يكثر فيه القصص والتمثيل، وهي موضوعات يفهمها التلاميذ لأنهم منذ الطفولة عرفوا القصص وعرفوا التمثيل، فلا يصعب عليهم أن يعرفوا الفرق بين فنٍّ وفن، وعصر وعصر، وأسلوب وأسلوب. أما في مصر فالأدب في جملته يتحدث عن شئون بعيدة لم يجربها الشبان، فمن العسير أن يدركوا كيف تطور واستحال من جيل إلى جيل. إن تاريخ الأدب لا يصح أن يدرس إلا في المعاهد العالية، أما المدارس الثانوية فيدرس فيها الأدب العربي، مع العناية بشرح النصوص والبحث عن مواطن الجاذبية في النثر الجيد والشعر البديع. درس تاريخ الأدب في المدارس الثانوية بدعة، وسنصبر عليه إلى أن تسوق المقادير رجلاً حازماً من رجال التعليم يعرف عقلية التلاميذ، وما أظن أننا سنصبر طويلاً، لأن التفكير بإصلاح التعليم تزداد قوته من يوم إلى يوم، ولابد أن تمحى تلك المادة المصنوعة وهي أستاذة اللغة العربية بأن يختاروا للمطالعة والمحفوظات نصوصاً لا تخرج عن الأدب الحديث، لأنه أقرب العصور إلى أذهان التلاميذ، وهو من أوطانهم يساعد المعلمين على بيان ما يتصل به من الملابسات الخلقية والاجتماعية، ويمكّن التلاميذ من فهم ما فيه من أسرار البيان»

ورسالة «اللغة والدين والتقاليد» نشرت في سنة ١٩٣٦، والفكرة قديمة عند صاحب هذه الرسالة، فهي مشتتة في كتاب «ذكريات باريس» الذي طبع في سنة ١٩٣١

وأحمد أمين يعرف أن المفتش المصري الذي اسمه زكي مبارك هو الذي غيّر منهج دروس الأدب في مدارس وزارة المعارف من حال إلى حال، فقد كانت تبتدئ بالعصر الجاهلي فصارت تبتدئ بالعصر الحديث. ومن السهل أن تستخرج المذكرات التي كتبها في هذه القضية ليعرف أحمد أمين من هو الرجل الذي رأى كتاب «المجمل» وكتاب «المفصل» عليهما رحمة الله، وقال بوجوب الإصلاح، وفي تعيينه نصر أحمد [illegible] إليه وإلى [illegible] وأحمد نجيب ومحمد [illegible] الدسوقي وطه حسين

وسيأتي يوم أفصّل فيه ما صنعت من خدمات في توجيه اللغة العربية بوزارة المعارف، تلك الخدمات التي يتمتع بها أحمد أمين وغير أحمد أمين، ثم مضت بلا شكر ولا جزاء غير السرقة والاغتصاب

إن العصر يعيش بغير [illegible] على الأصدقاء قبل الأعداء، ويكفي هذا لنشعر وأنا أشهد أني أعيش بلا عزٍّ ولا ولي، [illegible] حتى يشتجر القتال، وكأنها هنا تشكر أكرم العواقب وأشنع النواهض

يقول أحمد أمين وطه حسين: إن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتوجيه خيره من هدى وبصيرة

هل أستطيع أن أحول إليك هذه الآراء منسوبة إلى مؤلف صاحب رسالة «اللغة والدين والتقاليد» (ص ١٦ و ١٧)

«إذا أخذنا من الأدب وكرائم الأدب في المدارس الثانوية والعالية فلسنا نبحث عن الأدب الفاتر الخالي من الحياة. ونحن نرجو أن يكون في أساتذة الأدب من يخرج إلى السوق المتكلف والوقار المصطنع، نرجو أن يكون عندنا أساتذة يوجهون تلاميذهم في عواطفهم، ويرافقونهم في الحفلات والسهرات، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما في حياة الشعب من بؤس وشقاء .. نريد أساتذة يردون تلاميذهم إلى مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا في المستقبل من حملة الأعلام الشعبية التي تبدد غياهب الجهل والظلم .. نريد أدباً يبعث في الشعب روح الثورة على الفقر والمسكنة والذل، ويروضه على الطمع المشروع في الغنى والتكسب والحرية والكبرياء .. نريد أدباً يطمعنا في مستوى ما عاش فيه أهل مصر والقاهرة .. نريد أدباً يرجعنا إلى صفوف الطوائح، نريد أدباً يجمع بين أهل الجلب والنثر، نريد أدباً يسيطر به على الدنيا غير هائب ولا هيّاب»

* * *

أما بعد فقد أُعجب القراء في مناسبة الأستاذ أحمد أمين بعد أن أوردت جهوده خمسة أشهر كانت عندي كألف سنة مما تعدون، وأنا أشكر لمجلة «الرسالة» وقرائها ما لقيت من تشجيع وترحيب

انتهيت من مناقشة أحمد أمين الباحث، أما أحمد أمين الصديق فله في قلبي أكرم منزلة وأرفع مكان، ولي رجاء الأخيرة عنه في حدود العقل والمنطق، وهو أن يكون من الشاعرين بالأدب العربي ومجد الأمة العربية

وسأحاول الحقيقة حيث تمشت .. فلا .. ومن وجها أراه أهلاً للكرامة والحب

وسلام عليه من الصديق الذي لا يغدر ولا يخون

«مصر الجديدة»   زكي مبارك

من كتاب «العربي الإسلامي»

من هو المسلم؟

للأستاذ علي الطنطاوي

دينا علم واعتقاد وعمل

المسلم من (علم) أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل بالشريعة الخالدة التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي تكفل لتبعها سعادة الدنيا والآخرة وجعلها رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، وأنزل عليه الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء، القرآن كلام الله القديم، وختم بالإسلام الرسالات فلا نبي بعد محمد خاتم النبيين

و (علم) أن دعامة الإسلام وأساسه، ومصادره وقواعده، كتاب الله وسنة نبيه، فما جاء في القرآن أو صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو من الدين، وما عدا ذلك من بدع اجتهدت في الدين عرم، أو رهبانية ابتدعها أقوام ليس في القرآن ولم ترد في الحديث الصحيح ولا تقاس عليهما ولم يجمع عليها أئمة المسلمين فليست من الدين ولو قال بها أهل الأرض

و (علم) أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها، لأنه دين وشريعة وسياسة وأخلاق، فهو يبين صلة العبد بربه، ويضع القوانين لصلات الناس بعضهم ببعض، ويبين قواعد العلاقات السياسية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، والإسلام يرافق المسلم إذا قعد أو ربح أو جاع أو نام لا يفارقه لحظة ولا خطوة، وليس في الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبين فيه حكم الله، فإما أن يكون مباحاً لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وإما أن يكون مندوباً يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وإما أن يكون واجباً يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وإما أن يكون مكروهاً يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله، وإما أن يكون حراماً يثاب تاركه ويعاقب فاعله. وهذه الأحكام الخمسة (الفرض والمندوب والمباح والمكروه والحرام) هي التي تعم مكان كل عمل من الأعمال ولا يخلو عمل من واحد منها. فالمسلم لا يقول أبداً (هذا الأمر خارج عن سلطان الدين لا دخل له فيه) كما أنه لا يقول رجل الإسلام يجب أن يبتعد عن السياسة) لأن السياسة جزء من أجزاء

تقدم الرسالة شكرها

لحضرات قرائها الكرام على التهاني بحلول

عيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بخير وسعادة

الجن، و (براءة) وكلها سماوية؛ سورة من القرآن لا يمكن أن تنفصل عنه.

والمسلم من (علم) أن الشريعة الإسلامية أرقى الشرائع وأنها أرقى وأحكم من القانون الروماني الذي اقتبست منه كل قوانين أوربة، وأنه يجب أن تكون قوانيننا المدنية والجزائية والمالية والإدارية والدستورية مستنبطة من شريعتنا، مقتبسة من فقهها.

و (علم) أن من أنكر آية من القرآن، أو حديثاً متواتراً فقد خرج من الإسلام.

و (علم) أن الاجتهاد في استنباط الفروع أمر مستحسن شرعاً، يؤجر عليه صاحبه ولو أخطأ فيه مكافأة له على جهده واستفراغه الطاقة. فإن أصاب كان له فوق ذلك أجر آخر هو أجر الإصابة؛ وأن الاجتهاد في أصول الدين ممنوع لأنها منصوص عليها ولا مساغ للاجتهاد مع ورود النص، وأنه لا يضر الناس اختلافهم في الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء في ذلك الحنفي منهم والشافعي والمالكي والحنبلي. بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة، ولكن يضر الناس اختلافهم في أصول الدين من العقائد ونحوها، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال؛ لأن الحق لا يتعدد. والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرون الأولى خير القرون.

و (علم) أن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم يعتقد ما يخالف الكتاب والسنة، ولم يستحل حراماً ولم يحرم حلالاً، فهو مسلم تطبق عليه أحكام المسلمين وتحفظ به حقوقهم، ولا يجوز تكفير مسلم إلا إذا أنكر أصلاً من الأصول، أو أتى ما أجمع الأئمة على أنه مكفر.

و (علم) أن الإسلام لا يعارض العلم الصحيح، ولا الفن النافع، ولا الحضارة النيرة، وأنه دين سهل رحب مرن، ليس بالدين الضيق الجامد الحرج.

والمسلم من (اعتقد) بأن لهذا الكون إلهاً واحداً قديماً باقياً، حياً بصيراً، متصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن صفات النقص، وأنه هو خالق كل شيء وإليه المصير، يحس [illegible] مراقبته دائماً ويعلم أنه مطلع عليه، وأنه هو وحده النافع الضار، وبيده الخير وهو على كل شيء قدير. فلا يخاف منه غيره، ولا يسأل سواه حاجة من الحاجات التي لا يقدر البشر عليها، ولا يستعين إلا به، ولا يخاف من الموت إلا منه، ولا يهتم لرضى الناس، ولا يبالي إذا رضي عنه بسخط أحد.

و (اعتقد) أن الله خلق أنواعاً من المخلوقات، منها ما خلقه من مادة كثيفة كالناس والحيوان والكواكب، ومنها ما خلقه من مادة نورانية كالملائكة وهم خلق كثير من خلق الله لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

ومن مخلوقاته الجن، وهم خلق يروننا ولا نراهم، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الشياطين وهم أهل الشر منهم، ومنهم صالح.

و (اعتقد) أن الله رحمة منه بالناس، اختار منهم رجالاً عصمهم من الكبائر، وبرأهم من النقائص، ثم بعث إليهم (جبريل) وهو واحد من الملائكة فأبلغهم رسالة الله، وفيها ما يسعدهم في دنياهم وينجيهم في آخرتهم، وكلفهم إبلاغ هذه الرسالة إلى قومهم، وهؤلاء هم الرسل، وأولهم آدم، وآخرهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

ولو شاء الله لأنزل كتاباً واحداً، وجعل الناس أمة واحدة، ولكن اقتضت حكمته أن يكون التكامل في الرسالة تدريجياً، كالتكامل في الحضارة والفن، فكل رسالة تكمل التي قبلها وتكملها، حتى جاءت رسالة محمد، في منتهى الكمال، فلا يحتاج بعدها إلى نبي من النبيين، أولاً لأن طبيعة الرسالة المحمدية طبيعة مرنة قابلة للتطور في أحكامها الفرعية مع تطور العصور، فهي لذلك جديدة في كل عصر حديثة، وتتكشف منها جوانب ومعان لم تكن معروفة، حتى كأنها أنزلت لذلك العصر؛ والسبب الثاني طبيعة الحياة البشرية وميلها نحو الوحدة، منذ فجر الإسلام حتى اليوم، إذ أصبح الناس من حيث الاتصال كأنهم أبناء أسرة واحدة، فقال الكلمة في آخر الشرق فتسمع في آخر الغرب، ووصل بجميع الرسالة، ولم تبق حاجة لتعدد الرسل بتعدد الأقوام.

و (اعتقد) أن الوحي معناه نزول الملك على الرسول، وهو غير الإلهام الروحاني[1] الذي يحس به الشعراء والكتاب، وأن الوحي ليس كسباً وإنما هو عطاء من الله لا ينال بالتحصيل، ولا يوصل إليه بالبحث والعلم والتفكير، فلذلك لا يقال إن النبي مصلح عظيم، ولا عالم ولا فيلسوف، لأن ذلك كله يختلف عن

---

(١) جاء في الصفحة (٦٢) من كتاب الطريق [illegible] وحياً في مدارس العراق تأليف [illegible] المدخل إلى علوم معنى الإلهام الروحاني

النبوة ، ويحط من مراتب الصحابة كبيراً ، ويخالف العقيدة الإسلامية

و (اعتقد) أن الله أنزل على أربعة من رسله كتباً ، فأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، فبدل كل قوم كتابهم وحرفوه ، وبقى القرآن كما أنزل ، لأن الله ضمن حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

و (اعتقد) أن الله سيجمع الناس كلهم في يوم القيامة ، فيعيد الحياة لمن مات ، ويرد عليه الروح ولو فنى وصار تراباً ، ولو أحرق جسده وصار رماداً ، ولو أكلته الوحوش أو تخطفته الطير ، ثم يحاسبهم جميعاً على ما عملوا في الدنيا ، فيكافئ المحسنين بخلودهم في الجنة ، ويعاقب المسيئين فيدخلهم النار

وأنه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وأن من تاب قبل أن يموت عفى ربه عنه كأنه لم يذنب ، بشرط أن تكون التوبة مقرونة بترك الذنب ، والعزم على عدم العودة إليه ، والندم على الماضي ، وهذه هي التوبة النصوح التي تمحو الذنب ، فإن عاد بعدها إلى الذنب ، ثم تاب منه توبة صادقة غفر له ، ولو كثرت ذنوبه حتى صارت مثل زبد البحر (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)

أما من كذب على ذنب وهو لا يرى منعاً عليه ، أو ينكر أن يعود إليه ، فهذا كالمستهزئ به والعياذ بالله

و (اعتقد) أن كل شيء بقدر الله ، وأن الله قسم لك سعادتك وشقاءك ، ورزقك وعمرك ، فما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، ولو بقي في عمرك يوم واحد لا يقتلك أهل الأرض ولو اجتمعوا عليك ، وإذا جاء أجلك أدركك الموت ولو كنت في بروج مشيدة ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ، ولا راد لما قضى الله ، ولا دافع لمشيئته

• • •

والمسلم بعد ذلك ، من أقر وشهد بلسانه أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيم الصلاة ويؤديها في وجهها في أوقاتها محافظاً على فروضها وسننها ، خاشعاً لله فيها ، ويصوم رمضان إيماناً واحتساباً ، ويؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ويحج البيت إن استطاع

ثم إنه لا يكذب ولا يغتاب ولا يزني ولا يؤذي أحداً ولا يظلمه ، ويكون عفيف العين واليد والفرج ، سامياً في مكارم الأخلاق ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم ، مبتعداً عن الفحشاء والمنكر ، يتعاونون على البر والتقوى ، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ، ينكر المنكر بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، ويؤدي حقوق المسلمين فيساعد ضعيفهم ، ويغيث ملهوفهم ، ويعود مريضهم ، ويغض بصره عن نسائهم ، ويحفظ لهم أعراضهم ، ويعد كل شيخ في المسلمين أباً له ، وكل شاب أخاً ، وكل صبي ولداً ، وكل فتاة بنتاً ، وكل امرأة أختاً ، ثم إنه يجتنب الخمر ، ويدع الربا ، ويجانب الشبهة كيلا تقوده إلى المحرمات ، ولا يحوم حول الحمى حتى لا يقع فيه

ويريد بذلك وجه الله ، مبتعداً عن حظ النفس ما استطاع الابتعاد ، عالماً أنه يجزى فيه جزاء لا يملك الإنسان مثله ، ولا يؤديه الله إلا بما ملك

• • •

هذا هو الإسلام حقاً [illegible]

علي الطنطاوي

الفـــروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

نعني بالفروق السيكلوجية تلك الفروق العقلية والخلقية والمزاجية والجسمية الموجودة بين الأفراد. ومن السهل على المفكر العادي أن يدرك مظاهر تلك الفروق في تصرفات الأفراد وفي إنتاجهم الاجتماعي والعلمي. وليس موضوع اختلاف الأفراد السيكلوجي حديثاً في ذاته ، فقد تناوله العلماء والفلاسفة بالبحث منذ قرون. ولكنه حديث بالنسبة لبحثه بالطرق العلمية والإحصائية ، وتحديد تلك الفروق وتبويبها ، ومعرفة أسبابها ، وعزو ما هو وراثي منها للوراثة ، وما هو بيئي للبيئة. وهذا النوع من البحث العلمي في الفروق السيكلوجية ظهر واحتل مكاناً بين فروع علم النفس في الربع الأخير من القرن الماضي وذلك بنمو علم النفس التجريبي ، وهو يعرف الآن بعلم النفس الفردي Individual Psychology

وأقدم من عالج هذا الموضوع أفلاطون في جمهوريته ، فإنه حين وضع نظام للمدينة الفاضلة بناه على أساس الاختلاف السيكلوجي بين أفراد الجماعة الواحدة. وكان يرى أن « العدل الاجتماعي » يقضي بأن يقوم الفرد بالعمل الذي أعد له بطبيعته ، والذي تقوى على عمله وتسويه طاقته العقلية ، واستعداده الجسمي. وكان نتيجة هذا المبدأ أن قسم أفلاطون سكان مدينته إلى طبقات ثلاث ، جعل فيها طبقة الزراع والصناع والتجار ، وهؤلاء بطبيعتهم غير صالحين لأن يكونوا غير الطبقة الدنيا. الثانية طبقة الجنود المدافعين عن المدينة من الخارج والحافظين على نظامها في الداخل. وفوق هاتين الطبقتين طبقة ثالثة قد وهبت من المزايا العقلية والخلقية ما لم توهب الطبقتان الأخريان وهي طبقة الفلاسفة والحكام الذين هم من الإشراف على الإدارة والقضاء والتشريع. وقد أشار أفلاطون في الجمهورية إلى أن هذه الطبقة الأخيرة طبقة ممتازة بالقدرة على التفكير المنطقي المجرد ، والإدراك العقلي لحقائق الأشياء. ومن الغريب أن هذه الميزة التي رآها أفلاطون ضرورية لطبقة الفلاسفة هي التي يسميها بعض علماء النفس المحدثين الذكاء
Capacity for thinking in abstract terms

ووضع أفلاطون منهجاً لتربية هذه الطبقات الثلاث ، ورأى أنه من العبث أن يضيع المجهود في تربية طبقة الزراع والصناع ، لأن هذه الطبقة ليست بطبيعتها مستعدة للنمو العقلي والرقي الفكري.

وإذاً فمن صالح هذه الطبقة ومن صالح الجماعة أيضاً أن تنصرف إلى نوع العمل المستعدة له ، وهي الزراعة[1] والصناعة. أما الطبقتان الأخريان فقد رأى أفلاطون تربيتهما من سن السابعة إلى سن العشرين.

وحينما يصل الشبان إلى هذه السن يكون قد ظهرت مواهبهم وقدرتهم للمشرفين على تربيتهم ، فيختارون من بينهم النابغين منهم عقلياً وتفكيرياً ليواصلوا دراساتهم الثقافية وتستمر دراسات هؤلاء المختارين مدة عشر سنوات يدرسون فيها من الموضوعات كل ما ينمي فيهم القدرة على التفكير المجرد Abstract reasoning. وفي نهاية عشر السنوات يختار النابغ من هذه الطائفة ليكون مشرفاً إدارياً ، حيث يستمر الآخرون منهم خمس سنوات أخرى في دراسة الجدل وغيره من المنطق ، وبذلك يكونون قد أعدوا لتحمل المهمة الكبرى ، مهمة الحكم الرشيد.

ويمثل رأي أفلاطون الذي شرحناه هنا مذهب الوراثيين الذين يغالون في أهمية الوراثة كعامل مرجح في تكوين الصفات العقلية والخلقية والجسمية للفرد ، ويعزون للوراثة وحدها الفروق السيكلوجية بين الأفراد.

ويسهل علينا في مقام انتقاد هذا الرأي الأفلاطوني من الناحية

---

(1) كان أفلاطون يرى أن هذا النوع من المهن لا يحتاج إلى ذكاء أو استعداد عقلي سام

العملية والسيكولوجية الحديثة ، ولا في مقام شرح خطط التعليم في نظام كلبترك وديوي ، تلك التربية التي أغفلت عدداً كبيراً من المواهب الفردية والعناصر الخاصة سائدة في طبقة الصناع والتجار والزراع وفي طبقة الجنود . ولكنه ضروري من الناحية التاريخية أن نشير إلى أن أفلاطون حاول أن تكون مراحل التربية ومناهجها في المدينة الفاضلة مبنية على أساس أن هناك فروقاً عقلية وجسدية بين أفرادها . ويقابل هذا في التربية الحديثة أن تكون المناهج الدراسية مختلفة باختلاف قوى التلاميذ العقلية واستعدادهم الطبيعي وميولهم الفطرية ، وأن يكون التعليم المدرسي فردياً ، كلما سمح بذلك .

اتبع أرسطو مذهب أستاذه أفلاطون في مبدأ الفروق السيكولوجية الفردية ، ولكنه اختلف عنه في أن أهم هذه الفروق هي الفروق الجنسية .

فالمرأة عنده تختلف بطبيعتها عن الرجل من حيث استعدادها العقلي والجسمي والمزاجي والخلقي . ولذلك رأى أن يختلف نوع التربية التي تتلقاها عن تربية الرجل ، وأن تكون تربية الفتاة مختلفة عن تربية الفتى من تربية الرجل . ولم يقر ما ذهب إليه أفلاطون من أن الطبيعة جعلت المرأة مساوية للرجل ومهيأة للمشاركة في الجندية والسياسة . ويزيد على ذلك أرسطو فيرى أن نمو الجسم البشري العقلي والجسمي وطبيعته ، والعوامل التي تحدث الفروق السيكولوجية في مراحل هذا النمو . وهو يرى أن التربية ليست آلة يستطيع بها المربي أن يصوغ الطفل كما يشاء ، وأن يصبه في القالب الذي يريد ، ولكن التربية وسيلة التوجيه فقط ، توجيه القوى الكامنة والاستعدادات السيكولوجية الفطرية في الأفراد توجيهاً إلى الناحية الصالحة ، وتوجيهاً عن الناحية الفاسدة .

وهو يرجع الفروق السيكولوجية بين الأفراد عامة إلى ثلاثة عوامل رئيسية

(١) الطبيعة البشرية (٢) العادة والمران (٣) العقل

أما الطبيعة فهي وراثية توجد في الطفل عند الولادة وهي كامنة في الفرد في جميع أطوار نموه . وأما العادة فهي أثر من آثار البيئة وهي التي تعطي لهذا النمو الطبيعي لونه الفردي .

وأما العقل فهو الذي يتدخل في قوانين العادة فيهذب منها أو يعطل هذه وتلك .

ويدلنا مذهب أرسطو هذا على اعتداله ، وأنه يأخذ جميعاً بأثر كل من الوراثة والبيئة في إيجاد الفروق الفردية السيكولوجية غير أنه يقول بأن فرداً لا يمكن تغييره وتحويره تحويراً يعدو حدود طبيعته ، لأن أي مؤثر تربوي إنما يحدث أثره في الفرد ضمن قوى الفرد الطبيعية .

ويقرر أن الأفراد الذين يعوزهم الذكاء العقلي سيظلون طوال حياتهم متخلفين عن غيرهم ممن منحوا هذا الذكاء مهما سلطت على الأولين من عوامل تربوية قوية . وتحت نوع غير هذين النوعين من الأفراد وهم المتوسطون ، وهم قلائل ولا يحتاجون لاستغلال مواهبهم إلا إلى قدر يسير من الحرية والتربية الحسنة لنموهم .

ونستنبط من مذهب أرسطو هذا أن الفرد بطبيعته مزود بقوى حسية وعقلية محدودة ، وأن التربية (العادة في نظره) هي التي تنمي هذه القوى وتعمل على أن تصل بها إلى مرحلة الكمال الممكن .

ولما كانت هذه القوى مختلفة عند الأفراد ، وكان أثر التربية في كل فرد مختلفاً أيضاً كانت النتيجة أن الأفراد يختلفون في تصرفاتهم وسلوكهم وإنتاجهم . وهذا ما يسميه علماء النفس المحدثون الفروق الفردية السيكولوجية .

كان إسكوراطس Isocrates الخطيب اليوناني المشهور معلماً لجميع الخطباء ومربيهم ومثقفهم . وقد أدرك هو أيضاً كنه الفروق السيكولوجية بين من قام بإعدادهم من الطلبة لمهنة الخطابة والفن .

وهو يقول في هذا الصدد « لقد أشرفت على إعداد بعض الخطباء وبعض الألعاب البدنية Gymnastics كما لا أستطيعهم

أثناء قيامهم بالتدريس ووصل إلى نتيجة اقتنعت بها وهي أنهم في مكنتهم أن يقلدوا تلاميذهم، وأن يرقوا بهم إلى درجة يصيرون بها أقدر على استعمال أجسامهم وعقولهم من ذي قبل ومهما يكن من الأمر فإنه ليس في استطاعة معلمي الخطابة، ولا معلمي الألعاب البدنية أن يخلقوا خطباء من أي أفراد يشاءون. ثم إن مجهود هؤلاء المعلمين ينتج إلى حد ما نتيجة حسنة، ولكنه لا يمكن أن ينتج هذا المجهود أحسن ما يمكن إلا إذا صادف من تلاميذه من يجمع بين صفتين: الذكاء ومجهود التدريب »

وإذا نظرنا إلى الذكاء وجدنا أنه جانب وراثي، وأن التدريب جانب بيئي، وإذاً فقد قال أسكوراطس بأثر عاملي البيئة والوراثة معاً

هكذا كان مذهب أسكوراطس الأثيني في الوقت الذي كان فيه التفكير اليوناني ينظر إلى الفرد من جميع نواحيه السيكولوجية الناحية الجسمية، والناحية العقلية، والناحية الخلقية، والناحية الذوقية، وكان مجموع هذه النواحي يكون عند الإغريق ما يسمى «الشخصية»، وكلما وجد تماسك وتناسب وانسجام بين هذه النواحي وبين أطوار نموها كانت الشخصية أقرب إلى الكمال

وبتقدم علم النفس الحديث عند الشعب الألماني مع اختلاف في طريقة البحث والقياس ... فللأفراد شخصيات مختلفة، واختلاف الشخصيات هذا مبعثه الفروق الفردية السيكولوجية، والشخصية وفقاً لعلم النفس الحديث يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة: العنصر العقلي والعنصر الخلقي والعنصر الذوقي والعنصر الجسمي

(للبحث صلة)

حسن [illegible] عبد المجيد
[illegible] بعثة اللغة العربية
[illegible] بالإرسالية التعليمية بالسودان

الثقافة العسكرية
وأناشيد الجيش
للأستاذ عبد اللطيف النشار

يا بعدما بين القوة وبين التحمس!

وما أبعد قوياً ذلك الشكل الشرس الذي يخشى أن يوصم بالضعف فهو لا يملك بهاءً وبأساً؟

يا بعدما بين الشجاعة وبين ذلك المعربد الثائر الغاضب الزاعق فهو لا يزال يتهدد ويتوعد حتى لا يقال إنه أذعن أو أوشك أن يذعن

كثر في هذه الأيام شعر الأناشيد العسكرية وقلما تخلو أنشودة من ذكر الدم والدماء والاستشهاد والتضحية. فهل هذا الشعر مما يصح للأرواح المتحفزة، أو تبث الروح العسكرية القوية، بدل الفلسفة الباكية التي ترسم الحب والحزن وتهيج الشوق والحنين

دعت وزارة الدفاع ووزارة الشئون الاجتماعية الشعراء إلى وضع أناشيد ليأخذوا بنصيب في نشر الثقافة العسكرية. وكان شرفاً عظيماً أن تتجه هذه الهيئات الرسمية إلى فريق مثقف من الأمة فتدعوه إلى هذه المشاركة. ولكن شعراءنا كانوا أحوج إلى الثقافة العسكرية من جنود الجيش المرابط فقالوا إنه ما دامت الدعوة من هيئات حربية والغرض عسكري ومن أجل الجنود فلا أقل من أن يكون الشعر مفعماً بالدم وأشلاء تتبعثر وسلاحاً يتكسر!

كأنما غاب عن السادة الشعراء، وهم أبعد الناس عن الحروب، معنى الشجاعة، وهذا النوع من الحماسة لا يشابهه إلا نوع آخر في شعر الحب فيه علامة الشكوى والبكاء والانتحاب والتوجع على الأحباب وذكر الدموع والأرق والسهاد. ولا حب في هذه البكائية ولا قوة في ذلك التحمس

أين القوة؟!

شعر دموع وحنين ودماء وكرامة

ولكن ما هي القوة؟

شعر الحرب؟!

شعر دموع وحنين ودماء وكرامة

ولكن ما هو الحرب؟

ليست الحروب جديدة في التاريخ العربي، ولا شعر الحماسة جديداً في هذه الصناعة الظافرة. فكونوا مجيدين ولكن مع الحق أو كونوا مبتكرين على شريطة الصدق في الإلهام!

إن الجنود أشبه في كل الناس، ولكن أناشيدهم حافلة بالحنين والشوق والحب للأهل والوطن والمنزل الرحيب، فهذا هو الشعر الذي يخلق الجنود ثقافة عسكرية. أما الألفاظ الدامية فلا يهديها الشعراء إلى الجنود كما لا يهدى التمر إلى هجر كما جاء في المثل

«يا شباب النيل يا عماد النيل»

مطلع جميل! ولكن هل يقال لشباب النيل وهو عماد النيل؟

قتال في أجل الحياة لأجل الوطن. هكذا قيل في الشعر الحماسي وهكذا ينبغي أن يقال: أما كونوا الفداء وأريقوا الدماء، ولا تهنوا في الدفاع عن الوطن، فهذا ما يفهمه شباب الجيل الشعر، لا ما يصنعه من الشعراء، وقد يكون الشعراء من عماد النيل ومن شباب النيل ولكنهم مع ذلك لا يعيرون بل يعطون

وبعد فقد كان للنبي (ص) شعراء وكانوا يصنعون الشعر الحماسي لفاتحي الفتوح وغازي الغالبين وقاهري القاهرين فهل قال شعراء النبي؟ قال حسان:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني	فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة لا يقاتل عنهم	ونجا برأس طمرة ولجام

فهذه السخرية تظهر بعارض فقد فأخرجه عنه إلى الجيش فاستشهد في الوقعة الثانية

فهذه السخرية لا بالألفاظ الجوفاء على القائد الذي كان هدفه إلى أن يعود الرسول فيقول

الله يعلم ما تركت قتالهم	حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً	أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم	طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

ولو أن حساناً قال يخاطب النيل يا عماد النيل لتغير وجه التاريخ!

يا أساتذتي الشعراء، لا أستصغر الأناشيد التي تدعو إلا لأني استطعتكم وضع أناشيد جديدة لو اطلعتم على الأناشيد الحماسية في الشعوب الأخرى أو رجعتم إلى الشعر الحسي في نفوسكم أو رجعتم إلى حياتكم العسكرية وثقافتكم فيها ثم كيف ينبغي أن يقال للجندي

وكيف يعيش أن يقول لعدوه ، وما ذا يخطر بباله ويجعله يشعر

أيحارب لأنه يريد أن يموت حباً في الموت مهما كان هذا الفناء والفناء، أو يحارب لأنه يحب الحياة الكريمة ؟ فلن يكون الموت ولا بد « فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » أيحارب حباً في سفك الدماء أم حباً بسلام يريد أن يهتدي إليه ؛ فإن لم يكن عنه من رد السهم إلى راميه قال

فوفي هو قطرا أسمع أخى فإذا رميت أصابنى سهمى

أيحارب لأنه مل الحياة أم لأنه يحب أن ينتصر فيسعد في الحياة ؟ ويعوا أثر النصر ولا تذكروا فقط شقاء الحياة ، لم ينله البعير ؛ ولا تذكروا ذلك الشعر الخالي الحرب الذي عاده العرب ، وذلك الشعر الخالي الأوربي الذي عاده خيال الصادق في تصوير هوى النفس

هذه مبادئ لا أدعيها وهي أدنى ما يراد منكم، فالعسكريون أقل حاجة إلى حماستكم من المدنيين إلى حسن تصويركم ! صوروا للمدنيين القصائد المهيبة في وصف الحياة العليا التي تحيونها والتي من أجلها تحملون ضرورات الحرب إن وجدت . صوروا الحرب والنصر

كان حسان شاعر النبي يقول

شربها صرفاً وممزوجة ثم غنى في بيوت الرخم

هذا النصر الذي بعده هو الذي من أجله ندعو إلى الحرب للدفاع

وما أمركم بشيء أتاكم به نحوه أيها الجنود . وقد كتب أوسي بأن حماسته للقتل من أقوى أركان الفنون صاماً مترجمة بعض الأناشيد الحربية التي كتبت ، ولما كتبت الأناشيد الحربية كنت بها مولعاً ؛ ثم أعرض عليكم من شعري الذي ندعو إليه ، والى اللقاء على صفحات الرسالة

عبد اللطيف الشامي

متطوع في الجيش المرابط

تقدم بالتهنئة

لحضرات زملائه العسكريين معه إلى الرتبة محولة

بعيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بالخير والسعادة

أنت عزائي . . . !

للآنسة جميلة العلايلي

أيها الملاك كم تتير سائقه والآمن بين يدي ، والقصد سائرين بوراً

أيها الفجر الصارم ، والمطوف الزاخر ، والمرشد في الحياة

كشعاع علوي يهدي الحائر والضال !

أيها الملاك النائم في عرش من عروش الطهر والحب

أيها الطائر الفرد يرف آمال في محبته السامح والهناء !

أيتها النسمة الصافية التي تهب من الأرواح فتحث فيها نشوة الأمل ! أيها الزهرة الندية التي تضم عطراً تسكر الأرواح كأنه خمر المساء يسري فيها الخمر !

أملاً في السعود ، يا زهرتي المنشودة يا نسمتي المنعشة ، يا زهرتي الزركشة ، يا حياتي وروحي ، يا سماحتي وهنائي ، أنت عزائي !

أنت أملي الحبيب ، يلازمني في مسيري ويسامرني في وحدتي

أنت سري الأمين الذي يحمل النصب والرعاية في وحدتي ووجداني

أنت عزائي الذي ينير لي الحياة كلما نشر الظلام ستاره على العالم

ملأ أملي المعين أنت الرفيق الأمين الذي ترسو عنده السفينة بعد أن تضيع في ظلمات اليم وقد عصفت الرياح والليل

أنت الرقة الحاطة تحول على الأرض القاحلة فتكسوها بساط الزهر والجمال أنت الروح المتهادي تسكب ماء الحياة في قلب الزمن فيكسب الكون بالحسن والجلال

يا حقي وحبيبي ، يا قلبي وصلاتي ، يا أملي الحبيب ، يا وحاتي القريب ، يا صداي وسهادي ، يا حلمي وهنائي ، أنت عزائي !

أنت الشمس المشرقة في سيرة السحر وروعة النهار !

أنت الصبحة السارية تضيع في عدا الكون هيئة الأقمار !

أنت النسمة اللانهائية تهب على الأرض فتعطر الروض وتبهج الأزهار

أيتها النسمة الخالدة التي تحيي الأمل وتوحي الفن والأشعار

يا شمس العالية يا نسمتي الندية يا نسمتي الصافية

يا معنى الصادقة يا مناط حبي يا باعث أملي أنت عزائي يا قلب . .

« المنصورة »

جميلة العلايلي

في الأدب الإنجليزي الحديث

د. هـ. لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٥ - الرجل كابن ومحب

بدأ لورنس حياته الأدبية الصحيحة بمعالجة مشكلة من مشكلات العصر الحديث، ألا وهي موقف الرجل كابن وكمحب، أو موقفه حيال عاطفتين: عاطفة البنوة وعاطفة الحب. وقد سبق أن عالج لورنس هذا الموضوع في أول رواياته «الطاووس الأبيض» ثم عالجها بشكل أعمق في روايته «الأبناء والمحبون» ولم ينسه في قصته القصيرة التي سماها «بنات القسيس» وأخيراً بحث فيه بتطويل وصراحة في كتابه عن اللاشعور. ولم يصل كاتب معاصر إلى ما وصل إليه لورنس من العمق والدقة في تحليل العلاقة بين الحبيب ومحبوبه وبين الوالدين وأبنائهما أو بناتهما. ولا يجوز أن نعزو معالجة لورنس لموضوع واحد في كتب مختلفة إلى رغبته في التكرار أو إلى نقص في مخيلته، وإنما يجب أن نذكر دواماً أن لورنس كان يبشر بدين جديد وبآراء ومعتقدات لم تكن معروفة من قبل. فكان لزاماً عليه أن يعرض الفكرة ويكرر عرضها ويمثل لها بشخصيات متعددة بعد أن يضعها في ظروف متباينة حتى ترسخ في أذهان قرائه ويؤمنون بها.

ويعتقد لورنس أن الطفل يولد ويولد معه غريزته الجنسية ولكن لا يجب أن تظهر هذه الغريزة أو تنبه حتى يبلغ الطفل سناً معينة. ومن هنا نعتبر أن هذا الحد الفاصل بين الولد والبنت في تلك السن الباكرة حتى تصبح عندئذ رجولة كاملة وأنوثة مطلقة، وبدون ذلك لا تقوم للمجتمع قائمة. ويعتقد لورنس أن الرجولة الكاملة هي التي تدعو صاحبها إلى غشيان ميادين العمل في الحياة، وترمي إلى بناء الكون وتوجيهه. أما الأنوثة الكاملة فهي التي تتطلب من صاحبتها أن تكون كتلة عواطف، تفرض في كل أعمالها، دون أن يكون للعقل سلطان عليها، ويقصد الغريزة الجنسية التي تعتري الولد أو البنت في دور البلوغ تغيرات من نوع آخر، أعمق من العلاقات... فيبدأ كل فرد... طويلاً لا يفكر إلا في والده أو والدته يبدأ في هذه السن بالتفكير فيمن سيكون شريك حياته. وبدلاً من أن كانت علاقته قاصرة على أسرته وأبويه يبدأ يفكر في أصدقائه وصديقاته. ويعبر لورنس عن هذه السن بأنها ساعة دخول الغريب، وأنه من الأفضل أن يترك الغريب يدخل دون أن نحاول عرقلته أو الوقوف في سبيله. ويقصد لورنس من الغريب الحبيب أو الحبيبة. ويرى لورنس أن الوالدين في عصرنا هذا يبذلان قصارى جهدهما للوقوف في سبيل هذا الغريب وعرقلة مساعيه ظناً منهما أن في استطاعتهما التحكم حتى الآن حتى لا يفكر في أحد سواهما. فضلاً عن ذلك فإن حب النواحي لأبيها في تلك السن الباكرة ... كان يجب أن يكون ... في هذا الوقت ألا وهي الغريزة الجنسية، ويعتبر لورنس ذلك جريمة لا تغتفر يرتكبها الوالدان على أبنائهما. ثم يجيء دور البلوغ الذي يتطلب من الابن أن يكون مرءاً عشيقاً يحب من يشاء ويعشق من يريد، فبدل أن يعمل ذلك يرى نفسه يرسف في أغلال حب ثقيل لا يستطيع منه فكاكاً، وبذلك يحرم من حبه للمرأة، ذلك الحب الذي لا تقوم للمجتمع قائمة بدونه.

ولكن الواجب على الوالدين أن يقطعا علاقتهما القديمة بولدهما بعد أن يصل إلى سن البلوغ كي يتركا له الفرصة ليبدأ علاقات جديدة غير علاقات الأسرة أو الأمومة. وليس هناك أخطر من أن يحاول الأب أو الأم أن ينصب من نفسه صديقاً لابنه.

والآن لنتدرس حالة البيئة الحديثة لنرى نتيجة إهمال الوالدين في تربية أبنائهما. فيرى لورنس أن المرأة في عصرنا هذا قد تبوأت مركزاً غير مركزها الذي خلقت من أجله فسيطرت على البيت بكل ما في هذه الكلمة من معنى. فهي التي تقود الرجل وترشده بعد أن كان راعيها ومالكها، وهي لا تنظر إلى الجنس أي إلى العلاقة الجنسية سوى نظرتها إلى وسيلة السيطرة على الرجل واستغلاله. وهي لا تعتبر الرجل سوى نائباً لها أو حاجب المصنع، وتعتبره أحياناً مصدراً لإشباع عواطفها إذا ما تملكتها الرغبة في الرجوع إلى أنوثتها الأولى، وهذا معكوس للأمور ووضعها في غير نصابها، ولابد أن يكون له نتيجة ستكون هدم كيان المجتمع وتقويض بنائه. ثم زوال المدنية الحديثة واضمحلالها تلك المدنية التي نفتخر بها دواماً.

ويرى لورنس أن الواجب قطع تلك العلاقة القديمة بين الأم

وابن أو بين الحب وأبيه [illegible] وصلا إلى سن البلوغ . فقبيل
هذه السن يجب أن يبعد الولد عن كل سيطرة نسوية ، كسيطرة
الأم أو الأخت أو المربية . ويستحسن أن يوضع في رعاية رجل
وليس هناك أخطر من أن تحاول الأمهات أن تتباهين بأن يلبسنهم
ملابس النساء أو يعاملنهم معاملتهن ، أو تتركهم يزاولون ألعابهن
لأن عاقبة ذلك تكون ضد رجولتهم أو عدم استكمالها . ويجب
أن يكون لنا في الزنوج خير قدوة عندما نراهم يحتفلون بوصول
الولد إلى سن البلوغ ويخولونه دوراً جديداً من أدوار حياته ،
وهم باحتفالهم به إنما يشعرونه أنه انتقل إلى حياة جديدة لها أعباء .

وأول واجب على الوالدين بعد وصول ابنهما إلى هذا الدور هو
أن يحيطاه علماً بالتربية الجنسية ، وليست هذه المهمة بالسهلة ،
إذ يلزم الأب أو الأم أن يكون صريحاً في كلامه في هذا الموضوع
كل الصراحة ، ويعتقد لورنس أن أسوأ ما يعمله الوالدان هو أن
يلجآ إلى التلميحات الخفية يصرفان بها أولادهما عما هو [illegible] من
هذه التربية ، لأن أمثال هذه التلميحات كفيلة أن يبحث الولد
في هذه التربية بطرق أسوأ الأثر . كذلك يجب على الأم
ألا تصور العلاقة الجنسية لابنتها في شكل روحي ناقص . وإليك
أيها القارئ مثلاً من الأمثلة الخاطئة التي تتبعها بعض الأمهات
مع بناتهن :

« الآن يا حبيبتي ، تعرفين أن أباك رجل ، وأنك أنثى ،
وسوف يأتي وقت الذي تقابلين فيه رجلاً تحبينه كما تحب أباك
وبعد ذلك سوف تتزوجين منه وتعيشين معه عيشة سعيدة
ولكنك آمل أن تتزوجي من الرجل الذي سوف تشعرين أن [illegible]
بعض [illegible] ثم تحملين منه وتنتظرين [illegible] وبعد
زواجك ستحدث لك أشياء كثيرة ، لا أعرفها بعد يا حبيبتي ،
وستفكرين في أن يكون لك طفل جميل ، وكذلك سيصبح
زوجك ، لأن ابنك سيكون ابنه أيضاً ، أليس كذلك يا حبيبتي ؟
وسيكون الطفل طفلكما معاً [illegible] أنت تعرفين ذلك تمام المعرفة ،
ولكنك لا تعرفين كيف [illegible] سيأتي هذا الطفل من جسدك
وسوف يخرج من جسدك كما خرجت أنت من جسمي من
قبل [illegible] » ويقاوم لورنس هذه الطريقة التي يتبعها معظم
الأمهات في الإدلاء بالمعلومات الجنسية إلى بناتهن ، ويرى أنها
لا تغني ولا تشبع من جوع . وليست الطريقة العلمية بأحسن
منها حالاً [illegible] حتى بتشريحها جسم الإنسان إلى جزئياته الصغيرة

تشوه جماله وتسيء إلى سمعته ، ويكون النتيجة أن يقف الولد
وهو ينظر إلى هذه العلاقة نظرة خوف واشمئزاز .

هذا هو مجمل آراء لورنس في العلاقة التي يجب أن تكون
بين الوالدين وأولادهما ومن الآن ومن سوف نشترك في حياة [illegible]
والآن فلنحاول [illegible] تطبيقها على إحدى روايات لورنس المشهورة
وهي « الأبناء والمحبون » هذه الرواية هي [illegible] حياة
لورنس ، وهو [illegible] في تجربته الخاصة ، وأشخاصها هم الأشخاص
الذين [illegible] الأدبي من حياته وكان لهم أكبر الأثر
في حياته [illegible] وما يلي الخطاب الذي أرفقه لورنس بالرواية
بعد أن فرغ منها وأرسله إلى إدوارد جارنت أحد الناشرين ،
ومن هذا الخطاب نقرأ الرواية باختصار :

تدور حوادث هذه الرواية حول امرأة من الطبقة [illegible] أحبت
عاملاً من طبقة العمال وتزوجته ولكن كانت [illegible] بين [illegible]
[illegible] حياتها [illegible] الزوجة [illegible]
[illegible] وبعد أن [illegible] أطفالها [illegible] لإشباع
رغباتها الغريزية بعد أن فشل في ذلك زوجها . وكان من جراء
حبها [illegible] لأطفالها أن شبوا [illegible] حباً لها [illegible] عاطفة
عاطفة . ولكن أتى ذلك الوقت الذي وصل فيه الولد إلى سن
الرجولة وشعر [illegible] في [illegible] نحو الحب ، حب
امرأة غريبة عنه ، ولكن أنى له ذلك وأمه [illegible] كل
[illegible] وتقيده بتلك الأغلال التي لا يستطيع لها كسراً ؟ ورغم
ذلك فقد حاول الانفصال [illegible] ، فشعر بالانقسام [illegible]
لأن قلبه كان [illegible] ، حبه لأمه وهو حب [illegible] ،
وحبه للمرأة الأخرى ، ذلك الحب الذي لا يستطيع أن يجتث
جذوره ، ولقد كان من جراء هذا الانقسام أن مات الولد الأكبر
لأنه لم يحتمل مقاومته [illegible] أما الابن الأصغر فقام [illegible]
تلك المرأة التي كان يود أن يجعلها شريكة حياته ، فقاتلت الأم
[illegible] من مركزها دفاعاً عنيداً . ولقد دام هذا النضال طويلاً
ولكن النصر في النهاية كان للأم وباءت المرأة الأخرى بالفشل ،
وذلك لأن مركز الأم كان أمنع وأقوى من مركز المرأة ، وحتى
بعد أن [illegible] لكي [illegible] إلى كنف
أمه [illegible] ولم يأبه للمرأة الأخرى
التي [illegible] وتكسرت آمالها . وفي النهاية [illegible] الأم
[illegible] وأثر [illegible] أولادها [illegible]

على الموت ، ولكن لم يمنع هذا من أن يهجر الولد المرأة شاباً ليلازم أمه ويقوم بالعناية بها . وأخيراً تموت الأم وتكون النتيجة أن يفقد الولد أمه وحبيبته في آن واحد . فلا هو أصاب حب أمه ولا هو أصاب حب المرأة .

هذا هو ملخص رواية « الأبناء والمحبون » كما كتبه لورنس نفسه . والكتاب عبارة عن صورة دقيقة لحياة [illegible] ، وصورة أخرى لتلك المرأة التي وقفت تقاتل وبين [illegible] في سبيل الحياة الزوجية الصحيحة . ومن الصفحات الأولى للرواية نستطيع أن نحكم لأول وهلة أن هذه الزوجة هي على النقيض من زوجها في كل شيء ، فهي امرأة مفكرة يروق لها البحث في الموضوعات المختلفة ، وقد دبّ شغفها بالمناقشات والجدال لا سيما في المسائل الأدبية والعلمية والسياسية . وهذا أول سهم من سهام النقد التي وجهها لورنس إلى المرأة الحديثة ، فالمرأة في نظره لا يجب أن تفكر بعقلها بل بعواطفها وجسمها ، أما التفكير فهذا من شأن الرجل وحده . فالمرأة يجب أن [illegible] إلى [illegible] ، وأما الرجل فهو الذي يوجه عقله إلى أعلى ، إلى التفكير . فالأم في هذه الرواية هي صورة مشوهة لامرأة أو هي صورة امرأة قد جردت من صفات أنوثتها واستعاضت عنها بصفات هي من شأن الرجل وحده ، ولم يكفها ذلك بل عمدت إلى زوجها تحاول تغييره وخلقه من جديد خلقاً يتفق مع ما هي عليه من الشعور . لم ترضه رجولته ولم تعجب بحيويته ، فأرادت أن تستأصل من طبعه وتهذب من حواشيه وتحد من حيويته وتنقص رجولته ، فسلبت كيانه وقضت نفسها معه ، وبذلك لم يعد له في الحياة مطمع ولا في العيش مأرب ، اللهم إلا أن يعيش وهي شابة من أجل أطفالها ، ولكنها لم [illegible] أو تصبر بعد أن تكسرت آمالها ، وتحطمت أمانيها ، وانهارت حياتها تحولت إلى أول أطفالها تغمره حباً وعطفاً ، وتطبقه بين ذراعيها ، وتفرست في عينيه الزرقاوين الواسعتين ، فتسربت دمعها بكاء [illegible] من بين جفنيها حباً وحناناً عليه ، ثم أحست بذلك الرباط الذي كان يربطها بزوجها قد تمزق وانقطع ، وأحست أن حبها لزوجها قد اندثر ولم يعد له أثر ، وحل محله حب عميق [illegible] هو حبها لطفلها [illegible] إليها وضمته إلى صدرها وأخذته بين أحضانها .

هذا هو شعورها بعد أن ولد أول طفل لها ، فما كاد ثالث طفل يرى نور الحياة لأول مرة حتى كان زوجها في عالم النسيان .

لم يعد تشعر نحو ذلك الرجل بأي رغبة [illegible] كانت [illegible] للاتصال روحها ، لم يعد [illegible] زوجها [illegible] عنه ، لم يعد يهمها في كثير أو قليل من يحضر [illegible] لم يعد [illegible] أو [illegible] إذا أصابته مصيبة ، أو حدث له حادث .

أما الرجل فكانت حياته جحيماً لا يطاق ، وكان يشعر بالرغبة إلى زوجته ، ولكن أنى له ذلك [illegible] فقد امرأته [illegible] وجدها [illegible] ، [illegible] يشعر بالفراغ يملأ قلبه يحاول ملأه ما استطاع ، هجر المنزل [illegible] إلى الحانة [illegible] آلامه وأحزانه ويصرفه عن ذكرى عظم آماله ، هجر المنزل وهجر زوجته وأولاده [illegible] لا يكاد [illegible] ، أما هي [illegible] من حب زوجها [illegible] ، فأشبعت [illegible] قلبها [illegible] ذلك الشخص الذي كان [illegible] إلى [illegible] ولم تكتف الأم بذلك بل سعت حتى جعلت ابنها يبادلها حباً بحب وعاطفة بعاطفة . فشعر نحو أمه بذلك الشعور الذي كان يجب أن يشعر به نحو المرأة التي ستكون شريكة حياته ، وبذلك قيدته بسلاسل حديدية لا يستطيع معها أن يحب امرأة أخرى أو يبادلها الحب . هذه هي الأم الحديثة ، أم القرن العشرين ، الأم التي تفسد حب أبنائها حياتهم وتقضي عليهم مستقبلهم وتحطم آمالهم وأمانيهم (يتبع)

عبد المجيد حمدي

مدرس بمدرسة [illegible] القاهرة

التاريخ في سير أبطاله

مازيـــــني

[رسول الحرية إلى قومه ، والمجاهد الذي
أبلى في جهاده حتى بلغ الأمنية]

للأستاذ محمود الخفيف

- ٣ -

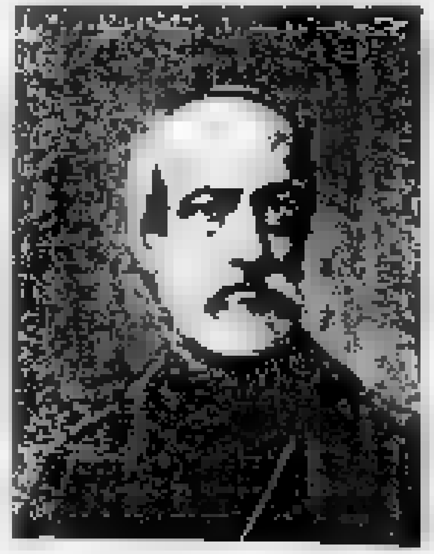

ويكفي جلاده المجهود ما لقي من أن أصابته مرارة الغربة، وأن النفوس الكبيرة لتبذل ذاتها في سبيلها في سبيل تلك الغاية، فتستعذب الألم وهو مر، وتحلو لها في سبيل النصر الجلاد؛ ويريد منها أن تدل في تكسب الإذلال إلا إباء الأبطال وحفظ أولي القوة من الرجال ! وما زادها المتاعب والنكال إلا إصراراً على النضال وإيماناً في الاستبسال ، ولن تخور بها وبين عليها قوة حتى الموت، فإن أبت إلى رغمى فقد تم لها الاستشهاد في روع مواقف الجهاد

ولقد كان مازيني من أولئك الرجال المؤمنين الذين يبعث الشدائد كامن عزائمهم ، ويوقد الألم بوارح نفوسهم ، حتى لكأن الشدائد واللين من مستلزمات عزائمهم ومقومات أخلاقهم

شعر مازيني في منفاه بشعور مما كان يختلج في نفسه ، وأخذ يتساءل عما بقي في بلاده من أثر الثورة التي حبست في مهدها ؟ لقد أحزنه أشد الحزن أن يرى مرضاً عطلت به مترنيخ في إيطاليا سياسة في سنة ١٨٣١ كما بطشت به في سنة ١٨٢٠ ، ويقضي في غير هوادة على ما انبعث من مظاهر العصيان في مودينا وبارما والولايات البابوية ، وبذا صار ذلك الوزير النمسوي الذي يتمدد الذي ربع على عرش بروسيا من أن ظهر أي حدث في مس جانبيك الشعبية التي من شأنها أن تزلزل العروش في أقطار أوربا، وأمن على هذا الرأي ذلك الملك الذي جعل المحافظة على قاعدة حكمه ، وذاق الثوار في إيطاليا مرارة الخيبة والخذلان مرة ثانية

أليس ذلك ما كان يعتقده مازيني ؟ ألم يعب على الكاربوناري اعتمادهم على غيرهم ؟ ها هي ذي الأيام تأتي مصدقة ما رأى ، وإذاً فليس لإيطاليا بعد اليوم إلا أن تسمح أن تسير على نهج الكاربوناري ، ووجب أن تنهج نهجاً جديداً يكون فيه صلاحها ونورها

ولقد كانت حالة إيطاليا يومئذ تبعث على الأسى ، فلم تكن أكثر من حوض جغرافي في حد تعبير مترنيخ ؛ فيها ولايات الشمال والوسط والجنوب ، وفيها ولايات البابا ! ومن ذلك كانت ولايات عديدة خاضعة لحكم النمسا المباشر ، على أن سلطان النمسا كان متغلغلاً في شبه الجزيرة جميعاً

وكانت هذه الوحدات مستقلة بعضها عن بعض ، حتى لقد وضعت حدوداً جمركية فيما بينها ، فما بالك ثمة ما يشعر أهل إيطاليا بأنهم شعب ، اللهم إلا شعورهم جميعاً بوطأة الحكم النمسوي الذي كان يرسل الرهبة الشديدة في شتى مظاهره البغيضة من كبت الحريات جميعاً ، إلى إهمال شأن الشئون العمرانية والاقتصادية ، والتعليم والثقافة العامة ، لأن هذه جميعاً كانت عند مترنيخ وأعوانه عناصر القوة التي لا يأمن معها أن تبعث الثورات من جديد في كل مكان

وفكر مازيني في حال إيطاليا فرأى الظلام الكثيف يجثم عليها ، وهذا الظلام لا ريب مدعاة إلى اليأس والقنوط ؛ ولكن في غير قلبه ، وأما هو فقد كان يلمس النور الباهر الذي لا يلبث أن يكتسح غياهب الظلمات كلها — في شيئين : الإيمان والشباب ، ومن هنا دعت إلى الوجود جمعيته الجديدة « إيطاليا الفتاة » ، وعقد بشأنها رسالته إلى شعبه الجديد : رسالة الوحدة والحياة الحرة

وملأ الإيمان قلبه الكبير وأحس ما يحسه كل صاحب دعوة من عزم ، ذلك الإيمان الذي لا يعرف مستحيلاً أو يحمل رهبة ، ورفع الفتى مشعله فوق رأسه ووضع روحه فوق كفه ، ومشى يبدد ظلام اليأس ، وعلى جبينه الأشم سمة الوطنية وصرامة المجاهد ، وفي عينيه اللامعتين أشعة اليقين وبريق الأمل

وظل مازيني معوله في كفاحه الدءوب ، ويراعه يبشر بدينه الجديد في غير مبالاة بما يعترضه من المصاعب . ولقد جعل أساس كفاحه التضحية ، فدعا مواطنيه وأنصاره إلى أن يتألموا حتى يحسوا بطعم الآلام ، ولتقوى عزائمهم التي وتقل عندهم ما يلاقونه في سبيله من أنواع العذاب

وحاول أن يبث الثورة في كل قلب ويحيي الحماسة كل نفس ، ويغرس أحاسيس الوطنية المتأججة في كل شاب ، حتى يهتف من الشعب كله قوة بأكمل قوة ، وساق بهم القتال ونال الحديد ولهيب النار . وعنده أن كل حركة شعبية مصيرها إلى الفشل ما لم تقم على أساس من الوطنية الصحيحة المنبثقة من الأعماق ، تلك الوطنية التي تحتقر أعراض الدنيا ، لأنها متصلة بالسماء ، والتي تضحي بالنفس في سبيل العقيدة ؛ لأن عوالم الحقيقة الفناء

وكان هو أكثر الناس إيماناً بوحدة إيطاليا ، ويوقن أن سوف يأتي اليوم الذي تتم فيه رسالته على يده هو أو على يد غيره من الأحرار . ولقد اتخذ من الشباب جنده وأعوانه ، لأن قلوب الشباب بحماستها وحرارتها أعمر بالإيمان وأسرع إلى البذل وأقوى على الصعاب . قال في ذلك : « اعتمدوا الشباب على وفي الجماهير الثائرة ، فإنكم لا تعلمون مدى القوة الكامنة في تلك الأيدي الصغيرة ، ولا معنى ذلك التأثير السحري الذي يكون لأصوات الشباب بين الجموع ، وسوف تجدون في الشباب رسل الدين الجديد » . وعظمت ثقته بتلك القلوب الفتية حتى أنه كان لا يجعل مصراً أن حملة من يزيد سنه عن الأربعين ، إلا في ظروف استثنائية جداً كأن ينضم إليه هو مثلاً ، أو شخص ذو سن كبيرة وقلب فتي

ولئن تشبعت قلوب الشباب بمبادئ الوطنية والتضحية فسوف تضرب منهم إلى سواهم ؛ ولكن كثيراً من الصناع والتجار والفلاحين لن يشاركوهم إلا إذا كان إلى جانب الوطنية إصلاح يتناول شئونهم ؛ وعلى ذلك فقد جعل مازيني من مبادئ جماعته الإصلاح الاجتماعي في أوسع معانيه وبذلك زاد مبادئه بهاءً وروعة

وكان يرى مازيني أن الحرب هي القانون الأبدي بين الشعوب ضد الذي يريد أن يحطم الأغلال ، ولكنه كان يشير إلى الحرب غير النظامية لأنها الوسيلة الطبيعية للشعب الثائر في وجه القوة المنظمة ، ومثل هذا الشعب الذي يعتمد على عدد سيفوز على الجيوش النظامية التي تكون الفروسية من صنع الحكومات

واستقر الشريد الفتى في مرسيليا يعمل في همة من أجل وطنه ، ويخرج إلى الوجود ما امتلأ به رأسه من أفكاره ؛ وأحاط به أول الأمر فئة من الشباب ، أخرجوا مثله من وطنهم فصدروا حوله في رسالته

وما عهد في تاريخ الحركات الشعبية حركة بدأت على مثل هذه الصورة التي بدأت بها حركة « إيطاليا الفتاة » ، هؤلاء الخمسة المهيبين ، هؤلاء الساخطون الأوروبيون ، وعلى رأسهم زعيمهم ، كانوا كل شيء ؛ استأجروا داراً صغيرة وراحوا يعملون ليل نهار لتحقيق مبادئهم ! أيكون في تاريخ الجهاد أعجب من أن يعتزم ستة من الشبان يعوزهم المال والجاه توحيد شعب عريق وتحريره من سلطان دولة ذات سيطرة ! ولكن الشباب إذا آمن لا يعرف المستحيل ، فلنبصر هؤلاء الأبطال على سواعدهم ويسهرون الليالي في الكتابة ومراسلة من يريد أن ينضم إليهم حتى تكل أبصارهم ، ينامون بعض ساعات ثم يهبون للعمل بعزوم الأمل ؛ ولبرح الهم وحبهم الصبر ويثبت في قلوبهم الإيمان ، وعلى مر كتبهم من الجد والدأب

هكذا بدأ مازيني وحواريوه ، فسرعان ما انضم إليهم الأنصار واجتمع لهم بعض المال فأنشأوا صحيفة يذيعون بها آراءهم ومبادئهم ، وشد ما فرحوا بها واستبشروا بها ! وكان مازيني يحرر أكثر أجزائها وحده ويبث فيها من روحه ؛ وكان أصحابه يحتالون ، وقد تكاثر عددهم وعدد مبعوثيهم ، على تهريب تلك الصحيفة إلى إيطاليا كما كانوا يهربون إليها بين حين وآخر بعض المطبوعات الصغيرة التي توحي إلى القراء مبادئ الجمعية وتلهم دروس الوطنية

وأقبل مازيني وحواريوه على العمل ، يرقبون نشاطاً وهمة لا يحد حدود أنصارهم ، وانقضى عام ورأى الزعيم الشاب ما شرح صدره وملأ نفسه بما تمتلئ به نفس المؤمن من نشوة الظفر ، فلجمعيته مراكز في شمال إيطاليا ووسطها ، وأعضاؤها يطوفون في إيطاليا وخارج إيطاليا مائة ألف أو يزيدون ؛ وهذا نجاح جاء أكثر مما كان يتوقع

وتقع عين مازيني على أسماء الأعضاء وأعمالهم في حب سري تغمره ويجب فؤاده أن يرى فيهم بعض النبلاء وبعض الضباط ، حتى القساوسة يجد أسماءهم بين المجاهدين ، ويطيب نفسه بذلك

وعقوبة الجهاد وفرح له وبرز الأمل عسير الصعب وتقرب البعيد

وكان ممن انتسبوا إلى الجمعية رجال سوف يكون لهم في تاريخ وحدة إيطاليا وحريتها شأن عظيم ، وذلك هو غاريبالدي المجاهد البطل والفارس الأروع الذي بعث حوله سحائب المحبة وشجاعته الفائقة قلوب الرجال

وراح الزعيم ينشر مبادئه ويبث دعوته . استمع إليه كيف يوجه أنصاره : « اتركوا المدن واذهبوا إلى القرى وشاطروا العمال والفلاحين طعامهم المتواضع ، وحادثوهم وتحدثوا إليهم ؛ وزوروا المصانع والصناع الذين أهملوا حتى اليوم . حدثوا هؤلاء عن حقوقهم وعن ذكريات ماضيهم وتقاليدهم ومفاخرهم السالفة وعن ... التي ... ، وحدثوهم عما لا يعد من أنواع الاضطهاد التي يحتملونها لأنهم لم يجدوا من يكشفها لهم »

بهذه الطريقة راح مازيني يرسل صوته إلى الأعماق ويملأ به الآفاق ؛ ولقد تخرج معظم دعاة الثورة في المنفى من رجال إيطاليا في جمعيته ، فكان له بذلك ضرب لن يتاح إلا لأعاظم العظماء ، ضرب الخلق والتكوين ، إذ كانت إيطاليا الحديثة من صنع يده وإن تمت وحدتها على أيدي غيره . وحسبك بعمل مازيني من تكوين دوره العظيمة ، ومن مفخرة أن يشاركه فيه إلا أمثال جاريبالدي ومن على شاكلتهما ممن قرن أشخاصهم بحركات هامة في وجه التاريخ ووجهته في فترة من مراحله

وكان ممن كاتبهم مازيني ليدعوهم شارل ألبرت ملك ولاية بيدمنت ؛ وكان ذلك بعد خروجه من إيطاليا بخمسة أشهر ، وقد كان يظن من شارل ألبرت أنه من ذوي الآراء الحرة ، إذ كان متصلاً بالكاربوناري وكان يعطف على ثورتهم التي ... سنة ١٨٢١

ولكن مازيني كان مسرفاً في حسن ظنه به . وكيف كان يرجو للشعب من ملك ... في الواقع من العرش ؟ ولئن كان شارل ألبرت بالأمس ... ، فهو اليوم على عرشه ... ، فلقد ... إلى الثورة ... ، ... إلى ... ، و... قال مازيني في خطابه « هناك يا مولاي طريق آخر إلى القوة والخلود العظيم ، وطريق آخر أقوى وأسلم من العرش أو ... ، ولم أكثر ... من ... ، حيث ينتظر الرجل الذي ... على أن يحكم فيه والذي ... حياته للحصول عليه . ألم تعلم يا مولاي ... النصر في إيطاليا هذه ، إيطاليا التي ... الطبيعة ، والتي ... عشرون قرناً من الذكريات ... ، أرض ...

القوية بفناسها التي لا ... التي لا ... إلا ... !
... من ... لا تحتاج إلا إلى ... القلوب ... من العداء الخارجي ... رأي الشعب ، ... : الاتحاد والحرية والاستقلال ... إيطاليا من ... إيطاليا ... ذلك ... وتعلم ... الولايات ... إن ... في ... ، ... والطرح ... ، ... إن لم ... ذلك ... في وجهه ... »

في هذا الخطاب ... الشعب ... ، ... ، ... حرارة إيمانه ... ، ولكنه لم يظفر من الملك برد ، وكان جواب حكومة أن أصدرت ... الحدود الإيطالية

على أن ... بعد سنتين أن ... كما ... الولايات الأخرى على نحو ما أسلفنا بأمر مازيني ، ... الشعب له خير عوض من ... الملك

و... الجمعية إلى الجيش ... ، وكان ... رفيق كبير أنصار مازيني وساعده الأيمن في جهاده ، ... القيام بثورة في صفوف الجيش ؛ ولكن ... ، ... الحكومة بالمتآمرين ... من الضباط ... بالرصاص واثنين من المدنيين ، فضلاً عن أودعتهم السجون من الرجال ، حيث أمعنت الحكومة تنكيل بهم ...

وكان رفيق ... في سجنه بين الأعراب ... والتهديد من الموت أو الإسكار والإعدام ، ... الموت ولكن ... في سجنه ... إلى مازيني ... عليه ، حتى لقد كان من أعظم ما ناله من الحزن ! ... ما يعتريه من الألم ، ... جسمه ... كمداً على صاحبه الشهيد

(يتبع) الخفيف

الحب الطاهر

لمعالي الشيخ محمد رضا الشبيبي

أنا لأسيرٌ في هواك صرائحُ ... وهل لقارع [illegible] رائحُ
أحن [illegible] ... وما [illegible] تسليم القلوب [illegible]
إذا جاءوا [illegible] ... وإن مكروا [illegible] راموا
[illegible] ... [illegible] الجليل [illegible]
[illegible] ... وعلى [illegible]
خليلٌ ما أحلى الغرام [illegible] ... [illegible] كرسه [illegible] وملاح
وما أخطر [illegible] ... على [illegible] جناح !
[illegible] الكبائرِ [illegible] ... وهل [illegible] المكروب [illegible]
أفي [illegible] الأخلاق [illegible] ... [illegible] الآبن [illegible] !
يرمون الدنيا [illegible] ... [illegible] الاجيال [illegible]
ويشرون الناس [illegible] ... [illegible]
ألا [illegible] من شهواتهم ... [illegible]
وهل فاسل [illegible] الفضيلة ! [illegible] ... [illegible]
[illegible] المكرمات [illegible] ... [illegible]
إن أظلمت أخلاقنا [illegible] ... [illegible] الوجوه [illegible]

محمد رضا الشبيبي

قولي معي ...

للأستاذ الحوماني

[illegible] فقولي معي ! [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... ألا [illegible] من عمر
أحببتُ [illegible] ... بالنور من [illegible]
وأحرف [illegible] ... [illegible]
في [illegible] ... [illegible] من دم الخضر
لا [illegible] ... الطير [illegible] على الشجر

كالشاعر الطفل [illegible] في خياله ... ويشهد [illegible]
[illegible] مثل [illegible] ... [illegible]
فلا [illegible] من وحش الفلا [illegible] ؟ ... ولا [illegible] وحتى [illegible]

الحوماني

اسلمي ...!

للأديب محمود السيد شعبان

اسلمي يا [illegible] ... [illegible] خلودي !
[illegible] ... [illegible] وجودي
[illegible] ... [illegible]
[illegible] أحلا ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible] شفتينا !
[illegible] ... [illegible] إلينا !
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] !

* * *

[illegible] ... [illegible] !
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] !
[illegible] ... [illegible]

* * *

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] الأشواق ... [illegible] !
[illegible] ... [illegible] !

* * *

يا [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] كنت [illegible] !
[illegible] الكون [illegible] ... [illegible] !

(القاهرة) محمود السيد شعبان

وحي صورة

للأديب مصطفى علي عبد الرحمن

ذكرتني ذلك الماضي السعيد — شعّ في حافيه نور الأماني
والهوى في ميعة جذلان وليد — حالم في دنيا حنان من حنان
ما رأى قسوة أو ذل القيود — لا ولا ذاق تجنّي وهواني
كل شيء عنده [illegible] الجمود — وإذا بي منه في قيد الهوان

* * *

ذكرتني ذلك الروض النضير — والندى أوجه من عين الغواني
وابتسام الزهر من حول الغدير — وطيور الأيك تشدو بالأغاني
كل شيء كان من صفو وخير — يسحر القلب بحسن وحنان
لم يعد فيه، والقلب الكسير — غير ذكرى من لقاء كم أعاني
ذكرتني الأمس - والدنيا تسير — وسماء حافل - حلو المعاني
عند صفو الحب واللقيا ندير — والهوى نشوان [illegible]
في ليالٍ كُنّ في ظل الكروم — كم سقى السحر في تلك المغاني
ذكريات تشعل الهم الأليم — كلما تخطر من آن لآن

* * *

ذكرتني بهجة النيل الوديع — حيث تبني حولنا الشاطئان
وبنا الزورق يسري في خشوع — فوق موج ناعس الأجفان حان
من أرى ذلك الحسن البديع — يتجلى في افتتان وافتتان
طابت الأيام والعمر ربيع — من جود اليوم لي بعض الأماني

(سكندرية) مصطفى علي عبد الرحمن

أباريق الجمال ...

[تلك الكاسيح أردية الجمال من [illegible] ...]

للأديب أحمد عبد الرحمن عيسى

الأباريق [illegible] — [illegible] أول [illegible]
إنها أنت في الحياة [illegible] — [illegible] تكون [illegible] ؟!

أرقص الناي صاحبي أو [illegible] — جمعت في [illegible]
صوت يحيي [illegible] وإن قلت حينا — إن [illegible] عيب أو [illegible]
صوت يحيي كالهمس [illegible] — [illegible]
[illegible] ... وما [illegible] إلا — وصبية ألقت من [illegible]
والسواقي في الأشجار تريق — قد صاغه الزمان عرضا مصورا
من بكر [illegible] — قد [illegible] خلها [illegible]
وهي [illegible] على [illegible] فقال — [illegible] السراب [illegible]
الأباريق [illegible] — [illegible] من الخيال [illegible]
إنما هي [illegible] — [illegible] حتى [illegible]
بدع الحسن [illegible] — كأن اللون يستعير [illegible]

(كلية [illegible]) أحمد عبد الرحمن عيسى

التأمين

كان أحد موظفي شركات التأمين [illegible] في [illegible] الولايات المتحدة [illegible] ... [illegible]

[illegible] شركات [illegible] التأمين [illegible] ... [illegible] أمريكا [illegible]

[illegible] الملاريا [illegible] ... [illegible] بالملاريا [illegible] كالمال واقي

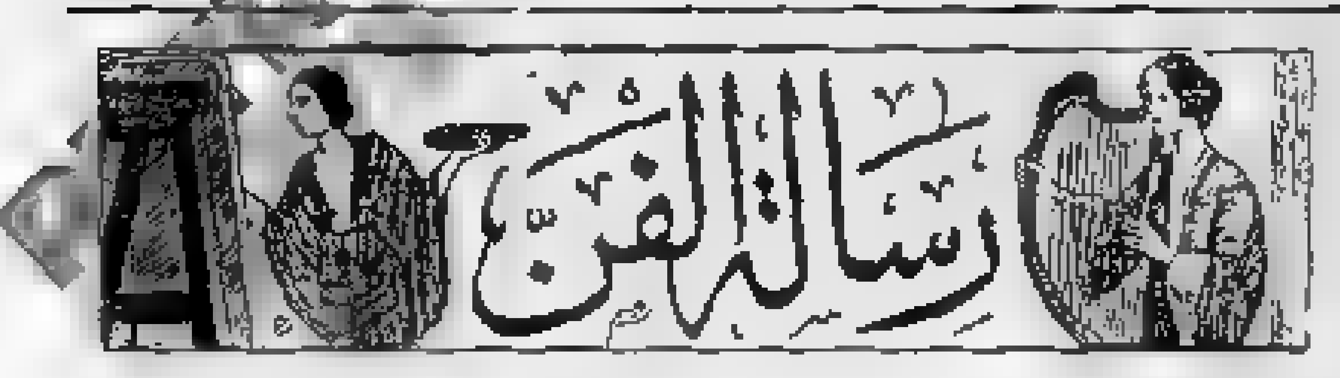

دراسات في الفن

الفن في حياتنا الاجتماعية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

حاولت وزارة الشئون الاجتماعية أن تعرض للفن فأسندت في نفسها إدارة الدعاية تعنى بأمور ستة . الأول نشر المبادئ الاجتماعية الصحيحة والثاني الإشراف على برامج الإذاعة وتوجيهها والثالث تشجيع المسرح المصري والعمل على جعله وسيلة صالحة لتثقيف الشعب وإصلاحه ، والرابع مراقبة الروايات والأفلام السينمائية والأغاني الشعبية ، والخامس الإشراف على تنظيم المهرجانات والأعياد القومية والمواكب التي تستدعي مشاهدة الجماهير حفظا من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، والسادس تشجيع الفنون والصناعات الخاصة بمجال دور التسلية . وهذه الأمور الستة شديدة الصلة بالفن ، وهذا ما يدعوني إلى إنعام النظر فيها محاولا أن أمهد طريق العمل إلى تحقيقه

والمسألة هنا تحتاج إلى دراية . ذلك أنك تعرف أن الفن هو عنوان الحياة الاجتماعية ، وكما تكون الأمة يكون فنها ، وأمتنا كما هو ملحوظ في حاجة إلى إصلاح اجتماعي ، فإذا حاولنا أن نصلح فنها لم نصل شيئا ، لأن فنها منها وما هو منها لا يمكن أن يصلحها . إنما هناك رجال سبقوا عصرهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يؤثروا في مواطنيهم لو أتيحت فرصة العمل لهم ، وفرصة العمل لا تتاح لهؤلاء عادة في سهولة لأن مواطنيهم متأخرون عنهم فهم لا يفهمونهم كما يجهلون غيرهم من الفنانين والمفكرين المتفوقين في هذا العصر الحالي ، فأول ما يجب علينا إذن هو البحث عن هؤلاء الرجال ، وإلقاء مقاليد الإصلاح بين أيديهم

ونحن إذا استعرضنا هذه الأهداف الستة التي تريد وزارة الشئون الاجتماعية أن تصل إليها وفكرنا فيمن يصلح لقيادة الشعب لها .. رأينا الهدف الأول هو نشر المبادئ الاجتماعية القويمة ولعل هذا يتم بإنشاء مجلس أعلى للشئون الاجتماعية يضم كل من عرفت مصر أنهم يحترمون شئونها الاجتماعية احتراما حقيقيا لا احتراما زائفا ، ويكون على رأس هؤلاء جميعا صاحب السعادة عبد العزيز فهمي باشا .. فهو الزعيم المصري الذي آمن بمصر وخطط على حبه ، يكاد يؤمن به إلا نفر قليل جدا من أبناء الوطن ، وهو الذي سبق كل زعمائه في تقدير القسط الصالح من سعادة الشعب وقت كان كل الزعماء يريدون الشعب سلطة مصطنعة وهو لم يرد طفلا ناشئا .. وهو الرجل الذي لو أراد أن يعيش متنقلا بين الكونتيننتال وسميراميس هاوس وسان استفانو لفعل ، ولكنه على الرغم من حمل ... نفسه بنفسه دائما أن يقترب من الجماهير ، ويختار الجمهور الأقرب إليه فهو يلازم « كفر المصيلحة » قريته التي نشأ فيها والتي وهبها كل الفراغ من وقته ، والتي شغل فيها بمكافحة الجهل حتى محا منها الأمية محوا ، وبمكافحة الفقر حتى لم يبق فيها متسول ولا متسكع ، وبمكافحة المرض حتى أصبح أكثر أهلها من هواة الألعاب الرياضية وهم يفهمون فيها المسابقات .. هذا الرجل وغيره من رؤوس الرعيل الناضجين المجربين هم الذين يعرفون ما هي السبيل إلى نشر المبادئ الاجتماعية القويمة ، ويشترك معهم الكتاب والمفكرون والباحثون الذين لم ... بين الفقر والجهل والمرض .. أولئك الذين عاشروا الناس وعرفوا أرواحهم ، والذين فهموا وعرفوا وجربوا وناضلوا .. أبناء الشعب ، وبنت الطين المصري .. من يهمهم إصلاح الحياة في مصر لتصبح حياتهم هم أنفسهم ، ولتريح ضمائرهم . أما الإذاعة فتنقسم إلى قسمين : أولها قسم الأغاني والموسيقى ، وثانيهما قسم الأحاديث والمحاضرات والتمثيل . وقسم

الأغاني والموسيقى لا يمكن أن ترقى إلا إذا أشرف عليه رجل موسيقي، وهو اليوم ملقى بين يدي مفتش فني وما للوظف [illegible] بوزارة الأوقاف، وهو رجل من أبناء الذوات سهر الطرف على القانون كما يصنع أبناء الذوات ويطلب الذوات الطرب على [illegible] وأجهزة [illegible] هذا الرجل يجب أن يبعد عن محطة الإذاعة ومن المعهد الملكي للموسيقى العربية فيحل محله واحد ممن كافحوا الحياة في سبيل الفن، وممن جاهدوا طول حياتهم؟ وأظن [illegible] لا يشكون في أن مثل زكريا أحمد هو أول هؤلاء، فقد كان مقرئاً للقرآن كما كان من منشدي القصائد وصائل موالد النبي، ثم [illegible] الشعب له أدواراً وطقاطيق وموشحات لا تحصى عددها وهو بعد ذلك من ملحني المسرح [illegible] وليس في مصر من جمع هذه المواهب على نجاح مشهود وتفوق ظاهر غير زكريا، فكيف ينصرف رجل كهذا عن الإشراف على رعاية الأغاني والموسيقى في مصر؟

ويجيء بعد ذلك قسم الأحاديث والخطابة والروايات، ولا بد أن يكون المشرف على هذا القسم ممن عرفهم [illegible] أن يتحدثوا إلى الشعب وأن يعرفوا ما هي الأحاديث التي تؤثر فيه وتغذيه، وكيف يمكن أن يغذى وكيف يمكن أن يهدى.

أما قسم المسرح فلا يمكن أن يكون إلا مصرياً، ومصريته لا يمكن أن يكون إلا مشخصيه، وتشخيصه لا يمكن أن يكون إلا [illegible] يوزع على القرى الأهلية، فيكون فرعون [illegible] ويكون يوسف [illegible] ولغاتهم [illegible] .. وقد تستعد فرق أخرى [illegible]، ولا ريب أن الروح ستدب من جديد إلى المسرح المصري الذي خر حين أطلقت [illegible] بقلة . إن الفرقة القومية تشبه [illegible] وتجمع اللغة العربية . فكم من الناس يكترثون لهذه [illegible] الجمع؟ وما مدى تأثير كل منهما في الحياة المصرية؟ وكم يبصر الناس [illegible] أنهما أنشئا؟ هل يحس أحد بأن الحياة المصرية قد تغيرت شيئاً؟

وأما مراقبة الأفلام والروايات السينمائية فلا بد لها من حملة خاصة أيضاً . لا بد أن يعهد بالإشراف عليها إلى هيئة لا إلى فرد [illegible] من الجمهور من نواح مختلفة، ومن [illegible] للنظر على [illegible]، فإن لم تكن خاصة لرقابة [illegible] تقوم بها [illegible] يغارون على وطنهم وأهلهم فإنها من غير شك ستنحرف [illegible]

إلى [illegible] ليس لنا [illegible] الفروق [illegible] يكون في روايات السينما أحياناً من مظاهر التعصب الديني ضد المسلمين عامة، وضد العرب خاصة [illegible] والروايات التي تصور [illegible] بعينه العرب لأنها ترمي كبرياءه ولأنهم [illegible] من ألوان من الكفاح [illegible] الغرب ضد الشرق وتنصر عليها [illegible] ويكفي هذه الروايات [illegible] لا يصح أن تعرض في بلد شرقي لأن [illegible] ولأنها تزري الصغار على كراهية الشرق وعبادة الغرب [illegible]

لا بد إذن من [illegible] يشاهد هذه الأفلام قبل عرضها ليحكم عليها ويقرر أنها قريبة من [illegible] التي يجب أن [illegible] فيبيح عرضها أو أنها بعيدة عنا إلى مثل [illegible] لا يصح أن تدخل إلينا فيمنع عرضها، ولا بد إلى جانب هذه من رجل غيور على التقاليد والنظم الشرقية غيرة صحيحة، ولا بد إلى جانب هذا وذاك من [illegible] يعرف مدى ما تؤثر هذه الروايات في نفوس الصغار، وفي صغار النفوس.

ويجيء أخيراً المهرجانات والأعياد والموالد، ومكانها في محطة الإذاعة [illegible] فكم من أمة ملكت مصر، وكم من حضارة ألمت بها، وكم من دين عرفها، وكم أرادت بها أن تكون على هوى من أرادها فلم تكن إلا ما أرادت هي طبيعتها فنضت من نفسها كل ما حاول الغير أن يصبغوها به من ألوان الحياة، ولم تقتبس من هذه الأصباغ إلا صبغتين اثنتين هما صبغة العرب وصبغة الفاطميين . أما الفراعنة فلا تزال في مصر من مخلفاتهم هذه الآثار القائمة من الصخر والحجر، وهذه اللغة التي يتكلم بها بعض أهل الريف، وهذه النجوم التي يؤقت بها المصريون الزراعة، وهذه العواطف التي لا تزال تختلج في نفوس المصريين اليوم بالنص نفسه الذي كانت تختلج به في نفوس المصريين من أقدم العصور والتي تحب منها ما كان يحب أجدادنا ونكره منها ما كانوا يكرهون، فنحن لا نزال نحب النيل ونحتفل بفيضانه كما كانوا يحتفلون، ونحن لا نزال نحب الجاموس الذي يساعدنا في فلاحة الأرض كما عبدوا العجل أبيس، ونحن لا نزال نكره الهجرة من بلادنا مهما قست علينا الحياة فيها كما كانوا يكرهون الهجرة من بلادهم مع أننا اليوم مسلمون، ومع أن الإسلام بعث النبي [illegible] يبشرون بأرض [illegible] ونحن كذلك من [illegible]

هذه القدرة العجيبة على الاستجابة للخيال عن الحقيقة والأمر الواقع ، ولهذا الشعب الوحيد الذي يرضى اليوم أن [illegible] ولا تنتبه ، كما أن فيها من أخلاقهم [illegible] تجري في نفوسنا مع الفهم ، [illegible] إنما يرجون [illegible] على من هو دونه ، [illegible] رؤساء وحكاما.

وأما الفاطميون فلا تزال مصر تحتفظ بكل ما أخذته عنها من دعائم حكمهم ، هذه الأضرحة التي تملأ القاهرة وغيرها من مدن مصر وقراها ، وهذه الموالد التي لا يزال المصريون يجرون وراءها من القاهرة إلى دسوق إلى طنطا إلى دمنهور ، وهذه الخرافات العجيبة الفاشية في أوساط الناس والتي تخالط معتقداتهم من [illegible] والتي يستقونها من القصص الفاطمي المتفشي بينهم ، ومن الكتب المدسوسة عليهم باسم الإسلام والإسلام منها بريء . وهذا التشاؤم من الحياة ، وهذه القناعة بخيرات الأرض إذا جادت الأرض بالخيرات . . . هذا وذاك باقيان في الحياة المصرية إلى اليوم من أثر الفراعنة ومن أثر الفاطميين ، حتى الدين تأثر بالفراعنة والفاطميين . فالإسلام الذي في نفوس العامة من المصريين إسلام فاطمي ، والمسيحية التي في نفوس العامة منهم مسيحية فرعونية . فالمسلمون من المصريين يذكرون في أهل البيت أكثر مما يذكرون في الله ويستنجدون بالحسين والسيدة زينب أكثر مما يستنجدون بالله الواحد الأحد خالق الحسين والسيدة زينب وجدهما عليه الصلاة والسلام ، وهم يعرفون قصص السيد البدوي ومناقبه وأحاديث أكلاته ومواقفه أكثر مما يعرفون القرآن وتاريخ النبي . والمسيحيون المصريون [illegible] أبناءهم [illegible] يسمون بعضهم بأسماء فرعونية مع أن الفرعونية وثنية في رأي المسيحية ، ثم إنهم لا يزالون يغتمون في الحزن على موتاهم حزنا عجيبا لم يكن [illegible] في الشعوب الأخرى أحد إلا قدماء المصريين ، [illegible] اليوم ، مع أن المسيحية إيمان مطلق بإرادة الله ورضا مطلق بقضائه . فماذا أعطيت الحياة المصرية من هذين الطابعين وحدهما . . . ؟ ولماذا استطاع هذان الطابعان أن [illegible] الزمن في مصر وأن يثبتا ثباتا على مر العصور دون غيرهما مما كان يصح أن يؤثر في الحياة المصرية وأن يطبعها بطابعه ؟ لا بد أن في الأمر سرا ؟ والسر هو أن الفراعنة والفاطميين أشادوا حكمهم على أساس من الخرافة والجهل [illegible] في نفوسهم أن [illegible] الروح المصرية [illegible] روحية ، وأن هذه الأرض الزراعية [illegible] أهلها [illegible] ، وأنه إذا [illegible] الخير لأهلها [illegible] الحياة [illegible] في شيء إلا [illegible] ، فشغلوهم بأنواع من [illegible] ، كما شغلوهم بأنواع من الأضرحة [illegible] أنها أصل خيرهم ، فحملوهم على [illegible] النيل ، و[illegible] الحكام ، و[illegible] ، وأولياء الله الصالحين واختلقوا لهم ألوانا من الخرافة عن ألوان الأكل والشرب.

ولم يكن الفرعون [illegible] ولا كان الفرعون منهم يصدق أنه إله لأنه كان يعرف أنه [illegible] ، ولم يكن الخليفة الفاطمي [illegible] ولم يكن يصدق أن السيد البدوي [illegible] . . . وإنما كانت هذه هي السياسة التي قام عليها حكم الفراعنة وحكم الفاطميين . ونحن اليوم نعتبر ظرفا جديدا من ظروف الحياة ثبت فيه أن الزراعة لم تعد تصلح أن تكون أساسا لحياة راقية في أمة ناهضة ، وثبت فيه أن الجهل والخرافة أساس الرق والعبودية ، فلذلك يجب أن تتبدل هذه الأسس التي خلفها الفراعنة والتي [illegible] الفاطميون ، وليس يستطيع هذا إلا فنانون مبدعون [illegible] للمصريين المثل العليا [illegible] الجديدة ، [illegible] من الإسلام الصحيح ، ومن تاريخ النبي وعمر وصلاح الدين وأولئك الأبطال المسلمين . . . وليس يأتي هذا إلا الفنانون [illegible] ، [illegible] البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، ويمكنوا من الحياة المصرية الناهضة ويخرجوا شروقا لحياة مصرية جديدة [illegible] على أساس مصري إسلامي لا على أساس مترجم أو مسروق - لا بد أن [illegible] موالد الأكاسرة والدجالين وأن تحيا موالد الأبطال المنسيين . لا بد من [illegible] - بلسان المصريين - وأقدر الفنانين على هذا [illegible] يوسف [illegible] وعبد السلام شهاب وبديع خيري على أن [illegible] مؤرخون.

أما [illegible] رجال القانون

عزيز أحمد فهمي

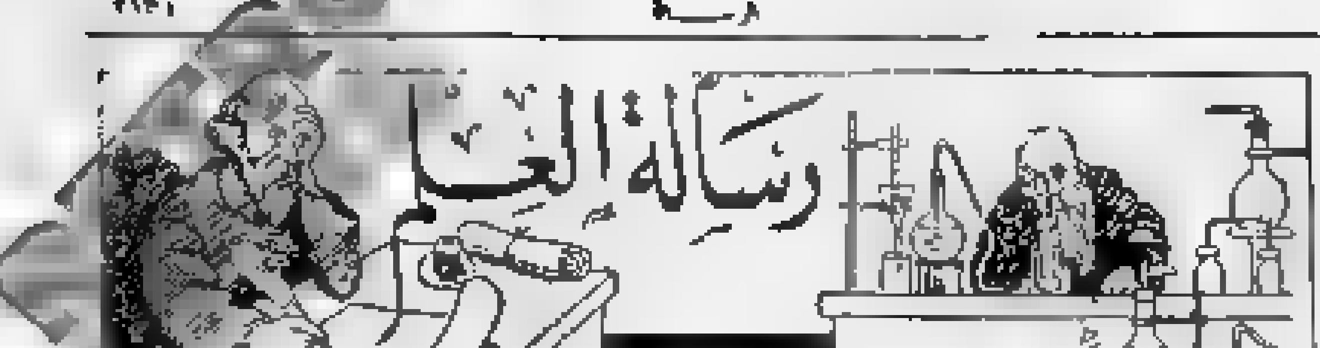

لحظات الإلهام

في تاريخ العلم

بقلم مريون فلورنس لانسنج

الترع والسدود

مضت مئات كثيرة من السنين قبل أن يحدث الحادث التالي العظيم: حدث عندما سخر الإنسان قوة طبيعية على الاختراع؛ أي رجلاً أقدر من معاصريه امتاز امتيازاً عقلياً في رجحان العقل وحدة الذكاء، قد لاحظ سرعة التيار في مجرى الماء وهو يكتسح كل شيء في سبيله، فوضع به عجلة بحيث يمكن أن تديرها قوة الماء، ثم جعل حول هذه العجلة ما يشبه الرافعات فتكون كعادوب الساقية في تلقيها سقط الماء

لما استطاع الإنسان أن يحمل قوة الماء الجاري تدير له العجلة واستطاع أن يربط هذه العجلة من محورها بتدبير خاص يمكنه من رفع الماء بواسطة الدلاء — لما استطاع الإنسان ذلك انتصر انتصاراً استطاع أن يحميه من أثقل الأعمال لأنه بذلك قد تمكن من صنع آلة تدور من نفسها وتعطي القوة التي يمكن بها استخدام الآلة التي يجب أن يوجد لها قوة للدفع من عنده، كما تجاوز أيضاً طريقة الروافع التي تحتاج في تشغيلها إلى جزء من قوة يضاف إليه القوة التي تستمدها من الآلة. أما فيما يتعلق بالقوة التي يجريها الماء فإنه قد اخترع منه آلة يديرها الماء نفسه لرفع الماء ويقتصر جهد الإنسان فيها على الإشراف عليها وصيانتها

من تلك اللحظة بدأ عهد الآلات التي تدور من تلقاء نفسها، ومن تلك اللحظة رفع الإنسان نفسه من مستوى الكادح الذي توقف نتائج عمله على مقدار جهده أو جهد ما ينتجه، وأصبح الآن جهد الإنسان أو الحيوان عنصراً طبيعياً مع قوة سقط الماء

في ذلك اليوم المجيد بدأ الإنسان يتحرر من رق العمل، وبدأ يسلك طريقاً طويلاً يستعين به بجهده العقلي بدلاً من الجهد الجسمي

الهولانديون والبحار

منذ خمسمائة عام كان يقيم في قرية السكاند، وهي قرية صغيرة في شمال هولاندا، رجل اسمه فلوريت السكاند وهو غني من أهل تلك المدينة يشتغل بالتجارة فضلاً عن كونه مزارعاً موسراً يملك أرضاً واسعة

ولم تكن الزراعة من الأعمال السهلة في ذلك العهد بهولاندا وما جاورها من الأراضي المنخفضة، ولم تكن الحياة مستساغة هناك منذ العهد الذي نزل فيه السكسونيون والفرنجة من الشرقيين إلى تلك الأراضي ذات المستنقعات التي أطلقوا عليها اسم الأراضي المنخفضة، وأرادوا أن يتخذوا منها وطناً

وربما كانت القوة والعزيمة اللتان امتاز بهما أهل هذه البلاد في تاريخهم كله — ربما كانت هذه القوة وليدة اضطرارهم للمحاربة الدائمة ضد الريح وضد الماء اللذين تتوقف على عدوانهما حياة هذه البلاد الصغيرة. وما كان في وسع شعب غير جريء وغير مثابر أن يستولي على أرض رطبة أنهارها دائمة الفيضان وبحرها دائم الطغيان فيجعل ذلك الشعب منها بلاداً زراعية خصبة

ويعلم كل إنسان قصة المراقي الهولاندية وهي تلك الحواجز الشبيهة المصنوعة من الأحجار والتي تحجب مياه البحر من الطغيان على الأرض التي ينخفض جزء كبير من شاطئها عن مستواه

بنى الكثيرون والفريزيان هذه المراقي حين عسكروا على أكثر أجزائها ارتفاعاً وقاية لأنفسهم من الماء. وبناه أهل الأجيال التالية من تلك الحواجز إلى أن جاء عهد فلوريت السكاند فأصبحت الأنهار والبحر تحت نوع من الرقابة يمكن الشعب البلاد من الاطمئنان على السلامة والزراعة عند الشاطئ المنخفض

ولكن بقي البحر محصوراً كما أن الأنهار لا تزال تجري على

الشاطئين فتحدث شطآناً طويلاً من مستنقعات رديئة، فبدلاً من أن يكون على الشاطئين مزارع خضراء وحقول خصبة حيث تطلب كان حولها مستنقعات واسعة كثيرة البعوض. ولما كانت مصر في عهد الفراعنة تشكو من قلة الماء، فكذلك كانت هولاندا في بداية تاريخها تشكو ولكن من كثرة ما يغمرها من الماء.

ولم يكن غلووت السكالد دائم الإقامة في قريته الصغيرة، فقد كان يسافر من أجل عمله ولا تقتصر رحلاته على زيارة المدن الهولاندية الأخرى بل كان يزور باريس وغيرها من المدن حتى يرى في الأقاليم الزراعية الغنية التي تحد وسط أوربا. وكان يرى تلك البلاد ويفكر في أحياء ذات المستنقعات التي يمكن أن تصير خصبة أيضاً لو أنه جفف ما فيها من الماء.

وكان قد سمع في باريس من صانع أنه قد ظهر اختراع حديث في بوهيميا حيث أخذوا يعملون عجلة تدار بواسطة الهواء وتستخدم في امتصاص الماء من الآبار. وكان السكالد ميكانيكياً ماهراً يعرف كيف يمكن امتصاص الماء فوق الأرض. وكان يستعمل في صنعته مضخات الماء، ومن صنعته الصنع تكلف عناء كبيراً في العمل ولا تمتص إلا القليل من الماء، لأن المضخات التي تستعمل باليد لتفريغ مستنقعات طافية بما يسيل من مجرى النهر لا تكاد تعمل في عملها بعض ألاعيب الصبيان. ولم يكن في هولاندا في القرن الخامس عشر جنس من الزمن يستخدم في مستنقعاتها الواسعة ليلاً ونهاراً ليحارب طغيان الماء.

ولو أن رجلاً آخر كان في مكان السكالد لجاز أن يسخر بفكرة استخدام الريح لهذه الغاية، ولكنه كان هولاندياً يألف ما يأتيه [illegible] والماء، وقد عرف في طفولته كيف يخرج مركباً صغيرة ويقيمه في مستنقع في الأرض ليساعد بواسطة الريح على كسح الماء. وكان ملاحاً فهو يعرف من طفولته قوة الريح. ولكن الفكرة التي كانت جديدة هي أن تدير الريح عجلة وأن تدير هذه العجلة مضخة.

ولو أن رجلاً آخر في موضع هذا الرجل وكان أقل ذكاء لرأى الفكرة مستحيلة. ولو أن الأمر الذي يعنيه كان أقل أهمية لرأى أسهل الأمور أن يستمر امتصاص الماء بواسطة العمل اليدوي القديم أو بإدارة ساقية يجرها حيوان. لكن بالنسبة لهذا الرجل فإنه لا الإنسان ولا الحيوان يقوى على مص الماء من أنحاء هولاندا، وهو يعتقد أنها لو خُلصت من الماء لصار في وسعه أن يجعل كل جزء منها في مثل خصوبة المزارع الأوربية.

ولما عاد السكالد من باريس إلى وطنه لم يقل شيئاً عن الآلة الجديدة التي سمع عنها لأنه عرف أن جيرانه الهولانديين [illegible] من أهالي سيسخرون من الهواء الذي يعين الماء، ولكنه عكف على صنع أنموذج لعجلة هوائية أكثر من [illegible] وذلك [illegible] يجرب بها الاختراع.

وقد أمضى زمناً يبني بالتفصيل في وضع كل شراع بالزاوية التي تناسبه، ولكنه أخيراً صنع طاحوناً تدور من نفسها كأنها تلقت سر الحركة الدائمة.

وعندئذ استدعى بعض جيرانه فأطلعهم عليها وقد أعجبوا بذكائه في صنع اللعبة، ولكنهم ضحكوا من السذاجة التي يجعل [illegible] بواسطتها [illegible] هل يدل هذا على مقدم الآتي الذي سيعطيه

طاحونة الهواء الهولاندية

الاعتبار بالإنسانية؟ فإن غلووت كان رجلاً متواضعاً وعاملاً مجتهداً وهادئاً [illegible] قبل أن يعلو السياحة في البلاد، وهو الآن يظن أنه يجري أكثر مما كان آباؤه يجرون وهو يضيع وقته في صنع الألاعيب، وما العيب عليه في أن تمتص الرياح الماء، من الذي سمع من قبل بأمر مثل هذا؟

ولكنه على الرغم من أنه لم يكن في هولاندا من سمع شيئاً من هذا، عزم السكالد على عمل يسمى "طاحونة". وبعد أن أجرى تجربة في الأنموذج شيد طاحونة كبيرة ذات أربعة شرع بدلاً من العجلة. وتحمل هذه الشرع ذات دولاب واحد [illegible] الريح مدة [illegible]، وذلك لأنه إن كانت حركتها مستمرة كان من السهل أن تركب عليه عجلات أصغر منها تجعل حركة المضخات مستمرة كذلك.

أتت طاحونته بالنجاح ولكنها كانت لا تدور إلا إذا هبت الريح

من اتجاه معين . وكذلك ظلت كما ظل من بعدها كل الطواحين الهولاندية سقفاً طويلة تصل حد ما جهة الريح شمالية شرقية

فلما تحركت واستعدت للماء استعدى جيرانه وأرادوا نجاحها

وقد يكون الهولاندي بطيئاً في تصرفه وقد يكون من الصعب إقناعه ، ولكنه متى رأى عملاً صالحاً يحسن تقديره . هؤلاء المزارعون الهولانديون ذوو الصلابة قد قضوا العمر في محاربة عنصرين من عناصر الطبيعة : الماء والريح . وما كانوا يخشون هذه الطواحين الريحية لخصومهم من الأمواج حتى هبت الريح فأزالت أعلى هذه المراقي وامتدت الماء إلى الطغيان

فلما رأى هؤلاء المزارعون خصومهم الضعيفين وقد سخّر أحدهما لمحاربة الآخر ضحكوا وصفقوا وأثنوا على ذكاء هورمن

وقبل أن يموت هورمن كان كله غير مقتصر على أن أصبحت الطواحين منتشرة في كل مزرعة لتجفيف المستنقعات لتصبح الأرض قابلة للزراعة في مواقعها ، بل إن جيرانه قد أصبحوا يحاكونه ، فكانت الشراعات تدور مع النسيم كل عشية وكان الناس يأتون من أطراف هولاندة ليشاهدوا هذه المعجزة

وكانت أول طاحونة ناجحة أنشأها السكان من هذا النوع أنشئت في سنة ١٤٠٨ ؛ وقبل عام ١٥٠٠ كانت هولاندة قد عمت بالطواحين الهوائية التي جعلت هذه البلاد في قرب أربعمائة عام شهيرة بمناظرها الزراعية ، وتحولت أراضي المستنقعات إلى مزارع خصبة ، ورأى الناس ، وأدرك الإنسان مرة أخرى أنه يستخدم قوة من قوى الطبيعة ضد قوة أخرى في صنع الآلات . ونجح الهولانديون بمحالفتهم القوة ضد الماء فانتصروا على الطبيعة

وكانت الخطوة التالية هي التي حصر فيها الإنسان على النار فاستخدمها لإدارة المعامل وسيلة للتحرر ، وقد استطاع الإنسان ذلك بعد مائتي عام . ومع نشأة الصناعة تم التقدم على تحويل الوقود إلى قوة تحرك الآلات

(يتبع)

ع

من هنا ومن هناك

الحرب في تقاليد السياسة البروسية

[عن « ذي إيجبشن ستاندرد »]

للسياسة الألمانية طرائق وأساليب تكاد أن تستعصي على التغيير وإن تغير الجيل واختلفت العصور. وقد مر سبعون عاماً منذ اعتزم بسمارك محاربة فرنسا، مدفوعاً بفكرة ضم الولايات الألمانية المتحالفة التي حاربت ألمانيا، نتيجة لحروبها السابقة التي وضع خططها بعناية وإحكام. وكان بسمارك يطمع في تقوية نفوذ بروسيا بالسيطرة على هذه الولايات، فأشعل نيران الحرب في أوربا من أجل هذه الأسباب التي تتصل بسياسة ألمانيا الداخلية.

وقد كتب الكثيرون في موقفه هذا والطرق التي سلكها لتحقيق بغيته، ولكن تلك القصة الصحيحة ما زالت غامضة لأن سلوك بسمارك كان غامضاً. كانت أسبانيا تقطع مرحلة من مراحل القلق والضعف، فاضطرت حاجتها إلى حاكم يقبض على زمام أمورها، فعرضت عرشها على أمير من أسرة « هوهنزلرن ». ومن المعلوم أن الفرنسيين لا يرحبون بفكرة مثل هذه الفكرة ولا يسمحون بتحقيقها، إذ أنها تبيح لأسرة واحدة أن تتحكم في الرين والبرانس.

فلاقى بسمارك صعوبة في تحقيق غرضه — لا من ناحية الفرنسيين الذين لم يكترث بهم — ولكن من ناحية « وليم » ملك بروسيا الذي يقول عنه في مذكراته: « لقد كان رجلاً في الثالثة والسبعين من عمره محباً للسلام، فلم يشأ أن يخاطر بأكاليل النصر التي نالها في حرب عام ١٨٦٦ » ويشير بسمارك هنا إلى النصر الذي أحرزته بروسيا على أوستريا عام ١٨٦٦ في حرب قصيرة المدى.

فلما رأى الملك الشيخ أن حرباً أوربية توشك أن تقع من جراء قبول أحد أقربائه عرش أسبانيا، اعتزم أن يتجنبها، فما كاد يصل احتجاج فرنسا إلى يده حتى استدعى « البرنس ليوبولد أوف هوهنزلرن » وما زال به حتى رفض ما عرض عليه. ورأى بسمارك أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد، وأنه لا يجد أمامه ما يحارب من أجله، فانتهز فرصة غياب الملك للاستشفاء بحمامات أحد الأنهر، وأخذ يدبر طريقاً لإثارة الحرب. وكان هو والكونت مولتكه والكونت رون القائدان الألمانيان يتناولان العشاء ويتباحثان في شئون الحرب، إذ وردت برقية من سفير فرنسا يطلب على لسان حكومته بعض التأكيدات في موضوع عرش أسبانيا، فرأى بسمارك أن الفرصة سانحة لتدبير مكيدته، فأدخل بضع كلمات على برقية السفير الفرنسي، ثم قدمت ذات الحين وقدم اليسير إلى القائدين الألمانيين متسائلاً عن مبلغ استعدادهما للحرب، فأجاباه بما يؤيد رغبته. وعند اطلاع الملك على الرسالة الفرنسية اعتبر ما بها حاطاً لكرامته، ورفضها رفضاً باتاً، ثم أمر أن يمنع سفير فرنسا من المثول في حضرته. وقد كان بسمارك قد أعد اللازم لظهور هذه الرسالة في الصحف الألمانية في اليوم التالي، ومن ثم أعلنت الحرب بين فرنسا وبروسيا. أما الصورة الحديثة لهذه الحادثة فشديدة الشبه بتلك الصورة التي ظهر بها هؤلاء الشيوخ الثلاثة وهم يتحدثون كثيراً عن شغلهم شغلاً للمحاجة في إشعال الحرب بين هاتين الأمتين العظيمتين.

ليس من الصعب علينا بعد هذا أن نتصور موقفاً مشابهاً لهذا الموقف قد حدث في أوربا منذ أسابيع، إذ قدمت تلك العصابة المتطرفة إلى حكومة بولندا شروطها الستة عشر التي بعث على إحضارها المندوب البولندي بحيث لم تطلع عليها بولندا نفسها أو حلفاؤها إلا بعد فوات الوقت اللازم للرد عليها.

فوجئ العالم ذات مساء ببث ١٦ أساساً عن طريق الإذاعة الألمانية دون مقدمات سابقة. ولكن الأمر تبين جلياً في خطاب رئيس الوزارة الإنجليزية بعد ظهر اليوم التالي، فتحولت الدهشة إلى احتقار واشمئزاز.

إن ريبنتروب يحاول أن يقلد بسمارك في أحابيله السياسية، ولكن كم من الفروق الشاسعة بين تلك الشخصيات التي بنت هذه الإمبراطورية وتلك التي تذهب بمجدها إلى الهاوية.

أما هتلر فقد مهد لحربه سنة ١٩٣٩ كما فعل بسمارك سنة ١٨٧٠ . وقد نستطيع أن نقول إن ذلك الأرستقراطي البروسي لا يختلف في وجه العموم عن ذلك النقاش الأستوري ، بتهالكه على الاستعداد لإزهاق ما لا يعد ولا يحصى من النفوس البشرية في سبيل المطامع الشخصية

إلا أن بسمارك كان أكثر تهذيباً وأصح عقلاً ، فقد كان يعرف من أين يبتدئ وإلى أين ينتهي

عصبة الأمم ما لها وما عليها

[عن « جنال سيتيس »]

اختلف الكثيرون في الرأي حول عصبة الأمم فمن قائل إنها نجحت في تحقيق مهمتها ، وقائل إنها أخفقت في هذه المهمة ، فأي الرأيين الصواب ؟

إن أعمال عصبة الأمم في العشرين سنة التي انقضت منذ ظهورها كثيرة الشبه بقطعة متعددة الألوان . ويحسن بنا أن نشبهها بمجموعة من الخيطان بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أسوده فالألوان البيضاء تمثل الأعمال التي أدت العصبة نجاحاً في تحقيقها ، والألوان السوداء وهي لا شك أقل عدداً من الأولى تذكرنا بالأعمال التي أخفقت فيها

من الواجب إذن أن نعترف بأن عصبة الأمم نجحت نجاحاً عظيماً في كثير من الشئون ، ومن الواجب كذلك أن نصرح بأنها أخفقت في بعضها

لقد نجحت عصبة الأمم في عقد اجتماعات دورية في جنيف يحضرها خمسون عضواً يمثلون خمسين حكومة من حكومات العالم . وقد جاءت أعضاؤها اثنين وأربعين عضواً يمثلون حكوماتهم ، ووصل هذا العدد إلى ستين في وقت من الأوقات ويبلغ عدد الدول الممثلة في عصبة الأمم الآن خمسين دولة ، وهذا العدد يدل على اتجاه التآلف الشامل التي تجمع بين أمم العالم إذ لا يزيد عدد الدول المعترف بها في العالم اليوم على خمس وستين

وبعد سنتين من قيام عصبة الأمم أنشئت محكمة العدل الدولية في لاهاي وهذه المحكمة تفصل فيما يقع بين الأمم من المنازعات والخلافات القانونية ، وهي مفتوحة الأبواب دائماً لكل دولة تريد الاحتكام إليها . وقد بلغ عدد القضايا التي فصلت فيها هذه المحكمة [illegible] قضية

أما فيما يختص بالقضايا الناشئة من الحروب الطارئة على مر كر بعض الدول وما يستدعيه ذلك من إعادة النظر في كثير من الحدود التي تدعو إليها الضرورة ، فقد وفقت عصبة الأمم منذ سنة ١٩٢٠ في أربعين مسألة فصلت في ثلاثين منها فصلاً تاماً . وقد أثبتت عصبة الأمم جدارتها في ميدان السياسة بكثير من جلائل الأعمال ، كمحاربة الرقيق الأبيض وتجارة الأفيون وغيره من العقاقير الضارة ، وتسهيل المواصلات بين بعض الأمم ، وإيواء المهاجرين ، وتبادل السكان بين اليونان وتركيا وبلغاريا ، والنظر في شئون الصحة العامة وحماية الطفولة ، وتحقيق مصالح العمال

ومما لا شك فيه أن عصبة الأمم قد ضربت المثل الأعلى في حقيقة التعاون وضرورتها بين الأمم والأفراد

أما ما يؤخذ على العصبة فعدم نجاحها في منع التسلح الحربي والاقتصادي بين الأمم وإخفاقها في إيقاف الحرب في منشوريا سنة ١٩٣١ وفي جنوب أمريكا سنة ١٩٣٣ وفي الحبشة سنة ١٩٣٥ وفي إسبانيا والصين وتشيكوسلوفاكيا وبولاندة في السنتين الأخيرتين . إلا أن هذه المنازعات المدهشة كانت مبنية على مطامع بعض الدول وامتلاك أرض الغير ، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تهرب من التحكيم ، وتقضي على كل مجهود يبذل في سبيل التوفيق

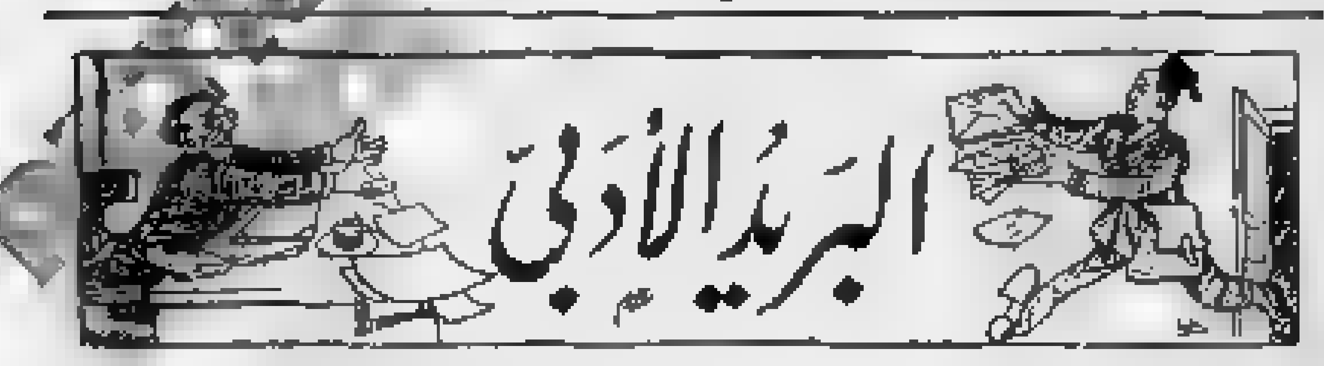

عيون تعجب

في « الرسالة » (رقم ٣٢٩) نصيب أبيات أربعة وعشرين حرفاً اثنتان وعشرون علامة تعجب ، أعني أنه جمع حروف « الرسالة » ! ولا أعتقد هنا أنحى عند هذا النحو من أنحاء النظم الحديث ، فلكل عهد من عهود الشعر المنظوم بالعربية نوع ، وصيغاً مستحدثة بعض الشعر من عهد سطره بعصابات التدبيج ، ومستحدثات غيرهم من جنس وشبه بالإعراب والتهويل اللفظي ، وغير … من الداعين إلى السجع أو الحياكة أو المعارضة ثم عدوى الطباعة الحديثة تعدو أسباباً أخرى في تجنب علامات التعجب (أو التنهد أو التحسر)

ولو كان في يدي من أمر « الرسالة » شيء لكتب عنف على الشاعر بذلك العدد الحاوي من علامات التعجب ، فأذعر بها القراء أنفسهم بعد أن يحتاجوا هنا وهنا في صفحة من صفحات المجلة ، ويلحظوا بين اللفظ وعطف المختلف … ألا تعجب من مثيرات التعجب ما لا يحسبه غير إحصائي حاذق ؟ ولو بعثت أطراف التعجب على ما يمنعك لقست علامات التعجب المروية في صفحات « الرسالة » منها عشت بحروف الترقيم … ويمضي أن أتعجب عما صدمني في يوم واحد

* * *

فهذه علامة تعجب ثانية من صناعة إدارة دار الأوبرا والفرقة القومية وشركة مصر للتمثيل والسينما . فإن الجمهور أحب بمصر إلى ما تنبهه الحق بعد الحق من سوء الحظ طائفة من الصحفيين والنقاد المصريين الناجحين ، مدركة أو متعمدة ، وأنهم … لم « كبار الوجهين » … هؤلاء وأولئك ، … من الكتاب المتدبرين والنقاد البصراء ؛ فإن سائلا أحدهم في ذلك قالت له : « اقصدني أنفسكم ضيفك بدعوة دعوته » فهل عجب من هذا الإضراب ما يجري في نفوس أورقة المتحدثين ! ولعل الصديقين الأستاذ توفيق الحكيم يرشد ذلك الإضرابات المطلقة إلى آداب العائلة الثقافية

* * *

وعلامة تعجب ثانية من عرض مسرحية عنوانها « سيدة متحشمة » على مسرح الفرقة القومية ، وقد وصفت هذه الرسالة خير وصف في العدد الماضي . فلله كيف أفلتت هذه المسرحية من مناظير « لجنة القراءة » وعيونها من حب ؟ ولم يدين الفرقة رحمها هذا تقبيل على هذه المسرحية وتدين النظارة شهورها ؟ هل يدخل هذا في مجهودات شهر رمضان ؟ ألا كثيراً ما تقدم الفرقة القومية المسرحية الحميدة … خير من المسرحية التافهة وإن كانت مترجمة . والتأليف المسرحي في الأدب العربي لا يزال في عهد الاستواء فطليعة المشروع … وأمثاله الروية ولا يصبر بنا أن يقال … لم يخرج بعد عدداً من الفلاسفة المفكرين أو الشعراء الفحول … في هذا الأمر لا برهان

* * *

وعلامة تعجب ثالثة مما جاء في الصفحة الأولى من « مصطلحات في باب الأحياء والطب » من « مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية » (ج٥ ص ١١ والشرح) أثبتت في تلك الصفحة « الحركة الذاتية » بإزاء « active movement » ، ثم « الحركة الخارجية » بإزاء « passive movement » والذي يعرفه طلاب العلوم أن كلمة active تنقل إليها في العربية كلمة « فعال » وأن passive تنقل إليها كلمة « منفعل » (و « انفعال ») ومنها في الفرنسية « يفعل وينفعل » (راجع هذا في « مباحث عربية »

ص ١٢٠ ، الملاحية) . وأما « الحركة الذاتية » فشيء آخر (وبحسب تعريف هذا التعبير في « كشاف اصطلاحات الفنون » مادة « الحركة » ص ٣٤٣ ، وفي « التعريفات » مصر ١٢٨٣ ص ٨٥) . وكيف كانت الحال فإن التعبير الذي يقابل « الحركة الذاتية » هو « الحركة العرضية » ، كما جاء في [illegible] هذه . و[illegible] الجسم يعبّر بـ « الحركة الطبيعية » عن « الحركة القسرية » (وهذا من المصطلحات العربية) و « هي ما يكون مبدؤها بسبب ميل من خارج كالحجر المرمي من فوق » (التعريفات) . وما يقابل « الحركة القسرية » في المصطلح « الحركة الإرادية » .

* * *

ثم ملاحظة أخيرة بها تماماً جرى به قلم الصديق الدكتور زكي مبارك ، إذ أخذ عليّ في العدد السابق أني أطلب إلقاء الشعر بحسب المعاني والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل . ومبعث العجب أن زميلي الباريسي يعرف حق المعرفة أن أهل الغرب من عرب وأعاجم يجرون على أن [illegible] من الوزن . وكانت العرب تقول في موضع الذم « إنما هو عروضي ، ويقطع أبيات وزن تفاعيل » . وما كان لهذا أن يكون لولا أن الشعر يقوم بمعناه ولفظه فوق ما يقوم بوزنه ، وذلك فضلاً عن أن مجرد الوزن إنما هو للأذن ، وأما المعنى واللفظ فما يجب في الباطن . والعرب لا تأخذ النفس القلقة من طريق الحس الظاهر ، بل هذا الحسّ إنما [illegible] على الوجدان في نفسه ، إذن أن يتواضع ، وهكذا يعيب على العرب أن [illegible] في صاحب البيت . ثم كيف يكون ما أخذ الصديق صاحب « ليلى المريضة ... » — بعد [illegible] مثلي [illegible] منه — وهو يذيع هنا أنه مفتون بالجمال ، والجمال لا سبيل في الشكل [illegible] بل عليك به من يكسوه ، وإنما الوزن يكسوه المعنى واللفظ . بين أني في الإلقاء مذهب أرى ما أرى ، وإن [illegible] الصديق به ألفته أذنه ، وكثيراً ما نحسب لنا موفقاً ؛ من ذلك عجب بعضهم العجاب وحسب بعضهم « الجمة المقصرة » . رحم الله

بشر فارس

(رجع [illegible]) في العدد السابق رقم ٤٢٦ في خاتمة مقال وقع سهواً « [illegible] الشعر » والوجه « [illegible] » ، ورقم [illegible] « [illegible] » والصواب « [illegible] ... » ، وما وقع في مقال آخر رقم ٣٣ « من أخي عليك » والصحيح « [illegible] »

[illegible] الرسمي [illegible] الشريف الرضي

أخي الأستاذ الزيات

كنت نشرت فأطلعتني على بعض ما نشر في جرائد العراق من الاستعداد لإقامة حفلة كبرى في الكاظمية بمناسبة العيد الألفي للشريف الرضي

ومنذ أيام قرأت في جريدة الصباح كلمة قال كاتبها « الفالي » إن معالي السيد إبراهيم صالح شكر قائم مقام الكاظمية يهتم بتوسيع ضريح الشريف تمهيداً لتلك الحفلة التكريمية

فهل أستطيع أن أقول إن الشريف الرضي يستحق أن تقام له حفلة رسمية في العراق كالحفلة التي أقيمت لأبي الطيب المتنبي ؟

إن المجد الأدبي للشريف الرضي لم يجد [illegible] لأشياعه من الشيعة ، مع الاحترام لصدقهم في الحرص على إحياء ذكراه ، وإنما مجد الشريف الرضي تراث للعراق أولاً ، وللأمم العربية ثانياً ومن أجل ذلك أرجو أن يأخذ الاحتفال بذكراه في العراق صبغة قومية لا صبغة طائفية ، فيكون من الخطباء والشعراء من يعرفون أنه من رجال الأدب قبل أن يكون من رجال الدين

وأنت تعرف يا صديقي أن الشريف الرضي [illegible] في ديوانه من الصبغة المذهبية [illegible] كتب [illegible] ما عنده من أفكار وآراء ، فمن الظلم لهذا الرجل العظيم أن يختص بذكراه فريق دون فريق

وفي ظني — إن شاء الله — أن أحضر تلك الحفلة على شرط أن تصدر الدعوة إليها من وزارة المعارف العراقية ، وإلا فسأقترح على كلية الآداب بالجامعة المصرية أن تقيم أسبوعاً لذكرى الشريف كما أقامت أسبوعاً لذكرى المتنبي ، فنؤدي حق الشريف في القاهرة قبل أن يؤدى في بغداد

فإن قيل إن حالة الحرب قد تمنع من إقامة تلك الحفلة بصبغة رسمية ، فإني أجيب بأن الأوربيين يحتفلون بذكريات رجال الفكر في ميادين الحروب ، ونريد أن نكون [illegible] وأحفظ للجميل

وحين يتفضل وزير المعارف في العراق بسماع هذا الصوت فإني أرجو أن نزور بغداد [illegible] في آخر [illegible] لنشترك في إحياء ذكرى الشريف ، ولنشهد [illegible] الأزهار حول دجلة والفرات ، ولنطوف بدار ليلى ودار [illegible] والله [illegible] الصديق للوكيل برعاية العهود

زكي مبارك

تعليقات على فهرس «عيون الأخبار»

عادة الناس على أن دار الكتب المصرية ، بقسمها الأدبي ، أمثل صور النشر العربية جميعاً ، بما أتيح لها من أسباب القوة ، وما مكن لها من وسائل التحرير والضبط ، مادية وفنية ، من المال والرجال ، ومن جنبات الدراسة حفل بالمراجع الكاملة والمصادر الكثيرة ، ولها الصوت الواسع البعيد الذي يكفل لمنشوراتها ما تتقطع دونه أعناق الناشرين تشوفاً وطماعية .

وما شك في أن « دار الكتب » جديرة — مع شيء من التحفظ — بهذه المكانة التي تتبوؤها ، فقد أسدت إلى الأدب العربي ، وإلى جمهرة المتأدبين والباحثين ، صنائع لا سبيل إلى نكرانها ، قياساً إلى تلك النشرات الأخرى التي منى بها الأدب العربي . وإذا كان بعض الناس يغلو في نقدها ومؤاخذتها بالخطأ المتعمد ، ويتشكك أحياناً في سلامة النشر الفني السديد ، فإنما ذلك على قدر الظن بها ، والأمل فيها ؛ وعلى قدر الرغبة في أن تكون منشوراتها التي تقوم عليها صورة مثلى لما يضطرب به أملنا … من الأخذ في تصحيح الكتب الذي لا يتهاونون ولا يتسامحون ولا يهملون ، فما هو جدير بأدبنا العربي الذي ندين له ، وجدير بالقراء الذين يرغبون … عصره .

ومن نشرات « دار الكتب » التي ترتفع فيها إلى جانب الرصانة في التحري والدقة والتجويد مظاهر شنيعة للعجلة والإهمال والتخبط كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، مما يبعد بهذه النشرة عن الروح العلمي بعداً شاسعاً ، ويدع الذين نقلوا عنها موضعاً غير جدير بهم ولا بمكانتهم من تلك الدار .

وإنما أكتفي من هذه المظاهر المتناثرة في أثناء الكتاب كله بثلاثة مواضع لا عذر فيها لمعتذر ، ولا حيلة فيها لمحتال ، وليس يحال فيها على رداءة الأصل وإبهام الخط وانعدام المصادر واختلاف النظر … بل « خلطات » في فهرس الأعلام لذلك الكتاب ، ومثل هذه الفهارس التي يقال فيها إنها مفتاح العلم ، إن لم يؤخذ في وضعها بالدقة ، كانت شيئاً أشبه بالترف الذي يقوم على التقليد الظاهر ، أو التحرير الذي يلجأ إليه بعض المتجرين التماساً للمنافع المادية ليس غير … لا [illegible] العلم ومناهج البحث .

١ — أول هذه المواضع يتصل بالثوري ، ويبدو أن الثوري في عيون الأخبار مشترك بين اثنين ، يختلف ما بينهما اختلافاً كبيراً ، حتى ما يكادان يلتقيان إلا في هذه النسبة ؛ أولهما أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ، المحدث العظيم ، والورع المشهور بدينه وورعه عن مسالك الهوى ، والمتوغل في ذلك إلى التواري وعفة اللسان ومصاحبة السنة حتى لا يجد الشيطان مجالاً ، ولا ينفذ إليه الشيطان من باب . وأما الثاني ، فهو أبو عبد الرحمن أحد شخصيات الجاحظ الطريفة في كتاب « البخلاء » ، ومن أعلامهم … مادة التصوير ، وسخريته من طبقة « البورجوازي » في البصرة وبغداد . وحسبنا هذا لتمييز أي صورتين متناقضتين جعل منهما ناشرو « عيون الأخبار » شخصاً واحداً ، وأدرجوه في فهرس الأعلام باسم أبي عبد الرحمن الثوري … بالرغم من كل شيء ، وأخضعوا الأمر لقاعدة التغليب … اعتسافاً .. وهكذا أصبح ناشرونا الأفاضل أبا عبد الله سفيان ، بخيلاً لله أبداً !

٢ — وأما الموضع الثاني ، فالخلط فيه أشنع ، والخطأ فيه أفظع ، أو هي المعجزة التي تنسل لها المحراب . وقعت على أيدي سدنتنا الأجلاء ، إذ نرى الكليم موسى بن عمران عليه السلام قد تقاصرت عنه السنون ، فلم ينفض غبار القرون ، فإذا هو من معاصري أبي الهذيل العلاف وسهل بن هارون ! وصدقت بذلك كله القوم .

فكذلك صنع ناشرو عيون الأخبار في الإشارة إلى موسى ابن عمران في خبر جاء فيه أن سهل بن هارون بعث إليه أبياتاً يعتب فيها أبا الهذيل العلاف ، إذ خلطوا بينه وبين موسى ابن عمران (النبي عليه السلام) !

وأما موسى بن عمران هذا فهو بعينه الذي يذكر كثيراً باسم « موسى بن عمران » ، وقد ذكره المرتضى في الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة ، وكثير من أخباره وآرائه في الانتصار لأبي الحسين الخياط ، والملل والنحل للشهرستاني ، والأغاني لأبي الفرج ، وأخبار أبي نواس لابن منظور . كما يرد الجاحظ اسمه كثيراً في كتبه كالحيوان والبخلاء والبيان والتبيين .

٣ — وأما الموضع الثالث فأعجب عجباً وأغرب غرابة ، والخلط فيه من طراز بديع جديد .

على كثيراً من الشادين يذكرون قصيدة سويد بن أبي كاهل التي يقول فيها

رب من أنضجت غيظاً قلبه ... قد تمنى لي موتاً لم يطع

وقد جاء بها هذا البيت يذكر ذلك الشيخ الذي أنضج الحقد قلبه

مزبداً يخطر ما لم يرني ... فإذا أسمعته صوتي انقمع

وكنا نفهم – بكل بساطة – أن يخيل صاحبه في هذا البيت بالجمل الهائج يخطر في مشيه ويضرب بذنبه وقد ملأ الزبد شدقيه، وقد فهمنا — ونستغفر الله الذي تفرد بالعصمة — أن فوق كل ذي علم عليماً، فقد رأى أصحابنا الفاضلون إلا أن (مزبداً) في هذا البيت ليس على ما ذهبوا إليه وإنما هو ... (مزبد) لذلك صاحب النوادر! فهكذا والله سبح القوم فقد أصدروا هذا البيت في فهرس الأعلام ... ما أشاروا إليه من النصوص التي ورد فيها (مزبد) هذا وأخبار الباحثين عنها

وبعد فليس هذه التخطيطات القليلة شكاة موجهة الآتية بدار الكتب ونشراتها جميعاً، ولا ما وجدنا فيها كثيراً من آيات الجهد المبذول في التحرير والضبط، والبراعة الفائقة في التصحيح والتخريج. فنتساءل مع شعبنا الخافتة: كيف يحصر الجهد الفاحص، ويخفى عن القريب الجليل!

م. ط. ع

تعقيب على خطبة وزير الدفاع

ألقى حضرة صاحب المعالي الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع خطبة قوية رائعة في احتفال الكلية الحربية صباح الخميس ٢ ... بمناسبة تخريج طائفة من الضباط الذين أتموا دراستهم. وأشهد لقد قرأت هذه الخطبة في الصحف، فخفقت مشاعري هزة وإعجاباً بما اشتملت عليه من معان وطنية سامية، تبعث العزة والكرامة في النفوس، وتحفز إلى التضحية والاستشهاد في ميدان الشرف!

ومعالي الوزير أديب واسع الاطلاع، حسن الفهم لأسرار البيان، وخطيب بالغ الحجة قوي التأثير، وهو فوق هذا صاحب عقيدة راسخة وخلق متين.

استهل معاليه خطبته البليغة بقوله: «أبنائي الأعزاء، إن موقفي اليوم بينكم هو موقف التهنئة والتبريك، فأهنئكم من كل قلبي، أهنئكم بالنجمة الأولى في سماء المجد والعز، وأهنئكم بالسيف اللامع في سبيل الوطن الغالي.»

«إن من نوجهه سعيد والعناية تامة ... أنها النجمة الأولى التي ترصع بعضها في سماء المجد والشرف، ولا بد من نجوم أخرى وكواكب عاليات.»

إني لأذكر مع الأسف ذلك المشهد المؤذي للكرامة والشعور حين وقفت إحدى الراقصات تلقي متلوية مطلعه

النجمة في كتفك يا حيالي ... والسيف على وسطك حلالي

حبيتك يا ملازم أول

فما كان من أحد الضباط وقد استخفه الطرب إلا أن قام في عربدة واستهتار يطلب الترديد والمزيد، ثم طوح بطربوشه في الفضاء، مرحباً بالنجمة الآفلة والسيف الكليل!

فأين هذا الضابط من أولئك الذين صبروا وجاهدوا ... ذلك الدرس البليغ في تأديب هذه الشارات الرفيعة التي ترمز إلى المجد والعظمة والسمو، فخرجت نفسه بعد ذلك الدرس إلى هذا المستوى الوضيع!

لقد أدرك معالي الوزير السابق أجل الذكرى وأطيب الأثر، حين أمر بعدم حضور الضباط بملابسهم العسكرية في هذه الميادين، وفي ذلك معنى عظيم يجب تقديره وتقديسه، وهو أن الضابط الذي يزج بنفسه في هذه النواحي لا يستحق التشرف بشرف الجندية.

وحبذا لو أتم معالي الوزير الحالي خطوات سلفه ... فلم يقصر هذا الحظر أمراً على الضباط فحسب، بل نافذاً على الجنود أيضاً حتى لا يشاهد بعين الناظر لحظة في بؤر الفجور والفساد جندي الوطن وحامي حمى البلاد في ... الذي يتلوى ... أسمى معاني الرجولة والشرف، فقل ... لو سعد في بعض الليالي والأيام

ويقول معالي الوزير في خطبته السديدة: «لا تمش المتقدم مغروراً يملأ الغرور ويتيه في الخطى، ولا لابساً الزينة؛ ويبعث مقتديه ... وبطشاً ... من التيه الكاذب ... ولكن الجندية — وهي أسمى مراتب الرجولة وأسمى منازل الأخلاق — أكرم على الله والناس من أن تكون هذه غايتها وهدفها!»

مثلي حتى يقول قصيدة، وما أحوج رجال الجيش إلى تدبر

هذه المعاني النبيلة ، والاطلاع على تلك الأخلاق الكريمة ، حتى يستطيع أن ينهض بأعباء القتال ويرى العدو منيل الشتاء ، فنحن في زمن – كما تقول مصالحه – من لم يكن فيه ذئباً كان من الغنم

ثم يختم خطابه بقوله : « أوصيكم بأنفسكم خيراً ، وتمسكوا بالأخلاق التي حفظتكم من الزلل ، ثم أوصيكم بجنودكم خيراً ، وأذكر هذه الوصاة ، فهم حماة الوطن في شدته ، وهم حماة الديار ؛ ومن أساء إليهم فقد أساء الوطن ، وإني أحذركم أن تسيئوا إلى مصر وأنتم حماة ديارها »

وهنا أشير إلى حالة مستهجنة يجري العمل عليها في نظام الجيش ، وهي الإساءة البالغة إلى كرامة الجنود وشرف الجندية ، تلك هي نظام « الرادسة » الذي يفرض على بعض الجنود أن يكونوا خدماً للضباط لا في ميادين القتال وساحات الجهاد ، وإنما في المنازل حيث إعداد الطعام ومسح البلاط وحمل الأحمال ! بل وما هو أحط من ذلك في كثير من الفروض والشؤون

ومن اللازم أن تكون هذه الخدمة مطمح الجنود ومقر هوى الخطورة منهم ، وفي ذلك ما فيه من إفساد الروح المعنوية وتحدير من مستوى الرجولة والشرف ، فيجمل بمقام الوزير الحازم — وهو يوصي بالجنود خيراً — أن يرفع عن أعناقهم هذا النير الذي يورث الذل والصغار ، فلا يفرض عليهم الخدمة في غير العسكر أو الميدان !

إنا نرجو الخير الكثير على يدي معاليه وإنا في محنته الطويلة في ميدان الحرب والسياسة ، وخبرة الشعوب بالتقدير والإكبار ما يزكيه الثقة ويقوي الأمل في خلال المستقبل وعزة البلد

حلوان)   أحمد فاضل ...

زكاة الفطر

عنيت وزارة الشؤون الاجتماعية بصندوق الإحسان في جمعه في مصر بجمع زكاة الفطر ووجه معالي وزيرها إلى الشعب نداء مبيناً يدعوه إلى أداء هذه الزكاة جاء في خطابه قوله :

« إن وزارة الشؤون الاجتماعية حين تحمل في عنقها أمانة الزكاة تدعو إلى عامة المسلمين وتسهم أن يدفع زكاة الفطر في « صندوق الإحسان » الذي جعلته وعاء للخير موافق لأحكام الشرع الشريف ، فهذه أمر وحق الدين بتطبيقه تجرى وتحصل في عهود الإسلام الأول وعصور أئمته السالفة وهي الأن وضع كل مسلم من فيه التقصير في هذه الزكاة وحملها المسؤولية الموكولة إلى وزير الصدقات الذي هو وزير الشؤون الاجتماعية ، وحسبكم أن يحفظكم وزير الشؤون الاجتماعية عبد الله ودعه فيشهد الله ويشهدكم أن يعني ما تزكونه في وجوهه المشروعة

إن فرصة الخير أصبحت من أن تعد مع التسويف وقد علمتم أن أفضل ما تؤدى زكاة الفطر إذا لم تتأخر عن يوم العيد والله تعالى يدعوكم إليه فأجيبوا داعيه وهو يعدكم من الجزاء عليها بأضعاف كثيرة ، وعده الصادق بالمثوبة إلى طاعته »

اكتشاف مصل واق من التيفوس

أعلن المجمع العلمي الفرنسي أن الدكتور « موب » والدكتور « ليميه » توصلا إلى صنع مصل واق من التيفوس وذلك بعد التجارب التي أثبتت أن هذا المصل يحمي الإنسان والحيوان مناعة قوية ضد التيفوس وهو اكتشاف ذو أهمية عظيمة في هذا الوقت الذي يعد فيه التيفوس مرضاً خطيراً في وقت الحرب

العالم المسرحي والسينمائي

مع الأستاذ توفيق الحكيم

الفرقة القومية في عهد جديد

كيف السبيل إلى النهوض بالمسرح ؟

سبق أننا قد أجبنا عن هذا السؤال فيما كتبناه عن (نهضة المسرح في مصر) ، إذ شرحنا في إيجاز جميع العوامل وكل الأسباب التي أدت إلى اضمحلال المسرح ، ثم قيام الحكومة بنصيب في نهضته بإنشاء الفرقة القومية ونصيب هذه الفرقة من النهضة الأخيرة وواجبها حيالها

على أنه ما كاد الموسم يبدأ حتى كانت الفرقة قد انتقلت من يد إلى يد ، وأصبح أمراً واقعاً أن وزارة المعارف قد سلمت مقاليدها إلى وزارة الشئون الاجتماعية ، فهذه الظروف التي أتاحت هذا التغيير الذي سيكون له أثره في سياسة الفرقة ، والذي جعل للأستاذ الكبير توفيق الحكيم إشرافاً حقيقياً على شئون المسرح جعلانا كان من أمر أمنت أن يكون من هو في مكان الأستاذ من المسرح هذا الأثر الفعال في توجيه شئونه

من يحمى الفنون ومن ينصرف في يده يراها ضرباً من ضروب اللهو ولوناً من ألوان التسلية ؟ فالشعب عندنا يذهب إلى المسرح للتسلية ولمجرد اللهو ولا ينظر إلى ما وراء ذلك من غاية وإلى ما بعد ذلك من أثر . كل ما يرجوه ساعة أو أكثر يلعب في دار التمثيل ؛ يضحك ويتندر ويصفق ، كأنما هو في قارعة الطريق ، أو في بيته أو في أحد المنتديات أو المشارب ، أما الفهم الصحيح للمسرح ورسالته ، وأما الرغبة الأكيدة في الإفادة من هذا الغذاء الروحي والعقلي ، فإنهما بعيدان عن تفكيره وميوله ،

ولقد عاش المسرح في مصر خاضعاً لأهواء الجماهير ، حتى في أيام ازدهاره ، وحتى حين أخرج الناس (أوديب) و (هملت) و (لويس الحادي عشر) وغيرها من الروايات الخالدة ، حتى في ذلك الوقت لم يكن إقبال الناس على هذه الروايات ، ولم يكن عددها ملحوظاً عندهم إلا استمراراً لرغباتهم في التسلية ، فهم يجلسون في دار الأوبرا ، وهم يحدقون ويتصورون في هذا الشيء الجديد الذي مر أمامهم ، وفي هذه الشخصيات الميتة التي بعثت في عالمهم ، ولم توجد الرغبة الأكيدة في رفع شأن المسرح ، ولن توجد إلا إذا عهد به إلى أهل المسرح وأبنائه ، ووكل إليهم شأنه وولاة أمره

من يحمى المسرح بعد ؟

هم الفنانون المخلصون الذين لا يضعون في اعتبارهم أن الجمهور يجب أن يسلى ، والذين يعلمون أن رسالتهم أبعد من تسلية هذا الجمهور ، وإنما هي موجهة إلى إفادته وإلى رفع مستواه والصعود به إلى القمة حيث تتفتح عيونه على آفاق من الجمال يراها في صور متعددة من صور الفنون الجميلة تسمو به وبروحه وتكل حواسه به إلى حيث يكشف داخل نفسه وفي غموض الأعماق تلك الإنسانية التي تميزه عن غيره من المخلوقات

* * *

وجهنا إلى الأستاذ توفيق الحكيم وهو خير من يصور هذه الآراء وغيرها ، وفي غرضنا أن نسأله بعد هذا عن السياسة الجديدة للمسرح المصري بعد أن أصبحت مقاليده بيد وزارة الشئون الاجتماعية التي يعمل بها مديراً ... على أننا ما كدنا نقول كلمة أو كلمتين حتى أفاض معنا في الحديث في سلاسة واتزان ... فقلنا إن هذه الشكل من (الرواية) فالفرقة القومية مؤلفة بعناصر هامة عاملة ، وإنه يكفي من رأينا أن بعض العناصر ... خارجية عنها

ويجب أن نضم إليها لتزداد قوة على قوة. وإنما ينقص الفرقة شيء واحد هو (الرواية) التي لم تحظ بالعناية المنشودة في حفلة من أيام.

فقال: سيكون من أول ما نعنى به اختيار الرواية الصالحة، وقد أنشئت لذلك لجنة تمهيدية (مكونة من الشاوري بك وخليل مطران بك والأستاذ الحكيم)، وهذه اللجنة من شأنها أن تنظر في رواية بعد أن عرفت لجنة الفرقة لدى كاتب يجمع المسرح وفنه ووسائله ثم تقرر قيمتها، ونحن نفكر في تكوين لجنة أدبية من المخرجين والممثلين لتقرأ الرواية على نفقتها للجنة القراءة حتى لا تصل إلى أيدينا رواية تافهة، وحتى يكون للمخرج رأيه فيما يخرج، وللممثل رأيه فيما يمثل. على أننا سنضع نصب أعيننا أن تكون الروايات التي تخرجها الفرقة من الأدب الرفيع الذي يتفق ورسالتها، وقد كان من رأينا أنها يجب ألا تخرج عن حدود هذه الرسالة حتى ولو لم يقبل عليها الجمهور الإقبال المأمول. وأستطيع أن أؤكد لك أن الحكومة المثرية ستعين الفرقة على ذلك ولا تطلب منها أكثر من السمو بالفن وتمكين الثقافة من تكوينه، وإن كنا رغبت أن يقبل الناس جميعاً على الفرقة وأن يشجعوها.

ومن رأيه أن الروايات الشعرية الخالدة التي سبق أن أخرجها المسرح يجب أن تخرج ثانية وأن يراها الجمهور كما يسمع القرمة وسوف يرى النقاد فيها لوناً جديداً من ألوان الإخراج والتمثيل فالمخرجون قد أصبحوا غير هم بالأمس، والممثلون كذلك إلا قليلاً. ويجب ألا يقال إنها روايات قديمة بل يجب أن يقال إنها خالدة لا يمل الجمهور من مشاهدتها ولا يكف النقد عن التحدث عنها، وإنك لترى أنهم في أوربا، وهم يهتمون للمذهب الحديث والرواية الجديدة، يعنون بتراث الأدب الخالد، فروايات شكسبير وراسين وموليير وغيرهم مخرجة إلى الشعب بعينه، وهي تخرج على المسارح في كل فرصة والناس يقبلون عليها كأنها روايات جديدة. وعلى هذا فلا بأس من أن تخرج روايات شكسبير وسوفوكل وكورني وغيرهم، ولا ضير من أن يرى الناس هذه الثلاثة بعد الأخرى مثل أوديب والسيد وغيرها.

وكان أحمد أفندي عسكر موجوداً أثناء الحديث بصفته (ناظر التكاميل)، وقد ألقى اقتراحه سؤالاً على الأستاذ حول أن من جديد وأن يقوم بتدريب الكاتب الأديب الممتاز الذي اشتهر بتدريب الروايات الرومانتيكية الفخمة.

وعاد الأستاذ مرسي الحكيم إلى حديثه فقال:

لقد دلت التجارب على أن الرواية الموضوعة لم تصل بعد إلى المرحلة التي نطمع فيها، ومع ذلك فإن الباب سيظل مفتوحاً للكتابات الجيدة لتتقدم على مستوياتها بما تستحقه، ولن نتكلف أبداً أن يصنع لنا رواية مكونة مضطرين إلى قبولها معه. أما الروايات المترجمة فقد صح عزمنا بعد التجارب العديدة التي مرت بالفرقة أن نختارها من الأدب الرفيع قديمه وحديثه وأن نعهد بها إلى مترجمين ممتازين من ذوي شأن معلوم ومكان معروف، وبذلك نضمن نجاح الرواية من كل الوجوه.

هذا وستعنى الفرقة بفن الأوبرا والأوبريت الذي من شأنهما بعد أن مرت عليهما فترة ركود حتى كاد يسدل عليهما النسيان ستراً كثيفاً، وحتى انصرف الجمهور عنهما إلى صالات الرقص واللهو.

وعلى العموم فإن سياستنا ستكون النهوض بالفرقة ومساعدتها المساعدة الحقة على أداء رسالتها. ونأمل أن يكون النقد معنا وفي عوننا، فالفرقة لا تستطيع مقاومة العواصف من كل جانب، وعن طريق النقد سيفهم الجمهور رسالة الفرقة، وسيروض نفسه على تقبل رأي كل ثمرة مما لا يتعين وجوده.

وانتهى الحديث بأن أبدى الأستاذ الحكيم استعداده ورغبته في تبادل الآراء حول هذه الموضوعات وغيرها كلما جد في الأمر ما يدعو إلى ذلك.

ونحن نعتقد أن في تنفيذ السياسة التي بسطها الأستاذ ما يكفل نهوض المسرح وكرامة أهله وتحقيق رسالته.

[illegible] الصغير

الفريد

بدأ عرض رواية (الفريدة) على مسارح سينما متروبول مصر منذ الأسبوع الماضي وسننشر كلمتنا عنها في العدد المقبل.

7me Année No. 333

Lundi 20 - 11 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

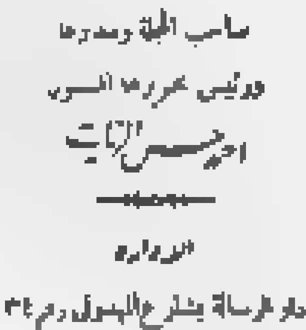

العدد ٣٣٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهرس

في وزارة الشئون الاجتماعية أيضاً

هذا هو المنهاج
فكيف يكون المسير؟

حاولنا فيما سبق من القول أن نرسم لوزارة الشئون الاجتماعية منهاج المنهج الذي تستكمل غايته أن تحشد عليه الأمة وتخص الوجهة؛ ثم تركنا وحدها التفصيل وتوضيح الرسوم وتحديد الحدود وتعيين المراحل. ولكن رسم المنهاج لا يكلف ولا يكلف الوزارة غير ساعات من النظر والفكر والكتابة؛ وإنما عماد الأمر وملاكه أن ينهج السبيل وتنفذ الخطة ويبلغ القصد. ويلوح لي أننا نكلف الوزارة شططاً إذا أردناها على إصلاح الفاسد وإقامة المعوج وهي على حالها الحاضر، ووضعها القائم.

ماذا عسى أن تعمل وزارة موظفوها خمسة عشر موظفاً وليس لها وكيل ولا نظام ولا سلطة ولا ميزانية؟

لقد صدق الأستاذ الذي قال: إن وزارة الشئون الاجتماعية مشروع وزارة لا وزارة. فإن خمسة عشر موظفاً من مختلف الوزارات (كشكولة) جيء بهم من غير رأس، أو كشركة إنتاج من غير مال، لا يستطيعون أن يفكروا إلا في [illegible] أو [illegible] أو مقالة

خادع أو علة تحرج ، أو تصيد الرأي ، ويكون النتيجة وتوفير الفرد ذلك شيء من خلائفه لا يعنيه إليه الوسيلة .

ولقد كان في وزارة الصحة عبرة لوزارة الشئون الاجتماعية لو أنها التمست هداها على ضوء الفرص للنظم والتجربة الماسة والغيرة المخلصة ! فإن وزير الصحة قد فكرت منذ سنين في كفاح للأمراض والأسباب وفرضت الأطباء بحيث تشكل جماعة من الخارج طبيباً ، وستذهب إلى كل جهة من جهات القطر مستشفى ، ولكنها لم تجد المال الكافي لشراء الأدوية وتجهيز العلاج فظل أطباؤها من غير عمل ، وباتت سياراتها من غير حركة .

* * *

إن وزارة الشئون الاجتماعية فكرة موفقة ما في ذلك ريب ؛ وإن الرجل الذي أوحاها علينا بأن يكون صاحب القلم الرفيع في ماضي باشا ، فإن الشهيد رحمه الله رجل تحول يريد ما يقول ويعمل ما يريد . وقد دلت الدلائل في وزارته الأولى على أنه في رأسه خطة مدبرة للإصلاح لا بد من إنفاذه وإن عوق القدر وطال الأمد . ولولا ذلك ما عشنا لهذه الوزارة الوليدة ولما أسرفنا في الرجاء منها والحديث عنها . لهذا نعتقد أنه سيفرغ لها منذ حين قد يطول وقد يقصر ، فيدبر لها المال ويمهد لرجالها سبيل العمل . وليس من الفضول أن نذكره بأن ميزانيتها وسطاً بين ميزانيتي الصحة والمعارف ، فقد عدنا أن اختصاصها يكاد ينبسط على كل شيء في هذا البلد ، على أن المال الذي يعرض هذه الوزارة في ميزانية الدولة هو وحده النصيب الحق لهذا الشعب المسكين من ثروة البلد ؛ فإن أكثر ما يجبى من مورده الوطني المشترك إنما يذهب للحكومة لا للأمة ، وللأغنياء لا للفقراء ، وللمدائن لا للقرى . وجمهور الشعب هو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعماد دفاعه ، فيجب أن يكون هم الحكومة وولاة الأمر مصروفاً إلى تقويمه وتثقيف عقله وتأمين سلامته لا يضنون عليه في سبيل ذلك بمال ولا جهد .

إن رئيس الوزارة الذي يشرع لتقوية القطاع الوطني يكل الروائع لا يعوزه أن يحمي ساعد ذلك القطاع ولا يمكن من العمال والصناع القدرة ومن يقضي على رفاهيهم وتعليمهم من أم ورحمة فقد يقرع بصوته العالي أسماع أولئك الأغنياء والكبراء فيحولوا عن بعض ترفهم وسرفهم المعيشي أسوة بمن يقتربون بأرواحهم وأموالهم في سبيل وطنهم من أصحاب الحقوق والأرض ؛ فإنهم إن فعلوا ذلك — وعسى أن يفعلوه طائعين — أمكن له أن يجد المال الضروري للشئون الاجتماعية ، وعسى أن يتسنى لوزارة هذه الشئون أن تنهض بما أُلقي عليها من تبعة ، وتحقق ما نيط بها من أمل .

* * *

نعم ، هذا هو المنهج فكيف يكون السير ؟ هيهات أن تسير وزارة الشئون الاجتماعية إلا على نسق من عزمها ومال فتى تيسر لها المال وتوفر لها العزم كان عليها بعد أن تمهد الطرق في تنظيمها وتقسيمها على أساس مكين من الخاصة والكفاءة والاختصاص ، بعد الإسراف في حق الموظفين كالإسراف في كثرتهم سواء بسواء ؛ والعدول عن التكلف إلى عهد حقيقة في العمل وإنكار مائدة العمل ؛ ووضع الأمر في غير أهله أقصر الطرق للفوضى والرتابة والفساد ... وبما كان الوزارات الأخرى تجري على سنن من التقاليد الموروثة والأنظمة الآلية والأعمال الرتيبة ، فإن هذه الوزارة الجديدة في وضعها وموضوعها حرية بأن تكون مثلاً يحتذى في اختيار الموظف ، وابتكار الطريقة ، وتبسيط الإجراء ، وبدء المراقبة ، وحسن الترتيب بين قدرة العامل وطبيعة العمل ، وفرض المسئولية على كل موظف تمنع الاستقلال الكامل لكل وظيفة . وتجربة النظم الحديثة في تطبيقها أسهل منه في التقدم الجديد . وتحويل الوزارة القديمة بمصطلحاتها وشهاداتها وعلاقاتها وموظفيها إلى وزارة جديدة بطريق التنظيم ، أشبه في باب المثال من تحويل المدينة القديمة بعمرانها ومصطلحاتها وسكانها إلى عمارة حديثة بطريق الترميم .

وملاك الأمر في الإصلاح الصبر والروية والقدرة والعزيمة والنفاذ ، على أن يكون كل عمل في وقته ، وكل رأي في وجهه ، وكل أمر في أهله . وسداد النجاح في العمل المنظم على الروية والجد . فإذا قضى الله أن يعاجلك الفشل دون تمام ، فخير لك أن تفشل بالصمت لا بالكلام !

احمد حسن الزيات

الشيوخ والسياسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشيخوخة زيادة ونقصان

زيادة في الخبرة والحكمة، ونقصان في الطاقة والهمة، والأمم السعيدة هي الأمم التي تحسن الانتفاع بجانب الزيادة، وتحمي الخطر من جانب النقصان

أما الأمم التي تهملهما إهمالاً على مسرفة معيبة، فقد تفوتها النفع ولا تحسن أن تفوتها الخسارة

* * *

في جزائر الفيلبين، على ما يقال، قبيلة تقتل الشيوخ العاجزين أو تدفنهم أحياء... لأنهم لا ينفعون في حرب ولا صيد ولا عمل وقد يعرقلون أعمال القادرين

أولئك قوم من همج لا يحتاجون إلى الرأي ولا يفتقرون إلى خبر الماضي ومن كل ما يعرفه الشيوخ. فلو بدا لهم أن الشيخوخة ضرر محض ونقص مطبق فلا عجب أن يكثر ذلك بين أمثال هؤلاء الناس

وفي اليابان مجلس الشيوخ المكبرين يجتمع فيه الرجل بعد اعتزاله مناصب الحكم ومعترك السياسة ومطامع الحياة، وقلما يجتمع فيه قبل السبعين أو الثمانين، فإذا أشير بالرأي فإنما يشير به عن خبرة ودراية لا [illegible] طمع ولا ضغينة، أو هكذا يعتقدون هناك في مسائل الرأي الذي يصدر من مجلس المكبرين، وما هم على الصواب كل الصواب فيما اعتقدوه، لأن المرء قد يطمع لغيره إذا بطلت مطامعه لنفسه، وقد يكون طمعه لابنه أو زوج بنته أو نسيبه أشد تمكناً من هواه، وأثقل غشاوة على بصره من الطمع الذي كان يطمعه لنفسه في شبابه

لكن هؤلاء المكبرين ينفعون

ومتى كان لهم بعض النفع فمن الإسراف تعييبهم، ومن الواجب تمييز حظهم بين بعض النفع والضرر جزافاً على السواء

* * *

أما اعتقادي في آخر آراء الشيوخ فاعتقادي أنه فرصة لآخرين مثال حي قد يصدق فيه كل ما قيل عن حماقة وعيوب الشيب من الأعمال العظام، ولكن الذين يحتاجون إلى النصح والاستشارة بكل شيء، لا يضمنون أن يأمنوا عليه، ولا يشكون تصرفه مع حماقاتهم في الهذيان

وقد خطر لي هذا الخاطر يوم نقل البريد الإنجليزي إلينا أقوال لويد جورج وأحاديثه التي يذكر فيها أنه يتلقى الرسائل كل يوم بتسجيل شروط السلام، وأنه يرى «أن تحول الأراضي التشيكية عند هذا الحد، وألا يكون أساس البحث فيه عودة الحدود البولونية والتشيكية إلى ما كانت عليه قبل احتلال الألمان، بل ضمان الوسيلة التي يتحقق بها دوام السلام بين شعوب العالم»

عجيب هذا الرأي يصدر من الرجل الذي ألّب الدنيا على غليوم الثاني، وهو لم يبلغ مبالغ هتلر من إتلاف الشعوب وإهدار العهود وإزعاج الشرق والغرب بالتهديد وراء التهديد، والإرهاب في ذيل الإرهاب

عجبت لشيخ الأمم كلها إلى الحرب كيف يصمم هذا الإصمام، ويركع هذا الارتياع، ويحسب أن الحرب شر من العواقب التي لا تنقطع بها الحروب، ولا يهدأ معها الشر، أو تصح منه عن انتقاء وغضب الشعوب كل سنة تلتفت إليه حيناً يجمع به عوله ويعاد إليه ريبه وتدبيره!

أهذا لويد جورج الذي كان يقسم لا يتركن غليوم حتى يشد بيده حبل مشنقته في العاصمة الإمبراطورية؟

أهذا لويد جورج الذي كان يقسم ليفتشن جيوب الألمان فرداً فرداً عن بقية الغرامات اللاحقة عليهم من غرامات الحرب؟

كلا!

إنما لويد جورج الذي يقول عنه اليوم كما قال شاعرنا العربي:

[illegible] وما أرى بي ... [illegible]

لا ينصح بالسلام إلا كما ينصح الرجل بالعفة إذا خمدت فيه نار الغرام. أو هو كما قال خصومه «لويد جورج في السادسة والسبعين»!

أما لويد جورج الذي شن الغارة العالمية على غليوم الثاني فقد كان رجلاً آخر، لأنه كان لويد جورج في نحو الخمسين [illegible]!

وشتان كل إنسان يحاسب عليه حساب العمران

* * *

ولقد كان هذا الشيخ الكبار أحد أم قبل كل أعظم منه شأناً وأرفع في الخدمة الوطنية رتبة وأخلد سابقة في سجلات وطنه وسجلات العالم بأسره

لأن لويد جورج هزم غليوم

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير

ولأن لويد جورج هزم غليوم في ديوان الوزارة أو على منصة الخطابة

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير الرأي والسيف، وهو كان ظاهراً في الميدان كما كان ظاهراً بعد ذلك في الديوان

ولأن لويد جورج لا ينسى للتجارب السياسية والمضاحك المسرحية

أما أخوه السابق فقد كان مثلاً في صراحة القول وصراحة العمل، وكان نموذجاً من نماذج الفروسية في حروبه الحربية أو حروبه الوزارية

ذلك الأخ السابق كما علم القارئ الآن هو ولنجتون قائد النصر المؤزر

وقد هزم نابليون وهو في الخامسة والأربعين، ثم سمعوه يتحدث عن الحرب فقال بعد أن جاوز الثمانين: «إنه يحمد الله الذي مد في أجله حتى يرى عاقبة الحرب التي تحسم عواقبها ودواعيه» !

وولنجتون في الخامسة والأربعين غير ولنجتون في الثالثة والثمانين

ولويد جورج في السادسة والسبعين غير لويد جورج في الخمسين

ولا بد للشيخوخة من آفة وهي في اضمحلال الحياة

وهذه هي آفة الشيخوخة لا مرية

* * *

على أنها ليست آفة الشيخوخة وحدها ما يرجع إلى صاحبنا لويد جورج

لأن الرجل كان في الخامسة والسبعين قبل عام واحد وليس الفرق عظيماً بين شيخ في الخامسة والسبعين وشيخ في السادسة والسبعين

كان لويد جورج شيخاً كبيراً منذ أكثر من عشر سنين

وكان لا ينفك يرسل من عدو ويحس الوراء من ... وطول: «علامة أن تخوب الحرب وأن ... العالم بل ... من ذلك وأرى أننا نعقد الثقة بأنفسنا ثم لا نكون سلام بعد هذا كله في عالم المطالب»

فالذي يقول هذا في الخامسة والسبعين خليق أن يقول مثله في السادسة والسبعين

نعم، وهذا لا يتغير الإنسان هذا التنقل، ولا ينال من حريته هذا النال

فالشيخوخة على كثرة آفاتها وما تحمله ليست عليها وحدها تبعة اختلاف في الرأي إلى هذا المدى بين عام وعام

إنما هنالك أمور أخرى تحمل عنها وتنسى الشيخوخة إلى آفاتها

إنما هنالك شعور الرجل من قبيل فرنسا في حقوقه منذ كانت سياستها في حرب الأصول سبباً من أسباب ... وزوال ...

وإنما هنالك شعور الرجل من قبل ألمانيا ومن أيقنه في ... وزارته وزعمائها

وإنما هنالك حب الكلام عن ... في الساعة التي يحدث كما يطرون في الكار

وإنما هنالك مشاكل لويد جورج، ولا ... الرجل عن مشاكله

* * *

لقد حوسب الرجل بعد خطابه حساباً عسيراً

حاسبوه على تبريره الخالفة الروسية، وتبريره من قبلها بالمقاصد الألمانية، وتبشيره بكل خطة تخالف ما تحمله الوزارة القائمة، ثم يكون ... من ... ويبدو ... على وجهها قبل أن تنتصر إلى غاياتها

حاسبوه ولم يظلموه

ونسبوا الشيخوخة وظلموها في غير ذنب

وإن يكن للشيخوخة ذنب ففي الشيخوخة شفيع!

عباس محمود العقاد

السراكينوي هم السرويون

للأب أنستاس ماري الكرملي

----

١ — السراكينون لا السراكينوس

كتب حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد الله السعودي مقالة بعنوان (السارا كينوس) في الجزء الـ ٣٣٣ من (الرسالة) ، ونقل حضرة السعودي للأثورة عن غلمور الأول ، ملك الروم ، وهي : « وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) . فسر ذلك : عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وظل تسميتهم عبيد سارة كتب والروم إلى هذا الوقت (يعني سنة ٣٤٥) تسمي العرب (ساراقينوس) . » اهـ

قلنا : إنّ حضرة الأستاذ خُدع بما طُبع من نص هذه الكتب ، إذ نقل (سارا كينوس) أو (ساراقينوس) بمعنى العرب . والصواب أن قد وقع خطأ في طبع هذا الاسم وهذا الصواب هو (سارا كينوي) أو (ساراقنوي) : أي بياء في الآخر في مكان السين . وأما إذا كان اللفظ مختوماً بسين فيدل على المفرد لا على الجمع ، كما هو مشهور في تلك اللغة .

٢ — معناها

وأما أن تقول : معناها عبيد سارة ، فهو من تأويله ... ولم يذهب إليه أحد من العلماء الأقدمين ، ولا من المحدثين . وأسمّ علي أن هذا اللفظ ورد في سلوقية العراقية ، في جولة اللغات ، وكان يوسف مدرس ... مدرس اليونان ؛ فيحضر ... ولو كان معنى هذه الكلمة كما يقول هذا الملك مثل Sara-Kènoi (أي سارا كينوي) ، أي مملوكات أو عبيدات سارة ، لكن لم ينطق أحد من المؤرخين أو المؤلفين بهذا اللفظ ، اللهم إلا أن يكون قد ... تقيل ... لكن يبين أن هذا التأويل خاص بذلك الملك دون غيره ؛ ويدل على قوة مكره ، وتمسكه من اليونانية ، وتلاعبه بالألفاظ والتصرف في التخريج وأوّل هذا التأويل زلفاً من التابعين بالعباد ، وتسليتهم به ، إذ كان في حاجة إليهم وإلى ... في ذلك العهد ، وليس السعودي أول جيال في ... إذاً نقل لا قائل ، والسعودي مؤرخ أمين ... أن ينشر خزعبلات هو بريء منها .

٣ — معالجتنا لهذا الموضوع قبل ٣٥ سنة

وكنا قد عالجنا هذا الموضوع منذ أكثر من ٣٥ سنة ، فأودعنا في المشرق (من مجلات بيروت) في سنة ١٩٠٤ في مجلدها السابع من ٣٤٠ إلى ٣٤٣ مقالة عنوانها (العرب أو الشرقيون) ثم عدنا إلى البحث ، فنشرنا في مجلة لغة العرب ٧ : ٢٩٣ إلى ٢٩٧ مقالاً وعنوانه (السرجون أو السرويون) ، وفي ٧ ، ٨٨٨ و ٨٨٩ أيضاً . وعدنا إلى البحث رابعة فأنشرنا مقالة في لغة العرب المذكورة في ٨ : ٤٨٨ وعنوانها (الشرويون) ، وبينا أن (سرا كينوي) هم الشرويون أو أهل الشراة ، وهو اسم العرب الذين يقطنون الشراة ، وهو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ، وكان من عمل دمشق .

والآن نقول إنّ صحيح الاسم هو السراة بالسين المهملة ، لا الشراة بالشين المعجمة .

وأما كيفية تحوّل السراة إلى (سرا كينوي) فظاهر من أن السراة ... إنما كتبت بحروف يونانية أو رومانية ، كتبت بأو ... عندهم ، فصارت (سرا كينوس) بالمفرد ، و(سرا كينوي) بالجمع ... هذه الترجمة الملك ... وأوّل اللفظ بالوجه الذي نقله السعودي .

هذا هو تأويل اللفظ اليوناني ، وهذا هو وجه تحوله إلى ما تراه وتسمع به .

٤ — ذكر اللفظ غير السعودي

أما قول الأستاذ السعودي (ص ١٩٣٩ من الرسالة) « هذه الكلمة قد سجلها التاريخ في مطاوي عهد عريق جداً ، فالعرب لا تعرفها مطلقاً ، إذ لم تشتهر في تاريخهم وما ورد في ... ولا ... فإذا كان السعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فلا شك أنها ... عليه ... واقتبسها اقتباساً من أحاديث الروم ... أنها غير مشهورة

بين العرب ، ولا جرت على ألسنتهم ، حتى يحملوها كل الحمل ، جيلهم بأسرها »

فجوابي هو : لا يمكن أن تكون هذه اللفظة معروفة عند العرب بهذه الصيغة التاريخية المروية ؛ إنما يعرفون « أهل السراة أو السرويين » . وأما أن المسعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فنحن لا نوافق عليه حضرة الكاتب الفاضل ، فقد ذكرها ابن الأثير أيضاً في تاريخه (١ : ٢٤٠ من طبعة الأزهر) بصورة (سراقينوس) ونقل عبارة شعر رجب ، فقال : « وكانت الروم تسمى العرب سراقيوس (كذا) ، يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل ، فنهاهم عن ذلك » اهـ

ومعلوم أن ابن الأثير جاء بعد المسعودي بنحو ثلثمائة سنة ، فلا جرم أنه نقل هذا الخبر عنه . وكنت قد قرأت في كتاب تاريخ قديم سبق للمسعودي بنحو مئة وخمسين سنة ، وهو لنصراني ذكر (الساراكينوي) فيكون هو أول مؤرخ عربي ذكر هذا الاسم ، فأخذ عنه سائر مؤرخي العرب ، لكني لا أتذكر اسمه ، ولا اسم كتابه

وعلى كل فليس المسعودي أول من جال في هذه الكلمة ، فهو ناقل ثقة ، حجة ، ثبت ، يعتمد عليه

٥ — لماذا سمى العرب سراكينوس أو سرويين

إن الأمة المزاحمة ، الزاحفة على أمة ثانية ، إذا اتصلت بها حديثاً ولم تعرفها ، سمت الجمهرة باسم ما عرفت في الأول ، كما أنه إذا سألت خاوي تجهل اسمه ، فإنك تسميه بعد ذلك بالاسم الذي عرفته به ، لا بالاسم الذي سمته أمه به . فاليونان والرومان اتصلوا بعرب السراة أو السرويين منذ أقدم الأزمنة ، فذكروهم بالاسم الذي سموا هم به ، ثم أطلقوه على العرب جميعهم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كما أن الآراميين لا يعرفون العرب إلا باسم (طائيين) لأنهم أول ما عرفوا منهم ، كانوا من طيئ لمجاورتهم لهم ، واتصالهم بهم ، ثم أطلقوا هذا على العرب جميعهم وإن لم يكونوا من طيئ . ومثل هذه التسمية كثيرة الوقوع في التاريخ

٦ — موقف الساراكينوي للسرويين في كلمتي سائق بعيرهم

إن سنحت في صدرك ما بسطناه لك ، انجلت لك غوامض الحقائق ووجوهها الصحيحة . فقد نقل الأستاذ الفاضل عن الموسوعة الإيطالية : « إن هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً عاماً ينطبق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ، فقد كانت تدل في دائرة ضيقة من التعريف لا تطلق على الشعب العربي كله إنما كانت خاصة بقبيل معين يسكن على شواطئ خليج العقبة في الطرف الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ (ساراكينون) اهـ فهذا يدل في أن هذا الجزء من سيناء هو من ملحقات السراة لا غير

وقول الأستاذ المسعودي : « وأقدم ذكر لهذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي Dioscorids of Anazarabos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « القل » ، فقال : إنه يحدث من « شجرة ساركينية » اهـ قول يحتاج إلى تصحيح فيقال : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة (هو) في كتاب الطبيب المتبحر الإغريقي ذياسقوريدس العين زربي[1] ، من أبناء المائة الأولى للمسيح حينما وصف صمغ « المقل » ، فقال : « صمغ شجرة تكون ببلاد العرب » (عن ابن البيطار في مادة « مقل » ٤ : ١٦٢ من طبعة مصر) وأحسن من هذه العبارة هذه الترجمة : « هو صمغ شجرة تكون في السراة أو في السرويات »

وقال الأستاذ المسعودي نقلاً عن مجلة الإسلام وأنه يصرح به : « وذكر المؤرخ الروماني بلينوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للإغريقي السابق الذكر ، هؤلاء

(١) نقل الأستاذ كلمة من مجلة الإسلام ولم يصرح باسمه ، ووروده للفظه سالماً من التصحيف في جمع الباء ، وقد ذكره في تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ١٨٣ من طبعة الأزهر ، والفهرست ص ٢٩٣ من طبعة أوربة ، فقد قال الأول : معنى اسمه في اليونانية ، شجر الله ، لأن ديسقوريدس شجر ، وريدس ، الله ، أي ملهم الله في العلوم والأشجار والحشائش ، والمشهور من ديسقوريدس أو ديسقوريدس ، كما يكتبها الكثيرون ، لم يكن مؤرخاً بل كان طبيباً وعشابًا ، وصف أحسن وصف العقاقير الطبية ، وقد نقل معظم العرب ما ذكره من الأدوية ومعالجات الطبية كابن البيطار وابن عبد الحرث ، وابن جلجل ، والبيروني ، والجيلي ، والمجوسي ، والمقدسي ، وإسحق بن عمران ، والتميمي ، وأبي العباس النباتي ، وغيرهم

«السراكين»، فقال: «إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية في سكك الصحراء، والتي تتاخم بلادهم بلاد الأنباط!».

قلنا: ولو قيل: «إن السرويين أو أهل السراة هم من جملة القبائل العربية...» لكان الكلام عين الصواب، لأن صفة البلاد التي وصفها بلينيوس هي صفة ديار السرويين تماماً.

ومن مقال الأستاذ المسعودي، وهو مقتبس أيضاً من المجلة الإسلامية: «وجاء على أثر هؤلاء: المؤرخ بطليموس، في منتصف القرن الثاني للميلاد، فذكر بلاد «السراكين» Sarakene فقال: «إنها تقع في بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea، وعيّن مكانها بقوله إنها تقع في غرب الجبال السوداء (أي الطور السود) التي تمتد - بناء على قوله - من ... إلى أرض اليهودية».

قلنا: هذا يثبت ما ذهب إليه وتشبث الهمداني من ... أي أن السراة تمتد من أقصى اليمن إلى الشام».

وأما قول الأستاذ المسعودي: «ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا؛ بل عاد ونقض قوله، فقال في موضع آخر من مؤلفه إن «السراكين» شعب يقيم في ناحية بلاد العرب السعيدة Arabia Felix (كذا وهي العرب Ar. Felix) ويقصد بذلك بلاد اليمن، وزاد على ذلك فقال: إن السكينيين Skenites وقوم عاد Oadites يسكنون لقصد الرحمة، والعرب ... نحو الشمال والجنوب يوجد «السراكيون» و«الثوديون»!».

ثم قال الأستاذ المسعودي: «وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن الصحة كل البعد، إذ لا يعقل مطلقاً أن يوجد مجاورة في المكان بين «السراكيين» و«الثوديين» مثلاً، فأولئك - كما عرفت - مسكنهم حول جزيرة سيناء، وهؤلاء مثاويهم في جبال حضرموت، والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس!!».

قلنا: إن حفظ في ذكرنا السروات، وأنها تمتد من أقصى اليمن، ومنها حضرموت، إلى الشام، فهمنا كلام بطليموس كل الفهم، وبلا أدنى صعوبة، من أوله إلى آخره، ولم نجد ثم أدنى مناقضة، فبعض المؤرخين من اليونان والرومان يتكلمون على قسم من ديار السرويين، وآخرون على القسم الأوسط، ويذكرون على أقصى تلك الربوع، حسب احتياج الكاتب إلى ذكر قسم دون قسم آخر من السراة.

(البقية في العدد القادم) الأب أنستاس ماري الكرملي

بين الإسلام والعروبة

صفحة موجزة من التاريخ

للأستاذ علي الطنطاوي

لما أراد الله أن يتم على العالمين نعمته ، ويختم فيهم رسالاته ، وينزل عليهم (الكتاب) الذي ما فرط فيه من شيء ، ليكون الجامع لكل ما يحتاجون إليه في أولاهم وأخراهم ، اختار للذي يحمله عنه وصل بعثه وكمل حمايته ، اختار الله لرسالته محمداً رجلاً من العرب لا من الروم ولا من الفرس ، فأنزل عليه وحيه ، واختصه بنعمته وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وبعثه في (مكة) أم القرى ، لم يبعثه في (رومة) أم المدائن ، ولا في (عاصمة فارس) ذات الإيوان ، وأمره أن يبدأ بقومه من قريش فينذرهم ، ويبشر الآخرين من هاشم فيضمهم ، وأنزل عليه القرآن كتاباً عربياً لم يجره بلغة روم ولا يونان ، منة امتن بها الله على العرب ، ونعمة أفردهم بها .

وكان العرب على كريم خلائقهم ، وجميل سجاياهم ، وأنهم لم تفسدهم الحضارة التي أفسدت غيرهم من الأمم — في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وتنازع واختلاف ، وذي عصبية جاهلية يقاتل الرجل منهم أخاه على بكرة ، ويواجهه على صخرة ، فإن دعوا إلى جانبه القبيلة ونخلة العشيرة ، وإلى هذا حب التعصب والتكبر والتعصب والتقليد ، ما هلوا قط ، يا للعرب ! فجاءهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يحييهم ، إلى طرح أصنامهم وآلهتهم ، وعبادة الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، وإقامة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة التي تصلح حال الأمة ، وتؤلف بينها ، وتبني ظهرها بما لا يضر بنية غنيها ، وصوم رمضان وحج البيت وشهادة المؤتمر الأكبر في عرفات ، وليستكمل مكارم الأخلاق ، وطرح عصبية الجاهلية ، واستبدال الخلاف والتنازع بأخوة في الله ، ووحدة في الإسلام ، فأجاب منهم من كتب الله له الحسنى ، وأبى من سبق عليه الشقاء ، فصار الناس فريقين مؤمنين وكافرين ، وصار القرآن ينزل بـ (يا أيها الذين آمنوا) بعد أن كان ينزل بـ (يا أيها الناس) ، ولم يبق إلا نسب الإسلام نسب ، وبطلت من دونه الأنساب ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم يقبل كتاباً عمه الأدنى أبي لهب الهاشمي القرشي ويقرأ أبي لهب وتب ، ويقول من سلمان الفارسي الأعجمي : سلمان منا أهل البيت . وتطوي بنت أبي سفيان رضي الله عنها الوسادة عن أبيها وتقول إنه أنت رجس ، وقد كان (رحمه الله) يومئذ على دين قومه ، ويسائر رسول الله في قتل شيخ المنافقين ولده الذي أحضر من صلبه ، ويقول أبو بكر رضي الله عنه لابنه (وكان مع قريش) لو تراءيت لي في المعركة لقتلتك ؛ لا تأخذهم في دين الله شفقة ولا رحمة ، ولا يحسدون رابطة الدين رابطة ولا رحماً ، ويؤيد الله المسلمين بنصره فينصرهم ببدر وهم أذلة ، فيقتلون المشركين ولم يقتلهم ولكن الله قتلهم ، ويقتلهم في أحد ويرحل عن الأحزاب رعباً وجنوداً لم تروها ، ويجلي أعداءهم من اليهود من صياصيهم ، ولبثوا على ذلك حتى أراد الله إكمال الدين وإتمام النعمة ، فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وتم الإسلام لعرب ، وألف بين أهلها (ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) واجتمع المسلمون في حجة الوداع ، وقام صلى الله عليه وسلم فخطب خطبته ، وموعظاً وملقناً ، فقال[1] :

أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ؛ ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت ،

(١) رواية ابن هشام

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟

قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد

وانتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وخرج المسلمون لينشروا دين الله، ويفتحوا العالم، فكانوا يعرضون على من يلقون خصالاً: أولاها أن يدخل في الإسلام فيكون واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم، لا يفرق بين المسلمين اختلاف دم ولا تباين لسان، ولا يفضلون عربياً على عجمي إلا بالتقوى؛ فإن أبى رحمة الله وكره دين الحق، عرضوا عليه الثانية وهي أن يدفع الجزية فيكون له ذمة الله وذمة رسوله وذمة المسلمين، ويكون في حرزهم وكنفهم، دمه محفوظ له، وحريته مصونة، ومصالحه قائمة، وإن عدى عليه مسلم اقتص له منه، ثم إن الجزية شيء لا يكاد يذكر، دراهم قليلة هي دون ما على المسلم من زكاة أو عشر أو غير ذلك، ثم إنها يعفى منها الصبي والشيخ العاجز، والراهب المتعبد. فإن أبوا فقد آذنوا بالحرب. وكذلك فتحوا البلدان، فلم تكن إلا سنوات حتى دخل الإسلام في أكثرها، ولم يمض القرن حتى صارت بلاد العجم كلها مسلمة الدين، عربية اللسان، وخرج من كل مدينة منها علماء فحول كانوا أئمة الدين وكانوا أعلام الأدب وكانوا مصابيح الهدى، وحسبك بالبخاري والرازي والطبري والمروزي والنسوي والجرجاني والأصفهاني والقزويني والفيروزابادي[1] من نسبة إلى بخارى والري وطبرستان ومرو ونسا وجرجان وأصبهان وقزوين وفيروزاباد. حتى كان من أصل عربي أو كان من أرومة فارسية كأبي حنيفة وسيبويه والفارسي وابن سينا والزمخشري من العلماء أو من الأدباء كابن المقفع وبشار وأبي نواس وابن الرومي، ولم يكن فيهم من يرضى أن تقول له أنت أعجمي متجنس بالعربية، بل هم لا يرون أنفسهم إلا عرباً، ولا يجدون شيئاً أبغض من أن تقول لواحدهم: أنت شعوبي. قال الزمخشري أستاذ الدنيا جار الله في مقدمة مفصله: (الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين)

وسبب ذلك أن الإسلام امتاز من سائر الأديان، بأنه دين وقومية جامعة، وأنه سياسة وأنه تشريع (وما كان الإسلام[1] ديناً وجنسية، وقد رفع الحدود بين الأمم التي دخلت فيه، وكره أن تدعى بها بدعوى جاهلية، وسمى أصحابه جميعاً إخواناً، وأفرغهم كتلة واحدة لا فضل فيها لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولما لم يكن بد للمجموعات البشرية من رابطة تتعصب لها وتعتصم بعروتها، فإنه وهو دين التوحيد ودعوة الاتحاد كان لا بد للمسلمين من وحدة عامة، وعصبية عامة، ولسان عام؛ وقد نشأ الإسلام عربياً، وبعث على لسان رسوله العربي، ونزل قرآنه بلسان عربي مبين، فصح عندنا أن يمتزج العرب باسمه، وأن يمتد الإسلام بالعربية، وأن يكون لسان شعوبها الغالبة، وقد نجحت هذه النظرية أتم نجاح، وأخلص الإخلاص للعمل بها، فصبغت العربية ذلك المحيط الآسيوي والأفريقي إلى حدود جبال البرانس في أوربا، وتلك ما يعجب به علماء الاجتماع الآن)

فكان انتشار لسان العرب في هذه الأمم كلها واستعرابها قاطبة من عمل الإسلام الذي جعل العربية لسان العبادة بين العبد وربه، وأوجب على كل مسلم تعلم شيء منها يقيم به صلاته، وجعل فهم القرآن وهو غاية كل مسلم معلقاً على درس العربية وفهمها، وجعل حب النبي وقومه من أصول الإسلام، كما أوجب الحج فتكون هذه البقعة العربية القاحلة وهذا الوادي البادي غير ذي الزرع أحب إلى المؤمن من داره وبلده.

* * *

على هذا الأساس أنشئت الدولة الإسلامية الضخمة، وقامت تلك الحضارة الجليلة وبني ذلك الماضي العظيم، ولا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

(كركوك)

علي الطنطاوي

* * *

تصويب: وقع في أول مقالي (طالب علم) في العدد (٢٢٨) من الرسالة كلمة (يتجاسرون) والصحيح أنها خطأ مطبعي صوابه (يتحسرون) على التعب

---

(١) وأكثرهم وأكثر أعلامهم من أهل خراسان وما وراء النهر، ممن ذكرنا اسم البلدان ومن لم نذكر

(١) هذه العبارة إلى آخرها من كلام الشيخ محمد سليمان رحمه الله

الفروق السيكولوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

[تابع]

كان كونتليان[1] Quintilian الروماني – معلم البيان – بيئيّ المذهب Environmentalist فكان يعتقد أن الفروق السيكولوجية بين الأفراد – وخاصة العقلية والخلقية منها – هي من آثار البيئة. وكان يرى أن التربية تمحو هذه الفروق أو تقلل من أحجامها. وقد بنى رأيه هذا على تجاربه في إصلاح صبيان الجامعين. وهو يميل إلى أن المران قد يعوض على الفرد ما قد حرمته الوراثة. وهو يقول في كتابه « معاهد الخطابة » Institutio Oratoria ما يأتي:

« على الوالد أن يفكر منذ ولادة طفله في أفضل مهنة يريد إعداده لها. لأنه بتفكيره هذا يكون قد وضع نصب عينيه الغاية التي يريد تنشئته لها، فيسمو بذلك نشاطه، وتتسع حدوده في تكوينه وتنشئته من طفولة حياته. وإنه لوهم واهم أن يقال إن قليلاً من الأفراد قد وهبوا الذكاء والقدرة على فهم ما يلقى إليهم، وإن الجمهور من الأفراد تضيع جهوده ووقته سدى بسبب قلة الذكاء وبطء الإدراك. فالحقيقة تناقض هذا الزعم لأننا نجد الجمهور الأعظم من الأفراد قابلاً للإدراك سريع التعلم، ولأن سرعة التعلم ميزة من ميزات الإنسان. ونحن البشر خُصِصْنا بالنشاط والفهم المحكم، لأن عقلنا قد نزل من السماء. وقل من الأفراد من يولد غبياً أو غير قابل للتعليم، كما قل من الأفراد من يولد ممسوخ النفس مشوه الشكل. ويؤيد رأيي هذا أني أرى بذور الذكاء كامنة في نفوس الكثير من تلاميذي، وقد تموت هذه البذور بمرور الزمن. ومعنى ذلك أن ظهور الذكاء وتفتحه رهن بالنماء والمران لا بوجود القدرة الطبيعية فقط. ولذلك سترى فتقول إن تفوق فرد على آخر إنما هو لا امتاز به الأول من مقدرة طبيعية. ذلك لأن تفوقاً كهذا لا يُعترف به إلا إذا كانت القدرة الطبيعية عنده موجهة متجهة، كما أنه [illegible] وجد [illegible] من تجمع بصواب رأيي هذا أن يطلع [illegible] أن سيصبح [illegible] يفكر في مستقبل ابنه، وماذا سيكون، فيحس أن المستقبل يحرص وصيه وبعثه ».

ومن ذلك نعلم أنه وإن كان كونتليان من أنصار مذهب البيئة لا يسعنا الآن إلا أن نثبت أيضاً أنه يعترف بوجود الفروق السيكولوجية الموروثة بين الأفراد. فهو إذاً يقر بالفروق السيكولوجية الفطرية، وبأن هذه الفروق يمكن التغلب عليها بالتربية والمران.

وفي عصر النهضة أخذت دراسة الفروق السيكولوجية بين الأفراد اتجاهاً جديداً في المدارس الإيطالية، ومن المدرسين من [illegible] في توجيه تلاميذهم إلى نوع العمل أو الدراسات التي تصلح لهم.

ويعتبر فيتورينو دافلتري Vittorino da Feltre الذي عاش في القرن الخامس عشر أول مدرس بيداجوجي عملي، كان ناظراً لمدرسته ومدرساً بها. وقد اهتم بمعرفة الفروق السيكولوجية بين تلاميذه واكتشاف أسبابها، وكيفية استغلالها في تكوين شخصيتهم. فدرس ولاحظ ميول تلاميذه الطبيعية المختلفة، ومظاهر هذه الميول، وقد ربهم بالتجربة. وكان يضع لكل منهم منهجاً دراسياً خاصاً، ويضع أيضاً طريقة للتدريس خاصة تتفق وقوته العقلية وموهبته. وهو يقول في هذا الصدد « ليس كل فرد صالحاً لأن يكون قانونياً أو طبيباً أو فيلسوفاً ممتازاً بالذكرى بين الجمهور. وليس كل فرد موهوباً سعة الذكاء الطبيعي ».

ونحن نجد مما سبق عن فيتورينو أنه لم يكتف بمعرفة الناحية النظرية من الفروق السيكولوجية بين الأفراد بل طبّق هذه المعرفة في مدرسته، بل إنه بالغ وأسرف في تطبيق نظرية الفروق السيكولوجية ونتائجها. فكان لا يتردد في أن يطرد من مدرسته أي تلميذ يرى أنه سيء الخلق، كما كان في كثير من الأحيان يحسر البلهاء، أو من تضعف ذكاؤهم بعد حين.

وفي القرن الثامن عشر سادت أوروبا حركتان عظيمتان في فلسفة التربية: الحركة العقلية التي ترفع من شأن العقل وحده

[1] هو Marcus Fabius Quintilian ولد سنة ٣٥ ومات سنة ٩٥ م.

ويدعو إلى العناية بما يوحى به ، وبالحركة الطبيعية وهي التي تجعل للميول والمواهب المحل الأول في شؤون التربية والإصلاح ، والتي تدعو إلى أخذ الطفل بما يوافق حاجاته ويلائم ميوله ورغباته . وتدعو هذه الحركة إلى إعطاء الطفل أكبر نصيب مستطاع من الحرية لتنمية مواهبه الصالحة وقواه الناشئة النامية . وزعيم هذه الحركة هو جان جاك روسو [1] وقد كانت رسالته في التربية (إميل) ثورة على طرائق التربية القديمة التي كانت تحول بين الطفل وبين نمو مواهبه ، وتحد من نشاطه العقلي وتقيده بآراء دينية و جماعية تقليدية .

نادى روسو مبدئياً بفكرة الفردية Individualité ، وبتشجيع المرء على إظهار آرائه ، وإزالة العوائق التي تمنع نموه عن طريق الحرية الكاملة . وهاك اقتباساً من كتابه (إميل) يحث فيه على تنمية المواهب الفردية وتقويتها :

« لكل عقل استعداد عقلي خاص . ووفقاً لهذا الاستعداد يجب أن يوجه العقل . وإذا أردنا نجاحاً في توجيه الطفل وجب علينا أن نسير مع ميوله الطبيعية . كن حازماً وراقب طبيعة طفلك طويلاً ، ولاحظه بحرص وحيطة من قبل أن توحي إليه بكلمة أو إرشاد . دع أولاً بذور طبيعته تترعرع ، واصبر أن تتدخل في نموها إلا قليلاً حتى ترى ثم تتفتح براعمها » . وإذاً فروسو رائد للمذهب ، لأنه يرى أن الفروق السيكولوجية — وهي التي تكون الفردية — طبيعية وموروثة ، وأن مهمة المربي هي أن يرعى ما في الفرد — أي الطفل — من قوى ، ويراقبها ، وهو يحث المربين والكبار على « أن يحترموا الأطفال ، وألا يتعجلوا في الحكم على أعمالهم بالخير أو الشر . ولقد كان من بين الأفراد بعض الشواذ ، فالأولى أن يتركوهم مدة من الزمن حتى تظهر بوادر شذوذهم ، ثم يعالجوهم بما يصلح لها . دع الطبيعة — يعني طبيعة الطفل — تعمل وحيداً ، ويترك لها الزمن الكافي قبل أن تتدخل في عملها ، خشية أن تعطل وظيفتها الناشئة » .

وفي أثناء المراحل الأولى من نمو الطفل سيعرف الطفل نفسه بنفسه ، ويرى روسو أنه « لا ضير أن يترك الطفل وشأنه يفعل ما يشاء ، لأنه قد عرف قوة نفسه ، ومن المستحيل أن يفعل شيئاً لا يقدر على عمله ، ولأنه لا يمكن أن يخرج على حدود قدرته الطبيعية ، وهو يعرف تماماً ما هي » .

ومعنى هذا أن روسو يترك الطفل كامل الحرية حتى تنمو فيه الصفات المكونة لفرديته ، والتي تميزه عن غيره ، فالفروق السيكولوجية إذاً نتيجة النمو الحر للخواص الطبيعية الموروثة عند الأفراد .

ولكن رجال التربية الحديثة لا يشاركون روسو في هذا النوع من التربية المطلقة ، لأنهم لا يثقون بسلامة الطبيعة ومبادئها وحدها ، ولأنهم يخشون إن تركت الغرائز الفردية والميول الطبيعية حرة ، أن تسلك الطريق المعوج كما تسلك الطريق المستقيم . وهم يصفون ذلك المذهب البيداجوجي الذي اعتنقه روسو ونادى به بأنه رد فعل للروح الاجتماعية والتربوية التي كانت سائدة في عصره والتي أهملت النمو السيكولوجي الطبيعي للأطفال .

وكل ما يهمنا من مذهب روسو في هذا البحث هو أن نسجل أنه نبه كثيراً من الفلاسفة والمربين الذين ذكرناهم في هذا المقال وسواهم ، ولفت إلى الفروق السيكولوجية عند الأطفال وإلى ضرورة تنمية الفردية ورعايتها عند الأطفال .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الفروق السيكولوجية بين الأفراد من الحقائق المسلم بها بين المربين وعلماء النفس المعاصرين ، وهم يعرفون بأن تكوين مجتمع الفردية وطرقها تختلف باختلاف الأفراد ؛ ولكن إقرار الحقائق شيء والقيام بتنفيذ مقتضياتها شيء آخر ، ولا تزال هناك صعوبات عدة وعقبات في سبيل تحقيق مقتضيات الفروق السيكولوجية بين الأطفال ، فمسائل التوجيه والتخصيص وطرق التربية الفردية من الأشياء التي يشعر المربون بضرورتها وإن لم يستطيعوا تحقيقها بعد في كل معهد دراسي .

(عن مجلة [illegible])　　　　عبد العزيز عبد المجيد

(1) Jean Jacques Rousseau ولد سنة ١٧١٢ ومات سنة ١٧٧٨م

الثقافة العسكرية
وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد الأحزاب

من وضع النبي الرسول صلى الله عليه وسلم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر
الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة وأصيلا
الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

* * *

من من المسلمين لا يحفظ هذا النشيد؟

كلنا نحفظه ونكرره، ونتلوه جهراً بعد صلاة عيد الأضحى، ولا يزال في الريف من يكرره في موكب عند عودتهم من المسجد إلى القرية. أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يرتله في وسط موكبه من الجند، ووراء الموكب جيش جرار على صدر كل منهم درعه وعلى رأسه اللأمة، وبيده السيف الصلت.

كانوا رضوان الله عليهم أجمعين يمشون مشية المحارب ويتلون هذا النشيد الرصين الذي يعرف العربي كل حرف منه، فهو إن أردنا تسميته بالمصطلح العصري «مارش الإسلام» هو النشيد الذي أعد لسير الجيوش التي فتحت فارس ومصر بعد عشرات من الهجرة النبوية الشريفة

الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده

هذا الكلام البديع ليس بالشعر، ولكنه قابل للتلحين. وقد حفظناه وأنشدناه ولا نزال ننشده في كل عام. وكل الفارق بيننا وبين قائليه الأولين أنهم كانوا يحدونه وفي أيديهم السيوف ونحن نردده وفي أيدينا المسابح، وأنهم كانوا يرددونه وهم يتقدمون إلى القتال ونحن نتلوه ونحن منصرفون إلى البيوت لنتناول الأضاحي التي أمرنا بذبحها للفقراء مستحقات لنا كلها عن عيد موسماً، وأنهم كانوا يتلونه وقلوبهم يشعرون بأنهم يفهمون لكلمة «وهزم الأحزاب وحده» معنى غير الذي نفهمه نحن... هم يفهمون أن الأحزاب هم فلان وفلان الذين رأوهم في يوم كذا من شهر كذا يدعون فلاناً وفلاناً من قادتهم وقد هزمهم الله بأن قتل منهم فلان وفلان وأسر منهم فلان وفلان وأسلم منهم فلان وفلان

«وهزم الأحزاب وحده» كلمة مبهمة نقولها نحن، ونسمة شعبية حرب لنا نحن، ولكنها غير مشفوعة في حياتنا بالصورة الواضحة التي يرسمها المقاتل المجاهد، وغير مشفوعة في مشاعرنا بذكريات الأرحام المنصرفة، والوثبات التي استحالت إلى عداوة، والعداوات التي استحالت إلى أخوة.

ألفنا صوتك ونسمة نسمعها وبعضهم معنى كل كلمة منها ومن النغمة أيضاً، ولكننا بعد ذلك لا نفهم الفهم الكامل لأننا لا نستثير في نفوسنا ذكريات حية وناصعة في حياتنا الشعبية ولا نعرض على خيالنا صوراً رأينا مثلها بالحس

صدق وعده ونصر جنده
وهزم الأحزاب وحده

نفهم كل حرف من هذا ولكننا لم نر النبي كما رأوه وهو يرعد ويقول: اللهم وعدك الذي وعدتني، ولم نسمع أبا بكر يجيبه كما سمعوه حين أجابه وهو يقول: إن الله منجزك ما وعدك [illegible] ولكن أين الذي [illegible] معنى عجب، وأين الذي من قلوبنا الأولى صوره معاني وصوراً وانفعالات. بل لو شئنا قلنا إنه أعطف من [illegible] في [illegible] أنا آخر من ذلك المقاتل [illegible] غير الذي يجري في عروقنا نحن

هذا النشيد إذن [illegible] في [illegible] غير الذي [illegible] نحن وإن لم نختلف ألفاظه، وما قيمة الألفاظ التي لا تنقل نفس الأثر؟

ويكفي أننا نراها لا تنقل نفس الأثر؟

أحسب القول قد انتقل ترتوع بين الإقرار وبين الإنكار، بين الخيال والحرص والإيمان كما ذلك خلال تسجيل الأثر تشكل

فقط قيل إذا تقاصرت ظروف القول. وهذا النشيد كالكل برا آخر يصلح عليه قول أبي الطيب:

ولكن تدرك الأفهام منه ... على قدر القرائح والعقول

ولقد كان للذين دفعتهم إفهامهم إلى دراسة السيرة النبوية دراسة ربطوا الفهم بالوجدان — كان هؤلاء يتأثرون بهذا النشيد حين يسمعونه كما تأثر به أو أكثر من سمعوه إذا انعقب لهم مثل الظروف التي قيل فيها. فطارق بن زياد في جمع الأندلس قال في وسط دلفه:

الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

قال هو ذلك والسيوف في أيديهم يخفق إليهم مثل الإحساس الذي جاله المهاجرون والأنصار وهم على أبواب المدينة في اليوم الثاني الصحوة والنبي والمسلمون يقول إن المشركين قد اقتربوا من المدينة يرجون غزو المسلمين، وإنه يريد أن يخاطر بعض المسلمين بحياتهم فيذهبوا إلى حيث معسكر الكفار ليعرفوا مواقعهم ويعرفوا عددهم ثم يأتوه بالأخبار.

سأل النبي أيهم يقدم على هذه المخاطرة، فتقدم منه الزبير يعني استعداده لها.

ولكن النبي أعاد السؤال فكان الزبير هو الذي أجاب، وأعاد النبي السؤال للمرة الثالثة فكان الزبير هو الذي أجاب. فقال عليه الصلاة والسلام إن لكل نبي حواريين وإن حواريَّ هو الزبير

أجبنة هذه الصورة؟

جبنة ولا ريب، لكن أجمل منها ذلك الشعور النبيل الذي جاش بصدر النبي وجاش بصدر كل جندي من جنوده هو الشعور بأن الأحزاب إن هربت فإن الذي سيهزمها هو الله وحده، ومن الذي يستطيع أن يهزم الأحزاب غير الله؟

إن نصحاً لم يعد النبي بالنصر غير الله. فالله سيهزم الأحزاب لأنه سبحانه وعد بذلك. والأحزاب عدد كبير، ولكن الله أكبر

كذلك تدفقت من فم النبي هذه الأنشودة التي ظل يرتلها في كل حروبه والمسلمون يرتلونها معه

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر
الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة وأصيلا

الحمد لله وحده، صدق وعده
ونصر عبده، وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد

ومنذ عهد أول المهاجرين في الإسلام وهو يملأ الشعور ويملأ صاحب الرسالة التي جعلت الشعر والمواهب الكريمة تواصل القرآن قد صحب الأحزاب العسكرية بهذا النشيد الذي قد صحب به فارس وصحب به مصر وصحب به الشام وصحب به أفريقيا وصحب به الهند وصحب به الأندلس وصحب به بلاد البلقان وصحب به بلاد الحجاز للحروب وأوروبا. ثم ماذا؟ كان حتى يعم سائر العالم لو ظل المسلمون فهماً مشغوفاً بالشعور الديني حتى!

الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

ولكن هل في هذا النشيد ما يدعو إلى القوى الرئيسية ما في أناشيدنا من الألفاظ الحربية كالنار والفداء والدماء؟

لا. لأن معنى الحروب لا يستطيع الانتصار إلا إذا شعر أنه من أجل الحياة يدافع، ومن أجل الرفاهية يهاجم، وأنه في سبيل الخير يحارب، وأن الغرائز التي ستحثه هي الغرائز السامية لا شهوة الدم والنار

عمر الطيب الساسي

في الأدب الإنجليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

الرجل الأول وقف

قابل بول هذه أحلامه، وشعر بنفسه تحن نحوها، وحاول أن يتصل بها ما أمكنه ذلك، لأنه كان يخشى أمه وحبها القوي، وفي الوقت نفسه كانت الفتاة تلح عليه وتبعد الصبر الحديث وغيره، ترى في الحب شعورها المحدود، وترى في الرغبة الجنسية الشر الذي لا بد منه. وكثيراً ما صرحت لبول برأيها في العلاقة الجنسية، وهي ذات موقفها: «إن الزوج لا بأس به، ما خلا هذه العلاقة فلولاها لكان سبباً للسعادة، ولكن ما عسى يكون وليس عليه إلا الإذعان»

ويقول بول: فبدلاً من أن يكون سعادة البيت وينبوع هنائها، صار سبب آلامها وأساس عذابها، فصارت تلقى بول وقلبها وجهة مطرقة، تفكر وتمعن في التفكير، وكلما فعلت ذلك ساءت آلامها وزادت.

* * *

أحب بول مريم وهام بها ولكنه كان يريد أن يحبها حب الرجل للمرأة، ولكنها ما كانت تستطيع التفكير في العلاقة الجنسية، وهي الصلات العادية كانت تؤلمها أيما إيلام. كان بول يفهم ذلك من حبيبته فما يحاول أن يؤلمها أو يصدمها، ويفضل أن يكبت غريزته على أن يجرح فيها تلك النقطة الحساسة. أما هي فصرفت رغبته الملحة إلى حبها حتى دون أن يبديها بكلمة. أدركت الفتاة ذلك فأعطته ما يريد، أعطته إياه وهي تشعر بثقل التضحية التي تقدمها له، ووهبت له جسمها، لا كما تهب المرأة جسمها للرجل ولكن كما تهب الضحية للآلهة ... لم تكن تريد هذه العلاقة الجنسية، ولكنها كانت تريد بول، ولا سبيل إلى الاحتفاظ به إلا إذا أعطته ما يريد. [illegible] تضحية لشخصه والاستسلام لرغبته، ولكن بول [illegible] فلا يحس ذلك [illegible] التي أسلمت به له نفسها. لقد رأيته في [illegible] الأمر حينما رأى فيها مثال الجسم الناضج الصحيح، فشعر بالدم يتدفق حاراً في عروقه، أحس بجسمه يحن إلى الاتصال بها، فتقدم نحوها خطوة واحدة ثم وقف في مكانه لا يستطيع حراكاً. لقد رآها وقد رفعت يديها نحوه في حركة كلها توسل واستعطاف كأنما ترجوه أن يعفو عنها ويتركها دون أن يمسها بأذى أو مكروه. تطلع إلى وجهها فرأى عينيها الواسعتين ترنوان في استسلام وخضوع وترجوانه أن يعفيها من هذه المهمة العسيرة. كانت كالضحية التي رقدت مستسلمة حتى يحين وقت تقديمها قرباناً للآلهة ... فكان كل ذلك سبباً في برود كل عاطفة كان يشعر بها نحوها»

وفضلاً عن ذلك كانت مريم ابنة القرن العشرين تؤمن بتلك النظرية المستحدثة التي تسوي بين الرجل والمرأة، والتي تقول بوجوب مساواة المرأة وتكافؤها في أعمال الرجال، فبدلاً من أن تركز كل تفكيرها في واجبات التربية كانت تحن دائماً إلى ممارسة أي عمل من أعمال الرجال، وكثيراً ما كانت تقول: «أريد لو أتيحت لي الفرصة مزاولة عمل من الأعمال كما أتيحت لكثيرين من قبل. ولعل كل ذنبي أنني خلقت امرأة، إني هنا أبعد ما يكون عن العمل»

ورغم أنها كانت تكره أخص الأعمال إلا أنها كثيراً ما كانت تتمنى لو خلقت رجلاً، وكان مقياس احترامها لأي شخص هو مقدار ما حصله من العلم والدراسة.

وفي الوقت نفسه كان يشعر بول في قرارة نفسه أن حبه لأمه لا يترك له فرصة كي يحب امرأة أخرى غيرها، وكان يعرف أنه مهما أحب ومهما أخلص فحبه لأمه أقوى وأثبت. ومع ذلك كان يتمنى لو صادف المرأة التي تستطيع أن تحبه حباً جسمياً، حباً يستطيع أن يكسر تلك الأغلال التي تقيده بأمه وتربطه بها

ولكن كانت ميريام أشبه ما تكون من هذه المرأة ، وكان هو يعرف منها ذلك ، فكان يحب ويقسو عليها ، ثم يعود يحببها ويقبلها

وأخيراً لم ير بداً من أن يطلب منها فصم تلك الصلة التي بينهما ، فكانت الضربة القاضية التي قصمت حبهما

* * *

وترك بول ميريام واتصل بكلارا ، وعلى العكس من حبه لميريام ، كان حبه لكلارا حباً حيوانياً لا حياة [illegible] ، ففي أول مقابلة له لها رآه يسترق النظر إلى صدرها من تحت ثوبها مشيراً [illegible] عنقها لا تنعطف [illegible] ، ثم رأته وقد انتقل بصره إلى وسط وجهة جسمها ، ويوم ذلك [illegible] حبه في هذه المرة بالفشل أيضا نتيجة حبه لأنه [illegible] عجز عن أن يهبها جسمه كله ، فأعطاها مرة ومنع عنها المرة الأكثر ، وكانت كلارا امرأة ذات تجارب في حبها ذلك ولم تتردد أن قالت له في يوم من الأيام بعد أن اتصل بها مباشرة : « إني أشعر وكأني لم أتصل بك ألبتة ، أشعر كأنك بعيد عن كل البعد »

وفي آخر الرواية ترى الأم مقدار الضرر الذي ألحقته بأبنائها شيعاً ستتقاسمهم ، وترى كذلك أنها منعتهم [illegible] في هذه [illegible] أن [illegible] تجعل من حب امرأة أخرى ، فيتحطم قلبها ويذبل جسمها وتسير في طريقها نحو القبر بخطوات واسعة

ويصور لورنس بموت الأم مآل المرأة التي تسير في الطريق غير الطبيعي ، ذلك الطريق الذي لم تخلق له

وترى في ميريام وكلارا نساء القرن العشرين ، فكل منهما امرأة لا تصلح لشيء سوى حضور المراقص وإقامة الحفلات واستغلال أصحاب الأموال واستعبادهم . وترى شخصيتهما متكررة في رواياته الأخرى تحت أسماء أخرى

فنجد أميلي في « الطاووس الأبيض » وهيلدا في « مثل الربيع » وهيلينا في « المتعدي »

وترى في بول الرجل الذي يخيم عليه المأساة التي أخصب بها أمه ، وهؤلاء يظلون عذارى داخل أشخاص من جديد ، يفتشون عن امرأة ليحبوها أمام أنفسهم لأنفسهم ، ومثالهم [illegible]

ونجد هذه الشخصية كثيراً في رواياته [illegible] فهو سيريل في « [illegible] » وألفريد [illegible] في « [illegible] » [illegible] في « الطاووس الأبيض » [illegible] « الثعبان »

* * *

أما مورل الأب فهو مثال لورنس الأعلى للرجل الكامل ، [illegible] فيه كل صفات الرجولة [illegible] ، وله أشباهاً في الروايات الأخرى ، فهو أنابل في « الطاووس الأبيض » وهو ميلورز في « عشيق لادي تشاترلي »

يتبع

عبد الحميد حمدي

خريج جامعة [illegible] بانجلترا

الأسمار والأحاديث

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

بعد أيام يظهر كتاب «الأسمار والأحاديث»، وهو كتاب صورت فيه ما يصطرع في الحوى الأحق والأحاسيس من أحلام وأوهام، وحقائق وأباطيل

وقد كتبت مقدمة ذلك الكتاب وأنا غضبان: غضبت على أهل العصر بما أخذتهم به أهل، وقد غضبت من بعض ما لاقيت من الأصدقاء والزملاء

ومن حقي على مجلة «الرسالة»، وهي صديقي، أن تنشر هذه المقدمة على ما فيها من قسوة وعنف، لأنها صورة جلية بأهل زماني ولأنها كذلك تؤرخ حياة أحببت فيها قراء «الرسالة» أصدقاء لا يؤذيهم أن يصدق بصحبته وبأنه أشد الغضب

زكي مبارك

* * *

يا قارئ

هل تذكر ما حدثتك به عن رسائل القلوب إذ يقولون إني أثني على نفسي في مواقع مزالقي؟

أنت تذكر ذلك، ولا ريب، لأنهم يعيدون هذه التهمة في كل وقت بغير حساب

فهل ترى من حقي أن أدفع هذه التهمة في ناحية كذلك هداء سخطهم يعيبون؟!

إن الحاسدين والحاقدين لم يتركوا طريقاً إلا سلكوه لينفّروك مني، أيها القارئ، ثم عادوا جميعاً خائبين مدحورين، ولك صافية قلبي والشعور

فهل يؤذيهم أن أقص على القراء ما وصلتُ إليه من التفرّد بودّك، أيها القارئ، فهل كانوا ينتظرون أن يعزّوا ذلك بعدوّي في الحمد والثناء فأعيش في دنياي بلا صديق؟

إن ودادك، أيها القارئ، هو الذي آنس قلبي، وصقل بياني، وهو العزاء عن آمالي في دهري وما لقيت من ظلم وعقوق وما ذكرتُ حبك، أيها القارئ، إلا غمرتْ دموع القلب ومضيتُ عن مكايد الزمان

والآن، وقد لم يبق بيني وبينك [illegible] أني لم أسرف في مودتك ولم أجب ثقتك، ولولا محبتك [illegible] ولقيتك بفضل الكفاح الموصول، وبفضل ما انبعثت من روح قبسته من أضواء الصحيح، في زمن تواضعت فيه المراكز الأدبية بالخداع والتضليل، وبيع الضمائر والقلوب

إليك، أيها القارئ، أقص أحزاني وأشجاني، وأشكو إليك ما عانيت من الزملاء في الشرق والغرب شكوا دهرهم كما شكوت، وتوجعوا من زمانهم كما توجعت، ونالوا من عنت الأصدقاء والزملاء مثل الذي لقيت

فأنا لم أشكُ شكوى الزمان، وإن كنت أحق بالشكوى من بعض الرجال

أنا صورت لك نفسك، أيها القارئ، حتى يخفي عني من أصدقائهم ما يحسبون ليفتنوك مني، فأنت تعرف أني قضيت أكثر من عشرين سنة في خدمة اللغة العربية خدمة صحيحة صادقة، يعجز عنها الرجال «الأفاضل» الذين يحسبون بحيائهم الأعاجيب والأعاجيب، والذين تشهد سرائرهم بأنهم لو كلفوا نسخ مؤلفاتي ومقالاتي ومساجلاتي لانقصفت أعمارهم قبل أن يصححوا تلك الألوف المؤلفة من الصفحات الناطقة بالأفكار والمعاني

المفسدون في زمانك قليل، أيها القارئ، وهم مع ذلك لا يعرفونك إلا في ميدان أو ميدانين، أما أنا فقد خدمتك في كثير من الميادين

نظرت فرأيت اللغة العربية تشكو إلى من عندها مقاييس النقد الأدبي، فألفت كتاب «الموازنة بين الشعراء» وقد طبع مرتين. ورأيت لغة العرب تنتظر من يخلي بعض المؤلفات القديمة فشرحت كتاب «زهر الآداب»، وتداركت في الطبعة الثانية ما فاتني تحقيقه في الطبعة الأولى، فكان صورة من الأدب القديم عصر ومقالة، ثم شرحت «الرسالة العذراء» مصحوبة بدراسات وتعليقات، ثم عولت على إخراج كتاب «الكامل» في صورة تمس الناظرين. وتلك صورة يدركها رجال الأدب، ولم ير من صاحب الأدوية غير أطيب

ورأيت القرن الرابع هو المتحف بين عهدين من عهود الإنشاء، فألفت كتاب «النثر الفني»، الذي يُعدّ عن حق

كتاب في بابه منذ العصر العباسي إلى اليوم، وقضى أن يرجع الحاسدون والحاقدون إلى الاعتراف بأن الرجل الذي كوى قلوبهم وكبودهم أمكن في حياته من الخالدين

ورأيت المجتمع المصري في حاجة إلى من يدله على عيوبه الخلقية والأدبية والعقلية، فألفت كتاب «البدائع» الذي أثنى عليه القراء منذ سنين، وألفت رسالة «اللغة والدين والتقاليد» التي أجازتها لجنة المباراة الأدبية برعاية صدر الجامعة المصرية

ورأيت أن يجهل الناس بعض مصادر التشريع الإسلامي، فنشرت رسالة في تحقيق نسب كتاب «الأم»، وهي رسالة عدها المستشرقون من الآيات، وسينتفع بها رجال الأزهر الشريف

وعز عليّ أن يقال إن شعراء أوربا قد صرّحوا بجمال القول في الوجدانيات فألفت كتاب «مدامع العشاق» ليكون شاهداً على تفوق العبقرية العربية في شرح مآسي الأرواح والقلوب، ومن قبله ألفت كتاب «حب ابن أبي ربيعة» الذي صوّر ملاعب الأهواء في أمم الحجيج

وساءني أن يقال إن راسين هو أعظم من شرح عاطفة الحب فألفت كتاب «ليلى المريضة في العراق»، لأقيم الدليل على أن في كتاب اللغة العربية من يتفوق أعظم التفوق على راسين

وحين رأيت أن الجمهور يجهل الثروة في الدراسات الفلسفية، فألفت كتاب «الأخلاق عند الغزالي»، وكتاب «التصوف الإسلامي»، وهما كتابان لن يجود بمثلهما الزمان، ولو قيل إن كتاب «التصوف الإسلامي» هو خير ما ألف وما سيؤلف في التعبير عن العبقرية العربية لكان أصدق الصادقين

ورأيت الأدب العربي يحتاج إلى من يشرح محاسنه في العقول الأوربية فألفت كتاب:

La Prose Arabe au IVe siècle de l'Hégire

ورسالة

L'Art d'écrire chez les Arabes au IIIe siècle de l'Hégire

وقد كان لهذين الكتابين صدى في الهيئات الأوربية والأمريكية حتى من يهمهم الوقوف على مجد اللغة العربية. ورأيت جمهور أهل الأدب يظنون أن إمارة الشعر في عصر العباسيين لم يظفر بها غير أبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي فألفت كتاب «عبقرية الشريف الرضي»، وهو كتاب سيرضى عنه قوم ويسخط عليه أقوام، ولكنه سيبقى من شواهد الإنصاف الأدبي ولو كره الحاسدون والحاقدون

ورأيت الناس في الشرق يكادون يجهلون أسرار الحياة الأوربية فألفت كتاب «ذكريات باريس» وهو كتاب يشرح ما عانيت من صراع بين الرشد والغي والهدى والضلال

ورأيت الأمم العربية في شوق إلى من يحدثها عما يجب من تقاليد العراق ومن يستثير ما في سرائرها من آلام وآمال، فألفت كتاب «وحي بغداد»

* * *

أترك ما سمحت به نفسي من الدراسات الأدبية في الأعوام الماضية، فالقراء يعرفون من ذلك أكثر مما أعرف، وفي كل عش عليهم أن لي مؤلفات جيدة تصفحت بها على بعض الأدعياء، وأنتقل إلى الحديث عن كتاب اليوم، وهو كتاب «الأسمار والأحاديث» فأقول

هذا الكتاب جديد من جميع الوجوه، ولن يحتاج إلى تزكية أحد من الأصدقاء، فهو حركة فكرية متوثبة يواجه القارئ في كل صفحة، بل في كل سطر، بل في كل جملة، إن لم أقل في كل حرف، وهو مجال للتأمل والتفكر والتندر والاعتراض والاحتجاج

في هذا الكتاب صور عربية لعيوب المصريين، وعيوب من عرفت من الفرنسيين، وسيغضب به ناس، ويرضى به ناس، لأنه سيسجل طوائف من أوهام العصر الحاضر أصدق تسجيل

أنا أعرف أن موتي يوم يجيء سيكون فرصة لقوم كذبوا علي كما كذبوا ولكني مع ذلك حريص كل الحرص على أن أصنع خصوماً أعداء لا تعرف الخلود من أمثال الصادقين فلان وفلان وفلان! وهل في التعدي على الحاسدين من بأس؟ أولئك قوم من الله عليهم بالوجود، وأمكنهم من التمتع بالأنوار والظلال، وحرمهم لذة الإنسان القوي، فليس من الكثير أن أذوقهم ما يقرأون ويشكرون !!

في هذا الكتاب شيء يا أشخاص يؤذون لو عرفت صورهم ، وعرفت أسماؤهم ، فلا يرون وجهي ولا يسمعون أخباري ، ولكنهم سيعرفون أني أكرم منهم وأشرف ، لأني سجلت أسماءهم في كتاب سينقذهم من جحود أسلافهم وأسلافهم بعد حين

عيب كله من أطرف هذا الكتاب

وأنا أحمد بلا زهو ولا كبرياء أني وصلت باللغة العربية إلى ما كان تطمح إليه من « البيان »

أنا أحمد بلا استطالة ولا زهو أني خلقت صورة الأسلوب في اللغة العربية ، وقد صار البيان عندي طبيعة أصيلة لا يشوبها تكلف ولا افتعال ، وما أذكر أني عرفت التسويد والتبييض فيما ألفت من الكتب أو نشرت من المقالات بعد زمن الحرب التي سبقت سنة ١٩١٦

وما أعرف بالضبط ما هي خصائص أسلوبي ، لأني أصدر فيه عن السجية والطبع ، ولكني أعرف بالتأكيد أن الذي يقرأ مؤلفاتي ومقالاتي يشعر بأنه يرى الحياة وحقائقها ، ويشهد مصارع الأحلام والأوهام والآراء والأهواء والحقائق والأباطيل

تلك صفحات من أعمالي الأدبية ، فيها القديم والحديث ، فهل ترى أني وصلت أو أسرفت ؟

وقد مع ذلك عرفت بتعصبي لأمة العروبة والإسلام ، وأساند أعداء الخوارج على العروبة والإسلام شر مساندة ، وقد عرفت من صوت نفر أحسبهم أن يتطاولوا على ماضي الأمة العربية ، وكنت واثقا في الحرب إلى آخر العرب في الشرقين والغربين ، وهدمت من أجل الحق رجالاً يضرون ويحسون ، ويغتصبون ويؤمرون ، فكان انتصاري بجميل الحق هو أقوى ما عرفت به لا نقاد مكايد الناس ومكاره الزمان

ولم أحدثك ، أيها القارئ ، عن تعرضي لشرح من الحقائق الأدبية والفلسفية ، ولم أحدثك بما يحاط بسمعتك ولم أنفس مواقع صوتك ، وأنا صدقت كل الصدق مرأى فريق من الملحدين ، ومرأى فريق من المؤمنين ، وحسبني قوم إلى المتجنين ، وعدني قوم من الصوفية ، وما كنت من أولئك ولا هؤلاء ، وإنما أنا ساهر يبحث عن سر الفناء بعد الوجود ، وما يلي ربي لله لا يعرفه عدو ولا صديق ، وإنما عشت مع ظلام الغيوب التي يملأ حافة الأعين وما تخفي الصدور ، وأنا أتقرب إليه بالصدق في عرض شرائع الهدى ومواقع الضلال

أيها القارئ !

أتراني أسرفت في الحديث عن نفسي ؟

أترى أن الذين يعيشون أحلامهم في سكون وهدوء لم يستطيعوا حرماني من ودادك ؟ كم نالني وعيب من مغرضين أعظم من الرجال ، وكنت في أحرج أوقات الضعف والسقم لا أملك غير التعزي بهذه الكلمات

« إن لي رفاقاً أوفياء في أكثر الأقطار العربية والإسلامية وهم عوني على مصابرة الدهر ، ومكابدة الزمان »

أما بعد فأرجو التصحيح على أيها القارئ ، وأن يشفع عندك إنك أعزّ عليّ من سائر أصدقائي وأصحابي لأنك تنصفني حتى أكثر مما ينصفون ، وقد تفوقهم في رعاية العهد وحفظ الجميل

أيها القارئ !

لم يبق لي بعد الله غير ودادك وعطفك ، ودنيا الأدب تجوز عنك صرف في سراب

ولولا الثقة بك أيها القارئ لكسرت قلمي ورجعت إلى صحبة الناس والعرفان في حياتي ، إن كل سهر الليالي من أجلك أبقى لي من القوة ما أستطيع به الرجوع إلى صحبة الناس والعرفان

ويرحم الله الشباب الذي بددته في صحبة الكتاب والدواة والقلم والقرطاس !

زكي مبارك

مجلدات الرسالة

تباع مجلدات الرسالة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ... قرشا ، و ... قرشا كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين والمجلد الأول من السنة السابعة

ويضاف إليه أجرة البريد والتسجيل ... قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج عن كل مجلد

بين المـــد والجزر

للأستاذ إيليا أبو ماضي

سنجوب في عمر حياة سحيق ... وعبرت قبل أن يكون إمامي

عمر سبق الأمور جميعاً وروى ... ملء الفضاء، ملء المدى المترامي

وأقل منه البحر حين أتيته ... دب من الأضواء والأنغام

ومشى الخيال على الحياة بسحره ... فإذا الهوى في الماء والأنسام

وإذا الرمال أزاهر وواحة ... والشط هيكل شاعر ورسام

وإذا العباب ملاعب ومراقص ... وإذا أنا من صبوة الغرام

أتلمس اللذات غير مفكر ... وأعب في اللذات والآلام

لا أكثر وأخاف أن أكتفي ... متكأ في الاكتفاء سماى

وكأن هتيف أن يحول صلاتي ... وكأن يأبى أن يدوم أوامي

مرت بي الأعوام تغر سفهي ... وأنا كأني لست في الأعوام

كالروح ضحكي، كالضياء ترنمي ... كالفجر هويه كالنسيم هيامي

حتى إذا مضت الشبيبة يحتي ... ودب به للناس إلى أحلامي

صرخ الحبيب به سطا متهكماً ... عبد الفتى سر من الإعدام

حتى متى تحيى بغير نظام؟ ... حتى متى تمشي لغير مرام؟

نسلتني «القلب» وهو مصلل ... فأمرتني وأمرته بسلامي

«صاح بي النفس من سجن الورى»

أنا تائه!

أنا جائع!

أنا ظام!

• • •

وأراد عمري أن يعود سحيقي ... الشط في بحر الحياة الطامي

طويت أحلام الهوى وهربا ... وحسبت حتى أتم أحلامي

وحسبت آلامي انتهت لا أنتهي ... فإذا الفهوم أعظم الآلام

وإذا الطريق ومساوس ومخاوف ... وإذا أنا من حيرة الغلام

أبني الحياة ولم يكن من مطلبي ... وأرى الجمال بناظر متعلم

وأشيد معقل النفس حصناً راسخاً ... وأحد حول الروح ثوب رطام

فإذا أنا ـ والأرض مسكني والسما ـ ... قصرت عبد الناس وسلامي

فصحا بي القلب السجين وقال لي ... يا أيها الملاح خلف صحابي!

القفر الأحلام روض ... جاءنا للاشتهاء والرحيب هواى

أين الهيب ... ومن أين حركاتها ... وعرف في محكاتهم آلامي

وأقل من أحلامها السكرى على ... غلس وأنداء ودموع

لما مضى أن أعب غرامها ... أبى عليهم أن يشب غرامي

الخمر ملء الجام سكرى قد مضى ... شوقي إلى عمر مضى في حلم

أسمعتني الحقل وهو مضلل ... فأمرتني وأمرته بسلامي

أنظر إلى الست ... في أوهامه ... أشتي ونفسي منك في أوهامي

الفال؟ من ذا يشتريه كله ... من طين ... وعظام

«صاح بي النفس سجين المنى»

أنا تائه!

أنا جائع!

أنا ظامي

• • •

لا، لن أرى اليوم من جنازتي ... ميلادي حتى جز أحلامي

إيليا أبو ماضي

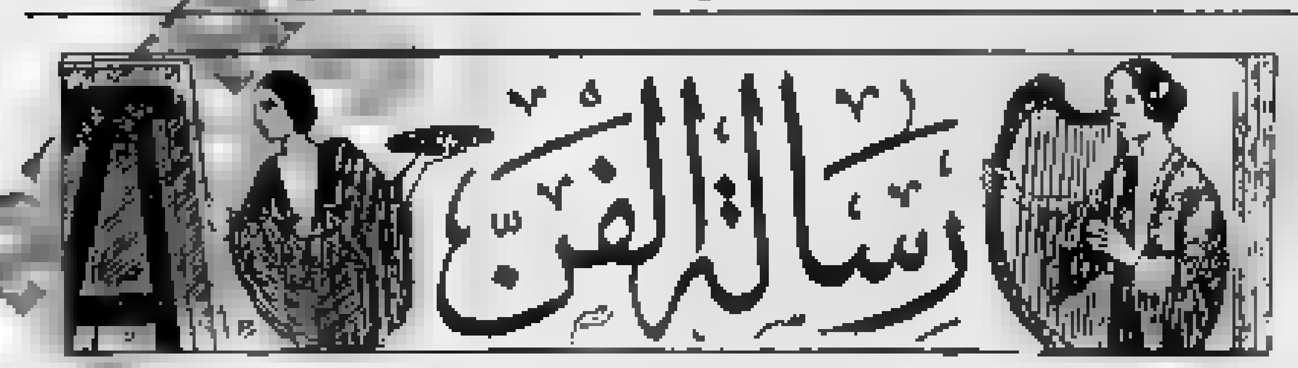

دراسات في الفن

العيد فن الطفولة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

إلى الذين أسعدوني في أيامي الأولى ودوامها، وإلى الذين سعدوا معي فيها فطاب لهم ذلك كما طاب لي، وإلى الذين ودعت أو أسعدتهم بعد ذلك.. حتى شد رجلي

إلى أيام البهجة والصدق إلى أيام النعمة والحب

إلى ربيع الإسكندرية وصيفها

إلى كل ما كان ... محبة للوحدة والرثاء ... يا ليت ما كان عام لولا أني من عاش رأى، ومن يدري فربما ود من رأى لو أنه لم ير ... من يدري؟ عطفك اللهم!

كان العيد عيداً

كنا نفرح من رمضان أو شعبان فكانت أيامه أعياداً، وكنا نعم بأيامه فكانت أحلامنا أعياداً، وكنا نصحو بأحلامنا فكانت أحاديثنا أعياداً. وكان العيد يجيء، وكنا نستغرق فيه، وكان العيد يمر، وكنا نذكره فكانت ذكراه أعياداً. وكانت نشوة العيد تأخذ الروح من العيد إلى العيد حتى لم نكن نحسب أن بين العيد والعيد أياماً ليست أعياداً

حتى جاء عام عرفت فيه إلى أن بين عيد الفطر وعيد الأضحى شهرين وبعض شهر، وأنهما نسبا أسبوعاً ملاحقاً الثلاثة الأيام الأولى منه عيد صغير، والأربعة الأخرى عيد كبير. فكيف صحت إلى هذا؟ وكيف عرفت أنها حقيقة جديدة لولا أني لم أكن أعرفها قبل ذلك، وأني كنت لا أعرف الأيام من الأيام؟

وهل أنا وحدي الذي كنت هكذا؟ لا يمكن ... وإنما كل مثل كل الأطفال. هذا هو طبع الطفولة ... لا تريد أن تعرف من العيد إلا المرح والبهجة والفرح والعيد.. فهل لم تكن تنغص على الحياة آلام؟ كانت آلام ولكن كانت معها دموع تنسيها فتلتقي الروح منها ولا تعود تذكرها

ثم صلب الجلد ... والجلد صبر على الألم، والألم كثير ... فتركت في النفس آثاراً فوق آثار لعلها اليوم من كثرتها لم تعد تصلح علامة لتمييز الأيام من الأيام ... ولكنها صنعت في الماضي كثيراً قليلاً ... عرفت بها في البدء أن بين العيد والعيد أياماً لا زينة فيها ولا كعك ولا عيدية ... ثم عرفت بعد ذلك أن هناك أياماً للمدرسة، وأن في المدرسة حساباً وعقاباً، ثم عرفت... ثم عرفت... حتى عرفت أن من الأعياد ما يقضى بين الجدران ووراء القضبان، وكنت قد عرفت قبل ذلك سجيناً في عيد ولم أرض أن أفكر أن فيه ناساً يعصون العيد، ولم أطلب حتى لنفسي الراحة من هذه الفتنة

كانت فتنة ... ولكنها كانت سعادة ... ولكنها كانت فتنة ... فأي شيء تركت يا رسم السعادة، فهو كأنه من لوازم الفتنة

وأنت تذكر الشافعي! ساقك الموت على مرارة الفتنة، بل إنما ساقك تسعى إلى سلامك

فكيف نكون إذا اهتدينا؟

فنفر إلى المهتدي

كان محمد يلعب مع سبطيه، وكان المسيح يدعو إلى ملكوت الأطفال، وكان في كل قائل من علامات الطفولة وآثارها ما يشهد بأن في الطفولة سراً وأن الناس يضطرون بها، ولا يجحدونها بالستر والتكبت والمعنى، ودون أنهم يتركونها تسمو في حياتهم وتدعى كما تنمو أجسامهم وترضى، لكبروا وكبرت

عند المرء معهم واستطاعت أن تطبع حواسهم بذلك الطابع الذي تطبع به حياة الأطفال ، وهو طابع الصدق ... ولن تكون ثمت غفلة ما دام العقل يصبح شيئاً مشتركاً ، وما دامت هذه البيئة مهيئة في صبغة خصبة من الإيمان إلى عطفة وتأخذ الحروب للعلى التي ناصعة به أمر الفن المهتدى ... وإذا كانت الإنسانية قد عبرت في الماضي أمر الفن هؤلاء يتجردون من أوضاع الناس الآثمة لروحهم عند الطفولة والتزامهم ... إذا آمنت به وامتزجا هي أيضاً نعترف أن محمداً لم يكن يبعث روحه القتال عند ما كان يلعب مع صبيانه ، وأن المسيح لم يكن ... حينما كان ... أنظار الناس إلى الأطفال ويؤكد لهم أنهم أقرب إلى الله والحق من الكبار وأشد به صلة ، وأن موسى لم يكن غضبان حينما استنصره الذي من قومه وكان عدوه بمعرفة ... عدوه فقتله ، فليس عندنا إلا ما يعده الطفل أو البدو رغم أطفال الحروب بين حضارات الشر الكثيرة ، ومع هذا فإن ... التي تقضي عليه حياته بالغضب والتأنيب والتعسف

فأي منزه هي هذه التي في الأطفال ... ويحبب الفن في حواسهم حتى كبروا ... الفن عندهم ، وساروا بعد ذلك هكذا ...

إنها لا شك المرة التي تبعث الفن ، وهي الصدق في الحس ، والصدق في الاستجابة له ، والصدق في التعبير عنه ... وهذا الصدق يتماشى في النفوس كبر الأطفال وهم لا يدرون أنهم كذلك ، وأنهم على حياة كما يقبل صبيان الأطفال مطمئنين مبتهجين ، ولم يكن لهم شغل في دنياها إلا اللعب والتنزه والطرب والبحث عن المتعة ... فتصبح أيامهم عندئذ أعياداً ... كما كان آدم وحواء في الجنة : لا تكليف ولا حساب ، لأن التكليف والحساب لم يجيئا ولم يرتبا إلا بما جد على الإنسان من حياة بعد الجنة ، وما يجد على الفرد من حياة بعد الطفولة ... فهبط آدم وحواء الإنسان إلى الجنة ، وربما عليه رسوماً حتى يعود الفرد إلى طفولته الثانية وهي الشيخوخة ، وربما تنسى عند الإنسان قوة الكبت التي يسقط بها الصدق في نفسه فيظهر الصدق من جديد ويكشفه ويسرى عندئذ في أعصاب متهالكة تركت منها الأكاذيب وآثار الأكاذيب ، فهو لا يختلي من مساوئ الطفولة إلا بمقدار ما لبست عنه في حياته من الشر ومساوئه ، فإذا كان قد عاش في المشكل والفرح فهو في طفولته الثانية كما كان في طفولته الأولى تملأ نفسه البهجة ولا يعرف الوسواس ، وإذا كان قد عاش في الشر والقتل فيا ويله من طفولته الثانية ، وربما أشد الذي يعيش فيها من الصراع بين الصدق الذي طال قهره والذي يريد أن يعيش ، وبين الكذب الذي طال تشبثه بنفسه ثم ضعف فهو لا يقوى على البقاء ... ومع هذا يأبى أن يزول في هدوء

والآن ... هل صحيح أن الطفولة تمتاز بالصدق ؟ وهل صحيح أن الصدق يبعث الفن والفرح معاً ؟

أما أن الطفولة تمتاز بالصدق فإنه من غير شك صحيح لأننا إذا تتبعنا أكاذيب الناس رأيناها تنقسم إلى قسمين : قسم يراد به تحصيل نفع أو دفع ضرر ، وقسم آخر يراد به التسلية والترويح عن النفس ، والقسم الثاني يدخل في باب الفن لأنه تخييل يستكمل به صاحبه شيئاً يحسه ، وهذا لا يؤذي صاحبه ولا غيره إلا أن يجمع الشر ، ويعتمد على استكمال النقص الذي رآه صاحبه . وأما القسم الأول الذي يراد به تحصيل النفع أو دفع الضرر فهو من مستلزمات التكليف والحساب ، فلو لم يشعر صاحبه بأنه مطالب بأداء عمل من الأعمال وأنه قاصر عن أدائه لما لجأ إلى الكذب يستر به عجزه ، ويموه به على صاحب الحق ... أنه قام بما كلف به ، وهو يريد من وراء ذلك أن يتخلص من حساب صاحب الحق ، وهذا شعور يخالف طبيعة الطفولة التي حرمت الأديان والفن بين الطبيعة والقوانين الموضوعة من التكليف والحساب ، لأنها حالة لا تطيق التكليف ولا الحساب

فالطفولة إذن حر عما سواه ... ، والأطفال إنما يتعلمون من الكبير الكذب فيما يتعلمون من ألوان الكفاح والصراع في سبيل الرزق وغير الرزق من مطالب الإنسانية الملونة ، والكذب الذي يتعلمه الأطفال له ثلاث شعب : هذه الشعبة الأولى التي رأيناها تأخذ سبيلها من أنفسهم وتصبغه بصبغة الفن ، والشعبة الثانية تلك التي تنبع من الاستجابة إلى إحساسهم الصادق فتصد بهم عما يحبون ، وتنقل بهم إلى حيث يكرهون متجهين في هذه المحاولات ليست من دس الطفل في شيء وإنما مستمدة عنه الحياة

للفئة التي تختلف المذاهب، والمواطن، والملابسات البشرية المتناقضة للفطرة الناشئة في النفع العاجل والريب. ثم هذه الشبهة القائمة تلم بينهم وبين الحق سداً منيعاً وتخلف أنفسهم عنه، فتمس أسرارهم، ولا يسومونه دون الخوض على حده، وإذا بدوه حسبما تشتهي أنفسهم الكاذبة، وشتان ما بين الحق وبين الذي يشتهيه الكاذبون

ولكي يدرك القارئ مدى الحق في أقرب أدعوه إلى أن يتصور صاحباً له ممن عرفت فيهم الميل إلى الكذب وبيانه والعبث الفني والإسراف فيه، فإذا ما استحضره في ذهنه فإني أطلب منه من يتابع حياته وأن يرى كم يبلغ هذا الجانب الناشئ في أذهان الكاذبين الناشئين؟

أما أنا فأعرف أمثلة عديدة لهؤلاء الذين، وأعرف أنهم أسهل فريسة للكذب والغش مع حرصهم في تدبير الكذب وعلمهم من حيلة الخديعة [illegible] صاحب القارئ مع أمثاله في هذا جاز له أن يعتبرها قاعدة مطردة، وحق علينا أن نستقصي أسبابها [illegible] بجهده الفني إلى أسبابها كثيراً أو قليلاً لأن ذكرها تقدم في الحق المبسط أمامنا من الحديث عن شعب الكذب. فالأصل في الإنسان أن يستطيع التمييز بين ما هو خير وبين ما هو شر، وإذا جاز للإنسان أن يعجز عن التمييز بين الخير والشر مما اختلف من وجه من المخلوقات والموجودات فإنه لا يمكن أن يلزمه هذا العجز في صدد الملكات البشرية التي هي من وجه ومن حيث هو نفس أو روح، وجمهرة الناس نفوس أو أرواح، والتعارف بين النفوس والأرواح لا يحتاج إلى علم ولا تدريب، وإنما هو شيء يحدث بالسليقة والطبع كما يعرف الإنسان القريب يدنو إليه ويخرج به منها فرق الشاء بينهما. ونحن إذا تأملنا الأطفال عندما يجمعهم الظروف لأول مرة بإنسان يعرفون عن بالتجربة أنه خير، أو بإنسان يعرفون عن التجربة أنه شر، وكان مظهر كل من هذين يتشابه إلى حد كبير أو مثير مظهر الآخر... رأينا الأطفال يندفعون إلى الذي عرفوه خيراً، وينفرون من الذي عرفوه شراً، وليس هذا إلا لأن الأطفال أطلقوا لأنفسهم عارفاً يعرفون به وحدة النفوس والأرواح بعضها من بعض، ولا يقيمون بعد ذلك وزناً للاعتبارات الأخرى التي تصرفهم عن الأرواح، والتي تتأثر بها قليلاً أو كثيراً في إصدار أحكامنا على الناس فنصدرها أحكاماً مختلفة، وقلما تستمد من القانون الطبيعي الصحيح وأقلها من عوامل أخرى [illegible] عن، ووضعها الزمان، ووضعها المكان، وربما أكثر [illegible] الكذابين والغشاشين، وما أشد تأثيرها في أحكامهم، وما [illegible] ما يجدون بها من الحق في هذه الأحكام فيحملوا أنفسهم [illegible] يعرفون الناس

هذا من ناحية الإحساس وصدقه

والأصل في الإنسان أيضاً أن يستجيب لإحساسه هذا الصادق حتى يمكن من نفسه، فإذا أحب اندفع إلى ما يحب، وإذا كره انقبض عما يكره، ونحن إذا تأملنا الأطفال رأيناهم يستجيبون إلى هذا القانون الطبيعي أكثر مما يستجيب له غير الكبار، ومهما نعتد على الأطفال الأنانية في سلوكهم هذا فإننا لا نستطيع أن نتهمهم فيه بالخديعة والغش، ثم إن هذه الأنانية هي التي أخذها على الأطفال خصصها علماء الطبيعة شيئاً فشيئاً، وعملوها شيئاً فشيئاً، فالطفل كلما كبر في معيشته أدرك العلائق الخصوصية — لا الزائفة — التي تربطه بالمجتمع الذي يحيط به، ورأى نفسه مطالباً أمام نفسه — لا أمام غيره — بما عليه من حقوق وتكاليف وواجبات وحقوق — فإن رأى من هذا المجتمع عليه حقاً رأى للمجتمع أيضاً حقه عليه. وهذا شيء ملحوظ في مجتمعات الأطفال، التي تتألف بسرعة على الطفل الطاغية الذي يميل إلى قهرها وفرض سلطانه عليها دوراً، وهو ما نخرج عنه في مجتمعات الكبار وغيرها وتنحل وتشتت في القيام به

هذا من ناحية الاستجابة للإحساس الصادق. وهي أخيراً التعبير الصادق عن هذا الإحساس الصادق وهذه الاستجابة الصادقة، وأظن أنه لا أحد من القراء يختلف معي في أن الأطفال يمارسون هذا التعبير على طول الخط، وأنهم لا يتحرجون من مواجهة صاحب العيب بذكر عيبه أمام عينيه وفي مواجهته لا يخشون اللوم، ولا يحسبون حساباً لهذه المجاملات المتعددة التي يحسب الكبار حسابها والتي تحملهم على إخفاء العيوب ثم إخفاء المحاسن أيضاً... ثم التحكم في عرض الحكم على الأشياء وفي ما يجري على هذا الحكم من تنميق يكسبوه، أو يحرصوه ويلونوه

الأطفال إذن هم الذين يعرفون الناس على الأقل — إحساساً

لحظات الالهـــام

في تاريخ العـــلم

بقلم مريون فلورنس لانسنغ

من الأوراق الى الثياب

لأحد الشعراء الإنكليز أبيات يقول فيها إن آدم كان فلاحاً يحرث الأرض وإن حواء كانت غاية تصنع الغزل. ويتساءل هذا الشاعر أين كان أمر الكياسة والظرف في ذلك العهد؟

وإن لم تكن حواء هي أول غازلة أو ناسجة فإن وحدى جاراتها أو صديقاتها أو بنات الحيوان كانت أول من عمل ذلك لأن في النسج كان مما بدأت به الإنسانية في طفولتها. فقبل أن يصنع الرجل من الشائقين في العصور الأولى لنفسه ثوباً من فرو الحيوانات التي يصيدها كانت المرأة مخبوئة قد صنعت من العشب الطويل

أو من ورق الأشجار المفتول أو من الخوص سلالاً تحمل فيها ما تجمعها أكثر مما تتسع له كفاها. وصنعت كذلك من هذه الأنواع حصيراً تعلق بها الأرض الرطبة أو العشب في كهفها أو كوخها. وصنعت كذلك نوعاً من الثياب لستر جسمها

في العهد الذي أصبح فيه جوبال أخو توبال كين راعياً وتاجر سكن الرحالة كانت أمه « آده » وزوجته وبعد إنسانيات في صنع الشك والألياف تصنع الأغطية والحصر التي تصنع منها الخيام. وربما كانوا يخلطون الألياف لتصنع منها جدائل غير محكمة النسج ويمرون هذه الجدائل بين قضبان في قوائم الخيمة لرعايتها

في هذه الأيام الأولى جذبت المرأة بهم النسل لها ولأسرتها كما تهتم بالطعام وبجلب الوقود. بما كان بين يديها من الآلات الصغيرة. تلك الفنون الجليلة التي صارت فيما بعد من دوائر عددها لأنه لا شك في أن الغزل والنسج والصباغة من الفنون النسوية

كانت المرأة أول من استخرج الألياف من نبات الكتان وصنع منه خيوطاً، وكانت زوجة أحد الرعاة الذين يقصدون مراعي البدو فوق الجبال. كانت تلك الزوجة أول من أخذ جانباً من صوف الغنم وصنعت منه ثوباً دفئ به ابنها الطفل. وخطر ببال امرأة أخرى وهي تمد خيطاً طويلاً متيناً من ألياف الكتان أن تضع جانباً من هذه الخيوط على عصا وأن تلف بعضها على بعض حتى يتكون منها خيط متين. فكانت مغزلها هذا أول نوع من المغزل. وكان يدار باليد ثم صار يدار كعجلة الغزل

وكانت عجلة الغزل هي السبب الذي جعل المرأة تعمل على النوع الساذج البسيط للأصواف. ووصفت المرأة الساحرة التي تصنع منها خيوطها في أثناء الغزل في عصارات بعض النباتات لتغير من لونها

كان هؤلاء النسوة اللواتي تحدثت عنهن من نسوة القبائل الرحالة. وفي ابتداء العهد الزراعي وعهد إنشاء البيت كانت أمامها الفرصة للمرأة لتزاول هذه الصناعة ولم يعد أمامها ضرورة تقضي

صادقاً. وهم الذين يستحيون لهذا الإحساس الصادق استحياء صادقاً، وهم الذين في آخر الأمر يعبرون عن هذا الإحساس الصادق في هذه الاستحياءة الصادقة تعبيراً صادقاً. والأطفال منها صنفان. وهم بهذا أحب إلى الله من الكبار المكذبين. ومن كل الكبار كذابون إلا من أطلعهم ونحن الكتاب المتفاوتون، أولئك الذين يحورون إحساسهم، والذين لا يعصمهم من غلبة هذا الإحساس مانع، والذين يعبرون عنه في صدق ويحورون كالأطفال لا يعنيهم أن يسخط الناس عليهم أو أن يرضوا. وهم بهذا أغنياء الرجال، وحياتهم على الأمر من الشقاء الذي يظهر لك فيها حياة سعيدة لأنها حياة طبيعية تجري على سنة الله الأولى وفطرته

عزيز أحمد فهمي

بالاكتفاء بالمواد الخشنة التي تجدها في المتقدم بل أصبح في وسعها وراءه الكتان والقطن فتكون ثيابها أرق وأحسن وزناً مما يصنع من الصوف. وأصبح على الرأى أنه لما صارت الحاجة إلى صوف عنده مثل الحاجة إلى طعومها في السوق

وفي الكتاب المقدس أقصوصة تدل على أن ميشا ملك مؤاب قد دفع لولاة ملك إسرائيل جزية صوفاً مائة ألف حمل ومائة ألف كبش وقد كان حذق النساء صناعة للمنسوجات الصوفية مما يجعل لها فيه تجارة

وفي سفر الأمثال من الكتاب المقدس صورة حية لامرأة منتجة في عهد كان قبل سنة ٧٠٠ عام من التاريخ المسيحي، وكان كل ما عرفها خاصة إليه من الفنون خصباً مستطاباً. وهذا الوصف جاء في لسان ملك لموئيل الذي علمته أمه ما ينبغي أن يكون عليه المرأة التي تصبح زوجة له. وهذا وصفها: هي التي تبحث عن الصوف والكتان وتعمل بيدين راغبة في ذلك وهي التي تمسك بالمغزل وتمسك يداها الفلكة وتبسط يديها إلى الفقير وإلى الله تمد وهي لا تخاف على منزلها من الثلج لأن منزلها مفروش بالبساط القرمزي وهي التي تصنع أغطية من الدمقس وتتخذ ثياباً من الحرير والقماش الأحمر »

الإمبراطورة الصينية ودودة الحرير

إذا كنت فتاة صينية مسرورة أمها بتربية دود القز لأمك فإنك ستصنعين سروراً من جمع ما لا يحصى من ورق التوت لإطعام هذا الدود الجائع. ولكنك إذا شكوت إليها فإنها ستقول لك « إن كانت الإمبراطورة العظيمة المقدسة تتعهد بيديها دود القز، وهي فتاة، فأي سبب لا يجعل ذلك مقبولاً منك ؟ »

عند ذلك تطأطئ الرأس في خجل وتقول: « كلا يا أمي لن أشتكي من هذا العمل بل سأؤديه في سرور »

ولكن عند ما تنتهي الفتاة من عملها هذا تتوسل إلى أمها أن تقص عليها قصة الإمبراطورة ودود القز. وهذه هي القصة التي ترددها الأم

« منذ أجيال طويلة عند ما كان كل سكان العالم همجاً كان الشعب الصيني وحده شعباً متحضراً، وقد تحقق مثل هذا الأمر، وهذا هو عصر الشمس الذي نزل فيه الإمبراطور الأصفر هوانج تي من السماء وولى بنفسه الحكم في هذه الأرض

وكان هوانج تي حكيماً رحيماً في حكمه، واستطاع من أجل شعبه أموراً كثيرة فوضع للتجار قواعد للموازين والمكاييل والمقاييس لكي لا يخدع الفقير من الصينيين عند ما يشتري الشاي أو الأرز بمقدار الذي شاء فلا ينخدع من الغني، وعلم سكان الشواطئ الجنوبية كيف يشقون الطرق وبذلك أصبحت الصين متصلة بواسطة السفن التي تجري في الأنهار ناحية وأخرى

وفي أثناء هذه الحكومة الطويل استكشفت المعادن وصنعت الأطباق من الخزف لأول مرة، ورأى الشعب الصيني كله في عهد هذا الإمبراطور الأصفر سبيل الخلاص الذي عاش مائة عام على الأرض وبارك حكمه

ولكن مع أن هوانج تي كان أعظم العواهل فإنه بكل ما أوتي من حكمة وبكل ما أداه من عمل لم يعمل من أجل مستقبل البلاد ورخائه مثل الذي عملته زوجته المحبة الصغيرة «سي لنج شي» التي عطرت بحديقة منزلها وأحدثت ثراث دودة قبيحة الشكل في تلك الحديقة

كانت حديقتها حافلة بأشجار التوت وهذا هو السبب في كثرة دود القز بها لأن ذلك الدود يحب أوراق التوت كما يحب الفتاة الحلوى

وكانت تلك الإمبراطورة الصغيرة لا تزال أي طفلة فكانت تستظل بأشجار الحديقة من حرارة الشمس

وفي أحد الأيام جلست في ظل شجرة وأنصتت، لأنه كان يصدر عن تلك الشجرة صوت كأنه صوت تساقط ماء المطر، هذا على أن الشمس ساطعة في السماء. أصغت الإمبراطورة وراقبت ثم رأت أن الديدان الصغيرة التي كانت تراها من قبل متسلقة الأغصان والتي كانت تكرهها لأنها تأكل الأوراق، ورأت تلك الديدان وقد كفت عن تناول طعامها وأخذت تنسج لنفسها لباساً وأخبرتها أمها أن هذه الديدان ستمر في مثل هذه الحالة ثلاث ليال وثلاثة أيام وأنها تنسج نسيجها في داخل هذه الشرانق وقاية من الهواء ومن الشمس وتنام شهراً كاملاً ثم تنقلب في نهاية هذه المدة شيئاً من الفراشة وتطير، لأنه ينبت لها في مدة سباتها أجنحة وتتحول إلى فراشة جميلة

وكانت سي لنج شي لم تر إلى ذلك العهد فراشة تخرج من الشرنقة، فراقبت الدودة ثلاثة أيام كانت في أثنائها منكبّاً على عمله، فلما انتهت هذه المدة سقطت الأصولة التي كان يحتضنها بسعفه ونفذ ملفوفاً إلى حديقة وأخذت الأمبراطورة تعد الأيام التي تخرج الفراش في نهايتها من الشرنقات

ولما عاد الصبر إلى الاكتمال مرة أخرى خرج من الشرنقات مئات من المخلوقات الطائرة الرقيقة الأجنحة، ولكن الأمبراطورة لم تكن مهتمة بهذه الفراش بقدر اهتمامها بالنسيج الذي نسجته الدودة حول نفسها، وكان على أرض الحديقة عشرات من هذه الشرنقات الشبيهة بالصدف فالتقطتها ومكثت على دراستها وسحبت خيطاً رقيقاً هو الذي نسجت منه هذه الشرنقة

قالت في نفسها: «هذا الخيط البديع أرق من الخيوط التي نسجت منها ثيابي فليتنا نستطيع عمل خيوط بهذه الرقة»

وأخذت سي لنج شي تحت مراقبة بهذه الشرنقات تجربة الخيوط وقد لاحظت مبلغ نعومته ومبلغ رقته، ثم خطر ببالها خاطر جعلها تسأل نفسها: ألا تمكن صنع خيط مشابه لهذا؟ ولماذا لا تأخذ بعض هذه الخيوط التي صنعتها الديدان وتنسج منها ثوباً لنفسها؟

ولما جاء الموعد التالي لظهور دودة القز ذهبت الأمبراطورة الصغيرة إلى الحديقة، ولكنها في هذه المرة لم تقتصر على المراقبة، بل كانت تأخذ الشرنقة وتحاول حل الخيط على عكس النظام الذي كانت تلفّه به الدودة وذلك قبل أن تثقب الدودة جانباً منه لتخرج منه

في البداية انقطع الخيط في يدها ولكنها سرعان ما عرفت أنها إذا غمست الشرنقة في ماء حار فإنها تقتل الدودة ويسهل حل الشرنقة

وكان مقدار الحرير الذي يستخرج من الشرنقة قليلاً جداً ولكنها كانت كلما انتهت جمعت الشرنقات حتى أصبح لديها أكداس فوق أكداس منها. ولما وضعتها في الماء الحار جمعت آلاف الخيوط على هذه الطريقة حتى اجتمع لديها قدر كبير من هذه المادة الناعمة. ثم حملت هذه الخيوط إلى منسجها الذي كانت تنسج عليه الكتان والصوف ونسجت قطعة صغيرة من هذا الحرير الصيني اللامع

من أجل ذلك يحتفل كل عام بالعيد الذي يقام في الوقت الذي تظهر فيه أوراق التوت ويصلي أنا وأب وجدتك وأبوك وعيدك — للأمبراطورة سي لنج شي التي نعيد ذكراها لأنها علمتنا وعلمت اليونان قد اكتشفت سر نسج الحرير وهكذا أصبح لهذا السر

وربما سألت الفتاة أمها هذا السؤال: «وهل حفظت كل إنسان بعد ذلك بصنعه القز؟»

فيكون جواب الأم: «نعم لما عرفت سيدتنا الصغيرة أن الأمبراطورة تحتفظ بهذا الدود وتعتني به وتحميه من كل ما يؤذيه، وقد اعتادت الأمبراطورة أن تخرج إلى الحديقة ومعها أدوات معينة لتقطع أوراق التوت وطبق من الذهب تضعها فيه، وسمحت لهؤلاء السيدات بأن يخرجن إلى الحديقة كالأب وأصدقائي من قصره بجمع هذه الأوراق، وقد رغب الشعب كله في أن يمثل الذي يؤديه أهل البلاط، ولم يمض عهد طويل حتى أخذ الشعب تربية دود القز، ونسج حريره على المناسج، ولبس كل الأغنياء ثياباً من الحرير، وكذلك صنعوا منه أحزمتهم وتصنيعه أثاثهم وألحفتهم

وقد تسأل الفتاة الصينية الصغيرة: «ولكن أليس كل إنسان في العالم يحتفظ بدود القز؟»

فتخبرها الأم بقصة الاحتفاظ بسر دودة القز وبسر نسج الحرير الذي خرجت مدة ثلاثة آلاف عام في الصين

السر المصون ثلاثة آلاف عام

هل تظن أنه في وسع شعب كامل أن يحتفظ بسر ما مدة مائة عام أو مئتين؟

هل تظن أن نساء ورجالاً وأطفالاً يعرفون كلهم ذلك السر وأن الأجانب الراغبين في معرفة السر والآتين من بلاد بعيدة يمشون في الأسواق ويطوفون بالمدن متجسسين على هذا السر ولكن أحداً منهم لا يستطيع أن يكشفه؟

هذا هو الذي فعله الشعب الصيني بسر الحرير ثلاثين قرناً ثلاثة آلاف عام

كان الصينيون في العهد الأول من إنتاج الحرير شديدي الزهو بالصناعة الحديثة التي ابتكروها فكانوا من أجل ذلك شديدي الغيرة وحماية هذا السر، وأصدر الحكام قوانين تحرم على أي إنسان إخراج الحرير من بلادهم. والتجار الأجانب أن يشتروا ما يريدون من الشاي والتوابل والأرز ومن الحرير ومن الصدف المطروق ومن كل ما تنتجه الصين من الصناعة. ولكن

ليس لهم من النسيج اللامع الحريري إلا أن ينظروا إليه ناعمين طامعة بأن عهد الحرير لم يكن ليدوم

وكانت القوانين الصارمة لا تكفي لمنع التجار من تهريب الأقمشة الحريرية من حدود الصين فخرج الحرير من الصين حتى في العهد الذي كانت فيه القوانين صارمة وزاد نشاط المهربين زيادة مطردة في القرون الأخيرة لازدياد الاتصال بالشعوب الأخرى

وكان بين الصين وبين إيران طريق ينقطع بين الجبال ويقول بعض الناس إنه أقدم طرق العالم، وقد بدأ ضيقاً صعباً لا يتسع إلا لمرور رجل واحد فمن أجل ذلك كانوا يمشون فيه صفاً، وعلى التدريج كانوا ينظفونه من الصخور والأحجار التي تعوق السير فيه حتى أصبح أعظم طريق للقوافل في العصور القديمة، وهو الطريق ما بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى، وهو الطريق الذي مكن أهل البلاد المجاورة للبحر الأبيض المتوسط من الحصول على المصنوعات الحلية من الصين ومن الهند

ومن هذا الطريق كان التجار يهربون الحرير من الصين إلى الأغنياء في مصر وفي آشور وفي بابل وفي فينيقيا، ومع كثرة ما كان المهربون يهربونه من كميات الحرير التي تؤخذ سراً أو تشترى خلسة فإن سحر الغرب لم يعرفوا سر دودة القز

وجاء الإسكندر الأكبر وكانت فتوحاته تشمل العالم كله، وفي أثناء قيادته جيوشه في مناطق الشرق في القرن الرابع قبل المسيح رأى ثياب القطن في الهند فنقله إلى اليونان، ورأى الثياب الحريرية يرتديها سكان الصين فأتى بشيء منها إلى بلاده وذهب إلى الأماكن التي يصنع فيها الحرير فلم يكتشف سوى كيفيات من المنسوج بل نقل كميات هائلة من مادته الخام من مصنعها، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يعرف من أين تأتي هذه المادة الخام

هذا هو سر الصين الذي كتمته طول عمرها والذي لم يستطع معرفته حتى ذلك العالم الإسكندر

وكان الرومانيون في بداية العهد المسيحي يختالون بعصورهم في ثياب حريرية اشتروها من تجار الفرس، وقد شاع بينهم الأمر أن ملوك النسيج الصيني يستخرجون خيوط الحرير ويأخذون نسيجها من أوراقهم ولكن هذا السر كان كبير التعقيد إلى أقصى حد

وكانت القوانين في الإمبراطورية الرومانية تحرم لبس الحرير على غير النبلاء وقد رفض الإمبراطور أورليان (٢٧٠ — ٢٧٥ قبل المسيح) أن يلبس الحرير أو أن يسمح لزوجته بلبسه لأنه غال جداً، وكان يدعوه باسم «الهواء المنسوج» ووقفت إلى الوقوف السيكلة الأخرى التي كان الرومانيون يحتسبونها بيانها

وأخيراً أفشت سر الحرير أميرة صينية فتوقف بذلك حرمة القوانين، كانت خطوبة تلك الأميرة حوالي سنة ١٢٠ قبل المسيح وخطيبها الملك هو خوتان. ولكن يبدو أن أميرات الصين لا يستغنين عن الثياب الحريرية دون غيرها فبعث إليها بأن الملك وإن كانت له شهرته بغناه فإنه لا تستطيع أن تزودها بشيء من الحرير فخاطرت مخاطرة جسيمة عند سفرها إلى منزل زوجها فخبأت في زينة شعرها بذور شجر التوت وبيض دود القز وكانت تصمد دون أن يقسمه في ارتكابها الجريمة التي عقوبتها الإعدام

ولما وصلت إلى البلاد التي اختارتها وطناً لها بدأت بزراعة التوت وتربية دود القز

ولكن سحرة الصين الذين يلازمون زوجها رأوا ما صنعته ولم يكن في وسعهم أن يسألوها لأنها أصبحت مسيطرة على بلاد أخرى وكانوا لا يزالون يريدون الاحتفاظ بالسر، فأخبروا زوجها الملك بأنها ربت الثعابين السامة فأمر الملك بإحراق المكان الذي تربى فيه دود القز معتقداً أنه ثعابين

لكن السر تسرب إلى الهند في بداية العهد المسيحي؛ ففي سنة ٢٨٩ بعد المسيح ذهب أربع فتيات صينيات إلى اليابان لتعليم اليابانيين تربية الدود. ولكن إلى سنة ٥٠٠ بعد المسيح كان صنع الحرير لا يزال مجهولاً في القسطنطينية وهي يومئذ عاصمة العالم الغربي، وكان الإمبراطور جوستنيان الذي يتولى شئون الإمبراطورية في القسطنطينية رجلاً ذا مشاريع كبيرة مولعاً في تنشيط الصناعة، وكان كالإسكندر الكبير دائم البحث عن شيء جديد مما يصنع في البلاد الأخرى. وقد أتى اثنان من الرهبان الفارسيين ومن أصحاب المذهب النسطوري المسيحي إلى القسطنطينية بعد أن عاشا في الصين سنوات كثيرة. وعلى طول مدة الإقامة ما لا بد أن يعلماه من خلال مدة إقامتهما هناك من سر هاتين الصناعتين: إنماء شجر التوت وتربية الدود

فسمع الإمبراطور قصتهما فاستدعى اهتمامه ووعدهما على الوعد بأن يعاونا عند عودتهما إلى القسطنطينية في المرة التالية حمل شيء إليه من بيض دود القز. وفي سنة ٥٥٥ عاد الراهبان وقد خبآه في عصوين مجوفين من القصب. وقد انتشرت الصناعة في القسطنطينية منها المسيحي تحت إشراف الراهبين. ووضع الدود وراثة وأخرج

من هنا ومن هناك

ماذا اتفقت روسيا وألمانيا

[ملخصة عن مجلة «كرستيان ساينس»]

أصبح العالم اليوم يشاهد روسيا وألمانيا تشتركان جنباً إلى جنب في خريطة أوربا السياسية ، وقد يكون في ذلك شيء من الغرابة ؛ ولكن الأمم من قبل قد أرتنا مثل ذلك

منذ عام ونصف ونحن ننظر إلى تلك السياسة التي ترمي إلى تقوية موسكو وبرلين ضد قوى أوربا الغربية المتحدة

وليس هذا كل ما في الأمر ، فقد رأى هذان الرجلان المختلفان في الرأي والمبدأ أن يخضعا المبادئ والآراء ، لضرورة الظروف الواقعة ؛ فاختلاف المبادئ لم يكن له أثر يذكر في توهين العلاقة التجارية بين روسيا الغنية بالخامات وألمانيا الحافلة بالمصانع والآلات . كما أن اختلاف الآراء والنظم السياسية لم يكن ليحول دون هذا الاتفاق ؛ وقد كانت الصلات السياسية والحربية بين موسكو وبرلين مبنية على قواعد وأسس وطيدة الأركان ، حتى ظهر هتلر ، وأخذ سلطانه في ألمانيا ، فتغيرت الأحوال ، وحل الشقاق محل الوئام ، وبادل كل من الدولتين صاحبتها الريبة ضد الأخرى ؛ وسمعت الإهانات من الجانبين

فنحن حين نذكر الاتفاق الروسي الألماني ، معذورون بأن نذكر كلمة قالها سياسي فرنسي عظيم في هذا الاتفاق : «لقد عجبنا ولكننا لم نفاجأ»

على أن ألمانيا وروسيا وإن اختلفتا في المبدأ ، فإن بينهما أواصر من التشابه تجمعهما في ميدان واحد . وتتجلى هذه الناحية في الوسائل لا في الفكرة ولا في العقيدة . فكلتا الدولتين تعمدان إلى أغراضهما من طريق القوة ، وكلتاهما تستخدمان أشد أنواع الإرهاب للاحتفاظ بكيانهما ، وكلتاهما لا تعبآن باحتجاج الرأي العام أو تشعران به ورعاً ، وكلتاهما تخضعان لحكم الأقلية وتسيران وراء نظام حزب واحد ، وتعبثان(?) بالنظم البرلمانية والأوضاع الشرعية ، وكلتاهما تضطهدان الأقليات وتناديان بنوع جديد من الوطنية . ونحن نرى أنه من المبالغة وسوء التقدير للوضع أن نقول إن هذه الأمور من شأنها أن تؤدي إلى تحالف دائم موطد الأركان ، ولكنها ولا شك تقرب نوعاً من الوحدة بين الدولتين فلا نستطيع أن نجحده إذا استطعنا منه غرضاً وبعداً(?)

وليس معنى هذا أن الدولتين لا تخشيان من الوجهة العملية شيئاً ، فنحن لم ننس بعد حملة الألمان على البلشفية ، ولا ننس حملة البلشفيك على الألمان ، ولا ما بين الدولتين من الاختلاف القديم

وإذا كنا نريد أن نبين حقيقة التقارب بين روسيا وألمانيا يجب أن نذكر ثلاثة أشياء . وجوه الاتفاق بين الأمتين ، ووجوه

قرشه كما لو كان لم ينتقل إلى مسافة تقرب من نصف طول العالم . وهكذا بدأ صنع الحرير بداية حسنة في عهد ذلك الإمبراطور

وكانت كل هذه الإجراءات تعمل في داخل القصر وتحت إشراف الإمبراطور شخصياً بما في ذلك إلقاء أنوال تشغل عدد النساء في نسج الثياب بين جدران القصر وبملاحظة الإمبراطور

لكنه لم يكن في الإمكان الاحتفاظ بسر في القرن السادس في الأستانة حتى ولو كان ذلك السر في البلاط الإمبراطوري كما كان ذلك يحصل منذ قرون في الصين . وعلى الرغم من أن جوستنيان قد احتكر صناعة الحرير ولم يكن يسمح لأحد بصنعه سرعان ما تسربت هذه الصناعة إلى العالم الغربي . ومن البعض التي كان في تلك العصا نقلت هذه الصناعة وازدهرت في جنوب أوربا وخاصة بالقرب من البندقية [illegible]

(يتبع) ع . ا

الاختلاف بينهما، ثم حكم الأمر الواقع. هذه أمور يجب أن ينظر إليها بعين الاعتبار.

ولا يخفى أن رجال الجيش الأحمر لا يرضيهم ذلك الاتفاق بين روسيا وألمانيا، ويعدونه من مظاهر الضعف والخذلان، كما أن رجال «الجستابو» يزعجونه ويعدونه من عوامل القوة ومظاهر الانتصار.

ومهما تختلف الآراء وتتباين الأغراض، فإن هناك مواضع ضعيفة للاتفاق بين الدولتين، فمن الراجح أن ينظر إليه بالحذر والاحتياط.

كيف بني خط ماجينو؟

[عن مجلة « [illegible] »]

كان رجال الجيش الفرنسي في عام ١٩١٤ لا يهتمون كثيراً بأمر التحصين، فكانت نتيجة ذلك أن الجنود الفرنسية دفعوا ثمن هذا الإهمال.

ولكن هذا الدرس لم يكن ليضيع سدى. فنحن نرى فرنسا اليوم تعيد تشكيل الحرب على فكرة التحصين وتعتمد على ... ويعد خط ماجينو من الأمثلة العجيبة في فن التحصين والدفاع.

وقد جرت العادة على تسمية هذا الخط «بحائط ماجينو»، وهذه التسمية في الحقيقة بعيدة عن الصواب، إذ أنها تخلق في صورة الأذهان ... إلى عنان السماء، والحقيقة أن هذا الحصن الفرنسي لا يرتفع عن سطح الغبراء. وقد صدق بعض الجنود في تسميته «أدوم الشرق».

ومما لا شك فيه أن ذلك الأدوم العجيب يعد من أقوى وأعظم ما صنعته يد البشر في القرن الحديث.

حفر خط ماجينو في المدة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٦ في مساحة قدرها اثنا عشر مليوناً من الأمتار المربعة، ووضع فيه ما لا يقل عن ٠٠٠ر٥٠٠ طن من الصلب، ويحتوي هذا الخط على كهوف وأنفاق تمتد من باريس إلى ليج في خط واحد، ويبلغ عدد المشتغلين في بناء هذا الخط ٠٠٠ر١٥ نفس، ومقدار ما أنفق عليه سبعة آلاف مليون من الفرنكات. ولم يقف العمل في هذا الخط إلى اليوم.

ومن المؤكد أنه لا يخشى الغزو إذا كان يمكن أن يغير مكانه وحصنه المتين، ولما كانت حصون ليج ونامور وأنتورب في عام ١٩١٤ لم تقو على صد هجمات الخصوم بسبب ضعفها، بينما أثبتت حصون فردان الشامخة المتينة ... فقد عرضت فكرة على لجنة من كبار المهندسين الفرنسيين ففحصوها فحصاً جيداً، وعرفوا مدى المقاومة اللازمة للانتصار، ورأيهم على إيجاد ... يمنح ... خط ماجينو المتين. وبعد التجارب العديدة التي قام بها جماعة الخبراء والمهندسين، قرروا أن يصنع الخط من مادة ثابتة لا تحتمل ثلاث قذائف متوالية على مكان واحد.

أما فيما يتعلق بالغازات السامة، فقد أعدت آلات كهربائية داخل الخط، ومن شأنها أن تجعل الضغط الجوي في الداخل أعلى من الضغط الخارجي، فيمتنع تسرب الغازات السامة داخل الخط. وقد أعدت المدافع والمنافذ لمقاومة الطيارات.

ولا تقف مهمة خط ماجينو على الدفاع، فلا يكفي للمحارب أن يكون آمناً، فالدفاع هو الناحية السلبية في الحرب، أما الناحية الإيجابية فهي الهجوم، وكلاهما ضروريان في الحرب.

ويستطيع الجنود في خط ماجينو وهم آمنون أن يصبوا وجه الأرض بطبقة من النيران تلتهم ما أمامها وما خلفها.

كيف نصل إلى الله

[عن مجلة «سيكولوجي» [illegible]]

العبادة فن. ولكي نعبد الله عبادة صادقة يجب أن نعبده عبادة صحيحة. ومن الواضح أننا لا نستطيع في يوم من الأيام أن نصعد على خشبة المسرح ونتناول القيثارة، ثم نعزف عليها الأغاني والأناشيد دون أن نتعلم كيف نمسك القوس ونستعملها استعمالاً صحيحاً. فهل العبادة أقل خطراً من العزف؟ هل الحياة الروحية أقل أهمية من حياة اللهو؟ لا شك أن عبادة الله تحتاج إلى كثير من الجهد والتأمل والمران الطويل.

يشكو الكثيرون الجمود في حياتهم الروحية، ويزعمون أنهم يحسون كأنما حرموا الاتصال بربهم الأعلى، فهل حان له الوقت

فلنسأل أنفسنا عما إذا كنا سلكنا الطريق الصواب في محاولات الاتصال بالله؟ إن الدين كشكل خاص في الحياة له طريقها الخطأ وطريقها الصواب

ولا يفهم من كلامي أنني أريد أن أقول إن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله إلا إذا عرف طرق الصلاة جميعاً [illegible] لا [illegible] ولكن نستطيع أن نؤكد هنا شيئاً واحداً وهو أننا لا نستطيع أن نستغل قوانا الروحية ونصل بها إلى مرتبة [illegible] إلا إذا عرفنا ما يجب على الله جل علاه، وما يجب علينا من الفروض في هذه الحياة، وقد أنعم علينا بعطاياه على الدوام

إن العبادة أمر طبيعي في الإنسان، فحين [illegible] أو حضرتنا، إذا سامتنا محنة [illegible] في تلك الغمرة [illegible] شر العوادي، ونحس [illegible] أو ظهرنا ذلك الإحساس العجيب نحو خالق الذي بيده كل شيء، فبعضنا يعدو إلى الرب والمعابد وبعضنا يعمد إلى المحراب وبعضنا يتوجه إلى الكنائس وبعضنا يذهب إلى المساجد وبعضنا يحار إلى القوة الإلهية مستصرخاً

شر ما يلاقيه، ومهما تعددت الوسائل وتختلف الأساليب كنا نتجه إلى قوة سامية الفوق في جميع الطوائف

إن طائفة تصور تصورنا، [illegible] يجب أن نعرف الرأي السديد في معرفة الله إذ أن حياتنا وأخلاقنا يجب أن تجري وراء هذا الرأي

على حق عبد الله عبده [illegible] فهذا نرى أن تكون معرفتنا بالله [illegible] إن عادتنا تتوقف على معرفة ذلك. فإذا عرفنا أن معرفته [illegible] لا يحل حدودنا فلا يصح مثلاً أن نطلب إلى الله أن ينتصر على أعدائنا، أو نطلب إليه تحقيق رغبة من الرغبات التي تمت الأنانية الشخصية، لأن الله فوق كل ذلك

يجب أن ننظر إلى الله من طريق حق وجمال وحب الخير، وأن نعتقد بأنه منزه عن كل ما يخالف هذه الصفات

* * *

[illegible]

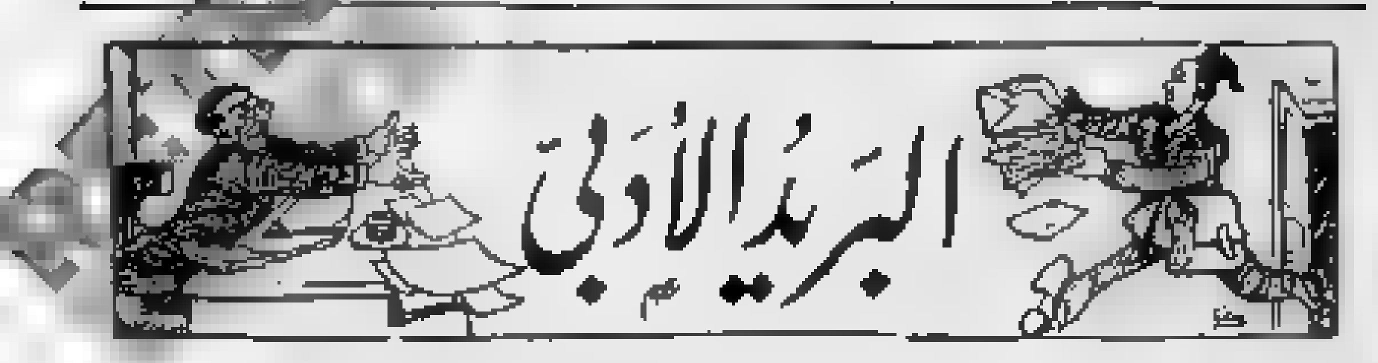

في كلية الآداب

١ — جاءني صديق يدرّس عدداً من العلوم المتعلقة في كلية الآداب، جاءني يشكو. وهذا الصديق كان زميلي أيام التحصيل في جامعة باريس.

قال صديقي: أتدري ما جرى عندنا؟ قلت: خيراً! قال: إن أحد المدرسين من الأجانب لا يحتمل [illegible] في جانب التدريس بعمل من مستشرق كبير، [illegible] بإدارة شؤون مكتبة الجامعة. وأعجب من هذا أنه يطلب من الكلية استخدام زميل له شاب من أوربة، ويقول إنه من ذوي [illegible] في اللغة العربية ومن أهل النظر في الاستشراق، وإنه لا غنى للكلية عنه في تلقين الطلبة «مناهج البحث في الشرقيات». وربما يورث الأسف أن آذان «قسم اللغة العربية» في الجامعة قد [illegible] إلى هذه الأصوات. وهو [illegible] صديق أن هذا العالم الشاب — واسمه سلومون بينيس S. Pines — قد عرفناه في باريس.

قلت: لا أذكره. قال: إنه ذلك اليهودي [illegible]. قلت: حقاً لا أذكره، ألا تخبرني عن كفايته؟ قال: إنه لا يحمل سوى شهادة الدكتوراه من ألمانية، وأنت تدري أن الدكتوراه الألمانية ليست بشيء يذكر إذ [illegible] هنالك شهادة «[illegible]» [illegible] الدكتوراه إلا في [illegible] الفرنسية. قلت: هل ألف الرجل شيئاً [illegible] مكانه؟ قال: إنه صنّف رسالة في الفلسفة الإسلامية [illegible] يكشف [illegible] يجري [illegible] أكل من [illegible] أن ينقطع إلينا بسبب [illegible] إلى المناصب [illegible]؟ [illegible] أقول في هذه، وماذا [illegible] إخواني وحلتهم من زملائي الباريسيين أو البرلينيين؟ إن في مصر غير واحد ممن حصل في أوربة من الاستشراق ودرسه وألف فيه، ونظم [illegible] أهله وإخوانهم، وذلك فضلاً عن أن العربية لغتنا قد [illegible] منها [illegible] وصيرنا [illegible] أهل.»

إني أنقل شكوى الزميل، وآمل أن يكون حديثه وهماً من الأوهام.

* * *

٢ — في كلية الآداب «معهد الدراسات الإسلامية» وهو اسم واقع على شيء غير موجود، بل على حوالة كتب (وهي غير وافية فقد شكا إليّ بعضهم أن ليس فيه «كتاب الشعر» لأرسطو، ترجمة أبي بشر متى بن يونس).

وذكر لي قائل إن الوزارة السابقة رفضت [illegible] إخراج هذا المعهد من باب القوة إلى جانب الفعل، وذلك [illegible] قوم [illegible] في هذا البلد. فانظر كيف [illegible] السياسة مسالك العلم.

إن معهداً للدراسات الإسلامية مما لا معدل عنه لمصر، وقد [illegible] ذلك في العدد الخاص [illegible] «المكشوف» البيروتية (١٠ يونيه ١٩٣٩) فلا أحب أن أعود إلى ما جاء هنالك، غير أني أذكر بعضهم أن ليس في مصر — وهي مصر — مجلة علمية موقوفة على مسائل الإسلام وشؤون العرب، في حين أن في بيروت مجلة «الأبحاث» وفي دمشق «مجلة المجمع العلمي العربي» [illegible] أوربة وأمريكة فطلاب الاستشراق [illegible] على [illegible]. وأعجب من هذا أن [illegible] في [illegible] البلاد الإسلامية [illegible] وقد [illegible] «المكشوف».

* * *

٣ — منذ ثلاثة أشهر أو نحو ذلك ألفت في كلية الآداب لجنة لوضع المصطلحات [illegible] باللغة العربية، وأعضاء هذه اللجنة طائفة من الأساتذة والمدرسين من مصريين وأجانب، واللجنة على قسمين: قسم التحرير وآخر [illegible]، وهذا القسم

الكان على شعب ، وإحدى هذه الشعب إنما هي منصرفة إلى تأليف معجم للمنطق من طريق استخراج المصطلحات الخاصة من أصلها اليوناني ثم الاهتداء إلى نظائرها في اللغات الإفرنجية الحديثة وعاونت هذه الشعبة طبع منطق كتاب الشفا لابن سينا طلباً للوصول إلى مصطلحاته وجمع المراجعين . هذا وأعمال سائر الشعب على ذلك النحو

ولا شك أن مثل ذلك السعي محمود ، فمن ورائه خدمة جليلة للتعبير الفلسفي بقواعد صحيحة . ولا شك في أن جُلّ رجال تلك الشعب أهل اطلاع ومعرفة ، وفي مقدمتهم نفر من المشتغلين بمصطلح الفلسفة الإسلامية

غير أن أعمال تلك اللجنة لا تزال حديثاً يُتناقل في أندية الثقافة العامة وإن كان حديث صدق . مصداق ذلك أن شعبة معجم المنطق لم تفكر في أثناء تلك المدة إلا بتصوير منطق كتاب الشفا وهو مخطوط . وهذا البطء في الإنجاز قد حدا ببعض المستشرقين المتصلين بالمجمع إلى أن يكتب إليها يستخبرها الخبر عن ما انتهى إليه

عسى أن تقنع اللجنة الناس أن يعودوا إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية أوفر نشاطاً من لجنة وضع المصطلحات الفلسفية في كلية الآداب

بشر فارس

الحب الصحيح

صديقنا الدكتور بشر فارس لا يسره كثيراً أن يعرف بطلى ؟ هو ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليُعمّي على القراء موضوع الخلاف

هو يقول بوجوب إلقاء الشعر كما يُلقى النثر ، وأنا أقول إن الوزن من العناصر الأساسية في الشعر ، ومن الواجب مراعاة ذلك عند الإلقاء

هذا هو أصل الخلاف ، فكيف تسامح أن يعيد في حين مسألة بسيطة تقرر أن الشاعر حر من الوزن ؟ وهل يظن أن « وسيمه الباريسي » ممن تخفى عليهم البديهيات ؟

ويقول : « إن الطرب لا يأخذ النفس الطبعة من طريق بعض الشاعر » وهو في هذا متحكم من المتحكمين . فالحواس من أدوات النفس ، ولكل صورة وجدانية أصل من الصورة الحسية ، وهذا بحث مستوعب أودعته كتاب « التصوف الإسلامي » فلا أعود إليه . لأني أبغض الحديث المعاد ، ولأني لا أحب أن أعود إلى عرض هذا البحث من جديد ، ولأن مجلة « الرسالة » تتحمل أمر من عرض الموضوعات التي درست من قبل

وأراد الدكتور فارس أن يداعب « وسيمه الباريسي » فسأله من هي « ليلى المريضة في العراق »

وأقول إن « ليلى » فوق التهكم والسخرية يا دكتور فارس نائل الله بي رأسك فقد طبع في خلقه عيب إذا وقعت أنه يجوز المزاح مع ليلى

وتقول إني أردت أن أوهم قومي أني مفتون بالجمال

فماذا ستقول . أتريدون أن أفتن بالقبيح كما تفتنون ؟

إن الناس لم يخلق فيهم شاعراً يعرف أيام الشر وليالي البيض ، وليس فيكم من تحدث عن شعوره كما تحدث طبيب ليلى المريضة في العراق ، وهل أضحكك يوماً ... صاحب كتاب « د كريف برس » ؟

أضحك ليلى ، وأحب من أجلك جميع اللاعبين والعابثين ذكرتني ناسياً ميلادي ، فمن أدرى ميلادي ؟ ومتى جديدك الله أيها المغرور ؟

زكي مبارك

١ — الروحانية والفكرية

٢ — الشعر الدوريقية

١ — جاء في حاشية لمقالة « المس الشعبي » للدكتور زكي مبارك الأديب المشهور في منع الجلة التي ... في العدد ... اليوم الثلاثين — عن فرقة اسمها (الروحانية ، الفكرية) ... في ... وطبيعت في الأخرى ولم تحصل[1] ... من طلب النص ، ... أقوال ... يعرفونه ، وقد ذكر تلك الفرقة المسماة (أبو الحسين أحمد بن أحمد الملطي المتوفى سنة ٣٧٧ في مصنفه (كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) وهو من الكتب الأثرية التي أظهرها الألمانيون — لا العربيون — منذ ثلاث سنين وفيه من أخبار الملل ما فات كتبها المشهورة مثل مقالات الإسلاميين ، والمحصل ، والملل والنحل ، والفرق بين الفرق

قال الملطي : « ومنهم الروحانية وهم أصناف ، وإنما سموا (الروحانية) لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السموات وبها يعاينون الجنان ، ويجامعون الحور العين ، ويسرحون في الجنة ، وسموا أيضاً (الفكرية) لأنهم يتفكرون — زعموا — في

(١) في « ... » قال أبو العباس محمد بن ... ابن ... [illegible]

عندها حتى يصيروا إليه ، فحماة السكر بعد ذلك عبادهم ومنتهى لذاتهم ، ينظرون بأرواحهم في تلك السكرة إلى صحبة الشيء ، متلذذون بمصاحبة الآلهة لهم ، ومصافحته إياهم ، ونظرهم إليه — زعموا — ويستمتعون بالحور العين ومباكرة الأبكار على الأرائك متكئين ويسعى عليهم الولدان المخلدون بأصناف الطعام وألوان الشراب ، وطرائف الثمار ... ولو كانت السكرة في دوامهم النعيم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيماً ... وأما هذه السكرة فهي من عمل الشيطان لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة إلا من صار إليها يوم القيامة ، وهكذا وعد الله عباده المؤمنين والمؤمنات »

وذكر ذلك الكتاب صنفاً آخر (من الروحانية) أعجب من الصنف الأول وأنكر ... قال « ومنهم صنف من الروحانية ... زعموا أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم وإراداتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم ، فإذا كان كذلك عندهم كانوا عنده بهذه المنزلة ووقعت عليهم الخلة من الله ؟ فجعل لهم السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلها على وجه الخلة بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة كما يحل الخليل لخليله من مال خليله بغير إذنه ، منهم رباح[1] وكليب[2] كانا يقولان بهذه المقالة ، ويدعون إليه ... كذب أعداء الله وكيف يكون ذلك ؟! »

إن البشر حار كيف يدين ، حار كيف يكون — لا يزال في حيرة ! — وفي هذا الوقت في هذه (الكرة الأرضية) في هذه الأرضية الصغيرة الحقيرة[3] التي هي من ذباب الشمس — أكثر من أربعة آلاف ملة كما يقول جيو في كتابه « L'irréligion de l'avenir » وكل يبطل دينه « ويقول : إني على هدى ، وعلى بصيرة منهم

ألا « إن الدين عند الله الإسلام » الصحيح

* * *

(١) القيسي ... (٢) ... للصوفي

(٣) [illegible] الزوجات ، والصوف والثياب

[illegible] لا زعموا [illegible] أو [illegible]

٢ - مقالة الباحث الفاضل (الأستاذ محمد عبد الله العمودي) في العدد (٣٣٧) من (الرسالة الغراء) - مكثر بالفوائد، كسائر ما في حقائق وسؤال ممتع حقق الإغريقية والإطليقية(١) مما لا يعرفه ولا خبره من واجهين عصبه

وقد تحدث في (كتابي) الساعة البحث عن تلك اللفظة الإغريقية، وزكت عدوة النابر في مره - إن كل شيء ما حق - لأني إنما قصدت أن أثبت ما يثبته، وأشكو - وقد صح العرب في كل إقليم - إلى سيدي (رسول الله) ما شكوه

وأقول في هذا المقام في حكاية ذلك القدر: إن العربية خيرة ما أمت أو تأمت في حين، وإن لم يكن - يا أيها العرب - يعربوه من الغربيات(٢) التي سطع مؤرخوب ولم تعجب العصور! بل عربية محضة إنما هي تقتضي بل منحصل تناسب في الكون كل نسبة.

(م)

جوائز نوبل لسنة ١٩٣٩

منحت جائزة نوبل الأدبية لسنة ١٩٣٩ إلى الكاتب والأديب الفنلندي فرانز إميل سيلانبا

ونالها في الطبيعة البروفسور أرنست أورلاندو لورانس الأستاذ بجامعة كاليفورنيا، مكافأة له على اكتشاف السيكلوترون وتحسينه والنتائج التي أمكن الحصول عليها بواسطته، وخاصة ما يتصل بالعناصر الصناعية في عالم الإرسال الأثيري

أما جائزة نوبل الكيمياء في سنة ١٩٣٩ فقد نالها الأستاذان بوتنانت الأستاذ بجامعة برلين، وروزيكا الأستاذ بجامعة زوريخ

وقد كانت جائزة الكيمياء سنة ١٩٣٨ مؤجلة، فمنحت في هذا العام البروفسور كوهن الأستاذ بجامعة هيدلبرج

وقف دور انعقاد مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أصدر حضرة صاحب المعالي وزير المعارف القرار الوزاري الآتي

بعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذي عقد في يوم نوفمبر سنة ١٩٣٩ من بعض أعضاء «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» بشأن دور الانعقاد في هذا العام

وبعد نظر المادة التاسعة من المرسوم الملكي الصادر في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢) بإنشاء «مجمع ملكي للغة العربية»

من حيث أنه تبين من مجموع الكتب الواردة في هذا الصدد من الأعضاء الأجانب أنه لا يتيسر الاطمئنان إلى توافر العدد الذي يكفل عقد جلسات المجمع في هذا العام

ومن حيث أن توجيه الدعوة مع ذلك إلى هؤلاء الأعضاء على وجه خاص، من شأنه أن يجشمهم مشقة السفر والتخلي عن الأعمال التي يضطلعون بها في بلادهم ويعرضهم للتغرير بهم في هذه الفترة. هذا على حين لا يمكن عقد جلسات المجمع، لقلة العدد أو على الأقل اضطراب على فرص إكمال عقد الأدوار التي أوجبها المرسوم لصحة الانعقاد

المادة الأولى: وقف دور الانعقاد لمجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام (١٩٣٩ - ١٩٤٠)

المادة الثانية: على رئيس «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» تنفيذ هذا القرار

الأمير شكيب أرسلان في برلين

قالت جريدة «النهار» البيروتية

اعتاد المذيع العربي في راديو الشرق أن يرد على أكاذيب المذيع العربي في راديو برلين على أثر تلاوة نشرة الأخبار المسائية. وقد تولى مساء الأربعاء تفنيد مزاعم راديو برلين التي طلعت بها على العالم العربي لمناسبة وصول الأمير شكيب أرسلان إلى العاصمة الألمانية ومغادرة التي قريل بها

وقد علقت الصحف السويسرية على زيارة الأمير، فقالت إنه رئيس الجماعة التي تقترح منح الأمير شكيب لقب مواطن

(١) كتبها السلف بالطاء، ويكتبها عصريون بالتاء

(٢) بسكون عين الكلمة وفتحها جائز في مثلها

شرف الريخ ، ولكن هتلر رفض العمل بهذا الاقتراح بحجة أن الثوار من الجنس السامي ولا يجوز أن نمنح لقباً يجعله في مستوى أبناء الريخ

وإذن فالواقع ليس العطف وحتى هتلر يمنح الأمير لقب مواطن شرف على أن رئيس الحكومة رجل غير آري هو مع الأسعار على البارون اليهودي ... الذي كان رأس دوائر الاستعمارات في البلاد العربية في الحرب العظمى

حول صورة من أدب هاشم

حمد الأستاذ الأعظمي بيانه بحث ديوان الأمير عبد ... وإعجاب الناس به وإعجاب وراء الرسالة حسن شعره ، ولكن هل كان أفضل شعره ما عرض فيه العباس وهند ... الرد على ابن المعتز ! وهل ... في هذا الرصد لا يكاد يشتبه إليه أحد لإعراض الناس عن ... للمساجلات السياسية التي كانت هي صاحبة ... ؟ وقد كان العباس وعبد الله بن عباس وعلي والحسين أسرة واحدة وبينهم من الحرب والتنافر ما التاريخ معلوم به ، فما بالنا اليوم نثير شيئاً حمده الله على سوئها ؟ والعجب أن الأستاذ الأعظمي قائم على جماعة الأخوة الإسلامية والدعوة لها ، فهل تقوم الأخوة على تذكير الناس بهذه الخلافات من الماضي السحيق ؟

محمد عبد ...

مدرس بكلية اللغة العربية

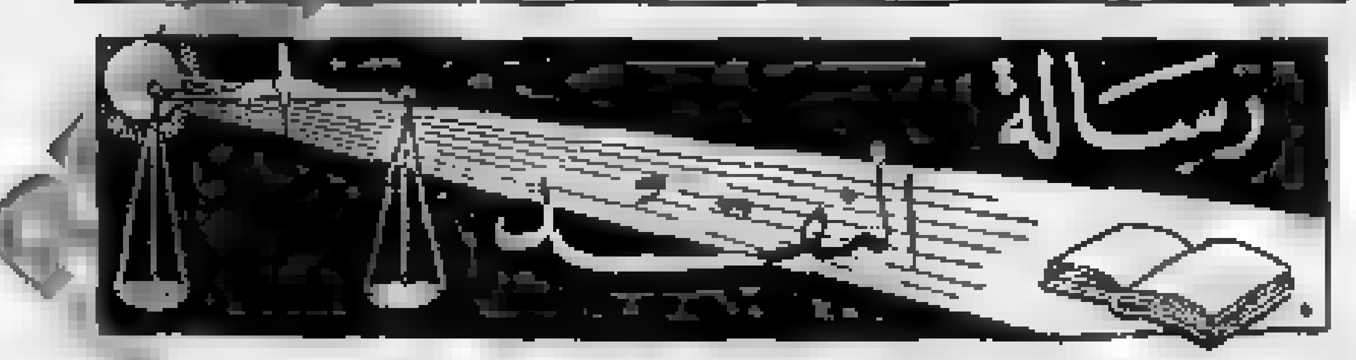

في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثاني عشر

للأستاذ عبد القادر المغربي

الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء قليلة جداً، وقد يكون معظمها مما يصح أن نسميه غلطاً مطبعياً، ومع هذا فسنذكر هنا هذه الأغلاط لتكون كالحلقة تصل بين حلق سلسلة التصحيحات التي عنينا بها منذ [illegible] الكتاب النفيس عند أول صدوره ونشرناها على التوالي في أجزاء[1] مجلة مجمعنا العلمي الدمشقي. ولما قد توقفت مجلة هذا المجمع عن الصدور رأينا أن ننشر تصحيح جزء الثاني عشر وما يليه في مجلة «الرسالة»؛ وذلك بسبب [illegible]، ولأن معظم قراء مجلة المجمع العلمي من قرائها. وها هي ذي تصحيحات الجزء الثاني عشر:

ص ٦٣ س ٨ قوله: (ويؤخذ من السُّكّ الأسود الطيب [illegible] مثقال) السُّكّ طيب ذكره المؤلف ووصف [illegible] والطواسير [illegible] جمع طوسر [illegible] المصحفة [illegible] وفي اصطلاح كتّاب الدواوين قديماً [illegible] شكل خاص تطوى طياً خاصاً [illegible] في وصف ناقة من شعر (طُمِرَت تطميراً) أي كأنها طويت طيّ الطوامير [illegible] الطوامير [illegible] لا يصح أن يكون صفة أو بدلاً من كلمة (السُّكّ) فلعل صوابه (الطواميري) بياء النسب، ويكون معنى نسبة السك إلى الطوامير أن ذلك السك [illegible] في الطوامير لا في أوعية أو ظروف أخرى، أو المعنى أن يكون السك الأسود [illegible] أو [illegible] كلون الطوامير

وقد [illegible] ما قاله المؤلف في طريقة اتخاذ السُّكّ فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطواميري

ص ٩٠ س ٥ قوله: (طبيخ البابونج [illegible] مع الماء [illegible]) الصواب أن تكون (طبيخ) بسببه [illegible] أن سياق الكلام والإخبار عنه [illegible] (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢٩ س ٣ قوله: (ثم دُقَّه [illegible] من ماء الورد) [illegible] (دقه) رجع إلى الأمر الذي دق دقاً [illegible] على ماء الورد إلى أن قال: (ثم دُقّه [illegible]) ولا يخفى أن قوله (دقه) بالقاف المشددة محرف أو مصحف وصوابه (مُثه) بالثاء المثلثة [illegible] أمر من ماث [illegible] في (الأساس) (ماث الملح بالعنبر [illegible] وماث الزعفران أو الدواء [illegible] بالماء [illegible]) ولا ريب في أن ماء الورد لا يتصور أن يُدَقّ به شيء من الأشياء وإنما [illegible] به ويخلط. ومثل (الموث) [illegible] المؤلف في غير ما موضع [illegible] ص ١٣٤ س ٥ (وَيُداف [illegible]) وفي ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والمسك [illegible] دهن [illegible])

ص ١٣٨ س ١٠ قوله: (ويُصَعَّد في [illegible]) [illegible] رجع إلى السك [illegible] ماء الورد و(التصعيد) كما في القاموس وشرحه: الإذابة، ومنه قيل خلّ مُصَعَّد. ويقال شراب مُصَعَّد إذا عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً [illegible] ويقال الله يخلقه [illegible] وهو في [illegible]، وهو كلمة [illegible] كانت شائعة [illegible] يظهر في عهد المؤلف كما لا تزال شائعة في بلادنا الشامية [illegible] لا (عبال) على أن [illegible] تكون جماً [illegible] (عبلة) الجمع على (عبال) تهماً [illegible] قصعة وقصاع. والفرنسيون في معجمهم العربي الفرنسي [illegible] Vapeur d'un liquide ثم وضعوا [illegible] التي تدل على أن الكلمة ليست فصيحة وإنما هي مستعملة في اللغة العامية. وأذكر أن بعض المؤرخين [illegible] سنة [illegible] في الكتابات النباتية في [illegible] في اللغة السريانية. ولا يبعد أن مؤلف (نهاية الأرب)

(١) [illegible] الأرب [illegible] تصحيحاتي في مجلة [illegible] من مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي. وتصحيح [illegible] السادس [illegible] وتصحيح [illegible] الثامن [illegible] وتصحيح الثاني عشر [illegible] وتصحيحات الأجزاء [illegible] والعاشر والحادي عشر نشرت في مجلة [illegible]

[illegible] مجلة المجمع [illegible] في دور الكتب [illegible] دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية في القاهرة

7me Année No. 334

Lundi 27-11-1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٣٤ «القاهرة في يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهرس

خطاب العرش
من الوجهة الأدبية
للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

أحب أن يسمع صدر «الرسالة» موضوع لم يكتب فيه الباحثون من قبل، وهو نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية، وأسارع فأذكّر القراء بأن هذا الموضوع لا يحتاج إلى تحفظ وتحرّس، لأن خطاب العرش ليس من إنشاء جلالة الملك، وإن كان يُلقى باسمه الكريم، وإنما هو من إنشاء رئيس الوزراء، وهو الذي يحاسب عليه أمام الشيوخ والنواب، وبابه مفتوح لأقلام [illegible] في حدود قد تصل أحياناً إلى الصراحة والعنف، وقد تعرّض الوزارة إلى تعديل بعض النصوص أو تبديل.

وليس هذا هو السرّ في أن جلالة الملك لا يُلقي خطاب العرش بنفسه كما يصنع حين يتفضل بتوجيه الرأي والتحية إلى شعبه في بعض الأعوام وفي المواسم والأعياد.

وخطاب العرش في التاريخ الحديث يشبه العهود التي كانت تكتب بأسماء الخلفاء في التاريخ القديم، ونحن نعرف أن كتاب

« العصور » كانوا يُسألون عما يقع فيه من خطأ أو صواب ، لأنه كان معروفاً أن العلماء لا يكتبون بأنفسهم تلك العهود ، ولذلك تفاصيل يضيق عنها هذا المقال ، وهي معروفة لجميع المطّلعين على تاريخ الحضارة الإسلامية

إن خطاب العرش من إنشاء رئيس الوزراء ، ولكنه يُلقَى باسم جلالة الملك ، فمن الواجب أن يكون صورة رائعة من الوثائق الأدبية التي تمثل عظمة مصر لهذا العهد ، فهل كان كذلك ؟

إن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من رجال مصر المعدودين ، وهو في أخصّ خصومه أهلٌ للتبجيل ، ومن حقنا عليه ونحن نؤمن بكفايته الذاتية أن نطمع في أن يجيء خطاب العرش مثالاً خاصاً من الوجهة الأدبية فيكون في مستوى مطامحه العالية في خدمة البلاد ، ويكون في طراز مع الخطب الجيدة التي كان يلقيها يوم كان وزيراً للمعارف في سنة ١٩٢٥

وقد يمكن الاعتذار عن خطاب العرش بأنه خلاصة لآراء تصل إلى الرئاسة من مختلف الوزارات ، ولكن تنوّع المصادر التي تؤلف خطاب العرش لا يُعفي الرئيس من إنشائه بطريقة تكفل وضعه في الصف الأول بين الوثائق الأدبية التي يعتز بها العهد الجديد : عهد الفاروق بن فؤاد

ولكن ما هي المآخذ التي تُوجّه إلى خطاب العرش من الوجهة الأدبية ؟

نلاحظ أولاً أن فيه عبارات لا تقال في وثيقة رسمية كالعبارة الآتية

« قد آن لنا أن نصل وأن نلي داعي الوطنية والإخلاص ، داعي الرجولة والتضحية والكفاح »

لأن الحكومة الجديدة ليست أول من يصل حتى نجهد لها بذلك ، وإنما هي حلقة من سلسلة كوّنتها الحكومات المصرية من قبل ، وقد شهد رئيسها الرئيس بأن بعض سابقيه رجالاً كانت لهم وطنية وتضحية وإخلاص

وكذلك نقرأ في خطاب العرش :

« وقد نقل جدي الأعلى محمد علي الكبير إلى الحياة القوية التي ربط الجيش الوطني القوي بمشروع الإصلاحات والإدارة العامة : فإذا كان الجيش المصري يظهر في الوجود حتى ظهرت في البلاد إدارة منظمة ومصانع ومعامل ومدارس لإعداد هذا »

وليس هناك شك في أن ظهور محمد علي الكبير بمصر كان فاتحة نهضة عظيمة ، ولكن لا يقال إن عهد محمد علي كان أول عهد لظهور الجيش المصري في الوجود ، فإن معنى ذلك أن مصر لم تكن أمة حربية قبل أن تعرف محمد علي الكبير ، والرأي الصحيح أن مصر كانت أمة لها وجود أدبي واجتماعي وسياسي ، فلما جاء محمد علي عملت يداه في تنظيم ما كان في مصر من قوى أدبية ومعنوية فكان له الفضل الذي عرفه الأمم في التاريخ الحديث . [illegible] كان محمد علي الكبير تركيّاً ، وكان يسره بالطبع أن تكون لغة مصر هي التركية ، ولكنه رأى بثاقب الفكر للطبع أن اللغة العربية من أقوى مظاهر القومية المصرية فساعد على تقوية اللغة العربية بتأصيل حبه في القلوب المصرية ، ومن كان هذا حاله لا يقال إن عهده كان أول عهد لظهور الجيش المصري في الوجود

وفي خطاب العرش أن مصر لذلك العهد ظهرت فيها مصانع ومعامل ومدارس « لا عهد لها » وجملة « لا عهد لها » جملة [illegible] التعبير ، وما يجوز أن تستعمل في وثيقة مثل خطاب العرش ، لأن هذه [illegible] وتشتمل على القصد إلى الإغراق

وماذا يريد الخطاب من العبارة الآتية

« مصر مهد المدنية ، وعلى يديها نهضت ، ومنها خرجت وإليها تعود »

أيكون معنى ذلك أن المدنية خرجت من مصر إلى غير عودة ؟

أيكون معناه أن المدنية يوم تعود إلى مصر ستفارق ما سواها من الممالك والشعوب ؟

ويقول خطاب العرش :

« إن التفاتنا إلى الماضي لا ينسينا الحاضر ، والذكرى تبعث الذكرى »

فما معنى عبارة « والذكرى تبعث الذكرى » ؟ أيكون الحاضر أيضاً من الذكريات ؟

[البقية على صفحة ٢٢٤٤]

في مزارات الإسكندرية

مع الشيخ الخالدي

للدكتور عبد الوهاب عزام

لقيت الشيخ العلامة خليلاً الخالدي في الإسكندرية، فرحبت بصحبته إلى هذه المدينة، وكنت أحسبه لا يعرف كثيراً من مشاهدها وآثارها حسبنا تحدثت والشيخ إذا نزل بلداً لم يتجاوز حديثه الكتب والمؤلفين ومساجد العلم ودور الكتب فله بحث من مخطوط الكتب الخطية والرديئة — وقد ذكرت هذا في مقال سابق — قال: وكان الطرطوشي من أصحاب الخطوط الرديئة. فلما ذكر الطرطوشي وهو من علماء الإسكندرية تطلب الحديث إلى علماء هذه المدينة؛ فإذا الشيخ عالم بأخبارهم خبير بمزاراتهم. ذكر من المحدثين والعلماء عبد الرحمن بن هرمز والسلفي والقاضي سند وابن المنير. وذكر من الصوفية أبا العباس المرسي والبوصيري والأبيري وياقوت العرشي. وواعدنا يوماً نزور فيه هؤلاء الأكابر.

ولاقيناه يوم الإثنين سادس رجب (٢١ أغسطس)، وكان معنا الأستاذان عبد الفتاح عزام وعبد المنعم الطنطاوي فذهبنا صوب الميناء نسأل عن عبد الرحمن بن هرمز حتى وقفنا على مسجد صغير في أحد جوانبه حجرة يتوسطها قبر يعرف الناس أنه لابن هرمز، ورأينا لوحاً على الجدار كتب فيه أن هذا قبر عبد الرحمن ابن هرمز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة. قال الشيخ: وهو ممن روى عن أبي هريرة. قلت: بل هو من واضعي علم النحو ومن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي. قال ابن الأنباري:

وأما الأعرج فهو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وكان مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان أحد القراء عالماً بالعربية وأعلم الناس بأنساب العرب. وخرج إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات سنة سبع عشرة ومائة.

ونقل السيوطي عن الزبيدي أنه كان من أول من وضع العربية. ثم سرنا إلى مسجد آخر صغير فإذا في حجرة منه قبران كبيران كتب على أحدهما: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠. قال الشيخ: له كتاب البدع وهذا الكتاب وكتاب البدع لابن وضاح يشبهان كتاب الاعتصام للشاطبي صاحب الموافقات. قال: وبين وفاة الطرطوشي وابن رشد الكبير شهران أو ثلاثة.

أقول: هو أحد علماء المسلمين الأعلام ينسب إلى طرطوشة من بلاد الأندلس نشأ بها وطلب العلم في البلاد الأندلسية، وأخذ عن أبي الوليد الباجي وابن حزم. ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ولقي شيوخ العراق وأقام بالشام زمناً ودرس بها. وله مؤلفات أعظمها سراج الملوك.

ونقل ابن خلكان عن كتاب الصلة لابن بشكوال أنه «دفن في مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر في الإسكندرية».

والقبر الذي بجانب قبر الطرطوشي كتب عليه أنه قبر محمد الأسعد. ولست أدري من هو.

وكنا سمعنا الطرطوشي لنزور اثنين من جلة العلماء: القاضي سند والحافظ السلفي، فدلنا على مسجد صغير جداً عليه قبر بجانب جداره الشرقي علق فوقه لوح كتب فيه أنه قبر القاضي سند بن عنان الأزدي المتوفى سنة ٥٤١ هـ. قال الشيخ الخالدي: وهو شارح المدونة في فقه الإمام مالك. ورأيت في حسن المحاضرة أنه «صحب الطرطوشي وجلس في حلقته بعده وانتفع به الناس وشرح المدونة وكان من زهاد العلماء وكبار الصالحين، فقيهاً فاضلاً مات بالإسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة».

وسألت أين قبر الحافظ السلفي فأشار خادم المسجد إلى موضع بجانب سارية أمام المنبر وقال: قد سوي القبر بالأرض ليتسع المكان للصلاة. قال الخالدي: وكذلك رأيت في مساجد المغرب يصلي الناس على بلاطات تحتها قبور.

والحافظ السلفي ولد في أصبهان حوالى سنة ٤٧٥ وشغف بالحديث ورحل في طلبه وورد بغداد وأخذ اللغة عن الخطيب التبريزي. وقدم ثغر الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأقام بها أكثر من ستين سنة حتى توفي سنة ٥٧٦. وقصده الناس من مصر وغيرها يأخذون عنه وذاع صيته في الآفاق وبنى له العادل وزير الظافر الفاطمي مدرسة في الإسكندرية وبقي يدرس فيها زمناً طويلاً ودفن في مقبرة وعلة أيضاً.

وكانت مقبرة وعلة مقبرة كبيرة بالإسكندرية دفن فيها كثير من العلماء. وبحثت مع الشيخ الخالدي ثم قرأت في بعض

ابن رشيد رواية عن التجيبي : « وكان شيخنا الحافظ المحدث رحمه الله يقول لا أعرف في البلاد التي تعرفتها من جمع بين ثلاثة أئمة في ثلاثة مذاهب إلا الثغر في عشرة وطئة ، وقبور الأئمة الثلاثة في الثلاثة المذاهب بالمقبرة المذكورة متلاصقة : قبر أبي الطاهر السلفي الشافعي ، وقبر أبي بكر الطرطوشي المالكي ، وقبر أبي بكر محمد بن إبراهيم الحنفي » (يعني الحنفي على عهد الأخذ في النسبة إلى أبي حنيفة)

وقرأت في رحلة ابن رشيد أيضاً

« زرنا بالإسكندرية حماها الله مسائل قبر الإمام الزاهد المحدث ، آخر الحفاظ بقية المحدثين أبي الطاهر السلفي ، من باب الأخضر على مقربة منه وله مشهد كبير هائل ، وعلى مقربة منه قبر الزاهد الفقيه الإمام أبي بكر الطرطوشي رحمه الله ، وعلى قبره مكتوب توفي الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الفهري في جمادى الآخرة سنة ٥٢٠

وبمقربة من المسار الغربي قبر يقال إنه قبر عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج رحمه الله » اهـ

ومررنا بعد إلى جامع المنير فرأينا جمال مقصورته ومنبره وسماته وحوائطه وانفسحت أنفسنا لمدخله حتى جلسنا فيه جلسة طويلة في صحن المسجد الطويل . ورأينا ضريح الشيخ ابن المنير وهو في جانب من المسجد عليه قبة شامخة

وابن المنير هو عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير . قال السيوطي نقلاً عن ابن فرحون : كان شيخ الإسكندرية ويلقب بعز القضاة فاضلاً أديباً شاعراً وانتفع به الناس . أخذ الفقه عن أخيه ناصر الدين وزين الدين ، وألف تفسيراً في عشرة مجلدات » (لعله يريد تفسيره المسمى الانتصاف من صاحب الكشاف)

ولد سنة ٦٥١ وتوفي سنة ٧٣٦

ثم قصدنا إلى زيارة الصوفية فزرنا أبا العباس المرسي ، وقبره الآن تحت المسجد العظيم الرائع الذي شيدته وزارة الأوقاف الآن وتم إتمامه قريباً . وهو أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري من كبار الصوفيين ، وأكبر أصحاب أبي الحسن الشاذلي . توفي سنة ٦٨٦

وعلى مقربة منه قبر العالم الكبير عثمان ابن عمر المعروف بابن الحاجب أحد أئمة العلماء المصريين في القرن السابع . ولد بإسنا في العقد الثامن من القرن السادس وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٦ . وله مصنفات في الفقه والأصول . وأما مصنفاته في النحو فقد طبقت شهرتها الآفاق وغلبت بأسمائها كتب العربية . وحسبك في النحو الكافية وشروحها وفي الصرف الشافية وشروحها

لم نستطع الوصول إلى [illegible] في جامع أبي العباس . قال ابن خلكان : ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي أسامة

ومررنا بعد زيارة أبي العباس فزرنا اثنين من كبار الصوفية : المكين الأسمر عبد الله بن منصور الإسكندراني شيخ القراء بالإسكندرية في وقته . مات سنة ٦٩٢

وقال ابن رشيد : « الشيخ المقرئ الزاهد مكين الدين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي ويلقب بالمكين الأسمر أحد الصلحاء الفضلاء ، وهو المقرئ لأهل القرآن بالإسكندرية . قرأت عليه بدكانه بعرفة حرسه الله بمقالة . يوم السبت الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من عام أربعة المذكور ، جميع المجالس الخمسة السلفانية التي أملاها الحافظ أبو طاهر السلفي الخ »

وبجانب المكين قبر ياقوت العرشي أحد الصالحين . وهو ياقوت بن عبد الله الحبشي العرشي تلميذ أبي العباس المرسي . وكان الناس يقصدونه للدعاء والتبرك . مات بالإسكندرية ٧٣٢ . قال الشيخ الشعراني : ذكره ابن عطاء الله في تآليفه

وأما ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم فهو أحمد بن محمد ابن عبد الكريم ... الإسكندري . كان صوفياً على طريقة الشاذلية ، جامعاً لعلوم شتى من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه ، وأخذ عن أبي العباس المرسي ، وأخذ عنه التقي السبكي . وله كتب منها كتاب الحكم وهو من أروع ما أثر من أدب الصوفية ، وكتاب التنوير في إسقاط التدبير ، وكتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس ، والشيخ أبي الحسن (أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي)

ومات بالمدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ ودفن بالقرافة

وعلى مقربة من ضريحي الأسمر وياقوت في الجانب الآخر من الشارع بناء جديد نقلت إليه بلدية الإسكندرية رفات جماعة من الصالحين كانت في قبور متفرقة في المدينة . وقد قرأت على الجدار من الخارج أسماء أحد عشر منهم ، وأحصيت تقادم أيهم تسعة عشر .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

من قاموس الأبحاث العلمية والفلسفية

بين الفرض النظري
والحقيقة الواقعة
للدكتور محمد البهي

- ١ -

للفيلسوف أن يفرض ما شاء من النظريات والمبادئ لإصلاح المجتمع وتهذيب الفرد، وللأخلاق أن تتحدث عن كمال الإنسانية وفضائلها. والواقع بعد ذلك أن يسطر حوادثه في سجل الوجود بأسلوبه الخاص وعلى النسيج الذي ترضيه الأيام وتصنعها أمام الأفراد والجماعات.

وضع أفلاطون «جمهوريته» وتكلم فيها عما يجب أن يتبع لقيام حكومة مثالية ونظام دائم يرعى مصلحة الفرد كما يحرص على نفع الجماعة. وأسهب في تفاصيل ذلك النظام ووسائله وفي طبائع الإنسان التي تميزها والتي يجب أن تسودها «العدالة» في نظره إذا قصد به إلى الكمال المطلق.

وظن كثير من أتباع هذا الفيلسوف أنها أجود ما يتحفه عقل مفكر، وأن في نظامها خير ما ترجوه الإنسانية.

إلا أرسطو؛ لأنه عاش بتفكيره في عالم الواقع ووجه عنه الفكر في أغلب الأحايين إلى إيجاد حلول لمشكلات وقته وأرباب شعبه — فقد تناول جمهورية أستاذه بالنقد مسترشداً بتجاربه ورد كثيراً من مبادئها لأنها قامت على الفروض (Utopie) التي لا تمكن الأمم ولا طبيعة الإنسان من تطبيقها.

كذلك تشعب كثير من علماء الأخلاق وجهات نظرهم فيما هو أسمى الفضائل التي تقرب الفرد والجماعة من «الكمال الأعلى» وتضعهما في مستوى روحي يحول بينهما وبين الشقاء النفسي، وعددوا كثيراً من المثل «للخلق» كتحديد لما هو الأسمى من الفضائل أو تعريف للفضيلة. وآمن رجال الدين بهذا المبدأ وبنوا عليه وعظهم الخلقي كما حاول المشرعون منهم ذلك في تشريعهم، سواء فيما يتعلق بنظام الحكم أو بمعاملة الأفراد بعضهم لبعض

ولكن الواقع أنكر هذا الإطلاق فيما مضى ولا يزال ينكره؛ لأن ما يقع من تصرف الإنسان مهما كان النفس بعيداً — عن التوازن — في إصداره، ومهما يكن الدافع الذي بعث عليه في مظهر التجرد من الغايات الشخصية لا يخلو من تأثره «بالميول». وهذه لا شك تضيّق من دائرة العدل وتحد من عمومه، ولذا يجعل البحث الواقعي للمسائل الخلقية إلى الاكتفاء بطلب العدل النسبي في الأحكام وبوصف العادل، وفي حدود النسبة بمقاييس النظريات.

كذلك مرّ في النصوص البشرية إماماً ورغبة في حسم النزاع بين الأفراد في الأصل تحولت من بعد إلى حرب بينهم أو عن دافع عنصري، أو «الكفاية» هي المقياس الصحيح للفصل في أفضلية فرد على آخر. وهي تختلف طبعاً تبعاً لطبيعة ميادين النشاط المتنوعة في الحياة. فالكفاية الأدبية غير الكفاية السياسية، وهاتان غير الكفاية العسكرية والاقتصادية مثلاً. وكانت في جانب شيئاً صحيحاً لأنها تكشف عن عنصر القوة الذي يجري لبقاء الصالح ويحد العدو في معترك الوجود، ولأنها أصلح لتوجيه نظام الجماعة للإنتاج الإيجابي والعمل المثمر في سبيل الخصوص إلى وجه المشترك، فضلاً عن أنها أدنى لتحقيق العدل في توزيع منافع الحياة بين الأفراد.

ويخيل لنا عند تقرير مبدأ الكفاية من الناحية النظرية في نظام الحكومات مهما اختلفت الأسس التي قامت عليها تلك الحكومات، حتى عصرنا الحديث نجد الديكتاتورية، رغم ما يبدو في طابعها من تحكم الصفات الفردية، تنادي بالكفاية كشرط أول لإنتاج الأداة الحكومية. والديمقراطية طبعاً تحكم ما يستكر عليه نظرياً من أصل للمساواة ودفع أي عنصر آخر في التفضيل بالتكليف بالأعمال العامة سوى عنصر الشخص، أشد إمعاناً في تعالي النظر بمبدأ الكفاية من أي نظام آخر من نظم الحكم الحاضرة.

ولكن إذا نظرت إلى الفكر بعينه الصبية حين استعراضه الآراء المختلفة المتعلقة بنظم الحكم وعلقناه على ملاحظة ما يجري عملاً في التفضيل والاختيار، لا شك أنه سيخلص، ويستعيد نفسه كما كان أشد إمعاناً في «المثالية» Idealism.

وإذا تجردت للملاحظة السطحية من أن تقدم أمثلة كثيرة،

لما يحدث في ظل الدكتاتورية من مخالفة لهذا المبدأ [illegible] الرقابة على النشر — سوف تحس في الديمقراطية البرلمانية عنصراً آخر — وهو الصحافة الحرة — له السيادة المطلقة على مبدأ الكفاية في الاختيار

وبهذا حاورنا مثل هذه المبادئ الخلقية العامة التي لا تنكر صروفها من الناحية النظرية في حياة الجماعة، والتي وجدت لها، منذ أن عرفت الجماعة البشرية النظام، أنصاراً متحمسين إلى حد التضحية بأرواحهم أو بجسيم الشخصية في هذه الحياة. إلى الصعاب التي من أقرب أن تكون مذاهب فردية، نجدها كذلك لا تنعكس على مرآة الواقع صدقاً للصورة التي صاغها العقل عنها

فالذي يدين بمبدأ الصراحة، إذا أراد أن يجعله أساس تصرفه وقوام عمله، سوف يجد عنتاً في بحثه وسوف تتعقد الأمور في طريقه لأن سبل الحياة بعضها ملتوية ورغبات الأفراد فيها مختلفة لا تنال إلا من طريق أعمالها

والذي يعتبر كرامته تقديراً مثالياً، يجعل أشد العزة مما يقوم به مرج عزته والحط من مكانته، سوف يصطدم مع الواقع صدمات عنيفة لأن ما في الواقع منازع له وسجية. والدرع كثيراً ما يكون سبباً مباشراً في اعتداء أحد المتنازعين على الآخر، والاستحسان المعتدي عليه أخص مظاهر الاعتداء

والذي ينزع إلى فهم الصداقة على أنها يجب أن تسود كل العلاقات الممكنة بين شخصين سوف يكون آلامه من جراء هذه الصداقة أكثر من سروره بها، لأن التنافس والعمل على تحقيق المنافع والرغبات الشخصية، وما في الغرائز الفطرية في الفرد، مما يحول دون الوفاء بمقتضيات الصداقة على هذا النحو

فالمبادئ النظرية لم توجد بعد في الواقع كما هي كما المثل النظري، أو على حد تعبير «كانت» المثل الخالص، لا كما صورها الخيال

ولكن هذا لا يمنع من تأييد الفيلسوف إلى حد ما إذا هما معه، يدخل الدين والأخلاق إنما ينادي بالتقريب من المثل العليا لأن بذلك كل منهما تقليل شرور المجتمع (والتي وضعها لأنها من طبيعة الإنسان)

وإنما على الذين عاشوا حتى الآن في حياة النظر، واسترسلوا في خيال الأمل وصدوا عن واجبهم على الوجه الذي يرضيهم الرغبة في تقليد المثاليين، إلى طلب غاياتهم العليا حقائق واقعية. لأن المثل الأعلى لم يكن كذلك إلا لبعده عن تحقيق الغاية — وما يشاهد قريب منه فقط — عليهم أن يربطوا بين حياة النظر وحياة العمل حتى لا يكون حيث الأمل فاجعة إذا عالم فرق ما بين الحياتين، وحتى لا يكون الانتقال من الأولى وهي حياتهم حتى الآن، إلى الثانية، وهي حياتهم الجديدة، قاسياً صعب التحمل. فكثير من الناس انتزع مطركه، وكثير من الناس صحبه التشاؤم في عمله وسيطر على حياته، وكثير من الناس لم يصبر على مشاق دعايا الواقعية — في نظره — فذهب صحبه اليأس والقنوط والملل، لا لشيء، سوى أنهم كانوا يحيون حياة شبيهة الأيعي «بالمثالية» ولم يتصوروا حدا في عهد الواقع

[illegible] البهي

الزراعة العملية الحديثة

تأليف الدكتور مؤنس مصطفى الشهابي

خريج كلية مونبلييه ومدير وزارة الزراعة
ووزير المعارف سابقاً في سورية

الشهابي كتب الأمير الشهابي الزراعة و العلم العربي وأشهرها هذا الكتاب الذي نفدت نسخه منذ بضع سنين . وقد أتيح لنا صفحة المؤلف أن طبعه طبعة ثانية في دمشق بعد أن نقحه وأضاف إليه تغيرات وفوائد الزراعية كثيرة. في طبعة منقحة بأحرف صغيرة وورق مصقول ، ويشتمل على ٤٣٩ صورة وهو يبحث في الأتربة وتركيبها وخصائصها وعلم حياة النبات والأعمال الزراعية والأسمدة وصرف المياه والمعطلات والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والأرز، والقرنيات كالفول والفاصولياء، ونباتات العلف والنباتات الليفية كالقطن والكتان والقنب، والنباتات الزيتية كالسمسم والخروع ، ونباتات الصباغ كالحناء والنيل ، والنباتات الدرنية كالبطاطا والقلقاس ، ونباتات مختلفة كالتبغ وقصب السكر ، وأهم القواعد في زراعة الأراضي اليابسة في القطر إلى آخر ما هنالك الخ

وقد وفق المؤلف الفاضل بين العلم والعمل وأوضح بطريقة أسلوب القواعد التي يجب على أرباب الزراعة أن يسيروا عليها

ولا يستغني أرباب الزراعة وأساتذة المدارس وتلامذة المدارس الزراعية وخريجوها عن هذا الكتاب

وقد خفضنا ثمنه إلى ٦ قروش صاغاً تشجيعاً للطلاب

وهو يطلب من سائر المكاتب الشهيرة

مكتبة عبد ركن الطالبين بطولكرم — فلسطين

السراكنوى هم السرويون

للأب أنستاس ماري الكرملي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

٧ – ما تحصل مما سبق الكلام عليه:

يتحصل مما سبق الكلام عليه أن السراكين هم أهل السروات، وهم قبائل تقيم في نواحي بلاد العرب من الحجر إلى ديار الأنباط، أو جنوبي اليهودية، بل إلى الشام

وأما (السكينيين) فليس اسم عرب، لا عند السلف ولا عند الرومان أو اليونان. وكيف يكونون كذلك والاسم يؤدي معناه (أهل الأخبية) فقد يكونون من أبناء يعرب كما قد يكونون من أبناء العرب. فأهل الأخبية أو سكان الأخبية معناه الرُّحَّل، أو أهل البادية، الذين يأوون إلى الأخبية. فإذا صحت هذا، صحت المقابلة على ما هي بلا تنافر، ولا إشكال، ولا غموض

وقال الأستاذ السعودي – وهو ينقل دائماً ما جاء في معلمة الإسلام، وإن لم يذكرها –: «أن "السراكينوي" لم ترد لهم ذكر في كتب الأسفار السريانية ما خلا رسالة وضعها وداماتيس (؟ كذا) السرياني في بداية القرن الثالث الميلادي عنوانها Ketaba de Namose d'Atraweta [1] ذكر فيها الطائيين Tayeye و"السراكينوي" Sarakoye فهؤلاء... هما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرُّحَّل» اهـ

في هذا القول نظر، لأن ابن دَيْصان لم يذكر السراكينوي في تأليفه – بل قال «سَرْقاي» أي العرب السرويين، وذكرهم بأحرف إرَمية بالصورة التي ذكرناها في العربية. والأصح عندي أن اليونان والرومان ومن نقل عنهم ذكروا أبناء عدنان وقحطان مرة باسم العرب، وأخرى بالسرويين، أو السراكين أو السرقيين أو السراكينوي)، وطوراً باسم سكان جزيرة العرب، أو نحو ذلك ولم يسموهم باسم واحد

[1] كذا، والصواب ما في اللغة التي نقل منها أي Ketaba de Namose d'Atrawata والأصح أن تكتب بحروف عربية هكذا: كتابا دنموسا دأترواتا، أي كتاب شرائع البلاد. وأما برديصانيس، فليس له وجود، وإنما هو برديصان، وهو الصحيح أن يذكر، وعنه العرب ابن ديصان أيضاً (راجع مختصر الدول لابن العبري ص ١٢٠ من طبعة بيروت)

أما أن المسيحيين عرفوا بعد ذلك عند الغربيين بالسرقيين، فلأن الإسلام نشأ وترعرع واكتهل في المشرق، ومنه امتد إلى سائر العالم. فمن الحق أن يسمي الغربيون المسلمين بالسرويين أو بأهل الشرق، دون تسمية مأخوذة من سكنهم، أو وطنهم، أو منشأهم الأول. كما أن النصارى سموا نصارى، جمع نصراني، وأصلها ناصراني، نسبة إلى الناصرة، وهي المدينة التي حوت المسيح بمدة أيامه أو معظمها

إذن لا وَهْم ولا خطأ في تسمية المسلمين: «سرويين». أما أن أبناء الغرب حصروا هذا اللفظ بالمسلمين الذين افتتحوا ديارهم، فلأنهم كانوا قد خضعوا لهم عن طريق مصر وإفريقيا الشمالية

وأما أن الفرنسيين سموا العرب (سرازن)، أي الحنطة السمراء، فهذا من رأي الأستاذ السعودي الخاص به، وهو لا يوافقه عليه، ولم يقل به أحد. وذلك لأسباب منها: أن السرازين Sarrazin عند الفرنسيين ضرب من القمح أو الحنطة أسمر اللون أو سوداؤه، وليس بحرة، واسمه بلغة علماء النبات Polygonum Fagopyrum ولم يعرف اللفظ (سرازين) في المعنى المذكور إلا في المائة السادسة عشرة. أما (السرازن) بمعنى العرب، أو السرويين، أو المسلمين، فكان معروفاً عندهم منذ عهد الرومان واليونان

على أن الفرنسيين يسمون أيضاً سرازن ضرباً من الجاورس، يعرف عندهم أيضاً باسم Bocail أو bucaille ويسميه العلماء Fagopyrum Esculentum فاسم النبات مأخوذ من اسم العرب لا العكس، كما ذهب إليه حضرة الأستاذ الفاضل

٨ – تفسير آراء المخالفين لرأينا

ذهب بعضهم إلى أن (سراكينوي أو سرازن) مأخوذ من اسم جبل بعينه، وكان يطلق عليه، إلا أنه ليس في التاريخ ما يثبت هذا الرأي، فهو رأي لا علة

أو أنه مأخوذ من (الشرقيين)، فقد ذهب إليه جمهور علماء الغرب، أو يكاد، إلا أن العرب لم يسموا أنفسهم شرقيين حتى نقل عنهم. فالتسمية غريبة عن هذا الوضع المعقول

أو أنه من (سرّاقين)، وأنه منقول عن العرب للتحقير، أطلق بهذا اللفظ الأعراب الرُّحَّل، احتقاراً لهم، فهو محتمل، لكن الأفصحين من الرومان واليونان يذكرونهم بلا ذم، وأنهم من أقصى الحجاز إلى اليهودية أو إلى الشام، فيبس الاسم من أصله

البادية الكثة ، بل منهم عرب يسكنون دوراً آمنة ، ليس إلاّ .

وأما أن الاسم منحوت من « صحراء ساكن » ، فهذا من أعجب الآراء ، ولا يجوز به إلا جهلة اللغة العربية ، بدلا يُعدّم في هذه المسألة السامية إلهاماً للمصنف ، بخلاف اللغات اليافثية ، أو الآرية .

وأما أن الأجانب أطلقوا اسم (الشرقيين) على القبائل التي تناوحهم من جهة الشرق ، فالتعسف ماثل في هذه البعد ، كما لا يخفى على فطين ، وقد ذكرها اليونان والرومان في تواريخهم .

بقي علينا أن نبيّن التعدي من قول مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع « إن (السرازن) اسم لـ (الإسماعيليين) الذين كانوا يقيمون في صحراء دمشق (لا دمشق كما قال الأستاذ) في مقاطعة فاران » اهـ . فهذا معناه أن السرويين ، وهم أهل الجبال ، انتسبوا إلى الإسماعيليين ، سكان السهول والصحارى ليكونوا كتلة واحدة . وحتى تمّ خبر هذا النص ، ولم يعرف المتأخرون اسم السرازن ، إلا أنهم كانوا منتسبين إلى أهل السراة العليا ، أو سراة الأزد .

وقد أحسن الأستاذ السوردي في تعريف من نقل إلى السراكينوي لا تزال سلالتهم ممتدة إلى اليوم في مدينة (السوارك) تلك القبيلة السوية الصغيرة التي تسكن إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة ، إن هذا حديث مراقة

ثم يبيّن ان لا التقوا بأب (السراكينوي) أو (السارازين) أو (السرازن) هم (السرويون) أو أهل السراة أو السروات وكانوا معروفين في صدر الإسلام بهذا الاسم . قال في التاج في مادة (س ر ي) : « وكثيراً ما يذكر الصيقوري في كتاب الثقات من السرويين أي من أهل السراة » اهـ

وفي الكامل للمبرّد (٢ : ٢٨٧ من طبعة مصر) : « . . . ومن الحي من خثعم ، عبد الله بن الطفيل الأزدي ثم الدوسي ذو النور ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً في جبينه ، ليدعو به قومه ، فقال : يا رسول الله ، هذه مُثلة ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوطه ، فلما ورد على قومه بالسراة ، جعلوا يقولون : إنه جبل يلتهب ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة » اهـ

فهذه شهادة بينة على أن أهل السراة عرفوا الإسلام منذ عهد الرسول . فلا عجب بعد ذلك إذا عرف المسلمون بلفظ « السرويون »

وأمد السرويون جاهدين من دينهم المسلمين في الفتوحات مع كبار القادة منذ نشأة الإسلام . من ذلك ما في تاريخ الطبري في أخبار سنة ١٤ للهجرة (١ : ٢٢١٧ من طبعة الإفرنج) : « خرج سعد ابن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف ممن قدم عليه من اليمن والسراة ، وعلى أهل السروات حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي ، وهم بارق ، وألمع ، وغامد ، وسائر إخوتهم في سبع مائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفين وثلث مائة ، منهم النخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ، مقاتلتهم ، وذراريهم ، ونساؤهم »

وفي الإصابة (١ : ٥٠ من طبعة بولاق الأولى) : « وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه [إسلام أسد بن كرز] ، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد من إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسد بن كرز ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوساً ، فقال له : يا أسد من أين لك هذه النبعة ؟ فقال : يا رسول الله ، تنبت بجبالنا بالسراة . فقال الثقفي : يا رسول الله ، الجبل لنا أم لهم ؟ فقال : بل الجبل جبل قسر ، يعني ابراهيم قسر صغير . فقال أسد : يا رسول الله ، ادع لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك في عقب أسد بن كرز » اهـ

فهذه الأدلة وغيرها[1] ، وهي لا تُعدّ ، تبين أن السرويين دانوا بالإسلام منذ عهد الرسول ، وسعوا في نشره . ولا جرم إذا سمى العرب جميعهم باسمهم أو سمى الإسلام باسمهم ، وجرى عليه الأعاجم جميعهم

لكن لما كانت السراة أو السروات ممتدة بامتداد جزيرة العرب من أقصى الجنوب إلى الشام ، كان فيها قبائل عديدة مختلفة الأسماء ، أطلق الأجانب من غرب وغير غرب اسم السرويين على كل عربي . أما أن هناك سروات مختلفة القبائل ، فيشهد عليها من نقل عنها ، فمنها سراة الأزد ، وسراة ثمالة ، وسراة بجيلة ، وسراة بلى والوحمة ، وسراة بني علي ، وسراة عبلان ،

---

[1] ومن هذه الأدلة أيضاً ما جاء في معجم البلدان ٣ : ٢٩٣ من طبعة الإفرنج : « ومما كان عجيب من الحروب ، إلى أن ظهرت بهم سعد ، ثم خرجوا إلى أن ظهروا بالسراة ، والسراة جبل الأزد الذي هم به ، يقال له السراة . ويقال له الحجاز وإنما سمي السراة من عند جبل ظهره ، ويقال ظهره السراة كما يقال ظهر الدابة سراته ، فالأعراب تتكلم في سهلة وجبله وما قرب ، وهو جبل من حوزة الشام ، وقيل عنه ويقع الحجاز ما بين أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين وما قال جبل موسى »

وسرية جنب، وسرية بجيلة، وسرية هوازن، وسرية ذي
ومرة الطائف، وسرية عذرة وجشم، وسرية عمرو، وسرية
خالد، وسرية خثعم وهمذان، وسرية جذام، وسرية مذحج،
وسرية الصنائع، إلى غيرها. وبهذا القدر نكتفي في هذا الموضوع

٩ - ملاحظاتنا

الملاحظة الأولى: رأينا بين مقال الأستاذ السويدي وما جاء
في ترجمة Sarracins من معلمة الإسلام تشابهاً، وكان يحسن
بحضرته أن يقول: إنه اقتبس أصل كلامه من المعلمة المذكورة،
حتى لا يبخس الناس جهودهم، ولا يدعي أحد منهم شيئاً

الثانية: كنا نود أن تكتب الأعلام على ما وضعه العرب
لا الإفرنج، حتى لا يظهر للغير أنها مقتبسة من أبناء
الغرب. فكان يجب أن يقال [illegible]
لا أن يكتب بحروف إفرنجية، وفي كتابتها ثلاثة أوهام، إنما
ما قابلناه برواية معلمة الإسلام. وكذلك يقال في كتابة سائر
الكلم التي دونت بحروف إفرنجية فإن الأسلم منها خطأ

وقال (ص ١٩١٠) [illegible] والمشهور [illegible]
أو [illegible]، وقال (في الصفحة المذكورة): البيزنطيون والسلف

لم يعرفوا إلا «البوزنطيون» و«بوزنطية» [illegible] لأن
اليونانيين كانوا ينطقون بها هكذا كما ينطقون [illegible] وجهتهم
مرجحة على كيفية النطق بالحرف اليوناني لا في أيام العرب الأولين

الثالثة: كنا نود أن يتحرى أفصح الألفاظ في الكلام
فالعرب لم تسمّ ملوك الروم «الصفر»، بل «بنو الأصفر». أما
الصفر فهم الذين [illegible] وملوك الروم ما كان [illegible]
اللون [illegible]

وقال «الجبال السوداء» والعرب تقول «الجبال السُّود»،
كما تقول الرجال السُّود والنساء السود، ولم يقل أحد منهم الرجال
السوداء ولا النساء السوداء. وقال «من جنوب وشمال إيطاليا»
ونظن أن الصواب هو «من جنوب إيطاليا وشمالها» لأن الجنوب
يدل على ناحية لا على قسم الأرض. وكذلك الشمال

وذكر «الأديرة» والفصحاء يقولون: ديرة أو أديار أو [illegible]
أو غيرها، لكنهم لم يعرفوا أديرة

هذا ما بدا لنا في أثناء المطالعة، ونحن مهتمون بأمور خارجة
عن هذا البحث، ولعل خطأنا أكثر من صوابنا

(بغداد) — أنستاس ماري الكرملي

عقيدة النازي الدينية

للدكتور جواد علي

تنص المادة ٢٧ والمادة ٢٨ من منهاج الحزب الوطني الاشتراكي على الحرية الدينية لجميع الألمان وحماية العقيدة المسيحية في داخل المملكة الألمانية ، وقد طبقت الحكومة الهتلرية عملاً هذا النص في جميع أنحاء الرايخ فجعلت ضريبة الكنيسة ضريبة إجبارية على كل ألماني وألزمته بحضور صلاة الكنيسة ثم لم يحضر ؛ وقاومت حركة الإلحاد ومكافحة المبادئ المسيحية فطردت كل موظف يجاهر بهذه الفكرة وحكمت على كل رجل يجاهر بها أو يربي أولاده عليها بأحكام تتناسب وظروفه ومركزه ، وأجبرت الأولاد في المدارس على حضور دروس الدين بعد أن كانت مسألة اختيارية قبل الحكم النازي تتعلق بإرادة الوالد . وقد شددت الحكومة في المراقبة لأن الذين كانوا يجاهرون بهذه الآراء كانوا إما من الحزب الشيوعي أو من الحزب الماركسي أو من الحزب الديمقراطي الاشتراكي ؛ وهذه الأحزاب الثلاثة هي من ألد أعداء هتلر ، لذلك اختفت الحركة بسرعة طبعاً حسب الغرض المقصود

ومعنى الوطنية الاشتراكية في ذلك هو أن تقاوم الفكرة الصرفة الشاذة التي تدعو إليها هذه الأحزاب وتؤمن بالقوة المطلقة والحياة الروحية Christenleben ويسوده حبه على يحضر هتلر ويسير في منطق حسبه إيجاباً ولكنه لا يعبأ بالصفات أو بالنعوت التي ترد في كتب الديانة واللاهوت . بل هي فكرة مطلقة تشع أشعة مختلفة إلى النفوس حسب كفاءة الأفراد التي تتمتع بها تلك النفوس يظهر أثرها في الإيمان والعزم والإرادة في نظره هم الذين يتمتعون بها أكثر من غيرهم ويمتازون على الأفراد بالعزم والإرادة . ويعتبر كتاب روزنبرج A. Rosenberg إلى هذه الفكرة في كتبه ومؤلفاته ويتوسع في نشر المبادئ المسيحية الحقيقية لا مبادئ المسيحية الحالية التي هي من مبتكرات اليهود على رأيه . وحاول كذلك رجال النازي من رجال الكنيسة وعلى رأسهم رئيس أساقفة الرايخ مولر توسيع دعوة هتلر وروزنبرج وتنقيح التعاليم المسيحية حسب التعاليم النازية، ولكنهم اصطدموا

معارضة وصمة من البروتستانت بزعامة الدكتور نيمولر في برلين الذي لا يزال حتى الآن في السجن، ومن الكاثوليك بزعامة أسقف في ميونخ وكاردينال الراين

والفكرة نفسها عقيدة دينية تحاول تنظيم حياة الأمة والفرد على أساس العنصر والوطنية، وتتدخل حتى في الأحوال الشخصية للفرد لتكييف حياته وفق النظم الجديدة، وهي ما يصطدم طبعاً والعقيدة المسيحية التي تراها الوطنية الاشتراكية عقيدة يهودية رومية من مبتكرات سكان البحر الأبيض المتوسط، لا تتفق أبداً مع العقلية الجرمانية الشمالية . وهذا النقد اللاذع الموجه للمسيحية يرجع في الحقيقة إلى أدوار تسبق هتلر والنازية بكثير ، ويكفي أن نذكر الفيلسوف المعروف الألماني المتطرف Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) ؛ وكذلك الفيلسوف نيتشه Fridrich Nitysche (١٨٤٤ — ١٩٠٠) والفيلسوف هوستن جامبرلين Houston Stewart Chamberlain (١٨٥٥ — ١٩٢٧) مؤسس الفلسفة الوطنية الاشتراكية وذو الأثر القوي على هتلر ، والذي كانت بينه وبين هتلر صلات[1]

وبعد تسلم الوطنية الاشتراكية زمام الحكم أصبحت هنالك مسألة العقيدة المسيحية مشكلة خطيرة جداً إذ أنها تصطدم مع أسس العقائد النازية؛ لذلك ظهرت هنالك فكرة لحل المشكلة حلاً يتفق مع المبدأ النازي، وظهرت جماعة من بين صفوف الحزب أطلق على مؤسسيها اسم (المسيحيون الألمان Deutsches Christen) لم تر إلغاء المسيحية ولا محوها ، ولكنها رأت تجريد المبادئ المسيحية من كل أصل أو عقيدة يهودية أو أية فكرة تراها النازية غير جرمانية، إلا أنها سرعان ما اصطدمت هذه الفكرة بصعوبة وهي تعيين الحدود بين اليهودية وبين المسيحية وإلى أي حد يجب أن يمتد الحذف والإخراج من هذه الديانة ، وعلى أي أساس يكون ذلك ، أعلى أساس أقوال هتلر وروزنبرج أم على أساس التاريخ . وهذا ما يتعارض مع عقيدة النازي التي لا تؤمن إلا بأقوالها فقط (أنظر كتاب Heinrich

(١) أنظر آراءه في كتابه Die Grundlagen des 19. Jahrhunderts وهو من أكبر المتعصبين في نظرية العنصر والمعادين لليهود وهو انكليزي الأصل ، ولكنه ألماني الثقافة صهر فاجنر وسكن ألمانيا في بيروت حيث توفي فيها

Schmidt Philosophisches Wörterbuch وكان في حين ظهرت هناك حركة أخرى أوسع من هذه أطلق عليها اسم الإيمان الألماني Deutsche Glaubensbewegung انضم إليها بعض رجال الحرب وأشتات رجال مختلفة المشارب والنزعات كذلك؛ فهناك من اعتقد بوجوب الاعتقاد فقط بقوة علوية هي وراء الطبيعة ووقف يطلق عليها اسم الإله Gott كما هو في المسيحية، ولا يتورع بعد ذلك ولا يوسع نطاقه ويوجد لاهوتية أخرى، مثل هذه الحركة الكونت ريفنتلو Graf Reventlow المشهور بآرائه الفلسفية والدينية، وبكتبه في دعوى الحركة النازية وإن لم يظهر اليوم اسمه عالياً في صفوف النازي. ومنهم من أراد الاعتقاد بالمسيح ولكن بمسيح جرماني تكون حياته حياة جرمانية وأوصافه جرمانية كذلك، هي غير أشقر يميل إلى البياض، وعينيه زرقاوين طويل الجسم نحيف الوجه لم يصبح لأوربي بعد. وهذه هي آراء البروفسور مندل من جامعة كيل بألمانيا Prof. Mandel Keil وظهر آخرون فكروا بوجوب إلغاء العبادة المسيحية تماماً والاستعاضة عنها بالعبادة الجرمانية القديمة، وإنشاء كنيسة دينية تحت عرش تقام بها الطقوس الألمانية؛ وقام بهذه الحركة de la vigne Eckmannsdorf.

وأخيراً اجتمع ممثلو هذه الحركة في شهر يونيو من سنة ١٩٣٣ في مدينة ورتبرك Wartburg رأسه البروفسور هور Prof. Hauer، ثم في سنة ١٩٣٤ في مدينة Thübingen حيث وصلوا إلى وضع الأسس التالية:

١ — يجب أن يكون الإيمان الألماني مستمداً من الروحية الألمانية

٢ — إن الشرع أو العنصر الألماني مستمد من الأزلية الإلهية؛ لذلك يجب إطاعة هذه الأزلية

٣ — على حسب هذه العقيدة يحاسب المرء على أعماله وأمواله

وقد ظهر بعض الكتاب يحاولون إثبات أن المسيح لم يكن يهودياً بل كان يونانياً في آرائه الحسية، ومنهم من أخذ روحياً، ومنهم من حول الفرضية على أنه يهودي وأن Paulus القديس بولس اليهودي الأصل هو الذي اخترع تلك القصص، أو أنه أخذها من اليهودية ونسبها إلى روما فأوربا حيث طارت شهرته

(٤) أنظر ص ١١٩ من كتاب Heinrich Schmidt Philosophisches Wörterbuch

الجرمانية والأخلاق الجرمانية المتينة وتقضي على الجرمانية التي كان يدين بها كل جرماني حتى القرون الوسطى.

غير أن أقوى حركة في صفوف النازي هي حركة ألفريد روزنبرك التي تحاول إرجاع العبادة الجرمانية القديمة عن طريق التصوف الألماني Die Deutsche Mystik مع الفصل عن المسيحية بنوعيها الكاثوليكية والبروتستانتية، لأن الكاثوليكية ليست في نظره سوى الفكرة الإمبراطورية الرومانية القديمة Imperium Romanum تتمثل في عقلية البابوات بكون سيادة عالمية. أضف إلى ذلك أن الكنيسة قد جردت الجرمان في نظره من عناصر الحرية والاستقلال والعزة الوطنية الذاتية لتستبدلها إلى الآراء السامية اليهودية، وسقوط آلاف صرعى في سبيل الإمبراطورية الرومانية التي ورثها البابوات[2]. ويرى في الكنيسة البروتستانتية كذلك تدخلاً في السياسة وفي الشئون العامة للشعب وفي المبادئ النازية كما حدث في مجمع الأساقفة البروتستانت في عام ١٩٣٣ في مدينة أكسبورغ حيث حمل حملة شعواء على النازية ومبادئها.

والطريقة الوحيدة التي يراها هي الرجوع إلى الروحية الألمانية القديمة التي نادى بها المتصوف الألماني الشهير مايستر إيكهارت ١٢٦٠ – ١٣٢٧ Meister Johann Eckhart أحد أساتذة الطريقة الدومينيكانية المسيحية Der Dominikaner وتلميذ اللاهوتي الألماني الشهير ألبرت فون بولشتيد Albert von Bollstädt ١٢٠٦ – ١٢٨٠، أحد رؤساء هذه الطريقة كذلك؛ وأحسن رجل اطلع على الفلسفة العربية اليهودية في زمانه، فقد درس اللغة العربية واللغة العبرية، وترجم كتب الفلسفة والطب والتصوف إلى اللاتينية، لغة العلم والأدب إذ ذاك. وكان من أعظم المعجبين بفلسفة ابن سينا والفيلسوف اليهودي ابن ميمون[3] وقد تأثر به تلميذه هذا مايستر إيكهارت فمال إلى التصوف وسار الألمان يعتبرونه المؤسس لما يسمى بالتصوف الألماني.

وقد أثرت آراء مايستر إيكهارت في عصره تأثيراً عظيماً ولا سيما في طبقات الناس حتى اضطرت الكنيسة إلى اتهامه بالهرطقة والخروج على الدين؛ وظل تأثيره مدة طويلة حتى عصر النهضة

(١) أنظر كتاب هل كان المسيح يهوديا؟ War Jesus ein Jude

(٢) أنظر كتاب Alfred Rosenberg, Protestantische Rompilger. 1937

(٣) أنظر ص ١٨٣ Karl Vorländer, Geschichte der Philosophie

الأوربية، كان يرى أن المعرفة لا تكون عن طريق العقل الظاهر، إنما هي بالتفكير العميق، وبمعرفة عن طريق التأمل والتدبر. وعبارته المشهورة « إذا أردت أن تصل إلى اللب فاكسر القشرة » Willst den Kern haben, so musst du die Schale zerbrechen

وكذلك عبارته المشهورة « الصمت هو الذي يتبع ما هو أكثر » وتعرفه Erkenntnis هي الوجود ذاته Sein وبواسطة هذه المعرفة نتوصل إلى إدراك الله الموجود Gott، ويكون هذا الإله موجوداً في كل مكان لم يكن قبله شيء، خلق نفسه بنفسه إذ خلق العقل Geist وجعله سارياً في نفسه علماً فلا يستطيع أن يؤثر عليه أبداً إذ هو جزء طبيعته. ومن هذه الروح Seele وبواسطة الاندماج في معرفة المعاني نستطيع الوصول إلى درجة الوحدة أو الاتحاد مع الله حيث تكون الروح كالمرآة عاكسة لله تماماً، ويقول في ذلك:

« أحمل في صورة الله، من أراد رؤيته فلينظر في ولو أني مثله » والصلة بيني وبين الله هي المحبة liebe وهي كذلك في جميع أجزاء العالم، والله نفسه يحيي ذاته في مخلوقاته وأعماله، ولولا مخلوقاته هذه لما كان الله خالقاً بل ولم يكن الله موجوداً، ولولاي لم يكن الله، ويحصل شعاع الله Funkeln القوي للنفس العليا höhere Seelen Kräfte فيحصل من جراء ذلك إدراك الحقيقة والمعرفة[2]

ويرى روزنبرك أن مايستر إيكهرت قد تكلم وعبر عن عقلية آرية جرمانية ومعتقد قديم، لذلك يريد إحياء تعاليمه هذه وبثها على يد الوطنية الاشتراكية إذ لا طقوس ولا كنيسة كاثوليكية أو بروتستانية، بل مبادئ صوفية جرمانية تجمع شمل الجميع وهذا هو خلاصة الديانة المسيحية في نظره والدين الذي يجب أن ينتشر في كل ألمانيا. ولعل ما في قصة حلاج من الاعتكاف والخوص والانزواء في فكره، وكذلك ما في قصة روزنبرك من اعتزال عن العالم وحب الانزواء هي الدافع القوي الذي حدا بالرجلين إلى التصوف

---

(١) أنظر ص ٢٦٨ من كتاب Mythus der

(٢) ليس من السهل ذكر جميع آراء مايستر إيكهارت في التصوف ويتكلم يكون عن فلسفة تصوف الأحكام تماماً في تاريخها إلا بالعبور كأنها مترجمة إلى الألمانية القديمة واللاتينية ومن يريد التوسع فليطالع Denke. O. Karrer die ausgewählten ... Meister Eckehart Urschriften

و. Büttner, Meister Eck... وكتاب Texte Meisters Eckehart 1925

Alfred Rosenberg, Die ... schriften und Predigten 2 Bd

Othmar Spann, Philosophen ... Mythus des XX. Jahrhunderts

Spiegel 1933 ص 200 وما بعد

مع ما بين التصوف والوطنية الاشتراكية من تباين في التفكير والحياة والكفاح

والواقع أن هذا التصوف ولو حاول روزنبرك وشيعته إسناده إلى جرمانية قديمة هو من الصعب إثبات ذلك لعدم وجود نصوص تاريخية تثبت ذلك، ولأن هذا الرجل كان هو نفسه يدرس التصوف (العربي وبولشفيه) المشهور المترجم للكتب العربية ومتأثراً بذلك، ولأن أفكار (مايستر إيكهارت) واصطلاحاته عبارة عن نسخة طبق الأصل لفلسفة الإسلامية واصطلاحاتهم، ولو كان روزنبرك من المفكرين لغير رأيه تماماً. وروزنبرك نفسه ليس من الاختصاصيين في هذه الموضوعات بل هو كاتب ساعدته الظروف على ذلك

ويظهر من هذه المعالم أن التصوف وهو « التسليم » والتعمق في البحث باطناء النفس في العرف الإنساني، ونظرية الإشعاع الإلهي واختلاف الناس، ثم في سهولة توجيه الرأي العام الذي أخذ يميل بعد الحرب العظمى إلى درس المسائل الروحية هي التي دعت بالوطنية الاشتراكية إلى إحياء فكرة التصوف والبحث عن دين جديد يتفق مع مبادئ الوطنية أو يكيف على حسب آرائه هتلر وجماعته.

مير لمر هو

مرج ... هامبرك ... ك

* * *

ملاحظة: ... الإطلاع ... كتاب ... ص ٣

Mein Kampf ص ١٩ Der Geist des Angriff ص ٤٠

National sozial... Werner Siebarth, Hitlers Wollen 1935

...tische Monatshefte ٣٣٥ ...

الثقافة العسكرية

وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد العودة

من وضع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد تتخيل عظم الفارق بين مسير الجيش ذاهباً إلى المعركة وبين عودته آيباً منها؛ فهو يذهب والأمل في النصر محفوفاً بالخوف من الهزيمة، يذهب ليلاقي العدو، ويعود والبشرة ظاهرة ليلاقي الأهل والأحباب

ومن أجل ذلك، جاشت نفس النبي عليه الصلاة والسلام بعواطف سامية حين عودته من غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق في العام الرابع أو الخامس الهجري، غير تلك العواطف اللاهبة التي جاشت بها نفسه عند ذهابه إليها. كلا النوعين من العواطف سام، ولكنهما في طبيعتهما مختلفان

قال النبي من غزوة الأحزاب وهو عائد

آيبون

تائبونا

عابدون

ساجدون

لربنا حامدون

صدق الله وعده ونصر عبده

وهزم الأحزاب وحده

أرأيت كيف يكون النشيد العسكري عند الأوبة، وحالته عند الذهاب؟

أما عن اللحن، فيقول العلامة القسطلاني في شرح صحيح البخاري، تعليقاً على نشيد آخر، هو قول عبد الله بن رواحة: أنه عليه الصلاة والسلام كان يرجع صوته بالكلمة الأخيرة من ذلك النشيد «أبينا»، ويقول «أبينا أبينا» [illegible] [illegible] نص هذا النشيد

ويقول العلامة القسطلاني أيضاً في التعليق على نشيد آخر وهو الذي قيل في أثناء حفر الخندق: إن النبي كان يقوله ويرد عليه الصحابة بمثله، والظاهر أنهم كانوا يجيبونه تارة ويجيبهم أخرى!

ومعنى هذين التعليقين أن هناك نغمة تشكل هذه الأقوال، أي أنها كانت ملحنة. ولعلها تعتمد على الترتيل أو السجع على هذا الاستدلال، ومعنى ربما نشيد غزوة الأحزاب بلحن موسيقي مثل صلاة العيد الأكبر! ثم هاتان تعتمدان على أن القول كان ملحناً بألحان موسيقية، وهو لا يمكن أن يقال إلا مصحوباً بنغمة موسيقية؟

فأنت ترى أن هذا النشيد هادئ رصين، وقد قاله النبي أول مرة عند عودته من غزوة الخندق، ولكنه صار يقال بعد ذلك عند العودة من كل غزوة، وكان يقال والجنود سائرون، وكان يقال ملحناً على لحن السير؛ فهو وفقاً للتعبير العصري «مارش»

وليس بضائره من قيمته أنه ليس بالشعر، فليس من الضروري أن يدخل كل قول موسيقي في دائرة عروضية من دوائر الخليل بن أحمد. وإن تعدى الشعر، فما يسمى من الشعر وليس من النثر، كان صفة يصطنع بها هذا الجيل

ولم يكتف النبي عليه الصلاة والسلام بألحان السير، بل أنشد أو أمر بأن ينشد ألحان العمل أيضاً. وقد حفظت الأخبار في هذه المكتبة إلى الحنين رجلاً في أثناء العمل بحفر الخندق ونقل التراب منه على الظهور ليكون جسراً على الخندق. أما أسعد فهو من جزأين: جزء يقوله النبي، وجزء يرد به الصحابة عليه، ويقول شارح البخاري: «والظاهر أنهم كانوا يجيبونه مرة ويجيبهم أخرى»

لحن النبي

لا هُمَّ إن العيش عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

إلى الصحابة

نحن الذين بايعوا محمداً
على الإسلام ما بقينا أبداً

أما النشيد الآخر فقد كان يتغنى به النبي والصحابة جميعاً في أثناء حفر الخندق ، وهو من وضع عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبي وقائد من قواده ، وهو

لا هُمّ لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا
« أبينا »

وكان صوته يرتفع كما روى البخاري عند كلمة « أبينا » التي كان يكررها عليه الصلاة والسلام

وفي هذه الوقعة نفسها كانت أناشيد يرددونها في أثناء المعركة ويطربون في أثناء القتال مثل قوله عليه الصلاة والسلام

سيروا إلى الجهاد
سر بنا لحطم
الأحزاب لج

وإذا استعرضنا هذه الأناشيد كلها نجدها في أسلوبها العربي ... قريبة كل القرب بحيث نستطيع أطفالها أن يتغنوا بها على غير حفظ ... وهي ميسرة في أسس أخص من العواطف تعبيراً ... من القتال الكبير ... وهي سهلة محفوظة ، يترنم بها الجنود في المسيرة ...

... من أناشيد الجيش ، وهل يحسب الشعراء والموسيقيون أن لا غنى للشعوب عنهم !

إن الشعوب لا تستغني عن الشعر ولا عن الموسيقى ولكنها تستغني عن الشعراء والموسيقيين إذا ما تعالوا عليها وترفعوا عنها ...

... فتؤلف نفسها إذا لم تجد من يؤلف لها

إنها تفكر في موضوعاتها إذا لم تجد فلاسفة ومفكرين ، وإنها كذلك تعيش معيشة في وجه ما إذا لم تجد من يجمع شملها ويؤلف لها نظاماً ، وإنها كذلك تصنع أناشيد الشعر والموسيقى إذا لم تجد شعراء وموسيقيين

كذلك الأرض التي تعيش عليها إذا لم تجد مزارعين يتعهدونها بالري والاستنبات ، فهي خارجة من عشب ونبتاً غير منتظم ولا منسق

كذلك كانت الحال في مصر في الحرب العسكرية ... ألست أخشى ... في السلطة العسكرية نفسها ألحاناً تعرب عما في نفسه وأشعاراً تنشد ... هل أنت من المصريين الذين حضروا الحرب العسكرية ؟

لقد ... كنت من المصريين ... من الجماعة ... وهم ذاهبون إلى حدود فلسطين وهم ينشدون

يا عزيز عيني وأنا بدي أروّح بلدي
بلدي يا بلدي والسلطة خدت ولدي

وهل تذكر لحن هذا البيت ؟

في ذلك العهد لم يكن هناك ... الرائد ولا كانت السلطة الإنكليزية العسكرية تعنى بوضع ألحان للمصريين المتطوعين ولا كان هناك رجل ... يدعو الشعراء إلى نظم الأناشيد ... في وزارة الشئون الاجتماعية ... « لجنة الألحان » ، ولا كان هناك ... يدعو الشعراء إلى وضع ألحان المشتركة ... ولم يكن أمير الشعراء قد وضع نشيده (بني مصر مكانكمو تهيا) ولا كان أحد رأى ... نشيد الخامسة ، ولا كان الأستاذ ... قد وضع النشيد القومي

لم يكن شيء من ذلك ، ولكن كان مليون من المصريين في ساحات القتال في فرق المتطوعين ، وكانوا ينشدون ، فكان لا بد لهم من غناء عسكري ... ولما لم يجدوا من يؤلفه لهم ألفوه لأنفسهم ، ولحنوه بأنفسهم ، فكان

يا عزيز عيني وأنا بدي أروّح بلدي
بلدي يا بلدي والسلطة خدت ولدي

ولكن ما رأيك في أن هذا النشيد مصري ... وانسيق ...

بالنغمة الموسيقية هنا في أغنى الجنود قد طغى على نشيد

It is a long way

الإنكليزي فكان الجنود الإنجليز يغنون في أثناء سيرهم

يا أزور ابعد يا ...

ثم ما رأيك في أن كل نشيد يظهر فيه أبلغ في صنعته وفي معناه وفي روحه من نشيد شوقي ومن نشيد الجامعة ومن النشيد القومي ومن نشيد الرافعي

أتعنـــي أتجني؟

لا والله، ولكني أرى أن هؤلاء الشعراء الأماجد لم يتصلوا بالطبقة التي عندها سر المطالب على اختلاف ألوانها وأزمانها ولم يتصلوا إلا بالطبقة التي تقيم حول حياتها سوراً من الارستقراطية المزعومة لم يتصلوا بالشعب فهم لا يعرفون عنه إلا ما عرفه شعرهم أمثالهم من طلبة للمعاهد العليا ولكن لا يصلح شعرهم للسيرورة بين العامة وإنما يراد الأناشيد وبخاصة العسكرية منها ما يصلح للعامة

ولقد ظهر اليوم من يكتبون للعامة ولكنهم لم يقتربوا منه إلى العامة جمهرة أرواحهم بالشعر كما في مواطنهم ونفسياتهم وإنما تقربوا من حجر اللغة العربية وتكلفوا الأوزان

... يا ... في دارك ... في ...

هذا كل مبلغ التقرب للمتحدثين، والفتيون يفهمون اللغة العربية ولكنهم لا يفهمون الثاني في شعر العواطف ولا يفهمون التكلف، ومن أجل ذلك سيضعون لأنفسهم ألحاناً مثل

... يا ... والسنة ... وادي

ويتركون أناشيد الشعراء على عروش الشعراء أنفسهم ووسائل الاتصال بالشعوب فيكونوا أمثل نشيد

... ...

الحمد لله ... ...

... ...

فإن أجزاءه مثل هذه وهي مصورة بالطبع في رسائل التالية نماذج لأناشيد أخرى عربية ... مؤلفة

... ...

استطلاع صحفي

مدرسة المدفعية الجوية

كيف يتعلم الطيار تدمير أعدائه

لمندوب الرسالة

من المراحل الهامة في تعليم الطيار الحربي مرحلة القتال ... التي اكتسبت من أ... الطائرات في القتال ! ... أسرار ... وأشدها فتكاً ... لا ... في سبيلها مجهود ولا ... التضحيات ، من تعب ... يجدون فيها

خطوة أخرى

سكتنا في مقالتينا السابقتين عن مدارس الطيران الحربي والميكانيكي والمصور والمدرب وها نحن أولاء نتبع وعدنا فنصف حلقة أخرى من هذا الفن المتشعب الذي يقضي الطيار حياته في الهواء وهو يتعلم دروساً جديدة فيه. وموضوعنا هذه المرة هو مدرسة المدفعية الجوية

فقد رأينا كيف يتعلم الطيار قيادة طائرته وكيف يصلحها ، وفن الاستكشاف والتصوير والآن ننتقل إلى مرحلة أخرى من أدق المراحل وأكثرها خطراً تحتاج إلى حسن التقدير والمرونة

لقد الأسراب ... مدرسة سلاح الطيران ... التي ... ساعة ساعته

فالمدفعية الجوية اليوم تعد من أهم عوامل الهجوم والدفاع ... قواعد الطيران الإنجليزي وهي بعيدة عن ميناء كيل الألمانية ... الأميال ومع هذا فإن الطائرات تصل إليها وتصيبها بمدافعها ... أضراراً فادحة للأسطول الألماني الرابط هناك

كي يدرس المدافع والمقذوفات الحديثة. وقد ... الأمر ... بجمع ... إلى كل ... طريق آخر ... القنابل المصنوعة من أدق الأمور ويحتاج إلى عناية تامة وتمرين طويل

وننتقل بالقارئ إلى مطار مصر الجديدة الحربي لنشاهد في غرفه ومطاراته كيف يجب أن يتعلم الطيار ... لإتمامه ، فهناك في إحدى الغرف تجد مجموعة كبيرة من مدافع الفيكرز ولويس وأنواع القنابل بأحجامها المختلفة وأشكالها الشتى

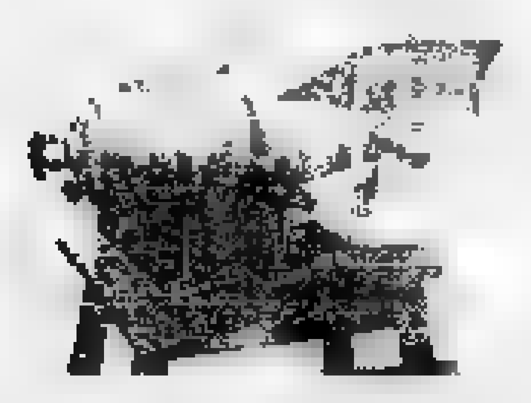

نموذج قنبلة ... ألقيت على ... وقد ... الأرض ... التي تحيط الجامع

وبعضها حدث فيه ... وبعضها الآخر حدث فيه ... طويلة ، فاستكشف داخلها وظهر الفراغ الذي يحتوي الخطوط المختلفة من المواد المتفجرة التي تساعد على الانفجار فإن تركيب القنابل الآن من المسائل التي تحتاج إلى التخصص سنوات طويلة، ويصل ثمن الواحدة من بعضها إلى ١٥ جنيه

... على الشر

بعد تنافس المتحاربين في استنباط ... الصلب والنحاس وغيرها من المعادن ، وأصبح لكل دولة خطة خاصة تنافس بها مناهضيها وتحرص على التفوق عليهم بها. فهناك قنابل تنفجر بمجرد اصطدامها بجسم صلب ، وهناك قنابل تنفجر بعد زمن معين ، وهناك قنابل خاصة لإحراق ... الخشب ثم الانفجار . وهناك أيضاً قنابل تغوص في لجج الماء ثم تنفجر

كل هذه الأنواع وغيرها تحتاج إلى مجهود عقل جبار وسنين طويلة لتظهر إلى عالم الوجود ، ولكل نوع منها ...

الثامنة . ومما شجع الرأي اختلاف التركيب واختلاف المواد المستعملة ، وجميع هذه التجربات يتعلمها الطيار ، فإذا جاز له أن يجهل دقائق تركيبها فلا أقل من أن يعرف عيوب وطرق استعمالها والمدى الذي تصل إليه ثم تأثير العوامل الجوية إذا أطلقها أو إذا تركت بدون استعمال

قتال الطائرات

والقتال الجوي بالطائرات نوعان : الأول باستعمال المدافع السريعة الطلقات ، والثاني بإلقاء القنابل وسكل منهما دروسه وتمريناته . وبعض المدافع يطلقها الطيار بالضغط على زر مثبت على عصا القيادة ، وتنطلق القذائف خلال فتحات في وسط المروحة وهذا معتاد عادة في الطائرات السريعة فوق مجاري الطائرة بحيث تنطلق القذائف أمام مقدمة الطائرة وعلى بعد ٢ – ٣ ياردة منها . فإذا أراد الطيار أن يهاجم عدواً ويطلق عليه مدافعه السريعة الطلقات فإنه يجب أن يكون مقدمة طائرته إليه ، ولا يستطيع أن يتحكم في مدافعه بغير هذه الوسيلة

ولما كان استعمال هذه المدافع من الأمور الصعبة ، ووجود طائرات هذه تهاجم من خلف مقعد الطيار ويديره مدافع خاص

أي أجزاء الطائرة تحتاج إلى إصلاح . ويقوم الطيارون بالمعاينة اللازمة في صور في الصورة مثل الأسلاك المتصلة بذيل الطائرة

ومدفعه بتحريكه إلى عدة اتجاهات ويستطيع المقاتل أن يحوله إلى الوضع الذي يلائمه . ويركب هذا المدفع على إطار مستدير حول مقعد الجالس فيدور إلى الخلف وإلى الجانبين ولكنه لا يتجه إلى الأمام إذ أن المنطقة الأمامية مقعد الطيار ويخشى أن يتحول عن القتال على الجالس فيطلق من مدفعه رصاصة تقتل الطيار فتحطم الطائرة ويهلك الجالس أيضاً

عطب المدافع في الرقبة

ولكن الإنجليز في الحرب الماضية من عهد طائرات ثابتة مدافع سريعة الطلقات حتى أصبحت طائراتهم أسبق في القتال ، ويجب على الطيار ألا يطلق هذه المدافع باستمرار عند اشتباكه مع طائرات الأعداء ، فبعض هذه المدافع يطلق ١٠٠٠ طلقة في الدقيقة فإذا استمر الطيار على إطلاق المدافع مدة طويلة قبل تسخينه فقد ولا سيما أن المدافع بعيدة عن متناول يده فلا يستطيع تسخيرها ، أضف إلى ذلك أن استمرار الضرب يرفع حرارة المدفع مما قد يؤدي إلى عطبه ، ولهذا فإن الطيار يطلق مدفعه ثانية تقريباً ويمنع ثانية أخرى

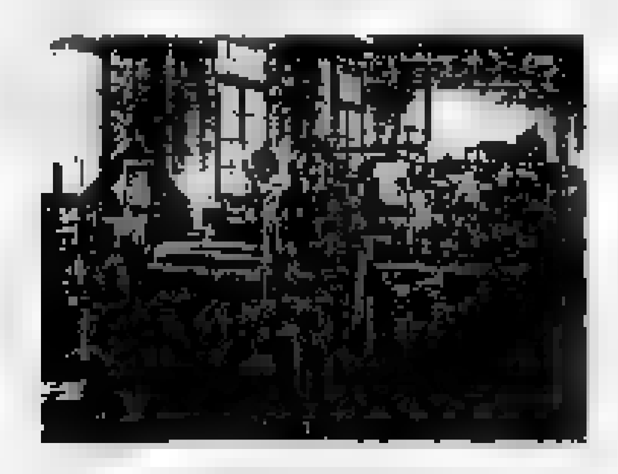

في مصنع للمرمة
يطلون أجزاء الطائرات المصنوعة من الخشب بالورنيش من الحشرات

ويجب على الطيار أن يدرس هذه المدافع دراسة جيدة حتى يستطيع إصلاح ما قد يطرأ عليها من خلل ، ولهذا يجب كل طيار يعرف نوع العطب الذي قد يطرأ على كل منها ويعرف كيف يعالجه بسرعة . فإذا سألت أحدهم عن الخلل الذي قد يصيب مدفع الحرب مثلاً قال أربعة وذكرها لك وطرق علاجها

مدفع التصوير

وللاستعداد في القتال يستعمل الطيار في تمرينه ما يسمى مدفع التصوير وهو لا يطلق رصاصاً ولكن يسجل على شريط تصويري مقدار إحكام الإصابة . ويثبت هذا المدفع عادة على جناح الطائرة أو في جزئها الخلفي وهو عبارة عن آلة تصوير على هيئة مدفع فعندما يضغط الطالب على الزر الذي أمامه تنفتح العدسة وتسجل بعد الطلقة عن الهدف كما ترسم دوائر حول الهدف تعين مدى الخطأ أو الصواب في الإصابة

وتحتوي كل مدفع على اثني عشرة صورة صغيرة طول مقطعها ستة سنتيمترات. ويحصل استعمال هذا المدفع في التمرين على المدافع الحقيقية لسببين مهمين أولهما الاقتصاد في المال والذخيرة، وثانيهما أن يرى الطيار بنفسه مبلغ دقته في إصابة هدفه فيعرف أخطاءه ويعلم كيف يصححها. ويستمر على هذا التمرين مدة يتقن فيها استعمال المدفع. وتحفظ أشرطة هذا المدفع في إدارة المدرسة ليرجع إليها الطيار كلما احتاج إليها فتراها مسلسلة في أعداد الفرقة الخاصة وقد كتب على كل منها اسم صاحبها

فإذا انتهت هذه المرحلة بنجاح انتقل الطيار إلى استعمال المدافع الحقيقية ولا تدخره كذلك وأخيراً يذهب حيث ينال مرانه في فترات السنة المختلفة ليرجع إليه إذ ذاك

تجهيز القنابل في الطائرة

وينتقل الطيار بعد هذا إلى فترة تعليم إطلاق القنابل. وتختلف الطائرات في نوعها على حملها والمكان الذي توضع فيه وهي غالباً في الطائرات الحربية تثبت تحت جناح الطائرة إلى حوامل مشدودة بأسلاك متصلة بلوحة أمام القائد. وبعض الطائرات تحمل مائة ... رطلاً وهي طائرة صغيرة، وبعضها تصل حمولته إلى ثلاثة آلاف ... للقاذفات التي في بعض الطائرات الإنجليزية التي تستطيع الواحدة منها أن تقطع مسافة ٢٠٠٠ ميل دفعة واحدة

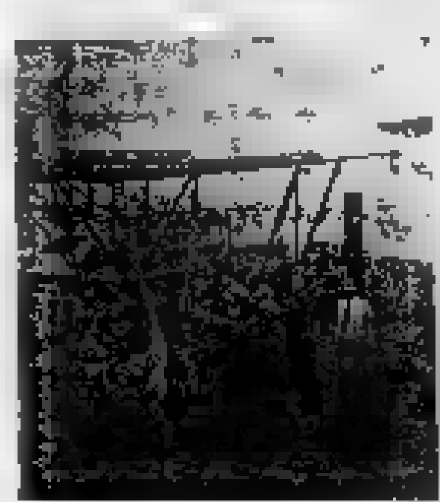

هيكل طيارة يجلس فيه الطالب ليتدرب عليه

ونرى من هذا أن القنابل ذات أحجام وأوزان مختلفة يختار منها الطيار ما يشاء بشرط ألا يزيد مجموع حمولته على الحد المقرر تبعاً للأغراض التي يستهدفها الطيار والأماكن التي يريد تدميرها

وللقنابل شروط يجب أن يتقيد بها الطيار وإلا أخطأ هدفه، فهي تطير بسرعات هوائية تؤثر في سير القنبلة عند سقوطها. أضف إلى ذلك سرعة الطائرة نفسها فإن القنبلة تأخذ سرعة الطائرة، ولهذا يجب على الطيار أن يحسب ويقدر هذين العاملين وما لهما من تأثير حتى تكون إصابته دقيقة أو سليمة. فالإصلاح العسكري أبيكوس (شيئاً مضبوطاً) فقبل أن يسقط الطيار قنبلته يجب عليه أن يعرف سرعة الريح واتجاهه، وهل هو مضاد لاتجاه الطائرة أو متفق، وثانياً ارتفاع الطائرة عن الهدف، وثالثاً سرعة طائرته، ويعمل بنفسه عملية حسابية شعورية فإذا وجد أن حسابه مضبوط وأن موقفه يساعده على إطلاق قنابله ضغط على الأزرار وإلا صحح موقفه بما يراه مناسباً

الشاب الطيار الزميل الذي يتدرب بجهاز يعرف مدرسة القنبلة ويرى في الصورة جناح الطائرة وبعض أشرطة مدفع التصوير

تصميم القنبلة

والقنابل ثلاثة أنواع، الأول المتفجر وشكلها أسطواني ولها ريشات تضبط اتجاهها ولها مقدمة نحاسية قوية متحركة تصطدم بالأجسام الصلبة فتضغط المواد الناسفة وتفجرها فتزلزل جميع ما حولها. والنوع الثاني الحريق وهو عبارة عن نوع يوضع في أوعية كبيرة من الصاج يوضع فيها عدة قنابل يفتحها الطيار فتتساقط القنابل فإذا لامست جسماً صلباً احترقت بحرارة شديدة تشمل كل ما يجاورها، ويجب عند القنابل ... ولا تستعمل إلا في القرى والأماكن السريعة الاحتراق. والنوع الثالث وهو قنابل كبيرة تشبه قنابل التفجير ... وتطلق كلها بالضغط على الأزرار

والنوع الثالث من التدريب هو قنابل الغازات السامة على اختلاف أنواعها، وبعضها يطلق في قنابل وبعضها تقذفه الطائرة على هيئة رذاذ ينتشر في جو الأماكن التي يراد إصابتها، وكما يدرس الطيارون طرق استعمال هذه القنابل فإنهم يدرسون أيضاً طرق الوقاية منها وأهمها طريقة إخفاء المدن أو الجنود والمصانع وغيرها من الأهداف التي تقصدها الطائرات، ويضيق بنا المقام عن سرد تفاصيلها ولكننا نرجو أن نحدث القارئ عنها في مقال آخر

القذف الصحيح

يبدأ الطيار مرانه على القذف بالقنابل باستعمال آلة التصوير وبها يستدل على قدرته على إصابة الهدف. ويكون التدريب أكثر تشويقاً وأولى عناية، حيث تستعمل إدارة سلاح الطيران الحربي بناء من طابقين يجلس الطيار في الأعلى منهما حيث تسلط عليه الكهرباء لتشابه الجو، ويوضع في الطابق الأسفل منه خريطة مصورة متحركة عليها علامات يحاول الطيار أن يصيبها بقذائفه وتسجل الإصابات بواسطة ضوء أحمر

مناورة في القنابل

طراز الحصن جانب الطلبة من القنابل وتصويبها كل منها

ومن وسائل التدريب المهمة استعمال القنابل المكاوية الخالية من المتفجرات الضارة، وهذه الوسيلة أقرب إلى الحقيقة من سواها إذ يجلس الطيار في طائرته بعد أن يحمل حمولته المقررة من القنابل ثم يرتفع إلى طبقات الجو ومن هناك يسقط قنابله على الأهداف ويستطيع بهذه الطريقة أن يتعلم أهم دروسه العملية التي تعين

مرحلة على النهاية في الدروس الأخيرة بالطيران

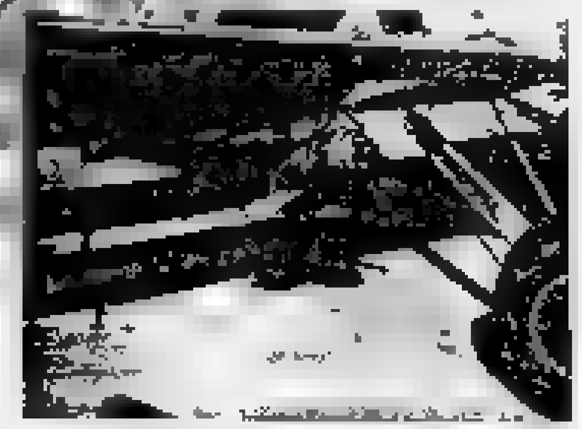

لا يحتاج إطلاق هذه القنبلة من مكانها إلا لضغط بسيط على زر أمام الطيار ويظهر في الصورة كيف تثبت تحت جناح الطائرة

ولا يجوز للطيارين العودة إلى مطاراتهم والهبوط فيها إذا كانوا يحملون قنابل مستعدة للانفجار فيجب عليهم أن يهبطوا أولاً في مكان منعزل حيث يتخذون بعض الاحتياطات الفنية التي تمنع حدوث انفجار هذه القنابل في حالة حدوث طارئ مفاجئ للطائرة عند هبوطها في أرض المطار كاصطدام عجلاتها بالأرض مثلاً. وهذا الاحتياط ضروري للمحافظة على سلامة المطار وعماله ولتكون أرضه مهيأة صالحة لهبوط الطائرات

[illegible]

التاريخ في سير أبطاله

مازيني

[وصول حظره إلى قومه ، المجاهد يلقى أشق في جهاده شتى بلاء الأنباء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —

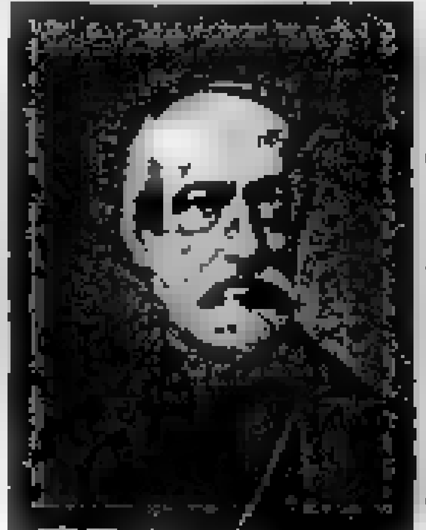

على أن اليأس لم يعرف سبيلاً إلى قلبه الفتى حتى في مثل تلك المحنة ! فراح يستأنف العمل للثورة بجمعيته يرسل دعاتها في بيدمنت ؛ ثورة تأتي هذه المرة من الشعب. وكان مازيني مختفياً في بيت أحد أصدقائه في مرسيليا يتربص الحكومة تطارده هو وأصحابه ، فكان لا يخرج إلا تحت ستر الظلام متنكراً حتى لا يقع في يد الشرطة ؛ ولما ضاق بمحنته هذا رحل إلى جنيف وأخذ يجمع الفلل في سويسرا لثورته الجديدة وقد لاقى في سبيل ذلك من العناء ما لم يحمله على نفسه إلا حرصه الذي كان يسعى إلى بلوغها

وأعد في سويسرا من الرجال ألفاً وثمانمائة ليعبروا جبال الألب إلى سافوي ، وكان يرجو في نفسه أن ينضم الناس في تلك الولاية إلى هؤلاء المغيرين فتشتعل الثورة فيها وتمتد إلى بقية الولايات ، وبرغم ما بذله فشلت البعثة أن جنده لم يهبوا من حماس أو يستكينوا إلى ما ضرب عليهم من ذلة ، واختار لقيادة هؤلاء المجاهدين ضابطاً يدعى رامورينو حارب من قبل تحت راية نابليون ؛ ولكن رامورينو هذا خشي على الحركة بدل أن يسير بها إلى النصر فقد ظل شكاً في تقدمه من باريس حيث راح يبدد المال الذي جمعه مازيني مرسلاً إلى سويسرا ؛ والعصر ما يختلف بأنه يلقى في نفسه غير ما يحبه ؛ وكان هؤلاء قد فرقت الحكومة قواتهم قبل أن احتلالهم تقدم ، ثم لبثوا أن تشتت جمعهم وباءوا بفشل عظيم

وأحس الشريد اللاجئ بالهم والتعب يحز على نفسه فسقط من الإعياء فوق فراشه المحموم ، وظل على فراشه أياماً كان يحسب الموت أن يودي بروحه فيطفئ ذلك السراج الوهاج ولما يؤد رسالته على عاتقه

وحاول كما حلف به حبيبه بما ألم به ، وكانت تخفف عنه آلامه وتسرى عن فؤاده سيدة أحبها فكانت له في شدته ملاك الرحمة وذلك من فضل الله عليه

ولم يكد يستعيد قوته حتى ألحت الحكومة تطارد أنصاره فخرج من سويسرا يائساً من الحصول للسيطرة يومئذ ؛ وعز عليه أن يبرح تلك البلاد القريبة من إيطاليا وأن ليمس أن قرية تصلح سرعة قد يشد عصبه ويربط على قلبه ، وهو لا يعرف له مستقراً إلا أن يكون ذلك في انجلترة أو أمريكا ولكنه لا يطمئن إلى أولاهما ولا يطيق البعد في الأخرى

لذلك لاذ المجاهد الكبير الغريب فقضى سنوات ثلاثاً مختبئاً في مخابئ بعض محبيه ؛ كأنما قدر عليه أن يحيا حياة السجناء وما هو بمجرم ولا مجنون ! وتوالت عليه المحن وتتابعت النوازل ، فتمشى السقم في بدنه ودب الضعف في عينيه ، ولاحت الوحشة في عينيه ؛ وفقد ماله حتى لجأ إلى طلب القروض من أصحابه وكانت أمه ترسل إليه ما تستطيع أن ترسله كلما كتب إليها يسألها المزيد وقد باع ملابسه وأعز الكتب التي كانت عزاءه في غربته وسلواه في وحدته ؛ وحيل بينه وبين أقصى ... بالوحدة والوحشة والقهر ؛ وألح عليه مرض أسنانه فكان يتناوب هو والهم جسمه النحيل

وأمرّ ما ... إليه من الأنباء من تنكيل الناس وتعذيبهم في إيطاليا ، كما آله أن يجد بعض المعوزين يعودون باللائمة عليه فيما أصاب حركتهم من فشل ؛ ولقد أفضى ذلك إلى أن يصعق بالناس فما يصطحب إلا قلة أحبها !

وهكذا يجتاز الزعيم الطريد فترة من أشد فترات حياته المريرة

قوة البلاء التي ما خلت من مثلها حياة زعيم ! وصبر عليه ذلك الظلام الذي يمسي في حياة القائد النور الوضاح الذي يمحو بنوره كل ظلام

وإنما يكون هذه البلاء في حياة الزعماء وحياتهم يشعرهم بسمو الغاية التي يجاهدون من أجلها ، ويزيدهم هذه الشعور تعلقاً بمبادئهم وحرصاً على هدم غاياتهم حتى ليصبح الألم محبباً إلى أنفسهم أن كلا بعثت اليقين والصبر ، وتلك ناحية تمتاز بها كبار النفوس من سائر النفوس

ولن يكون شيئاً من تضاعفه الشدائد تعوقه عن وجهته ؛ وإنما العظيم من يسير على الشدة متقلباً كل ما يعترضه ، وعلى قدر ما يجتاز من الصعاب تكون عظمته ويكون الأثر الذي تتركه في الناس حركاته ، ومن هنا أيضاً كان ترحيب العظماء بجلائل سكناته ، ثم من هنا تحسب قيمة التضحية والفداء وولدت الزعامة

والألم فوق ذلك يحس المجاهدون فيستعذبون كل محنة يأتي بعضها من ضروبه حتى ليصير مألوفاً لديهم ؛ وذلك ضرب من التغلب بأنهم من بطلان سبب من أكبر أسباب الهزيمة

فذلك صبر مازيني ، وبمثله حقيق أن يصبر وهو الذي جعل من مبادئه جميعه التضحية والفداء والصبر على الآلام ، بل والسعي إليها وتعشقها ، فلما كتبت إليه أمه تسأله أن يرجع عن عزمه كتب إليها يقول إنه كان يعمل ما تأمر لو أنه استطاع ذلك . فانظر إليه كيف لا يستطيع أن يبتعد عن المحن والآلام وعنده من وراء هذه معنى من أبلغ معاني البطولة .

وكان له في وحشته نور من مبادئه نرى قبساً منه في قوله « لقد جعلنا صحبة الناس نسيئاً ، ولقد حملنا على عاتقنا احتمال آلام جيل بأجمعه ؛ وقبسنا من الله الذي شعلة ، ووضعنا أنفسنا بينه وبين الناس ؛ واصطفينا حمل الهموم ، وكتبنا على ذلك الله »

وهذا ما عنى من العسير أن يصبح عادة حسنة نعمل لها مثل مرة المدى ، فتكون منك أسرع تمداً إلى التعب ، فإنك مضيت عملت بها حتى ما تنزع منها ؛ فذلك يحمل من تمائمه تلك على المحن القاسية التي بها تكمل الإنسانية ، كإنكار الرسول الذات ، وحبه الناس جميعاً ، والعمل لخير الإنسانية عملاً لا يبغي فاعله من ورائه جزاء ولا شكوراً ، واليمين والقسم في غير تمن ، والصبر على المكاره في سبيل النصر

وراح يوحي ذلك إلى الناس خيال شاعر وقلب نبي وعقل أحيطت بعقوبة تروح مثل رجع الدين ، وأصبحت الكلمات لا تسكون على لسان غيره أكثر من كلامه ، الما استعرها وأجراها على لسانه هو ، وأصبح شخصه بين حواريه وكأنما وهبته من حبه إلى صوته فوق عصبية الجنس وإن كانت دون عصبية الأحياء

وأصبحت وطنيته التي انتهوا أكثر من أن تكون وطنية ؛ فلقد ملأت قلوبهم الآمال ونشرت بين صفوفهم إلى المثل الأعلى ، وفي ذلك تتجلى رسالته العلي إلى الجيل ، إذ قد جعل الناس يشعرون أن في هذه الحياة غير الدين ما يستحق تضحية النفس في سبيله ، ومن ذلك الوطن والحرية والكرامة الإنسانية

وكان يشتد به الحنين إلى وطنه وهو في سويسرا حتى يتصل به الحنين فيحل المرض ؛ وإنه ليمس حياله بتلك السحب التي تجاوز الجبال لأنها تسير إلى إيطاليا ؟ وإنه ليمد بصره إلى أقصى ما يستطيع نحو وطنه وكأنه يستأنس بهذه التطراب نحو بلاده أحياناً كالواحة في غيبوبة

على أن الأنباء التي كانت تصل إلى مسمعيه عن أهل هذه الوطن كانت تزيده هماً على هم ، فهذه الروح الجديدة التي نزعها الشبان تروع خطره وتزلزل نفسه ، وهذا الفتور الذي حل بالرجال سيطه وعجزه ، حتى ليصل به الأمر أحياناً إلى أن يجد من أمر على صواب ما جوهره من جهاد بجريه فيداياً كشف الصحب الآلم ؟

ولكن نفسه كانت تحدثه أبداً أنه ميما قل أنصاره ، ومهما نسبه من النصر أو أصابه من الهم ، فلا بد أن تكون العاقبة حسب ما يشتهي به بلاغته ؛ وكان كله يوحي إليه دائماً أن مبادئه منتصرة في غد لا محالة على يديه أو على يد غيره ؛ وكثيراً ما أعانه هذا الأمل على التغلب على كثير من المصاعب ؛ ولقد يشتد هذا الأمل عنده حتى لكأنه يرى المستقبل صور يبشر أبداً بالنصر كأنما كان يوحي إليه به من وراء حجاب . فهل كان مرد ذلك إلى شدة يقينه وقوة حماسته أم إلى عمق حياته وقلة تجربته ؟ الحق أن حياته كلها ناطقة بكثير منه ، ولكن جانب اليقين في نفسه لم يكن أقل من جانب الخيال ، بل لقد تستطيع أن نعزو إلى قوة حياته كان مبعثها قوة يقينه فلولا ما أيقنه ولعزمه ما طمع في شيء ثم ما تخيل شيئاً

وجمع مازيني في سويسرا حوله نفراً من الصحب وأوحى إليهم

أن يسمروا الحرية وأمرهم أن يشنوا حربا على فرنسا وإيطاليا الفتاة فخافت بعدئذ سويسرا الفتاة، وأسمر أصدقاؤه صيحة سخط من مبادئهم وطرق ملازين بعده، ولقد كان ملازيني يحلم من وراء ذلك أن ينشر الحرية في كل مكان في أوربا لتأخذ بعد مرة صلبة تجرف أمامها الرجعية، ويقصد بها إلى خير وجهة! وانتشر الحرية في سويسرا من شأنه أن يؤدي إلى انتشارها إلى حيث، عكف حدثته نفسه فرأيه وجهت له وجهه للتوفيق

ولكن الحكومة السويسرية تقرر نفيه من بلادها خشية أن يعلم بها ضد الثورة، ويجد في البحث عنه ويمعن في تتبع إطلاع على حركته بعد، وهي في مهنتها، فيجد نفسه مضطراً إلى الرحيل فيختار إنكلترة ويصل إليها عام ١٨٣٧ وهو في الثانية والثلاثين من عمره

وفي لندن يحيا حياة طليقة حرة فيظهر بشخصه في الاجتماعات ولا يلجأ إلى الاختفاء ولكنه يحس أول الأمر بجو لندن وجهه الصاخب وضبابها الكثيف، ويذكر ما خلف وراءه من شمس سويسرا ساطعة وصفاء، وجو منصور الحواشي ضاحك الصفحات، وهو طبعه ساخر مهو لخال الطبيعة فيه، فلا عجب أن تقبض صدره مدينة لندن التي أحس منه وطأتها أقدامه أن المادية هي أساس كل شيء، وأن الروحية فيها غريبة شريدة مثلما كان هو غريباً شريداً

ولئن منح حرية التجول والنجاة المستمر، فلقد وجد أمامه من دواعي الحيرة والتبرم في داره ما لا يقل إلحاحاً عن دواعي الرجعية والاستبداد. وذلك هو الفقر؛ الفقر الذي تركه رث الثياب حتى يتوارى من الخزي من الأعين، الفقر الذي حمله رهن ما حل معه من مثيل الخاتم بخاتمه والذي اتخذه زمناً حتى لقد راح دب يوم رهن ملابسه من أجل بعض دراهم، وذهب مرة أخرى يرهن حذاءه ليشتري به طعاماً لغده

وأخذ يبحث عن عمل يسلك من ورائه وطنه، فلم يجد إلا أن يكتب بعض المقالات في بعض الصحف، على أن أجره عن ذلك كان ضئيلاً وكان المترجم الذي ينقل كلامه إلى الإنجليزية يحصل على نصيب من هذا الأجر

ومن عجيب أمر هذا الطريد النازح أنه كان لا يحصل في قريته على عرض مجرد على غلته، فكلما اكتسب شيئاً منه أو أرسلت إليه شيئاً وجاءه أحد معارفه يسأله العون مد يده إليه بما عنده وهو في أشد الحاجة إلى من يعينه فلا يحس بأن الفلاس لقد كان يجود بما أرسله إليه أصحابه على الفقراء من رجال أمته اللاجئين مثله إلى لندن، وحسبه من غذائه خبزه وماء ويرى نفسه بما تقدم يداه

وكان يستدين على ما كان في لندن من معارفه ثم يحاول أن يسد دينه بنفسه فيصبح حيناً ويمشي أحياناً فأضاف ذلك إلى آلامه وأسماله ما يجعل كيف أطاق حياته!

على أن أعظم ما نال من نفسه بعده عن بلاده، وقصر ذات يده عن مواصلة جهاده في سبيل تحريرها، وعجزه في هذا البلد النازح من أن يحرك مبادئ جمعيته فتصل وينشد أصدقاؤها، وفي ذلك الظلمة الكبرى والبلاء الذي لا يعدو معه صبر ولا ينفع فيه حيلة

وقد قال في هذا الصدد «لن يستطيع رجل أن يحبس وحده، وهأنذا لا أحد حولي من يدري ما أفكر فيه وما اشتهيه» ووصف ذلك العصر مرة «إنه عصر إضلال حقاً، عصر إنكار، عصر كذلك الذي مات فيه المسيح»

وكأنه كان بينه وبين الحزن ثأر فهو يأبى إلا أن يأتيه بالمحن بعضها في إثر بعض، فلقد جاءه وهو في غربته نبأ وفاة أخته الصغرى، ولقد كان يحبها أشد الحب إذ كانت تكبره سناً وتصحبه من أهلها، وكان إعجابها بما يريده حقيقة وأملاً وكيف يستطيع أن يصف مبلغ حزنه على أخته التي مضت فلن يراها أبداً وهو ذات الشاعر الرزين المطبوع الذي يحب حسبه للناس جميعاً!

ولكن الأسى يمس فؤاده كلما ذكر ما عسى أن يكون عليه حال أمه العزيزة، ويتضاعف حزنه إذ حدثته نفسه أنه كان سبب كثير من شقائها بما جره على نفسه من العذاب والغربة، ويكفي شيئاً واحداً كان يخفف عنه بعض ما به، وذلك شعوره أنه يلقي ذلك كله من أجل وطنه ومبادئه

(يتبع) الخفيف

أنت ...

[مهداة إلى الدكتور ابراهيم ناجي]

للأستاذ خليل شيبوب

النورُ في عينيكِ أسطورةٌ … تروي عن السحرِ أعاجيبا

يرقصُ في هُدْبيهِ ناظراً … كالموجِ المخضرة مسبوبا

قد أبصرتْ عينيَّ أمواجَه … مهالكاً شتّى وتطريبا

تجاذَبَ النفسَ أعاصيرُها … والتمعتْ في القلبِ ألهوبا

فاضطربتْ في الصدرِ أمواجُه … بحرٌ تصعيداً وتصويبا

لكِ ابتسامُ الصبحِ [illegible] به … مغاربُ الشمسِ أساليبا

من شفتيكِ السحرُ موهوبهُ … تخالُ خصيباً وتذهيبا

أحسنُ في النفسِ مصفّاً له … أرضعها حبّاً وتعذيبا

وشَعْرُكِ المرسلُ فوق الدجى … تموجُ مصفيفاً وترتيبا

ملتمعٌ من سامرٍ تحته … أمسى مياهُ البدرِ مسكوبا

وجهٌ على شطّكِ هادياً … يحسر عن النفس الغياهيبا

[illegible] … [illegible] تشريقاً وتغريبا

جيدُكِ أم فتنٌ [illegible] … في ثالثي الفتنة مصبوبا

لأنّ حُسْنَكِ وصباه كما … قام عمودُ الصبحِ منصوبا

مخصّرٌ فيه ملسُ أطرافه … دائرةٌ لم تكسُ مسروبا

الحسن وصفُك والفنُّ قد … أعيى لأوصافِك تنقيبا

جسمُكِ قدسُ الحبِّ طاف به … عبادُه العابد محروبا

في كلّ عضوٍ منه أبقى الهوى … مساجداً فيه ومحاريبا

أعبُدُ فيه لله سحراً … ترتيبه لا أخشى حوبا

وقفتُ عمري لكِ مستطعماً … بصبرِ أيوبِ الأعاجيبا

عواطفٌ في الصدرِ مكبوتةٌ … أذيبها حسنُكِ تذويبا

لو أطلقتْ لانطلقتْ مثلما … تدفقُ النهبُ شآبيبا

[illegible] … أمسى عروساً وعروبا

يا هندُ لا يُنسيكِ من حبكم … [illegible] بابه مقلوبا

وإني ما احترته عاصياً … بل هو شيءٌ كان مكتوبا

خففتُ في سمعي إليه ومن … أحسن في مسمعي [illegible]

إن عاش بالآمال عمري فقد … أصبحتُ بالآمال مشبوبا

أو صدّق الحبُّ لنيري فقد … أخذ في الصبر أيوبا

(الإسكندرية) خليل شيبوب

لحظة

للأستاذ حسن حبشي

آه ما أجملها من لحظةٍ … حازَ فيها قلبي ما استحاله

لحظةٌ بين شعري [illegible] … لا [illegible] كثير [illegible]

[illegible] بل حسبي نشوةً … أطلقتها كالأماني [illegible]

[illegible] القلبُ على [illegible] … [illegible] من شربه غير هلاك

* * *

أنتِ يا مولاي [illegible] … [illegible] من [illegible] سماها

[illegible] أشعل فؤادي [illegible] … [illegible] في الليل [illegible]

[illegible] روحاً [illegible] … [illegible] الأرض [illegible]

[illegible] لا [illegible] … [illegible] أحسنوا [illegible]

* * *

يا عشّ القلبِ في [illegible] … وأسعد الحبَّ فلا تُشعل

لا تغلْ صبّي جحود الهوى … [illegible] على

أنتِ في عيني الدنيا [illegible] … [illegible] بينا يسري

[illegible] الروح فأسي عاطري … [illegible] طروباً [illegible]

حسن حبشي

دراسات في الفن

مع هـــذه الأجسام

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— يا صديقي! إذا كنت تريد زوجاً صالحاً فعليك بهذا الشاب الذي مر الآن ونظر

— أيهم؟ إنهم كثر، والذين مروا ونظروا

— هم كثر، ولكنه هو واحد، وقد عرفته وأنت عرفته، وقد حياك وأنت حييته... ألم تلاحظ؟

— أنا حييت أحداً الآن؟ وحياني أحد؟ كيف ذلك؟ وكيف كان؟

— هو الذي كانت آنسة جالسة على قارعة الطريق في مقهى وكان معها ولد

— ولد؟

— أي نعم... نصف رجل... وهو عند المرأة هكذا لأنها تقلل به حيث شاءت، وتلهو به يلهب لها، و«تدلعه» أين أرادت، وتأخذ منه كل ما تحتويه فتحتفظ به لنفسها أو توزع منه على من تحب... فإذا اكتسب رقته، وإذا انكسر جبروته، وإذا تحطم حزنه واستسلمت جسالته

— يا له من ثأر بينك وبين المرأة..

— أنا؟ أنا ما جئت إلى اليوم معركة الثأر... وما أنا كي على أنها على قرح من آلامه فلا يمكن أن يكون بيننا ثأر

— النصيحة... ما عليها... أتم قصتك

— ... وكان الولد يتحدث إلى الآنسة بكلام كله سخيف لا يأبه به لأنه يدور حول أسرار الوجود

— وهل يقال عن الحديث الذي يدور حول أسرار الوجود إنه كله سخيف؟ إنما هو حديث الفيلسوف الخطير!

— هو عنده كل ما يدور حول هذه الجثث التي هي أنثى و

وحول هذه [illegible] و«الملاحين» التي هي بيانكي أو [illegible] وما أسد الشبان بينه وبين عروج الرجال... فهم يتشدقون بأجسامهم [illegible]، وأنتن — يا ويل مسكين — [illegible] مناص ومطاعن [illegible] كشفاً، وتظهر به جداً [illegible] على [illegible] الصقيل كما يصول على الأسد الضرغام

— يا أخي، أما تتم قصتك ودع هذه الفارات

— فتنتها ... وهي الآنسة وحدها ... آخر ... عريض المنكبين مفتول الأذرع... طلت رجولته على جبينه ولم يجد شيئاً في داخل نفسه... فما رأى الآنسة، تصبب عرقه في جبينه، ثم انقلبت هذه القوة ميلاً، وانطلق التيار جارفاً عنيفاً، فصدم الآنسة في جبينها، ومر بين حاجبيها، ومر حول عينيها، فآلمتها الصدمة، فرفعت يدها إلى رأسها تحول بين رأسها وبين هذا التيار الذي [illegible]، وللتخصص يبحث أيضاً مكان الصدمة تختبرها وتتعرف مداها، كما تصنع دائماً عند كل صدمة، ولكنها فطنت إلى أنها بين جماعة من الناس قد يكون فيهم من يتتبع حركاتها، فردت يدها سريعاً من جبينها إلى شعرها حتى يظن الذي يراها أنها إنما رفعت يدها لتصلح من شعرها، لا لتقل ميلاً، ولا لتشد أعصابها... وجرت هذه الحركة على كل من رآها... وصاحبها أولهم

— وما لنا نحن وهذه الحكاية؟

— هذه الحكاية حدثت الآن [illegible]، وكل ما في الأمر أني أريد ألا تموت من غير أن أقدمك إليه لعلك تستفيد... ورحت إليك بسبب صاحبك هذا الذي مر، وهو فتى جليل عقل... رجولة وضميراً، وجمالاً أيضاً

— ويكفي هذا أختي

— إنك فانظري التي ليس أجنبياً، والذي يؤثر بك هذا التأثير، واعلمي أنه هو الأهل لك

— ويكون رجلاً كثيرين... كثيرين جداً يعملون السحلي على «المقد» .

— نعم لأن السكاكلو أطيب طعماً من حور الهند

— عدنا إلى الخلط ؟

لقد مللت منك .. كنت تتحدث عن الرجال والنساء فتنصب أنت إلى الطائرة ، فأرى أن أجاملك وأن أمضي معك حيثما تريدين [illegible] هل نعود إلى ما كنا فيه وتقولين لي ما هم الرجال الكثيرون الذين كنت تريدين أن تحدثني عنهم ، أو الأحسن أن ننساهم ونتحدث في الحب وغزل الشباب ! ما لهم الرجال الكثيرون .. ما لهم !

— فأنت مصر على أن تنسى نفسي ؟

— معذرة يا آنستي نفسك وكل نفس ما دامت الأنفس في الأجسام !

— إذن ، فليست الأجسام جميعاً كما قلت حجباً ؟

— إنها حجب ، وليست جميعاً ، فالنور يبصر فيه النسر ويعشى فيه الخفاش

— أو كالظلمة يبصر فيها البومة ويعمى فيها الطاووس .. فهل أنت طاووس أو أنت بومة ؟

— ولم لا أكون البلبل وأنت الخفاش ؟

— لم أجعلك بوماً [illegible]

— لأنك تسهرين الليل وتنامين النهار .. عيناك من الظلام ونفسك انطوت على السواد !

— قصتي !

— ولكن رحيق هذه القصة وفي [illegible] يكشفه الله على الناس لما كتب على المسرح [illegible] ، ولكنهم هم الذين يصبون أنفاسهم في أعينهم كي يعشي أن يرى ، وكي يحجب أن يزل فيسقط [illegible] ! فقصي عينيك ، وانظري ، وابصري ، وانصتي ، والله لا يتعطل من عينيه أسيراً على ما يصيبهم ، ولا هو بحاسبهم على سوء الأعقاب

— وماذا تريد مني أن أعمل ؟

— تريني حركاتك ، وتريني جوانب في نفسك ثم تريني حركات الناس ، فترى جوانبها في أنفسهم

— وهل كل الناس يتشابهون ؟

— من غير شك ، هم يتشابهون في خطوطهم الإنسانية وتحولها كما تتشابه الأسود في سمات « الأسدية » ، وكما تتشابه الأشجار في أصول « الشجرية » [illegible] وكل ما بين أفراد الناس من خلاف ، فإنما يتناول القشور والزوائد ولا يمس الجوهر ، فالأمير إذا علت وجهه [illegible] ويبكي ويمسح دموعه في منديل ، والفقير إذا [illegible] ويبكي ولكنه يمسح دموعه في ذيل ثوبه ، وكل من التعبير في جل الكون ، لا صلة له بلون ولا شكل [illegible] إنك تضحكين ضحكتين صوتك عذب ، وأنا أضحك [illegible] الناس [illegible] ولكنك مع هذا تشاركين في أنك تضحكين وإن كنت تضحكين بفمك ، وأنا أضحك بكل القوة التي في الفم والشفاه . لأجل هذه الرائعة يا آنستي تستطيعين أن تعرفي الناس ، وتستطيعين بعد ذلك أن تحكيهم أو تصوريهم أو ترسميهم أو تسميهم لو تشائين ما شاء لك الفن [illegible] ولكن عليك — كما رأيت — أن تعرفي نفسك أولاً ، وأن تحكمي عليها أحكاماً عادلة [illegible] تلك هي أحكامك ، فيجب [illegible] ألا تحاولي أن تحابي نفسك بالحق ، وتحذري أن تخضعي للباطل لأن الباطل يضلك فلا تعود تصبح منطلقاً للحق الذي تنشدينه ، فالحق مستقيم ، ولا يجد إلا ما استقام ، ولا يمكن أن تحصره حدود ..

— وكيف نعرف الحق ؟

— الحق معروف ، هو ما فطر عليه الناس إلا ما اصطنعوه ، لقد خلق الخلق بالحق [illegible] فالحق فيهم ، وهو لك اليوم على رغم ما جاهدوه طويلاً لا يزال فيهم ، وهي صرخة في البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، فالخوف حق لأنه يتناول الناس جميعاً ، والحب حق لأنه يتمكن من قلوبهم جميعاً ، والفن حق لأنهم يطربون له جميعاً [illegible] هذا هو الحق .

— هذا حسن [illegible] فكيف يمكن لي أن أبدأ في فهم هذا النوع من الحق الذي هو [illegible] بين الأجسام ، والذي يحول إلى أنك عنه كثيراً الكبرياء . أنظر مثلاً : هذا رجل [illegible] هو أيضاً كذلك الفتى رأيناه في [illegible] ، وهو ينظر إلى هذه السيدة ولكنها تحسس رأسها من [illegible] لا من الألم ، فهل [illegible] هي أيضاً [illegible] أنثى منه [illegible] وأن هذه [illegible] إلى آخر هذه الدعوى التي [illegible] ليست المسألة إلا [illegible] كما تقول

— ما في الذي [illegible] وكل ما في الأمر أن هذه السيدة تمسح أنوثة من الآنسة الأولى التي هي أنت ، وعينها أشد سحراً من عينك ، وجيدها أوسع من جيدك ، وأعصابها أقوى من أعصابك . لقد رأيت [illegible] على جبهتها [illegible] أنت ، ولكنها [illegible] في منتصف الطريق [illegible] في جيبها التي [illegible] إلى [illegible] وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الحسد

— وهل للحسد درجات [illegible] غير ما عرفت وما عرفت ؟

— نعم — أول درجاته هو [illegible] الأطفال [illegible] بأيديهم [illegible] ونظراته [illegible] يرمون أيديهم ويتطلعون

بها أيديهم ويمسكون بها رؤوسهم . وهذه حركة من حركات الصد المكشوفة التي لا يلجأ إليها إلا الواثق من صمته ... وهي تشبه الجري والهرب ... والدرجة الثانية هي هذه الحركة التي بدرت منك . والدرجة الثالثة هي هذه الحركة التي بدرت من هذه السيدة ... والدرجة الرابعة هي الصد بالنظر ... فيا له صد خفي .. والشعور بالخجل ، والفشل لمن أرخى عينيه ... ومن الناس مخادعون — يريد الواحد منهم عند الحجة أن ... يسطح عينيه أو أن يمس رأسه ، فإذا رفع يده خشي أن ينكشف بحث بحكة أو بأنفه أو بأذنه - ألم تلحظ شيئاً من هذا ... وبهذه المناسبة أريد أن أسألك سؤالاً لعلك تجيبين عنه — بعد ما استقر بك الطريق

— اسأل .. ولكن اجعل سؤالك خفيفاً فأنا لا أزال في في السنة الأولى معك

يعني أنها السنة الأولى ... إذن ، ألا تستطيعين بناء على ما عندك أن تستنبطي التحيات التي يتبادلها الناس منطقاً ؟

— وماذا تقصد بالتحيات ؟

— التحية ... رفع اليد إلى الرأس ، أليست هذه تحية ؟

— الناس يحيي بعضهم بعضاً لأنهم مؤدبون ، والصغير يبدأ الكبير ، لأنه مطالب باحترام الكبير

لست في شأن هذه المطالبات . إنما أريد التحيات الطبيعية التي لا يحفظ الناس فيها الفروق المصطنعة — حتى فروق العمر والسن يجب أن ننسى أنها ليست طبيعية ... هذا الصغير هناك مشاعر نفوسهم أقوى من نفوس الكبار — هات حديثك إلى الأساس

— وهبها لأساس زودني مضطرباً

— لا بأس ... قوي وضعيف التقيا ... يرفع الضعيف يده إلى رأسه بالتحية في هذا الزمن ، ولكنه في الأصل كان يحمي عينيه ورأسه .. والكبير يرد عليه بعد ذلك من باب (جبر الخاطر) لأنه في الواقع لا يشعر بالدافع الطبيعي الذي يحمله على أن يرفع يده إلى رأسه ... ويلتقي المتساويان فيرفع أحدهما يده إلى رأسه في الوقت الذي يرفع الثاني يده فيه ... وهكذا يفعل الضعيفان هذا هو معنى التحية الذي أطلبه ... والآن ... وبعد هذا الفتل .. هل تستطيعين أن تستنبطي معنى التقبيل ؟

— وهل التقبيل هو أيضاً منطقي ؟ إن التقبيل لعاطفة ساطعة ، والعواطف لا منطق لها

— من الذي قال لك هذا ؟ ... كل ما في الطبيعة له منطق وقانون حتى العاطفات والمصادمات ... وإن الذي يجر الكون في هذا الفضاء ويحفظه هذه الصور ، وهذه الصور لا يمكن إلا أن يكون مكتوباً له سر في الحكمة ... مكتوب من ...

— طيب ! قل لي من أين نبدأ ؟

— من حيث نشأتين ... أعني بالقبلة التي يطبعها الأب على جبين الابن ... لماذا يختار لها الجبين ؟

— لماذا ؟

— ليعطي شحنة من الكهرباء القوية في هذا الموطن الذي هو أصلح مكان في جسم الإنسان لاستقبال الكهرباء ... والجبين هو المكان الذي يضعون عليه الكهرباء في أجسام الذين يعذبونهم بها في أمريكا — أو هو المكان الرئيسي لها .

— كأنه معقول ... والابن يقبل يد أبيه ... ثم إنه يضع يد أبيه على جبينه .. فماذا ؟

الابن يقبل يد أبيه فيأخذ شحنة من كهرباء أبيه ، واليد من أطراف الإنسان التي تشع منها الكهرباء باستمرار وبسهولة وللنوم المغناطيسي يستعين بيديه على تنويم وسيطه إلى جانب القوة التي تنبعث من عينيه ... والابن يضع يد أبيه على جبهته لأن الجبين كما علمت من أطيب المواطن في الجسم لاستقبال الكهرباء

— والأخوان ؟ يقبل كل منهما الآخر في خده ، أو يضع الواحد منهما وجهه في وجه الآخر

— ذلك لأن المفروض في الأخوين أن يكونا متساويين في كمية الكهرباء التي يشحن بها كل منهما ... فالواحد منهما لا يريد أن يكسب من الآخر شيئاً ، ولا أن يعطي الآخر شيئاً ولذلك فإنهما يلتقيان كل منهما حول الآخر ولا يتعاطيان

— والمتحابان ؟ .. يتبادلان القبل من الشفاه

— لأنهما يريدان أن يتبادلا .. فإن كل منهما يريد أن يعطي الآخر الفضل من قوته ... حتى يتم التعادل

عجيبة .. ولكن غاب عنك شيء واحد .. إن القبل ليست شائعة بين البشر جميعاً ... وهي أقرب إلى العادات المكتسبة منها إلى الأصول الطبيعية

— إذا كان التقبيل على هذه الصورة التي نعرفها ليست شائعة بين البشر جميعاً ، فالذين لا يعرفونها من البشر تُقبِّل وتكون على صور أخرى ... فمنهم من يحك أنفه في أنف صاحبه ومنهم من يحك رأسه في رأس صاحبه ... وبالملاحظة نرى أن من يفعلون هذا هم المتأخرون من الشعوب الذين لم يهتدوا إلى التقبيل .. وهم جعلتهم أقرب إلى ما يصنعه الحيوان ، والإنسانية تكشف من جديد كل يوم ... والذين رأوا الفرق من هؤلاء المتأخرين مارسوها واطمأنوا إليها ... ولا عجب أن

لحظات الإلهام
في تاريخ العلم
لمريون فلورنس لانسنغ

اختراع النول

تحس صناعة [illegible] بالصور الحديثة فقد حدث في المائة والخمسة والسبعين عاماً الأخيرة . لكنه للوصول إلى مصدر هذه القصة يجب أن نعبر جسراً فسيحاً من الزمن يمتد إلى ألوف [illegible]

وكان في خلال هذه الآلاف [illegible] في سبيل التطور كلاهما يصلح للاستخدام في ميدان [illegible] الحالة التي هي عليه اليوم

أما أحد الفنون [illegible] الصناعات الآلية قبل اختراع الآلات الميكانيكية في القرن الثامن عشر فقد أصبح المجال الفسيح في فن النسيج . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ بداية العصور [illegible] وجدنا أنه من عهد التدرج أي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت عناصر النسيج في كل العالم بسيطة [illegible] في المغزل بأنواعه ومنها النول [illegible] والمغزل [illegible] ولم يكن أهل القرون الوسطى في أوربا قادرين على إحداث تغيير كبير في صنع أدواتهم

فظل النسيج إلى منتصف القرن الثامن عشر على طريقته القديمة طريقة المغزل والنسيج والنول الذي يدار باليد . وكان [illegible] المنصرم [illegible] كل ما لدى الغزالين والنساجين في إنكلترة من أدوات هذه الصناعة . ولكن الناس كانوا قد بدأوا يسائلون أنفسهم

في هذه [illegible] شكراً على الطبيعة وإنما هو ارتقاء [illegible] لا نزال في بدايتها ناس يعيشون على الأشجار — وهؤلاء إنما عرفوا الحياة على الأرض [illegible] وعاشوا عليها كما يعيش بعض الناس لأنها الطور من أطوار الحياة الذي يلي ذلك الطور الذي عاش فيه الناس على الأشجار

— كأنه مقلوب

— أنا أعرف أنه قد يكون كلامي معقولاً إلا إذا كان صريحاً أو مقبولاً ، ولكن [illegible] أني أسمعت هذا الكلام من الأستاذ A. B. C. D. وهو أستاذ مشهود له في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وأستراليا وهو [illegible] أيضاً

— على أي حال إن كلامه [illegible] ألم يقل شيئاً غير هذا ؟

— إنه أكثر الذي قال ولكني أنسى كثيراً [illegible] أنظري . ألم ترى

— ماذا ؟ هذه الفتاة الجالسة في الركن ؟

— نعم .. لقد نظرتُ إليها فماذا صنعت ؟

— هل تريد أن تقول إنها رفعت يدها إلى رأسها [illegible] على ذلك رجل [illegible] الكهرباء [illegible] لا يا سيدي لقد رأيتها

وكنت [illegible] نظري عليها [illegible] فلم ترفع يدها ... ولم ترفع يدها .

— ولكنها فعلت ما هو أغرب من رفع اليد

— ماذا ؟ . كل ما كان منها أني ألحظ [illegible] قرب [illegible] شفتيها

— علامة على أي شيء ؟

— إنما كل [illegible] هذا معنى ، فلا معنى له إلا أنها تخرج لك لسانها استهزاء بك ...

— [illegible] ويصح شيء آخر .. وهو أن يكون إخراج لسانها رطباً [illegible] الشفتين [illegible] انطلاق التيار الكهربائي منها ، وهذا التيار لا ينطلق إلا في حالة التنبيه شوقاً إلى الازدواج .. فهي قد تبحث لها عن حبة في الهواء

— كفى ! لقد [illegible] اليوم في هذا المكان .. [illegible] أنت تريد أن تعرف الدنيا من أولها —

— والله إني أحس هذا « التيار » !

— وهذه [illegible] التي تسبح [illegible] في الهواء . قم بنا [illegible]

عزيز أحمد فهمي

أليس من الممكن اختراع وسيلة يمكن بها أن تظل عجلة النسيج دائرة وأن تظل الوشيعة «المكوك» تتحرك فيصبح النسج أسهل مما كان عليه بوساطة اليدين؟

وكان أحد الصناع المجربين في برستون في القرن السابع واسمه «دي جانس» قد اخترع آلة لنسج الأشرطة الضيقة لا تحتاج بالمرة إلى عامل ولكن فكرته في الاختراع لم تنجح عملياً. وفي سنة ۱۷۳۳ اخترع جون كاي في مدينة بوري في مقاطعة لانكستر نوعاً جديداً من الوشائع وقد سمي باسم «مكوك القذف» لسرعته في الحركة سرعة خارقة للعادة.

وبعد اثني عشر عاماً صنع بالاشتراك مع جوزيف ستيل دولاباً وصفه بأنه «يشتغل باليد أو بالماء أو بأية قوة أخرى». وكانت الحلقة الأخرى الجديرة بالذكر في تاريخ العلم الصناعي تلك الحلقة التي جاءت في سنة ۱۷٦٤ إذ اخترع «جيمس هارجريفز» دولاباً. وهو صانع يشتغل في النول وهو في الوقت ذاته نجار. وكان يقيم في بلاكبرن. وقد قيل إن الفكرة قد أوحى إليه بها عندما رأى عجلة الغزل يقلبها أحد أبنائه فرأى عند ذلك أنها استمرت تدور أفقية وأن المغزل ظل يدور عمودياً.

وبواسطة هذا الدولاب صار في الإمكان غزل عشرين أو ثلاثين خيطاً في وقت واحد بنفس السرعة وبنفس السهولة التي يغزل بها خيط واحد.

ولما عرف عمال الحليج بنبأ دولاب هارجريفز انزعجوا خشية أن يكون نتيجة الاختراع نقص أجورهم وكثرة العاطلين بينهم فهاجموا بيت المخترع في أحد الأيام وأتلفوا جهازه.

وكانت الخيوط التي تخرجها النول قبل أن يبدأ النساج عمله تعرف باسم السدى. أما الخيوط التي يخرجها المكوك فتعرف باسم «اللحمة». ولكن الخيوط التي يخرجها دولاب الغزل كانت كلها من نوع اللحمة فحسب متقنة ولا قوية مثل السدى الذي يمتاز بالطول والقوة.

وجاءت حلقة أخرى من الحلقات المظلمة في تاريخ الصناعة عندما قدر أن يؤثر رجل آخر في حياة الملايين من العمال، وهذه هي قصة صبي الحلاق الذي مات وهو حامل لقب سير ورب ثروة وأصبح من كبار الأغنياء.

كان رتشارد أركرايت (۱۷۳۲ – ۱۷۹۲) أصغر الأبناء في أسرة عدد أبنائها ثلاثة عشر. وكان أبواه فقيرين لم يستطيعا تعليمه إلا إلى حد القراءة فاشتغل بالشعور صبياً لحلاق. وفي الثانية والعشرين من العمر أصبح صاحب حانوت حلاق في بولتون ولم يكتف بأن يحلق لعملائه، ويقتصر على الشعر المستعار بل كان يجمع شعوراً مستعارة مصبوغة على طريقة ابتكرها. وبهذه الوسيلة أدرك ثروة وصار في وسعه بعد ذلك أن يترك حرفة الحلاقة، وأن ينصرف بعنايته إلى غزل القطن. وكان قد اهتم جد الاهتمام بدولاب الغزل فأخذ يجري تجاربه ليعرف هل في وسعه أن ينشئ دولاباً من هذا النوع يخرج خيوطاً قوية تصلح للسدى. وقد استعان برجل اسمه جون كاي (وهو غير جون كاي مخترع المكوك السريع وربما كان من أقاربه) فصنع دولاباً كان لأول مرة في تاريخ النسيج يخرج الخيوط القوية اللازمة بطريقة آلية.

وكان أول مصنع أنشأه أركرايت في نوتنجهام سنة ۱۷٦۸ وكان يديره بوساطة الخيل. وبعد ثلاثة أعوام أنشأ مصنعاً في كرومفورد في دربيشاير، وكان يدار بالماء. وقد تعرض أيضاً لسخط الجماهير وتعطلت مصانعه وآلاته أكثر من مرة بسبب غضب الجماهير.

ولكنه كان من الصبر الكافي للانتصار على كل المصاعب ولإنشاء مصنع تجاري للنسيج في نوتنجهام سنة ۱۷۹۰.

وجاءت حلقة أخرى من الحلقات المظلمة في تاريخ الصناعة وهي قصة قسيس أديب هادئ هو الأب أدموند كارترايت وقد سير كل نظام حياته بعد رؤيته لمصانع السير رتشارد أركرايت. اخترع هذا القسيس في سنة ۱۷۸۵ نولاً آلياً كان على الرغم من كل عيوبه يشبه النول الذي يستعمل اليوم. واشتد به التحمس للفكرة فأنشأ مصنعاً في دونكاستر وآخر في مانشستر، ولكن الرعاع المتعطلين الذين رأوا في هذه المعامل خطراً لهم قد حطموها.

على أن كارترايت استمر على بحثه وتحول من القطن إلى الصوف وعكف على مواصلة مباحث وتجارب كان يجريها مهندس أرلندي معاصر اسمه روبرت فولتون، وهو أول من أدخل قوة البخار في الملاحة.

ومع أن اختراعات كارترايت لم تعد عليه شخصياً بالنفع الطائل فإنه لم يمت فقيراً قليل الاعتبار ككثيرين من المخترعين

لأن البرلمان كافأه بمبلغ (١٠٠٠٠) جنيه في سنة ١٨٠٩

وآخر من سنذكره هنا من طور الصناعة الآلية لنسج القطن والصوف في إنكلترا هو فتى الدرس على المغزل الذي استكشف طريقة جديدة لصنع القماش. وهو من أهل لانكشاير مثل هارجريفز وأركريت وهو مثلهما من الأوساط الوضيعة

اسم هذا الرجل صموئيل كرمبتون وقد ولد في فيروود بالقرب من (بولتون لي مورز) في سنة ١٧٥٣ وقد مات أبوه وهو طفل؛ وكانت أمه الأرملة تشتغل بالغزل فساعدها في ذلك

وبعد قليل اشتغل حائكاً على النول في مصنع بولتون وكان يقسم وقته بين الحرف وبين الغزل. وكان يضايقه أن الغزل الذي يصنعه تنقطع أطرافه وخطر له أنه قد يستطيع تحسين عمله على طريقة دولاب هارجريفز فيصلح هذا الخلل. واستمر خمسة أعوام يعمل على هذا التحسين. وفي نهاية هذه المدة اخترع آلة تغزل خيوطاً رفيعة ناعمة تصلح لنسج الشاش

أراد أصحاب المصانع أن يعرفوا سره فحاصروا منزله ولما كان المبدأ الذي بنى عليه عمله في نهاية البساطة بحيث يستطيع أي خبير بالصناعة أن يعرفه في لحظة فإن هذا المخترع المسكين قد اضطر إلى استعمال حرس حول المنزل طول الليل والنهار، وأخيراً أفشى سره لأحد أصحاب المصانع في بولتون. ومما يدعو إلى الأسف أنه لم يكافأ المكافأة التي وعد بها

وأطلق في انكلترا وفي إيقوسيا على تلك الآلة اسم بغلة النسيج. وقد منح كرمبتون فيما بعد البرلمان الإنكليزي من المكافأة خمسة آلاف، فلتصميم الآلة على كثرة ما استخدم من الآلة التي اخترعها في أنحاء البلاد، وطلب معونة الدولة فمنحه البرلمان ما يعدل نصف المكافأة التي منحتها زميله المخترع النفيس وعاد كرمبتون المسكين إلى بولتون وهو يشعر بالخيبة والضعف

من الاستكشافات التي استكشفها هؤلاء الأربعة الخادمون الوضيعون نشأت المراكز الصناعية للصوف والقطن في لانكشاير ويوركشاير وإيقوسيا؛ وأصبحت هذه المصانع الضخمة في أعمارهم تختلف في صفة متعددة في صناعة النسيج الآلي وربط مصانع اليوم بالمنزل والطارة اللذين كانا يستعملان في أقدم العصور

وكان على الكيمياوي أن يشترك في تحسين صناعة القماش، فقد قام كيمياوي في الثامنة عشرة من العمر كان يشتغل في معمل في لندن، واستخلص في سنة ١٨٥٦ استكشافاً يستحق أن يعد أول من المكتشفات العظيمة العلمية في تاريخ العالم الحديث

ومن الغريب أنه بينما كان التقدم مطرداً في صنع الأقمشة المنظمة وصبغها كان فن الصناعة يكاد يكون من الوجهة العلمية واقفاً عديم الوجود

كانت المواد النباتية مثل النيلة والفوه والمواد المشتقة كخشبة البقم والمواد الحيوانية كدودة القرمز والمشتقة مثل القار صبغية، كانت هذه المواد التي تستعمل في الصناعة إلى أن انقضى منتصف القرن التاسع عشر، وبهذه المواد العديدة الثمينة الثابتة كان الصانعون في أوربا يلونون منسوجاتهم تلويناً بديعاً كما نرى في الحرير والصوف والقماش المطبوع الذي يوجد الكثير منه في المتاحف

ولكن لم يظهر إلى ذلك العهد ولا جرى من المخترعين مكتشف أن مزيج مادتين كيمياويتين يمكن أن يؤدي إلى استخراج ألوان كثيرة أخرى

(يتبع) ع

من هنا ومن هناك

ألمانيا تكسب الحرب

[ملخصة عن « الأوبزرفر »]

كانت ألمانيا عام ١٩١٤ تعتقد أنها ستنتصر في أسابيع معدودات ، ولكن الحرب مع ذلك دامت أربع سنوات . وقد تكون حرب الأسابيع أكثر دلالة على أن الحروب العصرية ليست من الحروب الخاطفة التي ... ، وإن نجحت الدول المحاربة في التسلح ؛ لذلك نستطيع أن نقول إن الحرب الأوربية الحالية ستكون حرب اجتياح .

ومع الجهود العظيمة التي تبذلها ألمانيا في سبيل إصلاح حالتها الاقتصادية ، فإن أحد الدكاترة يرى أنها لن تعد العدة الوافية في مثل هذه الحرب .

ويقول (ميجر - جنرال توماس) : « إن القوة الاقتصادية في الحروب الطويلة لها شأن أعظم من القوى الحربية ، وقد وضعت الحرب العظمى عام ١٩١٤ - ١٨ هذا القول ، وهو في الأيام الحاضرة يزداد صحة وتأييداً » .

إن نظام ألمانيا الاقتصادي يقوم منذ زمن طويل على أسس واعتبارات حربية ، وينقل محصولاتها في حرب أوربا من حاجتها الملحة إلى الخطة والجدول .

ولا مفر من الاعتراف بأن ألمانيا اليوم أقل استعداداً للحرب من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩١٤ ؛ فالثروة الألمانية أقل مما كانت في ذلك العهد ، والألمان لا يستطيعون أن يخزنوا بتاج الأطعمة والسلع التي تسد حاجتهم أيام الحرب ، بل لا يستطيعون كذلك أن يحافظوا على التوازن اللازم بين الصادر والوارد . فهم مضطرون إلى أن يتركوا كثيراً منهم يجوعون أو يعمدوا إلى الاحتياطي الضئيل الذي يتسلمونه من الشعب مختلفاً .

ويعتقد « جون إينزج » الاقتصادي الإنجليزي المشهور أن الاحتياطي المذهب سيكون له الشأن الأول في هذه الحرب دون سائر الشئون الخاصة بالحرب . ومما لا شك فيه أن ألمانيا لم تكن في عهد من العهود أكثر استعداداً من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩٣٩ ؛ ومع ذلك فقد ضاقت بها سبل الاقتصاد ومن على المال إنها بحثت وتسلحت ، ولا تستطيع شعب من الشعوب أن يعاني الجوع والقحط أربع سنوات ، ويزداد حاله فيها سوءاً يوماً عن يوم ، ومن البديهي أن هتلر إذا استطاع أن ينقل بعض مواده من طريق الاقتصاد ، فإن هذه المواد لا يمكن أن تزيد على موارد ألمانيا في الحرب السابقة ؛ وهي مع ذلك لا تكفي لإقامة نظام اقتصادي أمين يضمن سلامة النظام الاجتماعي الضروري لمثل هذه الأزمات .

يقول الدكتور « فردريك » الإحصائي الألماني : إن ألمانيا تحتاج من البترول في زمن الحرب إلى ما يتراوح بين خمسة عشر وعشرين مليوناً من الأطنان كل عام ، ولا يزيد ما يستخرج منها على ثلاثة ملايين في العام . ويقدر محصول رومانيا من هذه المادة بثمانية ملايين من الأطنان على أكبر تقدير . وإذا وجهنا نظرنا نحو الدول الديمقراطية ، وجدناها أكثر استعداداً اليوم منها سنة ١٩١٤ ، فاحتياطي الذهب في إنجلترا وفرنسا يزيد خمسين ضعفاً على الاحتياطي الموجود بألمانيا الآن ، وللدول الديمقراطية موارد أخرى فيما وراء البحر تستطيع أن تزودها بما يكفيها عند الحاجة . ولا نعني هنا أن أمم الحلفاء في استغناء [illegible] بما تحتاج إليه دون أن يؤثر ذلك في مركزها الاقتصادي العظيم .

من هنا يتبين أن الميزان الاقتصادي راجح في جانب الدول الديمقراطية ، ولا تجهل ألمانيا ذلك ، ولكنها تبني على فكرة الهجوم السريع ، ولكن الحرب في أوربا اليوم لا تعرف القصر .

نشرة ظاهرة !

[عن [illegible]]

حدث بعد إقالة الدكتور شاخت من رياسة بنك الريخ تغيير كبير في سياسة ألمانيا المالية . فقد كانت أثمان الأطعمة والملابس حتى ذلك العهد تزداد زيادة لا تصل بها إلى حد التضخم ، فقد علمتنا الأيام أن ترتفع الأسعار بنسبة [illegible] الأعلى كل شهر ،

ومنه ثم تطور حتى تصير في كل أسبوع ، ولا تنقضي حتى يصبح البنك الذي يدفع في يوم الجمعة لا يساوي شيئاً في يوم الاثنين الذي يليه. وقد تبين في عام ١٩٣٨ أن إيراد الضرائب لا يكفي لسد ما تنفقه الحكومة في التسليح ، فعمدت إلى سد هذا العجز ببعض القروض ، ولكنها وجدت في عام ١٩٣٩ أن تلك القروض لم يكن لها أن تمدها بالمال الذي تريده. فعمدت إلى فرض الضرائب اللازمة على الأمة. وكانت حتى ذلك العهد مترددة بين أمرين: إما أن ترفع الضريبة ، أو تزيد في عدد الأوراق المالية. وكان من رأي دكتور شاخت رفع الضرائب. ولكن رجال المال وأصحاب الأعمال أشاروا على الحكومة باجتناب هذه الطريقة لأن سياستهم قد تفشل وتدفع في الصراع إلى الإنفاق

وعلى ذلك فقد لجأت الحكومة إلى توسيع دائرة الأوراق المالية مع فرض بعض الضرائب. وكان من الطبيعي بعد ذلك أن ينحى دكتور شاخت عن منصبه ، إذ لا يشق على الحكومة أن تترك مالية الدولة في يد رجل رفع عقيرته بالاحتجاج عليها صراحة حين أصدرت هذه الأوراق المالية الجديدة.

نحن لا نستطيع أن نذكر مثالاً من الأحوال أن السياسة المالية الحكيمة قد جنبت المصارف على حافة الخطر ، وعلى الأخص مصرف الخصم ([illegible])

إننا لا نشك في فائدة التسليح ، ونود أن يكون لألمانيا استعداد حربي يحمي كل أمة على وجه الأرض ، ولا يمكننا أن ننصح لأصحاب الأموال بأن يسحبوها من المصارف إذ يصير من العسير على الحكومة أن تعقد قروضاً جديدة بعد ذلك ، ولكننا على العكس قد أصبحنا مضطرين تحت ضغط بعض الظروف والاعتبارات أن نمنع سحب الأموال من المصارف لتبديدها سعياً في شئون الرفاهية والأهواء. فإن الدولة كما يبدو للخصوم في ثروتها. ونحن نعد أموال عملائنا من مال الأمة ومرافقها العامة. فهي الضمان القوي لتسليح البلاد. لذلك نستطيع أن نقول لكل إنسان في ألمانيا دع أموالك في البنك

ألم الشعور بالوحدة

[عن « يور لايف » الأمريكية]

في الحياة آلام كثيرة ، ومن أقسى تلك الآلام الوحدة

والوحدة التي نعرفها بالانفراد ، تختلف كل الاختلاف عن شعور الإنسان بأنه وحيد. كل إنسان عمل أن يكون وحيداً في بعض الأحيان. وقد يجبر نفسه ويضطرها أن يكون بعيداً عن أحب الناس إليه. والمرء ينشد الهدوء والعزلة في بعض الأوقات ليفكر ويستريح ، ويبني قصوراً في الهواء. إلا أن الوحدة تقبض القلب وتؤذيه وتؤدي إلى الشقاء ، وتحرك في النفس أسباب السوء. والنفس الوحيدة تشعر على الدوام بأنها غريبة عن العالم محرومة من حبه ، ومن العجيب أن صاحبها يشعر بالوحشة وهو في المدينة تعج بالملايين من السكان المحيطين به المجاورين له ، كأنه في كهف وحده وسط صحراء قاحلة لا صديق فيها ولا أنيس

ومما يثير في نفوسنا شعور الوحدة ، كبت بعض الغرائز التي تريد الظهور ، ففي كل إنسان غريزة تدعوه إلى البحث عن رفيق من الجنس الآخر. وكبت هذه الغريزة يسبب له كثيراً من الآلام من الطبيعي ولا شك أن يكون الإنسان وحيداً ، ولكن الوحدة ليست من الأمور التي توجد بالوراثة ، ولا من الغرائز التي لا يمكن التغلب عليها وتغييرها. فنحن لم نخلق في هذه الحياة ومعنا الضعف ، إن الظروف هي التي جعلتنا كذلك. وفي وسعنا أن نغير هذه الظروف كلما نعود إلى احتمال آلام الوحدة بعد

وتختلف علاج الوحدة باختلاف الأشخاص والأحوال ، فبعضنا يعاني آلام الشعور بالوحدة حتى يتزوج ، وبعضنا يعاني الوحدة حتى يكون له أبناء. وبعضنا يؤنسه كلب صغير أو طائر جميل ، وقد كان للمذياع فضل كبير في مساعدة هذا الداء عند الكثيرين ، كما أن للقراءة والأفلام المصورة فضلاً يذكر في هذا الشأن

من هنا يتبين أن علاج الوحدة يختلف باختلاف الظروف والحالات. فقد يكون لسرور صغير فضل كبير في معالجة إنسان من هذه الحالة ، وقد يكون للطبيعة فضل في معالجة إنسان آخر. وقد يأنس بعضهم بمشاهدة حفلات الرقص ، وقد يأنس البعض بمشاهدة بعض المباريات الرياضية والاندماج في غمار الناس

ومن واجب الشخص الوحيد أن يتعلم كيف يتصل بالناس ، وألا يعتمد على نفسه كثيراً في اختيار معارفه ، فهي الأمور يؤدي بعضها إلى بعض

ونحن نستطيع أن نغير الظروف وأن نحكمها ، إذا قوينا عزائمنا وأنسنا لنا طريق الرقي. فإذا أعددنا هذه الأسباب أتيحت لنا الفرصة للتغلب على آلامنا ، فأصبحت تأتمر بما نريد

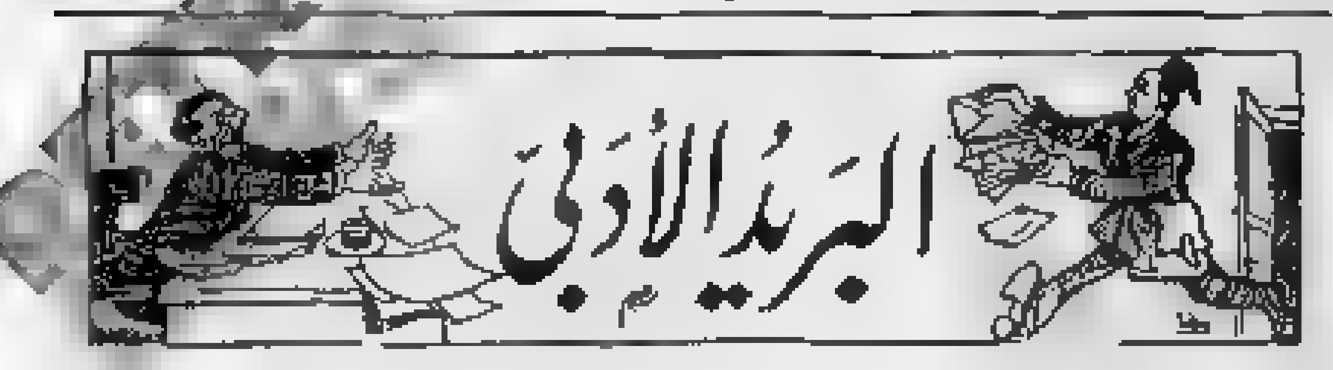

تاريخ الأدب العربي لبروكلمن

سبق لي أن وصفت الجزء الأول والثاني والثالث من هذا الكتاب من غير توسع ولا إفاضة في الفحص عن المسائل المتنازعة والتفصيلات المتفرقة في البحث. واليوم أنتقل من الوصف المجمل إلى نقد الفقر بعض الشيء. وقد وصف الأستاذ بروكلمن نفسه بذلك، ولا أدري هل يصله هذا العدد من الرسالة وقد انقطع حبل البريد بين مصر وألمانية

يجري الكلام في الجزء الرابع على النثر في مصر، وإليك أسماء الذين نظر المؤلف في آثارهم: فرح أنطون، محمد إبراهيم المويلحي، المنفلوطي، محمد حسين هيكل، منصور فهمي، محمد عبد الله عنان، شبلي شميل، سلامة موسى، يعقوب صروف، فؤاد صروف، محمد تيمور، محمود تيمور، نقولا الحداد، محمد فريد أبو حديد، خير الدين الزركلي، الطنطاوي، حسين شفيق المصري، عبد الله حبيب، عبد العزيز عمر السلمي، توفيق الحكيم، طاهر لاشين، حسين فوزي. ثم عمد المؤلف إلى الكلام على أحدث ما أخرجه العقاد ومحمود تيمور بعد أن تناول ما في صدر الجزء الرابع وذلك في الجزء الثالث. وهناك طائفة من الكتاب لم يحفل المؤلف عندهم بل قنع بذكر أسمائهم وأسماء كتبهم ومصنفاتهم، والحق أن بعضهم، مثل رحيم المصري، يستحق درسا حسنا، وكان أولى به أن يشغل المحل الذي ظفر به بعض صغار الكتبة (أنظر مثلا ص ٢٤٦)

ولي أن أكشف هنا آراء المؤلف في كتابه فقد تنقلت من قبل إلى مراجعته حتى تخرج الأجزاء كلها فتنتظم سلسلة المناقشة ويبسط على ما تقدم وما تأخر. وإنما هو اليوم التنبيه على بعض الأوهام حتى يتمكن المؤلف من مراجعة ما فاته في الاستدراك الذي أخرجه بأجزائه

١ — رسم الكلمات العربية بالحروف الرومانية ورسم الأعلام الأفرنجية

ص ١٩٣ سياحة في أوروبا، لا: عمر لطفي — ابن الشعب — لا الشعب —

ص ٢١٤ معضلة السوريين لا مقلقة

ص ٢٢٧ أساطير العلم الحديث (لفؤاد صروف)، لا أساطير

ص ٢٣٠ مهزلة الموت، لا مهزلة

ص ٢٣٦ و ٢٣٨ ساحرات الشعب، لا الشعب

ص ٢٣٨: مجلس نعمى، لا مجموص

ص ٢٣٣ محمد عوض، لا عوض

ص ٢٣٤ شحاته عبيد، لا شحاته

ص ٢٣٦ مصطفى الطنطاوي، لا الفنساوي

ص ٢٤٨: A. H. Paxton، لا Saxton (وكان من المتوسلين الإنجليز في كلية الآداب مدة)

ص ٢٤٣ Jean Giraudoux، لا Giraudoux (وهو المؤلف المسرحي الفرنسي المعهود)

ص ٢٤٣: Morik Brin، لا Maurice Berin (وهو الذي نقل إلى الفرنسية «شهرزاد» لتوفيق الحكيم)[1]

ص ٢٤٣ صلاح الدين ذهني، لا ذهن

ص ٢٤٨ كرم ملحم، لا ملحمة

ص ٢٦٦ رواية قصصية، لا قصصية

٢ بعض الزلات

ص ٢١٥ و ٢١٧ يجعل المؤلف لفؤاد صروف لقب دكتور ويقول إنه ابن يعقوب صروف، والمرجح أن صديق الأستاذ فؤاد ليس بدكتور وإنه ابن أخي يعقوب صروف

ص ٢٣٥ أدخل المؤلف خير الدين الزركلي في كتاب

(١) يجدر بي أن الأستاذ بروكلمن نقل هذه الأقاصيص الثلاثة من مصادر عربية فليس عليه إلا المطلق الجديد الرسم

مصر باعتبار الإقامة ، وهو من أدباء الشام أصلاً

من ١٩٤٠ . جعل للؤلف أحدهم مهندساً في مصلحة السكة الحديدية وهو موظف صغير فيها

وجعله مهندساً خطيرة الشأن لا مصير لعمل الأستاذ روكلي وهو مجهول ، ولو كان الأستاذ بحثه بين ظهرانينا ما فاته مثل هذه الحدوث ، إلا أنه بعيد عن البيئة التي يكتب عنها ، أحمى من بعلها

بشر فارس

توضيح

أقول لصديقي الدكتور زكي مبارك إني لم أقل « بوجوب إلقاء الشعر كما يلقى النثر » . فليراجع كلمتي الأولى والثانية (الرسالة ٣٣٠ ، ٣٣٣) يقرأ ما عرفته : « فإن الشعر لعهدنا هذا في أوربة (وهي تأخذ من التمثيل) يلقى على المسرح كأنه نثر (إنما : في أوربة وكأنه) . وحسب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بقوافيها — وخير من إنشاد البيت بتقطيعه وتقسيمه مصراعين والضغط على القافية الرنانة أن يُنشد على حسب انسياب المعنى في تضاعيفه » ثم « وما عسى على الوزن أن ينتشر خفية في تضاعيف البيت » . وعلى هذا تبيّن أن الحل الأول عندي في إلقاء الشعر على المسرح للمعنى واللفظ وأما الوزن فليكن كالنغم الخفيّ يسحب ويجيء من وراء ستار ويعني . وتُطلق عنت الأسباب التي من أجلها أغلب إلقاء الشعر بحسب المعاني والألفاظ على إنشاده بحسب القوافي . فهل أعود إلى التبيين ؟

وأما تهديد الصديق إياي من أجل ليلاه — حفظها صاحبها المهدي — في أنشدته « لا أُعيد علي يا زكي صروف ليالي أرمس وعن أمسي » ، فلعمري سمعتُ حياة القرينة ومصر كلها الحضارة . إلا « أسمع وأنس من كتبي » ولا عتب بأساً فلا ليس لي خروج علي وهل تكون ليلى على مرضيه ، إلا لتلك يا زكي الحيل والفتنة ووسوسة الشياطين ؟ وأعوذ بالله من شيطان غير رجيم

[illegible]

إلى حضرة مؤلف كتاب القرآن

ظهرت طبعة جديدة للمصحف الشريف بعنوان (التنزيل الرباني بالرسم العثماني) قام بطبعه ونشره عبد الرحمن محمد الكتبي بشارع الصنادقية بميدان الأزهر

وقد وقع في بعض نسخ هذه الطبعة ... أن أعد بكتاب الله أخطاء مشوّهة الهدف في التصحيح ... في المراجعة ، كما سيرى أن أمس الناس عنها ، يصلحها كل من كان عنده مصحف من هذه الطبعة ... المحسنين ...

ص	س	خطأ	والصواب
٦٤	٣	[illegible]	[illegible]
٨٧	٧	[illegible]	[illegible]
٩٧	٤	أو كبر	أو كبر
١٩٢	١	يطعمه	يطعمه
٢٠١	١	[illegible]	[illegible]
٩٨	٢	فيصل	فيصل
٢٤٩	١٥	يرشد	يرشد
٢٥٤	١٣	[illegible]	[illegible]
٢٥٥		[illegible]	[illegible]
٢٥٨		[illegible]	[illegible]
٢٥٨	٤	[illegible]	[illegible]
٩٦	١	يعدل	يعدل
٢٩٢	١٥	[illegible]	[illegible]
٣٠٢	١	[illegible]	[illegible]
٣٠٩	١٦	من فضله	من فضله
٣١	٢	[illegible]	[illegible]
٣١٢	١٢	[illegible]	[illegible]
٣٦٤	٩	[illegible]	[illegible]
٣٢	١٣	خلقكم	خلقكم
٤٢٤	٩	ولا حان	ولا حان

هذه هي الأخطاء التي استرعت نظري ولا أعرف إنها كل ما في المصحف ، بل هي ما عثرت عليه في قراءة متقطعة وكل ما نرجوه أن تتخذ مشيخة المقارئ وجوه الشأن الإجراءات لتصحيح هذا الخطأ وتلافي ذلك الأمر

عبد الحفيظ أبو السعود

في كلمة الآداب

قرأنا كلمة الدكتور بشر فارس في العدد السابق من الرسالة تحت عنوان « في كلمة الآداب » ولا ريب أن هذه الكلمة أصابت المعنى ... الأعمال إلى أهلها إن كانت معروفة عند

أغلب الحاسبين إلا أنه حجبه عن الجمهور الذي من حقه أن يكون مطلعاً على ما يجري في دوائر العلم والصحافة

وبهذه المناسبة يحضرني أمران عن ذلك المدرس الأجنبي الذي قال عنه الدكتور بشر إنه «يطلب ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة». الأمر الأول يتلخص في أن كلية الآداب كانت قد أخذت صورة فوتوغرافية للترجمة العربية من كتاب «الأورغانون» (منطق أرسطو) وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس. فلاحظ بعضهم أن [illegible] من الصورة وكذلك كل ما هو مكتوب بالمداد الأحمر مكان [illegible] ذلك المدرس الأجنبي بأن يراجع حواشيه وينشرها في باريس في صيف ١٩٣٨، وصرف له أجر كبير لذلك، والذي حدث أن هذا المدرس عاد من باريس بدون أن يقوم بما كلف به؛ والدليل على ذلك أن كتاب أرسطو كان [illegible] منذ صيف ١٩٣٨ — أي أثناء وجود ذلك المدرس الأجنبي في باريس — بين يدي عالم مصري عاد من باريس في نهاية الصيف

أما الأمر الثاني فهو خاص بإعادة طبع كتاب «كليلة ودمنة»، وتفصيل ذلك أن مطبعة المعارف كانت قد عزمت على إعادة طبع هذا الكتاب ورأت أن يعهد بمراجعته إلى لجنة مكونة من بعض كبار رجال وزارة المعارف، فسألت في ذلك الدكتور بشر فارس فكان من رأيه أن يعهد بهذا العمل إلى رجال الجامعة لأنهم أدرى بمعالجة المخطوطات ومراجعة مصادره في السريانية والفرنسية ثم البحث الحديثة واقترح للعمل أسماء: الدكتور طه حسين لمكانته الفنية والترجمة الأخيرة للأصل العربي، والأستاذ عبد الوهاب عزام للمخطوطات الفارسية، والدكتور مراد كامل للمخطوطات السريانية فضلاً عن [illegible] المصادر الحديثة وبخاصة الألمانية. والذي حدث بعد ذلك أن المدرس الأجنبي حل محل الدكتور مراد كامل وإن كان الدكتور مراد كامل هو الذي يدرس اللغات السامية ومنها السريانية في كلية الآداب

فهذان أمران يدلان على أن ذلك المدرس الأجنبي يحتل مراكز حساسة قد لا يحتلها مصري مصري (جامعي)

يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم

نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية الأستاذان جاستون ويت وزكي محمد حسن، وقدم له صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا ونشرته (مجلة القاهرة) الفرنسية، وقد كتب عنه المحرر الأدبي لمجلة (سوفان) في أحد أعدادها الأخيرة ما يأتي:

«قرأت في سرور عظيم (يوميات نائب في الأرياف) للسيد توفيق الحكيم. وهي صورة حية طريفة للمصري [illegible] على أكثرها الفكاهة وظهر في بعضها المرارة. وصاحبها رجل من رجال السلك القضائي الذين لا يستطيعون أن يجعلوا [illegible] الأغلاط تحكم وظيفتهم. [illegible] العالم المصير على صفحات الكتاب في حلة عجيبة وجلاء باهر. وفي الغالب يحس القارئ الفكرة الإصلاحية التي حركت الأستاذ توفيق الحكيم حتى ليتمنى أن يرى كل شيء في هذه الصورة الإنسانية على حالة ما جاءت بها الإمتاع والقراءة. ولكن من المؤكد أن كثيراً منها سيثير في المؤلف لذة. ويقنع بالأغلاط فإنه لا يصححها أبداً. ومع ذلك فإن الذي يبقى في ذاكرة القارئ هو شخصية الحادث وطبيعة الملاحظة وطرافة السياق. إن الأستاذ توفيق الحكيم هو لا شك كاتب مطبوع، وهو يكتب ليرشد وينقد ويمتع، وليسامحني إذا أضفت إلى ذلك أنه يكتب أيضاً لمجرد الرغبة في الكتابة»

حول الأمير شكيب أرسلان

ورأيت ما نشر في الرسالة عن [illegible] مجاهد الإسلام الكبير الأمير شكيب أرسلان نقلاً عن إحدى الصحف اللبنانية. والصواب هو أن الأمير يقيم في جنيف [illegible] إلى لوزان منذ أعوام كثيرة يدافع عن الإسلام والأوطان العربية، ولما عاد إلى سويسرا بعد رحلته لمصر اقتضت ظروفه أن يزور ألمانيا [illegible] يحول [illegible] في برلين منذ عشرين سنة، ولبث [illegible] الآن [illegible] سويسرا [illegible] إلى جنيف [illegible]. وآخر أخبار الأمير الجليل أنه كان في أواخر رمضان في مدينة زوريخ السويسرية لزيارة صديقه [illegible] صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا، وقد بلغنا أن الأمير يفكر في ترك أوروبا والسكنى في الحجاز إلى أن تنتهي الحرب والسلام عليكم

[illegible]

صدى صوت من ألف عام

أشكر للأستاذ النجار نصحه وتنبيهه، فقد جاء في استهلال حديثه [illegible] وزراعة قصيده. أما ما عثرت من شعر الأمير تميم في مساجلة ابن المعتز العباسي، فكان [illegible]، وأنا [illegible]

الأنواع المختلفة من شعر تميم أن أحول بوغاً سب ، لأنه يتناول خلافاً سياسياً لا وجود له عند أحد من الناس ، ولا عند الأستاذ الشاعر أيضاً

وقد شرب في هذا العصر عشرات الكتب وفي طليعتها مصر للأمون وهذه المطبوعات الحديثة شعر يزيد المسيحيين وشعر آخرين قالهم والطعن عليهم ، لم يوجه مثل هذا النقص الذي يوجه إلى كل مؤرخ يحلل التاريخ من أساسه ، أو اتهم المؤرخ على الأقل بإثارة الفتنة أو اشتغال دون الأمة التي يؤرخ لها وقد يكون وجيهاً . وأنا حين أكتب عن الفاطميين لا أستطيع أن أغفل شأناً من شؤونهم ، علماً في عصرهم ولا في عصر منافسيهم . كأن المقالين الشيعيه خوفاً من هذه موضوعة من شأنه أن يطمس آثار القوم ويعطل الأذهان ويترك طب القومي مفتوحاً للأراجيف الباطلة التي شاع بسببها سوء الظن وتسربت دواعي الفرقة بين شعوب الإسلام لحمل بعضهم بعض

ثم إني أعتب على الأستاذ تسويه موضوع الأخوة الإسلامية في موضوع كتبته أو بعض الشخصية ، ولم أذكر فيه الجامعة ، ولا أي أحد أصحابها . فأرجو أن لا يغيب عن الأستاذ ولا عن غيره أني حين أتناول الأدب أو التاريخ أو الفلسفة لا أكتب لحساب الجامعة ولا لغيرها ، بل أكتب للحق وللواجب

[illegible] حسين

مصر في إفريقيا الشرقية للدكتور محمد صبري

الدكتور محمد صبري مدير الثقافة والنشر علم من أعلام مصر في فقه التاريخ وأسلوب الأدب ، شغل الأذهان وملأ الأسماع حيناً من الدهر بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه . ثم اعتكف منذ أعوام في دور الكتب ودواوين المحفوظات في مصر وفي أوربا يجمع النصوص ويحلل الوثائق ويستخرج الحقائق ويسائل الآثار حتى اجتمع له من تاريخ مصر في القرن التاسع عشر ما لم يجتمع لغيره . ثم توفر على تحرير هذا التاريخ في مجموعة مخصوصة بسمة المؤرخ الموهوب والقارئ المتتبع والكاتب الحق ! وهو في أثناء ذلك يفرد النقط المهمة بالصور الخاص والنشر المستقل تحقيقاً لغرض أو استيعاباً لعبرة . ومن ذلك الموضوعات الخاصة التي أراد الأستاذ أن ينشرها تمجيداً للذكرى إلى عصر الأجل وعصر الحكم ويعرف قوى الاستقلال البادي في وجه الدولة وفي كل عضو من أعضائها ، كتاب مصر في إفريقيا الشرقية : هرر وزيلع وبربرة

وهو كتاب نفيس المادة أنيق الطبع رائق الأسلوب ، ألم فيه الدكتور بتاريخ هذه البلاد واستعمار إسماعيل لها وتاريخ الحكم المصري فيها ، معتمداً في ذلك على ما لم ينشر من مخطوطات قصر عابدين ومخطوطات وزارة الخارجية الإنجليزية وعلى ما نشر من المطبوعات الأوربية . جاء الكتاب حقيقاً بسمعة الكاتب جديراً بثقة القارئ

الطفل من المهد إلى الرشد للأستاذ محمد [illegible]

هو كتاب جديد في العربية ، يتناول موضوعاً طالما شعر الآباء والمربون والمشتغلون بشئون التربية بحاجتهم إلى كتاب في العربية يتناوله على أسلوب من البحث العلمي يكشف لهم المجهول ويحدد لهم المنهج في دراسة الطفل دراسة نفسية تعينهم على ما هم بسبيله من شئون التربية

وإذا كانت أكثر المصادر في مذاهب التربية وعلم النفس أوربية لا يتأتى لغير المدرس المتخصص أن يلم بها إلماماً يعينه على القصد ؛ فإن لنا أن نزعم أن كتاب (الطفل من المهد إلى الرشد) هو محاولة موفقة لتقريب هذا الفن

على أن مرده إلى ذلك لا يستغني عنه أحد من رجال التربية ، فإن فيه جهداً شخصياً تطبعه بطابع مؤلفه وترفعه منزلة فوق كثير من الكتب المترجمة إلى العربية في هذا الفن . وحسب القارئ أن يعلم أن مؤلفه وضعه أول ما وضعه بالإنجليزية بعد دراسة تسع سنين وتقدم به إلى جامعة لندن فمنحته به درجة الأستاذية في علم نفس الطفل

خطاب العرش من الوجهة الأدبية

[بقية المنشور على صفحة [illegible]]

ويقول خطاب العرش :

« ومما يطيب له الخاطر أن الأمة متفقة بعرشها »

فهل يجوز أن هذا مما يُخبر عنه ؟

إن حب الأمة للعرش لا يحتاج إلى هذا النص ، لأنه من البديهيات ، ولأنه ليس من موضوع الخطاب

ويقول :

« كان لا بدّ من السير بمصلحة البلاد في يقظة وأمن وحذر »

فما موقع كلمة « الأمن » بين اليقظة والحذر ؟ لعله كان يريد كلمة « الإيمان » أو « العزيمة » أو « الثقة » ولم يسعفه التعبير بما يريد

ويقول بعد أن أشار إلى وجوب العناية بإصلاح جميع المرافق :

« هذا يجدي والحالة هذه أن تعدد برامج الإصلاح والمشروعات النافعة »

فما معنى « المشروعات النافعة » ؟ وهل من يكون تعدد برامج الإصلاح شيئاً « لا يُجدي » ؟

إن خطاب العرش يريد أن يقول : إن المقام مقام إجمال لا مقام تفصيل ؛ ثم خانته عبارته عما يريد ، فرأى تعديد برامج الإصلاح من الفضول !

ويقول في إنشاء المجلس الأعلى للتعليم : إن الغاية منه أن « تتحقق مصلحة البلاد العليا التي يجب أن تعلو على كل مصلحة أخرى »

فما موقع كلمة « كل مصلحة أخرى » ؟ وما الموجب للنص عليها في هذا الخطاب ؟

ويقول :

« وإن حرصنا على الدفاع عن أرض البلاد واستقلالها لا يعدله ولا يفوقه حرص »

وعبارة « لا يفوقه حرص » لا تخلو من وهن ؛

ويقول :

« إن [illegible] جهودنا سيكون [illegible] في السلم وعن حلفاء الإمبراطورية ، ولكن لا يصح أن نقول إن تلك التحالف أكبر [illegible] في السلم ، لأن لنا [illegible] الأكبر في السلم والحرب »

* * *

نعتب مسألة هي جانب من الأهمية وهي سكوت خطاب العرش عن الحياة الأدبية في هذه البلاد

المال موضع اهتمام ، والفلاحون موضع اهتمام ، والجيش موضع اهتمام ، كل شيء في مصر موضع اهتمام في خطاب العرش إلا الأدب والأدباء ، فكيف جاز ذلك ، أيها الناس ؟

إن خطاب العرش يتحدث بما وصلنا إليه في توثيق الروابط الأدبية والثقافية بيننا وبين الأمم الشرقية

فمن يذكر خطاب العرش أن أدباء مصر هم الذين وضعوا القواعد من تلك الروابط ؟

وهل يرى الشرق مصر إلا في مرآة الأدب والفنون ؟

إن الأدباء هم سفراء الثقافة المصرية في الشرق ، فكيف يكثر على منشئ خطاب العرش أن يشير إليهم بكلمة تشجيع وهو يتحدث عن صلات مصر بأمم الشرق ؟

إننا نعتب على رؤساء الحكومات المصرية أشد العتب ، فلكل فئة من الفئات حظ من الرعاية والتشجيع ، إلا جماعة الأدباء والباحثين الذين يُفنون أعمارهم في أضواء المصابيح ، ثم لا يذكرهم المسئولون ، مع أنهم يجدون أكثر الأحيان ، ويؤدون للأمة والدولة أعظم الخدمات ، وبأعمالهم تظهر خصائص الشعوب

أين حظ الأدباء من ألقاب التشريف ودعوات التكريم في المواسم والأعياد ؟ وأين الوزير الذي يفرح برتبة لوصف أو شعر موظف يتسم بالمواهب الأدبية ؟ بل أين من يعرف أن أدباء مصر [illegible] اللغة العربية مكاناً [illegible] في عهد بني أمية وعصر بني العباس ؟

وإنا نرفع هذه الشكوى إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول راجين أن يمنح عناية [illegible] في تشجيع الأدب والأدباء [illegible] إلى ما [illegible] الشرق في عهده السعيد

زكي مبارك

7me Année No 335

Lundi 4-12-1939

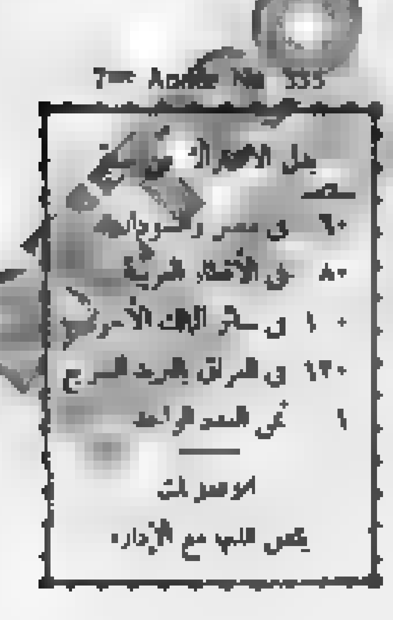

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

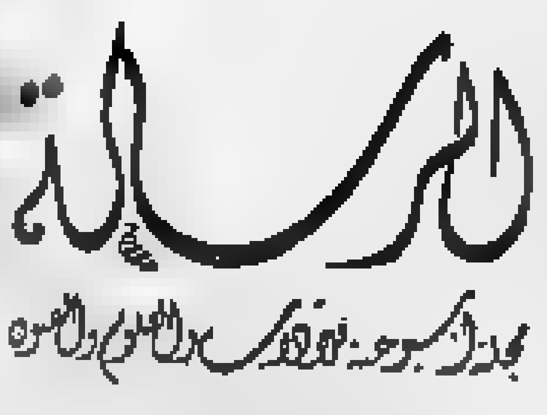

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البديولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

فهـــرس

جسومنا وعقولنا

بين الصحة والمعارف

إنا لنعجب من أن نقوم جيلاً ونربيه للمدرسة قرناً ونيفاً ثم يظل عامته أعسر الأميين؛ ونعجب العجب أن نقوم جيلاً ونربيه للصحة زهاء هذا العمر المبارك ثم لا يزال نصفه أعشى ونصفه مريض!

ولا عجب من ذلك لأن شعبنا بدع من الشعوب هواه في أن يصول ويجول في أي أرض؛ ولكن الله لم يخلق إلى اليوم إنساناً يكره المعرفة ولا يحب الصحة. إنما السبب الأول في هاتين الظاهرتين الفاسدتين عهد البلد أن القائمين على ثقافته والساهرين على سلامته قد قصروا همهم في الدواوين، وقصروا جهدهم على الشكل، ثم شغلوا دونهم الامتحانات والتنقل والترقية والمراسيم والرتب، والامتحانات والتقارير والتجاريب والدساتير؛ ولم يكلفوا أنفسهم النظر من نوافذ المكاتب الرحيبة إلى هذا الشعب الذي يسعون عليه ويعملون له، فيضعوا سياستهم على مقتضيات حاله، ويرسموا خططهم على دواعي حاجته.

* * *

أما المعارف فمن ساس المدارس وحكم في كتاب التعليم من هذه الجهة، فقد جعله من سكرة الفساد والفكر، فتعددت في دمه الروحين المذهبين الفرنسي والسويسري، على استقلالها في الرأي

يُطلد الرجاء، وما علامتها في السبل نُعطد الثقة؟ ولعل في الحديث عن وزارة الصحة شيء ما أن يعطفنا للموت اضطراراً وعلى حراستنا جيش من الأطباء، وللمستشفيات القائمة على آخر طراز، وللمعامل المجهزة بأحدث جهاز، والصيدليات المزودة بأندر الأدوية؟ وأصبحنا كما رأينا القرى والبيوت تكتظ بضحايا البلهارسية والأنكلستوما والطحال والسل والرمد والملاريا وداء الفيل وسكر الرائع وسكر وطيل التحكير؛ ثم نسأل ونكثر السؤال: هل في مصر وزارة الصحة؟ وهل في وزارة الصحة أطباء؟ وهل لأطباء الصحة عمل؟ ولا سبيل إلى الإبانة عن آراء الناس، فإنك تستطيع أن تسأل هذه الأسئلة فيكون لك من الأجوبة عنها ألوان تختلف بالصيح والأساليب في الألم والتهكم والأسى والشكاية والزراية والصمت واليأس. ثم تسمع من المستشفيات الحكومية في مواطن الآلام شعوراً من أحاديث الإهمال والقسوة والفوضى وغير ذلك مما تسمعه من ذكره عاطفة على ما بقي منها من الثقة.

ويكفي أحد الذين جندتهم في جيش الإصلاح وفرض عليهم أن تكون أقلامهم حرة كالسيف، وأصواتهم عالية كالمدفع، والسنتهم صريحة كالحق، فإذا أودى الله حال قريتي في وزارة المرض، ونصيب قريتي من وزارة الصحة، وحظ قريتي من الأدوية والأطباء هو حظ كل قرية — في جزيرة من الأكواخ والمقابر في مستنقع وحمأ من مسايل الزرع: عب على قبضها وأسقامها جراثيم الأمراض المتوطنة حتى كل وجه في صفار الموت، وكل جسم في هزال الجوع، وكل حي في جمود الموت. وطبيب صحاحل عرفها الناس على هذه الحال الشديدة، لا يرى منها شباب ولا تثمر بها كهولة. ولم يكن لمصلحة الصحة يومئذ إلا طبيب في المركز لا يزور القرية إلا إذا انتشر وباء أو وقعت جناية. وعلته كله مع حلاق القرية يصرح لهم حسن للوقت من يُسد، ويكلمهم جلب المرضى إلى عيادته من قريب؟ وعلاجه قائم على المركز والتوكل، وما من الترعة القرية يشتمل على عشرين مسيل. هذا جانب هذه للصحة وزارة أراد أن يكون لها كالوزارات عمل، فأنشأت مستشفيات الثابتة والمتنقلة، ووضعت الأصناف الرائفة والصوحة، ووضعت تطهير القرى بالمعامل الأمصال ووزع النافع. وكان من نصيب قريتنا مستشفى، ومن حظ مركز طبيب. فأما الطبيب فقد عجز عن ردم البركة لأن مالكها البلد لا يريد، وإذا لم ترد الماشا وجب ألا يريد الناس، لأنه يملك الطرف والسن وإنك كلها والسكانة المرصودة. وأما المستشفى فقد دعا المرضى إلى طبه فأعطيا الحبر على طريق، وآلمه طبيبه على الأدوية القائلة والمقابل المتعب، فضلع الداء، وشحبت الغالبة، وصبر الفلاح أن في الاستقالة إرحاماً وفي الطب منعة. فازداد وفود المرضى على الطبيب حتى شرق بهم الشوارع وضيق المستشفى وصاحب المساكين. فلما وثق الطبيبان الإيغال جعل سرداً جهد حاجة، وسقط أعوانه على المرضى يطردونهم من المستشفى، ويرغبونهم في العيادة، حتى أسماعوا أن الطبيب يحمى حتى الماء، ويصيب هلاك الدواء. وأخذ هو يقصر في العناية ويجهل في المعالجة ويشتط في الضريبة، حتى اشتد على الناس الأذى، وعرجت منهم الأمراض، وكثرت منهم الوفيات، فانقطعوا في دورهم منتظرين الموت البطيء الهادئ على الموت السريع المضطرب. وطغت المراتب الصحية ربى في الشكل الأولى للناس، فلم يبق في القرية من لم تصابه داء. ثم انتشر من استعمال البلهارسيا داء الطحال كانتصاب البطون وانصرف الأطراف وتقلب الصدور؛ فأتاه الأكبرون، ولاذ منهم الأطباء النقص الطبي بوجوب استعمال الماء بالمرضخة، وقد حصروا أن أساطين الطب من أساتذة جامعة هم الذين يتولون الفحص ويزاولون العلاج ويباشرون التجربة، ولكنهم حين جاءوا لم يجدوا إلا أحياء كأولئك الأموات، ووجدوا كذلك النظام، وسمعوا كعلك المطامع. أما طرقنا وطرقهم وإن صبت فقد عجزوا عن (القسر) مما أوبى (الكلية) ولكنه منهم مختصرون — إن حضروا — ساعة من النهار؛ يجاهرون أحياء الأستاذ، ويحدثون طلاب الطب، ويحاولون المقابلة أو الصدقة بإشارة أو عبارة، ثم ينقلبون سراعاً إلى عياداتهم أو مستشفياتهم يسعون فيها بهبة العيار وطرقاً من الهيل بمصر المطبر إلى الناس، وعليهم السكلاح لنفسه.

* * *

هذه حال قريتنا في عهد من العهود وكل القرى المصرية في هذه الحال. وإن الناس ليسمعون عن المستشفيات الرحبة من المؤلفات والأحاديث ما لا يجرؤ القلم على روايته منها شيء. ولعل في هذه الإشارة ما ينبه أولي الأمر في وزارة الصحة إلى شدة المصيب ووقفة المراقبة؟ فإن الاجتهاد في كفاح المرض على التقارير والمقالات والأرقام، أشبه بالاجتهاد في كفاح العدو على رسم المعارك في الورق وكسبها بالكلام!

أحمد حسن الزيات

مع أبي العلاء في سجنه

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال صديقنا الدكتور طه حسين في تمهيد مقدمته من كتابه هذا: «وستقول فإنك إذن مسئول عن هذا التمهيد تقدم إلينا كتاباً في البحث العلمي ولا في النقد الأدبي، وإنما تحدث إلينا عن صديق وصاحب، فإني لا أقدم إليك كتاباً في البحث العلمي عن أبي العلاء، ولا في النقد الأدبي لأبي العلاء، وعسى أن تصيب من ذلك ما فيه مقنع، وإنما أتحدث إليك عن صديق لا أرجو عنده ولا أتقي شره، ولا يصدر التحدث عنه إلا عن الحب المبرأ من الرغب والرهب ومن الطمع والإشفاق. أفتراك منكراً مني هذا الحديث؟ أم تسأم هذه الأحاديث الكثيرة التي تحتمل البحث العلمي والنقد الأدبي والتي تكتب ابتغاء رضى الأصدقاء واتقاء لسخطهم ...؟»

وقد أحسن الدكتور القصد، وأحسن التعريف، فكتابه حديث المرء عمن يحب إلى من يحب، وأراه قد ذكرني أحاديث الآباء عن أبنائهم الأعزاء: كيف يضحكون وكيف يبكون، وكيف يعطشون وكيف يعثرون؛ والسامع يرتاح إلى الإصغاء إليه كلما كان من جلسائه أحد أولئك الأبناء، فأما إن لم يكن منهم فقل عجبه بسياق الحديث؛ وليس من حقه أن يلوم المتحدث كما ليس من حق القارئ الذي يطلب الفلسفة أن يلوم المؤلفين الذين لا يكتبون كتابة المهندسين.

وأنا ممن يحبون أبا العلاء ومن أطالوا قراءته في أول عهد الشباب، وما أحسب أحداً من الشبان المتطلعين للأدب لم تمض به فترة قصيرة في بواكيره كان فيها يصطدم أحلام الصبا بمتاعب الدنيا وتجارب الأمم، فهنالك يروقه التشاؤم ويعجبه من يعيبون لنا الحياة. ثم نخرج من هذه المرحلة فنطويها مطوية الحنين إلى تلك الباكورة الشهية، ونقرؤها بذكرى الشباب وذكرى الأحلام، ونعطف عليها كما يعطف الرجل الحلم على بكاء طفولته وهو لا يستوجب بعض ذلك البكاء. لقد زادت أمتعته وأرباحه مع الأيام اعتقاداً أن معنى الحياة أصيل من حب الحياة، وأن الآلام النفسية التي تنقص بها آلام الحياة أعم وأوضح وأقرب منزلاً من أدوات النفس التي تعني بها أمر الحياة تغذياً وحسباً للذكرى. فالفرح أعمق من الحزن في ... وليس الحزن خيرة بل هو انهزام أمام قدره. أما الفرح فهو القدرة والانتصار.

والدكتور طه لفرط حبه أبا العلاء يتهم نفسه بمحاباته فيقول: «على أني أزور أبا العلاء، وأحاوره، وأرضى منه أشياء لا أرضاها من غيره، حتى لا تغضب ولا تسخط، وأظنني سبقتك إلى ذلك في أول حديثي، وقلت غير مرة إني لا أملي كتاباً في البحث العلمي ولا في النقد الأدبي، وإنما أسجل خواطر أثارتها في نفسي عشرة أبي العلاء في سجنه وقتاً ما.»

ومن المصادفات العجيبة أني حاببت أبا العلاء على نحو قريب من هذا النحو؛ ولكني لم أحببه محاباة بل خلقت ... من الإنصاف للمسئول في قياس أقوال القائلين، وحسب من ضميرنا أن ننظر إلى ما قيل لا إلى من قال، فكتبت قبل ثلاثين سنة في مذكراتي التي جمعتها باسم «خلاصة اليومية» أنها كلمة لا يصح إطلاقها على كل حال. فالكلمة تختلف معانيها باختلاف قائليها، ومثله مثل قول المعري:

تعب كلها الحياة فما أعـ ... ـجب إلا من راغب في ازدياد

يؤخذ منها ما لا يؤخذ مما تسمعه في كل حين بين عامة الناس من التذمر من الحياة وتمني الخلاص منها، لأننا نعلم أن المعري يعرض الأمور الجوهرية في الحياة ويعرض الشؤون التي تكون منها نعمة أو نقمة، سكناً أو رغداً؛ ولم يصدر منها أولئك العامة إلا ما يقع لهم من الأمور التي لا تكون الحكم على ماهية الحياة.

فكلانا إذن يسمع القول من شيخ المعرة فيعجبه، ويسمع القول نفسه من غير الشيخ فلا يعطى عنده ذلك الإعجاب. ولكن صديقنا الدكتور يحسبها محاباة وعاطفة تستخفني، وأنا أجري فيها على سنتي الغالبة في كل شيء من التوفيق بين العقل والعاطفة، فلا أرجح العاطفة حتى أقنع بها العقل وأتخذ له أسباباً مدعومة بالبراهين والحجج، فيلتقي العقل والعاطفة معاً في وئام، وأخلص منها بما يجمع بينهما من وئام وتسليم.

وثمة أمر آخر أختلف به الدكتور أو يخالفني فيه طريقتي في محاباة أبي العلاء.

فأنا لا أذكر أني كرهت أحداً أحبه أبو العلاء، أو أحببت أحداً كان هو من كارهيه.

أما الدكتور فيجهل ما كان في نفس صاحبه من الحب والإكبار لأبي الطيب ثم يقول: «أنا أعجب من المتنبي وأعجب ببعض آثاره إعجاباً لا حد له، وأعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعاً إن صح أن يوصف الإعجاب بالتواضع، وأمقت سائره مقتاً شديداً، ولا تمثل حياة المتنبي في نفسي إشفاقاً عليه ولا رثاء له، وإنما هو بعض ظلال هائم يختلف به، ومرض لا أكاد أحسن أن أعرض عنه فأنتهي إلى ما ينتهي إليه أمثاله الناقدون»

ترى ماذا كان المعري قائلاً للدكتور لو سمع منه هذا المقال؟ أحسب أن سيكون رحمة بين الصاحبين وإن كنت لا أخشى أن يعود الشيخ إلى المعصان صيحته أو تلقين التي قالها

لك يا منازل في القلوب منازل   أقفرت أنت وهن منك أواهل

لأن الشيخ يعلم أن الدكتور لا يكره أبا الطيب كراهة الناقص للكامل ويستمتع له بشعره من حب إليه وبعض هؤلاء

وأحسب أنني أفهم هذا النفور بين الدكتور وشاعر العرب الكبير، وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله ولكني أرى ما زاده في ثروة الأدب العربية وما زاده في شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه فأعلم أن الحياة لم تخسر بشر المتنبي وأن الأدب قد ربح بصلاح شعره، وأن لأصغر الفلاحين من حق لقد استحقت أكثر من سيئات المتنبي بكثير واحتملهم قديماً مع ذلك... أفنحتمل الدنيا هذا من أصغر الفلاحين ولا نحتمله من الرجل الذي لو قبلنا حسناته بلا سيئة من سيئاته لكنا نحن الرابحين!

هنا أيضاً أعود إلى العاطفة وطبعة وأحسبني أقرب من الدكتور إلى وفاء الصداقة بيني وبين شيخ المعرة، وأقرب إلى الإنصاف.

* * *

أهذا كل ما أخالف به الدكتور من رأي أو هوى في حديثه عن صديقنا المتشائم؟

كلا! بل هناك خلاف وخلاف وأكثر من خلاف وخلاف

هناك قول الدكتور معقباً على كلام الأديب الفرنسي بول فالري عن المصور ديجاس: «التعجب الذي لم أكن أتوقعه ولا أنتظره أن كثيراً من صفات هذا المصور الفرنسي الذي كنت أسمع اسمه وأجهل من أمره كل شيء تشبه ما ألفت وأحببت من صفات أبي العلاء. فشدة الرجل على نفسه وعلى أتباعه وآثار الشدة وشك الرجل في معاصريه إلى أبعد آماد الشك ونفوره وسوء ظنه بأحكام الناس في أمور الحسن، وزهد الرجل في الشهرة وبعده عن الظهور، وقصده في القراءة وخفة ذات اليد، وانصرافه عن الحمد الكريم والثناء الرخيص، وتأجيله قد النظر بالعيون، ومطلبه للصعاب نفسه وسعيه للطرق القصار والأثواب الواسعة، وإيثار الطرق الطوال والأثواب الضيقة... كل هذه الخصال التي يحدثنا بها بول فالري عن صديقه وأثيره ديجاس قد حدثتنا بها القرون والأجيال عن أبي العلاء، إلا أن الأول كان مصوراً رساماً والآخر كان شاعراً حكيماً...»

أصحيح أن المعري وديجاس شبيهان في حقيقة واحدة لأنهما في صحبيهما صارمان؟

هنا صرامة وهناك قسوة، وهنا تعذيب وهناك تعذيب، ولكن أين قلق الفنان في سبيل الفن من قلق الناسك في سبيل الإحجام؟ أين تعذيب الجواد بالسوط ليبعث ويستميل من تعذيب الجواد بالحمم ليسكن ويكف عن الوثوب؟ أين الروميات وهي قيود من «الأمير» ... وهي انطلاق من القيود؟ أين رياضة النفس المتعفف للمتقشف من رياضة الحسناء المتقشفة على جسدها في الشراب والطعام لتزداد جمالاً على جمال ونشاطاً على نشاط؟ أين الزهد في المال انصرافاً إلى الفن من الزهد في المال انصرافاً عن الدنيا؟ إن الفرق بين تعذيب وتعذيب ليبلغ أحياناً من قسوته أبعد مما بين النعيم والعذاب، وهكذا كان الفرق بين صرامة المعري وصرامة ديجاس

* * *

ولنا خلاف غير هذا الخلاف بيني وبين الدكتور في حديثه عن صديقنا القديم

فالدكتور ينقل فقرة من فصول المعري وغاياته يقول فيها:

«يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه، ويسمع الأصوات بيده، وتكون بنانه مجرى دمعه، ويجد الطعم بأذنه، ويشم الروائح بمنكبه، ويمشي إلى الغرض على هامته، وأن يقرن بين النيرين حتى يريا كفرسي رهان»

ثم يعقب الدكتور على هذه الفقرة فيقول: «أما أنا فما أعرف في آثار أبي العلاء فقرة تصور حسنا النفسي عامة إلى رأي من أقصد

الأرواح الشمسية الأثيرية حقاً وهو إنكار اللغة الثابتة وإنما أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها عن وهم أن الأشياء قد خلقت لحقيقتها »

وعندنا نحن أن صنع الإنسان يعد أو شبه الروائع يحكيه لا ينفي اللغة الثابتة ، لأن الوسيلة والغاية هنا موجودتان ، ولم تختلف إلا الوسيلة التي تتحقق بها الغاية

وأصوب من هذا أن يقال في رأي للمعري شبيه برأي للمصريين القدماء يقولون « إن الوظيفة تسبق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة »

فإذا وجدت الرغبة في الحركة أو في هضم الطعام وجدت الأعضاء التي تتكفل بأداء هذه الوظيفة على اختلاف الأشكال والأوضاع في أجناس الحيوان

والشاعر الإنجليزي « كولردج » على ما أذكر كله في معنى عظيم يقول فيها « إن المصور ولو خلق بغير ذراعين » مريداً بذلك أن التصوير وظيفة قبل أن يكون عضواً من الأعضاء ، فلو خلق المصورون بغير أذرع لخلقت لهم وسائل أخرى لإبداع ما لا بد أن يبدعوه

* * *

وقال الدكتور يخاطب أبا العلاء

« .. أنت لا تعرف باريس وما أحسبها قادرة على أن تسري عنك من حزنك وتشاؤمك ، بل أنا واثق بأنك لو عرفتها لأمعنت في حزنك وتشاؤمك كما أمعنت حين عرفت بغداد . أما أنا فإن باريس تعزيني عن الحزن والتشاؤم وتعينني على نفسي فترات معينة ليست أقل من هذه الفترات التي أجدها في الحديث إليك والحديث عنك ، وهي على كل حال تعزيني عن صحبتك التي كنت أود لو أطيل المقام بها . ومن يدري لعل أيام الصيف بباريس تأذن لي بأن أعود إليك من حين إلى حين . فليكن وداعي لك الآن موقوتاً ولأقل لك في لهجة المحب الشعبي الفرنسي إلى اللقاء »

فالدكتور واثق بأن أبا العلاء لن يكون في باريس إلا كما كان في بغداد

فما الذي أراده من أن أحمل أبا العلاء يرى في باريس ما رآه المعاصرون ، ويعرف منها ما عرفه أولئك المعاصرون ؟

في حين أنا أيضاً أقرب إلى وفاق الصداقة من الدكتور

أنا ذهبت إلى باريس بالخيال فأحسست أنها ساحرة الخيال ، والدكتور طه ذهب إلى باريس حساً وخيالاً فأين في مكتبه لترحلة ويكتب به ... إلى اللقاء ؟

وما أردت هو الله أن أوجه نصح الشيخ إلى صديقنا الدكتور أو أن أظفر بنصيب من الحظوة عنده فوق نصيبه ، ولكنني أحببت الحديث عن الشيخ ولم أحب أن يكون تكراراً وإعادة لما سبق مما كتبه فليكن خلاف ، وكانت خلاف !!

وإنما هو التفاني في حب التحدث عن صاحب العيون

عباس محمود العقاد

أبو كلثوم الوفدي !

للدكتور زكي مبارك

ما كنت أنتظر أن أجد في «شبرا» ما رأيت هذه الليلة في شبرا من صخب لا مثيل له في الحركة والضجيج بين أحياء القاهرة. هي في الأصل من الضواحي الهادئة الوادعة الجميلة الشوارع بأشجار الجميز والتوت، ثم تحوّلت في مدة قليلة إلى محلة مزدحمة بالمصانع وأرباب الأعمال

كانت سهرة هنا للعشاء في منزل صديق عزيز يسكن تلك المحلة، وكانت السهرة مثقلة بالحديث عن مشروعات وزارة المعارف، لم يكن فيها جانب واحد من جوانب الهدوء والصفاء

ومن عيوب رجال التعليم في مصر أنهم يحملون خواطرهم في كل مكان، حتى لنحسب أن تلك الخواطر هي كل ما يملكون من زاد الحديث في سهرات الأندية والبيوت .. سامحكم الله يا زملائي

ورأيت من الجميل أن أمثل العراقي باعتباري كلما تحدث مع جيرته للسمر في أشياء تشبه أحاديث السمر والتأنس، وتقدم للمستمعين بالسمر فرصاً كثيرة لحركة الأفكار والعقول

وأردت أن أخرج قليلاً من ذلك الميدان الذي كنت أركض فيه وقت الصباح، ووددت أن أتخلص من هموم وقت الليل، فاقترحت أن تقص «روحية» خبراً عن حديث العراقيين بما بصوتها الذي يشبه أنغام الظباء، وأنا أرجو أن أحوّل تلك المساجلات التعليمية إلى مشكلات وجدانية

ولكن روحية تلعثمت حين قرأت، واللحن من مثلها لا يستغرب؛ لأنها تلميذة في إحدى كليات الجامعة المصرية، ومن البعيد أن أطرب لكلامها الملحون، فقد كان المقام مقام تعليم، ولم يكن مقام تشبيب، وإن كنت تمنيت أن يُخفي صوتها في ذلك الموضوع الجاف نفحة من نفحات الريحان

هل غيرتني الأيام حتى صرت أعدّ اللحن من ذنوب الملاح؟!
معذرة يا روحية، فإن هذه قسمة الزمن من حال إلى أحوال!

● ● ●

خرجت مكروب الصدر أفكر في أشياء وأشياء، ولكن القمر طالعني بوجه أصبح وضّاح، فنظرت إليه نظرة وجدان، وكنت أنسيت ما في الصدر من هموم وأثقال، وكان الأطفال يحيون أشعته بالتواشيح في لطف

قال رفيقي: أين تقع هذه الليلة من الشهر؟

فنظرت في التقويم على ضوء القمر فرأيتنا في مساء اليوم الثالث عشر من شوال، فقلت: هذه ليلة القمر، يا رفيقي

وما هي إلا لحظة حتى كان الترجيع يصافح آذاننا بقعقعته من منزل قريب فخرجت إليه وأنا مأخوذ، فجذبني الرفيق من يدي وهو يقول: إن لم يكن بد من السماع فلنرجع إلى سماع الترجيع في البيت؟

قلت: أريد أن أسمع مع قوم لا يعرفون وزارة المعارف، ولا يفكرون في التعليم، ولا يهمهم مصاير التلاميذ!

ووقفت أسمع كما وقف ابن عبد ربه يسمع عبداً أكثر من قصة مرودة، ولم أتعجب مما وقع لابن عبد ربه؛ فقد طربت بأساليب تسيح حين رددوه بحروف من الماء ليعرفوا أدبية أحاديث الغناء!

ثم نظرت فرأيت الدنيا حولي تذكر بعظمة المسيحية في بغداد في أيام عزها، المسيحية بمنازلها المنثورة بلا نظام ولا ترتيب، وفي ثناياها نخلات طوال تخيلتها نبتت من هناك

قال رفيقي: إن الترجيع في بيت ليس فيه سواه

قلت: إنه يعني أهل الحبيب في حفلة صفاء

قال: ألا يكون من الأدب أن ننصرف؟

قلت: ومن الخير أن أرجع إلى داري لأكتب كلمة عن أبي كلثوم الوفدي، فقد ذكرته حين رأيت في شبرا صورة المسيحية في وطن الأهل والأحباب، إن لي في الدنيا أهلاً وأحباب

● ● ●

من هو أبو كلثوم الوفدي؟

هو أبو كلثوم لأنه مفتون كل الفتون بأغاريد أم كلثوم، وهو يهتف بها في كل وقت

وهو وفدي لأنه حقاً وصدقاً من أتباع الوفد المصري، وهو يهتف باسمه في كل حين

من هو أبو كلثوم الوفدي الموزع القلب بين القاهرة وبغداد؟

هو الأخ العزيز الأستاذ محمد باقر الشبيبي أحد الشعراء المجيدين في العراق

وما كان باقر الشبيبي أول من تغنى بأغاريد أم كلثوم ، فقد تغنى بها الزهاوي والرصافي والشبيبي ، وظهر في العراق بأغانيها قصائد جياد ، وربما جاز القول بأن أم كلثوم شغلت جميع شعراء العراق ، فإن الشعر لم تمر أغانيه هناك بلا تشويه . وقد زاد الاهتمام بأم كلثوم عند أهل العراق بعد أن عرفوا أن صنعتها مسروقة من الحلقة الوصلية التي تتصل بأصدى واحد للقارة العلياء

لم يكن باقر الشبيبي أول المفتونين بأغاريد أم كلثوم ، ولكن صيته بعد الحفل جرت شبة في المرح من الاهتاف الذي وقع في العراق سنة ١٩٣٢ وصرح به على الرصافة عاهة أعضاء

في تلك الأيام صنعت أم كلثوم زيارة بغداد فاستقبلها الشاعر بقصيدة من الحب والروح وهو يقول

على الشاطئ مسارح   هنيئاً لك بأرجائه
سارى النجم الصبح   وأحيي الليل في مغناه
نادلاً طيبة النيل   وتمرحي حلوة الرحلة
ويورك على النحر   ومُشتَك على الرحلة

هنيئاً لك مسعود   بهدي أم كلثوم
من البيد الأعرب   أتتنا ، لا من الروم
لقد أحيت بآمالك   جسراً ودم
صبراً فرحة النفس   إذا شعر سكري

أعيدي السجع والصدح   وغنيت إلى الفجر
بهدي الأنجم الزهر   مطلات مع السحر
ومن أروع الشعر   وموحيه من السحر
فمن حرك الشعر   ومن ترك السحر

أجلُّ بنت فرعون   على المرح واللعب
وربتها رب العروب   بأحضان الرب ... ب
نأت الكاعب الرود   في الغلي وما الأرب
حنين روحي إلى مصر   لمصر الوطن الأقرب

ثم تكون الرحلة قرضية في صدر الشاعر فيصيح

سل قلبي عن الحب   فقد ذاب من الوجد
سكم لاب على الروض   وسكم حام على الورد
سل عن خاطب الوتر   فمن أسهد إلى أسهد
خفي قلبي الوغد   ذائب في الهوى وجد

ولم يكف « وجدي الهوى » عند الشاعر ، بل انتقل إلى اشتياق الوعد وهو يصرخ

عجباً أم كلثوم   من مطرقة الكبرى
ساقتا النسيم الرغد ؟   ومن ذا يخنق الأسرا
ألا من يجمع الشمل ؟   ألا من يطرد الشر ؟ !
حدى حدرك يا مصر   وردى الشبه والأسكر

ويوجع الشاعر لما صار إليه صديقه الأستاذ محمد حبيب العربي بأنه فقال

وربت عصم حدلاب   عسا جند من حلب
أحيك مسمس الوعد   « عبباً » وهو في الصف
وهذا الخاطب البكر   أرى موطن الصف
إلى الرحمة أمصر   إلى الإشفاق والعطف

* * *

نظمت تلك القصيدة في مثل هذه الأيام من سنة ١٩٣٢ فهل كانت آخر زهرة من زهرات الأستاذ باقر الشبيبي في الشوق إلى أم كلثوم وإلى الوعد المصري ؟

إليكم هذا الخبر الطريف

في أواخر الربيع من سنة ١٩٣٨ جمع نادي القلم العراقي عزيز سمعان الدكتور فاضل الجمالي ، وكانت لجنة رئاسة معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكانت الكلمة بعدئذ للأستاذ عبد المسيح وزير ، فما الذي قال ؟ أحد يقر بعده من صحبه ، فاشترك مع الأستاذ عباس العزاوي في السخرية من حياة الجهل !

وعند نهاية الجلسة طلبت الكلمة لأخطب « الشعري » ، ولكن معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي حنق ، فألقيت المجموع على الأستاذ عبد المسيح فاقترح رأي الخطيب ، ثم قال إن عنده موعداً في مصرف

واستؤنفت الجلسة برياسة الدكتور جمالي حسب إذن معالي الرئيس أغلق باب الخطب لأنه مشغول ، وهو قد انصرف ، فأنا أطلب الكلمة من جديد ، ثم قلت : إن الغرض هو الغناء عاصره ، لا قراءة عنه ، فكيف جاز للأستاذ عبد المسيح وزير أن يحتسبا عنه لتشهد طريقته في التلاوة ! فقال الدكتور عزاوي الأصل أن يأتي الشعر عاصره ، ولكن ما الذي يمنع من أن يقرأ شيئاً من آثاره الأدبية ؟ إن الأصل هو الأصل والتطبيق عليه هو الفرع ، فالقصيدة فن من الأدب المصري

وقال الدكتور الجمالي: فلكي هذا تقليداً جديداً من تقاليد نادي القلم العراقي، وهي أن من الشعراء من أعضاء نادي القلم أن ينشدوا بعض قصائدهم في حفلاته الليلية، وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكي مبارك، فقد سمعت أنه شاعر، وله ديوان

فقال الدكتور متراوي: ولا أشعر على أن يكون الشعر جديداً، فالدكتور مبارك شاعر مُقِلّ، وعليه واجبات في دار المعلمين العالية تصرفه عن نظم قصيد جديد

وسبقه [illegible] على الأستاذ عبد المسيح من لبنان، وما كان يجهل، مع أنه أبو إلياس

• • •

أأنا شاعرٌ مُقِلّ ؟

هذا صحيح، ولكن كيف ألقى نادي القلم العراقي بقصيد نظمته منذ سنين؟ وكيف أضيع الفرصة فلا أمتع أسماع بغداد بقصيد جديد؟ ومضيت وأنا أحاور شيطاني فنظمت قصيداً في أحد عشر وحدة بيت أعتز به

«من معجم الطلاب في القاهرة إلى معبر الوجد في بغداد»

وأنشدته في الأسبوع التالي بالرستمية. فقال صديقي الأستاذ محمد رضا الشبيبي: كيف استطاع الدكتور زكي مبارك أن ينظم هذه القصيدة في مثل هذا الوقت القليل، وهو مشغول الفكر عن الغناء

وصاح الأستاذ [illegible]: أين الشاعر الذي يحيي الدكتور مبارك!

فقال الدكتور الجمالي: سيحييه الأستاذ باقر الشبيبي حين يجتمع في سهرة الروبة في الأسبوع المقبل، إن شاءت الشياطين

واجتمعنا بالروبة في مساء مفتون النسيم [illegible] في [illegible] وربيع، والإخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي، فهتف [illegible]

ولله عهدي أو تركاً على عهدي | وهب أحبتي [illegible]
وهبْ أحبتي [illegible] | [illegible] الرشد [illegible]
فأهلاً بكم [illegible] | وأهلاً بكم [illegible] أو [illegible]
وعيني في الرستمية شاعرٌ | [illegible] من أتيح ومن [illegible]

به من هوى [illegible] من الهوى

وفي [illegible] لا يخلو من هوى [illegible]

وما كاد يصل إلى هذا الحد حتى [illegible]. فأنه سمعت من أم كلثوم [illegible] الثانية [illegible] أرجعني آنك [illegible]

أنفيك إلى الوجد! فسمعت ضحكاً كانت [illegible] من [illegible]

ثم مضى يقول

وذكرى عهد الصبا لتهدي | سلام على عهد الصبا في ربا نجد
فؤاد على أطراف دجلة واحد | وأما هوى قلبي ففي [illegible]

وصاح الأستاذ [illegible] صاحب رئاسة الدكتور مبارك في «الوجد»
هل تسمع في «أم كلثوم»؟ فمضى الشاعر في النشيد:

فلا تحسبوه شارد اللب وحده
ولا تحسبوني ساهراً في الهوى وحدي

صريع الغواني [illegible] | صريع أغاني أم كلثوم لا دعد
سلام على تلك الأغاريد إنها | أغاريد من وحي الصبابة والوجد

• • •

أما بعد، فحديث أم كلثوم الوجدي وأغاني الحب [illegible] عنه المروءة [illegible] والعراقية، فإن [illegible] «فإني في الهوى وحدي» [illegible] إلى [illegible] في [illegible] على [illegible] إلى [illegible] وهل [illegible] دمشق وبيروت فلا [illegible]؟

إنّ [illegible] حالٌ عجيبٌ | ما رأى أعجبَ منهُ
كلُّ أوصى [illegible] | [illegible] أسأل عنهُ

زكي مبارك

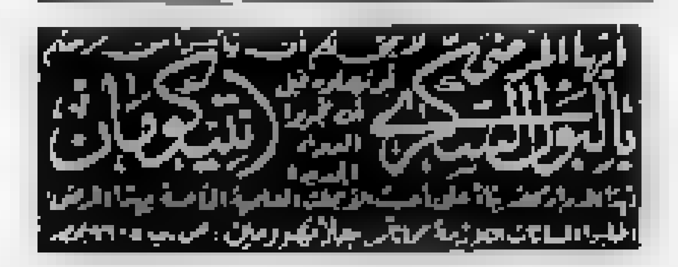

أعرابي في المدينة

الأعرابي والشعر الحديث

للأستاذ علي الطنطاوي

أتاني منذ يومين (مشنّي) ، فقال لي :

هل أنت من المعنيين بالشعر والأدب ؟

قلت : نعم ، فماذا عندك ؟

قال : منية ساقها الله إليك ، إن أنت أصبتها وجدت ألا مثلها في الناس

قلت : اذكر لي ما هي ، فإني أرجو ألا أصيبها

قال : أتعرف (الموالي) ؟

قلت : نعم ، جمع تكسير

قال : لا والله ما هم جمع تكسير ، إنهم أكرم من ذلك ، هم والله جمع مبارك

قلت : إنما أردت الكلمة

قال : كلمة ماذا ؟ إنها قبيلة كانت متوارية في رملة من رمال (عالج) لا يجري بها أحد ولم يكتشفها إلا حكم الإمام عبد العزيز أطال الله عمره ، فرعاها العرب وعرفوا فيها العربية البريئة من العجمة ، والبلاغة التي ما ورثها ملازمة ، والشعر العامية التي إن سمعتها قلت إنك تسمع كلام سحبان ، أو خطب ابن صفوان

قلت : ولكن ما أبعدك يا رملة عالج !

قال : بل ما أدناك يا شيخ الطنطاوي ، ألا تعرف ما رطانات ؟

قلت : القصيدة المعروفة ؟

قال : بارك الله فيك ، إن شيخ الموالي قرأ فيها وقد هبط دمشق ليلة سمعني ، وهو أفرد (سالم) سمعها بعد إذ قرأها فيها

قلت : حتى قرأتموها !

قال : سمعتها القصيدة التي تقول غيث الوليد بن يزيد ، الملك الظالم الذي مست ضمائره بطارفه ، فذكروه ما لم يقل ، ونسبوا إليه ما لم يفعل ، وروى عنها الشعب مزارعون مع أصحابه ... وأدباء معاصرون لا يبالون ما يروون

قلت : إنك لتذكر كرماً قديماً !

قال : هو ما قلت لك غير أن (الشيخ) لا يحب أن يلقى أحداً ، وقد حدثوا عنه مثلما يقال لهم أهل الصحف ، يضحكون الناس ويشترون من أسرارهم ما يطوون ، ويطلعون من أخبارهم ما يشاءون ، ولذلك تعجبوا منك من يشتري منهم هذه الصحائف ، فاحمل الشكوى عنهم

قلت : وأين لي الحيلة ؟

قال : سمعت أن ها هنا عالماً جليل القدر يقال له الشيخ ... البيطار ، لو أقسم على (الإمام) لأبره ، ولو قال لسمع منه ، وما كان الملك ليرد له طلباً ، وبيت (البيطار) ... أو مثلت إلى (الشيخ) . أفلك به معرفة ؟

قلت : لي به معرفة ؟ أفولا الله هو أستاذنا وصديقنا ثم إنه إمام جامعة ... تقرب بك إلى من مكانته عند (الإمام) مثل مكانته أو أعلى ، الزعيم العالم المصلح الشيخ كامل القصاب رئيس علماء دمشق ، ومدير مجمعها العلمي

قال : إنه ربي وربكم الذي

فابتسمت وأنا أقول : رحمه ، ولكن حسبي من العناء !

قال : وما ؟ أو أنت إذن من هؤلاء ؟

قلت : إن شعراء (دمشق) لا يصعب عليهم من كل شيء مثل عمرو بن الصد ، معروف الحمية والشاربين ، يمشي في الطرقات حاسراً ، ولا يرون الرجل عاقلاً إلا إذا عقد عنه طرفي ثلاثين ذراعاً ، ولحيته لا تقصر عن مد قبضة ، وأعطته جبة تسع معه اثنين آخرين ، ويصنع من كمها وحده جبة ثانية

— فضحك مني وقال : ولكن هذه الكتب ما ألفها الأقلام ولا العمائم ، وهذا العلم ما جاءت به اللحى ... أفلا يعلم أصحابك هؤلاء أن العلم دماغ وفهم ولسان ؟

* * *

وتقص أستاذنا البيطار ... (التفصيل) حتى جئنا بـ (الشيخ) فإذا هو ... ووصف لنا ، وإذا هو شيخ سبعين ولكنه ... وحدث تأنث ... في البيان والتبيين أو في عيون الأخبار . وقد حضرنا معه كل عصر ، وهو جنا على كل مجلس ، فسألته عن الشعر واستطلعت رأيه في جديده ، وسألته استفتاء في مسائل من اللغة والنحو ، وعرضت عليه أشياء من معضلات اللغة ومشكلاتها ، فأجاب بأسد جواب وأحكمه ، فما كان أعجب من سؤال الأستاذ إلا جوابه ، وما تكون مثلهما إلا الأصمعي بشأنه بقصة الأعراب من أهل زمانه

وأنا مثبت هنا طرفاً من حديثه في الشعر ، بكلامي أنا ، لا بيانه هو ، لأن الضبط ... ما لا يعرفونه . ولعلي راجع يوماً ... حديث الشعر ، أو لعل الأستاذ البيطار يرويه بنفسه ليعلم

القرى، أما نصف جميعاً فقد كان صحاحاً، لا تمحيل ولا مبالغ

* * *

قلت له: كيف أنت والشعر؟

قال: أما ما قالت العرب فإني أرويه كله لا أخرم منه شيئاً، وأما ما قال المحدثون بعد أبي نواس الحسن في الأمصار وحدث (من بعدنا) السمعة فلا أعرفه، ولا أرضى لنفسي روايته، لأن أصحابه أفسدوا على العرب ديوانهم، وجاءوهم بما يسخرون من الفنون.

قلت: ولكنك رجل حسن حصيف، أفلا تسمع قول هؤلاء المحدثين قبل أن تحكم عليهم؟

قال: بلى والله، إني سامع فأنشدني.

فتطربت فكأن الله محا الشعر كله من قلبي إلا أبياتاً لأبي تمام في وصف الربيع درستها التلاميذ، فأنشدته إياها وأنا على أنه لا يرضى عنها، لأنه سيحسبها أنفاً، ولو أنشدته شعر أبي تمام أو أنشدته لأبي تمام غيرها، لكان ذلك أدنى إلى رضاه، ولكن ماذا أصنع وقد نسيت كل ما جاوزها من الشعر؟ قلت:

مطر يذوب الصحو منه وبعده ... صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالأنواء غيث ظاهر ... لك وجهه والصحو غيث مضمر

ورأيته قد طرب لها طرباً لم يخفه وسمعته يهمس بالإعجاب وقائل نصف وقد قرب مني: كيف قلت؟

قال: لقد أحسن وجاء بما لم يسبقه إليه سابق، وما أحسبه يلحقه فيه مهوى شأوه لاحق. لقد عرف العرب قلعاً يجود، وما ذهب غيم الصحو حتى سال ماء، ثم عاد طلق الصحو من طراوته كأنه يمطر، ولم يخطر في الشعر من صحو ذائب، ولا في الصحو من مطر، ثم أستدل ووزّع، فجعل من الغيث ظاهراً ومضمراً، وما يكون مضمر إلا وله مظهر، ولا مظهر إلا في حيّ، أفلا تراه كيف أسبغ الحياة على الجماد؟

قلت: هذا مذهب في الشعر يعرفه أهل زماننا ويحسبون أنهم ابتكروه، يصبغون صورة جميلة ولكنها ليست بينة بالقوة ولا واضحة بالفعل، فأنت تستمتع فيها بكشف المجهول، وهو لعمري أصل الآداب، وأقوى المؤثرات، ثم علا فرضيها بوحيك وتجعل صورها من أفكارك، فتكون كأنك صنعتها لنفسك، وتفهم منها ما لا يفهم سواك.

قال: هذا شيء ما أعرفه ولكني لا أحبه، ولقد طربت لما سمعت منه ... قلت: أفلا أسمعك من شعر أهل زماننا؟

قال متعجباً: وإن لأهل زمانكم لشعراً؟

قلت: ولم لا يكون؟ أسمع مقطوعة من حديث الشعر لشاعر اسمه عباس، قالها على لسان الهوى [illegible] أكثر [illegible] العرب [illegible] يعلمه بها كيف يكون القول.

قال: هذا شعر الشيوخ، فهل قال؟ قلت: قال:

جسمي النازل من شهوته ... سلم النار [illegible]

[illegible]

فوثب كأنما داس على جمرة، أو لسعته عقرب، فأمسكت حتى سكت برهة وقلت: ما لك؟

قال: ما هذا؟ ويحك، هذا شعر جديد!

قال: أعوذ بالله (جسمي النازل من شهوته)؟ وهل كانت شهوته جبلاً مثل القوس، أو قصراً شامخ الدعائم حتى ينزل منها؟ وقال أين يمر؟ وهل بعد الشهوة منحدر، أو دونها معبر؟ وما (سلم النار)؟ هل هو جسم؟ فكيف صار سلماً؟

قلت: إنه أراد أن جسمه يمر على سلم النار، أي يصعد في درك النار بسبب شهوته التي ركبت فيه، فالسلم له طريق النزول؟

قال: ويحك من العربية إن كان هذا يفهم من كلامه، إنما يعرف (ينزل فلان) إذا كان حلَّ وهبط، و(ينزل البلد) إذا سكنه، و(نزل القوم وعليهم) إذا حل بهم، و(ينزل عن الجبل) إذا كان قد صعد فيه، و(ينزل إلى الوادي)، و(ينزل على الدرج) ولا يعرف (نزل السلم) إلا إذا قام فيه، كما يجيء الماء في المدينة، ثم إن السلم يصعد عليه من يكون على الأرض، فأنى كان هذا حتى نزل على السلم؟ هل وضعته أمه على القمة صبياً، ثم جاء فنُصب له (سلّم النار) لينزل عليه؟

قلت: أفلا تسمع سائر المقطوعة؟ قال: لا والله.

قلت: ولكنه أنشدها على ملأ من الأدباء والشعراء في سوق من أسواق الأدب في دمشق، كان أكثرها أدباء من أدباء تخرج بعضهم على المشايخ من علم الدين، فسمعوها ورضوها وما رأينا فيهم من أنكرها عليه.

قال الأستاذ البيطار: لقد كنت حاضر السوق وسمعت ولكني لم أرتضها ولا ارتضاها صديقي أبو قيس.

قال الشيخ: ومن أبو قيس؟

قلت: هو الشيخ الذي حدثتك عنه، وهذه كلها أسماؤه وله غيرها. قال: ما أكثر ما له من أسماء!

قلت: وما أكثر ما له من مناقب وحسنات، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى.

قال: هذا صحيح. قلت: أتحب أن أقرأ لك من شعر شوقي؟
قال: أسمع إليها منكراً

قلت: نعم ولكني أنشد شعراً معروفاً، إنه الفرعونيون في الأرض

لم يل من الدنيا وهي الأرض ما   وتقر على حكم الزمان المنوها

واختضع ملكاً راقص حتى آية   طلعوا به زهراً وجبوا أبحر

كانوا أجلّ من الملوك جلالة   وأعز سلطاناً وأعظم مظهرا

فسكت حيناً، وقال: لا جرم أنه شعر معروف، هذا هو الشعر لا ما سكت به حتى آنفاً، هذا هو الشعر. لقد أطلق أعظم نظم وهو الدنيا، وأسمع أجل سامع وهو الزمان، وجعل من الأرض جوهراً، وهذا شعر الذي أكبر ما صنع امرؤ القيس حين وقف واستوقف، وبكى واستبكى ... ثم وصف آثاره بخير ما يوصف به علماء، هو كالنجم وهو كالشمس، وهذي كهدي النجم، وهم كالبحر وهم بكثرتهم كماء البحر، وهو شعب لكشف عن حسن سن مستتراً وراء قوله: طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا) ودلك من قوله.

فسكت في القصيدة حتى بلغت قوله: (يا معبداً أفنى القرون جداره) فتزع طرباً، وأعجبه صورة هذا الجدار، وهو قائم في وجه القرون كالصخرة الصماء وحدث به القرون كلها جاهرة، ثم تغلي وتصيح كما ترد الأمواج عن الصخرة ثم تذهب وتضمحل والصخرة راسية ما وهنت ولا اضمحلت

واستزادني من شعره فأنشدته قوله وهو يبلغ المشرق

صوّر جمالك ههنا إننا بشر   من الترب وهذا الحسن روحاني

أو فابتغ فلكاً تأويه وسكناً   لا تمس شركاً للعالم الفاني

فهزه الطرب هزاً وقال: إن الشعراء يقولون ويكثر شعرهم، هذا ما يقولون: إنهم وصفوا حسن المرأة وجمالها، ولكن لم يستطيعوا أن يرفعوها عن الناس وأن يخلقوها من طينة غير طينتهم، وأن يرفعوها من هذه التراب حتى تمس لسماء الروح ثم يجعلوا لها مسكناً يسكن السماء. إني لأعجب لكم، فمنكم هذا الشاعر ولا تفاخرون به شعراء الأرض!

• • •

ثم قرأت عليه من شعر حافظ فأعجبه ولكنه قال:

هذا من مهاد وذاك من عهود، ولست أسوّي بينهما

إن الأول مصري لحماً، وهذا معلم هو بصيرة وشبابه دون شباب ثان. إن الناس كانوا يسوّون بينهما أو يقدرون عهدهم كانا حيين، والأحياء مقاييس من صداقة أو عداوة، وهم عدت

محبون من أحبوه أو يبغضون؛ لكنه الروح وسلطة الكتب وحس المنافسة، فلما ماتا ولم يبق إلا موازين الأدب فقد الناس يدركون أن بينهما فرقاً شاسعاً وأمداً بعيداً

ثم أسمعته الكثير من الأحياء، فلم يستحسن (لأحمد محرم) و(بشارة الخوري) أحداً، وفضلهما على كل من نظم اليوم شعراً، وأعجبه غزل (رامي)، ونفس جزالة شعر (البارودي) وحسن شكر (صبري) وقرأت عليه من أشعار التصوف، فقدم (الزركلي) واستقلّ شعره وعجب من سكوته الآن، لأن الشاعر عنده من ينظم أبداً لا ينقطع حتى ينقطع من نفسه سيل العواطف ويصب منها سيل الحس. ومن يقول مثل شعر الزركلي الوطني الذي يسيل منه الدمع، دمع القلب، لا يمكن أن يحتسب بيوته، وقد كره قصيدته (الشعر) ورأى فيها سمعاً في التأليف بيّناً، وأعجبه جزالة شعر (محمد الهراوي) ولكنه رأى ألفاظه أجزل من معانيه ومفرداته أمتن من جمله، وأخذ عليه قوله

إذا كان من أسدى لك الشر عنباً

فقل لي أين التمر حين أن تثار

وقال: إن العرب تقول أسدى إليه يداً ولا تطلق على الشر، أما قوله (أيها النيل) فمقام لا صحة له، لأنها كلمة كان يخاطب بها ملوك الجاهلية وقد بطلت، فأي ملك من ملوك الجاهلية يخاطب؟ وأخذ على (صيدم) قوله في تشبيهه

حب ... تعمرك أو كالسماء

ورآه سبكاً مقلوباً، وكان يحق أن يقول هم كالسماء بل هم كماء، وكره منه قوله في مطلع النشيد

حلة البحر عليكم سلام

وقال: من تنكير السلام يجعله أشبه بلغة مستعربة الروم يعني عمال الفنادق في الإسكندرية، وأعجبه شعر (صيدم) الوصفي المصوري أما (الشعر المنثور) كشعر الريحاني، والفاخوري، فلم يجعلهم منه إلا بعض مفردات من ألفاظه ولم يعده شعراً ولا كلاماً عربياً

وقد استمر المجلس ساعات طويلة، وطال الحديث فيه على من يتلق العربية اليوم على أبنائها ... من أمثال الإمام المصري أبي عمر محمد الشيخ طرسيه أحسن العصر ... وكان علماً متواتراً ما قلنا منه: لا ريب كأن هو ... حتى لو أنه يتلذذ بها أسبوعاً ... وخرجنا وقد سلخ وطالت عمداً ورواة ، فعدت طرف منه رواه طلبي الأمر بشهادة أستاذه خليل السيد محمد بهجة البيطار من الطنطاوي

من وراء المنظار

بيني وبين كتبي

ملت المكتب حتى لأخشى أن ينقلب هذا الميل قطيعة ليس بعدها صلة. والحق أني حائر في سبيل هذا الميل الشديد، وأنا الذي عكف على الكتاب زمانا صحبت أنسي وبهجتي، فلا أمله إذا سئمت، ولا أدعه إذا سرحت، كأنما كان مما ضرورة كالهواء الذي أتنفسه، فلا تقوم حياتي إلا به، أو كأنه من أجل قدر بعض ملابسي فلا أستطيع أن أبرح منزلي إلا وهو معي، بل كثيراً ما حيل إليّ - كما حدثوني - أني أستحي من نفسي، ولا أستحي من الكتاب، وإن لم أتصفح فيه يومهم إلا دقائق معدودات

أيكون مرد هذا الميل إلى ما يشبه طول الألفة من السأم؟ أم يكون مرجعه إلى أن المكتب وقد صارت عندي درسا وملهاة قد شغلني عن كثير من متع هذه الحياة؟... فأنا أصطفي منها كهلا أنسى صبوتي من الدنيا فأحرم من زينة الله التي أخرج لعباده!

ولكنني لا أرتاح إلى هذا التعليل ولا إلى ذلك، عن نفسي مما يشخص المكتب إلى حسي ما هو أعظم خطراً من ذكرى!

فقد استحوذ على بي خيال، لا أدري إن كنت فيه محقاً أم مخطئاً، وهو أن المكتب على طول صحبتي له لم يمنحني شيئاً مما يعني في أن آخذه من هذه الحياة، ولا يزال هذا الخيال يوسوس إليّ أن لا أنيب بعد ذلك إلى كتبي، فحسبي أن ينقطع ما بيني وبين هذا الوجود. ولا تحسبن أنها الذكرى تملأني هنا عن المبالغة أو المزاح، فمن شأنه ذلك بأنه دليل على أن لي الصبر مع أنور.

وحسبك أن المكتب قد بيّن لي كثيراً من أصول الفضائل وقواعد الخلق! فقد أتيح لي أن أتبين ذلك في سلوك من أخالط من الناس، وجدتني في حيرة مما تقول المكتب، وأنكرت أكثر هؤلاء الناس وأنكروني، ولا شك أنهم رموني بالغفلة والحمق كما رميتهم بالضلال والسفه. وحسبك أن كثيراً ممن عرفت ورأيت من خلال الأدب، قد سحروا مني أكثر من مرة سحراً كان يقتل من نفسي بعض الأحيان، حتى لأثم بالتعصب عليهم والثورة عليهم؛ فهم يتصورون الغفلة إنما جعلتهم في أمس كما أرى ذلك في أعينهم، وكما تصوره لي ابتساماتهم التي يطلقون بها على كلامي إذا حشروا أن يخبثوا إليّ بأفاعيلهم. وكأن مما يزيد

عندي منهم أنهم يظنون في الحق شيئاً أخفقت، أو في ما تعلمت في المكتب أنهم هم بما يحسدون من آيامه أكبر الحق الذي تشهد به أحلامهم من مجد نفسه في ماضٍ من عيشي ... بالمكر منه الذي تنمو مكانته عندي - أن معنى الأساس هو أن رجل حياة، أو مثلها أنسج رجل كتب لا أدري شيئاً مما تقوم عليه سعادة بين من يصنعون الحياة، وهو - كما نرى - صب ولكنه على صورة «دمية» إلى حد استطاع الهوى في الصب، وإلا ما الفرق بين هذا وبين هؤلاء، إلى جاهل من مثلاً؟

وأكثر من ذلك فقد كان عندي كثير من أسئلة في معاملة من يطلق بهم صفة الفضل الذي أكسب عوني منه إلى جعل مطامعهم، أو على الى حمل عاداتهم. وطالما سمعت في ذلك كثيراً من العنت... فأنا في حيرة تدور ما تقول المكتب، وأنا على باطل إذا أصدقت ما يصدر عن أنفسهم. وأنا لا أدري أأسير طوع المكتب فلا أبرح من الفضائل والعرب وإن أرهقت صبري بعلمك، أم أسير وفي ما يأتيهم فأكسب الهدوء والسلام

وكادت تثقل تتلى بعض ما رأيت فيه إجماع ممن أخالط إلى أنكر نفسي، حتى لقد وقفت أحيانا أسائل نفسي أأنا المرء حقاً، أم أنهم هم الأشال الأصرار؟

فلقد طويت كتبي زمناً وحسب أنهم سكر الناس لا لأنكر منكرهم، ولكن لآمن منهم فلا يكون سبب كثير من متاعبي، ونظرت من وراء منظاري وحت أقدر مرادي هذه التجربة أعتقد أن المكتب جنت على بقدر ما قدمت من فوائدها إليّ.

وما لبث أن رأيت منظاري يقع على كثير مما أصيب به غيري، حتى لقد أصبحت أشبه نفسي بأولئك القراصنة الأقصيين الذين لم يأخذوا نصيبهم من المكتب، وإن أحسدها من نفسه

وتحت إن مثل بصيرة هؤلاء.. فإنا لأخفت من النظر من وراء المنظار ما ينال من جميع ما في دهر كتبنا المطبوعة من كتب، ولكن لا مفر أن أنظر وأن أمعن النظر، وأن أدور بمنظاري هنا وهناك في المدينة وفي القرية، في القصر وفي الكوخ، في «الديوان»، وفي الطرقات والمتاجر والقضيب وعبور البحر، وفي الحقول وفي المصانع وفي الأسواق، وفي غير ذلك جميعاً من نواحي هذه المضطرب الواسع، أو هذا المسرح الحافل الذي نقل عليه الحياة. ومن طول النظر وتكراره يحرص على ما فاتني من العلم بما قصر من حتى حيري بين أوراقي وكتبي

« عين »

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

ذكرت في المقالين الماضيين آراء بعض الفلاسفة والمربين ومعلمي الصبيان في الفروق السيكلوجية، وأشرت إلى أنهم طبقوا نظرية الفروق السيكلوجية في الحياة العملية. فقد بنى أفلاطون نظام التربية في المدينة الفاضلة على هذه النظرية، كما وجه فيتورينو تلاميذه إلى الدراسات التي يصلحون لها بطبعهم، وأوصى روسو أن نترك للأطفال حرية اختيار العمل الذي يتفق وميوله الفطرية.

غير أن هؤلاء الفلاسفة والمربين قد استنبطوا آراءهم واستنباطاتهم من الملاحظة العابرة لتصرفات الأفراد وسلوكهم، ولم تكن هذه الآراء مبنية على التجربة والبحث الاستقرائي، وذلك طبيعي لأن علم النفس ما أصبح علماً مستقلاً بالمعنى العلمي إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبح بذلك أنه اتبع في دراسة موضوعاته التجربة والإحصاء والطريقة الاستقرائية inductive method ذات الخطوات الأربع:

١ – ملاحظة الظواهر المختلفة للنوع الواحد موضوع البحث

٢ – جمع المتشابه من هذه الظواهر

٣ – اقتراح بعض الفروض لشرح هذه الظواهر وتبيينها

٤ – إجراء بعض التجارب لإثبات صحة الفرض أو الفروض المقترحة

ولم يعن علماء النفس بموضوع الفروق السيكلوجية إلا في الربع الأخير من القرن الماضي. على أن دراسة الاختلافات البشرية بين الأفراد دراسة منظمة، وقياس هذه الاختلافات، وتحديد آثارها لم تنشط إلا في القرن العشرين.

ويعتبر فرانسيس[1] جالتن أول من بحث موضوع الفروق الفردية بطريقة منظمة Systematic مبيناً أهمية الإحصاء. ومن المهم أن نذكر أن دارون[1] هو الذي مهد السبيل لجالتن وغيره ممن عنوا بموضوع الفروق السيكلوجية الفردية في نظرياته البيولوجية كنظرية النشوء والارتقاء، ونظرية الوراثة في النبات والحيوان. وقد عاصر جالتن دارون وصدق بنظرياته. وكان دارون وراثي المذهب، وفي هذا يقول: « إن التربية أو البيئة لا تؤثر إلا قليلاً في عقل الأفراد ومواهبهم، وأغلب صفات الأفراد وخصائصهم وراثية فيهم ».

اعتمد جالتن على نظريات دارون في بحوثه وبخاصة في علم إصلاح النسل البشري Eugenics الذي لم يسبق جالتن أحد إلى الكتابة فيه، فهو أول من وضعه. ويعرف هذا العلم « بأنه دراسة العوامل الاجتماعية والبيئية التي يمكن ضبطها، والتي تؤثر بالإيجاب أو السلب في تحسين الصفات الجسمية أو العقلية للأجيال البشرية المقبلة ». وتشمل هذه الدراسة دراسة الفروق السيكلوجية الموروثة، وأثر البيئة في هذه الفروق. ويمكن إجمال رأي جالتن في أسباب هذه الفروق في عبارته: « لقد أصبح من المؤكد أن الإنسان إنما هو إنسان نتيجة لأمرين: أولاً لما ورثه من الصفات الأبوية والجنسية الموروثة، وثانياً لما تعده به البيئة التي يعيش فيها ».

وقد وهب جالتن حياته وجهوده على دراسة الفروق الفردية بين أشخاص بذواتهم، وأسرات بذاتها، وهو يقول في مقدمة كتابه المسمى « بحوث في القوة البشرية[2] » Inquiries into Human Faculty ما يأتي:

« كانت غايتي مما قمت به من بحوث أن أدرس القوى الوراثية المختلفة لأفراد مختلفين، وكذلك أدرس الخصائص المختلفة لأسرات مختلفة وشعوب مختلفة، وأن أحصي إلى أي حد يمكن أن نعوض من النقص الوراثي بعناصر تربوية، وقد فكرت

(١) Francis Galton ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٩١١ صاحب البحوث القيمة والإضافات الكثيرة في علم أجناس البشر (Anthropology) وفي علم إصلاح النسل البشري Eugenics

(١) Charles Robert Darwin ولد سنة ١٨٠٩ وتوفي سنة ١٨٨٢ وهو أشهر من أن يعرف، ونظريته في نشأة الإنسان وارتقائه شغلت عقول المفكرين في القرن التاسع عشر، ولا زالت موضع جدل وبحث.

(٢) طبع لأول مرة سنة ١٨٨٣.

في أثر من الواجب أن نقوم بهذا التجريب حتى نطمئن ما نسمع مجهودنا وطرقنا. وبهذه الطريقة يمكننا أن نعمل بإصلاح الجنس البشري وتطويره حتى لا يقاسي من المتاعب ما يقاسي في أزرائه وشقائه يسير في طريقه الطبيعي »

وكان جولتن قد نشر سنة ١٨٦٩ كتابه « النبوغ الوراثي » Hereditary Genius وبه كان أول عالم حاول دراسة أثر الوراثة في نبوغ الأفراد دراسة منظمة. وقد نجد في كتابه هذا منهجين علميين يبحث أحدهما هو دراسة تاريخ الأسرة Family History Method ، والثاني طريق التلازم Correlational method

درس في كتابه هذا سلسلة حياة أفراد ٩٧٧ أسرة اشتهرت كل واحدة منها بوجود نابغة منها في ناحية من الشعر أو الكتابة أو السياسة أو القضاء أو العلوم أو الفلسفة الخ ، كما درس أيضاً نوع المهن التي احترفها كل واحد من هؤلاء الأفراد ، وطبيعة عمله ، ومقدار إنتاج الفرد في مهنته. ثم حلل ما وصل إليه من معلومات بطريقة إحصائية لا حاجة لذكرها هنا. ولكنه استخلص من هذه الدراسات أن إمكانية وراثة النبوغ في الأسرة التي بها نابغة يبلغ ١٣٤ مثلاً لإمكانية وراثة النبوغ في أسرة عادية. ومن هذه النتيجة يرى أن المواهب العقلية عند الأفراد موروثة ، وأن النبوغ الذي نجده بين عدد كبير من أفراد بعض الأسر[1] لا يمكن أن يعزى إلى التربية والبيئة ، بل لا بد أن يكون نتيجة الوراثة. ولا شك أن القارئ يلاحظ مما نقلناه عن جولتن أنه من الأنصار المتحمسين لمذهب الوراثة ، وأنه يحسب إليها كل الفروق السيكولوجية بين الأفراد. ومما يؤثر عنه في كتابه (النبوغ الوراثي) قوله : « إن الأفراد الذين عرفوا أنفسهم في الحياة الاجتماعية لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مراكز الممتازة إلا بالمواهب الطبيعية »

وليست قيمة أبحاث جولتن محصورة في النتائج التي وصل إليها ، بل في الطريقة العلمية التي اتبعها في أبحاثه ...[2]

(١) كأسرة عبد الرازق وأسرة أباظة وأسرة بركات مثلا

(٢) استعملت عبارة « بحث الفكرة » قاصداً بها ما يسمى بالإنجليزية Originality ولم أعثر بعد على كلمة في العربية تقابل الكلمة الإنجليزية فهل من مقترح ! (الرسالة : قل كلمة (الأصالة) ومشتقاتها تفي في ذلك)

أفكاره ، فقد استخدم الإحصاء والتحليل الرياضي في طرق بحثه وكانت نتائجه العلمية مبنية دائماً على عمليات رياضية ومقاييس حسابية دقيقة. وقد اقتدى به في طريقته العلمية هذه خلفه الأستاذ كارل بيرسن رئيس معمل جولتن بلندن الآن ، والأستاذ تشارلس سبيرمان السيكولوجي الشهير.

كان لجولتن أثر عظيم في إيقاظ الرغبة في بحث الفروق السيكولوجية بين الأفراد ، كما كان له مجهود علمي كبير في وضعه علم النفس التجريبي ومقاييس الذكاء. وذلك بوساطة الاختبارات التي ابتكرها لقياس قوة الخيال ودقة الإدراك الحسي. ابتكر جولتن مقياساً به يعرف دقة تمييز الأفراد للأثقال المختلفة اختلافاً بسيطاً ، كما ابتكر الصفارة المعروفة « بصفارة جولتن » لقياس مقدرة الأفراد المختلفة على سماع النغم العالي وتمييزه[1] ووضع عدداً من الاختبارات لقياس قوة الشم والذوق واللمس وغيرها من الحواس.

وكانت هذه المحاولات من جانبه لمعرفة الفروق الحسية بين الأفراد ترمي إلى معرفة ما إذا كانت هناك علاقة تلازمية Correlation بين الذكاء وبين قوة الإدراك الحسي ودقته في نفس الفرد. ويؤيد ما نقول أنه كان دائماً يختار للبحث والقياس أفراداً بينهم تفاوت كبير في الذكاء. كان يختار عبقرياً Genius وضعيف العقل Feeble minded ثم يجري عليهما تجربة في الإدراك الحسي ليعرف : هل هناك تلازم بين قوة الإدراك الحسي ودقته في الفرد وبين ذكائه أو غبائه.

غير أنه لسوء الحظ وبالرغم من مجهوده العظيم ومحاولاته الكثيرة لم يجد تلازماً يذكر بين ذكاء الفرد وقوة إدراكه الحسي. وبالرغم من هذا نجد أن مجهوده وطريقته العلمية كان لها أثر عظيم في كل ما أجري من تجارب سيكولوجية حتى نهاية القرن التاسع عشر حين ظهرت مقاييس الذكاء التي وضعها السيكولوجي الفرنسي الشهير ألفرد بينيه A. Binet

* * *

(١) تسمى بالإنجليزية Galton Whistle

يقسم جولتن الأفراد إلى أنواع وفقاً لقوة سيطرة الحس عنده: النوع الإبصاري Visualiser، وهو الذي يغلب عليه الخيال البصري؛ والنوع السمعي Audile، وهو الذي يغلب عنده الخيال السمعي؛ والنوع الحركي Motile وهو الذي يغلب عنده الخيال الحركي الخ. فالنوع الإبصاري مثلاً يفكر باستحضار الأشياء المرئية، بينما السمعي يستحضر الصور السمعية، في حين أن الشمّي يستحضر الصور الشمّية الخ، ولكي يعرف أن فرداً يتبع النوع الإبصاري أو السمعي أو الشمّي مثلاً كان يجري عليه تجربة كالآتي:

تصور أنك جالس في الصباح على المائدة لتناول طعام الإفطار. تخيل حافة المائدة التي أنت جالس عليها، هل الصورة الخيالية المرئية واضحة أو غامضة؟ هل ألوان الأطباق والفناجين والأكواب والخبز واضحة أو غامضة؟ هل تستطيع أن ترى بمخيلتك جانبي الكرة في وقت واحد؟ هل تستطيع أن تتخيل وتسمع صوت الوجه لأقرب قريب لك (زوج أو أب أو أم ...)؟ هل تسمع بمخيلتك صوت الجرس، أو قرعاً على نافذة منزلك؟ هل يمكنك أن تتخيل حركة الفم والأسنان واللسان حينما تنطق بكلمة «مجموعة» أو كلمة «درس»؟ هل يمكنك أن تسمع بمخيلتك حفيف الورق فوق الشجرة؟ هل تستطيع أن تشم بمخيلتك رائحة البطيخ أو الشمام أو البرتقال؟ هل تستطيع أن تتخيل طعم الشكولاتة أو الليمون أو الكمثرى؟

وهكذا وضع جولتن سلسلة من الأسئلة في أنواع الخيال الحسي المختلف، وقسم الأفراد إلى الأنواع التي ذكرناها، كما قسم النوع إلى درجات تختلف من «قوي جداً» إلى «ضعيف جداً» باختلاف قوة الفرد على التخيل.

(يتبع) عبد العزيز عبد المجيد

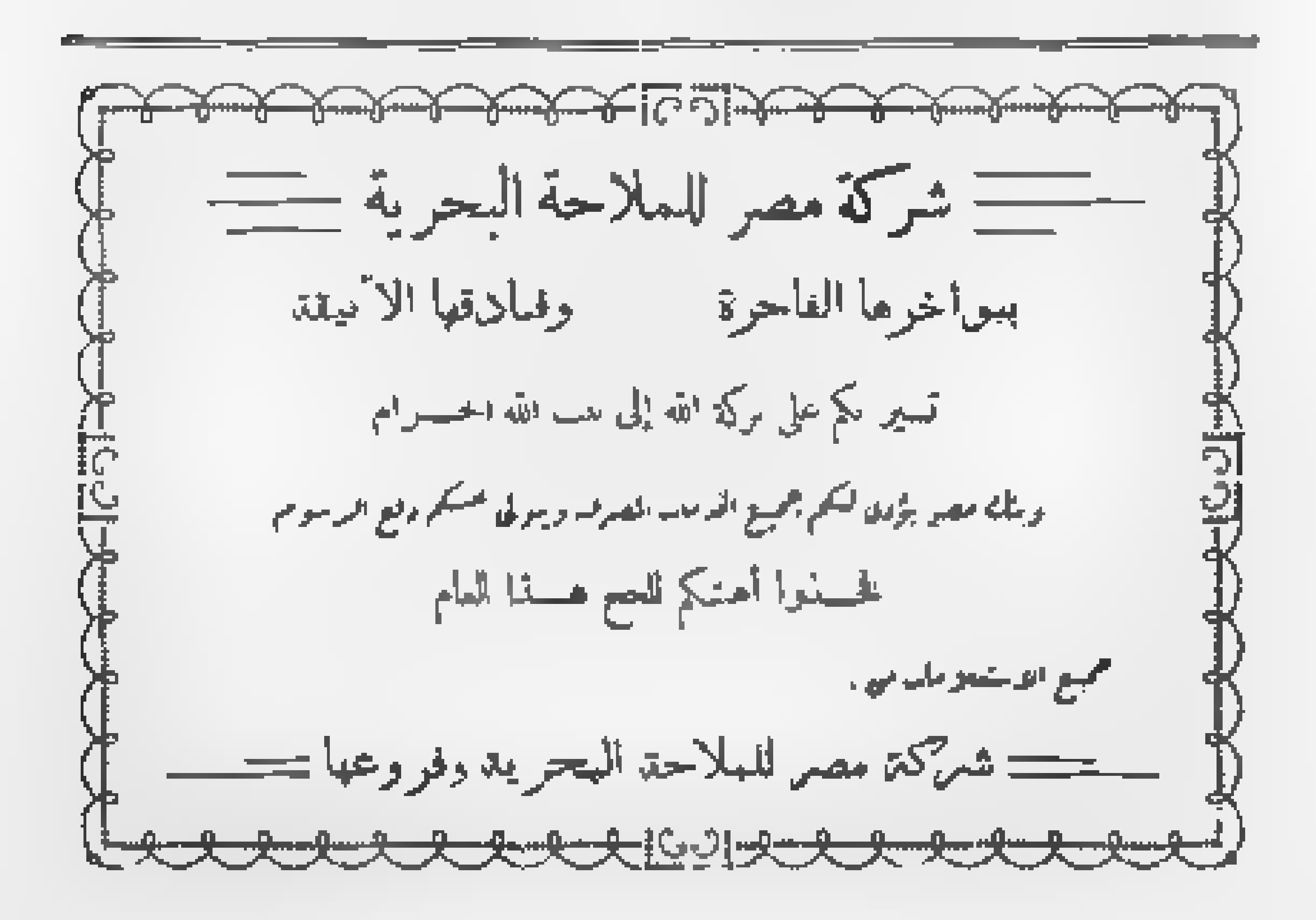

بين الأستاذين
أحمد أمين وزكي مبارك
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لما قرأت المقالة الأولى للأستاذ أحمد أمين في جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي كان ذلك بحضرة الأستاذ الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء، فذكرت له أن الأستاذ أحمد أمين يرى في هذا ما سبقته إليه في كتابي (زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد) وأحسب منه أن يجعل الزعامة من أدب المعدة لا من أدب الروح، مع أنها أحق من غيرها بأن تكون من ذلك الأدب الذي ارتضاه، لأن اتجاه الزعامة إلى الروح من الأمور التي لا يجحدها أحد، وكل زعمائهم كانوا من هذه الأرواح، فلا يمكن مع هذا أن تكون من أدب المعدة

وقد أنكر ذلك الرأي على الأستاذ أحمد أمين كما أنكر عليه غيره، وكان ممن أنكره عليه الأستاذ زكي مبارك في مقالاته التي نشرها في مجلة الرسالة، وقد سبق للأستاذ زكي مبارك أن أنكر عليّ أيضاً ذلك الرأي في نقده لكتابي (زعامة الشعر الجاهلي) بجريدة الأهرام، وكان مما ذكره في ذلك أنه لا يمكن القول بأن زعامة أبي العتاهية تخلو في شاعريته من غريب أبي نواس، فرددت عليه بأن أبا نواس نفسه يشهد بتقديم أبي العتاهية في هذا عليه، وقد كتبت في هذا ما رواه صاحب الأغاني عن هارون بن سعدان أنه قال: كنت جالساً مع أبي نواس في بعض طرق بغداد، وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل بين بني هاشم وفتيانهم، والقواد وأبنائهم ووجوه أهل بغداد، وكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم، ولا يقبض رجله إليه، إذ أقبل شيخ على حمار مريسي، وعليه قميص ورداء قد تقنع به ورده على أذنيه، فوثب إليه أبو نواس، وأمسك الشيخ عليه حماره وتعانقا، وجعل أبو نواس يحدثه وهو قائم على رجليه بحال تعب، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى مستريحاً من الإعياء، ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس فجلس في مكانه، فقال له بعض من بالحضرة: من هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الإعظام وتجله هذا الإجلال؟ فقال: هذا إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، فقال له: لم أجللته هذا الإجلال؟

وبلاغة منه عند الناس أكثر منه ... وعنه لا أقل، ولذا ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي

ولا شك أن هذا يرجع إلى تقسيم الأستاذ، وتقسيمي الأدب إلى أدب الروح وأدب المعدة، فأدب الروح هو الأدب السماوي، وأدب المعدة هو الأدب الأرضي. ومما ذهبت إليه في ذلك أن الشعر لا يصح أن ينظر إليه على أنه ليس إلا ألفاظاً وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولا ينبغي أن يعد من وحي الشياطين، فيكون لهواً وعبثاً في الحياة لا خير، وإنما يجب أن يكون الشعر نفثاً شريفاً، ووحياً صادقاً، وعملاً نافعاً في هذه الحياة، يدعو إلى النهوض، ويحمس للإصلاح، ويوقظ الشعور الخامد، ويحرك الميول الجامدة، وبهذا يكون الشعراء في الأمة رسل إصلاح، وأئمة هداة يهتدون ولا يضلون، ولا يكونون في هذه الحياة أولياء الشياطين

وهذا الأدب الذي ذهبت إليه وذهبت إلى تقديمه على غيره هو الأدب الذي دعا إليه الإسلام، وجاء به القرآن الكريم، فهو ينعى على الشعر الجاهلي في جملته، ويقبح موضوعه وأغراضه، وذلك في قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وفي قوله أيضاً (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال: «لما نشأتُ بُغِّضت إليّ الأوثان وبُغِّض إليّ الشعر» وقال أيضاً «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً»

ثم جاهد في إصلاح ذلك الأدب الجاهلي الضال جهاده في إصلاح عقيدتهم الضالة، وسلك سبيله في ذلك خلفاؤه الراشدون فضربوا على يد كل شاعر أراد أن يحيي في الإسلام سنة شعراء جاهليته، فيجعل الشعر سبيلاً لجمع المال، ولا يعرف في ذلك إلا المدح والهجاء، ونحوهما من تلك الأغراض التي وقف عندها الشعر الجاهلي، ووقف عند جمود أهل الجاهلية على عبادة الأوثان، وقد حبس عمر الحطيئة في ذلك حتى استعطفه بقوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأطلقه عمر وعاهده بقطع لسانه إن هجا أحداً، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. وكذلك فعل عثمان رضي الله عنه مع ضابئ البرجمي، وكان قد استعار كلباً من بعض بني حنظلة يصيد به، فطالبوه به فامتنع من إعطائه فأخذوه منه قهراً، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله:

صاروا كلابا ... فحبسه | أمانةً مني والأمور تدور
فأمكم لا تتركوها وكلبكم | فإن عقوق الوالدين كبير
فإنك كلب قد ضريت بما ترى | سميع بما فوق الفراش بصير
إذا عبقت من آخر الليل دخنة | يبيت لها فوق الفراش هرير

فأشخصوه عليه عثمان فحبسه وقال: والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب غيرك.

ثم جاء بنو مروان بعد الخلفاء الراشدين فتسامحوا بالشعر إلى سنته الأولى قبل الإسلام، وعملوا على تقديم الشعراء الذين سلكوا في الشعر هذه السنة من جرير والفرزدق وضرابهما، وعقدوا لهم لواء الزعامة على غيرهم من الشعراء، وتأثر علماء الأدب الذين كان يجزيهم أولئك الملوك بهم، فتعصبوا في الشعر والنثر لمذهبهم، وقدموا من الشعر ما هو من شعر الشر على شعر الخير، حتى إن الأصمعي رحمه الله كان يقول: إن الشعر لا يقوى إلا في باب الشر، فإذا دخل في باب الخير لان، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار وما إلى ذلك، فإذا دخل في غيره مما دخل فيه بعد الإسلام ضعف ولان. ألا ترى أن حسان بن ثابت كان شديداً في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم لان شعره.

وليس الآن مقصود الدفاع عن ذلك الرأي في قياس الشعر بموضوعه وأغراضه قبل أن يقاس بألفاظه ومعانيه، وفي تقديم الشعر الجاد النافع في الحياة على ذلك الشعر الذي لا يعنى إلا بالألفاظ، وحسبي منه الآن أن أبين أن ذلك جناية على الأدب العامل، فإن الأستاذ زكي مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عنه، وموعدنا بهذا المقال الآتي.

عبد المتعال الصعيدي

مقاطع في سير أبطال

مازيني

[وسرب الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده شأن بلده الأمجاد]

للأستاذ محمود الخفيف

٥

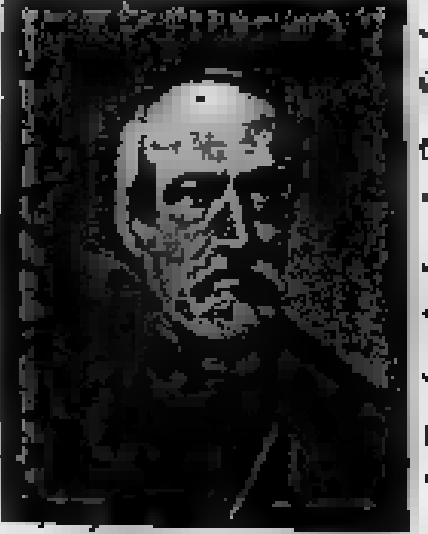

هكذا كانت حياة مازيني في لندن منذ رحل إليها عام ١٨٣٧ حياة شقاء لم يكن يهون عليه حياة الأسى كلها مثل إيمانه ، وظل هذه حاله نحو ربع سنوات طويلة ؛ وفي عام ١٨٤٠ أتيح له بعض اللين ، إذ أصبحت له صداقة تخفف عنه بعض آلام الغربة والوحدة ، وكان أكثر أصدقائه الجدد من الإنجليز ، وقد هون على نفسه بعد أصدقائه الأقدمين الذين سوه وإن لم ينسهم والذين ذكرهم في غربته ، وإنه يحزن من أجل هيبتهم وبما لاقى من الآلام مما يعانون في سجون عدوهم

وأعجب مازيني بأصدقائه الإنجليز وأعجبوا به ، وكان يرى في صداقة هؤلاء القوم له ما يزيد تعلقه بهم ، من حب إخلاصهم وصراحتهم ورقة آدابهم وطرب أحاديثهم ؛ وود مازيني لو كان لديه من المال ما يكفي لأن يشتري الملابس التي تكفيه ، ويدفع به أجر تنقله من جهة إلى جهة يحتمي ؛ لئن يكثر من الأصدقاء في هذا البلد المعظم ، وكم آلمه وأمره فقره في هذه الغربة الطويلة

وكان ممن اتصلت بينه وبينهم أسباب المودة واحب الفيلسوف الإنجليزي الشهير كارليل ، فلقد أعجب كارليل بما الفى لديه البصيرة من معاني العظمة في هذا المجاهد الغريب ، وكانت قد راقت إليه من قبل انباء حركاته في سبيل بلاده ؛ وكذلك كانت رابطة قلبيهما دعوة كليهما إلى الفضائل ، وجانب الروحي من حياة الإنسان ومحاربة العصبية والأنانية ، ثم دفاعهما الخاص كان يبث الجراءة والحيوية في كل ما يكتبان

وكثيراً ما كان مازيني يزور صاحبه في منزله ، وقد توثقت أسباب المودة كذلك بينه وبين زوج الفيلسوف الكبير ، وأعجبت بخلاله وأكبرت صلوده ، حتى لقد كانت تحاول روحها نالاً وتأخذ جانب مازيني فيما كان يقع بينهما من خلاف في الرأي ، ومن الأمر لم يخل من خلاف بينهما ، إذ كان كارليل يرى أن مبادئ مازيني غير ممكنة في هذا الوجود ، الأمر الذي كان يحسب له الزعيم أكبر التحسب مؤدياً إلى احتدام الجدال بينه وبين صاحبه

وكان عليه من أول الأمر أن يعمل ليكسب قوته ، ولم يكن أمامه إلا الكتابة ، وراح يكتب على الرغم مما كان يحسه من كآبة وهم ، وكان مما يضايقه أشد الضيق أن يرى نفسه مضطراً إلى اختيار موضوعاته بما يلائم الذوق الإنجليزي ، وإلا ردها إليه أصحاب الصحف معتذرين عن نشرها ؛ لذلك كثيراً ما يتناول من الموضوعات ما لا يحس في تناوله بما يحس من الارتياح واللذة ؛ وقد كانت أكثر كتاباته في الأدب ، فجال في ميدانه جولات موفقة ، وتوثقت الصلة بينه وبين كثير من أعلام الكتاب من الإنجليز ، وعرفه بعض غيرهم من كتاب ، من بينهم لامنيه ، والكاتبة الفرنسية الشهيرة التي اتخذت لنفسها اسم « جورج ساند » ! فتبودلت الرسائل بينه وبينهما . وصار مازيني في الواقع شخصين ، فهو الزعيم السياسي الذي عرفته الجمعيات السرية ؛ وهو الأديب الكاتب الذي ذاع اسمه في الأوساط الأدبية

ورأى الزعيم أن الأدب قد يصرفه عن السياسة كما أوشك أن يجعل ذلك من قبل في مستهل حياته العامة ، فمال إلى السياسة وراح من جديد يرجع من مذهبه إلى جانب الأدب ؛ وقد عز عليه أن تموت جمعية إيطاليا الفتاة . فأخذ يرفع الرماد عن هذه الجمرة لتظهر من جديد متوقدة مستعرة ؛ فأكب على صحيفة أنشأها في إيطاليا ، وصرح بإيطاليا . وعند ما كان رجعه ويؤمله ألا تدين حماسته إلا الفتور ، وكان يحطم حزنه كل آسر ذلك الفتور ممن كانوا بالأمس يحسبون أشد التحمس للقضية وساوئها ، ترى ذلك في قول مرة : « إني لأحس بالخجل حينما أكتب من أجل إيطاليا كما لو كنت أخاطب الكتب » .

وكان يخاف أن يموت دون أن يرى ما يحاوله ، كما كان يعتقد

أن الذي حبب إليه الجهاد فربط في كرامة الشهداء الذين جادوا بأنفسهم في سبيل وطنهم ، ومربط في حب الوطن الذي يتطلب من بنيه أن يموتوا كما مات هؤلاء أو يحيوه الحرية والاستقلال . وكان يسأل نفسه ماذا عسى أن يصنع وحده وقد تخاذل الرجال وهانت عزيمة كثير من طلاب الأنس ؟ ولكن مثله لم يخلق لليأس . ومن كان اليأس من خلال الزعماء وهم الذين يبعثون بإيمانهم غلاتهم؟ وهل عرف ما ألح عليه من الفقر والشدائد من وجهته ؟ أم أن الشدائد قد زادته صلابة ويقيناً وإن كان جسمه يشكو من التعب وسوء الغذاء وغيرها مما يكون نتيجة للعسر الملازم ؟

الحق أنه كان رجلاً إيماناً فوق إيمانه كما عرفت الأيام والحق كان على بينة من أن جهاده لن يذهب سدى ، وأن هذه البذور التي بذرها سيتعهدها هؤلاء الأحرار لابد أن تنمو وتؤتي أكلها ، وأن تحت الجمرة التي تحت الرماد لابد أن يتطاير الرماد من فوقها إذ نفخ فيها الشباب من روحهم فتعود كما كانت وهاجة مستعرة ولا تقوى يد على إطفائها الأيام. ولئن تخاذل الرجال من حوله فذلك لأنهم فقدوا الثقة في الثورات وفي أسرار النجاح ، أما مبادئ الوطنية والحرية فقد تمكنت في النفوس واستقرت في أعماقها ، وسوف تكون هذه المبادئ في غد أكبر حافز لأبناء إيطاليا أن يقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل وطنهم يوم يسيرون في حروبهم النظامية ليحرروا صفوفهم الكبيرة الأولى من الحق ولئن تمت وحدة إيطاليا في غد بفضل مساعي كافور وبطولة غاريبلدي وغيرهما من الأشداء من رجاله ، فإن التاريخ لن يستطيع أن ينكر أن دعوة مازيني كانت الروح المحركة في جميع هاتيك الخطوات ، فهو الذي أعد الرجال ومن كان منهم مساهماً جسداً ؟ وهو الذي جند من الأبطال من لا يستطيع غيره أن يجندهم جنداً ؟ وفضلاً عن ذلك فمن حجر بيعته وهو كافور وغاريبلدي فكان أحدهما رأس الحركة الوطنية وكان الآخر ساعدها

وأبى مازيني في عزيمته على العمل من أجل قضيته الكبرى ، وما كانت الشكاية بوطنه إلا وسيلة تكسب قوة ؟ ولئن لم يستطع أن يحس بمواطنيه في إيطاليا إلا في مشقة شاقة ، فقد أخذ يحس الإيطاليين في إنجلترا عامة وفي لندن خاصة ويبسط في بث دعوته في قلوبهم ، وكان من أكبر العناية بأن يجبل العمال على دعوته لأنه كان يقدر القوة التي يمكن أن تنبعث من صفوف هذه الطائفة

وإن من النظر بين هذا الرجل العظيم وأبناء وطنه في إنجلترا ، فانظر إليه على ما هو عليه من الفاقة كيف يفتتح مدرسة ليلية لتعليم أبناء إيطاليا الفقراء وتثقيف عقولهم حتى تنفذ إليها النور الذي يسعى به فيكونوا عوناً للإنسانية إذ رجعوا إليها ويكونوا جنداً عنيداً في كفاحها ، وإن أن كفى مبلغ ما عاناه في سبيل جمع المال للإنفاق على هذه المدرسة ، وهو الذي هدمه الدين ورثته الفاقة رث الملابس مهزول الجسم ؟ ولكن المدرسة قد نجحت على الرغم من ذلك ، وزارها مازيني مرة وأمين الإعصار وهم الذين يقدرون مثل هذه الأعمال حق قدرها ، وزاد نجاحها على نجاح المدارس فبثت الروح الوطنية في قلوب أبنائها ، ونبهت فيهم الوطنية هرب الخمول وشكر المستبين ، فهذا غلام يعود إلى موطنه فيأبى عليه سورة النبيل إلا أن يسافر إلى جنوة ليتحدث ثم ترجم عن أبيها العظيم ويعبر لها عن شمائله وعظمة صنيع ذلك الرجل الذي مده وملأ قلبه حماسة وإخلاصاً

ونشر مازيني صحيفة للعمال يحدثهم فيها عن حقوقهم وواجباتهم ويرتفع بها مستوى مداركهم لأن العلم عنده من أكبر أسلحة الوطنية ، ولقد كان هذه الصحيفة في نفوسهم أثر بالغ وإنه لم يكن يستطيع أن يذيعها فيهم إلا في أثواب متقطعة عاجته إلى المال ! وكثيراً ما كان يرسل العمال أحداً منهم إلى إيطاليا فيتركون فيها في قلوب العمال هناك أكثر مما قدر له من التأثير بعد كل حين ورؤها أن هذا الكلام كلام زعيم إيطاليا، وأنه فوق ذلك منصب إليهم من القلب . وكان الزعيم لا ينفك يحدثهم عما يعانون من البؤس وبالأخرى من الإهمال ويبين لهم أسباب ذلك ، ويبشرهم بمستقبل سعيد تعود فيه الحرية وتقرر فيه حقوق الأفراد فينالون حظهم من النعيم والغنى والرخاء

واتكأ مازيني على نفسه على الرغم من ضعف جسمه وقسوة حالته يحيا وكلما اشتد اليأس عليه لاذ بالأمل فيبدد أمامه أشباح اليأس، ولئن كبر على نفسه أن يصمت « إيطاليا الفتاة » فلقد كان عزاؤه ما بثته مبادئها في قلوب الشباب والشيوخ من الحماسة والعزم ، فكان العمال يتعرفون صحيفته خاصة بينهم على الرغم من يقظة الرقيب

والبوليس ، وكان شباب المحاكمات يتهافتون على كتاباته ويطلبونها كما يطلبون الإنجيل غيبا في أنفسهم مثل جلال الإنجيل ومثل سحر الإنجيل

وكانت [illegible] تضيق بهذا أشد الضيق ، كما كان يضيق به أنصار الرجعية في القارة كلها وأصبح اسم مازيني يقض مضاجعهم ويثير مخاوفهم من المستقبل القريب . وكان مما طلب به [illegible] ذلك الشريد البعيد ، أن ينصح [illegible] حيث هؤلاء الحكام المالكين

ووجه إلى مازيني في أثناء ذلك دعوة حديثة أحدثت [illegible] إلى أوساط الإيطاليين ، وهي دعوة الاعتدال ، ومؤداها الاقتصار في ذلك الوقت على المطالبة بالإصلاح الداخلي ، حتى تتهيأ البلاد للاستقلال ، فتكون وثبتها في هذه الوثبة قوية لا [illegible] وكان أصحاب هذه الدعوة يتطلعون إلى ملك بيدمنت ليكون عونا لهم في تحقيق آمالهم في الإصلاح . وغضب مازيني من هذه الدعوة وسخر من أصحابها ، إذ كان يرى أنها أساس كل فساد . وكيف يتسنى للبلاد أن تصلح وسلطانها مفروض من الأجانب ونفوذها مستمد من الأعداء ! إنه يرى أن سياسة التشدد هي الوضع الصحيح ، فالوطنية هي الخطوة الأولى والثورة تأتي بعدها ، ومن وراء الثورات المتلاحقة يأتي النصر في النهاية ، ويكون بعد النصر الإصلاح كأسرع وأكمل ما يكون الإصلاح !

وإنه ليخشى أن يركن الناس إلى هذه الدعوة فتموت روح الوطنية في نفوسهم ويستطيع بعد ذلك المستبدون منهم أن يلهوهم عن أمانيهم الكبرى ببعض مظاهر الرخاء الآني حتى تنصرف عن أنفسهم وتنسى القبلة التي كانوا يتجهون إليها ، وتحرم مطامع الشعب ويسيء بعضهم ببعض ظنوناً ، وقد كانوا [illegible] الوطنية والجهد في سبيل [illegible] المشتركة يجعلهم أولياء بعض

ولم يمض [illegible] الزعيم النازح أن ينقد بعض دعاة الاعتدال آراءه ، وأن يهاجموا حركاته أقسى مهاجمة ، فيتهمونه بأنه يلقي بالشباب بين براثن الموت وهو بعيد ، كل أولئك في غير جدوى ، [illegible] وأثرت هذه التهمة نفسه حتى لقد فكر أن يذهب إلى إيطاليا على الرغم من الحكم عليه بالإعدام ، فيمضي [illegible] في سبيل قضيته ، فيموت أمينا على نفسه من هذه التهمة ، ولولا أن صده عن ذلك بعض أصدقائه لأقدم عليه في غير تردد . وكأنما

أراد القدر للمناضل أن يرد عليهم بالعمل حين [illegible] فأخذ [illegible] ثورة [illegible] في طول إيطاليا وعرضها يكون [illegible] هذه الثورة الولايات البابوية ، إذ كان [illegible] أن [illegible] وسط إيطاليا كان [illegible] بالأحداث السرية ، وكان ذلك في عام ١٨٤٣

واتصل مازيني [illegible] في [illegible] أميليو وأتيليو من [illegible] ، وأوحى إليهما أن [illegible] الثورة في وسط إيطاليا — ولكن البوليس — ألقى القبض عليهما بعد أن وقف على حركاتهما وصحبهما ، فسيقا إلى الإعدام ، [illegible] شجاعة [illegible] وعلم مازيني أن الحكومة الإنجليزية هي التي دلت عليهم ، لأنها كانت تفتح رسائله إليهم ورسائلهم إليه ، فاستشاط الزعيم غضباً ، وأطلع أحد النواب في مجلس العموم ، وكان من أصدقائه الأوفياء على الأمر ، فاحتج النائب في المجلس على مسلك الحكومة الإنجليزية ، وسرعان ما شاع في المجتمع الإنجليزي شعور السخط على مسلك الحكومة ، حتى لقد حار وزير الداخلية بماذا يدافع به عن نفسه أمام المجلس حين وجه إليه تساؤل بعض النواب ، وكان بينهم ماكولي الكاتب الإنجليزي العظيم . وكتب كارلايل في جريدة التيمس ينقد عمل الحكومة فكان مما قاله : « إن فتح الرسائل [illegible] مسألة حد خطيرة بالنسبة إلينا لأن هذه الرسائل [illegible] تحرم في [illegible] كما نحرم الأشياء المقدسة [illegible] إن فتح الرسائل [illegible] على غير علم من أصحابها عمل قريب جداً من سرقة جيوب الناس »

ودافع كارلايل عن صديقه مازيني في تلك الجريدة فكان مما ذكر عنه : « مهما يكن من رأيي في نظرات هذا الرجل السياسية [illegible] فإني أستطيع في غير حرج أن أشهد أمام الناس جميعا أن هذا الرجل [illegible] إن كنت قد عرفت شيئاً له — رجل عبقرية وفضيلة ، رجل شجاعة صحيحة ورجل إنسانية ؛ وهو كذلك نبيل التفكير ، فهو أحد هؤلاء النوادر الذين نرى عددهم في هذه الحياة والأسف قليلا ، أولئك الجديرون بأن نسميهم الأرواح الشهيدة ؛ أولئك الذين يسيرون على [illegible] في حياتهم اليومية ، والذين يدركون في صميمهم ، ويسلكون في الحياة مسلكاً يتفق مع ما يفهمون من ذلك »

« يتبع »

الخفيف

هاتف من الحرب . . .

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أمسِ ربابك لا شدوٌ ولا طربُ ... وصبُّ حانك لا كأسٌ ولا حببُ

ورفُّ الربيع على روض تسهّده ... [illegible] ساهر منها القاني الخصب

منها الذي [illegible] الندى، وما [illegible] ... [illegible] على صفحة الأحلام مكتئب

نشوان يجرح في دنيا عاشقه ... من خيال رأس ذوب الشهب

هز الصبوح جناحيه وأنسيه ... أن الطريق إلى الآفاق مضطرب

وأن أيامه من طول ما [illegible] ... [illegible] الخراب أدمى تحرها اللهب

تشدو بجراح [illegible] سموتها ... [illegible] لا أمجاد الفلا تثب

وحولها راحت الآمال تحسبه ... [illegible] في محجرها [illegible]

للمدامع لا عنه المشرد [illegible]

كيف المسيرة والتعاس الوري تجب[1]؟

والأرض من [illegible] ... في حيرة الناس لا الأموات تنتحب

[illegible] رأس [illegible] ... [illegible] يلتهب

ونح الراحة الملأى [illegible] ... [illegible] أحلامها الكرب

فلا دعت اللقا في [illegible] ... [illegible] من هوله الصخب

وكبكب الناس للميدان لا [illegible] ... من الحطام ولا [illegible] ولا [illegible]

كأنما [illegible] الدنيا و [illegible] ... [illegible] المتكبر [illegible]

الأرض [illegible] ... ولا [illegible] من أرحامهم [illegible]

[illegible] جانبها [illegible] ... وما [illegible] له [illegible]

[illegible] أو [illegible]

وما [illegible] في الأحلام [illegible]؟

[illegible] كل [illegible]

وكل [illegible] الشهب [illegible]

وكل [illegible] في [illegible] ... [illegible] السلام [illegible]

وكل [illegible] في [illegible]

في [illegible] والقصب؟

[illegible] السلم [illegible] ... دم الصحاب [illegible]

[illegible] الليل [illegible] ... وإنما [illegible] تنتحب

والشكال تضج [illegible] ... في كل [illegible] عرب

وللأحزان [illegible] حول [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

من الشباح [illegible] ، وأرضعها

[illegible] ، وكساها [illegible]

وفي الصحن [illegible] وعدت

[illegible] الأمس من [illegible] كتب

ميدان حرب [illegible] ؟ أم [illegible]

دم الشهداء [illegible] ؟!

في البر، في البحر، في صدر [illegible]

[illegible] الوحش [illegible] والنب

أين [illegible] الأشلاء [illegible] ... [illegible] الشعب[2]

[illegible] إن [illegible] قد [illegible]

[illegible] وحيا [illegible]

[illegible] أولا [illegible]

[illegible] ، [illegible] الأمن والحب

ولوع الندامى، وظل [illegible] ... [illegible] الأرواح [illegible]

[illegible] على [illegible]

من [illegible] في ليالي الحرب [illegible]

وكم [illegible] ... [illegible] حتى [illegible]

وأرسل [illegible] ... [illegible] من [illegible] الأرض [illegible]

الناس [illegible] ... [illegible] في يديه [illegible] والسبب

والموت [illegible] على [illegible] ... [illegible] في [illegible]

[illegible] الأعمار [illegible] ... [illegible] قلوب الناس [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] من جراح [illegible]!

* * *

يا [illegible] الليل [illegible]

أما [illegible] اللهو واللعب

أما [illegible] ... [illegible] أمها [illegible]!

[illegible] ... [illegible]

---

(١) [illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

والناس [illegible]

[illegible]

[illegible]

والشعر [illegible]

ولا الأمس [illegible] !

أنوار...

[مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب]

للدكتور إبراهيم ناجي

[illegible]

ناجي

رسالة الفن

دراسات في الفن

اليد واللسان والقلب

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أأنت الذي نغمت أوتار هذا العود هكذا؟!

نعم

— ومكون بجمل وقاحة! نعم؟ ألا أعد أطيق معك صبراً

— وهذا أنت الخضر موسى ... ومع هذا فقد أصر موسى على صحبته

— الخضر وموسى؟ إذن فهات حكمة في هذه الحيل يا سيدي الخضر الثاني

— من غير شك ... فالعروس أخوك الصغير ملئت له بحسداً بالثروة والسلطة، وقد كان هذا طول الأمس، فلو أنه عثر على العود مشدود الأوتار لأبى إلا أن يطربنا ويقتضب أسماعنا بنشيد «الثروة والسعادة» وأغنية «المجد المنتحب»، وغير ذلك من عبوطاته الوائية ... فقطعت أوتار العود، وعوا بحماس الكرب

أما كنت تستطيع أن تغنيه؟

لكن يستطيع أن يحمده!

فإذ وجد، أما كنت تستطيع أن تجيء من الحرب؟

بل كنت أستطيع أيضاً أن أدعه يعزف فلا أسمعه، ولا أسمعه، وإنما أردت أنه في جواره معي أن أقطع أوتار العود أتلافاً فلا يمسها حتى ينصرف في وجهه من لحج وبركم

يا حبيبي! ولماذا لم تفعل هذا يا سيدي الخضر مكتفت تريحا كرامة من كراماتك؟

— لا يعمل هذا إلا من كان إيمانهم أصحاب الإيمان

— الكرامات لا يملكها إلا أصحاب الإيمان؟ أما هذا؟ إنها الكرامات للأولياء

— الكرامات للأولياء، وما أكرمه بها الله عبده الذي يتبعه الصواب ويوجهه إلى هدف يهديه ... أظنني أن هذا شيء يصدر عنه من الكرامات، وأولياء الله هم الذين يعرفون الصواب، ويعهدون الحق بأيديهم ... والحق من الله

— كنت أحسب للأولياء آيات

— إن لهم آيات، بل إن الذين أقل منهم آيات أيضاً

بل إن في كل الذي ترى وتسمع من هذا الوجود آيات

ما هذه التناقض؟ تنكر عليهم الكرامات، ولتشهد لهم بالآيات، بل تمضي فتشهد لمن لم تدعهم بها ... ثم تذهب آخر الأمر في هذا الوجود الذي لا يمكن أن تحصره فتقول إنه كله آيات في آيات، فما الذي تحب أن أفهمه من هذا كله؟

— إنما تستطيع فأفهمه كله، ولكن تفهمه كله لو ذكرت الحديث الشريف من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان. وتذكر أين حاسب هذا الحديث عند الخضر وموسى، وتذكر مع هذا وذاك أن القرآن روى من حوار دار بين الكفار وبين النبي (ص) طلب فيه الكفار منه آيات ومعجزات، فأوحى إليه أن يخبرهم أن الوجود ملؤه الآيات والمعجزات. وإنما يجيء إذا كنت لا أحفظ نصوص الآيات فقد تستعصي على لحمد بعض القراء الذين كانوا يحفظونها حباً في الدرس

— إني أذكر هذه الآيات ولكني مع هذا لا أستطيع أن أخلص من جمعها إلى الحديث الذي ذكرته، وإلى قصة الخضر بشيء، فهل ترضى أن أخلص به؟

هذه هي علومك ... فلو كنت ما جانبته حسبه فعلى وروح ... علمت منها كأني بقلبي تريدني ... وأكثر لا بأس فلنبدأ ... أنت معي أن كل ما في هذا الوجود يقع في حياته قاعدة حدث ... وأنه لو خرج عن هذه القانون اختل واضطرب وفسد وفقد الحياة ... وأنت معي إلى جانب هذا

أن كل القوانين التي تخضع لها كل الخلائق هي أيضاً قانون تخضع له هو قانون التطور والارتقاء الناهض إلى الكمال والوصل إلى الله واهب الأمر ، تبارك أسماؤه . والخلائق متنوعة . منها ما يمكننا إدراكه ، ومنها ما لا يمكننا إدراكه ، ومن الخلائق التي لها إدراك الإنسان ، وله إلى جانب الإدراك أو جهة الإدراك إحساس وإرادة وعقل ، ثم إن له آخر الأمر قدرة على الإبداع وحياة الموجودات في مجموعها حين تمر إلى الارتقاء والكمال لا ترتبط بالتساوي ولا تتماسك في صف واحد ، والذي ينتج بها عنها هو تشابك القوانين المؤثرة فيها وتعقدها وتكاثر الظروف المحيطة بها وتباين أنواعها وأشكالها ، وهذا التشابك وهذا التعقد وهذا التكاثر وهذا التباين ... كل هذه حين تتفاعل تمس بالوجود بلبلة ، وفي هذا التبلبل تتأثر بعض الموجودات فتخرج من ضبط أحوالها مضطربة متعثرة ، فأقوى ما في الموجودات هو الذي يستطيع أن يرد هذه الشاذة إلى سبيل الحياة بالدمع أو باللعب ، ولكل مرة من هذا هو الذي يعرفها بالكلام حتى أن تقتنع وتعود إذا كانت ممن يفهم الكلام . والأقل من هذا هو الذي ينظر إلى هذه الشاذة نظرة المتفرج عن خروجها والآسف لها المرتقب والراغب في عودتها ، والعاجز عن إعادتها بالعمل أو بالقول . وهذا الذي وصفه النبي (ص) بأنه أضعف الإيمان . وليس الإيمان – كما تعلم – إلا الخضوع الواعي لقوانين الحياة الساعية إلى الله ، ومن أقوى هذا الخضوع ما لم يشبه التردد وما صاحبه الإدراك كخضوع الخضر ، ومن أضعفه الخضوع الذي لا يدرك فيه وهو خضوع الجاهل والمعترض ، وبين هذا وذاك درجات الإيمان

– والآيات ... ؟

– الآيات هي البراهين على هذا الإيمان ... إنه في تتابع الليل والنهار آية ، لأن هذا التتابع بارع ، فهو ماضٍ منذ كان إلى ما شاء الله لم يضطرب يوماً ولم يتأخر يوماً ، ولم يحدث أن تعاقب نهاران أو تلاحقت ثلاث ليال من غير أن يتوسطها نهار

– في القطب يطول النهار شهوراً

– نحن نتحدث في التتابع لا في الطول والقصر فهذان قانون آخر هو أيضاً آية لأنه أيضاً بارع

– طيب ..

– وكما أن الشمس والقمر بارعة في إيمانهما يجب أن تكون الناس بارعة في إيمانهم ما دام الناس هم أشرف المخلوقات . وقد حدث هذا ، فإن من الناس من هم بارعون في إيمانهم براعة في آية . فالخضر الذي كتب ... العلم ... من الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً إلى أصحابه ولا يحب التقوية ، كان في عمله عبداً من أولياء الله ، أي من ملازمي الحق ، أي من الناس البارعين في خضوعهم لقوانين الحياة الصحيحة التي كان جديراً بالأفراد جميعاً أن يتبعوها فلا يعتدي بعضهم على بعض إنسان على ملك إنسان ، أو على جهد الإنسان ، والخضر – كما يروي كتاب الله – كانت له أعمال كثيرة كهذه ، وظل يصحب لموسى حتى أتم في منزلة إياه منها ، وهذا التحليل يدل على أنه كان يستطيع التمييز بين الخلائق والحوادث المنتظمة في النهج الصحيح للحياة – أو بعض ذلك – وبين الخلائق والحوادث الأخرى التي تشذ عن هذا النهج الصحيح أو بعض ذلك . وبراعة الإيمان في الخضر ليست في مجرد الإحساس بهذا وإدراكه ، وإنما براعة إيمانه في أنه يرد الشاذ إلى صوابه . وهذا طبعاً هو الأمر الجلل الذي لا يستطيعه كل إنسان . فنحن في كل يوم نرى عيوباً وشذوذاً عن الحق يصاب بها الناس وتصاب بها الأشياء ، ولكن أكثرنا يشتغل عنها بشئونه من كل شئونه لا تتصل بشئون الكون . ونرى عدداً من الناس هم الذين ينتقدون الناس بالكلام أو بوسائل أخرى من وسائل التنبيه تشبه الكلام إلى هذه العيوب ويطلبون منهم أن يصلحوها ، وهؤلاء هم الصالحون وهم أيضاً من ملازمي الحق أي من أولياء الله ، ولكنهم ليسوا كالخضر إيماناً ولو كانوا مثله تخرج عقولهم هذه إلى أعمال يؤدونها بأيديهم ، فيصيبون بها الحق ويقومون بها المعوج بدلاً من الكلام وما يشبه الكلام ، ولكنهم على أي حال خير من غيرهم ممن لا يبصرون ولا يرون ، وإنما ينظرون ولا يدركون ويسمعون ويبصرون .. وحتى هؤلاء أصلح حالاً ممن ينظرون فلا يدركون ، ولا يسمعون ولا يبصرون .. وما أسعد الجمهور من الناس الذي يتولى أمره نفر من هؤلاء المؤمنين ، أولئك الذين يقومون المعوج بأيديهم ..

– وما حال الجمهور الذي يتولى أمره الشاذون ؟

– الشذوذ فيهم عيب ، ومن أنهم يقولون ما لا يفعلون ..
وقد وصف القرآن الشعراء بهذا ..

– هذا صحيح ، ولكن ماذا ؟

ألم تعلم أن مرجع الإيمان عند الخضر هو الخلائق، وأن إصلاحها يظهر في مدى خضوعها لقوانين الحياة المرتقية إلى الكمال . فالخضر قادر على ردها إلى سبيل الحق بالدمع أو الحسنة ثم بعد ذلك

يلقى أو الكلام ثم بعد ذلك الأسباب ... إلى آخر هذه التي تظنها

— نعم

الفنانون إلهامهم من الدرجة الثانية وعظمتهم أنهم يقولون، أو يخرجون من الصوت ما يشبه القول، وتنظرين بعد ذلك إلى أعظم معنى فيها ما قد يتناقض مع أقوالهم

— أو لا يستطيعون أن يطلبوا من أنفسهم؟

يستطيعون ... فالله لا يمنع الرزق عمن أراده، وقد نصت في القرآن وفي الإنجيل وفي التوراة آيات تناديه وفي تطلب منه الهداية إلى الطريق المستقيم، وليس هذا الذي ندعو إليه عبثاً، وهو لم يقل لنا «ادعوني أستجب لكم»، وفي نفسه لا يستجيب ... إنما هو الرحمن يريد أن يستجيب، ويطلب منا أن ندعوه ليستجيب ... [illegible] كل إنسان يجب أن يطلب من الله ربه في أن يكون الذي يريده [illegible]، يعطيه الله الذي هو [illegible] والذي هو الرحمن والذي هو العادل، والذي هو الهادي بالهداية [illegible] باب مفتوح ... إنما علينا أن نطلبها

— [illegible] كيف أطلبها من الله يجعلني [illegible] من أولياء الله الصالحين.

أنى ذلك يكون بأن تصدقي مع نفسك أولاً ... أن تريدي أن تهتدي الحق، فتهدي نفسك الحق ... ثم تعرفي الحق ثم تحبيه في نفسك، ثم تحميه بالحفظ والصون، ثم تمديه وتسقيه حقاً وحقاً ... فنفسك لا بد أن يثمر الحق في نفسه حقاً هو أزكى الحق وأزكى الحق ... وسترين نفسك بعد ذلك، [illegible] كما يعمل الفنانون، ثم إذا رضي الله عنك رأيت نفسك تتجلى [illegible] كما يجده أولياء الله الصالحون رضي الله عنهم ... أعني أن هذا هو الطريق ... بل إنه الطريق

فماذا لا يمضي الفنانون في طريقهم هذا إلى نهايته؟ ماداموا يستطيعون؟

لعل [illegible] في إلهامهم [illegible]

— هذا الإيمان الشعوري الذي لا غناء فيه، والذي [illegible] القرآن من أجله

[illegible] بعض الفنانين شعوراً [illegible]، وفي القرآن لم يخصهم بذلك ... بل إن القرآن وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون وهذا حق لأنهم كذلك، ولهذا [illegible] القرآن [illegible] التابعون وهم الذين يستهويهم كلام الشعراء [illegible] من الفنانين، ويهيمون بأوهامهم في دنيا كلها جمال [illegible] الكمال ولكنها لا تطلب

الكمال إلا بالكلام، [illegible] الكلام لا يمضي هذا الكمال [illegible] مجرد الأحلام ... فالفنانون هم حقاً لا يستطيعون إصلاحاً ... [illegible] دعوتهم إلى الإصلاح والكمال لا بد أن [illegible] لا يستطيعون أن يصلوا بأنفسهم [illegible] بهذا الإيمان الذي [illegible] منهم وإيمانه الذي يهديه إليه الله ... ذلك الكمال لو حاولوا ما كانوا مشغولين ... وحين وصف القرآن الشعراء بهذا الوصف الذي لا شك أن فيه كثيراً من التفسير كان الإسلام في حاجة إلى الذين يطلبون الأرواح والأجسام في نشوئه وتكوينه، ولم يكن في حاجة إلى من يقول شيئاً، لأن الله عندئذ كان هو الذي يقول

إذن فشعر الآن صالح

وقد يكون يوماً صالحاً [illegible] نفوسهم، وإنما كان [illegible] نور الله حين تجلى الله بنوره على محمد سيد العالمين

ولكن [illegible] لا يزال عاجزاً عن دفع إلهامهم [illegible] إلى الإيمان الشعوري كما ترين

أعوذ بالله منك ومن [illegible] ... إن إلهامهم هذا الشعر الشعوري الذي [illegible] لأن تعبيرهم عن هذا الإيمان يكون بالكلام أو ما يشبه الكلام، ولكن إلهامهم نفسه ليس كلاماً ولا شيئاً يشبه الكلام ... وإنما هو إحساس [illegible] وتعبير واتجاه إلى [illegible] ... هم يشعرون بأنفسهم، ويشعرون بما يحيط بهم، ويشعرون بالحق في بعض هذا، والشعور بالحق في نفسه، وهم يشعرون بأن الحق [illegible] من الشعور، ويرجون أن يحدث [illegible]، ويتصورون أنه قد حدث فعلاً لأنهم يستطيعون بشعورهم أن [illegible]، ومتى اهتدوا إلى علاج [illegible] الذي [illegible] أنفسهم [illegible] العلاج قد تم بالفعل وأن [illegible] بعد ذلك [illegible] ... وهم يشعرون [illegible] يصفون [illegible]، ويصفون علاجهم، ويصفون آثار هذا العلاج ويصفون [illegible] ذلك الأدب، التي [illegible] ... [illegible] عدلوا عن هذا الوصف إلى الإصلاح بالفعل [illegible] إيمانهم شعوري، وإنما الذي [illegible] إلى هذه [illegible] هو [illegible] الشعوري لإيمانهم [illegible] عليك [illegible]

— ولكن من الفنانين [illegible]، وإن منهم [illegible]

— ليس هؤلاء [illegible]، وإنما هم [illegible]

عزيز أحمد فهمي

أرقام تتحـــدث

وتنبئنا عن قصة الإلكترون

للدكتور محمد محمود غالى

١

يتطرق إلى نفسي أن ومن يتحسن من مقامة الكتابة لقراء (الرسالة) الغرّاء بعد المرة بعد المرة أني منذ [illegible] الوجود ؛ مطلعه [illegible] على حلقة التفكير الإنساني في أحدث صوره ، مستعرضاً أمامه مبلغ ما وصل إليه من السمو ، مطلعه على الطفرة التي سببها للعلوم الطبيعية والثورة التي أدت إليها [illegible] التجربة [illegible] في الأسباب التي دعت الفلاسفة إلى الأخذ بفكرة معينة والإعراض عن أخرى . وسكن [illegible] إلى [illegible] من الوصف [illegible] "الأسلوب" دائماً [illegible] التركيب [illegible] [illegible] من الكتابة شهراً ، [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] الاستمرار ومتى [illegible] من المطالعة وأبعدني عن الكتابة ، ولم يكن مقالاتي بالتي أستطيع أن أنسبها إلى أحد ، فأستطيع الاستمرار في الكتابة ؛ إنما كان من الضروري مراجعة بعض المصنفات والاطلاع على بعض الجداول ، [illegible] البحث التجريبي [illegible] حديثة وكان من اللازم [illegible] عدد من [illegible] لأستطيع أن أكون القارئ [illegible] موسوعاتي وأحدثه [illegible]

وهكذا شاءت الظروف أن أحتجب عن الكتابة على غير [illegible] ، وأحتجب عن القراء على غير [illegible] ، وسكن الاحتلال [illegible] طريقه في الزوال ، [illegible] ، [illegible] كتابين [illegible] ، فكان أول من أن أسأل القارئ وأول [illegible] أن أتم له حديثي ويكون ذلك من حيث انتهيت آخر مرة

* * *

حدثنا القارئ عن الإلكترون الوحدة المكونة للكهرباء ، هذه الشخصية التي هي أصغر ما نعرفه في المادة [illegible] فريق من العلماء [illegible] [illegible] الأمر [illegible] بين [illegible] صغير [illegible] ووصفنا التجارب الشهيرة التي قام بها ميليكان في عرضه سنة ١٩٠٩ التي استطاع بها أن يقيس شحنة الإلكترون ، هذه التجارب التي [illegible] جسيماً [illegible] إلكترونياً حراً واحداً ، وقد وصفنا جهاز ميليكان وشكله في مقال سابق ، ويتكون من [illegible] Pulverisateur [illegible] رذاذاً [illegible] من الزيت في غرفة [illegible] الرذاذ [illegible] في غرفة [illegible] صغير يبلغ [illegible] ١٠ ملليمتراً [illegible] . هذا الرذاذ مكهرب بسبب احتكاك جسيماته بعضها ببعض بحيث أن كل جسيم منه يحمل قدراً من الشحنات الكهربائية بعضها سالب وبعضها موجب ، [illegible] هذه الجسيمات [illegible] [illegible] التي [illegible] هذه الجسيمات شحنات كهربائية ، [illegible] هذه الجسيمات [illegible] حزمة ضوئية [illegible] بشرط أن [illegible] عمودي على [illegible] الحزمة ؛ [illegible] كالكواكب اللامعة في هذه الغرفة الصغيرة

ولا يجوز أن [illegible] الأمر على القارئ [illegible] أن هذه [illegible] في [illegible] الإلكترونات التي [illegible] ويعتقد [illegible] أن ميليكان رأى الإلكترون ، والواقع أن هذه الجسيمات [illegible] كبيرة [illegible] الإلكترون ، [illegible] كالإنسان على الأرض أو [illegible] على كوكب المريخ [illegible] نستطيع [illegible] أن نرى المريخ [illegible] بالمنظار [illegible] حول الشمس ؛ [illegible] ما يحيط به من سحب وما يعلوه من جبال [illegible] من [illegible] ووديان ، ولكننا لا نستطيع [illegible] اليوم [illegible] أن نرى رأى العين ما قد يحتوى عليه من حيوان أو نبات — كذلك [illegible]

في تجربة مليكان . ورأى جسماً يحمل الكتروناً أو بضعة الكترونات أو عدداً معيناً منها ، وكان على ثقة في كل حالة من وجود الألكترونات على هذا الجسم الصغير السابح في جو الغرفة المضيئة كما يسبح الزغب حول الشمس وكما تسبح ذرات الغبار كما تسبح الذرة في الكون المضيء ولكنه لم ير الالكترونات ذاتها

على أني أريد القارئ صريحاً : لو أننا استطعنا يوماً أن نتحقق من وجود مخلوقات في المريخ فلا يتحتم أن نرى هذه المخلوقات لنعرف وجودها ، ثمة وسائل أخرى يصح أن نحول فيها النظر إليه يكفي أن تتبادل هذه المخلوقات معنا رسائل مفهومة يستطيع هؤلاء فيها أن يواصلوا بإرسال من عندهم ، عند ذلك نقول إن المريخ مسكونة كما مسكونة الكواكب الأخرى ، دون أن نكون في حاجة لنرى أياً منهم

كذلك كان الحال في تجارب مليكان الخالدة التي يحدث من هيكلها الرائع منه [illegible] بالطاقة [illegible] والتي أثبتها القارئ [illegible] — كان في استطاعته أن يرى الجسم الزيتي الطافي في الصورة ولكن يعرف عدد ما يحمله من الكترونات وهي جسيمات أصغر من الرصد [illegible] كما أن المخلوقات المفروضة في المريخ أصغر بكثير من الكوكب الذي [illegible] ولكن ميكان يعرف عدد ما يحمله الجسم الصغير من الألكترونات كما نستطيع أن نعرف عدد ما تحمله الأرض من مخلوقات بشرية ، وليس ثمة فرق بين معرفتنا هذه ومعرفة ميكان إلا أننا لا نستطيع أن نعرف على وجه التعيين عدد الأحياء من البشر في لحظة معينة ، وتواجهنا في ذلك مصاعب يعرف القارئ بعضها ، منها أننا لم نكتشف الأرض كلها ومنها أننا لا نستطيع في بعض الشعوب الاعتماد على وسائل الإحصاء الصحيحة ، بينما يستطيع أن يعرف على وجه التعيين عدد الشحنات الألكترونية التي تحملها كل جسيم ، ولم ينظر في ذلك أي خطأ

كيف تحقق ميكان الحقيقي من وجود هذه الشخصيات التي لا تُرى ، هذه الكهارب الأولى اللطيفة ؟ — كيف استوثق من وجودها ؟ — أمور أحدث بها القارئ في الأسطر الآتية وسأحتاج في ذلك إلى بعض الشرح

* * *

في باريس محال للبيع يسمونها Unis Prix أي « أثمان موحدة » تشبهها في لندن محلات تسمى « وولورث » Wolworth تدخل إليها فتجد فيها كل شيء ، تجد جميع الأصناف من المأكولات [illegible] كما تجد [illegible] الأثاث والتحف المصورة ، كذلك ترى أطباقاً صحيحة للأكل [illegible] وأنت في محل من الفخار أو الخشب [illegible] وترى أطباقاً بارزة [illegible] « السامدونس » وترى الأنواع المختلفة من لعب الأطفال أو أدوات الحدادة والنجارة [illegible] وفي هذه المحلات توجد الملابس [illegible] الأدوات الكهربائية من مصابيح إلى أجراس وغيرها ، ويوجد الأثاث والأحذية بأنواعها ويوجد أدوات الزينة للسيدات وأدوات الحلاقة للرجل ، كل ما يخطر ببالك تجده في هذه المحلات من أدوات الحديقة إلى أدوات الحمام من المأكل إلى المشرب إلى كل ما يطرأ على بالنا من الحاجيات ، وقد حددوا الأثمان في جميع ما فيها يباع مثلاً بخمسة فرنكات أو بأعداد مضاعفات الخمسة مثل عشرة أو ١٥ أو ٢٥

ثمة حادث [illegible] من [illegible] هذه المحلات [illegible] القارئ [illegible] بعد ، [illegible] في مختلف أقسام هذه المحلات يجري [illegible] الفرنكات أو أمثالها ، فإذا [illegible] في اليوم الواحد [illegible] من الجمهور فإنا على ثقة بأن كل شخص اشترى [illegible] بخمسة فرنكات أو بعدد منها ، ثمة رجل اشترى بمبلغ ٢ فرنكاً وآخر بمبلغ ٣٥ وثالث بخمسة ورابع بمائة أو مائتين ولكنه لا يوجد مطلقاً واحد اشترى بما ثمنه ٣٧ فرنكاً أو ١٠٢ من الفرنكات [illegible] ، ذلك أن هذه البضاعة غير موجودة ولا يجوز شراؤها بهذا الثمن

ولو أننا الآن عرضنا على أحد الطلبة المتقدمين في الحساب الجدول الآتي من الأثمان المختلفة التي اشترى بها عدد من جمهور الباريسي

١٠ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٦٥ وسألناه عن العدد الذي يقسم كل هذه الأعداد لأجابنا على الفور ٥ ، ومعنى ذلك أن كل عدد من الأعداد السابقة يقبل القسمة على ٥ فالعدد الأول يحوي اثنين منه والثاني ٧ والثالث ٩ والرابع ١ والخامس ٢١ الخ

هذه المسألة البسيطة التي يسهلها [illegible] في المدارس [illegible] الشرط الأعظم الذي هو ٥ في المسألة السابقة ، كانت المسألة الوحيدة التي استنتج منها ميكان شحنة الألكترون وتثبت من وجود هذه الألكترونات [illegible] على كل جسم كان ينظر إليه في الغرفة المضيئة [illegible] وإلى القارئ كيف حدث ذلك

[illegible] العالم المعروف « مليكان » [illegible] يسقط في الغرفة الأولى ، ويتتبع بالميكروسكوب [illegible] من هذه الجسيمات الصغيرة في الغرفة الثانية ، وكانت تسقط تحت تأثير جاذبية الأرض كما تسقط كل جسم ثقيل ، وكان يرى [illegible] الكوكب [illegible] ساقطة

حيث من أعلى إلى أسفل بين كفتي المكثف المكون لسقف وأرض الغرفة الصغيرة الثانية ، وكان من الميسور باستعمال ساعة وقف [1] أن يقيس الزمن الذي يمر على أحد هذه الجسيمات لتقطع مسافة معينة ، هي المسافة التي بين شعرتي عدسة الميكرسكوب ، مسافة تبلغ في تجارب ميلكان خمسة مليمترات

على أن أنبه نظر القارئ إلى أن كل جسم يسقط في الفضاء بسرعة متزايدة أي أن سرعته تزداد كلما اقترب من الأرض بمعدل في الزيادة معروف يسمونه « العجلة » ، يعني أننا لو تركنا كرة تسقط من أحد الأدوار العليا في مبنى مرتفع فإن سرعتها تزداد كلما اقتربت الكرة من الأدوار السفلى حتى تبلغ أقصاها عند اقترابها من الأرض . أمر آخر يدخل في عمل الاعتبار عند سقوط هذه الكرة ، ذلك أن الهواء كما لكل سائل مقاومة للأجسام التي تتحرك فيه ، وتزداد هذه المقاومة أيضاً كلما ازدادت السرعة بحيث تتعادل بعد فترة معينة هذه القوة المقاومة مع قوة جاذبية الأرض للكرة ، عند ذلك تسير الكرة بسرعة منتظمة لتعادل القوتين ، ويسمي العلماء هذه الحالة « الحالة ذات السرعة المنتظمة » Regime Uniforme ، ولقد كانت الحالة المعتادة لمرور شعرتي الميكرسكوب والتي هي هذه الحالة التي تمر بها الجسيمات بسرعة منتظمة بالنسبة للحبيبات الكروية الصغيرة التي استعملها ميلكان ، وقد أعطى « ستوكس » [2] و[3] Sir G. Stokes القانون الذي يمكن أن تحسب منه سرعة هذه الكرات من كثافتها أو بالعكس ، وهو معادلة تحمل في أحد طرفيها ثقل الكرة في السائل وفي الطرف الثاني مقاومة السائل للكرة ويحوي هذا الطرف الثاني سرعة الكرة أيضاً

وراقب ميلكان سرعة أحد هذه الجسيمات الساقطة والمتلألئة في الضوء بملاحظة الوقت الذي يمر على الجسيم لكي يقطع المسافة بين شعرتي الميكرسكوب ، بعد ذلك أوصل التيار الكهربائي بين كفتي المكثف ، وشاهد أن هذا الجسيم الساقط بدأ يرتفع في سيره إلى الكفة العليا الموجبة بكفتي المكثف ، ذلك لأن الجسيم يحمل عدداً من الالكترونات كما قدمنا أي إنه مكهرب ، وطبيعي أن تجذبه الكفة الموجبة إليها ، لأنها مكهربة من نوع من الكهرباء يختلف عن الكهرباء الموجودة على الجسيم . عند ذلك قطع ميلكان الاتصال الكهربائي الموجود بين الكفتين ، وفي هذه اللحظة بدأ الجسيم في السقوط مرة أخرى تحت تأثير الجذب الأرضي ؛ فإذا أوصل التيار الكهربائي عاد الجسيم إلى الصعود وهكذا

وقد لاحظ ميلكان أن الوقت الذي يسقط الجسيم فيه المسافة الواقعة بين الشعرتين واحد لا يتغير — إلا في حدود الخطأ التجريبي — وأن الزمن الذي يمر لكي يصعد الجسيم فيه المسافة عينها يتغير من وقت إلى آخر ، ويجد فترات مختلفة إلا أنها مرات تتكرر دائماً أو تتكرر مثيلاتها ؛ وهي كلها مضروبة في عدد واحد يقسمها جميعاً ، يعني أن يسقط الجسيم مثلاً في ١٣٫٦ من الثانية ولكنه يصعد دائماً إما في ١٢٫٤٥ ثانية أو ٢١٫٨٥ أو ٣٤٫٧ أو ٨٥٫٠ ، ومهما أجرى التجربة على الجسيم ذاته فإنه يسقط دائماً تحت تأثير الجذب الأرضي في ١٣٫٦ من الثواني ، ولكنه يرتفع تحت تأثير عامل كهربائي ثابت في عدد من الثواني هو حاصل ضرب عدد معين يقسم الأعداد جميعاً

لم يكن هناك إلا فرض واحد لتفسير تفاوت الوضع لحركة الجسم في الجذب الأرضي وحركته في الجذب الكهربائي ، ذلك أن الجسم يحمل باحتكاكه في الهواء أو بالتأثير الراديومي فيه كهارب كهربائية تتغير كميتها إلا أنها لا يمكن أن تختلف بعضها عن بعض إلا بقدر معلوم

(يتبع) محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(1) تستعمل هذه الساعة عندما يراد معرفة الزمن لأقرب ١/٥ أو ١/١٠ ثانية وتسمى بالانجليزية Stop-watch وبالفرنسية Montre-a-courte وتستعمل في سباق الخيل ولقد استعملها ميلكان في تجاربه كما استعمل أيضاً كرونوسكوب هيب Chronoscope de Hipp وهذا الأخير يقيس الزمن لواحد على ألف من الثانية

(2) المرجع : جورج ستوكس النظريات الرياضية والطبيعية كامبردج المجلد الثالث سنة ١٩٠١

(3) ذكرنا معادلة ستوكس في مقال سابق . ونذكر للذين يهتمون بهذه الناحية من العلوم الرياضية والطبيعية أن جولدشتين Goldstein عمد في سنة ١٩٢٩ معادلة ستوكس بمعادلة جديدة في الطرف الثاني من مرونة Sorte تجري عدد رينولدز Reynolds ، وهو عدد معروف عند الطبيعيين أنه ليس له حدود

من هنا ومن هناك

السياسة والأخلاق

[عن « مجلة كنكورد في الأحوال الحاضرة »]

منذ عرف الإنسان السياسة لم يجد سبيلاً للتوفيق بينها وبين المثل الأخلاقية العالية . فهو إما أن يهجرها ويصد عن سبيلها كما يفعل رجال الدين في معظم العصور ، أو يشتغل بها ويواجه كل موقف بما هو أهل له . ويرد ما لقيصر لقيصر كما يقول المثل المعروف . والسياسة لا تعرف غير الحقائق الواقعة ، فليس من السهل أن تعالج العطف أو الرحمة أو الأناة أو ما إلى ذلك من الخلال التي نعرفها في حياتنا العامة

ولعل من أهم الأسباب التي تجعل السياسة هذا اللون ، أنها تعتمد في معالجة الأمور على القوة ، والقوة سلاح خطر ، وإن كانت في ذاتها شيئاً لا هو من الخير ولا هو من الشر ، شيئاً لا لون له ولا صفات ترجع في حقيقتها إلى الغاية التي تستخدم في سبيلها والوسائل التي تلتمس لها

وقد واجه الحكام والسياسيون هذه الصعوبات منذ عرفت السياسة . إلا أن ظروف العالم الحاضر اليوم قد أكسبتهم شيئاً من الصراحة والتأييد ، ويرجع ذلك إلى سببين : السبب الأول هو اتساع نطاق الحياة السياسية وتشابك المصالح الدولية ، فكثير من أحوال السياسة اليوم لا يرجع أمره إلى المصالح والأغراض الوطنية كما كان بالأمس ، فالشئون الدولية أصبحت الكبرى في هذه الأحوال ، ومن هنا يصبح الاعتماد على القواعد الأخلاقية أشد صعوبة مما كان عليه في العهود السابقة

أما السبب الثاني فهو أشد عمقاً من السبب الأول : وذلك أن الشعوب في هذه الأيام لم تعد تهتم بالفكرة الأخلاقية في العالم السياسي ، لأنها غير واثقة من كيانها الأخلاقي نفسه

لقد كانت الدول الأوربية منذ خمسين عاماً ، بل منذ عشرين عاماً كذلك ، [illegible] من الأخلاق المسيحية — ولا أقول إن الحياة في تلك العهود قد وصلت إلى مستوى الأخلاق المسيحية السامية — ولكن هذا الباب كان مفتوحاً على كل حال . ولكننا اليوم نرى فجوة واسعة في العلاقات الدولية لم يعد يصل ما بينها ذلك التعاون المقدم الذي تتطلبه [illegible] ولم يبق منه شيء على الإطلاق ، وقد أصبحنا نرى على المسرح رجالاً متعلقين بمثاليات القوة ، وهم لا يعرفون شيئاً غير الغريزة ، ولا يفهمون من شيء غير الاعتداء . فهل من الغريب مع هذا أن تهبط القوى الأدبية المتوترة في العلاقات بين الدول الأوربية إلى الحضيض الذي لم تنحدر إليه في عهد من العهود ؟

نحن اليوم أمام موقف يدعونا إلى بعض التأمل ، ومما يدعو إلى الأسف الشديد أن نرى الحالة السياسية والفكرية والأخلاقية بمرورها هذه الحدود

وإذا كنا هنا بصدد الكلام عن الأخلاق ، فمن الواجب أن نقول إن حكام ألمانيا وإيطاليا قد أساءوا استعمال القوة التي في أيديهم ، فأرهقوا الإنسانية إرهاقاً لم يعهد له مثيل ؛ ومن المؤلم أن تعصمهم ويرد ما جنوا على العالم الإنساني ، ويفصل النظام عن الأخلاق من الروحيات الفاسدة التي يتشبع بها المجتمع الإنساني العام

إن الدول الدكتاتورية ما زالت تعتقد أن القوة هي سيطرة الإنسان على الإنسان ، لا سيطرة الإنسان على الطبيعة ؛ وترى في الجار عدواً يجب أن تقتنص الفرص لهلاكه . فالخطر والاعتداء صنوان على الدوام

ونستطيع أن نحصر الاعتداء في كل أمة وهبت الطبيعة ديناً من حيوانيتها ، وهذه حالة ينهار معها كيان الشعوب والأخلاق

نحن نحارب من أجل الحرية

[عن مجلة « بكتشر بوست »]

نحن اليوم في حرب ، فلماذا نحارب ومن أجل ماذا ؟ أنحارب لأجل بولندة ؟ أجل ، نحن نحارب من أجل بولندة ، لا لأن في بولونيا شعباً عظيماً حراً ولا حكومة يخلقه من إطلاق سابق الحرب ، ولكن لما هو أكثر من هذا ، وهو أنا منحنا هذا الشعب كلمتنا

— ومن الكلمة البريطانية . ولكننا كذلك نحارب من أجل حياتنا . فنحن نعلم أن انتصار النازية ليس في حقيقته مقصوراً على بولندا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا كما حدث لتلك البلاد التي وجب وذاق أهلها أشد أنواع العسف في العصر الحديث

نحن نحارب لهذه الأسباب — ولا شك — ولكن هناك فكرة أعظم وأسمى من تلك الاعتبارات ، وهو أننا نحارب لأجل المدنية ، فما هي المدنية ؟ ليست المدنية هي القيمة المادية ، أو الثروة بين يديه ، أو الاستطلاع بعلم الكيمياء . ولكن المدنية هي معرفة فلسفة الحياة ذاتها ، هي أن تدرك تماماً أن القوة ليست الطريق إلى المجد ، وأن المدنية الحقة ليست كل شيء في الحياة ، وترى سعادتك في عمل الخير الصالح العام . إن الألمانيين ولا شك أكثر اجتهاداً في دراسة الكتب من البريطانيين ، ولكنهم لم يدركوا هذه الحقيقة ، فهم إذن يبعدون كل البعد عن المدنية

يقول بعض المتشائمين إن كل شيء في الحياة قد تناولته يد الفساد فأجمعوا بأن شيئاً ما كل شيء ، ونحن نعاني من جديد وما أجدرنا بأن نقتدي بمثل ذلك العصر الجميل . ولكن العصر الذهبي ليس إلا أسطورة في خيال ذلك العالم لا تكون إلا أمثال الشعوب المحبة على ما عرفت عنهم من الخرافات الكثيرة لعصر ومطالب لم يحققوا لهم الشعراء ، ويحاولون مكافحتها بالحروب

إن الحياة ولا شك لم تصل إلى الغاية التي ينشدها كل إنسان ، وظل الأشخاص الفقراء ، ولكن حالة الفقير اليوم خير من الأمس ، والعالم بمختلف طبقاته اليوم أكثر اتجاهاً إلى البر والإحسان والابتعاد عن عروق العصر ، مما كان عليه منذ مائة عام . وقد أصبحت الشعوب تجني ثمار الرحمة والرفاهية نتيجة جهادها الخير والقوة منذ أجيل . ونحن مطالبون اليوم بأن نحارب تلك الدعاوي الباطلة التي تحرض ... حتى نبقي الثمار النهية من الفساد

وإن بريطانيا وفرنسا الحليفتين ... واجبهما في سبيل الدفاع عن المدنية ، ضد هذه الحالة التي ترجع بالعالم إلى عصور الهمجية الأولى ، ولا تختلف عنها إلا في استعمال الطائرات والقنابل والآلات الحربية بدلاً من القوس والنبال

إن الكفاح العظيم الذي نراه اليوم قد أوجد بيننا نوعاً جديداً من الوئام والارتباط ، ونحن نرى روح التعاون اليوم يشيع في كافة الأنحاء ، ومن واجبنا إذا انتهت الحرب أن نعمل على دوام هذه الروح ، ومن واجب وزارة الصحة العامة ألا تغلق أبوابها إذا انتهت الأخطار ... أسباب الحرب ليدوم هذا التعاون الجميل لمكافحة الجهل والفقر والمرض

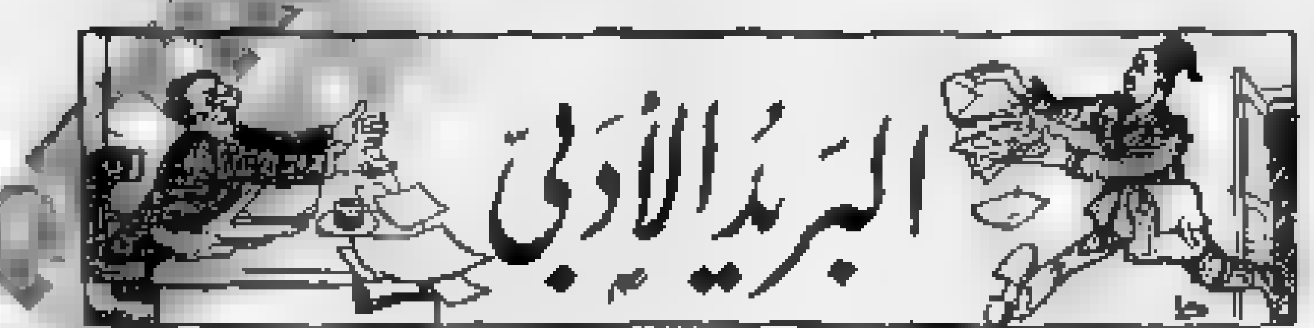

في المسرح

١ — فجع المسرح الفرنسي بل العالمي في الإخراج والتمثيل بوفاة جورج بيتويف Pitoëff وقد شارك بيتويف الخمسة من المخرجين الفرنسيين في فتح عهد جديد للمسرح فأتم هو وجوفيه Jouvet ودولان Dullin وباتي Baty معمي كوبو Copeau (ومن قبله Antoine) في مسرحه الذي ثار فيه على الأوضاع الروتينية وسمى المسرح Le Vieux-Colombier والذي أنشأه هؤلاء النفر أنهم أولوا النص المسرحي المنزلة الأولى بجعله كالصورة المصورة، وأخذوا ينظرون عنه الصورة من هنا والنقل من هنا عن طريق الإخراج والتمثيل، حتى يبرز المعنى وحقائقه فكأنه بحسها البدء، ومكانته تنقل منها الجمهورة بحسوسها الحواس. وغريباً كان النص كالمعين بصحته المخرج والممثل في أعمالهما. ومن بيتويف أنه ذهب في الطريقة المتحدة أبعد مذهب، واشتهر بالبساطة بل بالسذاجة، وقد كتب أمل أعماله أوبر الأمس حتى حفلت إلى جوه الساحر وحلاه الحواري فأدرك كم عبد الرحمن أو زوجته أيضاً Ludmilla إلى ساحات التدريب حتى يبرز النظارة كأنه فاقد منهم أو كأنه شبح يبحث وحي في عالم الفن. وكان بيتويف يختار من المسرحيات أبعدها عمقاً وأدقها فنه وألطفها وصفاً، فأدى فيها أدق مسرحيات لأندرييف وتشيكوف الروسيين وإبسن النرويجي وشكسبير، و... بيرانديللو الإيطالي ... وأنشدها «ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف»، ثم أقدم على ... «رسالة أمال» ... على تلك المسرحيات الفنية كوكى ... في المسرح الفرنسي. وكان اعتماده على الجمهور المثقف، على ... وكثيراً ما راعي قلة النظارة في مسرحه، ولكنه الفن الخالص، ويتوجه بأعماله ... حتى إن الرجل كان يؤدي المسرحية الواقعية ... في أسلوب يغلب عليه الحس، رغبة في الإيحاء والإبهام! وهل المسرح سوى هذا!

* * *

٢ — وأما الفرقة القومية عندنا فلا تزال تتساءل: أين جمهورها؟ يريد كثيرون أولا يشعرون بكفاية ... فأسأل أصحاب الفرقة: أنفسي الناس أم تدفع ... المسرح ومستخرج النظارة إلى تذوق الفن الصحيح؟ إن في مصر جمهوراً من المسرح الذي فقد شيئه وتزدحم عن النقص، وأحرج من وراء ذلك. وأن كل هذا عن عرض الفرقة ظهيرة الأوبرا وتقصده إلى شارع عماد الدين ... ما تشاء. وإنما كنا بالفرقة أن يستهويها مثل هذا. ويكون هذا سهم ومن عنت كذا وكذا ولا سمع شيئاً. فلنا أمر على أنها خرجت إلينا بأموال تضخم الذي جهل ... ما هي عليه حائرة؟ هل عرفت في أمس هذه القراءة التي ... في تاريخه مسرحيات موضوعة قد ... ولاحظ اتساقها؟ هل حفلت بلغة من أهل الاطلاع والعرفة ... من المسرحيات الأوربية ما له شأن؟ هل حرصت على أن تطلب النقد ... عن المسرح؟ هل تعلق إلى وسائل مكافحة؟ هل ... أن في أوربة ما يقال له «تأدية الشعر» représentation poétique وهي أن ينشد رجال الفرقة الذين ... ومعروف في كذا وكذا من الموضوعات؟

... في رجال الفرقة ... أقص منها ... على صاحبه الفن الخالص، فقد شهدت من سنوات «أهل الكهف» ثم شهدت أول من أمس «... أصحابها»، ورأيت إخراجاً حسناً وتمثيلاً ... ومن أمس مشهداً اجتمع فيه ... الحكيم وعلام ... وعباس فارس ... في الإحساس والتعبير، ومن وراء ذلك فتوح نشاطي. إلا أن المسرحية ... وهي أقرب إلى رواية ... منها

إلى مسرحية، وذلك اقتباس من التأثير المباشر ومطولات التمثيلية [illegible] فكيف يكون السبيل إلى التخلص في الإخراج وبث الأوهام؟ وإلى أن اسم المؤلف ولا عنوان المسرحية في لغتها على صفحات البرنامج الذي يدفع إليّ وأنا أدخل إلى دار الأوبرا، وهذا غريب. وعلى كل حال فإن في المسرحيات الإفرنجية ما هو خير وأجمل.

وبعد فقد كتبت (الرسالة ٣٣٢) أن إدارة الفرقة (وغيرها) [illegible] أن تذكر المحول لما [illegible] على حين أنه [illegible] على الكتاب الأقدمين والمسرح المصري، [illegible] أن تدرك الأمر [illegible] وبعد ذلك أن وزارة الشئون الاجتماعية جعلت للأمر [illegible] على أن [illegible] أفلا [illegible] الاعتدال؟ والوجه أن تعمل [illegible] في الليلة الأولى La Première [illegible] النقد والكتاب أنه المختار [illegible] أن يطلقوا [illegible] ألا [illegible] ملابسهم [illegible] إلا إذا كانوا من طلاب الفن [illegible] أصول الفن [illegible]؟

بشر فارس

لغة الأدب ولغة العلم

من مقتضى بحثنا كما يقتضي الفضل الباحث (الدكتور بشر فارس) الأديب العربي المشهور قال: «أن اللغة لا تنحصر في الإنشاء الأدبي شبه الإنشاء العلمي، وأن تجري إلى جانب الإنشاء الأدبي. هذا في شعب وذلك في شعب، ومن تاريخ آدابنا ما يؤيد هذا [1]».

وفي [illegible] كنت قلته في [illegible] كلام في خطبة طويلة منذ ثلاث عشرة سنة — بعد الحفل الذي [illegible] (أبي [illegible]) الدكتور [illegible] وقد رأيت أن أشيع مقالة (الفارس) — ولم تنتشر [illegible] أن أروي اليوم في (الرسالة الغراء) ذلك الكلام:

لا تلوموا العربية ولوموا أمة [illegible] (ثم [illegible]) ثم [illegible]

ليس للروض أن يبيت [illegible] ... وعقل [illegible] على الأقاح

[illegible] الرجال [illegible] ... خلقوا يوم كربة وكفاح [2]

(١) (مسألة) للدكتور بشر فارس [illegible] (٣١٨) من (الرسالة)

(٢) [illegible]

والحركة — كما قالوا — [illegible] ويشكون [illegible] أيتور [illegible] بقتلان الحركة؟ [illegible] هومير حين سأل الآلهة أن تصطلح كي تزول الحروب

إذا القوم [illegible] الكرب أوشكت

جبال الثرى [illegible] أن [illegible] [1]

وابن [illegible] يرى أن عمل الرجل إنما هو القتال، وعمل النساء هو [illegible] وليس القصد (إذن) أن [illegible] أو أن [illegible] على القصد أن تكون حرب، وأن تكون حركة.

.. قلبت اللغة العربية (والحالة في [illegible] العصور كما [illegible]) [illegible] أن تلازم وأن [illegible] فإنها لا [illegible] ضعفت كما ضعف، [illegible] ولو لم يكن ما كتب في اللوح أن يكون [illegible] العربية [illegible] فإنها [illegible] البدائع، [illegible] كل مجرى [illegible]

على أن [illegible] في العربية، [illegible] [2] [illegible] في العصور المتأخرة، [illegible] (في أساليب اللغة [illegible]) [illegible] ... (م)

أصدقاء [illegible]

أخي الأستاذ الزيات

يجب أن [illegible]

هل [illegible] أن مؤلفاتي ستصبح أصدقائي؟

[illegible] والله [illegible] مؤلفاتي [illegible] إن لم أصل [illegible] من أمر [illegible]!

وهل يصدق [illegible] ما أنس عليهم؟

[illegible] إن شاءوا

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

إن صداقتي لمجلة الرسالة لا تخفى على أحد، وقد بذلتُ في خدمتها ما أطيق، وجهد المقل غير قليل، ومع ذلك رفضتُ أن تُرسل إليّ هدية، فأنا أشتريها من السوق كما يصنع سائر القراء، وكذلك حالي مع جميع الجرائد والمجلات، إلا ما يتفضل به كرام الصحفيين في مصر ولبنان والحجاز وسورية والعراق

وكانت حسرتي يوم رفضت هديتك أني حين أشتري الرسالة أخشى أن أقول: «صباح الخير، يا صديق الزيات» وقد أشتري العدد الواحد مرتين أو ثلاث مرات لأنشر البهجة لدى من يرمون إليّ بأن الأدب فيّ مطبوع، وله أقصر أوطان

هذا، ولقد كان من حقي أن أهدي مؤلفاتي إلى محرري الجرائد والمجلات ليؤدوا واجب النقد الأدبي في التنويه بالمؤلفات الجديدة، ولكني لا أنسى أنهم يترنحون في هذه الأزمة الطاحنة أن أقدم إليهم عدة كتب في العام الواحد وهم لا يستطيعون أن يتحدثوا عني في كل عام عدة مرات!

أفلا يكون من الظلم أن أعفي أولئك الأصدقاء من هذا الواجب؟!

قد أعفيتهم، حيل بعضهم من العتب حين أتفضل عليهم بمؤلفاتي وأنا أنفق عليها من دمي وأرزاق أطفالي؟

وفي ختام هذه الكلمة أراني مضطراً إلى التنويه بفضل الأستاذ خليل بك ثابت فقد كان دائماً مثال الرجل الحريص على الواجب، أما الأستاذ حافظ محمود فقد حفظ لمؤلفاتي مكاناً في السياسة الأسبوعية، وأما الأستاذ الذي هو من أقرب الناس إليهم وهذا آخر العهد بإهداء مؤلفاتي إلى أصدقائي، ولا أستثني الأستاذ الزيات ولا الدكتور طه حسين ولا الأستاذ أحمد أمين!

زكي مبارك

في كلية الآداب

أشار «جليس» في العدد السابق من الرسالة إلى حوادث تدل على مقدار كبير من الحماية يتمتع به أجنبي يدرس الآن في كلية الآداب، ودل أنه يحتل مرتبة لا يحتلها مصري أحق منه. وجاءت هذه الإشارة عقب كلمة الدكتور بشر فارس في العدد الذي سبقه وفي الكلمة التي كان لها فضل كبير في تنبيه الأذهان إلى مدى المظلومية التي يجود بها بعضنا على الغريب على حساب وأخذ المراتب المصريين، فيتمتع في الرعاية بما لم يكن في ذلك حرمان للمصري. ولا شك أن كثيراً من عبث الحظ الذي يتمتع في مساعدتها، ثم نال من الإجازات من معاهد أوربا ما كان حقاً في هذا الدرس الأجنبي، ثم لا يجد بعد طول التحصيل عملاً يعيد به الأمة — يشكر الدكتور بشر فارس على بحثه وشجاعته وإني لأعجب كيف لم يوجه إعلان تأييد له وبسط شكراً من الزعيم لولا خشية الذين يضرون وينفعون

وإني أرجو أن تتفضل «الرسالة» بإفساح صدرها لشرح حقائق أخرى تضاف إلى حسنات هذا الشاب الأجنبي الذي عين في كلية الآداب بمرتب يزيد على مرتب اثنين من المصريين الذين أتموا من الدراسة والتحصيل ما لم يتم، وحصلوا من الإجازات على ما لم يحصل عليه

إن الرجل عُين في مصر بسعي مستشرق فرنسي كبير ذي نفوذ واسع وكلمة نافذة في بعض الدوائر المصرية، وذلك بعد أن رفضت وزارة المعارف الفرنسية تجديد عقده الذي كان يمنحه مرتباً في باريس يقل كثيراً — على حسب سعر العملة اليوم — عن مرتبه الشهري في مصر! وقد طلبت هذه الحكومة ترقيته ابتغاء للاقتصاد، وتم تعيينه عندنا في عام ١٩٣٦. وفي عام ١٩٣٧ منحته كلية الآداب مكافأة لمهمة علمية في فرنسا وعين مثل هذا في عام ١٩٣٨. والمتداول عندنا أن المكافأة الثانية صرفت من الاعتماد المخصص لمكافآت الطلبة ثم إن الكلية ذهبت في سخائها الحاتمي إلى زيادة مرتبه مرتين، وقررت أيضاً منحه مبلغاً كبيراً عنه مصري إعانة له على طبع رسالته التي يتقدم بها أمام جامعة باريس لنيل الدكتوراه في الآداب. كل هذه الأشياء المتلاحقة من الهبات حدثت في زمن قصير بتوصية المستشرق الكبير الذي سبقت الإشارة إليه

وإني لأعرف أديباً مصرياً مشهوراً تقدم إلى كلية الآداب منذ عشرة أعوام أن تعينه على طبع رسالته للدكتوراه أمام جامعة باريس فلم تعره أذناً صاغية، وكان هذا الأديب في حاجة إلى الإعانة ولكنه لم تعن عليه كلية الآداب ولو يسيراً بل كان يجاهد بنفسه أثناء إقامته للتحصيل في العاصمة الفرنسية. ولعل هذا الأديب يقرأ هذه الكلمة فيرى في هذه الذكرى ما يجعله يحس حقاً من حقوق الأمة.

وإن أخي أن يجوز كل طرف لمثل هذه الحقائق في شرها ليتبع حصول مثلها وعند أن الصعب من عبارة بعضنا البعض واضطرار الكثير منا إلى الالتجاء إلى الأجنبي يشترى عونه وعنايته بأموال مواطنيه ، وهو لا يعنيه الوطن والحالة إلا ليتسع مصلحته له يعلم من يعلم مقدار خطرها .

ياسين أحمد

إلى الأستاذ الجليل « النشاشيبي »

كثر الجدال في صحة نسبة نهج البلاغة وتكاثرت الأدلة التي ترى أنه الشريف الرضي لا للإمام علي يقرب إن أسلوبه أسلوب العصر العباسي لا أسلوب العصر الأول ، ومن ذلك حججه وبين آثار العصرين ، والثابت من مأثور المحدثين ، وكان من شدة الكلام وسجعه الطول تحكم بأنه مصنوع على الإمام . وإن فيه من الطعن على الصحابة ما ينزه عنه أبو الحسنين ويناقض ما روي عنه (بالتواتر) من الثناء على الشيخين وحبهما والرضا بإمامتهما. وإن فيه أشياء من مصطلحات أهل العلوم التي لم تكن قد وضعت في عهد الإمام أصولها ، ولا اصطلح على تلك الألفاظ فيها ، وإن فيه ما يخالف (طبائع الأشياء) فقد كان الإمام مدة خلافته كلها في حروب ومشاكل لا يفرغ منها ولا يجد متسعاً ولا عالماً لإلقاء خطبة طويلة في وصف الطاووس وأنواع الطير أو البحث في فلسفة اللاهوت — هذه الحجج من بين ، ولكن بقيت حجج دقائقية (رجوبها) مقنعة — وقد كنا في عصر (هو واحد من ملكت أمثاله) اختلف فيه بيننا الخصام واشتد الجدال ، ثم اتفقنا على تحكيم أعلم الناس بمراجع هذا البحث وأوسعهم اطلاعاً عليها ، ومن لوثة فيها القول ، فوجدنا هذا الشرط في حضرة الأديب النشاشيبي

فهل لك ، أستاذنا الجليل أن تقول (كلمة الفصل) في هذا الموضوع فتخدم بذلك الحقيقة والأدب وأهلهما ؟

(العراق) (سائل)

اليونان والبلاغة العربية

ذهب الدكتور طه حسين بك في بحثه الذي صدر به كتاب نقد النثر لقدامة إلى أن قواعد البلاغة إنما أسست على ما وضع أرسطو ، ونقله العرب من اليونانية ، وتابعه على ذلك الأستاذ البشري (الهلال يناير ١٩٣٦) وقد وجدت في المثل السائر

لابن الأثير وهو من أشهر كتب البلاغة والمعتمد فيها نص عن الموضوع ، وأحببت أن أعرض منها من لم يطلع عليها من القراء

قال : « ... إني لم أقف على ما لهؤلاء ، وقفوا على ما وضعه اليونان وتعلموا منه ، وقد أتى في مطرب معاني ، لم يكن (إلى أن قال) وهذا يطل في أنا ، حتى لم أعرف شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ، ومع هذا فانظر إلى كلامي (إلى أن قال) ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام إلى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا (1) وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي علي ، ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته فإنه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد منه صاحب الكلام العربي شيئاً » .

وليس نقض ما رآه الدكتور طه حسين ولا تأييده ، ولكني أردت إطراف القراء

(ع . د)

ترجمات خاطئة في الأزهر بالفرنسية

وقع خطأ في ترجمة الفقرة الأخيرة من مقال مجلة مريان الفرنسية عن هذا الكتاب التي نشرناها في العدد الماضي ، فقد ورد فيه « أنه يكتب ابن الرغبة في الكتابة » والأقرب إلى الصواب « أنه يكتب لأنه يجد لذة في الكتابة »

المحكم في أصول الكلمات العامية

للدكتور أحمد عيسى

من العجيب أن الذين أحبوا على العربية وحصروها أجل خدمات، ليسوا من أولئك الذين وطنوا أنفسهم على درسها، وأفنوا أعمارهم بحثاً في أصولها وفروعها، ونحوها وصرفها، ولكنهم جماعة اتخذوا من حياتهم بعيدة عنها آخر ما يتصل بالثقافة اللغوية، ثم دفعتهم الرغبة النفسية الخالصة فخاضوا لجج البحث اللغوي، وتعمقوا في دراسة فقه العربية وأصولها ومفرداتها، فخرجوا لنا بأبحاث هي أجل ما يقال عنه إن مجمع اللغة بجماعته ومعاجمه لم يلحقها في شيء. ومن في طليعة أولئك الباحثين الأفذاذ (كما يعلم به) الدكتور أحمد عيسى بك، فهو طبيب لامع معروف، ثم هو باحث معروف في اللغة، وقد أخرج في تخصصها مؤلفات عدة، آخرها ذلك الكتاب « المحكم في أصول الكلمات العامية ».

ووضع الدكتور الباحث كتابه هذا ليثبت به كما يقول: أن اللغة العامية التي نتكلمها الآن في مصر ليست بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى، وهي تختلف عن الفصحى في شيئين، الإعراب وتركيب الحروف، على أن أكثر الكلمات العامية التي ينفر منها الذوق الآن ويستنكرها الحس إنما كانت من أفصح الألفاظ العربية، وإن كثيراً مما قد استعمل فيه الحذف اللطيفة والاستعارات المستطرفة التي تعد من أرقى أساليب الفصاحة في الكتابة والكلام.

ولا شك أن المؤلف قد استطاع أن يحقق رأيه بما جمعه وشرحه من المفردات العامية وردها إلى أصولها وبيان ما اعتورها من التحريف، وقد رتب سردها على حسب حروف المعجم، فيذكر اللفظ العامي ومعانيه تحريفه عند العوام، ثم يأتي بالأصل الفصيح مبيناً ما فيه من الحقيقة والمجاز.

والمؤلف طبعاً لم يجمع كل الكلمات المستعملة في لغة العامة ولكنه قد جمع منها ما استطاع أن يرده إلى أصوله في اللهجات العربية، ومنها ما رده إلى أصله في الفارسية واللاتينية والتركية والسريانية وغيرها من اللغات التي دخلت على لهجات المصريين. وقد قدّم المؤلف كتابه ببحث وافر في أساليب التعريب في اللغة وتعدد اللهجات والفصيح منها والرديء، ومخالطة العرب للأعاجم وتحديد الصلة بين العامية المصرية واللغة العربية، وكل هذا بأسلوب سهل مهذب، وذلك ضمن ناحية جاء كتابه نافعاً لا للمشتغلين باللغة فحسب، بل لكل أديب وطالب وقارئ.

تاريخ الطب في العراق

للدكتورين هاشم الوتري و معمر خالد الشابندر

اشترك في تأليف هذا الكتاب الدكتور هاشم الوتري عميد الكلية الطبية العراقية من قبل، والدكتور معمر خالد الشابندر المتخرج في تلك الكلية، وهو بحث تاريخي مفصل، يتناول سير الثقافة الطبية، والأطوار التي اجتازتها في ربوع الرافدين منذ أيام السومريين حتى تأسيس الكلية الملكية في العصر الحاضر.

والكتاب في موضوعه لا يعد من الناحية الطبية، ولكنه صورة رائعة لتاريخ الطب العربي والعراقي. وقد قسم المؤلفان كتابهما إلى ستة فصول. الفصل الأول في الكلام على موضع بدء التاريخ، وما كان له من مجد وعظمة، وما انتابها من الحروب والكوارث؛ والفصل الثاني في اتصال العراق بالثقافة الطبية ومدى ما بلغته في ذلك؛ والفصل الثالث يتناول الأحوال الطبية في العهد التركي؛ والرابع في توحيد المستشفيات والمعاهد الصحية وتوسيع الشؤون الملكية وتقدمها؛ والفصل الخامس في مشروع الكلية الملكية والفكرة في إنشائها؛ والفصل السادس في تأسيس الكلية ومنهجها وأساتذتها ووضع المدرسة بها.

وقد اعتمد المؤلفان الفاضلان في سرد الوقائع التاريخية على المراجع الصحيحة، والروايات البعيدة عن ريب الشكوك

والأوهام ، والشعوذة من الشيوخ الكتاب ، وقد حرصنا في الترجمة لأشهر الأطباء والمترجمين العرب الذين أثروا أسس الطب في المراق ، والعرب يكثير من المدارس ومعاهد والمستشفيات ، كما حرص على نشر كثير من الصور والرسوم للمعالم والشخصيات على عهدهم وأيا من جميع جهاتها ، وخاصة جلية عن وظيفتهم بمعاهد الطب جنة الدنيا في القدم ، وعطاء الطب والمرضى ، وجميع الأطباء والدارسين من أقطار الأرض وأقاصي المعمور .

ساعات في الجحيم

للأديب يوسف حسن السداوي

«هذه شعلة من الحب الأحمر ، منها وجب ترجيه الجميع الشبعة ، ومنها نظر لنظر الحياة الوحشية ، ثم منها نصرة لآلام الجماهير كي هامس أهوال الاستبداد والظلم ، ومنها دماء حيرها إدوار خنجر لإرهاصاته سكم حتى أوشكت أن تغرق الإنسانية في طوفان من النار»

هذه الكلمات تقدم الأديب يوسف حسن السداوي كتابه «ساعات في الجحيم» ، وإنها الكتاب فصل في أطوارها الفكرة التي حملها المؤلف الفاضل بشعور ملتهب ، وعاطفة جياشة ، وثورة عنيفة على الظلم والمرحلة التي دعمها الاستعمار والرجعية والجمود والتعصب ، ولقد حاول المؤلف أن يسوق أفكاره مساق القصة ، وأن يمزج الحقيقة بالخيال حتى تكون تربة صالحة ، ولكنه لا نستطيع أن نقبل كتابه على أنه قصة لها خصائصها ومميزاتها ، إذ تنقصه الحبكة الفنية ، وقوة الحوار والسرد القصصي .

وأسلوب المؤلف أسلوب ملتهب ، أسلوب أديب تفيض حسه عن العاطفية وحب الحرية ، على أنه يهاوي كثيراً عن اللغة ، وهو من محب الخطابة به ، فإن الفكرة لا يمكن أن يتم بها الفنان إلا إذا أظهرها في ثوب من له روعته وله تأثيره .

الليل

للأديب حسين عفيف

هذه قصة ، أو كما يقول المؤلف «شبه قصة» في منظومات عن أبيه من صنيع الخيال . ومؤلف هذه القصة الأديب حسين عفيف كاتب له أسلوب شعري يتميز بالموسيقى والعاطفة ، وله قراء يقبلون عليه ، ويطربون به .

وأسلوب المؤلف أسلوب يجمع بين القديم والحديث ، ويحول حضرته . إنه يلتزم ذلك وفقاً لا تقتضيه رغبة إشاعر الشعر فيه ، والواقع أن البلاغة العربية قواعد مقررة ، وهذه القواعد تحتم على الكاتب مراعاة اللغة في الأداء ، ولكن روح اللغة لا اعتبار لها في تقدير المؤلف ، فكثيراً ما يبرق في تقديمه وتأخيره حتى من غير أن يكون هناك شيء يقتضيه ، بل كثيراً ما يخل بقواعد العربية في سبيل ذلك فيقدم الصفة على الموصوف

إن الكاتب الأسلوبي يجب عليه ألا يكتب للإبهام فحسب ، بل للتأثير الذي هو علة البلاغة وروحها ، ولن يكون التأثير إلا بمراعاة اللغة والقوة والطلاوة ! فإذا كان المؤلف الفاضل يريد أن يظهر بين الكتاب بأسلوبه ، فيجوز له ما يحب من قوة الأداء ، ودقة الصياغة ، وسلامة التعبير ، حتى يتم له الكمال ، والتنميق ليس كل ما هنالك من خصائص الأسلوب ، كما أن الشعر ليس كلها أصداء وألحاناً ، فلا ينبغي أن يكون تمام تقديره كله على هذا التعبير

م . ف . ع

اشتراكات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد ومقدارها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

7me Année No. 336

Lundi 11 12 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

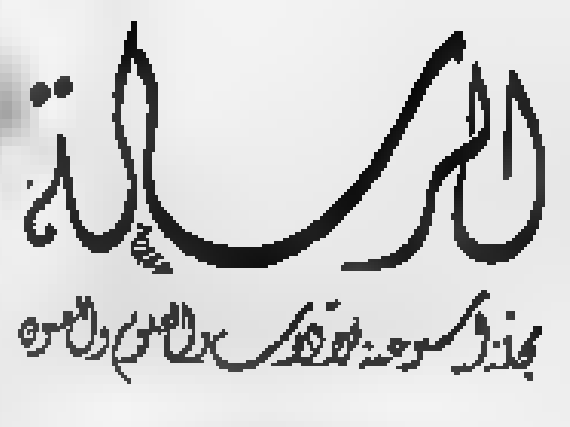

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

سيـــاسة السمك!

« إن عرش خالية سرور الحوت
المسيرة من الرعود » (مثل)

يلتهم الدب الروسي الآن فنلندا كما التهم النمر الألماني من قبل بولندا! وما هذه وتلك – حفظك الله – إلا أكلة اليوم! أما أكلة الغد وما بعده فعلمها لا يزال عند هذين الوحشين اللذين يتقاسمان الخطر المستطير من أوربا الشمالية إلى أوربا الشرقية ومن آسيا الصغرى إلى آسيا الوسطى! والدول الصغيرة ترى هذه العيون المتقدة والأنياب المتحلبة فترتعد فرقاً من الخطر الداهم والعاقبة المبهمة. ولقد كان لهذه الدويلات الصغيرة فيما مضى من الزمن القصير حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة، فكانت تعيش في ظلال الخلق الإنساني العام حرة آمنة لا تخاف من جاراتها الكبرى إلا ما يخافه الصغير من عبث الكبير، والضعيف من عدوان القوي. فلما كفر النازيون والشيوعيون بشرع الله وهو بين الناس، سنوا للعالم سياسة السمك التي تجعل الضعيف طعاماً للقوي، ففسد النظام وفقد السلام، واختل التوازن، واضطربت الحياة، وزال الأمن، وأظلم الأفق، وأصبحت حالة السمك الصغير الرعب مضطرب النفس والحيرة بين حبائل الدكتاتورية التي لا تريد أن تبقي على شيء، وبين الخناجر الديمقراطية التي لا تريد أن تمس على حرب

• • •

كان ضمان العيش والاستقلال للدول الصغرى ذلك النظام السياسي الذي وضعته الدول الكبرى وجعلت تحوطه بالدول ، وحدته بالقوانين والمواثيق والمعاهدات والمحالفات وعصبة الأمم ، فخلقت من بعض هذه الدويلات حدوداً قاسية ، وجعلت من بعضها الآخر أسواراً مشتركة ، حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا تطغى قوة على قوة . ولكن هتلر رسول الشيطان بين الألمان وصحبه يهتفه ، نفس بالموت على الدول الصغرى ونذر ألا يحكم الأرض غير دولتين : دولة متكبرة هي ألمانيا ، ودولة ورثها هي إنجلترا كما كان رأيه بالأمس ، وروسيا كما أصبح رأيه اليوم ؛ فليت شعري ماذا تصنع هذه الدويلات ومصرعها قريب من أعمال الطبيعة لا حيلة فيه لمحتال ، كما يقصر شخص عن شخص ، ويقصر شيء عن شيء ؟ ليس لنا الآن إلا أن نتعوذ إلى الأمم الديمقراطية التي تجاهد في سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها في سبيل نفسها ؛ حتى إذا انتصر الأحلاف على هذا الطغيان المسلح الكافر الأثيم ، نظرت في أوربا وفي غيرها فعالجت بعضها كما عالجت الطبيعة بعض الحيوان والنبات والقرود ، وهو التجمع والتكتل والتعاون فيكون بين البلاد الصغيرة كما بين الدول المتحدة في أمريكا من اتحاد في السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور للتشريع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يغريها الطامع ويغري من جرّائها مواطن السلامة . واعتبر ذلك مثلاً بلاد الوطن الإسلامي لأربعة عشر حاكماً : كمراكش وتونس والجزائر وليبيا ومصر والسودان وفلسطين وسورية والحجاز واليمن والعراق وتركية وإيران وأفغانستان ، إذا انتظمها كلها اتحاد كاتحاد الولايات الأمريكية الثمانى والأربعين ، وعد في حساب من يحسم هذا الاتحاد القائم على ملة القوم أو على نسب الروح من الخير الحاصل للعالم وللعصر القائم للسلام .

* * *

إن الحلفاء الديمقراطيين المنتصرين متى جلسوا إلى مائدة الصلح سيذكرون ما صنعوا في مرة من تقسيم الممالك وتوزيع الشعوب وتركيا في حق الضمير الإنساني والمثل الأعلى دون أن يكون لهم من شر الدول الكبيرة وصرعها تفسير ولا حسم . وسيذكرون ثم يحذرون في هذه الفترة العجيبة التي سورتها من معاهدة فرساي ثم سكتوا عنها في جنيف وأزمتهم حماية السلام وجعلوا في معتقده نوعاً من دروس الشعب والتعذيب والنفي ، وتكرر مرة بعد أخرى أمام المتفرجين فأشرف أولئك ؛ ثم عادوا مرة ثانية تعبث في وجه هتلر فيحكم مهادنة ، ثم أخذوا يعاونونه اليوم مرة ثالثة ضد القارين على ستالين ؛ وأغلب الظن أنه لاستمرار العمل والحاح النشل وتتابع الخذلان لن يستطيع أن يتحرك ثم سيحكم المنتصرون فيما تجوا من (عصبة الأمم) ويحررون

إذا وضعتم الله — أن ينشئوا الأمم الحالية الداعية على قواعد من التركيب لا من التحليل ، ويؤلفوا من الأمم الصغيرة المتجاورة في الوطن والجنس واللغة اتحادات منفعة تتحد في الرياسة والحكومة والدستور ، وتشترك في الدفاع والسياسة والنقد ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذي يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وعلة الأرض

على أننا الآن بسبيل الحرب لا بسبيل السلم ، فلندع حديث الصلح إلى يومه ، ولندع الله مخلصين أن ينصر جنود الديمقراطية على أعوان الطغيان والبغي . فإن أوربا تكابد محنة لا سابقة لها في التاريخ ، وهي بالحق أو بالباطل رأس العالم اليوم ، وقد حملت عنها جنون رجل واحد أن تصبح كلها غرضاً خالصاً للبارود والثلج ؛ فأين تسير في قطر من أقطارها أو في بحر من بحارها إلا الموت مشتملاً بالقتل ، أو كامناً يترصد ؛ وقد قضى عليها جنون الرجل الآخر أن تصبر شهور على شجونه وأحداثه ، وأن يأتيها العذاب الأليم ، وأن يصيب النكبة نكبة العالم أجمع

* * *

إن مصرع بولندا وفنلندا على هذه الصورة الأليمة الآتية أجدر من أنه الدول الصغيرة في الغرب والشرق أن عهد التاريخ والشيوعية معناه عهد الوحشية التي لا تعترف بحق الحياة للفرد ، ولا بحق الاستقلال للأمة

إن الشرف هو معنى الإنسانية وحقيقتها في الإنسان وهو الحارس الحقيقي لأداء الحق وإقرار العدالة ؛ فإذا تخلى الشرف عن الكلمة بين الرجل والرجل ، وعن المعاهدة بين الدولة والدولة ، لم يبق ضمان للحياة والحق إلا القوة ؛ والقوة لا تتيسر لكل حي في كل وقت وفي كل حالة

أحمد حسن الزيات

(حاشية) — وردت في الصفحة الأولى من هذا المقال كلمة (الكفر) بدل (الرق) صواب الجملة ... مما يجب من تكرار الكفاح والرق ... أن كثر بين الكتابة والكلام

كتاب الإمتاع والمؤانسة

مصالحة الأستاذ أحمد أمين

للدكتور زكي مبارك

لم يبق شك في أن الأستاذ أحمد أمين غضبان بسبب المقالات التي جاوزت العشرين ، والتي جرحت عليه بعض من خاطره في مجلة الكتاب وأحدثت بعض « أنصاره » في العراق ، وأخرجته من وقاره فشتمنا في مجلة الثقافة بأبيات جاهلية ، سامحه الله وعفا عني !

وأقول اليوم إني استوحشت ما صنعت — والاعتراف يهدم الاقتراف ، فمن واجبي نحو نفسي أن أتقدم إلى الأستاذ أحمد أمين بعمل صالح يمحو ما فرط مني ، ويرده إلى سابق عهده ميالاً إلى التسامح حين يراني ، ويذكرني بالجميل كما كان يصنع قبل أن أسرف في نقده ما اجترحت ، وليس من الكثير أن أرجو عفوه ، فقد عفا « [illegible] » له من عل

والأستاذ أحمد أمين يعرف أني رجل تعصف به عداوات الرجال وقد عانيت من تلك مصاعب لو صادفت رجلاً غيري لصرعته في أقصر وقت ، ولن يعجز عنه وهو صديق وجاري ، وسبق كان في الجامعة المصرية ، أن يتجاوز عن سيئاتي ، إنه — وله المثل الأعلى — غفور رحيم !

ولكن كيف أتقرب إلى الأستاذ أحمد أمين وهو شيخ يظهر أقسى من الجلمود ؟

أتقرب إليه بالعلم الذي يقول إنه حارسه وراعيه ، فأتقدم إليه بملاحظات على تصحيح كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي نشرته لجنة التأليف بتصحيح الأستاذين أحمد أمين والزين ، كما صنعت يوم صحح صديقان الفاضلان ديوان حافظ إبراهيم ، فقد استدركت على الجزء الأول نشرت في مجلة عرفها الأستاذ أحمد أمين ، ثم صرفتني الشواغل عن النظر في الجزء الثاني ، وسأرجع إليه بعد حين

ويجب قبل الشروع في سرد ملاحظاتي أن أتقدم بأصدق التحية إلى المصححين الفاضلين ، فقد بذلا في إخراج الجزء الأول جهداً لا يعرف قيمته غير من عانى المتاعب في تحقيق بعض النصوص المخطوطة من الأدب القديم ، جزاهما الله خير الجزاء

ويجب أيضاً أن أنبه القراء إلى واجبهم في تشجيع هذه صور عملية أدبية قليلة الأمثال ؛ ورواج مثل هذا الكتاب قد يشجع لجنة التأليف والترجمة والنشر على متابعة السير في هذا الطريق فتنشر من ذخائر الأدب القديم ما يعجز عن نشره الأفراد

وقد يلاحظ بعض القراء أني أتكلف نقل الحق ، ولكنهم سيعرفون أن غايتي صدق حين يذكرون أن أمثال هذه الكتب تستوجب في تصحيحها ونشرها كثيراً من التكاليف

وأعود إلى الموضوع فأقول :

كان في النية أن أنقد الجزء الأول كله ، وهو يحتاج إلى عدة مقالات ، ولكن كثرة الشواغل حالت دون ذلك ، فرضيت منه « البقية الباقية » وهي من عيوب الكتاب

١ — جاء في ص ١٣٢ « طريقة الربانيين » ويقول المصححان الفاضلان إن الأصل « الدبانيين » ولكنهما لم يجداها في كتب اللغة بهذا المعنى

وأقول إن الدبانين جمع « دبّان » وهو الناسك ، وهي كلمة عدية في اللغة العربية ، ولها شواهد في كتب التصوف ، وهي كذلك من الألفاظ المألوفة عند التوحيدي ، وقد استعملها في مواطن كثيرة سأدل عليها إن وجدت ما يوجب ذلك

والديان بمعنى الناسك كلمة عرفها الأدب الحديث فقد رأيتها في مقال نشره الدكتور طه حسين في جريدة السياسة في صيف سنة ١٩٣٦ وهو يقص حكاية دبرت في السخرية من الأستاذين سلامة موسى ومحمد عبد المطلب

٢ — جاء في ص ١٣٣ « وربما يدوكم أن الشعر جملةً » ويقول المصححان الفاضلان إن « يدوكم » هي في الأصل « يولكم »

وأقول إن عبارة الأصل هي الصواب ، ويشهد بها أن المؤلف قال قبل ذلك « لأنكم لا تقولون بالكتب » ولم يفطن المصححان لغرض المؤلف فأثبتا في مكان « لا تقولون » غيره « لا يقولون » وهما غلط المؤلف في صفحة واحدة مرتين

٣ — وجاء في ص ١١٩ « إذا حضرت الحلقة المتعضب » ويقول المصححان الفاضلان إن « الحلقة » هي في الأصل « الحلقة » ولم يجدا معناها فغيراها إلى « الحلقة »

وأقول إن « الحلقة » كلمة يعرفها التوحيدي ، فمن الظلم

تحويلها من وضع إلى وضع ، والتحلّة هي طلبة الهم الذي يحصرون العرض ، وقد وردت بهذا المعنى في ص ١٢٩ إذ يقول المؤلف « وأحضر بركةً في التحلّة »

٤ — وفي ص ١١٢ « فإن عز القائل مشرف في القائل بين تهيج من في القائم »

ونقول إن السياق يوجب أن تقرأ « فإن عز القائل » بكسر لام القائل لا بفتحها

٥ — وفي ص ١٠٩ يحول المصححان الفاضلان إلى « الميساح » من ساح الشجاع ، أراد به من عليهم ، وهذا خطأ في التصريف والصواب أن « المسياح » مصدر ما صبّح بمعنى ساح ، وهو من فعل اللازم لا فعل المتعدي ، والشرح هو الذي أوقع المصححين الفاضلين في هذا الغلط

٦ — وفي ص ١٠٨ « تحب جريدته من اللغو » ويحول المصححان الفاضلان إلى « جريدته » هي في الأصل « جريدة »

٧ — وفي ص ١١٥ « وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة » ويحول المصححان الفاضلان إلى « الترجمة » هي في الأصل « التجربة »

ومن هنا نفهم أن المصححين الفاضلين غلبا النص في موطنين : فالتجربة كلمة مقصودة وضعها التوحيدي والكاتب يجب في الطبعة الثانية أن يبقى كلمة « جريدة » في ص ١٠٨ وكلمة « التجربة » في ص ١١٥ فتصير العبارة الثانية هكذا

« وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل التجربة ، فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل الترجمة »

٨ — وفي ص ١١١ « فما تقول في معان متصورة النقل من لغة يونانية إلى لغة أخرى سريانية »

ويحول المصححان الفاضلان إلى « متصورة » هي في الأصل « محوّلة »

وأقول إن الأصل صحيح وغيره ليس إلا تحكماً في ترجيح غرض المؤلف

٩ — وفي ص ١١٠ « ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال وفيها ما يذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر »

ومن كلام المصححين الفاضلين نفهم أن الأصل عبارة التوحيدي « وفيها ما يمسح ويحزر » وفيها ...

وبذلك نعرف أن وجه المؤلف في التعبير خفي على المصححين الفاضلين ، وتعبير التوحيدي جيد جداً ، لأن ما يحزر داخل فيما يمسح فلا موجب لتصحيحه في التصريح

١٠ — وفي ص ١١٦ « الأعراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة »

ويقول المصححان الفاضلان : « ورد في الأصل بعد قوله « إلا » حرف ألف وذال وهي زائدة من الناسخ والصواب حذفها »

ونقول إن المصححين الفاضلين لم يفطنا إلى أن كلمة « حرف » محرفة ، وصوابها « عاز » ويريد المؤلف أن يقول إن اللغة عاز أي مَعْبَر يصل به إلى المعاني والأعراض

١١ — وفي ص ١٠٩ « الأسماع المصيخة والعيون الحديدة والعقول الحادة والألباب الناقدة »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « المصيخة » كانت محرفة في الأصل ، وأقول يجب أن تصير « مصغية » ليتم الازدواج بينها وبين « مشرقة » ومن كلامهما نفهم أن العقول الحادة هي في معجم الأدباء العقول الحاصفة وأقول إن مراعاة الازدواج مع الناقدة فيحسن أن نقول : « العقول الحصيفة ، والألباب الناقدة » والحصيف له معنى يتسق مع مراد المؤلف ومع أسلوبه في إيثار الازدواج

١٢ — في ص ١٠٦ « ومتى أتقن إنسان هذه الخليقة » ويحول المصححان الفاضلان هذه الخِلقة ، ونقول إن « الخليقة » معناها الطبيعة ، ولها شواهد في آثار القرن الثالث والرابع

١٣ — وفي ص ١٠٥ « وإنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها »

ونقول إن « وضعها » محرفة ، والصواب « رصفها » وهي كلمة معروفة في اصطلاحات الإنشاء

١٤ — وفي ص ١١٦ « لم يبق إلا أحكام اللغة » والسياق يوجب أن تقرأ « إحكام اللغة »

١٥ — وفي الصفحة نفسها « بل واسع للمعنى » والصواب « بل وسيع للمعنى » وقد ورد كذلك في موطن آخر من

الموازنة بين مسكويه والسيرافي (أنظر ص ١٢٦)

١٦ — وفي ص ١١٧ « فهذا جملٌ من كل من بديهته ، وجملٌ من القول الذي أقاس فيه » والقول صواب القائل ، كما يشهد السياق

١٧ — وفي ص ١١٩ « فأما وهو يريغ أن يعبر ما سنحَ بالاعتبار والتصفح »

ومن كلام المصححين الفاضلين عرفت أن « يعبر » أصلها « يرث » ونقول إنهما أخطآ في التصحيح ، لأن « يرث » هي الكلمة التي يريدها المؤلف وهو قد نص عليها في بعض المواضع وكلمة (يعبر) بعيدة المعنى لا تعرفها اللغة

١٨ — وفي ص ١٢٢ « فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو] مريض العقل »

ويقول المصححان الفاضلان إنهما زادا عبارة « صحيح وهو » وتلك زيادة يضيع بها غرض المؤلف لأنه يريد أن يقول : إن الكندي اعتُقد فيه أنه مريض العقل حين جاز عليه التلبيس

١٩ — وفي ص ١٣٤ « يُبلّل الريق ، ويحرارة القلب » ، والصواب حرارة النفث

٢٠ — وفي ص ١١٦ ضبط المصححان « مسكويه » بفتح الميم ، وكذلك صنعا في ص ٣٢ والصواب مسكويه بكسر الميم ، ولقد نص عليه صاحب القاموس ، وقال إنها على وزن سيبويه

٢١ — وفي ص ١٣٧ « ليس للعقل من شعره مثال ، ولا له في برهنه مثال »

ومن كلام المصححين الفاضلين عرفت أن « برهنه » هي في الأصل « عرصته » وأنا أفضل أن تبقى هذه اللفظة كما وردت في الأصل ، ثم نقول « مثال » في مكان « مثال » ونقول « مجال » في مكان « مثال » فتصير العبارة هكذا :

« ليس للعقل من شعره مثال ، ولا له في عرصته مجال »

وفي ظني أن المراد غير ما اختاره المصححان الفاضلان ، أعرف الله لها الصواب

٢٢ — وفي ص ١٣٨ « وكان تجنيّ منك دون تجنيك مني ، لو تكرمت على هذا لتعجبت عليك »

وكلمة « دون » صوابها « فوق » ونقل الرواية بتصحيح العبارة :

« كان تجنيّ منك فوق تجنيك مني ، ولو تكرمت على هذا لتعجبت منك »

٢٣ — وفي ص ١٣٩ « بكته بجرس ينجم ، ويتنمّ ظهره » وكلمة « يتنمّ » من أغلاط الطبع ، والصواب « تيسمُ » من الوسم وهو الكيّ ، مثل قوله بعد ذلك « ويجرح ويُجمر »

٢٤ — وفي ص ١٤١ « وأما النصيبي فدقيق الكلام » و « دقيق » خطأ ، والصواب « رقيق » ورقة الكلام في مصطلح القدماء غير دليل على ... النصيبي

« ينتاك في الفيوليات كلها » والصيغة الصحيحة يسميها التوحيدي « الدين المتين » انظر ص ١٣٣

٢٥ — وفي الصفحة نفسها « إلا أنه يأتي لأن عيادي في كتبه ولزوم ناموسه حق صعب عليه » والسياق يوجب أن نقول « تأتّى » في مكان « يأتي » والتأتي هو التلطف

٢٦ — وفي ص ١٤٢ « إن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرأون ولا يعتصون ولا يناظرون ولا يُكرّمون ولا يحصّلون خيرٌ من هذه الطائفة »

ومن كلام المصححين الفاضلين عرفت أن « لا يُكرّمون ولا يحصّلون » أصلها « يلزمون ولا يفضلون »

وأقول إن الصواب « ويُلزّمون ولا يَفصلون » والمعنى أنهم يُلزّمون الصمت ولا يستطيعون الفصل ، وهو الحكم والتمييز بين مختلف الأغراض

٢٧ — وفي ص ١٤٣ « وتُحيينُ مطال به عند حومتك وبعدك »

كذلك ضبط المصححان عبارة « تُحيينُ المطال » والحق غير واضح ، وأنا أحب أن تكون « وتُعجيل المطال »

والمطال بفتح الميم هو المطولة ، وهو يتسق مع المراد

* * *

أما بعد فهذه سبع وعشرون ملاحظة عرضت لي عند قراءة « الليلة الثامنة » من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، وفي هذا الفصل نفسه أشياء سكتنا عنها لأنها قليلة الأهمية

وهذه الملاحظات حقيقة بأن تصلح ما بيني وبين الأستاذ أحمد أمين ، فلن أتعقب بالإصلاح مآخذ الكتاب كله

ولكن أين الوقت ؟

الوقت عند صديقنا الدكتور بشر فارس ، وهو قد عزم على مراجعة كتاب التوحيدي ، وأنا أنتظر أن يكون بحثه أوفى وأشمل ، لأنه يملك من الفراغ ما لا أملك

* * *

أعتب كثيراً على الأستاذ أحمد الزين وهو المسئول الأول عن تصحيح هذا الكتاب .

ألا يرى هذا الصديق أن بعض التصحيحات غلب عليه الارتجال ؟

وإلا فكيف جاز أن يكون للسماع حق سماع ؟ وكيف جاز أن يكون الفعل بعض الفاسك أمراً غير معروف ؟

وأمثال هذه الأغلاط تشهد بأن الأستاذ أحمد أمين لم يشترك في التصحيح بطريقة جدية ، لأن من كان في مثل علمه وحسه لا يخفى عليه هذه البديهيات

* * *

وفي ختام هذا البحث أعتذر للقراء من مواجهتهم في شؤون لا يدركها غير من يملك نسخة من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نظراً للثقة بأنهم لن يصبروا على أنفسهم بنسخة من هذا الكتاب للوقوف معهم عند هذه الملاحظات

وهناك إعلان نشر في « الرسالة » بإعلان مسابقة التصاعد الأدبي بين الأزهريين والناشئين ، فهل يكون القراء عند الظن الجميل فيتسابقوا على اقتناء هذا الكتاب ؟

إن ثمنه لا يزيد على ثمن أربع علب من السجاير المصرية ، فأين من يفكر في صحة العقل كما يفكر في صحة الجسم ؟ سارعوا إلى اقتناء الكتب الجيدة فهي أغذية العقول

زكي مبارك

البغاء في أوربا

للمستر ابراهام فلكسنر

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدي

سنفترض موضوع البغاء في الصحائف التالية على أساس التجارب العلمية في الأمم الأوربية. وسينصرف الجهد إلى تعيين أنواع البغاء ومدى انتشاره والأسباب التي زادت انتشاره أو قللته من خطره، وإلى تعيين الحدود التي حددتها الهيئات المختلفة حيال هذه الرذيلة والوسائل التي عمدت إليها لمحاربتها ودرءاً للإشراف على تنظيمها والنتائج التي أسفرت عنها هذه الجهود.

وسيضاف إلى هذه التحقيقات نتائج بحث شخصي وتجارب وملاحظات في المدن الكبرى من انكلترا واسكتلندة وفرنسا وإيطاليا وسويسرا والسويد وألمانيا والنمسا والمجر وسائر الأقاليم التي يطلق عليها اسم أوربا الغربية والتي ينعقد التشابه بين بعضها وبعض في حياتها الاجتماعية ومُثُلها الوطنية العليا وصناعتها السياسية.

ولكن القوانين في تلك الأمم نفسها ليست متماثلة المواقف حيال مسألة البغاء؛ ومن أجل ذلك اختلفت الأفكار الغربية عن هذه الفكرة بين بعضها وبعض اختلافاً بيناً، ففي البعض أدت إلى حكم قوي، وفي البعض الآخر أدت إلى زيادة انتشار الرذيلة نفسها. على أنه بالرغم من اختلاف هذه النظم فقرار هذه الرذيلة متشابه من حيث النشأة بحيث يسمح بالوسيلة المختارة للعلاج في رأي هذه الكتب لجميع هذه الأمم. وإني محاول في أثناء البحث وجوه الاختلاف، وإن تكن وجوه الائتلاف نفسها دالة على وجوب اتخاذ وسائل متوافقة لمكافحتها، فإن البحوث المتعمقة أسفرت عن تطابق بين هذه الأسباب إلى درجة أكثر مما كان منتظراً. ذلك أن البغاء ينطبق عليه المثل القائل «لا جديد تحت الشمس» أكثر من انطباق هذا المثل على أي أمر آخر. كما دلت الكتب التي خلفتها القرون الوسطى في شأن البغاء على تطابق عجيب في حالة هذه الرذيلة بين تلك العصور وبين العصور الحاضرة.

وإن وجوه الخلاف التي سبقت الإشارة إليها في الأمم التي ذكرناها إنما تتعلق بوجوه النظر فيها وإن في حالة انتشار الرذيلة وإن في السياسة التي تتبع حيالها، لأن الشعوب تختلف بعضها عن بعض في سبيل الاستقلال والتلاشي، فقد ترتب على تطور الأمم انتشار الأفكار الديمقراطية ووجد الحكم الدستوري ولقي مسلحاً من ذلك تبديل في القواعد الخلقية، وبخاصة بعد أن شاع مبدأ التساوي بين الجنسين، فإن العامل الاقتصادي وحب سلوك مسلك متحد بين هذه الأمم تقوم على اعتبارات إنسانية أساسية، وإن الذي يدرس هذا الموضوع الخاص الذي نشتغل بدراسته الآن ليدهشه اتفاق الناس أكثر مما يستوقف نظره خلاف البيئات المختلفة أو الاعتبارات الأصلية في موضوع التعليم الذي يتبع في جلاسجو ومنه في بودابست.

ومن أهم ما يلاحظه الناظر في هذا الموضوع عن كثب أن البغاء في أوربا الغربية قد تطورت في مدى القرون القليلة الماضية على نظام واحد بين أممها المختلفة. وليس ذلك عجيباً، فإن مدى انتشار هذه الرذيلة مرتبط بمقدار اتساع المدن لأنه بعض ظواهر المدنية. ولقد كانت المدن في أوربا الغربية في العصور الوسطى كلها مدناً صغيرة. أما المدن الكبرى في تلك العصور فقد كانت كلها إسلامية، فقد كان عدد السكان في كل من القسطنطينية وبغداد والقاهرة يربي على المليون. وكانت كل من القيروان وقرطبة يربي عدد سكانها على نصف المليون في حين كانت باريس لا يكاد يصل عدد سكانها إلى ٠٠٠ر٢٠٠ وجنوا ٠٠٠ر٥٠ ولوندرا ٠٠٠ر٣٥ وكولونيا ٠٠٠ر٣٠ وهامبورج ٠٠٠ر١٨ ونورمبرج ٠٠٠ر٢٠. أما المدن التي لا تتصل بالمواصلات المائية فلم يكن عدد السكان في أحسن الأحوال يزيد على ٠٠٠ر٢٥. وكثير جداً من المدن التي تعتبر الآن ذات أهمية لم يكن عدد سكانها في القرون الوسطى يزيد على ٥٠٠٠. وما من شك في أن اتساع المدينة يؤثر في صفة مدنيتها وكيف عيشها. فإذا نظرت إلى موضوع الدعارة في أوربا في القرون الوسطى وجب أن تعتبر مدنها إذ ذاك لم تكن إلا قرى يعرف بعض أهلها بعضهم الآخر، وكان كيان الأسرة لا يزال متيناً. ولقد يقال إنه كان في الطبقات العليا كالسلاطين والحجاج والجيوش ولكن جزؤهم لم يكن كثيفاً. وعلى أية حال فقد كان البغاء معروفاً كحقيقة لا تنكر. وكانت الدعارة في العصور الوسطى ذات نوعين أساسيين: نوع مستوطن ونوع متجول. أما الأول فيشمل النساء اللاتي يقمن في المواخير أو القرى في مدة كل مدينة. وقد لا تكون الإقامة على صورة ثابتة

وعدد الجيوب ... الواحد. وأما النوع الثاني فكان من المتبرجات اللواتي يخرجن على صورة غير رصينة يعسكرن الجيوش التي كانت في تلك العصور كثيرة التجوال في الفترة أو اللواتي يخرجن كذلك على صورة غير رصينة بالطبع رجال الطوائف الدينية الجائلين في جوامع الوعظ ... لشدة ضربها. ومهما يكن من أية حال فإن العامة كانت امرأة موسومة في العصور الوسطى التي امتازت بقلة عدد السكان في مدنها وما كان ليخفى هذا الوسم سواء بين المتبرجات أو المتجولات

وحتى لو أن إحداهن كانت تزاول عملها سراً مستترة ما تقوت ... وتوصف بالخطر، وبخاصة إذا كانت عشرتها لأنها في هذه الحالة تكون بجب بشكل ثيابها ومظهرها ومسكنها وطبيعة عملها الخارجية، وكان الفارق في العصور الوسطى شديد الوضوح بين المرأة المتبرجة والمرأة الصالحة

أما في العصور الحاضرة فالتناقض يتبين من هذه النواحي الثلاث كبيرة وقد أصبحت الأساس عليه سواء تقوم منها معالم الحواشي الزركشة، فالفروق المتعلقة المكية بين المدينة في العصور الوسطى وبين المدينة في العصور الحديثة قد رتبت فروقاً متعلقة بالكمية في أمر البغاء

في ... أصبح معالم الأسرة يسمح بأن يحصل منها ألوف من الناس تتفاوت درجات الصداقة بينهم كما تختلف الشعور بالمودة نحوها وبينهم الفتيات والفتيان وسلوكهم في ظروف تقضي على الأخلاق بالانحلال

وقد أصبحت المدن الكبرى في العصور الحديثة في حالة أشد ... بسبب الهجرة إلى الريف وإليها وأوجدوا إما للأعمار وإما للهو وإما للكسب

ثم إن الأوساط الضيقة المحيط فإن كيان الجماعة فيه لا يزال على صلابته، فأفراد هذا المجتمع معروف بعضهم لبعض، ... المشتركة ومنهم الأخلاقية لأنها تخضع لتقاليد واحدة أو متقاربة من شأنها أن تسيطر على الأعضاء الضعفاء من هذا المجتمع وعكساً من ذلك فإنه مهما يكن وصف هؤلاء الأفراد فإن بعضهم معروف لبعض

وأما في المدن الحديثة، وكل منها ... مصرية وهي التي أعدت منها الآن، فإن المرء منه لا يعرف جيرانه الأقربين. وهنا نعد وسائل الإغراء بقدر ما نعد وسائل الكبح والمنع ... حوال

لست ... التي ... الشعور بالمسئولية ... إلى حد ارتفاع هذا الشعور

ومن هنا يتبين أن ... في مدينة ... من شأنه أن يقلل إمكان التمييز بين رجالها ونسائها إلى طبقات من حيث ... أو الرذيلة. ومن شأنه أيضاً تسهيل ... للتلاق وهذا ... أساسي عظيم في موضوع ... بين العصور الوسطى وبين العصر الحاضر. فهذه كانت في العصور الوسطى محدودة واضحة وهي الآن لا ... ولا محدودة

وثمة حقائق تقاس الرذيلة ... لا يستطيع حصرها ... التي فيها ثلاثون امرأة ... وعدد سكانها ٣٠٠٠ يبدو ... النسبة ... مع المدينة التي فيها من ... خمسة آلاف وعدد سكانها ... مليون. وذلك لأن النسبة ... واحدة في ... ولكن ... على الرغم من الاحتفاظ بالنسبة ... تؤدي إلى ... أمر ... في المدينتين، ... الإجراء الذي ... المدينة ... ثلاثين ... من ... هو ... خمسة آلاف ... في مدينة كبيرة. وكذلك ... المسألة من النواحي الاقتصادية والإدارية والصحية ...

(يتبع) محمد عبد اللطيف ...

الفروق السيكولوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

كان كاتل[1] السيكولوجي الأمريكي الشهير معاصراً لجولتن ومن تلاميذه وأتباع منهجه وشغفت باستيعاب موضوع الفروق السيكولوجية. درس كاتل في معمل جولتن بلندن، كما درس علم النفس التجريبي على يد شيخ Wundt الألماني في معمل علم النفس الذي أسسه في ليبزج Leipzig وتأثر به.

وتعتبر تجارب جولتن وكاتل أول مجهود علمي منظم في موضوع الفروق الفردية. وحدثنا البروفسور ثورنديك[2] تلميذ كاتل عن أستاذه فيقول «حصل أستاذي كاتل من طرق جولتن التي استخدمها في قياس الفروق السيكولوجية بين الأفراد، وحفز أعوانه العلماء بما ابتكره من مقاييس القوى العقلية المختلفة وبذلك جعل دراسة الفروق السيكولوجية فرعاً مستقلاً من فروع علم النفس. وكانت أبحاثه في الفروق العقلية ومقاييسها أول حلقة من سلسلة حلقات البحوث التي توالت بعد ذلك في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر. وبذلك وضع كاتل أساس موضوع السيكولوجية الفردية Individual Psychology». ويعزى إلى كاتل أنه أول من وضع اصطلاح «المقاييس العقلية» Mental tests. وذلك في سنة ١٨٩٠ حين طبع ملخصاً لتجارب مقاييس[3] الذكاء التي أجراها في مجلة علمية يصدرها

وكانت تجارب كاتل التي أجراها لمعرفة الفروق السيكولوجية منصرفة لقياس الذاكرة، والخيلة، وحدة البصر والسمع، ومقارنة الألوان والفاصلة بينها، والدقة في إدراك الأصوات والأوزان، والإدراك الزمني، ودقة إحساس الألم، وسرعة الإدراك الحسي، وسرعة الحركة ودقتها وتكييفها، وزمن الرجع أو رد الفعل Reaction time.

ولكن ما وجه من انتقاد إلى هذه التجارب التي أجراها كاتل أنها أولاً: إنما تقيس فقط العمليات العقلية البسيطة كالذاكرة مثلاً، أو الخيلة، أو قوة الإدراك. وثانياً: إن الطرق الإحصائية التي استخدمت مع هذه التجارب لم تكن مضبوطة ومحدودة بحيث يعطى نتائجها حكماً صحيحاً على ذكاء الأفراد. ولذا فلا يمكن الاعتماد عليها في معرفة الفروق العقلية.

أكثر كاتل استخدامه زمن الرجع ضمن مقاييس الذكاء لاهتمام معاصريه ومن تبعه من العلماء حتى أصبح زمن الرجع مقياساً لقدرة الفرد على التمييز والاختيار وسرعته فيهما. وتستعمل لذلك آلة كهربائية خاصة يتصل بها مسجل الزمن Chronometer ويجلس المختبر أمام هذه الآلة، ويطلب إليه المختبر أن يضغط على زر خاص في الآلة إذا رأى علامة خاصة كعلامة X أو علامة O مثلاً. ويثبت مسجل الزمن الفرق بين ظهور هذه العلامة وبين ضغط الزر، أي الزمن الذي استغرقه الفرد من حين رؤيته العلامة إلى أن يحدث رد فعل منه (أو رجع) لهذه الرؤية بضغط الزر. ومثل هذه التجربة تجرى في قياس زمن الرجع السمعي أو اللمسي، أي الذي تكون فيه العلامة شيئاً يسمع أو يلمس.

وقد تكون التجربة أكثر تعقيداً فيطلب من المختبر مثلاً أن يضغط الزر (ا) إذا كانت العلامة المعروضة X، والزر (ب) إذا كانت العلامة O، وبذلك يكون على المختبر أن يميز أولاً العلامة وأن يختار ثانياً الزر المناسب لها.

وبالرغم من شيوع تجارب زمن الرجع وشغوف(?) وتسجيل نتائجها ووجد بينها وبين الذكاء من التلازم الاطرادي إلا القليل بمعنى أنه لا يلزم أن يكون الذكاء أكثر كلما كان زمن الرجع أقصر. والواقع أننا لا نعد الآن بين مقاييس الذكاء الحالية مقاييس زمن الرجع التي استخدمها كاتل.

ويعود كاتل فيعترف بأن مقاييس زمن الرجع، ومقاييس الإدراك الحسي وغيره من الخواص الفردية ما قصد بها في الأصل قياس فروق الذكاء بين الأفراد، وإنما استخدمها لأنها تدخل ضمن موضوع علم «طبائع البشر» Anthropology الذي كان معنياً بدراسته.

---

(1) Mck. Cattell ولد سنة ١٨٦٠

(2) E. L. Thorndike أستاذ علم النفس في جامعة كولمبيا بأمريكا

(3) أنظر Mind الجزء ١٥ سنة ١٨٩٠ صفحات ٣٧٣ — ٣٨١

وعلى أية حال فقد كان لبحوث كاتل في الفروق الفردية أثر واضح في اتجاه التفكير العلمي. ففي سنة ١٨٩٠ عهدت « الجمعية السيكلوجية الأمريكية » بلجنة تعمل على إيجاد الصلات والتعاون بين معامل علم النفس الأمريكية لكي تجمع المعلومات الممكنة عن الصفات العقلية والجسمية المختلفة للأفراد، وتدرسها درساً علمياً إحصائياً. وكان كاتل عضواً في هذه اللجنة. وكذلك اهتم معهد التعليم بمعرفة الفروق السيكلوجية بين الطلبة وغيرهم. ففي سنة ١٨٩٩ أجرت جامعة شيكاغو تجارب لقياس ذكاء طلبتها وميولهم الخلقية Character

لم تكن دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد — بطبيعة الحال — قاصرة على انجلترا وأمريكا، فإننا نجد في فرنسا عدة محاولات لمعرفة أثر كل من البيئة والوراثة في الفرد، كتلك المحاولات التي قام بها جولتن في انجلترا، فقد ظهر عدد من الكتب حول هذا الموضوع منها كتاب « تاريخ العلم والعلماء خلال القرنين الماضيين[1] » درس فيه المؤلف حياة كل عالم وأسرته وبيئته والعوامل التي أثرت في تكوينه. وكتاب « العلاقة بين الوراثة وانتخاب الأصلح من البشر[2] »، وكتاب « أصل عظماء الرجال، ورجال الأدب الفرنسي المعاصرون[3] ».

تابع كاتل بعناية ما ظهر من بحوث — أثر البيئة والوراثة في إيجاد الفروق بين الأفراد. ففي سنة ١٩٠٦ كتب في مجلة « العلوم » Science موضوعاً تحت عنوان « بحث إحصائي في حياة رجال العلم الأمريكيين[4] » ذكر فيه أنه قد جمع أكثر من ألف من العلماء البارزين وأماكن إقامتهم وعوامل الوراثة في حياتهم وعوامل البيئة وإنتاجهم.

وقد أثارت النتائج التي وصل إليها بحث القراء. فقد وجد أن عدد العلماء في ولاية ماساشوستس ١٠٨٫٠ في كل مليون من السكان، بينما هم ٨٦٫٩ في كل مليون في ولاية كونيكتكت، و ٥٫١ في كل مليون في ولاية (...)، و (...) في ولاية مسيسبي. واستنتج من هذا الإحصاء أن هذا التوزيع النسبي لرجال العلم بين الولايات يدل دلالة قوية على أن الاختصاص العلمي Scientific ليس وراثياً كما قال جولتن وودز، ولكنه من المعقول أن ثمة فروقاً وراثية كبيرة بين الأسرات في الولايات المختلفة تسبب هذا الفرق النسبي الكبير بين عدد رجال العلم الذي قد يبلغ في ولاية مائة مرة عددهم في ولاية أخرى. صحيح قد يكون لجنس الزوج أثر وراثي في ذلك، ولكن الإحصاء لا يثبت ذلك. ويظهر أن العوامل الأساسية في المواهب العلمية والإنتاج الفكري هي الثروة، وازدحام السكان، والفرص الاجتماعية، والمؤسسات العلمية، والتقاليد، والمثل العليا للمجتمعات، وقد يمكن إرجاع كل هذه العوامل في النهاية إلى الوراثة الاجتماعية[1]، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأننا إذا أعطينا أي جنس فإنه من الممكن بتسليط العوامل البيئية عليه أن نزيد في عدد ذوي المواهب العلمية كما نشاء، وإن كان هذا ليس معناه أننا نستطيع تحسين هذه المواهب إلى الصفة المناسبة من أنه لا يوجد فرق كبير بين مقدرة العالم في هذه الولاية، ومقدرة العالم في الولاية الأخرى. ومعنى هذا أن الإنتاج العلمي هو أثر من آثار البيئة لا الوراثة ». ثم يقول في مكان آخر « والرأي عندي أن أنواع المواهب والغالب إنما هي وراثية، أما الاختلافات التي تأخذها هذه المواهب، فإنها خاضعة لتأثير البيئة ».

وبالمقارنة بين مذهب كاتل ومذهب جولتن وودز نجد أن الأول يرى أن الظروف والبيئة لها أهمية كبرى في الإنتاج العلمي Scientific achievement، وأن عامل الوراثة فقط لا يكفي لتعليل النبوغ العلمي. لم ينكر كاتل الوراثة وأنها العوامل الأولى التي تعمل منها خواص الفرد، ولكنه يؤكد أن الفروق الفردية في نواحي الإنتاج والابتكار والخلق إنما هي من صنع البيئة.

وفي سنة ١٩١٥ نشر كاتل بحثاً جديداً عنوانه: « أسرات العلماء[2] الأمريكيين »، واستخلص في بحثه هذا أن ٤٣٪

(١) المقصود بالوراثة الاجتماعية Social heredity وليس المقصود هنا ما ذكر أولاً

(٢) Families of American men of Science

(١) Histoire des Sciences et des Savants depuis Deux Siècles, par de Candolle

(٢) Etudes sur la Sélection dans ses Rapports avec l'Hérédité chez l'homme par Jacoby, 1881

(٣) Genèse des Grands Hommes, Gens de lettres Modernes par Odin, 1895

(٤) Statistical study of American men of Science

من آباء هؤلاء العلماء كانوا من الموظفين وذوي الحرف غير اليدوية وأن ٣٥ر٧٪ من التجار والصناع ، وأن ٢١ر٣ من الزراع ويعلق كاتل على هذا الإحصاء فيقول : لو أن ظروف الحياة الاجتماعية ، والفرص التربوية خاصة ، كانت متشابهة بين هذه الطبقات الثلاث لكان توزيع النسبة المئوية رجال العلم معادلاً ، ولما وجد ذلك الفرق بين رجال طبقة وأخرى . ولا يمكن أن تكون الوراثة هي التي أوجبت هذا التوزيع ، لأن معظم سكان القارة الأمريكية كانوا منذ قرنين من مستوى واحد تقريباً جسمياً وعقلياً . ويؤيد رأي كاتل هذا إحصاء آخر عمل سنة ١٩٣٣ ظهر منه أن أقل الولايات علماء Scientists أكثرها تأخراً في التعليم

وقد اقتفى أثر كاتل غيره من علماء النفس ، فاستخدموا مقاييسه وأخرى شبيهة بها في معرفة الفروق السيكلوجية للأفراد ومقاييس لقياس الإدراك الحسي وسرعة الحركة والتعب على تكييفه

ومن هؤلاء العلماء جاسترو Jastrow الذي اشترك بمعرض شيكاغو العالمي الذي أقيم سنة ١٨٩٣ بمعامل (تجارب) يستطيع به أن يجري بعض الاختبارات على من يتقدم إليه نفسه من زوار المعرض . وكذلك أجرى جلبرت Gilbert بعض الاختبارات على بعض تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات لقياس الطول والوزن والقوة الرئوية ودقة الإحساس وزمن الرجع والتأثر بالإيحاء . وقارن نتيجة هذا كله بآراء المدرسين . ونشر في ذلك بحثين الأول سنة ١٨٩٤ بعنوان « بحوث في النمو العقلي والجسمي لأطفال المدارس[١] » والثاني سنة ١٨٩٧ بعنوان « بحوث سيكلوجية في أطفال المدارس وطلبة الجامعات[٢] »

(بخت الرضا) السودان — عبد العزيز عبد المجيد

(١) Researches on mental Physical Development of School of Children

(٢) Researches upon School Children & College Students

كتاب «الدين الإسلامي»

عودة إلى موضوع قديم: إصلاح علمائنا ورجاله

للأستاذ علي الطنطاوي

أما والله لولا اعتقادي بأن شباب المسلمين قد أحوج اليوم إلى هذا الكتاب منهم إلى الخبز الذي يأكلونه والهواء الذي يتنفسونه، ما عدت إليه بعد أن تكلمت فيه، ولا ألححت عليه (هذا) الإلحاح، بعد أن وصفت من مزاياه (ذلك) الإعراض. وإني لأومن بما أقول، لا أبالغ ولا أغلو، وإن الهواء وعنصر حياة الشاب في هذه الدنيا، ولكن بهذا الكتاب حياته في الأخرى وما الدنيا في الآخرة إلا قليل، ولا يؤثر الفانية على الباقية إلا جاهل أو غافل. ومن أبى هذا وهو ... الشباب وخالطوهم وأصغوا إليهم وأحصوهم، يجدوا الكثرة منهم تجهل العلوم من مبادئ الإسلام وتنكر المعروف من أحكامه، ولو جسوا فيهم من لا يعرف إذا أراد الصلاة كيف يصلي، ومنهم من لا يفرق بين كلام الله والثابت من حديث رسوله، وشروح الأئمة المعتبرين، وبين كلام المتصوفين والدجالين، ويجمع ذلك كله في سطر واحد فيقرؤه جملة أو يطرحه جملة، ثم لا يعمل بشيء منه، ولا يراه لازماً له في حياته، ولا مرتبطاً في معاشه ورزقه، ولا يدخله في عمله الأمور الجدية التي يطلب حاجته ويعمل فيها همه ... وإنما يتكلم أحدهم في الدين بلغة الحياة أو بأساليب السياسة، أطلع ما حفظ من أقوال الأوربيين والناقلين في صحفهم من المفرنجين.

وقد هداني المفهوم المشهور الذي لا يحتاج إلى بيان أن هؤلاء الشبان لا يمكن أن يقرءوا كتب الفقه والتفسير والحديث ولو طبعت لهم على ورق أبيض، فأخرجها مما يعرفونها به من أنها (كتب صفر) ولا يمكن أن يجلسوا المسجد فيستمعوا فيها دروس العلم، أو يحضروا مجالس الوعظ، لأنهم نفروا منها وأبعدوا عنها، ولا يمكن أن يحضروا علوم الدين في مدارسهم (المدارس) الرسمية، لأن القائمين عليها، في مصر والعراق وفلسطين، لم يخصصوا إلى اليوم بأن الدين علماً محترماً يستحق أن يعطى في درسها سبع ساعات في الأسبوع، ولم يروا في علوم الدين ما هو أهل بأن يعنى به كعنايتهم بالرسم والغناء، ونسوا أو لم يعلموا أن من الأوربيين من عني بهذه العلوم ووضع من شرحها وحل مشكلها، وأن رجلاً جرمانياً اسمه (برجستراسر) قدم علينا الشام منذ سنوات، عرفنا بنفسه، وأرانا بطاقته وإذا هو قد كتب عليها (فلان متخصص بقراءة القرآن) يفخر بذلك ويعتز به، وسأل عن الذي طبع كتاب (النشر في القراءات العشر) فدللناه فأكبره وعظمه، وعلمنا بعد أنه على علم القراءات يعرف رواياتها، ويقرئ القرآن، وقد كتب في هذا العلم عنده، ومن شباننا من لا يعرف ما الإدغام وما الإخفاء، وما المخارج وما الأداء، ويرى مفتخراً بذلك ... لأنه لا يشتغل به (على ما أفهموه) إلا دعيّ غير متمدن، وشيخ جامد ... وأمثال (برجستراسر) أكثر من أن يحيط بهم حصر.

* * *

أصبحت الحرب على الإسلام منظمة مرتبة قوية، تأتيه من كل صوب، وتهاجمه من كل ناحية؛ من ناحية الأخلاق بنشر الفسوق والفجور، وتهوين أمر العرض، ونشر أدب الشهوة، وصور العراة؛ ومن ناحية العبادات بصرف الناس عنها والترغيب عنها؛ ومن ناحية العقائد بإرسال الشكوك عليها، ووضع الشبه من حولها؛ ومن ناحية العلم، بإبعاد الناشئة عن علوم الإسلام، بصرفهم عن كتبه، وتحقير حملته في أنظارهم. فماذا عمل علماؤنا حيال ذلك كله؟

لا أشك في جلال العمل الذي قام به الشباب في مصر والشام ولا أبخسهم حقهم، ولا أنكر جهادهم، وإن للإخوان المسلمين في مصر، والشبان المسلمين في مصر وفي غيرها، والشبان الأزهر، وشباب محمد، والتمدن الإسلامي في الشام، (دمشق

وخطب ويبروت) وأمثالهم ممن لتحصرت غر أذكر، أو جهلت غز أمره، إن لم ء عنه ذكراً في الناس وعداً، وثواباً عند الله وأجراً؟

ولكن كلامي هنا عن (كبار العلماء) ماذا صنعوا في رد هذه الطلاب؟

أو أقل من أن يؤلفوا للشاب المسلم كتاباً يعرف به دينه بما ألهمه الله الرجوع إلى الهدى، ويخلصه من كيد الشياطين!

* * *

لقد فهمت من الرسائل الكثيرة التي جاءتني وبحثت في فكرة تأليف الكتاب أن الذي منع العلماء من تأليف هذا الكتاب أن منهم علوماً متحجرة، وعلوماً متباينة، فهم لا يعرفون أي أسلوب الكتاب منها أن حديثاً، أو أصول فقه، أو مصطلح حديث؟

وهذه إلى نكتي في (الخطة) فإن صديقي (موسعت) التي يقتضيها يعدل الله

يقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب كبار: باب العلم، وباب العمل، وباب الاعتقاد

في (باب الاعتقاد) يبين للشاب كل ما يجب عليه الإيمان به بأسلوب (عصري) بيّن، بعيد عما أحدث من الخلاف، يعرض فيه عرضاً لأهم الشبه التي ترد كثيراً فيجاب عنها جواباً حاسماً بأنّ، ويكون (مقصد) هذا الباب تكليف الشاب بالإيمان بما لا يكون أقلّ منه النجاة في الآخرة، وهو الذي جاء في الكتاب والحديث المتواتر الذي يفيد العلم، أما ما لم يثبت بالتواتر كنزول المسيح، وظهور الدجال، ولا يكفر منكره، فلا يبحث فيه في هذا الكتاب

وفي باب العلم يبحث في الأصول والمصطلح مع طرف من علوم القرآن، ويكون على فصول:

الفصل الأول: في الأدلة مجملة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وبيان منزلة العقل من الشرع، وأن الحسن ما رآه الشرع حسناً، وأن العقل شارح لا شارع

الفصل الثاني: في القرآن، وروده ووجوه مكيه ومدنيه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه (مع بيان أن النسخ الذي هو إبطال الحكم السابق وإلغاؤه بالمرة قليل جداً)، وحكمة التنجيم، وإعجاز القرآن، من جهة عجز فصحاء العرب (القول) عن محاكاته، ومن جهة ألفاظه وأساليبه، وعلاقته بالشعر والنثر العربيين، ومن جهة إخباره بالغيبيات، وإشارته لبعض نواميس الكون التي لم يكن يعرفها على عهد محمد بشر على ظهر الأرض، ومن جهة إحاطته بكل شيء وأن فيه الإيمان والعلم والقانون والأخلاق مع أنه ليس كتاب تاريخ ولا علم، وما أورد القصص وإنما ضرب الأمثال أمثلة، وأمر بالنظر في نواميس الكون لإدراك عظمة الخالق. والتفسير والمفسرين ومناهجهم، والقراءة والأحرف السبعة والقراءات السبع وأنها ليست هي الأحرف السبعة وإجماعها على حرف واحد، وعربية القرآن وترجمته، وأن ترجمته غير ممكنة لمكان التشابه منه، ولأن الترجمة لا يمكن أن ينبع التعبير حصلاً من القرآن لأنها تفقده أحد عنصريه: وهو (موسيقية) الألفاظ ـ ثم شرح آيات من القرآن

والفصل الثالث: في الحديث، المتن والسند، ورجال الحديث وأقسامه المتواتر والمشهور والصحيح وما دون الصحيح: والموضوع والموقوف والمرسل، ومن دونه وكتبه وما يوثق به منها، وصحيح الرواية عنه مع شرح كاف منه

والفصل الرابع: في الاجتهاد، معناه وشروطه، وكبار المجتهدين، وأسباب الاختلاف بينهم، وكون الاختلاف في تأويل آية أو فهم حديث، لا في الأصول، وحكم التنقل بين المذاهب

والفصل الخامس: في الإجماع وفي شرح القواعد الفقهية العامة كالمواد التي في صدر مجلة الأحكام الشرعية التي يفهمها الناس على غير وجهها، فيحسبون أن قولهم (لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان) معناه تبديل كل حكم، مع أن الحكم الثابت بالقرآن والسنة الصحيحة القطعية لا يمكن تبديله. وفي المجلة أيضاً أنه (لا مساغ للاجتهاد في مورد النص)

والفصل السادس في نظرة الإسلام ونظره إلى السياسة والقوانين والإدارة والأخلاق

و (مقصد) هذا الباب أن يعرّف الشاب القارئ الكتاب كل ما ينبغي للمسلم أن يكون ملمّاً به باختصار ووضوح ، ويبعد عن المصطلحات الفنية على الأسلوب الذي يدعونه اليوم بتبسيط العلم أو تعميمه

الباب الثالث في الأعمال ويشتمل على فصول .

الفصل الأول : حقوق الله على العبد ، ويكون تلخيصاً لباب العبادات من الفقه بشرط أن تذكر كيفية العبادة وفائدتها من غير تفصيل سننها وواجباتها ومستحبها ومكروهاتها ومبطلاتها ، وأن تقرن بما ورد في الترغيب فيها والترهيب من تركها

الفصل الثاني : حقوق النفس ، كتحريم الانتحار والإقدام على التهلكة ، وإضعاف الجسم ، وتصفية النفس من الأخلاق الفاسدة ، والأهواء الباطلة

الفصل الثالث : حقوق الأسرة ، كنحو بر الوالدين والأولاد والزوجة والأخ وأفراد الأسرة

الفصل الرابع : حقوق المسلمين ، من نحو عيادة المريض منهم ومساعدة المصاب ، ونصحهم وحرمة غيبتهم والنميمة بينهم الخ

الفصل الخامس : حقوق غير المسلمين ، من نحو إحسان معاملة الذمي وحفظ ماله ونفسه وضمان حريته التي هي له ، والوفاء إلى المعاهدين المحاربين ، واحترام المبادئ الإسلامية الإنسانية في الحرب

الفصل السادس : حقوق الوطن ، من نحو احترام المصلحة العامة ، والاستعداد للجهاد في سبيل الله والذود عن الحق ، والتهيؤ للتضحية ، وحب الإيثار ونحو ذلك

الفصل السابع : مرجعه الورع والصلاح ، وبيان الصورة الكاملة للمسلم ، وأنه يعمل للدنيا ولا ينسى في الله ، ويعمل للآخرة ويستعد لها دواماً ، وضرب الأمثلة من أخبار الصالحين

من طبقة العصر والمتصابين وأن الإسلام وأنه جعل من كل ديناً ومالاً وعملاً للدنيا في وقت واحد

* * *

فمن اطلع من علمائنا على هذا المقال ، وكان قادراً على تأليف فصل من هذه الفصول ، ثم لم يكتبه ، ولم يتكلم فيه عالم ، فليعلم أنه يعين بسكوته أعداء الإسلام على ما هم فيه ، وإلا فإنا معشر الشباب نرفع أمره بين يدي أحكم الحاكمين ، فنقول : يا ربنا سله : لم قصّر في إرشادنا وتعليمنا ، وهو يروي قول نبيك محمد (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) ؟

فليعد لهذا السؤال جوابه ... وحسبه !

(كركوك) علي الطنطاوي

بين الأستاذين

أحمد أمين وزكي مبارك

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

على في مقالي السابق إن الدكتور زكي مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الأدب الجاهلي ، وإنما غلب عنه لأنه هو وأستاذه الدكتور طه حسين لا يؤمنان بصحة ذلك الأدب ، والدفاع عن الشيء لا يكون إلا بعد الاعتقاد بصحته ، فقد ألف الأستاذ طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) وكان أكبر جناية على أدب الجاهلية ، إذ أنكر فيه صحة ذلك الأدب ، وتطرف في هدم رأي أنصار الأدب العربي من المستشرقين ، ولم يكن من الدكتور زكي مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك الكتاب ، وعده فتحاً جديداً في الأدب العربي ، وقال في عدد من جريدة البلاغ الأسبوعي (٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦) « كان كتاب الشعر الجاهلي الذي ألفه أستاذنا الدكتور طه حسين فاتحة عهد جديد في دراسة الآداب العربية ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتب في نقده من الرسائل المطولة ، والأسفار الضخام ، لترى كيف أثر ذلك الكتاب ما عد من الزوابع ، وكيف أيقظ ما هجع من العقول »

والفرق كبير بين رأي الأستاذ طه حسين في الأدب الجاهلي ورأي ورأي الأستاذ أحمد أمين فيه ، فالأستاذ طه حسين يرى في رأيه إلى الهدم والطعن في ثقة السلف ونحن نرى إلى الإصلاح ويريد تقويم عوج الأدب العربي ، ونحن نرى فيه بيئة يكاد علماء الأدب يجمعون الآن عليه ، لإجماعهم على أن الأدب العربي في حاجة إلى الإصلاح ، وعلى أن إصلاحه يجب أن يكون من الناحية التي أشرنا إليها ، حتى لا يكون أدب ألفاظ مرصوفة ومعان خيالية لا طائل تحتها

ومن الغريب أن الدكتور زكي مبارك يؤمن أيضاً بذلك الإصلاح ، ويدعو إليه في كتابه (النثر الفني) ولكنه يغفل ذلك في حب التعصب على الأستاذ أحمد أمين ، ويأخذ عليه تهوينه من شأن التشبيه وما إليه من الجمال الظاهري وما جاء ، وبذلك فالخطب ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما في المعنى من قوة وروح ، وقد نجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ، ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى مراتب الإبداع ، ومثال ذلك قول حِطَّان بن المُعَلَّى يشكو فقره ، وما وضع الدهر في رجليه من قيود الأهل والذرية

أنزلني الدهرُ على حكمه من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ

وغالني الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عِرْضي

أبكانيَ الدهر ويا رُبَّما أضحكني الدهر بما يُرْضي

لولا بُنيَّاتٌ كزُغْبِ القطا

رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ

في الأرض ذات الطول والعرْضِ

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ

لو هَبَّتِ الريح على بعضهم لامتنعتْ عيني من الغُمْضِ

فقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى الفقد ، ولا إلى الأسلوب . ومن ذلك يتضح لنا من يزعمون أن القرآن ليس من جنس كلام العرب لم يصنعوا شيئاً من أسرار الإعجاز ، ولذلك والم يدورون حول الظواهر والصفات اللفظية ، ويرجعون في ذلك إلى الناحية اللفظية أو التشبيه ، ونحن نرى غير ذلك ، ونرى أن محمداً عليه السلام أعجب العرب لأنه نبي ، ولم يتحدهم لأنه فنان ، فالفن الكلامي لم يكن جديداً عند العرب ، وإنما كان الجديد عندهم أن يأتيهم رجل منهم بأساليب من الفكر والعقل والوجدان غير التي كانوا يألفون ، ومن العيب أن نظن أن البلاغة لا تخرج عن المحاورات اللفظية ، فإن هذا إسراف في تقدير الزخرف ، واستهانة لسلطة العقول ، إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المحرجاً هو الفكر ، وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية ، ولكن سنه

أننا نقرر أن الفكر يعمل أولاً ، ويعمل الوزن ثانياً ، كما يقول الفرنسيون ».

وإنما أطلت النقل من كتاب (النثر الفني) لأقيمه دليلاً قاطعاً على أن الأستاذ زكي مبارك لا يؤمن بتلك الناحية الفنية التي أخذ على الأستاذ أحمد أمين تهوينه من أمرها ، ويكاد يتفق معه في أن الشأن في ذلك لقوة الروح والفكرة ، ومن الإنصاف أن نذكر أن الأستاذ زكي مبارك لا يفرق في ذلك بين قوة الروح في الخير والشر ، ويرى أن الشاعرية روح يحمله به الشاعر عبير نفس القارئ ، والسامع عرفاً طيباً يحمله على أن يؤمن وهو طائع جذلان بما يدعو إليه الشاعر من تزيين الإثم والفسق ، أو تقبيح الفضائل على النفوس . فمن الأول قول ديك الجن :

لمّا نظرتِ إليّ عن حدقِ المها ... وبسمتِ عن متفتّحِ النوّارِ
وعقدتِ بين قضيبِ بانٍ أهيفٍ ... وكثيبِ رملٍ عقدةَ الزُّنّارِ
عفّرتُ خدّي في الثرى لكِ طائعاً ... وعزمتُ فيكِ على دخولِ النارِ

ومن الثاني قول معن بن أوس :

لعمركَ ما أهويتُ كفّي لريبةٍ ... ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبةٌ ... من الدهر إلا قد أصابت فتىً قبلي
ولستُ بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ ... من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثرٍ نفسي على ذي قرابةٍ ... وأوثرُ ضيفي ما أقام على نفسي

ولكنا لا نعرف للدكتور زكي مبارك أن يمضي في ذلك إلى حد التسوية بين روح الخير وروح الشر في الشعر ، فيجعل قول ديك الجن مثل قول معن بن أوس بعد اتفاقهما في قوة الروح ؛ لأنه يبقى بعد هذا شرف المعنى والغرض وهو مما لا يصح إهماله أيضاً في المفاضلة بين شعر وشعر ، أو كلام وكلام . ولا يمكن الدكتور زكي مبارك أن ينكر هذه الناحية في الموازنة الشعرية ، فقد ذكرها في قوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) ، فالتفضيل فيه لهذا المعنى النبيل والمعنى الشريف والدعوة إلى إيثار العدل في جميع الأحوال ، من غضب وسكون ، وحب وشنآن ، ولهذا لم يكن الدكتور زكي مبارك

... من ذلك أيضاً بأنه ... إليه من ذلك الإصلاح ، ولا يكون له حق في ... الناحية التي تقف عقبة في سبيل ... كبيراً

هذا ، وإنما كنت اقتصرت في أول هذا المقال على موقف الدكتور زكي مبارك من كتاب (في الشعر الجاهلي) لأني أحسنت الظن به ، ولم أشأ أن أذكره بمواقف له جرى فيها مع أستاذه في الجناية على الأدب الجاهلي ، وذهب إلى الشك في صحته كما ذهب إليه غيره ، وهذه هي الجناية على الأدب الجاهلي حقاً ، لا ما ذهبنا إليه من ذلك الإصلاح ، والله الهادي إلى الصواب

عبد المتعال الصعيدي

من وراء المنظار

كرنفال !..

أبداً لا تقع عيناي أو لا يقع منظاري على هذه التي أحدثك عنه إلا اختلج في نفسي شعور من ألم [illegible] يلازمني مدة طويلة بعد مرور المنظر ، ويتجدد كلما عاد في خاطري طيفه ، وأنا أكتب هذا في أثر رؤية جديدة لذلك المنظر الذي أنكره أشد الإنكار ، وما أراني أزداد إنكاراً له في كل مرة [illegible] في رؤيته

وإني لأكتب لأدعو القارئ إلى أن [illegible] ، فإن لم [illegible] ، وهو على هذا الذي أقول من الكرام ، فلا شك عندي أنه قوي الأعصاب جداً — على أحسن تعبير — فهو لا أدري أيحسد عليها أم يرحم من أجلها !!

على أني لا أشك في أن كثيراً من القراء قد رأوا ما رأيت [illegible] كلما وقعت أعينهم على ذلك المنظر البغيض ، منظر هذا « الكرنفال » في أجل وأعظم أحياء القاهرة [illegible] السائحون في الشتاء من أنحاء الغرب والشرق

والقارئ [illegible] أن [illegible] صورة ممتازة من [illegible] هناك في الطليعة أنماط من الناس منهم من يرخون جلابيب من القماش كانت من قبل بيضاً [illegible] ، ويحيطون [illegible] رؤوسهم ما يشبه العمائم ، أو ما يصح أن يكون أبلغ صورة [illegible] للعمامة ، وكأنما يقول الواحد منهم « متى أضع العمامة [illegible] » [illegible] بل كأنا [illegible] من [illegible] ليكون [illegible] في الطليعة ! وأنا أرى أيضاً هذا الصنف من [illegible] في أشكال [illegible] في صورهن

ويندس بين هؤلاء « [illegible] » [illegible] من « [illegible] » من أهل [illegible] وهم يخطرون [illegible] في جلابيبهم « [illegible] » و[illegible] رؤوسهم بأشكال من الطواقي و « [illegible] » وما شئت من أنواع « [illegible] » وأمثاله

وينطلق هؤلاء وهؤلاء في مشهد عجيب ، وقد تأبط كل منهم [illegible] ، ويطلقون حناجرهم بأفظع الأصوات وأنكرها ، يستحسنون [illegible] كل [illegible] ، ويأخذون في [illegible] يحفظونها ، أو يشترون [illegible] من الأوراد ، لا يعرفون ولا [illegible] كل أولئك وهم يتأبطون [illegible] في [illegible] على [illegible] أن يكون [illegible] في [illegible] من أن يكون [illegible] عليه ، وإلا فكيف يكون هذا [illegible] وهذا التهريج [illegible] في أي وضع من الأوضاع ؟

[illegible] في التهريج [illegible] « كرنفالاً » من التهريجين [illegible] حياته [illegible] وأروح من ذلك الكرنفال [illegible]

ونأتي بعد ذلك الآلة [illegible] من [illegible] وجلاله [illegible] لا [illegible] مع هذا التهريج المنكر أجمعها [illegible] ومن ورائها [illegible] أسود طويل [illegible] بكراً من الطليعة ؛ هؤلاء النسوة [illegible] أو [illegible] « [illegible] » ، [illegible] من [illegible] حوله [illegible] كأنها [illegible] ، والشمس [illegible] بإشارات [illegible] ، والولولة [illegible] وذات [illegible] ، وأسمع من هؤلاء [illegible] « [illegible] » في شكل لا يمكن أن [illegible] إلى [illegible]

ولا أريد أن أزعج خاطرك — أيها القارئ — [illegible] التي [illegible] مع ذلك [illegible] في [illegible] على [illegible] ، [illegible] على شناعة

[illegible] في هذا [illegible] يتفق مع الدين أو يجوز في عرف [illegible] أو [illegible] أمة ؟ ولقد [illegible] نفسي أن أذكر وأسمع أني رأيت مثل هذا المنظر [illegible] في أسبوع واحد أمام [illegible] « [illegible] السائحين » ! فسألت نفسي والألم ونظري [illegible] في [illegible] ماذا عسى أن يقول هؤلاء من [illegible] الاجتماعية [illegible] إلى [illegible] ؟ وهل هم يرون « الأشياء » التي [illegible] « الأنتيكات » حقاً ؟ أم أنهم يرون ما هو أبلغ في [illegible] في شوارع العاصمة الكبيرة ؟

يا وزارة الشئون الاجتماعية .. [illegible] في [illegible] الشئون الاجتماعية .. [illegible] هذا المنظر إلى حيث لا يعود ، [illegible] وعمرك خير من إنشاء ألف حديقة في هذه المدينة أو غير ألف صحيفة من [illegible] عن مصر والمصريين

« [illegible] »

الثقافة العسكرية وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

في الثورة المصرية

وقد سمعت من بعض « المتطوعين » المصريين في الحرب الكبرى أنهم كانوا يجمعون في بيوت هم ألفوها قريب من أماكنهم، فوضعوا لأنفسهم تلك الأناشيد كما تخرج الأرض المحروثة زرعها « الشيطاني » ، وكان بعض الذي وضعوه نظماً ولحناً مما يستدعي الإعجاب لدلالته على عواطف معينة كالشوق إلى الوطن ، وكالشكوى من تحكم السلطة العسكرية إذ ذاك في التجنيد باسم « التطوع » .

ولقد قرأت في بعض الصحف الإنكليزية عن أثر الثورة المصرية بحثاً سياسياً عن أسباب تلك الثورة ، وقد عدّ كاتب ذلك البحث مسألة « التطوع الإجباري » من أهم المسائل التي أدت إلى الثورة واستدل على ذلك بالنص الذي أشرنا إليه في المقال السالف ونشره بلغته العربية بأحرف إنكليزية مع ترجمته إلى تلك اللغة ، وهكذا كانت ترجمته

O My native Town! O My native Town
The Military Authority has taken my boy

والنص هو

بلدي يا بلدي والسلطة خدت ولدي .

ومن المرجح أن الذين كانوا يغنون بهذا النشيد لم يكونوا هم الذين أخذت السلطة أولادهم ، ولكنهم هم الأولاد المأخوذون ولكن للأمومة أولادهم مقيمين في مصر ، أما الذين رحلوا عن الوطن فكانوا يغنون وهم يتحرقون شوقاً إليها بالنشيد الآخر وهو :

يا عزيز عيني وأنا بدي أروح بلدي

ولكن مثل هذا الشعر الذي يقال تحت الضرورة لا يمكن إلا أن يكون صادق التعبير عن الحالة التي صدر عنها

وكان هؤلاء « المتطوعون » يجمعون من مصر كلها لا من الفريق المتطوع حقاً وجمعوا هذا اللحن الذي استعان به « الباحثون » فيما بعد في أسباب الثورة المصرية كما يستدل الطبيب بالنبض على حركة القلب .

وكذلك الشعر لم يكن لحناً ثابتاً للأمة ، ولكنه نبضها الذي يستدل به على حالة ذلك القلب . وهذا الطبيب هو [illegible] الحديث الذي يدعى له [illegible] كتابه « تاريخ الحضارة الإنكليزية كما يظهر من خلال أدبها »

ولم يكن المتطوعون في الحرب الكبرى كلهم من طبقة واحدة ولا كان تطوعهم ذا صبغة واحدة ، ولا كانت أغراضهم واحدة ، ولكن كانت الكثرة كما قدمنا وصفها ، وكان منها فريق تطوع بمحض الرغبة فراراً من الضنك الاقتصادي وطمعاً في القوت .

وكان هذا الفريق من لابسي « الجلاليب » ، وقد أبت طبيعته الأبية إلا أن يسجل هذا الفريق من هؤلاء على جبين الزمن شكواه من [illegible] من أهل الكساء الذي [illegible] الثورة ولم يرض مصر إلى [illegible] من أبنائها [illegible] إحساس هذا الفريق [illegible] من مشاعره [illegible] هؤلاء [illegible] من مشاعرهم [illegible] بأنفسهم (ولا الموهبة الشعراء والموسيقيين)

وهكذا كان في متطوعي السلطة في الحرب العالمية مصريون كالمراة يتشدون هذا النشيد :

« بلدي [illegible] المصري [illegible] على الكاكي
يقشروك الجلاليب ويلبسوك [illegible] »

ومن الذي يراه كان من شعرائنا أو موسيقيينا يستطيع أن ينزل ذلك القول أو يلحنه ؟

لتنسد حبيبتنا ..
ولا تسل كيف كنا
نتهادى من الهوى ما نشاء

كان شعراء مصر في ذلك الوقت يشربون الكوكتيل أو الكونياك على الأقل .

هل تصدق أنني كنت في سنوات الحرب أتقاضى مرتبي من وظيفتي في الحكومة ، وكان مضافاً إليه علاوة الحرب [illegible] مرتبي الآن ؟ لقد رأيت رغيف الخبز في سنوات الحرب يتراوح بين [illegible] والسكر [illegible] في سنوات العشرين [illegible] لا تكاد تبلغ ثلاثة في المائة التي كنا نتقاضاها علاوة حرب ، وكان في الشعراء

الآخرين من هو أيسر حالاً وأهنأ بالاً ، والحملة مصطوبة بطبيعتها بين شعراء مصر وبين لابسي الجلاليب ، فلم تضع أغانياً سيد البيومي المصري الذين تطوعوا في الحرب الكبرى ووضعوها لم لا تضمهم ... بعضها

باللي رماك الهوى ... حود على السكاتيو

والسكاتيو هو الـ Camp أي معسكر الجيش الإنكليزي

وانتهت الحرب الكبرى وشبت الثورة المصرية وكان لها شكل آخر. كانت هناك مبادئ الثورة واتحاد في الغرض والوسيلة ، وشترك في السعي الثائرة أصحاب «الطرابيش» و«البرانيط» و«العمائم» مع أصحاب الجلاليب. ومن أجل ذلك كان هناك الأناشيد التي يصنعها الشعراء الكبار والتي نالت سرعة السيرورة لصدق تعبيرها عن عواطف الشعب

قد لا تكون هذه الأناشيد مما يسميه الشعراء غروراً «بالشعر الخالد» ولكنها على كل حال سجل حافل بإثبات ... تلك الثورة ... وإذا شئت أن تعرف طبيعة تلك الثورة وتعرف أسبابها فليس أمامك مرجع هو الذي يعطيك عنها صادقاً صوت وهو الشعر الذي قيل فيها ، هو تلك الأناشيد

نشيد شوقي ، ونشيد العقاد ، ونشيد صدقي ، ونشيد الرافعي ، ونشيد ... وهذه ... ونشيد غير أناشيد هؤلاء. ولكن هل كانت الثورة المصرية خالية من الأوشاب ؟ وهل كانت كل العواطف من طراز عواطف هؤلاء النبلاء ؟ كلا. فقد كان في المظاهرات من لا يهمه «تحيا الحرية» ولا «تسقط إنكلترا» ولا «يحيا سعد زغلول» ولا أمثال هذه الهتاف السامية

ولم يكن في الشعراء من يستطيع الإعراب عن عواطف الذين يلقبون بالأوشاب في الوطنية فيصطنعون ... ولم يكن منهم من يستطيع الإعراب عنهم لا يجد سبيلاً أطيب من ... معركة القدم أو قطع خطوط الترام. وكان هذا العربي من الأوشاب موجوداً بالفعل وكان لا بد له من الإعراب بالموسيقى عن عواطفه تلك. والإنسان برغم أنف الفلاسفة حيوان موسيقي وليس فقط بالحيوان الناطق ، بل أستسمح الله في رضى الفلاسفة وفي طيب خاطر منهم حيوان موسيقي لأن النطق لا يمكن أن يتم إلا والموسيقى جزء منه

ظهر في القاهرة في أثناء الثورة المصرية ... يعبر عن الوطنية وعن ... ولم يكن بينهم شعراء من أمثال ... ولا ... الوحيد العربي لعشرة الشارع ليصنع لهم نشيداً وطنياً ... أناشيدهم ... وألحاناً ومن بينها

مش عاوزين حد أبداً يحكمنا ... وإلا يبقى ...

كان هذا العربي أقل من أن يقول «تحيا الحرية» ... ولكن من أجل كرامة مصر ... هذا النظام ... أن تحكم ...

ويعد يا شعراء الجيل هل ترضون أن يقال شعركم شرب السرور ؟ إذن فانصروا في كل وسط تريدون أن ينتشر فيه شعركم أنتم (وأنا من بينكم) من وراء الفاصل فلن يروج سعر إلا بين رواد القهاوي

ويا وزارة الدفاع ويا وزارة الشؤون الاجتماعية ويا قيادة الجيش المرابط هل ترضون ألحاناً للجنود تعرب عن روح عسكرية قوية وتخدم الروح العسكرية وتصل بين حاضرها ومستقبلها

لن تكون تلك الأناشيد من وضع الجالسين على مكاتبهم في الدواوين ولكن أضعها على الحال في المعسكرات في ساحات التدريب طائفة من الشعراء

تقول قيادة الجيش المرابط إنها تريد أن يعم الفلاح الثقافة العسكرية والنظام في الملابس والقيام والجلوس ... هذا جميل كله ، ولكن إذا استثنيت الأستاذ الشاعر عباس العقاد فمن من بين شعرائنا يمشي مشية عسكرية ؟

أتمنى أن أرى في ساحات التدريب الأستاذة حسين شفيق المصري والدكتور زكي مبارك وصاحبها ناجاً على الأقل ويرى الجميع بعد أيام من التدريب كيف يمشي هؤلاء الثلاثة مشية غير مشيتهم الحاضرة ... وإلى اللقاء في ميادين التدريب

عبد اللطيف النشار

أحلام ســــوداء...

للدكتور إبراهيم ناجي

رب ليل قد عفا الأمس به
قد سرى فيه نسيمٌ عبقٌ
مسَّ [illegible] من جفنه
خلقٌ [illegible] القدرُ
وشجىٍ القلب يشدو الله كرّ
كل شيء نائمٌ في صمته
ثم وجهُ الأفق [illegible]
كلما قربُ [illegible]
[illegible] كذلك [illegible]
[illegible] نبه القدرُ
لا يسمع مائدة القبور [illegible]
[illegible] الرعد ودوّى ساحراً
[illegible] مسعوراً [illegible]
[illegible] على الدنيا [illegible]
كمن [illegible] على الحسن [illegible]
[illegible] الوردة بالشوك [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] ومن [illegible] ومن
[illegible] سوداً لم يكن
[illegible] لنفسي ، كلما
[illegible] كانت ، [illegible]
كان [illegible] من [illegible] لم تدم

وهنا قد أبدع الله الزمنْ
فكأن الليل بستانٌ عطر !
ولئن هدى [illegible] القمر
لم لم يبعث [illegible] الصنوبر
[illegible] الأنس عروس الزهر
لا الكرى طاب ، ولا طاب السهر
[illegible] على وجه القمر
كما كنت [illegible] تنتظر
[illegible] من [illegible] الشجر
[illegible] خصب [illegible]
لا [illegible] متحكم
فكأن الرعد [illegible]
ثم [illegible] من [illegible]
[illegible] القادر ، والبرق [illegible]
[illegible] والذنب [illegible]
[illegible] لم [illegible]
ومن [illegible] في [illegible]
[illegible] وحذر !
[illegible] حائم [illegible] الفكر
[illegible] أين المستقر
[illegible] الأحمر
[illegible] من جنون وخبر !!

ناجي

شريد !...

للأديب محمود السيد شعبان

يا ليل هذا شريد تائهٌ [illegible] ... [illegible] والنفسُ
حيران .. [illegible] ... [illegible] الأنفاس تحبس !
[illegible] الأنظار واجمة ... [illegible] أرجاء [illegible] !!

أسوان . [illegible] الأوهام ساخرة ... [illegible] والكيس
[illegible] الأحلام ذاهلة ... كالعاصر في [illegible]
[illegible] الظلماء [illegible] ... كأس [illegible] والقدس
حيران .. يبحث عن [illegible] ... [illegible]
[illegible] .. [illegible] ... من [illegible] إذا [illegible]
[illegible] لما لاح [illegible] ... [illegible]
علام لا [illegible] الليل وحده كما ... والكون [illegible] وكل الناس [illegible] !
وهم لا [illegible] الليل وحده كما ... [illegible]
[illegible] بالهمس [illegible] ... [illegible]

[illegible] !

علام يا ليل لم [illegible] عن [illegible] ؟ ... وكيف يا ليل لم [illegible] ؟
وهم يا ليل لم [illegible] ... ولا [illegible] الأسى [illegible] ؟
[illegible] ... [illegible] !

* * *

يا سائلا من شقائي كيف [illegible] ... [illegible] ؟
أنت [illegible] .. [illegible] ... [illegible] !

محمود السيد شعبان

حيرة !...

للأستاذ أحمد فتحي

[illegible] الآمال ، لكن ... [illegible] الأمس [illegible]
[illegible] من أعاجيب الأماني ... [illegible]
[illegible] من [illegible] كل [illegible] ... [illegible] الظالم
[illegible] كالليالي ... فلا [illegible] ولا [illegible]
فكم [illegible] ... وكم يسمو إلى [illegible] النجوم
وكم [illegible] ... وكم [illegible]
وما [illegible] ... ولا [illegible] من [illegible]
ومن [illegible] ... كما [illegible] إلى [illegible]
إذا [illegible] ... [illegible] إلى [illegible] !

أحمد فتحي

دراسات في الفن

ملامح الأرواح

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هل سمعت أن شارلس لوتون سيمثل هتلر للسينما؟

— قرأت ذلك ومنيت نفسي بها وأكاد أستطيع مشاهدة لوتون في هتلر

— أظن أنه لم ينجح

— لماذا؟

— لأن لوتون طويل عريض، وهتلر نحيل الجسم

— وأي شيء في هذا؟ إن الذي سيمثله لوتون من هتلر نفسه لا بدنه

— ولكن هذه الصورة الحاضرة في أذهاننا والتي عرفناها عن هتلر لا يمكن أن يمحوها لوتون بتمثيله، وسيذكر الناس عندما يرونه أنه ممثل يمثل، بل قد يرى بعض الناس أنه ممثل متعصب دوراً ليس هو أهلاً له

— هذا جميل إيجازه، وقد يكون الذي تقولين حقاً إذا كان الممثل مبتدئاً، ولكن هذا لوتون، ألم تره في هنري الثامن؟ لقد كان هو هنري الثامن

— لأنه يشبه هنري الثامن كثيراً في جسمه، وفي العرض في وجهه.

— صحيح! فكيف رأيت هاري بور في بيتهوفن؟ أهاري بور طويل عريض هو أيضاً وكان بيتهوفن ضئيل الجسم مثل هتلر، ومع هذا فلا أظن أحداً من النظارة أحس شيئاً من الكذب في بيتهوفن الذي أخرجه هاري بور ... هم إلا أولئك الذين يذهبون إلى السينما ليفرضوا على الناس أحلامهم وأوهامهم.

— قد يكون الشبه أيسر لهاري بور في بيتهوفن؛ لأن هاري بور ممثل وبيتهوفن موسيقي، وليس عسيراً على الفنان أن يدرك المسائل في نفس فنان مثله، وأن ... كله ومثله كان يحاكي نفسه وعقله

— والله إنها فكرة لم أكن أتوقع أن تجول في ذهنك، وإنها لجديرة بالتأمل والدرس، وإنك لجديرة بالمكافأة عليها ... عنت هذه الفكرة

— شكراً. سأطلب على باب السينما تذكرة ... دون إبليس

— بل أحسب ... إن هتلر أيضاً ممثل

— وجهت لي داهية! هل أنت ممن يعتقدون هذا الذي يحسبه من أنه ممثل؟!

— ليس هذا قصدي، وإنما الذي أقصد إليه هو أن الناس جميعاً يمثلون

— آه، هذه فكرة أخرى، ولكن ألا ترين أن فكرتك هذه لو كانت صحيحة لما ارتفع سعر التمثيل في الدنيا، ولما كان أجر الممثل المجيد آلاف الريالات ومئات الجنيهات في الشهور التي لا يستغرق منه إلا الساعات القليلة ...

— أتفق معك

— إذن فرأيك غير صحيح

— لماذا؟ ألا يستطيع الحق أن يكون معك وأن يكون معي في الوقت نفسه؟

— يستطيع … قادر على كل شيء …

— ولا قادر غيره … والتوفيق بين الذي تعرفين وبين الذي أقول يسير … ذلك أن كل الناس عظيم جداً حين … وأما أن أكثر الناس هم الذين يستطيعون أن يخلقوا صوراً من أنفسهم أيضاً ، فالخالق كالأولى : كل آنية تصلح لأن يصب بها يملؤها ، فإذا امتلأت لم تعد تصلح لأن تملأ مرة أخرى ، إلا إذا فرغت . ومن الناس من يملك نفسه يملؤها ويفرغها وهؤلاء هم الملهمون الموهوبون ، ومنهم من امتلأت نفسه مرة فكأنما وجد حشوها بما لم يعد مقدوراً أن يفرغ وأن يملأ . ومن هؤلاء محمد عبد الوهاب فهو يمثل على نفسه وعلى الناس دور الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء ، ولو أنه … هذا الدور في نفسه شكلاً حتى صار يظهر به بمظهر الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء مهما تطلب منه هذا الدور الجديد شيئاً من البؤس ، أو شيئاً من الطيبة ، أو شيئاً من البأس . ويدلك على ذلك أن الصورة التي رسمها عبد الوهاب لنفسه في حياته صورة متكلفة ليس فيها من الحقيقة شيء ، فقد عرف الناس هنا في مصر مطرباً كان الملوك والأمراء والعظماء يطلبونه حقاً ويسعون إليه ويكرمونه كل التكريم ولم يكن فيه شيء من هذه الأرستقراطية التي يصطنعها عبد الوهاب فيحتقر في أوطانها ، ذلك هو المرحوم عبده الحامولي الذي تؤكد الروايات أنه كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق

— وهل لا يأكل عبد الوهاب الطعام ويمشي في الأسواق ؟

— حاشاه … ولكنه يأكل متنازلاً ، ويمشي متنكراً كان يمشي هارون الرشيد

— إني لا أحب هذا التعصب على عبد الوهاب … وإن الذي تأخذه عليه يمكن أن آخذه على شارل شابلن نفسه ، فشارل أيضاً قد رسم صورة له في كل أفلامه … هيئته وعصاه وحذاءه ومشيته وسرواله ، وأسلوبه في حركته أخفى في المتطلعين وعزة كعبه

— صحيح صحيح … ولكنك نسيت أن شارل يمثل في كل أفلامه شخصاً واحداً هو ذلك المتشرد الطائر الذي يطارده المجتمع في أغلب الأحيان ، ولا يعطف عليه إلا في [illegible] وروايات شارل شابلن كلها يمكن أن تعتبر … على أنها حوادث حدثت لهذا المتشرد … وعلى هذا الأساس … فليس عجيباً أن يلزم هذا المتشرد حركات وسكنات وإشارات [illegible] في هذه التي تعرفين عنه

— عجيب … ومحمد الريحاني الذي تشهد له بالتفوق … له هو أيضاً لازمة لا تخلو منها رواية من رواياته هي هذه (الللة) التي يختم بها أكثر جمله وعباراته

— صحيح أيضاً … ولكنك أيضاً نسيت أن هذه (الللة) هي من آثار كشكش بك في تجسد الريحاني ، فقد كان يجسد مثل شارل يمثل شخصاً واحداً هو هذه كشكش البلاص ، وكان هذا الشخص لا يخلو من مأزق حتى يقع في مأزق ، وكانت الحيرة والدهشة و(الخصة) تأخذه من أول الرواية إلى آخرها ، وكان يتلفت ، وكان يلوم ، وكان يصرخ ، وكل هذا يستدعي منه هذه (الللة) فلزمته ولكنه بدأ يتخلص منها حتى لا يكاد الآن إلا نادراً

ولم تلبيا إلى هذا الحديث ولا تقول إن شكل يمثل أسلوبه لتخاص به

— لأن موضوعنا هذا لا صلة له بأسلوب التمثيل ، وإنما أسلوب التمثيل شيء آخر

— وما هو ؟

— هو الطريقة التي يحقق بها الممثل الشخص ، والتي يعرض بها بعد ذلك هؤلاء الناس

— وكيف يحقق الممثل الشخص ؟

— للأرواح ملامح كما للأجسام ملامح ، ومن الممثلين من يتم النظر في هذه الملامح حتى يحصرها كلها ، ومنهم من يروعه بعضها فيقف عنده ولا يعود يرى غيره ، أو يرى غيره ولا يهمه ، والممثل بعد أن يشبع من التمعن في هذه الملامح الروحية يبدأ فيرسمها في نفسه هو ، ويشكل روحه بشكلها ويكون تقليده بعد ذلك إرتجالاً ، وأقصر الممثلين على هذا من لم تكن لروحه هو ملامح قوية ثابتة تستعصي فتغلب على الماكياج الروحي ، وهؤلاء

المشاهدون القصيرون هم الذين تكون نفوسهم شبيهة الشبه بنفوس الأطفال حتى تراه ساذجة تعيش على الفطرة وحدها ، ولعلك قد لحظت أن الأطفال أظهر من غيرهم على تقليد الناس وتصوير نفوسهم والملامح الواضحة التي تتركها نفوسهم على أجسامهم. ولو كان الناس كلهم يعيشون على الفطرة وعلى طبيعتهم لتقاربت بينهم أوجه الشبه ، بل ربما كانت أشكالهم تتوحد فلا يكون بينها خلاف ، والذي يبرر هذا الرأي هو ما نراه من توحد أشكال الحيوانات التي من فصيلة واحدة [illegible] ولا أقول أنواع — فهذا التوحد لا مرجع له إلا أن الحيوانات تسلك في حياتها السلوك الفطري الحق

— فكأنك تقول إن اختلاف ملامح الوجوه في الناس يرجع إلى اختلاف الملامح في أرواحهم

— هو هذا وإن كنت لا أنكر آثار البيئة والوراثة وغيرها

— ومعنى هذا أن الذي يسيطر على حياة الإنسان نفسه وليس يده وغريزته الجنسية كما يقول فرويد

لو كانت الغريزة الجنسية هي التي تسيطر على حياة الإنسان لما اختلفت أشكال الناس ، وإنما الغريزة الجنسية جميعها تجمع الإنسان والحيوان معاً جمعاً لا يعني

— ولكنك قلت مرة إن له مرجعاً يرده إلى كبرياء الجسم

وطلب لك وقتها إني أستعمل كلمة الكبرياء حيث أريد أن أقول « الروح » وإني أستعملها لأعني بها طاقات وأرواح الناس إنما هي عند أهل هذا العصر أقرب إلى النفس من كلمة الروح

— هل تريدين أن أعرف الروح على أنها كبرياء ؟

— يصح ولكن على أن تكون كبرياء لها إرادة ولها عقل ولها عواطف ولها ذاكرة ولها أمل ولها صلة بالماضي ولها صلة بالمستقبل ولها كل ما للحياة من مميزات تسمو بها على الجمود والموت [illegible] وملامح الأرواح التي تحدثت عنها هي ملامح هذه الكبرياء

— ولم لا ؟ فهنالك إنسان قوته ألف شمعة ، وهنالك إنسان قوته خمس شمعات ، وهنالك إنسان كهربائيته [illegible] وهنالك إنسان كهربائيته عشرون [illegible] وهنالك إنسان [illegible] من « ديناميو » ، وهنالك إنسان « بطارية » ، وهنالك إنسان كهربائيته سوداء ، وهنالك إنسان كهربائيته شرود ، وهنالك وهنالك [illegible] وكل هذا يحسه الممثل المجيد ويستطيع أن يقلده

— فإذا تصورت قوة الكبرياء في الممثل هي قوة الشمس التي يريد أن يمثلها فماذا يصنع ؟

— لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أراد الممثل أن يمثل طفلاً صغيراً وكلما كان أصغر كان تمثيله أصعب

— ومعنى هذا أن في الطفل كمية من الكبرياء أوفر منها في الكبير ..

— لا وإنما معناه أن درجة وضوح الروح في الطفل أكبر منها في الكبير فالطفل إذا فرح ظهر عليه الفرح واضحاً صريحاً ، وهو إذا غضب لم يمكنه أن يكتم غضبه وإنما أرسله مرئياً صفياً وهذا شيء لا يجري عليه إلا هو أو تمثل عليه من هذا الوضوح في نفوس الأطفال وهذا الوضوح الذي يستوعبه التمثيل ، وهذه البراعة التي تستلزمها الحركة هي التي تحول بين النساء وبين النبوغ في هذا الفن [illegible] إلا النادرات النوابغ منهن

— ولماذا ؟

— لأن النساء لا يعشن على الفطرة مطلقاً وإنما كل منهن تمثل في حياتها دوراً خاصاً

— بل أدواراً

— لا ، لو أن النساء كن يمثلن أدواراً مختلفة لكانت أمهر قادرات على التمثيل ، ولكن هذه الأدوار المختلفة التي تبدو منهن إنما يلبسنها في دور واحد يمثلن يمثلنه طول الحياة وهو دور حواء

— وهل سيطلب المسرح منهن أن يمثلن دوراً آخر

— نعم ، والمشكلة هنا أصلها أن الذين يؤلفون الروايات رجال ، والرجل منهم لم يتمعن المرأة وهو أعظم من هو لا يرى

أو لا يستطيع أن يظهرها في تأليفه على صورتها الطبيعية ، وإنما يكتب لها هذه صورة أقرب إلى الروحانية من صورتها ، وهذه الروحانية أبعد صلة للمرأة ... صلة بعيدة ولذلك فإنها لا تحرك الإدراك التام ولا تخرج الإخراج الصحيح

— هو عيب الرجال الذين لا يعتمدون أنفسهم على الواقع -

— إنه العيب الذي يرمون إليه بأنفسهم وعقولهم عاملين ... أن يتقدموا احتلالا من شر الواقع ..

— ولكن لماذا تقول إن صلة المرأة بالروحانية صلة بعيدة

— لأن للمرأة تهما في صناعة التمثيل من سن مبكرة فأمثل صورها على الأحياء ، وهو ...ها ، وهو سلاحها ... ولكن أحدثك ما أقول أسألك كم مرة مثلت النساء في شخصية مريم الصحراء وجان دارك مثلا وكم مرة مثلت النساء في شخصية كليوباترا !!

إن مريم الصحراء لم تمثلها إلى اليوم ممثلة وجان دارك مثلتها ممثلة مراهقة لشركة ... منذ خمسة عشر عاما على ما أذكر أو أكثر . أما كليوباترا فقد مثلتها ممثلات كثيرات وفي أوقات متقاربة

— وعلى أي شيء تستدلين بهذا ؟

— أستدل به على أن النساء أقرب إلى كليوباترا منهن إلى جان دارك ومريم الصحراء

— ولكن مريم الصحراء شخصية لا تحب شركات السينما أن تمسها

— لقد مثلت شركات السينما المسيح نفسه ...

— طيب . وجان دارك هذه ألم تكن امرأة ؟ وإنما كانت رجلا

— إنها التي بدت ... في سبيل وطنها ... ولم تكن امرأة

... أحمد ...

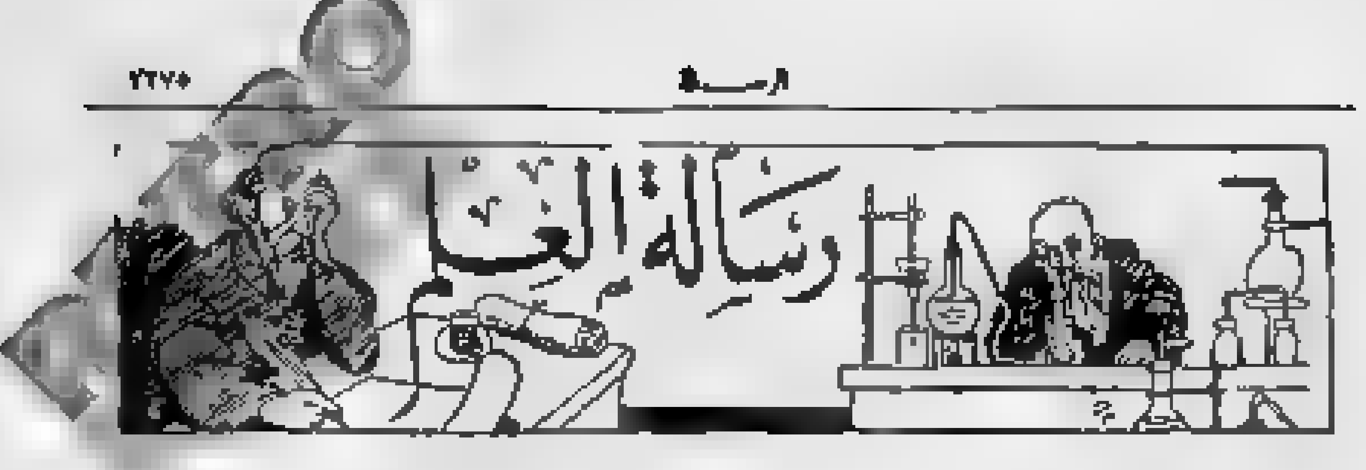

أرقام تتحـــدث

وتنبئنا بقصة الألكترون

للدكتور محمد محمود غالي

- ٢ -

من تجارب مليكان — وسائله الناجحة بتجاربه في الطبيعة — رقصة الألكترونات وحركاتها الخاصة — مليكان كمشيئون في تجربته في القطرة الميكروسكوبية — رقصة أخرى للجسيمات يكشف عن طرازها جان بيرن

لا بد أن يكون قد استشعر القارئ عظم اللبس الذي أدته هذه الرسالة، رسالة الجسيمات التي علقت بها الألكترونات، ولا بد من أن يكون قد هدى إلى مبلغ الدقة التي يُظهر جلاله هذه التجارب الرائعة لمليكان التي ذكرناها في مقالات السابقة، وهي التي حصل منها على ألكترون حر واحد محمول في جسيم دقيق يتحرك في سرعة صغيرة، وما على القارئ إلا أن يستعرض في ذهنه أمراً سبق أن ذكرناه لنتأمل معاً ضآلة الألكترون الذي هو أصغر ما نعرفه من الوحدات المادية والكهربائية فنذكر أن ذرة الهيدروجين التي هي واحدة على ألف مليون المليون من الجرام تكبر الألكترون حوالى ألفى مرة، وللقارئ بعد ذلك أن يتخيل مقدار صغر الألكترون الذي بحسب السهاب مع ضآلته، ونذكر أن هذا الألكترون ذاته هو الذي صاده مليكان وتحقق من وجوده حراً على هذا الجسيم طوراً يعلق به وطوراً ينفصل عنه، ولا يسع القارئ مع دهشته إلا أن يصدق الحوادث بعد البراهين التي أدلينا بها والتي يتضح منها أنه كلما يمس الجسم

إما شحنة واحدة أو شحنتان أو ما يزيد من الأعداد الصحيحة، ونحن لا يمكن أن يعلق به شطر ونصف الشطر أو شطر وثلثان كسور هذا الشطر وأجزاء هذا الألكترون غير موجودة، وهي حالة تشبه بالضبط تلك التي ذكرناها من قبل عن بعض المحال التجارية في باريس ولندرة التي لا تبيع الأشياء إلا بأسعار مكونة من صنف أو أصناف أو من معين، فهي لا تبيع مثلاً إلا بخمسة فرنكات أو مضاعفاتها.

وإلا فلماذا لم يحدث مرة واحدة في آلاف التجارب التي أجراها مليكان، وأجراها غيره من بعده أن أخذ الجسيم حالة وسطاً تحت تأثير المجال الكهربائي سرعة تقع بين سرعتين من السرعات التي كان يختارها الجسيم قبله ويلاحظها مليكان؟ فلماذا تخيّر الجسيم في الصعود سرعات معينة لا تتغير؟

ثمة فرض واحد وتفسير وحيد للظاهرة المتقدمة، ذلك أن نفرض ما فرضه مليكان فرضين.

الفرض الأول: وجود جسيمات صغيرة كهارب تسمى الألكترونات يستطيع أن يعلق بالجسيم واحد منها أو اثنان أو ثلاثة أو ما يزيد، ولكن لا ينقسم الألكترون منها فيمس بالجسيم جزء منه.

الفرض الثاني: أن وزن هذه الألكترونات صغير بالنسبة إلى وزن الجسم الحامل لها، وهذا يفسر السرعة الثابتة التي يسقط الجسيم بها دائماً عند انعدام المجال الكهربائي، هذه السرعة تتغير متى صعد الجسيم في الصعود تحت تأثير هذا المجال، بحيث إن علق بالجسيم ألكترونان صعد بسرعة تعادل ضعف السرعة عند ما يعلق به ألكترون واحد، وإذا علقت به خمسة ألكترونات صعد خمسة أضعاف هذه السرعة الخ.

ولا يتسع المجال هنا لذكر التفاصيل التي قصدنا منه التبسيط

للمعادلات السهلة التي استنتج منها ميلكان شحنة الألكترون ، وذلك من حساب الحقل الكهربائي وسرعة الجسيم وهذه المعادلات التي استعملها من قبله تونسند وغيره من علماء معمل كافندش بكامبردج ، ولكننا نكرر أن ميلكان استنتج هذا القدر الألكتروني بطريقة سهلة كما يستنتج طالب المدرسة الثانوية في الحساب العدد حصة في مثال علاقات بويل التي ذكرناها في مقالنا السابق ، على أننا نورد للقارئ أمثلة من تجارب ميلكان الأولى منقولة من نشراته الخاصة

الزمن مقدراً بالثانية الذي سقط فيه جسيم بين الخطين في منظار الميكروسكوب		الزمن مقدراً بالثانية الذي صعد فيه الجسيم ذاته الشيء السابق
١٣ر٦		١٢ر٤٥
١٣ر٨		٢١ر٨٥
١٣ر٤		٣٤ر٧٠
١٣ر٤		٨٤ر٥٠
١٣ر٦		٨٥ر٥٠
١٣ر٦		٣٤ر٧٠
١٣ر٧		٣٤ر٦٠
١٣ر٥	المتوسط ١٣ر٥٩٥	٣٤ر٨٠
١٣ر٥		١٦ر٠٠
١٣ر٨		٣٤ر٨٠
١٣ر٧		٣٤ر٦٠
١٣ر٨		٢١ر٩٠
١٣ر٦		
١٣ر٥		
١٣ر٤		
١٣ر٨		
١٣ر٤		
المسافة بين المؤشرين ٥٢٢٢ر٠ من السم		

ويلاحظ أنه خلال صعود الجسيم لثالث مرة تغيرت فترة صعوده من ١٢ر٤٥ إلى ٢١ر٨٥ ثانية ، وهذا يدل على أن هذا الجسيم فقد الشحنة الزجاجية (كتسب يوناً[1] جديداً) ، ثم اكتسب بعد ذلك يوناً أخرى حافظ عليها طيلة صعوده المرة الخامسة والسادسة وفقدها في المرة السابعة فعاد إلى فترة من فترات صعوده السابقة وهي ٣٤ر٨ ثانية وهكذا ، وفي الجدول الثاني يصحح فكرة وجود الشحنات الكهربائية المتوسطة بسبب وجود الألكترونات

ويحوي العمود الأول الشحنة المرصودة والعمود الثاني مقدار هذه الشحنات (أو أننا استنتجناها نظرياً) بضرب عدد ثابت قدره ٩١٧ر٤ في الأعداد الصحيحة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ الخ وفي العمود الثالث الأعداد الصحيحة التي ضربناها في عدد ثابت فتنتج أرقام تدل على الشحنات القريبة

الشحنة الكهربائية المرصودة	الشحنة للاستركلا ٩١٧ر٤ مضروبة في عدد صحيح قدره ١ أو ٢ أو ٣ الخ	العدد الذي يضرب في العدد الثابت (٩١٧ر٤) لينتج الشحنة المعطاة
	٤ر٩١٧	١
	٩ر٨٣٤	٢
—	١٤ر٧٥	٣
١٩ر٦٦	١٩ر٦٦	٤
٢٤ر٦٠	٢٤ر٥٩	٥
٢٩ر٦٢	٢٩ر٥٠	٦
٣٤ر٤٧	٣٤ر٤٢	٧
٣٩ر٣٨	٣٩ر٣٤	٨
٤٤ر٤٢	٤٤ر٢٥	٩
٤٩ر٤١	٤٩ر١٧	١٠
٥٣ر٩١	٥٤ر٠٩	١١
٥٩ر١٢	٥٩ر٠٠	١٢
٦٣ر٦٨	٦٣ر٩٢	١٣
٦٨ر٦٥	٦٨ر٨٤	١٤
—	٧٣ر٧٥	١٥
٧٨ر٣٤	٧٨ر٦٧	١٦
٨٣ر٢٢	٨٣ر٥٩	١٧
—	٨٨ر٥١	١٨

ويرى المرء من هذه الأرقام التي حصلنا عليها من قصة الألكترون وتعيينا شحنته ، إذ يرى القارئ أن ثمة عدداً ثابتاً قدره ٩١٧ر٤ إذا ضربناه في الأعداد الصحيحة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ حتى العدد ١٨ في الجدول السابق تنتج الشحنات الكهربائية المرصودة

وهكذا نستطيع هذا العالم الكبير الذي يسرنا أن نسمع أنه سيزور مصر قريباً[1] أن يقيس قدر الألكترون ، وأن يحصل على جوائز كثيرة بسبب تجاربه وأعماله جمعيات العلوم

(١) سبق أن عرفنا اليون وقلنا إنه ذرة أو جزيء فقد أو اكتسب الكتروناً أو يزيد عن الالكترونات الذرة عادة

(١) ألقى محاضرة عامة عنوانها « الأشعة الكونية » التي حدثنا عنها القارئ في أربع مقالات سابقة

السبيل أن يعيّنها لكل جسيم أنكر وجوداً واحداً ولا يحسن سواه. وكان مليكان في المرتع استطاع وهو فيه أن يعد سكان الأرض من البشر دون أن يكون بحاجة لأن يراهم. ذلك أنه كان أمام أرقام تتحدث وبيان لا تلتبس عنده، بل إنه كان أمام رسالة علمية عرف كيف يطالع رموزها ويستخلص منها أمراً هاماً صحة الوجود، وكان شأنه في ذلك شأن شامبليون الفرنسي عندما استطاع أن يطالع اللغة الهيروغليفية من غير معرفة باللغتين الإغريقية والقبطية القديمة؛ وذلك عندما وجد نصاً مكتوباً باللغات الثلاث على حجر رشيد المعروف، وعندما استطاع أن يجد في إطار بيضاوي الشكل اسم «بطليموس» ذلك الاسم الذي تشكل شامبليون حروفه والتي يليه تباعاً الأسماء «رعمسيس» و«كليوبترا» و«اسكندر»، ووصل منها إلى حروف أبجدية أولية ساعدته في معرفة اللغة المصرية القديمة بعد عسر.

* * *

تُرى هل استوعب القارئ معنا أسطورة مليكان؟ وهل اطلع معه على جانب من التطور العلمي وأدرك ناحية من نواحي البحث التجريبي؟ تُرى هل لمس القارئ أمراً خافياً تدل عليه تلك الأسطورة... أمراً في حقيقة صورة من صور الأبد تختلف عن صور الملاحم القديمة التي يبلى معها الزمن؟ الإلكترون المكوّن لنا — وجوده — قدره... كل ذلك نشهده في هذه التجارب الخالدة.

وعندما تُغيّر وجه الدنيا، ويصل الإنسان إلى مدنية أعظم شأناً، عندما يسمو فيه عقل أكثر رجحاناً من عقله الحاضر فيوجد بجانب شعابي حيوات سبيل تقدمه بدلاً من أن يحوك أسباباً في تعطيله، عندما يأتي عصر ترتفع فيه دور العلم والفن، ويأتي إنسان أعظم، يطالع فيهم ويتأمل مستقبلاً، فإنه سوف يرى على مر الأجيال أسطورة مليكان وطالما بين الأساطير الكبرى التي تسطر التاريخ، فإذا حصل هذا القارئ البعيد في الزمن على «نظارة» من صنع يديه، وصنع لنفسه مكتشفاً كمكتشف مليكان، ووضعه عضواً كرمة فيها، والميكروسكوب إذا عدّ ميكروسكوباً في أبعاد حيوية على سطح كسور الأرض على جسيمات دقيقة من البلور لحصول عليه استطاع أن يرى رقصة هذه الجسيمات، واستطاع أن يراها تتلوّى وتهتز في حركة العصر، فيرى رقصات رواد الرنة كما نعنيها القارئ البعيد، يرى رقصة الأبد وهي تهدأ ثانية مهما كرّ الزمن وأينما دارت الأرض، رقصة يلعب الراقصون فيها على أنغام نابهة ويبدون في ذلك حركات لا يتغير شيء في جوهرها ولا يحصل حدث في مسارها، وهي رقصة الذي ذكرناه من تجربة بيران الأولى والأخيرة على وجود الإلكترون والتحقق من شخصيته ومن قدره. ثمة طريقة أخرى نلبس فيها هذا المكان في ثوب جديد ودليل مختلف عن دليل مليكان السابق.

* * *

ثمة شيخ بلغ اليوم السبعين حولاً لا يزال حيّ يرزق، متوسط القامة بيضي وجهه ملحية مديدة وخطها الشيب، قد تركت به الطبيعة التي تمحو كل مرء شعره المنتشر كثيفاً على رأسه والتي يكسوه طوله هيبة وجلالاً. ولو أنك صادفت ظهراً في أحد مقاهي حي اللاتين بباريس من أمامك هذا الشيخ في قهوته كما يمر أي رجل من الشارع، وهو طوراً لا يعرفه أحد من الجالسين وتارة يشير إليه أحدهم من بعيد قائلاً: «هذا هو (جان بيران) Jean Perrin مكتشف شحنة الإلكترون وعدد (أفوجادرو)». وإذا تركت المقهى ودخلت إحدى المكتبات أمكنك أن تشتري صورته إذ تباع للجمهور كما تباع صور الملوك والعظماء، ذلك أن بيران من العلماء المعروفين فقد توصل في الوقت ذاته الذي قام فيه مليكان بتجربته السابقة إلى شحنة الإلكترون ونال النتائج ذاتها من سبيل جديد يختلف كل الاختلاف عن سبيل مليكان، ويمتاز بدقة الموضوع ووحدة الطريقة وبساطة التجارب وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء، فأتم هو أيضاً أسطورة جديدة نال عليها نشكوبه قد أنصفه العلم وأرضيت التاريخ، وهي الأسطورة التي يراد كانت عند عسرنا

فى سنتى ١٩٠٧ و ١٩٠٨ سبقت تجارب مليكان ، إلا أن معهد السويد منحه عنها جائزة نوبل فى سنة ١٩٢٩ !

عشرون ليلة فى السوربون إذ كانت الساعة الخامسة مساء دخل هذا العالم يحدثه بيه نظارة المدرج الكبير يحدث الماء والجمهور الفرنسى عن أسطورته الخالدة ، وهو يحمل كرات الصور الحديثة التى عرضها ، والجمهور الكبير الذى استمع إليه ، هذه الأسطورة أخط منها فى صحف الرسالة مقالاً أو تحسين أقدمها « أرقام تحدث » وهو السؤال الذى عقده موضوع مليكان ، وقد كان فى الواقع « بيران » هو أيضاً عالم ، ولم تحدث إليه ، وفهم حديثها ، واستطاع أن ينقل هذا الحديث إلى الناس ، وأن يسطره فى حالة مصورة ومعطرة للأجيال القادمة

* * *

لى من هذه الأساطير حاجة لقراء الشرق ، الأدباء منهم والعلماء والطلبون ، أطمع أن تعنى الصور الحية التى أوردها هذا النوع من الكتابة فى التسجيل ، ذلك أن يستنتج القارئ دون ما عناء من هو أن العمل العلمى كعمل فنى هو سبيل الرقى فى مستقبل الإنسان ، وأنه سبيل تشكيل هذه الصورة من كل ما عداه من الأعمال ، فالعلم يحمل فى طياته سر الوجود وعليه وعلى التسلسل به سبب حركة التقدم ، وعرضت أن يدرك القارئ من وقت لآخر أننا مهما أصبنا فى هذه الأزمنة من من قبل أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً . ثمة أناس حريصون على التراث العلمى الكبير يشعرون وثمة ثمة للمستقبل ، ويقيننا أن يدرك القارئ أن الإنسانية تخطو خطوات جريئة إلى الأمام وأن يلمس شيئاً من هذه الخطوات عن كثب فيلمس أثر ما بلغته الفلسفة وما وصل إليه التفكير

هناك فى السوربون استطاع بيران ، كما استطاع مليكان فى أمريكا وطومسون فى كمبردج ، أن يعرف هو أيضاً بطريقته الخاصة الالكترون ، وفى هذه البيئة الخاصة ، حيث الحسد أقل خطراً هنالك منه عندنا ، وحيث الصخب الذى لا يعرف طريقاً للمعمل ، وحيث الجميع يتعاونون على سير وعلى رفعة حق الإنسان ، رأينا « بيران » يحدث الماء فى قصته مع الذرة والالكترون فى المدرج فإنه تقى رأى الجمهور ، ويرى ويعرف من هذا الحديث الذى أصبح ملكا للطبيعة ، ... الأكرمت الغربية التى مضى عليها اليوم عشرة أعوام فتشاهد القارئ معالما للتقدم الذى يرى فيه كيف قدر « بيران » في وصفة تشبه الرصاصة السابقة ، وكيف نستنتج من طول ملاحظاته قصة خالدة من قصص الوجود ، وكيف وضع بها حجراً أساسياً فى بناء المعرفة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسة

من هنا ومن هناك

هتلر كما يراه علم النفس

[ملخصة عن « يوروب نوفل » الفرنسية]

كثر الكلام عن دكتاتور ألمانيا في هذه الأيام لمناسبة الحرب التي أشعلها في أوربا ، والروح التي تسيطر بها على البلاد الألمانية ، وكثر القول في تحليل تلك العصبية الغريبة التي أورثت العالم كثيراً من التعب ؛ وقد نشرت مجلة « أوروب نوفل » الفرنسية حديثاً للعالم النفساني المشهور دكتور « كارل جنج » حلل فيه دكتاتور النازي من ناحية علم النفس فقال : « كان في العصور الأولى للبشرية رجال من طراز الأنبياء الذين يصبحون من الحكماء والرؤساء ويمتاز عن سائر رجاله بالقوة الجسمية ، والمراوغة ويكتسب نفوذه عليهم بسبب ذلك »

ولا شك أن هتلر لا يوجد فيه من الصراحة الجسدية ما كثيراً ما يلاحظ في أخلاقه من ذلك المزيج العجيب ، وتلك النظرات السحرية الرهيبة مما يجعلنا نحسبه في صف العرافين

ولعل تلك النزعة الروحية في هتلر هي التي تدعوه إلى بعض الأعمال التي يراها بعيدة كل البعد عن المنطق والمعروف لنا منها من الغرابة والشذوذ . وقد نستطيع أن نعرف أن تسمية الرايخ الألماني بالرايخ الثالث قد تسبب للمصيبتين روحي خاص . إن أحداً من الناس لم يفكر في تسمية إمبراطورية القيصر ويلهلم الثاني ، الرايخ الثاني .

فاختيار النازي لكلمة (الرايخ الثالث) لم يكن يقصد به معنى الكلمة في ذاته ، وإنما اختارها النازي لأن كلمة « ثالث » لها معنى روحي يوحي في الباطن إلى الثلاثة المقدسة

وقد أخذ الألمان يحيون نوعاً من التقليد تحت اسم « وتان » فما هو وتان ؟ هو إله الريح . وقد أشار بعض الكتاب تحت اسم كتابه « العاصفة النازية » بعنوان العاصفة التي تسقط مع الرياح فتقطع الأخضر واليابس وهي رمز الشر عند الجرمانيين

هذه الرموز والأسرار التي اجتمعها الرايخ الثالث قد ساقت الألمان وجميع الزعماء تحت لواء الرايخ ، ووراء تلك الشارة التي ترمز إلى معنى الوحدة ... ولا نعلم عن ذلك الروح الخفي الذي لا يعرف حقيقته أحد

وهتلر مرآة لما هو مطبوع في نفوس تابعيه ، فكأنه الصوت المكبر لما يجول بخواطرهم ، وهو يستمد قوته من عقله الباطن الذي يتحول إلى عقل واع يسيطر عليه ويحركه كيف شاء

نحن نعرف هذا الباطن ولكننا لا نعيه ، ولكن هتلر يحس إليه ويطيعه طاعة عمياء

إن الألمان في موقفهم الحالي كاليهود في العهد القديم ... اليوم الذي ... وهم ينتظرون مسيحاً ... وقد وجدوا هتلر ... وقد جعل رسالته إليهم أن يوحد بينهم ويعيدهم إلى الأرض الموعودة . ومن هنا نستطيع أن نعرف السبب الذي من أجله يحارب النازي كل ديانة لا تمس ...

الألمان قوم وجدانيون ، يقتحمون في كل شيء نحو غايته وقد كان يسرهم أن يظهروا في ثوب « المتطفل » الإمبراطوري ، فنادى فيهم هتلر : لقد آن الأوان لتكون ألمانيا ..

إن هتلر كاهن وعراف ، فلو بحثنا عنه كرجل فقد لا نجد في الواقع إلا شيئاً : أحلام وأحوال تكونت جميعها فأوجدت رجلاً

[illegible]

[عن « ... »]

قال أحد مؤرخي الإغريق الأقدمين في سفر من مؤلفاته « إن الأعداء في أثناء حصارهم لمدينة « ... » عام ٤٧٠ قبل الميلاد حاولوا أن يغزوا المدينة ويستولوا عليها بتسليط الدخان ، فحفروا حول الأسوار وملأوها بالحطب والكبريت والقار ثم أشعلوها حول المدينة ، ولكن الدخان ارتد إليهم بتأثير الريح فاضطرهم إلى الهزيمة والفرار

ولكنهم أعادوا هذه التجربة في حصار « بلاتيا » ، وظلوا في هذه المرة الاستيلاء على المدينة إلا أنهم ما كانوا يدركون أن

أكسيد الكربون هو الذي ساعد على نجاحهم لا مجرد الدخان

وقد استخدمت هذه الطريقة نفسها في العصور الوسطى ؛ ويقال : إن أحد الأعداء كان يسكن في برج عال ، فوصل إليه الدخان في غفلة وقضى عليه . إلا أن هؤلاء الذين كانوا يستخدمون هذه الوسيلة لم يدركوا أن الموت كان مسبباً من أكسيد الكربون وكانوا يعتقدون أن يحشوا في نيرانهم الكبريت والقار وما يشبهها حتى في الماء، ويسمونها (نار الإغريق) ، وكانت (نار الإغريق) معروفة في عهد الإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية البيزنطية ، والعصور الوسطى ، وعصر النهضة

وقد أشار أحد مؤرخي العرب في القرن الرابع عشر إلى إحراق الأعداء بإحراق الغاز بما ينبعث منه من الأبخرة السامة . وقد وجد في مكتبة الوثائق السامية في برلين كتاب مؤرخ في سنة ١٤٣٧ يحتوي فكرة عن صنع القنابل السامة المحتوية على الزرنيخ . وقد أدرك المتقدمون أن بعض المخدرات تحوي ثقلاً أخف من الهواء ، ورأى العالم الهولندي (سيمونسكس) في أواسط القرن السابع عشر أن نجمها في ثقل الدخان الذي ينبعث من المفاتيح المحرقة ، وزعم أنه بذلك يستطيع أن يخلق جواً ساماً لا ينجو منه إنسان

وإلى هنا تنتهي المرحلة الأولى من تاريخ الغازات السامة ، وإذا كان لم يجرؤ أحد على استعمالها حتى عام ١٩١٤ فليس ذلك لأن العاطفة الإنسانية هي التي وقفت دون ذلك ، ولكن المحاربين كانوا يخشون عند إلقاء القنبلة السامة ، أن يصيبهم دخانها كما يصيب أعداءهم . وقد قدم كيمياوي إنجليزي إلى نابليون اختراع قنبلة سامة فلم يرض عنه . ثم كثرت المخترعات التي من هذا النوع وضعت في القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٩١٢ أجمعت جميع الدول في مؤتمر لاهاي على عدم استعمال الغازات السامة ، ولم تسمح باستعمال شيء منها على الإطلاق ، وقد أباحت استعمال الغازات التي تعمي للدموع لأنها لا تسبب للإنسان ضرراً يستمر تأثيرها

ولكن ألمانيا استعملت الغازات في أواخر أكتوبر سنة ١٩١٤ مناقضة بذلك تعهدها في مؤتمر لاهاي . إلا أن القذائف التي استعملتها لم تف بالمرام ، فقد كانت سمومها القوية سريعة الزوال فعدلت عنها بعد عدة محاولات ، ولكنها عادت إلى استخدامها في فبراير ١٩١٦

وقد أحرقت ألمانيا في ثلاث سنوات ونصف ٢٥٠٠٠ طن من الغازات السامة ، وقد بلغ عدد الذين أصيبوا من الجنود الفرنسيين بهذه الغازات ٢٠٧٠٠٠ جندي ، وقد ثبت أن ٢٧٪ من الجنود الذين شملتهم الحملة الأمريكية في الحرب ماتوا بالغازات السامة

دراسة التوائم

[ملخصة عن مجلة « ... »]

حدث في أمريكا في السنين الأخيرة دراسات وأبحاث جديدة في علم النفس ، وقد بذل الباحثون مجهوداً عظيماً في تحليل نفسية التوائم ، واكتشاف ما بينها من الأسرار والعجائب . وهي ناحية ممتعة جذب إليها الكثير من العلماء الذين صرفوا جهودهم في دراسة النفس . وقد وجد أن حياة التوائم تختلف من الناحية العقلية والنفسية عن سائر الأطفال

وتنقسم التوائم إلى نوعين : التوائم المتشابهة وهي التي يتشابه فيها التوأمان حتى يصعب على الإنسان التفريق بينهما ، وهذان التوأمان يتكونان في الرحم من بويضة واحدة . تنشطر بعد أن يتركب النوء إلى شطرين كل منهما يكون إنساناً منفصلاً عن أخيه

أما النوع الثاني فلا تكون المشابهة فيه بين التوأمين ، إلا كما تكون بين سائر الإخوة الذين يولدون لأم واحدة . وهما في هذه الحال يتكونان من بويضتين منفصلتين منفردتين كيف كانتا في رحم واحد

وقد وضع الأسس العلمية لدراسة التوائم السير فرنسيس جالتون (١٨٢٢ — ١٩١١) واضع علم الوراثة ، وقد أخذ بأبحاث القيمة في الأطفال التوائم ، ومن جاءوا بعده بالحقائق المدهشة التي استطاعوا بوساطتها أن يحلوا أعصى المشكلات

ومن الحوادث التي تسترعي الأنظار في هذا الباب أن أختين توأمين إحداهما تعيش في باريس والأخرى في ضواحيها ، أصيبت الأولى بتدرن في موضع في الرئة فأرسل الطبيب إلى رسول له يكشف على الأخت الأخرى ، وشد ما كانت دهشة الطبيب حين تبين له أنها أصيبت بالتدرن في نفس الموضع الذي أصيبت به الأولى . فكانت الأختان توأمين متشابهين ، وقد أثبت التجريب أن التوائم المتشابهة تصاب بالتدرن الرئوي والتهاب الأنف والحلق في وقت واحد . إلا أن هذه الحالة كانت نادراً ما تحدث في اتفاق التوأمين في موضع الإصابة وفي الوقت الذي حدثت فيه .

عطلة الفكر الشرقي:

كنت مسافراً على بحر الروم ، وكانت «النيل» موضع رعاية الأمواج البيض البحار ، وهي صواحب جانبيه في ذلك الأمر وأكثر الحال

جلس قوم بعضهم إلى بعض يتحدثون عند مسير الباخرة (أو من تحتها ، كما كانت العرب تقول) على عادة الذين يجتمعون في رحلة معرفة مستطرفة أو لقاء على غير وعد . وانطلق الحديث في شؤون مصر ، وكثر من ذكر ما في وجوه الإصلاح ، حتى انتهى إلى قصة التعليم ونشأة أبناء الأمة . وهنا رجل ، خالص صوته قاصد في الإشارة ، يدخل في حديث انعطف إليه أهل . قال :

« ما أظن أحدكم يشك في أن وجه التعليم الغالبة عندنا إنما هي إخراج كتبة وموظفين . وأن مثل ذلك مكتب وكثير من الأمور المتصلة بالسياسة المفروضة أول الأمر ، يوم كنا لا نملك لأنفسنا من النفع شيئاً . ثم ذهبت العلة الأولى ، ولكن الأثر بقيت من طريق سلطان العادة وقصد المنهج . ومن هنا اختل

التوازن ، وكسرت القيود الاجتماعية ، فانفسحت مسالك الحياة وانبسطت ميادين البحث ـ والمدارس لا تملك تخرج طوائف متماثلة من جهة الرزق والتكسب ، التعود في عقولهم ، وتصور في مداركهم ... تلك الوظائف التي نالها ونال غالبهم آباؤهم من قبلهم ، وكلهم من الكفايات والأصابع ، فلا مطمع ولا اعتماد على النفس ولا رغبة في التحرر من الطراز والاقتحام بابٍ من أبواب الاحتراف الصعب ، وشق أفق من آفاق الأرزاق .

« يتعلق هذا الأثر ، على مر أول الأمر في عمومه . وسبب ذلك أن الإصلاح ، في مثل هذه الحال ، لا يكون من باب التصور والتحويل . ويتعلق ما الإسراع والإنجاز . على المتشرب على التعلم أن ينظر في وجوه الحياة ويتسع موارد الكسب ، والحياة تقوم — أو ما تقوم — على الساحة ، وموارد الكسب إنما هي السوق على تجارتها وصناعتها . وهكذا صح الوجهة إذا تم المقصد

« وفي تلك السوق تنفذ التجارة والصناعة والزراعة ، وما يتطلب كل جهداً أو يأخذ ما يحتاجه ، والمدارس المصرية التي تعلم هذه الفنون الثلاثة قليلة ، ونسبة إلى المدارس التي تخرج الكتبة والموظفين حقيرة . ومن هنا نرى أن التوظف في مصر سيبقى ما يقال له : « التضخم » من وجه ، ويحرم من جميع طلابه من وجه آخر . ونشأ من هذا أمران : الأول بقاء سلطان الوظيفة الفتيه المركزة ، والثاني البطالة . ويتصل إلى كل ذلك أن مرافق الحياة الاقتصادية مصيرها الاعتلال أو تخرج من قبضة المصري إلى الأجنبي ، بل تظل أو تبقى في قبضة غير المصري

« ثم إنه يحسن بنا أن نضع من حال السوق شيئاً ، فنلقى سبيلاً جديداً ثم نمد لها الناس في المدارس ، ولا يكون هذا إلا بمعونة وزارة المالية ووزارة التجارة والصناعة . وعلى هذا النحو نعدّ دائرة الحياة الاقتصادية ونوزع عمل الناس ، فلا نقتصر

وقد يعنى بعض الجراسات (المتشابهات) في الأبعاد الإجرائية إذا كانا من الجرميين ، فيأتي أحدهما ببعض الحركة التي يأتيها الآخر وقد يكون في منزل عنه على أمد بعيد ، وقد أثبتت التجارب وقائع كثيرة من هذا النوع

ومن التجارب النفسية المعروفة اختبار القرعة والحبر ، فيلقى شيء من الحبر على الصفحة من الورق وتطوى ثم تفتح . ويسأل الشخص الذي يراد اختباره عما قد تذكره به ، فيفسرها كل إنسان تفسيراً مختلفاً عن الآخر ، فبعضهم يقول مثلاً إنها تشبه الحيوان ، والبعض يقول إنها تذكر الطائر أو النمل أو الإنسان أو ما إلى ذلك . ولكن الجراسيين المتشابهين ، يجيبان في الغالب إجابة واحدة . فنقطة الحبر المرسومة تثير في رأسيهما صورة واحدة في تلك الأحيان .

وجوه النشاط في مضارب سلمية مضبوطة ، ولا تعني الثقافة إلى منتواها. ومن ذلك كله أستيقن من أنها نصلاً من مستقبلنا. »

نقل الرجل مقالة السعيد ، ثم نهض وسهمنا إلى الشباك التي إلى صديقي في مسألة : متى الرحيل ؟ فقال الدكتور السنهوري: وأظن لي أنه جئت إليه بعد ذلك ، فإذا هو على أهبة علم وألطف أدب

* * *

وجلس السنهوري بعد ذلك على رحلة لأسبوعين مضيا وجرى الحديث على خطة وزارة المعارف في التعليم . فقال الدكتور السنهوري — وهو الآن وكيل الوزارة — ما كان يطوف به ر « النيل » عصفًا إلى شواطئ أوربة ، فأيقنت أن هذه الخطة ما غفر بالروية والتعب ، إنما هي بالرجعة رجعالا ولا البعد منه بحكم العصر

وقد بدا لي أن أسأل وكيل الوزارة في شأن الثقافة ، وما تكون حالها إذا هو صرف همه إلى وجوه الحياة الاقتصادية فقال : إني أدرك ما وراء سؤالك من القلق لأحب الأشياء إليك وأغلاها عندك . فلا عليك ، لا عليك ! إن الثقافة لا تزال موضع عناية . على أنه لا بد لنا من السهر على مستقبل العيش من بسط مرافق الحياة المادية وإصلاح الشيء منها . هذا سهر وهنالك عناية ، والتفاوت بينهما في الدرجة ، لا في الرتبة ، على قول الفلاسفة

قلت : لأهل الثقافة إذن أن يرقبوا الإصلاح هنالك . فهل تنظر الوزارة في إلحاق المعهد الملكي للموسيقى العربية ، وتراجع طريقة إنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتسأل كلية الآداب عن حقه ما ينال فيه ، وترد بعض كبار موظفيها عن الاستبداد بطريق الكتب ، وتحمل المصري يعين موظفها من الأجانب سمعًا واحدًا (مثلا سود قصة « نقائض دار الآثار العربية » « الرسالة » رقم ٣٠٤ و ٣٠٦ ، ولا قصة المدرس الفرنسي ماروبل الذي نال — فيما قيل لي — شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس على حساب الحكومة المصرية)

ذلك قليل من كثير ، وأجل من ذلك حاجتنا إلى أن تصلح طرائق المعلمين بتخريج النشء على القراءة والتطلع والتفكير والمرح ، لا التكتل والبلادة والتحبس . وأظنني كشفت ذلك في بحث نشرته « مجلة الدراسات الإسلامية » في باريس (١٩٣٦) ؛ ولا حاجة بمثل عبد الرزاق السنهوري بأن يُلفت إليه

بشر فارس

النقد الأدبي

قرأت في « الرسالة » كلمة لأحد الكتاب يذكر فيها مقالاً في نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية ، ويذكر أن بعض الجرائد والمجلات قالت إنني تخطيت الجانب الأدبي إلى شؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، ومن الصحفيين من أشار إلى أني موظف بوزارة المعارف ، وفي إشارته ما فيها !

هل أستطيع أن أدافع عن نفسي ؟

هل أستطيع أن أقول إن النقد الأدبي لا يقتصر على الزخارف اللفظية كما قالت إحدى المجلات ؟

النقد الأدبي هو درس الصلات بين المعاني والأغراض ، فلو فرضت نصًّا مذهبيًّا لكان من واجبي أن أنظر إلى النص من ناحية مذهبه ، ولو كان النص فلسفيًّا لكان من واجبي أن أنظر إليه من ناحية فلسفته ، ومع ذلك أظل في حدود النقد الأدبي

وخطاب العرش بطبيعة موضوعه يتعرض لشؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، فنقده من وجهة أدبية يستوجب أن ننظر في ما احتواه من هذه الشؤون ، فكيف يستجيز بعض الناس أن يجنحوا إلى التعصب من النقد الأدبي معتبرًا الأغراض سياسية ؟

ومعاذ الوطن أن أشعر من حول المعنى ، ولكن يجب أن أنصف نفسي فأقول إني لم أتجاوز الحدود الأدبية في نقد خطاب العرش ، فمن طاب له أن يتحول إلى موظف بوزارة المعارف يجد من حرية الفكر ما يلتمس في طريقه وهو مضمور الحقوق ، لأنه على كل حال مواطن حر

وهنا مسألة يجب النص عليها لأهميتها من الوجهة القومية

إن مقالي في نقد خطاب العرش نص على الرقابة بوزارة الداخلية فأجازت نشره ، ولمن تعرف أني موظف بوزارة المعارف ، فما معنى ذلك ؟

معناه أننا في مصر وطن الرأي والحرية والتشريع في النقد الأدبي

ولن قيل إن هذه أول مرة ينقد فيها خطاب العرش من الوجهة الأدبية فسأقول أيضًا إن هذا العهد يشهد أول مرة من رجل مصطفى كامل ومحمد عبده وسعد زغلول

والصحفيون الذين أرادوا أن يصدوا هذا المقال من دون قد نسوا أني رجل قديم ، له عليهم حقوق ، ومنهم من يذكر

أن «الموظف» هو أيضاً وطني* «أعمال سلبية» ، ونضع لهم بحفظ الآية الكريمة: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)

زكي مبارك

في كلية الآداب

منذ أسابيع أقرأ في (الرسالة) الغراء حملة على مدرس في كلية الآداب ، حمل لواءها أول من حمل صديق الدكتور بشر فارس على لسان الدكتور بشر ، وتلاه من بعد (حاسبهان) آخران ولا يعنيني من هذه الحملة إلا أن أرسم الوقائع التي سردها الدكتور بشر فارس نقلاً عن صديقه ، ثم ما ذكره الآخران من وقائع أخرى. وليأذن الدكتور بشر أولاً أسوق الحديث

ذكر في حديثه عن هذا المدرس مسألتين: الأولى تتصل بمكتبة الجامعة؛ والثانية تتصل باستخدام الأستاذ الدكتور سالومون بينس

أما المسألة الأولى وما ذكره في شأنها من أن هذا المدرس «يتطفل المظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة» فلعله قد اقتبس من الحديث التليفوني الذي ساقه إليه أحد كبار الأساتذة في كلية الآداب ، وهو وإن الأمر فيما يتصل بشؤون مكتبة الفلسفة الخاصة بكلية الآداب ، إلى هذا «التطفل» قصة لا أساس له من الواقع ، وإنه من اختراع مخيلة صديقه الخصبة المريضة. بل إن المسألة على العكس من ذلك تماماً ؛ فإن صلة هذا المدرس بمكتبة الجامعة صلة يجب أن نشكره عليها كل الشكر ، فقد أنفق من يرجون البحث في المسائل الإسلامية حق الخدمة دون أدنى مقابل. ويكفي أن نعرف أنه حقق قسماً خاصاً في المكتبة يجمع كل ما تحتويه من كتب إسلامية عربية أو غربية ، وأنفق جهداً مضنياً في مساعدة القائمين على شئون هذا القسم من موظفي المكتبة من حيث جمع الكتب وتبويبها ووضع الفهارس لها والإرشاد عن مظان المسائل الإسلامية المختلفة. كل هذا الجهد الهائل قد بذله دون أن يؤجر عليه ، على أني أعرف من الأعضاء صلته بالمكتبة إنما صلة تطوع لا صلة توظف ، صلة يجب أن يسجل له الباحثون في المسائل الإسلامية من أجلها أعظم الشكر

وفيما يتصل بالدكتور سالومون بينس يجب أن نقرر أولاً أن هذا المدرس في كلية الآداب لم يقترح مطلقاً على الكلية أن تستخدمه ، بل إن صلة الدكتور بينس بمختطفه منذ أكثر من سنة وصحب ، وليس أدل على تهافت كلام صاحب الدكتور من ذكره أن قسم اللغة العربية قد شغل آناءه لسماع اقتراح هذا المدرس ؛ فلو أن هذا الاقتراح لا يتعلق بقسم اللغة العربية بل بقسم الفلسفة ، لأن الدكتور بينس يشتغل بالفلسفة الإسلامية فحسب ؛ ويحسب له مشاركة في أبحاث أخرى من نواحي الاستشراق. فإذا استخدمته كلية الآداب ، فلا شك يكون مدرساً للفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة

هذا هو الواقع في مسألة صلة هذا المدرس بالدكتور بينس وما قيل عن اقتراحه المزعوم

أما مسألة استخدام الدكتور بينس فهي في ذاتها أمنية تحقق في نفوسنا نحن المصريين المشتغلين بالفلسفة الإسلامية وليس أدعى إلى اغتباطنا من أن يأتي إلى الكلية مدرس في مرتبته أعظم الفائدة للطلاب ، ونهوض ببرنامج الدرس للفلسفة الإسلامية في كلية الآداب نهوضاً كبيراً. فالدكتور بينس مستشرق ممتاز ، ويعد من أقطاب الجيل الذي بدأ يحوز من كبر السطوة في حركة الاستشراق بعد أن انقضى الجيل السابق من المستشرقين أو كاد بعد موت المرحوم نلينو. ولي أن أعجب لشيء ، تجاهل الدكتور بشر فارس بمكانة بينس ، مع أن الدكتور بشر فارس ممن لهم إلمام بحركة الاستشراق غير قليل ، وأغلب الظن أنه إنما تجاهل بينس ولم يجهله — حرصاً على إرضاء شهوة الصديق أن ينال من هذا المدرس في كلية الآداب. ويكفي أن يذكر المرء من أبحاث الدكتور بينس «رسالته في مذهب الجوهر الفرد عند الإسلاميين» فهذا البحث من أحسن البحوث التي كتبها المستشرقون في الفلسفة الإسلامية على الإطلاق؛ وسيرى قراء العربية قريباً شيئاً من طبيع ترجمتنا لهذه الرسالة. هذا ولم نذكر مقالاته العربية التي نشرها في مجلات المستشرقين وخصوصاً في مجلة «الحضارة الإسلامية» التي يصدرها بعض الأفراد المشتغلين بالدراسات الإسلامية وهذه الأبحاث التي كتبها بينس تمتاز بالطرافة في النتائج التي يصل إليها ، والاستقامة في مناهج البحث العلمي والتعمق في فهم المذاهب الفلسفية الإسلامية وغير الإسلامية

فاستخدام الدكتور بينس للتدريس في كلية الآداب فائدة

كرى، وأمل أعرب للأستاذ عزمي بحل معضلة الدراسة في الكلية أن تزول عن قريب وقد تمضي

ومن هذا كله يتبين أن الحال في المسألتين اللتين ذكرهما حضرة الدكتور بشر فارس كما زعم المدعين، بل هي على العكس من ذلك تماماً في سجل الشكر عند المدرس في كلية الآداب

أما المسائل التي ذكرها الجامعيون الأعزاء فلا تستحق منا أن نرد عليها ما كرس عواطفه إلى مادة كل يطال كله. فالراتب الذي يتناوله هو الراتب العادي الذي يتناوله أمثاله المدرسين الأجانب بالكلية، ووصمة الخيانة ... عنه أقل ما تستحقه هو السخرية للطلاب، وفي هذا فليرجع إلى كلية الآداب من شاء

وأخيراً أقول لمن تحدث عن الظلم منهم كما أقول لزميله الآخرين: اتقوا الله في الظلم أمام ضمائركم، قبل أن تدعوا الناس فيه أمام الناس حتى لا تضطروا إلى الدفاع عن أجنبي مواطناً لا يؤمنه شيء، فضلاً أن يلجأ إلى الدفاع عن حبي بإزاء مواطنين

عبد الرحمن صدقي

المصري غريب في ميدانه الثقافي

اطلعت في مجلة الرسالة العدد ٣٣٠ على كلمة مروية عن حديث للدكتور بشر فارس تحت عنوان «في كلية الآداب» أثار فيها مسائل هامة تمس الحياة الثقافية عندنا. واطلعت بعد ذلك في مجلة (الصور) تحت عنوان «النبوغ في مصر ... مجهول» في بيان للأستاذ صبري أباظة ذكر فيه حقائق خاصة بضياع حقوق الخاصين من الشباب المصري. وقد كتب الدكتور بشر في الرسالة كلمة أخرى لزميل (حامس) بيّن فيها كيف يحتفي للمدرس الأجنبي بما يميز على المدرس المصري في بلده، ثم كلمة ثانية نشرها بلفظ (جنس آخر)

ولقد حدث — حين كنت بباريس — أن بعض أولئك الأجانب — وكان قد قضى بمصر سنوات — لما سمع لأول مرة قدر المرتب الذي عرض عليه لم يصدق أذنيه، فلما رأى كشف المرتب كاد لا يصدق عينيه، مع أنه لا شك فيه أنه يعرض على أمثاله بسبب المرتب ... والكبار ... هذا مع العلم بأن في المدرسين والأساتذة الأجانب فئة لا ينكر فضلها وعملها عندنا جميعاً

كيف نرفع المستوى الاجتماعي والأدبي عندنا وبين هذه الفئة من يختص من أقدار مواطنيه وينظر إلى الطلبة الأ... كأنهم من طينة دون طينة الأجنبي إطلاقاً ... الأجانب على طول الاحتكاك بهم، أين منه الوطنية الصحيحة لا تلك الكرم والضيافة والدعوى العريضة التي لا تجدي؟

ثم لم ننس أموال الدولة على أعضاء البعثات الذين يقضون في الخارج سنين أكثر أيامها جهد وكد، حتى إذا عادوا إلى الوطن قلّ ما يجدون حاجة تليق بهم ونظراً إلى العمل ... ورأوا زملاءهم الأجانب أوفر حظاً

ورحم الله شوقياً إذ قال:

أحرام على بلابله الدوح ... حلال للطير من كل جنس؟!

[illegible]

حول المصحف المحرف

جاءنا من الأستاذ شيخ المقارئ ما يأتي:

إشارة إلى الكلمة المنشورة بالعدد رقم ٣٣٤ من الرسالة الصادر في ٢٧/١١/١٩٣٩ بشأن خطأ في مصحف يسمى «المصحف الرباني» طبعه عبد الرحمن أفندي محمد — نرجو منها أن نفيد أن المصحف المذكور تم طبعه ونشره دون الالتزام بهدف مراجعة ولا إذن، وقد سبق أن رفع أمره إلى مشيخة الأزهر في شهر يناير سنة ١٩٣٩، وطلبنا منها إلزام ناشره بإصلاح أخطائه ومسحه التي طبعت عليه مع منعه من الاتجار بها بدون إصلاح.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

الصباغ
شيخ المقارئ

شمال أفريقيا والأستاذ الحصري

يقول الأستاذ الحصري في مقاله «بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية» (الرسالة ٣٢٨): (إن العالم الإسلامي يشمل الأقطار العربية وتركيا وإيران والأفغان وتركستان مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس وأفريقيا الشمالية مع قسم من أفريقيا الوسطى)

فالأستاذ الحصري يرى أن الأقطار العربية هي فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن، أما أفريقيا الشمالية التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش فهي عنده بلاد إسلامية وليست عربية. فهل هذا هو الحق يا سيدي الأستاذ؟

فقد انصرم أكثر من اثني عشر قرناً على عروبة أفريقية الشمالية ودلت التجارب على أن جريان الزمن لا يزيدها إلا تمسكاً بعروبتها وقوميتها! ولكن بعض إخواننا في الشرق ينكرون — من غير عمد — هذه الحقائق البسيطة

والأستاذ المصري نفسه زار شمال أفريقية منذ أشهر ثلاثة ووصل إلى المغرب فطالت زيارته ورجونا خيراً من زيارته القطر الغربي الذي جهلته الأقطار العربية وبحثنا عنه في كل مكان فما أسعده الحظ بلقائه

سلوه هل زار كلية القرويين وجامعه ومكتبته العربية؟ سلوه هل طاف بمدارس فاس الأثرية وشاهد ما تركه بنو العرب بجدرانها؟ سلوه هل زار قصور الحماية بمكناس ومنارة الكتبية بمراكش ودار الآثار العربية بفاس وهو مصدر لكل هذه الآثار؟ سلوه إن لم تخنني الذاكرة

سلوه بعد هذا ماذا أفاد من رحلته إلى (عاصمة!) أفريقية الشمالية

كان يمكنه أن يعلم شيئاً كثيراً عن عروبة هذه البلاد لو اتصل بعلمائها وأدبائها واستطلع الشعب الذي يود التعرف بأمثاله من أبناء الشرق

وعلاوة على ذلك فإن المغرب وهو جزء من أفريقية الشمالية يمتاز بعروبته ووحدة دينية مذهبية لا نجدها في جزء من الأقطار العربية كمصر أو سورية أو العراق؛ فليس في المغرب أقليات دينية سوى أقلية صغيرة من اليهود الذين يتكلمون اللغة العربية وسوى أقلية تافهة من الأجانب الذين نزلوا المغرب بعد الحماية

أما الوحدة المذهبية فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب الإمام مالك بن أنس، وليس فيه طوائف دينية كالشيعة أو الإباضية أو غيرها من هذه الفرق الدينية التي توجد كثيراً في بلدان الشرق العربي والإسلامي

ألا ترى أن النزعة القومية الكامنة في رسالتنا هي التي تضطرنا أحياناً لإصلاح أغلاط إخواننا العرب هناك، فلم لا يكون بين البلاد العربية سفراء سياسيون وثقافيون يقومون بربط العلاقات الثقافية والسياسية بين أبناء البلاد العربية؟

(فاس) أبو الوفا

المهرجان الرسمي بضريح أبي العلاء

روت صحف سورية أنه احتفل بالمعرة بوضع الحجر الأساسي لضريح الفيلسوف الشاعر أبي العلاء المعري؛ وقد حضر هذه الحفلة رجال الحكومة وافتتحها السيد طالب الدركزلي بكلمة رحب بها إلى المندوب السيد زكريا سكري وقد تقدم [illegible] والمسيو مونكلوك بوضع الحجر الأساسي

وألقى الشيخ بدر الدين خطاباً تكلم فيه عن عبقرية أبي العلاء وأن الأمة التي أنجبته تستحق البقاء ما دامت تنجب أمثاله وتعترف بكفاءتها، ثم شكر رجال فرنسا والمحليين وكل من شجع الحكومة بحضور هذه الحفلة. ثم وقف المسيو مونكلوك فألقى خطاباً أعرب فيه عن سروره باشتراكه في الحفلة وذكر شهرة أبي العلاء وأنه كان أبدع مظهر للذكاء العربي، وأسهب في الكلام عن شعره، ثم شكر باسم المندوب السامي وباسمه الذين قاموا بهذا المشروع وهنأ المعرة على أن تضم البلاد السورية ضريحه

جائزة مختار للنحت لعام ١٩٤٠

تنظم جمعية أصدقاء مختار في هذا العام مسابقة في فن النحت إحياء لذكرى المرحوم السيد [illegible] صديق المرحوم مختار الذي ساهم بقسط وافر في نهضة الفنون الجميلة بمصر وظل لآخر لحظة من حياته عضواً عاملاً في جمعية أصدقاء مختار

وجائزة هذا العام قدرها خمسة وأربعون جنيهاً مقدمة من حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي وهذه الجائزة على ثلاث درجات: الأولى ٢٠ ج والثانية ١٥ ج والثالثة ١٠ ج

وموضوع المسابقة «الحرب» عموماً، وللمشتركين في المسابقة الحرية في اختيار نوع طريقة ووضع المنحوت على أن يختار واحداً من هؤلاء:

تاج الحرب سوس وجدان مصرعان حلوى جيل ورق سن السكين وسن القلم باسم الابن باسمه على لورد السماء عراك ريشة يا جار محمود المشوراه حب الحرب الخ

وآخر موعد لقبول الاشتراك في هذه المسابقة هو ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٠ ويجب أن يقدم المشتركون في المسابقة تماثيلهم في ميعاد يوم ٢٥ مارس ١٩٤٠ بصالة المعرض التي سيعلن عنها في الوقت المناسب

والمرجو من حضرات الفنانين الراغبين في الاشتراك في هذه المسابقة أن يقدموا طلباتهم إلى سكرتير «جمعية أصدقاء مختار» جبرائيل جبور أفندي بشارع الإسكندراني نمرة ٦ بالقاهرة ت ٤٩٠٤٧

رواية «...» على مسرح الأوبرا

حسبك من هذه الرواية أنها تصور الجيل الجديد المتحرر عما رسب في أعماق الجيل القديم وأنها تفتح عيون الشباب على حياة جديدة جديرة بهم.

أما أنها تصور أو لا تصور من الروح المصرية شيئاً ما فهذه مسألة ... إلى حين، وحسبنا أن المؤلف (هنري برنشتين) كان فيها إنساناً أكثر من مواطن فرنسي، فهو لم يعبر عن حالة معينة في الخلق الفرنسي والبيئة الفرنسية وإنما أراد أن يرسم للشباب كله – الذي خرج من الحرب منهوك القوى محطم النفس متعطشاً بكل قواه إلى اللذة والمرح – حياة جديدة، وأن يصور إليها طالباً منه أن تكون لديه الشجاعة الكافية للاقتصاص من الجيل القديم وتقاليده وما عرف عنه من الاستسلام للأمر الواقع وانتظار حكم الزمن.

أما ممثل الشيخ فإنه كان قوياً حيث لم يخش ... وألسنة الناس وهو يستنزف كله أصداها ووصفاً مرتبطاً به مع ... ليعطي كله فتاة جديرة بحمل اسمه، هي أخت الأولى ومن ...

ولم يستطع ممثل الجيل القديم أن يكون الإنسان الذي ... من سعادته وهناءه العائلية ولكنه كان يكون سبباً في انتظار حكم الزمن، أما ممثل الجيل الجديد فقد أصدر حكمه بنفسه وفي ... فباء الأول بحياة كسيرة وفاز الثاني بحياة حافلة بشتى ضروب السعادة والهناء.

وقد ظن مقتبس الرواية أو من المصححين الذين قاموا بترجمتها وتمصيرها ... في هذا السبيل ... بأشخاص الرواية إلى الطبقة الارستقراطية كي يبرر هذه الحياة الأجنبية التي ... هذه البيئة ... في ... الرواية.

«ولن تنتج ... – أي الزوجة الثانية – على حقائق الحياة المصرية ... أن ... الأعمى ... على الشرق وبالاً ... على الأسرة، فالقضاء على ذلك ... كما هي ... ليكون لها ... هذه الطبقة الارستقراطية التي ... تقليداً أعمى عوائد الغرب على حين أن الرواية لا تقصد إلى شيء من هذا وإنما ترمي إلى ما هو أسمى وأعم نفعاً وأوسع مدى من هذه الفكرة المحلية، فهنري برنشتين يرى أن ... رجل الزوجية ... بعده

هناء ... وعصام كيان أسرته، ويرى ... وما دعا المقتبسين إلى الركون إلى ذلك إلا ... إلى أشخاص الرواية ليس في مصر ... – أي النقاد – في روايته ... من ... في (الزوجة الثانية)

وهذه الرواية هي الثانية التي ... الأستاذ فتوح نشاطي، فأما الرواية الأولى (عن ... أسبانيا) فقد كان ... شاملاً ... على المجموعة ... ذلك الجو الذي ... في هذه الرواية فقد ... ، ... نستطيع أن ... للموج أو ... الذي لم ... الزمن، ومع ذلك فقد ... الرواية ... كان ... كله في ... المتفرجين الذين ظهروا في الرواية، فقد ... الأثاث في ... وأناقة بحيث لا ... ولا ... من ... ، وكانت ... ما ... في ... وكان ... بنظر ... الذي يعيش فيه.

أما التمثيل فقد كان موفقاً في أغلب المواقف وليس ... على ... الفكرة ... وبالتالي ... في ... التي ... وعلى أي حال فلا بد من ... إلى أن أول ما ... الممثل هو ... دوره ... لم ... فليس ... أن ... كان ... دوره

وقد ... الرواية ... أنها خرجت ... ثوبها الأصلي، فإن من رأينا ألا ... الروايات وأن ... كما هي ... إلى مؤلفيها دون سواهم ... وأيضاً ... أنه ... من ... أن ... فكرة من رواية ... معنى الاقتباس ... الفكرة ... ثم يكتب روايته من جديد ... إلى الرواية المصرية، فلا ... منها ... حتى يكون ... التأليف لا ... النقل

... الصعيدي

7ème Année No. 337

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 18-12-1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البديع رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٧ «القاهرة في يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

صاحب المعالي وزير المعارف

على ذكر مؤتمر التعليم العام

عرفك الناس يا صاحب المعالي في [illegible] أطوار النهضة وأدوار الجهاد رجل جد وعزيمة، وصاحب رأي وعقيدة؛ وعرفك [illegible] واحد الزعماء في حب الصمت وكراهة الإعلان وإيثار العمل. ولقد كان سكوتك [illegible] من أماني النفس [illegible] [illegible] وزارة المعارف قد استفحل وأعضل حتى يتأس منه الطبيب والعائد؛ وأنت من رجال القلائل الذين عرفوا أن هذه الزمانة التي عرضت لهذه الوزارة، [illegible] في عصر [illegible] إلى [illegible] في سياستها والفوضى في حسابها والتواكل في حكومتها. وكنت تنظر إليها من بعيد [illegible] متلطفة فترجو أن يقيض الله لها يوماً غير اليوم [illegible] من روح العصر ونشاطه ما يبعثها على مسايرة النهضة وموافقة الحاجة.

وها أنت ذا قد أتاحك لها الله كما رجوت ورجا أنصارك، [illegible] الأمن والأمر المستحكم [illegible] العربي؛ وعلى رأس الدولة ملك [illegible] الإصلاح؛ يريد أن يكون عهده السعيد عهد مصر الذهبي في العمران والعرفان والسلطان والقوة، وعلى رأس الحكومة رجل قوي الإرادة [illegible]

السياسة من الصميم ، ويود أن يكون حكمه حكم الأمة في إشاعة الخير ، وتوطئة للشعب ، وتصميم المسألة أن ذلك وكيل متعلق الرأي أصيل الثقافة يتساير هو وإياك ومعه في الطريقة والغاية ؛ فحسبي إذن حرجي أن أرى في أنه العروف في مهمتك شيئاً آخر يختلف عن هذا الشيء في روحه ونظامه وأداته وغرضه ومقصده

* * *

إن مراقبة الثقافة العامة يا معالي الوزير هي الناحية التي ستخرج منها الوزارة من سياستها المدرسية التقليدية التي انحصرت إلى اليوم بين جدران المكاتب وأبواب المدارس فلم تكسب الجمهور شيئاً [illegible] أو [illegible] في بعض الناحية الجديدة ستتصل الوزارة بالشعب وترى بعينها أنها فرطت في جانب الثقافة العامة تفريطاً لا يسعها فيه عذر . فالأدب لا يزال ناقصاً في وضعه ، قاصراً في بيانه ، قليلاً في إنتاجه ، ضعيفاً في نشره . فهو ناقص في وضعه لأنه أشكل قديمه وحديثه الناس فلم يُعدّ [illegible] ولم [illegible] حتى خرج [illegible] لا هو ميت ولا هو حي . ولقد كان أدبنا القديم في عهود [illegible] المثل التام لنوازع النفس الإنسانية في أكثر بقاع الأرض ، لم يكن هناك فكرة تجول في ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل في خاطر شاعر ، إلا وجدت في هذا القسم الوسط صفحة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الأجيال ووقفت على جوانبه الروافد ، غدا كالبحيرة الراكدة المنبوذة لا يمدها إلا قطرات المطر وفضلات السيول من حين إلى حين . فالقارئ العربي الحديث لا يجد فيه أثراً منه ولا ما يستجيب فيه نداء عقله ولا رضى شعوره ، لأن القديم منه ناقص لانقطاعه عن سير الدنيا ، والجديد فيه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية . والغريب أن المرء يقرأ أي ناحية من روائع العلم في أي لغة من لغات التمدن إلا في اللغة العربية ! فالتركي مثلاً يستطيع أن يقرأ في لغته هوميروس كله وشكسبير كله وجيته كله ؛ ولكن العربي لا يجد في لغته لهؤلاء الخالدين إلا كتاباً أو كتابين لمتطوعين مترجمين على نفقتهم ونشرها على حسابهم . فإذا أردنا يا معالي الوزير لأدبنا أن يتسع في حاضره كما اتسع في ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس . وهو [illegible] بآداب الأمم الأوربية ، وهضم جميع الأفكار الحديثة [illegible] لكل أمة

[illegible] ، ولكل بيئة خصائص ، ولن يكون أدبنا عالمياً إلا بلقاح بآداب العالم ، ولغاتكم ، والاستمداد من أقوى المراضع [illegible] الأدب .

والأدب العربي قاصر في بيانه ، لأنه لا يخرج من نطاق [illegible] العصر ، فلا يستطيع أكثر كتابنا أن يتحدث عما يتصل بالفنون والآلات ، ولا أن يصف ما تركب من جهاز أو عبارة . ومعجمنا اللغوي ليس في مقدوره بحكم تأليفه وطريقة وضعه أن يضم إلى الناس معجمه الجديد إلا بعد جيل أو جيلين ، حتى يكون كل شيء في العالم قد صار أو تطور ، فيصبح معجمه في عداد [illegible] لسان العرب اليوم ! فلا بد [illegible] من ملاحظة الخاصة يا معالي الوزير ، فإن اللغة الناهضة هي مصدر [illegible] إن لم تكن أكثر [illegible]

والأدب العربي قليل في إنتاجه ضعيف في انتشاره لأن الأدباء يتجه بعضهم بعضاً ؛ فهم الذين يكتبون وهم الذين يقرأون . أما الخاصة فحياتهم لا يجدونه ، والعامة لأميتهم لا يعرفونه . وإذا حرم الأدب تشجيع الخاصة لا يرقى ، وإذا لم ينل إقبال العامة لا ينتشر ؛ وإذا لم يكن حاجة هؤلاء وهؤلاء لا ينتوع . وعلاج ذلك يا معالي الوزير نهوض الأدب من تنبيه الجمهور بالكتاب والجوائز ؛ فإنها تثير الفرح في النفس ، وتبعث الإحساس بالتنافس ، وترفع المستوى باجتذاب الأجود . وبيعه آلاف النسخ من الخزانة العامة يضمن أصحابها في عيشه طريق أو تسهيل عنائه على الأمة دواء علمي ، وعميم له من الأدب الصحيح ثروة

* * *

ومعنى ذلك كله يا معالي الوزير أن تكون مراقبة الثقافة العامة في أمرين متلازمين : أحدهما إنشاء دار للترجمة تنقل الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا تدع نابغة من نوابغ العالم في العلم والأدب والفلسفة إلا نقلت كتبه ونشرتها على حسب ترتيبها وتبويبها في طبعاتها الأصلية ؛ والآخر تأليف مجمع للأدب يقوم على رعايته وتوجيهه وتشجيعه ونشره ؛ ثم يكون الترجم للشباب رجلاً في أول الشوط متاعاً وزمناً ، ولسميرات الشيوخ رجلاً في آخر أمناً وثقة . والأستاذ المراقب الذي اختاره يا معالي الوزير أقدر من يحقق الرجاء في هذه المراقبة متى ظفر بتشجيعك وتأييدك وعطفك .

أحمد حسن الزيات

الإنسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

حركة!

إذن هو الخطر بعينه!

وهل في موقف الحراسة من الميدان حركة لها أمان؟ ..

كلا .. بل هو الخطر جد الخطر على الحارس وعلى من يحرسهم، وهم سكنت الريح

ثم سكون بين الشجر!

فهو الخطر بدون جدال، وهو الأعداء أشد ما يكونون اقترابا، والاستتار أخفى ما يكون استتارا

وانبطح الحارس ينتظر، وصمت صامتا على مضض، فإذا الحارس كله عيون، ولو شئ إنسان شيئا بعينه لمحت صاحب مثله المدقق في جنح الظلام!

ويتقدم الحارس الرصاصة، وصمت الجبان هدوءا وهدوءا، وأوشكت القذيفة أن تنطلق لولا أن انطلق ضوء من الخطر الفتي القريب، فعاد الانتباه من جانب الأعداء إلى موضع الحراسة وموضع المعسكر، فلا مناص من انتظار

ثم بدا صاحب الصوت برأسه وبشخصه

الحمد لله

هو كلب .. وليس بإنسان!

* * *

تلك خلاصة قصيدة شعرية من قصائد الجنود في حرب الصرديين الماضية

حمد الشاعر ربه لأنه كان بمعزل من الإنسان دون الحيوان حيثما هو عالم الحيوان، فهو من أخيه الإنسان في أخطر خطر في ذلك الظلام .. أما عالم الحيوان جميعا، فهو منه في أمان!

لم أقرأ هذه القصيدة منذ الأيام إلا كرب شاعرنا الحربي حين يقول

[illegible]

وصوت إنسان مضطجع أطلب...

ثم وأصدق ما يكون ذلك في مقام خطاب في كل حال!

ثم قصص الحرب الحاضرة، فإذا بطل من أبطالها يذكر في كل ميدان، ويستوحونه القصائد والأغاني!

ذلك توني المنسوف

أو هو بالإنجليزية Tawny The Torpedoed

أتعرفه؟

لم أزلك به معرفة على ما يظهر، فاعلم أنه قط من مشاهير القطط في الدنيا، أو هو الآن من مشاهيرها بعد أن لم يكن على بال أحد من أصحابه وعشرائه قبل بضعة أسابيع

كان يومئذ في سفينة تجارية أغرقتها الغواصات على مقربة من شواطئ السويد، ويبصر به جندي في قارب عاد إليه ونجاه ولم يحفل بما يصيبه من مخاطر البحر «الملغوم» في سبيل هذه القطة: فتاة توني المنسوف

وسبقه رجال الميناء ميناء جوتنبرج فاحتفلوا، ووعدوا إيواءه في الحجر كما يصنعون بالحيوان من جنسه إذا جيء به من الخارج، أو ستحتاج معه إلى الرقابة والتحصيص .. وأين هي الحكومة التي تمنى على حيوان طريح من طرائح البحر حتى يتحمل الشك فيه؛ فإما سليم موصل، وإما مصاب مباد

مباد

إن الجنود الذين أنقذوه من الغرق لم ينقذوه من الماء ليدفعوا به إلى الحجر الفردي أو إلى السم الزعاف

فليحيا توني المنسوف، ومن أولئك الجنود جنيه من جماعة وسعى السكة الصحيحة المرور التي أصاعها بخصوصهم بالدولة المستقلة، وهي صحيفة «التيمس» اليومية

مكتوب الحياة لتوني المنسوف

وتقاطرت العدسات على ميناء جوتنبرج للإصرار على ضبطها الصور به على غير أهله، طول مدة الرقابة الصحية وحسب ستة شهور.

وجالت مراقع المصورين وقرائح الشعراء

فظهرت في الصحيفة صورة «توني» على لوحة ونظرته بين الصبح الزبدت، ونظم الشعر من الأحياء والأموات

وعلى رأسه طيارات، ومن حوله عواصف، وهو ينمي

كأشجع ما يكون الشجعان من البطولة والإقدام!

وكتب شاعر تحت الصورة هذه الأبيات:

« الفتى الصغير النبيل الشجاع في أسرة من الأسماك الأعداء،

يبدو أنها ختام ما قدر له من وجود

« تولته سماكة « الفيس » فمنحت به حبال الأجل الممدود

« ووثب من مراعي البرت إلى أحضان الشهرة والخلود

« لقد كان مجهولاً لا عنوان له بين شطط الدانين

« فارتقى سلم الشهرة مرة واحدة إلى مكانها الأعلى

« هذا كثير الأخرين والأشعان بين الناس، معروف الشجاعة

على كل لسان مبين، من الصحفيين والمصورين

« والآن تلتقي أنباؤه أمواج الأثير، وهو قابع في الحجر مستقر أمين

« يشرب اللبن ويطعم القشدة ويلعب ويطرب ويستكين

« وعلى سطاف السويد من خليج ... الجبل الموصوف

« يبحث منظر القصة القطرية ويتشوق شهرة في المعروف

« ويتسرى على « الشكاينات » أنقاض الحصى، وآثار الطريف »

* * *

اقرأ هذه القصيدة الظريفة وقل معي: يا لك القط من حيوان محظوظ!

بل قل معي: يا للإنسان من حيوان مكدود منكود،

ولا تحسب أن تكون هذه عبارة ... مسكين، وفي العالم حرب ضروس تنذر بهلاك الألوف أو الملايين

أو إني محيت ناعم أني لا أعجب بما أرى وأسمع من شبه هذه الأشياء، ولا أراها أهون ولا أخزى من أن تشغلنا بعض التشغل في هذه البلاء أو من هذا البلاء.

فأحسب منها أنها لا تخلو من العاطفة الإنسانية، وأنها تزيدنا علماً بأسرار النفس، وأنها توازن ما في الحرب كلها من عناء، بما في روائع القلب الآدمي من حب المودة والحرص على الولاء، والصبر إلى الوفاء

* * *

إن عداء الحرب لا يستغرق ما في النفس من بواعث الرحمة بل يبقى منها في الأعماق ...

على شتى الصور وأعجب المناسبات

فكل هذه الحدة كان الإشفاق متجهاً إلى ... الكثير من جانب الوحدة والرفق، ومن جانب الألفة والمروءة ... إلى صلاح في مراد الحياة

وهذه ساعة الحرب لأنها تشعر الملايين من أفراد الأسرة الآدمية

ونظرة إلى جانبها هذه « روح » العصبية لأنها تخص الإنسان، أو تشمل جميع بني الإنسان

* * *

ومن جميع الحيوان والإنسان فتختم هذا المقال بقصة طريفة من قصص هذا المقام:

في الصفحة الأولى من الصحيفة الإنجليزية المصورة « الستراتد » Illustrated رسم كبير لكلب من فصيلة « البولدوج » الشهيرة بين الإنجليز وعلى رأسه ... من صباب الحرب

ومناسبة هذا الرسم أن « الأنباء الألمانية » شاع في الشهر الماضي أن الغواصات الألمانية أغرقت « السفينة » كسترل Kestrel وحسب ... سفينة وملاحيها ... يعبرون ... سلاح السفن ... من أجل ذلك أوروبا ... البحر

فلما شاع هذا النبأ الصحفي بين جنود تلك النقطة ثم لجندي الذي يجمع بيته على كلب محبوب إلى ذلك الكلب المابل من مصرع الألمان ودعوة الألمان، وقال له مازحاً

أحزين يا « جولي » أنك الآن في عداد الأموات وفي قاع البحر؟ هكذا يزعم جوبلز، صاحب الكذب الذي يحمي الحياة

قال الراوي: فزعم « جولي » غاضباً: « ومن هو جوبلز؟! »

والحق أن « جولي » يتولى ويقول أنه لم يسمع بها

نعم ... ومن هو جوبلز؟

وهذا السؤال ولا ريب معناه

عباس محمود العقاد

إليك رجعت يا قلبي

. لكاتب من الكتاب .

[illegible]

قلبي ، ألم يأن لك أن تصغو وتستقيم ؟

أنت تعرف أني لم أجن على العصور والعالمين في شئون الأدب القديم والحديث إلا طلباً للسلامة من غلبك ونزواتك ، ولم أشتر مني ومنك أوهام المجتمع إلا لأصرفه عن الشغل بأحلامك وأوهامك

فهل نجوت مع ذلك من شرك ؟

أنت تعرف أني لا أرى الناس من وقت إلى وقت إلا رغبة في الانصراف عنك ، فإن نظرة إلى نزواتك وبدواتك تنتهي [illegible] إلى أوكار الأوزار ، وملاعب الجن ، ومساقط [illegible]

فكيف تريد أن أرجع إليك ؟

إن لي عملاً يعصمني من جنونك ، فاصنع ما أنت صانع

ألست أنت الذي أغراني بالتطلع إلى مشارق الأقمار والأزهار ومواسم الأشذاء والأطياب ؟

ألست أنت الذي حدثني بأن النعمة [illegible] في جوهره اسم لأطايب الوجود ؟

فهل رأيت صدقك فيما حدثت ؟

وهل ترى [illegible] في الانطلاق إلى دموعك وعبراتك ؟

الحب في طاعتك [illegible] إلا عبرات وحسرات ، فكيف فاتني [illegible] لم أعرف عيبك ؟

ما رأيت إنساناً يعيش في سلام وأمان إلا حكمت بأنه يعيش بلا قلب

ولا رأيت إنساناً تسعره الأسى [illegible] الفاجعة ، إلا عرفت أنه من أرباب القلوب

فمتى أنجو من شرك يا قلبي ؟

في دنياك الضحكات والدمعات في المعارك الحربية والبحرية والجوية [illegible] الأصوات [illegible] لا تقع بيني وبينك [illegible] إليك

متى أنجو من شرك يا قلبي ؟

ربما يصطلح الأعداء المتحاربون بعضهم مع بعض ، وما [illegible] التائه المتشرد في ظلام الليل ، وما يستقر في جوف [illegible] من نزوات وشهوات ، كل أولئك أعنف وأقوى [illegible] عواصف أيها القلب !

إن الحرب بين الدول والشعوب ينتهي أمدها بعد [illegible] من الصراع والقتال ، والحرب بيني وبينك لا [illegible] حتى أستنفد [illegible] في أعنف [illegible] ، أيها القلب

[illegible] على [illegible]

وأنت لا تعرف الرفق بأسيرك ، أيها القلب

فمتى ينصرني الله عليك فأجزيك ظلماً بظلم وعدواناً بعدوان؟

أنت الذي [illegible] من شرائع الوجود ، أيها القلب

فكيف [illegible] وأنت على قربك أول من [illegible] الطعنة الداميه ؟

أنت ظلم وغدر وحيلة ، وما أنست إليك في سر أو علانية ، وليس بيني وبينك ودّ ولا تفاهم ولا ترحيب

فكيف [illegible] أو [illegible] الخوف من الغدر والترحيل ؟

[illegible] ، أيها القلب ، [illegible] صديق لا يصل إليه [illegible] دليل على أن الحب قائم على أساس [illegible] لا يصلح للخلود

ولو كان الحب أهلاً للصون لكان من المستحيل أن تكون الأشواك أطول أعماراً من الأزهار والرياحين

ولو كان الحب أهلاً للخلود لما جاز أن [illegible] الأسد [illegible]

ولو كان الحب أهلاً للرفق والعطف [illegible] من [illegible] أن يحسد ما بيني وبينك ، أيها القلب

إن آفة [illegible] من الحيوان [illegible] هي التي [illegible] حتى [illegible]

و[illegible] في [illegible] هي التي [illegible] إلى [illegible]

وحبيب الأزهار هو الذي يسقط [illegible] النحل

والنور الذي [illegible] من [illegible] إلى [illegible]

ما الذي [illegible] ، أيها القلب ؟

[illegible] أنت الوهم ، أنت [illegible] الشعر والخيال !

أنا أعرف أنك كتلة عجيبة من الأحلام والأوهام والقلاقل

والأباطيل ، من أي جانب تمتد إليّ ، أيها القلب المتقلب ؟

عشقتُ مرة واحدة بأحلام الحالمين المترفين ، أيها القلب ، وحدثني كيف استطعت التقدم إلى ما أقبلُ من معاقل وحصون ؟

أنت تعرف مطويات نفوسهم ، أيها القلب ، ومن حقك أن تمن وتستطيل ، لأن سرّ يقينك بهم موطوءات بك في الشرق والغرب لأمثالك مأسورين بالثورة والغضب ، وآيةُ عهد المصري في مكران الجميل ، فلا عتب عليك ولا ملام إن بدت في إيذائي كل ما ووجهتُه من جحود وجفوة « ومن صرعى الرياح جنى العواصف » !

كل حرب إلى سلام ، وكل شقاق إلى وفاق ، إلا ما بيني وبينك ، أيها القلب

سحبت أعدائي منهزمين من ميدان القتال ، ولن تنهزم أيها القلب ، لأنك جندي من العواطف لا تُحَدُّ ولا تبيد

هل رأيت أغنى الله الجود وأنت صديقي ؟

الناس على دين زمانهم ، أيها القلب ، وأنت صاحبت الغدر طاعةً لزمانك ، فكيف لا أستبيح الغدر طاعةً لزماني ؟

أتراني أخضعت إلى رحلة المعمور ؟ وهل رحبت أنت المعمور وشواغله بين صدري ؟

للوفاء في الدنيا أهلٌ وعشاق ، فكيف تنتظر أن يكون أسيري كله إياك ، ولا يكون لي سلطان عليك ؟

كيف تنتظر ألا أخدم أو أناصر إلا برضى منك وأنت لا تسمع دعوتي مرة واحدة فتصدف عمن تنصفهم الشهد ويسقونك الصاب ؟

أنت تشترك الخلائق ، أيها القلب ، والتريك الخلائق بمودته الآباء والأجداد ، فكيف أسلم من شرك ولن يبرح بيني وبينك غير الحروب ؟

إن أمرك لعجيبٌ عجيب ، أيها القلب ، فأنت تتمرد عليّ ، ثم تثق بسائر أصدقائك وأصحابك

أنت والله غبي ، أيها القلب ، فأنت لا ترى صدقي لأنك وثقت بأمانتي ثقةً عمياء ، وأنت تراعي غيري من الصحب لأنك تخشى أن ينقلبوا عليك ، والإعجاز بالصداقة من أخلاق زمانك ، وأنت ابن زمانك ، فتشرق في مكايدي وحروبي ، وتسابق بمجاملتك يوم تنكشف لك أخلاق الزمان فتصبح بلا صديق

تراك ارتعبت ، أيها القلب

الحمد لله ، فلا رقيّ في الدنيا بإخوان يرعيهم العتاب ، وأنا لم من أنزعج العصر الذي يجعله علامة الشيبة في أوقات الصواب

لا تجزع يا قلبي ، فلن أعاتبك في كل يوم ، يا قلبي وحبيبي الذي يتولى أصدقاءه بالعتب في كل حين

أتراك عصيت

إني الله والحب ، أيها القلب ، فقد صبرتُ على عتبك سنوات من السنين ، وما يجوز لك أن تثور على من يعطيك مكافأة من مرة واحدة بعد أن صبر على كل الأذى أعوام طوال

كنت أود أن ألقاك بالصبر الجميل ، أيها القلب ، كما تعودت أن ألقاك في الليالي الطوال ، ولكن رؤيتك بعد سكوتي علامة من علائم الصبر أو دلالة من دلائل الشباب ، فاسمع سوى ما أعاني ، فمرحى أني أملك الثورة عليك حين أشاء

ومن العجز أن نظن أن التفريط في حق الصديق يمر بلا عقاب ، كما مرت حسنات الصديق بلا ثواب

تلك أيامٌ تَقَضَّتْ فاصمتْ يقتلك عذاب الماضي الذي مضى وانقضى

ما هذه ؟ ما هذه ؟

أراك تبكي وتنتحب أيها القلب

أمن ذلة وجهت إليك تنتصر حزنك وأساك ؟

فكيف أشكو وقد صحبت السنين الطوال في رأب ما يصدع الأصدقاء

كيف أشكو ولي في كل يوم وثيق يغدر ، وصديق يخون ؟

أنا أثور عليك أيها القلب ؟

وكيف وقد صفحت عن ذنوب قوم أسكنتهم في سويدائك ؟

أنا الأخير بين من نسّى عيوبهم من عيوب الصديق ، أيها القلب

وأنا الأخير بين من لا يرى عيوبهم غير محاسن الصديق ، أيها القلب

فليعرفوا كيف خلقت ، وليعرفوا كيف عاملوا ، فأنا أحمى من « الحجر الأسود » يحمل الذنوب وستر العيوب

ولن أنطق إلا يوم ينطق الحجر الأسود ، فليت خلق صاحبتهم الصمت

أتراني أمنُّ عليك ، أيها القلب ؟

أنت الذي من عليّ ، أو علمتَ ، وأنت تشهد أني زمانك متقلب ، ولكن ساسمحك من ردة التي على الأصدقاء

أنا أحتاج العفو لأصدقائي ، فكيف أغفل إجفاء عليك

بما أنت له أهل ! وكيف أجازيك في حلمي عاصف الصدين وأنا أقوى منك !

لا تتوجع من كلمة حق ، أيها القلب ، فسيصح من بعد ذلك ما رضيت . أكاد أرى [illegible] مع جبهتك ، لأن شاعراً يقول

وربما انحسم الحلم بجاهل ... لا خير في حلم يجور بسائر

وظل يحتاج إلى حميك ، أيها القلب

أتذكر ما وقع في صباح اليوم ؟

كنت في سيارة حكومية ، وبجانبي رجل انجليزي ومعهما طفل وطفلة ، فوثب الطفل إلى صدري يتكلم إليه ، فنهرته أمه فغضب ، وعند [illegible] فثار وجرى إلى باب السيارة يحاول [illegible] في جنون السرعة ، وحنت والدته [illegible] فأشار إليه أن يتوجه حيث شاء ، فأقبل الطفل على صدري من جديد ، وأخذ يشير إلى أمه أن تصنع كما صنع ، فضحكت السائقة وأنا أحس طفلين [illegible] في رفة الأزهار ونضارة الرياحين

ونظر الأب والأم إلى هذا المشهد نظرة حنان وعتاب في عجب ، فقلت : لا تعجبا يا سيدتي ، فهذان الطفلان يعرفان

من الفطرة أي رجل أنا

وشاءت ظروف حتى أن أنزل في مستشفى [illegible]

[illegible] وهو جميع الذي مكروب ، [illegible]

وأوى إلى صدر أبيه وهو جذلان

وكان ذلك لأنك كنت في صدري ، أيها القلب

وأرسلت إحدى الزوار أن تمس ما صنع [illegible] جمال الفنان [illegible] أسميتها [illegible] منذ ستة أشهر ترسل إلي رسائل [illegible] رأت أنها بعض الأوراق ، فهل كان يمكن ذلك إلا لأنك في صدري ، أيها القلب !

فلدي ألوف من الشواهد على أنك الصدر الأصيل لا [illegible] من [illegible] القوة والرحمة ، [illegible] لا قد يساورني من [illegible]

إليك رجعت يا قلبي ، فارجع إليَّ كما رجعتُ إليك

فقد يُصحب الجريح أخاه ويواسي الغريب في الأحزان

« [illegible] من الكتاب »

فنلنـــــدا أو سوومى

أحدث أمة فى أقدم أرض

للدكتور مأمون عبد السلام

تقع فنلندا بين خطى العرض ٦٠ – ٧٠ شمالاً وخطى الطول ١٩ – ٣٢ شرقاً، وهى فى أقصى المعمورة شمالاً، وجوها أدفأ من جو البلاد التى تقع شرقها على نفس خط العرض بسبب تيار الخليج الذى يمر بها. فمتوسط الحرارة فى أبرد شهور السنة حتى عشر درجات تحت الصفر فى لابلند شمالاً، و ٥ تحت الصفر فى المناطق الجنوبية، ومتوسطها فى الصيف ١٧ مئوية فى الجنوب و ١٤ فى الشمال. ويكسو الثلج الأرض نحو مائة يوم فى الجنوب ومائة وخمسين يوماً فى الوسط ومائتين وعشرين يوماً فى لابلندا شمالاً، ويتساقط على سواحلها الجنوبية خمس وعشرون بوصة من الثلج والمطر، ونحو أربع عشرة بوصة فى نواحيها الشمالية. وكثيراً ما يشتد البرد صيفاً فيتلف الصقيع محصولاتهم كما فى صيف سنة ١٨٦٧ إذ أتلف معظم المحصول فمات مائة ألف شخص جوعاً فى الشتاء الذى تلاه، واضطر عدد كبير من الفلاحين إلى النزوح إلى المدن للاشتغال فى المصانع ليحصلوا من أجورهم على القوت يومياً.

وفنلندا سابعة دولة أوربية من حيث المساحة التى تبلغ ١٥٠٠٠٠ ميلاً مربعاً، فهى أكبر من الجزر البريطانية بما فيها إرلندا، وهذه المساحة موزعة كما يأتى:

١٠٫٥ ٪ بحيرات أى ١٦٦٥٠ ميلاً مربعاً، وأكبرها بحيرة لادوجا التى هى أكبر بحيرة فى أوربا، ويصب فى هذه البحيرات سيول صغيرة تتكون منها شبكة مائية فى جنوب فنلندا كلها صالحة للملاحة وبعضها من منابع القوة كميات هائلة من الكهرباء.

و ١٫٦ ٪ من الجزر فى البحيرات أى ٢٣٨٥ ميلاً مربعاً

و ١٫٣ ٪ من الجزر فى البحر أى ١٩٦٨ ميلاً مربعاً

والباقى وهو ٨٦٫٥ ٪ عبارة عن أرض قارية

و ٧٣٫٦ ٪ من أرض فنلندا تكسوها الغابات و ٦٫٣ ٪ أرض زراعية

وتقع فنلندا بين بحر البلطيق والمحيط المتجمد الشمالى، وتحيطها الأراضى الروسية والسويدية وجزء بسيط من شمال النرويج، وهى أقصى جمهورية فى شمال العالم، وتحتوى على جزء كبير من لابلندا، وفى جنوبها الغربى على جزر ألند وأرخبيل الآلاند وجملتها لا يقل عن ستة آلاف جزيرة.

وأرض فنلندا عبارة عن هضبة يرتفع معظمها إلى ٦٠٠ قدماً من سطح البحر. وكان عدد سكانها فى سنة ١٧٥١ نحو ٤٢٩٩٠٠ نسمة فارتفع إلى ٨٣٢٦٥٠ بعد خمسين عاماً ثم إلى ١٦٣٦٩١٥ بعد مائة سنة، وإلى ٢٣٧٥٢٢٩ بعد مائة وخمسين سنة، وأصبح ٢٧١٢٥٦٢ فى سنة ١٩٠٤، وقد بلغ الآن ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف نسمة منهم ٨٨٫٧ ٪ فنلنديون يتكلمون اللغة الفنية، و ١٠٫٠٦ ٪ فنلنديون يتكلمون السويدية ثم ثلاثة آلاف من اللابلنديين.

وديانة الفنلنديين المسيحية ومعظمهم ٩٦٫٢ ٪ بروتستانت لوثريون و ١٫٨ ٪ روم أرثوذكس، والباقون وهم ٢ ٪ يتبعون ديانات مختلفة.

وفنلندا من أقدم أراضى العالم من الوجهة الجيولوجية، ونظراً لكثرة ما بها من المستنقعات سماها أهلها بلغتهم سوومى أو سوومينما، وسماها السويديون فنلند، أى أرض الفن (بكسر الفاء وسكون النون) Fen يعنى المستنقع.

وكان يسكن هذه البلاد فى الأصل اللابلنديون، وهم أسلاف الفنلنديين الحاليين وأمام هجرتهم رحلوا إلى أقصى الشمال حيث لا يزالون يعيشون فى بيوت يرفعون جدرانها من أخشاب صغيرة من الطاقس ويقتنون قطعان البقر. وهم يحبون الحياة الزوجية الهادئة ويتمسكون بآداب الدين، فإذا مات أحدهم يحفظون جثمانه فى صندوق إلى أن يزول الجليد فيحملونه إلى أقرب كنيسة للصلاة عليه. وهم لا يهتمون بالسياسة وما تجره من الحروب، فلم يعتد أحد على أرضهم ولم يحتلها من غير حرب.

وتعيش العائلة فى حجرة واحدة مع كلابها. ويقوم أكلهم السمك ولحم الرنة المجفف وقليل من البطاطس ونبات الحشيش الذى ينمو فى ملاويم واسمه العلمى أنجيليكا أركانجيليكا Angelica archangelica وهو من فصيلة الخيميون وله طعم ورائحة يأكلونه نيئاً أو مطبوخاً. وهم مغرمون بشرب القهوة المحلاة بالسكر الكثير، ومنذ أقلعوا عن شرب الخمر، وكانوا فى الزمن السابق يشربون منه.

ويملك اللابلنديون نحو مائتى ألف رأس من حيوان الرنة

يحمى أعناقهم عصا نحو ألف رأس، وهم يحصرونها في الشتاء ويطلقون سراحها ترعى في غابر فتسرح في الروابي الى وتذهب إلى الجوال في الليل هرباً من البعوض ويعرف كل منهم قطيعه بما عليه من علامات الوسم

وأول من اتصل بهؤلاء الناس راهب روسي اسمه ... في سنة ١١٥٥ فأسس ديراً يشبه دير الرهبان المسيحية وهم وزعموا الأشجار وبنوا الأبنية وشيدوا الكنائس على الساحل، وقطعوا الأخشاب وبنوا السفن وحفروا طلباً للمعادن وأخرجوا مع أركاعيل ونوعس وأسماك فكانوا يصيدون إليها أسماك السالمون الأحمر. وفي سنة ١٥٨٩ أحرق السويديون الدير وقتلوا الرهبان، وبذا أصبحت بلاد اللابلنديين مزرعة للطامعين من دانمركيين وروسيين وسويديين، وصارت مرتعاً للجميع، فكان الشكل طلب والشكل يرحل إليها فيأخذ ضرائبه من أهلها الذين كانوا يدفعون الضرائب للروسيا والنرويج والسويد في آن واحد

وقد ورد ذكر الفنلنديين في التاريخ من سنة ٢٥٠٠ ق. م وهم من الفرع الأوجري الفنلندي وقد جاءوا من الناحية الأطلسية الأورالية التي انتشرت في كل فنلندا ولابلندا ومقاطعات البلطيق الشمالية أستونيا وليتوانيا وكورلاندا، وعلى ضفتي نهر الفولجا ونهر ... وهو شعب منتشر بين جبال الأورال وبتشورا، وفي بلاد المجر من يمتون بصلة القربى إلى الأتراك والبلغاريين والمجريين

وقد كانوا في مبدأ أمرهم بدواً رحلاً يعيشون من الصيد فرحلوا غرباً واستقروا على ما هي فنلندا الآن في القرن السابع أو الثامن للميلاد، وكانوا يعيشون إذ ذاك في جماعات مستقلة في قرى لا يربطها أي نظام حكومي. وكانت ديانتهم الوثنية إذ كانوا يعبدون القوى الطبيعية فلهم إله الرياح إلماري وإله السماء أوكو وإله الغابات تابيو وللماء إله اسمه أهتي. وكانت القرصنة والإغارة من معالمهم فسبب ذلك شدة خطرهم فقد هاجموا شواطئ السويد مدة طويلة فجرد عليهم ملك السويد إريك التاسع في سنة ١١٥٧ حملة صليبية جيشاً عرمرماً وبصحبته مطران أوبسالا المسمى هنري الإنجليزي فدخل البلاد وأدخل أهلها في المسيحية ورجع هو تاركاً جزءاً من جيشه لتعمير البلاد، والمطران هنري وقساوسته ليهدي أهلها فقتل المطران هنري بعد مدة وأصبح فيما بعد قديس فنلندا وحاميها

ولكن الفنلنديين دافعوا عن استقلال بلادهم وقاوموا حكم السويد عليهم ثم خضعوا إلى دينهم الأول إلى أن جاءهم في سنة ١٢٤٩ مبشر إنجليزي آخر اسمه ... وبعد ذلك انضموا إلى المسيحية وخضعوا في مدة طويلة قريباً من السويد وجعلوا مقاطعة تابعة رأساً لها

وقد اضطرب السويد من جراء الحروب المتتالية بين الروس إلى أن احتل الروس فنلندا فاحتلوها زهاء مائة سنة وأعطوها حكماً عسكرياً. وفي سنة ١٣٢٣ جعلت حدود فنلندا على الحد الفاصل بينها وبين روسيا. وقد نشر السويديون مدنيتهم وتعاليمهم بين الفنلنديين بعلوم الزراعة وشتى ضروب الفنون والصناعة، ومنحوهم نفس الحقوق التي يتمتعون بها أنفسهم

وفي سنة ١٥٢٨ أدخل جوستاف فاسا الديانة البروتستانتية في فنلندا التي وهب لها ملك جوستاف الثالث إلى درجة دوقية عظمى

وقد حصرت فنلندا خسائر كبيرة من الحروب المتعددة بين السويد والروس والدنمارك

وفي أوائل القرن السابع عشر أسس الملك جوستاف أدولف مجلس النواب الفنلندي المسمى «ديت» وجعل أعضاءه من أربع طبقات: الأشراف ورجال الدين وأصحاب الأراضي والفلاحين، وقد شجع التعليم فأنشأ المدارس وأدخل الطباعة وشيد الكنائس

وفي حكم شارل التاسع (١٦٩٢ — ١٦٩٦) عمت البلاد مجاعة ومصائب عظيمة من جراء ما حل بها من القحط والأوبئة فهلك في أثنائها «أي» نحو ستين ألفاً في أقل من بضعة أشهر

وفي سنة ١٧١٦ هجم بطرس الأكبر قيصر الروس على فنلندا إلى أملاكه، ثم استردها السويد بعد ذلك ولكنها عادت فضمت إلى حوزة الآمة في سنة ١٨٠٨ إلى روسيا، ونظراً لما رآه إسكندر الأول الروسي من شجاعة الفنلنديين فقد أبقى فنلندا كدولة شبه مستقلة وجعلها تحتفظ بقوانينها وعاداتها فاجتمع البرلمان الفنلندي ولم يدع به دون فنلندا العظيم فأقسم على احترام دستور البلاد وقوانينها وشرائعها وحرياتها. واستمرت مدينة «آبو» عاصمة للبلاد حتى سنة ١٨٢١ ثم انتقلت إلى هلسنكي ولم يجتمع البرلمان بعد ذلك لمدة ٥٦ سنة، ثم دعاه إسكندر الثاني في سنة ١٨٦٣ وفي حكم إسكندر الثالث نقض الروس عهودهم وأخذوا يشنون من ضروب الاستبداد ما تقشعر منه الأبدان ... في ظل ...

الفنلنديين الذين هبوا من أجل استقلالهم ، فأرسل الروس قمعوا وطنيتنا وحاولوا فرض لغتهم ودياناتهم وقوانينهم قسراً على الفنلنديين وملأوا البلاد بالجواسيس ، فهب الفنلنديون للدفاع عن حريتهم وأعلنوا الإضراب العام في سنة ١٩٠٥ وهذا كان الأمة فيه على استعداد عظيم في كافة أنحاء البلاد فتعطلت المواصلات والبريد والتلغرافات والتلفونات وأغلقت المدارس ودور الحكومة والمتاجر واضطرت الحكومة الروسية إزاء هذا كله للفنلنديين أن تجيب طلباتهم بمرسوم إمبراطوري صدر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٥ ولكن الروسيا حاولت ثانياً حد سلطة البرلمان ، فثار الفنلنديون في سنة ١٩٠٨ و سنة ١٩١٠ وقاوموا الروس بشدة ورفضوا أن يخدموا في الجيش الروسي المقوت ودفعوا ٢٠ مليون مارك سنوياً ليعفوا من الخدمة العسكرية

ولما استعرت نيران الحرب العظمى أعلن برلمان فنلندا حياد البلاد فقطع بذلك كل علاقة بين فنلندا والروسيا ، وقد أعلن الفنلنديون أنهم لا يحاربون إلا من أجل فنلندا

ولما أقيمت الحكومة البلشفية في الروسيا اعتقد بعض الفنلنديين أن من مصلحة البلاد السير على الأنظمة الشيوعية فقاسى من جراء ذلك حرب أهلية بين الحمر الفنلنديين والبيض من أحرار فنلندا بقيادة المارشال مانرهايم بطل فنلندا الذي انتصر على هلسنكي وطرد البلاشفة ، وهو نفسه الذي يحاربهم الآن

وفي سنة ١٩١٩ نودي بفنلندا جمهورية مستقلة لأول مرة في تاريخها ، وبذلك أصبحت أمة مستقلة في العالم

وفي سنة ١٩٢٠ اكتسبت فنلندا بمقتضى الأتفاقيات الروسية الفنلندية منطقة بتسامو في الطرف الشمالي التي بها ميناء بتسامو ، وبها أصبحت في إنشاء الطريق الشمالي العظيم الذي لا مثيل له في العالم

والعلم الفنلندي مكون من اللونين الأزرق والأبيض رمزاً إلى زرقة السماء والماء وبياض الجليد

والفنلنديون أقوياء الأجسام وهم في الأصل من شعوب مغولية ذوو جباه منخفضة وجلود تضرب إلى الصفرة ، وعظام خدودهم بارزة وشعر ذو لون كستنائي ، وشعر أسود لامع طويل ، وعلى مر السنين وتكاثرهم واختلاطهم مع من جاورهم من الأمم فقد حل فيهم الدم النوردي الأشقر والسلافي الروسي ، فأصبح شعرهم بنياً أو أحمر أو أشقر ، وبعضهم سحنتهم من أسلافهم

ولا يزال الفنلنديون يحتفظون بعاداتهم الموروثة التي ورثوها عن أسلافهم الأول ، فهم كرماء الضيف محبون للحرية والاستقلال ميالون للاعتقاد ولهم نزعة وأمانة وطهارة وحسن خلق ، يحبون وطنهم حباً جماً قريب من العبادة لذلك لا يعرفون لهم إلا فنلندا

والفلاح الفنلندي عنده صبور مجد يعتمد في استغلال أرضه ويكون الفلاحون ٨٧ ٪ من الأمة الفنلندية ، وأهم أعداء الفلاح الصقيع الذي ينزل في ربيعه فيتلف محصولاته المبكرة

وقد تزداد مساحة الأراضي المزروعة ولكنها ليست متصلة ومساحات شاسعة بل هي حقول متقطعة تتخللها الغابات والمستنقعات ، ويبلغ المساحة المزروعة نحو ٦٫٣ ٪ من المساحة العامة وتعمل الحكومة على إكثارها بتجفيف المستنقعات وإصلاح أرضها ولكنها لن يبلغ أكثر من ١٢ ٪ من المساحة العامة على أكبر تقدير . وتوزع الأراضي الزراعية بالنسبة المئوية الآتية

٥٢٫١	ملكيات فردية
٣٩٫٧	ملك الدولة
٦٫٥	ملك جمعيات تعاونية
١٫٧	ملك جمعيات أخرى

ومحصولات فنلندا محدودة فهي تقتصر على الغلال كالقمح والشعير والزمير والشوفان وبعض المحصولات الجذرية كبنجر السكر واللفت والبطاطس ونباتات العلف . وتوزع هذه المحصولات بالنسبة المئوية الآتية

٥٠٫٧	نباتات علف
١٨٫٩	زمير
٩٫١	جويدار
٤٫٥	شعير
٣٫٣	بطاطس
١٢٫١	محصولات أخرى كالقمح والبنجر والكتان

ونباتاتها غنية بأنواعها ، وقد درست العلوم الفنلندية دراسة مستفيضة فقسم النباتيون البلاد إلى ٢٨ مقاطعة بحسب ما بها من أنواع النبات . وقد بلغ عدد الأنواع النباتية الفنلندية ١١٣٢ نوعاً موزعة كما يأتي

٣١٨ — ٤٠٠	نوع في لابلندة
٥٠٨ — ٦٥١	في كاريليا
٧٥٢	في فنلندا الأصلية

ولا يوجد في فنلندا بأنف ألبيه Alpine ولكنه يوجد منها في شبه جزيرة كولا ٣٢ — ٦٤ نوعاً

وتبلغ مساحة الغابات في فنلندا نحو ٦٣ مليون فدان ، منها نحو ٣٥ مليوناً ملك الدولة . وقد حصروا أشجار هذه الغابات فوجدوا أن مكعب مجموعها الثابت يبلغ ٥٧٢٢٤ مليون قدم مكعب من الخشب . ومنها ٧٫٧ ٦ ٪ من الصنوبر البري Pinus sylvestris و٢٨٫٧ ٪ من شجر الأسبروس و١١٫٢ ٪ من خشب البتولا . ومن أشجار الغابات الهامة عدا ذلك شجر البيرش القصير والحور واللارش السيبيري التي أدخلوها في القرن الثامن عشر . ويبلغ مقدار ما يقطعونه من الأشجار سنوياً نحو ستة ملايين شجرة ينقلونها في مجاري المياه المتصلة التي يبلغ مجموع طولها في فنلندا نحو ٦٥ ألف ميل فتعوم إلى أن تصل إلى الآلات الخاصة بقطعها ونشرها بالتيار الكهربائي المتولد من مساقط المياه استعداداً لتصديرها وصنع لب الورق ومستغلات الأخشاب منها

ويوجد في فنلندا خمس مدارس للغابات ، مدة الدراسة فيها سنتان . ويوجد بجامعة هلسنكي دراسة في الغابات مدتها ثلاث سنوات . ويمكن للطالب أن يحصل منها على درجة الأستاذية والدكتوراه في الغابات وخاصة فلندة غابات الشمال . وقد أنشئ من ثلاثين سنة مضت جمعية للغابات يتبعها معهد للبحوث تديره الحكومة ويدرس فيه علوم الغابات وينشئه معهد لتدريب الحطابين وتدريب عمال الغابات . وتضع هذه الجمعية ثلاثة أنواع من النشرات وتحمي الحكومة الفنلندية على أصحاب الغابات منعهم من الاستهلاك منها

وجميع مزارع فنلندا وطرقها تصرف في مصارف وخنادق عميقة وأرضها غنية بالطين ، وتحتوي جوها في محصولات بعينها حشيش والبرسيم والشوفان ومكثر المزارع والشوفان والصباغ بما فيها من الكتان وأكوام البرسيم والأخشاب المطروحة

ويشكر الفنلنديون الله على استقلالهم فقد مكنهم من أن يشكلوا أراضيهم إذ كان ذلك مستحيلاً تحت الحكم الروسي ، ولكنه أصبح من الممكن في أوائل القرن العشرين أن تملك المزارع الفنلندي الأرض التي يزرعها فبلغ ما ملكه الزراع في سنة ١٩٠٦ نحو ٥٠٫١ ٪ من الأرض الزراعية والباقي أراضي محكرة ولم تأت سنة ١٩٢٩ حتى أصبح ٩٠ ٪ من أرض فنلندا ملكاً لفلاحيها . ويرجع الفضل في ذلك إلى قانون ليو كاليو الذي صدر في سنة ١٩٢٢ نسبة إلى كيوستي كاليو رئيس الحزب الزراعي الفنلندي . ويقضي هذا القانون أمر كبار الملاك على بيع أراضيهم الواسعة بأثمان رخيصة جداً لصغار الزراع . ويترتب على ذلك وجود طبقة وسطى من صغار الملاك فأصبحت فنلندا في مأمن من الخطر الشيوعي . وتمد الحكومة صغار المزارعين بالنصح والإرشاد والمساعدات المالية

ويحصل المزارع من أرضه على جزء بسيط من غذائه وغذاء عائلته ، فهو يعتمد إذن في معيشته على ألبانه ومشتقاتها ، وعلى ما يقطعه من الأحراج من قطع الأخشاب وما يستعمله منها في بناء بيته ونار وقوده ، ومن ذلك نرى أن فنلندا لا تقوم كقطر زراعي لحاجة سكانها

ومعظم مزارع فنلندا صغيرة ، ولا تزال مزارع شرق كاريليا وشمالها في حالة أولية محضة ، ويلجأ المزارعون عادة إلى المستحدثات الزراعية بسعة ، فترى كل جماعة منهم يشتركون في شراء آلة زراعية حديثة ليستعملوها شركة بينهم

وقد وصل البروفسور فيرتانين الأستاذ بجامعة هلسنكي إلى طريقة لحفظ العلف في الشتاء ، وذلك بعمل حفرة في الأرض يكوم فيها العلف الذي لم يتمكن من تجفيفه ، ويكومون فوقه الأجزاء الخضر المقطوفة من المحصولات الخضراء المختلفة ، ويرشون فوق الكومة محلولاً كيميائياً يجعل العلف طرياً ويحفظ بخصوصيته في الكثير من موادها الغذائية التي تبلغ في العلف العادي ٦٠ — ٦٥ ٪ ويمتاز العلف المحفوظ بهذه الطريقة بأنه ليس له رائحة كريهة كالتي توجد في العلف المحفوظ بطريقة المصانع القديمة . والماشية تميل إلى أكله إقبالها على العلف الأخضر . وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً باهراً ، وانتشرت في البلاد الأجنبية تحت اسم علف A. I. V.

(البقية في العدد القادم) — أحمد عبد الحكيم

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

ومن بين علماء النفس الألمان الذين ساهموا بنصيب في دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد ووضع مقاييس الذكاء، كريبلين Kraeplin، وكانت مقاييسه لاختبار سرعة الإدراك أن يطلب إلى المختبر (بفتح الباء) أن يشطب بأسرع ما يمكن حروف الكاف (ك) الموجودة في صفحة، أو أن يضع بقلم الرصاص علامة على كل حرف (واو) في صفحة مكتوبة، أو أن يعرض على المختبر صفحة مطبوعة بها بعض الأغلاط الإملائية أو الحروف الساقطة ويطلب إليه أن يصحح هذه الأغلاط ويضع الحروف الناقصة. كذلك وضع اختبارات لقياس الذاكرة الرقمية ليكشف الحد الأعلى من الأرقام التي تستطيع أن تستعيدها ذاكرة الفرد إذا عرضت هذه الأرقام مدة خمس عشرة ثانية مثلاً، واختبارات أخرى لقياس القدرة على تذكر الكلمات الفارغة Nonsense syllables مثل عصد، سفل، قسح، حصن الخ. وغير هذه الاختبارات التي أسفرت عن أن لكل فرد خواص عقلية وذوقية تميزه عن غيره. ولكن كريبلين أدركه اليأس حينما ساقه البحث إلى أنه لا يوجد تلازم مطرد بين نتائج هذه الاختبارات المختلفة للفرد الواحد. وقد حكم من عدم اطراد التلازم أنه لا يمكن الاعتماد على مجموعة هذه الاختبارات في قياس الذكاء. وهو يقول في ذلك: «إننا لا نستطيع أن نخفي عن أنفسنا أن النتائج التي وصلنا إليها بعد هذه الاختبارات والبحوث الطويلة لم تحقق ما كنا نتوقع من وضع مقاييس مضبوطة للذكاء، نقيس بها العمليات العقلية البسيطة»

لكن تقدم علم النفس التجريبي في أواخر القرن التاسع عشر أدى إلى ظهور علم النفس التطبيقي وتفكير العلماء في كيفية الاستفادة من نتائج قياس الفروق السيكلوجية بين الأفراد، ومعرفة الخواص العقلية والجسمية والخلقية لكل فرد للاستفادة منها في المهن والصناعات، وكانت غايتهم هي أن يحلوا مشكل وضع الرجل الصالح في المكان الصالح أو كما يعبرون عنه The right man for the right job ومن الغريب أن أول من قام بتجربة الاختيار المهني هو مهندس ميكانيكي أمريكي لا علاقة له بعلم النفس، يسمى تيلور W. Taylor، كان موظفاً في شركة تصنع العجلات. وكانت في مصنع العجلات مهنة فرز البلي(١) تحتاج إلى أفراد سريعي الرجع (رد الفعل). وقد اختبر المائة والعشرين فتاة اشتغلن في هذه المهنة فوجد أن عدداً كبيراً منهن بطيء الرجع، فاضطر إلى فصل البطيئات وإبقاء السريعات، وعددهن خمس وثلاثون. وكانت النتيجة أن هؤلاء الفتيات الخمس والثلاثين أمكنهن أن يعملن نفس العمل الذي كانت تقوم به المائة والعشرون فتاة في وقت أقل. وقد نشرت نتائج هذه الاختبارات في سنة ١٩٠٣، وأثارت اهتمام علماء النفس وبخاصة القائمين منهم بدراسة الفروق الفردية السيكلوجية. ومن بين هؤلاء الأفراد المرموقين هوجو مونستربرج Hugo Muensterberg الألماني، وكان حينئذ أستاذاً لعلم النفس في جامعة هارفرد Harvard بأمريكا، فأجرى عدداً كبيراً من التجارب لدراسة الفروق الفردية، وخصائص كل فرد، والمهنة التي تلائمه أو يليق لها. وطبع في ذلك كتاباً سماه (علم النفس والكفاية الصناعية(٢))، وقد عالج مونستربرج في هذا الكتاب موضوع المواهب الطبيعية والكفاءة للمهنة. وهو يرى أن لكل فرد خواص ومميزات تجعل شخصيته أو تكوينه صالحاً لنوع من العمل دون نوع آخر. ومن العبث والإسراف الاقتصادي ألا يكون الفرد صالحاً للمهنة التي يقوم بها، أو أن يُعَدّ لغير المهنة التي يصلح لها بطبيعته، ولا بد إذاً من اختبار الأفراد، ومعرفة مواهبهم واستعدادهم، ومقدار ذكائهم، ونوع ميولهم ومقدرتهم الجسمية وقواهم وأخلاقهم حتى يوكل إلى كل منهم العمل الذي يصلح له. فمن المعلوم أن الرجل الذي يصلح لأن يكون سائق ترام قد لا يصلح لأن يكون طياراً، ومن يصلح لأن يكون محامياً قديراً قد لا يمكن أن نخلق منه طبيباً نطاسياً. وإذاً فلا بد من الملاءمة المهنية Vocational Suitability حتى يستطيع الفرد أن ينتج أكثر ما يمكن من إنتاج في أقل ما يمكن من زمن، وبأقل ما يمكن من

(١) فرز بلي العجلات Inspecting bicycle balls

(٢) Psychology and Industrial Efficiency

مجهود ، وصوفي أكثر ما يمكن من راحة وسعادة . فلو بحثنا في كتب الرجل الصالح لوجدنا أمثلة كثيرة لأمكننا أن نقتصد في الزمن والمجهود والمال ، وأن نزيد من نوع الإنتاج وكميته ، وكذلك نجعل العامل سعيداً في عمله . يقول مونستربرج : « حينما نبحث في الفروق السيكولوجية بين الأفراد نذكر كلمة (خصائص) الفرد ونستعمل هذه الكلمة في معناها الأعم ، فهي تشمل القوى العصبية للفرد التي قد تكون كامنة ، والتي قد تظهر وتحيا تحت ظروف خاصة ، وتشمل أيضاً الصفات الثابتة لشخصية الفرد مزاجية كانت أو عقلية ، كما تشمل معارف الإنسان وتجاربه المكتسبة . ويدخل ضمن ذلك كل أنواع الإرادة ، والشعور ، والإدراك ، والتذكر ، والانتباه ، والعاطفة ، والذاكرة ، والخيال . إن العالم النفسي حينما ينظر إلى الفرد يجد مجموعة من هذه القوى السابقة ، ولكن في الحياة العملية حينما نريد أن نختار الفرد لعمل يجب أن ننظر أولاً إلى أخلاط الخصائص التي تكون شخصيته بغض النظر عما إذا كانت هذه الخصائص وراثية أو مكتسبة ، وعما إذا كانت خاصة بالفرد أو شائعة في أسرته ، أو في سلالته ، أو في جنسه ... ومن دراسة هذه الخصائص المختلطة يتضح لنا أن بعض الناس أصلح من بعض للقيام بنوع من العمل[1] »

ويحتج مونستربرج على جعل الامتحانات المدرسية والشهادات العلمية مقياساً لكفاية الفرد وصلاحيته للعمل الذي يقوم به ، إذ أنه ليس من المعقول أن الامتحان المدرسي يقيس غير المعلومات المكتسبة ، ولا يكشف لنا شيئاً من خصائص العقل وخصائص النفس . ويجب أيضاً على الآباء أن يختاروا لأبنائهم الوظائف التي يرغبون فيها ، فإن مجرد الرغبة ليس معناه أن هناك ميلاً طبيعياً حقيقياً إلى الشيء . فالأولاد في سن الصغر لا يعرفون شيئاً عن استعدادهم وميولهم الطبيعية . وقد يرغب الولد في أن يكون طبيباً لأن أمه تتحدث بإعجاب عن زوجها الطبيب ، أو أن يكون ضابطاً حربياً لأن ثوبه الضابط حربي جميل المظهر . وقد يعرف الآباء حقيقة ميول أبنائهم واستعدادهم ولكن ذلك يجيء في الغالب متأخراً .

ووضع الأستاذ مونستربرج اختبارات مختلفة لقياس الذكاء والقياس الوظائف خاصة ، كاختبار طريقة للترتيبة المعربة ، وكطالبة المختبر بذكر ألوان الأشياء التي تعرض عليه ، وكتقسيم مجموعات من البطاقات أو العلب إلى أنواعها المتشابهة ، واختبار القدرة على الجمع والطرح بسرعة . وكذلك وضع اختبارات لقياس القدرة على تقسيم الخطوط إلى أقسام متساوية ، أو رسم خطوط تساوي خطوطاً أخرى معينة ، واختبارات أخرى لمعرفة مكان صدور الصوت ونوعه .

فلننظر إلى مونستربرج يعالج موضوع الكفاية المهنية ، ويرى بضرورة اختيار أنسب رجل لكل مهنة . ومن الأمثلة التي يسوقها لتأييد رأيه أن من الناس من هم « عمي الألوان » Colour-blind فلا يستطيعون أن يميزوا بين اللون الأحمر واللون الأخضر ، فهؤلاء لا يصلحون لوظائف إشارات السكك الحديدية ، ولا لسياقة السيارات والقاطرات ، إذ لا يخفى ما يحدث من خطر إذا التبس الأمر على السائق ، وكذلك لا يصلحون لمهنة الصناعة التي تحتاج التمييز بين الألوان في الصور والنقوش .

وقد جرى بعض التجارب لمعرفة الصفات العقلية الضرورية لسائقي الترام والسيارات ، فوجد بطريق الإحصاء أن بعض السائقين لم يحدث منهم أي خطأ طول مدة سياقتهم ، بينما غيرهم عرضة دائماً للأخطاء بالرغم من مرانهم الشديد . ووجد أن أهم صفات السائق هي حدة الانتباه واستمراره ، وعدم تشتت التفكير بما يحدث في الطريق أثناء السياقة ، ودقة الحكم في تقدير حركات الماشين والسائقين ، وسرعة الرجع وضبط الأعصاب . واخترع آلة بسيطة أمكن بها معرفة صفات الأفراد لمهنة السياقة .

كذلك أجرى تجارب لمعرفة الصفات الضرورية لربان السفن الذي قد تودي غلطة واحدة منهم بأرواح الآلاف من الناس . واخترع لعبة مكونة من أربع وعشرين بطاقة استطاع بها أن يعرف الأفراد الصالحين لقيادة السفن .

وقد وكل إليه أن يضع مقاييس لمعرفة أليق العاملات في مركز التليفون (السنترال) فوضع مجموعة اختبارات الذاكرة والانتباه والذكاء والدقة والسرعة . وأجرى هذه التجارب على فصل من العاملات مكون من ثلاثين ، وكانت النتيجة ما يأتي :

(1) أنظر صفحة ٦٣ من كتاب علم النفس والكفاية الصناعية طبعة ١٩١٣

الذاكرة : قراءة صفوف مكونة من أربعة أرقام وصفوف من خمسة وصفوف من ستة وهكذا إلى اثنى عشر ، ثم مطالبة الطالبات بكتابة ما يذكرن من هذه الأعداد كل واحدة في دورها

الانتباه : أعطى كل طالبة نسخة من المقالة الأولى في جريدة يومية وطلب إليهن جميعاً ، أن يضعن علامة بالرصاص على كل حرف (ه) في هذه المقالة

التفكير : قرأ على الطالبات أربعة وعشرين زوجاً من الكلمات وكان بين كلمتي كل زوج ارتباط منطقي مثل : جوع وأكل ، ونار واحتراق ، ويمين ويسار ، وماء وعطش ، وأسود وأبيض الخ ثم ذكر بعد ذلك أربعاً وعشرين كلمة مرتبة على أن تذكر الطالبة لكل كلمة كلمة أخرى ذات علاقة منطقية بها[1]

[1] سنشرح في المقالات الآتية كيف تطورت مقاييس الذكاء منذ القرن الماضي حتى الآن

الخفة : تقسيم خطوط مختلفة الطول إلى أقسام

السرعة في حركة اليد : أعطى كل طالبة صفحة من ورق الرسم ، وطلب إلى كل الطالبات في الفصل أن يضعن في ... خصوص أكبر ما يمكن من أصفار الريشة على أن يكون خطوطاً منتظمة متكررة

ثم تبع هذه الاختبارات الجسمية باختبارات أخرى ... لقياس دقة الحركة وسرعتها

أما مقدار نجاح هذه الاختبارات فيحدثنا عنه مونستربرج بقوله : « لقد قورنت نتائج هذه الاختبارات بتقارير الشركة الجمهورية بعد أن مضى على هذه الطالبات التلاميذ ثلاثة أشهر في العمل فوجدت أن نتيجة المقارنة تؤيد تجاربي بصفة عامة[1] »

(بخت الرضا ـ السودان) عبد العزيز عبد المجيد

[1] علم النفس والكفاءة الصناعية صفحة ٨

من وراء المنظار

عجب في الترام !

أرى الناس في هذه المركبة أجناساً من الأصحاب ، وفي من رأيته منها سلطتاً عادياً ، وفي الأعمى في الصباح وعند الظهيرة ، وبعض الأمر ناصراً على الراكبين ، فقاطع التذاكر من الفتة ، من الكلمة ، من الزملاء ؛ والسائق من فرط يقظته ، أو من فرط توجيهه عما يجنبه له القدر ، زائغ البصر ، مصعور الوجه والهيئين ؛ يتعب لأي بادرة ، ويفقد صبره — إن كان له فيه من صبر — لأقل سبب أو لغير سبب

وأما قاطع التذاكر وصاحبه يمكن أن يرده إلى أسبابه في غير مشقة ولكنني من أمر الراكبين في حيرة ، أم منهم صدورهم وبعض نفوسهم ، حتى تكاد العين منهم على قوم كأنما يساقون على رغمهم إلى ما لا يحبون ؟ أيكون مرد ذلك إلى أنهم في الصباح مقبلون على عبء اليوم من العمل ، فهم متبرمون عابسون ، وأنهم في الظهيرة خارجون من أعمالهم فهم مكدودون ساخطون ؟ أم يكون ذلك لأنهم يستبطئون هذه المركبة وهي لهم عنها مخلص ؟

ومهما يكن من سبب ، فتلك ظاهرة أشاهدها في معظم الوجوه كل يوم ، ولم أحل أنا سببها ، ولكنني لا أبرم من العمل أو يؤودني حمله ، وليصدق القارئ في ذلك أو ليكذبني إذا شاء غير هذا ما أورده بهذه المكلمة

وإنما نويت أن أسوق له منظراً رأيته جديراً بأن يبعث الراكبين جميعاً ولو كانوا كلهم عابسين ، فهذا شاب من شباب المتعبين ، أو ممن يعدون من الوجهة الرسمية « متعبين » ، يهب للسيدة التي تليه إلى جانبه مكانه ، فطلب إليه قاطع التذاكر أن يدفع أجراً جديداً ، فأبى أن يدفع ، أو كاد ؛ ولكن صاحب أبي ذلك دون أن يبدي أية علة ، ثم يستنكر أن يحاول الرجل إخراجه ببصره إلى الأمام ، ويدفع رأسه إلى آخر ما يستطيع حتى كادت تصل إلى الخلف ...

ووقع الرجل في حيرته ، فوقف الترام ، وانتزع السائق مفتاحه ، وجاء إلى حيث وقف صاحبه ، ووقف خلف هذا الترام حسبة غيره أو ستة ، وأخرج معظم الراكبين ساعاتهم ، وبدت في وجوههم أمارات الغضب والقلق والاستنكار

وجاء نفر من هؤلاء الركاب ، ووقفوا جميعاً ينظرون إلى هذا الذي كان سبباً في هذا التوقف ، فراعني فيه هذه الفتوة الأصيلة في عينيه ، حريصي النسكين ، مبسوط النفس ؛ ووجهه لا يتعب الهم ، بل لا يبالي بتلك النظرات التي وجهت من كل ناحية من نواحي المركبة ، وهو في جلسته — شامخ الرأس ، متحدياً كأن لم يجر حوله شيء .

وهؤلاء الركاب — أولو الأسباب — ماذا يصنعون ، وليس منهم من جاء من قبل دياً أو قرب منه ؟! ثم يستحسن أحدهم موقفه ويرى من هذا العجب ويعز على أنفسه أن يمر إلى الخلف فنده ، ثم جاءته أن يدع الأمر حتى لا يعطل الناس ورماه العجب بنظرة كأنها وحدها كانت لأن يسكتني ويراجع من موقفه !

وازداد الناس ضيقاً وسخطاً وقلقاً ، وبلغ حنق غايته ، ثم حرق أحد الراكبين فاقترب من العجب في هيئة لم يسعني معها إلا أن أضحك على الرغم مني ؛ فقد أخذ هذا الراكب يتلطف ويتقرب ، ويحاول أن يجسم ، فلا يستطيع من فرط حنقه فيرجع شفته العليا من إحدى زاويتيها ، ويكشف عن أسنانه كأنه يبتسم ! ثم ربت على كتف العجب ويقول وهو يعبر منه ببالغة منه في التواضع : « ألا ترى أنك بهذا تسبب عطلاً لنا جميعاً ؟ »

ولكن العجب لم يبال به لحظة ثم رد على أن قال له في هدوء : « أنت حضرتك عاوز تتفلسف ؟ » — وانكمش الرجل ولم يلتفت بعدها إلى الخلف أبداً ..

وكان في المركبة بعض الأجانب ، فخطبوا بالأسئلة ، ولم يحملوا على النظر بالإيحاء والابتسام ، وكان قاطع التذاكر المسكين قد ذهب ليحضر الشرطي ، فعاد وهو في صحبته ، وقد بلغ غيظ الناس أشده ، وسمع الشرطي القصة ... فما كان أشد عجب الناس أن يسمعوه يهتف : « الكسادي » ويلومه قائلاً له : « يا بني يا سيدي ثم السنة ملم يدن اللي حايدوروها ؟ اطلع يا شيخ بلا عطلة دي عطلتين أو ثلاثة وبرد »

وكان هذا أمام الأجانب ، ورأى الراكبين جميعاً عبسي الشرطي ، أنظر معه عن ذلك الفتى البدل بعوده ، وبينه خلف أن يقرب منه كأنما خاف غيره ، وأحس في ذلك أدمي وأسى

وكثيراً في نفسي : متى نتبع نحن الآداب الاجتماعية ؟ ومتى نعنى بالوسط الاجتماعي ؟ .. ورجوت أن يعني هؤلاء الأجانب عن الحادث وأشباهه إنما صدروا عن مبلغ ما وصلنا إليه من المدنية ، فهذا تمام الدهشة عندي ، كما رجوت ألا يحكموا على شرطتنا جميعاً بما رأوا من هذا الشرطي

« خ »

أدب

بين الخوارزمي والهمذاني

للأستاذ علي الجندي

— ١ —

من أروع ما وعته كتب الأدب في صفحاتها تلك المناظرة الحادة العنيفة بين إمامين من أئمة الأدب، أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني، وقد أسفرت عن هزيمة أولهما هزيمة ساحقة، لم يقو على احتمالها فقضى نحبه بعدها بقليل!

ما ذكرت تلك المناظرة قط إلا نام الحزن على عيني، وملأ شعاب قلبي، وشعرت بالجميع عطف شديد يكاد يعقل لساني عن الترحم عليه!

في الحق أن هذا الرجل بالرغم من وصف الثعالبي[١] له بصفاء العشرة، وسماحة الظرف، وعظم الخلق، وشرف النفس، وكرم العهد، وخلوص الود، وحلاوة الصداقة، قد امتاز عنه بأشياء تقرب به الكثير الكاثر من الأدباء جيلا بعد جيل، وتتمثل في تلك الصورة الشوهاء من حب الشهرة، وفرط الأثرة، وغل الحقد، وحب الانتقام والزراية على النظراء، والسعي الجاهد في هدمهم بالحق والباطل، حتى كان مجلس الأدب لطول ما اتسم أصحابه بهذه الآفات، يوحي في الأذهان شرور الطبع وانحراف المزاج، واعتلال الخلق، والعروق على الشرائع الرحبة والارتكاس في الملامة والهون، ورحم الله من قال:

ليس الأديب أخا الروا ية للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثين (م) أبي نواس أو حبيب[٢]
بل ذو التفضل والمرو ءة والعفاف هو الأديب

ولد أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (بخوارزم)[٣] ونشأ بها متأدبا، وإن كان أصله من طبرستان ثم جاب الأقطار من الشام إلى أقصى خراسان في تحصيل العلم والأدب، فبرع في كل فن من فنون العربية، وغزر محصوله من اللغة والشعر حتى كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية، وشهد صغيرا مجالس الملوك والأمراء والوزراء في مختلف الأقطار المتفرعة عن الخلافة العباسية، وكانت خاتمة مطافه، مدينة نيسابور من أعمال خراسان، فاتخذها دار إقامة، واقتنى بها الدور الفاخرة، وعقد الضياع المغلة، وفرغ إلى الكتابة والشعر وصناعة التدريس، وظن أنه يستطيع أن يقضي بقية عمره هادئ النفس ناعم البال، وفاز النعمة الفاشية والثراء الواسع والجاه العريض، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد مُني بهذا الوافد الحدث، فنغص عليه عيشه، وسلب صفو حياته، وساقه إلى الفناء السريع

ولم يكن الخوارزمي دون الهمذاني في حوك القصائد، وتحبير الرسائل، وجمع اللغة، وحفظ الأشعار والأخبار، بل ربما كان أوفر منه حظا في كل ما يتصل بالنقل والرواية، ولكن الهمذاني كان يمتاز بحدة القريحة وحضور البديهة وشدة العارضة وسرعة الخاطر ودوام الارتجال، وهي أمضى سلاح يفتك بالمناظر ويقهر خصمه وإلبه.

وما ظنك برجل[٢] كان يُنشد القصيدة يبلغ خمسين بيتا لم يسمعها قط، فيحفظها كلها ويؤديها لا يخرم منها حرفا واحدا! ويُقترح عليه إنشاء قصيدة أو رسالة في معنى من المعاني، فيفرغ منها في الوقت والساعة، وينظر في أربع أو خمس أوراق من كتاب نظرة طائرة، فيحفظها ويسردها من ظهر قلبه، ويُقترح عليه الكتاب فيبتدئ بآخر سطر منه، وينتهي بأوله ويخرجه كأحسن شيء وأملحه! ويُلقى عليه الأبيات الفارسية فيترجمها شعرا عربيا جامعا بين الإسراع والإبداع! إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التي يعجز في أن أحصيها بعمود البيان!

ومع أن هذه الصفات مواهب عظيمة لم يُرزقها كل إنسان ولا ينكر خطرها في ميادين المباراة الأدبية، إلا أنها لا يصح أن تكون مقياسا في الحكم على أقدار الرجال وآثارهم، فأبو العتاهية مثلا وهو رأس شعراء البديهة لا يجاري مسلم بن الوليد وأبي تمام وابن الرومي من شعراء الروية، والمتنبي — على سمو مكانته — يعد مقطوعاته الارتجالية من سقط المتاع، حتى عُني بعض شارحي ديوانه أن يخليه من هذا السخف والغثاء، ويعد المتنبي [illegible] أقوى شعراء العصر حظا وأسيرهم

(١) يتيمة الدهر ٤ — ٢٠٤ (٢) أبو تمام

(٣) على بحر خوارزم الذي يسمى بحيرة أرال من ممتلكات [illegible] التي كان يصل إليها المأمون والواثق في فتوحات الترك مسماة في [illegible] سكانها اليوم الراجحة [illegible] جمهورية [illegible]

(١) هو [illegible] (٢) يتيمة الدهر ٤ — ٢١ — ٢٤١

خاطراً ، ولكنه لا يعرف بشوق من شعراء الأمة ، بل لا يقاس بحافظ وهو أكثر الشعراء سباقاً في القريض وسرعة الخواطر

ولم يكن سلاح البديع مقصوراً على هذه المزايا المتلازمة التي أوردناها ، بل كان – إلى ذلك – في طراءة عمره ونضارة شبابه وكان الخوارزمي قد علت به السن فتحيفت جسمه وعقله معاً

وأنكى من هذا على الخوارزمي أن جماعة من وجهاء نيسابور لا تخلو من أمثالهم بلدة من بلاد الله ، كانوا يكرهونه ويحقدون عليه نعمته ، فصدروا عنه إلباً وجعلوا فتنة ، وشدوا أزر خصمه ، ولا شيء أنكى للمرء وأشد عليه من خذلان الآل والأقارب !

ومن حق ثقافة عصره أنطق بالشكاة كثيراً من جلة الفضلاء ، فقال في ذلك قاضي الأمثل وخطيب المجامع الشعر ابن سعيد

هذا الثقل الذي حاجه شيئه   لكن صاحبه أودى به الثقل

لو كنت فيهم غريباً كنت مطرحاً   لكنني منهم فاغتالني النكد

وقال الفيلسوف ابن حزم

أنا الشمس في جو العلوم منيرة   ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع   لجد على ما ضاع من ذكري النهب

هنالك تدري أن للعلم قصة   وأن كساد العلم آفته القرب

فيا عجباً من غاب عنهم تشوقوا   له ودنو المرء من دارهم ذنب

ولنأخذ الآن في إيراد هذه المناظرة ، موفقين بقدر الإمكان بين الروايات المختلفة ، فنقول :

في سنة ثمانين وثلاثمائة قدم البديع بلدة همذان التي نشأ بها وتأدب ، إلى حضرة الصاحب بن عباد وزير آل بويه وعظيمهم ابن العميد ، وهي – إذ ذاك – مهوى القلوب ، ومناط الآمال ، ومحط الرحال ، فلقي فيها ما يلقاه كل أديب من كرم الوفادة ، وحسن الرعاية ، وجميل التعاهد

وكان مجلس هذا الوزير العالم الأديب ، آهل مجلس لوزير يضم صدور العلماء وصفوة الأدباء ، وأعيان المحدثين والمتكلمين ، وهم دائماً في حوار متصل ، وجدال مستمر ، ومذاكرة علمية لا تهدأ ولا تفتر ، فكان لذلك أثره البالغ في صقل مواهب البديع ، وتجلية جنانه ، وتزويده بمعارف جديدة واسعة ، وهو في مقتبل الشبيبة وميعة الحداثة

وكان الظن عقبة أن يحسن معارفه عند الرويس الوزير والطالب

الطيب ، ولكنا رأيناه في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة يشخص إلى خراسان ، وبعد جولة قصيرة في ربوعها يلقي نيسابور وقد سلبه قطاع الطريق ما يملكه من مال ومتاع

ونيسابور هذه مدينة مقرورة جداً رديئة الأجسام ، عرف أهلها[2] بالغناء والشغب والتعصب والتشدد وكراهة الغرباء ، وفي ذلك يقول السمعاني

لا قدس الله نيسابور من بلد   ما فيه من صاحب يسلي ولا سكن

ويقول عبد الرزدي

لا تنزلن بنيسابور مغترباً   إلا وحبلك موصول بسلطان

أولا ، فلا أدب يغني ولا حسب   يجدي ولا حرمة ترعى لإنسان

ويقول أيضاً

قال الرزدي قولاً ... سهم
والنصح – ما كان من ذي اللب – مقبول

لا تنزلن بنيسابور مغترباً   إن الغريب بنيسابور مخذول

فما هو سر اختيار البديع لها بالذات ؟ وقد كان له في غيرها ميدان ومسرح ! أهو حب التنقل والضرب في البلاد ، والتطلع والاطلاع ، واستجداء الخير والنوال ! وهو الطابع الغالب على علماء هذه العصور وأدبائها ؟ أم هو القصد إلى مناهضة الخوارزمي وانتزاع سلطان الشهرة منه ، حتى يقال عنه : إنه غلب الأستاذ في عقر داره والهجوم على الليث في عرينه ؟

على أن يحيى الخوارزمي[4] يروي لهذه الرحلة علة طريفة نذكرها للفكاهة ، وهي أن البديع كان في مجلس الصاحب يوماً فخرج منه ما يخرج من غير المتمكن في صحته ، وكان خيراً له أن يموه بالصمت ، ولكنه أراد أن يموه على الصاحب فقال هذا صرير التخت فقال الصاحب أخشى أن يكون صرير التحت ! فحز ذلك في نفس البديع حزاً شديداً حمله على مفارقته حضرته والخروج إلى خراسان

ويخيل لنا أن تكون هذه النكتة – إن صحت – إن مجلس الصاحب – على رحمة شأنه – كثيراً ما كان سبباً لهذا الخروج ! وكان الصاحب لا يمنعه وقاره أن يعتب على ذلك بالنكتة اللاذعة والتورية اللطيفة

---

(1) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان عرفت بالشرق ... والباب الرياق ، وقد خربها التتار في غزوهم ...
(2) يتيمة الأدب في محاسن ...
(3) معجم الأدباء ...

ومن ذلك أن الصاحب أصبح ليلة منتشياً من الشرب، وبين يديه جماعة من الأدباء، فشرع أحدهم في قراءة (والصافات) واتفق أن نام أيضاً بعض الحضور، فأحدث صوتاً منكراً أيقظ الصاحب من نومه! فقال — يعني متشائماً —: يا أصحابنا، نمنا على (والصافات) وانتبهنا على (والمرسلات)

وأغرب من ذلك أن النقيب ابن الخصيبي كان يحضر مجلسه الهازل، فغلبته ريح مرة، فخرج منه على خجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عني:

يا ابن الخصيبي لا تذهب على خجل ... لحادث كان مثل الناي والعود

فإنها الريح لا تستطيع تحبسها ... إذ لست أنت سليمان بن داود

وكيفما كانت الأسباب التي حملت البديع إلى الخروج من ساحة الصاحب فقد بدأت المفاوضة بين الرجلين بكتاب أرسله الهمذاني إلى الخوارزمي، صدّره بهذا الكلام المنثور: «أنا لقربك[1] دار الأستاذ — أطال الله بقاءه — كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح إلى لقائه، كما انتفض العصفور بلّله القطر، ومن الامتزاج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب».

ثم ختم كتابه بأن طلب منه إرسال غلامه ليخصص له جملة حاله.

ولقيه بعد ذلك على موعد مضروب في دار الخوارزمي، وما نشك في أنه أكرم مثواه، وأحاطه بألوان البر والرعاية، ولكن البديع كان معسول اللسان مطوي الجوانح على الضغينة، فخرج من داره مصمماً على [illegible]، وأرسل إليه كتاباً منثوراً حطّ منه؛ يذكر فيه: أن الخوارزمي استقبله [illegible]، واقتضبه منه [illegible]، وأنه تكلف القيام له والسلام عليه، وأنه كان يكلمه بنصف طرفه، ويشير إليه بشطر أنفه، وأن أهل بيته [illegible] من الشرب والسهاد، وفي الصمم عن الجود والسماحة، ولو قد حل الخوارزمي بينهم لحلوه في سويداء العيون والقلوب!

وقد رد عليه الخوارزمي رداً جميلاً يسل السخائم، ويطفئ الأحقاد، ولكن موقف البديع منه أشبه بموقف الروسيا من فنلندا: [illegible] بالمطل والتورط في المشاكل، و[illegible]، و[illegible]، ومن كان هذه حاله [illegible]

وهكذا أخذت تجري الرسائل بينهما [illegible]، حتى انتهى الأمر إلى المناظرة الصريحة التي [illegible] البديع [illegible] كل وسيلة!

وكان يمكن إلغاء هذه المناظرة لولا أن خصوم الخوارزمي الذين سبقت الإشارة إليهم انتهزوها فرصة للنكاية به، فأذكوا [illegible] وأوروا النار!

وكان أن أرسل نقيب الأشراف إلى الخوارزمي يستدعيه إلى داره ليجمع بينه وبين البديع، فتردد في الحضور، لأنه كان يعرف ما دُبّر له، فألح عليه النقيب بإرسال [illegible] إليه، وجمع ذلك المجلس [illegible] من المنصور [illegible] وجه وقد حُشر الناس ليروا لمن ستكون الغلبة

(يتبع) عمر الدسوقي

مستقبل الألف الأحياء

[illegible] ألف شخص يعيشون الآن وكل منهم [illegible] يحمل الفضل لذلك الاختصاصي [illegible]

[illegible] الاكتشاف الذي وصل إليه [illegible] حوالي سنة ١٩٠٠ [illegible] وكراسي في إيطاليا هذا الاكتشاف الذي صح عرضنا [illegible] طبيعة الملاريا [illegible] فالملاريا كانت السبب في [illegible] كل سنة وكان عدد المصابين بالمرض [illegible] كرامي [illegible] لولا أنه [illegible] في وسائل ميكانيكية [illegible] الناموس [illegible] في [illegible]

[illegible] العالمية [illegible] التعميم [illegible] بخصوص الملاريا [illegible] سنة ١٩٤٠ [illegible] كيلو جرام [illegible] في إيطاليا

[illegible] الحرب سنة ١٩٤٠ [illegible]

[illegible] الملاريا [illegible] على سبيل الوقاية [illegible] الأساس استعمال [illegible] الأمل [illegible]

---

[1] الرسائل ط بيروت ١٢٨

التاريخ في سير أبطاله

مازيــــني

[وصول الحرب إلى نهايته ، والجامعة التي أملى في جهاده شمل بلاده الأعزاء]

للأستاذ محمود الخفيف

—————

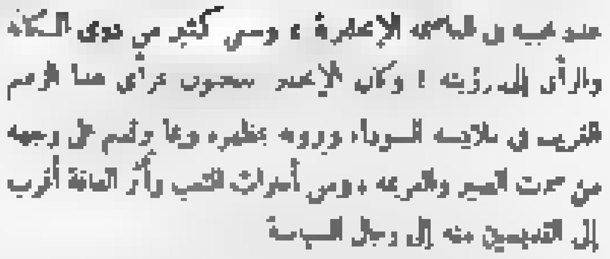

عول مازيني على استغلال هذه الحوادث بلفت الأنظار إلى حركته ودعوته ، فينشر الأحوال التي عجب أن تسلكه الحكومة البريطانية تجاه الحركات القومية في القارة ، وزادته عند عشيه في المناصب الإنجليزية ، ووسع كثير من ذوي المكانة والرأي إليه رؤيته ؛ وكان الإنجليز مسحورين ترى هذا الزعيم الغريب في ملابسه السوداء ووجهه بنظره ونحلها وشمم على وجهه من صدق الصبر والعزيمة ، ومن أثر التعب وأثر الفاقة أقرب إلى التشبيهين منه إلى رجل السياسة .

وكان مازيني مملاً من أمانيه بمسألة إيطاليا لا يفتأ يتصل بكثير من ذوي الأفكار الحرة في أنحاء القارة ، يريد بذلك أن يوجد شعور القومية والحرية في أوروبا عامة واستمراراً ، ليكون من حياته حرباً شعواء على الرجعية والاستعداد والتشاؤم ؛ ولذلك يعد مازيني إلى جانب كونه زعيم إيطاليا من أكبر المؤثرين في نمو الحركات القومية في القرن التاسع عشر . وظل مازيني يشكو الفقر وما يحمله الفقر من بلاء في السجن عمر حدثه ، وكان يفكر في بعث حركة ثورية جديدة في إيطاليا يقودها بنفسه ، فأرسل إلى بعض أصدقائه من الإنجليز أن يعين مركزاً إيطالياً جديداً يدعو إلى جمع المال لمؤسسته وكان يريد من وراء ذلك جمع مبلغ أمني يسير به إلى الوصول إلى غرضه ، وانقضت تلك السنون حتى عام ١٨٤٧ ، ولكن ما جمعه من المال

من ذلك المبلغ الأصغر الذي يرجوه منه لم يكن إلا شيئاً من الخيبات .

وكانت الأنباء التي تأتيه من إيطاليا في ذلك العام تزيده تفكيراً وهماً ؛ فلقد انتشرت فيها دعوة المعتدلين ، وكان هؤلاء المعتدلون فريقين : فريق المتكلين الداعين إلى الالتفاف حول شارل ألبرت ملك بيدمنت ، وانتظار ما عسى أن تأتي به الأيام ؛ وفريق الاتحاديين المنادين بجعل إيطاليا وحدات مستقلة يجمعها نوع من الروابط الداخلية مع احتفاظها في شؤونها القومية بنظام عام من مختلف الولايات ؛ وكان هؤلاء الاتحاديون يدعون إلى الالتفاف حول البابا ليكون زعيم الاتحاد المطلوب ، وكان زعيمهم في ذلك جيوبرتي .

وكان مازيني ينكر دعوة هؤلاء وهؤلاء ، فلم يكن يرضى إلا بأن تتحد إيطاليا جميعاً فتصبح شعباً واحداً ووطناً واحداً تخضع لحكومة واحدة جمهورية لا ملكية ، حكومة مستقلة عن نير الأجنبي ونفوذه ، تستمد سلطانها من الشعب ، وتعمل لصالح الشعب ؛ على أنه في سبيل الحرص على مبدأ الوحدة قد صرح ذات يوم أنه يقبل أي شكل من أشكال الحكومة ما دامت تقوم على أساس وحدة البلاد . وكان قد استوى على كرسي البابوية عام ١٨٤٦ بيوس التاسع ، وكان معروفاً بعدائه للنمسا وبحرية نظرة ورغبته في الإصلاح ؛ فسرعان ما اتجهت الأنظار إليه في إيطاليا حتى خيل إلى الناس أن دعوة جيوبرتي وأشياعه هي الفائزة بين الدعوات ؛ ومنح البابا بعض الحريات حرية كالصحف العفو العام عن جميع المحبوسين السياسيين مما أوحى إلى كثير من المعتدلين أن ... « لقد كنا على أهبة الخروج إلا أن ... ظهور البابا ... فلا بد لنا ... في المستقبل »

وسرعان ما تحركت الولايات تطلب الإصلاح على نحو ما يصنع البابا في ولايته ، ففي توسكانيا أرغم هياج الشعب الملك على إعلان الدستور ، وفي نابلي عجل الملك فأعلنه قبل الهياج ، وسرت العدوى إلى ولايات البابا فأصبح بها كذلك ، وكذلك أعلن في سكانيا ؛ وما لبث أن حذا شارل ألبرت حذو الملوك في بيدمنت ، فأعلن الحكم الدستوري على نحو ما حدث في تلك الولايات ، وهكذا شمل المبادئ الدستورية في طول إيطاليا وعرضها .

واندلعت الثورة في فرنسا فأطاحت بالملكية هناك وأعلن الأحرار فيها قيام حكومة جمهورية ؛ ولم يقف الأمر عند فرنسا ،

بل لقد لقيت العاصمة فى إثر هذا عنتاً زلزل الحكومة فيها
زلزالاً شديداً وأصبح مترنح أعصاباً ألماً فانتزعته من مراكزه
الضيد بعد طول وجهه فيه وانبعاث سلطانه منه . وهب الناس
على أثر ذلك فى لمباردى يهبون من أماكنهم فى الصحراء ، ثم يمض
أسبوع حتى طردت الطليقات الخاسرة هنالك ، ثم بادر ملك
بيدمنت شارل ألبرت فأعلن الحرب على النمسا وتبعه أمير سكانيا
وسرعان ما دب فى الناس من كل حدب ينسلون ، كأنهم شعب السيل
وساروا أنباطاً من كل طبقة ومن كل حرفة طلبهم بين جاههم
وشبهم يلي شبابهم إلى حيث يلقون عدوهم ينصفه ، ولم يبق
فى إيطاليا ولاية لم تأخذ بقسط فى هذه الحرب حتى لقد خيل
إلى الناس أن حلم مازيني قد تحقق ، فها هى ذى إيطاليا تحمس
فى رؤوس الإيطاليين من كل حزب ومن كل ولاية

وكان الزعيم المجاهد يومئذ فى فرنسا يراقب بقلب المتحرق
من بعيد يرمى عينه على ميادينه ، فما أن جاءه ما حدث فى إيطاليا
حتى هرع إليها وإنه ليكاد من فرط فرحه أن يطير ومن فرط
حماسته أن يشتعل ! ودخل الزعيم فى ميلان إذ لم يكن يستطيع بناء
على حكم الإعدام الذى حكم به عليه عام ١٨٣٣ أن يذهب
إلى بيدمنت أو إلى جنوة ؛ وعرفه رجال الحركة من ميلان فلما
رأوه هاجوا من فرط لواعجهم فى حماسة بالغة وحسبوه من مبارك
الوطنية ، واستقبله أهل ميلان استقبالاً وطنياً والزحام من
حوله إلى الفندق الذى اختاره لإقامته

وراح الزعيم القائد يصل الآمال على ضوء هذه الحركة ، وكأنما
حل اليوم الموعود فتحت رسالته بعد جهاد طويل لاقى فيه ما لاقى
من أنواع المتاعب وصنوف البؤس والشقاء ... ووقف مازيني
أول الأمر من الحرب موقف السياسى الرشيد ، فوجه همه إلى
نصرة بنى قومه وترك الخلاف على الجمهورية والملكية جانباً حتى
يحسم أمر يمكن النظر فيه بعد النصر ، وأخذ الزعيم يبعث الرجال
إلى التطوع لنصرة إخوانهم فى الشمال لا يتوانى عن ذلك ولا يكل

ولكنه ما لبث أن حاد عن هذا الطريق الحكيم ، وأخذ يذيع
مبادئ الجمهورية على أساس الوحدة ويلح بذلك على الملكيين ودعاة
الاتحاد ! وكان حقه هذا وأشد ما يعرقل سير حرب ذلك من
شأن هذا الخلاف أن يشيع فى الجند وأن يتسرب إلى المتطوعين ؟
وكان الزعيم يعتذر عن مسلكه بأن مخالفيه فى الرأى هم الذين بدءوا
بإثارة الخلاف ، ويكون عذره هذا سقيم لا يقل عن كأنه لا على
مكانته ومثل ما شبهه فى الماضى ... ولعل مسلك مازيني ... كان
أكبر أخطاء حياته جميعاً

وكتب إليه شارل ألبرت يدعوه أن يحث أتباعه الجمهوريين
فى شمال إيطاليا على الانضمام إلى القائلين هناك بالاندماج فى بيدمنت
وكانت قد بدأت تظهر هؤلاء حركة قوية عن هذا الغرض ؛
وذكر الملك فى خطابه إلى الزعيم الكبير أنه مستعد لقاء ذلك
أن يعرض عليه أن يكون وزيره الأول وأن يكون له ما شاء
من الرأى فى وضع دستور يحكم البلاد كما يرى ويشتهى

ورد مازيني بأنه لن يرضى بغير الوحدة للإيطاليين جميعاً وما به
حاجة إلى السلطة ولا نزوع إلى الجاه ومتع الحياة لأن هذه أمور
تصغر أمام قضية الأمة التى تحمل فى سبيلها ما حمل من مصاعب
الحياة ... ولم يرد الملك على الزعيم بعد ذلك فقد يئس من ضمه إليه

ولا ريب أن إصرار مازيني على مبادئه وعدم التحول عنها
خلة من أبرز خلال الزعماء ، بل هى صفة من أكبر صفات خلال
وأخلاقها ، وعلينا يبقى الزعيم من رحمته إنما هو مهاوده عما يرى
أنه الحق وما جاهد فيه جهده ؟

وما لبثت أن تحسنت موسل الهزيمة فأحاطت بجيش الإيطاليين
فإن البابا بيوس التاسع ما لبث أن أعلن استنكاره رفع الحسام
فى وجه النمسا وهى من أكبر الدول الكاثوليكية ، وقد أدى هذا
إلى أن يسحب ملك نابلى جنوده من الميدان ، كما أن الخلاف
بين الزعماء قد دب فى صفوف المتطوعين فتخاذلوا ثم ضعفوا وتركت
بيدمنت وحدها تحارب جيوش النمسا ، وما لبث شارل أن انهزم
فى كستوزا ، فتراجع إلى ميلان وسقطت حصون النمسا إليها تسقط
فى أيديهم بعد قتال عنيف وانسحب منها شارل وجنوده

وخرج مازيني من ميلان قبل أن يصل إليها جيش النمسا ،
وذهب يبحث عن المتطوعين من رجال غاريبلدى ، وكان هذا
المجاهد البطل قد أخذ بقسط من هذا الجهاد القائم ، ولكن
حماسة المتطوعين لم تغن عنهم شيئاً أمام تفوق النمسا فى العدد
والعدد فتفرقوا كما تفرق أحلام الربيع ، ولم يلبث النصر على حالى
إيطاليا ، ولحق بالمجاهدين هزيمة أخرى وكانوا من النصر على قيد
توسيع ، وحار مازيني ماذا يفعل وقد عمه اليأس وأحرقته الخيبة ؛
ولكنه فكر فى الذهاب إلى الولايات الوسطى ليدعو هناك إلى
مبادئ الجمهورية على أساس الوحدة عسى أن تجد فى القلوب جانباً
من العزم أو أثراً من الرجاء ، وعلم مازيني أنه عقد العزم على أن لم

يذهب إلى تلك الولايات الوسطى منذ قيام الحرب ليدعو أهلها إلى الجهاد القومي فيكونون منهم قوة إلى جانب قوة الحرب الرسمية

وكان البابا قد فر من أملاكه واعتصم بنابولي، فأمر مازيني أن يفتش من أملاك البابا ومن ولاية تسكانيا وحدة على أساس جمهوري، وقد كان مازيني مع الأحرار منذ أن فر البابا يدعوهم إلى ذلك، وبعد ذلك بنحو شهرين اتخذ طريقه إلى روما فبلغها في شهر مارس عام ١٨٤٩ وكان ذوو الرأي من أهلها قد اجتمعوا في مجلس وأعلنوا أن مازيني من مواطني روما كما نادوا بالحكم الجمهوري وطلبوا من الزعيم أن يحضر إليهم

وقد استقبل مازيني استقبالاً عظيماً في الجمهورية ومر في طريقه إلى روما، ولاقى في روما من حفاوة الناس وتحمسهم ما أنساه ما لقي من الشدائد فيما مر به من الأيام

واختار أهل روما ومعه ساني وأرميليني ولاة على الجمهورية فكونت منهم حكومة ثلاثية، وجعلت أزمة الحكم في الحقيقة في يد مازيني فأخذ يتأهب لتحقيق مبادئه وسرعان ما أعد الجيش عشرة آلاف من المتطوعين

وعاش الرئيس الجديد عيشة في غاية البساطة، فكان يخص حاجة الناس جميعاً، وكان لا يدع بينه وبين أحد حجاباً فبابه مفتوح للجميع من يريدون مقابلته لا فرق بين كبير وصغير، وهو في الحكم كما هو في حياته الشخصية مثال النبل والنزاهة والصدق، أكبر همه أن يحقق للناس مبادئه فيحقق وحدة إيطاليا فيهم التي لا يرضون غيرها

وكان يحرص أشد الحرص أن تكون جمهوريته مثالاً يحتذى، وأن تكون في أسلوبها وروحها خير داعية إلى مبادئه، فأراد أن يضرب للناس أحسن الأمثلة في التسامح والعدالة وحب الخير للآخرين جميعاً، وكذلك رأى الناس من شجاعته وإقدامه من عهد ما زادهم ثقة بشخصه وإيماناً بعقيدته

ولكن هذه الجمهورية لم يقدر لها أن تعيش إذ ما لبثت أن هاجمتها العسكرية الفرنسية على يد دولة ما كانت تحسب أن الجمهورية الوليدة إلا العون دولة فرنسا وهم أهلها بالحرب وأشعلوا نيران الثورات في سبيل الحرية والديمقراطية، وأعلنوا أنهم أعداء على أمية الشعب كل شعب يعتدي على حق غيره، وربما لم يكن ذلك الدولة إلا فرنسا التي قضت في أمسها القريب على ملكيته، وأعلنت عنه الجمهورية!

ثم تكون فرنسا هي صاحبة حملة حربية لإسقاط الجمهورية في روما وهي بذلك ترتكب إثماً من أكبر آثام السياسة الدولية في العصور الحديثة، وكان ذلك الإثم مبعثاً لصور من الغضب والألم، وإنما تكون الحرية من أهل الشر جريمة منكرة إذا هي جاءت على أيدي من يدعون أنهم أنصار الفضيلة حيث يضحى الحرية وتضحى الأفكار معها

وأحاط جيش فرنسا بأسوار روما وحاول مازيني وغاريبلدي ومن انضم إليهما من الأحرار الدفاع عن المدينة، وكان مازيني يشخص بنفسه إلى مواكز القتال، يأكل ما يأكل جنده وينام معهم ويبث فيهم روح الفداء؛ ووجد كثير من الناس من أعداء إيطاليا فدافع عن الجمهورية، منهم الكاثوليك ومنهم الأدباء والكتاب، ولكن المدينة لم تقو على الحصار، ولما رأى مازيني أنها واقعة في أيدي الأعداء لا محالة استقال من منصبه

وصمم غاريبلدي ومعه ثلاثة آلاف من رجاله على المقاومة إلى النهاية، ودعا مازيني إلى ذلك، ولكن الزعيم رأى أملاً وراء ذلك المنفى الفسيح فذهب إلى مرسيليا، ثم لم يلبث أن انتقل إلى سويسرا، ولكن الحكومة السويسرية ضاقت بوجوده في بلادها كما ضاقت من قبل وهو في أول سني جهاده، وقادت بعد مازيني سبيله إلى إنجلترا وراح يستأنف العمل فيها من جديد وعاد إلى القلم والقرطاس يكتب ليعيش مما يكسب ولينشر مبادئه مجاهداً بالقلم بعد أن قاتل أعداءه بالسيف، وكانت إنجلترا موطنه الثاني، فقد استراح إلى العيش فيه وأحبه هذه المرة أكثر مما أحبه من قبل، وكثر في المدينة العظيمة أصدقاؤه من الإنجليز ومن الفرنسيين والإيطاليين، فكان يخفف صداقة هؤلاء عنه آلام الغربة ومصائب الزمن، تلك المصائب التي كان أكبرها عام ١٨٥٢ بموت أمه التي ظلت حتى وفاتها تعطف أشد العطف على حركاته، وتتألم أشد الألم لما يلاقي في سبيل بلاده

(البقية في العدد القادم) الخفيف

بنت القرية

للأستاذ محمود الخفيف

أأناسُ الشمسِ والفجرِ أبى [illegible] الفجرَ ودبَّ [illegible]

كم [illegible] الصبحَ في طلعته

وسرقتُ السحرَ من غُرّته

ولكم صاغ من بسمته

أيها السائل عنه عشقي [illegible] ولا [illegible]

من جمالٍ الطهرُ عندي اتفقا

ولكم [illegible] بمثيل الأدب

وأرى المجدَ روى لي صُحفا

أين من ذلك سحرُ الأدبِ ومعاني الشعرِ والعلمِ [illegible]؟

[illegible] أحصى من عروبتي عددا

ثم لم أترك بعيني أحدا

لا ولا أرهبُ عيني أبدا

بسمةٌ منه عطّرت حُللي وعروسٌ طلعتْ [illegible]

أنا أعلى [illegible] من [illegible]

وهو؟ هل أعلى بالروح عليه؟

[illegible] جذبتُ ما [illegible]

طيبُ أعلاي ودنيا طرَبي وشذا روحي [illegible] أنسي

أملي هل [illegible] من أملي؟

وعداً ليس [illegible] مؤمّل

أيُّ شيءٍ [illegible] لي؟

كلما غنّاني [illegible] كتبٌ لاح لي العهدُ الذي لم [illegible]

حبُّه قلبي أيامَ الصبا

وشبابي كلُّ [illegible] في ارتديه

لا أشكو ولكن في الفؤاد

[illegible] الحبُّ هذا الوجع

أنت [illegible] في [illegible]

أو [illegible] كطرفه

أو [illegible] لحظه

شاع في جسمي [illegible] الحب وهنا [illegible]

* * *

يا ابنةَ الريفِ هواي [illegible]

[illegible] كم [illegible]

ما [illegible] إلا [illegible]

ليس [illegible] أرى [illegible] بالعاصب أو بالدمى

[illegible] الزهرُ [illegible]

[illegible]

[illegible]

حسب [illegible] ومن [illegible] الأدمع

زهرةٌ [illegible]

فوق [illegible] من هذا [illegible]

[illegible]

[illegible] سواء [illegible] الوضع

[illegible] الجمال

[illegible]

[illegible]

لا تقول قد تدلّى جسمي … من يصير الشمس مرآة الطلع
إنه بنت الشمس أخت القمر
يا خيالي في ليالي السمر
وتصبّي من يغنيه الوتر
تدعوني بالشعر وقد يلهف … وأرى كالشمس والورد وأسطع
أسفري كالصبح نوراً وابتساما
واسطعي كالشمس تيهاً وقواما
واملئي دنياك سحراً وغراما
أتلهى بالحسن أهل الأدب … قد تولى الحسن فيه أن تخشع
أين في غير حمى هذا القوام؟
أهل حسنك دون أن يلام؟
سعي [illegible] الحسن هذا الأنسام
أين من عطفك بين الحب … كنت من سحري ما لا أدعي!
كم تساقاني الهوى في غنته
قلبي ثلي في سكره
وتمنّى كم جرت في ربقته
كم روى لي من حديث عجب … ثم نادى مهجتي لا تجزعي!
صوتك العذب يسبي الأعينا
أينع الفتنة والشعر غنى
لم يزل بالشعر يعصر الوجد
منذ [illegible] ألم يعرف … من ورى الوادي المهيج المرح
حب تطليوس بسحر الشعر فيه
ثم ورثته بعضها عن أبويه
عشتها في الليل ذكرى أي ذكرى
يسوى وادية في [illegible] … [illegible] موطن عالم يرجع
يا انسة الليل عبر الليل قال
أملأي الحرة بين هذه الأطلال
حديث الصفة من حلو الغزال
آه كم طف بها من كئيب … أطلق الشوق على مولع
طارك [illegible] في خافق
أبداً لم أبصر مهب خافق
يملؤه كل شعور صادق

صلوات ثم نحيط بالقديم … من خلق ليسل البدع
وكشفن عن هذه الساق الندية
[illegible] نسي طهوراً والجمالا
كيف يسمو من ورى هذه الإمامة!
وأم عطر ذلك كم يصبح [illegible] … [illegible] ما تنفك قد شئت سمي
أجتلي وجهك في هذا النهر
فهو مرآة عنها النصر
وأضحكي في ظلنا بالوجه العذو
كم من الكرمة في مكتئب … سناها التسرى الأروع
أيها [illegible] بسمة الحب
[illegible] كالوردة عن من صبه
للنبي المشتهى من وطنه!
حسن كلاً طلاء كذب … [illegible] من نالها [illegible]

الخفي

دراسات في الفن

يا سارية، الجبل!

من الاستدلال إلى مسائل الحضور
فكرة عامة عن مسرحية التاريخ في مصر

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

ورأيت اليوم أن عمر ... كان يخطب يوم جمعة في مسجد المدينة، وكان للمسلمين جيش في حرب مع بعض أعدائهم عند سفح جبل على حدود فارس، وكان على هذا الجيش قائد اسمه «سارية» وحدث أن كان الأعداء قد بدأوا في تطويق جيش المسلمين بحيث لم يكن له نجاة إلا أن يلجأ إلى الجبل، وحدث أن وقف عمر عن الخطابة وصاح «يا سارية الجبل» وحدث أن لجأ سارية إلى الجبل بجيشه فانتصر، فلما عاد سارية إلى المدينة روى أنه سمع هاتفاً يهتف في أذنه صارخاً «يا سارية الجبل» فلجأ إليه فنجا، فقال له الناس إنه صوت عمر ... أليست هذه قصة عجيبة؟ وهل تصدقها؟

— ولم لا؟ أليس يهتف الآن الإنسان في لندن فيسمعه من في طوكيو؟ هذه كتلك

ولكنهم الآن يتصل بعضهم ببعض عن طريق التليفون

— بل قد اختصروا الآن التليفون، واستغنوا عن أسلاكه وجعلوه «راديو» كما ترى

— فليكن .. ولكن الراديو لا يزال أداة يستعين بها الإنسان على التخاطب من بعد، ولولاها لعجز عنه

— لا بأس. ولكن الإنسان إذا واصل رقيه العقلي وواصل تخلصه من أعوانه حتى يبلغ من الرقي درجة يستغني بها عن هذه الأداة وأمثالها كلها

وعندئذ يستطيع أن يخاطب طوكيو وهو في لندن من غير أداة؟

— ولكن يعقل من طوكيو إلى لندن بغير أداة

— في كم من الزمن؟

— هذا يرجع إلى مقدرته على تحويل الزمن

— تحويل الزمن؟ وإلى أي شيء يمكن أن يحول الزمن؟

إلى أزمنة وإلى غير ذلك مما يعلم الله. ما يخيل إلينا أنه مستحيل الحدوث، يمكن حدوثه، فالله قادر على كل شيء.

أتظن ... تصدقين أنني أستطيع أن أمسك هذه الزجاجة الفارغة وفي آخر جيبي بعض كتاب ثم أصنع من هذه الزجاجة مصباحاً يضيء بالنور!

— عندما يصنعها حاو، ولا بد، تصنعها أنت!

— ولا أنا أصنعها .. ولكني أسألك أي وجه الاستحالة فيها؟

— يستحيل في أن تتحول الكلمات إلى نور ... هذا هو المعقول لأن الكلمات حروف والنور أشعة

وما رأيك في أن هذه الاستحالة قد ذللت واستطاع أهل السينما الناطقة أن يحولوا الكلمات والحروف والأصوات إلى أشعة ونور، بل إنهم يخزنون الصوت والصورة في أشرطة من «الباغة» ... ما رأيك؟

— هذا مفهوم ومعقول لأنهم يستعينون فيه بالآلات

أنت لم تقل في البدء إن للصنعة صنعة آلات، وإنما قلت إنها مسألة مستحيلة طبيعية، وإنه ليس من شأن الصوت أن يتحول إلى ضوء ... والآن، وقد رأيت أن الصوت قد تحول إلى ضوء، قلت إن ذلك تيسر بالآلات .. وأنا أقول لك إن هنالك شيخ طريقة وأتباعه، وإن من الناس من يستعينون بأعينهم والمغناطيس والكهرباء يستعينون بها من الخارج، ومنهم

من له حزم عمر المجيد ، ونزوع عمر للتطلع ، وروح مؤمنة صافية من الكبرياء ! وقد كان عمر من هؤلاء ، وقد أكثر جهده فانطوى له الزمان وانطوى له المكان ، وهو في المدينة يسمعه ساريه وهو على حدود فارس ... وإذا كنا نحن سجناء في هذه المادة من بيئة حيا فليس لنا أن نلزم الصديقين الناظرين البصريين بأن يكونوا مثلنا فلا يسمعون ولا يتكلمون ولا يرون إلا بالآلات والأدوات . أنا والحمد لله نظري كامل وإن كان عصري غاضباً ، أفإذا رأيت الحق في هذه الفلسفة أنكرت أنت علي أني أراها بغير منظار مكبر ، فهذه صحة أمر . وربما أنكرت أنه يمكنك أن تسمعه بغير مكبر الأصوات ! ليس هذا من حقي ولا من حقك ، ولا من حق جيل عصيد والوسط الذي يريد أن ينكر على عمر إلقاءه الأمر إلى ساريه من المدينة وساريه على حدود فارس.

وإن نسبة التي بين عمر البشر وأستاذه الهادي الأمي محمد النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهي ما أرى النسبة بين هذه التي حدثت من عمر وبين تلك التي كانت من النبي إذ أسرى الله به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

— آمنت بالله ورسوله . إنه قد انتقل النبي بجسمه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

— انتقل بروحه وبجسمه ومكانه كاملاً غير منقوص ، وليس هذا من الله عجباً ، وهو يرويه في القرآن ، والقرآن كتابه ، وإن كنتم تنكرون فاجمعوا الإنس والجن وأتوا بسورة من مثله

وأتريد أن أجمع الجن — هل تعرفهم أنت وهل تستطيع جمعهم !

— إني لا أستطيع جمعهم لأني أضعف من ذلك .

ولكنك تعرفهم ؟ ولعلك أيضاً تعرف الملائكة ؟

— لم يخل أحد ما الملائكة ، وإن كان أستاذي القائم عليه السلام يسبب له صرفني بالجن

— ما هذا الاسم العجيب ! لم أره يكتب لا في المجلات ولا في الصحف ولا في الرسالة ، ولا في السياسة ، ولا في الثقافة فأين تقرأه

إني لا أقرأه ولكني أسمع منه ، وهو يكتفي بأن يقول لي وأنا أكتب له ، وقد نقل في إلى عالم نفس ، وأحس صحة وأراني صورة سمعهم ولم يرد علي هذا

وكيف يمكن هذا ؟ أو أين له استعداد هذا ؟

— له ، وهو مثل كل استعداد غيره ، يهبه الخالق من يشاء من عباده ، يمكنهم به من القيام بما يعجز عنه غيرهم ... وهو كذلك الاستعداد الذي يستطيع به الفنان أن يطبع طبع الخير في بعض الناس وطبع الشر في بعضهم من غير أن يحتك بهم ... وهو كذلك الاستعداد الذي يجمع به المهندس العلاقات بين النقط والمستقيمات والمنحنيات فيصل بعضها ببعض ويفرق بعضها من بعض ويبني على ذلك ما يشاء وما لا يهتدي إليه غيره ... ولقد سمعتهم يطلبون طبلاً رهيباً في ليلة هادئة — وهؤلاء لم أرهم أما الذي رأيته فهو واحد كان يسير في ليلة مظلمة في طريق قصر عيني وراء بيت « عبد الرازق » في حلمية

— ألم يقل لك « نعم » ؟

— لا ... وإنما كان يهرول إلى جانب الطرق وقد اشتغل كل الاشتغال عن الدنيا وكل ما فيها بما لا يمكن أن يكون إلا تسبيحاً ، فلما قرأت عليه الذي كنت عنه السلام رد السلام في صوت وسرعة وكنت فيها أعرف السلام سمعتها منا

— إذا كان هذا هو كل ما سمعته ورأيته فإني أستطيع أن أقول إن الذين سمعتهم يطلبون الطبل الرهيب بشر ، وإن الذي رأيته وحده صاحبك بشر أيضاً

— وعلى الرغم من أنه كان سبب ذلك لم رهبة مما رأيته ..

ولم يسمع ، فأنا لا أقول غير ما تقول

— إذن فلا جن ولا عفاريت

— إنكارك هذا راجع إلى أنك تتصورون الجن من غير الناس ... وكل ما في الأمر ، عندي ، أنهم يختلفون من الإنس بأنهم جنوا يعيبون ، فيكل منهم عيوب ، ولم ينظرون إلى هؤلاء بإحساسهم وتفكيرهم وأخلاقهم وأجسامهم وكل كيانهم ولم يعرفوا بعد ذلك بأنهم غيرهم من الناس ، وقد يستعين في هذا أن العرب رووا أقاصيص كثيرة عن الجن وأنهم كانوا يظهرون للناس ويخدمون بهم ويعاشرونهم أحياناً ، والقرآن الذي نزل بلغة العرب ذكر الجن بلغة العرب ومعنى الجن الذين يعرفهم العرب ... ويدل على ذلك أن بعض أئمة المسلمين [illegible] المسلمين الخروج من [illegible] المسلمين وأهل الكتاب ، ومعنى هذا أن الجن ناس يكونون جناً أحياناً ، ويكونون إنساً أحياناً أو يظهرون صفة [illegible] إذا شعروا بهم

إذا كان هذا ممكناً فهل يمكن أيضاً أن يتحول الإنسان إلى جن .. أليس كذلك؟

كل شيء ممكن. فقد كان إبليس ملكاً وتحول إلى جن بعد أن عصى أمر ربه، والملك الذي أرسله الله لمريم يبشرها بعيسى تمثل لها بشراً سوياً. وسئل النبي (ص) كيف يرى جبريل فقال: إنه يراه أحياناً في صورة دحية الكلبي، على ما أذكر، وهو إنسان. وتفسير قول النبي يحتمل فرضين: فإما أن يكون النبي في لحظة معينة يحضره جبريل في صورة دحية، وإما أن يكون مع دحية على انفراد أو بين ناس فيستشف النبي في قرارة دحية .. جبريل. وأنا أميل إلى الأخذ بالفرض الثاني، ولا أمنع الفرض الأول. ولعل الرأي الذي أميل إليه أن صلاحاً من الخلق والرحمة والصفاء على بعض الناس، فإذا هم يخلصون من نوازع الدنيا ويسمون إلى حد الله معهم فتنظر ملائكة يشعرون بالخير ولعلهم لا يراهم إلا من شاء الله منه، وهم أنفسهم لا يعلمون وإن كانوا يحسون الحنين إلى شيء لا يستطيعون أن يفهموه وأن يهتدي منظره منهم أ إشارة أو كلمة أو سكتة أو حركة

— ولكن هذه التي تقول ليس في شيء من كتب الدين

— وليس في كتب الدين حديث عن الأشخاص للسلطة، وليس في كتب الدين ذكر للتطوير. ولا شك أن كثيراً من كتب الدين أخرى بعد ... بدقة، وأن هذا إسلام وتفكير وتدبر، وللمجتهد المخطئ فيه ثواب، وللمصيب ثوابان، والله يعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسه. وإن سألته التوجيه فلا تبق في طريق، أو قدمي إلى يد العون يكون لك عند الله جزاء، أو ترجين أمر الملائكة والجن؟

— لا، وإنما أرى وصفك للملائكة كأنه الشعر، وأرى وصفك للجن يمكن أن يطلق على ناس كثيرين جداً هم الذين ينصرفون بكيانهم كله إلى هدف ما، ومن هؤلاء من هم خيرون، ومنهم من هم أشرار

إني لا أستطيع أن أدافع عن رأيي في الملائكة يا كتر. ما ظنك إلا أن أريد أني أراك كالملائكة أحياناً

— إذن فرأيك صحيح ..

— وأما الجن، فلا تنكرين أن وصفي إياه يمكن أن يطلق على ناس كثيرين جداً كما تقولين، فليس من الضرورة الكبرى أن ينصرفوا بكيانهم كله إلى محبوب واحد ... على حاجتهم. وإنما أحب الناس بل جلهم يختلفون ... اهتماماتهم ورغباتهم وأغراضهم، ويصرفون إلى الأشخاص ... كما يستوحشون أنفسهم أغراضهم ورغباتهم واتجاهاتهم.

ومع هذا الحد فإني لا زلت أستطيع أن أعد الإنسان العبقري المنصرف إلى فنه من الجن.

— إذا كان لا يأنس بشيء غيره، وإذا كان لا يستوحش منه مطلقاً، وإذا كان لا يشغله غير الفن شاغل. وكلما دل فيه هذا كان أقرب إلى الجن

— وإذاً فلا تقول أيضاً نستطيع أن نعتبر الإنسان الشرير المستغرق في الشر جناً.

— إذا كان لا يأنس بغير الشر، وإذا كان لا يستوحش الشر مطلقاً، وإذا كان لا يشغله شاغل غير الشر إذا ترك لنفسه بغير الشاغل، فهو إذا قابل الناس ابتدرهم الأذى، وهو إذا غضب منه غضب أمرها يعلن أنه الجن الشرير غير المسلم

— ولكن الذين يكتبون هذه الأحاديث يروون عن الجن أنهم قادرون على الاختفاء، فكيف نعلل هذا الاختفاء

— قلت لك إنها قدرة يعطيها الله من يشاء فيطوي بها المكان ويطوي بها الزمن، ويقابلها في الناحية الأخرى عجز من الملاحظة

— لقد سكت هنا حين سمعت هذه الخوارق للإنسان الراقي ولكن لا أظن أنه يحسن السكوت هنا إذا نسبتها أيضاً للإنسان الشرير الذي يؤذي الناس

إنما الشرير الذي يؤذي الناس إنما يسلط على الناس لحكمة الله التي هو أعلم بها، وإن لله حكمة في كل ما نرى من تصرفات، فهل لم يجعل القدر طفلاً لحكمة؟

— كان القدر شريفاً .. وقوة كقوته إذا أعطيت الشرير كان عيب تشريف الشر

— ليس التشريف في القوة، وإنما هو في استعمالها ..

كل الناس فيهم القوة التي تمكنهم من الارتقاء والتحول، أو فيهم ... ومع هذا فأظنهم الذين يريدون أن يرتقوا وأن يتحولوا ..

— وهل تريد أنت أن تتحول؟ .. أظنك تريد أن تكون ملكاً؟

— لا . . إنى أريد حقاً أن أرق ، ولكنى أريد أن أظل إنساناً فقد فضل الله الناس على خلقه جميعاً . . ذلك أن الملك منصرف إلى الله يعبده فقط ، والإنسان يستطيع أن يعبد الله وأن يتأمل خلقه أيضاً ، وأن يفكر فيه ، وأن يقدر حكمة الله ، وأن يتحدث بنعمه ، وأن يمشي بعد ذلك من فقه صلاة ترضي الله وهي غير متاحة للملائكة . . . ولا تنس أن الله فضل الله الناس على خلقه جميعاً . . إلا الملائكة ، إن عليه أن تتجه إلى الله بتفكيرك . كل عمل أصلحنا [illegible] القوة التي تمكننا من الفضل على الملائكة . ولكني لم أستطع أن أكون ملكاً لا أكثر

— ألست تقول إنني أحب أن أسمو كالملائكة ؟ .

لا تؤاخذني على هذا [illegible] لأنك لا تكون ملكاً إلا بالفكر ؟

إذا كان عمر وهو عمر لم تحدث له الخارقة مما روى من حياته إلا مرة واحدة حسبما روت ، فهل تظن أن غيره يمكن أن تحدث معه أمثال هذه الخوارق مرات ؟

— كان موسى نبياً رسولاً ، وقد شق البحر وكانا كل طفلاً معه [illegible] لم يستطع كل إنسان أن يأتي بمثل الخوارق . . ولكن المؤكد أن الحقيقة تغيب عن الناس في الخطاب جملة يتخلص منها وحدهم مخلوقون بالخيال ، أو يحولون كلاماً ، ولو سألوا كيف صدرت منهم أحلامهم أو الخوارق هذه لعجزوا عن تفسيرها ، وقال بعضهم إنها إرادة الله ، وقال بعضهم وجدت نفسي هكذا أو تلك ، وقال بعضهم لا أدري . وقال بعضهم بعد ذلك ، وبقي أنهم جروا بأهوائهم ، وطبيعتهم طباعهم وانطلقوا غير مقدرين ولا متقيدين بسلوكهم إلى نحو ما كانت تنزع إليه أرواحهم ، وما كانت ترتاح إليه أيديهم تعبداً لشيء من قضاء الله سبحانه

وهل كان كذلك عمر ؟

— كلا . . إن عمر لم يكن ، وإنما عمر رأي ، وقال ، وبارعة [illegible] عمر إنساناً من فضلهم الله على الجن وغير الجن من خلقه

محمد محمد الشهير

الرسالة في سنتها الثامنة

تدخل الرسالة عامها الثامن في أول يناير وهي أقوى ما تكون اعتماداً على فضل الله وعطف أنصارها في تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الحرب وغلاء القماش في العالم كله ستستمر الرسالة على تخصيص شهر كل ومنح هداياها وإصدار عددها الممتاز — فمن الآن إلى آخر شهر يناير الآتي سيكون الاشتراك في الرسالة ميسراً كما يأتي

٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون للمشترك الحق في ما يساوي خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة التي ستنشرها في عدد أول يناير من الرسالة

٥٠ خمسون قرشاً عن سنة كاملة في مصر والسودان للمدرسين الإلزاميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع في أثناء المدة المذكورة ويكون للمشترك الحق كذلك فيما يساوي خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا ويجوز لمن دفع الاشتراك مقسطاً أقساطاً متتابعة

والاشتراك في البلاد العربية كالاشتراك في مصر من حيث القيمة والمدة والهدايا ، وإنما يدفع المشترك فرق البريد وهو أربعون قرشاً في العراق ، وعشرون قرشاً في سائر البلاد العربية

الرواية

أما الرواية فستدمجها مؤقتاً في الرسالة حتى يسهل ورود الورق فتصدر منفردة بشكل أتم ونظام أجمل . وستنشر الرسالة ما تُعنى به من الأمور الجديدة بالأقصوصة فيكون في كل عدد منها أقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما وضع أو نقل

الاشتراك في الرسالة الآن يغنيك عن شراء معارف ومكتبة

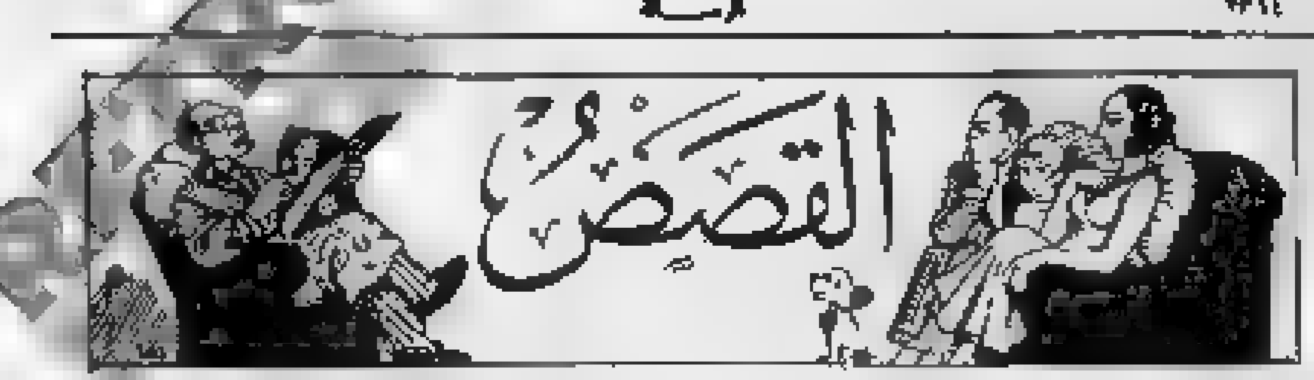

الأعمى . . .

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود طه بيومي]

للأستاذ جميل شيبوب

كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامي وزوجته سلمى. أما عزيز فترجع علاقتي به إلى عهد الطفولة الأولى. وأما سلمى فإني والحق يقال كنت وثيق الصلة بوالدها وكانت تصطحبني في زيارتي إلى منزلنا حيث كنت أراها طفلة يبرق عيناها ذكاء وأسعد بحديثها في فترات قصيرة بين والدتها ووالدي.

ولعلي كنت السبب في زواجهما لأن عزيزاً قابلها في منزلنا غير ما مرة، ولم يستحيه صورة حتى عقد النية على الزواج منها لا من أهله ولا من أهل الفتاة. وهكذا عشت زمناً طويلاً بضع سنوات مات في خلالها والد سلمى ووالدي. وكم مرة كنا نتحدث عنهما ونثير ألمه الذكريات. ولم يرزق عزيز ولداً قد يجمع للأمر كما أن سلمى أيضاً لم تهتم له ولم ينشب بينهما ذلك الخلاف المعهود الذي يبعث به عقم الرجل أو المرأة.

أجل، كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامي وزوجته سلمى حتى أني كنت أتناول طعام الغداء أو العشاء معهما كل شهر في منزلهما الأنيق الذي شاده عزيز على نفقته الخصوصية في ضاحية من الأوساط الهادئة وفرشه بأفخر أنواع الرياش، ووسع حوله حديقة مغروسة بمختلف الأزهار والرياحين. ولا أزال أذكر جلساتنا فيها للأنس والسمر في أيام الربيع الزاهرة، وليالي الصيف المقمرة، كما لا أزال أذكر مجالستنا بعد العشاء في قاعة الجلوس على مقاعد الخز الوثيرة في ليالي الشتاء الباردة، وأضواء الغرفة الناعمة مدلاة على المواقد، والطنافس المفروشة تحت أقدامنا تبعث في جو القاعة حرارة طيبة، بينما يتساقط المطر خارجاً بين هزيم الرعود وولولة الرياح.

والأستاذ عزيز سامي محام معروف كثير الأعمال واسع الرزق يعيش في يسر ودعة. وسلمى فتاة طيبة القلب، حلوة الوجه، أنيقة الملبس، تذهب معها في كثير من الطلاقة والمرح، وتحب الخروج مع زوجها إلى مشارب الجزيرة ومسارح السينما ودور التمثيل. وكم صحبتهما إليها وكم احتدم الجدل بيني وبين سلمى على الملابس النسائية واختلاف ألوانها، واختلاف أشكالها وطرزها ونضرتها، وتنسيقها وغير متناسقها. وكانت سلمى تعجب بملاحظتي وتحرج زوجها وتتهمه بفقدان الذوق في هذه الأمور كلها.

ولا أنسى ملاحظة إذا قررت أن سلمى على جانب من الثقافة تحب تذوق القصص الأنيقة، وخاصة هذه الأقاصيص التي أكتبها بها الكتب الحديثة. ولكنها كانت تعجب كل الإعجاب بكتاب القصص من موبسان، لأن أقاصيصه غير مشرقة مرحة بطبيعة تبعث السرور الفني في صفوف القارئ حتى كأنها رسم بريشة الأوان ثم التخطيطات تكاد الصورة تنطق بين ثناياه.

وإني لأشعر بكثير من الغبطة كلما ذكرت تلك الساعات الأدبية التي قضيتها معهما كيف كنت أحتكم من الأحكام الجائرة التي كان يحمل بها عزيز سامي على الأدب والأدباء فيرد زوجته.

— دعني منك هذه السخافات، إن أدباءك الذين أعجبوا في مواقفهم تتدحرج بها في وجه الناس رغم جنونهم أنهم يأتون بالمعجزات.

فتقول له سلمى في كثير من التهكم

— أنت يا عزيز لا تفهم إلا « حيث إنّ » ... وبعد ذلك « حيثيات » الأحكام ... وسبيلك إلى قولك ... أن الأدب مرآة الحياة كما يقولون ويكفي « حيث إنّ » هذه لا حياة فيها

فيجيبها عزيز بأن الأدب مرآة مقوّمة للحياة لا تعكس إلا ما يظهر منها بينما ما هو أكثر وأدق ، وقد يكون أجل وأعظم

فتأخذ في تبرّمها وتقول

— قد يكون ذلك كذلك وكلانا على حق ... والأدب [illegible] والمحاماة [illegible] وقد [illegible]

وكنا نفترق حينئذ ولم يقنع أحد منا رفيقه

ولكن هذه المشادة الأدبية لم تدم طويلاً ، لأن سلمى كانت [illegible] الأيام إلا من زوج [illegible] وبعض [illegible] وقليل من الأصدقاء [illegible] وصرت أشعر في أحاديثها بكثير من [illegible] أو [illegible] أو أنقطع عنهما أسابيع

ولا أنسى يوماً [illegible] في مكتبي [illegible] عزيز [illegible] وهو يقول :

— اسمع يا فريد ... إن هذه الحياة لن تطول بي وإني لأحس لقد بلغت مناقشاتي مع سلمى درجة من [illegible] على التفكير في الطلاق

فسكت [illegible] ولكني [illegible] أن سلمى [illegible] من طريق المطالعة إلى حد [illegible] وأنها صارت تملي على زوجها كل الآراء والأفكار التي تقرأها ، وأنها تلح عليه في الجدل والمناقشة حتى يتبرم بها ويكاد يجن من الأسئلة والأجوبة ، وهو رجل لا يفكر إلا في قضاياه ومرافعاته ، وقد أضحكني عزيز كل الضحك حينما ساقه أن يضرب لي مثلاً لذلك فقال

— تصور يا فريد أنها قرأت قصة من قصص [illegible] مدعى أن صاحبتها كانت إذا أرادت رجلاً لنفسها [illegible] [illegible] من الأصدقاء [illegible] إلى صدره ويحتم [illegible] إعجابها

[illegible] من الضحك [illegible] عزيز [illegible] إلا في القصص . فغضب عزيز وقال : لا تضحك [illegible]

قلت : هكذا !

قال : [illegible] أن أعرب عن إعجابها [illegible] الرائعة . ماذا أعمل لو أن سيدة أخرى [illegible] وألقت نفسها بين يدي ، فأجبتها بأن أستعدي لها [illegible] .. فقالت لي : أنت رجل [illegible] [illegible] في [illegible] والهدوء

وزاد عزيز [illegible]

— لذلك أرجو منك يا صديقي أن تحاول رد سلمى إلى صوابها ، وتنصحها في الإقلاع عن هذه [illegible] إلى المحكمة الشرعية

ووعدت عزيزاً بالنصح ، وصارحت سلمى في الأمر وأمضيت [illegible] من [illegible] في قراءة الكتب [illegible] دون أن [illegible] من [illegible] ، والنافع من [illegible] ووصيت [illegible] سلمى [illegible] أولاً على الكتب [illegible] والأقاصيص الطريفة الأدبية التي تشرح الحياة من جوانبها المتنوعة [illegible] أشتري لها بعض الكتب التي [illegible] في [illegible] إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الأخلاق

ومضت فترة من الزمن [illegible] سلمى لم تعد تلك الزوجة [illegible] التي [illegible] كل [illegible] كثيرة [illegible] في [illegible] واختيار [illegible] بل صرت أراها [illegible] الفتنة [illegible] ، وكأنما [illegible] [illegible] الرسامين [illegible] من أسفارها [illegible] ، وتبالغ في [illegible] أثوابها [illegible] في [illegible] وصارت تزيد أثوابها قصراً [illegible]

وصلوها وصار زوجها يشكو من هذا كله ما تنوء له .

مع سلمى : أنها فتاة طيبة ، وإن الزينة حياة المرأة ، ولا سيما هيئت ولا عنها من الأناقة ومسايرة أزياء العصر

ومن غرائب كان ظهور سلمى حلواً وما كانت لفتت نظري ونظر زوجها لولا بعض أثواب قديمة قد كانت ترتديها في بعض الأحايين مبينة الفرق بين ما كانت عليه وما صارت إليه . وبكى زوجها ما رضا فنعتقد أن شعفها بالزينة نتيجة التقليد فقط ، وأن المرأة ، أكثر ما يكون لتيافى زينتها غيرها من النساء ، وأن هذا كله زي كل البراءة ، لا يجنى ولن يجني إلى ما لا يصح السكوت عنه

ولقد صادفت سلمى صاحب في الشارع منفردة تمور على الطوار كما تقول ذلك كل النساء ، وأظن أني هبت صبية شا ما مرسم حطانا وهي تتمسه بإعجاب له ، ولكني شعوري أمامها صرفه عنها وصرفها إلي . وأذكر أني صرفت ذلك بأنه حدث عادي ، ولم أشأ أن أسر بسامه سلمى له سوى أنه عنى يوم من

وسمعت سلمى من الطالعة ورقيب إلى ألا أسب نفسي في افتقاد الكتب لها . وكانت تجب الى كثير مما أثق به إليها ، وهي صبية غريبة ، فحسبت لها رقتها تلك وفي صدري منها صورة صبية . وصرت ألاحظ أن سلمى إذا جلست إلى جانبي ألقت بنصيب من الشكة على النفس في حركة غريبة ، وكانت من قبل تقعد قعود المراهقة ، وصرت ألاحظ أنها ترنو إلى خلسة حتى ترنو بالحظ فاترة مستطيلة ، وأني إذا حلت اليها على حدتي القديمة بعض العدد أحسستها فلا شكر كانت ترجو أو ترجيه ولكنها كانت تحسن فرصة يكون فيها زوجها بعيداً عنا فتعاطي من حديثي في لطف ودعة ، ثم أجدها منه كأنما تحمل سبها مقصودة مما وجه عليها ، لا القول ولا الصداقة القديمة

وإننا معشر الرجال ليعجب لنا مثل هذا الطور الذي تكبره المرأة حولنا ونشعر فيه بلذة للمساء ، إلا أن هذه اللذة كانت مغمورة عندي بكثير من تأنيب النفس وكنت أشعر بأني لست

واثقاً من صدق حديثها لأني كنت أكثر ميلاً إلى تصديق روجها للزوجة التي عاشتها مع زوجها عيشة الأناقة البهية المزوجة وما زاد في عدم وصالي عنها أنها صارت تكثر من التأنق بالتلفون وتطيل سؤالي في شيء من الدلال وتدعوني دائماً إلى الحضور إلى منزلي ومن يأتي ومن يساعدني ومن يسألني كأنني مريض يريد أن يحصل على سير صحته

ومرت الأيام وهذا الطور يزداد مرونة حتى إني صرت أحس بأن عيني تتحدثان على سلمى ثبوت صحيحي جسمها البهي ، ووجهها المنير ، وعوالمها الجذوب والشعر الساحر وحيدها الشرق وتقاسيم تربى عينيها السوداوين الواسعتين

(البقية في العدد القادم)

خليل شيبوب

من هنا ومن هناك

حرب البحار

[عن مجلة « [illegible] »]

الحرب الحديثة حرب مصنوعات وصناعة ، فالجانب الذي يتغلب على الآخر في مصادرة بضائعه هو الذي يكسب الحرب

إن الحصار البحري سلاح من أمضى الأسلحة مع قلة عدد القتلى في الحرب ، فهذا أحسن في جهة لم يكن [illegible] التي لا يحتمله المحاربون ، وقد حاولت البحرية البريطانية من قبل أن يقل عدد السفن التجارية التي تغرق في عرض البحار

إن الحصار البحري الناجح — مع ما له من القوة — لا يحتاج في تنفيذه إلى شيء من العنف ، فقد تمضي السفن الحربية مدة الحرب جميعها دون أن تسمع كلمة « اطلق المدفعية » [illegible] وقد [illegible] عن طريق الأسر ومصادرة السفن [illegible] بإيقاف السفن بواسطة « التوصيات » بين الأسر والمصادرة « كالانسحاب في [illegible] » ، وسكن أصحاب العقول [illegible] والنفوس المتعطشة للدماء يظنون أن الحرب لا تكسب بغير القتل والتدمير : والحروب البريطانية على النقيض من ذلك ، فهي تصل بنا إلى الغاية بالمصادرة لا بالقتل ، وبالاحتفاظ بصنائع العدو التي تقع في أيدي رجالنا لا بتدميرها . فالعدو في الحرب حين يصل إلى البحار لا يفكر إلا في إغراق السفن ، ولكن رجل البحار يصادر صنائع العدو ليستخدمها لنفسه ، وبذلك يكسب الحرب

إن سكان البلاد الشمالية وجيوشها ومصانعها لا تستطيع جميعاً أن تحصل على شيء من حاصلات البلاد الاستوائية بغير إرادتنا

وقد حرمت [illegible] الأمة العدوة [illegible] أنواع [illegible] من بعض المواد الأساسية : كالقطن والخشب [illegible] والمطاط وزيت النخيل وغيره من المواد الدهنية والشحوم والبن والكاكاو وأطعمة البلاد الاستوائية جميعاً . بل إن شيئاً من منتجات تلك البلاد لا يمكن أن يصل إلى أوربا بغير إرادتنا . فجميع السفن التي تمر بها تلك المنتجات تحت إشرافنا ، ويمكن إرسال شيء من الطائرات والسفن الصغيرة تحت حراسة الأسطول لحصر التجارة في مضيق جبل طارق البالغ اتساعه ثمانية أميال ، ومضيق دوفر البالغ اتساعه ثمانية عشر ميلاً ، والممر البحري الواقع بين سكوتلاند والنرويج ، وبذلك نستطيع أن نحاصر أوربا [illegible] أن تكون عدوة لنا ، ومن هذه المضايق نستطيع أن نمنع [illegible] ما نشاء لأعدائنا وأصدقائنا المحايدين سواء أكان وارداً إليهم من الناحية الاستوائية أو الأمريكيتين أو أفريقيا أو الهند [illegible]

ونستطيع أن نعاونهم بما يصل منها إلى أصدقائنا [illegible] لأننا

وقد امتنعت من البحار مثلاً جميع السفن التي كانت تحمل البضائع لألمانيا ، ولم يحاول أحد الآن أن يمر من حصارنا أو يغامر بإرسال شيء إلى ألمانيا ، لأن الجميع لا يشكون في أننا سنصادر بضائعهم في الحال

فالحصار البحري — وهو سلاحنا في الحرب — هو أقوى الأسلحة وأكثرها اقتصاداً في المال والأرواح ..

يوم من أيام الحرب في برلين

[عن « [illegible] »]

سكان ألمانيا اليوم يعيشون عيشة رتيبة ، ويحيون حياة لا تختلف عن حياة الجنود . فالرجل الألماني يستيقظ من الساعة السادسة والنصف صباحاً — لا لسبب — إلا أن يكون أمام موزع الألبان قبل الساعة السابعة [illegible] ليتاح له أن [illegible] البطاقة التي يستطيع بها أن [illegible] له من هذا الطعام

وفي غالب الأحيان لا يصل إلى أيدي العامة أكثر من ثلثي اللبن المطلوب . [illegible] الأهالي إلى شرائه ، ويتزاحم المشترون بالمناكب . فإذا كانت الساعة السابعة والربع جاء موعد توزيع القدر من الخبز ، وهو [illegible] أوقيات ونصف أوقية ؛ وعليك أن تطلبه ثلاث مرات في اليوم الواحد ، حتى لا تحرم نصيبك من هذه المادة الأساسية في الطعام

ولا يحتاج المشتري لحمل نقود معه لشراء هذه الأطعمة ، فيكفي

أن يكون معه البطاقة ليصرف إليه المطلوب، وتجمع هذه البطاقات في نهاية الأسبوع وتخصم قيمتها من مجموع الأجور، ولا يبقى بعد هذه المقتطعات في غالب الأحيان غير النزر القليل من حق الأجير. وأستطيع أن أقول: إنه في مقدور الرجل أن يستمر الشعب على هذه الصورة وقتاً ما، كما يستمر الأرقاء، ولا يبدل «ماركاً» واحداً في الأسواق

وكما أن جميع سكان ألمانيا الحضرى يستيقظون كالأبطال في ساعة مبكرة من النهار، وينتظرون في صبر وجلد توزيع الأشرطة، فإنهم في حاجة شديدة إلى الانتظار لتوزيع الخبز والعصر الذي يومان يتناولونه

فالآن... لا يستطيعون أن يوسعوا مختصر طعام الإفطار مثل الساعة الخامسة، وفي هذا الوقت يستمعون إلى الإذاعة إذ أن النهار السكري أي يقطع بعد هذا اليوم

وقد وضع الفوهرر هذا النظام ليكون متمشياً مع النظام الذي وضعه للعمل، فقد لا تجد بعد الساعة الخامسة طريقاً واحداً خارج العمل، إما داخل المصنع أو في الإدارة حيث يجب أن يكون حاضراً لتلقي هذه التعاليم، ويسلم مثل هذه البطاقات ... من ... وفي الساعة العاشرة تماماً يجب أن يقف على قدميه سواء أكان في المصنع أو المصلحة ليستمع إلى حديث الدعاية الإذاعي ثم يعود فيعكف على عمله صامتاً حتى منتصف النهار، إذ يتناول بطاقاته ويسرع إلى أماكن الطعام، وعليه أن يمضي نصف ساعة في هذه الوجبة، ثم يعود إلى عمله.

ويظل في هذا العمل إلى الساعة الثامنة مساء، حيث يعود إلى منزله، بعد أن يسارع إلى مستحضر الغذاء القريب، وعليه ألا يهمل عن بطاقاته. فإذا جاءت الساعة التاسعة وجب عليه أن يمضي حتماً إلى الإذاعة من ناحيته، ... لا يستطيع الخروج إلى نزهة خلوية أو الذهاب إلى دور السينما لتتبع الأفلام الحديثة إذا فقد النقود واقتصت السيارات العامة. أما المشروبات الروحية المرفهة، فقد صدرت الأوامر بمنعها بتاتاً

وهكذا يقضي اليوم في ذلك البلد المسكين

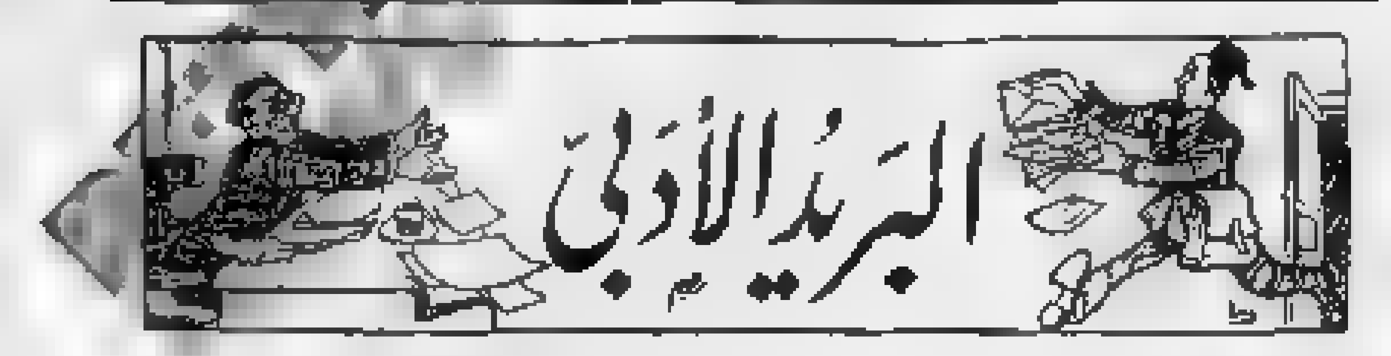

نهج البلاغة

إلى حضرة الأستاذ البارع الفاضل (سائل) من (العراق) في مجلة الغرب (الرسالة)

(نهج البلاغة) أنفس ما من كتب ديواننا الإمامية، ومن الكتب العربية، وهو ثروة مصطفاة، وإن لم يجمعه ... في (رضوان الله عليه) ... كما ... عندنا ... كل ... ونأى ... نهج الأدب والفقه. ولولا إبداع ... الصوفيين[1] ما ورثنا هذه الثروة النفيسة الضخمة في الأدب العربي. ... (نهج البلاغة) في (كله في اللغة العربية[2]) وفي (الإسلام الصحيح[3]) ... ما ... في الكتابين (كتاب ...) ... (فصلاً من الفصول) ...

محمد ...

في كلمة ...

كتب الأديب عبد الرحمن بدوي في عدد الرسالة الماضي كلمة حاول ... على إشارة الدكتور بشر فارس ... التي ظهرت متتابعة في الرسالة تحت عنوان « في ... الأدب » وكان ... أجنبي عندنا من ... المصري ... من ... كيف لم ... أسابيع ... في الدوائر المثقفة ... من تأثير ... ولولا ... من أثر ما قد ... كلام الكاتب في ... بعض القراء ... الكشف من ... الدفاع ...

(١) ... الصباح ... كالتبر والماء ... حتى لا ... أنها ... كما ... منصور

(٢) الصفحة ٦٦ — ٩٩

(٣) الصفحة ٢٢٤ — ٢٥٦

حول « أما مسألة استخدام الدكتور ... في ذاتها أهمية ... في خصوصنا ... المصريين المثقفين أو ... الإسلامية ... والتي ... وأساسها ... — أن الكاتب لا علاقة له ... الإسلامية في ... وإنما هو طالب في ... (مانشستر) ... وقد قال بعد ذلك إنه مصري ... من أجنبي ... مواطنين ... أن يقتصر في ذلك ولا ... إلى ... التي ... في حين ... مقالا ... سنة ١٩٣٧ ... للدرس الأجنبي ... في ذلك ... المصري ... التي يذكرها الكاتب ... بها اليوم

وعلى ذلك ... أدنى ... من الواقع الذي ... من قبل ... لولا ... كتب في الرسالة ... ومثل التوجيه في مثل هذه ... ومن ... وعليه ... في هذه ... وإنما ... أن ... كيف ... وهو ... الحال

على أن الكاتب ... لا ... في ... المقالة ... هنا أن الدكتور بشر فارس، وله الفضل في إثارة المسألة، أشهر مما أشار إلى ... ذلك للدرس الأجنبي ... المكتبة العامة ... ولكن بدوي أفندي ... عن مكتبة الكلية ومكتبة ... الإشراف على مثل هذه المكتبات ... وأما ... للدرس المشار إليه في ... العربية، فإننا نؤكد أننا لم نسمع من قبل ... بل ... المختصين ... المكتبات المشكو منه ... أن هذه المكتبة ... لم ... لها نظام ... وأن ... على ... النظام

القائم في الكتابة العامة . وما دمنا ملزمين بالكشف عن تهافت المجهود يجري في دفاعه فإنا نريد . كيف يأذن لنفسه أن يزور في وصف المؤلف (بيس) بأنه «مستشرق ممتاز، وعلم من أقطاب الجيل»؟ أولا يرى أن الدكتور بشر فارس أعلم الناس بأن (بيس) لا يحمل إلا الدكتوراه الألمانية وحدها ، وهي شهادة لا تنفع بها كلية الآداب ولا الجامعة الأزهرية من أمثاله يجتاحها في نظرهم على إجازة المدرسين المتأخرين الذين يسمونهم «الماجستير» . فضلاً عن أن دكتوراه (بيس) لم تقبلها جامعة باريس معادلة لشهادة «الليسانس في الآداب الفرنسية» يوم تقدم الرجل للانتساب إلى جامعة باريس ليظفر منها بالدكتوراه

ومما يدل أيضاً على عدم ضرورة الدفاع في الكتابة أنه قال : إن (بيس) «يعد شيوخاً من كبار العاملين في حركة الاستشراق منذ أن انقرض الجيل السابق من المستشرقين أمثال ... وضوء الرحوم نلهو» ألم يسمع الكاتب من أساتذته أنه لا يزال من المستشرقين على قيد الحياة أعلام لا تزهو المعاهد ومن حولهم ، ومن وراء الرسالة من بعده وكامي وأمين وغيرهم ... وغيرهم في ألمانيا ثم في فرنسا ... في بلاد ... وبالإيطاليين في ... ويعرج في أسبوع !

ثم إن الكاتب يجد في توزيع البضاعة للرجل مترخصاً في استعمال الألفاظ ومسرفاً في صورة القول ويقول : إن الدكتور بشر حريص على إرضاء ... صديقه (بيس) في أن ينال من هذا المدرس الأجنبي ، والدكتور بشر وزملاؤه من العاملين لا يعنيهم أمر هذا المدرس في وجه التخصيص بقدر ما يعنيهم إنصاف المصري والرضى عنه ، كما يعنيهم فوق ذلك مصلحة الثقافة إطلاقاً

وأحب أن أختم هذه الكلمة بقول الكاتب ومن دعوته إلى المكاشفة إنه يعلم اليوم حتى العلم أن كلية الآداب لن تستخدم (بيس) بالرغم من سعي بعضهم . والفصل في ذلك راجع إلى ما أثير في مجلة الرسالة (باحث ...)

١ — جائزة نوبل لسنة ١٩٣٩ لأديب فنلندي

منحت جائزة نوبل في هذا العام لأديب فنلندي هو فرانز إميل Sillanpää ، وقد أجمع أهل الرأي في الأدب على أن هذا الأديب هو أعظم قصصي عرفته فنلندا في هذا القرن من حيث طرافة ... ، وحيوية خياله ، وعمق ...

ولد هذا الأديب سنة ١٨٨٨ ، في أسرة فقيرة ريفية ، بين أحضان إحدى القرى ... خطوته ، وتطلع إلى ... بعيداً عن المدن ، بين غابات الصنوبر ومساكن الحيوانات ، ومال إلى الأدب والشعر منذ كان يافعاً . ثم انكب على المطالعة ... حتى استطاع أن يصبح الأديب الأول في بلاده . فلما كانت سنة ١٩١٦ أخرج للناس كتابه الأول «الحياة والشمس» فبهر الناس بوصف رائع للطبيعة ، بأسلوب رمزي . ثم أتبعه بكتابه الثاني «البؤس المقدس» . وقد نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية ثم الإنجليزية ، ثم أخرج : «وطن البشر» و«بالقرب من الأرض»

وفي سنة ١٩٢٨ أخرج «...» فأحدث أثراً في بلاده ، وقد شبهه الناقدون كتابه هذا ، بالزهرة المتفتحة ذات الأريج العطر المسكر ؛ لأنه كان فيه بعيداً عن التكلف والتصنع ، سهلاً ممتعاً رائعاً

ولكن يؤخذ على أديب فنلندا الأكبر الإطناب وعدم الدقة ، وهذا للأسف لا يأتي من ضعف الشخصية المبدعة ، ولكن من قلة إعمال الفكر والملاحظة . على أنه نجا من هذا العيب في كتابه الذي أسماه «ماتت في ريعان الصبا» ، وقد ترجم إلى كثير من اللغات ويعد أروع ما أخرجه للناس

ونستطيع أن نقدم لهذه القصة خلاصة موجزة للكاتب الكبير : فقد كان زوجين من أغنياء القرويين وله ولد ، تزوج فتاة من أسرة أبيه ، ولم يلبث طويلاً حتى توفي أبوه وخلفه ، أما هو فقد عانى جفوة الزمن وأهوال الزوج ؛ فقد كانت زوجه ضعيفة الخلق مريضة الجسم ، لا تستطيع أن تشد أزره أو تساعده على تدبير شؤونه واستثمار أمواله . ولم يكن ذا بأس شديد أو حزم ماض أو إرادة صلبة ، فبدأ الناس يسلبونه ماله ، وفرقوا بينه وبين أمواله ، فاضطر إلى بيع أرضه الواسعة وحقوله الخصبة ، وداره التي رأى النور فيها ، ومسكنه الذي عاش فيه أبواه ومن قبلهما أجداده . فخشي الذل ، ورحل إلى قرية مجاورة ، وعاش بين مرارة الألم الممض وبؤس الفقر ، ثم فجع في زوجه التي تركت له صبية صغيرة

وعاش الرجل (...) مع ابنته «...» التي تركتها زوجه من بعدها ، وكان شديد الحب لها ، والتعلق بها ، ولكنه لم يمتعه العيش معها طويلاً ، بل ماتت وعمرها خمسة عشر عاماً

فاضطرها الهم والتفكير إلى الخدمة في قرية مجاورة . وكانت حلوة المبسم ، عذبة الكلام ، آية في الجمال ، وكانت تؤثر الوحدة والانفراد إذا فرغت من عملها على الاختلاط بالناس . وما كان أحد يستطيع معرفة ما يجول في خاطرها ويعتلج في نفسها . فلما تخطت العشرين من عمرها التحقت بخدمة شيخ كان أستاذاً في إحدى الجامعات فكان يعجب بلطفها وأدبها وعطفها ، ويعشق قراءتها وصوتها الحلو . وسامعها [illegible] غاب عنه «أرماس» أتى من المدينة [illegible] «[illegible]» حتى إذا كان [illegible] الفتاة [illegible] ، وكان العام ١٩١٢ في أوائله والحرب مستعرة الأوار ، والفوضى سارية أخبارها في كل مكان .

وصحبت «سلمى» وما تجاوزت [illegible] ، وكان الأستاذ الشيخ قد سافر إلى الريف [illegible] والتحقت بخدمة أناس آخرين ، عودوها اللوم ، وكانت تحلم دوماً أن يعود إليها «أرماس» وأن ينقذها من شر [illegible] التي [illegible] ولن يعيد شر [illegible] الذين هاجروا البلاد . وأمسى [illegible] جسمها مجرداً من العمل ، ولكن سيرتها [illegible] في حبه [illegible] كانت [illegible] ، وأودت في غرفة حجرة [illegible] الأخيرة [illegible] لا مأوى [illegible] ولا تخشى الموت ، معتقدة أنها ستلقى حبيبها الذي أحبته . والتي أصيبت بمرض في صدرها ، وقطع الحبل [illegible] ووجدوها ذات يوم فالموت [illegible] وهي تبتسم .

ومن هذا الأدب عندنا ، فقد أعرض عن الأقوال السائلة والتعابير السخيفة التي يلجأ إليها من سبقه من الكتاب ، ولا [illegible] الآن [illegible] وتشبيهات كثيرة [illegible] وتعجب

[illegible]

٢ — خير الدين الزركلي الأديب

قرأت في ثنايا نقد الدكتور بشر فارس لتاريخ الآداب العربية لبروكلمان أن هذا المستشرق قد حسب خير الدين الزركلي في عداد الكتاب . على أن خير الدين ليس بكاتب ، ولا يصح أن نحسبه كاتباً لئلا تهدر شهرته ، لأن ما أخرجه الناس في النثر ليس بشيء ، غير «الأعلام» وكلها جمع .

أما عبقرية خير الدين ففي شعره . وقصيده [illegible] — وأعني خير الدين الشاعر ، لا خير الدين المؤلف — من أروع شعرائنا وأنصعهم ديباجة ، وأحلاهم شعراً ؛ وقد يكون في طليعة شعراء سورية المطبوعين السابقين .

وشهد الدكتور بشر بين الناس [illegible] حظاً [illegible] ووفر من الدقة ومن البحث والتمحيص على الشعراء [illegible] الألقاب من لا ألقاب لهم !

[illegible]

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

اطلعت في عدد يوم الأحد الماضي من جريدة (الإجبشان ميل) الإنجليزية على كلمة كتبها مكاتب فاضل بمناسبة مصيف أخي الشاعر الأستاذ علي محمود طه «أغنية الجندول» التي غناها الأستاذ عبد الوهاب في الإذاعة المصرية .

وكل ما جاء في الإجبشان ميل نصاً يشاطره صديق صوفي ؟ وصديق شاعر [illegible] ووصفت [illegible] . إلا أن الكاتب [illegible] ذكر أن علي محمود طه «هو الشاعر الشرقي الوحيد الذي سحر بجمال الطبيعة في الغرب وسجل هذا الجمال في شعره الشائق» .

والواقع أن هذا الكلام بعيد عن الحق كل البعد . فإن للشرق شعراء كثيرين اطلعوا على بدائع الطبيعة في الغرب وسجلوها في شعرهم قبل أن ينشد علي محمود طه بيتاً ، وقبل أن يزور أوربا [illegible] بزمن طويل .

وإذا عددنا شوقياً وحافظاً ومطران فهناك كثير من الشعراء الشرقيين تغنوا بمحاسن الطبيعة الغربية في شعر عربي جميل .

أين إيليا أبو ماضي وقصيدته «الموسيقى» وأين [illegible] نعيمة وقصيدته الخالدة «النهر المتجمد» وأين شكر الله الجر وقصيدته «شلال نياجرا» التي نشرت بالمقتطف سنة ١٩٣٣ ؟

وصديقي الحميم (في الصداقة لا في السن !) الدكتور بشر فارس [illegible] الفنية [illegible] في وصف الطبيعة الأوربية ، وقد نظمها متأثراً بالجو الغربي الذي عاش فيه زمناً طويلاً ، وقد نشر المقتطف أكثر قصائده منذ سنة ١٩٢٨ ، كقصائده الأربع «الخريف ، والشتاء ، والربيع ، والصيف في باريس» ، ثم الخريف في برلين . وآخر قصائده «في جبال الألب» التي نشرت في مقتطف مارس سنة ١٩٣٧ وأعادت نشرها مجلة «[illegible]» في العام نفسه .

وأعجب شعر «الشاعر القروي» في وصف جمال الطبيعة في أمريكا الجنوبية . وزميلي الأستاذ [illegible] أبو المجد شعر

كثير في وصف الطبيعة الأوربية وخاصة مقاطعة « ديفون » الإنجليزية التي صاحب زمانا

وللكاتب هذه الكلمة قصائد كثيرة نشر في مجلة المقتطف من سنة ١٩٣٥ إلى الآن تحت عنوان (وحي الغربة) نذكر منها « دموع الحياة » « وأرض في كسير » « وبحيرة وندرمير » والقرية ... - مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٩ ؛ وقد صحبت دكار آزاري القصيرة للجبل الأبيض جرساً قصيدة في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٧ عنوانها « ثلاجة الجبل الأبيض »

محمد عبد الغني حسن

طبع الكتب الدينية

على أثر ما نشرناه من بعض الأخطاء في طبع أحد المصاحف التي ظهرت أخيراً ، اهتم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالأمر ، وأحدث في مصحفه عيوباً لم تخل منها هذا المصحف

وقد قابل فضيلته في مكتبه فضيلة شيخ المقارئ ، وصاحب المطبعة التي طبعت هذا المصحف ودار البحث حول هذا الموضوع

وقد اعتزم فضيلة الأستاذ الأكبر اتخاذ التدابير لتنظيم الإشراف على طبع القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير والفقه والتوحيد وما إلى ذلك من الكتب الدينية ، بحيث يراجع بعض حضرات العلماء هذه الكتب في أثناء طبعها ، فلا يؤذن للمطابع في إصدارها إلا بعد هذه المراجعة ، إذ يرى فضيلته أن وقوع أي خطأ في هذه الكتب ، قد يقوم عليه حكم شرعي غير صحيح ، أو يتخذ منه دعاة التأويل وسيلة لتضليل العامة

تاريخ الأمة المصرية

أصدر معالي وزير المعارف قراراً بترجمة كتاب « تاريخ الأمة المصرية » من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وقد جاء في ديباجة القرار أن دراسة ذلك هذا الكتاب الذي ألفه جماعة من المؤرخين الفرنسيين برياسة المسيو جبرييل هانوتو والذي تحفه بالرعاية السامية صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، من القيمة العظيمة في تصوير تاريخ مصر في عصورها المختلفة

ولما كان من الخير أن يعم به النفع ويستطيع الرجوع إليه والانتفاع به جميع المتعلمين في مصر والشرق العربي من الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية ، وتمكيناً لما يجب من إغناء اللغة العربية بأن تنقل إليها أمهات الكتب الجامعة في العلم والأدب والفن ، فقد تقرر ما يأتي : تؤلف لجنة لترجمة كتاب « تاريخ الأمة المصرية » إلى اللغة العربية في أسلوب عربي صحيح ولمراجعة هذه الترجمة

بكلا المترجمين والمراجعين على ما يبذلون من جهد . ويشرف الدكتور طه حسين بك على هذه الترجمة تحقيقاً للانسجام بين أجزائه المختلفة من الوحدة والاتساق

والكتاب في ستة أجزاء ينيط كل جزء منه بمترجم من أساتذة المدارس ومراجع من كلية الآداب

الجيش المصري قبل عهد محمد علي باشا

تناول أحد الكتاب الأفاضل خطاب العرش ، فنقده نقداً أدبياً طريفاً في صفحات « الرسالة » ، غير أنه أنكر ما جاء في هذا الخطاب من أن عهد محمد علي باشا كان أول عهد لظهور الجيش المصري في الوجود

ويحكي التاريخ محدثنا بوضوح أن مصر لم يتكون بها جيش مصري منظم من جانب الخلفاء قبل عهد محمد علي باشا الكبير بزمن طويل . ولا يمتد هذا الزمن إلى الفتح العربي فحسب ، بل إلى ما قبل ذلك أيضاً . إنه يمتد إلى حكم البطالسة منذ البداية قد حكموا مصر المملكة كلها ... ، وانتهت سلطتهم إلى الاحتلال الروماني حوالي سنة ٣٠ قبل الميلاد ، فقضى ذلك على جيش مصر قضاء مبرماً . وظلت البلاد خاضعة للرومان نحو ٦٧٠ سنة حتى استخلصها منهم العرب ، ومن ثم انتقل إليهم أمر احتلالها حتى ولي أمرها أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ وذلك في خلافة المستعين

وأحمد بن طولون رجل تركي ، وسلكه منهج هذه البلاد كما صنع محمد علي باشا من بعده ، إذ أداه بعد نظره إلى إصلاح مرافقها والسهر على مصالحها وتدبير أموالها وتعميرها وتكوين جيش قوي لها ، ثم أعلن الناس استقلاله

بعد ما صنع ابن طولون ، غير أن أبناءه لم يحافظوا على استقلال مصر كما حافظ ، ولم يدافعوا عنه كما دافع ... أبناء محمد علي باشا فقد حافظوا على هذا الاستقلال ودافعوا عنه ... ولا والواقع ... بين هذا كل الفرق بين الرجلين ، بل هناك فرق لا يخفى ، وهو أن ابن طولون لم يستخدم في جيشه جنوداً مصريين من صميم أبناء البلاد كما فعل محمد علي ، بل كان جيشه من المماليك الأتراك الدخلاء . وقد أخطأ بعض المؤرخين المعاصرين ودونوا في الكتب المدرسية المختلفة أن أول من استخدم المماليك الأتراك في مصر وجلبهم إليها واستعان بهم على تثبيت سلطانه ، هم الفاطميون متشبهاً منهم بني العباس . والواقع أن أول من فعل ذلك هو أحمد بن طولون ، فقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى ما نصه عند الكلام عن ابن طولون : « وفي أيامه عظمت دولة

مصر وتعتمد إلى الملك ... وهو أول من جلب المماليك الأتراك
إلى الجيوش المصرية واستخدمهم في عسكرها » وقال ابن إياس
« قال ابن وصيف شاه ... ثم أمر الأمير أحمد بن طولون
في ولايته على مصر واستقامت أحواله بها استكثر من مشتري
المماليك الديالمة حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف مملوك »

وبعد قليل فتح الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ فشهدوا
باستخدام كثير من الجنود المرتزقة من أمم شتى ، فتكون الجيش
في عهدهم من أتراك وعرب ومغاربة وصقالبة وسودان وروم
وعبيد وبربر . وكان عدم التجانس بين عناصر الجيش الفاطمي
سبباً قوياً لنزاع طال بين هذه الأجناس أدى إلى زوال الدولة

وخلفها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٧ هـ فقضى على نظام
الجيش الفاطمي المضطرب ، ورغب في توحيد جنس عناصر جيشه ،
ولكنه بدلاً من أن يتجه إلى أبناء مصر ويتخذ منهم حاجته من
قادة وجند ، استمد ذلك من الجنس الكردي

وفي أواخر الدولة الأيوبية استكثر الملك الصالح الأيوبي من
شراء المماليك الأتراك وعمل منهم فرقة عسكرية وأطلق عليهم اسم
(البحرية) ثم انتزعوا حكم البلاد من يد الأيوبيين سنة ٦٤٨ هـ
وأسسوا دولة المماليك

وفي عهد هذه الدولة الجديدة أصبح شراء المماليك الجدد
وتزويد الجيش منهم سنة متبعة لبث زهاء ثلاثة قرون امتدت
فيها حدود المماليك إلى ... كان سلاحها وبالاً على مصر ،
على الرغم من حسناتها الجليلة التي يعرفها لها التاريخ

وقد زالت دولة المماليك بواسطة الاحتلال العثماني عام ٩٢٣ هـ
ولم يعد في مصر جيش خاص بها لا من أبنائها ولا من الطارئين
عليها . وتعاقبت عليها الحكومات في ذلك العهد العثماني حتى
أنقذها من براثن العثمانيين ... محمد علي باشا . وكان
من جملة ما قام به من مشروعات حسنات إلى مصر أن دعا أبناءها
إلى ميدان الجندية وفتح لهم المدارس الحربية وعلمهم فنون
الحرب الصحيحة وبث فيهم روح الإقدام والتضحية ونال من وراء
ذلك جاهاً عريضاً وملكاً كبيراً . وعاد جيش مصر لأول مرة
في التاريخ بعد زمن المطالبة

[illegible]

ذكرى ابن الهيثم

احتفلت الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية في الساعة
السادسة من يوم الخميس ٢٦ ديسمبر بقاعة الاجتماعات الكبرى
بالجامعة المصرية بذكرى الحسن بن الحسن بن الهيثم العالم العربي الذي
عاش في القاهرة، بمناسبة مرور تسعة قرون على وفاته . وكان
الاحتفال تحت رئاسة الأمير محمد عبد المنعم رئيس الشرف للجمعية ،
وسهل كلمة الافتتاح حضرة صاحب السعادة أحمد لطفي السيد باشا
مدير الجامعة ، ثم تبعه معالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك
وزير الأوقاف السابق ؛ ثم تكلم عن ابن الهيثم من نواحيه الرياضية
والطبيعية والفلكية والهندسية الأساتذة الدكتور علي مصطفى
مشرفة بك عميد كلية العلوم ، ومصطفى نظيف بك أستاذ الطبيعة
بكلية الهندسة ، والدكتور محمد رضا مدور مدير مرصد حلوان ،
والدكتور محمد محمود غالي بمصلحة الطبيعيات ، وكلهم من أعضاء
مجلس إدارة الجمعية . ثم تناول الدكتور ... مدير مكتبة الجامعة
الموضوع من الناحية البيبليوغرافية . والاحتفال بذكرى عالم من
علماء العرب على هذه الصورة المهيبة عمل عظيم يستحق عليه الجمعية
الطيبة الحمد والشكر

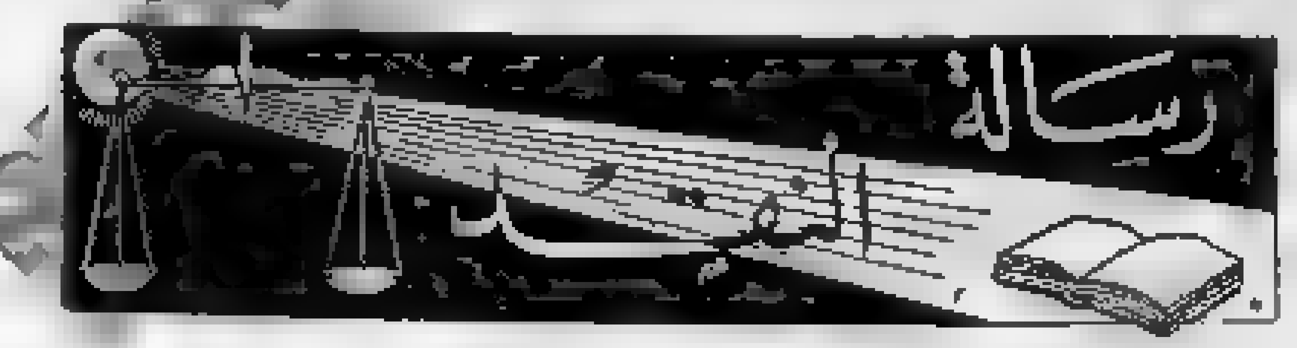

كتاب «الإمتاع والمؤانسة»

بقلم الدكتور بشر فارس

صيف سنة ١٩٣٠ قصدت من باريس إلى القاهرة أطلب كتباً ومخطوطات ، فقصدت « دار العروبة » ، عرفت أحمد زكي باشا — رحمه الله رحمة واسعة — فكان بيني وبينه ما شاء من الود ... كبيراً ويأنس بي . وقد دفع إليَّ فيما دفع من حرائر كتبه نسخة كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي ما نفس عليه ، فإذا هو جليل نفيس . وكم عنيت وعني « شيخ العروبة » أن ينشر هذا المخطوط فضاع مواتاه ، فضمرك على غير كلفة . وعدن الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين أقدما على طبعه وليس بين أيديهما سوى نسخة وبعض نسخه على جانب غير يسير من الاضطراب والتحريف (والنسختان مما خلفه زكي باشا) فما أحرى الأستاذين بالبحث والشكر . وكان الأستاذ أحمد أمين أخبر المستشرقين في مؤتمرهم (سبتمبر ١٩٣٨ ، بروكسل) بأنه ناشر كتاب التوحيدي ، فاغتبط القوم لذلك

ونثر كتاب يذهب في التصرف بضروب الكلام ، جمع مختلف المسائل من أدبية وعلمية ، مع ما يفسد ألفاظه ويبهم عباراته من جهة نسخ النساخ ، ليس بالطالب السهل . ومن هنا ما جاء في ضبط الكتاب من أغلاط . وقد بيّن طائفة منها صديقي الدكتور زكي مبارك في العدد الماضي من الرسالة ، ولا عجب فإن الدكتور زكيا يألف التوحيدي طرباً وبأسلوبه خبير ! ألم يؤلف فيه رسالة ؟

وعلى أن كثيراً ما وقفت وأنا أقرأ « الإمتاع والمؤانسة » فلا أرى بداً من التنبيه هنا على ما وقفت ، وإنما مقصدي تقويم الكتاب لوجه العلم وحده . وإني أقصر الاستدراك على الأربعين صفحة الأولى ، في سبيل التمثيل (والكتاب في ٢٣٦ ص) ثم إني مقسم المآخذ على حسب النهج الذي عليه يجري النقد في تحرير المخطوطات

* * *

١ — التباعد عن سياق النص

ص ١٩ — ٢٠ . يروي التوحيدي كيف دخل في « الليلة الأولى » بين يدي الوزير ، فأخبره الوزير بأنه يستعمله للمحادثة والتأنيس . فيكتب التوحيدي (ص ٢٠ س ٨) : « فقلت : بل كل شيء أريد أن أجاب إليه يكون مقصوراً على ما أراد من . فقال (الوزير) قل ما بدا لك . قلت : يؤذن لي في كاف المخاطبة وتاء المواجهة فترتفع من مباعدة التكني ومضايقة التعريض . »

هذا وأما الناشران الفاضلان فقد قرآ ذلك هكذا : « فقلت : بل : كل شيء أريد أن أجاب إليه يكون مقصوراً — » وهذا غريب . فإن التوحيدي لم يبدأ بالكلام ، وإنما مرد ذلك عن كلمة سقطت في نص الوزير . فيجب أن يكتب : « فقلت : بل » . ثم إن غرضه أن يقول للوزير ما تفسيره . « أجل سأحدثك وأؤنسك ، ولكن قبل كل هذا شيء أريد أن أجاب إليه وهو أن تأذن لي في استعمال كاف المخاطبة وتاء المواجهة مرفع الكلفة وتيسر الحديث إليك »

وعلى ذلك اضطرب الترقيم ، وهو كثير نصيبه في كل صفحة ولن أعرض منه هنا للأخذ خشية الإملال . وحسبك وضع نقطة في آخر السطر ال ١٤ من الصفحة الثانية ، وأخرى بعد الكلمة الرابعة من ٧ س ٤ ، وأخرى بعد الكلمة الثانية من ١٣ س ١١ ،

وأخرى بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٦ ، وأخرى بعد الكلمة السابعة ص ١٥ س ٢ ؛ ثم مع شولة مغلوطة بعد الكلمة الأولى ص ١٣ س ١١ ، وبنقطتين بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٥ ، وبعد الكلمة الثانية ص ١٦ س ١٣ ؛ ثم مع علامة استفهام بعد الكلمة السادسة ص ١٥ س ١٤ والكلمة الثانية ص ١٥ س ١٦

٢ — العدول عن أسلوب المزدوج

ص ١٤ س ٢ ، ٣ « وعبارة النص حسنة إلا أنه كلمة عرضه إلى أسلفه من أدائه بُعدُها وفاسده (أي مثل) بعدُها » — والوجه « بُعدُها » موازية « قَصدُها » والتوحيدي معروف بإيثار الازدواج ، راجع مقدمة الكتاب لأحمد أمين ص ق ، و « النثر الفني في القرن الرابع » ج ١ ص ١٦٣ ، ١٧٥)

ص ٢٤ — س ٤ ، ٥ ، « فأما التمكن وأخوانه الزوجية في الناقة الصحية ، ومحالته الطيبة ، فقد » والصواب « في مباريته » . والذي هداني إلى ذلك كلمة « متناطقه » ، إذ قلت : إن التوحيدي أراد الازدواج هنا ، وإذا « المعاني » جمع بشعبة ومعاني القلادة ، كما أن « مناطق » جمع منطقة (وهو كل ما شُدَّ به وسطه كالنطاق : من « لسان العرب ») ثم استُعمِلت المنطقة والقلادة والمنطقة في مصطلح علم الهيئة (راجع مثلاً : « مفاتيح العلوم للخوارزمي » مصر ١٣٤٢ ص ١٢٨ ، و « محيط المحيط » مادة ن ط ق ، ق ل د ، ومعنى التوحيدي) والدليل القاطع — بعد هذا كله — أن التوحيدي كتب بعد خمس فقرات منه (ص ٢٩ س ٤) « المعود إلى معاني القمك »

٣ — ترك الناشر على حاله

ص ١٤ س ٣ ، ٤ « وترك جمعه السلطان غير المتمكن ولا يستطاع إلا بجرٍ منه » ٤ — ما المعنى هنا ؟ وما غير المتمكن ؟

ص ٣٠ س ٦ ، ٧ « ما الفرق بين الحدوث والحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن حادث ما يُلحظ نفسُه … » — فربما كان يحسن بالناشر أن يهتم بكتب الفلسفة ويدوّن مصطلحات يفسر حالات العبارة الغير … المصعد ، على الأكثر … في غير موطن — لألفاظ صعبة قد تدق على القارئين

٤ — التسرع في تصويب الأصل

ص ١٣ س ١٢ « مذهب هذا كله وكل أمد » غير الناشران في الهامش « كل أمد » منكرو في الأصل « بل » ؛ والصواب عندي « بدل » ، وهو أقرب إلى مدلول المعنى ، فضلاً عن أن التوحيدي كتب بعد (ص ١٤ س ١٣) « وقد غمرت (الأمة) منذ زمان طويل ، وباد أهلها »

ص ٣٩ س ٣ « الشهوات النائلة ، والعقيدة الدنيئة ، والأعمال القبيحة » وفي الأصل « النائلة » — والنص عادة النص عندي « النائية أو الباتة أو البائنة » ألا يرى التوحيدي يستعمل « الرذيلة » صفة للعقيدة ، و « القبيحة » صفة للأعمال ، فأي شيء يعيبه التهجين في كلمة « النائلة » ؟

٥ — قلة التفتيش

ص ٣٨ س ١٥ ، ص ٣٩ س ١ « ولا عجب منه إذا كانت الزكاة الفائقة تمنع الناس من الفجور … لأن الزكاة قد يطلب بالزكاة كثير … » وهنا زاد الناشران في الهامش « الزكاة التنسك أو شيء صوابه « الرحمة » إن الزكاة كثيراً ما تستعمل في صحة العقل والرأي ، والرد هنا ما يحس البدن »

فإن صح أن الزكاة كثيراً ما تستعمل في صحة العقل والرأي (راجع « لسان العرب » أول مادة زك ا) فلا شك أنها استعملت أولاً الأمر في صحة البدن ، وذلك على حسب سنة من سنن فقه اللغة ، مدارها أن الألفاظ تتدرج من جانب الحس إلى جانب المعنى . والزكاة البدنية معروفة من ذلك ما جاء في « باب صحة الجسم » من « مختصر تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (بيروت ١٨٩٧ ص ٨٨) « والزكاة : الفضل الصحيح (والفضل بالضم التي لا صبر دونه ، من « القاموس » والمروءة جميعاً المنة) قال جميل بن معمر :

فلا تكونن زكياً ثقلاً سواء إلى لانيتهه فضلاً

(والثقل ... شيئاً منها ، من « القاموس ») وعلى هذا فالمعنى المراد في الهامش لم يظهر المقدّر كله

٦ — التحكم في رسم رواية النص

ص ١٤ س ١٣ ، ١٤ : « وأما موطن مداشي ، حشي ، فهو معشي معروق (كذا) ، إذ أحدها يُقال : إنها مدينة جليلة ، والآخر أن نهاية رملة تربية » . وفي الأصل « سائلة » . ورسم الناشران الفاضلان رواية الأصل إذ وجدا فيه « عرضاً وتبليا » . ... وكان يحسن بهما أن يجعلا مُغايرة كلة « السايل » من غوامض الفلسفة ، وكلام التوحيدي في هذا الموطن يدخل في هذا كالسايل في الفلسفة العربية من السيلان الذي هو « عبارة عن مانع الأجزاء ... » (« كشاف اصطلاحات الفنون » كلة « السيلان » و « السائل ») وفي « مراتب البهاتمة » لابن رشد مثلاً (بيروت ١٩٣٠ ص ١٣٧ ، ١٤ ، ٥٧٣) ورد « السيلان » في سياق الكلام على الفناء ، وتأتي معه « سيّال » مسداً صفه « ثابت » . وقد جاء « السايل » ، لا « السائل ») في « كشاف اصطلاحات الفنون » من غير تفريق (وذكر قول النابغة « الألفاظ أعراض سيالة ») . وعلى هذا فرواية الأصل صحيحة إذ يجرى الحديث على الفرق في أسلوب الفلسفة العربية .

ص ٢٣ س ١٤ : « كله من دوض واحد ودوا وسبيل واحد » . وفي الأصل ، بدلاً من « ودوا » : « ومو » . ورسم الناشران رواية الأصل إذ قالا « لا معنى لها » ، وكأن معناها « مر » صحيراً منفصلاً لا اسما مشتركاً) . وفي « لسان العرب » ج ٢٠ ص ٢٥١ س ١٤ : « تمرّ من الأرض : جانبها » فالمروّ يؤنث له معنى ، ومعناه يقيد مغاير الوادي وهو الفعل الذي آثره الناشران بملاقيهما المحدثة على صلاتهما ، علماً منهما أن المروّ ليس في المعنى

أذكر في لغتنا العامية « ملو » ، وصيحتها العرب

* * *

ذلك ما حققته . ولعل الأستاذ أحمد أمين ينظر في محور الكتاب على منهج ترجم هو به أعرف ، فيعرك عليه ... فإني لا أشك — بعد الدكتور زكي مبارك — أنه لم يعرض إليه عند التحرير موجود فيه

بشر فارس

7me Année No. 338 — Lundi 25-12-1939

الرسالة
مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
بدار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة السابعة — العدد ٣٣٨ «القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩»

الفهرس

ذكرى مولد المسيح

وعلى الأرض السلام!

في هذا اليوم يحتفل المسيحيون بذكرى مولد المسيح عيسى ابن مريم. وفي ليلة هذا العيد المجيد بات القسس والرهبان يرتلون ويصلون بين أروقة البيع وصوامع الكنائس ذلك النشيد السماوي الجليل:

«المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة.»

وربما أسمعهم الأقوام فركعوا وصلوا [illegible] على [illegible] وخشوعاً [illegible]؛ ولكنهم [illegible] لا يجدون في الآذان ولا في الأنفس معنى لهذا النشيد، ولا صدى لهذا النداء!

في أي جهة من جهات الأرض ذلك السلام؟ وفي أي قلب من قلوب الناس تلك المسرة؟ لقد [illegible] روح [illegible] الأسطورية على [illegible] جندي هتلر وستالين [illegible] على السلام الأرضي آلهة الشر وزبانية الجحيم فسلطوه في بولندة، ودفنوه في فنلندة، ومكنوا في الأرض سوء [illegible] والموت، فأوقروا [illegible] عيسى [illegible]، وأعطوا ذكرى ميلاده [illegible] وعذاباً، وحولوا أعشاش الأسر وروض المنزل قبوراً موحشة على كل قبر منها ركام من الثلج وصليب من الخشب.

* * *

لكأني بك يا روح الله كنت تمشي من الناصرة إلى بحيرة الجليل، ومن صهيون إلى كفر ناحوم، وأنت باكي الرأس ساهم الوجه، يتلجلج بين جوانحك الهم، ويجول في مآقيك الدمع، لأنك كنت ترى بعين الله التي تخترق الأزل والأبد كيف تلازم الشر والخير في ملكوته، فاقترن آدم بإبليس، وموسى بالسامري، وعيسى بيهوذا، ومحمد بأبي لهب؛ وخشيت ألا تخلو الأرض من أتباع هؤلاء وهؤلاء، ليقوم صلاحهم بمغالبة بعضهم لبعض، حتى إذا طغى هوى الشر وسطت عناصره أرسل عليه طوفان من ماء، أو من هواء، أو بالدم أو النار فتمحوه وتبيده

وكان الشر في عهد المسيح رقاً يسعر في عيون الروم، ويتلمظ في نفوس اليهود، فأخذه هو وحواريوه يكشفون عنه بالسلام، ويغسلون عدوانه بالصفح، ويمسحون قطعه بالمواساة، ويشفون مرضه بالدعاء، ويحاربون أوبئته بالوعظ. ولكن الشر كان قد تمادى واستطار فلم يردع الخلق حتى جاء محمد رسول الله فردّه وجدعه بالسيف. وظلت تعاليم عيسى عليه السلام ألفاً وعرفاً في ضمير الإنسانية لا يضيء، وأملاً موحشاً في أفق النفس لا يغيب. ومرت القرون وتعاقبت الدول وتتابعت الحضارات، ولا يزال إبليس والسامري ويهوذا وأبو لهب منتظرين في الأرض، يدعون إلى الشر ويرغبون في الرذيلة ويسعون بالفساد، والعالم المسكين يتمرغ في حمأة الهدى والمدنية والتربية والعلم، ولكن ذلك كله لا يبقى منه إلا كما يبقى الصدى في هيكل القيصرية، أو الفرجة في كهف الهيكل، أو الكوخ في اقتناء المصيصة

* * *

يا راعي السلام وداعي الوحدة، لقد صلى تلاميذك لك وتبركوا بالسؤال أنه لن يجتمع في سماء أوربا هذه الأعوام الجوارح، وعسى أن يستجيب لك إليك طائفة من عسكر وجبار بريطانيا. والله قادر على أن يحول في يديه القنبلة والصاروخ والقتل إلى وليان وحب[1].

يا حامل الآلام ورسول الرحمة، كيف استقبل ميلادك وعيدك في المدينة الأوربية؟ ولستون صانع الخط وزلازل ووطن حبك؟! ألأنك لا تزال غريباً عن الغرب لم يصادف دينك هواه، لم لأنه شرقي متكبراً من الكبرياء!

لقد ما تختلف المسيحية في الغرب عنها في الشرق، ولكنها مع المسيح قد خرجت من الشمس إلى النور، ولكنها مع بولس خرجت من الشمس إلى الظلام! ومن سار في ضوء النهار اهتدى وحلّ، ومن ضرب في سُدفة الليل انشعب وأضل.

* * *

ماذا حال عيدك يا رسول السلام وحامل الآلام في مولده ومهده؟! هل تمضي الآباء والأمهات ليلة الميلاد مشتبكين على أيديهم وعلى المناضد الوفيرة حول شجرة الميلاد وعيونهم تشرق بالغبطة وقلوبهم تفيض من السرور، وهم يتهامسون بأحاديث الحنان والحب مناجين الملائكة الأطهار، وفي أعشاش الربيع الدافئة كلها؟! هل بات الصغار الأولاد هذه الليلة في مهودهم الحريرية يحلمون في أحضان الكرى بسانتا (نويل) وهو يملأ لهم الألعاب واللعب والحلوى تحت أغصان الشجرة وفي مهب الدعاء؟

يا حسرتا عليهم! لم ينعم عيدك يا مسيح الأرض ومسيح الكون إلا وهم حطام وأشلاء. فلا القمر آمنة ولا الطريق موصول ولا الشمل مجتمع. إن نار الأعداء تحرق البلاد فلا مأوى، ويصبح الشتاء مراً لا أعياد ولا بهجة، وحوتن الأعداء يلمس الأكباد ولا صوت؛ وبعد القنابل والرصاص والنار من النساء والأطفال والشيوخ مشرّدون على الطرق يتحسسون الحياة الموقوتة في مرة بعد مرة!

وبين الحرب والشعب كانا مقصورين على أمة أو أمتين تصدعهما الأمم الأخرى بالمواساة والعون. ولكن الخطب شامل والطامة عامة. فالأمم المحاربة والمحايدة في شقاء النفس وبلاء الموت على حد سواء. قصصت عليهم هنا وهناك بروات القرود ويودّون أن ينساقوا إلى الحرب سوق القطيع! فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. ومن المنتظرين من يخشى الجوع والخوف، ومن يخشى النعم والسيف. والله وحده يعلم بأي حال سيعود ذكرى مولدك المقبلة على هذه العوالم: أيقول الملَك: السلام على الأرض، أم يقول: على الأرض السلام!

أحمد حسن الزيات

---

(١) إشارة إلى بشرى التي سمعها جبريل الروح إلى مريم ... ببيت لحم يوم ولد عيسى

حول مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف

إلى الدكتور طه حسين بك

كلمة صريحة

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل

أقسم إليك أصدق التحيات، ثم أذكر أن الصحف أخبرتني وأنا ماض إلى الإسكندرية لبعض الواجبات أن معالي وزير المعارف أصدر أمراً بتعيينك مراقباً للثقافة العامة، فعشت على حقيقة الفرح لأمرين: الأول هو الاطمئنان إلى أن للحق دولة في هذه البلاد، فقد كان حيل بينك وبين عمادة كلية الآداب فراراً من المناوشات التي تعرضك من حين إلى حين. وكان بين ذلك طلب إجازة طويلة تقضيها في جو هادئ، وإلى معالي النقراشي باشا لم يستمع لذلك، وقد ظهر أنه كان يدخرك لهذا المنصب الرفيع، فكان معنى هذا المنصب أن كفاءتك في ميدان الحياة الأدبية جعلتك دائماً موضع الحظوة عند أكابر الرجال

ومن المؤكد أن في الناس من سيحرص على امتيازك لهذا المنصب، لأسباب لا تخفى عليك، ولكني سعيد بما صرت إليه، لأنه شاهد بأن الكفاح في مصر جزاء، وأنت رغم حسودك من أقطاب المكافحين

أما الأمر الثاني من الاطمئنان فهو أنك أصبحت معنا في وزارة المعارف، وقد كان بيننا وبينك حجاب كثيف هو أشجار حديقة الأورمان وصخور الجيزة، فلك علينا بعد اليوم أن تزورنا وتتفقدنا بلا رهب ولا حسيب كما كنت تصنع في «القصر المسحور» قصر كلية الآداب!

أصبحت معنا في وزارة المعارف، وصار من السهل أن نصحبك حين نشاء بدون أن نتجشم عبور النيل فوق جسر فؤاد أو جسر إسماعيل أو جسر عباس

فهل، هديت بصحبتنا بوزارة المعارف أيها الزائر الحبيب؟

أتذكر حين ألفت كتابك «مستقبل الثقافة في مصر»؟ إن كان ذلك خاطراً، أيها الأستاذ الجليل، أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً لبعث الحديد، فقد دعته المناقشات من كل جانب وأثيرت حوله آراء صحاحا!

وأنت قرأت مقالي في نقد كتابك، وقرأت مقال الدكتور عبد السلام الكرداني بك، فهل قرأت مقالات الأستاذ ساطع الحصري بك، وقد سبقك إليه منذ أكثر من شهرين؟

أنت صرحت مرات كثيرة بأن النهضة المصرية عبيه بوائية، وأن تلك النهضة يجب مراعاتها في التصميم والتثقيف، أفتظن أن هذا الأساس لا يزال صالحاً لأن تقيم عليه بعثك الجديد؟

وأنت دعوت إلى تعلم اليونانية واللاتينية بحجة أنهما أصل الحضارة الأوربية، فهل تظن أن تلك الدعوة لا يزال لها في مصر والشرق مكان؟

أيها الأستاذ الجليل

إنك لا تفرق بين ما يقال في حجرات كلية الآداب لتثقيف عدد محدود من الطلاب، وما يقال في وزارة المعارف لتثقيف الجمهور الأكبر الذي يصوره الأمة المصرية بأعباء العصر الحديث

وإليك بعض التفاصيل

أنت سبقت سميك لسيطرة المدرسة على السنة التوجيهية، فهل تعرف كيف كانت العواقب؟

أردت بعبقريتك (خاصة) أن تفرض على الطلبة دراسة كتاب «نقد النثر» لقدامة بن جعفر، فهل ظننت أن نصوص ذلك الكتاب مما تسيغه عقول الطلبة في السنة الخامسة الثانوية؟

كان يجب أن تشتغل بالتدريس في القسم الثانوي سنة أو سنتين قبل أن ترشح نفسك لوضع منهج الأدب بالمدارس الثانوية

كان يجب أن تذكر مصير كتاب «المجمل» عليه رحمة الله وهو الكتاب الذي انتظم تاريخ الأدب من عصر امرئ القيس إلى عصر شوقي، ومع ذلك كان من الحتم على طلبة السنة الثالثة أن يدرسوه في عام واحد!

ولكني لا أنسى، فقد أماتني الله من وأد ذلك الكتاب ومؤلفوه أحياء ينظرون!

وأنت سعيت سعيك إلى أن يكون منهج الأدب في السنة الخامسة خلاصة لتاريخ الآداب اليونانية واللاتينية، وأثبتت

مصالك في تأليف مذكرات يمتحن بها المدرسون على هم ذلك المنهج الغريب !

هل تستطيع أن تدل على أمة واحدة كان منها منهج الأدب العربي ملازمة لأدب أمة أجنبية ؟

وهل حسب نفسك محنة الانتقال لصور الامتحانات الشفوية بوزارة المعارف حتى تدرك إلى أي حد صح اقتراحك الجديد ؟

إن وزارة المعارف سكتت عنك، لأنها كانت تعرف ما (رجوع) منك ، فقد نصت في كتابك : إن أكثر المراقبين لم يحصّلوا ثقافة أدبية ، وأنت في طوالع عصر عجيب ، فليس من المنتظر أن يسكت عنك المراقبون وهم كارهون !

فهل تنتظر أن يطول هذا السكوت ؟

هذا يوم له ما بعده يا سيدي الدكتور ، فقد حدثتك النفس بعد أسبوع أو أسبوعين بهجرة وزارة المعارف إلى [illegible] لتلقى أنه على بعض الأقسام بالمدارس الثانوية ، وقد حدثتك النفس بوجوب القول بأن عقلية مصر عقلية يونانية لا عربية ، وقد حدثتك النفس بأن [illegible] البحتري لا يتأتى إلى [illegible] بعبارة هوميروس

هل تذكر خرافة « تفسير الشعر » التي شغلت بها وزارة المعارف ؟

وهل تذكر أين صارت تلك الخرافة بين عبارات التاريخ ؟

وهل تذكر ما قوبلت به من السخرية في الشام والعراق ؟

إن محاسنك هي عيوبك يا سيدي الدكتور ، فأنت تفرّ من السكون لأنه ينافي الحياة ، وأنت تفضل من آثرى الأحياء ، ولكنك مع ذلك لا تحب [illegible] في الحقيقة كما تحب في الخيال ، وإلا فكيف خطر عندك أن ندرس الخطب القديمة في وطن ديموستين قبل أن ندرس الخطب الحديثة في وطن [illegible] ؟ وكيف صح في ذهنك أن ندرس محاولات الأعراب في أثينا قبل أن ندرس محاولات الأعراب في القاهرة وبغداد ؟

أنا أرجو — وأنت تعرف أني أعرف في دنيا الشعر وفي حقيقة الشعر — أن تثق بأني لا أحسد وطني ولا أمانع زماني ، وإنما أنا مشغول بأصول التعليم إلى أبعد الحدود ، وهي مهنة [illegible] بها إن شاء الله إلى ذروة المجد فلا يجوز أن تستغل [illegible] من أنشاء ! ومعرفتي بهذه المهنة تفرض عليّ أن أصارحك بأنك قد تسلك مسالك لا تخلو من وعورة والتواء

أنت تريد التقدم في كل وقت فأنت سيف [illegible] الناقدين ، ولكن التقدم هو الصبر أمام الجديد ، ومن واجبك أن تفكر فيما تقدم عليه قبل أن يذكرك [illegible]

فأين أنت من مشكلات العصر الحديث ؟

هل ترى أن يظل شبابنا على جهل بالمشكلات التي تثور في الممالك الأسيوية والأوربية والأمريكية ، اكتفاء بما تقترح أن نفهم من أخبار اليونان والرومان ؟

وهل تظن أن العلم بمناوشات الأحزاب في أثينا القديمة يغني عن العلم بمناوشات الشعب في لندن وباريس وموسكو وبرلين هذه العهد ؟

وهل ترى أن درس محاضرات هانيبال أنفع من درس دسائس ستالين ؟

وهل تظن أن النظر في أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية أهم من النظر في أسباب سقوط الخلافة الإسلامية ؟

وهل تعتقد في بلاد أن درس تاريخ الآشوريين والبابليين أهم من درس العراق الحديث ؟

وهل تعتقد أن درس الصلات بين مصر والشرق لعهد الفراعين أهم من درس الصلات بين مصر والشرق لهذا العهد ؟

التاريخ واجب الدرس ، ولكنه على كل حال تاريخ ، فكيف يجب عندك أن من العيب ألا نعرف من مذاهب روسيا وألمانيا وإيطاليا غير ما تسوقه إلينا بعض الجرائد الأجنبية ؟

وهل تعلم بأن تلاميذ المدارس عندنا يعرفون الفروق بين الاشتراكية والشيوعية ، مع أننا نفهم الفروق بين مذهب أهل السنة ومذهب الاعتزال ؟

هل يعرف تلاميذنا ما النازية وما الديمقراطية وما الفاشستية ؟

وهل يعرفون أصول العقائد التي تحارب في الشرق هذا العهد ؟

وهل في مصر كتاب واحد يؤرخ الثورة المصرية التي شبت في سنة ١٩١٩ ؟

وهل في مدارسنا تلميذ واحد علّمه أساتذته كيف يقرأ أخبار الأسواق المالية في الجرائد ؟

وهل تعرف مدرساً شرح لتلاميذه كيفية الاستفادة من الإذاعة اللاسلكية ؟

وهل عندك في كلية الآداب مدرس يستطيع أن يلقي محاضرة واحدة عن الأفلام المصرية ؟

وهل تعرف أستاذاً كشف الاتجاهات الأدبية في البلاد العربية لهذا العهد ، كما تعرف كشف الاتجاهات الأدبية في عصر بني أمية وعصر بني العباس ؟

وهل عندك في مكتبة قسم اللغة العربية بكلية الآداب مجموعة من الجرائد والمجلات تصور عقول الكتاب والباحثين في مختلف الأقطار العربية مثل مجموعة الكتب القديمة التي اشتركتُ معك في تكوينها سنة ١٩٢٥ ؟

وهل يعرف طلبة الجامعة عندكم عدد المعاهد العربية بهذه البلاد ؟

وهل فكرتم في تصحيح الأغلاط التي وقع فيها مثله ووليم ؟

وهل أقمتم متحفاً لمخطوطات العلماء والشعراء والكتاب الذين وضعوا الأساس لبناء العصر الحاضر ؟

وهل عندكم جماعة تسمع التعازي في وفاة « لسان العرب » ؟

وهل فكرت كلية الآداب في البحث عن كتاب يصور لنا في الصحافة الحديثة ؟

يا سيدي الدكتور

اسمع كلمة الحق من رجل كان تلميذك ، وكان زميلك ، ولا يزال أصدق أصدقائك ، وهو يصارحك بأنك تجهل جهلك وعصرك بعض الجهل

لقد جاوزتَ حدك في مصر الحديثة ، فهل تعرف عدد المدارس في مصر الحديثة ؟

في مصر الحديثة أربع وثلاثون مدرسة لا يعرف منها وزير المعارف غير آحاد !

أنت جئت إلينا في وزارة المعارف ، ولم يَعُد بيننا وبينك حجاب من تشجيع الأوروبيين ، فأسعفْ عزيمتك لحرب ضروب نقلتك من حال إلى أحوال

أقول هذا وأنا أعرفُ الناس بفضلك وبهتافك ، ولكن أشرح لبعض ما قدمتُ إليك بعض بعض ما يجب أن تعلمه ، وإن صادف صدرك من بعض ما أعطيتُك مني صدقٌ مقبول ، فأنت من أهل هذا العصر ، وهم يتنكرون لكلمة الحق في سبيل الأهواء

لا ترجع يا سيدي الدكتور ، عن هذا المقال الا بعد هذا التعبير الاستنكاري ، ولن أتاك في وزارة المعارف إلا سعادة مسئول يشبه ألسنة الفنيين بوزارة المعارف

زكي مبارك

« الرسالة » نرجو أن الدكتور الذي يعد من الثقافة عامة للرجعة اللاوية من الأولى إلى الحياة ، ونحن نرجو أن يوجه القاعة الفاعلة) لا يجعل منها التدريس والتعليم جاعلاً يحمل الموارد العلمية الحضارية في وزارة …

فى مزارات الاسكندرية

للدكتور عبد الوهاب عزام

(٢ يونيه للتقويم في السجل ١٣٣٤)

سرنا إلى جامع البوصيرى وهو من أجمل المساجد وأحبها إلى نفسى لا يمل رائيه الجلوس فيه يقلب الطرف فى جو به ويرى البردة منقوشة على أربعة جدرانه فى إطار واحد ويرى بين الجين والجين زرقة البحر والسماء فيطلق فكره من المسجد الصغير إلى المسجد الأكبر بين لجة الماء ولوح الجو

ذكرنا هنالك المحدث الأديب الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة والهمزية القصيدتين المباركتين اللتين جعلتا صاحبهما وحيدا فى صفحات الدهر وناتا من الحفظ والإنشاد والكتابة والنقش والتذهيب والتحلية ما لم ينله شعر آخر فى الجاهلية والإسلام

وجلسنا فى الإيوان المشرف على الصحن جلسة ممتعة أنشدنا فيها الشيخ الظاهرى هذه الأبيات

أما المحبة فهى بذل نفوس	فتنقى يا مدعى بالبوس
بذل المحب من أحب دموعه	وطوى حشاه على أحر رسيس
شرفا تشرقه وصهيبه مترب	لها الرياسة من أجل رئيس
ما إن صبت إليه صبهما	إلا جلوتهما جلاء عروس

وليست هذه الأبيات غريبة فى مسجد البوصيرى ، وبإزائه كرماء من تحقيق أبو العباس المرسى وأبو العباس تلميذ الشاذلى

وأبو الحسن الشاذلى هو الشريف تقى الدين على بن عبد الله ابن عبد الجبار شيخ الطريقة الشاذلية كان عالماً واسع العلم وبلغ الدرجات العالية فى التصوف وتوفى بمصر ، وهذاب متوجهاً إلى مكة فى ذى القعدة سنة ٦٥٦ ودفنه إلى شاذلة إحدى قرى تونس

وأردنا أن نزور قبر الشاطبى الذى ينسب إليه حى الشاطبى فى رمل الاسكندرية فقيل لنا إن قبره قد نقلت عنه البلدية التى تعنى بشارع جبهة البحر ، الوثيق هنالك

وهذا الشاطبى غير صاحب الشاطبية ، ولكنه من رجال الكرامات كذلك ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة فى عداد من كان بمصر من المحدثين والزهاد والصوفية وقد كتب لى العلامة الشيخ حالفى ترجمته من كتاب الزهر النسى فى مناقب الشاطبى ، ومأتما أثبتها هنا :

« أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى نزيل الاسكندرية ويعرف بابن أبى الربيع أحد أولياء الله تعالى الشيخ الصالح صاحب الكرامات المشهورة ، جمع بين العلم والعمل والزهد والورع والانقطاع إلى الله تعالى والتخلى من الناس ، وتمسك بطريقة السلف ، قرأ القرآن بالقراءات السبع على أبى عبد الله محمد ابن سعادة الشاطبى وغيره ، وقرأ بدمشق على الواسطى وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبى يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ ، وسمع بدمشق على أبى القاسم بن صصرى وأبى المعالى بن صصر وأبى الوفا ابن عبد الحق وغيرهم . وانقطع لعبادة الله تعالى فى رباط سوار من الإسكندرية بقرب أبى عبد الله الرازى ، وصنف كتباً حسنة منها كتاب المسلك القريب فى ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة فى العلوم النافعة ، وتفسير القرآن العزيز ، وكتاب شرف المراتب والمنازل فى معرفة العالى فى القراءات والنازل ، وكتاب المباحث السنية فى شرح الحصرية ، وكتاب الحرقة فى إلباس الخرقة ، وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيوخ والمريد ، وكتاب القصد النفيس فى ألفاظ اصطلح عليه الصوفية وكتاب رفع التلبيس فى تحريم الحشيش ، وكتاب الأربعين المعربة فى الأحاديث النبوية ؛ ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالإسكندرية فى رمضان سنة ٦٧٢ ، ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله »

ويوم الأربعاء التاسع والعشرين من رجب خرجت أنا والأستاذ الزيات نزور جامع الشيخ ، وكنت واعدت الشيخ إبراهيم القندوى شيخ المكتبة القاهرية أن أمر به صباح هذا اليوم ووعد أن يكلف خازن مكتبة الجامع أن يكون هنالك يطلعنا على خزانة الكتب .

ودعنا المكتبة وصحبنا الشيخ إبراهيم إلى الجامع ، وكنت أسمع بجامع الشيخ وأود أن أراه فلم تتح الفرصة قبل

الجامع فوق سوق بها حوانيت كثيرة . ودخلنا من الباب الغربى فصعدنا درجاً ومررنا بالسلم إلى مكتب لتعليم القرآن ، ثم صعدنا درجاً آخر إلى حجرات يسكنها طلاب العلم فى ذلك الجامع ، ثم هبطنا درجاً حيث صعدنا فدخلنا إلى جامع واسع فيه مصلى كبير يحيط به ثلاثة أروقة كبيرة ورواقان مستطيلان من جانبى القبلة ويؤدى إلى الغرب كبير يجعل المحراب للمسجد الأعلى وقد ألفيت المسجد أوسع وأجمل مما حسبت قبلاً

وسرنا فى الرواق الذى يلى يسار القبلة إلى حجرة ، وتقدم شيخ وقور هو إمام المسجد ففتح المقصورة عن باب يؤدى

إلى حجرة ومن إلى حجرة أخرى فيها الكتب

سمعت من قبل أن هذه الخزانة ملأت أربعين حجرة ثم [illegible] وقد ملئت الأرصفة فيها بالكتب فأتلف كثيراً منها. ورأيت هوة الأرضة والإهمال في هذه الكتب مكدسة في رفوفها لا يجري [illegible] فيها. ولعل فيها من نفائس الكتب ما نفتقده في دور الكتب فلا نجده أو ما نحن في حاجة إليه شديدة لتصحيح ما لدينا من الكتب المطبوعة. ولست أدري على من تقع التبعة في أسباب هذه الأسفار من التلف وما في فيه من ضياع [illegible] الأمر للشيخ [illegible] الذي أسس هذا المسجد أسرة عريقة في [illegible] لها أياد على العلم والعلماء. وكان [illegible] رحل العلم من مصر وغيرها وكان هذا الجامع معهداً في الاسكندرية قبل إنشاء المعهد الديني التابع للأزهر. فماذا ترك الخلف من هذه الأسرة [illegible] السلف وأضاعوا آثار آبائهم؟ وإلا فإن لوزارة الأوقاف إشرافاً على هذا الجامع [illegible]، وعليها أن تشرف على المسجد ومكتبته أو تلزم القائمين عليها أن يحفظوا القيم

[illegible] هذه لا [illegible] بين الأوقاف وأسرة الشيخ [illegible]

وتركنا الجامع إلى مكتبة الاسكندرية في دار موسيري

وهناك لقيت الأخ الأديب [illegible] بشير [illegible] وأحدثه من حديث عن الكتب، وعن آثار الاسكندرية [illegible] على رحلة ابن رشيد التي ذكرتها في المقال السابق [illegible] الجزء الثالث وهو المتضمن وصف مصر. وهو منقول [illegible] في الاسكوريال. وهذه الرحلة ذات جدوى كبيرة في تاريخ مصر ولا سيما الاسكندرية، وهي جديرة بالعناية والنشر

وكان من حديث الأخ بشير أن قال [illegible] مسعود؟

قلت: نعم هو على ساحل [illegible] قال: لكن مسعود الذي أضيف إليه الشاطئ؟ قلت: لا أدري. قال: عندي حديث عنه لا تجده في الكتب. كان [illegible] الشيخ عبد [illegible] والشيخ [illegible] يذهبان إلى ذلك [illegible] وكان السباحان ومن يصحبهما يجلسون [illegible] يستمتعون بمنظر البحر وهوائه. وكان [illegible] رجل [illegible] يسمى مسعود أفندي [illegible] أن يسمى الشاطئ [illegible] مسعود؟ فعرف به الاسم حتى اليوم [illegible]

رجعت إلى داري [illegible] من مشاهد المدينة [illegible]

عبد الوهاب عزام

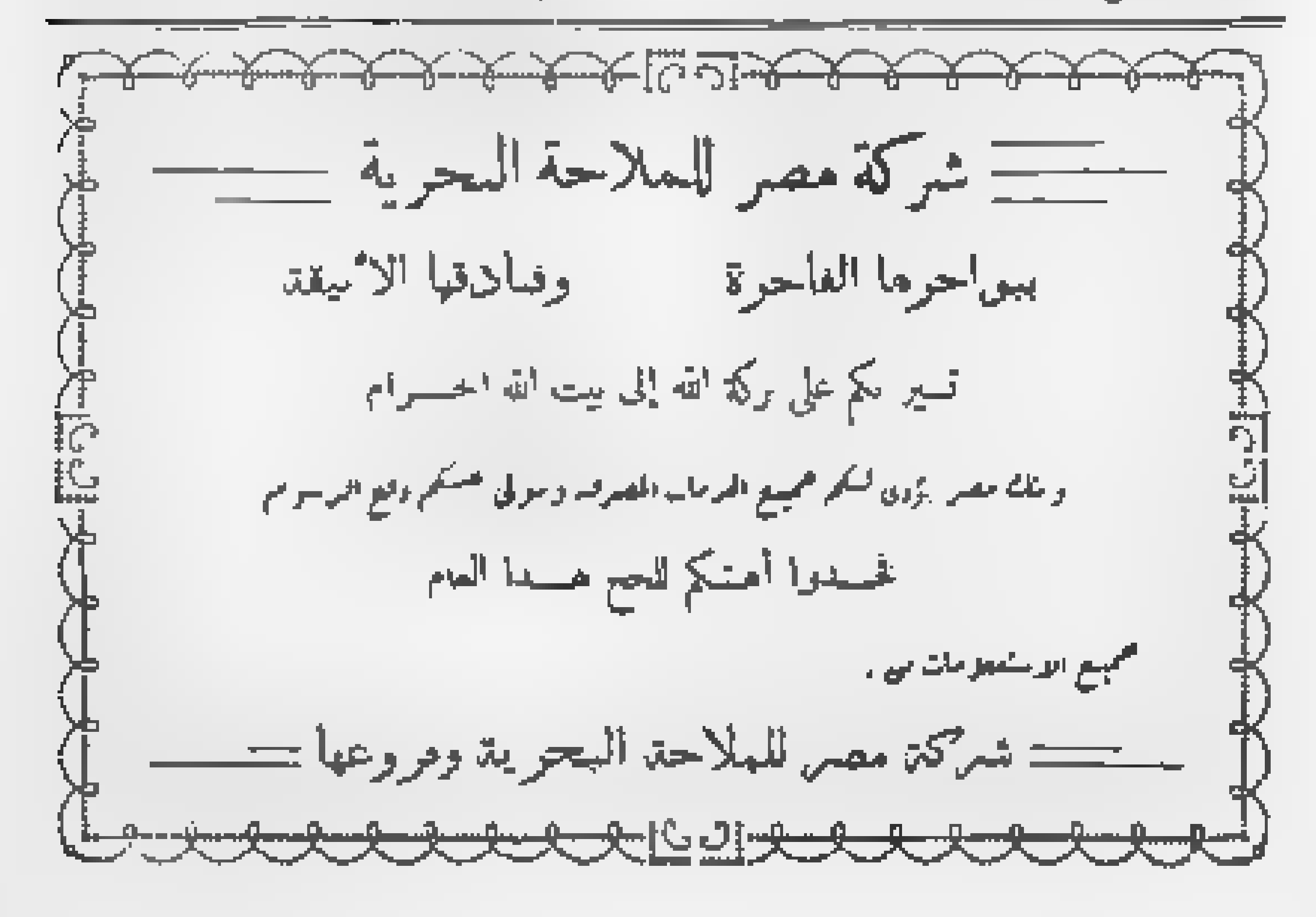

فنلندا بلاد التعاون

مواردها والحركة التعاونية فيها

للدكتور مأمون عبد السلام

(بقية المنشور في العدد الماضي)

ـــــــــ

عملت الحكومة الفنلندية جهدها لترقية الزراعة فأسست مدارس الزراعة وفلاحة البساتين وتربية الماشية وصناعة الألبان وتربية الخيل والتدبير المنزلي، وأنشأت معهداً للبحوث الزراعية يقوم بعمل تجارب لتربية النباتات وصناعة الألبان وإصلاح أراضي المستنقعات. ومما يدل على اهتمام الفنلنديين بالزراعة أن كل مزارع منهم ينضم إلى جمعية زراعية، وجميع الجمعيات الزراعية تساعدها الحكومة

والفنلنديون معروفون من قديم بشرب اللبن حتى إنهم يحمدون الله في صلواتهم أن يكثر أجبانهم، وهم مشهورون بأن كل الزبد تحت الأمر يحب على الإكثار من أكله وفي مدحه قالوا:

كلي الزبد الطازج طول العام
كي يستدير جسمك
كلي لحم الخنزير طول العام
كي يزيد حسنك
كلي القشدة طول العام
كي يزيدك جمالاً

وكان الفنلنديون في سنة ١٣٦٠ ميلادية يدفعون بعض الضرائب للحكومة أقراصاً من الزبد. وفي سنة ١٥٦٠ بلغ الزبد الذي صدرته فنلندا إلى ألمانيا والدانمارك والسويد نصف مجموع صادراتها. أما الآن فعشرة في المائة من الصادرات من الزبد والجبن، وقد نمت الحركة التعاونية في الألبان درجة لا تضارع في أي قطر آخر، وخمسون في المائة من أعمال الفلاح في فنلندا محصورة الآن في صناعة الألبان ومنتجاتها

وقد كانت الأبقار الفنلندية رديئة صغيرة قليلة اللبن تجوب المستنقعات وراء الغذاء، فعملت الحكومة على تحسينها فأوجدت سلالات جيدة وعلمت المزارعين ضرورة إنتاج الألبان الجيدة فأسست المعاهد والمدارس لتدريبهم على صناعة الألبان بالطرق الحديثة وأوجدت معايير لتصنيف اللبن والزبد وتصديرها على هذا الأساس

ويوجد الآن في ميناء هانكو مخزن ومعمل لفحص الزبد المعد للتصدير وتدريجه من حيث الرائحة والطعم والجودة، ولا يسمح بالتصدير إلا للزبد المتفوق المستوفي للشروط، ويباع غيره في داخلية البلاد للاستهلاك المحلي بسعر يتناسب مع رتبته. وبذلك أصبح زبد الفنلنديين يضارع زبد الدانمرك، والجبن الفنلندي لا يقل في الجودة عن الهولندي والفرنسي، ويصدر ٩٠ ٪ من زبد فنلندا عن طريق الجمعية التعاونية المسماة فاليو

منظر رائع لشلال في منطقة الغابات حيث يجري قطع الأشجار في منطقة بتسامو
(من مجموعة الدكتور ...)

وتعتمد فنلندا في ثروتها القومية على الزراعة والغابات والتعدين، ففيها قليل من الذهب في لابلاندا والنيكل والفضة والنحاس، ويستخرج الحديد من المناجم ومن قاع البحيرات

وقد نشطت الصناعة في فنلندا في السنوات الأخيرة مع تزايد أثمانها طول العام واستقطابهم للعمال، وإليك النسبة المئوية للفنلنديين من حيث حرفهم:

٦٢٫٩ يشتغلون في الزراعة
و ١٦٫٨ في الصناعة والأعمال اليدوية
و ٣٫٧ في التجارة
و ٣٫٢ في أعمال النقل
و ١٣٫٤ في صناعات أخرى

وقد ازدهرت في فنلندا صناعة الأخشاب والورق والسليولوز ولب الخشب وخشب الأبلاكاش والبوبينات ويشتغل ٣٥ ٪ من الصناع في الصناعات الخشبية. وقد أسس أول مصنع يشتغل

قوة إليه من مائة سنة مضت. وفي سنة ١٨٦٠ استكشفت طريقة صناعة لب الخشب، ومن ثم انتشرت صناعته بفنلندا

ومما كان العمل بالمصانع على جانب عظيم من النظام والنظافة ويشتغل العامل ثماني ساعات في اليوم ويعطى في أول عام من اشتغاله أسبوع أجازة بمرتب، ثم أسبوعين في السنة الثانية وهكذا إلى الخامسة إذ تزاد إلى ثلاثة أسابيع. وفي سنة العاشرة تزاد إلى شهر في العام

وقد كانت حالة العمال قبل ذلك سيئة جداً لتحكم أصحاب الأعمال فيهم يشتغلون ١٤ ساعة في اليوم بأجور زهيدة، تسربت إليهم تعاليم المدنية الحديثة من ألمانيا فأسسوا نقابات العمال في المدن، وكانت في أول أمرها غير سياسية، إذ اشترك فيها أصحاب الأعمال والعمال، ولكنها ما لبثت أن تسربت إليها الاشتراكية. وفي سنة ١٨٩٩ تأسس حزب العمال ونشر برنامجه الذي طالب فيه بالمساواة في الحقوق وتحديد ساعات العمل ثماني في اليوم وتحريم الخمور. ثم تكون الحزب الصناعي وهو دائماً متحد مع حزب الفلاحين

وتتجر فنلندا مع الروسيا ثم بريطانيا العظمى وألمانيا والدنمارك وفرنسا والسويد، وأهم وارداتها الغلال والدقيق والمعادن والآلات والمنسوجات، وأهم الصادرات الأخشاب، ومن مصنوعاتها الورق وبعض المنسوجات، والمصنوعات المعدنية والجلود

وقد افتتح أول خط حديدي في سنة ١٨٦٢ وأنشئ آخر يصل بالعاصمة الروسية (بتروجراد) في سنة ١٨٧٠. وفي فنلندا نظام بديع من الترع والقنالات أهمها القنال الذي يصل بحيرة سايما بخليج فنلندا، ويمكن بواسطته أن تتوغل البواخر من بحر البلطيق إلى ٢٢٠ ميلاً داخل فنلندا

ولفنلندا أسطول تجاري، ويمكن للسائح السويدي أن يعبر إليها في بواخر تبرح ستوكهلم في كل مساء عدا أيام الأحد فتصل إلى ميناء هلسنجفورس وهو ميناء عظيم على أحدث نظام فيه مصانع السكر والأكواخ، والمصنوعات الحديدية والمخازن الكبيرة المملوءة بالبضائع. ومعنى هلسنجفورس بالفنلندية (السوق) وقد كانت كذلك أيام ... فأنشئت هذه المدينة في القرن الثالث عشر

وفنلندا في مقدمة أمم العالم من حيث تعاونها التي تعتبر في جليد. وقد صنعت لأول مرة في سنة ١٩٢٨ كاسحة جليد ضخمة بفنلندا تشق لنفسها طريقاً في الثلج، ... طول العام إلى ميناءي توركو وهانكو

ويؤمن الفنلنديون إيماناً صادقاً بنظام التعاون، فنظام معيشتهم الاجتماعي مشبع بالجمعيات والمؤسسات التعاونية حتى لا يكاد يمر فيه أي عمل. فترى المزارع يبيع زبده بواسطة الجمعية التعاونية لتصدير الزبد المسماة «فاليو» ويحصل على نقود من البنوك التعاونية ويبتاع منها مصانع آلية ويبتاع آلاته الزراعية من طريق الجمعية التعاونية الزراعية المسماة «هانكيجا»، ويبتاع زوجه ما يلزم البيت من الشركة التعاونية المسماة «إيلانتو»، ويكتب ابنه الصغير عادة من ... من صنع الجمعية التعاونية المسماة S. O. K. وتبيع ابنته الصغيرة ما تجمعه من ثمار البرية من الغابات لجمعيات تعاونية خاصة تصنع منها المربيات

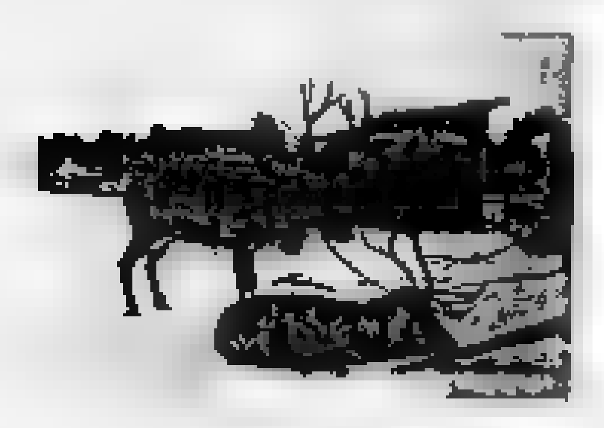

قرية ... وتستعمل ... عربة تسير على الثلج في لابلاند

وقد أدخل نظام التعاون في فنلندا في منتصف القرن التاسع عشر ولكنه أصبح حقيقة واقعة في سنة ١٨٩٩ وذلك بتأسيس جمعية بليرفو التي حملت على عاتقها نشر الحركة التعاونية فنجحت في ذلك نجاحاً كبيراً. وكان من أكبر أسباب ضعف التعاون في فنلندا عدم ارتباط جمعيات التعاونية بعضها ببعض. ولكنهم تغلبوا على ذلك في سنة ١٩١٥ بإنشاء المؤسسات التعاونية المركزية الآتية

١ — جمعية S. O. K وهي جمعية عظيمة تشتري جميع المواد الغذائية والبضائع المختلفة حساب المخازن التعاونية العامة، وتصنع جمعية S. O. K الكبريت والفرش والملابس الداخلية والورق والطوب والمرايات والأخشاب، كما تملك المخابز ...

التي ... وقد شيدت بها خطاً رودة بآلات توليد الكهرباء بقوة المياه الاسماء والمساقط وهي تستورد الآلات وما من أجل ذلك مكانة في القارة الأوربية والقارة وأمريكا الشمالية والجنوبية

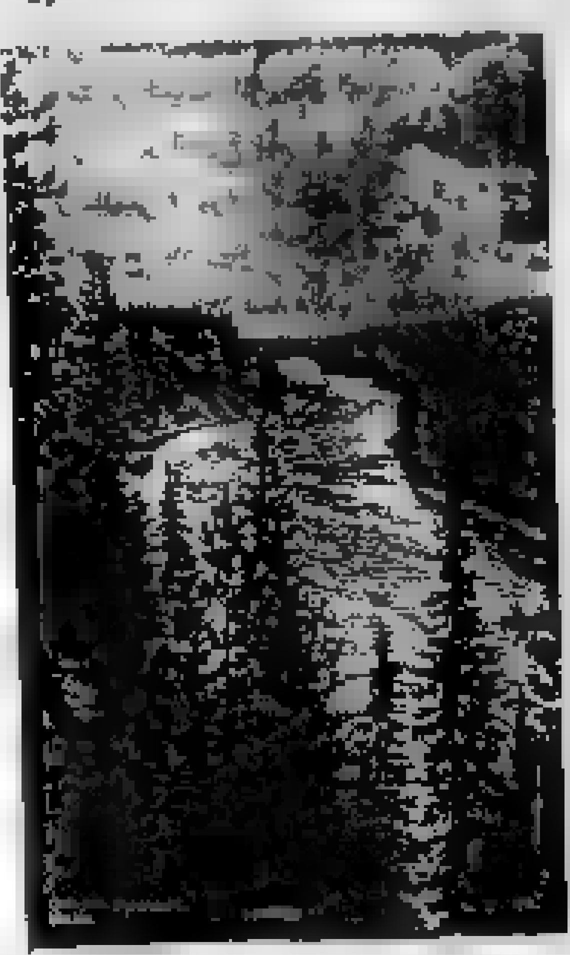

بيت بأرض فنلندا وغاباتها

٢ — جمعية هانكيجا Hankkija وتشتري الآلات الزراعية والأسمدة والبذور والسيارات والأدوية والأعلاف وكل ما يحتاج الزراعيون وتبيعه للجمعيات التعاونية وللزارعين، ولها محطات للتجارب ومعمل ومحطة لتنظيف الحبوب ومختبر لتجارب وآلة للطحن ومخازن لبيع الآلات

٣ — جمعية العمل وهي جمعية للزارعين التعاونية المحبة، وتختلف عن السابقة في تكوين عضويتها

٤ — جمعية بنوك التسليف الزراعي المركزي لتسليف البنوك الزراعية، وهذه تسلف أعضاءها لتحسين زراعتهم أو أعمالهم الأخرى التي يعيشون منها

٥ جمعية فاليو Valio لتصدير الزبد

٦ الجمعية التعاونية الفنلندية لتصدير اللحم

٧ جمعية منا لتصدير

٨ جمعية أينيتين Enigheten لصناعة الأجبان

٩ الجمعية المركزية لأصحاب الغابات

جمعية O. T. K. التعاونية للعملة وهي فرع من جمعية S. O. K. السابقة

وما يلفت النظر وجود ما ورد وجود اسم أيلاعو في كل مكان وهو اسم جمعية البيع بالقطاعي أنشئت سنة ١٩٠٧ كجمعية ولا تزال إلى الآن أكبر متجر في فنلندا، ولكنها توسعت في أعمالها فأصبحت تبيع مصنوعات الأثاث والفخار والعطور والفراء والمناظر الطبية والملابس وإدارة المطاعم ويبلغ عدد أعضائها خمسين ألفاً

والفنلنديون أهل ثقة وأمانة ووفاء حكومتهم هي الوحيدة من جميع الحكومات المدينة للولايات المتحدة التي تسدد أقساط ديونها بانتظام مما جعلها محط احترام الأمريكيين وحبهم والفنلنديون بطبيعتهم مخلصون بعيدون عن التبذير، وهم يكرهون المضاربات والمقامرة في الشركات وكل أعمال البورصة معتقدين أنها تخالف قواعد الأمانة وحسن المعاملة لذلك لا تجد فيهم أمثال كروجر وغيره من المحتالين المشتغلين من رجال المال، وفنلندا هي الدولة الوحيدة التي أخفق كروجر في الحصول على احتكار الكبريت فيها

وأنشئ بها بنك في سنة ١٨١١ في هلسنكي وله فروع في ١٣ مدينة أخرى، ويديره مجلس ينتخبه البرلمان وينتخب مجلس الإدارة رئيس الجمهورية مباشرة

وأصدرت العملة الفنلندية في سنة ١٨٦٠ وكانت تجري على قاعدة الذهب من سنة ١٨٧٧ واحتفظت بها حتى أول يناير سنة ١٩٢٦ أو ... الفنلندي الجزأ إلى مائة جزء يسمى بنيا وقيمته سنتيمان

وفي فنلندا تسعة بنوك للمدخرات ومئة الرهونات و ٤٨٢ بنكاً للإيداع وبنك مركزي للتسليف و ١٣٤٢ بنكاً تعاونياً للتسليف

وتعتبر فنلندا من أرقى بلاد العالم، لأن أهلها لا يميلون إلى المكاتب إذ يعتقدون أن أحسن وسيلة للمعيشة هي كتساب

القوت من العمل في الحقل أو في المصنع لا من طريق الفروسية المقنعة بالمهارة وغيرها.

وينفق الفنلنديون كل عام على نشر التعليم ، وتخصص حكومتهم ١٢ ٪ من ميزانيتها له ، وحتمت على كل طفل متى بلغ سنه أن يتعلم القراءة والكتابة ، فترى في المدن والقرى والدساكر المدارس الأولية الحرة ، ومدارس التعليم الثانوية والمدارس الصناعية والزراعية ومدارس تدبير المنزل ، والدراسة فيها باللغتين الفنلندية والسويدية على أحدث النظم الألمانية.

والتعليم عندهم وجهة صحية بين الطالب ذكراً كان أو أنثى يكون عضواً نافعاً للأمة جسماً وعقلاً ، لذلك يحسن التعليم التدريب الجسمي والفكري.

ويلتحق صغار الطلبة من سن ٧ إلى ١٣ أو ١٤ سنة بالمدارس الأولية الحرة الخاصة للعمال الفلاحين وبالمدارس الثانوية والمدارس التحضيرية. ويوجد كذلك مدارس ثانوية راقية للطلبة من سن ١٠ إلى ١٧ أو ١٨ سنة ، ومدة الدراسة ثماني سنوات وتديرها الحكومة.

وهناك ثلاث جامعات أسست في سنة ١٦٤٠ وسنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٠ على التتابع، منها اثنتان في مدينة توركو والثالثة في هلسنكي ، وهي أكبرها وأعظمها شهرة. والتدريس في الجامعات باللغتين الفنلندية والسويدية حسب نص الدستور. وعلى الطالب الفنلندي أن يتكلم لغة أجنبية كالألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ليسهل عليه الاتصال بالعالم الخارجي. وكانت دراسة اللغة الروسية إجبارية في الزمن الغابر فأبطلت، ويدرس علاوة على ذلك اللغتان اليونانية القديمة واللاتينية. ونسبة الأمية في فنلندا ٩ و ١٠ ٪ من الذين يزيد سنهم على ١٥ سنة.

ويهتم فنلندا أعظم اهتمام بالرياضة البدنية ، وقد اشتركت في الألعاب الأولمبية الدولية وظل مصارعوها أربع سنوات متتالية على أبطال العالم، كما برعوا في كثير من الألعاب كالجري البعيد ، وقد رفع العلم الفنلندي في سنة ١٩١٢ فوق بناء الألعاب الأولمبية الدولية بالرغم من احتجاج الروس. وفي سنة ١٩٢٠ دخلت فنلندا دورة أنفرس الدولية كدولة مستقلة ونالت مكانها كالثانية بعد الولايات المتحدة وأرسلت ٥٨ عضواً وقد احتفظت بمكانها في سنة ١٩٢٤ في دورة باريس في جميع الألعاب التي اشتركت فيها. وتعتبر فنلندا من الأمم الأوروبية التي منحت النساء حقوقاً ... المتقدمين بشؤون النساء يرجع إلى عهد ... فنلندي تاريخي يرجع إلى سنة ... كان شاغلاً حقوق النساء. وتزاول الفنلنديات كافة الأعمال وتلاحظهن في المستشفيات والمدارس والبلديات ، ومصلحات الطرق ، وسائقات السيارات وما إلى ذلك. وقد منحن حق التصويت في الانتخاب من سنة ١٩٠٦ ، وأصبح لهن الحق في أن ينتخبن لعضوية البرلمان في سنة ١٩٠٧. ونسبة النساء في معامل الصناعة ٣٠٪ كان ١٠ ٪ من مخازن الأدوية يملكها نساء و ٨٠ ٪ من مستخدميها من النساء. وقد جاهدت الفنلنديات لمنع شرب الخمر وكان لهن الفضل في إجبار الحكومة على مراقبة بيع المشروبات الروحية ، وقد [illegible] والفنلنديات ماهرات في فنون الطهي وتدبير المنزل.

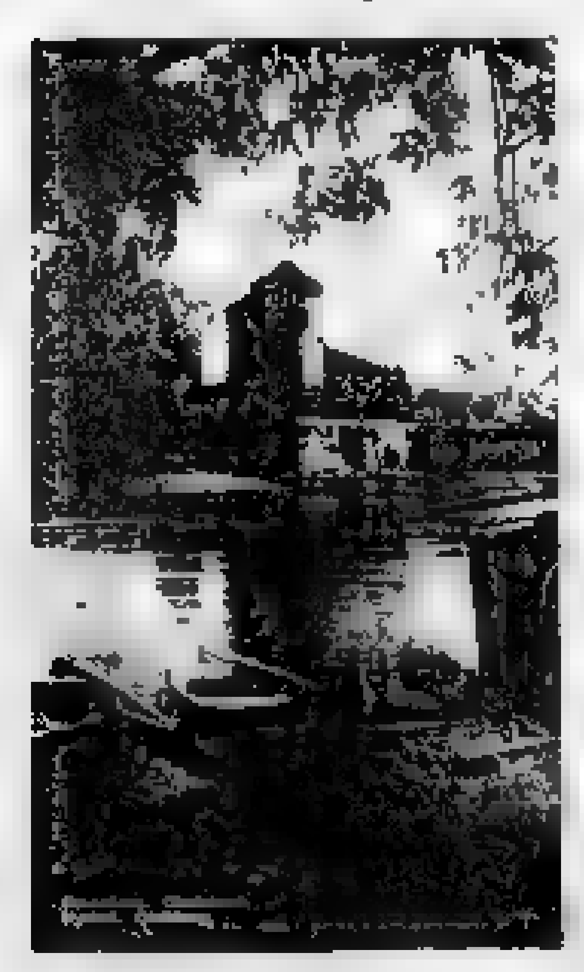

[illegible]

ورغم أن نسبة أعلى سكان فنلندا من الفنلنديين ، ويقوم

من أنه لم يحرم عامتهم الحكم بلغتهم في عهد تحكم الدول الأجنبية فيهم ، فإن الأجانب التي تحكمت السويدية كانت تملك معظم الثروة وكل الإدارة والسلطة السياسية والمراكز الاجتماعية الهامة ، ولم توجد كتب باللغة الفنلندية قبل سنة ١٨٦٠ عدا الكتب الدينية ، وقد ترجم ميخائيل أجريكولا (وهو تلميذ مارتين لوثر مصلح البروتستانتية كتاب العهد الجديد إلى اللغة الفنلندية في سنة ١٥٤٨ وكذلك طبع أول قاموس لاتيني فنلندي في سنة ١٨٢٦ ، وقد وضع لونروث في سنة ١٨٣٦ وسنة ١٨٣٥ قاموساً للغة الفنلندية وأصدر أول جريدة بهذه اللغة ولم يتكلم في عهده أحد باللغة الفنلندية سوى ست أسر إذ كان الفنلنديون يفضلون التكلم باللغة السويدية

ومن سنة ١٨٤٠ حتى أصبحت اللغة الفنلندية تدرس في المدارس الأولية ، ونص دستور سنة ١٩١٩ بلغتين رسميتين وطبعتين اللغة الفنلندية لغة الأغلبية السويدية

ويوجد الآن بفنلندا فئتان : الأولى فئة الفينوماني الذين يرفضون التكلم بغير الفنلندية ، وفئة السويكومان ولا يتكلمون غير السويدية قائلين إن اللغة الفنلندية ليست إلا لغة الفلاحين ومن لا أصل لهم . على أنهم متفقون جميعهم في حب بلادهم وأبناء وطنهم وفي سنة ١٩٠٦ غير ست عشرة أسرة أسماءها السويدية بأسماء فنلندية مدفوعين إلى ذلك بعوامل وطنية أو سياسية ، وقد رجع بعضهم إلى اسمه الأسري القديم الذي عبر مدة حكم السويد فترى الآن عوائل يحملان اسمين عن عائلتين وأحدهما بلغة السويد والآخر الفنلندية

واللغة الفنلندية صعبة وهي شبيهة لغة الإستونيين والمجر وهي خالية من أداة التعريف ومن الجنس وليس في حروفها الأبجدية حروف b و c و f و q و w وكلماتها طويلة جداً مثال ذلك

paanpaloshasteolleuuden Keskuskitto

وحكومة فنلندا جمهورية دستورية على رأسها رئيس ينتخب كل ست سنوات ومرتبه الشهري ماثتا جنيه . والقوة التشريعية في يد مجلس نواب منتخب ، والقوة التنفيذية في يد مجلس الوزراء المسئول أمام المجلس ، وهو في جملته من أجل أعضائه ... مائتا عضو ينتمون إلى الأحزاب المختلفة كما يأتي

حزب الاشتراكيين الديمقراطيين وعدده ٨٥ عضواً
وحزب الزراعي وعدده ٥٣ عضواً
وحزب السويدي وعدده ٢١ عضواً
وحزب الاتحاد وعدده ١٨ عضواً
والحزب الوطني الأهلي وعدده ١٤ عضواً
وحزب التقدم وعدده ثلاثة أعضاء
وحزب المزارعين الصغار وعدده ثلاثة أعضاء
وحزب الشعب وعدده اثنان

وأنشئ الجيش الفنلندي النظامي في سنة ١٩٣٢ ، وسن الاقتراع ٢١ سنة ويقضي الفرد سنة في سلاح المشاة وخمسة عشر شهراً في سلاح آخر ويمكث في الرديف سبع سنوات وفي الحشد الرابط ٢٢ سنة . ويعتمد الطيران وسكنهم في قوة جيشه وهو يحتوي على سفن الحراسة ومراكب الطوربيد وغواصات . والفنلنديون من أحسن المحاربين في العالم ، لذلك استخدمهم الروس في أساطيلهم الحربية والتجارية . والفنلنديون مشهورون بقوة جلده على التعب في سبيل الأعمال

مأمون محمد الشناوي

حكم استئنافياً بحرمان حسين رولاييس الشهال جبرا بالقضية الاستئنافية رقم ١٨٥٤١ سنة ١٩٣٩ - ٢ مرعوش صالح محلمه ٢٥ يوليو المبيعة ربع ماريد من التسعيرة

٩٤٦ ٢/٢٢ كاتب ضبط

محمد المرسي حمدي

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

قرأت كلمة الأستاذ الكبير عباس العقاد بعدد الرسالة رقم ٣٣٥ التي عنوانها « مع أبي العلاء في سجنه » وفيها يعجب للدكتور طه حسين بك في بعض ما ذكره في بحثه عن شيخ المعرة رهين المحبسين ، إذ لا يرضى ما فهم من قول أبي العلاء في بعض شعره « بقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، ويكون بنانه مجرى دمعه ، ويجد الروائح بمنكبه ، ويمشي إلى الغرض على هامته ... » لا يرضى أن ينصرف المرء « بعد هذا الفهم خاصة إلى رأي من أشد الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً ، وهو إنكار العلة الغائية وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي صرفها عنه وزعم أن الأشياء خلقت لتحقيقها » ويرى — أي الأستاذ العقاد — أن هذا الرأي من الدكتور فيه شيء من الصواب ، ويكون « أصوب من هذا أن يقال إن رأي المعري شبيه برأي للعصريين الذين يقولون : إن الوظيفة تخلق العضو ، وإن القوة تنشئ الظاهرة »

هذه الكلمة أثارت مني رغبة كامنة في متابعة الكتابة في الرسالة تحت عنوان الذي اختاره القلم الناصح ، وهو على هامش الفلسفة — لو إلى ذلك سبيل الآن ! ذلك أن البحث الذي أقوم بإعداده هذا العام أو بالتحضير له عن ابن رشد ومكانته في الفلسفة الإسلامية يملك علي كل أمري ويستأثر بكل وقتي أو لا يدع هذه الرغبة تخرج من القوة إلى الفعل ، إلى حين أرجو أن يقصر أمده إن شاء الله تعالى . إلا أن اتصال الموضوع الذي أثاره الأستاذان من غير قصد بالموضوعات التي أحبس نفسي عليها هذه الأيام ، جعل من الواجب أن أكتب كلمة قصيرة أبين فيها أن الموضوع أصالة كلمة لم يخفيا الأمر ولكن القدري البيانة لشعر كلمة أبي العلاء — فيما أرى إن كان كلها جاداً — إلى

مسألة الأسباب والمسببات التي هي موضع الخلاف الشديد بين الغزالي وبين الفارابي وابن سينا في تهافت الفلاسفة ، ثم أخذ بعده ابن رشد في تهافت التهافت الذي كتبه دفاعاً عن الفلسفة والفلاسفة ضد ما وجهه الغزالي من تهمة نالت من الخير شيئاً كثيراً ، ولا تزال الفلسفة متأثرة بها حتى هذا العصر الذي نحيا فيه

يرى الغزالي ، مثل المتكلمين في عصره ، أنه كان من الممكن أن يكون العالم على غير ما نشاهده الآن ، وأن ما نظنه سبباً للإبصار أو الكلام أو الموت أو الحياة أو ما نعتقده أداة لشيء من هذا ونحوه ليس كذلك في نفسه ، بل لأن الله قدره هكذا أزلاً . وفي ذلك يقول : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ... فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الري والشرب ، والشبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء ... وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً في نفسه ، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا إلى جميع المقترنات ، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته[1] »

إذاً عند الغزالي أنه يمكن أن يجعل الله العين أداة وسبباً للشم لا للإبصار ، والأذن للشم لا السمع ، وأن يخلق الشبع دون سببه وهو الأكل ، والري دون الشرب ، وهكذا إلى سائر الأمور التي نعتقدها أسباباً لغيرها من مسببات .

أما ابن رشد — وقد جعل من نفسه مدافعاً عن الحكمة ، وهي كما يقول : صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة — فيرى أن لكل شيء سبباً لا يتخلف عنه ، ولكل عضو عملاً لا يعدوه ، وأن « العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها ، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الأسباب فقد رفع

---

(١) تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٢٢ — ٢٢٨ الطبعة الكاثوليكية للأب بويج

الفعل ومشاهدة الفكر نفسه وهما أن هنا أسباباً ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها، ورفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورافع له[١]» ثم يعود إلى تأييد نظريته فيقول في موضع آخر فيقول: «ولو ارتفعت الضرورة من كون الأشياء للمعرفة وكيفياتها وموادها كما تزعم الأشعرية مع نظائر لارتفعت الحكمة في الصانع والمخلوقات ... إلى أن يقول: وهذا كله إبطال للعقل والحكمة[٢]».

على أنه لا يصح أن يتبادر للذهن أن ابن رشد، الرجل الذي كان يرى كتفنا الأسباب ... ومسببات، في غنى عن أن يقول به بقدر ... أي يصف مكمخية ما ... في هذا الفصل بل بفاعل من خارج عنه شرط في فعله بل في وجوده فضلاً عن فعله[١].

أعتقد أن القارئ يرى من بعد ما سقناه من كلام الغزالي وخصومه فرصة، أن الدكتور طه حسين بك لم يكن مصيباً حين أكد من أن شيخ المعرة كان يرى شيئاً قد أفضى إلى شيء من الفلسفة الأبيقورية، وأن الأستاذ الكبير العقاد لم يكن موفقاً كذلك في التعقيب عليه، وأن المعري لم يقصد بكلمته ... إن كان سيئاً مما سلك عنه ... إلا الإشارة لمدرسة المتكلمين الذين ينكرون التلازم بين الأسباب والمسببات على النحو الذي ذكرناه عن متكلمهم وزعيمهم في عصره حجة الإسلام الغزالي. والله الموفق.

محمد يوسف موسى

(١) تهافت التهافت لابن رشد ص ٥٢٢ الطبعة ... للأب بويج
(٢) المرجع نفسه ص ..
(١) المرجع نفسه ص ٥٣٤

من وراء المنظار

حلاقو القاهرة ... !

لا تخف يا قارئ العزيز أن أحدثك حديثاً تاريخياً عن منظر من مناظر القاهرة المعظمة في زمن ابن طولون أو في زمن الحاكم بأمر الله أو في زمن قلاوون عليهم رحمة الله، فإني لا أكتب هنا إلا عما يقع عليه منظاري .. وإنما أنا محدثك عن منظر من مناظر هذه العاصمة الكبيرة في القرن العشرين بل وفي عام ١٩٣٩ الذي أوشك أن ينطوي على وجه التحديد

ولا تخف أني سوف أذهب بك إلى تلال زينهم أو إلى أرض الفرنسة أو إلى حوار الحسيني أو إلى ما وراء سيدي الجلي ، فإنك ستنكر علي ما أريد عينيك من أحط مظاهر البؤس في هاتيك البقاع .. على أنه قد لا يكون عجبك بها أكثر من عجبي

وإن لك في أقرب شوارع المدينة غنية عن الذهاب إلى أطرافها سر في شارع مسبيرو على ضفة النيل أو في شارع شبرا حيث المدرسة التوفيقية أو في شارع الملكة نازلي أو حول حديقة الأزبكية وانظر ماذا ترى

لا شك أنك رأيت هؤلاء الحلاقين الذين يتربعون على الأرض أو على الأسوار ويأخذون في حلق رؤوس زبائنهم وإنك في صورة تدعو إلى الاشمئزاز والأسف والضحك جميعاً

وقفت على مقربة من أحدهم ورأيته وقد شمر عن ساعديه وأمسك الموسى وقد [illegible] من زبائنه الجالسين حوله من [illegible] وقد الرجل بين يديه وله لحية ما أحسبه أجرى الموسى عليها منذ مثل هذا اليوم من العام الماضي ؟ ووضع الحلاق كفه في إناء مجوف فاغترف غرفة من الماء ثم وضعها على تلك الأشواك الكثيفة في وجه صاحبنا وأجرى عليها قطعة من الصابون ، ثم شحذ الموسى في ذراعه بأن حكها بها عدة مرات في سرعة عجيبة ولا أستطيع من بعدها أن أقطع هاتيك الأشواك ، ثم يمسح ما يجمع منها على حافة سلاحه في ظهر يسراه أو يأخذه على سبابته

ويصعب علي أمر لا يمكن أن تقع ولا نمضي بسبب [illegible]

ونظرت إلى الحلاق وزبائنه الجالسين حوله [illegible]
من الفلاحين ، ثم أمعنت في وجوههم لا أشك ما أرى إلى [illegible]
من هم البلاد في [illegible] من أعماله جميعاً على أعين الناس ؟
وكأن هؤلاء الناس جالسون في دكان لا يتحدثون عنه الأعين !

وحسبت أن أدير منظاري عن هذا المنظر الذي يبعث أدري لم رغبت إليه تلك اللحظة ، وقد كنت أبداً أمر به مسرعاً ، وإني لأمسي به آخذ نفسي ، وكأن الظروف أرادت أن تكيد لي أشد الكيد إلا تقع عيني في التماس حتى في مثل هذا الموقف التافه ؟ فهذا غريب جميل وجهه سعيد ، وفي يده آلة تصوير ، وإنه ليضحك ملء شدقيه كأنما يعجب من الحلاق وزبائنه على حين عالماً عنا

وأعد الغريب آلة التصوير ، وشد ما غاظني أن أرى حلاقنا ومن حوله يضحكون ضحكة البلهاء كأنما يحرصون أن يأخذ « الخواجة » صورهم ، وسمعت ذاك « الخواجة » يقول لصاحبه بالإنجليزية ما ترجمته « نحن سنحصل على صورة غريبة لحلاق القاهرة »

ودوت عنه عيني وتملكت الابتسام أولاً ، ثم عدت وأشيت في الدرس لأجد من حصافتي ، وتملكتني في ضحكة استخدمها ذلك الغريب ، وجاز ماذا يقول ؟ وأشرت إليه صاحبه يسوي آلة التصوير ، وكأنما بي منه إحساس بالفرح أمام حيرتي الشديد أن يلتفت فأشير ، ولكنه أعجب اعتذاره بقوله : « حيل منك أن تحجب نسخة شبيك ولكن أجمل من ذلك أن ترعى عن الأعين ما يشوه هذه المدينة »

وحول من الرجل دراهم لا شك عندي في ذلك ! ولكن ما حيلتي وما أملك غير القرطاس والقلم ؟

ليس عيبي من هذا المنظر وأشباهه ما عسى أن يقول عنا الأجانب من أجله فحسب ، وإنما أرده إلى ذلك شيئاً تتأذى به العيون وتشمئز منه النفوس ولئن لم تقع عليه وعلى أمثاله أعين غير أعيننا ، فهي ما يضر بالصحة والصحة

« عين »

البغاء في أوربا

[illegible]

للأستاذ عبد اللطيف حمدي

البوليس والبغاء

صلة هذا بحثنا في اللذة المستمتعة من السرية في عهود الفاجرات هناك صور أخرى مترتبة على الأولى؛ ذلك أنه حيث يكثر الفاجرات المحترفات يكثر كذلك ما يسمونه بالدعارة السرية

وقد كانت الدعارة السرية في العصور الوسطى على غير ما هي عليه الآن، وإن مجهولة تماماً على الفاجرات في تلك العصور، والنظرة التي كان ينظر بها إليهن، كانتا سببين كافيين لجعل [illegible] مكاتب البوليس الثابتة إلى ترك حياة المواخير لا يجرؤ على [illegible] في حي آخر، بل كن يلبثن في تلك الأحياء، ولم يكن هناك شك في أشخاصهن ولا في ملابسهن. وفي العصور الحاضرة فريق من الفاجرات يحترفن ما يسمى بالدعارة السرية وهن مثل الفاجرات في العصور الوسطى معروفات من كثرة لرجال البوليس، بل هن رغم التستر باسم «السرية» معروفات كذلك لكل عابر سبيل وذلك لا تفضح أمرهن. ويمكن في الرغم من ذلك [illegible] بين أنواع من البغاء السري في العصور الحاضرة. فالنوع الأول عدداً والأقل خطراً هو التعرض للمروف [illegible] الدعارة[1]

أن الكثرة من البغايا السريات، من اللواتي لا يحمل عليهن شيء من [illegible] ولا مظهرهن ولا مساكنهن، وهن يعشن بين سائر الناس بحيث يصعب تمييزهن، ويكن مع ذلك يزاولن البغاء السري بحالة مستمرة أو متقطعة

وللبوليس الخاص أثر أهمية، ومراقبته [illegible] أقل جدارة في من يحاول درء الخطر [illegible] التي تحدث بالمدن الكبرى أثناء موسمها من المواسم السياحية وغيرها

ولقد يبذل جهد ليس بالقليل في سبيل ضروب الدعارة [illegible] شرعاً دقيقاً، لأن النظر إليها على وجوه مختلفة [illegible] من تعريفات مختلفة، فالبغية من وجهة النظر الأخلاقية هي في رجل البوليس هي التي ليس لها وجه من وجوه الرزق غير [illegible] البوليس، وهذه هي التي يوجب الإدارة تسجيل اسمها. فالأمر إذن في رجال البوليس يتعلق بالتسجيل. وربما كان موجبه هو الرزق فقد وجد الكثيرات من البغايا [illegible] لأن [illegible] واسعة الطرق، وأكثر البغايا حقاً يحترفن حرفة [illegible] في ألمانيا نوع من [illegible][1] تعمل فيه أجيرات، وفي أماكن أخرى [illegible] وراقصات [illegible] حرف مماثلة، وكثير في الواقع [illegible] يتخذن هذه الحرف ذرائع لاستجلاب الرجال [illegible] في نفس الآن من واجب التسجيل على اعتبارهن محترفات ومتى سقط عنهن التسجيل سقطن كذلك عند البوليس ومحصي الدعارة

ومما يدل على أن هذه الحرف التي لا تقوم أجورها بالأود أو التي إنما تتخذ ستاراً [illegible] البوليس، أن علاقة هؤلاء النسوة بحرفهن علاقة تكاد تكون اسمية من حيث الوظيفة من جهة والأجر من جهة أخرى، وقد قام [illegible] بإحصاء [illegible] بأمراض تناسلية اللواتي عولجن [illegible] في عام واحد فكانت النتيجة[2] أن عدد [illegible] ١٩٧٧ منهن ٧ وتسعة أعشار في المائة من [illegible] وستة وستة أعشار في المائة [illegible] لمن [illegible] وعشرون في المائة وأربعة أعشار من [illegible] التي [illegible] إذن أن التعريف الإداري للبغاء إنما هو تعريف لا يتفق مع الواقع. ويرى الأب «موشاتيه» في تعريف الدعارة «أنها هي [illegible] التي يجمع عنها أجر [illegible] في أماكن يختص القانون، ولا [illegible] للمرأة عن [illegible] إلا بأن يشهدها شاهد غير [illegible] وغير رجل البوليس»

وهذا التعريف يخرج الدعارة السرية إخراجاً تاماً من التعريف مع أنه لا ينطبق عليها. وإنما يكفي التحديد [illegible] في نظر رجال البوليس

وعلى الخلاف من هذا التحديد الشديد [illegible] أدى الأسباب

---

(1) لقد يحتوي من المتناقضات أن يوصف بالسرية والشهرة في آن واحد، ويمكن تأويل ذلك أن التعبير [illegible] في العصر الحاضر يعني من [illegible] سجلات البوليس [illegible] أن المحترفات [illegible] والمعروفات [illegible] ويمكن [illegible] في تلك السجلات [illegible] اسم البغاء السري

(1) هذا النوع من [illegible] «[illegible]» وهو نوع [illegible]

(2) راجع كتاب Zur Kenntnis der Prostitution in Zürich (1911)

وراجع كتاب De la Prostitution dans la Ville de Paris

التي سأسردها بعد قليل أن الدعارة تتميز باجتماع ثلاثة عناصر مختلفة ، وهي (١) العوض (٢) التعدد (٣) فقدان العاطفة

وليس من الضروري أن يكون العوض نقداً ؛ فإن الطيب والهدايا والاصطحاب في مجال اللهو – كل ذلك وما إليه لا يحصل عليه إلا لقاء [illegible] يعتبر عوضاً

وليس كذلك من الضروري أن يكون شرط التعدد مانعاً من الاختيار ، فإن اتصاف المرأة بالدعارة لا يمنع أنها تختار من تشاء وترفض حين تشاء

وأما شرط فقدان العاطفة فهو أوسع من الشرطين السابقين وعلى هذا الأساس تعتبر المرأة داعرة متى اتصلت اتصالاً جنسياً من أجل الأجر أو الهدايا برجال متعددين سواء كان هذا الاتصال علنياً أو سرياً . وليس من الضروري بعد ذلك أن تكون مفضوحة السمعة ولا أن تكون قد احترفت ولا متخذة التكسب من حرفة ؛ فقد لا تكون المرأة سيئة السمعة ولا من [illegible] السوابق ولا من المقيدات في السجل لكنها مع ذلك بغي

وعلى أساس هذا التعريف للدعارة يكون مداها قد اتسع ويكون ميدانها أفسح ؛ وهذا الذي أرجو أن أدلل عليه . فالعوض وفقدان العاطفة وتعدد الرجال سواء قلوا أو كثروا ، كل ذلك في البغي المصرية لا يميز العلاقة الجنسية للبغي المصرية وحدها ، بل هذه الصفات للبغايا السرية أيضاً ، بل إن أردت التسمية بالاسم الصحيح فهذا التعريف يشمل أنواعاً كثيرة من الداعرات المحترفات اللواتي لا يعرفن [illegible] إلا [illegible] في البيوت السرية كما يشمل المرأة العادية التي تخرج بين حين وآخر من عملها طلباً لهذا النوع الشاذ [illegible] ويشمل كذلك [illegible] اللاتي [illegible] عن الرذيلة دون أن [illegible] . ويشمل كذلك المحترفات بحرفة من الحرف ، واللواتي تتخذ إحداهن خليلاً واحداً ربما تستطيع الاستقلال به [illegible] ، واللواتي تتخذ إحداهن أكثر من خليل واحد لعدم استطاعة فرد من هؤلاء الأخلاء القيام بأودهن ، واللواتي تتخذ إحداهن خليلها الواحد مع فرد أو أكثر طلباً للمتعة . وأخيراً يشمل هذا التعريف [illegible] للزوجات [illegible] جميعاً من الطبقة [illegible] من [illegible] وكلهن في نظر العالم [illegible] من [illegible] ولكنهن في الواقع يجعلن من [illegible] إلى أماكن الفجور

[illegible] ثمانية أنواع تخرج من التحديد [illegible] سعة [illegible] في نظر البوليس ، ولكن هذه الأنواع جميعاً تدخل تحت عنوان الدعارة إذا ما توفرت الشروط (١) العوض (٢) والتعدد (٣) وفقدان العاطفة . أي أن [illegible] جسمانياً [illegible] ولكن دون هذا كله سؤالاً لا [illegible] ولهذا نعترض على البغاء بأي نوع من أنواعه ؟

والجواب واضح وهو أن البغاء سيئ لأسباب كثيرة : فأولاً لما يترتب عليه من الانحلال الشخصي

وثانياً فلأنه ضار بالمجتمع من الناحية الاقتصادية

وثالثاً فلأنه من الناحية الصحية ينشر أمراضاً خاصة ، ومن الناحية [illegible] لأنه يرتبط بالانحلال الأدبي وينشر الجرائم ؛ ومما لا ريب فيه أن الداعرات اللواتي يحصرهن البوليس [illegible] الأخلاق [illegible] الانحلال ، ويعتبرن [illegible] اقتصادياً [illegible] وينشرن الأمراض . والحق أن [illegible] ولكن من الخطأ الفاحش أن نظن [illegible] الأنواع الأخرى من البغاء أقل أثراً [illegible] في نشر هذه الويلات ؛ فإن البغي [illegible] أو [illegible] المحترفة أو [illegible] السرية [illegible] أو [illegible] – كل أولئك يؤدين [illegible] إلى نفس النتائج وقد يختلف [illegible] بعضهن عن بعض ولكنهن جميعاً [illegible]

(يتبع) عبد اللطيف [illegible]

التاريخ في سير أبطاله

مازيني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده حسن بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة)

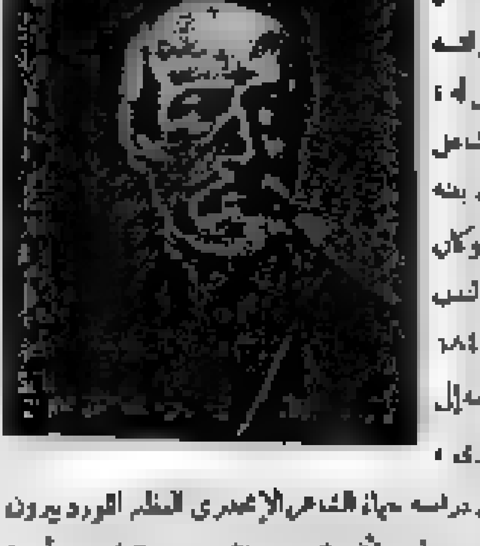

وود مازيني لو أنه استطاع أن يجعل للأدب من وقته أكثر مما جعل له ؛ ولكن مشاغل السياسة حالت بينه وبين أمنيته ؛ وكان منذ عودته إلى لندن بعد ثورة عام ١٨٤٨ قد وجه أكثر همه إلى الأدب الإنجليزي ،

وقد أكب على دراسة حياة الشاعر الإنجليزي العظيم لورد بيرون الذي أحبه أشد حب لأنه الشاعر الذي هز القلوب وأيقظ المشاعر بأناشيد الحرية والقوة ، ولأنه ذلك الروح المتمرد على الطغيان والاستبداد ، ثم لأنه لم يكن رجل الفن الذي يجلس في معزل عن عصره يغني بالجمال ويستغرق في الفن مستغرق الصوفي للمعبود ، بل كان الرجل الذي كانت أغانيه صدى لآلام عصره وأحلامه ، والذي ذهب إلى حيث لاقى الموت في ميسولونجي في سبيل الدفاع عن حرية اليونان

وحمل مازيني وحي مبادئه إلى كل من يلاقيهم ، يريد بذلك أن يكسب لقضية إيطاليا أكثر ما يستطيع من الأنصار ؛ ثم أنشأ عام ١٨٥١ جمعية أصدقاء إيطاليا لهذا الغرض وسرعان ما انتظم في عضويتها كثير من ذوي المكانة من الإنجليز ، وفتحت له بعض الجرائد الهامة أبوابها ؛ فكانت من أكبر وسائل مازيني في الدعاية من قضية وطنه . وكان له بعد ذلك أن يفخر بأنه أدى إلى بلاده من جليل الخدمات ما لم يؤد مثله رجل سواه ، بل لقد كان له أن يفخر بأنه أدى إلى الجيل كله نداء عاليا في معاني مبادئه ويسلك في سجل الفضائل الأعلى الأمجاد الذين يباهي بهم تاريخ أوربا

لقد ملأ قلوب الشبان في إيطاليا كلها بمعاني الوطنية والحرية ولقنهم مبادئ الديمقراطية وسيادة الشعوب ، ونشأ الجيل الجديد في أحضانه ، فما من رجل من رجال السياسة وقادة الرأي في الولايات جميعاً إلا من تأثر بتعاليم هذا المجاهد العظيم . ولئن كان منهم من يخالفه في الوسيلة ، فما كانت الغاية التي يعمل على بلوغها إلا أنشودة كل وطني حر

على أن وحدة البلاد تمت بعد فشل حركات سنة ١٨٤٨ بسياسة هادئة ، تلك السياسة التي كان يمثلها كافور ، ذلك السياسي الفذ الذي يعد في حركة إيطاليا رأس المفكر ؛ وكان كافور ومازيني على طرفي نقيض ؛ إذ كان أولهما رجل العمل الدبلوماسي الرشيد الذي يتحين الفرص ويسير إلى غايته في حذر وبطء ، ولكن في ثبات ، والذي يجعل عدته القوة يعدها أولاً ، ثم يدفعها إلى الحرب متى آنس من القوة ووجد لها الفرصة ؛ وكان ثانيهما الزعيم الثائر الذي لا يفتأ يدعو البلاد إلى العصيان والتمرد لتبقى شعلة الجهاد متوثبة ، ويظل في القلوب متأججة ، فلا يركن الشعب إلى الهدوء ، فينسى تلك الغاية التي يحب الرجال ويشحذ عزائم الأبطال ويدفع عنهم اليأس والاستسلام . وصادف الرجلان أحدهما الآخر ، وكان كل منهما حرباً على صاحبه ؛ وعمل كافور على مازيني الذي وضع أصابعه في أذنيه تلقاء كل دعوة إلى مشايعة أنصار الملكية ومسايرتهم ، والذي اعتبر كل ناحية غير الوحدة والاستقلال مروقاً وإلحاداً في مبادئ الوطنية ودين الحرية

وليت شعري ماذا كان مصيره لو أنه صمد كل حركة تقرب البلاد من غايتها ؛ على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل لقد أخذ يدعو إلى الجمهورية ضد الملكية ، جاعلاً يتمسك بها بأن المسألة الداخلية مقدمة على المسألة الوطنية مما أضعف دعوته وزاد الناس إقبالاً على كافور وسياسته

وكذلك أخذ كثير من الناس يعيبون على مازيني اتخاذ الثورات وسيلة إلى تحقيق آماله ؛ وعابوا عليه أكثر من ذلك

تدبيره مؤامرات الاغتيال ، ولكنهم كانوا في ذلك يرمونه بتهمة هو منها براء ، وقد رد مازيني على متهميه بأنه يرى الثورات ضد الغاصب المستبد وسيلة شرعية ، أما الاغتيال فإنه يعده جريمة إذا أريد به الانتقام أو إذا أدى إلى القضاء على شخص لا يذهب الاستبداد معه إلى القبر ؛ وكثيراً ما كان يبرر اغتيال من يعرف عنهم الظلم ؛ ويتجلى ذلك في رده على اتهام كافور إياه بأنه يدبر مؤامرة لاغتيال الملك فكتور عمانويل ، قال مازيني : « إن حياة الملك في مأمن وذلك لسببين أولهما أنه شخص محصورة في حكمه ، وثانيهما أنه ليس ثمة من جدوى لهذه الجريمة »

على أن مازيني لم يبال بما يقول مخالفوه وما فتئ يترقب الفرص لإثارة الثورات من جديد ؛ وما لبث أن جاءه الأمل عام ١٨٥٣ من ثورة تدبر في ميلان ضد النمسا بين صفوف العمال وكان في هؤلاء كثير من شيعته ، فذهب إليهم متنكراً حتى صار على مقربة منهم ، ولكن ثورتهم كان نصيبها الفشل السريع ، فاضطر الزعيم إلى العودة إلى إنجلترة وفي نفسه من الألم والحزن والشعور بالفشل ما جاء مبلغاً جديداً من أحزانه ؛ وقد حملت عليه صحافة بيدمنت حملات عنيفة وحملته مسؤولية هذه الحوادث وما ذهب فيها من ضحايا ، فرد على ذلك بحملته على الملكيين ورد عليه هو أيضاً على سلطتهم وعلى زعمائهم . وظل في عزلته بلندن يحرض شيعته في وسط إيطاليا وجنوبها ؛ وقد عقد النية على بعث ثورة كبرى في الوسط والشمال يكون أبلغ رد على الملكيين ، ويكون قائمة على أساس وحدة إيطاليا وطرد النمسا وإقامة الحكم الجمهوري في إيطاليا الموحدة ؛ واتصلت أسباب المودة بينه وبين قنصل أمريكا في لندن ومغزاه القنصل بدعوة حكومته أن كان من أكبر دعاة الديموقراطية في أوروبا

وذهب مازيني عام ١٨٥٤ متنكراً إلى جنيف ثم إلى إيطاليا حيث كان يلتقي سراً بأنصاره ويوحي إليهم من خططه ما يرى ، وكان يقضي أكثر وقته في جنوة ، وكان تنكره يحير الشرطة ويرعبهم ، وهو في الحق يعد من أعجب نواحي كفاح ذلك الرجل الذي قضى في الجهاد إلى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً بين التغرب والسجن والتخفي والتنكر ، فما صرفه هذا العذاب عن وجهته وما قعد به اليأس عن غايته ، الأمر الذي يكفي وحده لأن يسلك هذا الرجل العظيم في سلك أكبر زعماء الحرية في جميع العصور وسجله الشهداء والقديسين الذين وهبوا أرواحهم لخير الإنسانية

وبينما كان مازيني يعد العدة لثورة جديدة كان كافور يعمل إلى غايته بعقل حكيمه يعد هو أيضاً في صف أعاظم الساسة في تاريخ الأمم ؛ انتهت إلى كافور رياسة الحكومة في بيدمنت عام ١٨٥٢ فعمل أولى عنايته إصلاح مرافق الزراعة والصناعة وماليتها وبناء قوتها الحربية على أساس متين ، وقد تم له ذلك على خير ما يرجو أحد من عظماء الساسة ، وكانت همته إلى مكافحة النمسا بالأساليب الدبلوماسية أولاً ثم بالحرب آخر الأمر ؛ على أن يكون بدء الحرب من جانب النمسا فتكون هي المعتدية ، ويعتبر سعي كافور إلى غايته من أجل وأقوى الحركات في تاريخ السياسة الأوربية

بدأ أولاً يتصل في حذر بالمضطهدين السياسيين في بيدمنت ومنهم الذين صادرت النمسا أملاكهم عام ١٨٥٣ ، فحسبت بيدمنت في ذلك زعيمة المضطهدين في إيطاليا ، وولى الأحرار شطرها وجوههم ؛ ثم واتته الفرصة في حرب القرم فأرسل جيوش بيدمنت مساعدة حسنة لحلفائه ضد الروسيا ، فلما عقد مؤتمر الصلح في باريس عام ١٨٥٦ ، كان لبيدمنت مندوبيه وفي صحبة سياسية لها صوتها بالنسبة لنفوذ النمسا ؛ وشكا كافور إلى رجال المؤتمر وقد كسب مودتهم بمساعدته سخطهم من مسلك النمسا في إيطاليا مبيناً بذلك الخطر الصالح لجيرانه في المستقبل

وتجه كافور بعد هذا إلى فرنسا ، ومال إلى محالفة نابليون الثالث ، وكان نابليون يعطف على حركة إيطاليا إذ كان يرى نفسه وريث عمه نابليون العظيم ، كما كان يطمع أن ينقض ما وضعه الساسة عام ١٨١٥ عقب هزيمة واترلو ؛ ولذلك اتفق كافور ونابليون سراً في بلومبير عام ١٨٥٨ على أن يساعد نابليون ضد النمسا على أن تضم مقاطعة سافوى إلى فرنسا

وأوعز كافور إلى الملك في بيدمنت أن يستفز النمسا ، فكان مما جاء في خطاب العرش الذي ألقاه فكتور عمانويل في تلك السنة : « إننا مع احترامنا جميع المعاهدات لا يمكن أن نصم آذاننا عن صيحات الألم التي تبعث إلينا من نواح كثيرة في إيطاليا » ؛ ومن ثم [illegible] الأحرار إلى بيدمنت بآمالهم في انتظار ساعة الخلاص على يديها

هكذا كسب كافور صيحة قوية وكسب الرأي العام في إيطاليا وبقي أن ينال النمسا منه الحرب بهم وسائله ؛ ولكن كافور يستعجل هذه الحرب ! إذ كان يعلم أن نابليون يميل إلى كثير من الأمر ، والتردد ، فكان يخشى أن يتحلل منه ؛ وكانت الحكمة تقضي على النمسا أن تحارب حتى ينفض ما بين كافور ونابليون ؛ ولكن رأى الحزب الداعي إلى الحرب غلب على أولي الحكم فأعلنت الحرب وأعدت جنودها بعدئذ ، وبعثت جنود بيدمنت وفرنسا طردت بالنمسا هزائم متلاحقة كانت كبراها في سلفرينو ؛ ورأى كافور والفرح يملأ فؤاده أنه من النصر النهائي على قاب قوسين ؛ في من إلا أيام ثم طرد النمسا من إيطاليا ؛ ولكن عند ما أراد وآلم أن رأى نابليون بعدئذ على حين غفلة يعقد الصلح مع النمسا في فلافرنكا في يوليو عام ١٨٥٩

حمل مازيني على كافور أشد الحملة لانضمامه إلى نابليون ؛ إذ كان الزعيم لا يؤمن بغير قوة الشعب ، ويحسن كما خشي في أول سني جهاده من الاعتماد على قوة خارجية قد يأتي من جانبها للاستقلال دون النصر ؛ وكان الخصام قد بلغ أشده بينه وبين كافور منذ عام ١٨٥٧ ، من تلك السنة فكر كافور في بعث ثورة في مودينا وقابل مازيني شخصياً في جنوه لهذا الغرض ، ووعده مازيني بالمساعدة ؛ وفي العام التالي رأى مازيني أن يكون الثورة في الجنوب أيضاً في صقلية ونابلي ؛ وكان قد مهد لذلك ؛ ولكن الحكومة في بيدمنت أسرعت بضم أشخاص الثوار في جنوه لأنهم يعملون لإعلان الجمهورية وإسقاط الملكية ، فسلمتهم وأصدرت ضد مازيني وعدد من أصحابه حكماً غيابياً بالإعدام

ولما حمل نابليون كافور استقال هدماً من منصبه ؛ فعاد مازيني إلى إيطاليا وراح يرجو أن يبعث الثورات الشعبية في ولايات الوسط والجنوب حتى أن يصل بها إلى تحقيق ما عجز الزعيم السياسي عن تحقيقه ؛ واحتل الزعيم الشعبي الكبير عند ما حكم ميكايلي من ولايات الوسط ، فقد كان عند ما حكم بعمه وينوي منه بالرجعة وبين ثم تأخر [illegible] الاعتماد على الثورات ؛ وحاول مازيني أن يستميله إلى رأيه فلم يفلح

وأخذ الزعيم في غيابه يتصل بأعوانه ويحثهم على الحصار ؛ وكان يرى إلى اكتساح الولايات البابوية أولاً ثم يسير صوب الثوار إلى ولاية نابلي ثم بعد ذلك توحيد نصف إيطاليا الجنوبي ؛ وكان كافور بيقنه وبين نفسه يعطف على هذه الحركة ويخشى عواقبها

لتكون أجل رد على النمسا وعوت ؛ وهو حين يسمع عن مازيني أنه يدعو إلى رد اتحاد الحرب والعمل للوحدة يغضب ، بل هو كان لا يرضى وقتئذ ضم الولايات الجنوبية إلى بيدمنت

ولكن ما كم تمكنا [illegible] من [illegible] مازيني حينئذ [illegible] من جديد وللاتب البابا ما يدعو إلى مصلحة النمسا ، ولذلك طلب إلى مازيني أن يرحل عن بيدمنت إلا الطاعة ، وخرج وأنه يأسف الأسف كله أن يعامل هذه المعاملة من بني وطنه وأن يكون في إيطاليا سجيناً [illegible] الجهاد الطاهر الأمين أسعبا ؛ ونكته سود الآلام وألف الصعب في ماثيك السنين الطويلة ؛ وعاد الزعيم منفيه إلى انجلترة من جديد

ومن يجزأ صفت الحاضر الجديد ؟ إنه من يعرف العسرة حتى تتحلى آماله أو يغيب ، ذلك ما [illegible] عنه من أول الأمر ، وذلك ما عرفت عليه نفسه مطرة وعهد له قلبه الكبير

ولما عاد كافور إلى الحكم راعه صوب فرنسا من جديد وتقدم [illegible] إلى نابليون يكون ظهيراً له مرة أخرى ! ولقد حنق مازيني وغاريبالدي على ذلك أشد الحنق على أن مازيني عاد من جديد يفكر في ثورة في الجنوب يؤيدها كافور ، وصرف إلى ذلك همه وما زال بغاريبالدي حتى حمله على أن يسير هو والبواسل الألف من رجاله إلى صقلية ، وقد جاء مازيني إلى إيطاليا متنكراً ليكون على مقربة من الأبطال المجاهدين وحل بجنوه وأقام بها في خفاء لا يراه أحد [illegible] إلا [illegible] وراح [illegible] غاريبالدي ورجاله [illegible] كل ما يصل إليه من الأنباء ؛ وحالف النصر غاريبالدي [illegible] إلى نابلي ، وطرب الأحرار في إيطاليا كلها لهذه الحركة العجيبة [illegible] البطل العظيم ؛ وحشد آمال مازيني وذهب إلى نابلي ليبعث الثائرين وكانت قد سقطت تلك المدينة في يدهم ، وأخذ كافور يرقب في حذر [illegible] ويخشى أن يتعدى غاريبالدي وجنوده على أملاك البابا فتتدخل أوربا ؛ ولكنه ما لبث أن وجد الفرصة للرجوع فأرسل جيشاً دخل أراضي البابا ، ثم تقدم فكتور عمانويل على رأس جيش فدخل نابلي وقابله غاريبالدي وقدم له الطاعة ؛ ورأى الأحرار أن الوحدة المرجوة أوشكت أن تتم

ولما عبر مازيني على مقربة من النصر أخذ ينادي بمبادئه الجمهورية من جديد [illegible] حتى كثير من الناس فيه حتى لقد ألقيت قنبلة في نابلي تحت نافذة مسكنه ، وطلب إليه

أصدقاؤه فقبل بعد امتناع شديد وعاد إلى انجلترة في نهاية ذلك العام ١٨٦٠ ! ويمكنه عاد بعد إليه مسروراً بما تم عجيبه من آماله ، طيبة نفسه بما يحيطه من شعور الناس جميعاً نحوه حتى الملك فقد قال حينما طلب إليه الخروج : « دعوا مازيني حيث هو ! إننا نحن هنا في بلاد إيطاليا عليها هو ، ويومئذ أكون أول المصفقين له » وإن الملك ليسر في قرارة نفسه أن ما تم هذا حتى ذلك اليوم من هذا الصرح إنما تم أكثره على كاهل ذلك المجاهد الصبور

لم يبق إلا روما وفينسيا كي تتم الوحدة ؛ وذلك ما كان يشغل مازيني بعد عودته إلى لندن . وكان لا بد من حرب ضد النمسا كي تضم فينسيا ، أما روما فقد كانت بها حامية فرنسية وقد تعهد فكتور عمانويل ألا يمسها بسوء بعد أن رفضت الانضمام إلى بيدمنت .

ولم يكن مازيني بالرجل الذي ينتظر ما عسى أن تفعل حكومة بيدمنت ، ولذلك عمل بجهد شاق لكي يحمل الفينيسيين على الثورة وقد آلمه موت كافور عام ١٨٦١ على الرغم مما كان بينهما من خلاف

وفي سنة ١٨٦٢ هجم غاريبلدي ورجاله على روما فرده جنود عمانويل وأصيب البطل في هذا الهجوم بجرح وقع على يد رجل من بني وطنه . وكان مازيني قد حضر إلى لوجانو ليكون على مقربة من هذا الجهاد الجديد ، ولقد آلمه ما حل بغاريبلدي وخاصة ما حدث من إلقاء القبض عليه وسجنه ، فراح يندد بالملك وحكومته في حماسة وسخرية لم يسع الملك إزاءها إلا أن يصدر حكم الإعدام عليه للمرة الثالثة

ولما شفي غاريبلدي ، جاء مازيني إلى انجلترة ، وكان يومئذ في الثامنة والخمسين ، إلا أنه كان لطول ما أوذي وما لقي يبدو أكبر سناً مما هو ، ولم يفقد شيئاً من همته ، وظلت له حرارة قلبه وقوة روحه وحدة عباراته وسحر نظراته ! وظلت له الثقة في قضيته ، ولكنه أصبح أسمر أو غربيني . وكان يؤلم نفسه أن يرى عمره ينصرم دون أن يستطيع أن يعمل للأمة ما أراد من خدمة

وكان في تلك السنين يتتبع أخبار الحرب الأهلية في أمريكا ، واتصل بجماعة التحرير الأمريكية في لندن . وكان يبدي إعجابه ببطولة الرئيس لنكولن وجهاده في سبيل الوحدة والتحرير ويرى أنه كان له مثل ما كان للملك الرئيسي المنظم من النفوذ الأدبي ولما اغتيل الرئيس لنكولن حزن عليه مازيني أشد الحزن ، ولكنه

كان يرى الطريق أمامه جلياً ، فإذا تم حضر غاريبلدي الذي كان يبغي أن يرى وحدة بلاده ، ولم يمر إلا ساعة كما تم إن يكون ... فيه

وحدث بعد ذلك بعد أن ... يستطيع مازيني ... في فلسطيا ... ولكنه ... أمام الحرب رجال حكومته . وفي سنة ١٨٦٦ أعلنت حكومة بيدمنت الحرب ضد النمسا منتهزة فرصة انشغالها أمام ألمانيا ، ولكن جيوش بيدمنت هزمت في البر والبحر هزائم كانت مخزية للملك ورجال حكومته ، ولقد أدت هذه الهزائم إلى نشاط دعوة مازيني من جديد إلى الجمهورية ، ولقد لقي في تلك الظروف من الأذى الذي نسب إليه أكثر مما لقي من قبل ؛ والحق لقد أصبح هذا الأعزل الشيخ رجل إيطاليا كلها . وأي رجل بلغ مبلغه وله من جهاده في سبيلها زهاء أربعين عاماً لم يعرف خلالها إلا الغربة والفاقة والعذاب الشديد ؟ إن عظمته في الرأي ومنزلته جميعاً يحيون فيه الروح التي لم تلن ولم يصبها إليه الإيمان والصدق ... وما هي دعوى المرض علينا أكثر من أربعين ألف موقع رفع إلى الملك يطلب العفو عن الغريب المجاهد كيلا يمضي حياته إقصاء الأبد في بلد غير إيطاليا التي وهبها حياته ، وما هي ذي ولاية صقلية تختاره أربع مرات متتالية نائباً في البرلمان إيطالي كلما أبطلت الحكومة انتخابه طلب إليه الولاية فاختارته

وبقيت روما لتتم الوحدة وكان قد عاد غاريبلدي عام ١٨٦٧ بهجوم عليها ولكن الحامية الفرنسية انتصرت عليه وردته على أن مازيني كان يرجو أن تدخل روما الجمهورية فتكون عاصمة إيطاليا الجمهورية ؛ وقد ظل يبشر بمبادئه الجمهورية ويأمل أن يبعث آخر ثورة في البلاد فتكون هذه المرة ضد ملكية بيدمنت وتكون غايتها إقامة الحكم الجمهوري ، وقد اتصل مازيني برجل أسماه بسمارك ورجا منه المساعدة فأطمعه بسمارك ثم انقطعت الصلة بينهما

وفي سنة ١٨٧٠ رحل إلى صقلية ليبدأ الثورة فيها على الرغم من نصائح بعض أصدقائه إليه ألا يفعل ، وهناك ألقي القبض عليه في بالرمو حيث سيق إلى السجن في جيتا ؛ وصار السجين الزعيم الشيخ موضع احترامه لم يطق بهم حبسه ، أمر إلى حارس السجن كيف يدير المفتاح في مدة ثلاث دقائق حتى لا يسمع الزعيم أنه يغلق الباب عليه

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

رماد...

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا تضيقي بشكواي … وأصطبري آلامي
تحسبين في القلب داءً … من ونيةٍ وهُيام
اختلا بي من حياتي … بلاعجٍ واحتدام
ـب أخافُ ورائي … شبحاً ، أراه أمامي
أرهبُ حتى أراني … في حيرةٍ وظلام
في هجعةٍ من شكواه … تصرّمت الأحلام
لا أهتدي بضياءٍ … في الغيب للسّاري
سودٌ لياليَّ ، وصبحي … تنطفي في قتام
فلا أرى من دليلٍ … تهدي خطى أقدامي
هدّت حسّي ، ونفسي … من حسّي في اضطرام
كأنما في زحامٍ … يُرى بها في زحام
عثرتُ حتى كأنّما … من صدمةٍ ورغام
حتى أبيدت قواها … فهي صرعى تُدام
ثم اضمحلت فطارت … بواعثٌ في عظامي
قلبي وروحي ونفسي … وكلّهن غرامي
لا تنبضي لبريقٍ … مبتكرٍ بجهام
ولا بنفحة ماءٍ … تُبلّ حرّ أوامي

وعشتُ فرداً وحيداً … محجوب عن الأقوام
حيرانُ أعمى بجوفٍ … مستورٍ من ظلام
تكادُ يهصرُ ومنا … بغضبةٍ في القوام
عظمتُه شكواهُ … جيّاشةٌ كالضرام
لم تبقِ إلا حطاماً … يشقى بموتٍ حطام
يستقبلُ الأذنُ منه … همسَ كئيب الكلام
عداه من مشورٍ … تمساحه الأيتام
معربٌ ونوحاً … يكونُ موتَ رحام

• • •

يا ثورةً ضيّعوني … وطالما في سماي
وساعتاً في سكوني … وصادراً في كلامي
وحائراً من فؤادٍ … صبٍّ تصونُ الكلام
أمسي كئيباً ، وأودي … بصبحه وملامي
ما كنتُ أحسبُ ولّا … يسيلُ سيلَ انتقام
أو أنّ يسكرُ شبابي … بحورُ سكرٍ حرام
يكسو عبرانُ سهمي … مهدُ الجروح الدوامي

• • •

أصبحتُ بعدُ فؤادي … وسلوتُه أوهامي
حتى وجدتُ كأني … أمسيتُ من أسلافي
ملأتُ دنياي نوراً … يضوءُ بها الأنام
بكلّ مرآي حبيبٍ … حلاوةٌ من وسام
يبدو ونورٌ حسناً … حبٌّ كصوب الغمام
فما رأى العينُ إلا … زهراً على أكمام
أجاجه مضطربٌ … شوقي سحر مدام
مسلاتٌ روحي … مسربلاتٌ الهوى
أمشي ، إذا ، كأني … أمشي إلى أحلامي
مدوٍ فادوٍ ، فنفسي … أسمعها في ظلام
وترقةً في نفسي … كلمحةٍ من سلام
كأنها في ضميري … يمرُّ بعضُ النسيم
أو يصطفيه تسائلي … في القلب مسرى ابتسام

• • •

أوّاهُ من خطرتي … عودي برمّ

وبقي في السجن بضعة أسابيع يقرأ شكسبير وبيرون ، ثم أفرج عنه عقب سقوط روما في تلك السنة في يد ... وأصدر الملك عفوه عنه وبكته وعرض أن يلقبه ، وشهد الزعيم في أواخر أيامه وحدة إيطاليا ، ولكنه كان لا يفتأ يعمل للجمهورية !

ومضى سنتين متنقلاً بين بعض البلاد تحت اسم مستعار حيث زار قبور الشهداء من رجاله وحج إلى قبر أمه في جنوه . وفي مارس من عام ١٨٧٢ سكت هذا القلب الكبير وطويت معه حياة حافلة بالجهاد المرير الطويل ، وبكت إيطاليا كلها الرجل الذي ظل حتى آخر عمره يكافح وبلادي صوت الشعب من أعلى

الخفيف … (م البحتا)

أنا والبحر

للأستاذ خليل شيبوب

أيها البحرُ رجّعِ الأحلاما … مثلَ رجعٍ من موجك الأنساما
في ظلام الدجى سمعتُ شكاتا … كَ المرناتِ تستثيرُ الظلاما
غير أن النيامَ لم يسمعوها … ـهُ بتَّ النيامُ ظنّوه مناما
ليس فيهم سوى الأذى لمستْ … موجعِ القلب لا يُطيقُ مناما
في فؤادي موجٌ كموجك يبكي … هموعِ الأشجان يجري انسجاما
ظلكَ الليلُ موجُه ظلماتٌ … في فؤادي [illegible]
لا يهمُّ الصخورَ شكواكَ رويا … كشكواي لا يهمُّ الأناما
عبر ألفاظ صاخباتٍ ويكن … ترتدُّ [illegible] وتعلو على مراما
في شكواكَ حدةٌ ثم تمضي … لا كشكواي من شدةٍ أنغاما
أنتَ تسمو حينًا وتهبطُ حينًا … وحياتي ما تستقرُّ [illegible]
لكَ هدي الآفاقُ ترجعُ عنها … وفؤادي في الصخر جنَّ اكتتاما
والبكَ الأنفسُ ترنو ويكني … كلُّ من قد أحببتُ عني ملاما
لكَ يا بحرُ يخطرُ الريحُ صرعى … لا كنفسي يصارعُ الآلاما
ويوالي النسيمُ تقبيلَ أموا … جكَ منشورةً ويلمحُ جاما
ويوالي الغرامُ يحنو تسمه … بأ ويُجري السقامَ بي والحماما
وعلى ما ملكتَ ذرةُ … أنضجته الحياةُ صبرًا [illegible]
وكلانا تحت قرارة طوى … ـبِ وراءتْ أسرارُها الأحقابا

* * *

واسميي لو تاطيقي بحبك … ـني إليه كنتُ لا أرومُ تماما
حيث برك الطويل إلى … ـمي وما يبتغي يجومُ دواما
إنني في نداء الوصال شكورًا … ـهُ أعانقه نفعًا وركاما
لستُ أحتفي إلا بشكواك في … كالأعاصير تكسحُ الأحباما

ليس لا أمسُ وعدًا ولا أمد … ظر ليلًا تفتكُ الصخورَ والآكاما
كيف لي الحياةُ من بعد ما أسـ … ـمعُ بلحظ الخيال بين الخضاما
سَوْرةُ الحياة ما كان أمنا … في عمها الهلت قلتُ افتكاكا
وأمونُ الزمن يصلحُ قلبي … ويداوي الجراحَ والأسقاما
ولكنّ القدرَ الجليلَ لما وُجد … تُ أمدُّ الشهورَ والأعواما
غير أني أذهبُ يأسًا على ما … عن وأستعدُّ الأمنَ [illegible]
معتلًا من مواطن نعيما كم … من أراني محدثًا مستهاما
محتلًا ما في أتلفتُ نفسي … مستطلًا المنى رضى وملاما

* * *

أيها البحرُ هاجني منكَ … ـتَ به موقظَ الصخورِ الشبابا
أبدى حسنٍ إليه الدراري … وانبثتْ ردَّ عنكَ الظلاما
حسنتهُ الأنسامُ فالتفتْ الموْ … جُ يلاحي الأمواجَ والأنساما
أيُّ البحرُ ... واصفٌ وأكد

قد رحبنا حسابنا مستسلاما

(الإسكندرية) — خليل شيبوب

لا علك الشمس سها … إلا وعاد الكلام
مذ كان تجرًا ذهبت … أنفاطه في الضباب
وسعطت لي غيوم … حيا مما من يصطلم
أمس شهاب حيالي … وحيث في بكاي
حتى رأت البال … تطوف في أبي

محمود محمد شاكر

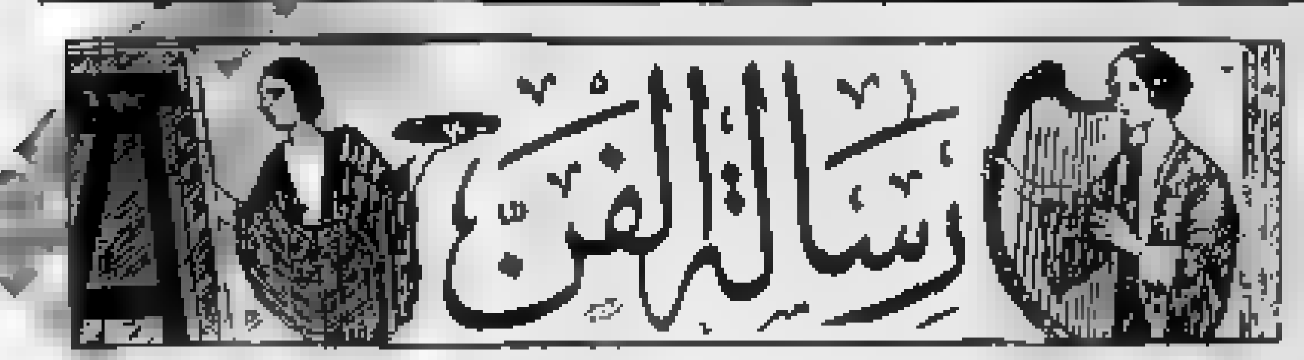

دراسات في الفن

آلو... الدكتور عزام؟!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— يا دكتور! مالك أنت والغناء؟ إنك ساعة وأنت تجري وتهز بأكرة الصوت حتى تحسبها كأنك تجرب إذاعة هذه الليلة؟ هل ربحت شكلك على ماركوني وأفقت في روحه أنك موسيقي مغن مطرب متحمس؟ أم إنما كنت تطلبها من كبري للمصائب، وسكيه المكاتب

— إني لم أسمعها إلى الآن. ولكني أحد تفسير هذا، وهو من غير شك أروع الأعمال في هذه الأيام. فقد وصل صبر الشعب عند ماركوني إلى مائة جنيه، يقبض منها سبع عشرة على الأكثر يتقاضاها عن كامل وجوق الكامل. ثق أني ساعدت السيل وكل أني أعرف طرق النجاح به

— قل شيئاً غير هذا، وضع علامات الجد هذه من على وجهك فقد كنت أحدثك. أتجون؟!

— سترين أني قائل عندما تسمعين مصطفى بك رضا نفسه يقدمني للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول: «آنسات سيدات سادتي. أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقري البروفسور عزيز فهمي في أغنيته الأولى «الصحراوي» وهي من تأليفه وتلحينه.. على تخت مكون من كبار رجال الفن»

وما الذي يضحك ما يجري وإنما أنا هنا عكس؟

لا شيء يضحكني وإنما كان الضحك فيه

وقد جاء… الفكرة وستقعدها. أليس كذلك؟ هل من الآن … ؟

— بالشعر — صحيح أني لست شاعراً ولكني أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام. ثم إني أعرف الكلام الذي يحبه الجمهور وليس علي أكثر من أن أرصه في النظم رصاً وهو لا يعدو «النوح والبوح، والأماني والآمال، والصوح والمسوح، والنزول والأمل» وسائر هذه الألفاظ التي يقولها الشعر للأستاذ أحمد رامي وهو نائم تحت السرو في الفرنسية الشرقية المطلة على الطول من صوله في حدائق القبة. فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً جاءت في تلحينها، وهذا شيء أيسر من الشعر، وهو لا يكلفني أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الغربية والتركية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه، وآخذ من كل شطر أو من كل بيت من أغنيتي لحناً من هذه الألحان، فلن تلاحظ في هذا الترقيع أن يكون منسجماً يتلو بعضه مع بعضه من غير تنافر فإني قد سلكت مما لم يجيء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه، فنحن لا نزال نرى في مقطوعاته جميعاً التنافر ظاهراً بين أجزائه المجموعة من الشرق والغرب — فهذا يزيدني في أكثر من التفوق على عبد الوهاب!

— وبعد؟

— أتفق مع الأستاذ محمد التصبحي على أن جهد براعته الفن مع أفراد التخت خمسة جنيهات يأخذها وحده حلالاً على هذا، ولو أن يعرف من يعوده للمفاز في الإذاعة … وهو في … خمسة جنيهات حلالاً … أحد الأستاذ … وهو سيد العازفين على القانون في مصر جنيهاً واحداً يشترك معي في الإذاعة فإنه سيدعو لي … لأنه يعيش الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا … أحد الذي يعرف قدره وقدر فنه، ولأن الباقين يخشونه خشية أساتذته. ويبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت، ولا أبقي لنفسي إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الفنيين والداعة و… لهم وأظن أنهم يجاملونني

— طيب والغناء؟ أتغني بصوتك هذا نفسه؟

— ولم لا ؟ أليس صوتي أرخم من صوت الأستاذين حسين المليجي وأحمد صبحي ؟ وما دامت الصحافة ستقول عني وعن كوني إنني عبقري، فلا بد أن يصدق الناس أني كذلك — وأعتقد أني كذلك —

تريد أن يجوز هذا عليَّ أنا أيضاً ؟!

— فلتعلم يا آنستي لا بد أن يؤمن بنفسه قبل أن يؤمن به الناس

يا سيدتي، ولكنك لم تقل لي كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهي إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ...

هذه أهون العقبات ... وهي عند الدكتور عبد الوهاب عزام الذي لا يزال يذكر أني تلميذه، والذي يعطف عليَّ ويعجب بي، والذي أعتقد أنه لا يتأخر عن مساعدة تلميذه .

— وما للدكتور عزام الأستاذ في الجامعة والذي يكتب عن رحلاته في الشرق والغرب، وعن « الألحان » أو « الأغاني » التي تريد أن ترتكبها

— الرجل رجل طيب، فإن التصديق لم يبرز على طرفه لأنه من مصريته ولأني سأذكره بالحكمة التي تقول « من علمني حرفاً صرت له عبداً » وقد علمني شيئاً من اللغة الإيرانية كما والدكتور عزام قريب صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف في وزارة الأوقاف بعد، وإن حول الوزير صلة أو صلتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً ... هذا وعونه ... إلى معالي ... إلى أن الدكتور عزام سيصحبني معه ... كالبرق ... في عاصمة الناس الطيبين، ... هؤلاء الناس الطيبون الذين من طبعهم أن يجبروا خواطر الناس ... الإيمان ... بمدخل حسن مذكوراً، حين جعلني أحد الناس الطيبين « بابا » أو « يا حسين » كان ... أني فنان مقتدر ... فإذا قلت عن نفسي بعد ذلك بأني عبقري وأني نابغة العصر والأوان ... على أني ... كبير ... مطلع ... عظيم ... وأصل إلى الأعماق التي أرجوه ...

— ولكني هنا كي لا أساعدك في شيء ... مصطفى بك رضا ... موسيقي وهو ... التي لا يمكن التدليس عليه

قد يكون هذا حقاً، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم الفتى وحده ... فهو لا شك سيحيل إلى ... الفني ...

أخرى يصطحبها في ... على القضايا ... [illegible] في الإذاعة
ولا تكف يسمع الغناء إلى ... من ... [illegible]
إلى أنفسهم ... أن ... [illegible] كثيرون من هؤلاء ؟
ولماذا يعني هذا ؟

— إسأله ... وأعتقد أنه محبوب على ... [illegible]
... جداً ... جداً ولا يمكن مطلقاً أن ... ولا أن يظهر ... ما ... ومعنى على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية، وأن له من ... ما ... كل شبهة ... وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب — طيب جداً ... لا تفارقه، وشفتاه لا تنفكان عن ... والتسبيح، ولعل ... إلا لأنه ...

— إذن هذا انتهى الأمر، وإني أوصيك ... جداً -
تسألني عن الدكتور عزام ... فإذا وجدته فقل له ... كبار ... ستغني عندك اليوم

— وما ... كبار ... أيضاً ؟

— هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على ... التي كانت مؤلفة من ثلاثة ... للأستاذ أحمد أمين ... إلى كلية الآداب ... مثلهم ... مثلهم

— ... والتحسير ؟

— لا ... العنف ... والرجاء والإيمان ... من عبد الكريم ... وصحب الدكتور ؟

— لا ... ساعة ... والآن قل لي، لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك « المتحيران » ؟

— ... أغنية « المجنون » التي غناها عبد الوهاب، « والمجنون » هذا ... أوربي ... في ... البندقية — ... — ولا يعرف هذا « المجنون » إلا ... من المصريين ! أما « المتحيران » ... المصريون ... والعرب جميعاً، لأنه « ... » الذي ... على ... فإذا كان « المجنون » الذي لا يعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب في أن ... « المتحيران » !

— ليس العجب في « المجنون » ... عبد الوهاب، وإنما هو ... الأستاذ الشاعر ... الذي زار البندقية وحدث له « المجنون » ... شعراً، ولحنه عبد الوهاب

— ... الأستاذ الشاعر هذا المجنون ما دام قد حدث له

ولكن ألا يخشى الأستاذ عبد الوهاب أن يكون قد خلق الله له موهبة التقليد فهو يأبى أن يستغلها

— أسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانتها بين الفنون إلا الآن

— هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ؛

وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يحكي كل ما يسمعه ويرى في تأديته خير المرضيين ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يمرنه بين الفصول في المناظرة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت ، فكان ينال إعجاب الناس ، وجعله بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك يطرب له فاحتضنه وعني به وقدمه لأصدقائه وللبيئة التي كان يعيش فيها وفي بيته الأصدقاء والكبراء فكان عبد الوهاب يسمعهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستمعوا لغنائه ؛ فلما [illegible] الجمهور بعبد الوهاب للفن الموسيقي ، وكف القدماء [illegible] التي أرهفت أذن الجمهور [illegible] ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يحذر إذا عمل من الموهبة التي خلقها الله له إلى ما لم يصنع الله له به [illegible] على أنه كان غالباً ما يصنع لنا من المواليا ، ذلك أنها [illegible] مصري في القاهرة ، [illegible] أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد [illegible] بعض تصانيفه من التأثر والتقليد لكثرة ما غنى في ماضيه للمرحومين الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ؛ أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب [illegible] الأصيل في غير شك في موسيقاه [illegible] وقد كان المرحوم شوقي بك يطرب له موسيقاه ، فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأي إلا المحسود [illegible] ولا أقل

« شوقي » لا يمكن [illegible]

— [illegible] أظنه [illegible] أصبح عبد الوهاب مثلاً كما كان مثلاً يحتذى لغيره من [illegible] ، أو أن يكون مثلاً [illegible] كبيرة من أولاد [illegible] الناشئين [illegible] ، وليس [illegible] عيباً ، وليس به [illegible] ، فالناس كلهم لو أصابهم [illegible] في المواليا ، وفي [illegible] قبل أن يعرفها [illegible] أليست « يا جارة الوادي » [illegible] من « المسلول » ؟ ولكنه أسبغ عليها من رأسه ، وهو لا يحب مطلقاً أن يذكر بالجاية ، ولا يحب الشهرة ، ولا [illegible] مع أنه أنفق حياته الأولى في [illegible] وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينفصل [illegible] وإن حياة الفنان الأولى التي عاشها وهو [illegible] كل [illegible]

من التفكير في مشاغل [illegible] وأرزاقها وحياتها من الفن الذي لا ينسى [illegible] وأنها أسمى ما يمكن أن [illegible] وأسمى ما يمكن أن يطالع به الناس من مواطفه وخلجات روحه أليس كتاب « الأيام » هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين [illegible] وأي شيء في كتاب « الأيام » غير فيض ناطق من الصدق إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام [illegible] وهذا الإنسان الآخر له [illegible] وله مكانه وله شهرته ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل « طه حسين » بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك [illegible] فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يحكيها وتخرج من بين يديه خير ما كتب

— إذن على عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره

— من غير شك هذا هو خير ما يستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى ما به ، ولأنه كان [illegible] في طفولته [illegible] فهذا هو ما خلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه

— ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً — فمن الذي يطلبه ملحناً [illegible] في أشياء قديمة ؟

— [illegible] هذا [illegible] لا حيلة للإنسان فيه [illegible] وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يجعل بعد ذلك من غير حساب [illegible] إن [illegible] ماله [illegible] ولم يجعلها في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أسمع منهما فناً ؟ [illegible] كرستوف كولمبس الذي عثر على [illegible] أمريكا لم [illegible] إلا بعد أن استجدى في شوارع [illegible] على ما أظن — [illegible] والحركة القومية [illegible] في تقدم الأدب والأوربيين ، وعبد الوهاب من غير شك هو الفتى الأول الذي أرشحه [illegible] فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا الرجاء ؟

— يهديه الله

[illegible] ما زال [illegible] ، وعند ما [illegible] وعند ما [illegible] أن [illegible] هذا [illegible] أكثر مما [illegible]

— [illegible] لا [illegible] مصراً

من غير شك — [illegible] الدكتور

[illegible] أحمد [illegible]

(الرسالة) لا [illegible] كثيراً من [illegible] الأستاذ [illegible] رأيه في الأستاذ عبد الوهاب

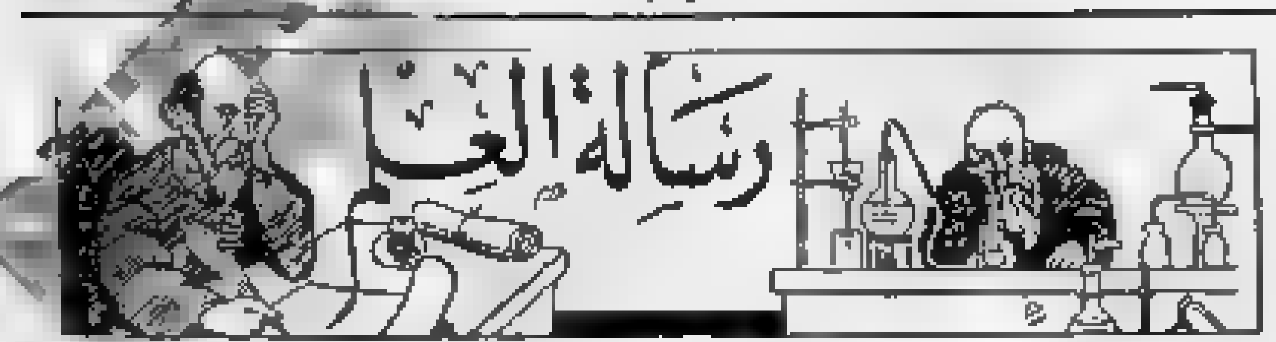

الهندسة وابن الهيثم

قديماً وحديثاً (*)

للدكتور محمد محمود غالي

أطنب المتكلمون وأطنبوا، وأسرعوا فحام العرب بما يملأون الكتب من مآثر، لم يكن أقربهم إليها، ثم يجمعوا لي شيئاً مثيراً أذكره لابن الهيثم، ورسموا صوراً هي أقرب الصور إليه صوروا بها أعماله ومبلغ بحثه للمسائل وبحثه للأضواء. هذا هو ابن الهيثم عالم طبيعي له مشاركة في الفلك والطب والرياضة والفلسفة وفضلاً عن ذلك نرى الهندسة تقترن باسمه، بل إن شهرته كمهندس طغت على بقية صفاته، ومن ذلك ما ذكره القفطي في كتابه «أخبار العلماء» من أنه الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري، وأنه صاحب التصانيف والتآليف المذكورة في علم الهندسة، وهو بعد ذلك يتحدث عنه في بقية الكلام كمهندس أكثر منه عالماً طبيعياً.

والواقع أن مرتبة علمية لابن الهيثم فضيلة أن يحسبه في صفوف علماء الطبيعة أكثر من أن يحسب بين المهندسين، وإنما وصل إلى هذه النتيجة من أثره التجريبي لا من أثره في التأليف، ولكن لا يخرج بهذا الرأي كنتيجة نهائية لبحثنا هذا. فتجاربه في علم الضوء معروفة، وقد شرحها بعبارة زميلي الأستاذ مصطفى نظيف بك، ولا ريب في أن مقدرته في التجريب في الهندسة بجزء من علم الرياضة ويرثها كمجموعة لأعمال فنية أو إنشائية إنما يعرف المهندس بآثاره الإنشائية أكثر من أثره في التأليف

(*) محاضرة ألقيت في الاجتماع الذي عقدته الجامعة المصرية لذكرى هذا العالم الذي عاش بالقاهرة

فالعربي مهندس الملك روس أن تم معبده، مهندس كشف من استخدام «الطوب» وهي تدعو للإعجاب، وكيف لا نعجب له حين نرى كيف يتكون من الطين والحجارة أشكالاً منتظمة، أشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع، منها كل هندسة إقليدس وأرشميدس ومساحة كمساحات، عندما شيد الهرم؟ أم معبد فوق الأكروبول Parthenon، وهو الذي تم تحت إشراف النحات المعروف فيدياس في عهد بركليس العظيم، كانا مهندسين عظيمين، بل صاحب الإتقان لا يزال إلى اليوم مصدراً بالتقدير؟ وجارنييه Garnier باني أوبرا باريس، وإيفل الذي شيد بها البرج المعروف مهندسان أحدثا في الهندسة وفي الإنشاءات الحديدية ولا ريب أحدثت دهشة. ترى هل كان لابن الهيثم من عمل إنشائي يضعه بين المهندسين الذين يذكرهم التاريخ؟ هذا ما لم يقم دليل عليه كما لم يقم دليل على بطلانه، ومع ذلك فهو صاحب كتاب المناظر الذي لم نعثر منه لنستبين فيه ما يقع من التقدم في أعمال ما زالت أهم ما يشغل المهندس عند تصميم المناظر والمراكب والأجهزة الكبيرة.

ولسنا نقصد بهذا من شأن ابن الهيثم كمهندس وهو الذي بين مصنفاته كتب عديدة تمت إلى علم الهندسة وبحث في علم المساحة والتخطيط، وقد ذكر الكثير منها الدكتور مشرفه بك، وأضيف إلى ما ذكره كتاب المناظر، وكتاب أصول المساحة، واستخراج أربعة خطوط، وحساب الخطأين، وحلل الحساب الهندسي، ومسائله في المساحة وغيرها.

ترى هل خرج ابن الهيثم من مجال التأليف إلى مجال الإنشاء؟ يغلب على ظننا ذلك، وقد يطلعنا التاريخ أو البحث يوماً على آثار له في هذا، فإن شهرته كمهندس بلغت من الذيوع والانتشار ما جعل الحاكم صاحب مصر من الفاطميين يتوق إلى رؤيته، وقد نقل له

عن ابن الهيثم أنه قال : « لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الإقليم المصري » فازداد الحاكم شوقاً إليه وأرسل في طلبه ورغبه في الحضور ؛ فشخص ابن الهيثم وجهه إلى مصر ولما بلغها خرج الحاكم للقائه على باب القاهرة وأمر بإكرامه ، وطالبه بما وعد به من أمر النيل ! فسار ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على ما خطر له ، فلما جال الإقليم طولاً ورأى آثار الأقدمين ، وهي في غاية من الصناعة وآية في الهندسة ، تحقق أن الذي يقصد إليه خارج عن طوقه ، فإن من تقدموه لم يكن ليعزب عنهم علم ما يعلم ولو أمكن لفعلوه ، ففترت همته ، ووقفت عزيمته ؛ ووصل إلى موضع الشلالات بعد أسوان ومعاينته واختباره وجد أنه مخالف لما كان قد فكر فيه ، وتحقق الخطأ فيما وعد به واعتذر للحاكم

ولعل هذه الواقعة التي سردها بعض المؤرخين تشكل من خيال الرجل العالم الذي عشق ما ذكرناه ، في بناء هيكل للمعرفة خطا ابن الهيثم المهندس البصري الخطوة الكبرى إلى الأمام ، وكان من ومصر ، حجراً أساسياً في العلوم تتوارثه جيلاً بعد جيل

* * *

جيل بعد جيلاً ، جيل يتصرم وجيل يحل ، وطوى الزمن تسعة قرون على هذا العالم ، تغير خلالها وجه الأرض ، وبعث مدنية تختلف عما تقدمها من مدنيات ، ومصر لا يشبه ما خلا من عصور ، وألفينا أنفسنا أمام صورة جديدة للفن الهندسي ارتبط بالتقدم العلمي ارتباطاً وثيقاً وتفرعت الهندسة في عصر النهضة إلى هندسة آلية وكهربائية بل وميكانيكية ، وأثر هذا في مقدرتنا على العمل وأثره في الإنتاج ، ولو أننا نظرنا إلى أحد هذه الفروع وإلى الهندسة اللاسلكية لوجدنا أننا وصلنا إلى نتائج تستوجب النظر

أولاً : في الاتصال الصوتي وعلى تسلسل الأمواج يستطيع أن يخاطب بالتليفون ست الأشخاص أو أكثر على مسافات نائية وبعيدة في وقت واحد ، وأصبح يحدث اليوم في المواسم الكبيرة أذكر على سبيل المثال الخط بين لندن وملبورن حيث يتكلم في مسكين للمخاطبات التليفونية وضع بجانبهم سكان للتوسع للتطرف في استعمال التليفون حوالي ٣٠٠ شخصاً في آن واحد ، ويسمع كل منهم أحد دون أن تختلط عليه الأصوات المترددة

بل أرجع القارئ إلى محاضرات فورتسكيو Fortescue الحافلة التي ألقاها عند زيارته لكلية الهندسة لقسم الكهربائي بالمعهد ، بل أحيله إلى ظواهر يعرفها معظمنا ، يشعر بها كل متتبع شغوف أصبح في اقتراب بظاهرة الاصطدام في الظواهر الضرورية

ثانياً : في الاتصال المرئي والتلفزيون الصوتي الكهربائي استطاع الإنسان أن ينقل الصور الفوتوغرافية إلى مسافات بعيدة ، دون استعمال الأسلاك ، وكان تطبيق ذلك في نقل الرسائل في الصحف بلسيم المكتوبة بحروفها العديدة كما يحصل للإعلان ، ومن الإعجاب الذي استولى على كل منا عندما طالعنا من أربعة أيام في الصحف كيف نقلت باللاسلكي الصور الفوتوغرافية للحوادث المريعة التي جرت في الأوروجواي ، ومن الحوادث الخاصة بالسرعة دون شبه ، وكيف رأى البريطانيون صورها ولم يمر على أخذ الصور التي يبعد مكانها عنهم بنصف محيط الأرض إلا كسر ضئيل من الثانية

ثالثاً : في الاتصال الكهربائي استطاع الإنسان عبر أسلاك أن يسمع الأصوات ويتكلم على مسافات بعيدة تبلغ محيط الأرض بل استطاع أخيراً أن يرى من بعد الأشياء المتحركة كما لو كانت أمامه

هذا ما حدث من الهندسة اللاسلكية ، ولقد كانت حضرات العلوم البحتة قد اتسع بكثير من هذه ، ونحن اليوم نحدث خوفاً لم تستطع الهندسة الطبيعية أن تلاحقه فيه مع الاكتشافات العجيبة ، النشاط الإشعاعي والنسبية الكونية ، ترى ماذا سيجده الإنسان الثاقب التفكير الموفور الذكاء في أربعة من علمياته تنشأ عن مدنية تختلف عن مدنيتنا جد الاختلاف بل تختلف عن كل ما عهدناه من مدنيات

أو يصبح عصر الذرة والكهرباء والكيمياء الذي سيبقى في مدنية العصر أعظم شأناً وأهم قدراً وأعجب في الحوادث ؟

إنا لا نجزم بذلك . أليس أذكياء سودوا الإقامة في المختبرات والتردد على دور الكتب ! هؤلاء الذين أعنيهم أسعد الإنسان موجودون وموجودون دائماً

عند ذلك يختلف العهد ، وينظر اللاحقون لنا نظرة جهلنا لزمن ابن الهيثم ، ومع ذلك ربما الذي ذكرناه لا يجيزونا

أن يحتجب في البائدة غيرها ، بعد أنا حدث بعد عهده ، فإن الولو ما زالت تتمثل في عصرنا على التصور الذي عرفه ابن الهيثم ، بل إن هندسة أقليدس القديمة ونظرياته الأربع والعشرين المعروفة التي كانت حجر الزاوية تشكل معارفنا الحالية في الهندسة ذاتها التي علمها ابن الهيثم وشرحها وحدد منها وبعضها تركه عهده للأجيال التي تلته

إن الخط المستقيم والدائرة والمثلث وعلم الهندسة وعلم المساحة وما يتصل بكل هذه من نظريات كان لازماً لتستقيم بها حضارة اليوم ، كان من اللازم وجود أمثال ابن الهيثم ليرى الإنسان بعده جاليليه ونيوتن وإلا صادف عصراً بطيئاً لا يصلح للتجديد

ثم إن المعارف القديمة لم تعد تقدم لنا صورة صحيحة لهذا الكون ، وقد صنعت لدينا صورة حديثة تغاير تلك الصورة البسيطة التي علمها لنا الأولون بقوانين بسيطة سواء في الميكانيكا أو الطبيعة ولا يزال الطبيعيون يشهدون يوماً بعد يوم انقلابات في التفكير ، ويعثرون على أوصاف للكون أدق من صورته التي عهدناها حتى عصر ابن الهيثم ، بل عصر جاليليه ونيوتن ؛ فلا مادة بالمعنى القديم ، بل إن المادة حبيبات صغيرة في حركة دائمة ، وفي هذا الكون المكون من هذه الدقائق المتحركة لا صورة هناك ولا لون ولا صوت ، وكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد في الذبذبات والتردد ، والذي نسميه مادة أو صورة ما هو إلا كهرباء ، بل لا فرق بين الطاقة والمادة ، ويحكي القوم اليوم أنهما يرجعان إلى أصل واحد ، بل إن المادة وما كهرباء والكهرباء مادة

أجل ، إن قوانين هذا العالم المضطرب باتت تختلف وفي صورة الحديثة اختلافاً كبيراً من القوانين القديمة التي لم يظهر أنها صحيحة إلا لأنها متوسطات القوانين الحقيقية للعالم ، وقد يبدو هذا الاختلاف في جميع نواحي العالم كل شيء ، حتى إن القوانين الحديثة الخاصة بالزمن وبالمدى بمكان العالم باتت تختلف عن التي عشناها في المدرسة ، والعلم الذي اعتدنا أن نتصور فيه طوله أقصر من عرضه ، والمثلث الذي جرينا على اعتبار أن مجموع زواياه يساوي قائمتين هو في الواقع ليس كذلك ، والخط الذي اعتدنا اعتباره مستقيماً يختلف من النهاية حول نفسه ، والكون الذي اعتبرناه لا نهائياً هو في الحقيقة محدود ، بل إن الزمن ذاته يدخل في طياته أصعب التعابير التي تفتقر إلى المرونة والتحسين

ثم قد حدث هذا كله ، ووصلنا إلى نوع جديد في التفكير والتطور ، ترى هنا سيكون من أثر المعارف الجديدة في الأسلوب القائم ؟ ومع ذلك فإن هذا النوع من التفكير قد وصل الإنسان إلى ما وصل إليه لأن البناء كان صالحاً ، كل صورة على هذا العصر لأن المرحلة القديمة كانت عظيمة الأثر ، ولأن رجالاً كابن الهيثم زرعوا فحصدنا ونزرع اليوم ليحصد الغير

في كثير من العواصم يشيد بذكر العلماء المحدثين الذين يساهمون في تشييد صرح العلوم ، وقد وجهنا هنا كيف هذا العلم يحتل هذه الصحف لكثير منهم أمثال بلانك وبيران ودي بروي وجدوريا ولا ريب أن نحيي في هذه القاعة أولئك الأعلام الذين وضعوا أساس الصرح ، فقد أقدم في ختام هذه الكلمة بالتحية والإجلال لابن الهيثم ، ولست آيساً من أن يلمس عهدي الجامعة هذه فيقرر إطلاق اسمه على إحدى مدرجات كلية العلوم

شدما يريد التراث العلمي ، ولشدما يشتغل أمهر الإنسان ، في مخازن الكتب كما في القاهرة هذا الأسبوع صفحت الكراسة التي تحوي أسماء الكتب والتوزيع فإذا بها ما يربو على عشرين ألف مجلد في الأدب ، إنما لفت نظري العدد الكبير من الأسفار للمؤلف الواحد وقلت في نفسي متى أرى الوقت لإخراج هذا التراث ، فكيف هو ٦٦ مؤلفاً من هذه المكتبة الخاصة ، وللمحامي Duhamel ٢٨ ، وللكاتب بورو ٢٤ وبيرم الكثير ! ولما رأيت أن لابن الهيثم ما يربو على السبعين سفراً ، وأن من بينها مائة القيمة التي ذكرها إخواني ، أدركت حقاً أننا بصدد علم كبير جدير بهذا الاجتماع العظيم

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

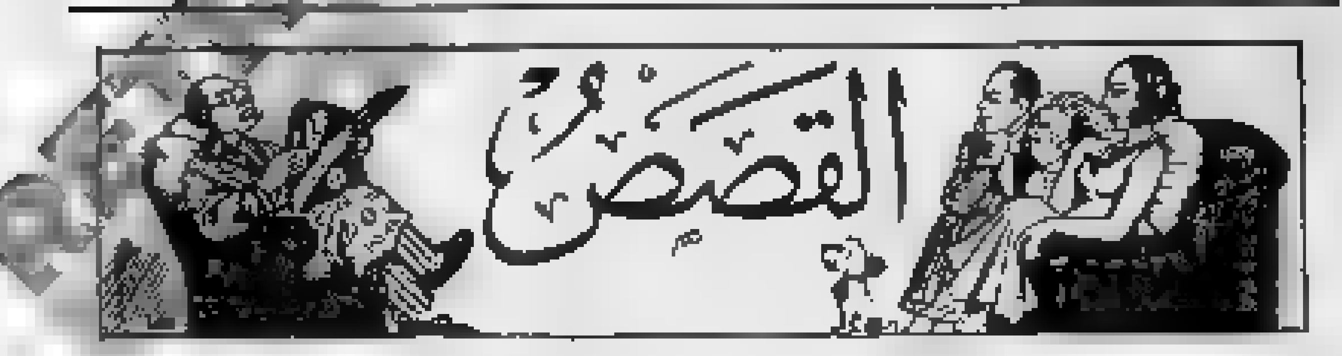

الإغمـــاء !...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود طه تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

زارتني سلمى مرة في مكتبي وطلبت مني أن أصطحبها إلى مكتب زوجها ، فقمت ، ولما كنا في الشارع ، علقت بذراعي اليسرى كأن ذلك طبيعي جداً ، ولم يظهر على وجهها أي اضطراب لما فعلته ، وصارت كلما جرها عرض الشارع من رصيف إلى رصيف احتمت بي من السيارات المسرعة ، وشعرت بذراعها على ذراعي في حركة عصبية متهيجة

وصرت أفكر طويلاً ، هل بدر مني شيء يدل على رغبتي في استدراجها إلي ، لأن سلوكها معي لم يعد يحتمل الشك في رغبتها في استدراجي إليها ! ووقفت حائراً بين أن أفقد صديقين أحبهما حب الإخلاص الصحيح ، وبين أن أخون صديقاً ألفته منذ الصبا وأخون صداقة فتاة عرفتها صغيرة بثياب وعرفتها زوجة ، إلى حب لا أقدر معناه ولا نتيجته

وكانت كل هذه الأمور تجري وسلمى لم تحرك شفتيها مرة واحدة بكلمة مفهومة ، ولا تنهدت مرة واحدة في وجهي ، ولا لمست مرة واحدة يدي لمسة تحتمل تفسيراً أو تأويلاً . ولكني صرحت لها وحدثتها الحوادث وبعثت بي من ذلك حياة الطيبة التي أذكرها اليوم والأسى يملأ صدري ، والدمع يكاد ينهمر من مقلتي

أجل ، خاطبتني سلمى بالتليفون تقول : ألا تشرب الشاي معنا اليوم ؟ إني بانتظارك في الساعة الخامسة تماماً لعلنا نخرج في السادسة ونذهب إلى السينما

وإني اليوم بعد طول العهد لا أزال أراني نازلاً من العربة أمام باب الحديقة سائراً في الممشى القصير إلى باب الدار ، أقرعه قرعة تعرفها الخادمة فتسرع إلى الباب تفتحه وأدخل إلى القاعة التي ألفت كل أثاث من مفروشاتها : فهذه مقاعدها المتينة وستورها الأحمر المجزع بالبياض ، وهذه خزانة البلور التي حفلت بقطع التحف التي يتأنى صاحبها في اقتنائها ، وهذه حلية الرخام المستديرة عليها طاقة الورد المسائي ، وهذه الرسوم المعلقة التي أحببتها وعرفتها ، وأحسن ما فيها صورة سلمى الزيتية بعثت كل الإعجاب أما صورة فيها سطور ناعمة والنور منعكس عليها من عين يوحي على الرسام أن يعكسه من العين ، وطالما ناقشت في هذا الرسم وبحثنا في نظرية النور والظل ، وهنا صندوق الفاخر مصنوعاً من الأبنوس المليس بالأصداف أحاول فتحه ووضع أشيائها . أقف أمام الحائط المعلق عليه صورته أنظر ملامحها الكبيرة الضيقة بدت كما في أول عهدي وهيمان الحب على أشده

نعم لا أزال أفكر في هذا كله كأني أراه الآن ماثلاً أمام عيني .

ثم طال انتظاري فقرعت الجرس وجاءت الخادمة ، فقلت لها : أين الجماعة ؟ فأجابت : إن سيدتي ترجو انتظارها ، وأما الأستاذ فقد ذهب منذ هنيهة . ثم نظرت إلى الخادمة نظرة لم أرتح لها . وما هي إلا ثوان معدودة حتى جاءت سلمى بثوب خرج حسنها في ذكر بأنني قد أنفت به طويلاً عن هواجسها وسحرها وقد صلصل عمرها

ووجهه تشط بين الفرح قد انطلقت في حافة معطاره مترفة، وأصبحت من شأنها في كثير من الانتصار والانسجام. فقالت وأمي حتى ضمت إليّ يدها مصافحة، وقالت وهي تبتسم في مثل الدلال: سعادة عموًا قد جرى ما لم يكن في حسابي، فإن عمورًا قد سعدني غداة الأرجاء وهو يأسف لأنه لا يعود قبل الساعة الثامنة. وقد أوصاني أن أحتبسك حتى عودته لتسل معه بعد الظهر السهرة

ولم أجد غرابة في هذا كله بل وجدته طبيعيًا وقلت لها: لعلك لولا حضوري كنت تخرجين مساء. قالت: لا وحقك إلى متعبة فأحس الفتور قليلاً

وأخذنا في حديث عن الفيضان والمرض، وكانت حتى تقول إنها لم تعد تطيق السكن في هذا المنزل وربما سوف تنتقل إلى ضاحية الرمل حيث أكثر الأصدقاء والمعارف ثم تحدثت في مباهج ضاحية الرمل بينما كانت الخادمة تحضر مائدة الشاي، فأصبت كوبًا منه وأكلت قطعة من الحلوى، وتحدثت إلى سلمى لفاتة من الشيع شرعت في تدخينها، وقد كثيب ومصيت ميلاً تستحضر إما حبيلاً أو قصة أو نسمة، ورأيت في شيء شيئًا من التصنع والارتباك، ثم نادت الخادمة وقالت لها: إنه يمكنك الانصراف على أن تكوني في المنزل في حدود الساعة الثامنة

وشدت سلمى ثوبها إلى جسمها، وجلست بجانبي، فشعرت الثوب أصبح جسمها حبيلاً، ومشت بيد راقصة عبقة تغلغلت في حواسي، ثم مدت ذراعها واتكأت على ظهر المقعد وراء رأسي دون أن تمسني، ونظرت إليّ نظرة كمن أصابه تعب وقالت: ما رأيك في كأس من الكوكتيل؟ ولم تتم كلامها حتى وثبت إلى غرفة الطعام، وفتحت خزانة واستحضرت منها زجاجة وهي تقول: إن هذه الزجاجة تزعم أن هذا الكوكتيل كان شراب نابليون

فضحكت وقلت: وهل الآن تقف نابليون بشربه

وسكبت لي كأسًا وسكبت لنفسها شربتها وقد تحولت الكأس

وأنهت عيون القلب ملاً، أنا في مراقبتك سمعت قلبي، ثم سكبت لي الثانية

وقد سرى هذا كله في سهولة وبساطة، وسلمى تقول إن حياتها أصبحت من الطمع حيث صارت تفكر في الابتعاد وقالت: إنها عملت لسد لهيبًا من الحر هو هذا الذي تلبسه — ثم كشفت وذكرت هذه ذوقًا به يصمم حبيب إليّ وكتبها في عرج عروس — وأنها تلبس منها أخرة وكلفه لا يعجبها القميص

وكنت تعرض الكأس الثانية فسكبت لي كأسًا ثالثة رشفتها رشفًا قليلاً لكنه لم يسمع إليّ. ومضت في حديثها عن القميص بينما أخذت أمص الكأس، ثم وقفت أنظر إليها مصغيًا إلى حديثها دون أن أفهم الحديث لا سر من اهتمامها إلا بحث الطرق الحريرية. فقالت: ألا يعجبك حرير هذا القميص؟ جسست، فإني بها ولففته حيال ثائرة المجنون مثلبه المكلف، ثم رفعت ذراعها إلى جبينها وهي تقول: لا أدري ما بي... لعل هذا الكوكتيل قد دار رأسي. فصحت: لا عليك اجلسي. ولكن مشت قليلاً وقالت كأنها تريد أن تستريح: أريد أريد أن أستند إليك

فضربت كل العبرة وما أن أسندتها إليّ حتى استرخت بين يدي، وتحسني إليه متلفة في مخالفة جسمها عليّ، وأنا أدفع به في اللطف وتؤدة حتى أجلستها على المقعد وقد تلاصقت بي التصاقًا عربيًا وشدتني إلى صدرها شدة عنيفًا

وأردت أن أسرع إلى حيث أستحضر لها كوبًا من الماء، ولكن تعلقت بي ومنعتني من ذلك، ولا أدري لماذا حاولت أن أتوق عجيب ذلك الحديث الذي حدثني به زوجها عن صنع الإغماء، وأنني في موقف يختلف بعض شيء عما يتطلب الحياء وعما يتطلبه التقية والحنان. وكأن ذي عبور ويحي والعرق يتصبب مني ولا أدري كيف ولا لماذا قلت لها

— يكاد أن يغمى عليك فإلى متى أستدعي لك الإسعاف.

ولا شك أنها سمعت كلامي ولم تأبه له وسمعت أكبر صاحب لعربة الرحل [illegible] على إخماده، وتطلعت إلى النص مهارب [illegible] صب وتصيب الماء والكوب والأسنان وبعث واقعاً حائراً وسلمى قد فتحت عينيها وكعمت فيها وراح خفقان صدرها ثم أنت طويلاً في خفوت واختناق ثم لزمت الهدوء

فلمست شفة من الشيح وصرت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا لا أدري ما أفعل حتى عيل صبري وكلما طال انتظاري وغاب في غيبوبتها كان شيء يطرد في صدري ويقوى عوامل الشر والصداقة والإخلاص، حتى رأيتني واقفاً أنوي

— هذه مهزلة مألوفة وليس مثلك من يمثلها مع مثلي ونحن أصدقاء العمر فقد أخطأ حسابك، وإذا كنت أتقن مثل هذه المهازل فجربيه مع سواي

وإني لأذكر تمام الذكر أن سلمى انتفضت من مقعدها كالمجنونة المذعورة، ثم فتحت عينيها والتفتت إليّ ووقفت في وجهي تنفث من شفتيه وتحدجني بلحظ يتقد غيظاً وقالت وهي تتميز غضباً

أنت رجل مغفل

* * *

واليوم إذ أستعيد هذه الذكريات أحاول عبثاً أن أستبين كيف مضت الأيام التي تلت هذا الحادث وكيف نزلت بي حمى عصيبة أسلمتني إلى الفراش حيث قضيت أشهراً بين الموت والحياة ضيعت بعدها أنه لم يبق منها سلمى ولا زوجها وقد شب الحي في صرعتي وجعلتني صاحب الرأس مهموم مكسوم؟

وهأنذا اليوم بعد خمس سنين أراني قد اضطرب بي السن أشتم الحظ وترحت في الكهولة أيا رحل

وفي كل هذه المدة لم تقع عيني على الأستاذ [illegible] ولا على زوجته سلمى، ولكني لا أزال أذكر والأسى يملأ صدري والدمع يكاد ينفجر من مقلتي أني كنت صديقاً حيا للأستاذ [illegible] وزوجته سلمى

(الإسكندرية) [illegible]

الشيطان ذو الأجنحة

إن سكان جزيرة سيلان أسطورة غريبة [illegible] الفجر من تاريخ سيلان [illegible] على أربعة وعشرين جيلاً ويستنتج من هذه الأسطورة أن [illegible] التي زارها وبقي [illegible] كل [illegible] بعد [illegible] من [illegible] لم [illegible] إلى ذلك الوقت ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن [illegible] الكثير ولكن [illegible] الأساطير لا [illegible] برهاناً على ذلك

ولا يفوتني البحث بعيداً جداً عن أسباب [illegible] هذه [illegible] الجزيرة [illegible] كثيراً الرمل [illegible] الجزيرة وكذلك أيضاً البرتغاليون الذين استعمروها في الجيل الخامس عشر والهولنديون الذين طردوا هؤلاء وأخيراً الإنجليز الذين سكنوا بعد ذلك سيلان [illegible] كثيراً من [illegible] هذا الوباء [illegible] أنها سنة ١٩١٢ عرجلة من سيلان [illegible] كيف [illegible] يحدث مع أنه [illegible] ذلك أنها [illegible] الإنسان [illegible] على [illegible] الجزيرة التي لا [illegible] أعطاها الرب

في سنة ٢٣٥ هجرية على عهد [illegible] والأمراض هذه [illegible] سكان على [illegible] كما يقول الرواة في سيلان [illegible] أنهم [illegible] من أن يروعوا الأمر [illegible] على ذلك [illegible] الذي صبوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذي الأجنحة [illegible] بواسطة الرأس حسب الطقوس الدينية [illegible] الرواة [illegible] أن سكان سيلان لم [illegible] مع ذلك [illegible] أن الشيطان ذو الأجنحة [illegible]

[illegible] الحكومة الإنجليزية [illegible] في سيلان [illegible] الآن بعد [illegible] الساعة [illegible] أيضاً [illegible] للشيطان ذي الأجنحة كما يقول الرواة [illegible] أيضاً مستشفيات كثيرة [illegible] هذه السنوات الأخيرة [illegible] المختلفة [illegible] أشهر [illegible] على [illegible] والطريقة التي [illegible] أي مقدار جرام واحد أو جرام [illegible] أيام [illegible] الشيطان ذي الأجنحة [illegible] على [illegible]

اطلب روايات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة [illegible] العربية
[illegible] القاهرة [illegible]

من هنا ومن هناك

هتلر والهتلرية

[عن تحرير المحرر البريطاني ببرلين « سابقاً »]

ظهر الهر هتلر والاشتراكية الوطنية نتيجة لفرقة أمة كبيرة في نظره، وما تبع هذه الفرقة من الفوضى واليأس. والاشتراكية الوطنية في ذاتها ثورة، وهي كذلك مذهب في الفلسفة الوطنية وفي التعصب من الديمقراطية التي تجعل الحكومة خاضعة للجمهور. تقوم النازية على جعل الجمهور تابعاً للحكومة خاضعاً لها بل للفرد الواحد الذي يقود دفتها

كان العالم خارج الحدود الألمانية، لا ينظر إلى الاشتراكية الوطنية بكثير من الاهتمام مادام أصحابها مقصوراً عملهم على داخل البلاد. وكان بعض الناس يذهبون إلى تقدير أصحاب هذه الحركة ويذهب بعضهم إلى استهجانهم وبعضهم يراقب حركاتهم بشيء من القلق؛ ولكن الحكومة الألمانية كانت على الدوام شأناً من شئون الشعب الألماني وحده. فلما انتقلت نظرية الوطنية الألمانية خارج الحدود الألمانية أخذت الفلسفة النازية تبرز رأسها خارج حدود السلام

ومن الطبيعي أن تذكر الإصلاحات التي قام بها ذلك الرجل الذي يقود ألمانيا اليوم داخل بلاده. إلا أن الوسائل الفظيعة التي سعت في سبيل تنفيذها كانت مما يمس الحقوق الإنسانية، وإن كانت لا تهم أحداً غير الألمان

ولم يكن ضم النمسا والسوديت الألماني هو الذي أثار شعور الاستنكار ضد الهر هتلر، وحرك ضده الرأي العام في جميع أنحاء العالم. حتى العالم الذي ذاق مرارة الحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ كان على استعداد لاحتمال ذلك. لقد كان منتظراً أن تضم إليها تلك البلاد طائفة عظيمة ولا يمس السلم بشيء. إلا أن هتلر لم يكن ليعترف بحقوق الغير التي يريد أن يخضعها لألمانيا — والثورة آلة ملائمة، إذا تحركت لا تقف، حتى تصل إلى الغاية التي تقصدها. والتاريخ وحده هو الذي سيقول إذا كان في مقدور الهر هتلر أن يسير بالنازية في الطريق المعتدل القويم، أو أنه كان ضحية الحركة التي بدأها، أو أن نوعاً من جنون العظمة هو الذي دفع به إلى تلك الغاية التي كانت الدعاية في استعدادها ... طلقين لا يدركون طبيعة الألمان. مجرد من إدراك أمر من الأمور إلا من وجهة نظره الخاصة، ومحروم من نعمة حسن الاحتمال

إن حاشية الدكتاتور كائناً من كان، هي أنه بطبيعته حر الرأي، يعتقد صحة حججه وأصلحها، وأنه لا يحتمل معارضة أي إنسان. فكل من وهبهم الله شيئاً من الشجاعة لإبداء آراء مخالفة لوجهة النظر التي يراها، يقصون عنه واحداً بعد الآخر؛ حتى يصبح وليس معه إلا بعض الأعوان المتملقين الذين لا يعرفون غير كلمة « نعم » في سائر الأحوال

وإذا كان الدكتاتور يتأثر إلى حد ما بمن يحضرون حوله، فإن الهر هتلر لا يعتمد إلا على رأيه في كل ما يتوجه إليه. وقد قال لي « الفيلد مارشال جورنج » ذات مرة: نحن نعتمد على أمر من الأمور لا نكون إلا كالحجر الذي نقف عليه الآن، فأما هو فهو وحده وجميع الناس في كلمة المشورة

يجب أن نحرر التشيك

« لماذا يجب أن يتحرر التشيك؟ » هذا عنوان رسالة للاتحاد الوطني التشيكوسلوفاكي بأمريكا. حيث التشيك سلالة أمة عريقة في أوربا، ويرجع تاريخهم إلى العصر الحجري القديم

ولم يجرد من ذلك العصر الطويل الذي حكم أواسط أوربا ومداها، وامتدت مملكته إلى حدود نهر الألب وجبال الألب من الناحية الغربية، وتعدى البلطيق والأدرياتيك من ناحيتي الشمال والجنوب

والثقافة التشيكية من أقدم الثقافات التي ظهرت في قارة أوربا. فقد أتيح لها أن تجمع كثيراً من الشعوب العظيمة؛ خلف شعوبها العالم آثار للمذاهب البرنسية والألمانية والفرنسية، وللتشيك أثر عجيب في المدنية الأوربية، وعلى الأخص العصور الوسطى وفجر العصور الحديثة. وقد كان الشعب التشيكي ما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر حاملاً لواء في حمل رسالة الفروسية الرومانية، وكان ملوك « التشيك » رءوس الإمبراطورية

الرومانية المقدسة، ومهد للمملكة النمسوية إنشاء أول كلية في أواسط أوربا، وذكرها المعاصرون بمختلف الصور كل ما هو خطر عقلي في عالم الحضارة وبيوت الأحوال؛ وقد اكتسب منها الفنون والعلوم [illegible] مكانة عالية، وقوم أسباب الحرب والبغض الرهيب للألمانيين

وكان التشيك في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر أبطال حرب الهوس وأنصار الديمقراطية الصحيحة. وكان (جورج بودبراد) ملك التشيك، يدعو دائماً لنصر السلام الذي يجمع بين الألمان أو السادة المتحاربين، وكان في مقدمة رجال السياسة الأوربية الذين يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولي لحفظ السلام من الأفراد والملوك، واعتدوا بلغتهم حماية للقانون والنظام العام

وقد فقد التشيك حريتهم في عام ١٦٢٠ فصمدوا في الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وتقاليدهم على الرغم من المظالم التي أحدقت بهم وقد هاجر إلى المنفى في تلك الفترة المظلمة من كبار مفكريهم (كومنسكي) الشهير، وهو من أكبر رجال التربية الذين عرفهم التاريخ

ولما كان القرن التاسع عشر وضع التشيك لأنفسهم مبادئ عالية تنيل حقوقهم السياسية والوطنية وكانت الديمقراطية والسلم رائدهم في كل الخطوات، وقد برهنوا دائماً على مقدرتهم على حكم أنفسهم. وكانوا على الدوام أصدقاء مخلصين وجيرة صادقين عرفت من ملازمة أب رحب دائماً بالمظلومين والمضطهدين الذين يأوون إليها من البلاد الأخرى

فالتشيكوسلوفاكيون يعيشون حقيقيين في أواسط أوربا، ولهم حضارة قديمة لا تنكر وأثر خاص في الثقافة الأوربية على وجه العموم. وقد ظهر في مواهبهم القديمة ومواهبهم الحديثة على مقدرتهم على السير إلى الأمام، والتغلب على القوى المعادية. وساروا خطوة خطوة مع تقدم الحالة الثقافية والسياسية في أنحاء العالم وجعلوا مبادئ مزاريك الإنسانية أساساً لسلامهم فيما بينهم وبينهم وبين العالم، وهي مبادئ تقوم على حب الخير والشرف والتواضع

الرجل الذي يراقب هتلر

[عن «ورلد دايجست»]

من هو الشخص الذي يعتقد بعض المطلعين أنه يحرس هتلر ويعمل وراء تلك الأعمال الخطيرة؟ من هو الشخص الذي يدير دفة معركة النازية في الحياة الداخلية؟ الجواب: هو هيريك هملر رئيس (الجستابو) الرهيب (البوليس السري) و(الشرطة) [illegible] الجيش الذي تسلط على الألمانيين في ألمانيا بجواسيسه ورجاله

السفاحين، فقد جعل من رئيسه (هيريك هملر) أكبر القتلة الظالمين في العصر الحديث. وقد تبوأ هملر [illegible] هذه الفترة حين لحصول هتلر على الحكم في ألمانيا سنة ١٩٣٣ وكان إذ ذاك في الثالثة والثلاثين من عمره، وهو منذ ذلك الوقت [illegible] في ميدان الظلم والإرهاب بغير هوادة أو رحمة

فقام بسلطة التطهير في الحزب النازي، وقضى على [illegible] الأمل المحش، وسلط النار والحديد على اليهود. [illegible] إلى أعماله وأمعنا النظر قليلاً في حركته [illegible] مبالغاً في أنه يضرب بسهمين على الدوام، فقد كان والده مدرساً بمدرسة كاثوليكية في ميونخ وفي بيئة كاثوليكية واليوم هو محارب الكنيسة الكاثوليكية بغير رحمة، ويضطهد رجالها بغير وازع أو رادع، إلى درجة لا تجاريه فيه رجل في [illegible] ستالين

وقد خرج من الحرب العظمى سنة ١٩١٧، [illegible] على أن يكون [illegible] من خطوط [illegible] والشخص [illegible] هتلر — التي كان نصيبها السقوط — عام ١٩٢٣، ولكن سرعان ما ابتعد عن ناحية الخاطر، فلم يتبع للصحافة، وكان أول عمل كبير اتصل به هو اشتغاله سكرتيراً خاصاً «لجريجور ستراسر»، وقد أثنى عليه على مواهبه، وقدمه إلى هتلر في ميونخ رئيساً لفرقة من القمصان السود، فلما كانت سنة ١٩٣٤ ضرب هملر ضربته [illegible] القمصان رصاص بقتلهم إلى صدر ستراسر بأمر هتلر في «حمام الدماء» المعروف. وقد كان «روهم» صديقاً حميماً له في عهد الحداثة، ولكن هملر كان الرجل الذي [illegible] إطلاق الرصاص على روهم تحت إشرافه في «ليلة الدماء»

وقد منحه هتلر [illegible] قوة، تقوم تحت إشرافه [illegible] شخصياً لم يكن ذلك العام حتى كان لديه ١٠٠٠ رجل لهذا الغرض. وقد أسس هملر فرقة (الجستابو) بعد ذلك ونظم له المعسكرات وأعد [illegible] [illegible] رجل عام ١٩٣٣، وبلغ عدد الرجال الذين تحت إمرته اليوم ١٣٢٠٠ رجل بنسبة رجل لكل ١٣٥ شخصاً من سكان ألمانيا والجستابو قوة خفية في حياة ألمانيا اليوم، فلا يخلو منهم مجلس ولا يخلو منهم مصنع. وبث هملر (الجستابو) في المصانع والوزارات بما فيه وزارة الحربية ووزارة الخارجية، وتصدر عنه التقارير إلى هتلر كل يوم. مثل هذا الرجل لا [illegible] إلا [illegible] ما يزعم [illegible]، ولكن هملر معروف بأنه يضرب بسهمين على الدوام، وبينما [illegible] على رفيقه أصبح الآخرون [illegible] فيه. وهذا ما لا يجهله هتلر الآن

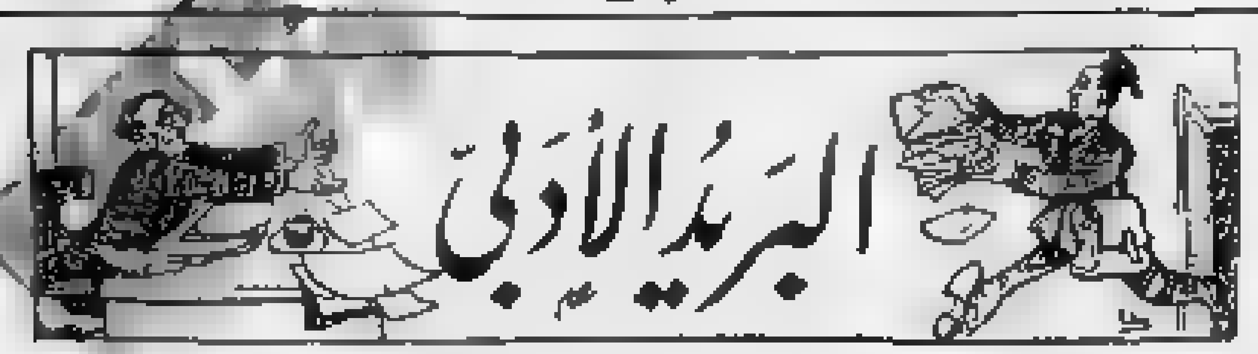

في شمال فنلندة

كان ذلك في «الزمان الطيب»، في خصوص «الشباب الذهبي». خرجت من مصر في شهر يونية سنة ١٩٣٤ والحر يهتك بالقرائح، فقصدت إلى ألمانيا، ومنها إلى بلدان الشمال. وبعد إقامة قصيرة بأسطوكهلم سافرت إلى هلسنكي عاصمة فنلندة، ومن هناك أخذت أتنقل في نواحي الشمال بين البحيرات والغابات حتى (بتسامو) عند بحر الشمال المتجمد.

ومن أحداث هذا الكهف هنا تتمثل تلك الطبيعة الغريبة، قل في ذلك كلام طويل، وإنما أريد أن أروي لك قصة أظنها طريفة، فاستشعر شيئاً

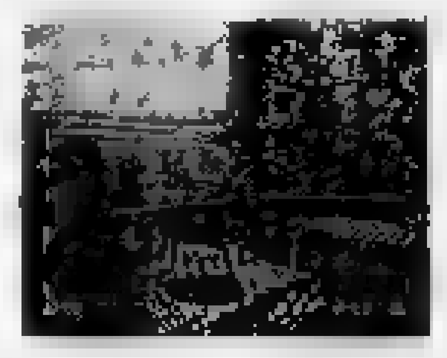

الكاتب إلى اليسار في الشمال عند بحيرة في منطقة بتسامو حيث يجري القتال اليوم

إلى بلد هو حديث اليوم في كل مكان، [illegible] كيد الظلام [illegible].

في الطريق الخارج من هلسنكي إلى الشمال عدد من الفنادق ينزل فيها السائح ربما أقام أكثر من يوم. ونزلت مع [illegible] في فندق خلاب المنظر والهدوء؛ فجلست أرقب موعد الطعام وأنا أستمع للملحمة الفنلندية الشعبية «كاليفالا Kalevala» في وحدة رهيبة. وبينما عيناي في الكتاب إذا فتاة تخطو نحوي، وفي يديها أطباق وأكواب تضعها على مائدة مبسوطة. وكانت كلما مرت تتمهل في لطف وتطل إلى الكتاب مرة أو مرتين، ولما فرغت من عملها أقبلت فقالت: معذرة، أتقرأ «الكاليفالا»؟ قلت: نعم، إني أحب أن أطلع على هذه الملحمة الخارجة من أقاليمكم وعبراتكم وعصاباتكم. قالت: أتعرف [illegible] أخذ عن (إلياس لونروت) Elias Lönnrot جمعها ونشرها. قالت: هل تعرف أن أهلك القرية كلها، [illegible]؟ قلت: [illegible].

وروت لي الفتاة كيف خرج (لونروت) إلى نواحي منطقة (كاريليا) فمكث فيها زمناً يدوّن أغاني القدماء حتى استقامت له عناصر الملحمة فربط بعضها ببعض وعمل رواية على رواية وأسقط الضعيف والمكرر والتافه، إلا أنه أتم الملحمة ونظمها وسوّاها كأنه أحد أولئك القدماء لاتصاله بهم واستقائه منهم. ثم أخذت الفتاة تطيل في خصائص «الكاليفالا»، وجعلت تصف وتبيّن وتستطرد وتقارن في منطق عجيب ودراية نادرة، حتى إنها ذهبت في الموازنة بين طائفة من أغاني الملحمة وأسطورة أرجوس الإغريقية. فما كدت أتم حديثها حتى سألتها: من أين لك كل هذا العلم؟ قالت: إني دكتورة في الأدب من جامعة هلسنكي، وإنما أجيء هنا في الصيف أطلب الراحة فأخدم في الفندق. فأدهشني ذلك [illegible] وعلى هذه الحال كثير من [illegible].

وعندما كان موعد العشاء [illegible] ولما كانت الفتاة تأتيني لتخدمني في حاجة إلا [illegible] أسميها فتقول: يا [illegible] من أبناء [illegible]! أنا هنا لأخدمك. فأنا لا أدع دكتورة في الأدب [illegible] تخدمك من [illegible].

الكاتب وفتاة الفندق

ثم كنت مرة في ذلك اليوم أن أبيت الساعة الخامسة لم أحس مضى قبل أن أرحل... كرّت الساعات وأنا يقظ أستمع إلى أحاديث الفتاة؛ موقفتني على أروع الثقافة الفنلندية وهو تعبير دم مركز يأبى إلا الطرافة: موسيقى وتصوير ونحت وأدب وفلسفة. وكنت لحديثها الحديث كل أجزاء في جانب لا أجهله. من ذلك أن شرحت لي كيف ماشى (وسترمرك) العالم الاجتماعي الفنلندي من الواقع عند كلامه على «الشعر» عند العرب في كتابه «نشأة المعاني الأخلاقية وتطورها» إذ يرى أن الشعر إنما هو عرض للأدب كما هو في سبيل نشأة أيضه

حدثتني الفتاة عن أضواء الثقافة الفنلندية القومية فمن الموسيقي Sibelius والمصور Edelfelt والمهندس Paavinen والقصاص Sillanpää وهنا وقفنا على دقائق الطبيعة الفنلندية، فذكرنا قصة (سلانبا) «الموت الفتى» وما تجمعه من بساطة جميلة وقوة متماسكة وتصوير دقيق.

وقالت من حديثها قلت: أحب أن أحدثك بشيء بعد أن تجيبيني. قالت: أتحسل بأمر وطني؟ قلت: نعم. قالت: أي شيء يكون؟ قلت: إن أول كتاب بُسط فيه جغرافية فنلندة إنما كتب باللغة العربية وصاحبه الشريف الإدريسي واسمه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وقد نشره من أربع سنين مستشرق من عندكم اسمه (تلغرين ويبر). قالت: وما أحرى العرب بنا؟ قلت: نعمت، وبهذا قد تحرك سلبي. قالت: هذا شيء عجيب... عرب وفنلنديون... إلى في حاضركم من تنسى سيبس وعظمة سيبوساته، وفي رجالكم من اسمه أبلي وأحمد وسانا. قالت: هذا من ذاك؟ قلت: ذلك زمان اتصال من طريق التجارة وهذا زمان اتصال من طريق الثقافة... فسرنا نظير أو انصرفت وإذا الفتاة تجلس على مقعد كأسطوانة الموسيقى (سيبليوس) اسمها «فنلنديا» أصغت فيها وأنا أخرج في السحر كأنه تلك الفتاة للترتيب وعدد تلك المخارج الفنلندية في مصر بعد أن عمد

حسن الناصي

شعراء الشرق والطبيعة المصرية

كتب الأخ الأستاذ محمد عبد الغني حسن مقالاً على الشاعر الذي أشاد بذكر الشاعر البحتري على غيره فيه ويفضي عليه بالملامة أنه نسي كثيراً من الشرقيين الذين وصفوا الطبيعة المصرية في شعرهم

وقال أحمد ومن كثير... أن وصف الطبيعة المصرية لم يكن موضع عز البحتري ولا الشريف ولا كثيرهم في كلام أو شعر

وإنما لي حاجة إلى الشاعر الذي يشيد بذكر مصر أولاً والشرق ثانية... ومصر - حماها الله - جنة شاعرها، والشرق كذلك جميل فاتن

حتى يتقل شعراؤنا الغربيون - رحمهم الله - ساقيهم ومراسيهم وبلادهم من لندن وباريس وروما، إلى القاهرة ودمشق وبغداد، حتى يسمعوا إلينا عهد بغداد، والبحتري، وشوقي وغيرهم من أساطين الشعر الشرقي. ورحم الله شوقي إذ يقول:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

محمد عبد المنعم خاطر

مدرس بمدرسة الخديو إسماعيل بالإسكندرية

مجلات الاستشراق في إيطاليا

(١) مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Studi Orientali

تعتبر هذه المجلة العلمية أكبر مجلات الاستشراق في العالم، يصدرها أساتذة المدرسة الشرقية في جامعة روما، ويقوم بإدارتها كبير المستشرقين الإيطاليين البروفسور غلنجلو جويدي، مدير المدرسة الشرقية وأستاذ الأصول الإسلامية في جامعة روما ومدير المعهد الشرقي في نابولي وعضو المجمع العلمي الإيطالي

وتشرف هذه المجلة أقوم المباحث العلمية في الاستشراق لجميع المستشرقين الأوربيين

ومن أهم مباحث أعدادها عام ١٩٣٨ المجلد الثامن عشر، في تفسير جميل بحثه للأستاذ فرنشسكو جبرييلي أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة روما

والتصوف في الأندلس، لويس ماسينيون في عبد الله بن حلفي الدكتور جولو بوسكي

(٢) الشرق الحديث (Oriente Moderno) وهي مجلة شهرية في الاستعمار والدراسات لتعميم معرفة الشرق ولا سيما الإسلامي يقوم بنشرها «معهد الشرق» في روما

وقد أسسها المستشرق الكبير المرحوم نالينو وقام بإدارتها مدة ١٨ عاماً حتى وفاته، وقد خلفه في الإدارة الأستاذ أتوري روسي، أستاذ اللغة والآداب التركية في جامعة روما

وتبحث هذه المجلة ذات الشكل الممتاز في جميع أوساط الاستشراق من جميع ما يهم حياة الشعوب الشرقية الإسلامية

وتنشر كل شهر مختصراً من الحوادث السياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد الشرقية ، ولا سيما العربية ؛ وتنشر جميع الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه البلاد . ونذكر هنا بعض أبحاثها في هذا العام (المجلد التاسع عشر)

[illegible] في مسألة لواء [illegible] للدكتور [illegible] . تاريخ نهضة الشعوب العربية في كتاب حديث لجورج أنطونيوس للمستشرقة [illegible] . حوادث تركستان الشرقية الأخيرة للبروفسور أوري روسي . الحركة الوطنية في منطقة المغرب الأقصى الفرنسية للبروفسور أوري روسي

(٣) المجلة الحقوقية للشرق Rivista giuridica del Medio ed Estremo Oriente)

وهي مجلة حقوقية تبحث في العلوم والحقوق والتشريع ويديرها المحامي [illegible] . وهي مجلة شهرية في عامها الرابع تتناول في أبحاثها الحقوقية ما يمس الشرق الأوسط والشرق الأقصى والمستعمرات ، ثم يلي ذلك باب الأخبار التشريعية والحوادث في الشرق فالمباحث العلمية . وهذه المجلة فريدة في نوعها في أوربا (عن النشرة الشهرية لمجلة [illegible])

عدد سكان الأرض

نشرت عصبة الأمم إحصاء بعدد سكان الكرة الأرضية ، وهو إحصاء تقريبي لأنه لم يشتمل على التعداد الصحيح لسكان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وأستراليا . ويتضح من ذلك الإحصاء أن عدد سكان الكرة الأرضية ملياران و ١٣٢ مليون نفس وهذا بيان بتعداد بعض البلاد

الصين ٤٥٠ مليوناً — روسيا ١٧٨ مليوناً — الولايات المتحدة ١٣٠ مليوناً — ألمانيا ٧٩ مليوناً

اليابان ٧٢ مليوناً (يضاف إليها ٣١ مليوناً عدد سكان الأراضي الملحقة بها)

بريطانيا العظمى ٤٧ مليوناً (يضاف إليها ٤٩٥ مليوناً عدد سكان مستعمراتها والممتلكات الأخرى)

إيطاليا ٤٣ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٨ ملايين في مستعمراتها)

فرنسا ٤٢ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٧٥ مليوناً في ممتلكاتها وراء البحار)

بلجيكا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من [illegible] مليوناً في مستعمراتها)

هولندا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ٦٠ مليوناً في مستعمراتها)

البرتغال ٧ ملايين (ويضاف إليها أكثر من [illegible] ملايين في مستعمراتها)

وقد رؤي بعد الحساب أن عدد سكان الكرة الأرضية يزداد في خلال سنتين ١٨ مليوناً ...

تصويب

ورد البيت الآتي في مقال الموازنة والبديع هكذا

لا تزال بتصاوير مترعاً ... إلا وجهك موصوف بإحسان

وصحته :

... إلا وجهك موصول بسلطان

عز الدين

أصل النَّوَر

يبحث كثيرون عن أصل النَّوَر (الغجر) وكيف وصلوا إلى أوربة فلا يخرجون من بحثهم إلا بالحيرة . وقد وقع لي في بعض مطالعاتي رأي استخلصته من نصوص التاريخ لعل به حل هذه المشكلة

في كتب التاريخ عند الكلام على فتنة الزُّطّ (وهم النَّوَر) في البصرة ، أن أصلهم من أواسط آسيا (غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا فيها ، وأخافوا البلاد) إلى أن تغلب عليهم قائد المعتصم (عجيف بن عنبسة) واضطرهم إلى التسليم فوجد عددهم نحو ثلاثين ألفاً بين رجل وامرأة وصبي ، فنقلوا بأمر المعتصم إلى قرية من قرى الثغر فلبثوا فيها إلى سنة ٢٤١ هـ فأغار الروم على القرية وأسروهم جميعاً فاستاقوهم معهم

فهل يمكن أن يكون انتقالهم إلى أوربة من ثمة ؟

هذا افتراض ، ولعل في أصل هذا الظن ما يستحق البحث وقبوله أو رده —

ع . ط

قصر هشام بن عبد الملك وقصر [illegible]

من أجل الآثار العربية التي عثرت عليها دائرة الآثار في الشام وبعثت العجب من كشفها في جبل الشام ، القصر العربي الأموي الجميل الذي عثر عليه في طريق تدمر ، ويعتقد أنه

«عصر الحيرة» أو عصر هشام بن عبد الملك

وقد نقل هذا القصر من المكان الذي كشف فيه إلى متحف الآثار في دمشق، حيث يقوم المهندسون والعمال على وضعه كما وجدوه دون أن ينقص من بنائه وحجره وزخرفه وكتابته قليل أو كثير. وقد خصصت لهذه الغاية مبالغ كبيرة من ميزانية متحف الآثار أنفق منها حتى الآن ثمانية وثلاثون ألف ليرة سورية.

وقد تم بناء نصف هذا القصر، والأعمال لا تزال مستمرة لإنجاز نصفه الثاني.

وشغلت الساحة التي يقوم عليها هذا القصر مكاناً لا بأس به من ساحة متحف الآثار كله.

حول ابن جزي وابن بطوطة

إتماماً للكلمة المنشورة في (العدد ٣٣٣ من الرسالة الغراء) وتأييداً لما ذهب إليه الدكتور عبد الوهاب عزام في (العدد ٣٣٠) حيث قال: «لا أجد ما يحملني على تكذيب ابن بطوطة في أمر يدعي أنه رآه وسمعه»، أنقل ما أورده العلامة النقاد ابن خلدون في مقدمته (في الصفحة ١٨٨ من طبعة بولاق):

واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة، وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة دهلي حاضرة (عاصمة) ملك الهند، وهو السلطان محمد شاه، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه، وكان له منه مكان، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله! ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون — وأمثال هذه الحكايات — فتناجى الناس بتكذيبه. ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه، فقال لي الوزير فارس: إياك أن تستنكر مثل هذا بما أنك لم تره، فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها، فقال له أبوه: هذا لحم الغنم، فقال: وما الغنم؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها، فيقول: يا أبت تراها مثل الفأر؟ فينكر عليه ويقول: أين الغنم من الفأر! وكذا في لحم الإبل والبقر، إذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر. وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب ... إلى آخر ما أورده ابن خلدون.

سيف الدين الخليلي

تصحيح

قرأت للأستاذ عبد المتعال الصعيدي مقالة (بين الأستاذين أحمد أمين وزكي مبارك)، وقد استوقفني فيها شاهد جاء به من الحديث في ذم الشعر إطلاقاً إذ يقول: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً» وما كنت لأجهل أو أجهد أن الحديث صحيح، أما وهو غير ما ذكرت فإلى مورده هذا نصه:

فقد جاء في رسالة «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» أن أبا هريرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً»، ولما بلغ السيدة روايته أنكرت ذلك وقالت: «لم يحفظ أبو هريرة الحديث، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به» وهكذا أنقذت السيدة — رضي الله عنها — بفطنة علمها ودقة روايتها ثروة طائلة من الكلام الجميل حرّمها أبو هريرة — غفر الله له ورضي عنه — برواية الحديث ناقصاً.

والغريب أن كثيراً من العلماء يرددون ويحرصون على شطر هذا الشطر من الحديث يستشهدون به في ذم الشعر، وما جنى الشعر ولا جنى الشعراء، وإنما ينسب الشعر إلى الغي لأنه يجري وراء الخيال، وأن الشاعر يقول ما لا يفعل. فأما الحق عند النقد من أهل [illegible]، ومن [illegible]، ومن أجل هذا [illegible] وكذلك [illegible]، وهكذا [illegible]

عبد الرحمن أحمد البرعي

(رجع) في مقالي السابق في كتاب الإمتاع والمؤانسة (الرسالة رقم ٣٣٢) وقع سهواً في ص ٢٣٢٤ ع ٢ س ١٦ [illegible] والصواب [illegible] ص ٢٣٢٥ ع ١ س ١٤ [illegible] والصواب [illegible] ع ٢ س ١ [illegible] والصواب [illegible] ص ١١ [illegible] والصواب [illegible] ص ٢٣٢٦ ع ١ س ١٣ [illegible] والصواب [illegible] وقد جاء «السيل» «السائل» [illegible]

رحلات

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه رحلات وأسفار، صور شاهدها قلم مبين، وتأملات بقلم يصفه الدكتور عبد الوهاب عزام

وقراء الرسالة لا شك يعرفون الدكتور الفاضل باحثاً مدققاً وعالماً متمكناً، وشاعراً بارعاً، ورجلاً تتمثل كل معاني الرجولة في أخلاقه وفي سلوكه، ولكن قلّ منهم من يعرفه شاعراً موهوباً من الطراز الأول، يستطيع أن يجري في الحلبة فيسبق، لأنه رجل لا يحب أو قل لا يحسن الإعلان عن نفسه، فهو يجتهد ويجاهد حتى يرضى بالجهد ربه ونفسه، ثم لا يبتغي بعد ذلك مأرباً، حسبي من الغنيمة الإياب.

وشاعرية الأستاذ عزام تتجلى في قصائده «الشكاة» أو «في الوحدة»، وهو لا شك صاحب يقين في هدى الله «إنما الوحدة سكنت، بأي ذنب قتلت»، وإن هذه الشاعرية لتتجلى أيضاً في آثاره في الوصف والإفصاح عن إحساساته بالمرئيات، فأنت إذ تقرأ هذه الرحلات، فستجد فيها دقة الباحث، وحكمة العالم، وطرب الأديب، وخيال الشاعر وعاطفته. وأي شعر أبلغ من قول الدكتور، وهو يجيل النظر في أرجاء سيناء: «وأمسينا نطل على بيداء ليس فيها إلا رمال تتخللها أعشاب وأشواك، ولكن سيناء، ولله هي، ملئت سيناء من الخبر والعبر بما العصور التي آنس موسى من جانبه نور الهدى، وحلها مدّ الزمان وجزره بالغير مهبطة وعقبة، والجيوش هازمة ومهزومة، فتمثل جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وآيبة، أو جيوش أهل فارس مطرودة وطاردة، ثم جيش الإسكندر وجيوش الرومان، ثم جيوش العرب والترك ذاهبون وجائيون، وسطور تمحى في صحائف الزمان سطوراً، كما خط في القرطاس سطر على سطر، تراجع الذكريات، وترادف العظات»

بل أي شعر أفصح من قول الدكتور على قبر صلاح الدين الخالد: «ثم رقينا ورحنا خطوة إلى باب آخر، فإذا حجرة بنيت من الظلمة صورة مقبرة على العصور، وجوب من عبر التاريخ ما تستبين به السطور! إنها حجرة كعنوان الكتاب الكبير تتضمنه التأثر في حسله، ثم لا يزال ينفتح على الصفحة بعد الصفحة! إنها من مكان وسع من الزمان! وإنك من أعصر طويت على أعصر حروب عشرين حملة من الشرق والغرب، ووطأ بالصديق والعدو. هذا مرقد «صلاح الدين»، أطفنا بالقبر ووقفنا هيبة خاشعين، وولينا أبصارنا عن صورة تمثل الجاهد العظيم، ثم قال أحدنا: أين التاج الذي وضعه على القبر ملك الألمان غليوم؟ قال دليلنا: أخذه الإنكليز! قلت: إن مجد «صلاح الدين» أعظم من أن يزينه غليوم وأجل من أن ينقصه الإنجليز، فيمحو أو فليأخذوا، ويمحوا أو يمحوا، فذلك صرح لا تناله أيديهم، وقد قصرت عنه أمانيهم، وحجة التاريخ تشهد من كان الفارس الأمجد!!»

فهذا هو إفصاح الشاعر وخياله وإحساسه ... وهذا هو الأسلوب الذي صور به الدكتور الفاضل كل المشاهد التي رآها والآثار التي وقف بها في حلب ودمشق وبغداد وبلاد العرب وموطن الأتراك، ثم في الحجاز مشرق النور المحمدي، وفي أوربا حيث المسفوح كلها البهاء والرواء والنضر، فجاءت هذه الرحلات صورة حية من عقل الرجل وقلبه، على حوى ما فيها من علم وسرعة آيات بينات من الأدب الوصفي الرائع، ومجمع من الشعر المرسل تنبض بالعواطف والأحاسيس، وعلاقة نفس القارئ بالعظات والعبر، والحكمة والبهجة. وبهذا الفن ستظل رحلات عزام خالدة خلود العواطف الإنسانية، باقية بقاء الإحساس القوي في نفس الكبير

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

هذا كتاب يأخذ موضوعه من التاريخ والعلم والأدب والشعر والحب والنقد والخير والشر ، فهو كما يقول المؤلف الفاضل « أرخ بفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ، ويشرح جوانب من أسرار المجتمع وسرائر القلوب »

ولا شك أن قراء الرسالة الكرام يعرفون بعض الشيء عن كتاب ليلى المريضة في العراق ، بعض الشيء ، لأن الدكتور الفاضل قد نشر صدراً منه في الرسالة ، ثم أمسك عن جهة حديث ، وطوى صراعه مع ما بين من المخزون والمحجوب .

وقد يبدو هذا الكتاب عجباً في تقدير بعض الناس ، على حين تجد بعضهم يجعله على مرتفع به عالياً عالياً — إلى السماء ، ولا غرو في ذلك ، فقديماً كان كتاب « كليلة ودمنة » لدى بعض أهل الظواهر ملهاة وتسلية ، والعالم موعظة وحكمة ، وللأديب جمال وجلال . وكذلك كتب صديقنا الدكتور ، فهو في ظاهره شيء ، وهو في دلالته ومرماه أشياء . ثم هو في التقدير الصحيح صورة لما في الإنسان من مواطن الخير والشر ، وما يصطرع في عالم النفس ودنيا الأدباء من الحلم والحس ، والرشد والغي ، والهدى والضلال .

إنها آلام من الليالي يعطينا كتاب السمر والحديث ، ولقد أراد الدكتور زكي مبارك أن يكشف عن صفحات أولئك الكتاب ، فتحمل القلق في ارتياد تلك المجاهيل ، يقول الدكتور : « ولقد اقتحمت تلك الآفاق بلا زاد ولا عدة ، وأنا أعرف أني أعرض نفسي للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يحمل الطبيب على نفسه ليشرح على حسابها أدواء النفوس والقلوب والعقول .

اقتحمت تلك المهالك وليس لي إلا سناد واحد هو الشعور بأني أؤدي خدمة للأدب والعلم ، وعلى كتب أسلافي القرير من الصنع الذي صنعت »

وصدقني أيها القارئ أن الدكتور ما كان يملك هذا التقرير لو استطاع دفع لسكنت على عليه وكان بذلك من القاعدين الناعمين ، ولكنه رجل جلاه الله بالصراحة والصدق ، فهو لا يدري يعجب « النقمة » في شيء ، ولو استطاع لكان مهذباً كما يقول أستاذنا الزيات ، أن يصقل الظروف ، ويصانع المطالبين ويختلق شيئاً من اللعب في التواريه والتدوين ، لأنى كثيراً ما عرفته يعلوه الطبع ، وتحاوله الصراحة .

ولكن أيعلت من الدكتور فلا أسكت بعد؟ كلا! فإني أحب أن أسأله عن ذلك التكرار ، وتلك الكركرة « الفجورية » بدعول ، من الذي يستطيع أن يصف حركات الدمول والأمراء في القاهرة ؟ من الذي يستطيع أن يحاور في الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية ؟ من الذي يجمع وقته لصاحبيه الصحفيين القاهريين عند منتصف الليل ؟ من الذي يستطيع أن يسجل حركات القاهريين قبل الشروق؟ من الذي يفهم أن أهل القاهرة يموتون قبل الأوان بسبب الإفراط في التكمع والتكلف! من الذي يصدق أن من أهل القاهرة من يملأ الدنيا بالنشاط والحركة وفي جوفه يعمون علة ! من الذي يصدق أن في القاهرة ألف خطيب في فصاحة سحبان ! من الذي يصدق أن الأمان بعيد من القاهرة بسبب الإفراط في الناعمة والنصال ! من الذي يصدق أن زكي مبارك صورة كما في مثاليه زكي مبارك ؟

أنا أنا يا دكتور شوق لا تحمل كل هذه « النقمة » ، وأنا أسألك ولا أريد الجواب ، بل أعلم أن أزمة الرزق سحرتك إلى ما كتب عليه من الإعجاز في التعبير ، والتعمد في المعنى

م . ح . ع

فهرس الموضوعات للمجلد الثاني من السنة السابعة

فهرس الكتاب للمجلد الثاني من السنة السابعة